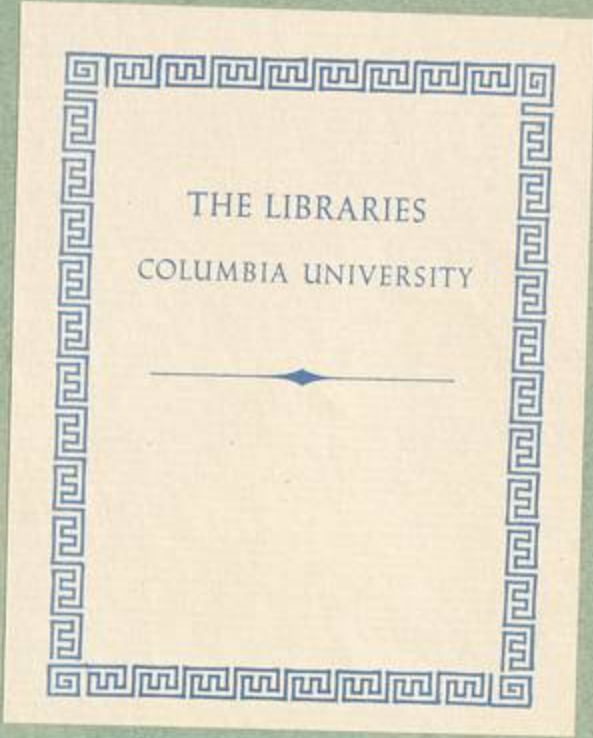


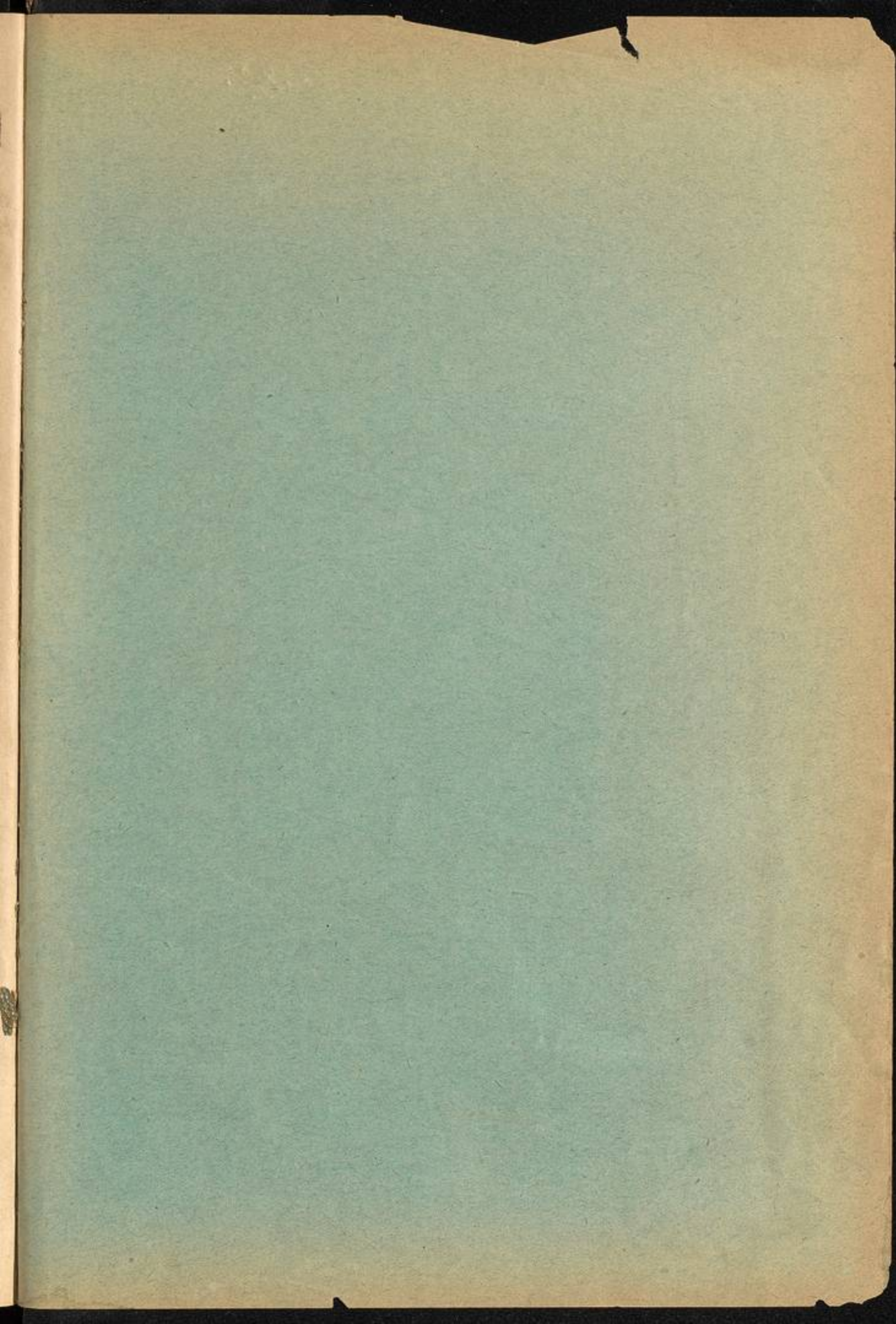


89



THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

۷۹۲



(فهرسة مقدمة العلامة ابن خلدون)

صفحة	مقدمة	صفحة
٤	المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذهبها والاماع ما يعرض للتواريخ من المعالط والاهام وذكري من اسبابها	٧٣
٢٢	الكاب الاول في طبيعة العمران في الخليقة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب	٧٣
	والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلة والاسباب (وفيها ست فصول كبار)	٧٣
٢٦	الفصل الاول من الكاب الاول في العمران البشري على الجملة وفيها مقدمات	٧٤
٢٦	المقدمة الاولى في أن الاجتماع الانساني ضروري	٧٤
٢٧	المقدمة الثانية في وسط العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه من الاثجار والانهار والاقليم	٧٥
٣٠	تكملة لهذه المقدمة الثانية في أن الربع الشمالي من الارض أكثر عمراناً من الربع الجنوبي وذكر السبب في ذلك	٧٥
٣٢	تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا	٧٥
٣٣	الاقليم الاول	٧٦
٣٥	الاقليم الثاني ٣٦	٧٦
٤٠	الاقليم الرابع ٤٤	٧٦
٤٧	الاقليم السادس ٤٩	٧٦
٥٠	المقدمة الثالثة في المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في الوان البشر والكثير من احوالهم	٧٩
٥٢	المقدمة الرابعة في أثر الهواء في اخلاق البشر	٧٩
٥٣	المقدمة الخامسة في اختلاف احوال العمران في الحضر والمجموع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في ابدان البشر وأخلاقهم	٨٠
٥٦	المقدمة السادسة في أصناف المدرسين للغيب من البشر بالفطرة او بالرياسة ويتقدمه الكلام في الوحي والرويا	٨١
٥٧	حققة النبوة والكهانة والرويا وشأن العرافين وغير ذلك من مدارك الغيب	٨٢
	الفصل الثاني من الكاب الاول في العمران البدوي والام الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيها اصول وتهميدات	٨٣
	فصل في أن أجيال البدو والحضر طبيعية	٨٣
	فصل في أن جبل العرب في الخلافة طبعي	٨٣
	فصل في أن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه وان البادية أصل العمران والامصار مدلتها	٨٣
	فصل في أن أهل البدو أقرب الى الخير من أهل الحضر	٨٣
	فصل في أن أهل البدو أقرب الى الشجاعة من أهل الحضر	٨٣
	فصل في أن معاناة أهل الحضر للاحكام مفسدة للبأس فيهم ذاهبة بالمنعة منهم	٨٣
	فصل في أن سكنى البدو لا يكون الا للقبائل أهل العصبية	٨٣
	فصل في أن العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب او ما في معناه	٨٣
	فصل في أن الصريح من النسب انما يوجد للوحشين في القفر من العرب ومن في معانهم	٨٣
	فصل في اختلاط الانساب كيف يقع	٨٣
	فصل في ان الرياسة لا تزال في نصابها لخصوص من أهل العصبية	٨٣
	فصل في أن الرياسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم	٨٣
	فصل في أن البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل العصبية ويكون لغيرهم بالجواز والشبه	٨٣
	فصل في أن البيت والشرف للموالي وأهل الاصطناع انما هو بمواليهم لا بانسابهم	٨٣
	فصل في أن نهاية الحسب في العقب الواحد اربعة آباء	٨٣
	فصل في ان الامم الوحشية اقدر على التغلب	٨٣

صحيحة

صحيحة

٨٤	من سواها فصل في ان الغاية التي تجرى اليها العصبية هي الملك	٩٢	فصل في انه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغنى عن العصبية
٨٤	فصل في ان من عوائق الملك حصول الترف وانعماس القبيل في النعيم	٩٣	فصل في انه قد يحدث لبعض اهل النصاب الملكي دولة تستغنى عن العصبية
٨٥	فصل في ان من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل والانتقاد الى سواهم	٩٤	فصل في ان الدول العامة الاسستيلاء العظيمة الملك اصلها الدين امان نبوة او دعوة حق
٨٥	فصل في ان من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس	٩٤	فصل في ان الدعوة الدينية تنزى بالدولة في اصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عدد
٨٧	فصل في انه اذا كانت الامة وحشية كان ملكها اوسع	٩٥	فصل في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم
٨٧	فصل في ان الملك اذا ذهب عن بعض الشعب عوب من امة فلا بد من عوده الى شعب آخر منها مادامت لهم العصبية	٩٦	فصل في ان كل دولة لها حصة من الممالك والاطوان لا تترد عليها
٨٨	فصل في ان المغلوب مولع ابدا بالقضاء بالغالب في شجاره وزيه وتخلته وسائر احواله وعوائده	٩٧	فصل في ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على نسبة القائم بها في القلة والكثرة
٨٨	فصل في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها اسرع اليها الفناء	٩٨	فصل في ان الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل ان تستحكم فيها دولة
٨٩	فصل في ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط	٩٩	فصل في ان من طبيعة الملك الانفراد بالجد
٨٩	فصل في ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب	٩٩	فصل في ان من طبيعة الملك الترف
٩٠	فصل في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم من الدين على الجملة	٩٩	فصل في ان من طبيعة الملك الدعوة والسكون
٩١	فصل في ان العرب ابعدا لامم عن سياسة الملك	١٠٠	فصل في انه اذا استحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالجد وحصول الترف والدعوة اقبلت الدولة على الهرم
٩١	فصل في ان البدو ادى من القبائل والعصائب مغلوبون لاهل الامصار	١٠١	فصل في ان الدولة لها اعمار طبيعية كما للاشخاص
٩٢	الفصل الثالث من الكتاب الاول في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه قواعد ومتمات	١٠٢	فصل في انتقال الدولة من البدو الى الحضارة
٩٢	فصل في ان الملك والدولة العامة انما يحصل بالقبيل والعصبية	١٠٤	فصل في ان الترف يزيد الدولة في اولها قوة الى قوتها
		١٠٤	فصل في اطوار الدولة واختلاف احوالها وخلق اهلها باختلاف اطوار
		١٠٥	فصل في ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في اصلها

893.7Ib56
T 13

صحيحة	صحيحة
١٦٢ فصل ولما ذكروا من ضرب المصاف وراه	١٠٩ فصل في استظهار صاحب الدولة على قومه
العساكر وتا كده في قتال السكروالفرصار	وأهل عصيته بالموالي والمصطنعين
ملوك المغرب يتخذون طائفة من الافرنج	١٠٩ فصل في احوال الموالي والمصطنعين في الدول
في جندهم الخ	١١٠ فصل فيما يعرض في الدول من حجر
١٦٣ فصل وبلغنا ان أم الترك لهذا العهد قتالهم	السلطان والاستبداد عليه
مناضلة بالسهام	١١١ فصل في أن المتغلبين على السلطان لا
١٦٣ فصل وكان من مذاهب الاول في حروبهم	يشاركونه في اللقب الخاص بالملك
حفر الخنادق على معسكرهم الخ	١١١ فصل في حقيقة الملك وأصنافه
١٦٥ فصل في الجباية وسبب قتلها وكثرتها	١١٢ فصل في أن رهاق الخدمة ضرب بالملك ومفسد
١٦٦ فصل في ضرب المكوس أو آخر الدولة	له في الاكثر
١٦٧ فصل في أن التجارة من السلطان مضره	١١٣ فصل في معنى الخلافة والامامة
بالرعايا مفسدة للجباية	١١٣ فصل في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب
١٦٨ فصل في أن ثروة السلطان وحاشيته انما	وشروطه
تكون في وسط الدولة	١١٦ فصل في مذاهب الشيعة في حكم الامامة
١٦٩ فصل ولما يتوقعه أهل الدولة من أمثال	١٢٠ فصل في انقلاب الخلافة الى الملك
هذه المعاطب صار الكثير منهم يزعون الى	١٢٤ فصل في معنى البيعة
الفرار عن الرتب والتخلص من رتبة	١٢٤ فصل في ولاية العهد
السلطان الخ	١٣٠ فصل في الخطط الدينية للخلافة
١٧٠ فصل في ان نقص العطاء من السلطان نقص	١٣٤ فصل في اللقب بأمر المؤمنين وأنه من
في الجباية	سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء
١٧٠ فصل في أن الظلم مؤذن بخراب العمران	١٣٧ فصل في شرح اسم البابا والبطرك في الملة
١٧٢ فصل ومن أشد الظلمات وأعظم مهافي	النصرانية واسم الكوهن عند اليهود
فساد العمران تكليف الاعمال وتسخير الرعايا	١٣٩ فصل في مراتب الملك والسلطان وألقابها
بغير حق	١٤٤ ديوان الاعمال والجبايات
١٧٢ فصل وأعظم من ذلك في الظلم وافساد	١٤٦ ديوان الرسائل والكتابة
العمران والدولة التسلط على اموال الناس	١٤٩ قيادة الاساطيل (وهي سفائن الحرب)
بشراء ما بين ايديهم بالبخس الاثمان	١٥٢ فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في
١٧٢ فصل في الحجاب كيف يقع في الدول وانه	الدول
يعظم عند الهرم	١٥٣ فصل في اشارات الملك والسلطان الخاصة به
١٧٣ فصل في انقسام الدولة الواحدة بدولتين	١٥٤ السريرو المنبر والتخت والكرسي
١٧٤ فصل في أن الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع	١٥٤ السكة ١٥٦ الخاتم ١٥٨ الطراز
١٧٥ فصل في كيفية طروق الخلال للدولة	١٥٨ القساطيط والسياج
١٧٧ فصل في حدوث الدولة وتجددها كيف يقع	١٥٩ المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة
١٧٧ فصل في أن الدولة المستعدة انما تستولى	١٦٠ فصل في الحروب ومذاهب الامم في ترتيبها
على الدولة المستقرة بالمطاوله لا بالمناجزة	١٦٢ فصل ومن مذاهب أهل السكروالقرفي
١٧٩ فصل في وفور العمران آخر الدولة وما يقع	الحروب ضرب المصاف وراه عسكرهم الخ

٧٦٤٤

١٨

صفحة	صفحة
٢١٧	فيها من كثرة الموتان والمجاعات
المصر الكثير العمران	١٨٠
٢١٧	فصل في أن العمران البشري لا بد له من سياسة ينظمها أمره
بالرفع والفقير مثل الامصار	١٨٥
٢١٨	فصل في أمر القاطم هي وما يذهب اليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك
فصل في تأثر العقار والضياع في الامصار	١٩٦
وحال فوائدها ومستغلاتها	فصل في ابتداء الدول والامم وفيه الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى الحفر
٢١٩	٢٠٤
فصل في حاجات المتولين من أهل الامصار الى الجاه والمدافعة	الفصل الرابع من الكتاب الاول في البلدان والامصار وماتر العمران وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه مسوابق ولواحق
٢١٩	٢٠٤
فصل في ان الحضارة في الامصار من قبل الدول وانها ترسخ باتصال الدولة ورسوخها	فصل في ان الدول اقدم من المدن والامصار وانها انما تاجد ثمانية عن الملك
٢٢١	٢٠٥
فصل في أن الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وانها مؤذنة بفساده	فصل في ان الملك يدعو الى نزول الامصار
٢٢٣	٢٠٥
فصل في ان الامصار التي تكون كراسي للملوك تخرب بخراب الدولة وانتقاضها	فصل في أن المدن العظيمة والهياكل المرتفعة انما يشيدها الملك الكثير
٢٢٤	٢٠٦
فصل في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض	فصل في ان الهياكل العظيمة جدا لا تستقل بينائها الدولة الواحدة
٢٢٤	٢٠٦
فصل في وجود العصبية في الامصار وتغلب بعضهم على بعض	فصل فيما يجب مراعاته في اوضاع المدن وما يحدث اذا غفل عن تلك المراعاة
٢٢٥	٢٠٨
فصل في لغات أهل الامصار	فصل في مما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر أن تكون في جيل أو تكون بين أمة من الامم الخ
٢٢٦	٢٠٨
الفصل الخامس من الكتاب الاول في المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه مسائل	فصل في المساجد والبيوت العظيمة في العالم
٢٢٦	٢١٢
فصل في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما وان الكسب هو قيمة الاعمال البشرية	فصل في أن المدن والامصار بافريقية والمغرب قليلة
٢٢٧	٢١٣
فصل في وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه	فصل في أن المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها والى من كان قبلها من الدول
٢٢٨	٢١٣
فصل في ان الخدمة ليست من المعاش الطبيعي	فصل في أن المباني التي كانت تحتها العرب يسرع اليها الخراب الا في الاقل
٢٢٩	٢١٣
فصل في أن ابتغاء الاموال من الدفائن والكنوز ليس بمعاش طبيعي	فصل في مبادئ الخراب في الامصار
٢٣١	٢١٣
فصل في ان الجاه مقيد للمال	فصل في أن تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرفه لاهلها ونفاق الاسواق انما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلية
٢٣٤	٢١٦
فصل في ان القائمين بامور الدين من القضاء والقضاة والتدريس والامامة والخطابة	فصل في اسعار المدن

صحيحة	صحيحة
فصل في صناعة الوراقة ٢٥٠	والاذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب
فصل في صناعة الغناء ٢٥١	٢٣٤ فصل في أن الفلاحة من معاش
فصل في أن الصنائع تكسب صاحبها عقلا وخصوصا الكفاية والحساب	المستضعفين وأهل العاقبة من البدو
الفصل السادس من المكاب الاول في العلوم واصنافها والتعلم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه مقدمة ولو اوح	٢٣٤ فصل في معنى التجارة ومذاهبها واصنافها
٢٥٥ فصل في أن العلم والتعلم طيب - حتى في العمران البشري	٢٣٥ فصل في أي اصناف الناس يحترف بالتجارة وأيهم ينبغي له اجتناب حرفها
٢٥٥ فصل في أن التعليم للعلم من جملة الصنائع	٢٣٥ فصل في أن خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف والمولوك
٢٥٧ فصل في أن العلوم انما تسكر حيث يكثر العمران وتعلم الحضارة	٢٣٥ فصل في نقل التاجر لسلع
٢٥٨ فصل في اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد	٢٣٦ فصل في الاحتكار
٢٥٩ علوم القرآن من التفسير والقراآت علوم الحديث	٢٣٦ فصل في أن رخص الاسعار مضر بالمحترفين بالرخص
٢٦١ علوم الفقه وما يتبعه من الفرائض علم الفرائض	٢٣٧ فصل في أن خلق التجارة نازلة عن خلص الرؤساء وبعده من المرواة
٢٦٨ أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات	٢٣٧ فصل في أن الصنائع لا يبدلها من المعلم
٢٧٢ علم الكلام ٢٧٨ علم التصوف	٢٣٨ فصل في أن الصنائع انما تسكمل بكمال العمران الحضري وكثرت
٢٨٣ علم تعبير الرؤيا ٢٨٤ العلوم العقلية واصنافها العلوم العددية	٢٣٨ فصل في أن رسوم الصنائع في الامصار وانما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها
٢٨٧ ومن فروع علم العدد صناعة الحساب ومن فروعه الجبر والمقابلة	٢٣٩ فصل في أن الصنائع انما تستجد وتسكتر اذا كثر طلبها
٢٨٨ ومن فروعها أيضا المعاملات ومن فروعها أيضا الفرائض	٢٤٠ فصل في أن الامصار اذا قاربت الخراب انتقضت منها الصنائع
٢٨٩ العلوم الهندسية	٢٤٠ فصل في أن العرب أبعد الناس عن الصنائع
٢٩٠ ومن فروع هذا الفن الهندسة المخصوصة بالاشكال الكرية والمخروطات	٢٤٠ فصل في أن من حصلت له ملكة في صناعة فقل أن يجيد بعدها ملكة أخرى
٢٩٠ ومن فروع الهندسة المساحة ٢٩٠ علم الهيئة ومن فروعها علم الازياج ٢٩١ علم المنطق	٢٤١ فصل في الإشارة إلى أمهات الصنائع
٢٩٣ الطبيعيات ٢٩٤ علم الطب	٢٤١ فصل في صناعة الفلاحة
٢٩٤ فصل وللبادية من أهل العمران طب ينموه في غالب الامر على تجربة قاصرة على	٢٤١ فصل في صناعة البناء
	٢٤٣ فصل في صناعة التجارة
	٢٤٤ فصل في صناعة الحياكة والنجاطة
	٢٤٥ فصل في صناعة التوليد
	٢٤٦ فصل في صناعة الطب وانها محتاج اليها في المواضر والامصار دون البادية
	٢٤٨ فصل في أن الحط والسكبة من عداد الصنائع الانسانية

الانظار ولا تفرع المسائل	بعض الاشخاص الخ ٢٩٤ الفلاحة
٣٤٣ فصل في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرقة	٢٩٥ علم الالهيات ٢٩٦ علم السحر والطلسمات
٣٤٥ فصل في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم	٣٠٠ فصل ومن قبيل هذه التأثيرات النفسانية الاصابة بالعين ٣٠٠ علم اسرار الحروف
٣٤٦ فصل في أن الرحلة في طلب العلوم وبقاء المشيخة من يد كمال في التعلم	٣٠٣ ومن فروع علم السيمياء عندهم استخراج الاحوية من الاسئلة
٣٤٦ فصل في ان العلماء من بين البشر ابعدهن السياسة ومذاهبها	٣٠٥ الكلام على استخراج نسبة الاوزان وكيفياتها ومقادير المقابل منها ودرجة الدرجه المتميزة بالنسبة الى موضع المعاني من امتزاج طبائع وعلم طب اوصناعة الكيمياء ٣٠٥ الطب الروحاني
٣٤٧ فصل في أن جملة العلم في الاسلام أكثرهم العجم ٣٤٩ فصل في علم اللسان العربي	٣٠٥ مطارح الشعاعات في موايد الملوك وبنينهم
٣٤٩ علم النحو ٣٥١ علم اللغة ٣٥٣ علم البيان ٣٥٥ علم الادب ٣٥٦ فصل في ان اللغة ملكة صناعية	٣٠٦ الانفعال الروحاني والانتقاد الرباني
٣٥٧ فصل في أن لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضرو وجبر	٣٠٦ اتصال انوار الكواكب
٣٥٩ فصل في أن لغة الحضرة الامصار قادمة بنفسها مخالفة للغة مضر	٣٠٦ مقامات المحبة وميل النفوس والمجاهدة والطاعة والعبادة وحب وتعشق وفناء الغناء وتوجهه وراقبة وخلة دائمة
٣٦٠ فصل في تعليم اللسان المضري	٣٠٧ فصل في المقامات والنهاية
٣٦٠ فصل في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعلم	٣٠٧ الوصية والتختم والايمان والاسلام والتخريم والابهلية
٣٦٢ فصل في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان وتحقيق معناه وبيان أنه لا يحصل غالباً للمستعرب من العجم	٣٠٨ كيفية العمل في استخراج اجوبة المسائل من زاوية العالم بحول الله منقولاً عن لقيناه من القائم عليها
٣٦٤ فصل في ان اهل الامصار على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية التي تستفاد بالتعليم ومن كان منهم ابعدهن اللسان العربي كان حصوله اصعب واعسر	٣١٥ فصل في الاطلاع على الاسرار المحفية من جهة الارتباطات الحرفية
٣٦٥ فصل في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر	٣١٧ فصل في الاستدلال على ما في الضعائر المحفمة بالقوانين الحرفية ٣١٩ علم الكيمياء
٣٦٧ فصل في انه لا تنفق الاجادة في فني المنظوم والمنشور مع الاطلاق	٣٢٥ فصل في ابطال الفلسفة وفساد منحلها
٣٦٧ فصل في صناعة الشعر ووجه تعلمه	٣٢٩ فصل في ابطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها
٣٧٣ فصل في أن صناعة النظم والنثر انما هي في الالفاظ لا في المعاني	٣٣٣ فصل في انكار مرة الكيمياء واسم تحالها وجودها وما ينشأ من المفاسد عن انتقالها
٣٧٤ فصل في أن حصول هذه الملكة بكثرة المحفظ وجودها بوجود المحفوظ	٣٣٨ فصل في أن كثرة التاليف في العلوم عاقبة عن التحصيل
٣٧٦ فصل في ترفع اهل المراتب عن انتقال الشعر	٣٣٩ فصل في أن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم
٣٧٧ فصل في اشعار العرب واهل الامصار لهذا العهد (وفيها اشعار الهلالية والزناية)	٣٣٩ فصل في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افاضته ٣٤١ وعلم ايها المتعلم الخ
٣٧٤ الموشحات والازجال للاندرلس	٣٤٢ فصل في ان العلوم الالهية لا توسع فيها

صحيفة	الباب	صحيفة	
١٢٨	الباب الموقفي عشرين في الخصال التي هي أركان السلطان	١٠	الباب الاول في مواعظ الملوك
١٢٩	الباب الحادي والعشرون في بيان حاجة السلطان الى العلم	٥٥	الباب الثاني في مقامات العلماء والصلحاء
١٣٣	الباب الثاني والعشرون في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب	٧٨	عند الامراء والسلاطين
١٣٤	الباب الثالث والعشرون في العقل والدهاء والمخبت	٧٨	الباب الثالث فيما جاء في الولاة والقضاة وما في ذلك من العز وخطر
١٤٣	الباب الرابع والعشرون في الوزراء وصفتهم والجلساء وآدابهم	٨٦	الباب الرابع في بيان معرفة ملك سليمان بن داود عليهم السلام ووجه طلبه الملك وسؤاله أن لا يؤتى لاحد من بعده
١٤٩	الباب الخامس والعشرون في المجلساء وآدابهم	٨٨	الباب الخامس في فضل الولاة والقضاة اذا عدلوا
١٥٣	الباب السادس والعشرون في بيان معرفة الخصال التي هي جمال السلطان	٩٤	الباب السادس في أن السلطان مع رعيته مغبون غير غابن وخاسر غير راجح
١٦١	الباب السابع والعشرون في المشاورة والنصيحة ١٦٥ فصل في النصيحة	٩٧	الباب السابع في بيان الحكمة في كون السلطان في الارض
١٦٨	الباب الثامن والعشرون في الحلم	٩٩	الباب الثامن في منافع السلطان ومضاره
١٨٠	الباب التاسع والعشرون فيما يسكن الغضب	١٠٠	الباب التاسع في بيان منزلة السلطان من الرعية
١٨٣	الباب الثلاثون في الجود والسخاء الخ	١٠٢	الباب العاشر في بيان معرفة خصال ورد الشرع بها فيها نظام الملك والدول
١٩٨	الباب الحادي والثلاثون في بيان الشح والبخل وما يتعلق بهما	١٠٥	الباب الحادي عشر في بيان معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ولا ثبات له دونها
٢٠٠	الباب الثاني والثلاثون في الصبر	١١٢	الباب الثاني عشر في التنصيص على الخصال التي زعم الملوك انها انزلت دولتهم وهدمت سلطانهم
٢٠٣	فصل في أقسام الصبر	١١٥	الباب الثالث عشر في الصفات الراتبية التي زعم الحكماء أنه لا تدام معها ملكة
٢١٤	الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر	١١٨	الباب الرابع عشر في الخصال المحمودة في السلطان
٢١٨	الباب الرابع والثلاثون في بيان الخصلة التي هي رهن بسائر الخصال وزعيم بالمزيد من النعماء والآلاء من ذي الجلال	١٢٠	الباب الخامس عشر فيما يعز به السلطان
٢٢٠	فصل في شكر اللسان	١٢٢	الباب السادس عشر في ملك أمور السلطان
٢٢١	فصل في الشكر على الجوارح	١٢٣	الباب السابع عشر في خبير السلطان وشر السلطان
٢٢٣	فصل في الكلام على الزيادة	١٢٥	الباب الثامن عشر في منزلة السلطان من القرآن
٢٣٠	الباب الخامس والثلاثون في بيان السيرة التي يصلح عاينها الامير والمأمور ويستريح اليها الرئيس والمرؤس مستخرجة من القرآن العظيم	١٢٥	الباب التاسع عشر في خصال جامعة لآمر السلطان
٢٣٤	الباب السادس والثلاثون في بيان الخصلة التي فيها غاية كمال السلطان وشفاء الصدور		

صفحة	صفحة
٢٨٧	وراحة القلوب وطبيعة النقوس
المعتبرة في الولاية	٢٣٦
٢٩١	الباب السابع والثلاثون في بيان الخصلة التي فيها ملجأ الملوك عند الشدائد ومعقل السلاطين عند اضطراب الامور وتغير الوجوه والاحوال
٢٩٦	٢٣٧
الباب الرابع والخمسون في هدايا العمال والرشا على الشفاعات	الموجبة لذم الرعية للسلطان
٢٩٨	٢٣٨
الباب الخامس والخمسون في معرفة حسن الخلق	الباب التاسع والثلاثون في مثل السلطان العادل والحاثر
٣٠٧	٢٣٩
فصل في الفرق بين المداهنة والمداواة	الباب العاشر في رعيها يجب على الرعية اذا جاز السلطان
٣٠٨	٢٤٢
الباب السادس والخمسون في الظلم وشؤمه وسوء عاقبته	الباب الحادي والاربعون في كاتكونوا يولى عليهم
٣١٦	٢٤٣
الباب السابع والخمسون في تحريم السعاية والتمنيمة وتجهما وما يؤل اليه امرهما من الاعمال الرديئة والعواقب الذميمة	الباب الثاني والاربعون في بيان الخصلة التي تضح بها الرعية
٣٢٢	٢٤٦
الباب الثامن والخمسون في القصاص وحكمته	الباب الثالث والاربعون فيما يملك السلطان من الرعية
٣٢٧	٢٤٧
الباب التاسع والخمسون في العرج بعد الشدة	الباب الرابع والاربعون في التحذير من صفة السلطان
٣٤٢	٢٥٠
الباب الستون في بيان الخصلة التي هي ام الخصال وينبوع الفضائل ومن فقد هالم يكمل فيه خصلة وهي الشجاعة ويبر عنها بالصبر ويعبر عنها بقوة النفس	الباب الخامس والاربعون في صفة السلطان
٣٤٥	٢٥٤
الباب الحادي والستون في ذكر الحروب وتديرها وحياتها واحكامها	الباب السادس والاربعون في سيرة السلطان مع الجند
٣٥٦	٢٥٦
الباب الثاني والستون في القضاء والتقدير والتوكل والطلب	الباب السابع والاربعون في سيرة السلطان في استجابة الخراج
٣٦٢	٢٥٨
الباب الثالث والستون وهو جامع من اخبار الملوك العجم وحاياتهم الخ	الباب الثامن والاربعون في سيرة السلطان في بيت المال
٣٦٩	٢٦٣
فصل من نوادر نزر جهر الخ	فصل يتضمن مبلغ ما كان يستخرج لفرعون يوسف من اموال مصر
٣٧٠	٢٧٠
فصل ومن حكمه سابق السندى الخ	الباب التاسع والاربعون في سيرة السلطان في الانفاق من بيت المال وسيرة العمال
٣٧٣	٢٧٧
فصل قال غيره لا ينبغي للملأ ان يكون له ايام معلومة يظهر فيها الخ	الباب العاشر في خمسين في سيرة السلطان في تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيرة العمال
٣٧٣	٢٨٢
فصل من نوادر كلام العرب من حكم اكنم بن صفي الخ	الباب الحادي والخمسون في احكام اهل الذمة
٣٧٦	٢٨٥
الباب الرابع والستون مشتمل على حكم مشورة	فصل في نقض الذمي العهد
	٢٨٥
	فصل في تقدير الجزية

* (المقدمة) *
* (للعلامة ابن خلدون) *

* (الجزء الاول) *
من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في
ايام العرب والجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوى السطان الاكبر وهو
تاريخ وحيد عصره العلامة
عبد الرحمن بن خلدون
المغربي رحمه الله
آمين



* (وبها مشه سراج الملوك للعلامة ابى بكر
محمد بن محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى
المسالكى رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين) *

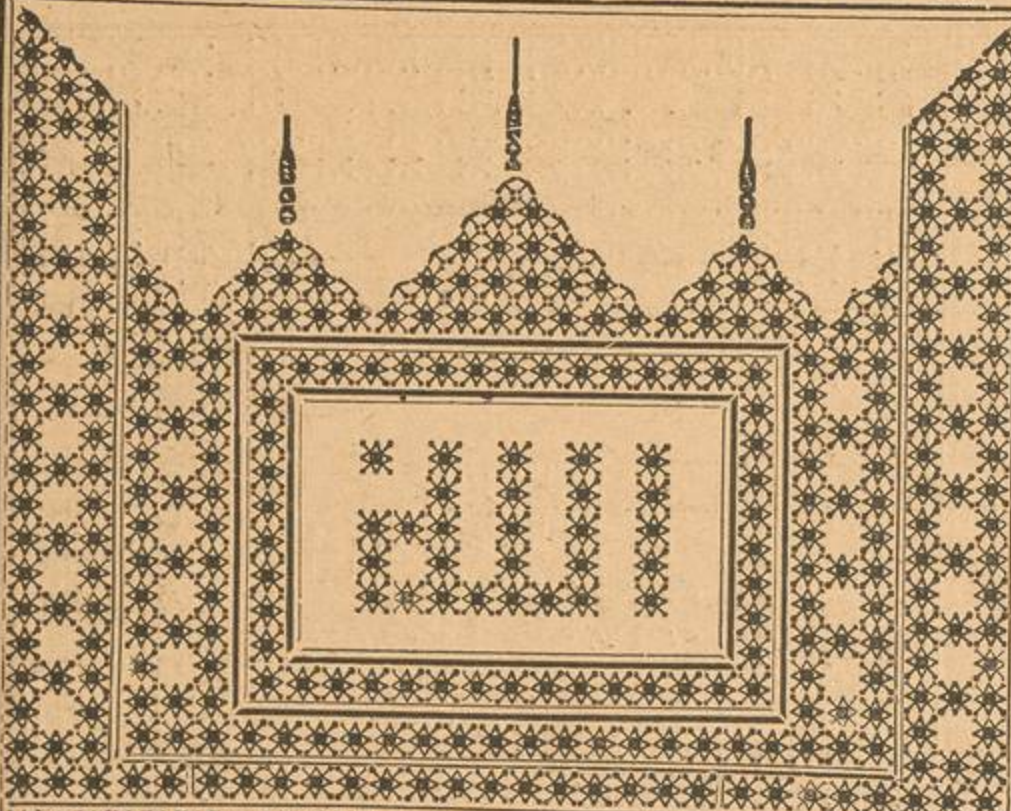
(محل مبيعه بالمطبعة الازهرية)
(ادارة الراجى من الله العفران)
(حضرة السيد محمد رمضان)

* (الطبعة الاولى) *
(بالمطبعة الازهرية المصرية)
(سنة ١٣١١ هجرية)

١٧

الحمد لله الذي لم يزل ولا يزال وهو الكبير المتعال خالق الاعيان والا^٢ نار و كور النهار على الليل
 والليل على النهار العالم بالخصيات (٢) وما تنطوي عليه الارضون والسموات سواء عنده الجهر والاسرار ومن هو مستوف بالليل وسارب

(بسم الله الرحمن الرحيم)
 بالنهار الا يعلم من خلق
 وهو اللطيف الخبير خلق
 الخلق بقدرته واحكمهم
 بعلمه وخصصهم بمشيئته
 ودبرهم بحكمته لم يكن له
 في خلقهم معين ولا في
 تدبيرهم مشير وظهر
 وكيف يستعين من لم يزل
 بمن لم يكن اورس تظهر من
 قدس عن الذل بمن دخل
 تحت ذل التكوين ثم
 كافهم معرفته وجعل
 علم العالمين بعجزه عن
 ادراكه ادراكهم ومعرفة
 العارفين بتقصيرهم عن
 شكره شكرهم كما جعل
 اقرار المقرين بوقوف
 عقولهم عن الاحاطة
 بحقيقته ايمانهم لا يلزمه
 لم ولا يجاوزه ابن ولا
 بلا صفة حدث ولا يحده ما
 ولا يده كم ولا يحصره متى
 ولا يحيط به كف ولا يناله
 اى ولا يظله فوق ولا يقبله
 تحت ولا يقابله حد ولا
 يزاحه عند ولا يأخذه
 خلف ولا يحده امام ولم
 يظهره قبل ولم يعينه بعد
 ولم يجمه كل ولم يوجد له
 كان ولم يقده ايس وصفه
 لا صفة له وكونه لا امده
 ولا تخالطه الاشكال
 والصور ولا تغيره الايام
 والتغير ولا تجوز عليه
 الماسة والمقاربة وتستحيل



|| (بسم الله الرحمن الرحيم) ||

يقول العبد الفقير الى رحمة ربه الغني باطفه عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي وفقه الله تعالى
 الحمد لله الذي له العزة والجبروت * ويديه الملك والملايكوت * وله الاسماء الحسنى والنعوت * العالم فلا
 يعزب عنه ما تظهره النجوم او يخفيه السكوت * القادر فلا يجزه شئ في السموات والارض ولا يقوت *
 انشأنا من الارض نساء * واستعمرنا فيها اجيالا وامما * وبسر لنا منها ارزاقا وقسما * تكلفنا الارحام
 والبيوت * ويكلفنا الرزق والقوت * وتبلينا الايام والوقوت * وتعتورنا الالجال اتي خط علينا كتابها
 الموقوت * وله البقاء والثبوت * وهو الحى الذى لا يموت * والصلاة والسلام على سيدنا وولانا محمد النبي
 الامي العربي المكتوب في التوراة والانجيل المنعوت * الذى تمخض لفصاله الكون قبل ان تتعاقب
 الاحاد والسبوت * بين زحل واليهوت (١) * وشهد بصدقه الحما والعتكوت * وعلى آله واصحابه
 الذين لهم في محبته واتباعه الاثر البعيد والصيت * والشمل الجميع في مظاهرتة ولعدوتهم الشمل الشيت *
 صلى الله عليه وعليهم ما اتصل بالاسلام جده المنجوت * وانقطع بالكفر جبه المبتوت * وسلم كثيرا
 * (اما بعد) * فان فن التاريخ من القنون التى يتداولها الامم والاجيال * ونشدا اليه الركائب والرحال *
 (١) قوله اليهوت هو النون اى الحوت الذى على ظهره الارض السابعة ويسمى ايضا لوتيا كما في المزه
 وروح البيان والاهجة ومعلوم ان بينه وبين زحل الذى هو في القلك السابع بونا عيدا قال الشهاب
 الحنفاجى في حاشيته على البيضاوى فى اول سورة نون اليهوت بفتح المنة التحتية وسكون الما وما شتهر
 من انه بالباء الموحدة غلط على ما ذكره الفاضل الحشى اه ومثله فى زروح البيان قاله نصر المودينى

عليه المحافاة والمقابلة ان قلت لم كان فقد سبق العلل ذاته ومن كان معلولا كان له غيره على يساوقه فى الوجود
 وهو قبل جميع الاعيان بلا علة فقدره الله فى الاشياء بالامراج ووصنه فيها بالاعلاج وعلة كل شئ صنعه ولا علة اصنعه فان قلت اين هو فقد

سبق المسكان وجوده فن ابن الاين لم يقتصر وجوده الى ابن هو بعد خلق المسكان غنى بنقسه كما كان قبل خلق المسكان وكيف يحل
فيما منه بدو يعود اليه ما هو انشاوان قلت ما هو فلا مائة لو جوده وماه وضوءه (3) لسؤال عن الجنس والقديم تعالى

لاجنس له لان الجنس
مخصوص بمعنى داخل تحت
المسائية وان قلت كم هو
فهو احد في ذاته منفرد
بصفاته وان قلت متى كان
فقد سبق الوقت كونه
وان قلت كيف هو فن
كيف الكيف لا يقال له
كيف ومن جازت عليه
الكيفية جازها به النعت
وان قلت هو فلهما
والواو خلقه بل الزم الكل
الحدث كما قال بعض
الاشياخ لان القديم له فالذي
بالجسم ظهوره فالعرض
يلزمه والذي بالاداة
اجتماعه فقواها تمسكه
والذي بوائفه وقت يفرقه
وقت والذي يقيم غيره
فالضرورة تمسكه والذي
الوهم يطرقه فالتصوير
يرتقى اليه من آواه محل
ادركه ابن ومن كان له
جنس طلبه كيف وجوده
اثباته ومعرفته توحيد
وتوحيد تميزه من خلقه
ما تصور في الاوهام فهو
بخلافه لا تخالجه العيون
ولا تخاطبه الظنون ولا
تصوره الاوهام ولا تحيط
به الافهام ولا يقدر قدره
الانام ولا يحويه مكان
ولا يقارنه زمان ولا يحصره
امد ولا يسعه ولد ولا يحجمه

وتسمه والى معرفته السوقة والاعمال وتتنافس فيه الملوك والاقبال ويتساوى في فهمه العلماء
والجهال اذ هو في ظاهره لا يز يدعى اخبار عن الايام والدول والسوابق من القرون الاول تنهى فيها
الاقوال وتضرب فيها الامثال وتطرف بها الاندية اذ اغصم الاحتفال وتتوذى اليها اشان الخلدية
كيف تعلقت بها الاحوال واتسع للدول فيها النطاق والمجال وعمر والارض حتى نادى بهم الارتحال
ووحان منهم الزوال وفي باطنه نظر وتحديق وتعليل للكائنات ومبادئ دقيق وعلم بكميات
الوقائع واسبابها عميق فهو لذلك اصيل في الحكمة عريق وجدير بان يعد في علومها او خلقها وان
فخول المؤرخين في الاسلام قد استوعبوا اخبار الالام وجمعوها ووسطوها في صفحات الدفاتر
واودعوها وخلفها المتفكرون بدسائس من الباطل وهم وافيها اوابتدعوها وزخارف من الروايات
المضغفة لفقها ووضعوها واقتنى تلك الاثار الكثر من بعدهم واتبعوها وادوها اليها كما
سمعوها ولم يلاحظوا اسباب الوقائع والاحوال ولم يراعوها ولا يفرضوا اثرها الاحاديث ولا دفعوها
فالتحقيق قليل وطرف التنقيح في الغالب قليل والغلط والوهم نسب للاخبار وخليل والنقل يد
عريق في الاقدمين وسلييل والتطفل على القنون عربض وطويل ومرعى الجهل بين الانام وخميم
وبيل والمحق لا يقاوم سلطانه والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه والنقل انما هو على وينقل
والبصيرة تتقد السمع اذ تمقل والعلم يحلها صفحات الصواب ويصقل (هذا) وقد دون الناس في
الاخبار واكثرها وجمعوا تواريخ الامم والدول في العالم ووسطوا والذين ذهبوا بفضل الشهرة والامانة
المعتبرة واستقر غوادواوين من قبلهم في صحفهم المتأخرة هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الانامل
ولا حركات العوامل مثل ابن اسحق والطبري وابن السككي ومحمد بن عمر الواقدي وسيف بن عمر
الاسدي والمسعودي وغيرهم من المشاهير المتميزين عن الجاهير وان كان في كتب المسعودي
والواقدي من المطعن والمغمز ما هو معروف عند الالباب ومشهور بين المفظة الثقات الا ان الكفاية
اختصتهم بقبول اخبارهم واقفاء سننهم في التصنيف واتباع آثارهم والناقد البصير قسطاس نفسه في
تزييفهم فيما يتقنون او اعتبارهم فلعله مران طبائع في احواله ترجع اليها الاخبار وتحمّل عليها
الروايات والاثار ثم ان اكثر التواريخ لمهول لاعامة المناهج والمسالك لعموم الدولتين صدر الاسلام
في الآفاق والممالك وتتواها البعيد من الغايات في المسأخذ والماترك ومن هؤلاء من استوعب ما
قبل الملة من الدول والامم والامر المهم كالمسعودي ومن نحا منحاه وجاء من بعدهم من عدل عن الاطلاق
الى التقييد ووقف في العموم والاحاطة عن الشا والبعد فقيد شوارد عصره واستوعب اخبار افعه
وقطره واقتصر على احاديث دولته ومصره كما فعل ابو حيان مؤرخ الاندلس والدولة الاموية بها وابن
الرفيق مؤرخ افرقيية والدول التي كانت بالقبير وان ثم لم يأت من بعده هؤلاء الا مقادير وبلد الطبع
والعقل او متبلد يندرج على ذلك المنوال ويحتذى منه بالمال ويذهل عما حالته الايام من الاحوال
واسئبت دلت به من عوائد الامم والاجيال فيجلبون الاخبار عن الدول ووح كيات الوقائع في الصور
الاول صور اقد تجردت عن موادها وصفها انتضت من انماها ومعارف تستنكر للجهل بطارفيها
وتلادها انما هي حوادث لم تعلم اصولها وانواع لم تعبر اجناسها ولا تحققت فصولها يكررون في
موضوعاتهم الاخبار المتداولة باعيانها اتبعا لمن عني من المتقدمين بشانها ويعقلون امر الاجيال
الناشئة في ديوانها بما عوز عليهم من ترجمانها فيستجهم صحفهم عن بيانها ثم اذا تعرضوا لذكر الدولة

عد قدره كرامته وبعدها هانته علومه من غير توفيل ومجيد من غير تنقل هو الاول والاخر والظاهر والباطن القريب البعيد الذي
ليس كمنه شيء وهو السميع البصير واشهد له بالربوبية والوحدانية وما شهد به لنفسه من الاسماء الحسنى والصفات العلى والنعت

الاولى اياه الخلق والامر تبارك الله رب العالمين واومن بالله وما لا نكته وكتبه ورسوله لا تفرق بين احد من رسوله ونحن له مسلمون
واشهدان محمد عبده المصطفى وامينه (٤) المرتضى ارسله الى كافة الورى بشير او نذير او داعي الى الله باذنه وسراجا منيرا صلى الله

تسوقوا اخبارها نسقا * محققين على نقلها او هما اوصدقا * لا يتعرضون لبدايتها ولا يذكرون السبب
الذي رفع من رايها * واظهر من آياتها * ولا علة الوقوف عند غايتها * فيبقى الناظر متطوعا * الى افتقار
احوال مبادئ الدول وحرابها * مقتشاعا * اسباب تراجعها او تعاقبها * باحسان المقنع في تبانيها او تناسبها *
حسب ما نذركم ذلك كله في مقدمة الكتاب * ثم جاء آخرون بافرا ما الاختصار * وذهبوا الى الاكتفاء باسماء
الملوك والاقطار * مقطوعة عن الانساب والاخبار * موضوعة عليها اعدادا يامهم بحروف الغبار * كما
فعله ابن رشيقي في ميزان العمل * ومن اقتنى هذا الاثر من الملوك * وليس يعتبره مؤلفا * مقال * ولا يعلمهم
ثبوت ولا انتقال * لما اذهبوا من القوائد * واخلوها بالمازب المعروفة لاؤرخين والعوائد (ولما طاعت)
كتب القوم * وسبرت غور الامس واليوم * نهت عين القريحة من سنة الغفلة والنوم * وسعت
التصنيف من نقبي وانا المقلد احسن السوم * فانشأت في التواريخ كتابا رفعت به عن احوال الناشئة
من الاجيال * وفصلته في الاخبار والاعتبار بابا بابا * وابدت فيه لاولية الدول والعمران على
واسبابها * وبنيت على اخبار الامم الذين عمر والمغرب في هذه الاعصار * ومثاها * كناف النواحي منه
والامصار * وما كان لهم من الدول الطوال او القصار * ومن سلف من الملوك والانصار * وهم العرب
والبربر * اذ هما الجبلان اللذان عرف بالمغرب ما واهما * وطال فيه على الاحقاب مشواهما حتى لا يكاد
يتصور فيه ما اعداهما * ولا يعرف اهله من اجيال الادميين سواهما * فهذبت مناحيه تهذيبا * وقربته
لافهام العلماء والمخاضة تقريبا * وسلكت في ترتيبه وتبويبه مسلكا غير ما * واخترت منه من بين المناحي
مذهبا عجيبا * وطريقة مبتدعة واسلوبا * وشرحت فيه من احوال العمران والتمدن وما يعرض في
الاجتماع الانساني من العوارض الذاتية ما يتعلك بعلم الكوائن واسبابها * ويعرفك كيف دخل اهل
الدول من ابوابها * حتى تنزع من التقليد يدك * وتقف على احوال من قبلك من الايام والاجيال وما
بعدهك * (ورتبته) على مقدمة وثلاثة كتب

(المقدمة) في فضل علم التاريخ وتحقيق مذهبها والاماع بمعاظ المؤرخين
(الكتاب الاول) في العمران وذكما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والسكسب
والمعاش والصنائع والعلوم وما لذلك من العال والاسباب
(الكتاب الثاني) في اخبار العرب واجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة الى هذا العهد وفيه الاماع ببعض
من عاصرهم من الامم المشاهير ودولهم مثل النبط والبربر والفرس وبنى اسرائيل والقبط ويونان
والروم والترك والافرنجة
(الكتاب الثالث) في اخبار البربر ومن اليهم من زفاته وذكرا اوليتهم واجيالهم وما كان لهم بديارا بالمغرب
خاصة من الملك والدول ثم كانت الرحلة الى المشرق لاجتلاء انواره وقضاء الغرض والسنة في مطافه
ومزاره * والوقوف على آثاره في دواوينه واسفاره * فاقدت ما نقص من اخبار ملوك العجم بتلك الديار *
ودول الترك فعماد كوه من الاقطار * واتبعتهما كما كتبت في تلك الاسطر * وادرجتها في ذكر
المعاصر من تلك الاجيال من أم النواحي * وملوك الامصار والنواحي * سالسا كاسيد الاختصار
والتلخيص * مقتديا بالمرام السهل من العويص * داخلا من باب الاسباب على العموم الى الاخبار على
الخصوص فاستوعب اخبار الخليقة استيعابا * وذلك من الحكم النافذة صاعبا * واعطى لمجداث الدول
على الاسباب واصبح للحكمة صوتا وللنار مخرجا * (ولسا كان) مشتق على اخبار العرب والبربر *

عليه وعلى اهل بيته
الظاهرين واصحابه
المتتبعين وازواجه
الطاهرات امهات المؤمنين
(اما بعد) فاني نظرت في
سير الامم الماضية والملوك
الحالية وما وضعوه من
السياسات في تدبير الدول
والترموه من القوانين في
حفظ النحل فوجدت ذلك
نوعين احكاما وسياسات
فاما الاحكام المشتقة على
ما اعتدوه من الحلال
والحرام والبيع والاحكام
والانكحة والطلاق
والاجارات ونحوها والرسوم
الموضوعة لها والحدود
القائمة على من خالف شيئا
منها فاصطلحوا عليه
باعتقدهم ليس على شيء منه
برهان ولا انزل الله به من
سلطان ولا اخذوه عن
تدبر ولا اتبعوا فيه رسولا
ولما هي صادرة عن خزنة
النيران وسنة نبوت
الاصنام وعبدة الانداد
والاوثان وليس يجز احد
من خلق الله ان يصنع
من تلقاء نفسه امثالها
واشباهاها واما السياسات
التي وضعوها في التزام
تلك الاحكام والذب عنها
والجمالية لها وتعظيم من
عظمها واهانته من استهان

بها وخالفها فقد ساروا في ذلك بسيرة العدل وحسن السياسة وجمع القلوب عليها
والتزام النصفة فيما بينهم على ما توجبها تلك الاحكام وكذلك في تدبير الحرب وامن السبل وحفظ الاموال وصون الاعراض والحرم

كل ذلك فقد سار وافقه بسيرة جميلة لا ينافي العقول شي منه لو كانت الاصول صحيحة والقواعد واجبة فكانوا في حسن سيرتهم يحفظ تلك الاصول القاسية كمن زخرف كنيهاً أو بنى على ميت قصرًا (٥) منيقا ولو ليس الحارث بن حازم

لقال الناس بالثمن من حازم
فحمت محاسن ما انطوى
عليه سيرهم خاصة من
ملوك الطوائف وحكام
الدول فوجدت ذلك في
ست من الامم وهم العرب
والفرس والروم والهند
والسند والسند هند فاما
ملوك الصين وحكامهم
فلم يصل الى ارض العرب
من سياساتهم شي كثير
لبعد الشقة وطول المسافة
وأما من عداها فلا من الامم
فلم يكونوا أهل حكم بارعة
وقرائح نافذة واذهان
ثاقبة وانما صدر عنهم
الشي اليسير من الحكمة
فنظمت ما ألفت في كتبهم
من الحكمة البالغة والسير
المستحسنة والحكمة اللطيفة
والظريفة المألوفة والتوقيع
الجليل والاثرائيل الى
ماروته وجمعته من سير
الانبياء عليهم السلام وآثار
الاولياء وبراعة العلماء
وحكمة الحكام ونوادير
الخلفاء وما انطوى عليه
القرآن العزيز الذي هو
بحر العلوم وينبوع الحكم
ومعدن السياسات ومغاص
الجواهر المكنونات ان
اختصر فلحة دال التواشاة
خفية وان اطال فالفاظ
بارعة وآيات معجزة هو

من أهل المدن والوبر والاماعين عاصرهم من الدول الكبري وأفضح بالذكري والعبر في مبتدا
الاحوال وما بعد ما من الخبر (سببته) كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والمجم والبربر
ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ولم ترك شيأ في أولية الاجيال والدول وتعاصر الامم الاول
واسباب التصرف والحول في القرون الخالية والمال وما يعرض في العمران من دولة وملة ومدينة
وحكمة وعزة وذلة وكثرة وقلة وعلم وصناعة وكسب واضاعة واحوال متقلبة مشاعة ويبدو
وحضر وواقع ومنظر الاستوعبت جملة وأوضحت برأيه وعلاه فيحاء هذا الكتاب فذالك ما ضمنته
من العلوم الغربية والحكم المحجوبة القرينية وأنما من بعدها ما قن بالقصور بين أهل العصور
معترف بالحجز عن المضاء في مثل هذا القضاء وراغب من أهل البداء البيضاء والمعارف المتسعة الفضاء
النظر بعين الانتقاد لا بعين الارتضاء والتعمد لما يثرون عليه بالاصلاح والاعضاء فالبضاعة بين أهل
العلم مزاجية والاعتراف من اللوم منجاة والحسنى من الاخوان مرتجاة والله أسأل أن يجعل أعمالنا
خالصة لوجهه الكريم وهو حسبي ونعم الوكيل (وبعد) أن استوفيت علاجها وأنرت مشكاتها
للمستصيرين وأذ كبت سراجه وأوضحت بين العلوم طريقه ومنهاجه وأوسعت في فضاء المعارف
نطاقه وأدرت سياجه أتحتت بهذه النسخة منه (١) خزانه مولانا السلطان الامام المجاهد الفاتح
المجاهد المتحلي من ذخل التمام ولون العمام بحلى القانت الزاهد المتوشح من زكاه المناقب
والمحامد وكرم الشماثل والشواهد باجل من القلائد في نخور الولا ئد المتناول بالعزم القوى الساعد
والجهد المواتى المساعد والمجد الطارف والتالذ ذواب ملكهم الراسى القواعد الكريم المعالى
والمصاعد جامع أشتات العلوم والقوائد وناظم شمل المعارف الشوارد ومظهر الآيات الربانية

(١) قوله أتحتت بهذه النسخة منه الخ وجد في نسخة بخط بعض فضلاء المغاربة زيادة قبل قوله أتحتت
وبعد قوله وأدرت سياجه ونصها التمس له الكف الذي يلج بين الاستبصار فنونه ويلحظ بمداركة
الشريفة معياره الصحيح وقانونه ويميز رتبته في المعارف عمادونه فسرحت فكري في قضاء الوجود
وأجالت نظري ليل التمام والموجود بين التمام والنجود في العلماء الركن السجود والخلفاء أهل
الكرم والمجود حتى وقف الاختيار بساحة الكمال ومطافت الافكار بوقف الآمال وظفرت أيدى
المساحي والاعمال بيمتدى المعارف مشرقة فيه غرر الجمال ووجدائق العلوم الوارفة الظلال عن العيون
والشمال فأنتخت مطى الافكار في عرصاتها وجلوت محاسن الانظار على منصاتها وأتحتت بديوانها
مقاصير ابوانها وأطلعتهم كوكبا وقادا في أفق خزانها ووصوانها ليكون آية للعقلاء يتدون بمناره
ويعرفون فضل المدارك الانسانية في آثاره وهي خزانه مولانا السلطان الامام المجاهد الفاتح المساهد
الى آخر النعوت المذكورة هنا قال الخليفة أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين ابو العباس احمد بن
مولانا الامير الطاهر المقدس ابى عبد الله محمد بن مولانا الخليفة المقدس امير المؤمنين ابى يحيى ابى
بكر ابن الخلفاء الراشدين من أئمة الموحدين الذين جددوا الدين ونهجو السبل للمهتدين ومحو آثار
البعثة المقدسين من الجسمة والمعتدين سلاله الى حفص والفاروق والنبعة النامية على تلك المنارس
الزاكية والعروق والنور المتلائي من تلك الاشعة والبروق فاوردته من مودعه العلي بحيث مقر الهدى
ورياض المعارف خضلة الندى الى آخر ما ذكر هنا لانه لم يقيد الامامة بالقارسة لكن النسخة المذكورة
مختصرة عن هذه النسخة المنقولة من خزانه الكتب الفاسية ولم يقل فيها ثم كانت الرحلة الى المشرق الخ

المسادي من الضلالة والحاوى لمحاسن الدنيا وفضائل الآخرة (ورتبته) ترتيبا أنيقا وترجمته تراجم بارعة حاوية لمقاصد هانئا مطقة
بحكمها ووضوعها يلبج الاذن من غير اذن ويتوغل التامو من غير استئذان القاطها اقوالها يعانها ليس القاطها الى السمع بأسرع عن

معانيها الى القلب فانظم الكتاب بحمد الله ووعونه واحسانه غاية في بابه غير يبا في فنونه واسما به خفف الحمل كثير الفائدة لم يسبق
الى مثله اذلام العلماء ولاجات (٦) في نظمه افكار الفضلاء ولا حوته خزائن الملوك والرؤساء فلا يسبح به ملك

في فضل المذارك الانسانية * بفكره الثاقب الناقد ورايه الصحيح المعاقدين النير المذاهب والعقائد * نور
الله الواضح المرشد * ونعمته العذبة الموارد * واطفه الكامن بالمراد للشدائد * ورحمته الكريمة المقاليد *
التي وسعت صلاح الزمان الفاسد * واسنقمة المآثم من الاحوال والعوائد * وذهبت بالخطوب الاوابد *
* وخلعت على الزمان رونق الشباب العائد * ووجهته التي لا يبطلها انكار الجاحد ولا شبهات المعاند *
(امير المؤمنين) ابوفارس عبدالعزيز بن مولانا السلطان الكبير الجاهل * دام المقدس امير المؤمنين * ابي
الحسن ابن السادة الاعلام من بني مرين * الذين جددوا الدين * وفتحوا السبيل للمهتدين * ومحووا آثار
البيعة المفسدين * افاء الله على الامة ظلاله * وبلغه في نصر دعوة الاسلام آماله * ويعتنه الى خزانته
الموقفة لطبسة العلم بجامع القرويين من مدينة فاس حضرة ملكهم * وكريسي سلطانهم * حيث مقر الهدى
ورياض المعارف خضلة الندى وقضاء الاسرار الربانية فسيح المدي * والامامة الكريمة الفارسية (١)
العزيزة ان شاء الله بنظرها الشريف وفضلها الغني عن التعريف * تبسط له من العناية مهادا * وتفتح
له في جانب القبول آما دافق وضحها الدلة على رسوخه واشهادها * في سوقها تنفق بضائع الكتاب * وعلى
حضرتها تعكف ركائب العلوم والآداب * ومن مدد بصائر المنيرة تتألق القرائح والالباب * والله
يوزعنا شكر نعمتها ويوفرننا حظوظ المواهب من رحمتها * ويعيننا على حقوق خدمتها * ويجعلنا من
السابقين في ميدانها الخليلين في حومتها * ويضفي على أهل اياتها * وما أرى من الاسلام الى حرم عمالتها *
لبوس حمايتها وحرمتها * وهو سبحانه المسئول ان يجعل اعمالنا خاصة في وجهتها * بريئة من شوائب
التغلة وشبهتها وهو حسبنا ونعم الوكيل

الاستيكتبه ولا وزير
الاستحبه ولا رئيس الا
استحسنه واستوسده
عصمة لمن عمل به من الملوك
وأهل الرياسة وجنة لمن
تخصص به من أولى الامر
والسياسة وجمال لمن تحلى
به من أهل الآداب
والخاضرة وعنوان لمن
فاوض به من أهل الجاهلية
والمذاكرة (وسميته سراج
الملوك) يستغنى به الحكيم
بدراسة عن مباحثة
الحكام والملوك عن
مشاورة الوزراء (واعلموا)
وفقمكم الله ان أحق من
أهديت اليه الحكم
وأوصلت اليه النصائح
وجلت اليه العلوم من آناه
الله سلطانا فنقد في الخلق
حكيمه وجاز عليهم قوله
(ولما رأيت) الاجل
المأمون تاج الخلافة عز
الاسلام نجر الانام نظام
الدين خالصة أمير
المؤمنين ابا عبد الله محمد
الاموي ادام الله لا عزاز
الدين نصره وأنقذ في
العالمين بالحق أمره واوزع
كافة الخلق شكره وكفاهم
فيه محذور ووضره فقد
تفضل الله تعالى به على
المسلمين فبسط فيهم يده
ونشر في مصالح احوالهم

(١) المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع لما يعرض
للمؤرخين من المغالط والاهام وذكري من اسبابها)

(اعلم) ان فن التاريخ فن عزيز المذهب جم القوائد شريف الغاية اذ هو يوقفنا على احوال الماضين
من الامم في اخلاقهم * والانبياء في سيرهم * والملوك في دولهم وسياساتهم * حتى تتم فائدة الاقنناء
في ذلك ما يروم في احوال الدين والدنيا فهو محتاج الى ما خدمت متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر
وتثبت يفضيان بصاحبهم الى الحق وينسكان به عن المزلات والمغالط لان الاخبار اذا اعمد فيها على مجرد
النقل ولم تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع الانساني ولا في
الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فر يما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة
الصدق وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على
مجرد النقل غنا أو سميتم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها باشباهها ولا سبروها بعميار الحكمة والوقوف
على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضعوا عن الحق وتاهوا في بيده الوهم والغلط
سما في احصاء الاعداد من الاموال والعساكر اذا عرضت في الحكايات اذ هي مظنة الكذب ومطية
التهذر ولا بد من ردها الى الاصول وعرضها على القواعد وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المؤرخين في
جيوش بني اسرائيل وأن موسى عليه السلام احصاهم في التيه بعد ان اجاز من يطبق حمل السلاح خاصة
من ابن عشر بن خافوقها فكانوا ستمائة ألف او يزيدون ويذهل في ذلك عن تقدير مصر والشام
واتساعها مثل هذا العدد من الجيوش لكل مملكة من الممالك حصص من الحامية تتسع لها وتقوم

(١) قوله الفارسية أي المنسوبة الى الامير أبي فارس المتقدم ذكره اه

بوظائفها

كلمته وعرف الخاص والعام بمنه وبركته وتقلد امور الرعية وسار فيهم على احسن قضية

متجر بالصواب راعيا في الثواب بالاسبيل العدل ومنهاج الانصاف والفضل رغبت ان اخصه بهذا الكتاب رحاه لطف الله تعالى يوم

تجد كل نفس ما عملت من خير يحضر او ما عملت من سوء تؤدولون بينها وبينه امدابيد داوند كرفضائله ومحاسنه ما بقى الدهر كما قيل
الناس يهدون على قدرهم * لكنني اهدى على قدرى يهدون ما يقينى واهدى الذى (v) * يبقى على الايام والدهر

فان العلم عصمة الملوك
والامراء ومعقل السلاطين
والوزراء لانه يمنهم من
الظلم ويردهم الى الخلم
ويصدهم عن الاذية
ويعطهم على الرعية فن
حقهم ان يعرفوا حقهم
ويكرموا حلتهم ويستبطنوا
اهله (وهذه) ابواب هذا
الكتاب وعدتها اربعة
وستون بابا الباب الاول
في مواضع الملوك الباب
الثاني في مقامات العلماء
والصالحين عند الامراء
والسلاطين الباب الثالث
فيما جاء في الولاة والقضاة
وما في ذلك من الغرر
والخطر الباب الرابع في
معرفة ملك سليمان بن
داود ووجه طلبه للملك
وسؤاله ان لا يؤتاه احد من
بعده الباب الخامس في
فضل الولاة والقضاة اذا
عدلوا الباب السادس في
ان السلطان مع رعيته
مغبون غير غابن وخاسر
غير راجع الباب السابع في
بيان الحكمة في كون
السلطان في الارض الباب
الثامن في منافع السلطان
ومضاره الباب التاسع في
معرفة منزلة السلطان من
الرعية الباب العاشر في
معرفة خصال ورد

بوظائفها وتضييق عما فوفها تشهد بذلك العوائد المعروفة والاحوال المألوفة ثم ان مثل هذه الجيوش
البالغة الى مثل هذا العدد يبعد ان يقع بينها زحف او قتال لضيق ساحة الارض عنها وبعد ما اذا اصطفت
عن مدى البصر مرتين او ثلاثا وازيد فكيف يقتل هذان الفريقان او تكون غلبة احد الصفتين وشي من
جوانه لا يشعر بالجانب الاخر والمخاض يشهد لذلك فالماضى اشبه بالآتى من الماء بالماء (ولقد كان)
ملك الفرس ودولتهم اعظم من ملك بني اسرائيل بكثير يشهد لذلك ما كان من غلب بختصر لهم والتمامه
بلادهم واستيلائهم على ارضهم وتخريب بيت المقدس قاعدة متهتهم وسلاطنتهم وهو من بعض عمال عمالة
فارس يقال انه كان مرزبان المغرب من تخومها وكانت مملكتهم بالعراقين وخراسان وما وراء النهر والابواب
اوسع من مملكتي اسرائيل بكثير ومع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قربت منه
واعظم ما كانت جوعهم بالسادسية مائة وعشرون الفا كلهم متبوع على ما نقله سيف قال وكانوا في
اتباعهم اكثر من مائتي ألف (وعن عائشة والزهرى) ان جوع عرسهم التي زحف بها السعد بالقادسية انما
كانوا ستمين الفا كلهم متبوع وايضا فلو بلغ بنو اسرائيل مثل هذا العدد لا تسع نطاق ملكهم وانسمع
مدى دولتهم فان العـمالات والمالك في الدول على نسبة الحامية والقبيل القاطنين بها في قلتها وكثرتها
حسب ما ينسب في فصل الممالك من الكتاب الاول والقوم لم تسع ممالكهم الى غير الاردن وفلسطين من
الشام وبلاد يثرب وخيبر من الحجاز على ما هو المعروف وايضا فالذي بين موسى واسرائيل انما هو اربعة
آباء على ما ذكره المحققون فانه موسى بن عمران بن يصره بن قاهت بفتح الهاء وكسر هاء ابن لاوى بكسر
الواو وفتحها ابن يعقوب وهو اسرائيل الله هكذا نسبة في التوراة والمدة بينهما على ما نقله المسعودى قال
دخل اسرائيل مصر مع ولده الاسباط واولادهم حين اتوا الى يوسف سبعين نفسا وكان مقامهم بمصر الى ان
خرجوا مع موسى عليه السلام الى التيه مائتين وعشرين سنة تمدوا لهم ملوك القبط من الفراعنة ويعد ان
يتشعب النسل في اربعة اجيال الى مثل هذا العدد وان زعموا ان عدد تلك الجيوش انما كان في زمن
سليمان ومن بعده فبعيد اذ ليس بين سليمان واسرائيل الا احدى عشر ابافانه سليمان بن داود
ابن ايشابن عوفيسد ويقال بن عوف بن باعز ويقال بعوز بن سلومون بن نحشون بن عزمين ونب ويقال
حينما ذاب بن رم بن حصرون ويقال حمر ون بن يارس ويقال بيرس بن يهوذا بن يعقوب ولا يشعب
النسل في احدى عشر من الولد الى مثل هذا العدد الذي زعموه اللهم الى المئين والالف فرما يكون واما
ان يتجاوز الى ما بعده ما من عقود الاعداد فبعيد واعتبر ذلك في المحاضر المشاهدة والقريب المعروف
تجد زعمهم باطلا بلقلم كاذبا (والذي ثبت في الاسرائيليات) ان جنود سليمان كانت اثناعشر الفا خاصة
وان مقر بانه كانت الفا واربع مائة فرس مرتبطة على ابوابه هذا هو الصحيح من اخبارهم ولا يلتفت الى
خرافات العامة متهتم (وفي ايام سليمان عليه السلام وما كنه) كان عنقوان دولتهم واتساع ملكهم هذا وقد نجد
الكفاة من اهل العصر اذا افاضوا في الحديث عن عساكر الدول التي لعهدهم او قريبيهم وتفاوضوا
في الاخبار عن جيوش المسلمين وانصارى او اخذوا في احصاء اموال الجبايات وخراج السلطان
ونفقات المترفين وبضائع الاغنياء الموسر بن توغلو في العدد وتجاوز واحدود العوائد وطاوعوا وسوس
الاغراب (1) فاذا استشكفت اصحاب الدواوين عن عساكرهم واستتبطلت احوال اهل الثروة في
بضائعهم وفواتدهم واستجلبت عوائد المترفين في نفقاتهم لم تجد معشار ما يعدونه وما ذلك الا لولوع النفس
(1) قوله الاغراب بكسر الهمزة اه

الشرع فيها نظام الملك والدول الباب الحادى عشر في معرفة الخصال التي هي قواعـد السلطان ولا نبات له دونها الباب الثاني عشر
في معرفة الخصال التي زعم الملوك انها ازالت دولتهم وهدمت سلطنتهم الباب الثالث عشر في معرفة الصفات الاربعة التي زعم الحكماء

انها الاندوم معها مملكة الباب الرابع عشر في الحاصل المحوثة في السلطان وقد اتفقت الحكما والعلماء عليهم الباب الخامس عشر في معرفة الحاصل التي يعز بها (٨) السلطان الباب السادس عشر في معرفة الحاصل التي هي ملك امور السلطان

بالغرائب وسهولة التجا وزعي اللسان والعفلة على المتعقب والمنقذ حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمد ولا يطالبها في الخبر بتوسط ولا عداة ولا ير جمعها الى بحث وتفتيش فبرسل عنانه ويسم في مراتع الكذب لسانه ويتخذ آيات الله هزواو يشتري لهو الحديث لفضل عن سبيل الله وحسبك بها صفة خاسرة (ومن الاخبار الواهية لثورخين) ما يتقوله كافة في اخبار انبأ به ملوك اليمن وجزيرة العرب انهم كانوا يعزون من قراهم باليمن الى افرريقية والبربر من بلاد المغرب وان افر يقش بن قيس بن صيفي من اعظم ملوكهم الاول وكان لعهد موسى عليه السلام اوقبله بقليل غزا افرريقية واثن في البربر وانه الذي سماهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم وقال ما هذه البربر فآخذ هذا الاسم عنه وودعوا به من حيثئذ وانه لما انصرف من المغرب حجز هنالك قبائل من حمير فاقاموا بها واختلطوا باباها ومنهم صنهاجة وكنانة ومن هذا ذهب الطبري والبحر جاني والمسعودي وابن الكلبي والبيهي الى ان صنهاجة وكنانة من حمير وتاباه نسبة البربر وهو الصحيح (وذكر المسعودي ايضا) ان ذالاذغار من ملوكهم قبل افر يقش وكان على عهد سليمان عليه السلام غزا المغرب وودعوه وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده وانه بلغ وادي الرمل من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلكا اكثر الرمل فرجع وكذلك يقولون في تبغ الاخر وهو اسعد ابو كرب وكان على عهد يستأسف من ملوك الفرس الكيانية انه ملك الموصل واذر بيجان ولقي الترك فهزمهم واثن ثم غزاهم ثانية وثالثة كذلك وانه بعد ذلك اغزى ثلاثة من بنيه بلاد فارس والى بلاد الصغد من بلاد امم الترك وراء النهرو والى بلاد الروم فلك الاول البلاد الى سمرقند وقطع المغازة الى الصين فوجد اخاه الثاني الذي غزا الى سمرقند قد سبقه اليها فاتخذه في بلاد الصين ورجعها جميعا بالغنائم وتر كواي بلاد الصين قبائل من حمير فهم بها الى هذا العهد وبلغ الثالث الى قسطنطينية فدرسها ودوخ بلاد الروم ورجع (وهذه الاخبار) كلها بعدة عن الحكمة عريقة في الوهم والغلط واسهب باحاديث القصص الموضوعية وذلك ان ملك التبابعة انما كان بجزيرة العرب وقراهم وكرسيهم بصنعاء اليمن وجزيرة العرب يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها فبحر الهند من الجنوب وبحر فارس المساط منه الى البصرة من المشرق وبحر السوس المساط منه الى السوس من اعمال مصر من جهة المغرب كتراه في مصورا الجغرافيا فلا يجد السالكون من اليمن الى المغرب طريقا من غير السوس والمسالك هناك ما بين بحر السوس والبحر الشامي قدر مرحلتين فما دونها وما بعد ان يمر بهذا المسلك ملك عظيم في عسا كرموفورة من غير ان تصير من اعماله هذا تمتع في العادة وقد كان بتلك الاعمال العمالة وكنعان بالشام والقبط بمصر ثم ملك العمالة مصر وملك بنو اسرائيل الشام ولم يتقل قط ان التبابعة طاروا احد من هؤلاء الامم ولا ملكا كواشيا من تلك الاعمال وايضا فالشقة من البحر الى المغرب بعدة والازودة والعمالة لعمالة كرك كثيرة فاذا ساروا في غير اعمالهم احتاجوا الى اتهاب الزرع والنعم واتهاب البلاد فيمأيمرون عليه ولا يكفي ذلك للازودة والعمالة عادة وان نقلوا كفايتهم من ذلك من اعمالهم فلا تفي لهم الرواحل بنقله فلا بد وان يمر في طريقهم كفايتهم قد ملكوها وودعوها لتكون الميرة منها وان قلنا ان تلك العمالة كركم هؤلاء الامم من غير ان يهيجهم فتحصل لهم الميرة بالمسالة فذلك ابعدا وشد امتناعا فدل على ان هذه الاخبار واهية او موضوعة (واما) وادي الرمل الذي يبحر السالك فلم يسمع قط ذكره في المغرب على كثرة سالكيه ومن يقص طريقه من الركب والقرى في كل عصر وكل جهة وهو على ما ذكره من القرابة تتوفر الدواعي على نقله واما غزوه بلاد الشرق وارض الترك وان كانت طريقه اوسع من مسالك السوس الا ان الشقة هنا بعدد اعم فارس والروم معترضون

الباب السابع عشر في معرفة خير السلطان وشرف السلطان الباب الثامن عشر في معرفة منزلة السلطان من القرآن الباب التاسع عشر في معرفة خصال جامعة لامر السلطان الباب العشرون في معرفة الحاصل التي هي اركان السلطان الباب الحادي والعشرون في بيان حاجة السلطان الى العلم الباب الثاني والعشرون في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل ابن زياد في العلم الباب الثالث والعشرون في معرفة العقل والدهاء والمنكر الباب الرابع والعشرون في الوزراء واوصافهم الباب الخامس والعشرون في المجلسات وادابهم الباب السادس والعشرون في معرفة الحاصل التي هي جمال السلطان الباب السابع والعشرون في المشاورة والنصيحة الباب الثامن والعشرون في الحلم ومحاسنه ومجود عواقبه الباب التاسع والعشرون في ما يسكن به الغضب الباب الثلاثون في الجود والسخاء الباب الحادي والثلاثون في

معرفة الشج والبخل وما يتعلق بهما الباب الثاني والثلاثون في معرفة الصبر وجيل عواقبه الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر ومحاسنه الباب الرابع والثلاثون في بيان الحصلة التي هي رهن لسائر الحاصل فيها

وزعم بالمرزبند من الآلاء والنعماء من ذى الجلال وهى الشكر الباب الخامس والثلاثون فى بيان السيرة التى يصلح عليها الامير والمأمور
وتسهل صحة الخلائق اجمعين الباب السادس والثلاثون فى بيان الخصلة التى فيها غاية (٩) كمال السلطان وشقاء الصدور وراحة

القلوب وطيبة النفوس
الباب السابع والثلاثون
فى معرفة الخصلة التى هى
ملك الملوك عند الشدائد
ومعقل السلاطين عند
اضطراب الممالك الباب
الثامن والثلاثون فى بيان
الخلصة الموجبة لذم الرعية
للسلطان الباب التاسع
والثلاثون فى مثل السلطان
العادل والنجار الباب
الاربعون فى ما يجب على
الرعية اذا جاز السلطان
الباب الحادى والاربعون
فى كتابك ونواويلي عليكم
الباب الثانى والاربعون
فى بيان الخصلة التى بها
تصلح الرعية الباب الثالث
والاربعون فى ما يملك
السلطان من الرعية الباب
الرابع والاربعون فى
التحذير من صحة السلطان
الباب الخامس والاربعون
فى صحة السلطان الباب
السادس والاربعون فى
سيرة السلطان مع الجنود
الباب السابع والاربعون
فى سيرة السلطان فى استجباء
الخروج الباب الثامن
والاربعون فى سيرة السلطان
فى الاتفاق من بيت المال
الباب التاسع والاربعون
فى سيرة السلطان فى بيت
المال الباب العاشر فى

فيه ادون الترك ولم ينقل قط أن التبابعة ملكوا بلاد فارس ولا بلاد الروم وانما كانوا يجارون أهل فارس
على حدود بلاد العراق وما بين البحرين والمحيرة والمجزيرة بين دجلة والفرات وما بينهما ما فى الاعمال
وقد وقع ذلك بين ذى الادعاع منهم وكسكوس من ملوك السكيانية وبين تبع الاصغر أبو كرب ويستأف
منهم أيضا ومع ملوك الطوائف بعد السكيانية والساسانية من بعدهم بمجاورة ارض فارس بالغزو الى بلاد
الترك والتبت وهو ممنوع عادة من أجل الامم المعترضة منهم والحاجة الى الأزودة والعلوفات مع بعد الشقة
كما فى الاخبار بذلك واهية مدخولة وهى لو كانت صحيحة النقل لكان ذلك قادحا فيها فكيف وهى لم
تنقل من وجه صحيح وقول ابن اسحق فى خبر يثرب والاوز والخزرج ان تبعا الى خسار الى المشرق
محمول على العراق وبلاد فارس وأما بلاد الترك والتبت فلا يصح غزوهم اليها بوجه مما تقره فلا تتقن
بما بقى اليك من ذلك وتأمل الاخبار واعرضها على القوانين الصحيحة يقع لك تحبصها بأحسن وجه والله
المسأدى الى الصواب

* (فصل) * وأبعد من ذلك واعرق فى الوهم ما يتناقله المفسرون فى تفسير سورة والفجر فى قوله تعالى
لم تتركهم فى لربك بعد ارم ذات العماد فيجىء لمن لفظه ارم اسم المدينة ووصفت بأنها ذات عماد أى
أساطين وينقلون أنه كان لعاد بن عوص بن ارم ابنا هما شديدا وشادا ملكا من بعده وهما لك شديدا
فخلص الملك لشداد ودانت له ملكهم وسمع وصف الجنة فقال لابن منبها فى مدينة ارم فى صحارى عدن
فى مدة ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وانها مدينة عظيمة قصورها من الذهب واساطينها من
الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الشجر والانهار المطردة وما تم بناؤها من الذهب والياقوت اهل مملكته حتى اذا كان
منها على مسيرة يوم وليه به بعث الله عليهم صحبة من السماء فهدوا كلهم ذلك الطيرى والتعالى
والزنجشرى وغيرهم من المفسرين وينقلون عن عبد الله بن قلابه من الصحابة انه خرج فى طلب ابل له
فوقع عليها وحمل منها ما قدر عليه وبلغ خبره الى معاوية فاحضره ووقف عليه فبحث عن كعب الاخبار
وسأله عن ذلك فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أجر أشقر قصير على حاجبه
خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فأبصر ابن قلابه فقال هذا والله ذلك الرجل وهذه
المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ فى شئ من بقاع الارض وصحارى عدن التى زعموا انها بنيت فيها هى فى
وسقط العين وما زال عمرانه متعاقبا والادلاء تقص طرقه من كل وجه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها
أحد من الاخباريين ولا من الامم ولو قالوا انها درست فى ايامنا لكان أشبهه الآن ظاهر
كلامهم انها موجودة وبعضهم يقول انها دمشق بناء على ان قوم عاد ملكوها وقد ينتهى الهذيان ببعضهم
الى انها غابرة وانما يتر عليها اهل الرياضة والصحراء كما أشبهه بالخرافات والذى جعل المفسر بن على
ذلك ما اقتضته صناعة الاعراب فى لفظه ذات العماد انها صفة ارم وحملوا العماد على الاساطين فتعين أن
يكون بناء ورشح لهم ذلك قراءة ابن الزبير عاد ارم على الاضافة من غير تنوين ثم وقفوا على تلك الحكايات
التي هى اشبهه بالاقتضى الموضوعه التى هى اقرب الى الكذب المنقولة فى عداد المنحكات والافالعماد
هى عماد الاخبية بل الخيام وان اراد بها الاساطين فلا بدع فى وصفهم بانهم اهل بناء واساطين على
العموم بما شتهر من قوتهم لانه بناء خاص فى مدينة معينة او غيرها وان اضيفت كما فى قراءة ابن الزبير
فعلى اضافة الفصيلة الى القبيلة كما تقول قريش كنانة والياس مضرور بعبارة تراوى ضرورة الى هذا المجل
البعيد الذى تحلت لتوجيهه لامثال هذه الحكايات الواهية التى ينزه كتاب الله عن مثلها بعد ما عن الحق

(٢ - ابن خلدون) سيرة السلطان فى تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيرة العمال الباب الحادى والخمسون فى أحكام اهل
الذمة الباب الثانى والخمسون فى بيان الصفات المعبرة فى الولاة الباب الثالث والخمسون فى بيان الشروط والعهود التى تؤخذ على العمال

الباب الرابع والخمسون في هدايا المال والرشا على الشفاعات الباب الخامس والخمسون في معرفة حسن الخلق الباب السادس والخمسون في الظلم وشؤمه وسوءه (١٠) عاقبة الباب السابع والخمسون في السعاية والنميمة وقبحهما وما يؤول اليه أمرهما من

(ومن الحكايات) المدخولة للأثر حين ما ينقلونه كافة في سبب نكبة الرشيد البرامكة من قصة العباسية اخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاه وأنه لكافه بمكانه ما من معاقرة اياهما الخبز اذن لهما في عقد النكاح دون الخلوه حرصا على اجتماعهما في مجاسه وان العباسية تحببت عليه في التماس الخلوه به لما شغفها من حبه حتى واقعه ازعما في حالة سكر فحلمات ووشى بذلك للرشيد فاسف تغضب وهيات ذلك من منصب العباسية في دينها وابو يها وجاهلها ما أنها بنت عبد الله بن عباس ليس بينها وبينه الا اربعة رجال هم اشرف الدين وعظماؤه من بعده والعباسية بنت محمد المهدي ابن عبد الله أبي جعفر المنصور ابن محمد السجاد ابن علي ابني الخلفاء ابن عبد الله ترجان القرآن ابن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ابنة خليفة اخت خليفة محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول وعمومة وامامة الملة ونور الوحي ومهبط الملائكة من سائر جهات آقرية عهد ديادوة العرب وية وسذاجة الدين البعيدة عن عوائد الترف ومراتب الفواحش فأين يطلب الصون والعفاف اذا ذهب عنها واين توجد الظهار والذكاء اذا فقد من بيتها او كيف تلحم نسب الجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربي بمولى من موالى العجم بل كفة جده من القرس او بولاه جدها من عمومة الرسول وأشرف قريش وغايتها ان جذبت دولتهم بضعه ووضبع ابيه واستخلصتهم ورتبهم الى منازل الاشراف وكيف يسوغ من الرشيد ان يصر الى موالى الاعاجم على بعد همته وعظم آباءه ولو نظر المنامل في ذلك نظر المصنف وقاس العباسية بامنة ملك من عظماء ملوك زمانه لاستنكف لها عن مثله مع مولى من موالى دولتها في سلطان قومه واستنكره ورجح في تكذيبه واين قدر العباسية والرشيد من الناس وانما تنكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم أموال الحماية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه فغلبوه على امره وشاركوه في سلطانه ولم يكن له معهم تصرف في أموره بل كفة عظمت آثارهم وبعده صيتهم وعمروا اب الدولة وخططها بالروساء من ولدهم وصنائعهم واحنازوها عن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحقابة وسيف وقلع يقال انه كان يدار الرشيد من ولدي يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيسا من بين صاحب سيف وصاحب قلم زاجوا فيها أهل الدولة بالمناكب ودفعوهم عنها بالراح ما كان ابيهم يحيى من كفالة هرون ولي عهد وخليفة حتى شب في حجره ودرج من عشه وغاب على امره وكان يدعوه يا ابت فتوجه الايثار من السلطان اليهم وعظمت الدالة منهم وانسبط الجاه عنددهم وانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقصرت عليهم الامال وتخطت اليهم من اقصى النجوم هدايا الملوك وتحف الامراء وسيرت الى خزائنهم في سبيل الترف والاستمالة اموال الحماية واقاضوا في رجال الشيعية وعظماؤ القرباة العطاء وطوقوهم بالمنن وكسبوهم بيوتات الاشراف المعدم وفكوا العاني ومدحوا بما لم يدح به خليفتهم واسخو العفاتهم الجوائز والصلاة واستولوا على القرى وانضباع من الضواحي والامصار في سائر الممالك حتى آسفا والبطانة واحقدوا الخاصة واغصوا اهل الولاية فكشفت لهم وجوه المنافسة والحسد وديت الى مهادهم الوثير من الدولة عقارب السعاية حتى لقد كان يتوخطبة اخوال جعفر من اعظم الساعين عليهم لم تعفهم لما وقر في نفوسهم من الحسد واطف الرحم ولاوزعتهم او اصر القرباة وقارن ذلك عند خدومهم نواشي الغيرة والاستنكاف من الحجر والانفة وكامن المحمود التي بعثتها منهم صغائر الدالة وانتهى بها الاصرار على شأنهم الى كباثر الخلافة كقتلتهم في يحيى بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أخى محمد المهدي الملقب بالنفس الزكية الخارج على المنصور ويحيى هذا هو الذي استنزله الفضل بن يحيى من بلاد الديلم على امان الرشيد بخطه و بذل لهم

الافعال الرديئة والعواقب الذميمة الباب الثامن والخمسون في القصص وحكمته الباب التاسع والخمسون في الفرج بعد الشدة الباب الستون في الشجاعة ومخارمها الباب الحادي والستون في الحروب وتدابيرها الباب الثاني والستون في القضاء والقدر واحكامها الباب الثالث والستون وهو جامع من اخبار ملوك العجم وحكاياتهم الباب الرابع والستون يشمل على حكم منثورة وهو آخر المكاب وكال الابواب

(الباب الاول في مواضع الملوك)

لقد خاب من كان حظه من الله الدنيا علم ايها الرجل وكلنا ذلك الرجل ان عقول الملوك وان كانت كبارا الا انها مشغوفة بكثرة الاشغال فيستدعي من الموعظة ما يتوحد على تلك الافكار ويتغلغل في مكان تلك الاسرار فيرفع تلك الاستار ويفلك تلك الاكنة والاقفال ويصقل ذلك الصدا والران قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل فوصف الله تعالى جميع

الدنيا بانها متاع قليل وانت تعلم انك ما اوتيت من ذلك القليل الا قليلا ثم ذلك القليل ان تمتعت به ولم تعص الله فيه فهو له ولعلب قال الله تعالى انما الحياة الدنيا لهو ولعب ثم قال وان الدار الاخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تتبع ايها العاقل لعبا قليلا

يقني بحياة الابدية لا تقني وشباب لا يقني كما قال الفضيل رحمه الله لو كانت الدنيا ذهبا يقني وكانت الآخرة خزفا يقني لوجب ان نخار
خزفا يقني على ذهب يقني فكيف وقد اخترنا خزفا يقني على ذهب يقني تأمل بعقلك (11) هل آتاك الله من الدنيا ما آتى سليمان بن

داود عليهم السلام حيث
آتاه ملك جميع الدنيا
والانس والجن والطير
والوحش والريح تتجري
بامر رضاء حيث أصاب ثم
زاده الله ما هو أعظم منها
فقال تعالى هـ ذاعطوا
فامنن او امسك بغير
حساب فوالله ما عدها
نعمه كما عدتموها ولا حسبها
رفعة ومنزلة كما حسبتموها
بل قال عند ذلك هذا من
فضل ربني ليسوا في أشكر
أم أ كفو وهذا أفضل الخطاب
لمن تدبر أن يقول له ربه
في معرض المنة هذا عطاؤنا
فامنن او امسك بغير حساب
ثم خاف سليمان عليه
السلام ان يكون استدراجا
من حيث لا يعلم هذا وقد
قال لك ولست اراهل الدنيا
فوربك لنساء لهم اجمعين
عما كانوا يعملون وقال
وان كان مثقال حبة من
خردل اتينا بها وكفى بنا
حاسبين تأمل بعقلك ماروي
عن النبي عليه السلام انه
قال لو كانت الدنيا ترز
عند الله جناح بعوضة
ماسقى كافر منها شرقة ماء
والني سمعتك الى منزل به
جبريل عليه السلام من
عند الله تعالى على محمد
السلام فقال يا محمد ان الله

فيه ألف ألف درهم على ما ذكره الطبري ودفعه الرشيد الى جعفر وجعل اعتقاله بداره والى نظره فحسبه
مدة ثم حمله الدالة على تخليته سبيلا والاستبداد بحل عقاله حرما لدعاء اهل البيت بزعمه ودالة على السلطان
في حكمه * وسأله الرشيد عنه لما وشى به اليه فقطن وقال أطلقته فأبدى له وجه الاستحسان وأسرها في
نفسه فأوجد السبيل بذلك على نفسه وقومه حتى ثل عرشهم والقيت عليهم سمما وهم وخسفت الارض
بهم وبادرهم وذهبت سلفا ومثالا لآخرين ايامهم ومن تأمل اخبارهم واستقصى سير الدولة وسيرهم
وجد ذلك محققا لاثم هذا الاسباب (وانظر) ما نقله ابن عبد ربه في مقابلة الرشيد عم جده داود بن علي
في شأن نكبتهم وما ذكره في باب الشجر عرا من كتاب العقد في محاوراة الاصمعي للرشيد وللفضل بن يحيى في
سيرهم تتفهم انه انما اقتلتهم الغيرة والمنافقة في الاستبداد من الخليفة فخر دونه وكذلك ما تخيل به أعداؤهم
من البطانة فيما سدوه للغيين من الشعر احتياالا على اسماعه للخليفة وتحريلك حقا نظه لهم وهو قوله
ليت هند الخبز تامة بعد * وشقت أنفسنا ما نجد
واستبدت مرة واحده * انما العاجز من لا يستبد

وان الرشيد لما سمعها قال اي والله اني عاجز حتى بعثوا بامثال هذه كامن غيرته وسلطا عليهم بأس انتقامه
نعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال (وأما) ماتوه به الحكاية من معاقرة الرشيد الخمر واقتران سكره بسكر
الندمان فاش لله ما علمنا عليه من سوءه وأين هذا من حال الرشيد وقياهم بما يجب لمنصب الخليفة من
الدين والدالة وما كان عليه من صحابة العلماء والاولياء ومحاوراته للفضيل بن عياض وابن السمك
والعمري ومكاتبة سفيان الثوري وبكائه من مواعظهم ودعائه بمملكة في طوافه وما كان عليه من العبادة
والحفاظة على أوقات الصلوات وشهود الصبح لاول وقتها (حكى) الطبري وغيره انه كان يصلي في كل يوم
مائة ركعة نافلة وكان يغزوعاما ويحج عاما ولقد جرب ابن أبي مريم مضحكة في سيره حين تعرض له بمثل ذلك
في الصلاة لاسمعه يقرأ أو مالي لا عبد الذي فطرنى وقال والله ما أدري لم فاتت الملك الرشيد ان ضحك
ثم التفت اليه مغضبا وقال يا ابن أبي مريم في الصلاة أيضا ياك اياك والقرآن والدين ولك ماشئت
بعدهما وايضا فقد كان من العلم والسذاجة فكان لقرب عهده من سلفه المنتخبين لذلك ولم يكن بينه وبين
جده ابي جعفر بعيد من انما خلقه غلاما وقد كان ابو جعفر مكر من العلم والدين قبل الخليفة وبعدهما
وهو القائل مالك حين اشار عليه بتأليف الموطا يا ابا عبد الله انه لم يبق على وجه الارض اعلم مني ومنك
وانى قد شغلتنى الخليفة فضع أنت للناس كتابا يتقون به تجنب فيه رخص ابن عباس وشداؤنا بن عمر
ووطئه للناس توطئة قال مالك فوالله لقد علمنى التصنيف يومئذ ولقد أدركه ابنه المهدي ابو الرشيد هذا
وهو يتورع عن كسوة الجديد ليعاله من بيت المال ودخل عليه يوما وهو يجلسه يباشر الخياطين في
ارفاع الخلقان من ثياب عياله فاستنكف المهدي من ذلك وقال يا أمير المؤمنين على كسوة العمال عامنا
هذا من عطائي فقال له الملك ولم يصد عنه ولا سمع بالانفاق من أموال المسلمين فكيف يليق بالرشيد
على قرب العهد من هذا الخليفة وأبوتيه ومارى عليه من امثال هذه السير في أهل بيته والتخلق بها ان
يعاقر الخمر او يجاهر بها وقد كانت حالة الاشراف من العرب الجاهلية في اجتناب الخمر معلومة ولم يكن
السكر شجرتهم وكان شربها مذمة عند الكثير منهم والرشيد وآبؤه كانوا على نزع من اجتناب المذمومات
في دينهم ودنياهم والتخلق بالمحامد ووصاف الكمال ونزعات العرب (وانظر) ما نقله الطبري والمسعودي
في قصة جبريل بن يحيى وشوع الطبيب حين أحضر له السمك في مأثنته فخما عنه ثم امر صاحب المائدة

يقول لك عش ماشئت فانك ممت واحبب من شئت فانك مفارقة وعمل ماشئت فانك مجزى به فانظر ماشئت عليه هذه الكلمات
من تصرف العمر وفراق الاحبة والمجزاء على الاعمال فلوم نزل من السماء غيرها كانت كافية انظر بفهمك الى ما رواه الحسين بن

النبي عليه السلام من منزل قوم قد ارتحلوا عنه واذ اطلوا مطروح فقال اترون هذا هان على اهلها فقالوا من هو انه عليهم القوه قال فوالذي نفسي بيده لا الدنيا لهمون على الله من هذا (١٢) على اهلها فجعل الدنيا لهمون على الله من الجيعة المطروحة وقال ابو هريرة قال لي النبي

عليه السلام الارزك
الدنيا جمعها بما فيها قات
بلى قال فاخذ بيدي واتى بي
الى واد من اودية المدينة
فاذا من بله فيها رؤس الناس
وهذرات وخرق بالية
وعظام البهائم ثم قال يا ابا
هريرة هذه الرؤس كانت
تحرص على الدنيا تحرصكم
وتأمل آمالكم ثم هي اليوم
تساقط جلدا بلا عظم ثم
هي صائرة رما دارمدا
وهذه العذرات الوان
اطعمتهم اكنسبوها
من حيث اكنسبوها ثم
قدفوها في بطونهم فاصبحت
والناس يتخامونها وهذه
الخرق البالية رياشهم
ولباسهم ثم اصبحت
والرياح تصفقها وهذه
العظام عظام دوابهم التي
كانوا ينتجعون عليها اطراف
البلاد فمن كان باكا على
الدنيا فليكن قال فما
برحنا حتى اشتد بكأونا
(وقال ابن عمر) اخذ
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ببعض جسدي فقال
يا عبد الله كن في الدنيا
كأنك غريب او كعابر
سبيل واعدد نفسك في
الموتى يا ايها الرجل ان
كنت لا تدري متى يموتك
الاجل فلا تعثر بطول الامل

يحمله الى منزله وقطن الرشيد وارتاب به ودس خادمه حتى عاينه يتناوله فأعد ابن بختيشوع للاعتذار
ثلاث قطع من السمك في ثلاثة اقداح خلط احداها باللحم المعالج بالتوابل والبقول والوارد والحلوى وصب
على الثانية ماء منلجا وعلى الثالثة نجر اصرفا وقال في الاول والثاني هذا طعام امير المؤمنين ان خلط السمك
بغيره اولم يخلطه وقال في الثالث هذا طعام ابن بختيشوع ودفعها الى صاحب المساندة حتى اذا انتبه الرشيد
واخضره للتوبيع اخضر الثلاثة الاقداح فوجد صاحب الخمر قد اختلط واماع وتقتت ووجد الاخرين
قد فسدوا وتغيرت رائحتهم ما فكانت له في ذلك معذرة وتبين من ذلك ان حال الرشيد في اجتناب الخمر كانت
معروفة عند بطانته واهل مائنته ولقد ثبت عنه انه عهد بحبس ابى نواس لما بلغه من انها كاه في المعاقرة
حتى تاب واقبل وانما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب اهل العراق وقتاويهم فيها معروفة واما
الخمر الصرفة فلا سبيل الى اتهامه به ولا تقليد الاخبار الواهية فيها فلم يكن الرجل بحيث يواقع محرمان
الكبر الكبار عند اهل الملة ولقد كان اولئك القوم كلهم بمنجاة من ارتكاب السرف والترفى في ملاسهم
وزينتهم وسائر متناولاتهم كانوا عليه من خشونة البداوة وسذاجة الدين التي لم يفارقوها بعد فاضلت
بما يخرج عن الاباحة الى المحظور وعن الحلية الى الحرمة ولقد اتفق المؤرخون الطبري والمسعودي وغيرهم
على ان جميع من سلف من خلفاء بني امية وبني العباس انما كانوا يربكون بالحلية المحققة من الفضة في
المناطق والسيوف واللجم والسرورج وأن اول خليفة أحدث الر كوب بحلية الذهب هو المعتز بن المتوكل
ثامن الخلفاء بعد الرشيد وهكذا كان حالهم ايضا في ملاسهم فاضلت بمشاربهم وتبين ذلك باتم من هذا
اذ فهمت طبيعة الدولة في اولها من البداوة والغضاضة كما نشرح في مسائل الكتاب الاول ان شاء الله
والله الهادي الى الصواب (ويناسب) هذا او قريب منه ما يتقوله كافة عن يحيى بن اكنم قاضي المأمون
وصاحبه وانه كان يعاقر المأمون الخمر وانه سكر ليلة مع شر به قد فن في الرميحان حتى افاق وينشدون على
لسانه ياسيدي وأمير الناس كلهم * قد جازى حكمه من كان يسقيني
أني غفلت عن الساقى فصيرني * كما تراني سليب العقل والدين

وحال ابن اكنم والمأمون في ذلك من حال الرشيد وشرا بهم انما كان النذير ولم يكن محظورا عندهم واما
السكر فليس من شأنهم وصحابته للمأمون انما كانت خلعة في الدين وانه قد ثبت انه كان يتام معه في البيت
ونقل من فضائل المأمون وحسن عشرته انه انتمه ذات ليلة عطشان فقام يتحسس ويلتمس الاناء مخافة ان
يوقظ يحيى بن اكنم وثبت انهما كانا يصليان الصبح جميعا فبين هذا من المعاقرة وايضا فان يحيى بن اكنم
كان من علة اهل الحديث وقد اثني عليه الامام احمد بن حنبل واسماعيل القاضي وخرج عنه الترمذي كتابه
الجامع وذكر المزي في الحفاظ ان البخاري روى عنه في غير الجامع فالحمد فيه قد رح في جميعهم وكذلك ما ينزه
الحجنان بالميل الى الغلمان بهتانا على الله وقرية على العلماء ويستندون في ذلك الى اخبار القصاص الواهية
التي لعلمها من افتراء اعدائه فانه كان محسودا في كماله وخلقته للسلطان وكان مقامه من العلم والدين منزها
عن مثل ذلك ولقد ذكر لابن حنبل ما يرميه به الناس فقال سبحان الله سبحان الله ومن يقول هذا وانكر
ذلك انكارا شديدا واثني عليه اسمعيل القاضي فقيل له ما كان يقال فيه فقال معاذ الله ان تزول عدالة مثله
بتكذب باغ وحاسد وقال ايضا يحيى بن اكنم ابرأ الى الله من أن يكون فيه شيء مما كان يرمى به من أمر
الغلمان ولقد كنت اقف على سرائره فأجده شديدا الخوف من الله لكنه كانت فيه دعاية وحسن خلق
فرمى بما رمى به وذكروه ابن حبان في الثقات وقال لا يشتغل بما يحكى عنه لان اكثرها لا يصح عنه (ومن

فانه يمسى القلب ويفسد العمل وقد عير الله اقواما مدتهم في الاجل فقسمت منهم القلوب وطال منهم الامل
فقال تعالى الميأان الذين آمنوا ان تتخشع قلوبهم لذكرك الله وما تنزل من الحق ولا يكونوا كالذين اتوا السكاك من قبل فقال عليهم الامد

فقتلوا بهم وكثير منهم فاسقون احسنت ظنك بالايام ان حسنت * ولم تخف سووما ياتي به القدر وسالمتك اللبالي فاعتررت بها *
وعند صفة اللبالي يحدث الكدر يا ايها الرجل النقي الى سمك وارعي لبك (١٣) فان كنت لا تدري متى الموت فاعلمن *

بانك لا تبقى الى آخر الدهر
ابن آدم ابن آدم ابو
الاولين والاخرين ابن
نوح شيخ المرسلين ابن
ادريس رفيع العالمين
ابن ابراهيم خليل الرحمن
ابن موسى الكليم من
بين النبيين والمرسلين ابن
عيسى روح الله وكلمته رأس
الزاهدين وامام السائحين
ابن محمد خاتم النبيين
وحبيب رب العالمين وسيد
الاولين والاخرين ابن
اصحابه الابرار المنتجبون
ابن الامم الماضية ابن
الملوكة السالفة ابن القرون
الحالية ابن الذين نصبت
على مفارقهم النيران ابن
الذين اغتروا بالاجناد
والسلطان ابن اصحاب
السطوة والولايات ابن
الذين خفقت على رؤسهم
الاولوية والرايات ابن
الذين قادوا الجيوش
والعساكر ابن الذين
عجرو القصور والدساكر
ابن الذين اعطوا النصر
في مواطن الحرب
والمواقف ابن الذين دانت
لهم المشارق والمغارب ابن
الذين تمتعوا في اللذات
والمنازل ابن الذين
اسرفوا على الخلائق كبرا
وعتبا ابن الذين راخوا في

امثال هذه الحكايات) مائة له ابن عبد به صاحب العقدة من حديث الزنيل في سبب اصهار المأمون
الى الحسن بن سهل في بته بوران وانه عثر في بعض اللبالي في تطوافه بسكك بغداد في زنبيل مدلى من
بعض السطوح بمعلق وجدل مغارة القتل من الحر برفاعة قدوة وتناول المعاني فاهتزت وذهب به صعدا الى
مجلس شأنه كذا ووصف من زينة فرشه وتنضيد ابنته وجال رؤيته ما يستوقف الطرف ويملك النفس
وان امرأة برزت له من خلل السور في ذلك المجلس رائقة الجمال فنانة الحاسن فغتمته ودعته الى المنادمة
فلم يزل يعاقرها الخمر حتى الصباح ورجع الى اصحابه بمكانهم من من انظاره وقد شغفته حبا بعنه على
الاصهار الى ابيا وابن هذا كله من حال المأمون المعروفة في دينه وعلمه وافتقائه من الخلفاء الراشدين
من آياته واخذ به سير الخلفاء الاربعة اركان الملة ومناظرته للعلماء وحفظه لحدود الله تعالى في صلواته
واحكامه فكيف تصح عنه احوال القساق (١) المستهترين في التطواف بالليل وطروق المنازل وغشيان
السمر سيدل عشاق الاعراب وابن ذلك من منصب ابنة الحسن بن سهل وشرفها وما كان يداريها من
الصون والعفاف وامثال هذه الحكايات كثيرة وفي كتب المؤرخين معروفة وانما يبعث على وضوعها
والحديث بها الانهماك في اللذات المحرمة وهتك فتاح المخدرات ويتعلمون بالناسي بالقوم فيما ياتونه من
طاعة لذاتهم فلذلك تراهم كثر اياما يلجئون باشباه هذه الاخبار وينقرون عنها عند تصفحهم لا وراق
الدواوين ولو انشوا بهم في غير هذا من احوالهم وصفات الكمال اللانثقة بهم المشهورة عنهم لكان خير لهم
لو كانوا يعلمون ولقد عدت يوما بعض الامراء من ابناء الملوك في كلفه بتعلم الغناء ولوعه بالانوار وقلت
له ليس هذا من شأنك ولا يليق بمنصبك فقال لي افلاترى الى ابراهيم بن المهدي كيف كان امام هذه
الصناعة ورئيس المغنين في زمانه فقلت له يا سبحان الله وهلا تأسيت بابيه واخيه او ما رأيت كيف تعد
ذلك يا ابراهيم عن مناصبهم فصم عن عزلي واعرض والله يهدي من يشاء (ومن الاخبار الواهية)
ما يذهب اليه الكثير من المؤرخين والاثبات في العبيد بين خلقاء الشيعة بالقبور وان القاهرة من نفهم
عن اهل البيت صلوات الله عليهم والطعن في نسبهم الى اسمعيل الامام ابن جعفر الصادق يعتمدون في ذلك
على احاديث افقت للسنة ضعفين من خلفاء بني العباس ترلفا اليهم بالقدح فيمن ناصهم وتفتنا في السمات
يعدوهم حسب ما نذكر بعض هذه الاحاديث في اخبارهم ويغفلون عن التفتن لشواهد الواقعات وادلة
الاحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم فانهم منفقون في حديثهم عن مبدا
دولة الشيعة ان ابا عبد الله المحتسب لما دعى بكامة للرضي من آل محمد واشتهر خبره وعلم تحويه على عبيد الله
المهدي وابنه ابي القاسم خشي على نفسه ما فهر با من المشرق محل الخلاف واجتاز بمصر واتهما خراج من
الاسكندرية في ذي التجار ونفى خبرهما الى عيسى النوشري عامل مصر والاسكندرية فصرح في طلبهما
الخيلة حتى اذا ادركا خفي خلفهما على تابعهما بما لبسوا به من الشارة والزى فافلتوا الى المغرب وان
المتصدوا عزالي الاغلبة امره افر يقية بالقبور وان بني مدرار امره سحلماسة باخذ الافاق عليهم ما واذ كاه
العيون في طلبهما فعثر السبع صاحب سحلماسة من آل مدرار على خفي مكانهما ببلده واعتقلهما مرضاة
للغلبة هذا قبل ان تظهر الشيعة على الاغلبة بالقبور وان ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بالمغرب
وافر يقية ثم باليمن ثم بالاسكندرية ثم بمصر والشام والحجاز وقاسموا بني العباس في ممالك الاسلام ثم
الابله وكادوا يلجون عليهم موطنهم ويزيلون من امرهم ولقد اظهر دعوتهم ببلادهم وعراقها الامير
(١) قوله المستهتر باشي بالفتح المولع به لا يبالي بما فعل به وشتم له والذي كثر ابا طيله اه قاموس

الحمل بكرة وعشباين الذين استلثوا الملبس انا ناور يا ابن الذين ملكو ابا بين الخافقين فخر وعز ابن الذين فرشوا القصور وخرزوا نرا
ابن الذين تضعفت لهم الارض هيبه وهز ابن الذين استذلوا العباد قهرا ولزاهل تحبس منهم من احد او تسمع لهم مركز افناهم والله مقبي

الامم وبادهم بميد الرمح واخرجهم من سعة القصور واسكنهم في صنك القبور تحت الجنادل والاصخور فاصبحوا لا ترى الامساكنهم
فعات الدود في اجسادهم واتخذهم قيات في ابدانهم (١٤) فسالت العيون على الحدود وامتلأت تلك الافواه بالدود وتساقت

الاعضاء وتمزقت الجلود
وتناثرت اللحوم وتقطعت
البطون فلم ينفعهم ما جمعوا
ولا اغنى عنهم ما كسبوا
اسلمت الاحبة والاولياء
وهجر ك الاخوان
والاصفياء ونسيك القرباء
والبعدهاء فأمسيت ولو
نطقت لا تشد قولنا في
سكان الثرى ورهائن
الترب والبيلى

فقد اتصلت دولتهم نحو من مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام ابراهيم عليه السلام ومصلاه وموطن
الرسول صلى الله عليه وسلم ولم مدقنه وموقف الحجيج ومهبط الملائكة ثم انقرض امرهم وشيعتهم في ذلك
كاه على اتم ما كانوا عليه من الطاعة لهم والمحبة فيهم واعتقادهم بنسب الامام اسمعيل بن جعفر الصادق
ولقد خرجوا احرارا بعد ذهاب الدولة ودر وس اثرها داعين الى بدعتهم هاتفين باسماء صبيان من اعقابهم
يرغون استحقاتهم للخلافة ويذهبون الى تعيينهم بالوصية من سلف قبلهم من الائمة ولو اربابوا في نسبهم
لم اركبوا العناق الاخطار في الانتصار لهم فصاحب البدعة لا يلدس في امره ولا يشبهه في بدعته ولا يكذب
نفسه فيما ينتعله (والعجب) من القاضي ابى بكر الباقلاني شيخ النظار من المتكلمين يجنح الى هذه المقالة
المرجوحة تو برى هذا الراى الضعيف فان كان ذلك لما كانوا عليه من الاحاد في الدين والتعمق في
الرافضة فليس ذلك بدافع في صدر دعوتهم وليس اثبات منتسبهم بالذى يعنى عنهم من الله شيا فى كفرهم
فقد قال تعالى لنوح عليه السلام في شأن ابنه انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسال ما ليس لك
به علم وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة يعظها يا فاطمة اعلمي فلن اغنى عنك من الله شيا ومتى عرف امرؤ
قضية او استيقن امر او جب عليه ان يصدع به والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والقوم كانوا في مجال
الظنون الدول بهم وتحت رقبة من الطاعة لتوفر شيعتهم وانتشارهم في القاصية بدعتهم وتكرار خروجهم
مرة بعد اخرى فلاذت رحالاتهم بالاخفاء ولم يكادوا يعرفون كما قيل

مقيم بالحجون رهين ريس
واهل رائجون بكل واد
كافى لم اكن لهم جيبا
ولا كانوا الاحبة في السواد
فخرجوا الاسلام فان ابيتم
قاوموا بالسلام على يعاد
فان طال المدى وصفنا خليل
سوانا فاذا كروا صفوا الوداد
وذلك اقل مالك من جيب
واخره الى يوم التناد

فلو تسأل الايام ما سمى مادرت * وابن مكافى ما عرفن مكانيا

حتى لقد سمى محمد بن اسمعيل الامام جده عبد الله المهدي بالملكوم سمته بذلك شيعتهم لما اتفقوا عليه من
اخفائه حذر امن المتعلمين عليهم فتوصل شيعته بنى العباس بذلك عند ظهورهم الى الطعن في نسبهم
وازدلفوا بهذا الراى القائل للاستضعفين من خلفائهم وأعجب به اولياؤهم وامراء دولتهم المتولون لمحروبيهم
مع الاعداء يدفعون به عن انفسهم وسلطانهم معرفة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام
ومهر والحجاز من البربر الكنايين شيعه العبيديين واهل دعوتهم حتى لقد اسجل القضاة بيعدا بدينهم
عن هذا النسب وشهد بذلك عندهم من اعلام الناس جماعة منهم الشريفة الرضى واخوه المرتضى
وابن البطحاوى ومن العلماء ابو حامد الاسفراينى والقدرى والصيرى وابن الاكفانى والابوردى وابو
عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم من اعلام الامة بيعدا في يوم مشهود وذلك سنة ستين واربع مائة
في ايام القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس بيعدا وغالبها شيعه بنى
العباس الطاعنون في هذا النسب فقله الاخبار يوروه ورووه حسب ما عودوه والحق من وراثته وفي
كتاب المعتضد في شأن عبيد الله الى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بن جلماسة اصدق شاهد وأوضح
دليل على صحة نسبهم فالمعتضد اعد بنسب اهل البيت من كل احد والدولة والسلطان سوق للعالم تجلب

فلوانا بوقفكم وقفنا
سقيننا الترب من مهج القواد
(وقال) مكرم بن يوسف
العباد اوحى الله الى نبي
من انبياء بنى اسرائيل ان
قف على المدائن والحصون
وأبلغهم عنى حرفين لا
تأكلوا الا طيبا ولا تسكروا
الا بالحق ولما دخل يزيد
الرقاشى على عمر بن عبد
العزى قال عفتى يا يزيد
قال يا امير المؤمنين اعلم

انك اول خليفة تموت فبكي عمرو قال زدنى يا يزيد فقال يا امير المؤمنين ليس بينك وبين آدم الا اب
بهت فبكي وقال زدنى يا يزيد فقال يا امير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزل فسقط عشيا يا ايها الرجل لا تغفلن عن تذكرة ما تمسقن من

خوف الغنا وتفضي المسار بذهاب الاذات وانقضاه الشهوات وبقاء التبعات وانقلابها حشرات وان الدنيا دار من لا دار له وقال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادى من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له (١٥) من صح فيها اسقم ومن سلم فيها مر

ومن افترق فيها حزن ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرمانها عقاب ومتشابهها عتاب من ساعاها فاته ومن قعد عنها آتته ومن نظر اليها اعنته ومن بصر بها بصرتة لاخيرها يدوم ولا شرها يبقى ولا فيها مخلوق بقاء يا أيها الرجل لا تتخذن كماخذ دع من قبلك فان الذي أصبحت فيه من النعم انما صار اليك دعوت من كان قبلك وهو خارج من يدلك بمثل ما صار اليك فلو بقيت الدنيا للعالم لم تصر للجاهل ولو بقيت للاول لم تنتقل الى الآخر يا أيها الرجل لو كانت الدنيا كلها ذهبا وفضة ثم سالت عليك بالخلافة وألقت اليك مقاليدها وأفلاذ كبدتها ثم كنت طرفا يدع الموت ما كان ينبغي لك أن تنهبا بعش لا تضر فيما يزول ولا تغناه فيما لا يبقى وهل الدنيا الا كمال الاول قدوة في وكيفية ولا وكما قال الشاعر ولقد سالت الدار عن اخبارهم فبدمت عجاوب لم تبدي حتى مررت على الكنيف فقال لي

اليه بضائع العلوم والصنائع وتلتمس فيه ضوال الحكيم وتحدى اليه ركائب الروايات والاخبار وما نفق فيها نفق عند الكفاة فان تنزهت الدولة عن التعسف والميل والافن والسفسفة وسلكت النهج الامم ولم تجر (١) عن قصد السبيل نفق في سوقها الا بريز الخالص واللجين المصفي وان ذهبت مع الاعراض والحجود وماجت به عاصفة البغي والباطل نفق البهرج والزائف والنقاد البصير قسطاس نظره وميزان بحثه وملتمسه (ومثل هذا) وابعد منه كثيرا ما يتناجى به الطاعنون في نسب ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم اجمعين الامام بعد ابيه بالمغرب الاقصي ويعرضون تعريض الحد بالظنن في الحمل المخلف عن ادريس الا كبرانه لراشه دمولا هم فبجهم الله وابعدهم ما جعلهم اما يعلمون ان ادريس الا كبر كان اصهاره في البربر وانته من ذلك الى ان توفاه الله عز وجل غريقا في البعد وان حال البادية في مثل ذلك غير خافية اذ لا مكان لهم يتأق في الرباب واحوال حرمهم اجمعين بما راى من جاراتهم ومسمع من جيرانهن لتلاصق الجدران وتطامن البذيان وعدم الفواصل بين المساكن وقد كان راشد يتولى خدمة الحرم اجمع من بعدهم واولادهم وشبهتهم ومراقبته من كافتهم وقد اتفق برابرة المغرب الاقصي عامة على يدعة ادريس الاصغر من بعده ابيه وآتوه طاعتهم عن رضا ووافقوا بايعوه على الموت الاجر وخاصوا دونه بحار المنيا في حروبه وغزواته ولو حدثوا انفسهم بمثل هذه الريبة او قرعت اسمعاهم ولو من عدو كان منق او مناقق مراتب لتخاف عن ذلك ولو بعضهم كلا والله انما صدرت هذه الكلمات من بنى العباس اقاتلهم ومن بنى الاغلب عماله -م كانوا بافريقية وولاتهم وذلك انه لما فر ادريس الا كبر الى المغرب من وقعة سج او عزله امدى الى الاغالبية ان ية عدو له بالمراسد وديد كواعليه العيون فلم يظفروا به وخلص الى المغرب فتم امره وظهرت دعوته وظهر الرشيد من بعد ذلك على ما كان من واضح مولاهم وعاملهم على الاسكندرية من دسيمة التشيع للعلوية واذا هابه في نخا ادريس الى المغرب فقتله ودس السمخ من موالى المهدي ابيه للتخيل على قتل ادريس فاطهر اللحاق به والبراءة من بنى العباس مواليه فاشتمل عليه ادريس وخاطبه بنفسه وناولوه السمخ في بعض خلواته سماسته لكة به ووقع خبر مهلكه من بنى العباس احسن المواقع لمارجوه من قطع اسباب الدعوة العلوية بالمغرب واقتلاع جزئومتها ولما نادى اليهم خبر الحمل المخلف لادريس فلم يكن لهم الا كلالا واذا بالدعوة قد هادت والشريعة بالمغرب قد ظهرت ودولتهم بادريس بن ادريس قد تجددت فكان ذلك عليهم انكي من وقع السهام وكان الغشل والهزم قد نزل بدولة الغرب عن أن يسهوا الى القاصية فلم يكن منتهى قدرة الرشيد على ادريس الا كبر بمكانه من قاصية المغرب واشتمال البربر عليه الا التخيل في اهلاكه بالسموم فعند ذلك فزعوا الى اوليايتهم من الاغالبية بافريقية في سد تلك الفرجة من ناحيتهم وحسم الداء المنوقع بالدولة من قبلهم واقتلاع تلك العروق قبل ان تشخ منهم مخاطبهم بذلك المؤمن ومن بعدهم من خلفائهم فكان الاغالبية عن برابرة المغرب الاقصي اعجز ومثلها من الذين على ملو كهم احوج لمسا طرق الخلافة من انتزاع ملك العجم على سديتها وامتنانهم صهوة التغلب عليها وتصريفهم احكامها طرعا اغراضهم في رحلتها وجبايتها واهل خطتها وسائر نقضها وابرانها كما قال شاعرهم خلفة في قصص * بين ووصف وبغا يقول ما قاله * كما تقول البيضا فقتى هؤلاء الامراء الاغالبية بواد السعيايات وتلوا بالاعاذير فطورا باحتقار المغرب واهله وطورا بالارهاب

(١) قوله ولم تجر بضم الجيم مضارع جارى لم عمل اه

اوالمهم ونوالهم عندي ولقد اصاب ابن السمك لما قال له الرشيد يا ابن السمك عظمي ويده شر به من ماء فقال يا امير المؤمنين ارايت لو حبست عنك هذه الشربة اكنمت بقدرها بما لم يحتمل قال يكاف قال تا امير المؤمنين فلو حبس عنك خروجها اكنمت بقدرها بما لم يحتمل

قال نعم قال فلا خير في ملك لا يساوي شربة ولا بولة أيها الشاب لا تغتر بشبابك فإن أكثر من يموت الشباب والدليل عليه ان أقل الناس
الشيوخ يا أيها الشاب كم من جل (١٦) في التنوير وأبو يعربى وكمن مطلق في التراب وجدده يحيى وقال علي بن أبي طالب

بشأن ادريس الخارج به ومن قام مقامه من اعقابهم يخاطبونهم بتجاوز حدود الغرور من عمله وينفذون
سلطته في تحفهم وهداياهم ومرتفع جباياتهم تعرفوا باسئخاله وتهووا بالاشتداد شوكته وتعظموا بما دفعوا
اليه من مطالبته ومراسه وتهديد اقلب الدعوة ان ألجؤا اليه وطورا يطعنون في نسب ادريس بمثل ذلك
الطعن الكاذب تخفضا الشأن لا يبالون بصدقه من كذبه لبعده المسافة وافن عقول من خلف من صبية بني
العباس ومعاييرهم العجم في القبول من كل قائل والسمع لكل ناعق ولم ينزل هذا ادابهم حتى انقضى امر
الاغلبة ففرغت هذه الكلمة الشنعاء اسماع النوغا وصر عليها بعض الطاعنين اذنه واعتدها ذريعة
الى النيل من خلفهم عند المناقسة ومالم يقبهم الله والعدول عن مقاصد الشريعة فلا تعارض فيها بين
المقطوع والمظنون وادريس ولد علي فراش ابيه والولد لا فراش على أن تنزيه اهل البيت عن مثل هذا
من عقائد اهل الايمان قاله سبحانه قد اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فراش ادريس طاهر من
الدنس ومنزه عن الرجس بحكم القرآن ومن اعتمده خلاف هذا فقد باء بائعته وولج الكفر عن بابه وانما
أظننت في هذا الرد سد الابواب الربوب ودفعنا في صدر الحاسد لما سمعته اذناى من قائله المعتدى عليهم
به القادح في نسبهم بقوله يتهوون بقرته يتهوون بقرته بزعمة عن بعض مؤرخي المغرب ممن انحرف عن اهل البيت وارتاب في
الايمان بسلفهم والافالحل منزعه عن ذلك معصوم منه ونفى العيب حيث يستحيل العيب عيب لى
جادات عنهم في الحياة الدنيا وارجوان يجادلوا عن يوم القيامة (ولتعلم) ان اكثر الطاعنين في نسبهم انما
هم الحاسدة لاعتقاب ادريس هذا من منتم الى اهل البيت او دخيل فيهم فان ادعاء هذا النسب الكريم
دعوى شرف عريض على الامم والاجمال من اهل الاتفاق فتعرض التهمة فيه ولما كان نسب بني
ادريس هؤلاء عجم واطنهم من فاس وسائر ديار المغرب قد بلغ من الشهرة والوضوح مبلغا لا يكاد يلحق ولا
يطمع احد في دركه اذ هو نقل الامة والجملة من الخلف عن الامة والجملة من السلف وبيت جددهم
ادريس مختط فاس ومؤسسها بين بيوتهم ومسجده لصق بحلتهم ودر بهم وسيفه متفضي برأس المأذنة
العظيمة من قرار بلادهم وغير ذلك من آثاره التي جاوزت اخبارها حدود التواتر مرات وكادت تلحق
بالعيان فاذا نظر غيرهم من اهل هذا النسب الى ما آتاهم الله من امثالها وما عاضد شرفهم النبوى من
جلال الملك الذى كان اسلفهم بالمغرب واستيقن انه معزل عن ذلك وانه لا يباغ مداحدهم ولا نصيحه وان
غاية امر المنتمين الى البيت الكريم ممن لم يحصل له امثال هذه الشواهد ان يسلم لهم حالهم لان الناس
مصدقون في انسابهم وبنو مابين العلم والظن واليقين والنسليم فاذا علم ذلك من نفسه غصص بر يقه وود
كثير منهم لو بردونهم عن شرفهم ذلك سوقة ووضعهاء حسدا من عند انفسهم فيرجعون الى العناد
وارتكاب اللجاج والبهت بمثل هذا الطعن القائل والقول المكذوب تعاللا بالمساواة في الظنة والمشابهة
في طرق الاحتمال وهيئات لهم ذلك فليس في المغرب فيما نعلم من اهل هذا البيت الكريم من يبلغ في
صراحة نسبة به ووضوحه مبالغ اعقاب ادريس هذا من آل الحسن وكبرائهم لهذا العهد بنو عمران بقاس
من ولد يحيى الحوطى ابن محمد بن يحيى العوام ابن القاسم بن ادريس بن ادريس وهم تقياء اهل البيت هناك
والسا كتون بيت جددهم ادريس ولهم السيادة على اهل المغرب كافة حسب ما نذكرهم عند ذكر الادارسة
ان شاء الله تعالى (ويلاحظ) بهذه المقالات الفاسدة والمذاهب القائلة ما يتناولوه ضيقة الراى من فقهاء
المغرب من القدرح في الامام المهدي صاحب دولة الموحدين ونسبته الى الشيعى وذو التلبس فيما اتاه من
القيام بالتوحيد الحق والتبى على اهل البغى قبله وتكذيبهم مجيب مدعياته في ذلك حتى فيما يزعم

رضوان الله عليه لاسقف
قد اسلم عظمي قال يا امير
المؤمنين ان كان الله عليك
من ترجو قال احسنت
فزدي قال ان الله معك
من تخاف قال احسنت
فزدي قال احسب ان الله
قد غفر ذنب المذنبين
ليس قد غفرتهم ثواب
الحسين قال حسبي حسبي
وبكى اربعين صباحا وقال
الحسن قدم صعصعة يعنى
عم الفرزدق على النبي
صلى الله عليه وسلم فسمع
يقرا فن يعمل منقال ذرة
خير ابره ومن يعمل
منقال ذرة شراره فقال
حسبي حسبي لا ابالي ان
لا اسمع آية غيرها وقال
سليمان بن عبد الملك
لمجد الطويل عظمي فقال
ان كنت اذا عصيت الله
ظننت انه يراك فلقد
اجترأت على رب عظيم
وان كنت تظن انه لا يراك
فلقد كفرت برب عظيم
وكتب على بن الحسين
رضي الله عنه الى سلمان
انما مثل الدنيا كمثل
الحبة المسهالين ويقتل
سها فاعرض عنها واما
يعجبك منها القلة ما يعجبك
منها ودع عنك همومها
لما تبعنت من فراقها

وكن أسرها تكون فيها احد ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمان فيها الى سرور اشخص منها الى الموحدون
مكرمه وقال أبو العتاهية هي الدار دار الازى والقذا ودار القناء ودار الغير ولولا انما يجدوا فيها ما لم تقص منها وطير

أيام من يؤمل طول الحياة * وطول الحياة عليه ضرر

إذا ما كبرت وبان الشباب * فلا خير في العيش بعد الكبر

ولما بلغ مراده من الدنيا أفضل ما سمت إليه نفسه ووقت إليه همته رفضها وتبرأها

(١٧)

وقال هذا سرور لولا أنه غرور

الموحدون أتباعه من انتسابه في أهل البيت وإنما جل الفقهاء على تكذيبه مما كمن في نفوسهم من حسده على شأنه فانهم لما رأوا من أنفسهم مناهضة في العلم والفتيا وفي الدين برعهم ثم امتاز عنهم بأنه متبوع الرأي مسموع القول موطن العقب نقوا ذلك عليه وغضوا منه بالقدح في مذاهبه والتكذيب لمذاهبه وأيضا فكانوا يؤنسون من ملوك المتنونة أعدائه تحب له وكرامة لم تكن لهم من غيرهم لما كانوا عليه من السذاجة واتحال الديانة فكان محجة العلم بدواتهم مكان من الوجهة والانتصاب للشورى كل في بلده وعلى قدره في قومه فاصبحوا بذلك شيعة لهم وحج بالعدوهم ونهوا على المهدي ما جاء به من خلافهم والتثريب عليهم والمناسبة لهم تشيع المتنونة وتعصب الدواتهم ومكان الرجل غير مكنتهم وحاله على غير معتقداتهم وما فذلك برجل نقيم على أهل الدولة ما تقدم من أحوالهم وخالف اجتهاده فقهاءهم فسادى في قومه ودعا الى جهادهم بنفسه فاقبلت الدولة من أصولها وجعل عاليها سافلها اعظم ما كانت قوة واشد شوكة وأعز أنصارا وحامية وتساقت في ذلك من أتباعه نفوس لا يحصيها الا خالقها قديا يعوه على الموت وقوه بانفسهم من الملكة وتقربوا الى الله تعالى بالتلاف في هجهم في اظهار تلك الدعوة والتعصب لتلك الحكامة حتى علت على الكلم ودالت بالعدوتين من الدول وهو بحالة من التفتش والحصر والصبر على المكاره والانتقال من الدنيا حتى قبضه الله وليس على شيء من الحظ والمنازع في دنياه حتى الولد الذي ربما تجنح اليه النفوس وتتخادع عن تمنيه فليت شعري ما الذي قصد بذلك ان لم يكن وجه الله وهو لم يحصل له حظ من الدنيا في عاجله ومع هذا فلو كان قصده غير صالح ما تم أمره وانسحبت دعوته سنة الله التي قد خلت في عباده (وأما) انكارهم نسبه في أهل البيت فلا تعضده حجة لهم مع انه ان ثبت انه ادعاه وانتسب اليه فلا دليل يقوم على بطلانه لان الناس مصدقون في أنسابهم وان قالوا ان الرياسة لا تكون على قوم في غير أهل جلدتهم كما هو الصحيح حسب ما يأتي في الفصل الاول من هذا الكتاب والرجل قدر رأس سائر المصامدة ودانوا باتباعه والافتقار اليه والى عصابته من هرغة حتى تم امر الله في دعوته فاعلم ان هذا النسب القاطم لم يكن أمر المهدي يتوقف عليه ولا اتبعه الناس بسببه وإنما كان اتباعهم له بعصبة الهريسية والمصمودية ومكانه منها ورسوخ شجرته فيها وكان ذلك النسب القاطم خفيا قد درس عند الناس وبقي عنده وعند عشيرته يمتناقلونه بينهم فيكون النسب الاول كأنه انسلخ منه وليس جلده حوله وظاهر فيها فلا يضره الانتساب الاول في عصبيته اذ هو مجبول عند أهل العصابة ومثل هذا واقع كثيرا اذ كان النسب الاول خفيا (وانظر) قصة عربجة وجرير في رياسة بجيلة وكيف كان عرفة من الازد وليس جلده بجيلة حتى تنازع مع جرير رياستهم عند عمر رضي الله عنه كما هو مذكور تفرقة منهم منه وجه الحق والله الهادي للصواب (وقد) كدنا أن نخرج عن غرض الكتاب بالاطناب في هذه الغلط فقد زلت أقدام كثير من الاثبات والمؤرخين الحفاظ في مثل هذه الاحاديث والآراء وعاقبت بافكارهم ونقلها عنهم الكافة من ضعفة النظر والفتنة عن القياس ونقوهم أيضا كذلك من غير بحث ولا روية واندرجت في محفوظاتهم حتى صار فن التاريخ واهيا مختلطا وناظره مرتبكوا وعدم مناسحة العامة فاذا احتاج صاحب هذا الفن الى العلم بقرعة السباسة وطبائع الموجودات واختلاف الامم والبقاع والاعصار في السير والاخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الاحوال والاحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو بون ما بينه ما من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف والقيام على اصول الدول والمال ومبادئ ظهورها وأسباب حدوثها ودواعي كونها وحوال القائلين بها واخبارهم حتى يكون مستوعبا للأسباب كل حادث

ونعيم لولا انه عديم وملاك
لولا انه هلك وغناه لولا انه
فناء وحسب لولا انه ذم
ومجد ولولا انه معقود وغنى
لولا انه منى وارتفاع لولا انه
اتضاع وعلاء لولا انه بلاء
وحسن لولا انه حزن وهو
يوم لو وثق له بغدا أيها
الرجل لا تكن كالنخل
يرسل أطيب ما فيه ويمسك
الحنالة واعلم ان من قسا
قلبه لا يقبل الحق وان
كثرت رذائله قال الله تعالى
فقلنا اضربوه ببعضها
كذلك يحيى الله الموتى
ويريككم آياته لعلكم
تعقلون ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة
أو أشد قسوة وذلك ان كثرة
الذنوب مانعة من قبول
الحق القلوب وولوج
المواعظ فيها قال الله تعالى
كلابل ران على قلوبهم ما
كانوا يكسبون أى غطاها
وغشها فلا تقبل خيرا ولا
تصيح لوعظة جاء في التفسير
اذا ذنب العبد نكته حتى
قلبه نكته سوداء ثم اذا ذنب
نكته نكته سوداء حتى
يسود القلب وقال حذيفة
القلب كالسكف فاذا
أذنب العبد انقبض
وقبض اصبعه اذا ذنب
انقبض وقبض اصبعه اخرى

(٣ - ابن خلدون) ثم كذلك في الثالث والرابع حتى يقبض الكف كما ثم يطبع الله عليه فذلك هو الران وقال بكر بن عبد الله
اذا ذنب العبد صار في قلبه كوخ البرة ثم كلما اذنب صار فيه كوخ البرة حتى يعود القلب كالنخل

وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب وقال ابن شبرمة اذا كان البدن سقيماً ينفعه الطعام واذا كان القلب مغرمًا يحث الدنيا لم تنفعه الموعظة وفيه قيل

ولا ارى اثر اللذكري في خادى * والحبل في الصخرة الصمالة اثر

اذا قسا القلب لم تنفعه موعظة

كالارض ان سبغت لم ينفع المطر

ويروي ان ابا العتاهية مر بدينار الوراق واذا

كتب فيه بيت من الشعر لن ترجع الانفس عن غيرها

مالم يكن منها لها زاجر فقال لمن هذا فقيل لاني

نؤاس قال وددت انه لي بنصف شعري قال الاصمعي

ان النعمان الذي هو امرؤ القيس الا كبر الذي بنى

الخوزنق اشرف على الخوزنق يوما فاعجبه ما اوتي

من الملك والسعة ونفوذ الامر واقبال الوجوه فخوه فقال

لا صحابه هل اوتي احد مثل ما اوتيت فقال له حكيم من

حكماة اصحابه اهدا الذي اوتيت شي لم يزل ولا يزال ام

شي كان لمن كان قبلك زال عنه وصار اليك قال بل شي

كان لمن قبلي زال عنه وصار الي وسيزول عنى قال فسررت

بشي تذهب منك لذته وتبقى تبعته قال فابن المهرب قال

اما ان تقيم وتعمل بطاعة الله او تلبس امساحا وتلحق

بجبل وتبدر بك فيه وتقر من الناس حتى ياتيئك

اجلك قال فاذا كان ذلك فغالى قال حياة لا موت فيها

وشباب لا هرم فيه وصحة لا سقم فيها وملك جديد لا يبلى قال فابى خير فيما يقنى والله لا طاب من عيش الا بزل ابدا

واقفا على اصول كل خبر وحينئذ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والاصول فان وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحا والا زيفه واستغنى عنه وما استكبر القدماء علم التاريخ الا لذلك حتى انتحل الطبري والبخاري وابن اسحق من قبلهما وامثالهم من علماء الامة وقد ذهل الكثير عن هذا السرفه حتى صار انتحاله مجهولة واستخف العوام ومن لا رسوخ له في المعارف مطالعته وجهه والحوض فيه والتطفل عليه فاخبط المرعي بالهمل واللباب بالقرش والصادق بالكاذب والى الله عاقبة الامور (ومن الغلط) الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الاحوال في الامم والاجيال بشد بل الاعصار ومرور الايام وهو داهي شديد الخفاء اذ لا يقع الا بعد احقاب متطاولة فلا يكاد يتفطن له الا الاحاد من اهل الحياقة (وذلك) ان احوال العالم والامم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر انما هو اختلاف على الايام والازمنة وانتقال من حال الى حال وكما يكون ذلك في الاشخاص والاقوات والامصار فكذلك يقع في الاتفاق والاقطار والازمنة والدول سنة الله التي قد دخلت في عباده وقد كانت في العالم امم الفرس الاولى والسيريانون والنبط والتبابعة وبنو اسرائيل والقبط وكانوا على احوال خاصة بهم في دولهم وممالكهم وسياساتهم وصنائعهم ولغاتهم واصطلاحاتهم وسائر مشاركاتهم مع ابناء جنسهم واهوال اعتمارهم للعالم تشهد بها آثارهم ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب فتبدلت تلك الاحوال وانقلبت بها العوائد الى ما يجانسها ويشابهها والى ما يباينها ويباعد عنها ثم جاء الاسلام بدولة مضر فانقلبت تلك الاحوال اجمع انقلابه اخرى وصارت الى ما اكثره متعارف لهذا العهد ياخذ الخلف عن السلف ثم درست دولة العرب واماهم وذهبت الاسلاف الذين شيدوا عزمهم ومهدوا مملكتهم وصار الامر في ايدي سواهم من العجم مثل الترك بالشرق والبربر بالمغرب والفرنجية بالشمال فذهبت بذهابهم اعم وانقلبت احوال وعوائد نسي شأنها واغفل امرها (والسبب) الشائع في تبدل الاحوال والعوائد ان عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه كما يقال في الامثال الحكمة للناس على دين الملك واهل الملك والسلطان اذا استولوا على الدولة والامر فلا بد وان يفرعوا الى عوائد من قبلهم وياخذوا الكثير منها ولا يغفلوا عوائد جيلهم مع ذلك فيقع في عوائد الدولة بعض المخالفة لعوائد الجيل الاول فاذا جاءت دولة اخرى من بعدهم ومخرجت من عوائدهم وعوائد مخالفت ايضا بعض الشيء وكانت للاولى اشده مخالفة ثم لا يزال التدرج في المخالفة حتى ينتهي الى المباشرة بالجملة فسادت الامم والاجيال بتعاقب في المملك والسلطان لا تزال المخالفة في العوائد والاحوال واقعة والقياس والمحاكاة للانسان طبيعة معروفة ومن الغلط غير ما مونة تخرجه مع الذهول والغفلة عن قصده وتعوج به عن مرامه فرما يسمع السامع كثيرا من اخبار الماضين ولا يتفطن لما وقع من تغير الاحوال وانقلابها فيخبر بها الاول وهلة على ما عرف ويقوم بها ما شهد وقد يكون الفرق بينهما كثيرا فيقع في مهواة من الغلط (في هذا الباب) ما يتقله المؤرخون من احوال الحجاج وان اباه كان من المعلمين مع ان التعليم لهذا العهد من جملة الصنائع المعاشية البعيدة من اعتزاز اهل العصبية والمعلم مستضعف مسكين منقطع الجذم (١) فينشوف الكثير من المستضعفين اهل الحرف والصنائع المعاشية الى نيل الرتب التي ليسوا لها باهل ويعدون بها من الممكيات لهم فذهب بهم وسواوس المطامع ووربما انقطع جيلها من ايديهم فسقطوا في مهواة المملكة والتلف ولا يعلمون استحقاقهم وانهم اهل حرف وصنائع المعاش وان التعليم صدر الاسلام والدولتين لم يكن كذلك ولم يكن العلم بالجملة صناعة

(١) قوله الجذم الاصل اه قاموس

وملكا جديدا فانخلع من مملكته وليس الامساح وسار في الارض وتبعه الحكيم وجعل لا يعبد ان الله حتى ماتا وفيه يقول عدى بن زيد

وتبين رب الخورنق اذ فركز يوم اوله هدى تذكير سره ماله وكثرة مائه * للوالبحر مفرضا والسدير فارعوى قلبه وقد قال
ماغنبة حتى الى الامان بصير ابن كسرى كسرى الملوك انوشير * وان أم ابن قبله سابور (١٩) وبنو الاصفى الكرام ملوك الر

روم لم يبق منهم مذكور
لم يبقه ريب المتون فبادا
ملك عنه فبابه مهجور
وفيه يقول الاسود بن يعفر
ولقد علمت سوى الذي
انباتني
ان السبيل سبيل ذي
الاعواد
ماذا اول بعد آل محرق
تركو اماناتهم وبعدا باد
ارض الخورنق والسدير
وبارق
والقصر ذي الشرفات من
سنداد
نزلوا بانقرة تسيل عليهم
ماء القرات يحيى من أطواد
ارض مجبوا الطيب مقباها
كعب بن مالك وابن أم دواد
جرت الرياح على محل ديارهم
فكانهم كانوا على ميعاد
فارى النعيم وكل ما يلهم به
يوما يصير الى بلاونقاد
(وقال) وهب بن منبه
أصيب على غمدان وهو
قصر سيف بن ذى يزن
بارض صنعاء اليمن وكان
من الملوك الاجلة مكتوبا
بالقلم المسند فترجم بالعربية
واذا هي ابيات جلييلة
وموعظة عظيمة
باتوا على قائل الاجبال
تجرتهم
غلب الرجال فلم تنفعهم
القال

انما كان نقلا لما سمع من الشارع وتعلما لما جهل من الدين على جهة البلاغ فكان اهل الانساب
والعصبة الذين قاموا بالملامة لهم الذين يعلمون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على معنى التبليغ
الخبرى لا على وجه التعليم الصناعي اذ هو كتابهم المنزل على الرسول منهم وبه هداياتهم والاسلام دينهم فالتوا
عليه وقتلوا واختصوا به من بين الامم وشرفوا فيخرون على تبليغ ذلك وتفهيمه للامة لا تصددهم عنه
لائمة الكبر ولا يزعهم عاذل الانفة ويشهد لذلك بعث النبي صلى الله عليه وسلم كبار اصحابه مع وفود العرب
يعلمونهم حدود الاسلام وما جاء به من شرائع الدين بعث في ذلك من اصحابه العشرة فمن بعدهم فلما استقر
الاسلام وشجبت عروق الملثة حتى تناولها الامم البعيدة من ايدي اهلها واستحالت بمرو الايام احوالها
وكثرت استنباط الاحكام الشرعية من النصوص لتعدد الوقائع وتلاحقها فاحتاج ذلك لقانون يحفظه من
الخطا وصار العلم ما يكتفى به يحتاج الى التعلم فاصبح من جملة الصنائع والحرف كما ياتي ذكره في فصل العلم
والتعليم واشتغل اهل العصبة بالقيام بالملك والسلطان فدفع للعلم من قام به من سواهم واصبح حرفة
للعاش وشجنت انوف المترفين واهل السلطان عن التصدي للتعليم واختص انتحاله بالمستضعفين وصار
منتحله محتقرا عند اهل العصبة والملك والحجاج بن يوسف كان ابوه من سادات ثقيف واشرفهم ومكانهم
من عصبة العرب ومناهضة قر يش في الشرف ما علمت ولم يكن تعليمه للقرآن على ما هو الامر عليه لهذا
العهد من انه حرفة للعاش وانما كان على ما وصفناه من الامر الاول في الاسلام (ومن هذا الباب) ايضا
ما يتوهمه المتصفحون لكتب التاريخ اذا سمعوا احوال القضاة وما كانوا عليه من الرياسة في الحروب
وفود العساكر فتراعى بهم وساوس الهمم الى مثل تلك الرب يحسبون ان الشأن في خطة القضاة لهذا
العهد على ما كان عليه من قبل ويظنون بان ابن عامر صاحب هشام المستبد عليه وابن عباد من ملوك
الطوائف باشيولية اذا سمعوا ان آباءهم كانوا قضاة انهم مثل القضاة لهذا العهد ولا يتقنون لما وقع في
رتبة القضاة من مخالفة العوائد كما ينبغي في فصل القضاة من الكتاب الاول وابن عامر وابن عباد كانا من
قبائل العرب القاسمين بالدولة الاموية بالاندلس واهل عصبيتها وكان مكانهم فيها معلوما ولم يكن يلهم
لما نالوه من الرياسة والملك تحفة القضاة كما هي لهذا العهد بل انما كان القضاة في الامر القديم لاهل
(١) العصبة من قبيل الدولة ومواليها كاهي الوزارة لهذا العهد بالمغرب وانظر خروجهم بالعساكر في الطوائف
وتقليد هم عظام الامور التي لا تقلد الا لمن له الغنى فيها بالعصبة فغطت السامع في ذلك ويحمل الاحوال
على غير ما هي واكثر ما يقع في هذا الغلط ضغف البصائر من اهل الاندلس لهذا العهد لفقدان العصبة في
مواطنهم منذ اعصار بعيدة لغناء العرب ودولتهم بها وخروجهم عن ملكة اهل العصبيات من البربر فقيمت
(١) العصبة بقتنين التعصب وهو ان يذب الرجل عن حريم صاحبه ويشمر عن ساق الجدي نصره منسوبة
الى العصبة محرمة وهم اقارب الرجل من قبل ابيه لانهم هم الذابون عن حريم من هو منتهاهم وهي بهذا
المعنى مدوحية واما العصبة المذمومة في حديث الجامع الصغير ليس منان دعا الى عصبة وليس منان
قاتل على عصبة وليس منان مات على عصبة فهي تصعب رجال لقبيلة على رجال قبيلة اخرى لغير
ديانة كما كان يقع من قيام سعد على حرام نسبة الى العصبة بمعنى قوم الرجل الذين يتعصبون له ولو من غير
اقاربه ظالمسا كان او مظلوما وفي التناوي الخبرية من مواعيد قبول الشهادة بالعصبة وهي ان ينعض الرجل
الرجل لانه من بني فلان او من قبيلة كذا والوجه في ذلك ظاهر وهو ارتكاب المحرم في الحديث ليس منا
من دعا الى عصبة وهو موجب للفسق ولا شهادة لمرتكبه قاله الاستاذ ابو الوفاء اه

واستزوا بعد عزم معاقلم * فاسكنوا حفر ابايس ما نزلوا ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا * ابن الاسرة والتيجان والحال
ابن الوجوه التي كانت محببة * من دونها تضرب الاستار والسكال فأصخ القبر عنهم حين ساء لهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتل

قد طال ما كاويوما وما شربوا * فأصبحوا بعد ذلك الاكل قد اكوا قال شيخنا قري على القاضي ابي الوليد الباجي وانا سمع
لبعض الشعراء ويحك يا سماء ماشاني * (٢٠) اضللتني والله ماشاني الموت حق فاعلمني نازل * قرب لي محدي واكفاني

قد كنت ذامال فلا والذي
اعطاني العيش واغفاني
ماقرت العين به ساعة
الاتذ كرت فاشجاني
علمي بانى صائر للبلبي
وفاقد اهلي وجيراني
وتارك مالي على حاله
تهب الشيطان بن شيطان
لامرأة ابني اولزوج ابنتي
يا لك من غي وخسران
يسعدني مالي واشقى به
قوم ذوو غل وشنان
ان احسنوا كان لهم اجره
وخف من ذلك ميزاني
ومن استبصر من ابناء الملوك
فراى عيب الدنيا وفناءها
ونقصها وزوالها ابراهيم
ابن ادهم بن منصور من ابناء
الملوك ملوك خراسان من
كورد بلخ ولسان في
الدنيا زهد عن ثمانين
سمر بر قال ابراهيم بن بشار
سألت ابراهيم بن ادهم
كيف كان بده امرك حتى
صرت الى هذا قال غير هذا
اولى بك قلت يرجك الله
لعل الله ينعني به يوم ماتم
سأله ثانية فقال ويحك
اشتغل بالله تعالى ثم سأله
ثالثة فقلت ان رايت
يرجك الله ان تخبرني لعل
الله ان ينعني فقال كان
ابي من ملوك خراسان
وكان من المياسير وكان

انسابهم العز بية محفوفة والذرية الى العز من العصبية والتناصر مفقودة بل صاروا من جملة الرعايا
المتخاذلين الذين تعبدتهم القهر ورغوا المذلة يحسبون ان انسابهم مع مخالفة الدولة هي التي يكون لهم بها
الغلب والتحكيم فتجد أهل الحرف والصنائع منهم متصددين لذلك ساعة في نيته فاما من باشر احوال
القبائل والعصبية ودولهم بالعدوة الغربية وكيف يكون التغلب بين الامم والعشائر فلما يغلطون
في ذلك ويخطئون في اعتباره (ومن هذا الباب) ايضا ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول ونسب ملوكها
فيذكرون اسمها ونسبها واباء وامه ونساء ولقبه وخاتمه وقاضيه وحاجبه ووزيره كل ذلك تقليد لمؤرخي
الدولتين من غير تعقل لمقاصدهم والمؤرخون لذلك العهد كانوا ايضا يعنون توارخهم لاهل الدولة
وابنائهم من مشوفون الى سير اسلافهم ومعرفه احوالهم ليقنعوا آثارهم وينسجوا على منوالهم حتى في
اصطناع الرجال من خلف دولتهم وتقليد الحظوظ والمراتب لابناء صنائعهم وذويهم والقضاة ايضا كانوا
من اهل عصبية الدولة وفي عداد الوزراء كما ذكرناه لك فيحتاجون الى ذلك كله واما حين تبانت
الدول وتباعد ما بين العصور ووقف الغرض على معرفة الملوك بانفسهم خاصة ونسب الدول بعضها
من بعض في قوتها وغلبتها ومن كان يناهضها من الامم او يقصر عنها في الفائدة المصنف في هذا العهد في
ذكر الابناء والنساء ونسب الخاتم واللقب والقاضي والوزير والحاجب من دولة قديمة لا يعرف فيها
اصولهم ولا انسابهم ولا مقاماتهم انما جعلهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين الاقدمين
والذهول عن تحري الاغراض من التواريخ اللهم الا ذكر الوزراء الذين عظمت آثارهم وعقت على
الملوك اخبارهم كالحجاج وبنو المهلب والبرامكة وبنو سهل بن نو بخت وكافور الاخشيدي وابن ابي
عامر واما مثلهم فغير نكثير الامساع بآبائهم والاشارة الى احوالهم لا تنظامهم في عداد الملوك (ولنذكر هنا
فائدة نختم كلامنا في هذا الفصل بها وهي ان التاريخ انما هو ذكر الاخبار الخاصة بعصر او جيل (فالما)
ذكر الاحوال العامة للآفاق والاجيال والاعصار فهو أس للتؤرخ تنبني عليها اكثر مقاصده وتبين به
اخباره وقد كان الناس يقدرونه بالتأليف كما فعله المسعودي في كتابه عروج الذهب شرح فيه احوال الامم
والآفاق لعهد في عصر الثلاثين والثمانمائة غر باوشرقا وذكر نحلهم وعوائدهم ووصف البلدان والجمال
والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصارا اماما للتؤرخين يرجعون اليه واصلا يعولون
في تحقيق الكثير من اخبارهم عليه ثم جاء البكري من بعده ففعل مثل ذلك في المسالك والممالك خاصة
دون غيرهما من الاحوال لان الامم والاجيال لعهد لم يقع فيها كثير انتقال ولا عظيم تغير واما لهذا العهد وهو
آخر المائة الثامنة فقد انقلبت احوال المغرب الذي نحن شاهده وتبدلت بالجملة واعراض من احوال
البربر اهل على القدم من طرفه من لدن المائة الخامسة من احوال العرب بما كسر وهم وغلبوهم
وانتزعوا منهم عامة الاوطان وشاركوهم فيما بقي من البلدان للمكهم هذا الى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في
منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الامم وذهب باهل الجبل وطوى كثير من
محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وقل من
حدها واوهن من سلطانها وتداعت الى التلاشي والاضمحلال احوالها وانتقص عمران الارض بانتقاص
المشرق فخر بت الامصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخذت الديار والمنازل وضعت الدول والقبائل
وتبدل الساكن وكاف في المشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبه ومقدار عمرانه وكاف انما نادى
لسان الكون في العالم بالتحول والانتقاص فيبادر بالاجابة والله وارث الارض ومن عاينها واذا تبدلت

قد حجب الى الصديقين انا راكب فرسا وكابي مبي واثر ارتبنا او نعلبا فخر كت فرسي في سمعت
فداه من ورائي يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا امرت فوقف انتظر يمتد ويسر قلم ارا حاد فقلت في نفسي لعن الله الشيطان ثم حركت

الاحوال

فرسي فسمعت نداء اقوى من الاول يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا لهذا امرت فوفقت مقشعرا انظر بمنة و يسرة فلم ارشياً فقلت لعن الله ابليس ثم حركت فرسي فسمعت من قربوس سرجي يا ابراهيم ليس لهذا خلقت (٢١) ولا لهذا امرت فوفقت وقالت ميهات

جاءني النذير من رب العالمين والله لاعصيت ربي ما عصني به يدومي هذا فتوجهت الى اهلي و خلقت فرسي و حثت الى بعض رعاها ابني فأخذت حبسه وكساهه و التقت اليه ثيابي فلم ازل ارض تقلى و ارض تضني حتى صرت الى العراق فعمات بها اياما فلم يصف لي شيء من الخلال فسالت بعض المشايخ عن الخلال فقال عليك بالشام قال فانصرفت الى مدينة يقال لها المنصورة وهي المصيبة فعمات بها اياما فلم يصف لي شيء من الخلال فسالت بعض المشايخ فقال ان اردت الخلال فعليك بطرسوس فان المباحات بها والعمل كثير قال فيينا اناقاعد على باب البحر اذ جاءني رجل فاكراني انظر له بسنانا فتوجهت معه فكننت في البستان اياما كثيرة فاذا انا بخادم قد اظلم و معه اصحاب له ولو علمت ان البستان لخادم ما نظرته ففعدت في مجلسه ثم قال باناطور فاجبته قال فاذهب فاتنا يا كبر رمان تقدر عليه و ايامية فأتته برمان فأخذ الخادم رمانة فكسرها فوجهدها حاضة فقال

الاحوال جملة قسما تبدل الخلق من أصله وتحول العالم باسمه وكانه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث فاحتاج لهذا العهد من يدون أحوال الخليفة والأتفاق وأجاليها والحوادث والنحل التي تبدلت لاهلها وبقوام ملك المسعودي لعصره ليكون أصلا يقتدى به من يأتي من المؤرخين من بعده (وأنا ذكر في كتابي) هذا ما أمكنني منه في هذا القطر المغربي اما صريحاً او مندرجاً في أخباره وتلويحاً باختصاص قصدي في التأليف بالمغرب وأحوال اجياله واهله وذكوره وذكوره دون مساواه من الاقطار لعدم اطلاعي على احوال المشرق واهله وان الاخبار المتناقلة لا توفي كنه ما يريد منه والمسعودي انما استوفى ذلك له بدرجته وتقلبه في البلاد كما ذكر في كتابه مع انه لما ذكر المغرب قصر في استيفاء احواله ووفوق كل ذي علم عليم ومرد العلم كله الى الله والبشر عاجز قاصر والاعتراف متعين واجب ومن كان الله في عونته تسرت عليه المذاهب وانجحت له المساعي والمطالب (ونحن) آخذون بعون الله فيما رماناه من أغراض التأليف والله المسدد والمعين وعليه التكلان (وقد) بقي علينا ان نقدم مقدمة في كيفية وضع الحروف التي ليست من لغات العرب اذا عرضت في كتابنا هذا (اعلم) ان الحروف في النطق كما يأتي شرحه بعده في كيفية الاصوات الخارجة من الحنجرة تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهايات وأطراف اللسان مع الحركات والمخارج والاضراس او بقرع الشفتين أيضاً فتتغير كيفية الاصوات بتغير ذلك القرع وتبني الحروف متميزة في السمع وتتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضمائر وليست الامم كلها متساوية في النطق بتلك الحروف فقد يكون لامة من الحروف ما ليس لامة أخرى والحروف التي نطقت بها العرب هي ثمانية وعشرون حرفاً كما عرفت ونجد للعبرانيين حروفاً ليست في لغتنا وفي لغتنا أيضاً حروف ليست في لغتهم وكذلك الافرنج والتركي والبربر وغير هؤلاء من العجم ثم ان أهل السكاب من العرب اصطلحوا في الدلالة على حروفهم السبعة باوضاع حروف مكتوبة مميزة باشخاصها كوضع الف وباء وجم وراء وطاء الى آخر الثمانية والعشرين واذا عرض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقي مهملاً عن الدلالة السكابية مغفلاً عن البيان وربما رسمه بعض السكاب بشكل الحرف الذي يليه من لغتنا قبله او بعده وليس ذلك بكافي في الدلالة بل هو تغيير للحرف من أصله (ولما) كان كتابنا مشتملاً على اخبار البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا في أسمائهم او بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابنا ولا اصطلاح أوضاعنا اضطررنا الى بيانه ولم نكتف برسم الحرف الذي يليه كما قلنا لانه عندنا غير وافي بالدلالة عليه فاصطلحت في كتابي هذا على ان أضع ذلك الحرف العجمي بما يدل على الحرفين اللذين يكنتانه لتوسطه القارئ بالنطق به بين مخارجي ذينك الحرفين فتحصل تأديته وانما اقتبست ذلك من رسم أهل المكف حروف الاشياء كالصراط في قراءة تخالف فان النطق بصاده فيها معجم متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسموا في داخلها شكل الزاي ودل ذلك عندهم على التوسط بين الحرفين فكذلك رسمت انا كل حرف يتوسط بين حرفين من حروفنا كالسكاف المتوسط عند البربر بين السكاف الصريحة عندنا والجيم او القاف مثل اسم بلبيس فأضعتها كفا وانقطها بنقطة الجيم واحدة من أسفل او بنقطة القاف واحدة من فوق او ثنتين فيدل ذلك على انه متوسط بين السكاف والجيم والقاف وهذا الحرف أكثر ما يجي في لغة البربر وما جاءه من غيره فعلى هذا القياس أضع الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا بالحرفين مع العلم القارئ انه متوسط فينطق به كذلك فيكون قد دللنا عليه ولو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانبه لكان قد صرفناه من مخارجنا الى مخارج الحرف الذي من لغتنا وغيرنا لغة القوم فاعلم ذلك والله الموفق للصواب

باناطور وما هذا منذ كذا وكذا في بسنانا تأكل من فاكهتنا وورماننا لا تعرف الحلو من الحامض قلت والله ما كنت من فاكهتنا شيئاً وما أعرف الحلو من الحامض قال فغمز الخادم أصحابه وقال ألا تجبون من هذا ثم قال لي لو كنت ابراهيم بن آدم ما زاد على هذا فلما كان من

التحدث الناس في المسجد بالصلاة فجاء الناس عنقاً الى البستان فلما رأيت كثرة الناس اخفيت والناس داخلون وانا هارب منهم وكان ابراهيم بن ادهم يأكل من عمل يده (٢٢) مثل الحصاد وحفظ البساتين والعمل في الطين وكان يوماً يحفظ كراماً به جندى فقال

بمنه وفضله

(الكذب الاول في طبيعة العمران في الحقيقة وما يعرض فيها من البدو والمخضر والتغلب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلال والاسباب)

(اعلم) انه لما كانت حقيقة التاريخ انه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات واصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتجها البشر باعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الاحوال (ولما كان) الكذب متطرقاً للخبر بطبيعته وله اسباب تقتضيه فمنها التشبيعات للاراء والمذاهب فان النفس اذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر اعطته حقه من التعميص والنظر حتى تبين صدقه من كذبه واذا خاخرها تشيع لرأى او تحمله قبلت ما يوافقها من الاخبار بالاول وهله وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتعميص فتقع في قبول الكذب ونقله (ومن الاسباب) مقتضية للكذب في الاخبار ايضا الثقة بالناقلين وتعميص ذلك الرجوع الى التعديل والتجريح (ومنها) الذهول عن المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عين او سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتحمينه فيقع في الكذب (ومنها) توهم الصدق وهو كثير وانما يجي في الاكثر من جهة الثقة بالناقلين (ومنها) الجهل بتطبيق الاحوال على الوقائع لاجل ما بداخلها من التلبس والتصنع فينقل الخبر كما رآها وهي بالتصنع على غير الحق في نفسه (ومنها) تقرب الناس في الاكثر لاصحاب التجارة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الاحوال واشاعة ذلك فيسقط فيسقط فيسقط الاخبار بها على غير حقيقة فالنفوس مولعة بحب الثناء والناس متطلعون الى الدنيا واسبابها من جاه او ثروة وليسوا في الاكثر براغمين في القضايل ولا متنافسين في اهلها (ومن الاسباب) المقتضية له ايضا وهي سابقة على جميع ما تقدم الجهل بطبائع الاحوال في العمران فان كل حادث من الحوادث ذاتا كان او فعلا لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من احواله فاذا كان السامع عارفاً بطبائع الحوادث والاحوال في الوجود ومقتضية افعالها اعانه ذلك في تحييص الخبر على تمييز الصدق من الكذب وهذا ابلغ في التعميص من كل وجه يعرض وكثير ما يعرض للسامعين قبول الاخبار المستحيلة وينقلونها او تؤثر عنهم كما نقله المسعودي عن الاسكندر لما صدته دواب البحر عن بناء الاسكندرية وكيف اتخذ تابوت الخشب وفي باطنه صندوق الزجاج وغاص فيه الى قعر البحر حتى كتب صور تلك الدواب الشبهانية التي رآها وعمل تماثيلها من اجساد معدنية ونصبها حذاء البنين فقربت تلك الدواب حين خرجت وعانيتها وتم له بناؤها في حكاية طويلة من احاديث خرافة مستحيلة من قبل اتخاذ التابوت الزجاجي ومصادمة البحر وامواجه بحجره ومن قبل ان الملوك لا تحمل انفسها على مثل هذا الغرر ومن اعتمدهم لم فقد عرض نفسه للاهلكة وانساقض العقدة واجتماع الناس الى غيره وفي ذلك اتلافه ولا ينتظرون به رجوعه من غروره ذلك طرفة عين ومن قبل ان الحن لا يعرف لها صور ولا تماثيل تختص بها انما هي قادرة على التشكل وما يذكر من كثرة الرؤس لها فالتماثيل المراد به البشاعة والتهويل لانه حقيقة (وهذه) كلها فادحة في تلك الحكاية والقادح الخيل لها من طريق الوجود ابين من هذا كما هو وان النفس في المسائل لو كان في الصندوق يضيق عليه الهواء للتنفس الطبيعي وسخن روحه بسرعة تغلبه فيفقد صاحبه الهواء البارد المعدل لمزاج الرئة والروح القلبي ويهلك مكانه وهذا هو

اعطانا من هذا العنب فقال ما امر به صاحبه فاخذ يضربه بالسوط فطأ طأ رأسه وقال اضرب رأسا طامسا عصي الله فالتحيز الرجل ومضى وقال سهل بن ابراهيم صحبت ابراهيم بن ادهم فرضت فاتفق على بقة فاشتهت شهوة فباع حماره واتفق ثمنه على فلما تمأملت قلت يا ابراهيم اين الحمار فقال بهناه فقلت فعلام اركب قال يا اخي على عنق قال فخذني ثلاث منازل رجه الله وانشدوا شعرا

أيها المرء ان دنياك بحر طافح موجه فلانما منها وسيدل النجاة فيها مدين وهو أخذ الكفاف والقوت منها

وبلغني ان بالهند يوماً يخرج الناس فيه الى البرية فلا يبقى في البلد بشر من طين لا شيخ كبير ولا مولود صغير وهذا اليوم يكون بعد انقراض مائة سنة من يوم مثله فاذا اجتمع الخلق في صعد واحد ادى منادى

الملك لا يصعدن هذا الحجر حجر هناك منصوب الا من حضر في الجمع الاول الذي قد خلا من مائة سنة فرمى بما جاء الشيخ الهرم الذي

قد ذهب قوته وعمى بصره وفي شبابه وتجيء العجز وترحف لم يبق منها الا رسمها وقد اخني الدهر عليها فيصعد ان على الحجر السبب الذي هناك ويقول الشيخ حضرت الجمع الاول منذ مائة سنة وانا طفل صغير وكان الملك فلاناً ويصف الجيوش الماضية والامم الخالية

وكيف طعنهم البلى وصاروا تحت اطباق الثرى ويقوم خطيبهم فيعظ الناس ويذكرهم صرعة الموت وحسرة القوت فيسبى القوم ويؤوبون من المظالم ويكثرون الصدقات ويخربون عن التبعات ويصلحون على ذلك مدة (٢٣) وقال وهيب بن منبه صحب رجل من بعض

الربمان سبعة أيام ليستعيد منه شأ فوجه مشغولا عنه بذكر الله تعالى والفكر لا يفتر ثم التفت اليه في اليوم السابع فقال يا هذا قد علمت ماتر يدحب الدنيا رأس كل خطيئة والزهد في الدنيا رأس كل خير والتوفيق نتاج كل خير فاحذر رأس كل خطيئة وارغب في رأس كل خير وتضرع الى ربك ان يهب لك نتاج كل خير قال فكيف اعرف ذلك قال كان جدى رجلا من الحكماء قد شبهه الدنيا بسبعة اشياء فشمها بالماء المسالح يغرو لا يروى ويضرب ولا ينفع وبسحاب الصيف يغرو لا ينفع وبظل الغمام يغرو ويخذل وبزهر الربيع ينضرم ثم يصفر فتراه هشيم او باحلام النائم يرى السرور في منامه فاذا استيقظ لم يكن في يده الا الحسرة وبالعسل المشوب بالسقم الذعاف يغرو ويقتل قد برت هذه الاحرف السبعة سبعين سنة ثم زدت حرفا واحدا فشمها بالغول التي تهلك من اجابها او تترك من اعرض عنها فرايت جدى في المنام وقال يا بنى اشهد انك منى وانامتك هى والله الغول التي تهلك من اجابها وتترك من

السبب في هلاك اهل الجحامات اذا اطاعت عليهم عن الهوا والبارد والمتدين في الآبار والمطامير العجبة المهوى اذا سخن هواؤها بالعبادة ولم يتداخلها الرياح فتخلخلها فان المتدلى فيها يهلك كمينه وهذا السبب يكون موت الحوت اذا فارق البحر فان الهوا لا يكفيه في تعديل رتته اذ هو حار بافراط والماء الذى يعدله بارد والهوا الذى خرج اليه حار فيستولى الحمار على روجه الحيوانى ويهلك دفعة ومنه هلاك المصعوقين وامثال ذلك (ومن الاخبار) المستحيلة مائة له المسعودى ايضا في شمال الزرور الذى برودة تجتمع اليه الزرور في يوم معلوم من السنة حاملة للزيتون ومنه يتخذون زيتهم وانظر ما بعد ذلك عن المجرى الطبيعى في اتخاذ الزيت (ومنها) مائة له البكري في بناء المدينة المسماة ذات الابواب تحيط باكثر من ثلاثين مرحلة وتشم على عشرة آلاف باب والمدن انما اتخذت للتحصن والاعتصام كما يأتى وهذه خرجت عن أن يحاط بها فلا يكون فيها حصن ولا معنصم وكما نقله المسعودى ايضا في حديث مدينة النحاس وانها مدينة كل بناها النحاس بحجارة سجلماسة ظفر بها موسى بن نصير في غزوه الى المغرب وانها مغلقة الابواب وان الصاعد اليها من اسوارها اذا شرف على الحائط صفق ورعى بنفسه فلا يرجع آخر الدهر في حديث مستحيل عادة من خرافات القصاص وصحراء سجلماسة قد نفضها الركب والادلاء ولم يبقوا لهذه المدينة على خير ثم ان هذه الاحوال التى ذكرواعنها كلها مستحيل عادة منافية للامور الطبيعية في بناء المدن واختطاطها وان المعادن غاية الوجود منها ان يصرف في الآنية (١) والمخرنى واما تشيد مدينة منها فكما تراه من الاستحالة والبهود وامثال ذلك كثير وتخصيصها انما هو معرفة طبائع العمران وهو احسن الوجوه او ثقتها في تخصيص الاخبار وتميز صدقها من كذبها وهو سابق على التخصيص بتعديل الرواة ولا يرجع الى تعديل الرواة حتى يعلم ان ذلك الخبر في نفسه ممكن او ممنوع واما اذا كان مستحيلا فلا فائدة للنظر في التعديل والتجريح ولقد عد اهل النظر من المطاعن في الخبر استحالة مدلول اللفظ وتأويله ان يؤول بما لا يقبله العقل وانما كان التعديل والتجريح هو المعتبر في صحة الاخبار الشرعية لان معظمها تكاليف انشائية اوجب الشارع العمل بها حتى حصل الظن بصدقها وسبيل صحة الظن الثقة بالرواة بالعدالة والضبط (واما الاخبار) عن الواقعات فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب ان ينظر في امكان وقوعه وصار فيها ذلك اهم من التعديل ومقدم عليه اذ فائدة الانشاء معتدسة منه فقط وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة واذا كان ذلك فالتانون في تمييز الحق من الباطل في الاخبار بالامكان والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشرى الذى هو العمران وتميز ما لحقه من الاحوال لذاته وبمقتضى طبيعته وما يكون محطضا لا يعتمده وما لا يمكن أن يعرض له واذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونا في تمييز الحق من الباطل في الاخبار والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه وحينئذ فاذا معان شيء من الاحوال الواقعة في العمران علمنا ما حكمه بقوله كما يتزيبه وكان ذلك لنا معيارا صححا يتجرب به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما يتقوله وهذا هو غرض هذا الكتاب الاول من تأليفنا وكان هذا علم مستعمل بنفسه فانه ذو موضوع وهو العمران البشرى والاجتماع الانسانى وذو مسائل وهى بيان ما لحقه من العوارض والاحوال لذاته واحدة بعد اخرى وهذا شأن كل علم من العلوم وضعها كان او عقليا (واعلم) ان الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنع غير باب النزعة عزير القائدة اعثر عليه بالبحث وادى اليه العوض وليس من علم الخطابة الذى هو احد العلوم المنطقية فان موضوع الخطابة انما هو

(١) قوله المخرنى بالضم اثاث البيت اه قاموس

اعرض عنها قات فيأى شيء يكون الزهد في الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر بالعين واليقين بالفكر ثم وقف الراهب وقال خذها منا فلا اراك خلفي الا تبتعدا بفعل دون قول فكان ذلك آخر العهد به (قات) وقد ووصف الله تعالى الدنيا واهلها بصفة اعلم من هذه الصفة فقال

سبحانه اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث عثب الكفار زبانه ثم يخرج فقرا
مصفر اثم يكون حطاما وفي الآخرة (٢٤) عذاب شديد والكفار ههنا لزراع كما ان الزرع يكون في اول نباته اخضر ناعما اهترت

الاقوال المقتضية النافعة في استمالة الجمهور الى رأى او صدهم عنه ولا هو ايضا من علم السياسة المدنية اذ
السياسة المدنية هي تدبير المنزل او المدينة بما يجب بمقتضى الاخلاق والحكمة ليحمل الجمهور على منهاج
يكون فيه حفظ النوع وبقاؤه فقد خالف موضوعه موضوع هذه الفنون اللذين ربما يشبهانه وكانه علم
مستنبط النشأة وله مرى لم اقف على الكلام في منحه لاحد من الخليفة ما ادرى لغفلتهم عن ذلك وليس
الظن بهم اولعلمهم كتبوا في هذا العرض واسم توفوه ولم يصل النفاة لهم كبرية والحكمة في أمم النوع
الانسانى متعددون وما لم يصل اليانام من العلوم أكثر مما وصل فابن علوم الفرس التي امر عمر رضي الله عنه
بمحوها عند الفتح وابن علوم السكندانيين والسرانييين وأهل بابل وما ظهر عليهم من آثارها ونائجها وابن
علوم القبط ومن قبلهم وانما وصل اليانام لومة واحدة وهم يونان خاصة لسكاف المأمون باخراجهم من
لغتهم واقتداره على ذلك بكثرة المترجمين وبذل الاموال فيها ولم تقف على شيء من علوم غيرهم واذا كانت
كل حقيقة متعلقة طبيعية يصلح أن يبحث عما يعرض لها من العوارض لذاتها ووجب أن يكون باعتبار
كل مفهوم وحقيقة علم من العلوم يختصه لكن الحكام لعلمهم انما لاحظوا في ذلك العناية بالثمرات وهذا
انما أثره في الاخبار فقط كما رأيت وان كانت مسائله في ذاتها وفي اختصاصها شريفة لكن ثمرته تخرج
الاخبار وهي ضعيفة فلها هجره والله أعلم وما أوتيتم من العلم الا قليلا (وهذا الفن) الذي لاحظنا النظر
فيه نحن دمنه مسائل تجرى بالعرض لاهل العلوم في ابراهيم علومهم وهي من جنس مسائله بالموضوع
والطلب مثل ما يذكره الحكام والعلماء في اثبات النبوة من ان البشر متعاونون في وجودهم فيحتاجون
فيه الى الحكيم والوازع ومثل ما يذكر في أصول الفقه في باب اثبات اللغات أن الناس محتاجون الى العبارة
عن المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع وتبيان العبارات أخف ومثل ما يذكره الفقهاء في تعديل الاحكام
الشرعية بالمقاصد في ان الزنا مخاطب للانساب مفسد للنوع وان القتل ايضا مفسد للنوع وان الظلم مؤذن
بخراب العمران المفضى لقساد النوع وغير ذلك من سائر المقاصد الشرعية في الاحكام فانها كلها مبنية
على المحافظة على العمران فكان لها النظر فيما يعرض له وهو ظاهر من كلامنا في هذه المسائل
الممثلة (وكذلك) ايضا قيم المينا القليل من مسائله في كلمات متفرقة للحكام الخليفة لكنهم لم يستوفوه
(فن كلام) الموبدان بهرام بن بهرام في حكاية اليوم التي نقلها المسعودى أيها الملك ان الملك لا يتم عزه
الا بالشرعية والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره ونهييه ولا قوام للشرعية الا بالملك ولا عز للملك الا
بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل
الميزان المنصوب بين الخليفة ونصبه الرب وجعل له قباؤه والملك (ومن كلام أنوشروان) في هذا المعنى
بعينه الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخزاج والخزاج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل بالصلاح
العمال واصلاح العمال بابساقمة الوزراء ورأس الكل بافقداد الملك حال رعيته بنفسه واقتداره على
تأديها حتى يملكها ولا تملكه (وفي السكاب) المنسوب لارسطو في السياسة المنداول بين الناس جزء
صالح منه الا أنه غير مستوفى ولا معطى حقه من البراميين ومختلط بغيره وقد أشار في ذلك السكاب الى هذه
الكلمات التي نقلناها عن الموبدان وأنوشروان وجعلها في الدائرة القريبة التي أعظم القول فيها وهو
قوله العالم بستان ساجه الدولة الدولة سلطان تحيا به السنة السنة سياسة يسوسها الملك الملك نظام
بعضه الجند الجند اعوان يكفلهم المال المال رزق تجمعه الرعية الرعية عبيد يكفهم العدل العدل
مالوف وبه قوام العالم العالم بستان ثم ترجع الى اول الكلام فهذه ثمان كلمات حكومية سياسية ارتبط

الارض به بعد يدسها
بغات في العيون كالمخ
ما يكون ثم يخرج فقرا
مصفر اى يكبر ويستوى
فيحرق ويحترق ويتكسر
اعلاه ويستقل بسنبله
ثم يداس فيكون حطاما
اى تبنا متكسرا متقطعا
وهذا مثل ضربه الله لى
آدم اذ كانوا اطفالا اول
الولادة وفي حال الطفولية
كاحسن مرأى يحبون
الآباء ويفتون ذوى
الاحلام والنهى ثم يكبرون
فيصرون شيوا منكرة
رؤسهم مقوسة ظهورهم
قد ذهب حسنهم ونعمتهم
وفى شبابهم وجاهلهم
وذوت غضارتهم وفضارتهم
واستولى عليهم الهرم
والشيب ثم يموتون
فيصرون حطاما في القبور
كالطين في الحر يق هذا
بعد ما وصفتها بخمس
صفات مذمومة لعب ولهو
وزينة وتفاخر وتكاثر
وكان الصدر الاول يسمى
الدينه اختيرة ولو وجدوا
اسما اقبج منه لمسوها به
وكانوا يسمونها ام ذفر
والذفر النتن وقال مالك بن
أنس بلغنى ان ملكا من
ملوك بني اسرائيل ركب
يوم ما في زى عظيم فنشرت

له الناس ينظرون اليه أفواجا حتى مر رجل يعمل شيئا بكاعليه لم يلتفت اليه ولا رفع رأسه اليه فوقف الملك بعضها
عليه وقال كل الناس ينظرون الى الأنت فقال الرجل انى رأيت ملكا مثلك وكان على هذه القرية فسات هو ومسكين فذفن الى جنبه

في يوم واحد وكان يعرفها في الدنيا باجسادهم ما ثم كنا نعرفهم ما بقبريهم ما ثم نسفت الريح قبريهم ما وكشفت عنهم ما فاختلطت عظامهما فلم اعرف الملك من المسكين فلذلك اقبلت على علي وتزكت النظر اليك وروى ان داود (٢٥) عليه السلام بيناهو يسبح في الجبال

اذ فاقى على غار فاذا فيه رجل
عظيم الخلق من بني آدم
واذ اعند راسه حجر مكتوب
بكتاب محفور فيه انا رستم
الملك ملكت الف عام
وفتحت الف مدينة
وهزمت الف جيش
واقترعت الف بكر من
بنات الملوك ثم صرت الى
ماترى فصارت التراب فراشي
والحجارة وسادي فن راى
فلا تقره الدنيا كما قرنتي
وقال وهب بن منبه خرج
عيسى بن مريم عليه السلام
ذات يوم مع جماعة من
اصحابه فلما ارتفع النهار
مروا بزرع قدام كن من
القرنك فقالوا يا نبي الله انا
جياع فأوحى الله اليه ان
اخذن لهم في اقواتهم فاذن
لهم ففتفرقوا في الزرع
يفركون ويا كاون
فبيناهم كذلك اذ جاء
صاحب الزرع وهو يقول
زرعى وارضى وورثته عن
آبائي باذن من تأكلون
يا هؤلاء قال فدعا عيسى
ربه فبعث الله تعالى جميع
من ملك تلك الارض من
لدى آدم الى ساعته فاذا
عند كل سنة له او ماشاء الله
رجل او امرأة كلهم ينادون
زرعى وارضى وورثته عن
آبائي ففرع الرجل منهم
وكان قد بلغه امر عيسى

بعضها به بعض وارتدت اعجازها على صدورهما واتصلت في دائرة لا يتعين طرفها نافر بعنودها عليها وعظام من
فواندها وانما اذا تأملت كلامنا في فصل الدول والملك واعطيته حقه من التصفح والتفهم عثرت في اثنا ثلثه
على تفسير هذه الكلمات وتفصيل اجسامها مستوفى في بيانها وعب بيان ووضح دليل وبرهان اطعننا الله
عليه من غير تعليم اوسط ولا افادة مؤبذان وكذلك تجرد في كلام ابن المقفع وما يستطرد في رسالته من
ذكر السياسات الكثير في مسائل كتابنا هذا غير مبرهنة كما برهنا انما يحل في الذكر على منحنى الخطاب في
اسلوب الترسل وبلاغة الكلام وكذلك حوم القاضي ابو بكر الطرطوشي في كتاب سراج الملوك وبوبه
على ابواب تقرب من ابواب كتابنا هذا ومساائله لكنه لم يصادف فيه الرمية ولا اصاب الشاكلة ولا استوفى
المسائل ولا اوضح الادلة انما يبوب الباب للمسائلة ثم يستكثر من الاحاديث والاثر وينقل كلمات
متفرقة كحكاية الفرس مثل بزرجهرو والملو بذان وحكاية الهند والموثور عن دانيال وهرمس وغيرهم من
اكابر الخليفة ولا يكشف عن التحقيق فتناعوا ولا يرفع بالبراهين الطبيعية مجابا انما هو نقل وترغيب شبيه
بالمواعظ وكانه حوم على الغرض ولم يصادف ولا يتحقق قصده ولا استوفى مسائله ونحن انما الله الى ذلك
المسائل ما اعثرنا على علم جعلنا بين بكره وجهينة خبره فان كنت قد استوفيت مسائله وميزت عن سائر
الصنائع انظاره وانحاهه فتوفيق من الله وهداية وان فاتني شيء في احصائه واشتهت بتغيره مسائله فلما انظر
المحقق اصله والاحكام والفضل لاني نهجت له السيد ل واوضحته له الطريق والله يهدي به من يشاء
(ونحن) الان نبين في هذا الكتاب ما يعرض للنشر في اجتماعهم من احوال العمران في الملك والكسب
والعلوم والصنائع بوجوده برهانية يتضح بها التحقيق في معارف الخاصة والعامه وتدفع بها الاوهام وترفع
الشكوك (ونقول) لما كان الانسان متميزا عن سائر الحيوانات بخواص اختصاصها بالعلوم والصنائع
التي هي نتيجة الفكر الذي تميز به عن الحيوانات وشرف بوصفه على المخلوقات ومنها الحاجة الى الحكم
الوازع والسلطان القاهر اذ لا يمكن وجوده دون ذلك من بين الحيوانات كلها الا ما يقال عن النحل والجراد
وهذه وان كان لها مثل ذلك فبظرف الهامى لا يفكر وروية ومنها السعي في المعاش والاعتمال في تحصيله
من وجوده واكتساب اسبابه لما جعل الله فيه من الافتقار الى الغذاء في حياته وبقائه وهداية الى التماسه
وطلبه قال تعالى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ومنها العمران وهو التنازل في مصر او حلة
للانسان بالعشير واقضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش كما سنبينه ومن هذا العمران
ما يكون بدويا وهو الذي يكون في الضواحي وفي الجبال وفي الحلال المتجمعة في القفار واطراف الرمال ومنه
ما يكون حضريا وهو الذي بالامصار والقرى والمدن والمدائر للاعتصام بها والتحسن بجدرائها وله في كل
هذه الاحوال امور تعرض من حيث الاجتماع عروضا ذاتها له فلا جرم انحصر الكلام في هذا الكتاب
في ستة فصول (الاول) في العمران البشري على الجملة واصنافه وقسطه من الارض (والثاني) في العمران
البدوي وذكر القبائل والامم الوحشية (والثالث) في الدول والخلافة والملوك وذكر المراتب السلطانية
(الرابع) في العمران الحضري والبلدان والامصار (والخامس) في الصنائع والمعاش والكسب
ووجوده (والسادس) في العلوم واكتسابها وتعلمها (وقد قدمت العمران البدوي لانه سابق على
جميعها كما نبين لك بعد وكذا تقدمت الملك على البلدان والامصار واما تقديم المعاش فلان المعاش ضروري
طبيعي وتعلم العلم كمالى او حاجى والطبيعى اقدم من الكمالى وجعلت الصنائع مع الكسب لانها منه بعض
الوجود ومن حيث العمران كما نبين لك بعد والله الموفق للصواب والمعين عليه

(٤ - ابن خلدون) عليه السلام وهو لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة الملك يا رسول الله اني لم اعرفك زرعى ومالى لك حلال فيكى عيسى
عليه السلام وقال ويحك هؤلاء كلهم قد دوروا هذه الارض وعمروها ثم ارتحلوا عنها وانما تجمل عنها بهم لاحق ليس لك ارض ولا مال

وقال ابو العنامة وعظمتك أحداث صمت * ونعمتك أزمنة خفت
وارتك قبرك في القبور * روات حتى لم تمت (٢٦) يا شامتا بمنيتي * ان المنية لم تمت ولربما انقلب السما *ت فخل بالقوم الثمتمت
وتكلمت عن أوجه * تبلى وعن صور سبت

(الفصل الاول من السكاب الاول في العمران البشرى على الجملة وفيه مقدمات)

(الاولى) في ان الاجتماع الانساني ضروري ويعبر الح-كماء عن هذا بقولهم الانسان مدني بالطبع اي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران وبيانه ان الله سبحانه خلق الانسان وركبه على صورة لا يصح حياتها او بقاؤها الا بالغاذا وهداها الى التماسه بقطرته وبمسار كيب فيه من القدرة على تحصيله الا ان قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه ولو فرضنا منه اقل مما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلا فلا يحصل الا بعلاج كثير من الطحن والخبز والطبخ وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة يحتاج الى مواين وآلات لانتم الابصناعات متعدده من حداد ونجار وفاخوري هب أنه يأكله جبان غير علاج فهو أيضا يحتاج في تحصيله أيضا جبا الى اعمال اخرى أكثر من هذه من الزراعة والمحصاد والدراس الذي يخرج الحب من غلاف السنبيل ويحتاج كل واحد من هذه الى آلات متعدده وصناعات كثيرة أكثر من الاولى بكثير ويستحيل ان توفي بذلك كله او ببعضه قدرة الواحد فلا بد من اجتماع القدر والكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحسن بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لا أكثر منهم باضعا فوكذلك يحتاج كل واحد منهم ايضا في الدفاع عن نفسه الى الاستعانة بأبناء جنسه لان الله سبحانه لمسار كيب الطباع في الحيوانات كلها وقسم القدر بينها جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة اكل من حظ الانسان فقدره الفرس مثلا اعظم بكثير من قدرة الانسان وكذا قدرة الحمار والنور و قدرة الاسد والذئب اضعاف من قدرته ولما كان العدوان طبيعيا في الحيوان جعل لكل واحد منها عضو يختص بدفاعته ما يصل اليه من عادية غيره وجعل الانسان عوضا من ذلك كله الفكر واليدفالية مهيئة للصناعات بخدمة الفكر والصناعات تحصل له الآلات التي تنوب له عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات للدفاع مثل الرماح التي تنوب عن القرون الناطحة والسيوف النابتة عن الخنايب الحارقة والتراس النابتة عن البشرات الحاسية الى غير ذلك مما ذكره جالينوس في كتاب منافع الاعضاء فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته واحد من الحيوانات العجم سيما المقترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تقي قدرته ايضا باسعمال الآلات المعدة للدفاع لكثرتها وكثرة الصناعات والمواين المعدة لها فلا بد في ذلك كله من التعاون عليه بأبناء جنسه وهو ما يمكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذا ولا تتم حياته لمسار كيبه الله تعالى عليه من الحاجة الى الغذاء في حياته ولا يحصل له أيضا دفاع عن نفسه لفقدان السلاح فيكون فرسة للحيوانات ويواجه الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر واذا كان التعاون حصل له القوة للغذاء والسلاح للدفاع وتمت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه فاذن هذا الاجتماع ضروري للنوع الانساني والام يكمل وجودهم وما أراد الله من اعتمار العالم بهم واستتلافها يا هم وهه-ذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعا لهذا العلم وفي هذا الكلام نوع اثبات للموضوع في نفسه الذي هو موضوع له وهذا وان لم يكن واجبا على صاحب الفن لما تقرر في الصناعة المنطقية أنه ليس على صاحب علم اثبات الموضوع في ذلك العلم فليس أيضا من المنوعات عندهم فيكون اثباته من التبرعات والله الموفق بقضائه ثم ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كما قرناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لانها موجودة بحجهم فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور

وروي ان علي بن ابي طالب رضى الله عنه لما رأى فاطمة رضى الله عنها مسجحة بثوبها بكى حتى رثى له ثم قال لكل اجتماع من خليلين فرقة وان الذي دون الممات قليل أرى علل الدنيا على كثيرة وصاحبها حتى الممات قليل وان افتقادي واحد بعد واحد دليل على ان لا يدوم خليل *(وقال)*
الاية الموت الذي ليس تاركى
أرخصي فقد افنت كل خليل اراك بصيرا بالذين أحبهم كانك نخو ونجوهم بدليل ولما تقض يديه من ترابها تمثل بقول بعض بني أمية اقول وقد فاضت دموعي حسرة
ارى الارض تبقى والاخلاء تذهب
اخلاى لو غير الحمام أصابكم صبت ولكن ماء على الموت معتب *(وقال العتاني)*
قلت للفرقدين والليل ملق سودا كنافه على الآفاق ابقيا ما بقيتما فسيرى بين شخصيه كما بسهم الفراق غر من ظن أن يقوت المنايا وعراها فلانئذ الاعناق كم صغين متعا با اجتماع * ثم صار الغربة واقتراق لا يدوم البقاء للخلق لكن دوام البقاء للخلق
وانشدني بعض الأدباء اسعداني يا نختى حلوان * وارثيالي من ريب هذا الزمان واعمرى لو ذقت احرق الفرة قة ابكا كما الذي ابكاني جميع

جميع
وانشدني بعض الأدباء اسعداني يا نختى حلوان * وارثيالي من ريب هذا الزمان واعمرى لو ذقت احرق الفرة قة ابكا كما الذي ابكاني

واعلم ان بقية ما ان نحسا * سوف ياتيكم فتنقران * وما سافر الرشيد الى طوس وعك في طريقه من حراسه فقال له الطبيب لا يريك الاجار النخل وكان تزوله قر يمان هاتين النخلتين فامر بقطع جارا حدى النخلتين (٢٧) فلما مثل بين يديه انشده بعض

الجمساء هذه الايات لبعض الشعراء في هاتين النخلتين فقال الرشيد لوسمعتهما ما امرت بقطعهم ما وما مات الاسد كنتد قال ارسطاطاليس ايها الملك لقد حررت كتابا يكونك وقال بعض الحكماء من اصحابه كان الملك امس انطق منه اليوم وهو اليوم او عظم منه امس فنظمه ابو العتاهية فقال
كفي حزنا بدفك ثم انى
نقضت تراب قبرك من يديا
وكانت من حياتك لى
عظا

جميع الحيوانات عن مداركهم والهامة منهم فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل احد الى غير بعدوان وهذا هو معنى الملك وقد تبين لك بهذا انه خاصة للانسان طبيعية ولا بد لهم منها وقد يوجد في بعض الحيوانات العجم على ما ذكره الحكماء كفى النحل والحمار وما استقرى فيها من الحكم والانتقاد والاتباع لرئيس من اشخاصها متميز عنهم في خلقه وجماله الان ذلك موجود لا غير الانسان بمعنى الفطرة والهداية لا بمعنى الفكرة والسباسة اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وتزيد الفلاسفة على هذا البرهان ان هذا البرهان الى غاية وهو انه لا بد للبشر من الحكم الوازع ثم يقولون بعد ذلك وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند الله يأتى به واحد من البشر وأنه لا بد ان يكون متميزا عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليقع التسليم له والقبول منه حتى يتم الحكم فيهم وعليهم من غير انكار ولا تزيف وهذه القضية للحكماء غير برهانية كما تراها اذ الوجود وحياة البشر قد تتم من دون ذلك بما يفرضه الحما كنفسه او بالعصبة التي يتدربها على قهرهم ووجدهم على جادته فاهل الكفا والمتبعون للانبياء قبلون بالنسبة الى الجوس الذين ليس لهم كتاب فانهم اكثر اهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدول والا تار فضلا عن الحياة وكذلك هي لهم لهذا العهد في الاقاليم المنخرقة في الشمال والجنوب بخلاف حياة البشر فوضي دون وازع لهم البتة فانه يتمتع وبهذا يتمين لك غلطهم في وجوب النبوات وأنه ليس بعقلى وانما مدركه الشرع كما ومذهب السلف من الامة والله ولى التوفيق والهداية

(المقدمة الثانية)

(في قسط العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه من الاشجار والانهار والاقاليم)

(اعلم) انه قد تبين في كتب الحكماء الناظرين في احوال العالم ان شكل الارض كرى وانها محفوفة بعنصر الماء كانها عنبه طافية عليه فانحصر الماء عن بعض جوانبها اراد الله من تكوينا الحيوانات فيها وعمراتها بالنوع البشرى الذى له الخلاق على سايرها وقديته وهو من ذلك ان الماء تحت الارض وليس بصحيح وانما تحت الطبيعى قلب الارض ووسط كرتها الذى هو مركزها والكل يطلبه بما فيه من الثقل وما عدا ذلك من جوانبها واما الماء المحيط بها فهو فوق الارض وان قيل فى شئ منها انه تحت الارض فبالاضافة الى جهة اخرى منه واما الذى انحصر عنه الماء من الارض فهو النصف من سطح كرتها فى شكل دائرة احاط العنصر المائى بها من جميع جهاتها ببحر يسمى البحر المحيط ويسمى ايضا بالبلايه بنفخيم اللام الثانية ويسمى اوقيانوس اسماء اعجمية ويقال له البحر الاخضر والاسود ثم ان هذا المنكشف من الارض للعمران فيه القفار والحلاء اكثر من عمرانه والحالى من جهة الجنوب منه اكثر من جهة الشمال وانما المعمور منه قطعة اميل الى الجانب الشمالى على شكل مسطح كرى ينتهى من جهة الجنوب الى خط الاستواء ومن جهة الشمال الى خط كرى ووراءه الجبال الفاصلة بينه وبين الماء العنصرى الذى بينهما سد ياجوج وما جوج وهذه الجبال مائلة الى جهة المشرق وينتهى من المشرق والمغرب الى عنصر الماء ايضا بطعنين من الدائرة المحيطة وهذا المنكشف من الارض قالوا هو مقدار النصف من الكرة أو اقل والمعمر ومنه مقدار ربعه وهو المنقسم بالاقاليم السبعة وخط الاستواء يقسم الارض بنصفين من المغرب الى المشرق وهو موطن الارض واكثر خط فى كرتها كما ان منطقة فلك البروج ودائرة معدل النهارا كبر خط فى القلث ومنطقة البروج منقمة بثلاثمائة وستين درجة والدرجة من مسافة الارض خمسة وعشرون

فانت اليوم او عظم منك حيا
ووجه دمك نوبى على قبر
قهرنا من قهرنا فصرنا
للناظرين عبرة (وقال
عبد الله بن المعتز)
نسير الى الاجال فى كل ساعة
وايامنا تطوى وهن مراحل
ولم ارمثل الموت حقا كانه
اذا ماتت خطته الامانى باطل
وما اقبع التفريط فى زمن
الصبا
فكيف به والشيب فى
الراس شاعل
ترحل من الدنيا بزا من
التقى
فعمرك ايام تعد قلائل
ولما دخل ابو الدرداء الشام
قال يا اهل الشام اسمعوا

قول اخ لكم ناصح فاجتمعوا عليه فقال مالى اواكم تبون ما لا تسكنون وتبجعون ما لا تاكلون ان الذين كانوا قبلا كمنوا شديدا واملوا بعيدا وجعوا كثيرا فصبح املهم غرورا وجعهم بورا ومساكنهم قبورا وروى الجافظ قال وجدته مكتوبا فى حجر ابن آدم لوراديت يسير

فما بقي من أجلك لزمه مدت في طول ما ترجو من أمك ولزغبت في الزيادة من عملك ولقصرت عن حرصك وحملك وانما يلقاك عند انكسارك
لو قد زلت بك قدمك وأسلك اهلك (٢٨) وحملك وتبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا أنت في عملك زائد ولا الى أهلك

فرضنا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع في ثلاثة أميال لان الميل اربعة آلاف ذراع والذراع اربعة وعشرون
أصبعاً والاصبع ست حبات شعير مصفوفة ماصق بعضها الى بعض ظهر البطن و بين دائرة معدل النهار
التي تقسم القلک بنصفين وتسامت خط الاستواء من الارض و بين كل واحد من القطبين تسعون درجة
لكن العمارة في الجهة الشمالية من خط الاستواء اربع وستون درجة والباقي منها خلا لاعمارة فيه
لشدة البرد والجود كما كانت الجهة الجنوبية خلاء كلها لشدة الحر كما نبين ذلك كله ان شاء الله تعالى ثم ان
الخبرين عن هذا المعمور وحدوده وما فيه من الامصار والمدن والجبال والبحار والانهار والقفار والرمال
مثل بطليموس في كتاب الجغرافيا و احب كتاب زجارج من بعده فمما هذا المعمور بسبعة اقسام يسونها
الاقليم السبعة محدود وهمية بين المشرق والمغرب متساوية في العرض مختلفة في الطول فالاقليم الاول
أطول مما بعده وكذا الثاني الى آخرها فيكون السابع أقصر مما اقتضاه وضع الدائرة لاشته من انحسار الماء
عن كرة الارض وكل واحد من هذه الاقاليم عندهم منقسم بعشرة اجزاء من المغرب الى المشرق على التوالي
وفي كل جزء الخبر عن احواله واحوال عمرانه (وذكروا) ان هذا البحر المحيط يخرج منه من جهة المغرب في
الاقليم الرابع البحر الرومي المعروف بسدأ في خليج متضيق في عرض اثني عشر ميلاً ونحوها ما بين طنجة
وطريف ويسمى الزقاق ثم يذهب مشرقاً وينفتح الى عرض ستمائة ميل ونهايته في آخر الجزء الرابع من
الاقليم الرابع على ألف فرسخ ومائة وستين فرسخاً من مبدئه وعليه هنالك سواحل الشام وعليه من جهة
الجنوب سواحل المغرب وأوطاس طنجة عند الخايج ثم افر بنية ثم برقة الى الاسكندرية ومن جهة الشمال
سواحل القسطنطينية عند الخايج ثم البنادقة ثم رومة ثم الافرنجة ثم الاندلس الى طريف عند الزقاق قبالة
طنجة ويسمى هذا البحر الرومي والشامي وفيه جزر كثيرة عامرة كبار مثل اقريطش وقبرص وصقلية وميورقة
وسردانية ودانية (قالوا) ويخرج منه في جهة الشمال بحران آخران من خليج بين أحدهما مسامت
للقسطنطينية يبدأ من هذا البحر متضيقاً في عرض رمية السهم ويمر ثلاثة بحار فيمتصل بالقسطنطينية
ثم ينفتح في عرض اربعة أميال ويمر في جريه ستين ميلاً ويسمى خليج القسطنطينية ثم يخرج من فوهة
عرضها ستة أميال فيمجد بحريطش وهو بحر ينحرف من هنالك في مذهبه الى ناحية الشرق فيمر بارض
هريقية وينتهي الى بلاد الخزر رية على ألف وثلاثمائة ميل من فوهته وعليه من الجانبين أهم من الروم
والترك وبرجان والروس والبحر الثاني من خليج هذا البحر الرومي وهو بحر البنادقة يخرج من بلاد الروم على
سمت الشمال فاذا انتهى الى سميت الجبل انحرف في سمت المغرب الى بلاد البنادقة وينتهي الى بلاد انكلابية
على ألف ومائة ميل من مبدئه وعلى حافته من البنادقة والروم وغيرهم أمم ويسمى خليج البنادقة
(قالوا) وينساح من هذا البحر المحيط أيضاً من الشرق على ثلاث عشرة درجة في الشمال من خط الاستواء
بحر عظيم متسع يمر الى الجنوب قليلاً حتى ينتهي الى الاقليم الاول ثم يمر فيه مغرباً الى ان ينتهي في الجزء
الخامس منه الى بلاد الحبشة والزينج والى بلاد باب المندب منه على اربعة آلاف فرسخ ووجهه مائة فرسخ من
مبدئه ويسمى البحر الصيني والهندي والحبشي وعليه من جهة الجنوب بلاد الزنج وبلاد البر التي ذكرها
امرؤ القيس في شعره وليسوا من البربر الذين هم قبائل المغرب ثم بدمقدش ثم بلدسقالة وارض الواق واق
وأهم أخريش بعدهم الاقفار والخلع وعليه من جهة الشمال الصين من عند مبدئه ثم الهند ثم الهند ثم
سواحل اليمن من الاحقاف وزيد وغير هاتم بلاد الزنج عند نهايته وبعدهم الحبشة (قالوا) ويخرج من
هذا البحر الحبشي بحران آخران (أحدهما) يخرج من نهايته عند باب المندب فيسندام تضيقاً ثم يمر

عائد وقال مالك بن أنس
بلغني ان امرأتين اتتا عيسى
عليه السلام فقالتا يا روح
الله ادع الله لنا ان يخرج
لنا ابناً فانه هلك ونحن
غائبتان عنه قال تعرفان
قبره فقالتا نعم فذهب
معهم فافتتا قبراً فقالتا هذا
هو فدعا الله فخرج لهما
فاذا هو ليس به فدعا فرد
ثم دلتهما على قبر آخر فدعا
ان يخرج فخرج فاذا هو
فلزمتاه وسلمتاه عليه ثم قالتا
يا نبي الله يا معلم الخير ادع
الله ان يقيمه معنا فقال
وكيف ادعوه ولم يبق له
رزق يعيش به ثم رده
وانصرف وانشدني بعض
الادباء

وأسفي من فراق قوم
هم المصابيح والحصون
والمزن والمدن والرواسي
والخيز والامن والسكون
لم تتغير بنا الليالي
حتى توفهم المنون
فكل جمر لنا قلوب
وكل ماء لنا عيون
(وروي) أن النعمان بن
المنذر خرج متصيداً ومعه
عدى بن زيد فورا بشجرة
فقال عدى بن زيد يا أبا
الملك أتدرى ما تقول هذه
الشجرة قال لا قال انها
تقول

من رأنا فليحدث نفسه * أنه موف على قرب سؤال و صروف الدهر لا يبقى لها * ولما أتاني به صم الجبال مستبحراً
وبركيت قد انما خوا حولنا * يشربون الخمر بالماء الزلال عجزوا الدهر بعيش حسن * آمي دهرهم غير عيال

عصف الدهر بهم فانقرضوا * وكذلك الدهر حال بعد حال
ما تقول هذه المقبرة قال لا قال انها تقول ايا الركب المحبون * على الارض المجدونا (٢٩) كما اتم كذا كنا * كما نحن تكونوننا
فقال النعمان قد علمت ان

الشجرة والمقبرة لا يتكلمان
وقد علمت انك انما اردت
تعطى فجزاك الله عن خير
فالسيد الذي تدرى
به النجاة قال تدع عبادة
الاويمان وتعبد الله وحده
قال في هذه النجاة قال نعم
فترك عبادة الاومان وتضمن
يومئذ واخذ في العبادة
والاجتهاد (وقال) عبد
الله بن المعلم لم خرجنا من
المدينة حجاجا فلما كنا
بالروية نزلنا فوق بنا
رجل عليه ثياب رثة ليس
له منظر وهيئة فقال من
يبغى خادما من يبغى ساقيا
فقلت دونك هذه القرية
فاخذها فانطلق فلم يلبس
الا سيرا حتى اقبل وقد
امتلات اثوابه طينا
فوضعها كالمسور والاضاحك
ثم قال لكم غير هذا قلنا لا
واطعمناه قرصا باردا فآخذه
وحمد الله تعالى وشكره
ثم اعتزل وقعد فاكله اكل
جائع فادركتني عليه الرافة
فقممت اليه بطعام طيب
كثير فقلت له قد علمت انه
لم يقع منك القرص بوقع
فدونك هذا الطعام فنظر
في وجهي وتبسم وقال
يا عبد الله انما هي فورة
جوع فما ابالي باي شيء
رددتها فرجعت عنه فقال لي رجل الى جنبى اتعرفه قلت لا قال انه من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب كان يسكن البصرة
فقال فخرج منها فقعد فاعرف له اثره ولاقه على خبث فاعجبني قوله ثم اجتمعت به وانسسته وقات له هل لك ان تعادني فان معي

مستبحر الى ناحية الشمال ومغر باقليل الى ان ينتهي الى مدينة القلزم في الجزء الخامس من الاقليم الثاني
على الف واربع مائة ميل من مبدئهم يسمى بحر القلزم وبحر السويس وبينه وبين فسطاط مصر من
هناك ثلاث مراحل وعليه من جهة الشرق سواحل اليمن ثم الحجاز وجمدة ثم مدين واية وفاران عند
نهايته ومن جهة الغرب سواحل الصعيد وعيذاب وسواكن وزيلع ثم بلاد الحبشة عند مبدئهم وآخرة
عند القلزم يسامت البحر الرومي عند العريش وبينهما نحو ست مراحل وما زال الملوك في الاسلام وقبله
يرومون خرق ما بينهما ولم يتم ذلك (والبحر الثاني) من هذا البحر الحبشي ويسمى الخليج الاخضر يخرج
ما بين بلاد الهند والاحقاف من اليمن ويمر الى ناحية الشمال مغر باقليل الى ان ينتهي الى الابله من
سواحل البصرة في الجزء السادس من الاقليم الثاني على اربعمائة فرسخ واربعين فرسخا من مبدئهم
ويسمى بحر فارس وعليه من جهة الشرق سواحل الهند ومكران وكرمان وفارس والابله عند نهايته ومن
جهة الغرب سواحل البحرين واليه مائة وعثمان والنحرو الاحقاف عند مبدئهم وفيه ما بين بحر فارس
والقلزم جزيرة العرب كانه داخله من البر في البحر يحيط بها البحر الحبشي من الجنوب وبحر القلزم من الغرب
وبحر فارس من الشرق وتفضى الى العراق في ما بين الشام والبصرة على الف وخمسة مائة ميل بين ما
وهناك الكوفة والقادسية وبعدادا ويوان كسرى والحيرة ووراء ذلك امم الاعاجم من الترك والخزر
 وغيرهم وفي جزيرة العرب بلاد الحجاز في جهة الغرب منها وبلاد اليمامة والبحرين وعمان في جهة الشرق
 منها وبلاد اليمن في جهة الجنوب منها وسواحلها على البحر الحبشي (قالوا) وفي هذا المعمور بحر آخر منقطع
 من سائر البحار في ناحية الشمال بارض الديلم يسمى بحر جرجان وطبرستان طول الف ميل في عرض ستمائة
 ميل في غربيه اذربيجان والديلم وفي شرقيه ارض الترك وخوارزم وفي جنوبيه طبرستان وفي شماليه
 ارض الخزر واللان (هذه) جملة البحار المشهورة التي ذكرها اهل الجغرافيا (قالوا) وفي هذا الجزء المعمور
 انهار كثيرة اعظمها اربعة انهار وهي النيل والفرات ودجلة ونهر بلخ المسمى جيجون (فاما النيل) فيدؤه
 من جبل عظيم وراه خط الاستواء بسبع عشرة درجة على سمت الجزء الرابع من الاقليم الاول ويسمى جبل
 القمر ولا يعلم في الارض جبل اعلى منه يخرج منه عيون كثيرة فيصب بعضها في بحيرة هناك وبعضها في
 اخرى ثم يخرج انهار من البحيرتين فتصب كلها في بحيرة واحدة عند خط الاستواء على عشر مراحل من
 الجبل ويخرج من هذه البحيرة نهران يذهب احدهما الى ناحية الشمال على سمتيه ويمر ببلاد النوبة
 ثم يذهب الى مصر فاذا جاوزها تشعب في شعب متقاربة يسمى كل واحد منها خليجا وتصب كلها في البحر الرومي
 عند الاسكندرية ويسمى نيل مصر وعليه الهة عديدة من شرقه والواحات من غربيه ويذهب الاخر
 منعطفا الى المغرب ثم يمر على سمتيه الى ان يصب في البحر المحيط وهو نهر السودان وهمهم كلهم على ضفتيه
 (واما الفرات) فيدؤه من بلاد ارمينية في الجزء السادس من الاقليم الخامس ويمر جنوبا في ارض الروم
 ومطية الى منبج ثم يمر بصقين ثم بالركة ثم بالكوفة الى ان ينتهي الى البطحاء التي بين البصرة وواسط
 ومن هناك يصب في البحر الحبشي وينجلب اليه في طريقه انهار كثيرة ويخرج منه انهار اخرى تصب في
 دجلة (واما دجلة) فيدؤها عين ببلاد خلائط من ارمينية ايضا وتخرج على سمت الجنوب بالموصل واذر بيجان
 وبعدادا الى واسط فتفرق الى خليجان كلها تصب في بحيرة البصرة وتفضى الى بحر فارس وهو في الشرق
 على عين الفرات وينجلب اليه انهار كثيرة عظيمة من كل جانب وفيما بين الفرات ودجلة من اوله جزيرة
 الموصل قبالة الشام من عدوى الفرات وقبالة اذربيجان من عدوى دجلة (واما نهر جيجون) فيدؤه

رددتها فرجعت عنه فقال لي رجل الى جنبى اتعرفه قلت لا قال انه من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب كان يسكن البصرة
فقال فخرج منها فقعد فاعرف له اثره ولاقه على خبث فاعجبني قوله ثم اجتمعت به وانسسته وقات له هل لك ان تعادني فان معي

فضلا من راحلتي فجزاني خير اوقال لواردت هـ ذالك كان لي معدا ثم انس الى فعل يحدثنى فقال انارجل من ولد العباس كنت اسكن
البصرة وكنت ذا كبر شديد وبذخ (٣٠) واني امرت خادما لي ان تحشو قراشالي من حرير ومخدة بورد ثمر ففعلت واني لنام اذا بقمع

من بلغ في الجزء الثامن من الاقليم الثالث من عيون هناك كثيرة وتنجلب اليه انها عظام ويذهب
من الجنوب الى الشمال فيمري به بلاد خراسان ثم يخرج منها الى بلاد خوارزم في الجزء الثامن من الاقليم
الخامس فيصب في بحريرة البحر جانية التي باسقل مدينة تها وهي مسيرة شهر في منسلة واليه ينصب نهر
فرغانة والشاش الاثني من بلاد الترك وعلى غربي نهر جيحون بلاد خراسان وخوارزم وعلى شرقيه بلاد
بخارى وترمزومر قندومن هنالك الى ماوراء بلاد الترك وفرغانة والخز لجمية وقام الاعاجم وقد ذكر
ذلك كله بطليموس في كتابه والشريف في كتاب زحار وصور وفي الجغرافيا جميع ما في المعجم ومن الجبال
والبحار والادوية واستوفوا من ذلك ما لاحاجة لنا له لطوله ولان عنايتنا في الاكثر انما هي بالمغرب الذي
هو وطن البربر وبالوطن التي للعرب من المشرق والله الموفق

(تكملة لهذه المقدمة الثانية)

(في ان الربع الشمالي من الارض اكثر عمران من الربع الجنوبي وذو السبب في ذلك)

ونحن نرى بالمشاهدة والاحبار المتواترة ان الاول والثاني من الاقليم المعمورة اقل عمران من الثالث والرابع
ووجد من عمرانته فيتمخلة الخلا والقفار والرمال والبحر الهندي الذي في الشرق منهم ما وهم هذين الاقليمين
واناسيهم المست لهم العكثرة البالغة وامصاره ومدنه كذلك والثالث والرابع وما بهما بخلاف ذلك
فالقفار فيها قليلة والرمال كذلك او معدومة وأما هو اناسيها تجوز المحمد من الكثيرة وامصارها ومدنها
تجاوز المحمد دعوا والعمران فيها مندرج ما بين الثالث والسادس والجنوب خلاء كله وقد ذكر كثير
من الحكماء ان ذلك لا فرما الحروق له معيل الشمس فيها عن سمت الرأس فنوضح ذلك بمرهانه
ويبين منه سبب كثرة العمارة فيما بين الثالث والرابع من جانب الشمال الى الخامس والسابع
(فتقول) ان قطبي الفلك الجنوبي والشمالى اذا كانا على الافق فهنالك دائرة عظيمة تقسم الفلك بنصفين
هي اعظم الدوائر المسارة من المشرق الى المغرب وتسمى دائرة معدل النهار وقد تبين في موضعه من الهيئة
ان الفلك الاعلى متحرك من المشرق الى المغرب حركة يومية يحرك بها سائر الافلاك التي في جوفه قهرا
وهذه الحركة محسوسة وكذلك تبين ان الكواكب في افلاكها حركة مخالفة لهذه الحركة وهي من المغرب
الى المشرق ويختلف مؤداها باختلاف حركة الكواكب في السرعة والبطء وعمرات هذه الكواكب
في افلاكها توازيها كاهادائرة عظيمة من الفلك الاعلى تقسمه بنصفين وهي دائرة قلب البروج منقسمة
بأثنى عشر برجا وهي على ما تبين في موضعه مقاطعة لثة دائرة معدل النهار على نقطتين متقابلتين من البروج
هما اول الحمل وأول الميزان فتقسمها دائرة معدل النهار بنصفين نصف مائل عن معدل النهار الى الشمال
وهو من اول الحمل الى آخر السنبلة ونصف مائل عنه الى الجنوب وهو من اول الميزان الى آخر الحوت
واذا وقع القطبان على الافق في جميع نواحي الارض كان على سطح الارض خط واحد يسامت دائرة
معدل النهار يمر من المغرب الى المشرق ويسمى خط الاستواء ووقع هذا الخط بالصد على ما زعموا في مبدأ
الاقليم الاول من الاقليم السبعة والعمران كله في الجهة الشمالية عنه والقطب الشمالي يرتفع عن
آفاق هذا المعمور بالتدرج الى ان ينتهي ارتفاعه الى اربع وستين درجة وهنالك ينقطع العمران
وهو آخر الاقليم السابع * واذا ارتفع على الافق تسعين درجة وهي التي بين القطب ودائرة معدل النهار
صار القطب على سمت الرأس وصارت دائرة معدل النهار على الافق وبقيت ستة من البروج فوق الافق
وهي الشمالية وستة تحت الافق وهي الجنوبية والعمارة فيما بين الاربع والستين الى التسعين ممنوعة

وردة قد اغفلته الخادم
فقت اليها فاجعته حاضر با
ثم عدت الى مضجعي بعد
اخراج القمع من الخذة
فأتاني آت في منامي في
صورة فظيعة فهنزني وقال
افق من غشيتك ابصر من
خيرتك ثم أنشأ يقول
ياخذانك ان توسد لي لنا
وسدت بعد الموت صم

الجندل

فاهم دلنفسك صاعدا

تسعد به

فلننم من غدا اذا لم تفعل

فانتهت فرعا فخرجت

من ساعتى هار بالى ربي

(وقال) عبد الواحد بن

في يذكر لي أن في جوانب

الابلة جارية مجنونة تنطق

بالحكمة فلم ازل اطلبها

حتى وجدت في خرابة جالسة

على حجر وعليها جبة صوف

وهي مخلوقة الرأس فلما

نظرت الى قالت من غير

ان اكلمه ارحب انك يا عبد

الواحد فقلت لها ربح

الله بك وعجبت من معرفتها

لي ولم تر في قبيل ذلك فقالت

ما الذي جاء بك ههنا فقالت

جئت لتعطيني فقالت

واعجباه لو اعطى يوعظ ثم

قالت يا عبد الواحد اعلم

ان العبد اذا كان في كفاية

ثم مال الى الدنيا سلبه الله

لان

حلاوة الزهد في ظل حيران والمسافان كان له نصيب عند الله عاتبه وحياتي سره فقال عبدى أردت ان أرفع

قدرك عند ملائكتي وجملة عرشي واجعلك دليلا لاوليائي وأهل طاعتى في أرضي فأت الى عرض من اعراض الدنيا وتر كني فورثك

بذلك الوحشة بعد الأوس والذبل بعد العز والفقر بعد الغنى عبدى ارجع الى ما كنت عليه ارجع لك ما كنت تعرفه من نفسك ثم نزلتني
ووات عني وانصرفت عنها وقلبي حسرة منها وانشدوا انك في دار طامة (٣١) يقبل فيها عمل العامل أم ترى الموت محييطا بها

يقطع فيها أمل الآمل
تعمل الذنوب بما تشتهي
وتأمل التوبة من قابل
والموت يأتي بعد ذا غفلة
ماذا يفعل المحازم العاقل
ولما نزل سعد بن أبي وقاص
الحيرة قيل له ههنا عجوز
من بنات الملوك يقال لها
الحرقفة بنت النعمان بن
المنذرو وكانت من أجل
قبائل العرب وكانت اذا
خرجت الى بيتها نشرت
عليها ألف قطعة حرير
وديباج ومعها ألف وصيف
ووصيفة فارسل اليها سعد
فجاءت كالشن البالي فقالت
يا سعد كنا ملوك هذا
المصر قبلك يحمل الينا
خراجا ويطيننا أهله مدة
من المدد حتى صاح بنا
صائح الدهر فشدت شملنا
والدهر ذونائب وصروف
فلورا يتناقى أيامنا لا رعدت
فرائضك فزعانا فقال
له سعد ما نعلم ما تنعم
به قالت سعة الدنيا علينا
وكثرة الاصوات اذا دعونا
ثم أنشأت تقول
وبينا نسوس الناس والامر
أمرنا
اذ نحن فيهم سوقة ليس
ننصف
فتب الدنيا لا يدوم نعيمها
تقلب تارات بنا وتصرف

لان الحر والبرد حينئذ لا يحصلان بمترجين بعد الزمان بينهما فلا يحصل التكوين فاذا الشمس تسامت
الرؤس على خط الاستواء في رأس الحمل والميزان ثم تبيل عن المسامته الى رأس السرطان ورأس الجدى
ويكون نهاية ميلها عن دائرة معدل النهار اربع وعشرون درجة ثم اذا ارتفع القطب الشمالي عن الافق
مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرؤس بمقدار ارتفاعه وانخفض القطب الجنوبي كذلك بمقداره مساو
في الثلاثة وهو المسمى عند أهل المواقيت عرض البلاد واذا مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرؤس
عالت عليها البروج الشمالية مندرجة في مقدار علوها الى رأس السرطان وانخفضت البروج الجنوبية
من الافق كذلك الى رأس الجدى لانحرافها الى الجمانين في أفق الاستواء كما قلناه فلا ينزل الافق
الشمالي يرتفع حتى يصير بعد الشمالية وهو رأس السرطان في سمت الرؤس وذلك حيث يكون عرض
البلاد اربع وعشرون في المحجاز وما يليه وهذا الميل الذي اذا مال رأس السرطان عن معدل النهار في
أفق الاستواء ارتفع بارتفاع القطب الشمالي حتى صار مسامتا فاذا ارتفع القطب أكثر من أربع وعشرين
نزالت الشمس عن المسامته ولا تنزل في انخفاض الى أن يكون ارتفاع القطب اربع وعشرين ويكون
انخفاض الشمس عن المسامته كذلك وانخفاض القطب الجنوبي عن الافق مثلها فينقطع التكوين
لا فراط البرد والجهد وطول زمانه غير متميز بالحر ثم ان الشمس عند المسامته وما يقار بها تبعث الاشعة
على الارض على زوايا قائمة وفيها دون المسامته على زوايا منقرجة وحادة واذا كانت زوايا الاشعة قائمة
عظم الضوء وانتشر بخلافه في المنقرجة والحادة فلهذا يكون الحر عند المسامته وما يقرب منها أكثر منه
فيما بعد لان الضوء سبب الحر والتسخين ثم ان المسامته في خط الاستواء تكون مرتين في السنة عند
نقطتي الحمل والميزان واذا مالت فغير بعيد ولا يكاد الحر يعتدل في آخر ميلها عند رأس السرطان والجدى
الا وقد صعدت الى المسامته فبقيت الاشعة القائمة الزوايا تلح على ذلك الافق ويطول مكثها او يدوم
فيشتعل الهواء حارته ويطرط في شدتها وكذا مادامت الشمس تسامت مرتين فيما بعد خط الاستواء الى
عرض اربعة وعشرين فان الاشعة المحلقة على الافق في ذلك بقرب من المحاها في خط الاستواء وافراط
الحر يفعله في الهواء تجفيفا ويسايمع من التكوين لانه اذا افراط الحر جفت المياه والرطوبات وفسد
التكوين في المعدن والحيوان والنبات اذا التكوين لا يكون الا بالرطوبة ثم اذا مال رأس السرطان عن
سمت الرؤس في عرض خمسة وعشرين فما بعده نزالت الشمس عن المسامته فيصير الحر الى الاعتدال أو
يميل عنه ميلا قليلا فيكون التكوين يتزايد على التدريج الى أن يفرط البرد في شدته لقلته الضوء ويكون
الاشعة منقرجة الزوايا فينقص التكوين ويقسد الان فساد التكوين من جهة شدة الحر اعظم منه من
جهة شدة البرد لان الحر أسرع تأثيرا في التجفيف من تأثير البرد في الجهد فلذلك كان العمران في الاقليم الاول
والثاني قليلا وفي الثالث والرابع والخامس متوسطا لا اعتدال الحر بقصان الضوء وفي السادس والسابع
كثير النقصان الحر وان كيفية البرد لا تؤثر عند أولها في فساد التكوين كما يفعل الحر اذ لا تجفيف فيها
الا عند الافراط بما يعرض لها حينئذ من اليبس كما بعد السابع فلهذا كان العمران في الربع الشمالي
أكثر وأوفر والله أعلم ومن هنا اخذ الحكماء خلاص خط الاستواء وما وراءه وأورد عليهم انه معهود
بالمشاهدة والاختبار المتواترة فكيف يتم البرهان على ذلك والظاهر أنهم لم يريدوا امتناع العمران فيه
بالكلية انما اداهم البرهان الى أن فساد التكوين فيه قوي بافراط الحر والعمران فيه اما ممنوع أو ممكن
أقل وهو وكذلك فان خط الاستواء والذي وراءه وان كان فيه عمران كما نقل فهو قليل جدا (وقد زعم) ابن

ثم قالت يا سعد انه لم يكن أهل بيت خير الا والدهم يعقبهم غيره حتى يأتي امر الله عن الفريقين فامر بردها فلما أرادت
القيام قالت يا سعد ازال الله عنك نعمته ولا تجعل لك الى شيء حاجة ولا ازال عنك كريم نعمته ولا ازال عن عبد صالح نعمته الا جعلك الله

سبيل الى ردها عليه ولبعضهم
يوم القيامة او ان استنسخه
لم يدuran المنيا وسوف تزججه
(وروي) ان عيسى عليه
السلام كان مع صاحب له
يسبحان فاصابهما الجوع
وقد انتهيا الى قرية فقال
عيسى لصاحبه اطلق
فأطاب لنا طعاما من هذه
القرية وقام عيسى يصلي
فجاء الرجل بثلاثة ارغفة
فأطابا عليه انصراف عيسى
فاكل رغبيا فانصرف عيسى
فقال ابن الرغيف الثالث
فقال ما كانا الارغفين قال
فرا على وجوههما حتى
مرابطا ترعى فدعا عيسى
عليه السلام ظييامها
فذكاهما كلامه ثم قال
عيسى عليه السلام للظبي
قم يا ذن الله فاذا هو يشتد
فقال الرجل سبحان الله
فقال عيسى بالذي اراك
هذه الامة من صاحب
الرغيف قال ما كانا الا
اثنين قال غضبيا على
وجوههما فمرا ينهر بحاج
عظيم فاخذ عيسى عليه
السلام بيده فمشى به على
الماء حتى جاوز الماء فقال
الرجل سبحان الله فقال
عيسى عليه السلام بالذي
اراك هذه الامة من صاحب
الرغيف قال ما كانا الا اثنين
فخر حاجتي انا قرية
عظيمة خربة واذا قريب
منها اثنان ثلاث من ذهب فقال الرجل هذا مال السلام عليه فقال عليه السلام هذا مال واحد في واحد لاني واحد لصاحب الرغيف المائة
فقال انا صاحب الرغيف فقال عليه السلام هي لي كما هافقارقه فأقام عليها ليس معها ما يحملها عليه فخر به ثلاثة نفر فقبح لوءه وأخذوا

من كان يعلم ان الموت يدركه * والقبر مسكنه والبعث مخربه * وانه بين جنات ستهب *
(٣٢) فكل شئ سوى التقوى به سيج * وما أقام عليه منه اسمجه ترى الذي اتخذ الدنيا له وطنا *

رشد أن خط الاستواء معتدل وأن ما وراءه في الجنوب بمثابة ما وراءه في الشمال فيعمر منه ما عمر من هذا
والذي قاله غير ممنوع من جهة فساد التكوين وانما امتنع فيما وراء خط الاستواء في الجنوب من جهة أن
العنصر المائي غمر وجه الارض هنالك الى الحد الذي كان مقابله من الجهة الشمالية قابلا للتكوين
ولما امتنع المعتدل لغلظة الماء تبعه ما سواه لان العمران مندرج وبأخذ في التدرج من جهة الوجود
لان جهة الامتناع وأما القول بامتناعه في خط الاستواء فيرده النقل المتواتر والله أعلم * وترسم بعد هذا
الكلام صورة الجغرافيا كما رسمها صاحب كتاب زجارتهم بأخذ في تفصيل الكلام عليها الخ

* (تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا) *

اعلم ان الحكاء قسموا هذا المعمور كما تقدره ذكروه على سبعة أقسام من الشمال الى الجنوب يسمون كل
قسم منها اقليما فانقسم المعمور من الارض كله على هذه السبعة الاقاليم كل واحد منها آخذ من الغرب
الى الشرق على طوله * فالاول منها مار من المغرب الى المشرق مع خط الاستواء بحدوده من جهة الجنوب
وايس وراءه هنالك الاقفار والرمال وبعض عمارة ان صحت فهي كلاجرة وتوليه من جهة شمالية
الاقليم الثاني ثم الثالث كذلك ثم الرابع والخامس والسادس والسابع وهو آخر العـمران من جهة
الشمال وليس وراءه السابع الا الحلاء والقفار الى ان ينتهي الى البحر المحيط كالحال فيما وراء الاقليم
الاول في جهة الجنوب الا ان الحلاء في جهة الشمال اقل بكثير من الحلاء الذي في جهة الجنوب * ثم ان
أزمنة الليل والنهار تتفاوت في هذه الاقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب
الشمالي عن آفاقها في تفاوت قوس النهار والليل لذلك وينتهي طول الليل والنهار في آخر الاقليم الاول
وذلك عند حلول الشمس برأس الجدي ليل و برأس السرطان للنهار كل واحد منهما ما الى ثلاث عشرة
ساعة وكذلك في آخر الاقليم الثاني مما يلي الشمال فينتهي طول النهار فيه عند حلول الشمس برأس
السرطان وهو منقلبها الصيفي الى ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة وهو مثله أطول الليل عند منقلبها الشتوي
برأس الجدي ويبقى للأقصر من الليل والنهار ما يبقى بعد الثلاث عشرة ونصف من جملة أربع وعشرين
الساعات الزمانية لمجموع الليل والنهار وهو دورة الفلك الكاملة وكذلك في آخر الاقليم الثالث مما يلي
الشمال أيضا ينتهيان الى أربع عشرة ساعة وفي آخر الرابع الى أربع عشرة ساعة ونصف ساعة وفي آخر
الخامس الى خمس عشرة ساعة وفي آخر السادس الى خمس عشرة ساعة ونصف وفي آخر السابع الى ست
عشرة ساعة وهنالك يتقطع العمران فيكون تفاوت هذه الاقاليم في الاطول من ليالها ونهارها بنصف
ساعة لكل اقليم يتزايد من اوله في ناحية الجنوب الى آخره في ناحية الشمال موزعة على أجزاء هذا البعد
* واما عرض البلدان في هذه الاقاليم فهو عبارة عن بعد ما بين سمت رأس البلد ودائرة معدل النهار الذي
هو سمت رأس خط الاستواء ويختلف له سواء ينحرف القطب الجنوبي عن افق ذلك البلد ويرتفع القطب
الشمالي عنه وهو ثلاثة ابعاده متساوية تسمى عرض البلد كما مر ذلك قبل * والمتكاملون على هذه
الجغرافيا قسموا كل واحد من هذه الاقاليم السبعة في طوله من المغرب الى المشرق بعشرة أجزاء متساوية
ويذكر ما اشتمل عليه كل جزء منها من البلدان والامصار والجمال والانهار والمسافات بينها في المسالك
وتحتم الا ان نوجز القول في ذلك ونذكر مشاهير البلدان والانهار والبحار في كل جزء منها ونحاذي بذلك
ما وقع في كتاب نزهة المشتاق الذي ألغاه العلوي الادريسي الجودي الملك صقلية من الاخر نيج وهو زجارتهم
زجارتهم كان نازلا عليه بصقلية بعد خروج صقلية من امارة مائة وكان تأليفه للكتاب في منتصف

منها اثنان ثلاث من ذهب فقال الرجل هذا مال واحد في واحد لاني واحد لصاحب الرغيف المائة
فقال انا صاحب الرغيف فقال عليه السلام هي لي كما هافقارقه فأقام عليها ليس معها ما يحملها عليه فخر به ثلاثة نفر فقبح لوءه وأخذوا

اللبن فقال اثنان منهم لواحد انطلق الى القرية فأتنا بطعام فذهب فقال احد الباقيين تعال نقفل هذا اذا جاء ونقسم هذا بيننا قال الآخر نعم وقال الذي ذهب يشتري الطعام اجعل في الطعام سمافقتهم ما وآخذ اللبن ففعل (٣٣) فلما جاء قتلاه وأكل من الطعام الذي

المائة السادسة وجمع له كتابا جمة للسعودي وابن حمدان والحقوقي والقدري وابن اسحق المنجم و بطليموس وغيرهم وبندها بالاقليم الاول الى آخرها والله سبحانه وتعالى يعصمنا عنه وفضله
* (الاقليم الاول) وفيه من جهة غربيه الجزائر الخلدات التي منها يد ابطليموس يأخذ أطوال البلاد وليست في بسط الاقليم وانما هي في البحر المحيط بحر زمتم كثيرة أ كبرها وأشهرها ثلاثة ويقال انها معمورة وقد بلغنا ان سفن من الافرنج مرت بها في أواسط هذه المائة وقتا لوهم ففغوا منهم وسبوا وباعوا بعض أسرارهم بسواحل المغرب الاقصى وصاروا الى خدمة السلطان فلما تعلموا اللسان العربي أخبروا عن حال جزائريهم وانهم يحفرون الارض للزراعة بالقرون وان الحد يدقمقو دبارضهم وعيشهم من الشعير وما شيتهم المعز وقتالهم بالحجارة يرمونها الى خلف وعبادتهم السجود للشمس اذا طلعت ولا يعرفون ديننا ولم تبلغهم دعوة ولا يوقف على مكان هذه الجزائر الا بالعثور ولا بالقصد اليها لان سفن في البحر انما هو بالرياح ومعرفة جهات مهايها والى أين يوصل اذا مرت على الاستقامة من البلاد التي في عمرك ذلك المهب واذا اختلف المهب وعلم حيث يوصل على الاستقامة حوذى به القلم محاذة يحمل السفينة بها على قوانين في ذلك المحصلة عند النواتية والملاحين الذي هم رؤساء السفن في البحر والبلاد التي في حقا في البحر الرومي وفي عدوته مكتوبة كاه في صحيفة على شكل ماهي عليه في الوجود وفي وضعها في سواحل البحر على ترتيبها ومهاب الرياح وعمراتها على اختلافها مرسوم معها في تلك الصحيفة ويسمونها الكنباص وعليها يعتمدون في أسفارهم وهذا كاهة معقود في البحر المحيط فلذلك لا تلجج فيه السفن لانها ان غابت عن مرأى الواحد فقل ان تهتدى الى الرجوع اليها مع ما ينعمد في جوه هذا البحر وعلى سطح مائه من الابخرة الممانعة للسفن في مسيرها وهي لبعدها لا تذكرها الاضواء الشمس المنعكسة من سطح الارض فتكلمها فلذلك عسر الاهتداء اليها وصعب الوقوف على خبرها وأما الجزء الاول من هذا الاقليم ففيه مصب النيل التي من مبدئه عند جبل القمر كما ذكرناه ويسمى نيل السودان ويذهب الى البحر المحيط فيصب فيه عند جزيرة اوليك وعلى هذا النيل مدينة سلاو و تكور وغانة وكلها مملوكة في العهد في مملكة ملك مالي من أمم السودان والى بلادهم تسافر تجار المغرب الاقصى وبالقرى منها من شماليها بلاد المنونة وسائر طوائف المسلمين ومقاويز يجولون فيها وفي جنوبي هذا النيل قوم من السودان يقال لهم المومهم كفارو يكتوون في وجوههم وأصدانهم وأهل غانة والتكور يعبرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم للتجار فيجلبونهم الى المغرب وكاهم عامة رقيقهم وليس وراءهم في الجنوب عمران يعتقدون ان الاناسي أقرب الى الحيوان العجم من الناطق يسكنون القيا في والكهوف ويأكلون العشب والحبوب غير مهيا تور بما ياكل بعضهم بعضا وليسوا في عداد البشر وفوا كد بلاد السودان كاهان قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدراوين ووزكلان في كان في غانة فيقال ملك ودولة لقوم من العلبويين يعرفون ببني صالح وقال صاحب كتاب زجارانه صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن ولا يعرف صالح هذا في ولد عبد الله بن حسن وقد ذهبت هذه الدولة لهذا العهد وصارت غانة السلطان مالي وفي شرقي هذا البلد في الجزء الثالث من هذا الاقليم بلد كوكو على نهر ينبع من بعض الجبال هنالك ويمر مغربا فيغوص في رمال الجزء الثاني وكان ملك كوكو قائما بنفسه ثم استولى عليها سلطان مالي واصبحت في مملكته وخربت لهذا العهد من أجل فتنة وقعت هناك نذ كراهة نذ كردولة مالي في محله امن تاريخ البروق في جنوبي بلد كوكو بلاد كاهم من امم السودان وبعدهم ونغارة على ضفة النيل من شماليه وفي شرقي بلاد ونغارة وكاهم بلاد زغاوة وتاجرة

جاءه فأتنا فر بهم عيسى عليه السلام وهم حولها منصرين فقال هكذا تفعل الدنيا باهلها (وقال عبد الملك) بن عمير رأيت في هذا القصر عجبا رأيت رأس الحسين على ثوبين مصبوعين بين يدي ابن زياد ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدي المصعب بن الزبير ثم رأيت رأس المصعب بن الزبير بين يدي عبد الملك بن مروان (وقال الاصمعي) لما زحف الرشيد بجاسسه وتكرم فيها وزرقها ووضغ فيها طعاما كثيرا ارسل الى ابني العتاهية وقال صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال عيش ما بدالك سالما في ظل شاهقة القصور يسعي عليك بما اشتهت تلدى الرواح وفي البكور واذا النفوس تقهت في ضيق حشرة الصدور فهناك تعلم موقنا ما كنت الا في غرور فبكي هرون فقال الفضل ابن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لئلا تشرفه فخرته فقال هرون دعها فاه رآنا في ضلالة وعسى فكره ان يزيدنا عي (وبروي) ان

(٥ - ابن خلدون) سليمان بن عبد الملك ليس أنفرتا به ومس أطيب طيبه ونظر في مرآته فأعجبته نفسه وقال أنا الملك الشاب وخرج الى الجمعة وقال لجاريته كيف ترين فقالت أنت نعم المتاع لو كنت تبتقي غير ان لابقاه للانسان ليس في ما يد النامك عيب

عابه الناس غير انك فاني
من حوله فضلي ورجع بين

فأعرض بوجهه ثم خرج فصعد المنبر وصوته يسمع آخر المسجدين فكتبته المحي فلم يزل صوته ينعص حتى ما سمع
اثنين يسحب رجليه فلما صار على فراشه قال للجارية ما الذي قلت لي في سخن الدار

قالت ما رأيتك ولا قلت
شيأ وانى لي بالخروج الى
سخن الدار فقال ان الله وانا
اليه راجعون نعمت الى
نفسى ثم عهدت هذه واوصي
وصيته فلم تدرب له الجمعية
الاخرى الا هو وفي قبره
(ووجد) مكتوباً على قصر
سيف بن قى بن
من كان لا يبا التراب برجله
وطئ التراب بناعم الخد
من كان بينك في التراب
وبينه
شبران كان بغاية البعد
لو بعثت للناس أطباق
الثرى

لم يعرف المولى من العبد
(وقال الهيثم بن عدى)
وجدوا غار في جبل لبنان
زمان الوليد بن عبد الملك
وفيه رجل مسجى على
سرير من ذهب وعند رأسه
لوح من ذهب مكتوب فيه
بالرومية اناسا بن نواس
ابن سبا خدمت عيصوبن
اسحق بن ابراهيم خليل
الرب الديان الملك الاكبر
وعشت بعده عمر اطويلا
ورأيت عجبا كثيرا ولم أر
فيما رأيت أعجب من
غافل عن الموت وهو يرى
مصارع آياته ويقف على
قبر احبائه ويعلم انه صائر
اليهم ثم لا يتوب وقد علمت

المتصلة بارض النوبة في الجزء الرابع من هذا الاقليم وفيه يمر نيل مصر ذاهبا من مبدئه عند خط الاستواء
الى البحر الرومى في الشمال ويخرج هذا النيل من جبل القمر الذى فوق خط الاستواء بست عشرة درجة
واختلقا في ضبط هذه اللقطة فضبطها بعضهم بفتح القاف والميم نسبة الى قر السماء لشدة بياضه وكثرة
ضوئه وفي كتاب المشترك لياقوت بضم القاف وسكون الميم نسبة الى قوم من أهل الهند وكذا ضبطه ابن
سعيد فيخرج من هذا الجبل عشرون عيون تجتمع كل خمسة منها في بحيرة وبينها ستة أميال ويخرج من كل
واحدة من البحيرتين ثلاثة أنهار تجتمع كلها في بطيخة واحدة في أسفلها جبل معترض يشق البحيرة من ناحية
الشمال ويتقسم ماؤها بقسمين فيمر الغربي منه الى بلاد السودان مغربا حتى يصب في البحر المحيط
ويخرج الشرقي منه ذاهبا الى الشمال على بلاد الحبشة والنوبة وفيما بينهما ويتقسم في أعلى أرض مصر
فيصوب ثلاثة من جداوله في البحر الرومى عند الاسكندرية ورشيد ودمايط ويصب واحد في بحيرة ملحقة
قبل أن ينصل بالبحر في وسط هذا الاقليم الاول وعلى هذا النيل بلاد النوبة والحبشة وبعض بلاد
الواحات الى أسوان وحاضرة بلاد النوبة مدينة دنقلة وهى في غربى هذا النيل وبها عدة ملوك وبلاد
وبعد ما جبل الجنادل على ستة مراحل من بلاد النوبة وهو جبل عال من جهة مصر ومنخفض من جهة
النوبة فينفذ فيه النيل ويصب في مهبوى بعد صبا مهولا فلا يمكن ان تسلكه المراكب بل يحول الوسىق
من مرآكب السودان فيحمل على الظهر الى بلاد أسوان قاعدة الصعيد وكذا ووسىق مرآكب الصعيد الى
فوق الجنادل وبين الجنادل وأسوان اثنتا عشرة مرحلة وانواحات في غربها عدة النيل وهى الآن
خراب وبها آثار العمارة القديمة وفي وسط هذا الاقليم في الجزء الخامس من بلاد الحبشة على وادى أتى من
وراء خط الاستواء ذاهبا الى أرض النوبة فيصوب هناك في النيل الهابط الى مصر وقد وهم فيه كثير من
الناس وزعموا انه من نيل القمر بطليموس ذكره في كتاب الجغرافيا وذكر أنه ليس من هذا النيل والى
وسط هذا الاقليم في الجزء الخامس ينتهى بحر الهند الذى يدخل من ناحية الصين ويغمر عاصمة هذا الاقليم
الى هذا الجزء الخامس فلا يبقى فيه عمران الا ما كان في الجزائر التى في داخله وهى متعددة يقال تنتهى
الى ألف جزيرة او فيما على سواحلها الجنوبية وهى آخر المعمور في الجنوب او فيما على سواحلها من جهة
الشمال وليس منها في هذا الاقليم الاول الا طرف من بلاد الصين في جهة الشرق وفي بلاد اليمن وفي
الجزء السادس من هذا الاقليم فيما بين البحرين الهابطين من هذا البحر الهندى الى جهة الشمال وهما
بحر قلزم وبحر فارس وفيما بينهما جزيرة العرب وتشتمل على بلاد اليمن وبلاد البحر في شرقها على ساحل
هذا البحر الهندى وعلى بلاد الحجاز واليمن وما بينهما كما نذكره في الاقليم الثالث وما بعده فاما الذى على
ساحل هذا البحر من غربيه فبلاد زالع من اطراف بلاد الحبشة ومجالات البحيرة (١) في شمال الحبشة ما بين
جبل العلاقي في أعلى الصعيد وبين بحر القلزم الهابط من البحر الهندى وتحت بلاد زالع من جهة الشمال
في هذا الجزء خليج باب المندب يضيق البحر الهابط هناك بمزاحة جبل المندب المسائل في وسط البحر
الهندى مما مع ساحل اليمن من الجنوب الى الشمال في طول اثني عشر ميلا فيضيق البحر بسبب ذلك
الى أن يصير في عرض ثلاثة أميال او نحوها ويسمى باب المندب وعليه تمر مرآكب اليمن الى ساحل
السويس قريبا من مصر وتحت باب المندب جزيرة سواكن ودهلك وقباله من غربيه مجالات البحيرة من
أم السودان كما ذكرناه ومن شرقيه في هذا الجزء ما هم اليمن ومنها على ساحله بلد على بن يعقوب وفي جهة

(١) قوله البحيرة بضم الباء وفتح الجيم ويقال ايضا البحيرة واما زالع فهى زيلع اه

ان الاجلاف الجفافة سينزلونى عن سرى ويملونه وذلك حين يتغير الزمان وتنامر الصديان ويكثر الحدثان فمن الجنوب
أدرلك هذا الزمان عاش قبل اومات ذليلا (ويروى) ان الاسكندر مر بمدينة قدهم لكها املاك سبعة وبادوا فقال هل بقي من نسل

الاملاك الذين ملكوا هذه المدينة احدثوا لورجل يكون في المقابر فدعا به وقال له مادعاك الى لزوم المقابر قال اردت ان اعزل عظام المملوك
من عظام عبيدهم فوجدت ذلك سوا قال فهل لك ان تبعني فأحيي بك شرف آباءك (٣٥) ان كانت لك مهمة قال ان همتي

العظيمة ان كانت بغيتي
عندك قال وما بغيتك قال
حياة لاموت فيها وشباب
لاهرم فيه وغنى لا يتبعه
فقرو وورلا يعتربه مكره
قال ما اقدر على هذا قال
فانفذ لشانك وخلي اطلب
بغيتي عن هي عنده فقال
الاسكندر هذا احكم من
رايت (وروي) في
الاسرائيليات ان عيسى بن
مريم عليه السلام بينما
هو في بعض سياحته اذ مر
بجحمة نخرة فأمره ان
تتكلم فقات ياروح الله
اناب لولام بن حنص ملك
اليمن عشت ألف سنة وولد
لي ألف ذكروا اقتضت
ألف بكر وهزمت ألف
عسكر وقتت ألف جبار
واقتحت ألف مدينة فن
رأى في فلا يغتر بالدنيا كما
غرتني فما كانت الا تحلم
نأتم فبكي عيسى عليه السلام
(ووجد) مكتوبا على قصر
بعض المملوك وقد باداه له
وأفقرت ساحته
هذي منازل اقوام عهدتهم
يوفون بالعهد دمذ كانوا
وبالذم
تبكي عليهم ديار كان
يطربها
ترنم المجدين الحلم والكرم
(وقال) عبد الله بن أبي

الجنوب من بلد زالع وعلى ساحل هذا البحر من غرب به قري بر بر يتلو بعضها بعضا وينعطف مع جنوبيه
الى آخر الجزء السادس و يابها من الك من جهة شرقها بلاد الزنج ثم بلاد سقالة على ساحله الجنوبي
في الجزء السابع من هـ هذا الاقليم وفي شرق بلاد سقالة من ساحله الجنوبي بلاد الواق واق متصلة
الى آخر الجزء العاشر من هـ هذا الاقليم عند مدخل هذا البحر من البحر المحيط وأما جزر هذا البحر فكثيرة
من أعظمها جزيرة سرينديب مدورة الشكل وبها الجبل المشهور يقال ليس في الارض اعلى منه وهي
قبالة سقالة ثم جزيرة القمر وهي جزيرة مستطيلة تبدأ من قبالة ارض سقالة وتذهب الى الشرق منحرفة
بكمير الى الشمال الى ان تقرب من سواحل اعلى الصين ويختلف بها في هذا البحر من جنوبها جزائر
الواق واق ومن شرقها جزائر السيلان الى جزائر اخرى هـ هذا البحر كثيرة العدد وفيها انواع الطيب
والافاويه وفيها يقال معادن الذهب والزمرد وعامة اهلها على دين الجوسية وفيهم مملوك متعددون وبهذه
الجزائر من احوال العـ مران عجائب ذكرها اهل الجغرافيا وعلى الضفة الشمالية من هذا البحر في الجزء
السادس من هذا الاقليم بلاد اليمن كلها من جهة بحر القلزم بلديس والمهجم وتهامة اليمن وبعدها بلد
صعدة مقر الامامة الزيدية وهي بعيدة عن البحر الجنوبي وعن البحر الشرقي وفيها بعد ذلك مدينة عدن
وفي شمالها صنعاء وبعدها الى المشرق ارض الاحقاف وظفار وبعدها ارض حضرموت ثم بلاد الشحر
ما بين البحر الجنوبي وبحر فارس وهذه القطعة من الجزء السادس هي التي انكشف عنها البحر من اجزاء
هذا الاقليم الوسطى وينكشف بعدها قليل من الجزء التاسع واكثر منه من العاشر فبه اعلى بلاد الصين
ومن مدنه الشهيرة خانكوك وبقبالها من جهة الشرق جزائر السيلان وقد تقدم ذكرها وهذا آخر الكلام في
الاقليم الاول والله سبحانه وتعالى ولي النوفيق بمنه وفضله

(الاقليم الثاني) وهو متصل بالاول من جهة الشمال وقبالة المغرب منه في البحر المحيط جزيرتان من
الجزائر الخالدات التي مر ذكرها وفي الجزء الاول والثاني منه في الجانب الاعلى منها ارض قنورية وبعدها
في جهة الشرق اعلى ارض غانة ثم مجالات زغاوة من السودان وفي الجانب الاسفل منها ما صحرا نيسر
متصلة من الغرب الى الشرق ذات مغاوير تسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان وفيها مجالات
المثمين من صنهاجة وهم شعوب كثيرة ما بين كزولة ولنونة ومسراة ولطمة ووريلة وعلى سمات هذه المقاوز
شرقا ارض فزان ثم مجالات اركار من قبائل البربر ذاهبة الى اعلى الجزء الثالث على سمتها في الشرق
وبعدها من هذا الجزء بلاد كوار من ام السودان ثم قطعة من ارض الباجويين وفي اسفل هذا الجزء
الثالث وهي جهة الشمال منه بقية ارض ودان وعلى سمتها شرقا ارض سـ من تيه وتسمى الواحات الداخلة
وفي الجزء الرابع من اعلاه بقية ارض الباجويين ثم يعترض في وسط هذا الجزء بلاد الصعد حقا في النيل
الذاهب من مبدئه في الاقليم الاول الى مصبه في البحر في هذا الجزء بين الجزيلين الجاجرين وهما جبل
الواحات من غربيه وجبل المقطم من شرقيه وعليه من اعلاه بلاد اسنا واورمنت ويتصل كذلك حقا في الى
اسـ ميوط وقوص ثم الى صول ويفترق النيل هنا الى شـ معين ينتهي الايمن منها في هذا الجزء عند
اللاهون والاسر عند دلاص وفيما بينه ما اعلى ديار مصر وفي الشرق من جبل المقطم صحارى عـ ذاب
ذاهبة في الجزء الخامس الى ان تنتهي الى بحر السويس وهو بحر القـ لزم الهابط من البحر الهندى في
الجنوب الى جهة الشمال وفي عدوته الشرقية من هذا الجزء ارض الحجاز من جبل يللم الى بلاد يثرب وفي
وسط الحجاز مكة شرقها الله وفي ساحلها مدينة جدة تقابل بلاد عذاب في العدة الغر بية من هذا البحر

نوح نزل حى من العرب شعبان شعاب اليمن فتشاحنوا فيه واختلقتوا واستعدوا للقتال فاذا صاح يصيح باهؤلاء على رسلكم علام القتال
في قول الله لقد ملكني سبعون أعور كما هم اسمه عمر و (فصل) فيهم الرجل اعتبر بن مضي من المملوك والاقبال وхла من الامم والاجيال

وكيف بسطت لهم الدنيا وانست لهم الابل وانفسح لهم في المني والامال وادموا بالالات والعدد والاموال كيف ملطنهم بكلكه
 المتون واخذت منهم بزخرفة (٣٦) الدهر الحئون واسكنوا بعدسة التصور بين الجنادل والصخور وعاد العلبين اثر والملك

وفي الجزء السادس من غريبه بلاد نجد اذ اعلاها في الجنوب وتباله وحرس الى عكاظ من الشمال وتحت
 نجد من هذا الجزء بقية ارض الجحاز وعلى سمتها في الشرق بلاد نجران وخبر وتحتها ارض اليمامة وعلى
 سمت نجران في الشرق ارض سبأ وما رب ثم ارض الشحر وينتهي الى بحر فارس وهو البحر الثاني الهابط
 من البحر الهندي الى الشمال كما ويذهب في هذا الجزء بانحراف الى الغرب فيمر ما بين شرقيه وجوفيه
 قطعة مثلثة عليها من اعلاه مدينة قلهاة وهي ساحل الشجر ثم تحتها على ساحله بلاد عمان ثم بلاد
 البحرين وهجر منها في آخر الجزء وفي الجزء السابع في الاعلى من غربيه قطعة من بحر فارس تتصل
 بالقطعة الاخرى في السادس ويغمر بحر الهند جانبها الاعلى كله وعليه هنالك بلاد الهند الى بلاد مكران
 ويقابلها بلاد الطوبران وهي من الهند ايضا فيصل الهند كلها في الجانب الغربي من هذا الجزء وتحول
 المفاوز بينه وبين ارض الهند ويمر فيه نهره الا من من ناحية بلاد الهند ويصب في البحر الهندي في الجنوب
 وأول بلاد الهند على ساحل البحر الهندي وفي سمتها شرقا بلاد بلهارا وتحتها الملتان بلاد الصنم المعظم عندهم
 ثم الى اسفل من الهند ثم الى اعلى بلاد سبستان وفي الجزء الثامن من غربيه بقية بلاد بلهارا من الهند
 وعلى سمتها شرقا بلاد القندهار ثم بلاد منبهارا وفي الجانب الاعلى على ساحل البحر الهندي وتحتها في الجانب
 الاسفل ارض كابل وبعدها شرقا الى البحر المحيط بالاد القنوج ما بين قشمير الداخلة وقشمير الخارجة عند آخر
 الاقليم وفي الجزء التاسع ثم في الجانب الغربي منه بلاد الهند الاقصى ويتصل فيه الى الجانب الشرقي فينتصل
 من اعلاه الى العاشر وتبقى في اسفل ذلك الجانب قطعة من بلاد الصين فيها مدينة شيعون ثم تتصل بلاد
 الصين في الجزء العاشر كله الى البحر المحيط والذ ورسوله أعلم وبه سبحانه التوفيق وهو ولى الفضل والكرم
 * (الاقليم الثالث) * هو متصل بالثاني من جهة الشمال في الجزء الاول منه وعلى نحو الثلث من اعلاه
 جبل درن معترض فيه من غربيه عند البحر المحيط الى الشرق عند آخره ويسكن هذا الجبل من البربر ارم
 لا يخصهم الاخالقهم حسب ما يأتى ذكره وفي القطعة التي بين هذا الجبل والاقليم الثاني وعلى البحر المحيط
 منها رباط ماسة ويتصل به شرقا بلاد سوس ونول وعلى سمتها شرقا بلاد درعة ثم بلاد سجلماسة ثم قطعة
 من صحراء نيسر المفازة التي ذكرناها في الاقليم الثاني وهذا الجبل مطل على هذه البلاد كلها في هذا الجزء وهو
 قليل الثنايا والمسالك في هذه الناحية الغربية الى أن يسامت وادى ملوية فتكثر ثناياها ومسالكها الى
 أن يشتد وفي هذه الناحية منه أم المصامدة ثم هنتانة ثم تينه لك ثم كدميه ثم مشكورة وهم آخر المصامدة
 فيه ثم قبائل صنهاكة وهم صنهاجة وفي آخر هذا الجزء منه بعض قبائل زنانية ويتصل به هنالك من جوفيه
 جبل اوراس وهو جبل كامة وبعده لك اثم اخرى من البرابرة تذكرهم في اماكنهم ثم ان جبل درن هذا من
 جهة غربيه مطل على بلاد المغرب الاقصى وهي في جوفيه في الناحية الجنوبية منها بلاد مر كاش
 وانمات وتادلا وعلى البحر المحيط منها رباط اسفي ومدينة سلا في الجوف عن بلاد مر كاش بلاد فارس
 ومكاسة وتازا وقصر كامة وهذه هي التي تسمى المغرب الاقصى في عرف أهلها وعلى ساحل البحر المحيط منها
 بلدان أصيلا والعرايش وفي سمت هذه البلاد شرقا بلاد المغرب الاوسط وقاعدتها التلسان وفي سواحلها على
 البحر الرومي بلهين ووهراز والجوز اترلان هذا البحر الرومي يخرج من البحر المحيط من خليج طنية في
 الناحية الغربية من الاقليم الرابع ويذهب مشرقا فينتهي الى بلاد الشام فاذا خرج من الخليج المتضايق
 غير بعيد انفسح جنوبا وشمالا فدخل في الاقليم الثالث والخامس فلهذا كان على ساحله من هذا الاقليم
 الثالث الكثير من بلاده ثم يتصل ببلاد الجزائر من شرقها بلاد بجاية في ساحل البحر ثم قسنطينة في

خبر اقاما اليوم فقد ذهب
 صفوا الزمان وبقى كدره
 فالمت اليوم تحفة لكل
 مسلم كان الخير أصبح خاملا
 والشرا أصبح ناظرا وكان
 الغي أصبح ضاحكا
 والرشيد باكوا وكان العدل
 أصبح غائرا وأصبح الجور
 عالما وكان العقل أصبح
 مدفونا والجهل منشورا
 وكان اللوم أصبح باسقا
 والكرم خاوا يوا وكان الود
 أصبح مقطوعا والبغضاء
 موصولة وكان الكرامة قد
 سلبت من الصالحين
 وتوخى بها الاشرار وكان
 الحب أصبح مسيئا قضا
 والوفاء نائما وكان الكذب
 أصبح مثمرا والصدق ما حلا
 وكان الاشرار أصبحوا
 يسامون السما وأصبح
 الاخيار يردون بطن
 الارض اما ترى الدنيا تقبل
 اقبال الطالب وتدبر اذار
 الهارب وتصل وصال
 الملوك وتفارق فراق
 العجول فخيرها يسير وعيشها
 قصير واقبالها خديعة
 وادبارها خبيعة ولذاتها
 فانية وتبعاتها باقية فاغتنم
 عفة الزمان وانتهز فرصة
 الامكان وخدم نفسك
 لنفسك وتزود من يومك
 لعدك ولا تنافس أهل

الدنيا في خفض عيشهم ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة قطعهم وسوء منقلبهم قال الشاعر
 رب مغروس يعاش به * عدمته عين مغترسه وكذلك الدهر مائة * أقرب الاشياء من عرسه

الشرق
 وقد قال الناهي

تنافس في الدنيا غرور وانما * تصارى عنها ان تؤل الى الفقر وانما في الدنيا كركب سفينة * تظن وقوفها الزمان بها يجرى
وابعض الشعراء تروح الى الدنيا بغير الذي غدت * وتحدث من بعد الامور امور (٣٨) وتجري الليالي باجتماع وفرة *
وتطلع فيها النجوم وتعود

فمن ظن ان الدهر باق
سروره

فذاك محال لا يدوم سروره
عقاله عن صبر الهم واحدا
وأيقن ان الدائرات تدور
(وقال وهب بن منبه)

قدرات في كتب بعض
الاتبياء عليهم السلام ان

المسيح اجتاز بجمجمة هائلة
عظيمة نخرة فقال له اصحابه

يا روح الله لوسألت الله
تعالى ان يستنطق هذه

الجمجمة فعمى تخبرنا بما
رأته من العماث ففعل

فأنطقها الله تعالى فقالت
يا روح الله اني عشت ألف

سنة واستولدت ألف ذكر
وافتحنت ألف مدينة

وهزمت ألف جيش
وقتل ألف جبار وصحبت

الدهر واختبرته وامتحنت
تقلبه وانقلبه فلم أرى شياً

أشد من طالح بلي أرمض
ولم أجد له ذا الدهر شياً

أنفع من الصبر ومسالمة
أهله ولم أرهاك أهله الا في

الحرص والطمع ووجدت
العز في الرضا بالقسم وقال

محمد بن أبي العتاهية آخر
شعره قال اني في مرضه الذي

توفي فيه رحمه الله
المسي لا تعذبني فاني

مقر بالذي قد كان مني
اذا فكرت في قديمي عليها

الشرق منها وفي آخر الجزء الاول وعلى مرحلة من هذا البحر في جنوب هذه البلاد ومرفقها الى جنوب المغرب
الايوسط بلد اشير ثم بلد المسيلة ثم الزاب وقاعدتها بسكرة تحت جبل اوراس المنصل بدرن كما مر وذلك عند
آخر هذا الجزء من جهة الشرق والجزء الثاني من هذا الاقليم على هيئة الجزء الاول ثم جبل درن على نحو
الثالث من جنوبه ذاهباً فيه من غرب الى شرق فيقسمه بقطعتين ويقسم البحر الرومي مسافة من شماله
فالقطة الجنوبية بية عن جبل درن غرباً فيها كله مفاوز وفي الشرق منها بلد غدامس وفي سمتها شرقاً أرض
ودان التي يسمونها في الاقليم الثاني كما مر والقطة الجوفية عن جبل درن ما بينه وبين البحر الرومي في الغرب
منها جبل اوراس وتبسة والواويس وعلى ساحل البحر يدبونة ثم في سمت هذه البلاد شرقاً بلاد افر يقية
فعلى ساحل البحر مدينة تونس ثم سوسة ثم المهديّة وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن بلاد الجرد توزر
وقفصة ونقراوة وفيما بينهما وبين السواحل مدينة القيروان وجبل وسالات وسيطة وعلى سمت هذه
البلاد كلها شرقاً بلد طراباس على البحر الرومي وبارثان في الجنوب جبل درن وقرة من قبائل هواة متصلة
بجبل درن وفي مقابلة غدامس التي مر ذكرها في آخر القطة الجنوبية بية وأخر هذا الجزء في الشرق سو يقة
ابن مشكورة على البحر وفي جنوبها بحالات العرب في أرض ودان وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم يمر
أيضاً في جبل درن الا أنه ينقطع عند آخره الى الشمال ويذهب على سمتة الى أن يدخل في البحر الرومي
ويسمى هنا الطرف أو ثان والبحر الرومي من شماله غمر طائفة منه الى أن يضايق ما بينه وبين جبل درن
فالذي وراءه الجبل في الجنوب وفي الغرب منه بقية أرض ودان وبحالات العرب فيها ثم زوية ابن خطاب ثم
رمال وقفار الى آخر الجزء في الشرق وفيما بين الجبل والبحر في الغرب منه بلد سرت على البحر ثم خلا وقفار
تجول فيها العرب ثم اجدانية ثم برقة عند منقطع الجبل ثم طلسة على البحر هناك ثم في شرق المنقطع من
الجبل بحالات هيب ورواحة الى آخر الجزء وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم وفي الاعلى من غربيه صحارى
برقيق وأسقل منها بلاد هيب ورواحة ثم يدخل البحر الرومي في هذا الجزء فيغمر طائفة منه الى الجنوب
حتى يزاحم طرفه الاعلى ويبقى بينه وبين آخر الجزء قفار تجول فيها العرب وعلى سمتها شرقاً بلاد القيوم وهي
على مصب أحد الشعابين من النيل الذي يمر على اللاهون من بلاد الصعيد في الجزء الرابع من الاقليم
الثاني ويصب في بحيرة قيوم وعلى سمتها شرقاً أرض مصر ومدينتها الشهيرة على الشعب الثاني الذي يمر
بداص من بلاد الصعيد عند آخر الجزء الثاني ويقترق هذا الشعب اقتراقاً ثانية من تحت مصر على
شعبين آخرين من شظون وفزقي وينقسم الايمن منهما من قرمط بشعبين آخرين ويصب جميعها في البحر
الرومي فعلى مصب الغربي من هذا الشعب بلاد الاسكندرية وعلى مصب الوسط بلدرشيد وعلى مصب
الشرقي بلددمياطو وبين مصر والقاهرة وبين هذه السواحل البحرية أسافل الديار المصرية كلها المحشوة
عمرانا وبلجاً وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم بلاد الشام واكثرها على ما وصف وذلك لان بحر القلزم
ينتهي من الجنوب وفي الغرب منه عند السويس لانه في ممره مبتدئ من البحر الهندي الى الشمال
ينقطع أخذاً الى جهة الغرب فتكون قطعة من انعطافه في هذا الجزء طوية فتنتهي في الطرف الغربي
منه الى السويس وعلى هذه القطعة بعد السويس فاران ثم جبل الطور ثم ايلة مدين ثم الحو رافى آخرها
ومن هنالك ينقطع بساحله الى الجنوب في أرض الحجاز كما مر في الاقليم الثاني في الجزء الخامس منه وفي
الناحية الشمالية من هذا الجزء قطعة من البحر الرومي غمرت كثير من غربيه عليه القمر والعرش
وقارب طرفها بلاد القلزم فيضايق ما بينهما من هنالك وبقي شبه الباب مقضياً الى أرض الشام وفي غربي

في حيلة الارجاثي * وعفوك ان عقوت وحسن ظني * وكم من زلة لي في البرايا * وأنت على ذوق فضل ومن
عضضت أنامل وقرعت سني * أجن بزهره الدنيا جنونا * وأظعم طول عمري بالتمني * وبين يدي ميفات عظيم * كافي قد دعبت له كافي

ولو اني صدقت الله فيها
ايكم يعرف قس بن ساعدة

قلت لادها يظهر الحن
وقال ابن عباس

قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله قال رجل لست انساها بعكاظ على جبل احمر وهو يخطب
قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله قال رجل لست انساها بعكاظ على جبل احمر وهو يخطب

الناس ويقول ايها الناس
اجتمعوا فاذا اجتمعتم
فاسمعوا فاذا سمعتم فعدوا
فاذا وعدتم فقولوا فاذا اقلتم
فاصدقوا من عاش مات
ومن مات فات وكل ما هو
آت آت ان في السماء خزبرا
وان في الارض اعبرام هاد
موضوع وسقف مرفوع
ونجوم تدور وبجر لا يدور
اقسم قس قس قس قس لا
كذب فيه ولا اثم لئن كان
في الارض رضا لكونن
مخطا ان الله ديناهو
احب اليه من دينكم هذا
الذي اتم عليه مالي ارى
الناس يذهبون ولا
يرجعون ارضوا بالمقام
فقاموا اوتركوا على حالهم
فناموا ثم قال ايكم يروى
شعره فانشده
في الذاهبين الاول
ن من القرون لنا بصائر
ما رايت موارد
لموت ليس لها مصادر
ورايت قومي نخوها
تمضي الاصغر والاكبر
لا يرجع الماضي الي
لما ولا من الباقيين غابر
سكنوا البيوت فوطنوا
ان البيوت هي المقابر
ايقنت اني لاحما
لث حيث صار القوم صائر

هذا الباب فخص التيه ارض جرداء لا تنبت كانت مجالا لابي اسرائيل بعد خروجهم من مصر وقبل دخولهم
الى الشام اربعين سنة كما قصه القرآن وفي هذه القطعة من البحر الرومي في هذه الجزيرة طائفة من جزيرة
قبرس وبقيتها في الاقليم الرابع كما نذكره وعلى ساحل هذه القطعة عند الطرف المتضيق للبحر
السويس بلد العريش وهو آخر الديار المصرية وعسقلان وبينهما طرف هذه البحر ثم تحط هذه
القطعة في انعطافها من هنالك الى الاقليم الرابع عند طرابلس وغزة وهنالك ينتهي البحر الرومي في
جهة الشرق وعلى هذه القطعة اكثر سواحل الشام في شرقه عسقلان وبانحراف يسير عنها الى الشمال بلد
قيسارية ثم كذلك بلاد عكا ثم صور ثم صيدا ثم غزة ثم يعطف البحر الى الشمال في الاقليم الرابع
ويتقابل هذه البلاد الساحلية من هذه القطعة في هذا الجزء جبل عظيم يخرج من ساحل ايلة من بحر القلزم
ويذهب في ناحية الشمال منحرفا الى الشرق الى ان يجاوز هذا الجزء ويسمى جبل اللسكام وكانه حاجز
بين ارض مصر والشام في طرفه عند ايلة العقبة التي يمر عليها الحجاج من مصر الى مكة ثم بعدها في
ناحية الشمال مدفن الخليل عليه الصلاة والسلام عند جبل السراة يتصل من عند جبل اللسكام المذكور
من شمال العقبة ذاهبا على سمت الشرق ثم يعطف قليلا وفي شرقه هنالك بلاد الحجر وديار ثمود وتيماء
ودومة الجندل وهي اسافل الحجاز وفوقها جبل رضوى وحصون خيبر في جهة الجنوب عنها وفيما بين
جبل السراة وبحر الالمز صحراء تبوك وفي شمال جبل السراة مدينة القدس عند جبل اللسكام ثم الاردن
ثم طبرية وفي شرقها بلاد الغور الى اذرعاء وفي سمتها شرقا دومة الجندل آخر هذه الجزيرة وهي آخر الحجاز
وعند معطف جبل اللسكام الى الشمال من آخر هذا الجزء مدينة دمشق مقابلة صيدا وبيروت من
القطعة البحرية وجبل اللسكام يعترض بينهما وبينها وعلى سمت دمشق في الشرق مدينة بعلبك ثم مدينة
حمص في الجهة الشمالية آخر الجزء عند منقطع جبل اللسكام وفي الشرق عن بعلبك وحصص بلد تدمر
ومجالات البادية الى آخر الجزء وفي الجزء السادس من اعلاه مجالات الاعراب تحت بلاد نجد واليمامة
ما بين جبل العرج والسمان الى البحرين وهجر على بحر فارس وفي اسافل هذا الجزء تحت المجالات بلد
الحيرة والقاسية ومعابض الفرات وفيما بعدها شرقا مدينة البصرة وفي هذا الجزء ينتهي بحر فارس
عند عبادان والابلة (١) من اسافل الجزء من شماله ويصب فيه عند عبادان نهر دجلة بعد ان ينقسم
بجداول كثيرة وتحتطط به جداول اخرى من الفرات ثم تجتمع كلها عند عبادان وتصب في بحر فارس وهذه
القطعة من البحر متسعة في اعلاها متضيقة في آخره في شرقه وضيقة عند منتهاه متضيقة للحد الشمالي منه
وعلى عدوتها الغربية منه اسافل البحرين وهجر والاحسا وفي غربها الخطيب والصمان وبقيتها ارض
اليمامة وعلى عدوتها الشرقية سواحل فارس من اعلاها وهو من عند آخر الجزء من الشرق على طرف قد
امتد من هذا البحر مشرقا ووزاءه الى الجنوب في هذا الجزء جبال القفص من كرمان وتحت هجر من على
الساحل بلد سيراف ونخيرم على ساحل هذا البحر وفي شرقه الى آخر الجزء وتحت هجر من بلاد فارس مثل
صابور ودارا بجر دونسا واصطخر والشاهان وشيراز وهي قاعدتها كلها وتحت بلاد فارس الى الشمال
عند طرف البحر بلاد خوزستان ومنها الاهواز ونستر وصدى وصابور والسوس ورام هجر وغيرها
وارجان وهي حد ما بين فارس وخوزستان وفي شرقى بلاد خوزستان جبال الاكراد متصلة الى نواحى
اصهان وبها مساكنهم ومجالاتهم وراها في ارض فارس وتسمى الرسوم وفي الجزء السابع في الاعلى منه
(١) قوله الابلة بضم الهمزة والباو تشديد اللام اه

ثم قال الرجل لقد رايت منه عجايب فتمت وادي فاذا تابعتين
خارجة ووروضة مدهامة وشجرة عادية واذا بقس بن ساعدة قاعد في اصل الشجرة وبيده قضيب وقد ورد على العين سبع كثيرة فكلاما

ورد سبع على صاحبه ضره بالعصا وقال تنع حتى يشرب الذي ورد قبلك فلما رأيت ذلك ذعرت فذعر أشد يد فالتفت الي وقال لا تخف
فالتفت فاذا بقبرين بينهما ما مسجد فقلت ما هذان القبران قال هما قبر الأخوي كانا يعبدان الله (٣٩) تعالى معي في هذا الموضع وأنا أعبد

الله بينهما حتى ألحق بهما
فقلت له ألا تلحق بقومك
فتكون في جبرتهم فقال لي
كنا نكنا أمك أو ما علمت
ان ولدا سمعيل تركت دين
أبيه واتبعنا الأصنام
وعظمت الانداد ثم تركي
وأقبل على القبرين وقال
خليلي هب اطعمنا قدر قدما
أجد كما تم قضبان كرا كما
أرى النوم بين الجمل والاعظم
منكما

كان الذي يسقى العقار
سقاكما

ألم تعلم أني بسمعان مفرد
ومالي فيه من خليل سوا كما
مقيم على قبر يكما لست نازحا
طوال الليالي أو يجيب
صدكما
الذي يكما طول الحياة وما
الذي

يرد على ذي غصة أن يكما
كان كما والموت أقرب غابة
بروح في قبر يكما فدأنا كما
سلام وتسليم وروح ورجة
ومغفرة المولى على ساكنكما
فلو جعلت نفس لنفس
وقاية

لمجدت بنفسي أن تكون
قدكما

وفي الحديث ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان
قس بن ساعدة يبعث أمة
وحدده يعني ان كل أمة

من المغرب بقية جبال القفص ويليامان الجنوب والشمال بلاد كرمان ومكران ومن مدنها الرودان
والشيران وجيرفت ويزدشير والبحر وتحت أرض كرمان الى الشمال بقية بلاد فارس الى حدود
اصبهان ومدينة اصبهان في طرف هذا الجزء ما بين غربه وشماله ثم في المشرق عن بلاد كرمان وبلاد
فارس أرض سجستان وكوهستان في الجنوب وأرض كوهستان في الشمال عنها ويتوسط بين كرمان
وفارس وبين سجستان وكوهستان في وسط هذا الجزء المقاول العظيم القبلة المسالك الصعبة بها ومن
مدن سجستان بست والطاق وأما كوهستان فهي من بلاد خراسان ومن مشاهير بلادها سرخس
وقوهستان آخر الجزء وفي الجزء الثامن من غربه وجنوبه بحالات الجبل من أم الترك متصلة بأرض
سجستان من غربها وأرض كابل الهند من جنوبها وفي الشمال عن هذه المجالات جبال الغورو وبلادها
وقاعدتها غزنة فريضة الهند وفي آخر الغور من الشمال بلاد استراباذ ثم في الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد هراة
أوسط خراسان وبها السقران وقاشان وبوشنج ومرو الروذ والطالقان والجوزجان وتنهي خراسان هنالك
الى نهر جيحون وعلى هذا النهر من بلاد خراسان من غربه مدينة بلخ وفي شرقه مدينة ترمذ ومدينة
بلخ كانت كرسى مملكة الترك وهذا النهر جيحون يخرج من بلاد جارجان وديندخشان مما يلي الهند
ويخرج من جنوب هذا الجزء عند آخره من الشرق فينعطف عن قرب مغربا الى وسط الجزء ويسمى
هنالك نهر خراب ثم ينعطف الى الشمال حتى يمر بخراسان ويذهب على سمته الى أن يصب في بحيرة خوارزم
في الاقليم الخامس كما ذكره ويعد عند انعطافه في وسط الجزء من الجنوب الى الشمال خمسة أنهار عظيمة من
بلاد الختل والوخش من شرقه وأنهار أخرى من جبال البتم من شرقه ايضا وجوف الجبل حتى يتسع
ويعظم بحالا كفاءه ومن هذه الأنهار الخمسة الممددة له نهر وخشاب يخرج من بلاد التبت وهي بين الجنوب
والشرق من هذا الجزء فيمر مغربا بانحراف الى الشمال الى أن يخرج الى الجزء التاسع قريبا من شمال
هذا الجزء يعترضه في طريقه جبل عظيم يمر من وسط الجنوب في هذا الجزء ويذهب مشرقا بانحراف الى
الشمال الى أن يخرج الى الجزء التاسع قريبا من شمال هذا الجزء فيجوز بلاد التبت الى القطعة
الشرقية الجنوبية من هذا الجزء ويحول بين الترك وبين بلاد الختل وليس فيه الامسال واحد في وسط
الشرق من هذا الجزء جعل فيه الفضل بن يحيى سدا وبنى فيه بابا كسديا جوج وما جوج فاذا خرج نهر
وخشاب من بلاد التبت واعترضه هذا الجبل فيمر تحته في مدى بعيد الى أن يمر في بلاد الوخش ويصب في
نهر جيحون عند حدود بلخ ثم يمر بها بطا الى الترمذ في الشمال الى بلاد الجوزجان وفي المشرق عن بلاد
الغور قريبا بينها وبين نهر جيحون بلاد الناسان من خراسان وفي العدة الشرقية هنالك من النهر بلاد
الختل وأكثرها جبال وبلاد الوخش ويحدها من جهة الشمال جبال البتم يخرج من طرف خراسان
غرب نهر جيحون وتذهب مشرقا الى أن يتصل طرفها بالجبل العظيم الذي خلفه بلاد التبت ويمر تحته
نهر وخشاب كما قلناه فيتصل به عند باب الفضل بن يحيى ويمر نهر جيحون بين هذه الجبال وانهار أخرى
نصب فيه منها نهر بلاد الوخش يصب فيه من الشرق تحت الترمذ الى جهة الشمال ونهر بلخ يخرج من
جبال البتم من مبدئه عند الجوزجان ويصب فيه من غربه وعلى هذا النهر من غربه بلاد آمد من
خراسان وفي شرقي النهر من هنالك أرض الصغد وأسر وشنة من بلاد الترك وفي شرقها أرض فرغانة ايضا
الى آخر الجزء شرقا وكل بلاد الترك تحوزها جبال البتم الى شمالها وفي الجزء التاسع من غربه أرض
التبت الى وسط الجزء وفي جنوبها بلاد الهند وفي شرقها بلاد الصين الى آخر الجزء وفي أسفل هذا الجزء

أمنت بنبيها تبعث أمة وهداها لا يخاطها غيرها ويبعث قس ايضا وهداها ليس معه أحد (ويروي) ان المهدي نام يوما فأنشد في نومه
هذه الأبيات كافي هذا العصر قد باداه له وواو حش منه ركنه ومنازله فلم يبق الا ذكره وحديثه * ينادي بابل معولات نوا كله

فما أتت عليه عشرة عشرة حتى مات (وأشدني) القاضي أبو العباس الجرجاني رحمه الله بالبصرة هذه الآيات بالله وبك كم قصر مررت به
* قد كان يعمر بالذات والطرب (٤٠) طارت عقاب المنيا في جوانبه * فصاح من بعده بالويل والحرب وأشدني أيضا

شمالا عن بلاد التبت بلاد الخزر لجزيرة من بلاد الترك الى آخر الجزيرة شرقا وشمالا ويتصل بها من غربها
أرض فرغانة أيضا الى آخر الجزيرة شرقا ومن شرقها أرض التغرغر من الترك الى آخر الجزيرة شرقا وشمالا
وفي الجزيرة العاشرة في الجنوب منه جميعا بقية الصين وأسافلها وفي الشمال بقية بلاد التغرغر ثم شرقا عنهم
بلاد خزر من الترك أيضا الى آخر الجزيرة شرقا وفي الشمال من أرض خزر بلاد كتمان من الترك
وقبالتها في البحر المحيط جزيرة الباقوت في وسط جبل مستدير لا منفذ منه اليها ولا مسلك والصعود الى
أعلى من خارجه صعب في الغاية وفي الجزيرة حيات قتالة وحصى من الباقوت كثيرة فيختال أهل تلك
الناحية في استفراجه بما يلهوهم الله اليه وأهل هذه البلاد في هذا الجزء التاسع والعاشر فيما وراء خراسان
والجبال كلها بحالات للترك أهم لا تحصى وهم طواغيت واهل ابل وشاه وبقرون خيل للنتاج والركوب
والاكل وطوائفهم كثيرة لا يحصيهم الا خالقهم وفيهم مسلمون مما يلي بلاد النهر نهر جيحون ويعزون
الكافة منهم الدائنين بالجوسية فيبيعون رقيقهم لمن يلبهم ويخرجون الى بلاد خراسان والهند والعراق
(الاقليم الرابع) يتصل بالثالث من جهة الشمال * والجزء الاول منه في غربيه قطعة من البحر المحيط
مستطلة من اوله جنوبا الى آخره شمالا وفي الجنوب مدينة طنجبة ومن هذه القطعة تحت طنجبة من
البحر المحيط الى البحر الرومي في خليج متضيق بمقدار اثني عشر ميلا ما بين طرفي الجزيرة الخضراء
شمالا وقصر الحجاز وسبعة جنوبا وبوذهب مشرقا الى ان ينتهي الى وسط الجزء الخامس من هذا الاقليم
وينفتح في ذهابه بتدرج الى ان يعمر الاربعة اجزاء وأكثر الخامس ويعمر عن جانبه طرفان من الاقليم
الثالث والخامس كما سنذكره ويسمى هذا البحر البحر الشامي ايضا وفيه جزائر كثيرة أعظمها في جهة الغرب
يابسة ثم ما يرقه ثم منققة ثم سردانية ثم صقلية وهي أعظمها ثم بلونس ثم اقر بطس ثم قبرص كما نذكرها
كها في اجزائها التي وقعت فيها ويخرج من هذا البحر الرومي عند آخر الجزء الثالث منه وفي الجزء الثالث من
الاقليم الخامس خليج البنادقة يذهب الى ناحية الشمال ثم ينعطف عند وسط الجزيرة من جوفه ويمر مغربا
الى ان ينتهي في الجزء الثاني من الخامس ويخرج منه ايضا في آخر الجزء الرابع شرقا من الاقليم الخامس
خليج القسطنطينية يمر في الشمال متضيقا في عرض رمية السهم الى آخر الاقليم ثم يقضي الى الجزء الرابع
من الاقليم السادس وينعطف الى بحر بطس ذاهبا الى الشرق في الجزء الخامس كله ونصف السادس من
الاقليم السادس كما نذكر ذلك في اما كنهه وعند ما يخرج هذا البحر الرومي من البحر المحيط في خليج طنجبة
وينفتح الى الاقليم الثالث يبقى في الجنوب عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزء فيها مدينة طنجبة على
مجمع البحرين وبعدها مدينة سبته على البحر الرومي ثم طاون ثم بادريس ثم يعمر هذا البحر بقية هذا
الجزء شرقا ويخرج الى الثالث وأكثر العمارة في هذا الجزء في شماله وشمال الخليج منه وهي كلها بلاد
الاندلس الغربية منها ما بين البحر المحيط والبحر الرومي او لها طرف عند مجمع البحرين وفي الشرق منها
على ساحل البحر الرومي الجزيرة الخضراء ثم مالقة ثم المنكب ثم المرية وتحت هذه من لدن البحر المحيط
غربا على مغربه منه شريش ثم لبله وقبالتها في جزيرة قادس وفي الشرق عن شريش وبلبله اشبيلية ثم
استجة وقرطبة ومدية ثم غرناطة وجيان وأبدة ثم وادياش وبسطة وتحت هذه شمالية وشلب الى
البحر المحيط غربا في الشرق عنهما بطلموس وماردة وباربة ثم غافق وبرزالة ثم قلعة رباح وتحت هذه
اشبونة على البحر المحيط غربا وعلى نهر باجة وفي الشرق عنهما شترين وموزية على النهر المذكور ثم قنطرة
السيف ويسامت اشبونة من جهة الشرق جبل الشارات يمد من المغرب هنالك ويذهب مشرقا مع آخر

أبها الرافع البناء ويذا
ان تذود المنون عنك المباني
ان هذا البناء يبقى ويقبى
كل شيء ابقى من الانسان
(وقال الحكيم بن عمرو)
قال ابو جعفر المنصور عند
موتة اللهم ان كنت تعلم
أني ارتكبت الامور العظام
جرأة مني عليك فانك
تعلم اني قد اطعتك في أحب
الاشياء اليك شهادة ان
لا اله الا الله منامك لا منا
عليك * وكان سبب احرامه
من الخضراء انه كان يوما
نائما فأتته في منامه
فقال
كأني بهذا القصر قد باد أهلها
واوحش منه أهلها ومنزلها
وصار عميد القصر من بعد
بهاجة
الى تربة تسقى عليه جنادله
فاستيقظ مرعوبا ثم نام فأشد
أباجعفر حانت وفانك
وانقضت
سنوك وامر الله لا بد واقع
فهل كاهن أعددته ومنجم
أباجعفر عنك المنية دافع
فقال يارب بيع اثنتي
بطهورى فقام واغتسل
ولبى وتجهز للبعج ثم قال
يارب بيع القتي في حرم الله
تعالى (وأشدني) القاضي أبو
العباس الجرجاني بالبصرة

ان كنت تسعوا الى الدنيا وزينتها * فانظر الى ملك الاملاك قارون زم الامور فاعطته مقادتها * الجزء
وسخر الناس بالتشديد واللين حتى اذا ظن ان لا شيء غالبه * ومكنت قدما ما أي تكفين راحت عليه المنيا بروحة تركت * الجزء

ذالملك والعزيمت الماء والطين وأنشدني أبو محمد النهمي ببغداد
 إذا ما صار أخواني رفانا * وصرت لفقدهم فردا وحيدا * أعان معشر المهمل شكول * (٤١) وأشكال قداة تنقوا للحدود
 لمن استأنف الشيء الجديدا * لمن أبني لمن أسم المطايا * (٤١)

(ومن زهد في الدنيا) وأيضاً
 عبو بهامان أبناء الملوك
 أبو عقاب علوان بن الحسن
 من بني الأغلب وهم ملوك
 المغرب وكان ذا نعمة ومالك
 وله فتوة ظاهرة فناب إلى
 ربه ورجع عن ذلك رجوعاً
 فارق نظراءه فرفض المال
 والأهل وهجر البناء والوطن
 وبلغ من العبادة مبلغاً ربي
 فيه على المجتهدين وعرف
 بأجابه الدعوة وكان عالماً أديباً
 قد صحب عدة من أصحاب
 سخيون وسمع منهم ثم انقطع
 إلى بعض السواحل فصحب
 رجلاً يكنى أباهرون
 الأندلسي منقطعاً متبلاً
 إلى الله تعالى فلم يرمه
 كبير اجتهاد في العمل فينا
 أبو عقاب يتبعه في بعض
 الليالي وأبو هريرة نائم
 إذ غاب له النوم فقال لنفسه
 يا نفس هذا عابد جليل
 القدر ينام الليل كله وأنا
 أسهر الليل كله فلوارحت
 نفسي فوضع جنبه فقرأ
 في منامه شخصاً فتلا عليه
 أم حسب الذين اجترحوا
 السيئات أن نخعلمهم كالذين
 آمنوا وعملوا الصالحات
 إلى آخر الآية فاستعظ
 فزاعوا علم أنه المراد فأيقظ
 أباهرون وقال له سألتك
 بالله هل آتيت كبيرة قط
 قال لا يا ابن أخي ولا صغيرة

الجزء من شماله فمتى إلى مدينة سالم بعد النصف منه وتحت هذا الجبل طلبه بركة في الشرق من
 فوزه ثم طيلة ثم وادي الحجاز ثم مدينة سالم وعند أول هذا الجبل فيما بينه وبين أشبونة بلد قريه
 هذه غربي الأندلس * وأما شرقي الأندلس فعلى ساحل البحر الرومي منها بعد المرية قرطاجنة ثم لفته
 ثم دانية ثم بلنسية إلى طرطوشة آخر الجزء في الشرق وتحتها شمالاً المورقة وشقورة بتانجان بسطة
 وقاعة قرياح من غرب الأندلس ثم مرسية شرقاً ثم شاطبة تحت بلنسية ثم شمالاً ثم شرقاً ثم طرطوشة ثم
 طركونة آخر الجزء ثم تحت هذه شمالاً الأرض منبجالة وريدة بتانجان لشقورة وطليلة من الغرب ثم
 افراغة شرقاً تحت طرطوشة وشمالاً عنها ثم في الشرق عن مدينة سالم قلعة أيوب ثم سرقسطة
 ثم لاردة آخر الجزء شرقاً وشمالاً والجزء الثاني من هذا الاقليم غير الماء جميعه الا قطعة من غربيه
 في الشمال فيها بقية جبل البرنات ومعناه جبل الثنايا والسالك يخرج اليه من آخر الجزء الاول من
 الاقليم الخامس يبدأ من الطرف المنتهي من البحر المحيط عند آخر ذلك الجزء جنوا وبو شرقاً ويمر في
 الجنوب بانحراف إلى الشرق فيخرج في هذا الاقليم الرابع من ارتفاع الجزء الاول منه إلى هذا الجزء الثاني
 فيقع فيه قطعة منه تفضى ثناياها إلى البر المنصل وتسمى أرض غشكوونية وفيه مدينة خريده وقرقشونة
 وعلى ساحل البحر الرومي من هذه القطعة مدينة برسلوننة ثم أربونة وفي هذا البحر الذي غير الجزء جزائر
 كثيرة ومنها غير مسكون لصغر هافي غربيه جزيرة سردانية وفي شرقيه جزيرة صقلية متسعة
 الاضار يقال ان دورها بجمعائة ميل وبها مدن كثيرة من مشاهيرها سرقوسة وطرابلس
 ومازرومسيني وهذه الجزيرة تقابل أرض افريقية وفيها بينها جزيرة أعدوش ومالطة والجزء الثالث
 من هذا الاقليم مغموراً أيضاً بالبحر الا ثلاث قطع من ناحية الشمال الغربية منها أرض فلوريه والوسطى
 من أرض ابكرده والشرقية من بلاد البنادقة والجزء الرابع من هذا الاقليم مغموراً أيضاً بالبحر كما
 وجزائره كثيرة وأكثرها غير مسكون كإفي الثالث والمعمور منها جزيرة بلونس في الناحية الغربية الشمالية
 وجزيرة اقريطيش مسطوية من وسط الجزء إلى ما بين الجنوب والشرق منه والجزء الخامس من هذا
 الاقليم غير البحر منه مثله كبيرة بين الجنوب والغرب ينتهي الضلع الغربي منها إلى آخر الجزء في الشمال
 وينتهي الضلع الجنوبي منها إلى نحو الثلثين من الجزء ويبقى في الجانب الشرقي من الجزء قطعة نحو
 الثلث يمر الشمال منها إلى الغرب منقطعاً مع البحر كما قلناه وفي النصف الجنوبي منها أسافل الشام ويمر في
 وسطها جبل اللكام إلى أن ينتهي إلى آخر الشام في الشمال فينعطف من هنالك ذاهباً إلى القطر الشرقي
 الشمالي ويسمى بعد ذلك عطف جبل السلسلة له ومن هنالك يخرج إلى الاقليم الخامس ويجوز من عند
 منعطفه قطعة من بلاد الجزيرة إلى جهة الشرق ويقوم من عند منعطفه من جهة المغرب جبال متصلة
 بعضها بعض إلى أن ينتهي إلى طرف خارج من البحر الرومي متأخراً إلى آخر الجزء من الشمالي وبين هذه
 الجبال ثنايا تسمى الدروب وهي التي تفضى إلى بلاد الارمن وفي هذا الجزء قطعة منها بين هذه الجبال وبين
 جبل السلسلة فأمما الجهة الجنوبية التي قدمنا فيها أسافل الشام وأن جبل اللكام معترض فيها بين
 البحر الرومي وآخر الجزء من الجنوب إلى الشمال فعلى ساحل البحر منه بلد أنطرطوس في اول الجزء من
 الجنوب متاخراً لغزة وطرابلس على ساحله من الاقليم الثالث وفي شمال أنطرطوس جبل له ثم اللاذقية
 ثم أسكندرونه ثم سلوقية وبعدها شمالاً بلاد الروم وأما جبل اللكام المترص بين البحر وآخر الجزء
 بحفايه فيصاقيه من بلاد الشام من أعلى الجزء جنوا بام غربيه حصن الحواني وهو الخشيشة

(٦ - ابن خلدون) عن عمه والحمد لله فقال أبو عقاب لهذا انما أنت ولا يصلح لك على الاكذ والاجتهاد ثم دخل إلى مكة ولزم بيت
 الله الحرام ووج مراراً ربي على عباد المشرق وكان يعمل بالقرية على ظهيرة بقوة ومات بمكة وهو ساجد في صلاة الفريضة قبله بحد

الحرام سنة ست وتسعين ومائتين وقال له رجل كان يعجبه يومالي اليك حاجة فقال له بعد الجهد به حاجتك مقضية قال ان كان لك شهوة
أخبرني بها قال نعم أشتري أن آكل (٤٢) رأسا قال فاشتريت له رأسين ولفقتهم في رفاق وجئت بهما ثم سأله بعد أيام هل طاب لك

الاسماعيلية و يعرفون لهذا العهد بالقدادية ويسمى الحصن مصيات وهو قبالة انظر طوس وقبالة هذا
الحصن في شرق الجبل بادسلية في الشمال عن حص وفي الشمال عن مصيات بين الجبل والبحر بلد
انطاكية ويقابلها في شرق الجبل المعروفة في شرقها المارغة وفي شمال انطاكية المصبصة ثم اذنه ثم طرسوس
آخر الشام ويحاذيها من غرب الجبل قنسر بن ثم عين زربة وقبالة قنسر بن في شرق الجبل حلب ويقابل
عين زربة منبج آخر الشام واما الدروب فعن يمينها ما بينها وبين البحر الرومي بلاد الروم التي هي لهذا العهد
للتركان وسلاطنتها ابن عثمان وفي ساحل البحر منها بلدان انطاكية والعلايا واما بلاد الارمن التي بين جبل
الدروب وجبل السلسلة فهما بالدمر عس وماطية والمعروفة الى آخر الجزء الشمالي ويخرج من الجزء الخامس
في بلاد الارمن نهر جيحان ونهر سيحان في شرقه فيمربها جيحان جنوبا حتى يتجاوز الدروب ثم يمر
بطررسوس ثم بالمصبصة ثم ينعطف هابطا الى الشمال ومغربا حتى يصب في البحر الرومي جنوب سلوقية
ويمر نهر سيحان موازيا للنهر جيحان فيحاذي المعرة ومعر عس ويتجاوز جبال الدروب الى أرض الشام ثم يمر
بعين زربة ويجوز عن نهر جيحان ثم ينعطف الى الشمال مغربا فيختلط بنهر جيحان عند المصبصة ومن
غربها واما بلاد الجزيرة التي يحيط بها منعطف جبل الامكام الى جبل السلسلة ففي جنوبها بلاد الرافضة
والرقعة ثم حران ثم سروج والرها ثم نصيبين ثم سميساط وامتدحت جبل السلسلة له و آخر الجزء من شماله
وهو أيضا آخر الجزء من شرقه ويمر في وسط هذه القطعة نهر الفرات ونهر دجلة فيخرجان من الاقليم
الخامس ويمران في بلاد الارمن جنوبا الى ان يتجاوزا جبل السلسلة فيمرب نهر الفرات من غرب سميساط
وسروج وينحرف الى الشرق فيمرب بقرب الرافضة والرقعة ويخرج الى الجزء السادس وتورد جلة في شرق
آمدوتة نعطف قريبا الى الشرق فيخرج قريبا الى الجزء السادس وفي الجزء السادس من هذا الاقليم
من غربه بلاد الجزيرة وفي الشرق منها بلاد العراق منصلته بها انتهى في الشرق الى قرب آخر الجزء
ويعترض من آخر العراق هنالك جبل اصهبان هابطا من جنوب الجزء منخرقا الى الغرب فاذا انتهى الى
وسط الجزء من آخره في الشمال يذهب مغربا الى ان يخرج من الجزء السادس ويتصل على ستمته بجبل
السلسلة في الجزء الخامس فيقطع هذا الجزء السادس بقطعتين غربية وشرقية في الغربية من جنوبها
مخرج الفرات من الخامس وفي شمالها يخرج دجلة منه اما الفرات فأول ما يخرج الى السادس يمر
بقريسيبا ويخرج من هنالك جدول الى الشمال ينساب في أرض الجزيرة ويغوص في نواحيها ويمر من
قريسيبا غير بعيد ثم ينعطف الى الجنوب فيمرب بقرب الحابور الى غرب الرحبة ثم يخرج منه جدول من
هنالك يمر جنوبا ويبقى صفيين في غربه ثم ينعطف شرقا وينقسم بشعوب فيمرب بعضها بالكوفة وبعضها
بقصر ابن هبيرة وبالجماميين ويخرج جبهها في جنوب الجزء الى الاقليم الثالث فيغوص هنالك في شرق
الحيرة والقادسية ويخرج الفرات من الرحبة مشرقا على ستمته الى هيت من شمالها يمر الى الزاب والانبار
من جنوبها ثم يصب في دجلة عند بغداد واما نهر دجلة فاذا دخل من الجزء الخامس الى هذا الجزء
يمر مشرقا على ستمته ويحاذيها الجبل السلسلة المتصل بجبل العراق على ستمته فيمرب جزيرة ابن عمر على
شمالها ثم بالموصل كذلك وتكرت وينتهي الى الحديثة فينعطف جنوبا وتبقى الحديثة في شرقه
والزاب الكبير والصغير كذلك ويمر على ستمته جنوبا وفي غرب القادسية الى ان ينتهي الى بغداد
ويختلط بالفرات ثم يمر جنوبا على غرب جرجان الى ان يخرج من الجزء الى الاقليم الثالث فينتشر
هنالك مشعوبه ووجد اوله ثم يجتمع مع ويصب هنالك في بحر فارس عند عبادهان وفيما بين نهر الدجلة

الراسان قال لا ما هو الا ان
فتحتهم فاذا هم محشوان
دود ليس فيه ما البتة
لحم الا الدود فانت الراس
فأخبرته فأطرق متعجبا ثم
قال ما ظننت أن في زماننا
احد دا يحيى عن الحرام
هذه الحماية تلك الرؤس
كانت من غنم اتنها بعض
العمال ثم أعطاني رأسين
من غير تلك الغنم فانت
بهما الباعقال فاكله ما
فأخبرته بما قال الراس
فبكي ثم قال يارب ما كان
يستحق عبدك أبو عقاب
مثل هذه الحماية ولا كنه
يارب فضلك وكرمك فلك
على يارب أن لا آكل طعاما
بشهوة أشتها حتى ألقاك
ان شاء الله تعالى وكانت
له أخت متعبدة فلما ماتت
لمحقت قبره بمكة وبكت
عليه وكتبت عليه هذه
الايات
ليت شعري ما الذي عاينته
بعد دوم الصوم مع نفي
الوسن
مع عزوف النفس عن
أوطارها
والتخلي عن حبيب وسكن
يا شقيقي ليس في وجدى به
علة تمنعني عن أن أجن
وكما تبلى وجوه في الثرى
فكذلك يبلى عليهن الحزن

(و روى) ان رجلين تنازعا في أرض فانطق الله لينة من جدار تلك الأرض فالتا في كنت ملكا من الملوك والفرات
ملك الدنيا الف سنة ثم وصرت رميا الف سنة فآخذني بخزاف واتخذني خزفا ثم أخذني وضربني لبنا وانا في هذا الجدار كذا وكذا

سنة فلم يمتازان في هذه الارض (ومن اعجب) ماروي في الاسم ائليان ان ابنة من بنات الملوك تزهدت في الدنيا وتابت وخرجت من ملكها فقصدت فلم يسمع لها خبر ولا علم لها اثر وكان ذلك دبر للتعبدين فالحق بهم شاب (٤٣) يتعبد فابصر وامنه من الاجتهاد والجد

في العمل ولازمة الاوراد
ومواصله الاعمال مافاق
به جميع من في الدير واقام
على ذلك ماشاء الله تعالى
الى ان انقضت ايامه ووفاه
جمامه فقضى القتي نجبه
فحزن له اهل الدير من
الزهاد والعباد والمنطقين
واذروا عليه الدموع ثم
أخذوا في غسله واذا هو
امرأة ففحصوا عن امره واذا
هي بنت الملك فزادهم
ذلك اعجابا به وتعظيما له
وتشاوروا في امره ماذا
يحدثون له من الكرامة ثم
اجتمعوا امرهم ان لا يدفنوها
تحت الثرى وان يحملوها
فوق ارفقتهم فغسلوها
وكفنها ووجهها وصلوا
عليها ثم اقبلوا بحملونها
على الاكف والسواعد كما
ضبحر واحد جاء واحد
يحمل مع من يحمل وكل
من انقطع في الدير لعبادة
ربه جعل يحمل معهم
الى ان بليت وتقطعت
اوصالهم مع طول الزمان
فدفنت حينئذ درجة الله
عليها (وكان في بلاد الروم
مما يلي ارض الاندلس
رجل نصراني قد بلغ في
التخلي من الدنيا مبلغا عظيما
واعترل الخلق والترم قال
الجمال والسياحة في الارض

والفرات قبل مجدهم ما بعد ادهى بلاد الجزيرة ويختلط بنهر دجلة بعد مفارقتها ببغداد نهر آخر يأتي من
الجهة الشرقية الشمالية منه وينتهي الى بلاد النهر وان قبالة بغداد شرقا ثم ينعطف جنوبا ويختلط بدجلة
قبل خروجه الى الاقليم الثالث ويبقى ما بين هذا النهر وبين جبل العراق والاعاجم بلاد بلولا وفي شرقها
عند الجبل بلاد حلوان وصيرة واما القطعة الغربية من الجزء فيعرضها جبل يمد من جبل الاعاجم
مشرقا الى آخر الجزيرة ويسمى جبل ش-هرز ورويقهها ابقطعتين وفي الجنوب من هذه القطعة الصغرى بلد
خونجان في الغرب والشمال عن اصبهان وتسمى هذه القطعة بلاد الملوس وفي وسطها بلدتها وندوف في شمالها
بلد شهرزور وغربا عند ماتي الجبلين والدينور شرقا عند آخر الجزيرة وفي القطعة الصغرى الثانية طرف من
بلاد ارمينية قاعدتها المارغة والذي يقابلها من جبل العراق يسمى باريا وهو مساكن للاكراد والزبان
الكبير والصغير الذي على دجلة من ورائه وفي آخر هذه القطعة من جهة الشرق بلاد اذربيجان ومنها تبريز
والبيلقان وفي الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء قطعة من بحر نبطش وهو بحر الخزر وفي الجزء
السابع من هذا الاقليم من غربه وجنوبه معظم بلاد الملوس وفيها هزان وقزوين وبقية في الاقليم
الثالث وفيها هنالك اصبهان ويحيط بها من الجنوب جبل يخرج من غربها ويمر بالاقليم الثالث ثم ينعطف
من الجزء السادس الى الاقليم الرابع ويتصل بجبل العراق في شرقه الذي مر ذكره هنالك وأنه يحيط
ببلاد الملوس في القطعة الشرقية ويحيط هذا الجبل المحيط باصبهان من الاقليم الثالث الى جهة الشمال
ويخرج الى هذا الجزء السابع فيحيط ببلاد الملوس من شرقها وتحتها هنالك قاشان ثم قم وينعطف في
قرب النصف من طريقه غربا بعض الشيء ثم يرجع مستديرا فيذهب مشرقا ومنحرفا الى الشمال حتى
يخرج الى الاقليم الخامس ويشتمل على منعطفه واسنادته على بلد الري في شرقه ويبدأ من منعطفه
جبل آخر يمر غربا الى آخر الجزيرة ومن جنوبه من هنالك قزوين ومن جانبه الشمالي وجانب جبل الري
المتصل معها هيا الى الشرق والشمال الى وسط الجزء ثم الى الاقليم الخامس بلاد طبرستان فيما بين هذه
الجبال وبين قطعة من بحر طبرستان ويدخل من الاقليم الخامس في هذا الجزء في نحو النصف من غربه الى
شرقه ويعترض عند جبل الري وعند انعطافه الى الغرب جبل متصل يمر على سمته مشرقا ويخرج الى
قيل الى الجنوب حتى يدخل في الجزء الثامن من غربه ويبقى بين جبل الري وهذا الجبل من عند
مبدهما بالاجرجان فيما بين الجبلين ومنها سظام ووراء هذا الجبل قطعة من هذا الجزء فيها بقية المفازة
التي بين فارس وخراسان وهي في شرق قاشان وفي آخرها عند هذا الجبل بلاد اس-تربا اذ وحقا في هذا
الجبل من شرقه الى آخر الجزء بلاد نيسابور ومن خراسان في جنوب الجبل وشرق المفازة بلاد نيسابور
ثم مرو والشاهجان آخر الجزء وفي شماله وشرق جرجان بلد مهرجان وخازرون وطوس آخر الجبل مشرقا
وكل هذه تحت الجبل وفي الشمال عنها بلاد نسا ويحيط بها عند ذواوية الجزأين الشمال والشرق
مفاوز معطلة وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم وفي غربه نهر جيحون ذاهبا من الجنوب الى
الشمال في عدوته الغربية ثم وامل من بلاد خراسان والظاهرية والجرجانية من بلاد خوارزم ويحيط
بالزاوية الغربية الجنوبية منه جبل استراباذ المعترض في الجزء السابع قبله ويخرج في هذا الجزء من
غربه ويحيط بهذه الزاوية وفيها بقية بلاد هراة ويمر الجبل في الاقليم الثالث بين هراة والجوزجان حتى
يتصل بجبل البتم كذكرناه هنالك وفي شرق نهر جيحون من هذا الجزء وفي الجنوب منه بلاد بخاري ثم بلاد
الصغد وقاعدتها سمرقند ثم بلاد اسروشنة ومنها خجندة آخر الجزء شرقا وفي الشمال عن سمرقند واسروشنة

الى الغاية القصوى فورد على المستعين بن هود في بعض الامراكه ما بين هود ثم اخذ بيده وجعل يعرض عليه ذخائر ملكه وخرائنه امواله
وما حوته من البضاه والحجراة واجر الباقوت والجواهر واملها ونفائس الاعلاق والجوارى والحشم والاجناد والكرعا والسلاح

فأقاموا في ذلك أياما فلما انتهت قال له كيف رأيت ملكي قال قد رأيت ملكا ولكنه يعوذك فيه خصلة إن أنت قدرت عليها ففهمها نظام ملكك وإن لم تقدر عليها فهذا الملك (٤٤) لا شيء قال وما تطلب الخصلة قال تعمدت صنع غطاء عظيما حصينا قويا وتكون مساحته

ارض يلاق شم في الشمال عن يلاق ارض الشاش (١) الى آخر الجزء شرقا و يأخذ قطعة من الجزء التاسع في جنوب تلك القطعة بقية ارض فرغانة ويخرج من تلك القطعة التي في الجزء التاسع نهر الشاش يمر معترضا في الجزء الثامن الى أن ينصب في نهر جيحون عند مخرجه من هـ هذا الجزء الثامن في شماله الى الاقليم الخامس ويختلط معه في ارض يلاق نهر يأتي من الجزء التاسع من الاقليم الثالث من تخوم بلاد التبت و يختلط معه قبل مخرجه من الجزء التاسع نهر فرغانة وعلى سمت نهر الشاش جبل جبراغون يبدأ من الاقليم الخامس وينعطف شرقا ومنحرفا الى الجنوب حتى يخرج الى الجزء التاسع مع محيط ارض الشاش ثم ينعطف في الجزء التاسع فيحيط بالشاش وفرغانة هناك الى جنوبه فيدخل في الاقليم الثالث وبين نهر الشاش وطرف هذا الجبل في وسط الجزء بلاد فاراب وبينه وبين ارض بخارى وخوارزم مقارن ومغلة وفي زاوية هذا الجزء من الشمال والشرق ارض خجندة وفيها بلاد السنجاب وطراز وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في غربيه بعد ارض فرغانة والشاش ارض الخزر لينة في الجنوب وارض الخليجية في الشمال وفي شرق الجزء كله ارض الكيما كية و يتصل في الجزء العاشر كله الى جبل قوقيا آخر الجزء شرقا وعلى قطعة من البحر المحيط هنالك وهو جبل أجوج وما أجوج وهذه الامم كلها من شعوب الترك انتهى (الاقليم الخامس) الجزء الاول منه أكثره معمور بالماء الا قليلا من جنوبه وشرقها لان البحر المحيط بهذه الجهة الغربية دخل في الاقليم الخامس والسادس والسابع عن الدائرة المحيطة بالاقليم فأما المكتشف من جنوبه فقطعة على شكل مثلث متصلة من هنالك بالاندلس وعليها بقية البحر من جهة بين كأنها مضلعان محيطان بزوايا المثلث ففيها من بقية غرب الاندلس سـ عـ يـ ود على البحر عند اول الجزء من الجنوب والغرب وسلمة كة شرقا منها وفي جوفها سورورة وفي الشرق عن سلمة كة ايلة آخر الجنوب وارض قسـ تـ اـ لـ شرقا منها وفيها مدينة شـ قـ ونية وفي شمالها ارض لبون وبرغشت ثم وراءها في الشمال ارض جليقية الى زاوية القطعة وفيها على البحر المحيط في آخر الضلع الغربي بلد شـ نـ اـ قـ و ومعناه يعقوب وفيها من شرق بلاد الاندلس مدينة شـ طـ لـ عند آخر الجزء في الجنوب وشرقها عن قسـ تـ اـ لـ وفي شمالها وشرقها وشقة و ينبلونة على سمتها شرقا وشمالا وفي غرب ينبلونة قسـ طـ اـ لـ ثم ناخرة فيما بينها وبين برغشت ويعترض وسط هذه القطعة جبل عظيم محاذ للبحر وللضلع الشمالي الشرقي منه وعلى قرب ويتصل به وبطرف البحر عند ينبلونة في جهة الشرق الذي ذكرنا من قبل ان يتصل في الجنوب بالبحر الرومي في الاقليم الرابع ويصير حجرا على بلاد الاندلس من جهة الشرق وثناياه ابواب لها تفضي الى بلاد غشكوينية من امم الفرنج فمنها من الاقليم الرابع برشلونة واربونية على ساحل البحر الرومي وخريدة وقرقشونة ووراءهما في الشمال ومنها من الاقليم الخامس طلوشة شمالا عن خريدة واما المكتشف في هذا الجزء من جهة الشرق فقطعة على شكل مثلث مسـ تـ طـ لـ زاوية الحادة ووراء البرنات شرقا وفيها على البحر المحيط على رأس القطعة التي يتصل بها جبل البرنات بلديونة وفي آخر هذه القطعة في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء ارض بنطون من الفرنج الى آخر الجزء وفي الجزء الثاني في الناحية الغربية منه ارض غشكوينية وفي شمالها ارض بنطون وبرغشت وقد ذكرناهما وفي شرق بلاد غشكوينية في شمالها قطعة ارض من البحر الرومي دخلت في هذا الجزء كالضرس مائلة الى الشرق قليلا واصارت بلاد غشكوينية في غربها داخله في جون من البحر وعلى رأس هذه القطعة شمالا بلاد جنوة وعلى سمتها في الشمال جبل نبت جون وفي شماله وعلى سمتها ارض برغونة

قدر البلد ثم تكبه على البلد حتى لا يجد ملك الموت مدخلا اليك فقال المستعين سبحان الله او يقدر بشر على هذا فقال العليج يا هذا أنت غر بارم تبركه غدا ومثال من يقتخر بما يقوى كمن يقتخر بما يراه في النوم (ويروي) ان ملكا من الملوك بنى قصر او قال انظر وامر عاب منه شيئا فاصحوه وأعطوه درهمين فأنا هو رجل فقال ان في هذا القصر عيبي قال وما هما قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم قبل على نفسه وترك الدنيا (ومن عجائب) أخبار الخضر عليه السلام قالوا سئل الخضر عليه السلام عن أعجب شئ رأيت في الدنيا في طول سياحتك وكثرة خلواتك وقطعتك القفار والقلوات قال أعجب ما رأيت اني مررت على مدينة لم أر على وجه الارض أحسن منها فساءت بعضهم مني بنيت هذه المدينة قالوا سبحان الله ما يذكر آباؤنا ولا اجدادنا مني بنيت هذه المدينة وما زالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها نحو من خمسة مائة عام وعبرت عليها بعد ذلك واذا هي خاوية على عروشها ولم أر أحد أسأله واذا رعاة تم فنوت منهم فقلت أين المدينة التي كانت ههنا قالوا سبحان الله ما يدرك آباؤنا ولا اجدادنا أنه قط كانت ههنا مدينة فعبت عنها نحو من خمسة مائة عام ثم انتهى اليها فاذا موضع تلك

(١) في المشترك اقليم يلاق متصل باقليم الشاش لافضل بينهما وهو بكسر الهمزة وسكون الياء بعدها اه وفي

المدينة بحر واذا غاصوا يخرجون منه شبه الحبة فقلت لبعض الغواصين منذ كم كان هذا البحر ههنا فقال سبحان الله ما يدرك آباؤنا ولا آجدادنا الآن هذا البحر مذبح الله الطوفان ثم غابت عنها نحو من خمسمائة عام (٤٥) ثم انتهت اليها واذا ذلك البحر قد غاص ماؤه واذا مكانه غبضة

ماتقة بالقصب والبردى والسباع واذا صيادون يصدون السمك في زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذي كان ههنا فقال سبحان الله ما يدرك آباؤنا ولا آجدادنا انه كان ههنا قط بحر فغبت عنها نحو من خمسمائة عام ثم أتيت الى ذلك المكان فاذا هو مدينة على حاله الاولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين الغبضة التي كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله ما يدرك آباؤنا الان هذه المدينة على حالها منذ بعث الله الطوفان فغبت عنها نحو من خمسمائة عام ثم انتهت اليها فاذا عالها سافلها وهي تدخن بدخان شديد فلم أر احدا أسأله ثم رأيت راعيا فسأته أين المدينة التي كانت ههنا ومتى حدث هذا الدخان فقال سبحان الله ما يدرك آباؤنا ولا آجدادنا الآن هذا الموضع كان هكذا منذ كان فهذا اعجب شيء رأيت في سياحتي في الدنيا فسبحان مبيد العباد ومقتي البلاد ووارث

وفي الشرق عن طرف جنوة الخارج من البحر الرومي طرف آخر خارج منه يبق بينهما جون داخل من البر في البحر في غريه بيش وفي شرقية مدينة رومة العظيمة كرسى ملك الافرنجية ومسكن البابا بتر كهم الاعظم وفيها من المبانى الضخمة والمهايا كل المهولة والكنائس العادية ما هو معروف الاخبار ومن عجائبها النهر الجاري في وسطها من المشرق الى المغرب مفروش قاعه بيلاط النحاس وفيها كنيسة بطرس وبولس من الحواريين وهما مدفونان بها وفي الشمال عن بلاد رومة بلاد فرنيصة الى آخر الجزر وعلى هذا الطرف من البحر الذي في جنوب رومة بلاد تابل في الجانب الشرقي منه متصله ببلاد فلورية من بلاد الفرنج وفي شمالها طرف من خليج البنادقة دخل في هذا الجزء من الجزء الثالث مغربا ومحاذيا للشمال من هذا الجزء وانتهى الى نحو الثالث منه وعليه كثير من بلاد البنادقة دخل في هذا الجزء من جنوبه فيما بينه وبين البحر المحيط ومن شماله بلاد انكلاية في الاقليم السادس وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم في غريه بلاد فلورية بين خليج البنادقة والبحر الرومي يحيط بهما من شرقه يوصل من برها في الاقليم الرابع في البحر الرومي في جون بين طرفين خارجا من البحر على سمت الشمال الى هذا الجزء وفي شرقى بلاد فلورية بلاد انكلاية في جون بين خليج البنادقة والبحر الرومي ويدخل طرف من هذا الجزء في الجون في الاقليم الرابع وفي البحر الرومي ويحيط به من شرقه خليج البنادقة من البحر الرومي ذاهبا الى سمت الشمال ثم ينطف الى الغرب محاذيا لآخر الجزء الشمالي ويخرج على سمت من الاقليم الرابع جبل عظيم يوازيه ويذهب معه في الشمال ثم يغرب معه في الاقليم السادس الى ان ينتهي قبالة خناج في شمالية في بلاد انكلاية من ام المانيه بين كوند كرو على هذا الخناج وبينه وبين هذا الجبل ما اذا ذهبين الى الشمال بلاد البنادقة فاذا ذهب الى المغرب فينبه ما بلاد حروبا ثم بلاد الماسين عند طرف الخناج وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم قطعه من البحر الرومي خرجت اليه من الاقليم الرابع مضرسة كلها بقطع من البحر ويخرج منها الى الشمال وبين كل ضربين منها طرف من البحر في الجون بينهما وفي آخر الجزء شرقا قطع من البحر ويخرج منها الى الشمال خليج القسطنطينية يخرج من هذا الطرف الجنوبي ويذهب على سمت الشمال الى ان يدخل في الاقليم السادس وينعطف من هنالك عن قرب مشرقا الى بحر نيطنس في الجزء الخامس وبعض الرابع قبله والسادس بعده من الاقليم السادس كما نذكر وبلاد القسطنطينية في شرقى هذا الخناج عند آخر الجزء من الشمال وهي المدينة العظيمة التي كانت كرسى القيصرية وبها من آثار البناء والضخامة ما كثرت عنه الاحاديث والقطعة التي ما بين البحر الرومي وخليج القسطنطينية من هذا الجزء وفيها بلاد مقدونية التي كانت لابونانيين ومنها ابتداء ملكهم وفي شرقى هذا الخناج الى آخر الجزء قطعة من ارض باطوس وأظنها هذا العهد مجالات للتركانيين وبها ملك ابن عثمان وقاعدته بها برصة وكانت من قبلهم للروم وغلبهم عليها الامم الى ان صارت للتركانيين وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم من غريه وجنوبه ارض باطوس وفي الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد عمورية وفي شرقى عمورية نهر قباقب الذي يمد القرات يخرج من جبل هنالك ويذهب في الجنوب حتى يخالط القرات قبل وصوله من هذا الجزء الى عمرة في الاقليم الرابع وهنالك في غريه آخر الجزء في مبدانهر سبحان ثم نهر جيجان غريه الذاهبين على سمتهم وقد مر ذكرها وفي شرقه هنالك مبدانهر الدجلة الذاهب على سمتهم وفي موازاته حتى يخالطه عند بغداد وفي الزاوية التي بين الجنوب والشرق من هذا الجزء وراء الجبل الذي يمد منه نهر دجلة له بلد ميا فارقين ونهر قباقب الذي ذكرناه يقسم هذا الجزء بقطعتين احدها مغربية جنوبية وفيها ارض

الارض ومن عليها ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (قال الشاعر) قف بالديار فهذه آثارهم * تبكي الاحبة حسرة وتوشوقا كم قد وقتت بها أسائل مخبرا * عن أهلها واناطقا ومشفقا فاجابني داعي الهوى في رسمها * فارقت من تهوى فعز الملتقى

(ومن الشعر) المستحسن في هذه الابيات قول القائل رب ورفاء هتوف بالضحى بذات شجوصدحت في ذنن ذكرت القاوده راصالحا
فبكت حزنا فهاجت حزني فبكائي ربما رقتها (٤٦) وبكاهار بما رقتي فاذا تسعدني أسعدها واذا اسعدت اسعدني ولقد تشكروا فاقفهم

باطوس كما قلناه وأسافلها الى آخر الجزء شمالا وراه الجبل الذي يمد آمنه من قباقيب أرض عمورية كما
قلناه والقطعة الثانية شرقية شمالية على الثلث في الجنوب منها مبدأ الدجلة والفرات وفي الشمال بلاد
البيلقان متصلة بأرض عمورية من وراه جبل قباقيب وهي عريضة وفي آخرها عند مبدأ الفرات بلاد
خرشنة وفي الزاوية الشرقية الشمالية قطعة من بحر نيطس الذي يمد حليج القسطنطينية وفي الجزء
السادس من هذا الاقليم في جنوبه وغربه بلاد ارمينية متصلة الى ان يتجاوز وسط الجزء الى جانب الشرق
وفيها بلاد أردن في الجنوب والغرب وفي شمالها تقيس وديبل وفي شرق أردن مدينة خلاط ثم بردعة وفي
جنوبها انحرف الى الشرق مدينة ارمينية ومن هنالك تخرج بلاد ارمينية الى الاقليم الرابع وفيها هنالك
بلاد المارعة في شرق جبل الاكراد المسمى بارمي وقدمرذ كره في الجزء السادس منه ويتأخم بلاد ارمينية في
هذا الجزء وفي الاقليم الرابع قبله من جهة الشرق فيها بلاد اذربيجان وأخرها في هذا الجزء شرقا بلاد
أردبيل على قطعة من بحر طبرستان دخلت في الناحية الشرقية من الجزء السابع ويسمى بحر طبرستان
وعليه من شماله في هذا الجزء قطعة من بلاد الخزر وهم التركمان ويبدأ من عند آخر هذه القطعة البحرية
في الشمال جبال يتصل بعضها ببعض على سمت الغرب الى الجزء الخامس فقمرية منعطفة ومحيطة
ببلاد صافارقين ويخرج الى الاقليم الرابع عند آمد ويتصل بجبل السلسلة في أسافل الشام ومن
هنالك يتصل بجبل الاسكام كما مر بين هذه الجبال الشمالية في هذا الجزء ثانيا كالأبواب تفضي من
الجانبين ففي جنوبها بلاد الأبواب متصلة في الشرق الى بحر طبرستان وعليه من هذه البلاد مدينة
باب الأبواب وتتصل بلاد الأبواب في الغرب من ناحية جنوبها ببلاد ارمينية وبينها ما في الشرق
وبين بلاد اذربيجان الجنوبية بلاد الزاب متصلة الى بحر طبرستان وفي شمال هذه الجبال قطعة من
هذا الجزء في غربها مكة السير في الزاوية الغربية الشمالية منها وفي زاوية الجزء كله قطعة أيضا
من بحر نيطس الذي يمد حليج القسطنطينية وقدمرذ كره ويحيط بهذه القطعة من نيطس بلاد
السيرر وعليها منها بلاد أطرابر يده وتتصل بلاد السيرر بين جبال الأبواب والجهة الشمالية من الجزء الى
ان ينتهي شرقا الى جبل حاجر بينها وبين أرض الخزر وعند آخرها مدينة وصول ووراه هذا الجبل الحاجر
قطعة من أرض الخزر تنتهي الى الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء من بحر طبرستان وآخر الجزء
شمالا والجزء السابع من هذا الاقليم غربيه كله معمور بحر طبرستان وخرج من جنوبه في الاقليم
الرابع القطعة التي ذكرنا هنالك ان عليها بلاد طبرستان وجبال الديلم في قزوون وفي غرب تلك القطعة
متصلة بها القطعة التي في الجزء السادس من الاقليم الرابع ويتصل بها من شمالها القطعة التي في الجزء
السادس من شرقه أيضا وينكشف من هذا الجزء قطعة عند زاوية الشمالية الغربية يصب فيها نهران
في هذا البحر ويبقى من هذا الجزء في ناحية الشرق قطعة منكشفة من البحر هي مجالات للغز من أم الترك
يحيط بها جبل من جهة الجنوب داخل في الجزء الثامن ويذهب في الغرب الى مادون وسطه فينعطف
الى الشمال الى ان يلاقى بحر طبرستان فيحتف به ذاهبا معه الى بقيته في الاقليم السادس ثم ينعطف مع
طرفه ويقارقه ويسمى هنالك جبل سياه ويذهب مغربا الى الجزء السادس من الاقليم السادس ثم يرجع
جنوبا الى الجزء السادس من الاقليم الخامس وهذا الطرف منه هو الذي اعترض في هذا الجزء بين أرض
السيرر وأرض الخزر واتصلت أرض الخزر في الجزء السادس والسابع حقا في هذا الجبل المسمى جبل
سياه كما سيأتي والجزء الثامن من هذا الاقليم الخامس كله مجالات للغز من أم الترك وفي الجهة الجنوبية

ولقد أشكروا فاستهمني
غير اني بالجوى أعرفها
وهي ايضا بالجوى تعرفني
(ونظر) رجل من العباد
الى باب ملك من الملوك
وقد شيد واتفقه وزوجه
فقال باب حديد وموت
عبيد ونزع شديدي وسفر
بعيد (وما نقل) عبد
الملك بن مروان رأى غسالا
يلوى يبيده ثوبا فقال
وددت اني كنت غسالا
لا أعتس الامم اكسبه
يوما فيوما فبلغ ذلك أبا
حازم فقال الحمد لله الذي
جعلهم يتنون عند الموت
ما نحن فيه ولا نمتي عنده
ما هم فيه (وقال) رسول
الله صلى الله عليه وسلم
اللهم اني اعوذ بك من علم
لا ينفع ونفس لا تشبع
وقلب لا يخبش وعين
لا تدمع هل يتوقع أحدكم
من الدنيا الاغني مطعيا
او فقرا من سبب او مرضا مقسدا
او هراما مقندا او الدجال
والدجال شر غائب ينظر
او الساعة والساعة أدهى
وأمر (وقال) عيسى عليه
السلام اوحى الله الى الدنيا
من خدمني فاخدميه
ومن خدمك فاستخدميه
يا دنيا تمرر على أوليائي
ولا تحلولي لهم ففقتنهم

(وقال) مؤرق العجلي يا ابن آدم في كل يوم يوثق برزقك وتحزن وينقص عمرك وأنت لا تحزن تطلب ما يطعمك الغربية
وعندك ما يكفيك لا قبلل تقنع ولا يكثير تشبع (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) في خطبته أيها الناس ان الايام تطوى والاعمار

تقى والابدان في الثرى تبلى وان الليل والنهار يترا كضان ترا كض البريدي يقر بان كل يعيدو يخلدان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما لمي
عن الشهوات ورغب في الباقيات الصالحات (وقال) بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح (٤٧) كلما ازداد صاحبه شربا ازداد عطشا

والكاس من العسل في
اسفله السم للذائق منه
حلاوة عاجلة وله في اسفله
لموت الذعاف وكالا حلام
للناثم التي تفرحه في منامه
فاذا استيقظ انقطع القرح
وكالبرق الذي يضيء قليلا
ويذهب وشيكو يبقى
رائيه في الظلام مقمعا
وكدودة الابر يسم التي
لا يزداد الابر يسم على
نفسها الا ان ازدادت من
الخروج بعدا (وفيه قال
القائل)

كدود كدود القز ينسج
دائما

ويهلك غما وسط ماهو
ناسجه

ومثال من يستعمل زهرة
الدنيا ويعرض عن الدار
الآخرة مثال رجلين لقطا

من الارض حتى غيب
فأما أحدهما فجعل يصص
الحبة التذاذابها ثم بلعها

وأما الآخر فزرع الحبة فلما
كان بعد زمان التقيا

فأما الذي زرع الحبة وجدها
قد صارت له كرما وكثرت

ثمرته وفكر الآخر في صنعه
في الحبة فوجدها قد صارت

عذرة وليس عنده منها شيء
الا حسرة على تفریطه

والغبطة لصاحبه (وقال)

وهب بن منبه اوحى الله

الغربية منه بحيرة خوارزم التي يصب فيها نهر جيحون دورها ثلثة مائة ميل ويصب فيها نهر كنديرة من
ارض هذه المجالات وفي الجهة الشمالية الشرقية منه بحيرة عرعون دورها اربع مائة ميل وماؤها حلو وفي
الناحية الشمالية من هذه الجزء جبل مرغار ومعناه جبل الثلج لانه لا يذوب فيه وهو متصل بالجزء
وفي الجنوب عن بحيرة عرعون جبل من الحجر الصلد لا يثبت شيأ يسمى عرعون وبه سميت البحيرة وينجلب
منه ومن جبل مرغار شمالي البحيرة انهار لا تنحصر عدتها فتصب فيها من الجانبين وفي الجزء التاسع من
هذا الاقليم بلاد اركس من ارض الترك في غرب بلاد الغز وشرق بلاد الكيما كيتو ويحفر به من جهة
الشرق آخر الجزء جبل قوقيا المحيط بيا جوج وما جوج يعترض هنالك من الجنوب الى الشمال حتى
ينعطف اول دخوله من الجزء العاشر وقد كان دخل اليه من آخر الجزء العاشر من الاقليم الرابع قبله
احتف هنالك بالبحر المحيط الى آخر الجزء في الشمال ثم انعطف مغربا في الجزء العاشر من الاقليم الرابع
الى مادون نصفه واحاط من اوله الى هناء بلاد الكيما كية ثم خرج الى الجزء العاشر من الاقليم الخامس
فذهب فيه مغربا الى آخره وبقيت في جنوبه من هذه الجزء قطعة مستطيلة الى الغرب قبل آخر بلاد
الكيما كية ثم خرج الى الجزء التاسع في شرقه وفي الاعلى منه وانعطف قريبا الى الشمال وذهب على
سمته الى الجزء التاسع من الاقليم السادس وفيه السد هنالك كما ذكره وبقيت منه القطعة التي احاط بها
جبل قوقيا عند الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء مستطيلة الى الجنوب وهي من بلاد يا جوج
وما جوج وفي الجزء العاشر من هذا الاقليم ارض يا جوج متصلة فيه كاه الاقطعة من البحر المحيط غمرت
طرفا في شرقه من جنوبه الى شماله والا القطعة التي يفصلها الى جهة الجنوب والغرب جبل قوقيا حين مر
فيه وما سوى ذلك فارض يا جوج وما جوج والله سبحانه وتعالى اعلم

الاقليم السادس) فالجزء الاول منه غمر البحر اكثر من نصفه واستدار شرقا مع الناحية الشمالية ثم
ذهب مع الناحية الشرقية الى الجنوب وانتهى قريبا من الناحية الجنوبية فكشفت قطعة من هذه
الارض في هذا الجزء داخلية بين طرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر المحيط كالجون فيه وينسج
طولا وعرضا وهي كلها ارض بريطانية وفي باها بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجزء
بلاد صاقس متصلة به بلاد بنطو التي مر ذكرها في الجزء الاول والثاني من الاقليم الخامس والجزء الثاني
من هذا الاقليم دخل البحر المحيط من غربه وشماله فن غربه قطعة مستطيلة أكبر من نصفه الشمالي من
شرق ارض بريطانية في الجزء الاول واتصلت بها القطعة الاخرى في الشمال من غربه الى شرقه
وانفصلت في النصف الغربي منه بعض الشيء وفيه هنالك قطعة من جزيرة انكا طرة وهي جزيرة عظيمة
مستعملة على مدن وبها ملك ضخم وبقيتها في الاقليم السابع وفي جنوب هذه القطعة وجزيرتها
في النصف الغربي من هذا الجزء بلاد ارمندية وبلاد افلا دس متصلاين بها ثم بلاد فرنسية جنوبا وغربا
من هذا الجزء وبلاد برغونية شرقا عنها وكها الامم الافرنجية وبلاد اللاتين في النصف الشرقي من الجزء
في جنوبه بلاد انكا لاية ثم بلاد برغونية شمالا ثم ارض لوكا وشطونية وعلى قطعة البحر المحيط في الزاوية
الشمالية الشرقية ارض افريرة وكها الامم اللاتين وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم في الناحية
الغربية بلاد مراتية في الجنوب وبلاد شطونية في الشمال وفي الناحية الشرقية بلاد انكوبية في الجنوب
وبلا دبلونية في الشمال يعترض بينهما جبل بلواط داخل من الجزء الرابع ويمر مغربا بالبحر راف الى
الشمال الى ان يقف في بلاد شطونية آخر النصف الغربي وفي الجزء الرابع في ناحية الجنوب ارض

تعالى الى نبي من انديا بنى اسرائيل ان اردت ان تسكن معي في حضرة القدس فكن في الدنيا واحدا فدا فر يداه هو وما وحشا بمنزلة الطير
الوحداني الذي يظل في الارض الفلاة ويا كل من رؤس الشجر وشرب من ماء العيون فاذا كان الليل اوى وحده ولم يدمع الطير

استئناسا بر به (وابعضهم)
فالت اعلمه اليك باب

كم للحوادث من صروف عجائب * ونوايب موصولة بنوايب ولقد تقطع من شبائك وانقضى *
(٤٨) تبني من الدنيا الكثير وانما * يكفيلك منها مثل زاد الراكب (وقال مالك بن انس)

بلغني ان عيسى عليه السلام
انتهى الى قرية قد خربت
حضورها وجفت أنهارها
وتسعت شجرها فنادى
يا خراب ابن اهلك فلم يجبه
أحد ثم نادى يا خراب ابن
أهلك فلم يجبه أحد فنودي
عيسى بن مريم بادوا
وتضمنتهم الارض وعادت
أعمالهم فلا تظني أعناقهم
الي يوم القيامة فبكى عيسى
عليه السلام (قال مالك)
سئلت امرأة من بعية قوم
عادي قال لها هرمة أي
عذاب الله رأيت أشد قالت
كل عذاب الله شديد وسلام
الله ورحمته على ليله لا ربح
فيها ولقد رأيت العير تحملها
الربيع بين السماء والارض
(وقال) مجاهد كان طعام
يحيى بن زكريا بالعشب
وان كان ليكي من خشية
الله تعالى ما لو كان القار
على عينيه لاحرقه ولقد
كانت الدموع اتخذت
بجري في وجهه (ومر)
بعض الملوك بسقراط
الحكيم وهو نائم فركضه
برجله وقال قم فقام غير
مرتاع منه ولا ملتفت اليه
فقال له الملك ما تعرفني قال
لا ولكن أرى فيك طبع
الدواب فهي تركض
بارجلها فغضب وقال أتقول

جنولية وتحتها في الشمال بلاد الروسية ويفصل بينهما جبل بلواط من اول الجزيرة بالي ان يقف في
النصف الشرقي وفي شرق ارض جنولية بلاد جرمانية وفي الزاوية الجنوبية الشرقية ارض القسطنطينية
ومدينتها عند آخر الخليج الخارج من البحر الرومي وعند مدونه في بحر نيطس فيقع قطعة من بحر نيطس
في أعالي الناحية الشرقية من هذا الجزء ويمدها الخليج وبينهما في الزاوية بلاد مسداه * وفي الجزء
الخامس من الاقليم السادس ثم في الناحية الجنوبية عند بحر نيطس يتصل من الخليج في آخر الجزء
الرابع ويخرج على ستمائة ميل في هذا الجزء كله وفي بعض السادس على طول ألف وثلاثمائة ميل
من مبدئه في عرض ستمائة ميل ويبقى وراء هذا البحر في الناحية الجنوبية من هذا الجزء في غربها الى
شرقها بر مستطيل في غربه هرقلية على ساحل بحر نيطس متصلة بارض اليلقان من الاقليم الخامس وفي
شرقها بلاد الانية وقاعدتها سوتلي على بحر نيطس وفي شمال بحر نيطس في هذا الجزء غربا ارض ترخان
وشرقا بلاد الروسية وكلها على ساحل هذا البحر وبلاد الروسية تحيط ببلاد ترخان من شرقها في هذا الجزء
من شمالها في الجزء الخامس من الاقليم السابع ومن غربها في الجزء الرابع من هذا الاقليم * وفي الجزء
السادس في غربيه بقية بحر نيطس ويتصرف قليلا الى الشمال ويبقى بينه هناك وبين آخر الجزء شمالا
بلاد سانية وفي جنوبه ومنغشك الى الشمال بما تحرف هو كذلك بقية بلاد الانية التي كانت آخر جنوبه
في الجزء الخامس وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء متصل ارض الخزر وفي شرقها ارض برطاس وفي
الزاوية الشرقية الشمالية ارض بلغار وفي الزاوية الشرقية الجنوبية ارض بلجر يجوزها هناك قطعة
من جبل سياه كوه المنعطف مع بحر الخزر في الجزء السابع بعده ويذهب بعده مقارقه مغربا فيجوز
في هذه القطعة ويدخل الى الجزء السادس من الاقليم الخامس فيتصل هناك بجبل الابواب وعليه من
هناك ناحية بلاد الخزر * وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في الناحية الجنوبية ماجازه جبل
سياه بعده مقارقه بحر طبرستان وهو قطعة من ارض الخزر الى آخر الجزء غربا وفي شرقها القطعة
من بحر طبرستان التي يجوزها هذا الجبل من شرقها وشمالها ووراء جبل سياه في الناحية الغربية
الشمالية ارض برطاس وفي الناحية الشرقية من الجزء ارض سحر رب ويخالك وهم أمم الترك
* وفي الجزء الثامن والناحية الجنوبية منه كلها ارض الجوخ من الترك في الناحية الشمالية غربا
والارض المنتنة وشرق الارض التي يقال ان يا جوج وما جوج خربوها قبل بناء السد وفي هذه الارض
المنتنة مبدئ أنهار الاثن من اعظم أنهار العالم وعمره في بلاد الترك ومصبه في بحر طبرستان من الاقليم
الخامس في الجزء السابع منه وهو وكثير الانعطاف يخرج من جبل في الارض المنتنة من ثلاث ينابيع
تجتمع في نهر واحد ويمر على سمت الغرب الى آخر السابع من هذا الاقليم فينعطف شمالا الى الجزء
السابع من الاقليم السابع فيمر في طرفه بين الجنوب والمغرب فيخرج في الجزء السادس من السابع
ويذهب مغربا غير بعيد ثم ينعطف ثانية الى الجنوب ويرجع الى الجزء السادس من الاقليم السادس
ويخرج منه جدول يذهب مغربا ويصب في بحر نيطس في ذلك الجزء ويمر هو في قطعة بين الشمال
والشرق في بلاد بلغار فيخرج في الجزء السابع من الاقليم السادس ثم ينعطف ثالثة الى الجنوب وينفذ
في جبل سياه ويمر في بلاد الخزر ويخرج الى الاقليم الخامس في الجزء السابع منه فيصب هناك في
بحر طبرستان في القطعة التي انكشفت من الجزء عند الزاوية الغربية الجنوبية وفي الجزء التاسع من
هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد خشاخ من الترك وهم قنجاقي وبلاد التركس منهم أيضا وفي

لي هذا وانت عبدى فقال له سقراط بل انت عبد عبدى قال وكيف ذلك قال لان شهوتك قد ملكتك وأنا ملكك الشرق
الشهوات فقال أنا الملك ابن الاملاك السادة أملاك من البلاد كذا ومن الاموال والرجال كذا قال أراك تفخر على ما ليس من نفسك وانما

سبيلك ان تخبر على بنفسك وان كان تعال نخلع ثيابنا ونلبس جيبنا ثم ما في هذا النهر ونسلكم اذ يبين القاضل من المفضل فانصرف الملك خيلاً وها أنا حكي لك امر اصابني طيش عقلي وبلبل حرمي (٤٩) وقطع نياط قلبي فلا يزال مرآة لي حتى

يواريني التراب وذلك اني كنت يوم بالهراق وانا اشرب ماء فقال لي صاحب لي وكان له عقل يا فلان لعل هذا السكوز الذي تشرب فيه الماء قد كان انسانا يوما من الدهر فات فصار ترابا فانفق للبخاري ان اخذ تراب القبر وضربه خرفا وشواه بالنار فانظم كوزا كثرى وصار آنية يتهن ويستخدم بعد ان كان بشرا سويا يا كل ويشرب وينعم ويذو ويطرب فاذا الذي قاله من الحائرات فان الانسان اذا مات عاد ترابا كما كان في النشأة الاولى ثم قد يتفق ان يحفر لحده ويحجج بالماء ترابه فيتحذرنه آنية فتمتن في البيوت او لبنه فتنبي في الجدار او طين به سطح البيت او يقرش في البلاد فيوطأ بالاقدام او يجعل طينا على الجدار وقد يجوز ان يعرس عند قبره شجرة فيستحيل تراب الانسان شجرة وورقا وخرقة فترعى البهائم اوراقها وياكل الانسان ثمها فينبت منها مجوه ينش منها عظمه او تاكل تلك الثمرة الحشرات والبهائم فيبعضا كان يقنات صار قوتنا وبينا كان يا كل صار ما كولا ثم يعود في

الشرق منه بلاد اجوج بفصل بينهما جبل قوقيا المحيط وقد مر ذكره يبعد من البحر المحيط في شرق الاقليم الرابع ويذهب معه الى آخر الاقليم في الشمال ويفارقه مغربا بانحراف الى الشمال حتى يدخل في الجزء التاسع من الاقليم الخامس فيرجع الى سمته الاولى حتى يدخل في هذا الجزء التاسع من الاقليم من جنوبه الى شماله بانحراف الى المغرب وفي وسطه ههنا السد الذي بناه الاسكندر ثم يخرج على سمته الى الاقليم السابع وفي الجزء التاسع من غير فيه الى الجنوب الى ان يلقي البحر المحيط في شماله ثم يعطف معه من ههنا الى مغربا الى الاقليم السابع الى الجزء الخامس منه فيتصل ههنا بالقطعة من البحر المحيط في غربه وفي وسط هذا الجزء التاسع هو السد الذي بناه الاسكندر كما قلناه والصحيح من خبره في القرآن وقد ذكره عبد الله بن خرداذبه في كتابه في الجغرافيا ان الواثي رأى في منامه كأن السد انفتح فانبه فزعا وبعث سلاما الترجان فوقف عليه وجاء بخبره ووصفه في حكاية طويلة است من مقاصد كتابنا وفي الجزء العاشر من هذا الاقليم بلاد اجوج متصلة فيه الى آخره على قطعة من ههنا من البحر المحيط أحاطت به من شرقه وشماله مستطيلة في الشمال وعرضه بعض الشيء في الشرق

(الاقليم السابع) والبحر المحيط قد غمر عامته من جهة الشمال الى وسط الجزء الخامس حيث يتصل بجبل قوقيا المحيط بياجوج وما جوج فالجزء الاول والثاني مغموران بالماء الاما انكشف من جزيرة انكلاطرة التي معظمها في الثاني وفي الاول منها طرف انعطف بانحراف الى الشمال وبقية مع قطعة من البحر مستديرة عليه في الجزء الثاني من الاقليم السادس وهي مذكورة هناك والجهاز منها الى البر في هذه القطعة سعة اثني عشر ميلا وهذه الجزيرة في شمال الجزء الثاني جزيرة روس الاندلس مستطيلة من الغرب الى الشرق والجزء الثالث من هذا الاقليم مغمورا كثره بالبحر الاقطعة مستطيلة في جنوبه وتوسع في شرقها وفيها ههناك متصل ارض فلونية التي مر ذكرها في الثالث من الاقليم السادس وانها في شماله وفي القطعة من البحر التي تغمر هذا الجزء ثم في الجانب الغربي منها مستديرة مسطحة وتتصل بالبر من باب في جنوبها يقضى الى بلاد فلونية وفي شمالها جزيرة بوقاعة مستطيلة مع الشمال من المغرب الى المشرق والجزء الرابع من هذا الاقليم شماله كله مغمور بالبحر المحيط من المغرب الى المشرق وجنوبه منه انكشف وفي غربه ارض قيعانك من الترك وفي شرقها بلاد طست ثم ارض روس لاندس الى آخر الجزء شرقا وهي دائرة الثلوج وعمرانها قبل ويتصل ببلاد الروسية في الاقليم السادس وفي الجزء الرابع والخامس من هذا الاقليم في الناحية الغربية منه بلاد الروسية وينتهي في الشمال الى القطعة من البحر المحيط التي يتصل بها جبل قوقيا كما ذكرناه من قبل وفي الناحية الشرقية منه متصل ارض القمانيه التي على قطعة بحر نيطس من الجزء السادس من الاقليم السادس وينتهي الى بحيرة طرمي من هذا الجزء وهي عذبة تنجلب اليها انهار كثيرة من الجبال عن الجنوب والشمال وفي شمال الناحية الشرقية من هذا الجزء ارض التتارية من التركان الى آخره وفي الجزء السادس من الناحية الغربية الجنوبية متصلة ببلاد القمانيه وفي وسط الناحية بحيرة عمور عذبة تنجلب اليها الانهار من الجبال في النواحي الشرقية وهي جامدة دائما الشدة البرد الاقلام في زمن الصيف وفي شرق بلاد القمانيه بلاد الروسية التي كان مبدؤها في الاقليم السادس في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء الخامس منه وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجزء بقية ارض بلغار التي كان مبدؤها في الاقليم السادس وفي الناحية الشرقية الشمالية من الجزء السادس منه وفي وسط هذه القطعة من ارض بلغار منعطف نهران القطعة الاولى الى الجنوب كما مر وفي

(٧ - ابن خلدون) بطن الانسان رجعا فيقذف في بيت الرحاضة او يعرايند بالعراف ويجوز اذا حفر قبره ان تسمى الرياح ترابه فتعرق اجزؤه في بطون الاودية والتلول والرهاد ليس في هذا ما اذهل العقول وطيش الحلووم ومنع الازات وهان عنده مفارقة الاهلين

والمال واللحوق بقل الجبل والانس بالوحوش حتى يأتي أمر الله أليس في هذا ما صدغ الدنيا وما فيها أليس في هذا ما حقر المال عند من عظمه والمال عند من جمعه (٥٠) أليس في هذا ما زهد في اللذات وسلى عن الشهوات (وقال) كم من مستقبل يوم لا

أخر هذا الجزء السادس من شماله جبل قوقيا متصل من غربه الى شرقه وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في غربه بقية أرض يخناك من أم الترك وكان مبدؤها من الناحية الشمالية الشرقية من الجزء السادس قبيله وفي الناحية الجنوبية الغربية من هذا الجزء ويخرج الى الاقليم السادس من فوقه وفي الناحية الشرقية بقية أرض سحر ثم بقية الأرض المنتمية الى آخر الجزء ثم قافي آخر الجزء من جهة الشمال جبل قوقيا المحيط متصل من غربه الى شرقه وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم في الجنوبية الغربية منه متصل الأرض المنتمية وفي شرقها الأرض المحفورة وهي من الجانب خرق عظيم في الأرض بعيد المهوى فسبح الاقطار تمتع الوصول الى قعره يستدل على عمرانه بالدخان في النهار والنيان في الليل تضي وتختفي ويرى ما رؤى فيها نهر يشقها من الجنوب الى الشمال وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء البلاد الخراب المناخلة للسد وفي آخر الشمال منه جبل قوقيا متصل من الشرق الى الغرب وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد خفساش وهو مرفق بجوزها جبل قوقيا حين ينعطف من شماله عند البحر المحيط ويذهب في وسطه الى الجنوب بالتحرف الى الشرق فيخرج في الجزء التاسع من الاقليم السادس ويمر معترضا فيه وفي وسطه هناك سد يأجوج ومأجوج وقد ذكرناه وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء أرض يأجوج وراء جبل قوقيا على البحر قليلة العرض مستطيلة أطاحت به من شرقه وشماله والجزء العاشر من البحر جمعه هذا آخر الكلام على الجغرافيا وأقاليمها السبعة وفي خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات للعالمين

﴿المقدمة الثالثة﴾

﴿في المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في الوان البشر والكثير من أحوالهم﴾

(قد بينا) ان المعمور من هذا المنكشف من الأرض انما هو وسطه لا فراط المحر في الجنوب منه والبردي الشمال ولما كان الجانبان من الشمال والجنوب متضادين في الحر والبرد وجب أن تتدرج الكيفية من كليهما الى الوسط فيكون معتدلا فالاقليم الرابع عدل العمران والذي حفاقيه من الثالث والخامس أقرب الى الاعتدال والذي يليهما والثاني والسادس بعيدان من الاعتدال والاول والسابع أبعد بكثير فلهذا كانت العلوم والصنائع والمباني والملابس والاقوات والفواكه والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الاقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر عدل اجساما والوانا واخلاقا وأديانا حتى النبوت فالتساقط في الاكثر فيها ولم تنقف على خير بعثة في الاقاليم الجنوبية والشمالية وذلك ان الانبياء والرسل انما يختص بهم كل النوع في خلقهم وخلقهم قال تعالى كنتم خيرا ما اخرجت للناس وذلك لئتم القبول لما ياتيهم به الانبياء من عند الله وأهل هذه الاقاليم أكل لوجود الاعتدال لهم فتجدهم على غاية من التوسط في مساكنهم وملابسهم وأقواتهم وصنائعهم يتخذون البيوت المنجدة بالحجارة المنمقة بالصناعة ويتناغون في استجادة الآلات والمواعين ويذهبون في ذلك الى الغاية وتوجد لديهم المعادن الطبيعية من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والتصدير ويتصرفون في معاملاتهم بالنقدين العززين ويعدون عن الانحراف في عامة أحوالهم وهؤلاء أهل المغرب والشام والحجاز واليمن والعراقين والهند والسند والصين وكذلك الأندلس ومن قرب منها من الفرنجة والمجلافة والروم واليونانيين ومن كان مع هؤلاء أو قرب يما منهم في هذه الاقاليم المعتدلة ولهذا كان العراق والشام عدل هذه كلها انها وسط من جميع الجهات واما الاقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الاول والثاني والسادس

يستكملها ومنظر غدا وليس من أجله انكم لو أبصرت الاجل ومسيره لا بغضتم الأمل وغروره (ولما) بنى المأمون بن ذى النون وكان من ملوك الأندلس قصره وانفق فيه بيوت الأموال جاء على أكل بديان في الأرض وكان من عجائبه ان صنع فيه بركة ماء كأنها بحيرة وبني في وسطها قبة وساقى الماء من تحت الأرض حتى علا على رأس القبة على تدبير قد احكمه المهندسون وكان الماء ينزل من اعلى القبة حوالها محيطا بها متصل ببعضه ببعض فكانت القبة في غلالة من ماء سبكا لا يفترو المأمون قاعد فيها فروى عنه انه بينما هو قائم اذ سمع من شدا ينشد هذين البيتين أنبى بناء آل الدين واتما بقاؤك فيها الوعقت قليل انك كان في ظل الاوك كفاية لمن كل يوم يتضبه رحيل فلم يلبث بعدها الا يسيرا حتى قضى نحبهم (ووجد) مكتوبا على قصر قد باد أهلها وأقمرت منازلها هذى منازل اقوام عهدتهم في خفض عيش نفيس ماله خطر

صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا * الى القبور فلا عين ولا أثر ولو قيل للدنيا صفي نفسك لما عدت هذا البيت والسابع ومن يؤمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خاتمة فزوج الاصابع (وروى) ان الحجاج قال في خطبته أيها الناس ان ما بقي من

الدينه شبه مما ضي من الماء بالما ولولا عظيم ما ضي من الدنيا بما ضي هذه ما قبله فكيف آسى على ما بقى منها (وروى) ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لابن آدم عند الموت كمثل رجل له ثلاثة اخلاء فلما (٥١) حضره الموت قال لاحدهم قد كنت لي خيلا

مكرما وثرا وقد حضرني من امر الله تعالى ماترى فاذا عندك فيقول هذا امر الله غلبنى عليك لا أستطيع ان أنفك كركبك ولا كن ها أنا بين يديك فخذني زادني ففعلت ثم يقول للثاني قد كنت عندي أثر الثلاثة وقد نزل بي من امر الله تعالى ماترى فما عندك قال هذا امر الله غلبنى عليك ولا أستطيع ان أنفك كركبك ولاكن سأقوم عليك في مرضك فاذا مات أتقت غسلك وجودت كسوتك وسترت حسدك وعورتك وقال للثالث قد نزل بي من امر الله ماترى وكنت أهون الثلاثة على فاذا عندك قال اني قرينك وحليفك في الدنيا والآخره أدخل معك قبرك حين تدخله وأخرج معك حين تخرج منه ولا افارقك أبدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم الأول ماله والثاني اهله والثالث عمله (ولما) اني ميمون بن مهران الحسن البصرى قال له قد كنت أحب لقائك فغظني فقرا الحسن أفصرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يعدون ما أغنى

والسابع فأهلها بعد من الاعتدال في جميع أحوالهم فينبأوهم بالطين والقصب وأقواتهم من الذرة والعشب وملابسهم من أوراق النخري يصفونها عليهم أو الجلود أو أكثرهم عرايا من اللباس وفواكه بلادهم وأدها غريبة التكوين مائلة الى الانحراف ومعها لانهم بغير الحجر من الثرىين من نحاس او حديد او جلود يقدرونها للمعاملات واخلاقهم مع ذلك قريبة من خلق الحيوانات الجعم حتى ينقل عن الكثير من السودان اهل الاقليم الاول انهم يسكنون الكهوف والغياض وياكلون العشب وأنهم متوحشون غير مستأنسين يأكل بعضهم بعضا وكذا السقاية والسبب في ذلك أنهم لم يمددوا عن الاعتدال يقرب عرض اجزئهم واخلاقهم من عرض الحيوانات الجعم ويبعدون عن الانسانية بقدر ذلك وكذلك أحوالهم في الديانة ايضا فلا يعرفون نبوة ولا يدينون بشريعة الامن قرب منهم من جوانب الاعتدال وهو في الاقل النادر مثل الحبشة المجاورين لليمن الدائنين بالنصرانية فيما قبل الاسلام وما بعده لهذا العهد ومثل اهل مالي وكوكو والتكر والمجاورين لارض المغرب الدائنين بالاسلام لهذا العهد يقال انهم دنوابه في المسائة السابعة ومثل من دان بالنصرانية من أم الصقالبة والافرنجة والترك من الشمال ومن سوى هؤلاء من اهل تلك الاقاليم المخترقة جنو باوشمالا فالدين مجهول عندهم والعلم مفقود بينهم وجميع أحوالهم بعيدة من أحوال الاناسي قريبة من أحوال البهائم ويخلق ما لا تعلمون ولا يعترض على هذا القول بوجود اليمن وحضر موت والاحقاف وبلاد الحجاز واليمامة وما يليها من جزيرة العرب في الاقليم الاول والثاني فان جزيرة العرب كلها حاطت بها البحار من الجهات الثلاث كما ذكرنا فكان لرطوبتها أثر في رطوبتها هو انما فنقص ذلك من اليبس والانحراف الذي يقتضيه المحرور صار فيها بعض الاعتدال بسبب رطوبتها البحر وقد توهم بعض النسابين ممن لا علم لديه بطبائع الكائنات ان السودان هم ولد حام بن نوح اختصوا بلون السواد لدعوة كانت عليه من ابيه مظهر اثرها في لونه وفيما جعل الله من الرق في عقبه وينقلون في ذلك حكاية من خرافات القصص ودعاء نوح على ابنه حام قد وقع في التوراة وليس فيه ذكر السواد وانما دعا عليه بان يكون ولده عبيد الولد اخوته لا غيره وفي القول بنسبة السواد الى حام غفلة عن طبيعة المحرور البرد واثرهما في الهواء وفيما يتكون فيه من الحيوانات وذلك ان هذا اللون يشمل اهل الاقليم الاول والثاني من مزاج هو انهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب فان الشمس تسامت رؤسهم مرتين في كل سنة قريبة احدهما من الاخرى فتطول المسامنة عامة الفصول فيكثر الضوء لاجلها ويطغى القيظ الشديد عليهم وتسود جلودهم لافراط المحرور ونظيره من الذين الاقليمين مما يقابلها ما من الشمال الاقليم السابع والسادس يشمل سكانهما ايضا البياض من مزاج هو انهم للبرد المفرط بالشمال اذ الشمس لا تزال باقعة في دائرة مرثى العين أو ما قرب منها ولا ترتفع الى المسامنة ولا ما قرب منها فيضعف الحر فيها ويشد البرد عامة الفصول فتبيض الوان أهلها وتنتهي الى الزعورة ويتبع ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط من زرقة العيون وبرش الجلود وصهوبة الشعور وتوسط بينهما الاقاليم الثلاثة الخامس والرابع والثالث فكان لها في الاعتدال الذي هو مزاج المتوسط حظ وافر والرابع ابلغها في الاعتدال غاية لنهاية في المتوسط كما قدمناه فكان لاهله من الاعتدال في خلقهم وخلقهم ما اقتضاه مزاج هو يتهم وتبعه عن جانبه الثالث والخامس وان لم يبلغا غاية المتوسط لميل هذا اقل الى الجنوب الحر وهذا اقل الى الشمال البارد الا انهم لم ينتهيا الى الانحراف وكانت الاقاليم الاربعة متخرفة وأهلها كذلك في خلقهم وخلقهم فالاول والثاني للمحرور والسواد السابع

عنهم ما كانوا يمتعون فقال عليك السلام ابا سعيد فقد وعظت احسن موعظة واعجبا كل العجب بالكذب بالنشأة الاخرى وهو يرى الاولى واعجبا كل العجب للشاك في قدرة الله تعالى وهو يرى خلقه واعجبا كل العجب بالكذب بالنشور وهو يموت في كل يوم وولاية ويحيا واعجبا كل العجب للصدق بدرا الحلود وهو يسعى لدار الغرور واعجبا كل العجب للمختم الفخور وانما خلق من نطفة ثم يعود حية

وهو بين ذلك لا يدري ما يفعل به (وروي) ان الله تعالى اوحى الى آدم عليه السلام جماع الخبير كله في أربع واحدة لي وواحدة لك وواحدة
بيني وبينك وواحدة بينك (٥٢) وبين الناس فاما التي لي فتعبدني لا تسرك في شيا واما التي لك فاعمل ماشئت فاني اجزيك به واما التي

بيني وبينك فعليك الدعاء
وعلى الاجابة واما التي
بينك وبين الناس فكن
لهم كما تحب ان يكونوا لك
(وقال) سليمان بن داود
عليهما السلام اوتينا ما اوتي
الناس وما لم يتوتوا وعلما
ما علم الناس وما لم يعلموا فلم
نجد شيا افضل من خشية
الله تعالى في الغيب
والشهادة وكلمة الحق في
الرضا والغضب والقصد في
الغنى والفقر (وكتب)
معاوية الى عائشة رضي
الله عنها ان اكتب لي كتابا
توصيني فيه ولا تكثري
علي فكتبت اليه سلام عليك
اما بعد فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول
من التمس رضا الناس بسخط
الله وكله الله الى الناس
والسلام (وما) ضرب
ابن لمجم عمار رضي الله عنه
دخل منزله فاعتزته عشية
ثم افاق ودعا الحسن
والحسين رضي الله عنهما
(فقال) اوصيكما بتقوى
الله والرغبة في الآخرة
والزهد في الدنيا ولا تأسفا
على شئ فانك كما منها عملا
الخير وكونا للظالم خصما
وللظالم عونانم دعا محمدا
وقال له اما سمعت ما
اوصيت به اخو يدك قال
بلى قال فاني اوصيتك به

والسادس للبرد والبياض ويسمى سكان الجنوب من الاقلية من الاول والثاني باسم الحبشة والزنج
والسودان اسماء مترادفة على الاعم المتغيرة بالسواد وان كان اسم الحبشة مختصا منهم بين تجاه مكة واليمن
والزنج بين تجاه بحر الهند وليست هذه الاسماء لهم من اجل انتسابهم الى آدمي اسود لاحام ولا غيره وقد
نجد من السودان اهل الجنوب من يسكن الرابع المعتدل والسابع المنحرف الى البياض فتبيض الوان
اعقابهم على التدرج مع الايام وبالعكس فيمن يسكن من اهل الشمال الرابع بالجنوب تسود الوان
اعقابهم وفي ذلك دليل على ان اللون تابع لمزاج الهوا قال ابن سينا في ارجوزته في الطب
بازنج حرغ - ير الاجسادا * حتى كساد - بلودها سوادا
والصقبا كتسبت البيضا * حتى غدت - بلودها بيضا
واما اهل الشمال فلم يسموا باعتبار الوانهم لان البياض كان لونا لاهل تلك اللغة الواضحة للاسماء فلم يكن
فيه غرابة تحمل على اعتباره في التسمية لموافقته واعتباره وجدنا سكانه من الترك والصقابة والطغرغر
والخزرو اللان والكثير من الافرنجة ويا جوج وما جوج اسماء متفرقة واجيال متعددة مسمين باسماء
متنوعة واما اهل الاقاليم الثلاثة المتوسطة اهل الاعتدال في خلقهم وخلقهم وسيرهم وكافة الاحوال
الطبيعية للاعتقاد لديهم من المعاش والمساكن والصناعات والعلوم والرياسات والملكات فكانت فيهم
النبوت والملك والدول والشرائع والعلوم والبلدان والامصار والمباني والفراسة والصناعات الفائقة وسائر
الاحوال المعتدلة واهل هذه الاقاليم التي وقتنا على اخبارهم مثل العرب والروم وفارس وبنو اسرائيل
واليونان واهل الهند والصين ولما رأى النسابون اختلاف هذه الاعم بسماتها وشعارها حسبوا
ذلك لاجل الانساب فعملوا اهل الجنوب كلهم السودان من ولد حام وارتابوا في الوانهم فتكفوا ونقل تلك
الحكاية الواهية وجعلوا اهل الشمال كلهم ارا كثرهم من ولديا فث واكثر الاعم المعتدلة واهل الوسط
المنتخمين للعلوم والصناعات والمال والشرائع والسياسة والملك من ولد سام وهذا الزعم وان صادف الحق في
انتساب هؤلاء فليس ذلك بقياس مطرد دائما واخبار عن الواقع لان تسمية اهل الجنوب بالسودان
والحبشان من اجل انتسابهم الى حام الاسود وما ادهم الى هذا الغلط الاعتقاد هم ان التمييز بين الاعم انما
يقع بالانساب فقط وليس كذلك فان التمييز للجبل والامة يكون بالنسب في بعضهم كما للعرب وبنو اسرائيل
والفرس ويكون بالجهة والسمة كما للزنج والحبشة والصقابة والسودان ويكون بالعدو والشعار والنسب كما
للعرب ويكون بغير ذلك من احوال الاعم وخواصهم ومميزاتهم فتعميم القول في اهل جهة معينة من جنوب
او شمال بانهم من ولد فلان المعروف لما شملهم من نخلة اولون او سمة وجدت لذلك الاب انما هو من الغالب
التي اوقع فيها الغفلة عن طبائع الاكوان والجهات وان هذه كلها تتبدل في الاعقاب ولا يجب استمرارها
سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا والله ورسوله اعلم بغيبه واحكم وهو المولى المنعم الرؤف الرحيم

(المقدمة الرابعة في اثر الهوا في اخلاق البشر)

(قد رأينا) من خلق السودان على العموم الخفة والطيس وكثرت الطرب فتجدهم مولعين بالرقص على
كل توقيع موصوفين بالحق في كل قطر والسبب الصحيح في ذلك انه تقر في موضع من الحكمة ان
طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيواني وتتشبه وطبيعة الحزن بالعكس وهو انقباضه وتكافئه
وتقرر ان الحرارة مقسمة للهوا والبخار الخفيفة له زائدة في كية ولها ذبيحة المنشئ من الفرح والسرور
ملا يعبر عنه وذلك بما يداخل بخار الروح في القلب من الحرارة الغريزية التي تبعثها سورة النحر في

وعليك يبر اخو يلك وتوقيرهم او معرفة فضلهم ولا تقطع امرادونهم ثم اقبل عليهم ما فقال اوصيكما به
خير افانه اخوكما وابن ابيكما وانما تعلمان ان اباكما كان يحبه فاجابه ثم قال يا بني اوصيكما بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق
الروح

في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر والعدل في الصديق والعدو والعمل في النشاط والسكسل والرضا عن الله في الشدة والرخاء
يا بني ما شر بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل (٥٣) بلا دون النار عافية يا بني من أبصر عيب

نفسه شغل عن عيب غيره
ومن رضي بفسم الله لم يحزن
على ما فاته ومن سل سيف
البعي قبل به ومن حفر
لاخيه بئر وقع فيها ومن
هتك حجاب أخيه انكشف
عورات بيته ومن نسي
خطيئته استعظم خطيئته
غيره ومن أعجب برأيه
ضل ومن استغنى
بعقله ذل ومن تكبر على
الناس ذل ومن خالط
الانذال احتقر ومن جالس
العلماء وقرو من يجب
صاحب السوء لا يسلم ومن
يجيب صاحباً صالحاً ينجم
ومن دخل مداخل السوء
اتهم ومن لا يملك نفسه ندم
ومن خرج استخف به ومن
أكثر من شيء عرف به ومن
كثر كلامه كثر خطؤه ومن
كثر خطؤه قل حياؤه ومن
قل حياؤه قل ورعه ومن
قل ورعه مات قلبه ومن
مات قلبه دخل النار
يا بني الأدب خير ميراث
وحسن الخلق خير قرين
يا بني العافية عشرة أجزاء
تسعة منها في الصحة الأخرى
ذكر الله تعالى والواحدة
في ترك مجالسة السفهاء
يا بني لا شرف أعلى من
الاسلام ولا كرم أعلى من
التقوى ولا عقل أحرز من
الورع ولا شفيح أنجع من

الروح من مزاجه فينقش في الروح وتجنى طيبه الفرح وكذلك نجد المتعممين بالجمامات اذا تنفسوا في
هوائها واتصلت حرارة الهواء في ارواحهم فتمتخت لذلك حدث لهم فرح وورع انبعث الكثير منهم
بالغناء الناشئ عن السرور ولما كان السودان ساكنين في الاقليم الحار واستولى الحر على أخرجتهم وفي
أصل تكويهم كان في ارواحهم من الحرارة على نسبة ابدانهم واقليمهم فتكون ارواحهم بالقياس
الى ارواح أهل الاقليم الرابع أشد حرا فتكون أكثر تنفسيا فتكون أسرع فرحاً وسروراً وأكثر انبساطا
ويجيء الطيب على أثره وهذا كذلك يلحق بهم قليلا لأهل البلاد البحرية لما كان هواؤها متضاعف
الحرارة بما ينعكس عليه من أضواء بساط البحر وأشعتها كانت حصصهم من تواضع الحرارة في الفرح
والخفة وجودة أكثر من بلاد التلول والجبال الباردة وقد تجد يسير من ذلك في أهل البلاد الجزيرية
من الاقليم الثالث لتوفر الحرارة فيها وفي هوائها الانعاشية في الجنوب عن الارياف والتلول واعتبر
ذلك أيضا بأهل مصر فانها في مثل عرض البلاد الجزيرية أو قريبا منها كيف غلب الفرح عليهم والخفة
والغفلة عن العواقب حتى انهم لا يدخرون أقوات سنتهم ولا شهرهم وعامة ما تكلمهم من أسواقهم ولما
كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في التوغل في التلول الباردة كيف ترى أهلها مطرقتين اطراق
الحزن وكيف أفرطوا في نظر العواقب حتى ان الرجل منهم لا يدخر قوت سنتين من جنوب الخنطة ويباكر
الاسواق لشراء قوته ليوهمه مخافة أن يرزأ شيئا من مدخره وتتبع ذلك في الاقليم والبلدان تجرد في الاخلاق
أثران كقياس الهواء والله الخلاق العليم وقد تعرض المسعودي للبحث عن السبب في خفة السودان
وطيشهم وكثرة الطرب فيهم وحاول تعديله فلم يأت بشيء أكثر من أنه نقل عن جالينوس ويعقوب بن اسحق
الكندي ان ذلك لضعف أدمغتهم وما نشأ عنه من ضعف عقولهم وهذا كلام لا محصل له ولا برهان فيه
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

(المقدمة الخامسة)

في اختلاف احوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في ابدان البشر واخلاقهم
(اعلم) ان هذه الاقاليم المعتدلة ليس كلها يوجب فيها الخصب ولا كل سكانها في رغبة من العيش بل فيها
ما يوجب دلاله خصب العيش من المحبوب والادب والخنطة والقوا كذا كاه المنابت واعتدال الطينة
ووفور العمران وفيها الارض الحرة التي لا تنبت زرعاً ولا عشباً بالجملة فسكانها في شطف من العيش مثل
أهل الحجاز وجنوب اليمن ومثل المثلثين من صنهاجة الساكنين بصحراء المغرب وأطراف الرمال فيما بين
البربر والسودان فان هؤلاء يفتقدون المحبوب والادب جملة وامتاع غديتهم وأقواتهم الالبان واللحوم ومثل
العرب أيضاً المجائلين في القفار فانهم وان كانوا يأخذون المحبوب والادب من التلول إلا أن ذلك في الاحياء
وتحت ريقه من حامتها وعلى الاقلال لقله وجددهم فلا يتوصلون منه الى سد الخلة أو دونها فضلا عن الرغد
والخصب وتجدهم يقتصرون في غالب احوالهم على الالبان وتعرضهم من الخنطة أحسن معاض وتجرد
مع ذلك هؤلاء الفقادين للمحبوب والادب من أهل القفار أحسن حالاً في جسامهم واخلاقهم من أهل
التلول المنغمسين في العيش قالوا انهم اصفي وابدانهم انقى واشكاهم أتم واحسن واخلاقهم ابعدهم
الانجراف واذهابهم أثق في المعارف والادراكات هذا امر تشهد له التجربة في كل جيل منهم فكثير ما بين
العرب والبربر فيما وصفناه وبين المثلثين وأهل التلول يعرف ذلك من خبره والسبب في ذلك والله أعلم ان
كثرة الاغذية ورطوبتها تولد في الجسم فضلات رديئة ينشأ عنها بعد اقطار في غير نسبة وكثرة الاخلط

التوبة ولا لباس اجل من العافية الحرص مفتاح التعب ومضية النصب التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم يسس الزاد للامعاد العدو ان
على العباد فطوبى لمن اخلص لله عمله ووجهه وبغضه واخذته وتركه وكلامه ووصيته وقوله وفعله (وروي) عن عمر بن الخطاب رضي

الله عنه انه لما طعن دعا بئس فشر به فخرج من طعمته فقال الله اكبر فعمل جلاساؤه يثنون عليه فقال وددت ان اخرج منها كفا فاكما
دخلت فيه الوان لي اليوم ما طعلت عليه (٥٤) الشمس وغربت لا قد ديت به من هول الماطع (قال) ابن عمر وما حضرت الوفاة عمر

الفاسدة العفنة وينبع ذلك انكساف الالوان وتبجح الاشكال من كثرة اللحم كما قلناه وتغطي الرطوبات
على الازهان والافكار بما يصعد الى الدماغ من ابخرتها الرديئة فنجي البلادة والغفلة والانحراف عن
الاعتدال بالجملة واعتبر ذلك في حيوان القفر ومواطن الجذب من الغزال والنعام والمهي والزرافة والحمر
الوحشية والبقر مع أمثالها من حيوان التلول والارياف والمراعي الخصبية كيف تجدد بينها بونا بعيدا
في صفاء أديمها وحسن رونقها واشكالها وتناسب اعضائها وخدمة مداركها فالغزال اخو المعز والزرافة
اخو البعير والحمار والبقر اخو الحمار والبقرة واليون بينهما مراتب ومازك الا لاجل ان الخصب في التلول
فعل في ابدان هذه من الفضلات الرديئة والاخلط الفاسدة ما ظهر عليها اثره والجوع لمحيوان القفر حسن
في خلقها واشكالها ماشاء واعتبر ذلك في الادميين ايضا فاننا نجد اهل الاقاليم الخصبية العيش
الكثيرة الزرع والضرع والادم والفواكه يتصف اهلها غالبا بالبلادة في اذعانهم والخشونة في اجسامهم
وهذا شأن البربر المنغمسين في الادم والجنطة مع المتعشقين في عيشهم المقتصرين على الشعير او الذرة
مثل المصامدة منهم واهل غمارة والسوس فتجد هؤلاء احسن حالا في عقولهم وجسومهم وكذا اهل بلاد
المغرب على الجملة المنغمسون في الادم والبرقع اهل الاندلس المفقود بارضهم السمن جمة وغالب عيشهم
الذرة فتجد لاهل الاندلس من ذكاه العقول وخفة الاجسام وقبول التعليم ما لا يوجد لغيرهم وكذا اهل
الضواحي من المغرب بالجملة مع اهل الحضر والامصار فان اهل الامصار وان كانوا اكثر من مثلهم من
الادم ومخصبين في العيش الا ان استعمالهم اياها بعد العلاج بالطبخ والتلطيف بما يختلطون معها
فيذهب لذلك غلظها ويرق قوامها وعامة ما كاهم محوم الضان والدجاج ولا يغطون السمن من بين
الادم تمفاهته فتقل الرطوبات لذلك في اغذيتهم ويخف ما تؤديه الى اجسامهم من الفضلات الرديئة
فذلك تجد جسوم اهل الامصار الظم من جسوم البادية الخشنة في العيش وكذلك تجد المعودين
بالجوع من اهل البادية لافضلات في جسومهم غليظة ولا طيقة وواعلم ان اثره ذا الخصب في البدن
واحواله يظهر حتى في حال الدين والعبادة فتجد المتعشقين من اهل البادية او الحاضرة ممن يأخذ نفسه
بالجوع والتجاني عن الملاذ احسن دينا واقبالا على العبادة من اهل الترف والخصب بل نجد اهل الدين
قائلين في المدن والامصار ما يعجزهم من التساوت والغفلة المتصلة بالاكثر من اللحم والادم وليساب البر
ويختص وجود العباد والزهاد لذلك بالمتعشقين في غذائهم من اهل البوادي وكذلك تجد اهل
المدينة الواحدة في ذلك مختلفا باختلاف حالها في الترف والخصب وكذلك نجد هؤلاء الخصبين في
العيش المنغمسين في طبيعته من اهل البادية واهل الحواضر والامصار اذا نزلت بهم السنون واخذتهم
المجاعات يسرع اليهم الهلاك اكثر من غيرهم مثل برابرة المغرب واهل مدينة فاس ومصر فيما يبلغنا لا
مثل العرب اهل القفر والحجر ولا مثل اهل بلاد النخل الذين غالب عيشهم التمر ولا مثل اهل افريقية
لهذا العهد الذين غالب عيشهم الشعير والزيت واهل الاندلس الذين غالب عيشهم الذرة والزيت فان
هؤلاء وان اخذتهم السنون والمجاعات فلا تنال منهم ما تنال من أولئك ولا يكثر فيهم الهلاك بالجوع بل ولا
يندرو السبب في ذلك والله اعلم ان المنغمسين في الخصب المعودين للادم والسمن خصوصا اكتسب من
ذلك امعاؤهم رطوبته فوق رطوبتها الاصلية المزاجية حتى تجاوز حد ما فاذا خولف بها العادة بقلة
الاقوات وفقدان الادم واستعمال الخشن غير المألوف من الغذاء اسرع الى المعنى اليبس والانكماش
وهو عضو ضعيف في الغاية فيسرع اليه المرض ويهلك صاحبه دفعة لانه من المقاتل فالله الصكون في

غشى عليه فاخذت راسه
فوضعتها في جري فقال ضع
راسي بالارض لعل الله
يرحمني فدحمت خديه بالتراب
وقال ويل لعمري ويل لامة
ان لم يغفر له فقلت وهي
نخذي والارض الاسواء
يا ابته فقال ضع راسي
بالارض لأم لك كما امرك
فاذا قضيت فأسرعوا بي
في حفرتي وانما هو خير
تقدموني اليه أو شر تضعونه
عن رقابكم ثم بكى فقبل له
ما يبكيك قال خبر السماء
لا ادري الى جنة ينطلق بي
او الى نار (وما) حضرت
عمر بن عبد العزيز الوفاة قال
اللهم انك امرتني فقضت
ونهيتهني فعصيت وانعمت
علي فافضلت فان عقوت
فقدمنت وان عاقبت
فما ظلمت الا اني اشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك
له وان محمدا عبده ورسوله
ثم قضى رحمه الله (وما)
حضرت هشام بن عبد الملك
الوفاة نظر الى اهل بيته يكون
حوله فقال حادكم هشام
بالدين اوجدتكم له بالبيك وتترك
لكم ما جمع وتركتكم عليه
ما حمل ما اعظم منقلب هشام
ان لم يغفر الله له (ودخل)
على المؤمنون في مرضه الذي
مات فيه فاذا هو قد امر ان

يقرب له جل الدابة ويسط عليه الرماد وهو واقده عليه يتضرع ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من يزول ملكه (وروي) ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه مر على طاير واقع على شجرة فقال طوبى ليك يا طاير تطير فتقع على الشجر وتاكل من الثمر

وليس عليك حساب ولا عقاب باليتني كنت مثلك والله لو ددت اني شجرة الى جنب طريق فر على به - يرفأخ - ذني فلا كني ثم ازدردي ثم
أخرجني بعراولم أك بشرا (وقال) عاصم بن عبد الله اخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٥٥) تبقة من الارض فقال باليتني كنت مثل

هذه التبة باليتني لم تلدني
أي باليتني كنت نسيام نسيما
(وقال) ابن مسعود ودودت
اني طائر في منكب ريش
(وسمع) رجلا يقول باليتني
كنت من أصحاب اليمين
فقال ابن مسعود باليتني
اذامت لم أبعث (وقال)
عمران بن حسين لو ددت
اني رماد فتنسقي الرياح
في يوم عاصف (وقال) ابو
الدرداء باليتني كنت شجرة
تعصد وتوكل ثم تي ولم
أك بشرا (وروي) ان علي
ابن أبي طالب رضي الله
عنه لما رجع من صفين
فدخل اوائل الكوفة فاذا
هو بقبر فقال قبر من هذا
فقالوا قبر خباب بن الارت
فوقف عليه وقال رحم الله
خبابا اسلم راغبوا وهاجر طائعا
وعاش مجاهدا وابتلى في
جسمه آخر الاوان يضيع
الله اجر من أحسن عملائهم
مضى فاذا قبر ورفقاء حتى
وقف عليها فقال السلام
عليكم اهل الديار الموحشة
والحال المفقرة انتم لئاسف
ونحن لكم تبع وبكم عسا
قليل لاحقون اللهم اغفر
لنا ولهم وتجاوز عنا عنهم
طوبى لمن ذكر المعاد وعمل
للساب وقنع بالكفافي
ورضى عن الله تعالى ثم

الجماعات انما قتلهم الشبع المعتاد السابق لا الجوع الحادث اللاحق * وأما المتعودون لقله الادم واليمن
فلا تزال رطوبتهم الاصلية واقفة عند حدها من غير زيادة وهي قابلة لجميع الاغذية الطبيعية فلا يقع في
معاهم تبدل الاغذية يابس ولا انحراف فيسلمون في الغالب من الهلاك الذي يعرض لغيرهم بالخصب
وكثرة الادم في المساكين كل وأصل هذا كله ان تعلم ان الاغذية واثلافها اوتر كساها هو بالعادة فنعود
نفسه غذاء ولا معه تناول له ما لو فاق وصار الخروج عنه والتبدل به داء ما لم يخرج عن غرض الغذاء
بالجملة كالسوم واليتوع (١) وما أفرط في الانحراف فاما ما وجد فيه التغذية والملازمة فيصير غذاء، ألوفا
بالعادة فاذا اخذ الانسان نفسه باستعمال اللبن والبقل عوضا عن الخنطة حتى صار له ديدنا فقد حصل له
ذلك غذاء واستغنى به عن الخنطة والمحبوب من غير شك وكذا من عود نفسه الصبر على الجوع والاستغناء
عن الطعام كما ينقل عن اهل الرياضات فانا نسمع عنهم في ذلك اخبارا غريبة يكاد ينكرها من لا يعرفها
والسبب في ذلك العادة فان النفس اذا التفت شيئا صار من جباتها وطبيعتها انها كثيرة التلون فاذا حصل
له اعتياد الجوع بالتدرج والرياضة فقد حصل ذلك عادة طبيعية لها وما يتوهمه الاطباء من ان الجوع
مهلك فليس على ما يتوهمونه الا اذا حلت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذاء بالكلية فانه حينئذ
ينحسم المني ويناله المرض الذي يخشى معه الهلاك * وأما اذا كان ذلك القدر تدرجيا ورياضة باقلال
الغذاء شيئا فشيئا كما يفعله المتصوفة فهو بمنزلة عن الهلاك وهذا التدرج يضر ويري حتى في الرجوع عن
هذه الرياضة فانه اذا رجع به الى الغذاء الاول دفعة خفيفا به الهلاك وانما يرجع به كما بداني
الرياضة بالتدرج ولقد شاهدنا من يصبر على الجوع اربعين يوما واصلوا اكثر * وحضر اشياخنا مجلس
السلطان أبي الحسن وقد رفع اليه امر اتان من اهل الجزيرة الخضراء ورنده حديدتا انفسهما عن الاكل
جملة منذ سنين وشاع امرهما ووقع اختيارهما فاصبح شأنهما واتصل على ذلك حالهما الى ان ماتتا ورأينا
كثيرا من اصحابنا ايضا من يقتصر على حليب شاة من المازيلتقم ثديها في بعض النهار او عند الافطار
ويكون ذلك غذاء واستدام على ذلك خمس عشرة سنة وغيرهم كثير ولا يستنكر ذلك * وعلم ان الجوع
اصح للبدن من كثرة الاغذية بكل وجهان قدر عليه او على الاقلال منها وان له اثر في الاجسام
والعقول في صفاتها وصلاحها كما قلناه واعتبر ذلك بان الاغذية التي تحصل عنها في الجسم فقد رأينا
المتغذيين بالجور المحبوبات الفاسخة العظيمة الجسمان تنشأ اجيالهم كذلك وهذا ما شاهد في اهل البادية مع
اهل الحضرة وكذا المتغذون بالابن والمحوها ايضا مع ما يؤثر في اخلاقهم من الصبر والاحتمال
والقدرة على حمل الاثقال الموجود ذلك للابل وتنشأ معاؤهم ايضا على نسبة امعاء الابل في الصحة والغلظ
فلا يطرقها الوهن ولا الضعف ولا يناله من مضار الاغذية ما ينال غيرها - فيشربون اليتوعات
لاستطلاق بطونهم غير محجوبة كالخنظل قبل طبخه والدرياس والقر بيون ولا ينال امعاءهم من اضرر
وهي لو تناولها اهل الحضرة الرقيقة امعاءؤهم بما نشأت عليه من لطيف الاغذية لكان الهلاك أسرع
اليهم من طرفة العين لما فيها من السمية ومن تأثير الاغذية في الابدان ما ذكره اهل الفلاحة وشاهده
اهل التجربة ان الدجاج اذا غذيت بالمحبوب المطبوخة في بعر الابل واتخذ بيضها ثم حضنت عليه جاء
(١) قوله قال في القاموس اليتوع كصبر وارتوت وركل نبات له لبن دار مسهل محرق مقطوع والمشهور منه
سبعة الشبرم واللاعبة والعربيثا والمساودانه والماسازريون والفجلشت والعشروكل اليتوعات اذا
استعملت في غير وجهها اهلكت اه

قال يا اهل القبور اما ازواج فقد نكحت واما الديار فقد سكنت واما الاموال فقد قسمت فهذا خير ما عندنا فاخبر ما عندكم ثم التفت
الى اصحابه وقال اما انهم لو تسكاهم والقوا وجدنا ان خير الزاد التقوى (الباب الثاني في مقامات العلماء والصالحين عند الامراء

والسلاطين) دخل الاحنف بن قيس على معاوية وعليه شعلة ومدرعة صوف فلما مثل بين يديه اقتحمته غيبته فأقبل عليه وقال له فقال الاحنف يا امير المؤمنين اهل البصرة (٥٦) عدديسرو عظم كبير مع تتابع المحول واتصال من الدخول فلما كثر منها قد اطلق

الدجاج منها اعظم ما يكون وقد يستغنون عن تغذيتها وطبخ الحبوب بطرح ذلك البعر مع البيض المحض فيجبي دجاجها في غاية العظم وامثال ذلك كثير فاذا راينا هذه الاثار من الاغذية في الابدان فلاشك ان الجوع ايضا اثارا في الابدان لان الضدين على نسبة واحدة في التأثير وعدمه فيكون تأثير الجوع في نقاء الابدان من الزيادات الفاسدة والرطوبة المختلطة المختلطة بالجسم والعقل كما كان الغذاء مؤثرا في وجود ذلك الجسم والله محيط بعلمه

والقل منها قد املق وبلغ به الخنق فان رأى امير المؤمنين ان يمشى الفقير ويجبر الكسبر ويسهل العسبر ويصقم عن الدخول ويداوى المحول ويامر بالعطاء ليكشف البلاء وتزول اللاواء الاوان السيد من يغمر ولا يخص ويدعو الجفلى ولا يدعو الثقرى ان احسن اليه شكر وان اسيء اليه غفرتم يكون من وراء الرعية عماد ايدفع عنهم الملمات ويكشف عنهم المعضلات فقال معاوية ها هنا يا ابا بجرتم قرأوا لتعرفتم في نحن القول (وقال) سفيان الثوري لما سجع المهدي قال لا بد لي من سفيان فوضعوا الى الرصد حول البيت فاخذوني بالليل فلما مثل بين يديه اذنانى ثم قال لاي شئ لا تاخذنا فنستشيرك في امرنا فما امرتنا من شئ صرنا اليه وما نهيتنا عن شئ انتبهنا عنه فقالت له كم انفقت في سفرك هذا قال لا ادرى لي امانة ووكلاء قلت فما عذر ذلك عندا اذا وقفت بين يدي الله تعالى فسألك عن ذلك لكن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما سجع قال لغلامه كم

(المقدمة السادسة)

(في اصناف المدركين للغيب من البشر بالقطرة او بالريضة وتقدمه الكلام في الوحي والرؤيا)

(اعلم ان الله سبحانه اصطفى من البشر اشخاصا فضلهم بخطابه وفطرهم على معرفته وجعلهم وسائل بينه وبين عباده يعرفونهم بمصالحهم ويحرضونهم على هدايتهم ويأخذون بحجزاتهم عن النار ويبدلونهم على طريق النجاة وكان فيما يليقهم اليهم من المعارف ويظهره على استنهم من الخوارق والاخبار الكائنات المغيبة عن البشر التي لا سبيل الى معرفتها الا من الله بوساطتهم ولا يعلمونها الا بتعليم الله اياهم قال صلى الله عليه وسلم الا واني لا اعلم الا ما علمني الله و اعلم ان خبرهم في ذلك من خاصيته وضرورته الصدق لما يتبين الملك عند بيان حقيقة النبوة وعلامة هذا الصنف من البشر ان توجد لهم في حال الوحي غيبة عن المحاضر من معهم مع غطيط كانها غشايا وانما في رأى العين وليست منها في شئ وانما هي في الحقيقة استغراق في لقاء الملك الروحاني بادراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكلية ثم ينزل الى المدارك البشرية اما بسماع دوى من الكلام فيبتهمه او يتمثل له صورة شخص بخطابه بما جاء به من عند الله ثم تنجلي عنه تلك الحال وقد وعى ما لقي اليه قال صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الوحي احيانا يا تبنى مثل صلصلة الجرس وهو اشد على فينصم عنى وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعنى ما يقول ويدركه انشاء ذلك من الشدة والغط ما لا يعبر عنه في الحديث كان مما يعالج من التنزيل شدة وقالت عائشة كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيصم عنه وان جبينه ليهنق فصعد عرقا وقال تعالى انا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً ولاجل هذه الحالة في تنزل الوحي كان المشركون يرمون الانبياء بالجنون ويقولون له رثى او تابع من الجن وانما البس عليهم بما شاهدوه من ظاهر تلك الاحوال ومن يضل الله فخاله من هادي ومن علاماتهم ايضا انه يوجد لهم قبل الوحي خلق الخير والزر كما هو مجانب المذمومات والرجس اجمع وهذا هو معنى العصمة وكونه مغطور على التنزه عن المذمومات والمنافرة لها وكونها منافية لجهلته وفي الصحيح انه جل الحجاره وهو غلام مع عمه العباس لبناء الكعبة فجعلها في ازاره فانكشف فسقط مغشياً عليه حتى استتر بازاره ودعى الى مجتمع وجمعة فيها عرس ولب فاصابه غشى النوم الى ان طلعت الشمس ولم يحضر شياً من شأنهم بل نزهه الله عن ذلك كله حتى انه يجلاته يتنزه عن المظهورات المستكرهه فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يقرب البصل والثوم فقيل له في ذلك فقال انى انا حتى من لا تتساجون (وانظر) لما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها بحال الوحي اول ما فجاء وارادت اختباره فقالت اجعاني بينك وبين ثوبك فلما فعل ذلك ذهب عنه فقالت انه ملك وليس بشيطان ومعناه انه لا يقرب النساء وكذلك سأله عن احب الثياب اليه ان ياتيه فيها فقال البياض والخضرة فقالت انه الملك يعنى ان البياض والخضرة من الوان الخير والملائكة والسواد من الوان الشر والشياطين وامثال ذلك ومن علاماتهم ايضا دعائهم الى الدين والعبادة من الصلاة والصدقة والعفاف وقد استندت خديجة على صدقه صلى الله

عليه انفق في سفرك هذا قال يا امير المؤمنين ثمانية عشر دينارا قال ويحك ان جفنا سببت مال المسلمين (وقال) عليه الزهرى ما سمعت باحسن من كلام تسكاه به رجل عند سليمان بن عبد الملك فقال يا امير المؤمنين اسمع منى اربع كلمات فيهن صلاح

دينك ومملكك وآخرتك ودينك قال لا تعد احد اعدو وانت لا تريد انجازها ولا يغرنك مرتبي سهل اذا كان المنحدرو عروا اعلم ان الاعمال جزاء فاحذر العواقب والدهر تارات فيكن على حذر (ولما دخل) ابن السمك (٥٧) على هارون الرشيد قال له عظمي قال

يا امير المؤمنين ان الله لم يرض لخلافته في عباده غيرك فلا ترض من نفسك الامراضى الله به عنك فانك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت اولى الناس بذلك يا امير المؤمنين من طلب قسكك رقبته في مهلة من اجله كان خليفان يعتق نفسه يا امير المؤمنين من ذوقته الدنيا حلاوتها ركون منه اليها اذا قته الاخرة مرارتها بتجافيه عنها يا امير المؤمنين ناشدتك الله ان تقدم الى الجنة عرضها السموات والارض وقد دعيت اليها وليس لك فيها نصيب يا امير المؤمنين انك تموت وحدك وتحاسب وحدك وانك لا تقدم الا على نادم مشغول ولا تخاف الامم فتونا مغرور وانك واينا في دار سفرو حيران ظعن (ولما) حج سليمان بن عبد الملك استخضر ابا حازم فقال له تكلم يا ابا حازم فقال فيم انكم قال في الخروج من هذا الامر قال يسيران انت فعلته قال وما ذلك قال لا تاخذ الاشياء الا بحجةها ولا تضعها الا في أهلها قال ومن يقوى على ذلك قال من قلده الله من الامر ما قلده قال عظمي يا ابا حازم قال

عليه وسلم بذلك وكذلك ابو بكر ولم يحتاج في امره الى دليل خارج عن حاله وخلقه وفي الصحيح ان هرقل حين جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام احضر من وجد يبلده من قريش وفيهم ابو سفيان ليسألهم عن حاله فكان فيما سأل ان قال سمى يا حرم فقال ابو سفيان بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف الى آخر ما سأل فأجابته فقال ان يكن ما تقول حقا فهو نبي وسيملك ما تحت قدمي هاتين والعفاف الذي (١) اشار اليه هرقل هو العصمة فانظر كيف اخذ من العصمة والدعاء الى الدين والعبادة دليلا على صحة نبوته ولم يحتاج الى مجزة فدل على ان ذلك من علامات النبوة (ومن علاماتهم) ايضا ان يكونوا ذوى حسب في قومهم وفي الصحيح ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومهم وفي رواية اخرى في ثروة من قومهم استدركه الحاكم على الصحيحين وفي مسألة هرقل لابي سفيان كما هو في الصحيح قال كيف هو فيكم فقال ابو سفيان هو فينا ذو حسب فقال هرقل والرسول تبعث في احساب قومها ومعاها ان تكون له عصابة وشوكة تمنعه عن اذى الكفار حتى يبلغ رساله تربه ويتم مراد الله من اكمل دينه وملائته (ومن علاماتهم) ايضا وقوع الخوارق لهم شاهدة بصدقهم وهي افعال يعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك المجزة وليست من جنس مقدور العباد وانما تقع في غير محل قدرتهم ولاناس في كيفية وقوعها ودالاتها على تصديق الانبياء خلاف فالتكلمون بناء على القول بالفاعل المختار قائلون بانها واقعة بقدرة الله لا بفعل النبي وان كانت افعال العباد عند المعترلة صادرة عنهم الا ان المجزة لا تكون من جنس افعالهم وليس للنبي فيها عند سائر المتكلمين الا التحدى بها باذن الله وهو ان يستدل بها النبي صلى الله عليه وسلم قبل وقوعها على صدقه في مدعاها فاذا وقعت تنزل منزلة القول الصريح من الله بانه صادق وتكون دلائله حجة على الصدق قطعية فالمجزة الدالة بمجموع المحارق والتحدي ولذلك كان التحدي جزءا منها (وعبارة المتكلمين) صفة نفسها وهو واحد لانه معنى الذاتى عندهم والتحدي هو الفارق بينهما وبين الكرامة والسحر اذا لاجحة فيهما الى التصديق فلا وجود للتحدي الا ان وجد اتفاقا وان وقع التحدي في الكرامة عندهم من يجيزها وكانت لها دلالة فالتماهي على الولاية وهي غير النبوية ومن هنا منع الاستاذ ابو اسحق وغيره وقوع الخوارق كرامة فورا من الاتباس بالنبوة عند التحدي بالولاية وقد ارى نيك المعاصرة بينهما وانما يتحدى بغير ما يتحدى به النبي فلا يلبس على ان النقل عن الاستاذ في ذلك ليس صريحا ورمح اجل على انكار ان تقع خوارق الانبياء لهم بناء على اختصاص كل من القرينين بخوارقهم وأما المعترلة فلما منع من وقوع الكرامة عندهم ان الخوارق ليست من افعال العباد وفعالهم معترلة فلا فرق واما وقوعها على يد الكاذب فليسافه ومحال اما عند الاشعرية فلان صفة نفس المجزة التصديق والهداية فلو وقعت بخلاف ذلك انقلب الدليل شبهة والهداية ضلالة والتصديق كذبا واستحالت الحقائق وانقلبت صفات النفس وما يلزم من فرض وقوعه المحال لا يكون ممكنا واما عند المعترلة فلان وقوع الدليل شبهة والهداية ضلالة فيجوز ولا يقع من الله وأما الحكماء فالحارق عندهم من فعل النبي ولو كان في غير محل القدرة بناء على مذهبهم في الايجاب الذاتى ووقوع الحوادث بعضها عن بعض متوقف على الاسباب والشروط الحادثة مستندة اخيرا الى الواجب الفاعل بالذات لا بالاختيار وان النفس النبوية عندهم لها خواص ذاتية منها صدور هذه الخوارق بقدرته وطاعة العناصر له في التكوين والنسب عندهم مجبول على النصر يف في الاكوان مهما توجه اليها واستجمع لها بما جعل الله له من ذلك والحارق عندهم يقع للنبي كان للتحدي اولم يكن

(١) قوله الذي اشار اليه هرقل الظاهر ابو سفيان اه

(٨ - ابن خلدون) يا امير المؤمنين ان هذا الامر لم يصل اليك الا بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك ثم قال يا امير المؤمنين نزهت بك في عظمتها عن ان يرالك حيث نهالك او يفقدك حيث امرك يا امير المؤمنين انما انت سوق فنان في عنك جل اليك

من خير او شر فاختر لنفسك ايها شئت قال فقالك لاننا نينا قال وما صنع باي انك ان اذنتي فتنتي وان اقصيتي اخرنتي وليس عندي ما تخافك عليه ولا عندك ما أرجوك (٥٨) له قال فارفع الينا حوائجك قال قدرتها الى من هو اقدر منك عليها فما اعطاني منها قبلت وما منعتني

وهو شاهد بصدقه من حيث دلالة على تصرف النبي في الاكوان الذي هو من خواص النفس النبوية لانيه ينزل منزلة القول الصريح بالتصديق فلذلك لا تكون دلالتها عندهم قطعية كما هي عند الملة كامين ولا يكون التحدي جزءا من المعجزة ولم يصح فارقه لهما عن البحر والكرامة وفارقه اعندهم عن السحران النبي مجبول على افعال الخير مصروف عن افعال الشر فلا يلزم الشرب بخوارقه والساحر على الضد فافعله كلها شروفي مقاصد الشر وفارقه عن الكرامة ان خوارق النبي مخصوصة كالصعود الى السماء والنفوذ في الاجسام الكثيفة واحياء الموتى وتكليم الملائكة والطيور في الهواء وخوارق الولي دون ذلك كتكثير القليل والحديث عن بعض المستقبلي وامثاله مما هو قاصر عن تصرف الانبياء وبأبي النبي بجميع خوارقه ولا يقدره وعلى مثل خوارق الانبياء وقد قرر ذلك المتصوفة فيما كتبوه في طريقهم ولقنوه عن اخبرهم واذا تقرر ذلك فاعلم ان اعظم المعجزات واشرفها واوضحها دلالة القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فان الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي وبأبي بالمعجزة شاهدة بصدقه والقرآن هو بنفسه الوحي المدعي وهو الخارق المعجز فشاهدته في عينه ولا يفتقر الى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي فهو اوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وارقى من الايات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحى الى فاننا ارجوان ان كون اكثرهم تابعيا يوم القيامة يشير الى ان المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها نفس الوحي كان الصدق لها اكثر لوضوحها فكثير المصدق المؤمن وهو التابع والامة

(ولذلك لا تنفس حقيقة النبوة على ما شرحه كثير من المحققين ثم نذكر حقيقة الكهانة ثم الروايات بشأن العرافين وغير ذلك من مدارك الغيب فنقول)

*(اعلم) ارشدنا الله وياك اننا شاهد هذا العالم بما فيه من الخلقات كلها على هيئة من الترتيب والاحكام وربط الاسباب بالسميات واتصال الاكوان بالاكوان واستحالة بعض الموجودات الى بعض لا تنقضي عجايبه في ذلك ولا تنتهي غاياته وابدأ من ذلك بالعالم المحسوس الجسماني والاول عالم العناصر المشاهدة كيف تدرج صاعدا من الارض الى الماء ثم الى الهواء ثم الى النار متصلا بعضها ببعض وكل واحد منها مستعد الا ان يستحيل الى ما يليه صاعدا او هابطا ويستحيل بعض الاوقات واصعد منها الالف مما قبله الى ان ينتهي الى عالم الافلاك وهو الالف من الكل على طبقات اتصل بعضها ببعض على هيئة لا يدرك الحس منها الى الحركات فقط وبها يهتدي بعضهم الى معرفة مقاديرها واولها واولها من وجود الذوات التي لها هذه الالف في عالم التكوّن كيف ابتدأ من المعادن ثم النباتات ثم الحيوان على هيئة بدية من التدرج آخر افاق المعادن متصل باول افاق النباتات مثل الحشائش وما لا بذره وآخر افاق النباتات مثل النخل والكرم متصل باول افاق الحيوان مثل الحزوز والصدف ولم يوجد لها الاقوة المس فقط ومعنى الاتصال في هذه المكونات ان آخر افاق منها مستعد بالاستعداد الغريب ان يصير اول افاق الذي بعده واتسع عالم الحيوان وتعددت انواعه وانتهى في تدرج التكوّن الى الانسان صاحب الفكر والروية ترتفع اليه من عالم القدرة الذي اجتمع فيه الحس والادراك ولم ينته الى الروية والفكر بالفعل وكان ذلك اول افاق من الانسان بعده وهذا غاية شهودنا ثم اننا نجد في العوالم على اختلافها آثارا متنوعة ففي عالم الحس آثار من حركات الافلاك والعناصر وفي عالم التكوّن آثار من حركة التوالد والادراك تشهد كلها بانها مؤثر امباين للاجسام فهو روحاني ويتصل بالمكونات لوجود اتصال هذا العالم في وجودها

منها رصيت يقول الله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فن ذالذي يستطيع ان ينقص من كثير ما قسم الله او يزيد في قليل ما قسم الله قال فبكي سليمان بكاء شديدا فقال رجل من جلسائه اسأت الى امير المؤمنين قال ابو حازم اسكت فان الله تعالى اخذ ميثاق العلماء ليدينه للناس ولا يكتمونه ثم خرج من عنده فلما وصل الى منزله بعث اليه بمال فردة وقال للرسول قل له يا امير المؤمنين والله ما ارضاه لك فكيف ارضاه لنفسى (وقال) الفضل بن الربيع حج مروان الرشيد فبينما انا قائم ليلة اذ سمعت قرع الباب فقلت من هذا فقال اجب امير المؤمنين فخرجت مسرعا فاذا انا به امير المؤمنين فقلت يا امير المؤمنين لو ارسات الى ابيك فقال ويحك قد حاك في نفسي شي لا يخرجه الا عالم انظري رجلا اسأله قلت له ههنا سفيان بن عيينة قال امض بنا الله فآتينا فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت اجب امير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا امير

المؤمنين لو ارسات الى ابيك قال جدما جئنا له فحادثه ساعة ثم قال له عليك دين قال نعم قال يا عباسي اقض دينه ثم انصم فناق قال ما اغني عنى صاحبك شيئا فانظري رجلا اسأله فقلت ههنا عبد الرزاق بن همام قال امض بنا اليه نسأله فآتينا فقرعت عليه

الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعاً فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أئمتك فقال جدما جئنا له فحاده ساعة
ثم قال له عليك دين قال نعم فقال يا عباسي اقض دينه ثم انصر ففنا فقال ما اغنى عنى (٥٩) صاحبك شيئاً فانظري رجلاً أسأله

فقلت مهنا الفضيل بن
عباس قال امض بنا اليه
فأتيناه واذ هو قائم يصلي
في غرفة يتلو آية من كتاب الله
ويردها فقرعت الباب
فقال من هذا فقلت أجب
أمير المؤمنين فقال مالي
ولا أمير المؤمنين فقلت
سميحان الله اما عليك طاعة
فقال اوليس قدروى عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ليس للمؤمن ان يذل
نفسه فترى ففتح الباب ثم
ارتقى الغرفة فأطلق السراج
ثم التجأ الى زاوية من
زواى الغرفة فخجلنا
نحول عليه بايدينا فسبقت
كف الرشيد كفى اليه فقال
أواه من كف ما اليه انان
نحت غدامن عذاب الله
تعالى قال فقلت فى نفسى
لكلمة منه اللبلة بكلام تقي من
قلب تقي فقال جدما جئنا
له رجعك الله قال وفيم جئنا
جئت على نفسك وجميع من
معك حملوا عليك حتى لو
سألتم عند انكشاف
الغطاء عنك وعنهم ان
يحملوا عنك شقصامن
ذنب ما فعدوا لولا كان
أشدهم جبالك أشدهم
هر بامنتك ثم قال ان عمر بن
عبد العزيز لما ولي الخلافة
دعا سالم بن عبد الله ومحمد

وذلك هو والنفس المدركة والحركة ولا بد فوقها من وجود آخر يعطيها قوى الادراك والحركة ويتصل
بها ايضا ويكون ذاته ادرا كاصرفا وتعلقا محضاً وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك ان يكون للنفس
استعداد للانسالخ من البشرية الى الملكية ليصير بالفعل من جنس الملائكة وقتان الاوقات في لحظة
من الامعات وذلك بعد ان تكمل ذاتها الروحانية بالفعل كما نذ كره عدو يكون لها اتصال بالاقى الذى
بعدها شأن الموجودات المرتبة كما قدمناه فلها فى الاتصال جهنا العلو والسفل هي متصلة بالبدن من
أسفل منها ومكتسبة به المدارك الحسية التى تستعملها للحصول على التعقل بالفعل ومتصلة من جهة
الاعلى منها باقى الملائكة ومكتسبة به المدارك العلمية والغيبية فان عالم الحوادث موجود فى تعلقاتهم من
غير زمان وهذا على ما قدمناه من الترتيب المحكم فى الوجود باتصال ذواته وقواه بعضها ببعض ثم ان هذه
النفس الانسانية غائبة عن العيان وآثارها ظاهرة فى البدن فكانه وجميع اجزائه محتمة معاً ومفترقة
آلات للنفس ولقواها اما الفاعلية فاللبطش باليد والمشى بالرجل والكلام باللسان والحركة الكلية
بالبدن متداخلة واما المدركة وان كانت قوى الادراك مرتبة ومرتبقة الى القوة العليا منها ومن المفكرة
التي يعبر عنها بالناطقة فقوى الحس الظاهرة بآلاته من السمع والبصر وسائر هارتقى الى الباطن وأوله
الحس المشترك وهو قوة تدرك المحسوسات مبصرة ومسموعة ولموسة وغير هاتى حالة واحدة وبذلك
فارتقت قوة الحس الظاهر لان المحسوسات لا تزدهم عليها فى الوقت الواحد ثم يؤدبه الحس المشترك الى
الخيال وهى قوة تمثل الشئ المحسوس فى النفس كما هو مجرد عن المواد الخارجة فقط وآله هاتين القوتين
فى تصرفهما البطن الاول من الدماغ مدمعة للاولى ومؤخرة للثانية ثم ترتقى الخيال الى الواهمة
والمحافظة فالواهمة لا ادراك المعانى المتعلقة بالاشخصيات كعداوة زيد وصدقة عمر وورثة الاب واقتراس
الذئب والمحافظة لا يداع المدركات كلها تخيلية وغير متخيلة وهى لها كالحزنة تحفظها الوقت الحاجة اليها
وآله هاتين القوتين فى تصرفهما البطن المؤخر من الدماغ اوله للاولى ومؤخرة للاخرى ثم ترتقى جميعها
الى قوة الفكر وآله البطن الاوسط من الدماغ وهى القوة التى يقع بها حركة الروية والتوجه نحو التعقل
فتحرك النفس بهادئاتها مركب فيها من النزوع للتخلص من درك القوة والاستعداد الذى للجشيرة
وتخرج الى الفعل فى تعلقاتها مشبهة بالملا الاعلى الروحانى وتصير فى اول مراتب الروحانيات فى ادراكها بغير
الات الحسية فهى متحركة دائماً وموجهة نحو ذلك وقد تنسلخ بالكلية من البشرية وروحانياتها
الى الملكية من الاقى الاعلى من غيرا كتساب بل بما جعل الله فيها من الجملة والقطرة الاولى فى ذلك
(والنفوس البشرية) على ثلاثة اصنافى صنف عاجز بالطبع عن الوصول الى الادراك الروحانى فينقطع
بالحركة الى الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية وتركب المعانى من المحافظة والواهمة على قوانين
محسوسة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصورية والتصديقية التى للفكر فى البدن وكلها خيالى
منحصر نطاقه اذ هو من جهة مبدئه ينتهى الى الاوليات ولا يتجاوزها وان فسد فسد ما بعده وهذا هو فى
الغلب نطاق الادراك البشرى الجسمانى واليه تنتهى مدارك العلماء وفيه ترسخ اقدامهم وصنف
منوجه بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحانى والادراك الذى لا يفتقر الى الات البدنية بما جعل
فيه من الاستعداد لذلك فيتسع نطاق ادراكه عن الاوليات التى هى نطاق الادراك الاول البشرى
ويسرح فى فضاء المشاهدات الباطنية وهى وجدان كلها الانطاق لها من مبدئها ولا من متنها وهى هذه
مدارك العلماء الاولياء اهل العلوم اللدنية والمعارف الربانية وهى المحاصلة بعد الموت لاهل السعادة فى

ابن كعب القرظى ورحاه بن حبه فقال لهم انى قد ابتليت بهذه البلاء فاشير واعلى فعدم الخلافة بلا وعددتها انت واصحابك نعمة فقال له
سالم بن عبد الله ان اردت النجاة غدامن عذاب الله فقم عن الدنيا وليكن اقطارك فيها الموت وقال له محمد بن كعب ان اردت النجاة من عذاب

الله غدا فليكن كبير المسلمين لك ابا ووسطهم عندك اخوا واصغرهم ولد ابا و ارحم اباك وارحم اباك وتحنن على ولدك وقال له رجاء بن حيوة ان اردت النجاة من عذاب الله (٦٠) غدا فاحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم شئت مت واني

لا قول لك هذا واني لا خاف عليك اشد الخوف يوم تنزل الاقدام فهل معك رجلك الله مثل هذا القوم من يا مراكم مثل هذا فبكي هرون بكاء شديدا حتى غشي عليه فقلت ارفق يا امير المؤمنين فقال يا ابن ابي الربيع قتلته انت واصحابك وارفق به انا ثم افاق فقال زدني فقال يا امير المؤمنين بلغني ان عاملا لعمر بن عبد العزيز شك اليه شهر افكتب اليه عمر بن عبد العزيز يا اخي اذكر سهر اهل النار في النار وخلود الابد فان ذلك يطرد بك الى ربك نائما ويقظان واياك ان تنزل قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما قدمك قال له دخلت قلبي بكائك لا وليت لك ولاية ابدا حتى اتى الله تعالى فبكاه هرون بكاء شديدا ثم قال زدني فقال يا امير المؤمنين ان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم جاءه فقال يا رسول الله امرني على امانة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي نفس تحبها خيرا من امانة

البرزخ وصفه مقطوعا على الانسلاخ من البشرية بجملة جسمانية وروحانية الى الملائكة من الاقنى الاعلى ليصير في لحظة من اللحظات ملكا بالفعل ويحصل له شهوة والملا الاعلى في افقهم وسماع الكلام النفساني والخطاب الالهي في تلك اللحظة وهو لاء الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في تلك اللحظة وهي حالة الوحي فطرة فطرهم الله عليها وجملة صورهم فيها ونزولهم عن موانع البدن وعوائقه ماداموا ملبسين لها بالبشرية بما ركب في غرائزهم من القصد والاسقام تقامه التي يحاذون بها تلك الوجهة وركز في طبائعهم رغبة في العبادة تكشف بتلك الوجهة وتسيخ نحوها فهم يتوجهون الى ذلك الاقنى بذلك النوع من الانسلاخ متى شاؤوا وبذلك الفطرة التي فطرها عليهم الا بالاسباب ولا صناعة فلذا توجهوا وانسلاخوا عن بشريةهم وتلقوا في ذلك الملا الاعلى ما يتلقونه عاجوا به على المدارك البشرية منزلا في قواها المحكمة التبليغ للعبادة فتارة يسمع دويها كأنه رزم من الكلام بأخذه منه المعنى الذي اتى الله فلا ينقضى الدوي الا وقد وعاه وفهمه وتارة يتمثل له الملك الذي يلقي اليه رجلا فيكلمه ويبي ما يقوله والتلقي من الملك والرجوع الى المدارك البشرية وفهمه ما اتى عليه كله كأنه في لحظة واحدة بل اقرب من لمح البصر لانه ليس في زمان بل كلها تقع جميعا فيظهر كأنها سريرة ولذلك سميت وحيا لان الوحي في اللغة الاسراع (واعلم) ان الاولى وهي حالة الدوي هي رتبة الانبياء غير المرسلين على ما حققه والثانية وهي حالة تمثيل الملك لرجل لا يخاطب هي رتبة الانبياء والمرسلين ولذلك كانت اكمل من الاولى وهذا معنى الحديث الذي فسره فيه النبي صلى الله عليه وسلم الوحي لما سألته الحرث بن هشام وقال كيف يأتيك الوحي فقال احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشد علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعني ما يقول وانما كانت الاولى اشد لانها مبداء الخروج في ذلك الاتصال من القوة الى الفعل فيعسر بعض العسر ولذلك لما عاج فيها على المدارك البشرية اختصت بالسمع وصعب ما سواه وعند ما يتكرر الوحي ويكثر التلقي يسهل ذلك الاتصال فعند ما يعرج الى المدارك البشرية يأتي على جميعها وخصوصا الاوضح منها وهو ادراك البصر وفي العبارة عن الوحي في الاولى بصيغة الماضي وفي الثانية بصيغة المضارع لطيفة من البلاغة وهي ان الكلام جاء محي التمثيل لمخات الوحي تمثل الحالة الاولى بالدوي الذي هو في المتعارف غير كلام واخبر ان الفهم والوحي يتبعه غيب انقضائه فناسب عند تصوره انقضائه وانفصاله العبارة عن الوحي بالماضي المطابق للانقضاء والانتجاع ومثل الملك في الحالة الثانية برجل يخاطب ويتكلم والكلام يساوقه الوحي فناسب العبارة بالمضارع المقتضى للتجدد واعلم ان في حالة الوحي كلها هو به على الجملة وشدة قد أشار اليها القرآن قال تعالى اناس لن يقدروا ان ينقلوا وقالت عائشة كان مما يعالي من التنزيل شدة وقالت كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا ولذلك كان يحدث عنه في تلك الحالة من الغيبة والغطيط ما هو معروف وسبب ذلك ان الوحي كما قررناه مفارقة البشرية الى المدارك الملكية وتلقي كلام النفس فيحدث عنه شدة من مفارقة الذات ذاتها وانسلاخها عنها من افقها الى ذلك الاقنى الاخر وهذا هو معنى الغيب الذي عبر به في مبداء الوحي في قوله فغطى حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ وكذا الثانية وثالثة كما في الحديث وقد يقضى الاعتياد بالتدرج فيه شأفا شيا الى بعض السهولة بالقياس الى ما قبله ولذلك كان تنزل نجوم القرآن وسوره وآيه حين كان بمكة أقصر منها وهو بالمدينة وتنازل في ترويضه في غزوة تبوك وانها نزلت كلها واكثرها عليه وهو يسير على ناقته بعد ان كان بمكة ينزل عليه بعض السورة من

لا تخصها ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت ان لا تكون امير افعل فبكي هرون الرشيد بكاء قصار شديدا ثم قال زدني بركم الله قال يا حسن الوجه انت الذي يسألك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت ان تقي هذا

الوجه من النار فافعل واياك ان تصبح وتمسي وفي قبلك نفس لرعبك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اصبح لهم غاشم ليرح رائحة الجنة فيبي هرون بكاه شديد ثم قال عليك دين قال نعم دين لربي لم يحاسبني عليه فالويل لي (٦١) ان سألني والويل لي ان نادشني

والويل لي ان لم يلهمني حتى قال انما اعني دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا امرني ان اصدق وعده واطيع امره فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يعطهمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له هذه الف دينار خذها فانفقها على عيالك وتقربها على عبادة ربك فقال سبحان الله انا ادلك على النجاة وتكافئني عمل هذا سلمك الله ووفقت ثم صمت فلم يكلمنا فخر جنا من عنده فقال لي هرون اذ ادللتني على رجل فدلتني على مثل هذا هذا سيد المسلمين اليوم (وروي) ان امرأة من نسائه دخلت عليه فقالت له يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فخر جناه فقال انما مني ومثلكم كمثل قوم كان لهم بهير يا كلون من كسبه فلما كبر نحره فأكلوا لحمه موتوا يا اهل جوعا ولا تدبحوا فاضيلنا فلما سمع الرشيد ذلك قال ادخل فعسى ان يقبل المال قال فدخنا فلما علم بنا الفضيل

قصارا لمفصل في وقت وينزل الباقي في حين آخر وكذلك كان آخر ما نزل بالمدنية آية الدين وهي ما هي في الطول بعد ان كانت الآية تنزل بمكة مثل آيات الرحمن والذاريات والمدثر والضحي والعلق وامثالها واعتبر من ذلك العلامة تميزها بين المكي والمدني من السور والآيات والله المرشد للصواب هذا محصل امر النبوة (واما الكهانة) فهي ايضا من خواص النفس الانسانية وذلك انه قد تقدم لنا في جميع ما مران للنفس الانسانية استعداد الاسلخ من البشرية الى الروحانية التي فوقها وانه يحصل من ذلك لحة للبشر في صنف الانبياء بما فطر واعلمه من ذلك وقررانه يحصل لهم من غير اكتساب ولا استعانة بشئ من المدارك ولا من التصورات ولا من الافعال البدنية كلاما او حركة ولا بامر من الامور انما هو انسلاخ من البشرية الى الملكية بالفطرة في لحظة اقرب من لمح البصر واذا كان كذلك وكان ذلك الاستعداد موجودا في الطبيعة البشرية فيعطى التقسيم العقلي ان هنا صنفا آخر من البشر ناقصا عن رتبة الصنف الاول نقصان الضد عن ضده الكامل لان عدم الاستعانة في ذلك الادراك ضد الاستعانة فيه وشتان ما بينهما فاذا اعطى تقسيم الوجود ان هنا صنفا آخر من البشر مقطورا على ان تحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عند ما يعينها النزوع لذلك وهي ناقصة عنه بالجملة فيكون لها بالجملة عند ما يعوقها العجز عن ذلك تشبث بامور جزئية محسوسة او متخيلة كالاتجسام الشفافة وعظام الحيوانات وسجج الكلام وما صنع من طير او حيوان فيستدعي ذلك الاحساس او التخيل مستعيناً به في ذلك الانسلاخ الذي يقصده ويكون كالمشبع له هذه القوة التي فيهم مبدأ لذلك الادراك هي الكهانة ولكون هذه النفوس مقطورة على النقص والقصور عن الكمال كان ادراكها في الجزئيات أكثر من الكليات ولذلك تكون الخيلة فيهم في غاية القوة لانها آلة الجزئيات فننفذ فيها نفوذات ما في نوم او يقظة وتكون عندها حاضرة عند تحضرها الخيلة وتكون لها كالمراة تنظر فيها دائما ولا يقوى الكاهن على الكمال في ادراك المعقولات لان وحيه من وحي الشيطان وارتفاع احوال هذا الصنف ان يستعين بالكلام الذي فيه السجج والموازنة ليستعمل به عن الحواس ويقوى بعض الشئ على ذلك الاتصال الناقص فيمحص في قلبه عن تلك الحركة والذي يشيعها من ذلك الاجنبي ما يقذفه على لسانه فربما صدق ووافق الحق وربما كذب لانه يتم تقصده بامر اجنبي عن ذاته المدركة ومباين لها غير ملائم فيعرض له الصدق والكذب جميعا ولا يكون موثوقا به وربما يفرغ الى الظنون والتخمينات حرصا على الظفر بالادراك بزعمه وتمويهها على السائلين واصحاب هذا السجج هم المخصوصون باسم الكهان لانهم ارفع سائر اصنافهم وقد قال صلى الله عليه وسلم في مثله هذا من سجع الكهان فجعل السجج مختصا بهم بمقتضى الاضافة وقد قال ابن صياد حين سأل كاشفا عن حاله بالاختبار كيف يا أبتك هذا الامر قال يا بني صادق وكاذب فقال خلط عليك الامر يعني ان النبوة خاصتها الصدق فلا يعتر بها الكذب بحال لانها اتصال من ذات النبي بالملا الاعلى من غير مشيخ ولا استعانة باجنبي والكهانة لما احتاج صاحبها بسبب عجزه الى الاستعانة بالتصورات الاجنبية كانت داخله في ادراكه والتبست بالادراك الذي توجه اليه فصارت مختلفا وطرقه الكذب من هذه الجهة فامتنع ان تكون نبوة وانما قلنا ان ارفع مراتب الكهانة حالة السجج لان معنى السجج اخف من سائر المغيبات من المراثيات والمسموعات وتدل خفة المعنى على قرب ذلك الاتصال والادراك والبعد فيه عن العجز بعض الشئ (وقد زعم) بعض الناس ان هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شأن رجم الشياطين بالشهب بين يدي البعثة وان ذلك كان منهم من خبر السماء كما وقع في القرآن والكهان انما يتعرفون اخبار السماء من الشياطين فبطلت

خرج وجلس على التراب على السطح فجاء هرون الرشيد فجالس الى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينما كذلك اذ خرجت جارية سوداء فقالت يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف يرحل الله فانصرفنا (ووعظ) شبيب بن شبة المنصور فقال يا امير المؤمنين ان الله لم

يجعل فوقك أحدًا فلا تجعل فوق شكر الله شكرًا (ودخل) عمر بن عبد العزيز المنصور فقرأ الفجر وليل عشرين حتى بلغ ان ربك لبا المرصاد لمن فعل مثل فعلهم فاتق الله (٦٢) يا أمير المؤمنين فان بيابك نيرانا تأجج لا يعمل فيها بكب الله ولا بسنة رسول الله وأنت

الكهانة من يومئذ ولا يقوم من ذلك دليل لان علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم أيضا كما قرناه أيضا فالآية انما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من أخبار السماء وهو ما يتعلق بخبر البعثة ولم يمنعوا مما سوى ذلك وأيضا فانما كان ذلك الانقطاع بين يدي النبوة فقط ولعلها عادت بعد ذلك الى ما كانت عليه وهذا هو الظاهر لان هذه المدارك كلها تخمد في زمن النبوة كما تخمد الكواكب والسر ج عند وجود الشمس لان النبوة هي النور الاعظم الذي يخفي معه كل نور ويذهب وقد زعم بعض الحكماء انهم انما توجده بين يدي النبوة ثم تنقطع وهكذا مع كل نبوة وقعت لان وجود النبوة لا بد له من وضع فلا يكتفى به وفي تمام ذلك الوضع تمام تلك النبوة التي دل عليها ونقص ذلك الوضع عن التمام يقتضي وجود طبيعة من ذلك النوع الذي يقتضيه ناقصة وهو معنى الكهان على ما قرناه فقبل ان يتم ذلك الوضع الكامل يقع الوضع الناقص ويقتضي وجود الكهان اما واحدا او متعددا فاذا تم ذلك الوضع تم وجود النبي بكامله وانقضت الاوضاع الدالة على مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شيء بعد وهذا بناء على ان بعض الوضع الفلاني يقتضي بعض أثره وهو غير مسلم لفعل الوضع انما يقتضي ذلك الاثر بهيئته الخاصة ولو نقص بعض أجزائها فلا يقتضي شيئا لانه يقتضي ذلك الاثر ناقصا كما قاله ثم ان هؤلاء الكهان اذا عاصر وا زمن النبوة فانهم عارفون بصدق النبي ودلالة معجزته لانهم بعض الوجدان من أمر النبوة كما لكل انسان من أمر اليوم ومعقوبية تلك النسبة موجودة للكاهن باشد مما للناظم ولا يصددهم عن ذلك ويوقعه في التكذيب الا قوة المطامع في انها نبوة ولم فيقعون في العناد كما وقع لامية بن أبي الصلت فانه كان بطمع ان يتنبأ وكذا وقع لابن صياد ومسلمة وغيرهم فاذا غلب الايمان وانقطعت تلك الاماني آمنوا أحسن ايمان كما وقع لطليحة الاسدي وسواد بن قارب وكان لهما في الفتوحات الاسلامية من الاثار الشاهدة بحسن الايمان (وأما الرؤيا) حقيقة مطالعة النفس الناطقة في ذاتها الروحانية المحضة من صور الواقعات فانها عند ما تكون روحانية تكون صور الواقعات فيها موجودة بالفعل كما هو شأن الذوات الروحانية كلها وتصير روحانية بان تجرد عن المواد الجسمانية والمدارك البدنية وقد يقع لها ذلك المحضة بسبب النوم كما نذكر فتقتبس بها علم ما تشوف اليه من الامور المستقبلة وتعود به الى مداركها فان كان ذلك الاقتراب ضعيفا وغير جلي بالتحساسة والمثال في الخيال لتخلطه فيحتاج من أجل هذه المحسوسة الى التعبير وقد يكون الاقتراب قويا يستغنى فيه عن المحسوسة فلا يحتاج الى تعبير مخلوصه من المثال والخيال والسبب في وقوع هذه المحسوسة للنفس انها ذات روحانية بالقوة مستكملة بالبدن ومداركه حتى تصير ذاتها متعلقا بمحسوسات يكمل وجودها بالفعل فتكون حينئذ ذاتا روحانية مدركة بغير شيء من الآلات البدنية الا لان نوعها في الروحانيات دون نوع الملائكة اهل الافق الاعلى على الذين لم يستكملوا ذاتهم بشيء من مدارك البدن ولا غيره فهذا الاستعداد حاصل لهما ما دامت في البدن ومنه خاص كالذي للاولياء ومنه عام للبشر على العموم وهو أمر الرؤيا وهو الذي للانبياء فهو استعداد بالانسلاخ من البشرية الى الملكية المحضة التي هي أعلى الروحانيات ويخرج هذا الاستعداد فيهم مستكرافي حالات الوحي وهو عند ما يرجع على المدارك البدنية ويقع فيها ما يقع من الادراك شيئا بحال النوم شبها بينا وان كان حال النوم أدون منه بكثير فلاجل هذا شبهه عبر الشارع عن الرؤيا بانها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وفي رواية ثلاثة وأربعين وفي رواية سبعين وليس العدد في جميعها مقصود بالذات وانما المراد الكثرة في تفاوت هذه المراتب بدليل ذكر السبعين في

مسؤول عما اجترحوه وليسوا مسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم الا بقساد آخرتك أما والله لو علم عمالك انه لا يرضيك منهم الا العدل لتقرب به اليك من لا يريد ففقال له سلمان بن مجالد اسكت فقد غممت أمير المؤمنين فقال له عمرو وويلك يا ابن أم مجالد اما كفاك انك خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين حتى أردت ان تحول بينه وبين من ينصحه اتق الله يا أمير المؤمنين فان هؤلاء قد اتخذوك سلما الى شهواتهم فانت كالماسك بالقرون وغيرك بحجاب هؤلاء لكن يغنوا عنك من الله شيئا (وقال) الاوزاعي المنصور في بعض كلامه يا أمير المؤمنين أما علمت انه كان بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يابسة يستاك بها ويردع بها المتأففين فانه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ما هذه الجريدة بيدك اذ فها الا تملأ قلوبهم رعبا فكيف من سئل دماء المسلمين وشقق أستارهم وانتبأ أمواهم ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا

الى القصاص من نفسه يخدشه خدشها اعرايا من غير تعمد فقال له جبريل عليه السلام ان الله يبعثك جبارا تكسر جبرون رعيتك يا أمير المؤمنين لو ان ثوبان النار شر على ما في الارض لاجتته فكيف بمن يتقصه ولو ان ذنوبنا من النار صب على ما في

الارض لاجته فكيف بمن يتجرعه ولوان حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب فكيف بمن يسلسل فيها ويرد فضلها على عنقه
(ودخل) بعض العقلاء على سلطان فقال له ان احق الناس بالاحسان من احسن الله اليه واولاهم (٦٣) بالانصاف من بسط يديه بالقدرة

فاستدم ما اوتيت من النعم
بتأدية ما عليك من المحق
(وروي) ان اعرابيا قام
بين يدي هشام بن عبد
الملك فقال ايها الامير انت
على الناس سنون ثلاث اما
الاولى فاكات اللحم واما
الثانية فاذا بت الشحيم
واما الثالثة فهاضت العظم
وعندك فضول اموال
فان كانت لله فاقمها بين
عباده وان كانت لهم فلم
تحصرها عليهم وان كانت
لكم فقصدوا فان الله
يجزي المتصدقين فامر هشام
بمال فقسم بين الناس
وامر للاعرابي بمال فقال
الكل المسلمين منك مثل
هذا قال لا يقوم بذلك بيت
المال قال لا حاجة لي فيما
يبعث لائمة الناس على امير
المؤمنين (وقال) رجل
لعمربن عبدالعزيز يا امير
المؤمنين اذ كرنا في هذا
لا يشعل الله عنك كثرة
من يخاصم من الخلائق
يوم تلقاه بلا نقمة من
العامل ولا براءة من الذنب
فبكاعمر بكاعشديد اشتم
استرده الكلام فجعل
يردده وعمر يبكي ويتعجب
ثم قال ما حاجتك قال
عاملك باذربيجان اخذ
مني اثني عشر الف درهم

بعض طرقه وهولته كثير عند العرب وما ذهب اليه بعضهم في رواية ستة واربعين من ان الوحي كان في
مبتدئه بالرؤية سنة اشهر وهي نصف سنة ومدة النبوة كلها بمكة والمدينة ثلاثة وعشرون سنة فنصف
السنة منها جزء من ستة واربعين فكلام بعيد من التحقيق لانه انما وقع ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ومن
أين لسان هذه المدة وقعت غيره من الانبياء مع ان ذلك انما يعطى نسبة زمن الرؤيا من زمن النبوة ولا
يعطى نسبة حقيقة تمام حقيقة النبوة واذا تبين لك هذا مما ذكرناه اول اعلمت ان معنى هذه الجزئية نسبة
الاستعداد الاول الشامل للبشر الى الاستعداد القريب الخاص بصنف الانبياء القطري لهم صلوات الله
عليهم اذ هو الاستعداد البعيد وان كان عام في البشر معه عوائق وموانع كثيرة من حصوله بالفعل ومن
أعظم تلك الموانع الحواس الظاهرة ففطر الله البشر على ارتفاع حجاب الحواس بالنوم الذي هو جيب لهم
فتعرض النفس عند ارتفاعه الى معرفة ما تشوف اليه في عالم المحق فتدرك في بعض الاحيان منه لحة
يكون فيها النظر بالمطلوب ولذلك جعلها الشارع من المبشرات فقال لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا
وما المبشرات يا رسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له (واما سبب ارتفاع حجاب
الحواس) بالنوم فعلى ما اصفه لك وذلك ان النفس الناطقة انما ادراكها وفعالها بالروح الحيواني
الجسماني وهو بخار لطيف مركزه بالتجويف الابسر من القلب على ما في كتب التشريح بلجاليينوس وغيره
ويبعث مع الدم في الشريانات والروق فيعطي الحس والحركة وسائر الافعال البدنية ويرتفع لطيفه
الى الدماغ فيعدل من برده وتم افعال القوى التي في بطونه فالنفس الناطقة انما تدرك وتعمل بهذا الروح
البخاري وهي متعلقة به ما اقتضته حكمة التكوين في ان اللطيف لا يؤثر في الكيف ولما لطف هذا
الروح الحيواني من بين المواد البدنية صار محالاً لثارات الذات المباشرة له في جسمانيته وهي النفس
الناطقية وصارت آثارها حاصلة في البدن بواسطة وقد كنا قد مرنا ان ادراكها على نوعين ادراك بالظاهر
وهو بالحواس الخمس وادراك بالباطن وهو بالقوى الدماغية وان هذا الادراك كله صار في الحواس
ادراكا ما فوقها من ذواتها الروحانية التي هي مستعدة له بالفطرة ولما كانت الحواس الظاهرة
جسمانية كانت معرضة للوسن والفشل ما يدركه من النعم والكلال وتعشى الروح بكثرة التصرف
فخلق الله لها طالب الاستحسان لتجرد الادراك على الصورة الكاملة وانما يكون ذلك بانحسار الروح
الحيواني من الحواس الظاهرة كلها ورجوعه الى الحس الباطن ويعين على ذلك ما يعشى البدن من
البرد بالليل فتطلب الحرارة الغريزية اعماق البدن وتذهب من ظاهره الى باطنه فتكون مشبعة من كبرها
وهو الروح الحيواني الى الباطن ولذلك كان النوم للبشر في الغالب انما هو بالليل فاذا انحسرت الروح عن
الحواس الظاهرة ورجع الى القوى الباطنة وخفت عن النفس شواغل الحس وموانعه ورجعت الى
الصورة التي في الحافظة تمثل منها بالتركيب والتحليل صور خيالية واكثر ما تكون معتادة لانها من ترعة
من المدركات المتعاهدة قريبا ثم ينزلها الحس المشترك الذي هو جامع الحواس الظاهرة فيدركه على
انحاء الحواس الخمس الظاهرة وربما التفتت النفس لقمة الى ذاتها الروحانية مع منازعتها القوى الباطنية
فتدرك باذراكها الروحاني لانها مقطورة عليه وتقتبس من صور الاشياء التي صارت متعلقة في ذاتها
حينئذ ثم يأخذ الخيال تلك الصور المدركة فيعملها بالحقيقة والمحاكاة في القوالب المعهودة والمحاكاة من
هذه هي المحتاجة للتعبير وتصرفها بالتركيب والتحليل في صور الحافظة قبل ان تدرك من تلك اللحمة
ما تدركه هي اصغاث احلام (وفي الصحيح) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا ثلاث رؤيا من الله ورؤيا

قال الاستكثون له حتى يرد عليه ماله (ولما) دخل زياد على عمر بن عبدالعزيز قال يا زيدا لا ترى ما ابتليت به من امرأة
محمد صلى الله عليه وسلم فقال زياد يا امير المؤمنين والله لو ان شعرة منك نطقت ما بلغت كنه ما انت فيه فاعمل لنفسك في

المخروج مما انت فيه يا امير المؤمنين كيف حال رجل له خصم اذ قال سبي الخمال قال فان كان له خصم ان اذ ان قال اسو الخماله قال فان كانوا ثلاثة قال لا يهنته عيش (٦٤) قال فوالله ما احدم من امة محمد صلى الله عليه وسلم الا وهو خصمك قال فبكي حتى تمنيت ان

من الملك ورؤيا من الشيطان وهذا التفصيل مطابق لما ذكرناه فالجلى من الله والمخا كاه الداعية الى التعبير من الملك واضغاث الاحلام من الشيطان لانها كلها باطل والشيطان يبعث الباطل هذه حقيقة الرؤيا وما يسببها وبشيء مما من النوم وهي خواص للنفس الانسانية موجودة في البشر على العموم لا يخلو عنها احد منهم بل كل واحد من الانسائي رأى في نومه ما صدر له في يقظته مرار غير واحدة وحصل له على القطع ان النفس مدركة للغيب في النوم ولا بدواذ جاز ذلك في عالم النوم فلا يمتنع في غيره من الاحوال لان الذات المدركة واحدة وخواصها عامة في كل حال والله الهادي الى الحق بمنه وفضله

(فصل) ووقوع ما يقع للبشر من ذلك غالباً انما هو من غير قصد ولا قدرة عليه وانما تكون النفس منشوفة لذلك الشيء فيقع لها بتلك اللصحة في النوم لانها تقصد الى ذلك فتراه وقد وقع في كتاب الغاية وغيره من كتب أهل الرياضات ذكر اسماء تذكرونها عند النوم فتكون عنها الرؤيا فيما يتشوف اليه ويسمونها الخالومية وذكر منها مسلمة في كتاب الغاية طالومة سماها حالومة الطباع التام وهو ان يقال عند النوم بعد فراغ السر وصحة التوجه هذه الكلمات الاعجمية وهي تماغس بعد ان يسواد وغداس نونفا غاداس ويذكر حاجته فانه يرى الكشف عما يسأل عنه في النوم (وحكى) ان رجلا فعل ذلك بعد رياضة ليال في ما كره فتمثل له شخص يقول له انطباعك التام فساله واخبره عما كان يتشوف اليه وقد وقع لي انا بهذه الاسماء رائى عجيبة واطلعت بها على امور كنت اتشوف اليها من احوالي وليس ذلك بدليل على ان القصد للرؤيا يحدثها وانما هذه الخالومات تحدث استعدادا في النفس لوقوع الرؤيا فاذا قوى الاستعداد كان اقرب الى حصول ما يستعد له وللشخص ان يفعل من الاستعداد ما أحب ولا يكون دليلا على ايقاع المستعد له فالقدرة على الاستعداد غير القدرة على الشيء فاعلم ذلك وتدبر فيما تجد من أمثاله والله الحكيم الخبير (فصل) ثم ان نجد في النوع الانساني اشخاصا يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صفتهم عن سائر الناس ولا يرجعون في ذلك الى صناعة ولا يستدلون عليه باثر من النجوم ولا غيرها انما نجد مداركهم في ذلك بمقتضى فطرتهم التي فطر واعلمها وذلك مثل العراقيين والناظرين في الاجسام الشفافة كالمرابا وضاس الماء والناظرين في قلوب الحيوانات وكبادها وعظامها واهل الزجر في الطير والسباع واهل الطرق بالحصى والمحبوب من الحنطة والنوى وهذه كلها موجودة في عالم الانسان لا يسع احدا بجدها ولا انكارها وكذلك الجنانين ياتي على استنهم كلمات من الغيب فيخبرون بها وكذلك النائم والميت لاول موته او نومه يتكلم بالغيب وكذلك اهل الرياضات من المتصوفة لهم مدارك في الغيب على سبيل الكرامة معرفة به ونحن الانسائي نتكلم على هذه الادراكات كما هو نبتدى منها بالكهانة ثم ناتي عليها واحدة واحدة الى آخرها ونقدم على ذلك مقدمة في ان النفس الانسانية كيف تستعد لادراك الغيب في جميع الاصناف التي ذكرناها وذلك انها ذات روحانية موجودة بالقوة من بين سائر الروحانيات كما ذكرناه قبل وانما تخرج من القوة الى الفعل بالبدن واحواله وهذا امر مدرك لكل احد وكل ما بالقوة قلبه مادة وصورة وصورة هذه النفس التي بها يتم وجودها وعين الادراك والتعقل فهي توجد اولاً بالقوة مستعدة للادراك وقبول الصور الكلية والجزئية ثم يتم نشؤها ووجودها بالفعل بمصاحبة البدن وما يعودها بورد مداركها المحسوسة عليها وما تنتزع من تلك الادراكات من المعاني الكافية فتتعقل الصور مرة بعد اخرى حتى يحصل لها الادراك والتعقل طورا بالفضل على قتم ذاتها وتسمى النفس كالمبولي والصور متعاقبة عليها بالادراك واحدة بعد واحدة ولذلك نجد الصبي في اول نشأته لا يقدر على الادراك الذي لها

لا كون قلت له ذلك (وقال) محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز يا امير المؤمنين انما الدنيا سوق فيها تخرج الناس بماربحوا فيها الا خربهم وخرجوا بما يضرهم فكم من قوم غرهم مثل الذي اصبحنا فيه حتى اتاهم الموت فخرجوا من الدنيا مرملين لم يأخذوا من الدنيا الا لخرة فاقسم ما لهم من لا يخدمهم وصاروا الى من لا يعذرهم فانظر الى الذي تحب ان يكون معك مقدمه بين يديك حتى تخرج اليه وانظر الى الذي تنكره ان يكون معك اذا قدمت فاتبع به البديل حيث يجوز البديل ولا تذهب الى سلة قديرات على غيرك ترجو جوازها عنك يا امير المؤمنين افتح الابواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم (وحضر) رجل بين يدي بعض الملوك فأعاظ له السلطان فقال له الرجل انما انت كالسما اذا اردت وأبرقت فقد قرب خيرها فسكن غضبه واحسن اليه ولما احتاج المنصور بن ابي عامر ملك الاندلس ان يأخذ ارضا محبسة ويعاوض عنها خيرا

منها استخضر الفقهاء في قصره فاقربوا بانه لا يجوز فغضب السلطان وارسل اليهم رجلا من الوزراء مشهورا بالحجة والعلية فقال لهم يقول لكم امير المؤمنين يا مشيخة السوء يا مستحلي اموال الناس يا آكلي اموال البتامي ظلمنا يا شهداء الزور يا آخذى

الرشا ومثل في الخوصوم وملتقى الشرور وملبسي الامور وملمسي الروايات لا تباع الشهوات تبالك ولا تراكم فهو اعز الله واقف على فسوقكم قديما وخونكم لامانا تم معض عنه صابر عليه ثم احتاج الى دقة نظركم في حاجة مرة (٦٥) واحدة في دهره فلم تسعوا ارادته ما كان

هذا ظنه بكم والله ليعارضنكم
وليمك شقن ستوركم
ولينا سخن الاسلام فيكم
واخشن عليهم بهذا ونحوه
فاجابه شيخ منهم ضعيف
المنة فقال تنوب الى الله مما
قاله امير المؤمنين ونسأله
الاقالة فرد عليه زعيم القوم
محمد بن ابراهيم بن حيويه
وكان جلد اصارما فقال
للكلام تم تنوب يا شيخ
السوء نحن برآء من متالك
ثم اقبل على الوزير فقال
يا وزير بدس المبلغ أنت
وكلا نسبتة الينا عن امير
المؤمنين فهو وصفتكم معاشر
خدمه فانتم الذين تأكلون
اموال الناس بالباطل
وتستحلون ظلمهم بغير حق
وتتجبون معايشهم بالرشا
والمصانعة وتبغون في
الارض بغير الحق واما نحن
فليست هذه صفاتنا ولا
كرامة لا يقو لها لنا الامتهم
في الديانة فنحن اعداء لام
الهدى وسرج الظلمة بنا
يتخصن الاسلام ويفرق
بين الحلال والحرام وتنقذ
الاحكام وبناتقام
الفرائض وتثبت الحقوق
وتحقق الدماء وتستحل
القروج فهل اذعيب
علينا سيدنا امير المؤمنين
بشيء لا ذنب فيه لنا وقال

من ذاتها الانوم ولا يكشف ولا يغيرهما وذلك لان صورتها التي هي عين ذاتها وهي الادراك والتعقل لم يتم
بعد بل لم يتم لها انتزاع الكلمات ثم اذاتت ذاتها بالفعل حصل لها مادامت مع البدن نوعان من الادراك
ادراك بالآلات الجسمي تؤديه اليها المدارك البدنية وادراك بذاتها من غير واسطة وهي محجوبة عنه بالانفاس
في البدن والحواس وبشواغلها لان الحواس ابداجاذبة لها الى الظاهر بما فطرت عليه اولامن الادراك
الجسماني وربما تنفس من الظاهر الى الباطن فيرفع حجاب البدن المحضة اما بالخاصية التي هي للانسان
على الاطلاق مثل النوم او بالخاصية الموجودة لبعض البشر مثل الكهانة والطرق او بالر رياضة مثل اهل
الكشف من الصوفية فتمتعت حينئذ الى الذوات التي فوقها من المالا على لمابين اقفها واقفهم من
الاتصال في الوجود كما قررناه قبل وتلك الذوات روحانية وهي ادراك محض وعقول بالفعول وفيها صور
الموجودات وحقائقها كما مر في تجلي فيما شئ من تلك الصور وتعتدس منها علوما وربما دفعت تلك الصور
المدركة الى الخيال فيصرفه في القوالب المعتادة ثم يراجع المحس بما ادر كت اما مجردا وفي قوالبه
فتخبر به هذا هو شرح استعداد النفس لهذا الادراك الغيبي ولترجع الى ما وعدنا به من بيان اصنافه
فاما الناظرون في الاجسام الشفافة من المريا وطساس المياه وقلوب الحيوان وكبادها وعظامها واهل
الطرق بالحصى والنوى فيسلكهم من قبيل الكهان الا انهم اضعف رتبة فيه في اصل خلقهم لان الكهان
لا يحتاج في رفع حجاب المحس الى كثير معاناة وهؤلاء يعانونه بانحصار المدارك المحسبة كلها في نوع واحد
منها واشرفها البصر فيعكف على المرئي البسيط حتى يبس دوله مدركة الذي يخبر به عنه وربما يظن ان
مشاهدة هؤلاء ما يروونه هو في سطح المرآة وليس كذلك بل لا يرون ينظرون في سطح المرآة الى ان يغيب
عن البصر ويبدو فيما بينهم وبين سطح المرآة حجاب كانه غمام يتمثل فيه صور هي مداركهم فيشبهون
اليهم بالمقصود لما يتوجهون الى معرفته من نفي او اثبات فيخبرن بذلك على نحو ما ادر كوه واما المرآة وما
يدرك فيهما من الصور فلا يدركونه في تلك الحال وانما ينشأ لهم بها هذا النوع الاخر من الادراك وهو
تقاسي ليس من ادراك البصر بل يتشكل به المدرك النفساني المحس كما هو معروف ومثل ذلك ما يعرض
لناظرين في قلوب الحيوانات وكبادها وللناظرين في الماء والطساس وامثال ذلك وقد شاهدنا من
هؤلاء من يشغل المحس بالبحور فقط ثم بالعزائم للاستعداد ثم يخبر كما ادرك ويزعمون انهم يرون الصور
متشخصة في الهواء تحكي لهم احوال ما يتوجهون الى ادراكه بالتمثال والاشارة وغيبية هؤلاء عن المحس
اخف من الاولين والعالم ابو الغرائب واما الزبر وهو ما يحدث من بعض الناس من التكلم بالغييب عند
سنوح طائر او حيوان والفكر فيه بعد مغيبه وهي قوة في النفس تبعث على الحرص والفكر فيما زجر فيه
من مرئي او مسموع وتكون قوته الخيالية كما قدمناه قوية فيبعثها في البحث مسة تعينا بآراء او سمعها فيؤديه
ذلك الى ادراك ما كما تفعله القوة الخيالية في النوم وعند ركود الحواس وتوسط بين المحسوس المرئي في يقظته
وتجده مع ماعتته فيكون عنها الرؤيا واما الخياليين فنفسهم الناطقة ضعيفة التعلق بالبدن لفساد امرجتهم
غالب اوضعف الروح الجواني فيها فتكون نفسه غير مسة متفرقة في الحواس ولا منعسة فيها بما شغلها في
نفسها من ألم النقص ومرضه ويزا جها على التعلق به روحانية اخرى شيطانية تنشبت به وتضعف هذه عن
مما تعاقبون عنه التيقظ فاذا اصابه ذلك التيقظ اما لفساد مزاجه من فساد في ذاتها او لمزاجه من النفوس
الشيطانية في تعلقه غاب عن حسه جلة فادرك لحة من عالم نفسه وانطبع فيها بعض الصور وصر فيها الخيال
وربما نطق على لسانه في تلك الحال من غير ارادة النطق وادراك هؤلاء كلهم مشوب فيه الحق بالباطل لانه

(٩ - ابن خلدون) بالغيط ما قاله تأنيث لا بلاغنا رسالته باهون من الخاشك ومرضت لنا بانكاره حتى فهمنا منك فأجبتك عنه
بما يصلح الجواب عنه به فكنت تترين على السلطان ولا تقشي سره وتستحيين بما استقبلتنا به فنحن نعلم ان امير المؤمنين لا يتماذى على

والعياذ بالله من ذلك البطل

هذا الرأي فبنا ولا يعتمد هذا المعتقد في صفاتنا وانه سيراجع بصيرته في اثارنا وتغزيرنا فلو كنا عنده على هذه الحال التي وصفتها عنا عليه كل ما صنعته وعقدته من اول خلافته الى هذا الوقت فاشيبت له كتاب من حرب ولا

سلم ولا شرع ولا بيع ولا صدقة ولا حدس ولا هبة ولا عتق ولا غير ذلك الا بشهادتنا هذا ما عندنا والسلام ثم قام وانصرفين فلم يكادوا يبلغوا باب القصر الا والرسل تناديهم فادخلوا القصر فلقاهم الوزراء بالاعظام ورفعوا منازلهم واعتذروا اليهم مما كان من صاحبهم وقالوا لهم امير المؤمنين يعتذر اليكم من فرط موجدته ويستجير بالله من الشيطان الرجيم ونزغته التي حملته على الجفاء عليكم ويعلمكم انه نادى على ما كان منه اليكم وهو مستبصر في تعظيمكم وقضاء حقوقكم وقد امر كل واحد منكم ماترون من صلته وكسوة عامة لرضاه عنكم فدعوا له وقبضوا ما امر لهم وانصرفوا غابين لم يمسهم سوء (ولما) نظر مالك بن دينار الى المهلب بن ابي صفرة يجير اذباله ويبتخر في أبواب خيالاته ناداه ان ارفع من ثيابك فقال له المهلب اوما تعرفني قال له مالك بلى اني اعرفك اولك نطفة مذرة وآخرك خيفة قدوة وانت فيما بين ذلك تحمل العذرة ويروي ان رجلا قال لعبيد الله العمري هذا

لا يحصل لهم الاتصال وان فقدوا الحس الا بعد الاستعانة بالتصورات الاجنبية كما قررناه ومن ذلك يجيء الكذب في هذه المدارك واما العرافون فهم المتعلقةون بهذا الادراك وليس لهم ذلك الاتصال فيساطون الفكر على الامر الذي يتوجهون اليه وياخذون فيه بالظن والتخمين بناء على ما يتوهمونه من منادى ذلك الاتصال والادراك ويدعون بذلك معرفة الغيب وليس منه على الحقيقة (هذا تحصيل هذه الامور) وقد تكلم عليهم المسعودي في مروج الذهب فاصادف تحقيقاته واصابوه يظهر من كلام الرجل انه كان بعيدا عن الرسوخ في المعارف فينقل ما سمع من اهله ومن غير اهله وهذه الادراكات التي ذكرناها موجودة كلها في نوع البشر فقد كان العرب يقزعون الى الكهان في تعرف المحوادث ويتسافرون اليهم في الخصوصات ليعرفوهم بالحق فيها من ادراك غيبهم وفي كتب اهل الادب كثير من ذلك واشتهر منهم في الجاهلية شق من انصار بن نزار وسطيح بن مازن بن غسان وكان يدرج كيد درج الثوب ولا عظم فيه الا الجحمة ومن مشهور الحكايات عنهما ناول روث يار بيعة بن مضر وما اخبراه به من ملك الحبشة للين وملك مضر من بعدهم وظهور النبوة المحمدية في قريش ورؤيا المولى بذان التي اولها سطيح لما بعث اليه بها كسرى عبد المسيح فاخبره بشأن النبوة وخراب ملك فارس وهذه كلها مشهورة وكذلك العرافون كان في العرب منهم كثير وذكروهم في اشعارهم قال

فقلت لعراف اليمامة داوئي * فانك ان داوئي اطيبي
جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجدان هما شقياني
فقالا شقك الله والله مالنا * مما جعلت منك الضلوع يدان
وقال الآخر

وعراف اليمامة هو رباح بن عجلة وعراف نجد الاباق الاسدي (ومن هذه المدارك الغيبية) ما يصدر لبعض الناس عند مقارفة اليقظة والتباسه بالنوم من الكلام على الشيء الذي يشوف اليه بما يعطيه غيب ذلك الامر كما يريد ولا يقع ذلك الا في مبادئ النوم عند مقارفة اليقظة وذهاب الاختيار في الكلام فيتمسككم كانه محبول على النطق وغايته ان يسمع ويقفه وكذلك يصدر عن المقتولين عند مقارفة رؤسهم وأوساط ابدانهم كلام بمثل ذلك ولقد بلغنا عن بعض الجبابرة الظالمين انهم قتلوا من سجنوهم اشخاصا ليتعرفوا من كلامهم عند القتل عواقب امورهم في انفسهم فأعلموهم بما يستبشع وذكر مسئلة في كتاب الغاية له في مثل ذلك ان آدميا اذا جعل في دن علمه يدهن السمسم ومكث فيه اربعين يوما يغذي بالثين والجوز حتى يذهب لجهولا يبقى منه الا العروق وشؤون رأسه فيخرج من ذلك الدهن فين يحف عليه الهوا يجيب عن كل شيء يسئل عنه من عواقب الامور الخاصة والعامة وهذا فعل من منا كبر افعال السحرة لكن يفهم منه عجائب العالم الانساني ومن الناس من يحاول حصول هذا المدرك الغيبي بالريضة فيحاولون بالمجاهدة وتواضعها بايمانه جميع القوى البدنية ثم يحو آثاره التي تلونت بها النفس ثم تغذيها بالذكرتزداد قوة في نشأها ويحصل ذلك بجميع القركو كثرة الجوع ومن المعلوم على القطع انه اذا نزل الموت بالبدن ذهب الحس وحجابه واطلعت النفس على ذاتها وعالمها فيحاولون ذلك بالاكتساب ليقع لهم قبل الموت ما يقع لهم بعده وتطلع النفس على المعيبات ومن هؤلاء اهل الرياضة السحرية يرتاضون بذلك ليحصل لهم الاطلاع على المعيبات والتصرفات في العوالم واكثر هؤلاء في الاقاليم المنخرقة جنوبا وشمالا خصوصا بلاد الهند ويسمون هنالك الحوكية ولهم كتب في كيفية هذه الرياضة كثيرة والاخبار عنهم في ذلك غريبة واما المتصوفة فرياضتهم دينية وعربية عن هذه المقاصد المذمومة وانما يقصدون

هر وون الرشيد في الطواف قد احدث له المسي فقال له لاجزاءك الله عنى خيرا كلقتى امرا كنت عنه غنيا ثم جاء اليه فقال جمع له ياهرون فلما نظر اليه قال لبيك يا عم قال لم ترى ههنا من خلق الله فقال لا يجيبهم الا الله عز وجل فقال اعلم ايها الرجل ان كل واحد

منهم يسئل عن خاصة نفسه وأنت واحد تسئل عنهم كأنهم فانظر كيف تكون قال فبكي هرون وجاس وجعل يعظونه منديلا منديلا
لدهم وعثم قال له فيما قال ان الرجل ليسر ع في مال نفسه فيسحق الحجر عليه فكيف (٦٧) فيمن أسرع في مال المسلمين فيقال

ان هرون كان يقول بعد ذلك اني أحب ان احج في كل عام وما يعني من ذلك الا عبيد الله العمري و يروي ان الحسن بن محمد ابن الحسين رضي الله عنهم دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له يا عمر ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان فقال له عمر ايه اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وجنا على ركبتيه فقال الحسن من اذا رضى لم يدخله رضاه في باطل ومن اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ومن اذا قد لم يتناول ما ليس له (ولما) ولي عمر بن عبد العزيز وفدت الوفود من كل بلد فوفد عليه الخازيون فقدم غلام منهم للكلام وكان حديث السن فقال له عمر لينطق من هو اسن منك فقال الغلام اصبح الله امير المؤمنين انما المرء باصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله عبدا السان لا فظا وقلبا حافظا فقد استحق الكلام وعرف فضله ومن سمع خطابه ولو ان الامر يا امير المؤمنين بالنس لسكان في الامة من هو احق بمجلسك هذا منك فقال صدقت

جميع المهمة والاقبال على الله بالكفاية ليحصل لهم اذواق اهل العرفان والتوحيد ويزيدون في رياضتهم الى الجمع والجموع التغذية بالذكريات ووجهتهم في هذه الرياضة لانه اذا نشأت النفس على الذكريات اقرت الى العرفان بالله واذا عريت عن الذكر كانت شيطانية وحصول ما يحصل من معرفة الغيب والتصرف لهؤلاء المتصوفة انما هو بالعرض ولا يكون مقصودا من اول الامر لانه اذا قصد ذلك كانت الوجهة فيه لغير الله وانما هي لتقصده التصرف والاطلاع على الغيب واخسر بها صفة فانها في الحقيقة شرك قال بعضهم من آثار العرفان للعرفان فقد قال بالثاني فهم يقصدون بوجهتهم المعبود لا شيا سواه واذا حصل اثناء ذلك ما يحصل بالعرض وغير مقصود لهم وكثير منهم يقر منه اذا عرض له ولا يحفل به وانما يريد الله لذاته لا غير وحصول ذلك لهم معروف ويسمون ما يقع لهم من الغيب والحديث على الخواطر فرائس وكشفا وما يقع لهم من التصرف كرامة وليس شيء من ذلك ينكسر في حقهم وقد ذهب الى انكاره الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني وابو محمد بن ابي زيد المالكي في آخر من فرار من التباس المجزأة بغيرها والماعول عليه عند المتكلمين حصول التفرقة بالتعدي فهو وكاف وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فيكم محدثين وان منهم عمر وقد وقع للحبابة من ذلك وقائع معروفة تشهد بذلك في مثل قول عمر رضي الله عنه يا سارية الجبل وهو سارية بن ذئب كان قائدا على بعض جيوش المسلمين بالعراق ايام الفتوحات وتورط مع المشركين في معترك وهم بالانضمام وكان يقر به جبل يتجهز اليه فرجع لعمر ذلك وهو يخضب على المنبر بالمدينة فتاداه يا سارية الجبل وسمعه سارية وهو يمد يده ورأى شخصه هنالك والقصة معروفة ووقع مثله ايضا لابي بكر في وصيته عائشة ابنته رضي الله عنهم في شأن ما نحلها من اوسق التمر من حديثه ثم نهها على جذاذه لتخوزه عن الورثة فقال في سياق كلامه وانما هم اخوانك واختك فقالت انما هي اسماء فن الاخرى فقال ان ذابطن بنت خارجة اذ اها جارية فكانت جارية وقع في الموطا في باب ما لا يجوز من التحل ومثله هذه الوقائع كثيرة لهم ولما بعدهم من الصالحين واهل الاقنداء الا ان اهل التصوف يقولون انه يقل في زمن النبوة اذ لا يبقى للمريد طلة بحضرة النبي حتى انهم يقولون ان المريد اذا جاء للمدينة النبوية يسلب حاله مادام فيها حتى يفارقها والله يرزقنا الهداية ويرشدنا الى الحق (فصل) ومن هؤلاء المرديد من المتصوفة قوم بهاليل معتموهون اشبه بالمجانين من العقلاء وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية واحوال الصديقين وعلم ذلك من احوالهم من يفهم عنهم من اهل الذوق مع انهم غير مكافين ويقع لهم من الاخبار عن الغيبات عجائب لانهم لا يتقيدون بشيء فيطلقون كلامهم في ذلك ويأتون منه بالعجائب ويربما ينكر الفقهاء انهم على شيء من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم والولاية لا تحصل الا بالعبادة وهو غلط فان فضل الله يؤتبه من يشاء ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها واذا كانت النفس الانسانية ثابتة الوجود فالله تعالى يخصها بما شاء من مواهبه وهؤلاء القوم لم تعد نفوسهم الناطقة ولا فسدت كحال المجانين وانما فقد لهم العقل الذي يناط به التكليف وهي صفة خاصة للنفس وهي علوم ضرورية للانسان يشد بها نظره ويعرف احوال معاشه واستقامته منزله وكأنه اذا ميز احوال معاشه واستقامته منزله لم يبق له عذر في قبول التكليف لاصلاح معاده وليس من فقد هذه الصفة بقاقدان نفسه ولا ذاهل عن حقيقةه فيكون موجودا الحقيقة معدوم العقل التسكريفي الذي هو معرفة المعاش والاستحالة في ذلك ولا يتوقف اصطفاء الله لعباده لمعرفة على شيء من التكليف واذا صح ذلك فاعلم انه ربما يلتبس حال هؤلاء بالمجانين الذين تقسد نفوسهم الناطقة ويلتحقون بالبهائم وللك

قل ما بدالك فقال الغلام اصبح الله امير المؤمنين نحن وفدت هنة لا وفدت مرزئته وقد اتيناك من الله الذي من علينا بك ولم يقدمنا اليك رغبة ولا رهبة ابا الرغبة فقد اتيناك من بلادنا واما الرهبة فقد امانا بحورك بعدك فقال له عمر عطفي يا غلام فقال الغلام اصبح الله امير

المؤمنين ان ناسا من الناس غرهم حلم الله عنهم وطول املهم وكثرة ثناء الناس عليهم فنزلت بهم الاقدام فهو وافي النار فلا يغرنك حلم
الله عنك وطول املك وكثرة ثناء الناس عليك فنزل بك قدمك فالحق بالقوم فلا جعلك الله منهم والحق بصالحى
(٦٨)

في تمييزهم علامات منها ان هؤلاء البهاليل تجدهم وجهة ما لا يتخلون عنها اصلا من ذكر وعبادة لكن على غير
الشروط الشرعية لما قلناه من عدم التكليف والمجانين لا تجدهم وجهة اصلا ومنها انهم يخلقون على البه
من اول نشأتهم والمجانين يعرض لهم الجنون بعد مدة من العمر واوارض بدينة طبيعية فاذا عرض لهم ذلك
وفسدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالحمية ومنها كثرة تصرفهم في الناس بالخير والشر لانهم لا يتوقفون على
اذن لعدم التكليف في حقهم والمجانين لا تصرف لهم وهذا فصل انتهى بنا الكلام اليه والله المرشد للصواب
(فصل) وقد يزعم بعض الناس ان هناك مدارك للغيب من دون غيبة عن الحس فزعم المنجمون القائلون
بالدالات النجومية ومقتضى اوضاعها في الفلك وآثارها في العناصر وما يحصل من الامتزاج بين طباعها
بالتناظر ويتأدى من ذلك المزاج الى الهواء وهؤلاء المنجمون ليسوا من الغيب في شيء انما هي ظنون
حدسية وتخمينات مبنية على التاثير النجومية وحصول امزاج منها للهواء مع مزيج يحدث يقف به الناظر
على تفصيله في الشخصيات في العالم كما قاله بطليموس ونحن نبين بطلان ذلك في محله ان شاء الله وهو
لو ثبتت فغايبته حدس وتخمين وليس مما ذكرناه في شيء ومن هؤلاء قوم من العامة استنبطوا الاستخراج
الغيب وتعرف الكائنات صناعة سمها خط الرمل نسبة الى المادة التي يصفون فيها اعمالهم وبحصول
هذه الصناعة انهم صيروا من النقط اشكال ذات اربع مراتب تختلف باختلاف مراتبها في الزوجية
والفردية واستوائها فيهما فكانت ستة عشر شكلا لانها ان كانت ازايا كلها او افرادا كلها فاشكالان
وان كان الفرد فيهما في مرتبة واحدة فقط فاربع اشكال وان كان الفرد في مرتبتين فستة اشكال وان كان
في ثلاثة مراتب فاربع اشكال جاءت ستة عشر شكلا ميزوها كما بابا بما فيها وانواعها الى سبعين ونحوها
شان الكواكب وجعلوا لها ستة عشر بينا طبيعية بزعمهم وكانها البروج الاثنا عشر التي للفلك والاوناد
الاربعة وجعلوا لكل شكل منها بيتا وحظوظا ودلالة على صنف من موجودات عالم العناصر يختص به
واستنبطوا من ذلك فناحا ذوا به فن النجمية ونوع قضائه الا ان احكام النجمية مستندة الى اوضاع طبيعية
كما زعم بطليموس وهذه انما مستندها اوضاع تحكمية وهو احواء اتفاقيه ولا دليل يقوم على شيء منها
ويزعمون ان اصل ذلك من النبوة القديمة في العالم وربما ينسبونها الى دانيال اولى ادريس صلوات الله
عليهم ماشان الصنائع كلها وربما يدعون مشروعيها ويحتجون بقوله صلى الله عليه وسلم كان نبي يخط فخن
وافق خطه فذاك وليس في الحديث دليل على مشروعية خط الرمل كما يزعمه بعض من لا تخصصيل لديه
لان معنى الحديث كان نبي يخط فباتيه الوحي عند ذلك الخط ولا استحالة في ان يكون ذلك عادة لبعض
الانبياء فخن وافق خطه ذلك النبي فهو ذلك اي فهو صحيح من بين الخط بما عساه من الوحي لذلك النبي
الذي كانت عادته ان ياتيه الوحي عند الخط واما اذا اخذ ذلك من الخط مجردا من غير موافقة وحي فلا
وهذا معنى الحديث والله اعلم فاذا ارادوا استخراج مغيب بزعمهم عمدوا الى قرطاس او رمل او دقيق
فوضعوا النقط سهطورا على عدد المراتب الاربعة ثم كرروا ذلك اربع مرات فتجيب خمسة عشر سطر اثم
يطرحون النقط ازاويا يضعون ما بقي من كل سطر زوجا كان او فردا في مرتبة على الترتيب فتجيب اربعة
اشكال يضعونها في سطر متتالية ثم يولدون منها اربعة اشكال اخرى من جانب العرض باعتبار كل مرتبة
وما قابلها من الشكل الذي بازائه وما يجتمع منهما من زوج او فرد فتكون ثمانية اشكال موضوعة في
سطر ثم يولدون من كل شكلين شكلا تحتها باعتبار ما يجتمع في كل مرتبة من مراتب الشكلين ايضا من
زوج او فرد فتكون اربعة اخرى تحتها ثم يولدون من الاربعة شكلين كذلك تحتها ثم من الشكلين شكلا

هذه الامة ثم سكت فسال
عمر الغلام عن سنه فاذا
هو ابن احدى عشرة سنة
ثم سأل عنه فاذا هو من
ولد الحسين بن علي بن ابي
طالب رضي الله عنهم فتمثل
عمر عند ذلك فقال
تعلم فليس المرء يولد عالما
وليس اخو علم كن هو
جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده
صغيرا اذا التفت عليه المحافل
وفي مثل هذا قيل للعتابي
وكان لا يسالي ما لبس
مالك لا تجيد الملبوس فقال
انما يرفع الرجل اديه
وعقله لا حيلته وحيلته لمحي
الله امر ايرضي ان ترفعه
هيبته ومجاله لا والله حتى
يشرفه اصغراه لسانه وقلبه
ويعلمه بها كبراهمته
ولبه وما دخل ضمرة بن
ضمرة على المنذر بن المنذر
وهو ملك وكان ضمرة ذار اى
وعقل احتقرته عيناه
لدما مشه فقال لان تسمع
بالمعيدى خبير من ان تراه
فقال ضمرة آيت اللعن ان
القوم ليسوا بجزور تجزرو
انما المرء باصغر به قلبه
ولسانه فاذا نطق نطق ببيان
واذا قاتل قاتل بخنان
والرجال لا تكال بالفقيران
ولا توزن بالقبان فاعجب

المنذر بكلامه وروى ان روح بن زبناع وكان في طريق مكة في يوم شديد الحر مع اصحابه فنزلوا فاضربت
لهم الخيام والظلال وقدم اليهم الطعام والشراب المبرد فبينما هم كذلك اذا هم براع فدعا له الطعام فاني وقال اني صائم قال له روح في مثل
كذلك

هذا اليوم الحارقال أفادع أيامي تذهب باطلا قال روي خ لعدظنت بايامك ياراعي اذ جادها روح بن زبناح وروي ان اعرايا قام بين
يدي سليمان بن عبد الملك وقال يا امير المؤمنين اني مكلمك بكلام فاحتمله ان كرهته (٦٩) فان وراه مات محب ان قبلته قال هات

يا اعراي قال ساطق لسانى
ما خست به اللسان اداء
لمحق الله ولمحق امانتك
انك قد اكنفتك رجال
اساوا الاختيار لانفسهم
وابتاعوا دنياك بدينهم
و رضاك بسخطهم
خافوك في الله ولم يخافوا
الله فيك فلا تصلح دنياك
بقساد آخرك فاعظم
الناس غبنايوم القيامة من
باع آخرته بدنيا غيره فقال
له سليمان اما انت فقد
نصحت وأرجوان الله
سبعيننا على ما قلنا وقد
جرت لسانك فهو سيقك
فقال أجل يا امير المؤمنين
وهو لك لاعليك وقال ابن
أبي عروبة حج الحجاج فنزل
بعض المياه بين مكة والمدينة
ودعا بالاعاء وقال لاجنه
انظر من يتعدى معي وأسأله
عن بعض الامر فنظر نحو
الحبل واذا هو براع بين
سختين نام فضر به برجله
وقال له انت الامير فانه
فقال له الحجاج اغسل يديك
وتعد معي فقال دعاني من
هو خير منك فاجبته قال
ومن هو قال الله تعالى
دعاني الى الصيام فصمت
قال في هذا الحر الشديد
قال نعم صمت ليوم هو أشد
منه حرا قال فاطر وصم

كذلك تحتها ثم من هذا الشكل الخامس عشر مع الشكل الاول شكلا يكون آخر الستة عشر ثم يحكمون
على الخط كله بما اقتضته أشكاله من السعودة والخوسة بالذات والنظر والحلول والامتزاج والدلالة على
أصناف الموجودات وسائر ذلك تحكما غير يباو كثرت هذه الصناعة في العمران ووضعت فيها التاكليف
واشتهر فيها الاعلام من المتقدمين والمتأخرين وهي كما رأيت تحكما وهووى والتحقيق الذي ينبغي ان يكون
نصب فكرك ان الغيوب لا تدرك بصناعة البتة ولا سبيل الى تعرفها الا للخواص من البشر المقطورين
على الرجوع عن عالم المحس الى عالم الروح ولذلك يسمى المتبحرون هذا الصنف كلهم بالزهر بن نسبة الى
ما تقتضيه دلالة الزهرة بزعمهم في أصل مواليدهم على ادراك الغيب فالخط وغيره من هذه ان كان الناظر
فيه من أهل هذه الخاصية وقصد بهذه الامور التي ينظر فيها من النقط والعظام او غيرها الشغال المحس
الترجع النفس الى عالم الروحانيات لحظة ما فهم من باب الطرق بالحصى والنظر في قلوب الحيوانات والمرايا
الشفاقة كما ذكرناه وان لم يكن كذلك وانما قصد معرفة الغيب بهذه الصناعة وانها تغيب ذلك فهد من
القول والعمل والله يهدي من يشاء والعلامة لهذه القطرة التي فطر عليها اهل هذا الادراك الغيبي أنهم
عند توجههم الى تعرف الكائنات يترجم خروج عن حالتهم الطبيعية كالتثاؤب والتقط ومبادئ الغيبة
عن المحس ويختلف ذلك بالقوة والضعف على اختلاف وجودها فيهم فمن لم توجد له هذه العلامة فليس
من ادراك الغيب في شئ وانما هو ساع في تنقيح كذبه

(فصل) ومنهم طوائف ايضا من قوائن لا استخراج الغيب ليست من الطور الاول الذي هو من مدارك
النفس الروحانية ولا من المحس المبني على تأثيرات النجوم كما زعمه بطليموس ولا من الظن والتخمين
الذي يحاول عليه العرافون وانما هي مغالط يجعلونها كما صيد لاهل العقول المستضعفة وولست أذكر
من ذلك الا ما ذكره المصنفون وولع به الخواص من تلك القوائن المحساب الذي يسمونه حساب النجم
وهو مذكور في آخر كتاب السياسة المنسوب لارسطو يعرف به الغالب من المغلوب في المتحاربين من الملوك
وهو ان تحسب الحروف التي في اسم احدهما بحسب الجمل المصطلح عليه في حروف ابجد من الواحد الى
الالف آحادا وعشرات ومئين والوفافاذا حسبت الاسم وتحصل لك منه عدد فاحسب اسم الآخر كذلك
ثم اطرح كل واحد منهما تسعة تسعة واحفظ بقية هذا وبقية هذا ثم انظر بين العددين الباقيين من حساب
الاسمين فان كان العددان مختلفين في الكمية وكانا معاز وجين او فردين معا فاحب الاقل منهما ما هو
الغالب وان كان احدهما زوجا والاخر فردا فصاحب الاكثر هو الغالب وان كانا متساويين في الكمية
وهو ما معاز وجان فالملوب هو الغالب وان كان معافردين فالطالب هو الغالب ويقال هنالك بيتان في
هذا العمل اشتهر بين الناس وهما

ارى الزوج والافراد يسموا قلهما * واكثرهما عند التخالف غالب
ويغلب مطلوب اذا الزوج يستوى * وعند استواء الفرد يغلب طالب

ثم وضعوا المعرفة ما بقي من الحروف بعد طرحها بتسعة قانونا معروفا عندهم في طرح تسعة وذلك أنهم
جمعوا الحروف الدالة على الواحد في المراتب الاربع وهي ا الدالة على الواحد وى الدالة على
العشرة وهي ادة في مرتبة العشرات و ق الدالة على المائة لانها واحدة في مرتبة المئين و ش
الدالة على الالف لانها واحدة في مرتبة الالف وليس بعد الالف عدد يدل عليه بالحروف لان الشين هي
آخر حروف ابجد ثم رتبوا هذه الاحرف الاربعة على نسق المراتب فكان منها كلمة رباعية وهي ايقش

غدا قال ان ضمنت لي البقاء الى غدا قال ليس ذلك الى قال فكيف تسألني عاجلا باجل لا تقدر عليه قال لانه طيب قال لم تطيبه انت ولا
الطباخ ولسكن طيبه العافية وما حج هرون الرشيد بعث الى مالك بن انس بكيمس فيه خمسمائة دينار فلما قضى نسكه وانصرف ودخل

المدينة بعث الى مالك بن انس أن أمير المؤمنين يجب أن تنتقل معه الى مدينة السلام فقال للرسول قل له ان الكيس بخاتمته وقال الرسول عليه السلام والمدينة خير لهم (٧٠) لو كانوا يعلمون وقال وهب بن منبه ان ملكا كان يقطن الناس ويحمله على كل لحم

ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على اثنين في المراتب الثلاث وأسقطوا مرتبة الالف منها لانها كانت آخر حروف ايجاد فكان مجموع حروف الاثنين في المراتب الثلاث ثلاثة حروف وهي ب الدالة على اثنين في الالف واحد وك الدالة على اثنين في العشرات وهي عشرون و ر الدالة على اثنين في المئتين وهي مائتان وصيروها كلمة واحدة ثلاثية على نسق المراتب وهي بكر ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على ثلاثة فنشأت عنها كلمة مجلس وكذلك الى آخر حروف ايجاد وصارت تسع كلمات نهاية عدد الالف حاد وهي ايقش بكر مجلس دمت هنت وضح زعد حفظ طضع مرتبة على توالي الاعداد ولكل كلمة منها عدده الذي هي في مرتبته فالواحد لكلمة ايقش والاثان لكلمة بكر والثلاثة لكلمة مجلس وكذلك الى التاسعة التي هي طضع فتكون لها التسعة فاذا أرادوا طرح الاسم بتسعة نظروا كل حرف منه في أي كلمة هو من هذه الكلمات واخذوا عددها ما كانه ثم جمعوا الاعداد التي يأخذونها بدلا من حروف الاسم فان كانت زائدة على التسعة أخذوا ما فضل عنها والآخر كما هو ثم بقوا على ذلك بالاسم الآخر وينظرون بين الخارجين بما قدمناه والسر في هذا القانون بين وذلك ان الباقي من كل عدة من عقود الاعداد بطرح التسعة انما هو واحد فكله يجمع عدد العقود خاصة من كل مرتبة فصارت اعداد العقود كانها آحاد فلا فرق بين الاثنين والعشرين والمائتين والالفين وكلها اثنان وكذلك الثلاثة والثلاثون والثلاثمائة والالف كلها ثلاثة ثلاثة فوضعت الاعداد على التوالي دالة على اعداد العقود لا غير وجعلت الحروف الدالة على اصناف العقود في كل كلمة من الالف والعاشر والمئتين والالف (١) وصار عدد الكلمة الموضوع عليها انما يعين كل حرف فيها سواء دل على الالف والعاشر او المئتين فيؤخذ عدد كل كلمة عوضا من الحروف التي فيها وتجمع كلها الى آخرها كما قلناه وهذا هو العمل المتداول بين الناس منذ الامم القديم وكان بعض من لقيناه من شيوخنا يرى ان الصحيح فيها كلمات أخرى تسعة مكان هذه ومتواليه كتواليها ويقولون بها في الطرح بتسعة مثل ما يفعلونه بالآخرى سواء وهي هذه أرب يسقك جزلط مدوص هف تحذن عش خغ نضظ تسع كلمات على توالي العدد ولكل كلمة منها عددها الذي في مرتبته فيها الثلاثي والرباعي والثلاثي وليست جارية على أصل مطرد كما تراه لكن كان شيوخنا يلقونها عن شيخ المغرب في هذه المعارف من السبيا وأسرار الحروف والنجامة وهو أبو العباس بن البناء ويقولون عنه ان العمل بهذه الكلمات في طرح حساب النجم أصبح من العمل بكلمات ايقش والله أعلم كيف ذلك وهذه كلها مدارك للغيب غير مستندة الى برهان ولا تحقيق والكاتب الذي وجد فيه حساب النجم غير معزى الى ارسطو وعنده المحققين لما فيه من الاشارة البعيدة عن التحقيق والبرهان يشهدك بذلك تصفحه ان كنت من أهل الرسوخ اه ومن هذه القوانين الصنعية لاستخراج الغيوب فيما يزعمون الزاير جة المسماة بزائر جة العالم المعزوة الى أبي العباس سيدي احمد السبتي من اعلام المتصوفة بالمغرب كان في آخر المائة السادسة عمرا كس ولعهد أبي يعقوب المنصور من ملوك الموحدين وهي غريبة العمل صنعة وكثير من الخواص يولعون بافاد الغيب منها بلها المعروف بالمغزوف فيحرضون بذلك على حل رمزه وكشف غامضه وصورتها التي يقع العمل عندهم فيها دائرة عظيمة في داخلها دوائر متوازية للافلاك والعناصر والمكونات والروحانيات وغير ذلك من اصناف الكائنات والعلوم وكل دائرة مقسومة باقسام فلكها اما البروج واما العناصر او غيرها

المختزير فاني برجل افضل أهل زمانه فاعظم الناس مكانه وهالهم امره فراوده على كل لحم المختزير فلم يفعل فرق له صاحب الشرطة الملك فقال له أنا آت بك بحدي نذبحه بما يحل لك أكله فاذا دعا الملك بلحم مختزير آتيتك به ففعل ثم أتى به الملك فدعا بلحم المختزير فاني صاحب الشرطة بذلك المجدي فأمر به الملك أن يأكله فاني ان يأكله فجعل صاحب الشرطة يغمزه ان يأكله فاني ان يأكله فأمر الملك صاحب الشرطة ان يقتله قبلما ذهب به قال ما منعك ان تأكل وهو اللحم الذي ذبحته أنت أظننت اني جئت بغيره قال لا قد علمت انه هو ولكني خفت ان يقطن الناس بي فان أكرهوا على أكل المختزير قالوا قد أكله فلان فيستني بي فاكون فتنة لهم فقتل رحمه الله وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار يا كعب خوفنا قال اوليس فيكم كتاب الله وسنة رسوله قال بلى يا كعب ولكن خوفنا قال يا أمير المؤمنين ان عمل رجل لو واقبت يوم

(١) قوله والالف فيه نظيران الحروف ليس فيها ما يزيد عن الالف كما سبق في كلامه اه
القيامه بعمل سبعين نبيا لا زدر يت عملهم مما ترى فنسكس عجزوا طرق مليا ثم أفاق ثم قال يا كعب
خوفنا فقال يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر مختزير ثور بالشرق ورجل بالمغرب لعلى دماغه حتى يسيل من حرقه فنسكس عمر ثم أفاق

فقال يا كعب زدنا فقال يا امير المؤمنين ان جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر على ركبته حتى يخز
ابراهيم خليل الرحمن على ركبته يقول يا رب لا اسألك اليوم الا نفسي واستاذن ابودهمان (٧١) على بعض الامراء فخبه ثم اذن له

فلما دخل قال ان هذا الامر
الذي صار اليك قد كان في
يد غيرك فامسوا والله
حديثا فان خيرا فخير وان
شرا فشر فتجيب الى عباد
الله بحسن البشرولين
الجانب وتسهل الحجاب
فان حب عباد الله موصول
بحب الله و بعضهم موصول
ببغضه لانهم شهداء الله
على خلقه (ولما) دخل
محمد بن واسع سيد العباد
في زمانه على بلال بن ابي
بردة امير البصرة وكان
ثوبه الى نصف ساقه فقال
له بلال ما هذه الشهرة
يا ابن واسع فقال له ابن
واسع انتم شهرتمونا هكذا
كان لباس من مضى وانما
انتم طولتم ذبولكم فصارت
السنة بينكم بدعا وشهرة
وامانا فلما ادخات على
ملك مصر وهو الافضل بن
امير الجيوش فقالت سلام
عليكم ورحمة الله وبركاته
فرد السلام على نحو ما سلمت
ردا جميلا و اكرم اكراما خريلا
وامرني بدخول مجلسه
وامرني بالجلوس فيه فقالت
ايها الملك ان الله سبحانه
وتعالى قد ادخلك مجلسا
عاليا شامخا وانزلك منزلا
شريا يفاذا وملكك
طائفة من ملكه واشركك

وخطوط كل قسم مارة الى المركز ويسمونها الاوتار وعلى كل وتر حرف متباعدة موضوعة فنها برشوم (١)
الزمام التي هي اشكال الاعداد عند اهل الدواوين والحساب بالمغرب لهذا العهد ومنها برشوم الغبار
المتعارفة في داخل الزاير جة وبين الدوائر اسماء العلوم ومواضع الاكوان وعلى ظاهر الدوائر جدول
متكثر البيوت المتقاطعة طولا وعرضا يشتمل على خمسة وخمسين بيتا في العرض ومائة واحد وثلاثين في
الطول جوانب منه معمورة البيوت تارة بالعدد واخرى بالحروف وجوانب خالصة البيوت ولا تعلم نسبة تلك
الاعداد في اوضاعها ولا القسمة التي عينت البيوت العائرة من الخالية وحقا في الزاير جة آيات من
عروض الطويل على روى اللام المنصوبة تتضمن صورة العمل في استخراج المطلوب من تلك الزاير جة
الانها من قبيل الالغاز في عدم الوضوح والجلال في بعض جوانب الزاير جة بيت من الشعر منسوب
لبعض اكابر اهل الحدثان بالمغرب وهو مالك بن وهيب من علماء اشبيلية كان في الدولة اللاتونية ونص
البيت سؤال عظيم الخلق خرت فصن اذن * غرائب شك ضبطه الحمد مثلا
وهو البيت المتداول عندهم في العمل لاستخراج الجواب من السؤال في هذه الزاير جة وغيرها فاذا ارادوا
استخراج الجواب عما سئل عنه من المسائل كتبوا ذلك السؤال وقطعوه حرفا ثم اخذوا الطالع لذلك
الوقت من بروج الفلك ودرجها وعمدوا الى الزاير جة ثم الى الوتر المكنف فيها بالبرج الطالع من اوله
مارا الى المركز ثم الى المحيط الدائرة قبالة الطالع فيأخذون جميع الحروف المكتوبة عليه من اوله الى آخره
والاعداد المرسومة بينهما ما بصير ونها حرفا بحسب الجمل وقد ينقلون احادها الى العشرات وعشراتهما
الى المئين وبالعكس فيهما كما يقتضيه قانون العمل عندهم ويضعونها مع حروف السؤال ويضيقون الى
ذلك جميع ما على الوتر المكنف بالبرج الثالث من الطالع من الحروف والاعداد من اوله الى المركز فقط
لا يتجاوزونه الى المحيط ويقطعون بالاعداد ما قبله بالاول ويضيقونها الى الحروف الاخرى ثم يقطعون
حروف البيت الذي هو اصل العمل وقانونه عندهم وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم ويضعونها ناحية
ثم يضربون عدد درج الطالع في اس البرج راسه عندهم هو بعد البرج عن آخر المراتب عكس ما عليه
الاس عند اهل صناعة الحساب فانه عندهم الم بعد عن اول المراتب ثم يضربونه في عدد آخر يسمى
الاس الاكبر والدوران الصلي ويدخلون بما تجتمع لهم من ذلك في بيوت الجدول على قوانين معرفة
وأعمال مذكورة وادوار معدودة ويستخرجون منها حروفا ويسقطون اخرى ويقابلون بما معهم في
حروف البيت وينقلون منه ما ينقلون الى حروف السؤال وما معها ثم يطرحون تلك الحروف باعداد
معلومة يسمونها الادوار ويخرجون في كل دوران الحرف الذي ينتهي عنده الدور ويعاودون ذلك بعدد
الادوار المعينة عندهم لذلك فيخرج آخر حروف منقطة وتؤلف على التوالي فتصير كلمات منظومة في
بيت واحد على وزن البيت الذي يقابل به العمل ورويه وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم حسب ما نذكر
ذلك كله في فصل العلوم عند كيفية العمل بهذه الزاير جة وقد رأينا كثيرا من الخواص يتهاقنون على
استخراج الغيب منها بتلك الاعمال ويحسبون ان ما وقع من مطابقة الجواب للسؤال في توافق الخطاب
دليل على مطابقة الواقع وليس ذلك بحجج لانه قد مر ان الغيب لا يدرك بالمرصناعي البتة وانما
المطابقة التي فيها بين الجواب والسؤال من حيث الافهام والتوافق في الخطاب حتى يكون الجواب
مستقيما او موافقا للسؤال ووقوع ذلك بهذه الصناعة في تكسير الحروف المتجمعة من السؤال والاوتار

(١) قوله برشوم أي موضوعة برشوم بضم الراء جمع رشيم بالشين المعجمة اه

في حكمه ولم يرض ان يكون امرأه مدفوق امرأه فلا ترض ان يكون أحد أولي بالشكر منك وان الله تعالى قد ألزم الوري طاعتك فلا
يكون أحد أطوع لله منك وان الله تعالى امر عباده بالشكر وليس الشكر باللسان ولكنه بالفعال والاحسان قال الله تعالى اعملوا آل

داود شكرنا واعلم ان هذا الملك الذي اصيحت فيه انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عن يدك مثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه الامة

(٧٢)

فان الله سائلك عن النقيير والعظمير والقنيل قال الله تعالى فوربك انسا لهم اجعين عما كانوا

يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين واعلم ايها الملك ان الله تعالى قد آتى ملك الدنيا بجدا فيرها سليمان بن داود عليهما السلام فمخزله الانس والجن والشياطين والطير والوحش والبهائم وسخزله الريح تجري بامره رضاء حيث اصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عدهموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف ان تكون استدر اجامن الله تعالى ومكرابه فقال هذا من فضل ربى ليبلوني اشكر ام ا كفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظالم اعانك الله على ما قلنا ذلك وجعلك كفا للملوف واما النالجائف ثم اتت المجلس بان قلت قد دوت البلاء شرقا وغربا فما اخترت مملكة تزوجت فيها وولدتى غير هذه المملكة ثم انشدت شعرا والناس ا كيس من ان يحمه وارحلا حتى يروا عنده آثار احسان

والدخول في الجدول بالاعداد المجتمعة من ضرب الاعداد المقروضة واسـ استخراج الحروف من الجدول بذلك وطرح اخرى ومعاودة ذلك في الادوار المعـ دودة ومقابلة ذلك كما به بحروف البيت على التوالي غير مستند كـ وقد يدقح الاطـ لاع من بعض الاذكياء على تناسب بين هذه الاشياء فبقع له معرفة الجهول فالتناسب بين الاشياء هو سبب الحصول على الجهول من المعـ لوم الحاصل للنفوس وطريق محصولة سـ مما من أهل الرياضة فانها تفيد العقل قوة على القياس وزيادة في الفكر وقد مر تعديل ذلك غير مرة ومن أجل هذا المعنى ينسبون هذه الزايرة في الغالب لاهل الرياضة فهى منسوبة للسدى ولقد وقفت على اخرى منسوبة لسهل بن عبد الله ولعمري انها من الاعمال الغربية والمعاناة الجحيمية والجواب الذى يخرج منها فالسرى في خروجه منظوما يظهر لى انما هو المقابلة بحروف ذلك البيت ولهذا يكون النظم على وزنه ورويه ويبدل عليه انا واجدنا اعمالا اخرى لهم في مثل ذلك اسقطوا فيها المقابلة بالبيت فلم يخرج الجواب منظوما كما تراه عند الكلام على ذلك في موضعه وكثير من الناس تضيق مداركهم عن التصديق بهذا العمل ونقوده الى المطلوب فيذكر صحتها ويحسب انها من التخييلات والايهامات وأن صاحب العمل بها يثبت حروف البيت الذى ينظمه كما يريد يدين أثناء حروف السؤال والاوراق ويقـ تلك الصناعات على غير نسبة ولا قانون ثم يجيى بالبيت ويوهم أن العمل جاء على طريقة منضبطة وهذا المحسبان توهم فاسد جعل عليه القصور عن فهم التناسب بين الموجودات والمعدومات والتفاوت بين المدارك والعقول وليكن من شأن كل مدرك انكار ما ليس في طوقه ادراكه ويكفيها في رد ذلك مشاهدة العمل بهذه الصناعة والمحدث القطعي فانها جاءت بعمل مطرد وقانون صحيح لا امرية فيه عندهم من مباشر ذلك ممن له ذكاء وحسد واذا كان كـ من المعايات في العدد الذى هو أوضح الواضحات يعسر على الفهم ادراكه لبعده النسبة فيه وخفائها فاعلم انك بمثل هذا مع خفاء النسبة فيه وغرابتها فلند كـ مسألة من المعايات يتضح اليها شئ مما ذكرنا مثاله لوقية لـ لك خذ عددان الدراهم واجعل بازاء كل درهم ثلاثة من الفلوس ثم اجمع الفلوس التى أخذت واشتر بها طائر ثم اشتر بالدراهم كلها طيور اربسة مع ذلك الطائر فكم الطيور المشتراة بالدراهم فجوابه أن تقول هى تسعة لانك تعلم ان فلوس الدراهم اربعة وعشرون وان الثلاثة ثمنها وان عدة اثمان الواحد ثمانية فاذا جمعت الثمن من الدراهم الى الثمن الاخر فكان كل ثمن طائر فهى ثمانية طيور وعدة اثمان الواحد وترتيد على الثمانية طائرا آخر وهو المشتري بالفلوس المأخوذة اولاً وعلى سعره اشترى بالدراهم فتكون تسعة فانت ترى كيف خرج لك الجواب المضمر بسر التناسب الذى بين اعداد المسئلة والوهم اول ما يلقي اليك هذه وأمثالها انما يجعله من قبيل الغيب الذى لا يمكن معرفته وظهر ان التناسب بين الامور وهو الذى يخرج مجهولها من معلومها وهذا الظاهر في الواقعات الحاصلة في الوجود والعلم واما الكائنات المستقبلة اذا لم تعلم اسباب وقوعها ولا يثبت لها خبر صادق عنها فهو غيب لا يمكن معرفته واذا تبين لك ذلك فالاعمال الواقعة في الزايرة كلها انما هي في استخراج الجواب من الفاظ السؤال لانها كما رأيت استنباط حروف على ترتيب من تلك الحروف بعينها على ترتيب آخر وسر ذلك انما هو من تناسب بينهما ما يطلع عليه بعض دون بعض فمن عرف ذلك التناسب تسير عليه استخراج ذلك الجواب بتلك القوانين والجواب يدل في مقام آخر من حيث موضوع الفاظه وترا كيمه على وقوع احد طرفي السؤال من نفي أو اثبات وليس هذا من المقام الاول بل انما يرجع لمطابقة الكلام لما في الخارج ولا سبيل الى معرفة ذلك من هذه الاعمال بل

وكتب حكيم الى حكيم انى سائلك عن ثلاثة اشياء ان اجبت عنها صرت لك تلميذا اى الناس اولى البشر بالرحمة ومتى تضيق أمور الناس وهم تلتقى النعمة من الله تعالى فكتب اليه ان اولى الناس بالرحمة ثلاثة البهر يكون في سلطان فاجزوه

الدهر خزين ما يبرى ويسمع والعقل يكون في تدبير الجاهل فهو الدهر مغمووم والكريم يحتاج الى اللثيم فهو الدهر خاضع له ذليل وتضيع أمور الناس اذا كان الرأى عندهم من لا يقبل منه والسلاح عندهم من لا يستعمله (٧٣) والمسال عندهم من لا ينفقه وتتلقى النعمة من الله تعالى بكثره شكره

ولزوم طاعته واحتساب معصيته فصار تليذ الى ان مات (وقال يحيى بن سعيد) حج سليمان بن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز فلما أشرفا على عقبة عسقان نظر سليمان الى السراقات قد ضربت له فقال له يا عمر كيف ترى قال ارى دنيا عريضة يأكل بعضها بعضا وانت المسئول عنها المأخوذ بها فبينما هما كذلك اذطار غراب من سرادات سليمان في منقاره كسرة فصاح فقال سليمان ما يقول هذا الغراب قال عمر ما أدري ما يقول ولكن ان شئت أخبرتك بعلم قال أخبرني قال هذا غراب طار من سراداتك في منقاره كسرة أنت بهما مأخوذ وعنها مسؤل من أين دخلت ومن أين خرجت قال انك لتخبرنا بالجنائب قال أفلا أخبرك بأعجب من هذا قال بلى قال من عرف الله كيف عصاه ومن عرف الشيطان كيف أطاعه ومن أيقن بالموت كيف يهنيه العيش قال لقد غشيت علينا ما نحن فيه ثم ضرب فرسه وسار (ويروي) ان بلال بن أبي

البشر محجوبون عنه وقد استأثر الله بعلمه والله يعلم وانتم لا تعلمون

(الفصل الثاني)

(في العمران البدوي والاعم الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه اصول وتمهيدات)

١ * (فصل في ان احوال البدو والحضر طبيعية) *

(اعلم) ان اختلاف الاجيال في احوالهم اقسامها باختلاف نجاتهم من المعاش فان اجتمعهم انما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه ونشيط قبل الحاجة والكفاي فبهم من يستعمل الفلح من الغرسة والزراعة ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لتنتاجها واستخراج فضلاتها وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد الى البدولانية متسع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والقدن والمسارح للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص هؤلاء بالبدو واضرورياتهم وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدقاء انما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للجزع او راء ذلك ثم اذا اتت احوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك الى السكون والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الاقوات والملابس والتأنيق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار للتحضر ثم تزيد احوال الرفه والدعة فتجني عوائد الترف البالغة مبالغها في التأنيق في علاج القوت واستجداء المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في انواعها من الحرير والديباغ وغير ذلك ومعالجة البيوت والاصروح واحكام وضعها في تنجيدها والانتها في الصناعات في الخروج من القوة الى الفعل الى غاياتها في تخزين القصور والمنازل ويجرون فيها المياه ويعالون في صرحها ويبالغون في تنجيدها ويخلقون في استجداء ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس او فراس او آنية او معاون وهؤلاء هم الحضر ومعناه الحاضر ومن اهل الامصار والبلدان ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم اتمى وأرفه من اهل البدولان احوالهم زائدة على الضروري ومعاشهم على نسبة وجددهم فقد تبين ان احوال البدو والحضر طبيعية لا بد منها كما قلناه

٢ * (فصل في ان جيل العرب في الحلقة طبعي) *

قد قدمنا في الفصل قبله ان اهل البدو هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الانعام وانهم مقتصرون على الضروري من الاقوات والملابس والمسكن وسائر الاحوال والعوائد ومقتصرين عما فوق ذلك من حاجي او كفاي يتخذون البيوت من الشعر والوبر او الشجر او من الطين والحجارة غير منجدة انما هو قصد الاسستظلال والكن لا ما وراءه وقد يؤولون الى الغيران والكهوف واما اقواتهم فيبتناولون بها يسيرا بعلاج او بغير علاج البتة الامامسته النار فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلح كان المقام به اولى من الظعن وهؤلاء مسكن المداشر والقرى والجبال وهم عامة البربر والاعاجم ومن كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر فهم ظعن في الاغلب لا رتياد المسارح والمياه والحيواناتهم فالتقلب في الارض اصليح بهم ويؤمنون شأوية ومعناه القائمون على الشاء والبقر ولا يبعدون في القفر لفقدها المسارح الطبيعية وحولاء مثل البربر والترك واخوانهم من التركمان والصقالبه وامان كان معاشهم في الابل فهم اكثر ظعنا وابعدي القفر بخاللان مسارح التلول ونباتات وشجره لا يستغنى بها الابل في قوام حياتها عن مراعي الشجر بالقفر وورود مياهه الملتحة والتقلب فصل الشتاء في نواحيه فرار من اذى البرد الى دفاؤه وطالب المساخض

(١٠ - ابن خلدون) برده خرج في جنازة وهو أمير على البصرة فنظر الى جماعة وقوف فقال ما هذا قالوا مالك بن دينار يذكر الناس فقال لوصيف معه اذهب الى مالك بن دينار فقل له يرتفع النبالي القبر فباع الوصيف فادى الرسالة الى مالك فصاح به مالك مالي اليه

حاجة فأجبه فيها فان تكن له حاجة فليجيى الى حاجة نفسه فلما ذقوا ميثمهم قام بلال بن معمر الى حلقة مالك فلما دانما منزل ونزل من معه ثم جاء يمشى الى الحلقة حتى جلس (٧٤) فلما رآه مالك بن دينار سكت فاطال السكوت فقال له بلال يا ابا يحيى ذكرنا فقال ما نبيت

شأفا ذكرك به قال فحدثنا قال اما هذا فنعم قدم علينا أمير من قبل على البصرة فمات فدفعناه في هذه الجحانة ثم اتينا بزنجي فدفعناه الى جنبه فوالله ما أدرى أيهما كان أكرم على الله سبحانه فقال بلال يا ابا يحيى أتدرى ما الذي جرى لك علينا وما الذي استكننا عنك لأنك لم تأكل من دراهمنا شيئا اما والله لو أخذت من دراهمنا شيئا ما اجترأت علينا هذه الجرأة فافاد هذا الحديث علما لا افتقوا دراهمهم (ودخل) ابن شهاب على الوليد بن عبد الملك فقال يا ابن شهاب ما حديث يجحد ثنابه أهل الشام قال وما هو يا أمير المؤمنين قال حدثونا أن الله تبارك وتعالى اذا استرعى عبد اربعة كتب له الحسنات ولم يكتب عليه السيئات قال كذبوا يا أمير المؤمنين من انبى خليفة اقرب الى الله ام خليفة ليس بنبي قال بل نبي خليفة قال فانا حدثك يا أمير المؤمنين بما لا تشك فيه قال الله تعالى لنبيه داود يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب الى يا أمير المؤمنين فهذا وعيد الله لنبي خليفة فساظنك بخليفة غير نبي فقال الوليد ان الناس ليغروننا عن ديننا (وروى) زيد عن مالك

النتاج في رماله اذا بل أصعب الحيوان فصلا ومخاضا ووجوها في ذلك الى الدفاع فاضطر وا الى ابعاد النخعة ورمما زادتهم الحامية عن النول أيضا فوغلوا في القفار بقرة عن الضعة منهم فكانوا لذلك أشد الناس توحشا و ينزلون من أهل الحواضر منزلة الوحش غير المقدور عليه والمفترس من الحيوان الجحيم وهو لا يعمم العرب وفي معنائهم طعون البربر وزناة بالمغرب والا كراد والتر كمن والترك بالمشرق الا ان العرب أبعد نخعة وأشدد اداة لانهم مختصون بالقيام على الابل فقط وهو لا يقومون عليها وعلى الشياه والبقر معها فقد تبين لل أن حبل العرب طبيعي لا بد منه في العمران والله سبحانه وتعالى أعلم

٣ (فصل في ان البدو اقدم من الحضرة وسابق عليه وان البداية اصل العمران والامصار مدد لها) قد ذكرنا ان البدو هم المقتضرون على الضرورى في احوالهم العاجزون عما فوقه وان الحضرة المعتنون بحاجات الترف والسكك في احوالهم وعوائدهم ولا شك ان الضرورى اقدم من الحاجى والسككى وسابق عليه لان الضرورى اصل والسككى فرع ناشى عنه فالبداية اصل والمدى والحضرة وسابق عليه - ما لان اول مطالب الانسان الضرورى ولا ينتهى الى السكك والترف الا اذا كان الضرورى حاصل لا خشونة البداية قبل رقة الحضرة ولهذا نجد التمدن غاية للبدوى يجرى اليها وينتهى بسعيه الى مقترحه منها ومتى حصل على الرياش الذى يحصل له به احوال الترف وعوائده عاج الى الدعة وامكن نفسه الى قياد المدينة وهكذا شأن القبائل المتبدية كاهم والحضرة لا يتشوف الى احوال البداية الا للضرورة وتدعو اليها ولتقصير عن احوال أهل مدينته ومما يشهد لنا ان البدو اصل للحضرة ومتقدم عليه انا اذا فتننا أهل مصر من الامصار وجدنا اولية اكثرهم من أهل البدو الذين بناحية ذلك المصر وفي قراه وانهم ايسر وافسكون والمصر وعدلوا الى الدعة والترف الذى فى الحضرة وذلك يدل على ان احوال الحضرة ناشئة عن احوال البدو اداة وانها اصل لها فنفهمه ثم ان كل واحد من البدو والحضرة متفاوت الاحوال من جنسه فرب حى اعظم من حى وقبيلة اعظم من قبيلة ومصر اوسع من مصر ومدينة اكثر عمرا من مدينة فقد تبين أن وجود البدو متقدم على وجود المدن والامصار واصل لها بما أن وجود المدن والامصار من عوائد الترف والدعة التى هى متأخرة عن عوائد الضرورة المعاشية والله أعلم

٤ (فصل في ان أهل البدو اقرب الى الخير من أهل الحضرة) وسببه ان النفس اذا كانت على الفطرة الاولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير او شر قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه وبقدر ما سبق اليها من أحد الخلقين تبعه عن الآخر ويصعب عليها اكتسابه فصاحب الخير اذا سبقته الى نفسه عوائد الخير وحصلت لها ملكة بعد عن الشر وصعب عليه طريقه وكذا صاحب الشر اذا سبقته اليه ايضا عوائده وأهل الحضرة اكثر ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والاقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم منها قد تلونت أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر وبعدت عليهم طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك حتى لقد ذهب عنهم مذهب الحشمة في احوالهم فبعد الكثير منهم بقدر ما سبق في اقوال الفحشاء في مجالسهم وبين كبرائهم وأهل محارمهم لا يصددهم عنه وازع الحشمة لما أخذتهم به عوائد السوء وفى التظاهر بالفواحش قولوا وعملوا وأهل البدو وان كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم الا أنه فى المقدار الضرورى لافى الترف ولا فى شئ من اسباب الشهوات والاذات ودواعيها فعوائدهم فى معاملاتهم على نسبتها وما يحصل فيهم من مذهب السوء ومذمومات الخلق بالنسبة الى أهل الحضرة اقل بكثير فاهم اقرب

الموى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب الى يا أمير المؤمنين فهذا وعيد الله لنبي خليفة فساظنك بخليفة غير نبي فقال الوليد ان الناس ليغروننا عن ديننا (وروى) زيد عن مالك

ابن انس قال بعث الى ابو جعفر والى ابن طاوس فدخلنا عليه فاذا هو جالس على فرش قد نضدت و بين يديه انطاع قد بسطت و بين يديه جلاوزة يديهم السيوف يضربون الاعناق واوما اليمان اجلسا فاجاسنا فاطرق (٧٥) عنطاويلا ثم رفع راسه والتفت الى ابن طاوس وقال حدثنا

عن ابيك قال نعم اني سمعت ابي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة رجل اشركه الله في ملكه فادخل عليه الجور في حكمه فامسك ابو جعفر ساعة قال مالك فضعمت ثيابي مخافة ان ينضحني بدمه فامسك ابو جعفر ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه ثم قال يا ابن طاوس ناولني هذه الدواة فامسك عنه ثم قال ناولني هذه الدواة فامسك عنه ثم قال ما يمنعك ان تناولنيها قال اخشى ان تكذب بهما عصابة فأكون شريكا فيها فلما سمع ذلك قال قوموا عني قال ابن طاوس ذلك ما كنا نفي منذ اليوم قال مالك فما زلت اعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم (وقال احمد بن ابى الحوارى) سمعت رجلا يحدث عن ابن السمال قال بعث الى هرون فلما انتهت الى باب القصر اخذ حرسا بضمي فاعجلاني في دهليز القصر فلما انتهت الى باب القاعة لقيني خصيانا فاخذاني من الحرسين فاعجلاني في قاعة القصر فانتهت الى البهو الذي هو

الى القطرة الاولى وابعد عما ينطبع في النفس من سوء الملكات بكثرة العوائد المذمومة وتوجه ابيسه هل علاجهم عن علاج الحضرة وهو ظاهر وقد توضح فيما بعد ان الحضرة هي نهاية العمران وخروجه الى الفساد ونهاية الشر والبعد عن الخير فقد تبين ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضرة والله يحب المتقين ولا يعترض على ذلك بما ورد في صحيح البخاري من قول الحجاج لسلمة بن الاكوع وقد بلغه انه خرج الى سكنى البادية فقال له ارتددت على عقبيك تعرفت فقال لا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي في البدو فاعلم ان الهجرة افترضت اول الاسلام على اهل مكة لكي لا يكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث حل من المواطن ينصر ونه ويظاهارونه على امره ويجرسونه ولم تكن واجبة على الاعراب اهل البادية لان اهل مكة يسيهم من عصابة النبي صلى الله عليه وسلم في المظاهرة والحراسة مما لا يمس غيرهم من بادية الاعراب وقد كان المهاجرون يستعيذون بالله من التعرب وهو سكنى البادية حيث لا تجب الهجرة وقال صلى الله عليه وسلم لم في حديث سعد بن ابي وقاص عند مرضه بمكة اللهم امض لاصحابي هجرتهم ولا تردهم على اعدائهم ومعناه ان يوفقههم للازمة المدينة وعدم التحول عنها فلا يرجعوا عن هجرتهم التي ابتدوا بها وهو من باب الرجوع على العقب في السعي الى وجه من الوجوه وقيل ان ذلك كان خاصا بما قبل الفتح حين كانت الحاجة داعية الى الهجرة لقلعة المسلمين واما بعد الفتح وحين كثرت المسلمون واعتروا وتكفل الله لئيبه بالعصمة من الناس فان الهجرة ساقطة حينئذ ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لم لا هجرة بعد الفتح وقيل سقط انشاؤها عن يسلم بعد الفتح وقيل سقط وجوبها عن اسلم وهاجر قبل الفتح والسكل مجعون على انها بعد الوفاة ساقطة لان الصحابة افرقوا من يومئذ في الافاق وانتشروا ولم يبق الا فضل السكنى بالمدينة وهو هجرة فقول الحجاج لسلمة حين سكن البادية ارتددت على عقبيك تعرفت نعي عليه في ترك السكنى بالمدينة بالاشارة الى الدعاء المأثور الذي قدمناه وهو قوله ولا تردهم على اعدائهم وقوله تعرفت بالاشارة الى انه صار من الاعراب الذين لا يهاجرون واجاب سلمة بانكار ما ازمه من الامرين وان النبي صلى الله عليه وسلم اذن له في البدو ويكون ذلك خاصا به كشهادة خزيمه وعناق ابي بردة او يكون الحجاج انما نعي عليه ترك السكنى بالمدينة فقط لعلمه بسقوط الهجرة بعد الوفاة واجابه سلمة بان اغتنامه لان النبي صلى الله عليه وسلم اولى وافضل مما آثره به واختصه الا معني علمه فيه وعلى كل تقدير فليس دليلا على مذمة البدو الذي عبر عنه بالتعرب لان مشروعية الهجرة انما كانت كما علمت لمظاهرة النبي صلى الله عليه وسلم وحراسته لا لمذمة البدو فليس في النعي على ترك هذا الواجب بالتعرب دليل على مذمة التعرب والله سبحانه اعلم وبه التوفيق

٥ * (فصل في ان اهل البدو اقرب الى الشجاعة من اهل الحضرة) *

والسبب في ذلك ان اهل الحضرة القوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة وانغمسوا في النعيم والترف ووكلوا امرهم في المدافعة عن اموالهم وانفسهم الى واليهم والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولت حراستهم واستنماوا الى الاسوار التي تحوطهم والحمر زالذي يجول دونهم فلا يهيجهم هبعت ولا ينفر لهم صيد فهم غارون آمنون قد القوا السلاح وتوالت على ذلك منهم الاحيال وتزلوا منزلة النساء والولدان الذين هم عيال على ابي منواهم حتى صار ذلك خلقا يتزل منزلة الطبيعة واهل البدو لو فردهم عن المجتمع وتوحشهم في الضواحي وبعدهم عن الحامية وانتباذهم عن الاسوار والابواب قاتعون بالمدافعة عن انفسهم لا يكلونها الى سواهم ولا يشقون فيها بغيرهم فهم دائميا يحملون السلاح ويتلقون عن كل جانب في الطرق ويتجافون عن الهجوم الاغراق في المجالس وعلى الرجال وفوق الاقتاب ويتوجسون للتباعد والهجمات ويتفردون

فيه فلما قاتلني خصيان دونهم فاخذاني فاعجلاني في البهو فقال لهما هرون ارفعوا ابان الشيخ فلما وقفت بين يديه قلت له يا امير المؤمنين ما رمي يوم منذ ولدني امي اتعب فيه من يومى هذا فاتي الله في خلقه واحفظ محمدا في امته وانصبر لنفسك في رعيتك فان لك مقاما بين

يدى الله تعالى انت فيه اذل من معامى هذا بين يديك فاتق الله واعلم ان من اخذ الله وسطوانته على اهل المعصية كبت وكبت قال
فاضطرب على فراشه حتى نزل (٧٦) الى مصلى بين يدي فراشه فقلت يا امير المؤمنين هذا اذل الصفة فكيف ولورايت ذل المعايبة

قال فكادت نفسه تخرج
فقال يحيى للخصمين اخرجوه
فقد ابكى امير المؤمنين ثم
دخل مرة اخرى فقال عطفي
واوجز قال يا امير المؤمنين
ان الذي اكرمك بما
اكرمك به لمحقق ان تحب
ما يحب وتبغض ما يبغض
فوالله لقد احب الله دارا
وابغضتها وابغض دارا
واحببتها كأنما اردت
خلاف ربك او اردت
سواه واعلم يا امير المؤمنين
ان الذي في يدك لو بقي
على من كان قبلك لم يصل
اليك فكذلك لا يبقى لك
كالم يبق لغيرك فاتق الله
في خلافته واحفظ وصية
محمد صلى الله عليه وسلم في
امته ودخل هرون على
بعض الناسك فسلم عليه
فقال وعليك السلام ثم
قال ايها الملك تحب الله
قال نعم قال فنعصيه قال نعم
قال كذبت والله في حبك اياه
انك لو احببته اذا ما عصيته
ثم انشأ يقول
تعصى الاله وانت تظهر
حبه
هذا العمري في المقال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته
ان المحب لمن يحب مطيع
في كل يوم يتديك بنعمة
منه وانت لشكر ذلك مضيع

في القفر والبيداء مدلين بياسهم واثقين بانفسهم قد صار لهم البأس خلقا والشجاعة سجيبة يرجعون اليها
متى دعاهم داع او استنفرهم صارخ واهل الحضرمه ما خالطوهم في البادية او صاحبوهم في السمرقند
عليهم لا يمدكون معهم شيئا من امر نفوسهم وذلك مشاهد بالعمان حتى في معرفة النواحي والجهات وموارد
المياه ومشارع السبل وسبب ذلك ما شرخناه واصله ان الانسان ابن عوائده ومألوفه لا ابن طبيعته
ومزاجه فالذي افقه في الاحوال حتى صار خلقا وملايكة وعادة تنزل منزلة الطبيعة والجملة واعتبر ذلك في
الادميين تجده كثيرا صحيحا والله يتخلق ما يشاء

٦ (فصل في أن معاناة اهل الحضرمه للحكم مفسدة للبأس فيهم ذاهبة بالمنعة منهم)

وذلك انه ليس كل احد مالكا امر نفسه اذ الرؤساء والامراء المساكون لامر الناس قليل بالنسبة الى
غيرهم فن الغالب ان يكون الانسان في ملكة غيره ولا بد فان كانت الملكة رفيقة وعادلة لا يعانى منها
حكم ولا منع وصد كان من تحت يدها مدلين بما في انفسهم من شجاعة او حجب واثقين بعدم الوازع حتى
صار لهم الادلال جملة لا يعرفون سواها واما اذا كانت الملكة واحكامها بالقهر والسطوة والاحاققة فتكسر
حينئذ من سورة باسهم وتذهب المنعة عنهم لما يكون من التكاسل في النفوس المضطهدة كالتبنيبه
وقد نهى عمر سعد ارضى الله عنهم ما عن مثلها لما اخذ زهرة بن حو بقسلب الجانوس وكانت قيمته خمسة
وسبعين الفان الذهب وكان اتبع الجانوس يوم القادسية فقتله واخذ نسبه فانزع منه سعد
وقال له هـ لا انتظرت في اتباعه اذنى وكتب الى عمر يسئله ما اذنه فكذب اليه عمر تعمد الى مثل زهرة وقد
صلى بما صلى به وبقي عليه ما بقي من حربك وتكسر فوقه وتفسد قلبه وامضى له عمر سلبه واما اذا
كانت الاحكام بالعقاب فذهبة للبأس بالسكينة لان وقوع العقاب به ولم يدافع عن نفسه يكسبه المذلة
التي تكسر من سورة باسه بلاشك واما اذا كانت الاحكام تادية وتعليمية واخذت من عهد الصبا اثرت
في ذلك بعض الشيء لم يباه على المخافة والانتقاد فلا يكون مدلا بياسه ولهذا نجد المتوحشين من العرب اهل
البدو واشد باسا ممن تأخذ الاحكام ونجد ايضا الذين يعاونون الاحكام وملايكتهم ان لدن مرابهم في التاديب
والتعليم في الصنائع والعلوم والديانات ينقص ذلك من باسهم كثيرا ولا يكادون يدفعون عن انفسهم
عادية بوجه من الوجوه وهذا شأن طلبة العلم المنتحلين للقراءة والاخذ عن المشايخ والائمة الممارسين للتعليم
والتاديب في مجالس الوقار والهيبة فيهم وهذه الاحوال وذاهبها بالمنعة والبأس ولا تستنكر ذلك بما وقع
في الصحابة ممن اخذهم باحكام الدين والشريعة ولم ينقص ذلك من باسهم بل كانوا أشد الناس باسالان
الشارع صلوات الله عليه لما اخذ المسلمون عنه دينهم كان واوعهم فيه من انفسهم لما تلى عليهم من
الترغيب والترهيب ولم يكن يتعلم صناعى ولا تاديب تعليمى انما هي احكام الدين وآداب المتلقاة تقلا
ياخذون انفسهم بها لما رويهم من عقائد الايمان والتصديق فلم تنزل سورة باسهم مستحكمة كما كانت
ولم تخدشها لظفار التاديب والحكم قال عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا ادبه الله حرصا على ان يكون
الوازع لكل احد من نفسه هو يقين بان الشارع اعلم بمصالح العباد ولما تناقص الدين في الناس واخذوا
بالاحكام الوازعة ثم صار الشرع علما وصناعة يؤخذ بالتعليم والتاديب ورجع الناس الى الحضارة وخلق
الانتقاد الى الاحكام نقصت بذلك سورة البأس فيهم فقد تبين ان الاحكام السلطانية والتعليمية مفسدة
للبأس لان الوازع فيها اجنبى واما الشرعية فغير مفسدة لان الوازع فيها ذاتى ولهذا كانت هذه الاحكام
السلطانية والتعليمية مما تؤثر في اهل الحواضر في ضعف نفوسهم وخضد الشوكه منهم بمعاناتهم في وليدهم

(وروي يدين اسلم عن ابيه) قال قلت لعمرو بن سليمان بن عبد الله بن ابي طالب الهاشمي والى المدينة احذر
ان يأتي رجل غداليس له في الاسلام نسبة ولا اب ولا جد فيكون اولى برسول الله صلى الله عليه وسلم منك كما كانت امرأة فرعون اولى بنوح

وكهولهم

ولو ط عليهم السلام من زوجهم ما وكما كانت زوجة نوح ولو ط اولى بفرعون من زوجته من اباطيه عمله لم يسترح به نسبه ومن اسرع به عمله لم يبطئ به نسبه وقال بشر بن السري بينما الحجاج جالس في الحجر اذ دخل رجل (٧٧) من اهل اليمن فجعل يطوف فوكل به

بعض من معه فقال اذا خرج من طوافه فاتي به فلما فرغ من طوافه اتاه به فقال له من انت قال من اهل اليمن قال افك علم محمد بن يوسف قال نعم قال فاخبرني عنه قال لقد تركته ابيض بضاسم يناطو يلاعريضا قال ويالك ليس عن هذا اسألك قال فعمه قال عن سيرته وطعمته قال فأجور السير واخبت الطعم واعدى العدا على الله واحكامه قال فغضب الحجاج وقال ويالك اما علمت انه اخي قال بلى قال افانت ما علمت ان الله ربي والله هو امنع بي منك اكثر منك لا خيك قال اجل ارسله يا غلام (وقال الاصمعي) حدثني رجل من اهل المدينة قال سمعت محمد بن ابراهيم يحدث قال شهدت ابا جعفر بالمدينة وهو ينظر فيما بين رجل من قريش واهل بيت من المهاجرين ليسوا قريش فقالوا لابي جعفر اجعل بيننا وبينهم ابن ابي ذئب قال ابو جعفر لابن ابي ذئب ما تقول في بني فلان قال اشرا من اهل بيت اشرا قالوا له يا امير المؤمنين عن الحسن بن بزيد وكان

وكهولهم والبدو بعزل عن هذه المنزلة لبعدهم عن احكام السلطان والتعليم والآداب ولهذا قال محمد بن ابي زيد في كتابه في احكام المعلمين والمتعلمين انه لا ينبغي للمؤدب ان يضرب احدا من الصبيان في التعاليم فوق ثلاثة اسواط نقله عن شريح القاضي واحتج له بعضهم بما وقع في حديث بدء النوحى من شأن الغط وأنه كان ثلاث مرات وهو ضعيف ولا يصلح شأن الغط ان يكون دليلا على ذلك لبعده عن التعاليم المتعارف والله الحكيم الخبير

٧ * (فصل في ان سكنى البدو لا يكون الا لقبائل اهل العصبية) *

* (اعلم) ان الله سبحانه ركب في طبائع البشر الخير والشكر كما قال تعالى وهديناه النجدين وقال فالفهمها فيورها وتقواها والشرا اقرب الحلال اليه اذا اهل في مرعى عوانده ولم يهذه الاقتداء بالدين وعلى ذلك النجم الغير الامن وفقه الله ومن اخلاق البشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض فن امتدت عينه الى متاع اخيه امتدت يده الى اخذه الا ان يصدده وازع كما قال

والظلم من شيم النفوس فان تجرد * ذاعفة فاعله لا يظلم

فأما المدن والامصار فعدوان بعضهم على بعض تدفعه الحكام والدولة بما قبضوا على ايدي من تحتهم من الكفاية ان يمتد بعضهم على بعض او يعدو عليه فهم مكبوحون (١) بحكمة القهر والسلطان عن التظالم الا اذا كان من الحما كمن نفسه وأما العدوان الذي من خارج المدينة فيدفعه سياج الاسوار عند الغفلة أو الغرة ليل أو العجز عن المقاومة نهار أو يدفعه زيادة الحامية من أعوان الدولة عند الاستعداد والمقاومة وأما احياء البدو فيزع بعضهم عن بعض مشايخهم وكبرائهم بما وفر في نفوس الكفاية لهم من الوفاق والتجلة وأما دلتهم فأنما يذود عنهم من خارج طامية الحى من انجادهم وقتبانهم المعروفين بالنجاعة فيهم ولا يصدق دفاعهم وزيادهم الا اذا كانوا عصبية واهل نسب واحد لانهم بذلك تشددوا وكتمهم ويخشى جانبهم اذ نغرة كل أحد على نسبه وعصبية اهـ وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنغرة على ذوى ارحامهم وقرباهم موجودة في طبائع البشرية وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظيم ربه العدولهم واعتبر ذلك فيما احكاه القرآن عن اخوة يوسف عليه السلام حين قالوا لايه ائنا كاه الذئب ونحن عصبية انا اذ الخاسرون والمعنى انه لا يتوهم العدوان على أحد مع وجود العصبية له وأما المتفردون في انسابهم فقل ان تصيب احدا منهم نغرة على صاحبه فاذا اظلم الجوب بالشر يوم الحرب تسال كل واحد منهم يبغي النجاة لنفسه خيفة واستيحاشا من التخاذل فلا يقدرون من أجل ذلك على سكنى القرى لما أنهم حينئذ طعمة لمن يبتهمهم من الامم سواهم واذا تبين ذلك في السكنى التي تحتاج للدافعة والحماية فيمثلة يبين لك في كل امر يحمل الناس عليه من نبوة واقامة ملك أو دعوة اذ بلوغ الغرض من ذلك كله انما يتم بالقتال عليه لما في طبائع البشر من الاستعصاء ولا بد في القتال من العصبية كما ذكرناه آنفا فتح هذه اما ما تقدمى به فيما تورد عليه بعد والله الموفق للصواب

٨ * (فصل في ان العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب او ما في معناه) *

وذلك ان صلة الرحم طبعي في البشر الا في الاقل ومن صلته النغرة على ذوى القربى واهل الارحام ان ينالهم ضيم او تصيبهم هلكة فان القريب يجدي نفسه غصاصة من ظلم قريبه او العدا عليه و يود لو يحول

(١) قوله بحكمة بفتح الحاء والكاف اهـ

عامله على المدينة قال ما تقول في الحسن قال يا لهوى فقال الحسن والله يا امير المؤمنين لو سألته عن نفسك لرأيتك بداهية ونعتك بشر قال ما تقول في قال اعقني يا امير المؤمنين قال لا بد ان تقول قال انك لا تعدل في الرعية ولا تقسم بالسوية فتغير وجهه ابي

بجمع فقام ابراهيم بن محمد بن علي صاحب الموصل وقال ماهر في يده يامير المؤمنين قال له ابن ابي ذئب اقد يا بني فليس في ذم رجل يشهد ان لا اله الا الله مهور (٧٨) ثم تدارك ابن ابي ذئب الكلام فقال دعنا يا امير المؤمنين مما نحن فيه بلغني انك رزقت

بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهاالك نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا فاذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريبا جدا بحيث حصل به الاتحاد والاتحام كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بمجرد ما ووضوحها واذا بعد النسب بعض الشيء فرماتنوسى بعضها ويبقى منها شهرة فتحمّل على النصره لذوى نسبه بالا مر المشهور منه فرار من الغضاضة التي يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب اليه بوجه ومن هذ الباب الولاء والحلف اذ نغرة كل احد على اهل ولائه وحلقه للالفة التي تلحق النفس من احتضام جارها او قريبيها ونسبها بوجه من وجوه النسب وذلك لاجل اللحمة المحاصلة من الولاء مثل حمة النسب او قريبيها منها ومن هذ اتفهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم لم تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم يعني ان النسب انما فائده هذ الاتحام الذي يوجب صلة الارحام حتى تقع المناصرة والنغرة وما فوق ذلك مستغنى عنه اذا نسب امرؤهمى لاحقية له ونفعه انما هو في هذ الوصلة والاتحام فاذا كان ظاهرا واضحا جل النفوس على طبيعتها من النغرة كما قلناه واذا كان انما يستفاد من الخبر الجيد ضعف فيه الوهم وذهبت فائده وصار الشغل به مجانا ومن اعمال الله والمنهى عنه ومن هذ الاعتبار معنى قولهم النسب علم لا ينفع وجهه الا تضر بمعنى ان النسب اذا خرج عن الوضوح وصار من قبيل العلوم ذهبت فائده الوهم فيه عن النفس وانتفت النغرة التي تحمل عليها العصبية فلا منفعة فيه حينئذ والله سبحانه وتعالى اعلم

٩ * (فصل في أن الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب ومن في معانهم) *
وذلك لما اختصوا به من كذا العيش وشظف الاحوال وسوء المواطن حماهم عليها الضرورة التي عينت لهم تلك القسمة وهي لما كان معاشهم من القيام على الابل وتناجها ورعايتها والابل تدعوهم الى التوحش في القفر لرعيها من شجره وتناجها في رماله كما تقدم والقفر مكان الشظف والسغب فصاوتهم القوا وعادة ودر بيت فيه اجيالهم حتى تمكن خلقا وجلة فلا ينزع اليهم احد من الامم ان يساهمهم في حالهم ولا يأس بهم احد من الاجيال بل لو وجدوا احد منهم السبيل الى القرا من حاله وامكنه ذلك لما تركه فيؤمن عليهم لاجل ذلك من اختلاط انسابهم وفسادها ولا تزال بينهم محفوفة صريحة واعتبر ذلك في مضر من قريش وكنانة وثقيف وبنو اسد وهذيل ومن جاورهم من خراة لما كانوا اهل شظف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع وبعدها من ارياف الشام والعراق ومعادن الادم والمجرب كيف كانت انسابهم صريحة محفوفة لم يدخلها اختلاط ولا عرف فيهم شوب * واما العرب الذين كانوا بالتلول وفي معادن الحصب والمرعى والعيش من حمير وكه لان مثل لحم وجماد وغسان وطيبى وقضاة وايد فاختلفت انسابهم وتداخلت شعوبهم ففي كل واحد من بيوتهم من الخلف عند الناس ما تعرف وانما جاههم ذلك من قبل الجحيم ومخالطتهم وهم لا يعتبرون المحافظة على النسب في بيوتهم وشعوبهم وانما هذ العرب فقط قال عمر رضي الله تعالى عنه تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد اذا سئل احدهم عن اصله قال من قرية كذا هذ اى ما لحق هؤلاء العرب اهل الارياف من الازحام مع الناس على البلاد الطيب والمرعى الحصبية فكثير الاختلاط وتداخلت الانساب وقد كان وقع في صدر الاسلام الانتفاء الى المواطن فيقال جند قنسر بن جند دمشق جند العواصم وانتقل ذلك الى الاندلس ولم يكن لا طراح العرب امر النسب وانما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النسب يتميزون بها عند امرائهم ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع الجحيم وغيرهم وفسدت الانساب بالجملة وفقدت ثمرتها من العصبية فاطرحت ثم ثلاث القبائل ودرثت فدرثت العصبية بدورها وبقي ذلك في البدو كما كان والله وارث الارض ومن عليها

ابن ابا العراق يعنى المهدي قال اما ان قلت ذلك انه ليصوم البعد ما بين الطرفين قال ثم قام ابن ابي ذئب فخرج فقال ابو جعفر اما والله ما هو بمستوثق العقل ولقد قال بذات نفسه (ودخل ابو النصر) سالم مولى عمر بن عبد الله على عامل الخليفة فقال له يا ابا النصر انه تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ولا نجد ديدما من انقاذها فاذا ترى قال ابو النصر قد اناك كتاب الله قبل كتاب الخليفة فابهم ما اتبعت كنت من اهل له * (الباب الثالث فيما جاء في الولاية والقضاء وما في ذلك من الغرور والمخاطر) * قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله جاء في التفسير من اتباع الهوى ان يحضر الخصمان بين يديك فتود ان يكون الحق للذي لك منه خاصة وبهذه الحصلة سلب سليمان بن داود عليهم السلام ملكه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الذي اصاب سليمان ابن داود عليهم السلام

ان ناسا من اهل جرادة امراته وكانت من اكرم نساءه عليه تحاكوها اليه مع غيرهم فاحب ان يكون الحق لاهل جرادة فيقتضى لهم فهو تب حين لم يكن هواه فيهم واحدا ومن ذلك آية الملوك التي انزلها الله تعالى في السلاطين لما

فصل

اقتضته من السياسة العامة التي فيها بقاء الممالك وثبوت الدول قال الله تعالى ولا ينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ثم سمي المنصورين
واوضح شرائط النصر فقال تعالى الذين ان مكاهم في الارض اقاموا الصلاة (٧٩) وآتوا الزكاة وأمر وبال معروف ونهوا

عن المنكر فضعن الله تعالى
النصر للملوك وشرط عليهم
شرائط كما ترى فمن
تضعضت قواعدهم
وانتقص عليهم من اطراف
مالكهم او ظهر عليهم عدو
او باغ فتنة او طاسد نعمة او
اضطربت عليهم الامور او
راوا اسباب الغير في الجوارح
الله تعالى ويستجنوا من
سوء اقداره باصلاح
بينهم وبينه باقامة الميزان
القسط الذي شرعه الله
تعالى لعباده وركوب

سبيل العدل والحق الذي
قامت به السموات والارض
واظهار شرائع الدين ونصر
المظلوم والاختد على يد
الظالم وكف يد القوى عن
الضعيف ومراعاة الفقراء
والمساكين وملاحظة ذوي
الخصاصة والمستضعفين
وليعلموا انهم قد اخذوا
بشي من الشرائط الاربع
التي شرطت في النصر
(وروي) ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال الا كلكم
راع وكلكم مسئول عن
رعيته فالامام الذي على
الناس راع وهو مسئول عن
رعيته والرجل راع على
اهل بيته وهو مسئول عن
رعيته والمرأة راعية على
اهل بيت زوجها وولدها

١٠ * (فصل في اختلاط الانساب كيف يقع) *

اعلم انه من البين ان بعضا من اهل الانساب يسقط الى اهل نسب آخر بقربا اليهم او حلف او
ولاء او قرار من قومه بجناية اصابها فبدي بنسب هؤلاء وبعدهم في ثمراته من النغرة والقود وحمل
الديات وسائر الاحوال واذا وجدت ثمرات النسب فكانه وجد لانه لا معنى لكونه من هؤلاء ومن
هؤلاء الا جريان احكامهم واحوالهم عليه وكانه التعميم ثم انه قديمتا في النسب الاول بطول الزمان
ويذهب اهل العلم به فيخفي على الاكثر وما زالت الانساب تسقط من شعب الى شعب ويلتحم قوم
باخرين في الجاهلية والاسلام والعرب والعجم وانظر خلاف الناس في نسب آل المنذر وغيرهم يتبين
لك شئ من ذلك ومنه شأن بجيلة في عريضة بن هرثة لما ولده عمر عليهم فسألوه الاعفاء منه وقالوا هو فينا
لزيق اى دخيل واصبق وطباوا ان يولى عليهم جريز افسأله عمر عن ذلك فقال عرفجة صدقوا يا امير
المؤمنين انا رجل من الازد اصبحت دما في قومي ولحقت بهم وانظر منه كيف اختلط عرفجة بجيلة ولبس
جلدتهم ودعى بنسبهم حتى ترشح للرياسة عليهم لولا علم بعضهم بوشاحه ولو علموا عن ذلك وامتد الزمان
لتنوسى بالجيلة وبعدهم بكل وجه ومذهب فافهمه واعتبر سر الله في خلقته ومثل هذا كثير في هذا العهد
ولما قبله من اليهود والله الموفق للصواب بمنه وفضله وكرمه

١١ * (فصل في ان الرياسة لا تزال في نصابها لخصوص من اهل العصبية) *

اعلم ان كل حي او بطن من القبائل وان كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام ففهم ايضا عصبية اخرى
لانساب خاصة هي اشد التحاما من النسب العام لهم مثل عشير واحد او اهل بيت واحد او اخوة بنى اب
واحد لا مثل بنى العم الاقربين او الابعدين هؤلاء اعد بنسبهم لخصوص وشاركون من سواهم من
العصائب في النسب العام والنغرة تقع من اهل نسبهم لخصوص ومن اهل النسب العام لانها في النسب
الخاص اشد تقرب للجمعة والرياسة فيهم انما تكون في نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل ولما كانت
الرياسة انما تكون بالغلب وجب ان تكون عصبية ذلك النصاب اقوى من سائر العصائب ليقع الغلب
بها وتم الرياسة لاهلها فاذا وجب ذلك تعين ان الرياسة عليهم لا تزال في ذلك النصاب لخصوص اهل
الغلب عليهم اذ لو خرجت عنهم وصارت في العصائب الاخرى النازلة عن عصابتهم في الغلب لما تمت لهم
الرياسة فلا تزال في ذلك النصاب متناقلة من فرع منهم الى فرع ولا تنتقل الا الى الاقوى من فرعه ولما
قلناه من سر الغلب لان الاجتماع والعصبية بمثابة المزاج لانه لا يكون في المتكون لا يصلح اذا تكافأت
العناصر فلا بد من غلبة احداهما والتم التكوين فهذا هو سر اشتراط الغلب في العصبية ومنه تعين
استمرار الرياسة في النصاب لخصوص بها كما قررناه

١٢ * (فصل في ان الرياسة على اهل العصبية لا تكون في غير نسبهم) *

وذلك ان الرياسة لا تكون الا بالغلب والغلب انما يكون بالعصبية كما قدمناه فلا بد في الرياسة على
القوم ان تكون من عصبية غالبية اعصابتهم واحدة لان كل عصبية منهم اذا احست بغلب عصبية
الرئيس لهم اقر وابلادعان والاتباع والساقط في نسبهم بالجيلة لا تكون له عصبية فيهم بالنسب انما هو

(١١) هذا الفصل ساقط من النسخ الفاسية وهو موجود في النسخة التونسية واثباته اولي ليطابق
كلامه اول الفصل ١٢ اه

وهي مسؤلة عنهم وعبدا الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه الا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
كل ناظر في حق غيره راعيا له واللفظ ما خرد من الرعاية والمراعاة فاذا تقدم لرعاية غيره من باب كاهه والمالك كما قال الشاعر

وراعى الشاة يحصى الذئب عنها * فكيف اذا الذئب هارعا (وروى مسلم) في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امرئ يلى امر المسلمين ثم لم يجهد لهم وينصح الالم يدخل الجنة معهم وقال معقل بن يسار سمعت النبي صلى الله عليه وسلم (٨٠)

ماصق لزيق وغاية التعصب له بالولاء والحلف وذلك لا يوجب له غلبا عليهم ابنة واذا فرضنا انه قد التحم بهم واختلط وتنوسى عهده الاول من الاتصاف وليس جلدتهم ودعى بنسبهم فكيف له الرياسة قبل هذا الاتصاف او لاحد من سلفه والرياسة على القوم انما تكون متناقلة في منبت واحد تعين له الغلب بالعصبة فالاولية التي كانت لهذا الماصق قد عرف فيها التصاقه من غير شك ومنعته ذلك الاتصاف من الرياسة حينئذ فكيف تنوقت عنه وهو على حال الاتصاف والرياسة لا بد وان تكون موروثه عن مستحقها لما قلناه من التغلب بالعصبة وقد ينشوف كثير من الرؤساء على القبائل والعصائب الى انساب يلهجون بها اما لخصوصية فضيلة كانت في اهل ذلك النسب من شجاعة او كرم او ذكر كيف اتفق فيزعمون الى ذلك النسب ويتورطون بالدعوى في شعوبه ولا يعلمون ما يوقعون فيه انفسهم من القدرح في رياستهم والظعن في شرفهم وهذا كثير في الناس لهذا العهد فن ذلك ما يدعيه زناة جملة انهم من العرب ومنه ادعاء اولاد رباب المعروفين بالحجازيين من بني عامر احد مشعوب زغبة انهم من بني سليم ثم من الشريفة منهم لمحق جدتهم بنى عامر تجارا يصنع الحر جان (١) واختلط بهم والتحم بنسبهم حتى رأس عليهم ويسمونه الحجازي ومن ذلك ادعاء بنى عبد القوي بن العباس بن توجين انهم من ولدا العباس بن عبد المطلب وزغبة في هذا النسب الشريف وغلط باسم العباس بن عطية بنى عبد القوي ولم يعلم دخول احد من العباسيين الى المغرب لانه كان منذ اول دولتهم على دعوة العلويين اعدائهم من الادارسة والعبيد بن فكيف يسقط العباس الى احد من شيعة العلويين وكذلك ما يدعيه ابناء زيان الملوكة بلسان من بنى عبد الواحد انهم من ولد القاسم بن ادريس ذهابا الى ما اشتهر في نسبهم انهم من ولدا القاسم فيقولون بلسانهم الزناني انت القاسم اى بنو القاسم ثم يدعون ان القاسم هذا هو القاسم بن ادريس او القاسم بن محمد بن ادريس ولو كان ذلك صحيحا فغاية القاسم هذا انه فر من مكان سلطانه مستجيرا بهم فكيف تتم له الرياسة عليهم في باديتهم وانما هو غلط من قبل اسم القاسم فانه كثير الوجود في الادارسة فتوهوه وان قاسمهم من ذلك النسب وهم غير محتاجين لذلك فان منالهم للملك والعزة انما كان بعصبيتهم ولم يكن بادعاء علوية ولا عباسية ولا شئ من الانساب وانما يحتمل على هذا المتقربون الى الملوكة بمنازعتهم ومنازعتهم ويشتهر حتى يبعد عن الرد ويؤخذ بلغنى عن يفراس بن زيان مؤثر سلطانهم انه لما قيل له ذلك أنكروه وقال بلغته الزنانية مائة مائة اما الدنيا والملك فقلناه بسوقنا لهذا النسب واما نفعه في الاخرة فردوا الى الله وأعرض عن التقرب اليه بذلك * ومن هذا الباب ما يدعيه بنو سعد وشيوخ بني يزيد من زغبة انهم من ولدا بنى بكر الصديق رضى الله عنه وبنو سلامة شيوخ بني يدلتن من توجين انهم من سليم والزواودة شيوخ رباح انهم من اعقاب البرامكة وكذا بنو مهدي امراطية بالمشرق يدعون فيما بلغنا انهم من اعقابهم وامثال ذلك كثير ورياستهم في قومهم مانعة من ادعاء هذه الانساب كما ذكرناه بل تعين ان يكونوا من صريح ذلك النسب واقتوى عصبياته فاعتبر واجتنب المغالط فيه ولا تجعل من هذا الباب الحاق مهدي الموحدين بنسب العلوية فان المهدي لم يكن من منبت الرياسة في هرمة قومه وانما رأس عليهم بعد اشتراكه بالعلم والدين ودخول قبائل المصامدة في دعوته وكان مع ذلك من اهل المنابت المتوسطة فيهم والله عالم الغيب والشهادة

يقول ما من عبد يسترعيه الله زغبة فلم يحطها بتبعه الالم يحج درأحة الجنة (وروى) عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وان اعطيتها عن غير مسئلة اعنت عليها (وروى) ابو هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم ستحرضون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة وقال ابو ذر رضى الله عنه قلت امرئى يا رسول الله قال انها امانة وانها حسرة وندامة يوم القيامة الامن اخذها حجة او ادى الذى عليه فيها (وروى البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تجدون من خير الناس اشد الناس كراهية لهذا الامر حتى يقع فيه وفي الحديث) من ولى من امر المسلمين شيئا ثم لم يحطهم بنحبه كما يحوط اهل بيته فليتبوا مقعده من النار وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث الى عاصم يستعمله على الصدقة فأبى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالى فيوقف على جس جهنم فيأمر الله سبحانه الحسرة فينفض انفاضة فيزول كل عظم منه عن مكانه ثم يأمر الله العظام فترجع الى مكانها ثم يسائله فان كان لله تعالى طائعا أخذ بيده واعطاه كفلين من رحمته وان كان لله

١٣ (فصل في ان البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل العصبة ويكون غيرهم بالحجاز والشبهه) وذلك ان الشرف والحسب انما هو بالخال والومعنى البيت ان يعد الرجل في آباءه اشرافا مذكورين (١) قوله الحر جان بكسر الحاء جمع حرج بفتحين نعت الموقى اه تكون

عاصم يا خرق به الجسر فيموى به في جهنم مقدار سبعين خر يقا فقال عمر سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم أسمع قال نعم وكان سلمان
وأبو ذر حاضرين فقال سلمان أي والله يا عمر ومع السبعين سبعين خر يقا في واديتها (٨١) التها با فقال عمر بيده على جبهته أنا لله

وتكون له بولادتهم إياه والانتساب إليهم تجلته في أهل جلدته لما وقر في نفوسهم من تجلته حلقه وشرفهم
بخلاتهم والناس في نشأتهم وتناسلهم معادن قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهلية
خيارهم في الإسلام إذا فقهوا وغنى الحساب راجع إلى الانتساب وقد بينا أن ثمة الانتساب وفائدتها إنما هي
العصبية للثغرة والتناصر حيث تكون العصبية مرهوبة وخشية ومانتة فيما ذكرى محمى تكون فائدة
النسب أوضح وثمرتها أقوى وتعديد الأشراف من الآباء زائد في فائدتها فيكون الحساب والشرف أصيلا
في أهل العصبية لوجود ثمة النسب وتفاوت البيوت في هذا الشرف بتفاوت العصبية لأنه سرها ولا يكون
للمفردين من أهل الأمصار بيت الألبانجاز وان توهموه فخر من الدعاوى وإذا اعتبرت الحساب في أهل
الأمصار وجدت معناه أن الرجل منهم يعد سلفا في خلال الخير ومحاطة أهلهم مع الركون إلى العافية
ما استطاع وهذا غير أسرار العصبية التي هي ثمة النسب وتعديد الآباء لكنه يطلق عليه حسب وبيت
بالحجاز لعلاقة ما فيه من تعديد الآباء المتعاقبين على طريقة واحدة من الخير ومسالمة وليس حسبا
بالحقيقة وعلى الإطلاق وان ثبت أنه حقيقة فيهم ما بالوضع اللغوي فيكون من المشكك الذي هو في بعض
مواضعه أولى وقد يكون للبيت شرف أول بالعصبية والحلال ثم ينسحبون منه لذهابها بالحضارة كما تقدم
ويختلطون بالعمار ويبقى في نفوسهم وسواس ذلك الحساب يعدون به أنفسهم من أشراف البيوتات
أهل العصاب وليسوا منها في شيء لذهاب العصبية جملة وكثير من أهل الأمصار الناشئين في بيوت العرب
أو العجم لأول عهدهم وسوسون بذلك وأكثر ما رشح الوسواس في ذلك لبني إسرائيل فإنه كان لهم بيت
من أعظم بيوت العالم بالنبوة أو لما تعدد في سلفهم من الأنبياء والرسل من لدن إبراهيم عليه السلام إلى
موسى صاحب ملتهم وشريعته ثم بالعصبية ثانيا وما آتاهم الله به من الملك الذي وعدهم به ثم
انسلخوا من ذلك أجمع وضررت عليهم الذل والمسكنة وكتب عليهم الجلاء في الأرض وانفردوا بالاستعباد
للكفر لا قامن السنين وما زال هذا الوسواس مصاحبهم فتجددوا يقولون هذا هارونى هذا من نسل
يوشع هذا من عقب كالب هذا من سبط يهوذا مع ذهاب العصبية ورسوخ الذل فيهم منذ أحقاب متطاولة
وكثير من أهل الأمصار وغيرهم المنقطعين في أنسابهم عن العصبية يذهب إلى هذا المذهب وقد غلط أبو
الوليد بن رشد في هذا الما ذكر الحساب في كتاب الخطابة من تلخيص كتاب المعلم الأول والحساب هو أن يكون
من قوم قديم نزلهم بالمدينة ولم يتعرض لما ذكرناه وابت شعري ما الذي يقعهم نزلهم بالمدينة أن لم تكن
له عصابة يرهب بها جانبها وتحمل غيرهم على القبول منه فكانه أطلق الحساب على تعديد الآباء فقط
مع أن الخطابة إنما هي استعمال من تؤثر استمالته وهو أهل المحل والعقد وأما من لا قدر له البتة فلا
يلتفت إليه ولا يقدر على استمالته أحد ولا يستمال هو وأهل الأمصار من الحضرة بهذه المثابة إلا أن ابن
رشد بنى في حيل وبلد لم يمارسوا العصبية ولا أنسوا والحواله في في أمر البيت والحساب على الأمر المشهور
من تعديد الآباء على الإطلاق ولم يراجع فيه حقيقة العصبية وسرها في الخليفة والله بكل شيء عليم اه

١٤ * (فصل في ان البيت والشرف للموالى واهل الاصطناع انما هو بموالىهم لا بانسابهم) *

وذلك اننا قد بينا ان الشرف بالاصالة والحقيقة انما هو لاهل العصبية فاذا اصطنع اهل العصبية قوما من
غير نسلهم واسترقوا العبدان والموالى والتحموا به كما قلناه ضرب معهم اولئك الموالى والمصطنعون بنسبهم
في نال العصبية وليسوا بجلدتها كأنها عصبيتهم وحصل لهم من الانتظام في العصبية مساهمة في نسبها كما قال
صلى الله تعالى عليه وسلم مولى القوم منهم وسواء كان مولى رقيق او مولى اصطناع وحلف وليس نسب

(١١ - ابن خلدون) الخلائق فان كان عاد لانجاه الله به دله وان كان غير ذلك انتفض به الصراط انتفاضة صار بين كل عضو من أعضائه
مسيرة سنة ثم يخرق به الصراط فيما يلي قعر جهنم الأبحر وجهه (وروى) معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القاضي

يزل في مزلقة ابعدهم من عدن في جهنم (وقالت) عائشة رضي الله عنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى في شدة الحساب على ما قضى (٨٢) حتى يودانه لم يقض بين اثنين في عمرة (وروى) الحسن البصري ان النبي صلى الله عليه وسلم

ولادته ينافع له في تلك العصبية اذ هي مباينة لذلك النسب وعصبية ذلك النسب مقودة لذهاب سرها عند التخماء بهذا النسب الا خروفاقدانه اهل عصبيتها فيصير من هؤلاء ويندرج فيهم فاذا تعددت له الاء في هذه العصبية كان له بينهم شرف وبيت على نسبه في ولائهم واصطناعهم لا يتجاوزها الى شرفهم بل يكون ادون منهم على كل حال وهذا شأن الموالى في الدول والحكومة كلهم فانهم انما يشرفون بالرسوخ في ولاء الدولة وخدمتها وتعدد الاء في ولايتها الا ترى الى موالى الاتراك في دولة بني العباس والى بني برمك من قبلهم وبنو بخت كيف ادركوا البيت والشرف وبنو المجد والاصالة بالرسوخ في ولاء الدولة فكان جعفر بن يحيى بن خالد من اعظم الناس بيتا وشرفا بالانتساب الى ولاء الرشيد وقومه لا بالانتساب في القرس وكذا موالى كل دولة وخدمتها انما يكون لهم البيت والحسب بالرسوخ في ولائها والاصالة في اصطناعها ويضمحل نسبة الاقدام من غير نسبها ويبقى معنى لا عبرة به في اصالته ومجده وانما المعتبر نسبة ولائه واصطناعه اذ فيه سر العصبية التي بها البيت والشرف فكان شرفه مشتمة من شرف مواليه وبنائه من بنائهم فلم يتعده نسب ولادته وانما بنى مجده ونسب الولاة في الدولة وثجة الاصطناع فيها والترية وقد يكون نسبة الاولى في محبة عصبية ودولته فاذا ذهبت وصار ولاؤه واصطناعه في اخرى لم تنفعه الاولى لذهاب عصبيتها وانتقع بالثانية لوجودها وهذا حال بني برمك اذا المنقول انهم كانوا اهل بيت في القرس من سدة بيوت النار عندهم ولما صاروا الى ولاء بني العباس لم يكن بالاول اعتبار وانما كان شرفهم من حيث ولايتهم في الدولة واصطناعهم وما سوى هذا فوهم توسوس به النقوس الجاحمة ولا حقيقة له والوجود شاهد بما قلناه وان اكرمكم عند الله اتقاكم والله ورسوله أعلم

١٥ * (فصل في ان نهاية الحسب في العقب الواحد اربعة آباء) *

* (اعلم) ان العالم العنصري بما فيه كائن فاسد لا من زوانه ولا من احواله فالمكونات من المعدن والنبات وجميع الحيوانات الانسان وغيره كائنة فاسدة بالمعانيق وكذلك ما يعرض لها من الاحوال وخصوصا الانسانية فالعلوم تنشأ ثم تدرس وكذا الصنائع وامثالها والحسب من العوارض التي تعرض للادميين فهو كائن فاسد لا محالة وليس يوجد لاحد من اهل الخليفة شرف متصل في آباءه من لدن آدم اليه الا ما كان من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم كرامة به وحياطة على السرفية واول كل شرف خارجية كما قيل وهي الخروج عن الرياسة والشرف الى الضعة والابتدال وعدم الحسب ومعناه ان كل شرف وحسب فعدمه سابق عليه شأن كل محدث ثم ان نهايته في اربعة آباء وذلك ان باي المجد عالم بما عاناه في بنائه ومحافظ على الخلال التي هي اسباب كونه وبقائه وابنه من بعده مباشر لآبيه قد سمع منه ذلك واخذ عنه الا انه مقصر في ذلك نقص السامع بالشيء عن المعين له ثم اذا جاء الثالث كان حظه الاقتناء والتقليد خاصة فقصر عن الثاني نقص المقلد عن المجتهد ثم اذا جاء الرابع قصر عن طريقهم حمله واضاع الخلال المحافظة لبناء مجدهم واحتقرها وتوهم ان ذلك البنين لم يكن بمعاونة ولا تكاف وانما هو امر وجب لهم منذ اول النشاء بمجرد اتسابهم وليس بعصاة ولا بخلال لما يرى من التجارة بين الناس ولا يعلم كيف كان حدوثها ولا سببها ويتوهم انه النسب فقط فير بائنه عن اهل عصبية ويرى الفضل له عليهم وثوقا بما ربي فيه من استنباعهم وجه الاما او جب ذلك الاستنباع من الخلال التي منها التواضع لهم والاخذ بمجامع قلوبهم فيحتقرهم بذلك فينغصون عليه ويحتقرونه ويديلون منه سواء من اهل ذلك المنبت ومن فروعه في غير ذلك العقب للاذعان لعصبيتهم كما قلناه بعد الوثوق بما يرضونه من خلاله فتمهوا فروع هذا وتذوى

دعا عبد الرحمن بن سبرة يستعمله فقال يا رسول الله نحلى فقال اعدني ببيتك وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليودن اقوام يوم القيامة لو وقعوا من الثريا ولم يكونوا امراء على شيء وكمن متخول في مال الله ومال رسوله له النار عدا (وفي) الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صنغان من امني لا تنالهما شقاعتي يوم القيامة امام ظالم غشوم وغال في الدين مارق منه (وقال) ابو هريرة رضي الله عنه ما من امير يؤمر على عشرة الاجبي به يوم القيامة مغلولانجه عمله او اهاك (وقال) طابوس لسليمان بن عبد الملك هل تدري يا امير المؤمنين من اشد الناس عذابا يوم القيامة من اشركه الله في ملكه فخار في حكمه فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكي وما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه (وقال) حذيفة بن اليمان من اقرب الساعة ان يكون امرء فجرة وقراء كذبة وامناء خونة وعلماء فسقة وعرفاء ظلمة (وقال) عميد بن عمير ما زاد درجل من السلطان قر بالازداد من الله بعدا ولا كثر اتباعه الا كثر شطانه ولا كثر ماله الا كثر حسابه (وفي الحديث) عن النبي صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة فروع

انما في النار وواحد في الجنة رجل قضى بغير علم فهو في النار ورجل قضى بعلم فجاز فهو في النار ورجل قضى بالحق فهو في الجنة رواه

بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم (وقال) ابن سيرين جاء صبيان الى عبدة السمانى يتخايرون اليه فى الواحهم فلم ينظر فيها وقال هذا حكم ولا أتولى حكما أبدا (وتخاير) غلامان الى ابن عمر فجعل ينظر الى كتابتهم وقال هذا حكم (٨٣) ولا بد من النظر فيه والمصنفون

يرسلون فى كتبهم حديثا مرفوعا رواه أبو داود فى سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قدم الى القضاء فقد ذبح بغير سكين (وفى أخبار) القضاء ان قاضيا قدم الى بلد فجاءه رجل له عقل ودين فقال له أيها القاضي أبلغ قول النبي صلى الله عليه وسلم من قدم للقضاء فقد ذبح بغير سكين قال نعم قال فبلغ ان أمو والناس ضائعة فى بلدنا فحيت تحيرها قال لا قال أفأكرهت السلطان على ذلك قال لا قال فاشهد أنى لا أمالك بحسبنا ولا أؤدى عندك شهادة أبدا (وروى) أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال فى بعض خطبه ان الملك اذا ملك زهده الله فى ماله ورغبه فيما فى يد غيره واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويسخط الكثير جندل الظاهر خزين الباطن فاذا وجبت نفسه ونضب عمره ومضى ظله حاسبه الله فاشد حسابه وأقل عقوه (وذكر) السلطان لا عرابى فقال والله لئن عز وافر الدنيا بالجور لقد ذلوا فى الآخرة بالعدل وبقيل فان رضوا عن

فروع الاول ويندم بناء بيته هذا فى الملوك وهكذا فى بيوت القبائل والامراء واهل العصبية اجمع ثم فى بيوت اهل الامصار اذا انخطت بيوت نشأت بيوت أخرى من ذلك النسب ان بشأيدهم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزير واشترط الاربعة فى الاحساب انما هو فى الغالب والافقديد ثر البيت من دون الاربعة ويتلاشى ويندم وقد يتصل امرها الى الخامس والسادس الا أنه فى الخطاط وذهاب واعتبار الاربعة من قبل الاجيال الاربعة بان ومباشر له ومقدود هو ادم وهو اقل ما يمكن وقد اعتربت الاربعة فى نهاية الحسب فى باب المدح والثناء قال صلى الله عليه وسلم انما السكريم ابن السكريم ابن السكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم اشارة الى أنه بلغ الغاية من الحمد وفى التوراة ما معناه ان الله ربك فماتى غير مطالب بذنوب الآباء للبنين على الثواب وعلى الروابع وهذا يدل على ان الاربعة الاعقاب غاية فى الانساب والحسب ومن كتاب الاغانى فى اخبار عزيز بن الغوانى ان كسرى قال للنعمان هل فى العرب قبيلة تشرف على قبيلة قال نعم قال باى شئ قال من كان له ثلاثة آباء متواليه رؤساء ثم اتصل ذلك بكمال الاربعة فاليه من قبيلته ومطلب ذلك فلم يجده الا فى آل حذيفة بن بدر بن زرارى وهم بيت قيس وآل ذى الجدين بيت شيبان وآل الاشعث بن قيس من كندة وآل حاجب بن زرارى وآل قيس بن عاصم المنقرى من بنى تميم فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائرهم واقعد لهم الحكام والعدول فقام حذيفة بن بدر ثم الاشعث بن قيس لقرانته من النعمان ثم بسطام بن قيس بن شيبان ثم حاجب بن زرارى ثم قيس بن عاصم وخطبوا واثروا فقال كسرى كلهم سيد يصلح لوضعهم وكانت هذه البيوتات هى المذكورة فى العرب بعدي بنى هاشم ومعهم بيت بنى الذبيان من بنى الحرث بن كعب بيت النخعي وهذا كله

يدل على ان الاربعة الآباء نهاية فى الحسب والله اعلم

١٦ * (فضل فى أن الامم الوحشية قدر على التغلب عن سواها) *

* (اعلم) * انه لما كانت البداوة سببا فى الشجاعة كما قلناه فى المقدمة الثالثة لاجرم كان هذا الجيل الوحشى اشد شجاعة من الجيل الاخر فهم اقدر على التغلب وانتزاع ما فى ايدي سواهم من الامم بل الجيل الواحد يختلف احواله فى ذلك باختلاف الاعصار فكما نزلوا الارياق وتغنوا بالنعيم والقواء اشد الحسب فى المعاش والنعيم نقص من شجاعتهم بقرى دار ما نقص من توحشهم وبدوتهم واعتبر ذلك فى الحيوانات العجم بدواجن الطياء والبقر الوحشية والحجر اذا زال توحشها بمخاطبة الادميين واخصب عيشها كيف يختلف حالها فى الانتهاض والشدة حتى فى مشيتها وحسن اديمها وكذلك الادمى المتوحش اذا انس وآلف وسببه ان تكون السجيا والطيابغ انما هو عن المألوفات والعوائد اذا كان التغلب للامم انما يكون بالاقدام والبسالة فمن كان من هذه الاجيال اعرق فى البداوة واكثر توحشا كان اقرب الى التغلب على سواها اذا تقاربا فى العدد وتكافأ فى القوة والعصبية وانظر فى ذلك شأن مضر مع من قبلهم من حمير وكهلان السابقين الى الملك والنعيم ومع ربيعة المتوطنين ارياف العراق ونعمه لما بقى مضر فى بداوتهم وتقدمهم الاخرون الى خصب العيش وغضارة النعيم كيف ارمقت البداوة حدهم فى التغلب فغلبوهم على ما فى ايديهم وانتزعوه منهم وهذا حال بنى طيئ وبنى عامر بن صعصعة وبنى سليم بن منصور من بعدهم لما تأخروا فى باديتهم عن سائر قبائل مضر واليمن ولم يلبسوا بشئ من دنياهم كيف أمسكت حال البداوة عليهم قوة عصبيتهم ولم تخلفها مذهب الترف حتى صاروا اغلب على الامم منهم وكذا كل حى من العرب يلى نعيمها وعيشها خصبادون الحى الاخر فان الحى المبتدى يكون اغلب له واقدر عليه اذا تكافأ فى القوة والعدد سنة الله فى خلقه

كثير باق وانما يكون الندم حين لا ينفع الندم (وقال) أبو بكر بن ابي مريم حج قوم فسات صاحب لهم بارض قلاة فلم يجدوا ماء فأتاهم رجل فقالوا لئنا على الماء قال احلقوا الى ثلاث وثلاثين يمينا انه لم يكن فيكم صرافا ولا مكاسا ولا عرقا ولا يرودى ولا عرفا

فانا اولكم في الماء فخله واله ثلاثا وثلاثين يمينا فقدمهم على الماء ثم قالوا له عسله فقال احقوا لي ثلاثا وثلاثين يمينا كما تقدم ذكره فخله واله فاعانهم

عسله ثم قالوا تقدم وصل عليه قال لا حتى تخله والى اربعاء وثلاثين

١٧ * (فصل في أن الغاية التي تجرى اليها العصبية هي الملك) *

وذلك لاننا قدمنا ان العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل امر يجتمع عليه وقد مناننا
الادميين بالطبيعة الانسانية يحتاجون في كل اجتماع الى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض فلا بد ان
يكون متعلبا عليهم بتلك العصبية والالم تتم قدرته على ذلك وهذا التغلب هو الملك وهو امر زائد على الرياسة
لان الرياسة انما هي سودود صاحبها متبوع وليس له عليهم قهر في أحكامه واما الملك فهو التغلب والحكم
بالقهر وصاحب العصبية اذا بلغ الى رتبة طلب ما فوقها فاذا بلغ رتبة السودود والاتباع وجد السبيل الى
التغلب والقهر لا يتركه لانه مطلوب للنفس ولا يتم اقتدارها عليه الا بالعصبية التي يكون بها متبوعا
فالتغلب الملكي غاية للعصبية كما رأيت ثم ان القبيل الواحد وان كانت فيه بيوتات متفرقة وعصبيات
متعددة فلا بد من عصبية تكون اقوى من جميعها تغلبها وتستبعتها وتلجم جميع العصبيات فيها وتصير
كانها عصبية واحدة كبرى والواقع الافتراق المفضي الى الاختلاف والتنازع ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لغدت الارض ثم اذا حصل التغلب بتلك العصبية على قومها طلبت بطبعها التغلب على
اهل عصبية اخرى بعيدة عنها فان كافتها او مانعتها كانوا اقتتالا وانظارا لكل واحدة منهم ما للتغلب على
حوزتها وقومها شأن القبائل والامم المتفرقة في العالم وان غلبتها واستبعتها التحمت بها ايضا وزادت قوتها
في التغلب الى قوتها وطلبت غاية من التغلب والتحكم اعلى من الغاية الاولى وبعده وهكذا اذا ساحت
تكافئ بقوتها قوة الدولة فان أدركت الدولة في هرما ولم يكن لها مانع من اولياء الدولة اهل العصبيات
استولت عليها وانتزعت الامر من يدها وصار الملك اجمع لها وان انتهت الى قوتها ولم يقارن ذلك هرم
الدولة وانما يقارن حاجتها الى الاستظهار باهل العصبيات انتظمتها الدولة في اولياتها تستظهر بها على ما يعين
من مقاصدها وذلك ملك آخر دون الملك المستبد وهو كواقع للترك في دولة بني العباس واصحابه وزناته
مع كامة ولبنى جردان مع ملوك الشيعة من العلوية والعباسية فقد ظهر ان الملك هو غاية العصبية وانها
اذا بلغت الى غايتها حصل للقبيلة الملك اما بالاستبداد او بالمظاهرة على حسب ما يسعه الوقت المقارن لذلك
وان عاقبها عن بلوغ الغاية عوائق كما نبينه ووقفت في مقامها الى ان يقضى الله بامر

يمينا كما تقدم فصلي عليه
ثم التفتوا فلم يجدوا واحدا
وكان يرون انه المحضر عليه
السلام (وقال ابن مسعود
قال النبي صلى الله عليه
وسلم اشد الناس عذابا
يوم القيامة رجل قيل
نبيا وقتله نبي وامام ضلالة
ومثل من الممثلين (وقال)
ابوذرا قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ست
ايام اعقل يا ابا ذر ما اقول
لك ثم لما كان في اليوم
السابع قال اوصيك
بثقوى الله في امرسك
وعلا نيتك فاذا اسأت
فاحسن ولا تسأن احدا
وان سقط سوطك ولا
تؤوين امانة ولا تؤوين
يتيما ولا تعضين بين اثنين
(وقال) ابو ذر ايضا قال لي
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا ابا ذر اني احب لك
ما احب لنفسى واني اراك
ضعيفا لا تتأمرن على اثنين
ولا تلبس مال يتيم (وروى)
ابوذرا ايضا قلت يا رسول
الله الاتستعملني فضرب
بيده على منكبي وقال لي
يا ابا ذر انك ضعيف وانها
امانة وانها يوم القيامة
تخزي وندامة الا من اخذها
بحقها وادى الذي عليه
فيها (وروى) علي بن ابي

١٨ * (فصل في أن من عوائق الملك حصول الترف وانعماس القبيل في النعيم) *

وسبب ذلك ان القبيل اذا غلبت بعصبيتها بعض التغلب استوت على النعمة بمقداره وشاركت اهل النعم
والخصب في نعمتهم وخصبهم وضربت معهم في ذلك بسهم وحصصه بمقدار غلبها واستظهار الدولة بها فان
كانت الدولة من القوة بحيث لا يطمع احد في انتزاع امرها ولا مشاركتها فيه اذ عن ذلك القبيل لولايتها
والقنوع بما يسوغون من نعمتها ويشرون فيه من جبايتها ولم تسم آمالهم الى شئ من منازع الملك
ولا اسبابه انما همتم النعيم والكسب وخصب العيش والسكون في ظل الدولة الى الدعة والراحة والاخذ
بمذاهب الملك في المباني والملابس والاستكثار من ذلك والتأني فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف
وما يدعوا اليه من توابح ذلك فتذهب خشونة البدن وداوة وتضعف العصبية والبساقو يتنعمون فيما
آتاهم الله من البسطة وتشتابونهم واعقابهم في مثل ذلك من الترف عن خدمة انفسهم وولاية حاجاتهم
ويستكفون عن سائر الامور الضرورية في العصبية حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية فتتقص عصبيتهم
وبسالتهم في الاجيال بعدهم بتعاقبها الى ان تنقرض العصبية فيأذنون بالانقراض وعلى قدر ترفهم
ونعمتهم يكون اشرفهم على الفناء فضلا عن الملك فان عوارض الترف والعرق في النعيم كاسر من سورة

طالب رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن وانا حديث السن فقلت
يا رسول الله انك تبغثني الى قوم شيوخ ذوى أسنان ولا علم لي بالقضاء فقال ان الله سبحانه هادي قلبك ولسانك فاذا جلس الخصمان

العصبية

فلا تقض للاول حتى تسمع كلام الاخر فانك اذا سمعت ذلك عرفت كيف تقضى (فان قال قائل) كيف تهى اباذرعن القضاء واخر
عليها بالقضاء مع ما فيه من التعرير وما روى بان من قدم للقضاء فقد ذبح بغير سكنين (٨٥) وفيه البعد عن حضرته والتمتع بالمشاهدة

العصبة التي بها التغلب واذا انقرضت العصبة قصر القبول عن المدافعة والحجاية فضلا عن المطالبة
والتمتعهم الامم سواهم فقد تبين ان الترف من عوائق الملك والله يؤتي ملكه من يشاء

١٩ * (فصل في ان من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل والانتقاد الى سواهم) *

وسب ذلك ان المذلة والانتقاد كسر ان لسورة العصبة وشدها فان انتقادهم ومذلتهم دليل على فقدانها
فأرغوا المذلة حتى عجزوا عن المدافعة ومن عجز عن المدافعة فأولى ان يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة
واعترض ذلك في بني اسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام الى ملك الشام واخبرهم بان الله قد كتب لهم
ملكها كيف عجزوا عن ذلك وقالوا ان فيها قوم اجبارين واننا نندخلها حتى يخرجوا منها اي يخرجهم الله
تعالى منها بضرب من قدرته غير عصيبتنا وتكون من معجزاتك يا موسى ولما عزم عليهم لجؤا وارتكبوا
العصيان وقالوا له اذهب أنت وربك فقاتلوا ما ذلك الا لما آتسوا من انفسهم من العجز عن المقاومة
والمطالبة كما تقتضيه الآية وما يؤثر في تفسيرها وذلك بما حصل فيهم من خلق الانتقاد وما رغوا من الذل
للقبط أحقابا حتى ذهبت العصبة منهم جملة مع انهم لم يؤمنوا حق الايمان بما اخبرهم به موسى من ان
الشام لهم وان العمالة الذين كانوا يبارحوا فرسيتهم يحكم من الله قدره لهم فأقصر واعن ذلك وعجزوا
تعالى على ما علموا من انفسهم من العجز عن المطالبة لما حصل لهم من خلق المذلة وطعنوا فيما اخبرهم به
نبيهم من ذلك وما أمرهم به فعاقبهم الله بالنسبة وهو انهم تاهوا في قفر من الارض ما بين الشام ومصر أربعين
سنة لم يأووا فيها العمران ولا نزلوا مصر ولا خالطوا بشرا كما قصه القرآن لغلظة العمالة بالشام والقبط بمصر
عليهم لعجزهم عن مقاومتهم كزعموه ويظهر من مساق الآية ومفهومها ان حكمة ذلك التيه مقصودة
وهي فناء الجيل الذين خرجوا من قبضة الذل والقهر والقوة وتخلقه وابه وأفسدوا من عصبيتهم حتى نشأ في
ذلك التيه جيل آخر عز يز لا يعرف الاحكام والقهر ولا يسام بالمذلة فنشأت لهم بذلك عصبة اخرى
أقدر وابه على المطالبة والتغلب ويظهر لك من ذلك ان الاربعين سنة اقل مما يأتي فيها فناء جيل ونشأة
جيل آخر سبحانه الحكيم العليم وفي هذا اوضح دليل على شأن العصبة وانها هي التي تكون بها المدافعة
والمقاومة والحجاية والمطالبة وان من فقدوا عجز عن جميع ذلك كله ولم يخلق بهذا الفصل فيما يوجب المذلة
للقبيل شأن المغارم والضرائب فان القبيل الغارمين ما أعطوا الا يد من ذلك حتى رضوا بالمذلة فيه لان في
المغارم والضرائب ضمما ومذلة لا تحتلمها النفوس الاية اذا استهوتته عن القتل والتلف وان عصبيتهم
حينئذ ضعيفة عن المدافعة والحجاية ومن كانت عصبيته لا تدفع عنه الضيم فكيف له بالمقاومة والمطالبة وقد
حصل له الانتقاد للذل والمذلة عاتقة كما قدمناه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في شأن الحرث لما رأى سكة
الحرث في بعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم الا دخلهم الذل فهو دليل صريح على ان المغرم موجب
للمذلة هذا الى ما يجب ذل المغارم من خلق المكر والخديعة بسبب ملكة القهر فاذا رايت القبيل بالمغارم في
ريقة من الذل فلا تطمع لها بل احر الدهر ومن هنا يتبين لك غلط من يزعم ان زبانه بالمغرب كانوا شوية
يؤدون للمغارم لمن كان على عهدهم من الملوك وهو غلط فاحش كما رايت اذ لو وقع ذلك لما استتب لهم ملك
ولامت لهم دولة وانظر فيما قاله شهر براز ملك الباب بعد الرجن بن ربيعة لما اطل عليه وسأل شهر براز امانه
على ان يكون له فقال انا اليوم منكم يدي في أيديكم وصغرى معكم فرحبا بكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا
اليكم النصر لكم والقيام بما تحبون ولا تذولونا بالجزية فتوهنوا العدو كما اعتبر هذا فيما قلناه فانه كاف

٢٠ * (فصل في ان من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس) *

به وجاز في الحكم فهو في النار ورجل لم يعرف الحق ففرض للناس على جهل فهو في النار (قلت) فهذا ان الرجلان ضعيفان عن رتبة
القضاء احدهما بعثه وظلمه والاخر يجبهه وقد عابت جهلة بني اسرائيل طالوت فقالوا اني يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم

يؤت سعة من المال فعاوبه بخصلتين القفر وانه ليس من سبط المملكة فقال لهم نبيهم ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
فبين شروط الولايات والممالك (٨٦) وانها تنقصر الى العلم الذي به يحكم والى القوة التي بها تنفذ الاحكام دون ماظنه بنو اسرائيل

لما كان الملك طبيعيا للانسان لما فيه من طبيعة الاجتماع كما قلناه وكان الانسان اقرب الى خلال الخير
من خلال الشر باصل فطرته وقوته الناطقة العاقلة لان الشر انما جاء من قبل القوى الحيوانية التي
فيه هو امان حيث هو انسان فهو الى الخير وخاله اقرب والملك والسياسة انما كان له من حيث هو
انسان لانها خاصة للانسان لا للحيوان فاذا نزل الى الحيوان فاذن خلال الخير فيه هي التي تناسب السياسة والملك اذا الخير
هو المناسب للسياسة وقد ذكرنا ان الجدل اصل ينبت عليه ويتحقق به حقيقة وهو العصبية والعشيرة
وغيره يتم وجوده ويكملوه وهو الخلال واذا كان الملك غاية للعصبية فهو غاية لقروعه ومتماتها وهي
الخلال لان وجوده دون متماته كوجوده مخصص مقطوع الاعضاء او ظهوره عبر يانابين الناس واذا كان
وجود العصبية فقط من غير اتحال الخلال الجيدة تنصافي اهل البيوت والاحساب فخالنك باهل الملك
الذي هو غاية لكل مجد ونهاية لكل حسب وايضا فالسياسة والملك هي كقالة الخلق وخلافة الله في العباد
لتنفيذ احكامه فيهم واحكام الله في خلقه وعبادته انما هي بالخير ومرعاة المصالح كما شهد به الشرائع واحكام
البشر انما هي من الجهل والشيطان بخلاف قدرة الله سبحانه وقدره فانه فاعل للخير والشر معا ومقدرهما
اذ فاعل سواء فن حصلت له العصبية الكفيلة بالقدرة وانست منه خلال الخير المناسبة لتنفيذ احكام
الله في خلقه فقد تهيأ للخلافة في العباد وكقالة الخلق ووجدت فيه الصلاحية لذلك وهذا البرهان او ثبوت من
الاول واصح مبني فقد تبين ان خلال الخير شاهدة بوجود الملك من وجدته له العصبية فاذا نظرنا في اهل
العصبية ومن حصل لهم الغلب على كثير من النواحي والامم فوجدناهم يتنافسون في الخير وخلاله من
الكرم والعقود عن الزلات والاحتمال من غير التقادر والقوى للضيوف وحمل الكل وكسب المعدم والصبر
على المكاره والوفاء بالعهد وبدل الاموال في صون الاعراض وتعظيم الشريعة واجلال العلماء المحاملين
لها والوقوف عند ما يجدونه لهم من فعل او ترك وحسن الظن بهم واعتقاد اهل الدين والتبرك بهم ورغبة
الدعاء منهم والحياء من الاكابر والمشايخ وتوقيرهم واجلالهم والانقياد الى الحق مع الداعي اليه وانصاف
المستضعفين من انفسهم والتبذل في احوالهم والانتقاد للحق والتواضع للمسكين واستماع شكوى
المستغيثين والتدين بالشرائع والعبادات والقيام عليها وعلى اسبابها والتجافي عن الغدور والمكر والخديعة
ونقض العهد وامثال ذلك علمنا ان هذه خلق السياسة قد حصلت لديهم واستحقوا بها ان يكونوا اساسا لمن
تحت ايديهم وعلى العموم وانه خير ساقه الله تعالى اليهم مناسب لعصبيتهم وغلبهم وليس ذلك سدى فيهم
ولا وجد عبثا منهم والملك انسب المراتب والخبرات لعصبيتهم فعملنا بذلك ان الله تآذن لهم بالمالك وساقه
اليهم وبالعكس من ذلك اذا تآذن الله بانقرض الملك من امة جعلهم على ارتكاب المذمومات واتحتمال
الردائل وسلوك طرقها فن فقد القضاء السياسية منهم جملة ولا تزال في انتقاص الى ان يخرج الملك من
ايديهم ويتمد به سواء لم يكون نبياع عليهم في سلب ما كان الله قد آتاهم من الملك وجعل في ايديهم
من الخير واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا متر فيها فمسخنا فيها خلقا عليها القول فدمرناها تدميرا واسمى ذلك
وتبعه في الامم السابقة تجد كثيرا مما قلناه ورسمناه والله يخلق ما يشاء ويختار (واعلم) ان من خلال
الكمال التي يتنافس فيها القبائل اولو العصبية وتكون شاهدة لهم بالملك اكرام العلماء والاصالحين
والاشراف واهل الاحساب واصناف التجار والعرباء وانزال الناس منازلهم وذلك ان اكرام القبائل
واهل العصبيات والعشائر ينهضهم في الشرف ويجاذبهم جبل العشير والعصبية ويشاركهم في اتساع
الجاه امر طبيعي يحتمل عليه في الاكثر الرغبة في الجاه او الخفاة من قوم المكرم او التماس مثاهمته واما امثال

واما قولك ايها افضل
القضاء في غيبته او المحذور
بين يديه والكون في
حضرته فالجواب ان امره
عليه السلام فرض يعصى
بتركه والكون في حضرته
مستحب بعد الهجرة
لا يعصى بتركه فعملنا بهذا
انه انما بعث علما رضى الله
عنه للقضاء لانه افضل من
سبكه بحضرته لانه مبلغ
عنه الى الخلائق شر يعته
التي بعثه الله بها فهو خلقته
في ذلك يدل على هدائه
اوجب الجنة لمن قضى
بالحق

*(الباب الرابع في بيان
معرفة ملك سليمان بن
داود عليهما السلام ووجه
طلبه الملك وسؤاله ان
لا يؤتى لاحد من بعده)*
قال هب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدى فطلب
الملك ثم زاد على ذلك بان
لا يؤتى مثله احدا بعده
وكان ظاهره يؤذن بالبخل
والكلام على هذه الالية
من وجوه (احدها) انه
انما سأل هذا بعد ان سلبه
الله تعالى ملكه ثم اعاده
اليه فحين طلب الملك كان
ملكه فكله قال هذا الملك
الذي جددته لي هب لي
على صفات لا اعصيت فيها

فتسلبني اياه وتعاينني يدل عليه انه بدأ بالمعفرة فقال رب اغفر لي وهب لي ملكا اي ملكا لا اعصيت
فيه فتواخذني والدليل على صحة هذا قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فيكافه اجاب دعاه فقال تصرف كيف شئت

فلا حساب عليك فيه وقبل ان اعطيت اجرت وان امسكت فلا تبعه عليك فيه وهذا يخص بص لسليمان بن داود وعليهما السلام ولم يخص به احدا من ولد آدم سواه لان الله تعالى قال للخلائق فوربك لنسألنهم اجمعين (٨٧) عما كانوا يعبدون وما قول له لا ينبغي لاحد

من بعدى فعنه لا اسلمه في باقى عمرى فيصير لغيرى كما سلمته فيما مضى من عمرى وقيل لا تسلط على فيه شيئا مثل الذى قد سلطت على وقيل انما سأل ذلك ليكون علماء على المغفرة وقبول التوبة فاجيب الى ذلك فعلم انه قد غفر له وقيل انما سأل ذلك ليكون آية انبوتة

وعلم على محجزته وقال مقاتل كان سليمان بن داود ملكا ولكنه اراد بقوله لا ينبغي لاحد من بعدى تسخير الرياح والطير يدل عليه ما بعده وهو قوله تعالى قد خسرنا له الرجى الى آخر الآية وقيل ان سليمان كان ملكه في خاتمه ولهذا ذهب لا ينبغي لاحد من بعدى يعنى اهل ملكى فى نفسى لاني خاتمى حتى لا يملكه احد غيرى فان ابليس لما اخذ خاتم سليمان تحول ملك سليمان الى ابليس وقعد على كرسيه يحكم فيه حتى انكرت بنو اسرائيل احكامه وكان قد اتى عليه شبهه (وقال) عمرو بن عثمان المكي انما اراد به ملك النفس

هو لاه عن لبس لهم عصبية تتقى ولا جاه يرتجى فيندفع الشك في شأن كرامتهم ويتحضر القصد فيهم انه للمجد وانتحال الكمال في الخلال والاقبال على السياسة بالكتابة لان اكرام اقاتله وامثاله ضرورى في السياسة الخاصة بين قبيله ونظراته واكرام الطارين من اهل الفضائل والخصوصيات كمال في السياسة العامة فالصالحون للدين والعلماء للجماع اليهم في اقامة مراسم الشريعة والتجار للترغيب حتى تعم المنفعة بما في ايديهم والغرباء من مكارم الاخلاق وانزال الناس منازلهم من الانصاف وهو من العدل فيهم لم يوجد ذلك من اهل عصبية انما وهم للسياسة العامة وهى الملك وان الله قد تآذن بوجودها فيهم لو جود علامتها ولهذا كان اول ما يذهب من القبيل اهل الملك اذا تآذن الله تعالى بسلب ملكهم وسلطانهم اكرام هذا الصنف من الخلق فاذا رايته قد ذهب من امة من الامم فاعلم ان الفضائل قد اخذت في الذهاب عنهم وارقت زوال الملك منهم واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له والله تعالى اعلم

٢١ * (فصل في انه اذا كانت الامم وحشية كان ملكها اوسع) *

وذلك لانهم اقدر على التغلب والاستبداد كما قلناه واستعباد الطوائف لقد رتبهم على محاربة الامم سواهم ولاتهم يتزولون من الالهين منزلة المفترس من الحيوانات العجم وهو لاه مثل العرب ووزانة ومن في معناهم من الاكراد والتركان واهل اللثام من صنهاجة وايضا فهو لاه المتوحشون ليس لهم وطن يرتافون منه ولا بلدي يخشون له فنسبة الاقطار والمواطن اليهم على السواء فهذا لا يقتصرون على ملكة قطرهم وما حاورهم من البلاد ولا يتفقون عند حدودهم بل يطغرون الى الاقاليم البعيدة ويتغلبون على الامم النائية وانظر ما يحكى في ذلك عن عمر رضى الله عنه لما يوسع وقام يحرض الناس على العراق فقال ان الجاز ليس لكم بدار الا على التبعة ولا يقوى عليه اهلها الا بذلك ائىن القراء المهاجرون عن موعد الله سيروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب ان يورثكموها فقال لظهوره على الدين كله ولو لكره المشركون واعتبر ذلك ايضا بحال العرب السالفة من قبل مثل التبابعة وجر كيف كانوا يحطون من اليمن الى المغرب مرة الى العراق والمند أخرى ولم يكن ذلك لغير العرب من الامم وكذا حال المسلمين من المغرب لما تزعوا الى الملك طرفة وامن الاقليم الاول ومجالاتهم منه في جوار السوادان الى الاقليم الرابع والخامس في ملك الاندلس من غير واسطة وهذا شأن هذه الامم الوحشية فلذلك تكون دولتهم اوسع نطاقا وابدع من مراكزها نهاية والله يقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار لا شريك له

٢٢ * (فصل في ان الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من امة فلا بد من عوده

الى الشعب آخر منها مادامت لهم العصبية) *

والسبب في ذلك ان الملك انما حصل لهم بعد سورة الغلب والاذعان لهم من سائر الامم سواهم فبتعين منهم المباشر وللأمر الحاملون لسرير الملك ولا يكون ذلك لجميعهم لما هم عليه من الكثرة التي يضيق عنها نطاق المزاولة والغيرة التي تتحدع أنوف كثير من المتطاولين للرتبة فاذا تعين أولئك القائمون بالدولة انفسوا في النعيم وغرقوا في بحر الترف والحصب واستعبدوا اخوانهم من ذلك الجبيل وانفقوا وهم في وجوه الدولة ومذاهبها وبقى الذين بعدوا عن الأمر وكبحوا عن المشاركة في ظل من عز الدولة التي شاركوها بنسبهم وبمجاهاة من الهرم لبعدهم عن الترف وأسبابه فاذا استولت على الاولين الايام وابدغضوا هم الهرم فطبختهم الدولة وكل الدهر عليهم وشرب بما ارفق النعيم من حدهم واشتفت غريزة الترف من ما همم وبلغوا غايتهم من طيبة التمدن الانساني والتغلب السياسي (شعر)

وقهر الهوى يدل عليه ما روى سليمان الشيباني قال بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ارايت سليمان وما آتاه الله من ملكه فانه لم يرفع طرفه الى السماء تخشع الله تعالى حتى قبضه الله تعالى وزاد غيره انما اراد ملك النفس وقهرهاته لا يشقن بالملك ولهذا قدم

سؤال المغفرة على طلب المملكة وقال بعض الوعاظ انما اراد حتى انتقم لادم من ابليس وذريته حيث كان سديا في اخراجه وذريره
من الجنة (وروي) البخاري في صحيحه (٨٨) ان النبي عليه السلام قال ان عقر يتامن الجن جعل يتقلت على البارحة ليقطع على

كدود القر ينسج ثم يقني * بمركز نسجه في الانعكاس

كانت حينئذ عصبية الاخرين موفورة وسورة عليهم من الكاسر محفوظة وشارتهم في الغلب معلومة
ففسدوا آمالهم الى الملك الذي كانوا ممنوعين منه بالقوة الغالبة من جنس عصبيتهم وترتفع المنازعة لما
عرف من غلبهم فيستولون على الامرو يصير اليهم وكذا يتفق فيهم مع من بقي ايضا منتبذا عنه من عشائر
أمتهم فلا يزال الملك ملجأ في الامة الا ان تنكسر سورة العصبية منها او يقني سائر عشائر هاسنة الله في الحماة
الدنيا والاخرة عند ربك للفقير واعتبره ذمما وقع في العرب لما انقرض ملك عاد قام به من بعدهم
اخوانهم من ثمود ومن بعدهم اخوانهم العماليق ومن بعدهم اخوانهم من حمير ومن بعدهم اخوانهم
التبابعة من حمير ايضا ومن بعدهم الاذواء كذلك ثم جاءت الدولة لمصر وكذا الفرس لما انقرض امر
الكينزية ملك من بعدهم الساسانية حتى تأذن الله بانقرضهم اجمع بالاسلام وكذا اليونانيون انقرض
أمرهم وانتقل الى اخوانهم من الروم وكذا البربر بالمغرب لما انقرض امر مغراوة وكما ملك الملوك الاول منهم
رجع الى صنهاجة ثم الملائم من بعدهم ثم المصامدة ثم من بقي من شعوب زناتة وهكذا سنة الله في عباده
وخلقها واصل هذا كله انما يكون بالعصبية وهي متفاوتة في الاجيال والملك يخلقه الترفو ويذهب به كما
سند كره بعد فاذا انقرضت دولة فأنما يتناول الامر منهم من له عصبية مشاركة لعصبيتهم التي عرف لها
التسليم والانقياد واونس منها الغلب لمجيع العصبيات وذلك انما يوجد في النسب القريب منهم لان
تفاوت العصبية بحسب ما قرب من ذلك النسب التي هي فيه او بعد حتى اذا وقع في العالم تبديل كبير من
تحويل ملة او ذهاب عمران او ما شاء الله من قدرته في حينئذ يخرج عن ذلك الجيل الى الجيل الذي يأذن
الله بقيامه بذلك التبديل كما وقع لمصر حين غلبوا على الامم والدول واخذوا الامر من ايدي اهل العالم بعد
ان كانوا اكبر وحين عنه احقبا

٢٣ * (فصل في ان المغلوب مولع ابدا بالانتداء بالغالب في شعاره وزيه ونخلته وسائر احواله وعوائده)

والسبب في ذلك ان النفس ابدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت اليه اما نظره بالكمال بما وقر عندها
من تعظيمه او لما تعالط به من ان انقيادها ليس لغلب طبعي انما هو لكمال الغالب فاذا غا طت بذلك
واتصل لها حصل اعتقادا فانتقلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتران اول ما تراه
والله اعلم من ان غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة بأس وانما هو بما انتقلت من العوائد والمذاهب
تغالط ايضا بذلك عن الغلب وهذا راجع للاول ولذلك ترى المغلوب يشبه ابدا بالغالب في ملبسه
ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها بل وفي سائر احواله وانظر ذلك في الابدان مع آباءهم كيف تجردهم
متمشيهين بهم دائما وما ذلك الا لاعتقادهم الكمال فيهم وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على أهله
زى الحامية وجند السلطان في الاكثر لانهم الغالبون لهم حتى انه اذا كانت امة تجاور اخرى ولها الغلب عليها
فيسرى اليهم من هذا التشبه والاقتران كحظ كبير كما هو في الاندلس لهذا العهد مع امة الخلافة فانك تجدهم
يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران
والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة انه من علامات الاستدلاء والامر له
وتأمل في هذا سر قولهم العامة على دين الملك فانه من باب انه اذا الملك غالب لمن تحتم يده والرعية ممتدة دون به
لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الابدان بما آباءهم والمتعلمين بعلمهم والله العالم الحكيم وبه سبحانه وتعالى التوفيق

٢٤ * (فصل في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها اسرع اليها القضاء)

صلاتي وان الله تعالى امكنني

منه فصرعته ولقد هممت
ان اربطه الى سارية من
سوارى المسجد حتى يصبح
فتظرون اليه كلكم
فذكرت قول سليمان
هب لي ملكا لا ينبغي لاحد
من بعدى فرده الله خاسئا
(فان قيل) فاسمعي قول
يوسف عليه السلام اجعلني
على خزائن الارض اني
حفيظ عليم (قلت) يستفاد
من الآية ان من حصل
بين يدي ملك لا يعرف
قدره او امانة لا يعرفون
فضله فخاف على نفسه
او اراد ابراز فضله جازله ان
ينبههم على مكانه وما يحسنه
دفع الامر عن نفسه او
اظهار الفضله فيجعل في
مكانه وفيه فائدة اخرى
وهو انه اذا ارى الامور في
يد الخونة واللصوص ومن
لا يؤدى الامانة ويعلم
من نفسه اداء الامانة مع
الكفاية جازله ان ينبه
السلطان على امانته
وكفايته ولهذا قال بعض
العلماء من اصحاب الشافعي
من كمل فيه الاجتهاد
وشروط القضاء جازله ان
ينبه السلطان على مكانه
ويخطبه خطة القضاء وقال
بعضهم بل يجب ذلك عليه

والسبب

اذا كان الامر في يدي من لا يقوم به * (الباب الخامس في فضل الولاة والقضاة اذا عدلوا)

قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض يعني لولا ان الله تعالى اقام السلطان في الارض يدفع القوى عن

الضعيف وينصف المظلوم من الظالم لاهلك القوى الضعيف وتواثب الخناق بعضهم على بعض فلا ينظم لهم حال ولا يستقر لهم قرار فتفسد الارض ومن عليها امتن الله تعالى على الخناق باقامة السلطان فقال تعالى (٨٩) ولكن الله ذو فضل على العالمين يعني في

اقامة السلطان فيأمن الناس به فكون فضله على الظالم كف يده عن المظلوم وفضله على المظلوم كف يده الظالم عنه (وروى) أبوهريرة أن النبي عليه السلام قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يقطر ودعوة المظلوم (وروى) ان النبي عليه السلام قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه (وروى) كثير بن مرة قال قال النبي عليه السلام السلطان ظل الله في أرضه يا وى اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر واذا جار كان عليه الاصر وعلى الرعية الصبر (وروى) أبوهريرة يرفعه قال لعلم الامام العادل في رعيته يوما أفضل من عبادة العابد في أهله

والسبب في ذلك والله أعلم ما يحصل في النفوس من التسكسل اذا ملك أمرها عليها واصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم فيقصر الامل ويضعف النسل والاعتماد انما هو عن جدة الامل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية فاذا ذهب الامل بالتسكسل وذهب ما يدعو اليه من الاحوال وكانت العصبية ذاهبة بالغلب المحاصل عليهم تناقص عمرانهم وتلاشت مكاسبهم ومساعدتهم وعجزوا عن المداخلة عن أنفسهم بما خسد الغلب من شوكتهم فاصبحوا مغلبين لكل متغلب طعمة لكل آكل وسواء كانوا حصولا على غايتهم من الملك أو لم يحصلوا وفيه والله أعلم سر آخر وهو أن الانسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستتلاف الذي خلق له والرئيس اذا غلب على رياسته وكبح عن غاية عزه تسكسل حتى عن سبع بطنه وري كبده وهذا موجود في أخلاق الاناسي ولقد يقال مثله في الحيوانات المقترسة وانها لا تسافدا اذا كانت في ملكة الا كدمين فلا يزال هذا القبيل المملوك عليه أمره في تناقص واضمحلال الى أن يأخذهم الغناه والبقاء لله وحده واعتبر ذلك في أمة الفرس كيف كانت قدملا في العالم كثيرة ولما فئت حامتهم في أيام العرب بقي منهم كثير وأكثروا من الكثير يقال ان سعدا حصى من وراء المدائن فكانوا مائة ألف وسبعة وثلاثين اقامتهم سبعة وثلاثون القارب بيت ولما تحصلوا في ملكة العرب وقبضة الفهر لم يكن بقاؤهم الا قليلا وثر واكأن لم يكونوا ولا تحسبن ان ذلك اظلم نزل بهم أو عدوان شملهم فملكه الاسلام في العدل ما علمت وانما هي طبيعة في الانسان اذا غلب على أمره وصار آلة لغيره ولهذا التما تدع للارق في الغالب أعم السودان لنقص الانسانية فيهم وقربهم من عرض الحيوانات النجم كما قلناه ومن يرجو بانتظامه في رتبة الرق حصول رتبة او افادة مال او عز كما يقع لملك الترك بالشرق والعلاج من الحلالقة والافرنجة بالاندلس فان العادة جارية باستتلاص الدواق لهم فلا ينفون من الرق لما يملونه من الجساء والرغبة باصطفاة الدولة والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

٢٥ * (فصل في ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط) *

وذلك انهم بطبيعة التوحش الذي فيهم اهمل انتهاب وعيب ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ويفرون الى متبعهم بالفر ولا يذهبون الى المزاحفة والمخاربة الا اذا دفعوا بذلك عن أنفسهم فكل معقل اومست تصعب عليهم فهم تاركوه الى ما يسهل عنه ولا يعرضون له والقبائل الممتنعة عليهم يباوعار الجبال بمنجاة من عيبتهم وفسادهم لانهم لا يتسمنون اليهم الهضاب ولا يركبون الصعاب ولا يحاولون الخطر واما البسائط التي اقتدروا عليها بافقدان الحماية ووضعت الدوة فهي تهب لهم وطعمه لا كاهم يرددون عليها الغارة والنهب والزحف لسهولتها عليهم الا أن يصبح اهلها مغلبين لهم ثم يتعاورونهم بما ختلاف الايدي وانحراف السياسة الى ان يتقرض عمرانهم والله قادر على خلقه وهو الواحد القهار لاوب غيره

٢٦ * (فصل في ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب) *

والسبب في ذلك انهم امة وحشية باستحجام عوائد التوحش وأسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجبله وكان عندهم ملذوذ ما فيه من الخروج عن رتبة الحكم وعدم الاقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافاة للعمران ومناقضة له فغاية الاحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له فالحجر مثلا انما ساحتهم اليه لنصبه أثافي للقدر فينقلونه من المباني ويحربونها عليه ويعدون لذلك والخشب أيضا انما ساحتهم اليه لمرابه خيامهم ويتخذوا الاوتاد منه لبيوتهم فيخربون

(١٢ - ابن خلدون) مائة سنة او خمسين سنة (وقال) قيس بن سعد ليوم من امام عادل خير من عبادة رجل في بيته ستين سنة (وروى) أن سعد بن ابراهيم واباسلمة بن عبد الرحمن ومحمد بن مصعب بن شرحبيل ومحمد بن صفوان قالوا السيد بن سليمان

ابن زيد بن ثابت لقضاء يوم بالحق أفضل عند الله من صد لائك عمرك ويستخرج لك صحة هذه الاقوال اذا وقعت على ماناته الرعية من
الصالح بصلاح السلطان (واعلم) (٩٠) ارشدك الله ان الانسان اعز جواهر الدنيا واغلاها قدرا واشر فها منزلة وبالسلطان صلاح

الانسان اذا فهو واعز اطلاق
الدنيا واعها بركة ولذلك
خلق الله تعالى دارين
دار الدنيا ودار الآخرة
ثم لما كان السلطان صلاح
الدارين فخلق بشخص
يعم نفعه العباد والبلاد
ويصلح بصلاحه الدنيا
والآخرة ان يكون شرفه
عند الله عظيما كما كان
قدره في العقول جسيما
ومقامه عند الله كريما
كما كان نفعه عبيما وعلى قدر
٤- يوم المتفهمة تشرف
الاعمال وعلى قدر النعمة
تكون المنة الاترى ان
الانبياء عليهم السلام اعم
خلق الله نفعاهم اجل
خلق الله قدر الانهم تعاطوا
اصلاح الخلائق واخراجهم
من الظلمات الى النور
كذلك سلطان الله في
الارض هو خلافة النبوة
في اصلاح الخلائق
ودعائهم الى فناء الرحمن
واقامة دينهم وتقويم
اودهم وليس فوق السلطان
العادل منزلة الانبي مرسل
أوملا مقرب فاتخذ عظم
قدر السلطان عندك حجة
لله تعالى على نفسك وناصحه
على قدر ما نفعك وليس
نفعه مقصورا على
عجالة من حطام الدنيا

السقف عليه لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو اصل العمران هذا في حالهم على
العموم وايضا فطبيعتهم انتهاب ما في ايدي الناس وان رزقهم في ظلال رماحهم وليس عندهم في أخذ
أموال الناس حديتهم اليه بل كلما امتدت أعينهم الى مال او متاع او ماعون انتهبوه فاذا تم اقتدارهم
على ذلك بالغلب والمك بطات السياسة في حفظ أموال الناس وخرب العمران وايضا فلانهم يتلقون على
أهل الاعمال من الصنائع والمحرف أعمالهم لا يرون لها قية ولا قس طامن الاجر والثمن والاعمال كما
ستذكره هي أصل المكاسب وحقيقتها واذا فسدت الاعمال وصارت مجانا ضعفت الا مال في المكاسب
وانقبضت الايدي عن العمل وابذع السالكين وفسد العمران وايضا فانهم ليست لهم عناية بالاحكام
وزجر الناس عن المقاسد ودفاع بعضهم عن بعض انما هو من أموال الناس نهبها ومغرمها
فاذا توصلوا الى ذلك وحصلوا عليه أعرضوا عما بعدهم من تسديد أحوالهم والنظر في مصالحهم وقهر بعضهم
عن أغراض المقاسد وربما فرضوا العقوبات في الاموال حرصا على تحصيل الفائدة والجباية والاستكثار
منها كما هو شأنهم وذلك ليس بمن في دفع المقاسد وزجر المتعرض لها بل يكون ذلك زائدا فيما لا سهال
الغرم في جانب حصول الغرض فتبقى الرعايا في ملكتهم كأنها فوضى دون حكم والقوضى مهلكة للبشر
مفسدة للعمران بما ذكرناه من أن وجود الملك خاصة طبيعية للانسان لا يستقيم وجودهم واجتماعهم
الا بها وتقدم ذلك أول الفصل وايضا فانهم متناقسون في الرياسة وقل ان يسلم احد منهم الامر لغیره ولو كان
أباه أو أخاه أو كبير عشييرته الا في الاقل وعلى كره من أجل الحياء فيتعهد الحاكم منهم والامراء وتختلف
الايدي على الرعية في الجباية والاحكام فيفسد العمران وينتقض قال الاعرابي الوافد على عبد الملك لما
سأله عن الحجاج وأراد الثناء عليه عنده بحسن السياسة والعمران فقال تركته يظلم وحده وانظر الى ما ملكوه
وتغلبوا عليه من الاوطان من لدن الخلدقة كيف تقوض عمرانه وأقرسا كنهه وبدلت الارض فيه غير
الارض فالين قرارهم خراب الاقلامن الأمصار وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس
اجمع والشام لهذا العهد كذلك وافريقية والمغرب لما جاز اليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة
وتمرسوا بها الثلثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها واعدت بسا ئطه خرابا كلها بعد ان كان ما بين السودان
والبحر الرومي كله عمرانا تشهد بذلك آثار العمران فيه من الما لم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمدائن
والله يرب الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

٢٧ فصل في أن العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة او ولاية أو اثر عظيم من الدين على الجملة
والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحش الذي فيهم اصعب الامم انقيادا بعضهم لبعض للغلظة والانفة وبعد
الهمة والمنافسة في الرياسة فقطما تجتمع أهواؤهم فاذا كان الدين بالنبوة والولاية كان الوازع لهم من
أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك ما يشهلم من الدين
المذهب للغلظة والانفة الوازع عن التحاسد والتنافس فاذا كان فيهم النبي او الولي الذي يبعثهم على
القيام بأمر الله ويذهب عنهم مذمومات الاخلاق ويأخذهم بحجهم وذهاب يؤلف كتابهم لاظهار الحق تم
اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك وهم مع ذلك أسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من
عوج الملكات وبراءتهم من ذميمة الاخلاق الا ما كان من خلق التوحش القريب المعانة المتهمي لقبول
الخير بيقاته على الفطرة الاولى ويعده عما ينطبع في النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات فان كل
مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدم

فصل
يجبوك بها ولكن صيانة جحمتك وصيانة حريمك وحراسة مالك عن البغاة اعم نفعها ان عقلت وليس لله سلطان
الاوقداخذ عليه شرائط العدل ومواثيق الانصاف وشرائع الاحسان وكما انه ليس فوق رتبة السلطان العادل رتبة كذلك ليس دون رتبة

السلطان الشرير الجائر رتبة اشهر برلان شهره يوم كان خيرا الاول يوم وكان بالسلطان العادل تصح البلاد والعباد وتال الزاني الى الله تعالى والقوز بحجة المأوى كذلك بالسلطان الجائر تفسد البلاد والعباد وتقرف المعاصي والا ثم (٩١) وتورث دار البوار وذلك ان السلطان اذا عدل انتشر العدل في

٢٨ * (فصل في ان العرب ابعدا لام عن سياسة الملك) *

رعيته فاقاموا الوزن بالقسط وتعاطوا الحق فيما بينهم ولزموا قوانين العدل فبات الباطل وذهبت رسوم الجور وانتعشت قوانين الحق فارسات السماء غشها واخرجت الارض بركاها وامت تجاراتهم وزادت زرعهم وتناسلت انعامهم ودرت ارزاقهم وورخصت اسعارهم وامتلات اوصيتهم فواسي البخيل وافضل الكريم وقضيت الحقوق واعبرت المواعين وتهادوا فصول الاطعمة والتحف فهان الحطام لكثرة وذل بعد عزته فتماسكت على الناس مروا تهم وانحطقت عليهم اديانهم وبهذاتين الملك ان الوالي ماجور على ما يتعاطاه من اقامة العدل وما جاور على ما يتعاطاه الناس بسببه واذا جاور السلطان انتشر الجور في البلاد وعم العباد ففرقت اديانهم واضمحلت مروا تهم ففشت فيهم المعاصي وذهبت اماناتهم فضعت النفوس وقنطت القلوب فتنعوا الحقوق وتعاطوا الباطل وبخسوا المكيال والميزان وجوزوا

والسبب في ذلك انهم اكثر بدواعة من سائر الامم وابعدا مجالا في القفر واغنى عن حاجات النول وحبو بها لاعتيادهم الشطف وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقياد بعضهم لبعض لا يلا ففهم ذلك ولان وحش ورثتهم محتاج اليهم غالب العصبية التي بها المدافعة فكان مضطرا الى احسان ملكتهم وترك مرانهم لئلا يختل عليه شأن عصبية فيكون فيها هلاكه وهلاكهم وسياسة الملك والسلطان تقتضي ان يكون السائس وازعما بالقهر والالتم تستقم سياسته وايضا فان من طبيعتهم كما قدمناه اخذ ما في ايدي الناس خاصة والتجافي عما سوى ذلك من الاحكام بينهم ودفاع بعضهم عن بعض فاذا ملكوا امة من الامم جعلوا غاية ملكهم الانتفاع باخذ ما في ايديهم وتر كوا ما سوى ذلك من الاحكام بينهم ورما جعلوا العقوبات على المقاسد في الاموال حرصا على تكثير الجبايات وتخصيل الفوائد فلا يكون ذلك واذا جاور بما يكون باعنا بحسب الاغراض الباعثة على المقاسد واستهانة ما يعطى من ماله في جانب غرضه فنتم والمقاسد بذلك ويقع تخريب العمران فتبقى تلك الامة كانهما فوضى مستطيلة ايدي بعضها على بعض فلا يستقيم لها عمران وتخرب سر يعاشان القوضى كما قدمناه فبعثت طباع العرب لذلك كله عن سياسة الملك وانما يصيرون اليها بعد انقلاب طباعهم وتبدلها بصيغة دينية محمدا ذلك منهم وتجعل الوازع لهم من انفسهم وتحميهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض كما ذكرناه واعتبر ذلك بدواتهم في الملة الماشية بدلهم الدين امر السياسة بالشرعية واحكامها المراعية لمصالح العمران ظاهر او باطنا وتتابع فيها الخلفاء عظم حينئذ ملكهم وقوى سلطانهم كان رستم اذا راى المسلمين يجتمعون للصلاة يقول اكل عمر كبدي يعلم الكلاب الا تادب ثم انهم بعد ذلك انقطعت منهم عن الدولة اجيال بن ذوالدين فنسوا السياسة ورجعوا الى قفرهم وجهلوا شأن عصبيتهم مع اهل الدولة بعدهم عن الانقياد واعطاء النصفه فتوحشوا كما كانوا ولم يبق لهم من اسم الملك الا أنهم من جنس الخلفاء ومن جيلهم وما ذهب امر الخلافة وانحى رسمها انقطع الامر جلة من ايديهم وغلب عليهم العجم دونهم واقاموا بادية في قفارهم لا يعرفون الملك ولا سياسته بل قد يجهل الكثير منهم انهم قد كان لهم ملك في القديم وما كان في القديم لاحد من الامم في الخلدية ما كان لاجيالهم من الملك ودول عادو وودو العمالق وجير والنبابعة شاهدة بذلك ثم دولة مضر في الاسلام بنى امة وبنى العباس لكن بعد عهدهم بالسياسة لسانوا الدين فرجعوا الى اصلهم من البدواعة وقد يحصل لهم في بعض الاحيان غلب على الدول المستضعفة كافي المغرب لهذا العهد فلا يكون ماله وغايتة الاتخريب ما يستولون عليه من العمران كما قدمناه والله يتولى ملكه من يشاء

٢٩ * (فصل في ان البوادي من القبائل والعصائب مغلوبون لاهل الامصار) *

قد تقدم لنا ان عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر والامصار لان الامور الضرورية في العمران ليس كلها موجودة لاهل البادية وانما توجد لديهم في مواطنهم امور الفلح وموادهم معدومة ومعظم الصنائع فلا توجد لديهم بالكلية من تجار وخياط وحداد واثقال ذلك مما يقيم لهم ضروريات معاشهم في الفلح وغيره وكذا الدنانير والدرهم موقودة لديهم وانما يابا يديهم اعواضها من مغل الزراعة واعيان الحيوان او فضلاته الباننا وباراوا شعارا واهابا مما يحتاج اليه اهل الامصار فموضوعهم عنه بالدنانير والدرهم الا ان حاجتهم الى الامصار في الضرورى وحاجة اهل الامصار اليهم في الحاجى والسكالى فهم محتاجون الى الامصار بطبيعة وجودهم فنادما في البادية ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء على الامصار فهم محتاجون الى اهلها

البرج فرفعت منهم البركة وامسكت السماء غشها ولم تخرج الارض ريعها ونباتها فقل في ايديهم الحطام فتنطوا وامسكوا الفضل الموجود وتاخروا عن المقود فتنعوا الزكوات المفروضة ويخجلوا باساسة المستونة وقبضوا ايديهم عن الميكرم وتنازعوا المقدر اللطيف

وتجاهدوا القدر المحسن ففشت فيهم الايمان الكاذبة والمختل في البيع والمخداع في المعاملة والمكروا الحيلة في القضاء والاقتضاء ولا يمنعه من السرعة الا العار ومن (٩٢) الزنا الا الحياء فيظل احدهم عاريا عن محاسن دينه ومبجرا دعان جبابره وآته واكثر

همه قوت دنياه اعظم مسرته من هذا المحطام ومن عاش كذلك فبطن الارض خير له من ظاهرها (قال) وهب بن منبه اذا هم الولى بالجور او عمل به ادخل الله النقص في اهل مملكته في الاسواق والزرع والضرع وكل شئ واذا هم بالخير والعدل او عمل به ادخل الله البركة في اهل مملكته كذلك وقال عمر بن عبدالعزيز يزهلك العامة بعمل الخاصة ولا تهلك الخاصة بعمل العامة والخاصة هم الولاة وفي هذا المعنى قال الله سبحانه واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة (وقال) الوليد بن هشام ان الرعية لتفسد بقساد الولى وتصلح بصلاحه (وقال) سفيان الثوري لاني جعفر المنصور راني لاعلم رجلا ان صلح صلحت الامة قال ومن هو قال انت (وقال) ابن عباس ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته مستخفيا فنزل على رجل له بقرة فراحته البقرة فخلبت له قدر حلاب ثلاثين بقرة فعجب الملك لذلك وحدث نفسه باخذها فلما راحته عليه من القدر خلبت على النصف مما

ويتصرفون في مصالحهم وطاعتهم متى دعوههم الى ذلك وطالبوهم به وان كان في مصر ملك كان خضوعهم وطاعتهم لغلب الملك وان لم يكن في مصر ملك فلا يذفقه من رياسة ونوع استبداده من بعض اهله على الباقيين والا انتقص عمرانه وذلك الرئيس يحملهم على طاعته والسعي في مصالحه اماطوا عابذ الممال لهم ثم يبدى لهم ما يحتاجون اليه من الضروريات في مصره فيستقيم عمرانهم واما كرها ان تمت قدرته على ذلك ولو بالتغريب بينهم حتى يحصل له جانب منهم يغالب به الباقيين فيضطر الباقيين الى طاعته بما يتوقعون لذلك من فساد عمرانهم وربما لا يسعهم مفارقة تلك النواحي الى جهات اخرى لان كل الجهات معمور بالبدو والذين غلبوا عليهم او منعواهم من غيرهم فلا يجدهم ولا يهملوا اطاعة المصرفهم بالضرورة مغلوبون لاهل الامصار والله قاهر فوق عباده وهو الواحد الاحد القهار

الفصل الثالث من السكيب الاول في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه قواعد ومتممات

١ * (فصل في ان الملك والدولة العامة انما يحصل بالقبيل والعصبية)

وذلك انما قررنا في الفصل الاول ان المغالبة والممانعة انما تكون بالعصبية كما فيمن النقرة والتذامر واستماتة كل واحد منهم دون صاحبه ثم ان الملك منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والاذنفسانية فيقع فيه التنافس غالبا وقل ان يسلمه احد لصاحبه الا اذا غلب عليه فتقع المنازعة وتفضى الى الحرب والقتال والمغالبة وشئ منها لا يقع الا بالعصبية كما ذكرناه آنفا وهذا الامر بعيد عن افهام الجهور بالجملة ومناسون له لانهم نسوا عهد تمهد الدولة منذ اولها وطال امد مرباهم في الحضارة وتواقهم فيها جيل بعد جيل فلا يعرفون مافعل الله اول الدولة انما يدركون اصحاب الدولة وقد استحكمت صبغتهم ووقع التسليم لهم والاستغناء عن العصبية في تمهيد امرهم ولا يعرفون كيف كان الامر من اوله ومالقي اولهم من المتاعب دونه وخصوصا اهل الاندلس في نسيان هذه العصبية واثرها اطول الامد واستغنائهم في الغالب عن قوة العصبية بما تلالشى وطنهم وخلامن العصائب والله قادر على ما يشاء وهو بكل شئ عليم وهو حسبنا ونعم الوكيل

٢ * (فصل في انه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغنى عن العصبية)

والسبب في ذلك ان الدول العامة في اولها يصعب على النفوس الانقياد لها الا بقوة قوية من الغلب للقرابة وان الناس لم بالقوام ملكها ولا اعتادوه فاذا استقرت الرياسة في اهل النصاب لخصوص بالملك في الدولة وتوارثوه واحدا بعد آخر في اعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسبت النفوس شأن الولاية واستحكمت لاهل ذلك النصاب صبغة الرياسة ورشح في العقائد دين الانقياد لهم والتسليم وقاتل الناس معهم على امرهم قتالهم على العقائد الايمانية فلم يحتاجوا حينئذ في امرهم الى كبير عصابه بل كان طاعتها كتاب الله لا يبدل ولا يعلم خلافه ولا امر ما يوضع الكلام في الامامة آخر الكلام على العقائد الايمانية كانه من جملة عقودها ويكون استظهارهم حينئذ على سلطانهم ودولتهم لخصوصا ما بالموالى والمصطنعين الذين نشؤوا في ظل العصبية وغيرها واما بالعصائب الحارجين عن نسبها الداخليين في ولايتها ومثل هذا وقع لبنى العباس فان عصبية العرب كانت فسدت لعهد دولة المعتصم وابنه الواثق واستظهارهم بعد ذلك انما كان بالموالى من العجم والترك والديلم والسجوقية وغيرهم ثم تغلب العجم الاولياء على النواحي وتغلب ظل الدولة فلم تكن تعدوا اعمال بغداد حتى زحف اليها الديلم وملكوها واورا الخلائق في حكمهم ثم انقرض

جلبت بالامس فقال له الملك ما بال حلابها نقص اذعت في غير مرعاها بالامس قال لا وليكن اظن ما ملككم باخذها امرهم فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم اوهم بالظلم ذهب البركة فعاهد الملك الله سبحانه في نفسه ان لا يأخذها فراحته من القدر فخلبت حلاب

ثلاثين بقرة فتأب الملك وعاهد زبه لاعدلان ما بقيت ومن المشهور في ارض المغرب ان السلطان بلغه ان امرأة لها حديدية فيها القصب
المحو وان قصبة منها تصير قد حاف عزم على اخذها منها ثم اتاها وسألها عن ذلك (٩٣) فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة فلم

تبلغ نصف قدح فقال لها
ابن الذي كان يقال فقالت
هو الذي بلغك الان
يكون السلطان قد عزم
على اخذها مني فارتفعت
بركتها فتأب السلطان
واخلص لله نفسه ان لا
ياخذها ابدا ثم امرها
فصصرت فخا عمل القدح
وحدثني بعض الشيوخ
عن كان يروي الاخبار
بمصر قال كان بصعيد مصر
نخلة تحمل عشرة اراد
تمرا ولم يكن في الزمان نخلة
تحمّل نصف ذلك فغصبها
السلطان فلم تحمّل في ذلك
العام شيئا ولا ثمرة واحدة
(قال) شيخنا رحمه الله قال
لي شيخ من اشياخ الصعيد
اعرف هذه النخلة في
الغربية تتجني عشرة اراد
ستين و يمة وكان صاحبها
يبيعها في سنين الغلاء كل
ويمة بدينار (قال) الشيخ
رضي الله عنه وشهدت انا
بالاسكندرية والصيدق
الخليج مطلقا لرعية
والسملك فيه يغلي الماء به
كثرة ويصيده الاطفال
بالخرق ثم حججه الوالى
ومنع الناس من صيده
فذهب السملك حتى لا يكاد
يرى فيه الا الواحدة الى
يومنا هذا وهكذا تعدي

امرهم وملك السلجوقية من بعدهم فصاروا في حكمهم ثم انقرض امرهم وزحف آخر التارفة لولا الخليفة
ومحو اسم الدولة وكذا صنهاجة بالمغرب فسدت عصبيتهم منذ المائة الخامسة او ما قبلها واستمرت لهم
الدولة منقصة الظل بالمهدية وبجاية والقلعة وسائر ثغور افریقیة وربما انتزى بتلك الثغور من نازعهم
الملك واعتصم فيها والسلطان والملك مع ذلك مسلم لهم حتى تأذن الله بانقرض الدولة وجاء الموحدون بقوة
قوية من العصبية في المصامدة فمحو آثارهم وكذا دولة بني أمية بالاندلس لما فسدت عصبيتها من العرب
استولى ملوك الطوائف على أمرها وقتلوا وخطبوا وفسدوا بينهم وتوزعوا على الدولة وانتزى كل
واحد منهم على ما كان في ولايته وشمخ بانقعه وبلغهم شأن العجم مع الدولة العباسية فلقبوا بالقبائل
وليسوا اشارته وأمنوا من ينقض ذلك عليهم او يعيره لان الاندلس ليس بدار عصاب ولا قبائل كما سذكه
واستمر لهم ذلك كما قال ابن شرف

ما يزيد في ارض اندلس * أسماء معتصم فيها ومعتصد

القبائل مملكة في غير موضعها * كالمركبكي انتفاخ صورة الاسد

فاستظهر واعلى أمرهم بالموالى والمصطنعين والطرائع على الاندلس من أهل العدو من قبائل البربر وزناتة
وغيرهم اقتداء بالدولة في آخر أمرها في الاستظهار بهم حين ضعفت عصبية العرب واستبد ابن أبي عامر على
الدولة فكان لهم دول عظيمة استبد كل واحد منها بجانب من الاندلس وحظ كبير من الملك على نسبة
الدولة التي اقتسموها ولم يزالوا في سلطانهم ذلك حتى جاز اليهم البحر المرابطون أهل العصبية القوية من
المثونة فاستبدلوا بهم وأزالوهم عن مراكزهم ومحو آثارهم ولم يقدر رواعى مدافعهم لفقدان العصبية لديهم
فبهذه العصبية يكون تمهيد الدولة وحمايتهم من أولها وقد ظن الطرطوشى أن حامية الدولة باطلاقهم
المخند أهل العطاء المفروض مع الأهلة ذلك في كتابه الذى سماه سراج الملوك وكلامه لا يتناول
تأسيس الدول العامة في أولها وانما هو مخصوص بالدول الأخيرة بعد التمهيد واستقرار الملك في النصاب
واستحكام الصبغة لاهله فالرجل انما ادرك الدولة عندهم ما هو خلق جدها ورجوعها الى الاستظهار
بالموالى والصنائع ثم الى المستخدمين من ورائهم بالاجر على المدافعة فانه انما ادرك دول الطوائف وذلك
عند اختلال دولة بني أمية وانقرض عصبيتها من العرب واستبداد كل أمير بقطره وكان في ايلة المستعین
ابن هود وبنه المظفر أهل سرقسطة ولم يكن بقي لهم من أمر العصبية شئ لا سبيل الترف على العرب منذ
ثلثمائة من السنين وهلاكهم ولم ير الاسلطان استبداد الملك عن عشائره قد استحكمت له صبغة الاستبداد
منذ عهد الدولة وبقية العصبية فهو لذلك لا ينسازع فيه ويستعین على امره بالاجراء من المرتزقة فأطلق
الطرطوشى القول في ذلك ولم ينقطن لكيفية الامر منذ أول الدولة وأنه لا يتم الا لاهل العصبية فقط
انت له وافهم شر الله فيه والله يؤتى ملكه من يشاء

٣ * (فصل في أنه قد يحدث لبعض أهل النصاب المسمى دولة تستغنى عن العصبية) *

وذلك انه اذا كان لعصبية غالب كثير على الامم والاجيال وفي نفوس القاطنين بامرهم من أهل القاصية اذعان
لهم وانقياد فاذا نزع اليهم هذا الخارج وانبتذعن مقر ملكه ومنبت عزه اشتملوا عليه وقاموا بامرهم وظاهروه
على شأنه وعنوا بتمهيد دولته برجون استقراره في نصابه وتناوله الامر من يد أعباضه وجزاه لهم على
مظاهرة باصطفاقهم لرب الملك وخطه من وزارة او قيادة او ولاية تغرولا يطعمون في مشار كنه في شئ
من سلطانه تسليم العصبية وانقياد الماستحکم له ولقومه من صبغة الغلب في العالم وعقيدة ايمانية

سراثر الملوك وعزائمهم ومكون ضمائرهم الى الرعية ان خير الخيرة وان شرافتر (وروى) اصحاب التواريخ في كتبهم قالوا كان الناس
اذا اصبحوا في زمان الحجاج يتلاقون يتساءلون من قتل البارحة ومن صاب ومن جلد ومن قطع وامثال ذلك وكان الوليد صاحب ضياع

واتخاذهم انفع فكان الناس يتساءلون في زمانه عن البنيان والصانع والضياح وشق الانهار وغرس الاشجار وما لى سليمان بن عبد الملك وكان صاحب نكاح (٩٤) وطعام فكان الناس يتحدثون في الاطعمة الدقيقة ويتوسعون في الانكحة والسراى

استقرت في الاذعان لهم فلوراهم واهامه اودونه لزلزال الارض فزلها وهذا كما وقع للادارسة بالمغرب الاقصى والعبيدين بافر يقية ومصر لما اتبذ الطالبيون من المشرق الى القاصية وابتهعدوا عن مقر الخلافة وسما الى طلبها من ايدى بنى العباس بعد ان استحكمت الصبغة لبني عبد مناف لبني امية اولاً ثم لبني هاشم من بعدهم فخرجوا بالقاصية من المغرب ودعوا لانفسهم وقام بامرهم البرابرة مرة بعد اخرى فأوربة ومغيلة للادارسة وكامة وصناجة وهوارة للعبيدين فشدوا دولتهم ومهدوا بعصائبهم امرهم واقتطعوا من ممالك العباسيين المغرب كله ثم افر يقية ولم يزل ظل الدولة يتقلص وظل العبيدين يمتد الى أن ملكوا مصر والشام والحجاز وقاسمهم في الممالك الاثنية شق الابلية وهو لاء البرابرة القائلون بالدولة مع ذلك كلهم مسلمون للعبيدين امرهم مذعنون للملكهم وانما كانوا يئنافون في الرتبة عندهم خاصة تسليماً لما حصل من صبغة الملك لبني هاشم ولما استحكمت من الغلب لقر يش ومضم على سائر الامم فلم يزل الملك في اعقابهم الى أن انقرضت دولة العرب باسرها والله يحكم لامعقب لحكمه

٤ (فصل في أن الدول العامة الاستلاء العظيمة المملك اصلها الدين امامن نبوة او دعوة حق)

وذلك لان الملك انما يحصل بالغلب والتغلب انما يكون بالعصبة وانفاق الالهواء على المطالبة وجمع القلوب وتأليفها انما يكون بدعوة من الله في اقامة دينه قال تعالى لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم وسره ان القلوب اذا تداعت الى اهواء الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف واذا انصرفت الى الحق ورفضت الدنيا والباطل واقبلت على الله تحددت وجهتها فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد واتسع نطاق الحكامة لذلك فعظمت الدولة كما تبين لك بعد ان شاء الله سبحانه وتعالى وبه التوفيق لا رب سواه

٥ (فصل في ان الدعوة الدينية تزييد الدولة في اصلها قوة على قوة العصبة التي كانت لها من عدد)

السبب في ذلك كما قدمناه ان الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في اهل العصبة وتفرد الوجهة الى الحق فاذا حصل لهم الاستبصار في امرهم لم يقف لهم شئ لان الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم وهم مستتمتون عليه واهل الدولة التي هم طالبوها وان كانوا اضعافهم فاعراضهم متباينة بالباطل وتحاذلهم لتقية الموت حاصل فلا يقاومونهم وان كانوا اكثر منهم بل يغلبون عليهم ويعاجلهم القناء بما فيهم من الترف والذل كما قدمناه وهذا كما وقع للعرب صدر الاسلام في الفتوحات فكانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعا وثلاثين ألفا في كل معسكر وجوع فارس مائة وعشرين ألفا بالقادسية وجوع هرقل على ما قاله الواقدي اربعمائة ألف فلم يقف للعرب احد من الجانيين وهزمهم وغلبوهم على ما بابا يديهم واعتبر ذلك ايضا في دولة لمتونة ودولة الموحدين فقد كان بالمغرب من القبائل كثير ممن يقاومهم في العدد والعصبة او يشف عليهم الا ان الاجتماع الديني ضاعف قوة عصبيتهم بالاسبصار والاستماتة كما قلناه فلم يقف لهم شئ واعتبر ذلك اذا حالت صبغة الدين وفسدت كنهه ينتقض الامر بصير الغلب على نسبة العصبة وحدها دون زيادة الدين فتغلب الدولة من كان تحت يدها من العصاب المكافحة لها او الزائدة القوة عليها الذين غلبتهم فصاعقة الدين لقتها ولو كانوا اكثر عصبة منها واشد بدوة واعتبر هذا في الموحدين مع زناتة لما كانت زناتة ابدي من المصامدة واشد توخشا وكان للمصامدة الدعوة الدينية باتباع المهدي فليسوا بصعنا وتضاعفت قوة عصبيتهم بها فغلبوا على زناتة والا واستبجعوهم وان كانوا امن حيث العصبة والبدوة اشد منهم فلا خلوا عن تلك الصبغة الدينية انتقضت

ويعرون بحالهم يذكرك ذلك وما لى عمر بن عبد العزيز كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكوردك في كل ليلة وكبحفظ فلان ومتى يختم وكمتصوم من الشهر وامثال ذلك (الباب السادس في ان السلطان مع رعيته مغبون غير غابن وخاسر غير اعلم والرشد كالله ان السلطان خطر عظيم وبيئته عامة وقد ينظره من الافات ويحتوشه من الامور المملكات ما يجب على كل ذي لب ان يستعين بالله مما حمله ويشكره على ما عصفه لا تهمد أفره ولا تسكن خواطره ولا يصفو قلبه ولا يستقر له الخلق في شغل عنه وهو مشغول بهم والرجل يخاف عدوا واحدا وهو يخاف ألف عدو والرجل يضيق بتدبير اهل بيته وانا له ضيعته وتقدير معيشته وهو مدفوع لسياسة جميع اهل ملكته وكما ارتق فتقامن حواشي ملكته انفق آخروكلها وم منها عشرات آخروكلها فعدوا ارضه له اعداء

الى سائر ما يعانينه من اخلاق الناس ويقاسيه من خصوماته ونصب الولاة والقضاء وبعث الجيوش وسد الثغور واستجباء الاموال ودفع المظالم ثم من الحب المحاب ان له نفسا واحدة وانه يرزأ من الدنيا قوتها كما يرزأ اجدادها بما يسأل عنه داعين عليهم

جميعهم ولا يسألون عنه في الله وباللعيب من رجل رضى ان ينال رغبته ويحاسب منها على آلاف آلاف رقيق ويا كل في معي واحد
ويحاسب على آلاف آلاف معي ويستمتع بنفس واحدة ويحاسب على آلاف (٩٥) آلاف من الانفس وعلى هذا النمط

عليهم زناة من كل جانب وغلبوهم على الامور واتزعوهم منهم والله غالب على امره

٦ * (فصل في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم) *

وهذا لما قدمناه من ان كل امر يحمله عليه الكافة فلا بد له من العصبية وفي الحديث الصحيح كما مر بابعث
الله نبيا الا في منعة من قومه واذا كان هذا في الانبياء وهم اولى الناس بحرق العوائد فما ظنك بغيرهم
ان لا تحرق له العادة في الغلب بغير عصبية وقد وقع هذا لابن قسي شيخ الصوفية وصاحب كتاب خلع
النعلين في التصوف نار بالاندلس داعيا الى الحق وسمى اصحابه بالمرابطين قبيل دعوة المهدي فاستتب له
الامر قليلا لشغل المتونة بمادهم من امر الموحدون ولم تكن هناك عصائب ولا قبائل يدفونه من شأنه
فلم يلبث حين اسست ولي الموحدون على المغرب ان اذعن لهم ودخل في دعوتهم وتابوا بهم من معقله بخصن
اركش وامكنهم من ثغره وكان اول داعية لهم بالاندلس وكانت ثورته تسمى ثورة المرابطين ومن هذا الباب
احوال الثوار القاتلين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فان كثير امن المنتحلين للعبادة وسلوك طرق الدين
يذهبون الى القيام على اهل الجور من الامراء داعين الى تغيير المنكر والنهي عنه والامر بالمعروف ورجاء في
الثواب عليه من الله فيكثر اتباعهم والمتشدون بهم من الغوغاء والدهماء يعرضون انفسهم في ذلك
للمهالك واكثرهم يهلكون في تلك السبيل مأزورين غير مأجورين لان الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم
وانما امر به حيث تكون القدرة عليه قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع فبقلمه وحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزها ويهدم بناءها الا المطالبة
القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه ومكزا كان حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام
في دعوتهم الى الله بالعشائر والعصائب وهم المأجورون من الله بالكون كما لو شاء ولكنه انما اجري الامور
على مستقر العادة والله حكيم عليم فاذا ذهب احد من الناس هذا المذهب وكان فيه محققا قصر به الانفراد
عن العصبية فطاح في هوة الهلاك واما ان كان من المتلبسين بذلك في طلب الرياسة فاجدر ان تعرفه
العوائق وتقطع به المهالك لانه امر الله لا يتم الا برضاه واعانتة والاخلاص له والنصيحة للمسلمين ولا يشك
في ذلك مسلم ولا يرتاب فيه ذو بصيرة واول ابتداء هذه النزعة في الملة ببغداد حين وقعت فتنة ظاهر وقتل
الامين وابطال المأمون بخراسان عن مقدم العراق ثم عهد لابي بن موسى الرضا من آل الحسين فكشف بنو
العباس عن وجه التكبير عليه وتداولوا للقيام وخلق طاعة المأمون والاسستبدال منه وبيع ابراهيم بن
المهدي فوق الهرج ببغداد وانطلقت ايدي الزعرة بهامن الشطار والحريبة على اهل العافية والصون
وقطعوا السبيل وامتلأت ايديهم من نهاب الناس وباعوها علانية في الاسواق واستعدى اهلها الحكام
فلم يدعواهم فتواقر اهل الدين والصالح على منع الفساق وكف عاديتهم وقام ببغداد رجل يعرف بخالد
الدرديوس ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاجابه خلق وقاتل اهل الزعرة فغلبهم واطلق
يده فيهم بالضرب والتنكيل ثم قام من بعده رجل آخر من سواد اهل بغداد يعرف بسهل بن سلامة
الانصاري ويكنى اباحاتم وعاق مصحفا في عنقه ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل
بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فاتبه كافة الناس من بين شريف ووضيع من بني هاشم فمن
ذوهم ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد ومنع كل من اخاف المسارعة ومنع الخفاوة لا واثمك
السطار وقال له خالد الدرديوس اننا لا اعيب على السلطان فقال له سهل لكني اقاتل كل من خالف الكتاب
والسنة كاذبا من كان وذلك سنة احدي ومائتين وجهز له ابراهيم بن المهدي العساكر فغلبه واسره وانحل

في جميع احواله يحمل
انقلهم ويريح اسرارهم
ويجاهد عدوهم ويسد
ثغورهم ويدافع مناوئهم
ومناصيهم ويعصى ربه
فيهم ويخالف امره ويركب
نهبه من اجلهم ويقتم
جرائم جهنم على بصيرة فيهم
ثم تجدهم له قائلين وعنه غير
راضين ولولا ان الله تعالى
يحول بين المرء وقلبه لم
يرض عاقل بهذه منزلة ولا
اخترها ليدب مرتبة وكل
ما ذكرته في هذا الباب
احكمه النبي عليه
السلام في كلمة فقال
مالك ولا مراثي لستم صفو
امرهم وعلينم كدره ومثال
السلطان مع الرعية
كالصباح مع الاكله العناء
ولهم المناء وله الحار ولهم القار
طلب لقومه الراحة ففضل
على النعب وطلب لهم النعيم
فاخطا الصراط المستقيم
وعن هذا قالوا سيد القوم
اشقاهم وفي الحديث ساق
القوم آخرهم شر باو كان
بعض سلاطين المغرب يستمر
يوما وبين يديه الوزراء اذ
نظر الى جماعة من التجار
فقال لو زيره التحبان
اريت ثلاث طوائف
طائفة لهم الدنيا والاخرة
وطائفة لا دنيا ولا آخرة

وطائفة دنيا بلا آخرة قال وكيف ذلك ايها الملك فقال الذين لهم الدنيا والاخرة فهو لاء التجار يكسبون اقواتهم ويصلون صلاتهم ولا
يؤذون احدا واما الذين لا دنيا ولا آخرة فهو لاء السمرط والخدمة الذين بين ايدينا واما الذين لهم دنيا بلا آخرة فاننا وانما سائر السلاطين

فحق على جميع الوري أن يدوا السلطان بالمناصحات ويخضوه بالدعوات ويعينوه على سائر المحاولات ويكونوا له أعيانا ناظرة وأيديا

هذا قال بعض السلاطين
يوما لصاحبه اعلموا ان
السلطان والخدمة لا يجتمعان
(قال) شيخنا رحمه الله
وحدثني رجل له قدر قال
أرسل الى السلطان ان
طلق امرأتك وكان قد
أرادها لبعض أصحابه
فايبت ذلك وراجعت
الرسول غير مرة فقال لي ناصح
منهم خذ الامر مقبلا فانه لا
حيلة لك فان السلطان لا
يخاف في الدنيا عار ولا في
الآخرة نار افقرقتها
(وروي) عن عبد الملك
ابن مروان انه لما ولي
الخلافة أخذ المحضف
فوضعه في حجره ثم قال هذا
فراق بيني وبينك ولما حج
هرون الرشيد لقيه عبد
الله العمري في الطواف
فقال له باهر ون قال لبيك
يا عم قال كم ترى ههنا من
الحاق قال لا يحصيهم الا
الله فقال اعلم أيها الرجل
ان كل واحد منهم يسأل
عن خاصة نفسه وانت واحد
تسأل عنهم كلهم فانظر
كيف تكون فيكي هرون
وجلس في عملوا يعطونه
منديلا منديلا للموع
ثم قال له والله ان الرجل
لديسرع في مال نفسه فيستحق
الجحيم عليه فكيف بمن أسرع

أمره سرعا وذهب ونجا بنفسه ثم اقتدى بهذا العمل بعد كثير من الموسوسين يأخذون أنفسهم بإقامة الحق
ولا يعرفون ما يحتاجون اليه في إقامته من العصبية ولا يشعرون بمغربة أمرهم وما آل احوالهم والذي
يحتاج اليه في أمره ولا ما المداواة ان كانوا من أهل الجنون وأما التنكيل بالقتل او الضرب ان أحد ثوا
هرجا واما اذا عـة السخرية منهم وعددهم من جملة الصفا عين وقد ينسب بعضهم الى الفاطمي المنتظرا ما
بأنه هو او بأنه داع له وليس مع ذلك على علم من أمر الفاطمي ولا ما هو أو أكثر المنتخين لمثل هذا تجدهم
موسوسين أو مجانين أو ملبسين يطلبون بمثل هذه الدعوة رياسة امتلا ت بها جوا ونحهم وعجزوا عن
التوصل اليها بشيء من أسبابها العادية فيحسبون ان هذا من الأسباب البالغة بهم الى ما يؤملونه من ذلك
ولا يحسبون ما ينالهم فيه من الهلكة فيسرع اليهم القتل بما يجدونه من الفتنة وتسوء عاقبة مكرهم وقد
كان لأول هذه المسألة خرج بالسوس رجل من المتصوفة يدعى التو بذري عمـد الى مسجد ماسية بساحل
البحر هنالك وزعم أنه الفاطمي المنتظر تلبس على العامة هنالك بملا قلوبهم من الحد ثان بانظاره
هنالك وان من ذلك المسجد يكون أصل دعوته فتهافتت عليه طوائف من عامة البر مرتهاقت القراش
ثم خشي رؤسائهم اتساع نطاق الفتنة فسدس اليه كبير المصامدة يومئذ عمر السكسـبيوى من قتله في فراشه
وكذلك خرج في غمارة أيضا لأول هذه المسألة رجل يعرف بالعباس وادعى مثل هذه الدعوة واتبع نعيقه
الارذلون من سقهاء تلك القبائل وغمارهم وزحف الى بادس من أمصارهم ودخلها عنوة ثم قتل لاربعين
يوما من ظهر ودعوته ومضى في الهالكين الأولين وأمثال ذلك كثير والغلط فيه من الغلبة عن اعتبار
العصبية في مثلها أو امان كان التلبس فأحرى أن لا يتم له امر وان يدومهاـة وذلك جزاء الظالمين والله
سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لا زب غيره ولا معبود سواه

v (فصل في أن كل دولة لها حصة من الممالك والأوطان لا تزيد عليها)

والسبب في ذلك أن عصابة الدولة وقومها القائمين بها المهدي لها لا بد من توزيعهم حصصا على الممالك
والثغور التي تصير اليهم ويستولون عليها الحيا يتهم من العدو وامضاء احكام الدولة فيها من جباية ووردع وغير
ذلك فاذا توزعت العصائب كاهم على الثغور والممالك فلا بد من نقاد عددهم وقد بلغت الممالك حينئذ
الى حد يكون ثغر للدولة وتحملها ونطاقا لمرکز مـلكها فان تكلفت الدولة بعد ذلك زيادة على
ما يدها بقي دون حامية وكان موضع الانتهاز الفرصة من العدو والجواررو يعود وبال ذلك على الدولة بما
يكون فيه من التجاسر وخرق سياج الهيبة وما كانت العصابة موفورة ولم ينفد عددها في توزيع الحصص
على الثغور والنواحي بقي في الدولة قوة على تناول ما وراء الغاية حتى ينفتح نطاقها الى غايتها والعلة
الطبيعية في ذلك هي قوة العصبية من سائر القوى الطبيعية وكل قوة يصدر عنها فعل من الافعال فشاؤها
ذلك في فعلها والدولة في مركزها شديدا يكون في الطرف والنطاق واذا انتهت الى النطاق الذي هو الغاية
عجزت وأقصرت عما وراءه شأن الاشعة والانوار اذا انبعثت من المراكز والدوائر المنفصلة على سطح الماء
من القرص عليه ثم اذا ادركها الهرم والضعف فانتما تأخذ في التناقص من جهة الاطراف ولا يزال المركز
محفوظا الى أن ينأذن الله بانقراض الامرجلة فينتد يكون انقراض المركز واذا غلب على الدولة من مركزها
فلا ينفعها بقاء الاطراف والنطاق بل تضحل لوقتها فان المركز كالقلب الذي تنبعث منه الروح فاذا غلب
القلب ومالك انهزم جميع الاطراف وانظر هذا في الدولة الفارسية كان مركزها المدائن فلما غلب المسلمون
على المدائن انقراض أمرفارس اجمع ولم يقع بزجر مدائني بيده من اطراف مـالكه وبالعكس من ذلك

الدولة في مال المسلمين ويقال ان هرون كان يقول والله اني أحب ان أسج كل سنة وما ينبغي الأرجل من ولد عمر يعني ما ذكره وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب القديمة يقول الله تعالى من أسجق من السلطان ومن أجهل من عصاني

ومن أعز من اعتبرني يا راعي السوء دفعت اليك غنما سمنا صحاحا فاكات اللحم وشريت الدين وائتت خدمت بالهن ولبست الصوف
وتركتها عظاما تقع ولم تأواضالة ولم تحبب الكسير اليوم انتقم لها منك (٧٩) * (الباب السابع في بيان الحكمة في كون

السلطان في الارض) *
اعلموا ارشدكم الله ان في
وجود السلطان في الارض
حكمة لله تعالى عظيمة
ونعمة على العباد خريفة
لان الله سبحانه جبل الخلق
على حب الانصاف وعدم
الانصاف ومثلهم بلا
سلطان مثل الخيتان في
البحر يزدرد الكبير الصغير
فتي لم يكن لهم سلطان قاهر
لم ينتظم لهم امر ولم يستقم لهم
معاش ولم يهتوا بالحياة
ولهذا قال بعض القدماء
لورفع السلطان من الارض
ما كان لله في اهل الارض
من حاجة ومن الحكم التي
في اقامة السلطان انه من
حجج الله تعالى على وجوده
سبحانه ومن علاماته على
توجيهه لانه كما لا يمكن
استقامة امور العالم
واعتداله بغير مدبر يتفرد
بتدبيره كذلك لا يتوهم
وجوده وترتيبه وما فيه
من الحكمة ودقائق
الصنعة بغير خالق خلقه
وعالم اتقنه وحكيم دبره
وكما لا يستقيم سلطانان في
بلد واحد لا يستقيم الهان
للعالم والعالم باسره في سلطان
الله تعالى كابلد الواحد
في يد سلطان الارض ولهذا
قال علي بن ابي طالب

الدولة الرومية بالشام لما كان مركزها القسطنطينية وغلبهم المسلمون بالشام تحيروا الى مركزهم بالقسطنطينية
ولم يضرهم انتزاع الشام من ايديهم فلم ينزل ملكهم منصلا لاهالي ان تاذن الله بانقرضه وانظرا ايضا شأن
العرب اول الاسلام لما كانت عصائبهم موفورة كيف غلبوا على ما جاورهم من الشام والعراق ومصر
لاسرع وقت ثم تجاوزوا ذلك الى ما وراءه من الهند والحشة وافر يقية والمغرب ثم الى الاندلس فلما
تفرقوا حصصا على الممالك والثغور ونزلوها حامية ونفذ عددهم في تلك التوزعات اقصروا عن الفتوحات
بعد وانتهى امر الاسلام ولم يتجاوز تلك الحدود ومنها تراجت الدولة حتى تاذن الله بانقرضها وكذا كان
حال الدول من بعد ذلك كل دولة على نسبة القائلين بها في القلة والكثرة وعند نقاد عددهم بالتوزيع
ينقطع لهم الفتح والاستيلاء سنة الله في خلقه

٨ * (فصل في ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على نسبة القائلين بها في القلة والكثرة) *

والسبب في ذلك ان الملك انما يكون بالعصبة واهل العصبة هم المحامية الذين ينزلون بممالك الدولة
واقطارها وينقسمون عليهم فلما كان من الدولة العامة قبيلها واهل عصابتها اكثر كانت اقوى واكثر
ممالكها واطنانا وكان ملكها اوسع لذلك واعتد بالملك بالدولة لاسلامية لما الف الله كلمة العرب على
الاسلام وكان عدد المسلمين في غزوة تبوك آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مائة الف وعشرة آلاف
من مضر وقحطان ما بين فارس وراجل الى من اسلم منهم بعد ذلك الى الوفاة فلما توجهوا والطلب ما في ايدي
الامم من الملك لم يكن دونه حتى ولاوزر فاستبج حتى فارس والروم اهل الدولة بين العظميتين في العالم
لعهدهم والترك بالمشرق والافرنجة والبربر بالمغرب والقوط بالاندلس وخطوا من الحجاز الى السوس
الاقصى ومن اليمن الى الترك بأقصى الشمال واستولوا على الاقاليم السبعة ثم انظر بعد ذلك دولة صنهاجة
والموحدين مع العبيديين قبلهم لما كان قبيل تمامة القائلين بدولة العبيديين اكثر من صنهاجة ومن
المصامدة كانت دولتهم اعظم فلكوا افر يقية والمغرب والشام ومصر والحجاز ثم انظر بعد ذلك دولة زنانية
لما كان عددهم اقل من المصامدة قصر ملكهم عن ملك الموحدين لقصور عددهم عن عدد المصامدة
منذ اول امرهم ثم اعتبر بعد ذلك حال الدولتين لهذا العهد زنانية بنى مرين وبنى عبدالوالماسا كان عدد بنى
مرين لاول ملكهم اكثر من بنى عبدالوالماسا كانت دولتهم اقوى منها واطول نطقا وكان لهم عليهم الغلب
مرة بعد اخرى يقال ان عدد بنى مرين لاول ملكهم كان ثلاثة آلاف وان بنى عبدالوالماسا كانوا اقل الا ان
الدولة بالرقة وكثرة التاديع كثرت من أعدادهم وعلى هذه النسبة في اعداد المتغلبين لاول الممالك يكون
اتساع الدولة وقوتها واما طول امدها على تلك النسبة لان عمر الحادث من قوة مزاجه ومزاج الدول
انما هو بالعصبة فاذا كانت العصبة قوية كان المزاج تابعا لها وكان امد العمر طويلا والعصبة انما هي
بكثرة العدد ووفورة كفايتها والسبب الصحيح في ذلك ان النقص انما يبدو في الدولة من الاطراف فاذا كانت
ممالكها كثيرة كانت اطرافها بعيدة عن مركزها وكثيرة وكل نقص يقع فلا بد له من زمن فنكثر ازمان
النقص اسكترة الممالك واختصاص كل واحد منها بقص وزمان فيكون امدها طويلا وانظر ذلك في دولة
العرب الاسلامية كيف كان امدها طول الدول لابن العباس اهل المركز ولا بنو امية المستبدون
بالاندلس ولم ينقص امر جميعهم الا بعد الاربعمائة من الهجرة ودولة العبيديين كان امدها قريبا من
مائتين وثمانين سنة ودولة صنهاجة دونهم من لدن تقليد معز الدولة افر يقية بلالين بن زيري في سنة
ثمان وخمسين وثلاثمائة الى حين استيلاء الموحدين على القلعة وبجاية سنة سبع وخمسين وخمسمائة ودولة

(١٣ - ابن خلدون) رضي الله عنه امران جليلان لا يصلح احدهما بالتفرد ولا يصلح الاخر بالمشاركة وهما الملك والراي
فكما لا يستقيم الملك بالمشاركة لا يستقيم الراي بالانفراد به ومثال السلطان القاهر لرعيته والرعية بالسلطان مثال بيت فيه بهراج منبر

وحوله فقام من الخلق يعالجون صنائهم فيبيناهم كذلك طغى السراج فقبضوا أيديهم للوقت وتعطل جميع ما كانوا فيه فتحرك الحيوان
الشريرو وشخص الحسام الحسيس (٩٨) فذبت العقرب من مكمنها وفسقت القارة من حجرها وخرجت الحية من معزنها وجاء اللص

الموحد من لهذا العهد تناهز ما بين سبعين سنة وهكذا نسب الدول في أعمالها على نسبة القائمين بها سنة
الله التي قد خلت في عبادته

٩ * (فصل في أن الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل ان تستحكم فيها دولة) *

والسبب في ذلك اختلاف الآراء والاهواء وان وراء كل رأي منها وهوى عصبية تمنع دونها فيكثر
الانتفاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت وان كانت ذات عصبية لان كل عصبية من تحت يدها
تظن في نفسها منعة وقوة وانظر ما وقع من ذلك بافرريقية والمغرب منذ اول الاسلام ولهذا العهد فان ساكن
هذه الاوطان من البربر اهل قبائل وعصبيات فلم يعن فيهم الغلب الاول الذي كان لابن ابي سرح عليهم
وعلى الافرنجية شيباوعاودوا بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد اخرى وعظم الاثنان من المسلمين فيهم ولما
استقر الدين عندهم عادوا الى الثورة والخروج والاختذبت الخوارج مرات عديدة قال ابن ابي زيد ارتدت
البرابرة بالمغرب اثنتي عشرة مرة ولم تستقر كلمة الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فبا بعده وهذا
معنى ما ينقل عن عمران افريقية مقرقة لقلوب اهلها اشارة الى ما فيها من كثرة العصائب والقبائل الحمالة
لهم على عدم الاذعان والانتقاد ولم يكن العراق لذلك العهد بتلك الصفة ولا الشام انما كانت حاميتها من
فارس والروم والكافة دمعاهم اهل مدن وامصار فلما غلبهم المسلمون على الامرو انتزعوه من ايديهم لم يبق
فيها مانع ولا مشاق والبربر قبائلهم بالمغرب اكثر من ان تحصى وكلهم بادية واهل عصائب وعشائر
وكما هلكت قبيلة عادت الاخرى مكانها والى دينها من الخلف والردة فظال امر العرب في تمهيد الدولة
بوطان افريقية والمغرب وكذلك كان الامر بالشام لعهد بني اسرائيل كان فيه من قبائل فلسطين وكنعان
وبني عيصو وبنو لوط والروم ويونان والعمالقة واكر يش والنبط من جانب الجزيرة والموصل
مالا يحصى كثرة وتوعدا في العصبية فصعب على بني اسرائيل تمهيد دولتهم وروسخ امرهم واضطر عليهم
الملك مرة بعد اخرى وسرى ذلك الخلاف اليهم فاختلفوا على سلطانهم وخرجوا عليه ولم يكن لهم ملك موطن
سائر ايامهم الى ان غلبهم الفرس ثم يونان ثم الروم آخر امرهم عند الجلاء والله غالب على امره وبالعكس هذا
ايضا الاوطان الخالصة من العصبية يسهل تمهيد الدولة فيها ويكون سلطانها وازعالة الهرج والانتفاض
ولا تحتاج الدولة فيها الى كثير من العصبية كما هو الشأن في مصر والشام لهذا العهد اذ هي خلوص القبائل
والعصبية كان لم يكن الشام معدنناهم كما قلناه فلك مصر في غاية الدعوة والروسخ لثة الخوارج واهل
العصائب انما هو سلطان ورعية ودولتها قائمة بملوك الترك وعصائهم يعلون على الامرو واحد بعد واحد
وينقل الامر فيهم من منبت الى منبت والخلافة مسماة للعباسي من أعقاب الخلفاء ببغداد وكذا شأن
الاندلس لهذا العهد فان عصبية ابن الاجر سلطانها لم تكن لاول دولتهم بقوية ولا كانت كرات انما
يكون اهل بيت من بيوت العرب اهل الدولة الاموية بقوية وامر ذلك ان اهل الاندلس لما
انقضت الدولة العربية منه وملكهم البربر من لمتونة والموحد من ستموا ملكتهم وثقات وطأتهم عليهم
فأشربت القلوب بغضاهم وامكن الموحدون والسادة في آخر الدولة كثير من الحصون للطاغية في سبيل
الاستظهار به على شأنهم من تلك الحضرة مرة كس فاجتمع من كان بقي بها من اهل العصبية القديمة معادن
من بيوت العرب تجافي بهم المندت عن الحضرة والامصار بعض الشيء ورسوخا في العصبية مثل ابن هود
وابن الاجر وابن مردئيش وامنناهم فقلم ابن هود بالامرود عابدة الخلافة العباسية بالمشرق وحمل
الناس على الخروج على الموحد بن فنبذوا اليهم العهد وأخرجوهم واستقل ابن هود بالامر بالاندلس

بجيلة وهو حاج البرغوث مع
حقارته فتعطلت المنافع
واستطارت فيهم المضار
كذلك اذا كان قام را
لرعيته كانت المنفعة به
عامة وكانت الدماء في اهلها
محقونة والحرم في خدورهن
مصونة والاسواق عامرة
والاموال محروسة والحيوان
القاضل ظاهر والمرافق
حاصلة والحيوان الشريير
من اهل الفسوق والدعارة
خامل واذا انحزل امر
السلطان دخل القسادة على
الجميع ولو جعل ظلم الناس
حوالا في كفة كان هرج
ساعة أعظم وارحج من ظلم
السلطان حولا وكيف لا
وفي زوال السلطان اضعف
شوكته سوق اهل الشر
ومكسب الاجناد ونفاق
اهل العبارة والسوقة
واللصوص والمناهبة
وقال الفضيل جورستين
سنة خير من هرج سنة
ولا يمتنى زوال السلطان
الاجاهل مغرورا وفساق
يتمنى كل محذور في عقب
على كل رعية ان ترغب
الى الله تعالى في اصلاح
السلطان وان تبذل له
نفسه وتخصه بصالح دعائها
فان في صلاحه صلاح
العباد والبلاد وفي فساده

فساد العباد والبلاد وكان العلماء يقولون اذا استقامت لكم امور السلطان فاكثر واحد الله تعالى
وشكره وان جاءكم منه ما تكرهون وجهوه الى ما تستوجبونه بذنوبكم وتستحقونه بما ثابكم واقبلوا عذر السلطان لا تشار الامور عليه

وأثر ما يكبد من ضبط جوانب الملكة وأسلاف الأعداء وأرضاء الأولياء وقلة الناصح وكثرة التديس والطمع وفي كتاب التاج هموم الناس صغار وهموم الملوك كبار وأبواب الملوك مشغولة بكل شيء وأبواب السوق (٩٩) مشغولة يسرشي والجاهل منهم يعذر نفسه مع ما هو عليه من الراحة ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو عليه من المؤنة ومن هناك يعز الله سلطانه ويرشده وينصره وعن هذا قالت حكيماء العجم لا تستوطنن الأبدان فيه سلطان قاهر وقاض عادل وسوق قائمة وطيب عالم ونهر جار

نفسه مع ما هو عليه من الراحة ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو عليه من المؤنة ومن هناك يعز الله سلطانه ويرشده وينصره وعن هذا قالت حكيماء العجم لا تستوطنن الأبدان فيه سلطان قاهر وقاض عادل وسوق قائمة وطيب عالم ونهر جار

ثم سما ابن الأجر للأمر وخالف ابن هود في دعوته فدعا هؤلاء لابن أبي حفص صاحب أقر ببيعة من الموحدين وقام بالأمر وتناوله بعصاة قليلة من قرابته كانوا يسعون الرؤساء ولم يحتج لاكثر منهم لقلّة العصائب بالاندلس وانها سلطان ورعية ثم استظهر بذلك على الطاغية بمن يحجز اليه البحر من اعصاب زناتة فصار وامعه عصابة على المتأخرة والرباط ثم سما صاحب المغرب من ملوك زناتة امل في الاستيلاء على الاندلس فصاروا تلك الاعصاب عصابة ابن الأجر على الامتناع منه الى أن تأمل امره ورسخ وألقته النفوس وعجز الناس عن مطالبته وورثه أعقاب هذا العهد فلا تظن أنه غير عصابة فليس كذلك وقد كان مبدؤه بعصاة الا انها قليلة وعلى قدر الحاجة فان قطر الاندلس لقلّة العصائب والقبائل فيه يعني عن كثرة العصبية في التغلب عليهم والله غني عن العالمين

١٠ * (فصل في ان من طبيعة الملك الانفراد بالمجد)

وذلك ان الملك كما قدمناه انما هو بالعصبة والعصبة متألقة من عصبات كثيرة تكون واحدة منها أقوى من الاخرى كما اقتضت طبيعتها وتوليها حتى تصير هاجية في ضمناها وبذلك يكون الاجتماع والغلب على الناس والدول وسروران العصبة العامة للقبيل هي مثل المزاج للتكون والمزاج انما يكون عن العناصر وقد تبين في موضعه ان العناصر اذا اجتمعت من كافة فلا يقع منها مزاج أصلا بل لا بد ان تكون واحدة منها هي الغالبة على الكل حتى تجتمعها وتوافقها وتصيرها عصبية واحدة شاملة لجميع العصائب وهي موجودة في ضمناها وتلك العصبية الكبرى انما تكون قوم أهل بيت ورياسة فيهم ولا بد ان يكون واحد منهم رئيسا لهم غالب عليهم فيتمتعون برئيسية العصبية كلها الغلب منتهى مجدها واذا تعين له ذلك من الطبيعة الحيوانية خالق الكبر والافتخار فيألف حينئذ من المساهمة والمشاركة في استنبأهم والتحكيم فيهم ويحجب النأله الذي في طباع البشر مع ما تقتضيه السياسة من انفراد الحاكم لفساد الكل باختلاف الحكام لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا فتجد حينئذ انوف العصبية ويعلج شككهم عن ان يسوا الى مشاركتهم في التحكم وتفرع عصبيتهم عن ذلك وينفرد به ما استطاع حتى لا يترك لاحد منهم في الأمر لاناقة ولا جلا فنفرد بذلك المجد بملكته ويدفعهم عن مساهمته وقد يتم ذلك للاول من ملوك الدولة وقد لا يتم الا للثاني والثالث على قدر ما نعة العصبية وقوتها الا انه أمر لا بد منه في الدول سنة الله التي قد دخلت في عبادته والله تعالى أعلم

١١ * (فصل في ان من طبيعة الملك الترف)

وذلك ان الامة اذا تغلبت وملك ما يبدى أهل الملك قبلها كثر ياشمونها وتهافت أكثر عوائدهم ويتجاوزون ضرورات العيش وخشوتها الى نوافلها وورقته وزينتته ويذهبون الى اتباع من قبلهم في عوائدهم وأحوالهم وتصير تلك النوافل عوائد ضرورية في تحصيلها وينزعون مع ذلك الى رقة الاحوال في المطاعم والملابس والفرش والانتبة ويتفاخرون في ذلك ويتفاخرون فيه غيرهم من الامم في كل الطيب ولبس الانيق وركوب الفارو وينأخي خلفهم في ذلك سلطنتهم الى آخر الدولة وعلى قدر ملكهم يكون حظهم من ذلك وترفعهم فيه الى ان يبلغوا من ذلك الغاية التي للدولة ان تبلغها بحسب قوتها وعوائدهم من قبلها سنة الله في خلقه والله تعالى أعلم

١٢ * (فصل في ان من طبيعة الملك الدعة والسكون)

وذلك ان الامة لا يحصل لها الملك الا بالمطالبة والمطالبة غايها الغلب والملك واذا حصلت الغاية انقضت

نفسه مع ما هو عليه من الراحة ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو عليه من المؤنة ومن هناك يعز الله سلطانه ويرشده وينصره وعن هذا قالت حكيماء العجم لا تستوطنن الأبدان فيه سلطان قاهر وقاض عادل وسوق قائمة وطيب عالم ونهر جار

٢ نار رحمة الله تعالى في الارض التي أحيوا والنبات الذي أخرج والرزق الذي بسط والرحمة التي نشر ان يعظمه ورحمة ربه ويشكره وهاو يلغوذاكر خواص الأذية التي دخلت على خواص الخلق (ومثاله)

أيضا مثل الرياح التي يرسلها الله تعالى نشر ابي يدي رحمة فسوق بها السحاب ويجعلها لقاحا للثمرات ورواحا للعباد وينعمون منها ويتقبلون فيها وتجري بها مياههم وتقد بها نيرانهم وتسير بها في البحر فلا كهم وقد تضر بكثير من الناس في برهم وبحرهم وتخلص الى أنفسهم فيشكروها الشاكرون

الله تعالى نشر ابي يدي رحمة فسوق بها السحاب ويجعلها لقاحا للثمرات ورواحا للعباد وينعمون منها ويتقبلون فيها وتجري بها مياههم وتقد بها نيرانهم وتسير بها في البحر فلا كهم وقد تضر بكثير من الناس في برهم وبحرهم وتخلص الى أنفسهم فيشكروها الشاكرون

وقدي تأذى بها كثير من الناس ولا يزيلها ذلك عن منزلتها من قوام عبادته وتمام نعمته (ومثاله) أيضا مثال الشتاء والصيف اللذين جعل الله حرهما وبردهما صلاحا (١٠٠) للحرث والنسل وتاجا للحب والثمر يجتمعهما البرد بأذن الله ويخرجهما الحر بأذن الله

السعي اليها (قال الشاعر)

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها * فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

فاذا حصل الملك اقصر واعن المتاعب التي كانوا يتكافون في طلبه وآثروا الراحة والسكون والدعة ورجعوا الى تحصيل ثمرات الملك من المباني والمسكن والملابس فينبون القصور ويحرون المياه ويعرسون الرياض ويستمتعون باحوال الدنيا ويؤثرون الراحة على المتاعب ويتأقون في احوال الملابس والمطاعم والآتية والقرش ما استطاعوا وبالقول ذلك ويؤثرون من بعدهم من اجيالهم ولا يزال ذلك يتزايد فيهم الى أن يتأذن الله بامرهم وهو خير الخالقين والله تعالى اعلم

١٣ * (فصل في انه اذا استحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالجد

وحصول الترف والدعة آقبت الدولة على الهرم) *

وبيانه من وجوه * الاول انها تقتضي الانفراد بالجد كما قلناه ومهما كان الجد مشتمرا كابين العصاة وكان سعيهم له واحدا كانت همهم في التغلب على الغير والذب عن الحوزة أسوة في طمحوها وقوة شكائهم ومرامهم الى العز جميع وهم يستطيون الموت في بناء مجددهم ويؤثرون الهلاك على فسادهم واذا انقرض الواحد منهم بالجد قرع عصيتهم وكبح من اعنتهم واستأثر بالاموال دونهم فتكاسلوا عن العز وفشل ربحهم ورتعوا المذلة والاستعباد ثم ربي الجبل الثاني منهم على ذلك يحسبون ما ينالهم من العطاء اجرمان السلطان لهم على الحماية والمعونة لا يجري في عقولهم سواه وقل أن يستأجر أحد نفسه على الموت فيصير ذلك وهما في الدولة وخضرا من الشوكة وتقبل به على مناحي الضعف والهرم لفساد العصبية بذهاب البأس من أهلها * الوجه الثاني ان طبيعة الملك تقتضي الترف كما قدمناه فتكثر عوائدهم وتزيد نفقاتهم على اعطياتهم ولا يفي دخلهم بخرجهم فالفقير منهم يهلك والترف يستغرق عطاءه بترفه ثم يزداد ذلك في اجمالهم المتأخرة الى ان يقصر العطاء كله عن الترف وعوائدهم وتسهم الحاجة وتطالبهم ملوكهم بحصر نفقاتهم في العز والحروب فلا يجردون ويحج عنها فيوقعون بهم العقوبات ويستزعون ما في أيدي الكثير منهم يستأثرون به عليهم أو يؤثرون به أبناءهم وصنائع دولتهم فيضعفونهم لذلك عن اقامة أحوالهم ويضعف صاحب الدولة بضعفهم وأيضا اذا كثر الترف في الدولة وصار عطاؤهم مقصرا عن حاجاتهم ونفقاتهم احتاج صاحب الدولة الذي هو السلطان الى الزيادة في اعطياتهم حتى يسد خللهم وينجح عملهم والحماية مقدارها معلوم ولا تزيد ولا تنقص وان زادت بما يستحدث من المكوس فيصير مقدارها بعد الزيادة محدودا فاذا وزعت الحماية على الاعطيات وقد حدثت فيها الزيادة لكل واحد بما حدثت من ترههم وكثرة نفقاتهم نقص عدد الحماية حينئذ دعما كان قبل زيادة الاعطيات ثم يعظم الترف وتكثر مقادير الاعطيات لذلك فينقص عدد الحماية ومثالها ورابعها الى ان يعود العسكر الى اقل الاعداد فتضعف الحماية لذلك وتسقط قوة الدولة ويتجاسر عليها من يجاورها من الدول او من هوتحت يديها من القبائل والعصائب ويأذن الله فيها بالفناء الذي كعبه على خبايقته وأيضا فالترف مفسد للخلق بما يحصل في النفس من ألوان الشر والسفوسة وعوائدها كما يأتي في فصل الحضارة فتذهب منهم خلال الخير التي كانت علامة على الملك ودليلا عليه ويتصفون بما ينافيها من خلال الشر فيكون علامة على الادبار والانقراض بما جعل الله من ذلك في خليقته وتأخذ الدولة مبادئ العطب وتتضعف أحوالها وتنزل بها امراض فرمته من الهرم الى أن يقضى عليها * الوجه الثالث ان طبيعة الملك تقتضي الدعة كما ذكرناه واذا اتخذوا الدعة والراحة مألفا

فينضج على اعتدال الى غير ذلك من منافعها وقد يكون الاذى في حرهما وبردهما وسوءهما وزمهر برهما وهما مع ذلك لا ينسبان الى الصلاح والخير وقد غمر صلاحهما أذيتهما (ومثاله) أيضا مثل الليل الذي جعله الله تعالى سكونا ولباسا ونوما وراحة وسباتا وقد يستوحش له احوال الفقر ويسارع فيه أهل الدعارة والفساد واللصوص وتعذو فيه السباع وتنتشر فيه الهوام وذوات الحجة والسموم القاتلة ثم لا ينسى العباد نعم الله تعالى عليهم به ولا يبرأ صغير ضرره بكبير نفعه (ومثاله) أيضا مثال النهار الذي جعله الله ضياء ونورا ونشورا واكتسابا وانتشارا وقد تكون فيه المحروب والغارات والتعب والنصب والشحوص والمخوصات فتستريح الخلق منه الى الليل ثم لم ينس العباد نعمه الله عليهم فيه وهكذا كل جسم من أمور الدنيا يكون ضرره خاصا ونفعه عاما فهو نعمة عامة وكل شيء يكون نفعه خاصا فهو بلاء عام ولو كانت نعم الدنيا صغورا

وخلقا

من غير كدر وميسورهما من غير معسور كانت الدنيا هي الجنة التي لا تعب فيها

ولا نصب (وقد قال الشاعر) لا ترح شيا صانعه * فالغيب لا يخلو من العيب * (الباب التاسع في بيان منزلة السلطان من الرعية) *

اعلموا ان منزلة الساطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد فاذا همت الروح من الكدر وسرت الى الجوارح سليمة وسرت في جميع اجزاء الجسد فامن الجسد من العبر فاستقامت الجوارح والحواس وانتظم امر الجسد وان تكدرت (١٠١) الروح او فسدت جوارحها فباوج

الجسد فسرى الى الحواس والجوارح كدرة وهي منخرفة عن الاعتدال فأخذ كل عضو وحاسة بقسطه من الفساد فرضت الجوارح وتعطلت فتعطل نظام الجسد وسرى الفساد والهلاك (ومثال) السلطان ايضا مثال النار ومثال الخلق مثال الخشب فما كان منها معتدلا لم ينجح الى النار وما كان منها متأودا احتاج الى النار ليقام اوده فيعدل عوجه فان أفرطت النار احترق الخشب قبل ان يستقيم اوده وان قصرت النار لم يان الخشب لقبول الاعتدال فيبقى متأودا واذا كانت النار معتدلة اعتدل الخشب كذلك السلطان في أطواره ان أفرط اهلك الخلق وان فرط لم يستقيم واوان اعتدل اعتدلوا (ومثاله) ايضا مثال عين خرازة في أرض خوارزة فان حلا مشربه وعذب طعمه وسلمت من الكدر والفساد أوصافه اختلج في الارض فابتاعته صافيا صفا ثم شربته عروق الاشجار فاغذت به كذلك فغالظت سوقها وقرعت أغصانها وامتدت افنانها ثم أخرجت

وخلقا صار لهم ذلك طبيعة وجملة شأن العوائد كلها واياها فاعتبر في أجيالهم المحادثة في غصارة العيش ومهاد الترف والدعة وبتقلب خلق التوحش وينسون عوائد البداوة التي كان بها الملل من شدة البأس وتعود الاقتراس وركوب البداء وهداية القفر فلا يفرق بينهم وبين السوقه من المحضر الا في الثقافة والشارة فتضعف حمايتهم ويذهب بأسهم وتختدشوا كتبهم ويعودون الى الدواة بما تلبس به من ثياب الهرم ثم لا يزالون يتلونون بعوائد الترف والمخضرة والسكون والدعة وورقة الحاشية في جميع أحوالهم وينغمسون فيها وهم في ذلك يمدون عن البداوة والخشونة وينسخون عنها شيئا فشيئا وينسون خلق المسألة التي كانت بها الحماية والمدافعة حتى يعودوا عيالا على حامية أخرى ان كانت لهم واعتبر ذلك في الدول التي أخبارها في الصحف لديك تجد ما قلته لك من ذلك صحيحا من غير ريبه وربما يحدث في الدولة اذا طرقتها هذا الهرم بالترف والراحة أن يتخير صاحب الدولة أنصارا وشبهه من غير جلدتهم عن تعود الخشونة فيتخذهم جندا يكون أصبر على الحرب وأقدر على معاناة الشدة ائذ من الجوع والشفط ويكون ذلك دواء للدولة من الهرم الذي عساه أن يطرقتها حتى يأذن الله فيها بامر وهذا كما وقع في دولة الترك بالشرق فان غالب جندها الموالى من الترك فتخير ملوكهم من أولئك المماليك المجلوبين اليهم فرسانا وجندا فيكونون أجراء على الحرب وأصبر على الشطط من أبناء المماليك الذين كانوا قبلهم وروا في ماء النعيم والسلطان وظله وكذلك في دولة الموحدين بأفريقية فان صاحبها كثيرا ما يتخذ أجناده من زناة والعرب ويستأثر منهم ويترك اهل الدولة المتعودين للترف فتستبد الدولة بذلك عمرا آخر سالما من الهرم والله وارث الارض ومن عليها

١٤ (فصل في ان الدولة لها عمارة طبيعية كمالا لشخص) *

اعلم ان العمر الطبيعي للشخص على ما زعم الاطباء والمخبرون مائة وعشرون سنة وهي سنو القهر الكبرى عند المنجمين ويختلف العمر في كل جيل بحسب القرانات فيزيد عن هذا وينقص منه فتكون أعمار بعض اهل القرانات مائة تامة وبعضهم تسعين او ثمانين او سبعين على ما تقتضيه أدلة القرانات عند الناظرين فيها وعمار هذه الملة ما بين الستين الى السبعين كما في الحديث ولا يزيد على العمر الطبيعي الذي هو مائة وعشرون الا في الصور النادرة وعلى الاوضاع الغريبة من الفلك كما وقع في شأن نوح عليه السلام وقيل من قوم عاد وحمود واما اعمار الدول ايضا وان كانت تختلف بحسب القرانات الا ان الدولة في الغالب لا تعدو وعمار ثلاثة اجيال والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط فيكون اربعين الذي هو انتهاء النمو والنشوى الى غاية قال تعالى حتى اذا بلغ أشده وبلغ اربعين سنة ولهذا قلنا ان عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل ويؤيده ما ذكرناه في حكمة التيه الذي وقع في بني اسرائيل وان المقصود بالاربعين فيه فناء الجيل الاحياء ونشأة جيل آخر لم يهد والذل ولا عرفوه فدل على اعتبار الاربعين في عمر الجيل الذي هو عمر الشخص الواحد وانما قلنا ان عمر الدولة لا يهد في الغالب ثلاثة اجيال لان الجيل الاول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شطط العيش والبسالة والاقتراس والاشترار في الجذلاتزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم فهدم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون والجيل الثاني تحول حالهم بالملل والترفه من البداوة الى المخضرة ومن الشطط الى الترف والخصب ومن الاشتراك في الجذلات الى انفراد الواحدية وكسل الباقيين عن السعي فيه ومن عز الاستطالة الى ذل الاستكانة فتكسر سورة العصبية بعض الشيء وتؤنس منهم المهانة والخضوع ويبقى لهم الكثير من ذلك بما

أوراقها وبرزت أزهارها ثم قذفت ثمارها فجات على اتم طبيعتها كبروا طعمها ولونا ورائحة فقفوت بها العبادوا كالت حطوظها البهائم والحشرات وسقط عليها الطير فاحرز كل منها قوته واستقام النظام وان كان في حواشي الارض ما يدق من الانبات والنقع ويكدي عن

الزكاة والربيع او كان فيهما من الشجرة ما يبرز جملة ويقل ريعه اعطى كل ذلك الغاية من نفسه وأطلع ما في قواه ولم يغادر مدكنا الا وفاه وان كان في العين كدر أو فساد او ملح (١٠٢) شربتها الا شجرا كذلك ففسد مزاجها أو أضر الجزء الفاسد بالطيب فرقت سوقها وضعت

أدر كوا الجيل الاول وباشروا احوالهم وشاهدوا من اعتزازهم وسعيهم الى الجهد ومراهم في المدافعة والحماية فلا يسعهم ترك ذلك بالكتابة وان ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء من مراعاة الاحوال التي كانت للجيل الاول او على ظن من وجودها فيهم واما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كان لم تكن ويفقدون حلاوة العز والعصية بما هم فيه من ملذبة القهر ويبلغ فيهم الترف غاية بما يتسكوه من النعيم وغضارة العيش فيصيرون عبلا على الدولة ومن جملة النساء والولدان المحتاجين لمدافعة عنهم ونسقط العصية بالجملة وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة ويلبسون على الناس في الشارة والزي وكوب الخيل وحسن الثقافة يوهون بها وهم في الاكثر اجبن من النسوان على ظهورها فاذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعة فيحتاج صاحب الدولة حينئذ الى الاستظهار بسواهم من اهل النجدة ويستكثر بالموالي ويصطنع من يعنى عن الدولة بعض الغناء حتى يتأذن الله بانقرضها فتهرب الدولة بما حلت فهذه كما تراه ثلاثة احوال فيها يكون هرم الدولة وتخلتها ولهذا كان انقراض الحسب في الجيل الرابع كما مر في ان الجهد والحسب انما هو في اربعة اباة وقد اتيناك فيه ببرهان طبيعي كاف ظاهر مبني على ما مهدناه قبيل من المقدمات فتأمل له فلن تعدد وجه الحق ان كنت من اهل الانصاف وهذه الاجيال الثلاثة عمرها مائة وعشرون سنة على ما مر ولا تعدد الدول في الغالب هذا العمر بتقريب قبله او بعده الا ان عرض لها عرض آخر من فقدان المطالب فيكون الهرم حاصلا لا مستتويا والمطالب لم يحضرها ولو قد جاء الطالب لما وجد مدافعا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التريدي الى سن الوقوف ثم الى سن الرجوع ولهذا يجرى على السنة الناس في المشهور ان عمر الدولة مائة سنة وهذا معناه فاعتبره واتخذ منه قانونا يصح لك عدد الاباة في عمود النسب الذي تريده من قبل معرفة السنين الماضية اذا كنت قد استرقت في عددهم وكانت السنين الماضية منذ اولهم محصلة لديك فعد لكل مائة من السنين ثلاثة من الاباة فان نفذت على هذا القياس مع تعدد عددهم فهو صحيح وان نقصت عنه بحيل فقد غلط عددهم بزيادة واحدة في عمود النسب وان زادت بمثل فقد سقط واحد وكذلك تأخذ عدد السنين من عددهم اذا كان محصلا لديك فتأمل له تجده في الغالب صحيحا والله يعقد الليل والنهار

(فصل في انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة) *

اعلم ان هذه الاطوار طبيعية للدول فان الغلب الذي يكون به الملك انما هو بالعصية وبما يتبعها من شدة البأس وتعود الاقتراس ولا يكون ذلك غالبيا الامع البداوة فطور الدولة من اولها بداوة ثم اذا حصل الملك تبعه الرفه واتساع الاحوال والحضارة انما هي تقين في الترف واحكام الصنائع المستعملة في وجوده ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والقرش والابنية وسائر عوائد المنزل واحواله فلكل واحد منها صنائع في استجداته والتأنيق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضا وتتكثر باختلاف ما تنزع اليه النفوس من الشهوات والملاذو التمتع باحوال الترف وما تتلون به من العوائد فصار طور الحضارة في الملك يتبع ما طور البداوة ضرورة لضرورة تبعية الرفه للملك واهل الدول ابدا يقلدون في ما طور الحضارة واحوالها للدولة السابقة قبلهم فاحوالهم يشاهدون ومنهم في الغالب يأخذون ومثل هذا وقع للعرب لما كان الفتح وملكوا فارس والروم واستخدموا ابنائهم وابنائهم ولم يكونوا ذلك العهد في شئ من الحضارة فقد حكي انه قدم لهم المرقق فكانوا يحسبونه رقا عاو عثروا على الكافور في خزائن كسرى فاستعملوه في عيبتهم ملحسا و امثال ذلك فلما استعبدوا اهل الدول قبلهم واستعملوه في مهتهم وحاجات منازلهم واختاروا منهم المهرة في امثال ذلك

اغصانها وتغيرت اوراقها وقات ازهارها وثمارها ودخل الفساد على جميع ذلك فجاءت الثمرة وهي ترر قدرها ردى طعمها كما فلو نها فدخل بذلك من النقص على جميع الحيوان مثل ما دخل عليهم في الاولى ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم ان الحشرات لتتوت في اجزتها هز الا يذنب ابن آدم يعني اذا كثرت المعاصي في الارض حبست السماء غياها ومنعت الارض نباتها فهلك الهوام والحشرات والدواب

(الباب العاشر في بيان معرفة خصال ورد الشرع بها فيها نظام الملك والدول) * وهي ثلاثة الالين وترك الفظاظة والمشاورة وان لا يستعمل على الاعمال والولايات راعب فيها ولا طالب لها وما علم الله تعالى ما فيها من انتظام امر الملة واستقامة الامرض عليها الله سبحانه ورسوله اعلم ان هذه الخصال من اساس الممالك وقل من يعمل بها من الملوك اثنتان نزلتا من السماء وواحدة قالها الرسول صلى الله عليه وسلم اما الالهية فقال

الله تعالى في ممارسة من لله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك فاعف عنهم واسعترهم وشاورهم في الامرو في الاية اشارتان احدهما ان الفظاظة تنقر الاصحاب والجساسة وتفرق الجوع والحشم وانما الملك والقومة

ملك بحسائه وأصحابه وحشيه واتباعه واخلى بخصلة تنفر الاواباء وتطمع الاعداء فقم بكل سلطان رفضها والاحترام من سوء مغبتها
ولتكن كما قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وروى أن النبي (١٠٣) صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه
فجاء رجل فقال أيكم ابن
عبد المطلب فقالوا هذا

الابيض المتكئ فقال الرجل
يا ابن عبد المطلب فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قد
أجبتك دل الاثر على انه
ما استأثر بشرف المجلس
ولا فاتهم بزى ولا تمعد
وقد يبلغ بالبين ما لا يبلغ
بالغلاظة الا ترى أن الرياح
تهون أصواتها فيتداخل
لهما الشجر وتعتطف الاذان
والاغصان وفي القسرة
تتكسر الاغصان والماء
يلين في أصول الشجر
يقطعها من أصلها وإذا
كانت الحية مع صعورها
وسمها وتغيها في حجرها
ترقى بالكلام حتى تستعطف
فتفرج فالانسان أحرى ان
يسمع بلين القول وحسن
المنطق فاذا أردت ان تتقم
من سبي اليك فكافئه
بكل كلمة سوء قالها كلمة
جيدة وحسن نساء عليه
والاشارة الثانية انه قال
وشاورهم في الامر فاذا قيل
لنا كيف يشاورهم وهو
نبيهم وامامهم وواجب
عليهم مشاورته وان لا
يفصلوا امرادونه فلما هذا
أدب أدب الله تعالى نبيه
عليه السلام به وجعله
مأدبة لساائر الملوك والامراء

والقومة عليه أفادوهم علاج ذلك والقيام على عمله والتعقن فيه مع ما حصل لهم من اتساع العيش والتفنن
في احواله فبلغوا الغاية في ذلك وتطوروا بطور الحضارة والترقى في الاحوال واستجدت المطاعم والمشارب
والملابس والمباني والأسلحة والفرش والاثنية وساير المساعون والحرفى وكذلك احوالهم في أيام المباهاة
والولائم ولبالي الاعراس فاتوا من ذلك وراه الغاية وانظر ما نقله المسعودى والطبرى وغيرهما في اعراس
المأمون بيوران بنت الحسن بن سهل وما بذل أبوها للحاشية المأمون حين وافته في خطبتها الى دار بقم الصلح
وركب اليها في السفين وما انفق في املاكها وما منحها المأمون وانفق في عرسها اتفق من ذلك على العجب
فانه ان الحسن بن سهل نثر يوم الاملاك في الصنيع الذى حضره حاشية المأمون فنثر على الطبقة الاولى منهم
بنادق المسك مثوثة على الرقاق بالصياح والعمارة مسوعة لمن حصلت في يده يقع لكل واحد منهم ما اداه
اليه الاتفاق والبخت وفرق على الطبقة الثانية بدر الدنانير في كل بدرة عشرة آلاف وفرق على الطبقة
الثالثة بدر الدرهم كذلك بعد ان انفق في مقامة المأمون بداره اضعاف ذلك ومنه ان المأمون اعطاها في
مهرها ليلة زفافها ألف حصاة من الباقوت ووقد شعوع العنبر في كل واحدة مائة من وهو رطل وثلثان (١)
وبسط لها فرشاً كان المحصر منها منسوجا بالذهب مكللا بالدر والياقوت وقال المأمون حين رآه قال
الله أبانواس كانه أبصر هذا حدث يقول في صفة الحجر

كان صغرى وكبرى من فواتعها * حصبا در على ارض من الذهب

وأعد بدوا الضبخ من الحطب ليلة الولاية نقل مائة وأربعين بخلامة عام كامل ثلاث مرات في كل يوم وفى
الحطب لليلتين واوقدوا الحجر يديصبون عليه الزيت وارسل الى النوابية باحضار السفن لاجازة الخواص
من الناس بدجلة من بغداد الى قصر الملك بمدينة المأمون لمحضور الولاية فكانت الحراقات (٢) المعدة لذلك
ثلاثين الفا اجازوا الناس فيها اخريات شهرهم وكثير من هذا وامثاله وكذلك عرس المأمون بن ذى النون
بطليطلة نقله ابن بسام في كتاب الذخيرة وابن حبان بعد ان كانوا كلهم في الطور الاول من البداوة عاجزين
عن ذلك جلة لفقدان اسبابه والقائمين على صنائعه في غضا صنتهم وسذاجتهم يذكر ان الحجاج أولم في اخستان
بعض ولده فاستحضر بعض الدهاقين يسأله عن ولائم الفرس وقال اخبرني باعظم صنيع شهده فقال له نعم
ايها الامير شهدت بعض مرازبة كسرى وقد صنع لاهل فارس صنيعا أحضر فيه صحاف الذهب على اخونة
الفضة أربعا على كل واحد وتحمله أربيع وصائف ويجلس عليه أربعة من الناس فاذا طعموا اتبعوا
أربعمتهم المائدة بصحافها ووصائفها فقال الحجاج يا غلام انحر الجزر وأطعم الناس وعلم انه لا يستقل بهذه
الابهة وكذلك كان يوم هذا الباب اعطية بنى أمية وجوارثهم فانما كان أكثرها الابل أخذاء ذاهب
العرب وبداوتهم ثم كانت الجوارث في دولة بنى العباس والعبيديين من بعدهم ما علمت من احوال المال
وتحتوت الثياب واعداد الخيل بما كبرها وهكذا كان شأن كلمة مع الاغلبية باقرية وكذا بنى طنج بمصر
وشأن بنوثة مع ملوك الطوائف بالاندلس والموحدين كذلك وشأن زنانية مع الموحدين وهو لم جراتنقل
الحضارة من الدول السالفة الى الدول الخالفة فانتقلت حضارة الفرس للعرب بنى أمية وبنى العباس
وانتقلت حضارة بنى أمية بالاندلس الى ملوك المغرب من الموحدين وبنو العهود وانتقلت حضارة
بنى العباس الى الديلم ثم الى الترك ثم الى السلجوقية ثم الى الترك المماليك بمصر والترب بالعراقين وعلى قدر

(١) قوله وثلثان الذى في كتب اللغة ان المن رطل وقيل رطلان ولم يوجد في النسخة التونسية الثلثان اه
(٢) الحراقات بالفتح جمع حراقة سقينة فيها رمى نار يرمى بها العدو اه مختار

والسلاطين لساعلم الله تعالى ما في المشاورة من حسن الادب مع المجلس ومساهاه منته في الامور فان نفوس الجاساء والنحساء والوزراء
يصلح عليه وقيل اليه وتخضع عنوة بين يديه شرعة لتبنيه عليه السلام ولذوى الامرة من اهل ملته صلى الله عليه وسلم الا ترى أن النبي عليه

السلام كان في غزوة فامرهم بالنزول فقال له سعد بن مسعود يا رسول الله ان كان هذا بامرك فسمع وطاعة وان كان غير ذلك فليس بمنزل فسمع منه النبي عليه السلام وقال ارتحلوا ومن اقبع (١٠٤) ما يوصف به الرجال ملو كما كانوا اوسوقا الاستبداد بالارأى وترك المشاورة وسنعت

للمشاورة بان شاء الله تعالى والخصلة الثالثة ماروي البخاري ومسلم وغيرهما ان رجلا قال يا رسول الله استعملني فقال النبي عليه السلام انا لا نستعمل على عملنا من اراده والمرفيه ان الولايات امانات وتصرف في ارواح الخلائق واموالهم والتسرع الى الامانة دليل على الخيانة وانما يجتنبها من يريد اكلها واذا اتفق خائن على موضع الامانات كان كاسترعاء الذئب على الغنم ومن هذه الخصلة تفسد قلوب الرعايا على ملوكها لانه اذا اهتضمت حقوقهم واكملت اموالهم فسدت نباتهم واطلقوا استتيمهم بالدعاء والتشكي وذكر اسائر الملوك بالعدل والاحسان فكانوا كالبيت السائر الذي انشدناه وراعى الشاة يحمي الذئب عنها فكيف اذا الرعاة لها ذئاب فاذا خان اهل الامانات وفسد اهل الولايات كان الامر كما قال الاول بالملح يصلح ما يجتنبه غيره فكيف بالملح ان حلت به الغير

(وقال آخر)

ذئب تراه مصليا * فاذا مرت به ركع
يجل بها اذا العلاء * ان الفؤاد قد انصدع

عظم الدولة يكون شأنها في الحضارة اذ امر والحضارة من توابع الترف والترفة من توابع الثروة والنعمة والثروة والنعمة من توابع الملك ومقدار ما يستولى عليه اهل الدولة فعلى نسبة الملك يكون ذلك كله فاعتبره وتفهمه وتأمله تجده صحيحا في العمران والله وارث الارض ومن علمها وهو خير الوارثين

١٦ * (فصل في ان الترف يزيد الدولة في اولها قوة الى قوتها) *

والسبب في ذلك ان القبول اذا حصل لهم الملب والترف كثر التناسل والولد والعومية - فكثر العصابة واستكثر وايضاً من الموالى والصنائع ووربيت احياءهم في جو ذلك النعيم والرفه فاذا دوا بهم عددا الى عددهم وقوة الى قوتهم بسبب كثرة العصابات حينئذ بكثرة العدا فاذ ذهب الجبل الاول والثاني واخذت الدولة في الهرم لم تستقل اولئك الصنائع والموالى بانفسهم في تأسيس الدولة وتعميدها لانهم ليس لهم من الارثي انما كانوا اعيالا على اهلها او معونة لها فاذا ذهب الاصل لم يستقل الفرع بالرسوخ فيذهب ويتلاشى ولا تبقى الدولة على حالها من القوة واعتبر هذا بما وقع في الدولة العربية في الاسلام كان عدد العرب كما قلناه لهمد النبوة والحلقة مائة وخمسين الفا او ما يقاربها من مضر وقحطان وما يبلغ الترف مبالغه في الدولة وتوفر نعمتهم بتوفر النعمة واستكثر الخلق من الموالى والصنائع بلغ ذلك العدد الى اضعافه يقال ان المعتصم نازل عمورية لما افتتحتها في تسعمائة الف ولا يبعدهم مثل هذا العدد ان يكون صحيحا اذا اعتبرت حاميتهم في الثغور والدانة والقاصية شرقا وغربا الى الجند المحامدين من المملك والموالى والمصطنعين وقال المسعودي احصى بنو العباس بن عبد المطلب خاصة ايام المأمون للاتفاق عليهم فكانوا ثلاثين الفا بين ذكران واناث فانظر مبلغ هذا العدد لقل من مائتي سنة واعلم ان سببه الرفه والنعيم الذي حصل للدولة وورث فيه احياءهم والاف عدد العرب لاول الفتح لم يبلغ هذا ولا قريباً منه والله الخلاق العليم

١٧ * (فصل في اطوار الدولة واختلف احوالها وخلق اهلها باختلاف الاطوار) *

(اعلم) ان الدولة تنقل في اطوار مختلفة وحالات متجددة ويكتسب القائمون بها في كل طور خلقا من احوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الاخر لان الخلق تابع بالاطبع لمزاج الحال الذي هو فيه وحالات الدولة واطوارها لا تعدو في الغالب خمسة اطوار الطور الاول طور الظفر بالبيعة وغلب المدافع والممانع والاسئب لاء على الملأ وانتزاعه من ايدى الدولة السالفة قبلها فيكون صاحب الدولة في هذا الطور اسوة قومه في اكتساب الجند وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية لا يتفردون عنهم بشي لان ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها الغلب وهي لم تر بعد في هذا الطور الثاني طور الاسئب - مداد على قومه والافراد دونهم بالملك وكبهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة ويكون صاحب الدولة في هذا الطور ومعنيا باصطناع الرجال واتخاذ الموالى والصنائع والاستكثار من ذلك المدد عنوف اهل عصبية وعشيرته المقاسمين له في نسبة الضاربين في الملأ يمثل سهمه فهو يدافعهم عن الامر ويصدهم عن مواردته ويردهم على اعدائهم ان يخلصوا اليه حتى يقر الامر في نصابه ويقرد اهل بيته بما ينبت من مجده فيعاني من مدافعهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الاولون في طلب الامر واشد لان الاولين دافعوا الا جانب فكان ظهر اؤهم على مدافعهم اهل العصبية باجمعهم وهذا يدافع الاقارب لا يظاهره على مدافعهم الا الاقل من الابعاد فيركب صعبان الامر الطور الثالث طور الفراغ والدعة التحصيل ثمرات الملأ مما تنزع طباع البشر اليه من تحصيل المال وتخليد الاثمار وبعد الصبب فيستفرغ وسعه في الجباية وضبط الدخل والمخرج واحصاء النققات والقصد فيها وتشييد المباني المحاذلة والمصانع العظيمة والامصار المتسعة والهيكل المرتفعة واجازة

يدعو وجل دعائه * مال القرية ماتع
ومن اشراط الساعة التصدي للامانة وخطبة الولاية

الوفود

(وروى) عن النبي عليه السلام انه قال من اشراط الساعة ان تكون الزكاة مغرما والامانة مغنما حتى ينثني عود عليه الضعيف واهل
الصلاح ويقعدله بالرصد الشرير ويخامر عليه القوي ويقبح ثناؤه عند الجماعة (١٠٥) ويتعمون الراحة منه و ينظرون

من يصلح لها سواء

(الباب الحادي عشر في بيان معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ولا ثبات له دونها)

فأول الخصال وأحقها

بالرعاية العدل الذي هو

قوام الملك ودوام الدول

وأس كل مملكة سواء كانت

نبوية أو اصلاحيّة اعلم

ارشدك الله ان الله تعالى

أمر بالعدل ثم علم سبحانه

ان ليس كل النفوس تصلح

على العدل بل تطلب

الاحسان وهو فوق العدل

فقال ان الله يأمر بالعدل

والاحسان وابتداء ذي القربى

فلو وسع الخلق العدل ما

قرن الله به الاحسان فمن

لم يصلح حتى يزداد على العدل

كيف يصلح اذ لم يبلغ به

العدل والعدل ميزان الله

في الارض الذي به يؤخذ

للضعيف من القوى

وللمحق من المبطل وليس

موضع الميزان بين الرعية

فقط بل بين السلطان

والرعية أيضا فمن أزال

ميزان الله الذي وضعه من

القيام بالقسط فقد تعرض

لسخط الله تعالى وواعلم أيها

الوالي ان الملك بمنزلة رجل

فراسه أنت وقلبه وزيرك

ويداه أعوانك ورجلاه

الوفود من اشراف الامم ووجوه القبائل و بث المعروف في أهله هذا مع التوسعة على صنائعه وحاشيته في
احوالهم بالمال والجاه واعتراض جنوده وادرار زاقهم وانصافهم في اعطياتهم لكل لئلا حتى يظهر أثر
ذلك عليهم في ملابسهم وشكيتهم وشاراتهم يوم الزينة فيما هي بهم الدول المسالمة وبرهب الدول المحاربة
وهذا الطور آخر اطوار الاستبداد من أصحاب الدولة لانهم في هذه الاطوار كلها مستقلون بآرائهم بانون
لعزهم موضعون الطرق لمن بعدهم الطور الرابع طور التنوع والمسالمة ويكون صاحب الدولة في هذا
قائما بما بني ولوه سلبا لانظاره من الملوك واقناله مقلد للماضين من سلفه فيدبغ آثارهم حذو والنهمل
بالنعل ويعتقن طرقهم باحسن مناهج الاقتداء ويرى ان في الخرج عن تقليد هم فساد أمره وانهم ابصر
بما ينوون من مجده الطور الخامس طور الاسراف والتبذير ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متفاما لما
جمع أولوه في سبيل الشهوات والملاذوا الكرم على بطانته وفي مجالسه واصطناع اخدان السوء وخضراء
الدمن وتقليد هم عظيمات الامور التي لا يستقلون بحماها ولا يعرفون ما يأتون ويذرون منها مستفسدا
لكبار الاولياء من قومه وصنائع سلفه حتى يضطغوا عليه ويتخاذلوا عن نصرته مضطجعا من جنده بما
اتفق من اعطياتهم في شهواته ووجوب عنهم وجه مباشرة وتفقدته فيكون مخربا لما كان سلفه يؤسسون
وهادما لما كانوا يبنيون وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهرم ويستولى عليها المرض المزمن الذي
لا تكاد تحصل منه ولا يكون فاعله براه الى ان تتعرض كناية في الاحوال التي نسردها والله خير الوارثين

١٨ * (فصل في ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في اصحابها) *

والسبب في ذلك ان الآثار انما تحدث عن القوة التي بها كانت اولوا وعلى قدرها يكون الاثر فمن ذلك
مباني الدولة وهياكلها العظيمة فامتدت تكون على نسبة قوة الدولة في اصلها لانها لاتتم الا بكثرة الفعلة
واجتماع الايدي على العمل والتعاون فيه فاذا كانت الدولة عظيمة فسيحجها الجوانب كثيرة الممالك
والرعايا كان الفعلة كثير بن جدا وحشروا من آفاق الدولة واقطارها فتم العمل على اعظمها كله الا ترى
الى مصانع قوم عاد وثمود وما قصه القرآن عنهما وانظر بالمشاهدة ان كسرى وما اقتدر فيه الفرس حتى
انه عزم الرشيد على هدمه وتخريبه فتكاد عنه وشرع فيه ثم ادركه العجز وقصة استشارته ليحيى بن خالد
في شأنه معروفة فانظر كيف تقدر دولة على بناء لا تستطيع اخرى على هدمه مع بون ما بين الهدم والبناء
في السهولة تعرف من ذلك بون ما بين الدولتين وانظر الى بلاط الوليد بدمشق وجامع بني امية بقرطبة
والقنطرة التي على واديها وكذلك بناء الحنايا بحلب المساء الى قرطاجنة في القنطرة الراكبة عليها وآثار شرمال
بالمغرب والاهرام بمصر وكثير من هذه الآثار الماثلة للعيان تعلم منه اختلاف الدول في القوة والضعف
واعلم ان تلك الافعال للاقدمين انما كانت بالهندام واجتماع الفعلة وكثرة الايدي عليها فبذلك شيدت
تلك الهياكل والمصانع ولا تتوهم ما تتوهمه العامة ان ذلك اعظم اجسام الاقدمين عن اجسامنا في
اطرافها واقطارها فليس بين البشر في ذلك كبير بون كما تجد بين الهياكل والآثار ولقد ولع القصاص
بذلك وتغالوا فيه وسطر واعن عاد وثمود والعالم بالحق في ذلك اخبار اعريقة في الكذب من اغربها
ما يحكون عن عوج بن عناق (١) رجل من المماليقة الذين قاتلهم بنو اسرائيل في الشام زعموا انه كان لطوله
ينساول السمك من البحر ويشويه الى الشمس ويزيدون الى جهلهم باحوال البشر الجهل باحوال
(١) قوله ابن عناق الذي في القاموس في باب الجيم عوج بن عوق بالواو المشهور وعلى السنة الناس عنق
بالتون اه

(١٥ - ابن خلدون) رعبتك وروحه عدلك وما بقا جسدك لارواح واذا اردت ذروة العدل فاعلم ان الرعية ثلاثة انفس كبير و صغير
ووسط فاجعل كبيرهم ابا ووسطهم اخوا وصغيرهم بنافير اباك واكرم اخاك وارحم ابنتك فانك واصل بذلك الى بر الله وكرامته ورحمته واعلم

ان عدل الملك يوجب الاجتماع عليه وجوره يوجب الافتراق عنه عدل الملك حياة رعيته وفي منثور الحكيم سلطان جائراً ربه من عام خير
من رعيته مهملة ساعة واحدة (١٠٦) من النهار اذا عدل السلطان فيما يقرب منه صلح له ما بعد عنه فضل الملوك في الاعطاء وشرفها

الذكوا كب لما اعتقدوا ان للشمس حرارة وانها شديدة فمما يقرب منها ولا يعلمون ان الحر هو الضوء وان
الضوء فيما يقرب من الارض اكثر لانعكاس الاشعة من سطح الارض بمقابلة الاضواء فتضاعف الحرارة
هنا لاجل ذلك واذا تجاوزت مطارج الاشعة المنعكسة فلاحر هنا اكثر بل يكون فيه البرد حيث يجارى
السياب وان الشمس في نفسها الاحارة والباردة وانما هو جسم بسيط مضى لا مزاج له وكذلك عوج بن عناق
هو فيما ذكره من العمالة او من الكنعانيين الذين كانوا فرسة بنى اسرائيل عند فتحهم الشام واطوال
بنى اسرائيل وجسمانهم لذلك العهد قريبة من هياكلنا يشهد لذلك ابواب بيت المقدس فانها وان
خربت وجددت لم تنزل المحافظة على اشكالها ومقادير ابوابها وكيف يكون التفاوت بين عوج وبين أهل
عصره بهذا المقدار وانما مشارعها في هذا انهم استعظموا آثار الامم ولم يفهموا حال الدول في الاجتماع
والتعاون وما يحصل بذلك وبالهندام من الآثار العظيمة فصر فوه الى قوة الاجسام وشدها بعظم هياكلها
وليس الامر كذلك وقد زعم المسعودي ونقله عن الفلاسفة من عبالا مستندله الا التحكم وهو ان الطبيعة
التي هي جبهة للاجسام لمساها الله الخلق كانت في تمام الحركة ونهاية القوة والكمال وكانت الاعمار
اطول والاجسام اقوى لكمال تلك الطبيعة فان طر والموت انما هو بانحلال القوى الطبيعية فاذا كانت
قوية كانت الاعمار ازيد فكان العالم في اولية نشأته تام الاعمار كامل الاجسام ثم لم ينزل ينقص
لنقصان المادة الى ان بلغ الى هذه الحال التي هو عليها ثم لا يزال ينقص الى وقت الانحلال وانقراض
العالم وهذا راى لوجهه الا التحكم كما تراه وليس له علة طبيعية ولا سبب برهاني ونحن نشاهد ما كن
الاولين وابوابهم وطرقهم فيما احدهم من البنين والهياكل والديار والمساكن كديار عمود المنحوتة في
الصلد من الصخر بيوتها صغارا وابوابها ضيقة وقد اشار صلى الله عليه وسلم الى انها ديارهم ونهى عن
استعمال مياههم وطرح ما عجن به وأهرق وقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا
باكين ان يصيبكم ما اصابهم وكذلك ارض عاد ومصر والشام وسائر بقاع الارض شرقا وغربا والحق
ما قرئناه ومن آثار الدول ايضا حالها في الاعراس والولائم كما ذكرناه في ولية بوران وصنيع الحاج وابن
ذى النون وقد مر ذلك كله ومن آثارها ايضا اعطيا الدول وانها تكون على نسبتها ويظهر ذلك فيما اولو
اشرفت على الهرم فان الهمم التي لاهل الدولة تكون على نسبة قوة ملكهم وغلبتهم للناس والهمم لا تزال
مصاحبة لهم الى انقراض الدولة واعتد به ذلك بجوار ابن ذى يزن لو فقد قر يش كيف اعطاهم من ابطال
الذهب والفضة والاعبد والوصائف عشر اعشروا من كرش العنبر واحدة واضعف ذلك بعشرة امثاله لعبد
المطلب وانما ملكه يومئذ قرارة اليمن خاصة تحت استبداد فارس وانما ساجله على ذلك هممة نفسه بما كان
لقومه التبابعة من الملك في الارض والغلب على الامم في العراقين والهند والمغرب وكان الصنهاجيين
بافر يقية ايضا اذا اجازوا الوفد من امراء زنانية الوافدين عليهم فانما يعطونهم المال اجالا والكساء وتخونا
مملوأة والحجالات جنائب عديدة وفي تاريخ ابن الرقيق من ذلك اخبار كثيرة وكذلك كان عطاء البرامكة
وجوائزهم ونفقاتهم وكانوا اذا كسبوا معدما فامساها والولاية والنعمة آخر الدهر لا العطاء الذي يستنفده
يوم اوبعض يوم واخبارهم في ذلك كثيرة مسطورة وهي كلها على نسبة الدول جارية هذا جوهر الصقلي
الكتاب قائد جيش العبيدين لما ارتحل الى فتح مصر استعد من القبروان بالالف حمل من المال ولا تنتهي
اليوم دولة الى مثل هذا وكذلك وجد بخط احمد بن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحتمل الى بيت المال ببغداد
ايام المأمون من جمع النواحي ونقلته من جراب الدولة (غلات السواد) سبع وعشرون ألف ألف درهم

في العفو وعزها في
العدل عدة السلطان ثلاثة
مشاورة النجباء وثبات نيات
الاعوان واقامة سوق
العدل افضل الازمنة ازمنة
أئمة العدل ثم العدل ينقسم
قسمين قسم اللهى جاءت به
الرسول والانبياء عليهم
السلام عن الله تعالى والثاني
ما يشبه العدل وهو السياسة
الاصلاحية التي هرم عليها
الكبير ونشأ عليها الصغير
وبعبدان يبقى سلطان او
تستقيم رعيته في حال ايمان
او كفر بل العدل قائم ولا
ترتيب للامور ثابت فذلك
ما لا يجوز ولا يمكن وقد
ذكرنا في اول السكبان ان
سليمان بن داود سلب
ملكه حين جاس الخنصان
بين يديه وكان لاحدهما
خاصة بتسليمان فقال في
نفسه ووددت ان يكون
الحق الخاصتي فاقضى له
فسلبه الله تعالى ملكه
وقعد الشيطان على كرسيه
فاجعل العدل راس
سياستك فنسقط عنك
جميع الافات المفسدة
للسياسة وتقوم لك جميع
الشرائط التي تقوم بها
الملكية قال علي بن ابي
طالب رضي الله عنه امام
عادل خير من مطروايل
واسد حطوم خير من سلطان ظلوم و سلطان ظلوم خير من قننة تدوم وقال ابن مسعود اذا كان الامام عادلا فله الاجر مرتين
وعليك الشكر وان كان جائرا فعليه الوزر وعليك الصبر وقال سليمان بن داود عليهم السلام الرحمة والعدل يحرزان الملك واتفق حكما

مرتين
عادل خير من مطروايل
واسد حطوم خير من سلطان ظلوم و سلطان ظلوم خير من قننة تدوم وقال ابن مسعود اذا كان الامام عادلا فله الاجر مرتين
وعليك الشكر وان كان جائرا فعليه الوزر وعليك الصبر وقال سليمان بن داود عليهم السلام الرحمة والعدل يحرزان الملك واتفق حكما

العرب والجم على هذه الكلمات فقالوا الملك بناء والجند أساسه فاذا قوى الاساس دام البناء وان ضعف الاساس انهار البناء فلا سلطان
الاجند ولا جند الاممال ولا مال الاجبية ولا جباية الاجارة ولا عمارة الابعدل (١٠٧) فصار العدل اساسا للسلطان

فاما العدل النبوي فان
يجمع السلطان الى نفسه
حجة العلم الذين هم حفاظه
ورعاه وفته هاهو وهم الادلاء
على الله تعالى والقائمون بامر
الله والمحافظون لمحدود
الله والناصحون لعباد الله
وروي ابوهريرة ان النبي
عليه السلام قال ان الدين
النصيحة ان الدين النصيحة
ان الدين النصيحة قالوا
لمن يا رسول الله قال لله
وليكما به ولرسوله ولائمة
المسلمين وعامتهم فاتخذ
ايها الملك العلماء شعارا
والصالحين دنارا فتدور
المملكة بين ناصح العلماء
ودعوات الصالحين واخلاق
الملائكة ووربين هاتين
المخلصتين ان تقوم عنده
ويطول امده وكيف لا
وقد فرقه الله في سلطانه
واصطفاهم بخالص
معرفة فقال جل من قائل
شهد الله انه لا اله الا هو
والملائكة وأولو العلم
قائما بالقسط فبدا بنفسه
ونبي ملائكته وثالث باولي
العلم وهم ورثة الانبياء عليهم
السلام الموفقون عن الله
تعالى لان الانبياء لم يورثوا
دينارا ولا درهما وانما
ورثوا العلم فني تعظيمهم
وتقريبهم امثال لامر الله

مرتين وثمانمائة الف درهم ومن الحلال النجراية مائة حلة ومن طين الختم مائتان واربعون رطلا
* (كنكر) * احد عشر الف درهم مرتين وثمانمائة الف درهم * (كوردجلة) * عشرون الف درهم
درهم وثمانية دراهم * (حلوان) * اربعة آلاف الف درهم مرتين وثمانمائة الف درهم * (الاهواز) *
خمس وعشرون الف درهم مرة ومن السكر ثلاثون الف رطل * (فارس) * سبعة وعشرون الف الف
درهم ومن ماء الورد ثلاثون الف قارورة ومن الزيت الاسود عشرون الف رطل * (كرمان) * اربعة
آلاف الف درهم مرتين وثمانمائة الف درهم ومن المتاع الماني خمسة مائة ثوب ومن الثمر عشرون الف رطل
* (مكران) * اربعة مائة الف درهم مرة * (السند وما يليه) * احد عشر الف درهم مرتين وخمسمائة
الف درهم ومن العود الهندي مائة وخمسون رطلا * (سجستان) * اربعة آلاف الف درهم مرتين ومن
التياب المعينة ثلاثمائة ثوب ومن الفانيد عشرون رطلا * (خراسان) * ثمانية وعشرون ألف الف درهم
مرتين ومن نقر الفضة ألفانقره ومن البراذين اربعة آلاف ومن الرقيق ألف رأس ومن المتاع عشرون
ألف ثوب ومن الاهليلج ثلاثون الف رطل * (جران) * اثناعشر ألف الف درهم مرتين ومن الابر يسيم
ألف شقة * (قوهس) * ألف ألف مرتين وخمسمائة ألف من نقر الفضة * (طبرستان والروبان ونهاوند) *
سنة آلاف ألف مرتين وثلاثمائة ألف ومن الفرس الطبرى ستمائة قطعة ومن الاكسية مائتان ومن
التياب خمسة مائة ثوب ومن المناديل ثلثمائة ومن الجاهات ثلثمائة * (الري) * اثناعشر ألف الف درهم
مرتين ومن العسل عشرون الف رطل * (همدان) * احد عشر ألف الف درهم مرتين وثلثمائة ألف ومن
رب الرمانين ألف رطل ومن العسل اثناعشر ألف رطل (ما بين البصرة والكوفة) عشرة آلاف ألف
درهم مرتين وسبعمائة الف درهم (ماسبدان والدينار) اربعة آلاف الف درهم مرتين * (شهرزور) *
سنة آلاف الف درهم مرتين وسبعمائة الف درهم * (الموصل وما اليها) * اربعة وعشرون الف الف
درهم مرتين ومن العسل الابيض عشرون الف الف رطل * (اذربيجان) اربعة آلاف الف درهم
مرتين * (الجزيرة وما يليها من اعمال الفرات) * اربعة وثلاثون الف الف درهم مرتين ومن الرقيق
الف رأس ومن العسل اثناعشر الف رطل (٢) ومن البزاة عشرة ومن الاكسية عشرون * (ارمينية) * ثلاثة
عشر ألف الف درهم مرتين ومن القسط المحفور عشرون ومن الزقم خمسة مائة وثلاثون رطلا ومن المسايح
السورماهي عشرة آلاف رطل ومن الصوف خمسة عشرة آلاف رطل ومن البغال مائتان ومن المهرة ثلاثون
* (فسرين) * اربعة مائة ألف دينار ومن الزيت ألف رطل * (دمشق) * اربعة مائة ألف دينار
وعشرون ألف دينار * (الاردن) * سبعة وتسعون ألف دينار * (فلسطين) * ثلاثمائة ألف دينار
وعشرة آلاف دينار ومن الزيت ثلثمائة ألف رطل * (مصر) * ألف ألف دينار وتسعمائة الف
دينار وعشرون الف دينار * (برقة) * ألف الف درهم مرتين * (افريقية) * ثلاثة عشر ألف ألف
درهم مرتين ومن البسط مائة وعشرون * (اليمن) * ثلثمائة ألف دينار وسبعمائة ألف دينار وسوى
المتاع * (الحجاز) * ثلاثمائة ألف دينار تهبي واما الاندلس فالذي ذكره الثقات من مؤرخيها ان
عمد الرحمن الناصر خلف في بيوت أمواله خمسة آلاف الف دينار مكررة ثلاث مرات يكون جملتها
بالقناطر خمسة مائة ألف قنطار ورايت في بعض تواريخ الرشيد ان الهـمول الى بيت المال في أيامه

(١) قوله والدينار الظاهر انما الدينور وفي الترجمة التركية ما سندان ووربان اه

(٢) قوله ومن البزاة الخ في التركية ومن السكر عشرة صناديق اه

تعالى وتعظيم لمن أثنى الله عليه ويجب ترفيع مجالسهم وتعيين مواضعهم عن سواهم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا
العلم درجات وفيه استعمال قلوب الرعية وخلوص نياتهم لسلطانهم واجتماعهم على محبته فواجب على السلطان ان لا يقطع أمرادونهم

ولا يقبل حكما الا بشاؤ ربهم لانه في ملك الله يحكم وفي شريعته يتصرف وأقل الواجبات على السلطان ان ينزل نفسه مع الله منزلة ولاته
معها أليس اذا خالف واليه أمره (١٠٨) وما ربه له من الاحكام عزله وعاقبه ولم يأمن سطوته واذا امثل او امره وازجر من

سبعة آلاف قنطار ووجه مائة قنطار في كل سنة فاعتبر ذلك في نسب الدول بعضها من بعض ولا تنكر
ما ليس به عهد عندك ولا في عصرك شيء من أمثاله فتصديق حوصلتك عند ملتقط المكاتب فكثير من
الحوادث اذا سمعوا أمثال هذه الاخبار عن الدول السالفة بادربالانكار وليس ذلك من الصواب فان
أحوال الوجود والعمران متفاوتة ومن أدرك من هارتبة سة على أو وسطى فلا يحصر المدارك كلها فيها ونحن
اذا اعتبرنا ما نقل لنا عن دولة بني العباس وبني أمية والعبيديين وناسبنا الصحيح من ذلك والذي لا شك
فيه بالذي نشاهده من هذه الدول التي هي أقل بالنسبة اليها وجدنا بينها ابونا وهو ما بينها من التفاوت في
أصل قوتها وعمران ممالكها فالأكثر ما ركها جارية على نسبة الاصل في القوة كما قدمناه ولا يسعنا انكار
ذلك عنها اذ كثير من هذه الاحوال في غاية الشهرة والوضوح بل فيها ما يلحق بالمستقيض والمتواتر وفيها
المعاني والمشاهد من آثار البناء وغيره نتخذ من الاحوال المنقولة مراتب الدول في قوتها اوضاعها وخصامتها
أوصغرها واعتبر ذلك بما نقصه عليك من هذه الحكاية المستظرفة وذلك انه ورد بالمغرب له هدا السلطان أبي
عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة (١) كان رجلا منذ عشرين سنة قبلها
الى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند وهو السلطان محمد
شاه واتصل بملاكها لذلك العهد وهو فيروز جوه وكان له منه مكان واسد تعمله في خطة القضاء بذهب
المالكية في عمله ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان ابي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من
البحايب بممالك الارض وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتى من أحواله بما يبسبب تغربه
السامعون مثل أن ملك الهند اذا خرج الى السمرقند اوصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض
لهم رزق ستة أشهر تدفع لهم من عطائه وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة
الى صحراء البادويطوفون به وينصب امامه في ذلك الحقل مخنجات على الظهر ترمى بها شكاير الدراهم
والدنانير على الناس الى ان يدخل ابوانه وامثال هذه الحكايات فتناجي الناس بتكذيبه واقبيت
ابامه وزير السلطان فارس بن وردا رابعيد الصيت ففاوضته في هذا الشأن وأريته انكار اخبار ذلك
الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال لي الوزير فارس اياك أن تستنكر مثل هذا من أحوال
الدول بما انك لم تره فتسكون كابن الوزير الناشئ في السجن وذلك أن وزير اعنقه له سلطانه ومكث في
السجن سنين ربي فيها بنه في ذلك المحبس فلما أدرك وعقل سأل عن اللحم الذي كان يتغذى به فقال له
أبوه هذا لحم الغنم فقال وما الغنم فيصقه اله أبوه بشياتها ونعوتها فيقول يا بئس تراها مثل الفار فيسبب عليه
ويقول ابن الغنم من الفار وكذا في لحم الابل والبقراذلم يعان في محبسه من الحيوانات الالفار فيسببها
كلها أبناء جنس الفار وهذا كثيرا ما يعترى الناس في الاخبار كما يعترىهم الوسواس في الزيادة عند قصد
الاغراب كما قدمناه أول الكتاب فليرجع الانسان الى اصوله وليكن مهتما على نفسه ومميزا بين طبيعة
الممكن والممتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته فادخل في نطاق الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس
مرادنا الامكان العقلي المطلق فان نطاقه اوسع شيء فلا يفرض حدابين الواقعات وانما مرادنا الامكان
بحسب المادة التي للشيء فاننا اذا نظرنا اصل الشيء وخصه ووضعه ومقدار عظمه وقوته اجرينا الحكم من
نسبة ذلك على احواله وحكمنا بالامتناع على ما خرج من نطاقه وقل رب زدني علما وانت ارحم الراحمين
والله سبحانه وتعالى اعلم

(١) كان ابتداء رحلته ابن بطوطة سنة ٧٢٥ وانتهى وها سنة ٧٥٤ وهي عجيبة ومختصرها نحو ٧٠٠ كر اريس اه

زواجه رجل منه مجل
الرضا فوا عجب المن يعضب
على واليه اذا خالفه ثم
لا يخاف سطوته به عليه
اذا خالفه فهذه طريق
اقامة العدل الشرعي
والسياسة الاسلامية
الجامعة لوجه المصلحة
الاخذ لازمة التدبير
السالمة من العيوب المعهدة
لاستقامة الدنيا والدين وكما
ان الملك المحازم لا يتم حزمه
الا بشاؤرة الوزراء والاخبار
كذلك لا يتم عدله الا
باستفتاء العلماء الابرار
وقد وقع المأمون في قصة
متظلم من عمرو بن مسعدة
يا عمر يا عمر نعمت بالعدل فان
الجور يهدمها وفي اشاعة
العدل قوة القلب وطية
النفوس وزوم اليقين
وأمان من العسر ولما
استأذن المرمران على عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه
لم يجد عنده حاجبا ولا بابا
فقبل له هو في المسجد فأتى
المسجد فوجده مستلقيا
متوسدا كرومان الحصباء
ودرته بين يديه فقال له
عدلت فامنت فممت وقال
الحسن رأيت عثمان بن
عقان رضي الله عنه وقد
جمع الحصباء في مسجد
النبي عليه السلام عند

رأسه وقد وضع أحد جانبي رداءه عليه وهو يومئذ أمير المؤمنين ما عنده أحد من الناس ودرته بين يديه وكتب عامل
فصل
جس الى عمر بن عبد العزيز ان مدينة حصص قد تهدمت واحتاجت الى اصلاح فكتب اليه عمر حصنها بالعدل ونق طرقها من الجور

والسلام وقالت الحكمة من حرم العدل فلا خير فيه ولا للناس في ساطعانه وقال يحيى بن اكرم ما شئت المأمون في بستان والشمس عن يسارى
والمأمون في الظل فلما رجعنا وقعت الشمس أيضا على فقال لي المأمون تحول (١٠٩) مكانى وأتحول مكانك حتى تكون في الظل

كما كنت وأقنك الشمس
كما وقيني فان أول العدل
ان يعدل الرجل على بطانته
ثم الذين يلوئهم حتى يبلغ
العدل الطبقة السفلى فعزم
على فتحوالات وكان يقال
ليس شئ أبعد من بقاء ملك
العاصب وقيل للاسكندر
لوا كثرت من النساء حتى
يكترن سلب ويحياذ كرك
فقال انما يحيى الذي ذكر
الافعال الجميلة والسيرة
الجميدة ولا يحسن من يغلب
الرجال ان تغلبه النساء
وقال الحكيم من اتخذ
العدل سنة كان له احسن
جنة ومن استشر رحلة
العدل استكمل زينة
الفضل وقال أبو عبيد بن
عبد الله بن مسعود ان
الامام العادل ليس كنت
الاصوات عن الله وان
الامام الجائر لتكثرت منه
الشكايه الى الله تعالى

١٩ * (فصل في استظهار صاحب الدولة وقومه واهل عصبية بالموالى والمصطنعين) *

(اعلم) ان صاحب الدولة انما يتم امره كما قلناه بقومه فهم عصبته وظهر اؤه على شأنه وبنوهم يقارع
المخارج على دولته ومنهم من يقلد اعمال مملكته ووزارة دولته وجباية امواله لانهم اعوانه على الغلب
وشركاؤه في الامر ومساهموه في سائرهم - ماته هذا مادام الطور الاول للدولة كما قلناه فاذا جاء الطور الثاني
وظهر الاستبداد عنهم والانفراد بالجند وادفعهم عنه بالاراح صاروا في حقيقة الامر من بعض اعدائه واحتاج
في مدافعتهم عن الامر وصددهم عن المشاركة الى اولياء آخرين من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولاهم
دونهم فيكونون اقرب اليه من سائرهم واخص به قربا واصله طنا واوولى ايتارا وواجهامالانهم يستمتتون
دونه في مدافعة قومه عن الامر الذي كان لهم والرتبة التي القوها في مشاركتهم فيستخلصهم صاحب الدولة
حينئذ ويخصهم بمزيد التكرمة والايتار ويقسم لهم مثل مال الكثير من قومه ويقلدهم جليل الاعمال
والولايات من الوزارة والقيادة والجباية وما يختص به لنفسه وتكون خالصة له دون قومه من القاب
المملوكة لانهم حينئذ اولياؤه الاقربون ونصحاءه المخلصون وذلك حينئذ مؤذن باهتصاص الدولة وعلامة
على المرض المزمن فيها الفساد العصبية التي كان بنساء الغلب عليها وعرض قلوب اهل الدولة حينئذ لمن
الامتنان وعداوة السلطان فيضطغون عليه ويتربصون به الدوائر ويعود وبال ذلك على الدولة ولا يطمع
في برئها من هذا الداء لانه ماضى يتأكد في الاعقاب الى ان يذهب رسمها واعتبر ذلك في دولة بني امية
كيف كانوا انما يستظهرون في حروبهم وولاية اعمالهم برجال العرب مثل عمرو بن سعد بن ابى وقاص
وعبيد الله بن زياد بن ابى سفيان والحجاج بن يوسف والمهلب بن ابى صقره وخالد بن عبد الله القسرى وابن
هبيرة وموسى بن نصير وبلال بن ابى بردة بن ابى موسى الاشعري ونصر بن سيار وامثالهم من رجالات
العرب وكذا صدر من دولة بني العباس كان الاستظهار فيهم ايضا برجال العرب فلما صارت الدولة
للافراد بالجند وكبح العرب عن التناول للولايات صارت الوزارة للعجم والصنائع من البرامكة وتبى سهل
ابن نو بخت وبنى طاهر ثم بنو يه وموالى الترك مثل بغا ووصيف وانا مش وباكناك وابن طولون
وابنائهم وغير هؤلاء من موالى العجم فتكون الدولة لعجم من مهدا والعزغري من اجتلبه سنة الله في
عباده والله تعالى اعلم

٢٠ * (فصل في احوال الموالى والمصطنعين في الدول) *

اعلم ان المصطنعين في الدول يتفاوتون في الالتحام بصاحب الدولة بتفاوت قديمهم وحدثهم في الالتحام
بصاحبها والسبب في ذلك ان المقصود في العصبية من المدافعة والمغالبة انما يتم بالنسب لاجل التناصر في
ذوى الارحام والقرى والتخاذل في الاجانب والبعدها كما قدمناه والولاية والمخالطة بالرق أو بالمخلف تنزل
منزلة ذلك لان امر النسب وان كان طبيعيا فانه هو المعنى الذي كان به الالتحام انما هو العشرة
والمدافعة وطول الممارسة والصحة بالمرتبة والرضاع وسائر احوال الموت والحياة واذا حصل الالتحام بذلك
جاءت النعرة والتناصر وهذا ما شاهد بين الناس واعتبر من له في الاصطناع فانه يحدث بين المصطنع ومن
اصطنعه نسبة خاصة من الوصلة تنزل هذه المنزلة وتتوكل كد العمة وان لم يكن نسب فتمرات النسب
موجودة فاذا كانت هذه الولاية بين القبيل وبين اولياهم قبل حصول الملك لهم كانت عروقها اوشج
وعقائدها اصح ونسبها اصرح لوجهين احدهما انهم قبل الملك اسوة في حالهم فلا يتغير النسب عن الولاية الا
عند الاقل منهم فيبتزلون منهم منزلة ذوى قرابتهم واهل ارحامهم واذا اصطنعوهم بعد الملك كانت مرتبة

وقال الحكيم لا يزال
السلطان مهملا حتى يتخطى
الى اركان العمارة ومباني
الشريعة فيثنيذير يح الله
منه وقالوا لا تظلم الضعفاء
فتكون من لئام الاقوياء
وقال بعض الحكماء امير
بلاعدل كقيم بلامطر
وعالم بلاورع كارض بلا
نات وشاب بلاتوبة كشيخ

بلاثر وغنى بلاسقاء كقفل بلا مفتاح وفقير بلا صبر كسراج بلا ضوء وامرأة بلا حياء كقطعام بلا ملح وقال كسرى اتفتت ملوك العجم على
اربع خصال ان الطعام لا يثو كل الاعلى شهوة والمرأة لا تنظر الا الى زوجها والمال لا يصلحه الا الطاعة والرعية لا يصلحها الا العدل

وأحق الناس بأخبار نفسه على العدل الملوک الذين بعدهم يعدل من دونهم والذين اذا قالوا او فعهوا كان نافذا غير مردود وقالت المحكمة
دم ماشئت بالانصاف وانازعهم (١١٠) لك بالظفر به والظلم ادعى شئ الى تغيير نعمة او تعجيل نعمة وقال المحكم شر الزاد

المالك مميزة للسيد عن المولى ولاهل القرابة عن اهل الولاية والاصطناع لما تقتضيه احوال الرياسة والملك
من تميز الرتب وتفاوتها وتميز حاتمهم ويتنزلون منزلة الاجانب ويكون الالتحام بينهم اضعف والتماس
لذلك ابعد وذلك انقص من الاصطناع قبل الملك الوجه الثاني ان الاصطناع قبل الملك يعدد عهده
عن اهل الدولة بطول الزمان ويخفى شأن تلك اللحمة ويظن بها في الاكثر النسب فيقوى حال العصبية
واما بعد الملك فيقرب العهد ويستوى في معرفته الاكثر فثنتين اللحمة وتميز عن النسب فتضعف
العصبية بالنسبة الى الولاية التي كانت قبل الدولة واعتبر ذلك في الدول والرياسات تجده فكل من كان
اصطناعه قبل حصول الرياسة والملك لمصطنعه تجده اشد التحامه واقرب قرابة اليه ويتنزل منه منزلة
ابنائهم واخوانه وذوي رحمة ومن كان اصطناعه بعد حصول الملك والرياسة لمصطنعه لا يكون له من
القرابة واللحمة ما للاولين وهذا ما شاهد بالعبان حتى ان الدولة في آخر عمرها ترجع الى استعمال الاجانب
واصطناعهم ولا يبني لهم مجد كما بناه المصطنعون قبل الدولة لقرب العهد حينئذ بأوليتهم ومشاركة الدولة
على الانقراض فيكونون منخطين في مهاوى الضعة وانما يحمل صاحب الدولة على اصطناعهم والعدل
اليهم عن اولياتهم الاقدمين وصنائعها الاولين ما يعترتهم في انفسهم من العزة على صاحب الدولة وقلة
المخضوع له ونظرة بما يتضره به قبيله واهل نسبه لتأكد اللحمة منذ العصور المتطاولة بالمرنى والانصال
بأبناءه وساق قومهم والانتظام مع كبراء اهل بيته فيحصل لهم بذلك دالة عليه واعتزاز فيناقرهم بسببها
صاحب الدولة ويعدل عنهم الى استعمال سواهم ويكفون عهدهم استخلاصهم واصطناعهم قري بما فلا
يباغون رتب المجد ويقعون على حالهم من الخارجية وهكذا شأن الدول في اواخرها واكثر ما يطلق اسم
الصنائع والاولياء على الاولين وامام اولاء المحدثون فخدم واعوان والله ولي المؤمنين وهو على كل شئ وكيل

٢١ (فصل فيما يعرض في الدول من سحر السلطان والاستبداد عليه) *

اذا استقر الملك في نصاب معين ومنبت واحد من القبيل القاتنين بالدولة وانفردوا به ودفعوا سائر القبيل
عنه وتداوله بنوهم واحدا بعد واحد بحسب الترشح فربما حدث التغلب على المنصب من وزيراتهم
وحاشيتهم وسببه في الاكثر ولاية صبي صغير او مضعف من اهل المنبت يترشح للولاية بعهد ابيه او بترشح
ذويه وخوله ويؤنس منه العجز عن القيام بالملك فيقوم به كافلة من وزراء ابيه وحاشيته ومواليه او قبيله
ويورى بحفظ امره عليه حتى يؤنس منه الاستبداد ويجعل ذلك ذريعة للملك فيحجب الصبي عن الناس
ويعوده اللذات التي يندعو اليها ترف احواله ويسميه في مراعاتها متى أمكنه وينسبه النظر في الامور
السلطانية حتى يستبد عليه وهو بمعاودة يعتقد ان حظ السلطان من الملك انما هو جلوس السرير
واعطاء الصقعة وخطاب التهويل والقعود مع النساء خلف الحجاب وان الحمل والربط والامر والنهي
ومباشرة الاحوال الملوكية وتقددها من النظر في الجيش والمال والشعور انما هو للوزير ويسلم له في ذلك
الى ان يستحكم له صبغة الرياسة والاستبداد ويتحول الملك اليه ويؤثر به عشيرته وابنائهم من بعده كقوة
لبنى بويه والترك وكافور الاخشيدي وغيرهم بالشرق وللنصور بن ابي عامر بالاندلس وقد يتقطن ذلك
المجور المغالب لشانه فيحاول على الخروج من ربة الحجر والاستبداد ويرجع الملك الى نصابه ويضرب
على ايدي المتغلبين عليه اما يقتل او يرفع عن الرتبة فقط الا ان ذلك في النادر الاقل لان الدولة اذا اخذت
في تغلب الوزراء والاولياء استمر لها ذلك وقل ان يخرج عنه لان ذلك انما يوجد في الاكثر عن احوال
الترف ونشأة ابناء الملك منغيبين في نعيمه قد نسوا عهد الرجولة والفواخلاق والدايات والاطا روربو

الى المعاد الذنب بعد
الذنب وشرم من هذا
العدوان على العباد وموتى
أراد السلطان حسن الصيت
وجيل الذك فليقم سوق
العدل وان أحب الزاني
عند الله وشرف المنزلة عنده
فليقم سوق العدل وان
اجب ما جبه فليقم سوق
العدل والذي يخاد به ذكر
الملوک على غابر الدهور
عدل واضح وجور فاضح
هذا هو جب له الرحمة وهذا
يوجب له اللعنة

*(فصل) * فاما القسم
الثاني من العدل وهو
السياسة الاصلاحية وان
كان أصلها على الجور فيقوم
بها امر الدنيا وكانها تشارك
مراتب الانصاف على نحو
ما كانت عليه ملوک
الطاوئف في أيام الفرس
وكانوا كفارا يعبدون
النيران ويتبعون هواجس
السلطان فوضعوا بينهم
سنا وأسسوا لهم أحكاما
وأقاموا لهم مراتب في
النصقة بين الرعايا واستجاب
الخرجات وتوظيف
المكوس على التجارات كل
ذلك بعقولهم على وجوه
ما أنزل الله بهان سلطان
ولانصاف عليهما من برهان
يبدأ به مساجات الشريعة

من عبد الله تعالى على لسان نبيه صاحب المحزنة محمد صلى الله عليه وسلم فنهاما أقرته في نصابه
وهي ما نسخته وأبطلت حكمه فعادت الحكمة البالغة الى الله تعالى والحكم بما أنزل الله وبطل ما سواه وكان ملكهم محقة ونظا برعاياتهم
عليها

للقوانين المألوفة بينهم فانقطع بذلك حبل المهمل فكانوا يقومون بها واجب الحقوق ويتعاطون بهم امامهم وعليهم ومن هذا كان يقال ان السلطان الكافر المحافظ لشرائط السياسة الاصلاحية ابقى واغوى من السلطان (١١١) المؤمن العدل في نفسه المضيع للسياسة

النبوية العادلة والجور
المرتب ابقى من العدل
المهمل اذ لا شيء اصح لامر
السلطان من ترتيب الامور
ولا شيء افسد له من اهمالها
واعلم ان درهما يؤخذ من
الرعية على وجه الاهمال
والخزق وان كان عدلا
افسد لقلوبها من عشرة
تؤخذ منها سياسة على زمان
معروف ورسم مألوف وان
كان جورا فلا يقوم السلطان
لاهل الايمان ولا لاهل
الكفران الا باقامة العدل
النبوي وما يشبه العدل
من الترتيب الاصطلاحي
وقال ابن المقفع الملوكة ثلاثة
ملك دين وملك خرم وملك
هو ي فاما ملك الدين فانه
اذا قام لاهل المملكة دينهم
كانوا راضين وكان الساخط

عليها فلا ينزعون الى رياسة ولا يعرفون استبداد من تغلب انما هم مهمم في القنوع بالاجهة والنفن في
الاذات وأنواع الترف وهـ ذ التغلب يكون للموالي والمصطنعين عند استبداد عشرير الملك على قومهم
وانفراد هـ م به دونهم وهو عارض للدولة ضروري كما قدمناه وهـ ذ ان مرضان لا يبرء للدولة منهما الا في
الاقل النادر والله يؤتي ملكه من يشاء وهو على كل شيء قدير

٢٢ * (فصل في ان المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في اللقب الخاص بالملك) *

وذلك ان الملك والسلطان حصل لاؤليه منذ اول الدولة بعصبة قومه وعصبيته التي استتبعتهم حتى
استحكمت له ولقومه صبغة الملك والتغلب وهي لم تنزل باقية وبها تحفظ رسم الدولة وبقاؤها وهذا المتغلب
وان كان صاحب عصبة من قبيل الملك او الموالي والصنائع فعصبيته من درجة في عصبة اهل الملك
وتابعة لها وليس له صبغة في الملك وهو لا يحاول في استبداده انتزاع الملك ظاهر او انما يحاول انتزاع ثمراته
من الامر والنهي والحل والعقد والبرام والنقض يوهم فيها اهل الدولة انه متصرف عن سلطانة منقذ في
ذلك من وراء الحجاب لاحكامه فهو يتجافى عن سمات الملك وشاراته والقباه جهده ويبيع نفسه عن
التمتة بذلك وان حصل له الاستبداد لانه مستتر في استبداده ذلك بالحجاب الذي ضرب به السلطان واولوه
على انفسهم عن القبيل منذ اول الدولة ومغاط عنه بالنباية ولو تعرض لشي من ذلك لنفسه (١) عليه اهل
العصبة وقبيل الملك وحاولوا الاستئثار به دونه لانه لم تستحكم له في ذلك صبغة تكملهم على التسليم له
والانقياد فيقبل لاول وهلة وقد وقع مثل هذا العبد الرحمن بن الناصر بن المنصور بن ابي عامر حين سما الى
مشاركة هشام واهل بيته في لقب الخلافة ولم يقنع بما قنع به ابوه واخوه من الاستبداد بالحل والعقد
والمراسم المتتابعة فطلب من هشام خليفته ان يعهد له بالخلافة فنفس ذلك عليه بنومر وان وسائر قريش
وبايعوا لابن عم الخليفة هشام محمد بن عبد الجبار بن الناصر وخر جواعلهم وكان في ذلك خراب دولة
العامر بين وهلاك المؤيد خليفته واستبدل منه سواه من اعباص الدولة الى آخرها واختلت مراسم
ملكهم والله خير الوارثين

٢٣ * (فصل في حقيقة الملك واصنافه) *

الملك منصب طبيعي للانسان لا ناقد بينا ان البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم الا باجتماعهم وتعاونهم على
تحصيل قوتهم وضرب رواتهم واذا اجتمعوا دعت الضرورة الى المعاملة واقتضاء الحاجات ومد كل واحد منهم
يده الى حاجته يأخذها من صاحبه لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض ويمنعه
الاخر عنها بمقتضى الغضب والانفة ومقتضى القوة البشرية في ذلك فيقع التنازع المفضي الى القتالة
وهي تؤدي الى المهرج وسفك الدماء وانهاب النفوس المفضي ذلك الى انقطاع النوع وهو مما خصه
الباري سبحانه بالمحافظة فاستحال بقاؤهم فوضي دون حاكم يزع بعضهم عن بعض واحتاجوا من اجل
ذلك الى الوازع وهو الحاكم عليهم وهو مقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم ولا بد في ذلك من
العصبة لما قدمناه من المطالبات كلها والمدافعات لا تتم الا بالعصبة وهذا الملك كما تراه منصب شريف
توجه نحو المطالبات ويحتاج الى المدافعات ولا يتم شيء من ذلك الا بالعصبات كما مروا بالعصبات متغاوية
وكل عصبة فلها تحكم وتغلب على من يليها من قومه واوعشيرها وليس الملك لكل عصبة وانما الملك على
الحقيقة لمن يستعد الرعية ويحجي الاموال ويبعث البعث ويحرمي الثغور ولا تكون فوق يده القاهرة
(١) قوله لنفسه بفتح اللام والنون وكسر الفاء يقال نفس عليه الشيء كفرح لم يره اهلاله كفاي القاموس

فيه بمنزلة الراضي واما ملك
الحزم فيقوم به الامر ولا يسلم
من الطعن والسخط وان
يضر طعن الذليل مع خرم
القوى واما ملك الهوى
فلعب ساعة ودمار دهر
ولقد بلغنا ان ملكا كان
ملوك الهند نزل به صمم
فاصبح متوجعا مهمما
بامور المظلومين وانه لا يسمع
استغاثتهم فامر مناديه ان
لا يلبس احد في ملكته
ثوبا اجر المظلوم وقال
لئن منعت سمعي لم منع بصري فساكن كل من ظلم لبس ثوبا اجر ووقف تحت قصره فيكشف عن ظلامته قال شيخنا واخبرني ابو العباس
الحجازي وكان من دخل الصين بسيرة عجيبه غريبة الملوكة كما في سياستهم وذلك ان للبيت الذي يكون فيه الملك ناقوسا موصولا بسلسلة

وظرف السلسلة في خارج الطريق وعليها أمنا للسلطان وحفظه فيأتي المظلوم فيحرك السلسلة فيسمع الملك صوت الناقوس فيأمر
بإدخال المظلوم في كل من حرك (١١٢) السلسلة تمسكه تلك الحفظة حتى تدخله على السلطان * (الباب الثاني عشر في التنصيص

وهذا معنى الملك وحقيقته في المشهور فمن قصرت به عصيته عن بعضها مثل حماية الثغور أو جباية الأموال
أو بعث البعث فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته كما وقع لكثير من ملوك البر في دولة الأغالب بآقير وان
والمولك الجهم صدر الدولة العباسية ومن قصرت به عصيته أيضا عن الاستعلاء على جميع العصابات
والضرب على سائر الأيدي وكان فوقه حكم غيره فهو أيضا ملك ناقص لم تتم حقيقته وهو لاء مثل أمراء
النواحي ورؤساء الجهات الذين تجمعهم دولة واحدة وكثيرا ما يوجد هذا في الدولة المنسقة النطاق أعني
توجد ملوك على قومهم في النواحي القاصية يدينون بطاعة الدولة التي جمعهم مثل صناجة مع العبيدين
وزنائة مع الامو بين تارة والعبيدين تارة أخرى ومثل ملوك العجم في دولة بني العباس ومثل أمراء البربر
وملوكم مع الفرنجة قبل الاسلام ومثل ملوك الطوائف من الفرس مع الاسكندر وقومه اليونانيين
وكثير من هؤلاء فاعتبره تجده والله القاهر فوق عباده

٢٤ * (فصل في ان ارفاق المحمض بالملك ومفسده في الاكثر) *

اعلم ان مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه من حسن شكله أو ملاحه وجهه أو عظم جسمانه
أو اتساع عمله أو جودة خطه أو ثقب ذهنه وإنما مصلحة لهم فيه من حيث اضافته اليهم فان الملك والسلطان
من الامور الاضافية وهي نسبة بين منسبين فحقيقة السلطان انه المالك للرعية القائم في امورهم عليهم
فالسلطان من له رعية والرعية من له سلطان والصفة التي له من حيث اضافته لهم هي التي تسمى الملكة
وهي كونه يملكهم فاذا كانت هذه الملكة وتوابعها من الجوده يمكن حصل المقصود من السلطان على اتم
الوجوه فانها ان كانت جميلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم وان كانت سنية متعسفة كان ذلك ضررا عليهم
واهلا كلهم ويعود حسن الملكة الى الرفق فان الملك اذا كان قاهرا باطش بالعبوات منقباعن عورات
الناس وتعد يذنبو بهم شملهم الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة فتتعلقوا به او فسدت
بصائرهم وأخلاقهم ورماخذلوه في مواطن الحرب والمدافعات ففسدت الحماية بفساد النبات وربما
أجمعوا على قتله لذلك فنفسد الدولة ويخرب السياج وان دام أمره عليهم وقهره فسدت العصبة لما قلناه
أو لافسد السياج من أصله بالعجز عن الحماية واذا كان رقيقا بهم متجاوزا عن سيئاتهم اسدنا ما واليه ولاذوا
به وأشر بواجبته واستماتوا دونه في محاربة أعدائه فاستقام الامر من كل جانب وأما توابع حسن الملكة
فهي النعمة عليهم والمدافعة عنهم فالمدافعة بها تتم حقيقة الملك وأما النعمة عليهم والاحسان لهم
فن جملة الرفق بهم والنظر لهم في معاشهم وهي اصل كبير في التحبب الى الرعية واعلم انه كلما تكون ملكة
الرفق فيمن يكون يقض شديد الزكاه من الناس واكثر ما يوجد الرفق في الغفل والمتغفل واقل ما يكون في
اليقظ انه يكاف الرعية فوق طاقتهم المنقوذ نظره فيما وادار كهم واطلاعه على عواقب الامور في مبادئها
بالمعنة فيها يكون لذلك قال صلى الله عليه وسلم سير واعلى سير اضغفكم ومن هذا الباب اشترط الشارع في
الحاكم قلة الافراط في الذكاه وماخذ من قصة زياد بن ابي سفيان لما عزل له عمر عن العراق وقال لم عزلتني
يا امير المؤمنين الجحزم لخيابة فقال عمر لم اعزلك لواحده منه ما وليكني كرهت ان اجمل فضل عقلت على
الناس فأخذ من هذا ان الحاكم لا يكون مفرطا الذكاه والسكيس مثل زياد بن ابي سفيان وعمر بن
العاصي لما يبيع ذلك من التعسف وسوء الملكة وجل الوجود على مالمس في طبعه كما يأتي في آخر هذا
الكتاب والله خير المالكين وتقرر من هذا ان الكس والذكاه عيب في صاحب السياسة لانه افراط في الفكر
كأن البلاد افراط في الجود والظرفان مذمومان من كل صفة انسانية والمجود هو التوسط كما في الكرم مع

على الخصال التي زعم
الملوك انها ازلت دولتهم
وهدمت سلطانهم *
أيها الملك احرص كل
الحرص ان تكون خبيرا
بامور عمالك فان المسمى
يقرق من خبرتك به قبل ان
تصبيه عقوبتك والمحسن
يستبشر بملكك به قبل ان
يأتيه ثوابك قال ابو جعفر
المنصور ما زال امر بني أمية
مستقيما حتى أفضى امرهم
الى ابتنائهم المترفين
فكانت همتهم من عظيم
شأن الملك وجلالة قدره
قصد الشهوات وايتار
اللذات والدخول في معاصي
الله ومساخطه جهلا منهم
باستدراج الله تعالى وامنوا
لمكره فسلبهم الله العز وتقل
عنهم النعمة قال عبيد الله
ابن مروان ومروان هذا
هو المعروف بمروان الحمار
وهو آخر ملوك بني أمية
قتل في أرض مصر في كورة
بوصير لما زال ملكا
وهربت الى أرض النوبة
فيمن اتبعني من اصحابي
فسمع ملك النوبة بنجبري
فجاءني فقعده على الأرض
ولم يقعد على فراش اقتربته
فقلت له لا تقعد على
ثيابنا قال لا قلت ولم قال
لاني ملك وحق على كل

ملك ان يتواضع لامر الله سبحانه اذ رفعه ثم قال لي لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم ولم تطؤون الزرع
بدوابكم والفساد محرم عليكم ولم تستعملون الذهب والفضة وتلبسون الديباغ والخمر وهو محرم عليكم فقلت زال عنا الملك فقل انصارنا
التبذير

وانتصرنا بقوم من الاعاجم دخلوا دينا ولنا عبيد واتباع فعلوا ذلك على كره منا فاطرق ملبا يقرب كفيه هو ينسكت في الارض ثم قال ليس كما ذكرت بل انتم قوم استحلتم ما حرم الله وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العزيز بنو بكم (١١٣) والله فيكم نعمة لم تبلغ غايتها واخاف

التبذير والبخل وكفى الشجاعة مع الموح والجبين وغير ذلك من الصفات الانسانية ولهذا يوصف الشديد الكيس بصفات الشيطان فيقال شيطان ومتشيطان وامثال ذلك والله يخلق ما يشاء وهو العليم القدير

٢٥ * (فصل في معنى الخلافة والامامة) *

ما كانت حقيقة الملك انه الاجتماع الضر وري للبشر ومقتضاء التغلب والقهر للذان هـ ما من آثار الغضب والحيوانية كانت احكام صاحبها في الغالب جائرة عن الحق محجفة بمن تحت يده من الخلق في احوال دنياهم كحله اياهم في الغالب على ما ليس في طوقهم من اغراضه وشهواته ويختلف ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف منهم فنعمر طاعته لذلك وتجي العصبية المفضية الى الهرج والقتل فوجب ان يرجع في ذلك الى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون الى احكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم من الامم واذا اخذت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب امرها ولا يتم استيلائها واسته الله في الذين خلوا من قبل فاذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وكابر الدولة وبصرائها كانت سياسة عقلية واذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية نافعة في الحياة الدنيا وفي الآخرة وذلك ان الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فانها كلها عبث وباطل اذ غايتها الموت والفناء والله يقول اخسبتم انما خلقناكم عبثا فالتمسوا منكم ما تصبون اليه من العادة في آخرتهم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض فباعت الشرائع بحملهم على ذلك في جميع احوالهم من عبادة ومعاملة حتى في الملك الذي هو طبيعي للاجتماع الانساني فاجرت على منهاج الدين ليكون الكل محوطا بنظر الشارع عفا كان منه مقتضى القهر والتغلب واهمال القوة الغضبية في رعائها فمخروروعدوان ومذموم عنده كما هو مقتضى الحكمة الساسية وما كان منه مقتضى السياسة واحكامها فمذموم ايضا لانه نظر بعين نور الله ومن لم يجعل الله نورا فلعله من نور لان الشارع اعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من امور آخرتهم واعمال البشر كلها عائدة عليهم في معادهم من ملك او غيره قال صلى الله عليه وسلم انما هي اعمالكم ترد عليكم واحكام السياسة انما تطلع على مصالح الدنيا فقط يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب مقتضى الشرائع حمل الكافة على الاحكام الشرعية في احوال دنياهم وآخرتهم وكان هذا الحكم لاهل الشريعة وهم الانبياء ومن قام فيه مقامهم وهم الخلفاء فقد تبين لك من ذلك معنى الخلافة وان الملك الطبيعي هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوية والسياسية هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخر وية والدنيوية الراجعة اليها اذ احوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها ومصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به فافهم ذلك واعتبره فيما نوره عليك من بعد والله الحكيم العليم

٢٦ * (فصل في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه) *

واذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وانه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وامامة والقائم به خليفة واما ما فاما تسميته اما ما فبشبهها امام الصلاة في اتباعه والاقتداء به ولهذا يقال الامامة الكبرى واما تسميته خليفة فلانه يخلف النبي في امة فيقال خليفة باطلاق وخليفة رسول الله واختلف في تسميته خليفة الله فاجازه بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التي لا تدمين في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة وقوله جعلكم خلائف الارض ومنع الجمع ومنه لان معنى الآية ليس عليه

(١٥ - ابن خلدون) خرجنا فقل دخلنا وبطل عطاء عبيدنا فزالت الطاعة منهم لنا وقد صدنا عننا فقل ناصرنا وكان اعظم ما زال به ملكنا استار الاخبار عنا وقالت الحكماء اسرع الخصال في هدم السلطان واعظها واسرعها في افسادها وتفرق الجمع عنه

بعد ذهاب ملكه ما الذي
أذهب ملكه كما قال ثقي
بدولتي واستبدادي بعرفتي
وأغفالي استشارتي وأعجابي
بشدتي وإضاعتي الجميلة
وقت حاجتي والثاني عند
الجملة ولما أحبط مروان
المجدي وهو آخر ملوك
بنو أمية قال له فاه على دولة
ما نصرت وكف ما طغرت
ونعمة ما شكرت فقال له
خادمه نسبل وكان من
أولاد أشرف الروم ومن
أغفل الصغير حتى يكبر
والقليل حتى يكثر والخفي
حتى يظهر أصابه مثل هذا
وسئل بعض العلماء ما
الذي أذهب ملك بني مروان
قال تحاسد الأكفاء وانقطاع
الأخبار وذلك أن زيد بن
عمر كان يجب أن يضع من
نصر بن سيار وكان لا يده
بالرجال ولا يرفع إلى
السلطان ما يورده عليه من
أخبار خراسان فلما رأى
ذلك نصر بن سيار قال
أرى خلال الرماد وميض نار
فيوشك أن يكون لها ضرام
وان النار بالعودين تذكو
وان الحرب أوفها الكلام
فقلت تجاهلا يا ليت شعري
أيقاظ أمية أم نيام
وكان العباسيون يؤسسون
لدولتهم ولا تصل أخبارهم

وقد نهى أبو بكر عنه لما دعى به وقال است خليفته الله وليكني خليفته رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان
الاستخلاف انما هو في حق الغائب وأما الحاضر فلا ثم ان نصب الامام واجب قد عرف وجوبه في الشرع
باجتماع الصحابة والتابعين لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا الى بيعه ابي بكر رضي
الله عنه وتسلم النظر اليه في امورهم وكذلك في كل عصر من بعد ذلك ولم تترك الناس فوضى في عصر من
الاعصار واستقر ذلك اجماعا على وجوب نصب الامام وقد ذهب بعض الناس الى ان مدرك وجوبه
العقل وأن الاجماع الذي وقع انما هو قضاء بحكم العقل فيه قالوا وانما وجب بالعقل لضرورة الاجتماع
للشروا استحالة حياتهم ووجودهم منقردين ومن ضرورة الاجتماع لضرورة الاعراض فما لم يكن
الحاكم الوازع افضى ذلك الى المخرج المؤذن به لالك البشر وانقطاعهم مع ان حفظ النوع من مقاصد
الشرع الضرورية وهذا المعنى بعينه هو الذي لمحضه الحكما في وجوب النبوات في البشر وقد نهىنا على
فساده وان احدى مقدماته ان الوازع انما يكون بشرع من الله تسلم له الكفاية تسليم ايمان واعتقاد وهو
غير مسلم لان الوازع قد يكون بسطة الملك وقهر اهل الشوكة ولو لم يكن شرع كما في أم الجوس وغيرهم
من ليس له كتاب أولم تبلغه الدعوة او تقول يكفي في رفع التنازع معرفة كل واحد بتحريم الظلم عليه بحكم
العقل فادعائهم ان ارتفاع التنازع انما يكون بوجود الشرع هناك ونصب الامام هنا غير صحيح بل كما
يكون بنصب الامام يكون بوجود الرؤساء اهل الشوكة او بائمتناع الناس عن التنازع والتظالم فلا ينهض
دليلهم العقلي المبني على هذه المقدمة فدل على ان مدرك وجوبه انما هو بالشرع وهو الاجتماع الذي قدمناه
وقد شبه بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا النصب رأسا لا بالعقل ولا بالشرع منهم الاصم من المعتزلة
وبعض الخوارج وغيرهم والواجب عندهم انما هو اوضاع احكام الشرع فاذا توافقت الامة على العدل
وتنفيذ احكام الله تعالى لم يحتج الى امام ولا يجب نصبه وهو لا محجوجون بالاجماع والذي جملهم على هذا
المذهب انما هو القرار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة والتغلب والاستماع بالدين امارا والشرعية ممتلئة
بذم ذلك والنهي على اهله ومرغبته في رفضه واعلم ان الشرع لم يذم الملك لذاته ولا حظر القيام به وانما ذم
المفاسد الناشئة عنه من القهر والظلم والتمتع بالذات ولا شك ان في هذه مقاسد محظورة وهي من توابعه كما
اثنى على العدل والنصبة واقامة مراسم الدين والذب عنه ووجب بازائها الثوب وهي كلها من توابع الملك
فاذا انما وقع الذم للملك على صفة وحال دون حال اخرى ولم يذمه لذاته ولا طلب تركه كاذم الشهوة والغضب
من المكلفين وليس مراده تركه ما بالكلية لدعاية الضرورة اليها وانما المراد تصريفهما على مقتضى الحق
وقد كان لداود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهم ما الملك الذي لم يكن لغيرهما وهما من انبياء الله تعالى
واكرم الخلق عنده ثم تقول لهم ان هذا القرار عن الملك بعدم وجوب هذا النصب لا يعنيكم شيئا لانكم
موافقون على وجوب اقامة احكام الشريعة وذلك لا يحصل الا بالعصبة والشوكة والعصبة مقتضية
بطبعها الملك فيحصل الملك وان لم ينصب امام وهو عين ما قررت عنه واذا تقررت ان هذا النصب واجب
باجماع فهو من فروض الكفاية وراجع الى اختيار اهل العقد والمحل فيتعين عليهم نصبه ويجب على
الخلق جميعا طاعته لقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم وأما شروط هذا المنصب
فهى أربعة العلم والعدالة والدفافية قوس الامة المحواس والاعضاء مما يؤثر في الرأي والعمل واختلف
في شرط خامس وهو النسب القرشي فاما ما شرط العلم فظاهر لانه انما يكون منقاد الاحكام الله تعالى
اذا كان عالما بما او لم يعلمها الا يصح تقديمها ولا يكفي من العلم الا ان يكون مجتهدا لان التقليد نقص

الى بني أمية حتى استعمل أمرهم وضعف أمر بني أمية وسئل مروان بن محمد المجدي وهو آخر
ملوك بني أمية ما الذي أضعف ملكك بهد قوة السلطان وثبات الأركان فقال الاستبداد برأيي لما كثرت على كتب نصر بن سيار

والامامة

امده بالاموال والرجال قلت في نفسي هذا رجل يريد الاستيثار من الاموال بما يظهر من فساد الدولة قبله وهميات ان ينتفض على خراسان فانتفضت دولته من خراسان (الباب الثالث عشر في الصفات الراتبية التي (115) زعم الحكماء انها الاتدام معها مملكة) *

ومن أعجب العجائب دوام الملك مع الكبر والاعجاب اعلموا ان الكبر والاعجاب يسلبان القضاة ويكسبان الرذائل لان الكبر يكون بالمنزلة والعجب يكون بالفضيلة والتكبر يجعل نفسه عن رتبة المتعلمين والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين وحسبك من رذيلة تمنع من سماع النصيحة وقبول التأييد والكبر يكسب المقت ويمنع من المسئلة وكل كبر ذكروه الله في القرآن فقررنا بالشرك ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس انما لك عن الشرك بالله والكبر فان الله سبحانه يغضب منهما وقال اردشير بن بابك ما الكبر الا فضل حرق لم يدرك صاحبه ان يذهب به فصرفه الى الكبر وقال الاحنف بن قيس ما تكبر احد الامن ذلة يجدها في نفسه ولم تنزل الحكماء تقامى الكبر وتأنف منه قال الشاعر فني كان عذب الروح لامن خصاصة ولكن كبر ان يقال به كبر ونظر افلاطون الى رجل جاهل معجب بنفسه فقال وددت اني مثلك في ظنك

والامامة تستدعي الكمال في الاوصاف والاحوال واما العدالة فلانه منصب ديني ينظر في سائر المناصب التي هي شرط فيها فكان اولي باشتراطها فيه ولا خلاف في انتقاء العدالة فيه بقسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وامثالها وفي انتفاؤها بالبدع الاعتقادية بخلاف واما الكفاية فهو ان يكون جريا على اقامة الحدود واقحام الحروب بصيرها كفيلا ليجمل الناس عليها عارفا بالعصبة واحوال الدهاء قوي على معاناة السياسة ليصح له بذلك ما جعل اليه من حماية الدين وجهاد العدو واقامة الاحكام وتدبير المصالح واما سلامة الحواس والاعضاء من النقص والعطلة كالجنون والعمى والعصب والخرص وما يؤثر فقدمه من الاعضاء في العمل كفقيد الدين والرجلين والاثنيين فتشترط السلامة منها كلها لتأثير ذلك في تمام عمله وقيامه بما جعل اليه وان كان انما يشين في المنظر فقط كفقيد احدى هذه الاعضاء فشرط السلامة منه شرط كمال و يلحق بفقيد الاعضاء المانع من التصرف وهو ضربان ضرب يلحق بهذه في اشتراط السلامة منه شرط وجوب وهو القهر والمجزع من التصرف جملة بالاسر وشبهه وضرب لا يلحق بهذه وهو الخرج باستيلاء بعض اعدائه عليه من غير عصيان ولا مشاققة فينتقل النظر في حال هذا المسئلة تولى فان جرى على حكم الدين والعدل وجدد السياسة حاز اقراره والاستئصال للمسلمون بمن يقبض يده عن ذلك ويدفع عنه حتى ينفذ فعل الخليفة واما النسب القرشي فلا جماع العصابة يوم السقيفة على ذلك واحتجت قر يش على الانصار لما هموا يومئذ ببيعة سعد بن عباد وقالوا من امير ومنكم امير بقوله صلى الله عليه وسلم الاتمة من قر يش وبان النبي صلى الله عليه وسلم اوصانا بان نحسن الى محسنكم ونجاوز عن مسيئكم ولو كانت الامارة فيكم لم تكن الوصية بكم فخجوا الانصار ورجعوا عن قولهم من امير ومنكم امير وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد لذلك وثبت ايضا في الصحيح لا يزال هذا الامر في هذا الحمى من قر يش وامثال هذه الادلة كثيرة الا انه لما ضعف امر قر يش وتلاشت عصبيتهم بمآلهم من الترف والنعيم وبما انفقتهم الدولة في سائر اقطار الارض عجزوا بذلك عن حمل الخلافة وتغلبت عليهم الاعاجم وصاروا لحوال والعقد لهم فاشتبه ذلك على كثير من المحققين حتى ذهبوا الى نفي اشتراط القرشية وعولوا على ظواهر في ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم اسمعوا واطيعوا وان ولي عليكم عبد حبشي ذوز ببيعة وهذا لا تقوم به حجة في ذلك فانه خرج مخرج التمثيل والقرض للبالغة في ايجاب السمع والطاعة ومثله قول عمر لو كان سالم مولى حذيفة حيالوليته او لما دخلتني فيه الظنة وهو ايضا لا يقيده ذلك لما علمت ان مذهب الصحابي ليس بحجة وايضا في القوم منهم وعصبية الولاة حاصله لسالم في قر يش وهي القائدة في اشتراط النسب ولما استعظم عمر امر الخلافة ورأى شروطها كانوا مقودة في ظنه سعد الى سالم لتوفر شروط الخلافة عنده فبه حتى من النسب المفيد للعصبية كما نذ كر ولم يبق الى صراحة النسب فراه غير محتاج اليه اذا القائدة في النسب انما هي العصبية وهي حاصله من الولاة فكان ذلك حرصا من عمر رضي الله عنه على النظر للمسلمين وتقليد امرهم لمن لا يلحقه فيه لائمة ولا عليه فيه عهدة ومن القائلين بنبي اشتراط القرشية القاضي ابو بكر الباقلاني لما ادرك عليه عصبية قر يش من التلاشي والاضمحلال واستبداد ملوك الجعم على الخلفاء فاسقط شرط القرشية وان كان موافقا لرأى الخوارج لما رأى عليه حال الخلفاء لعهدوه بنى الجهم وعلى القول باشتراطها وصحة الامامة للقرشي ولو كان عاجزا عن القيام بامور المسلمين ورد عليهم سقوط شرط الكفاية التي يقوى بها على امره لانه اذا ذهبت الشوكه بذهاب العصبية فقد ذهبت الكفاية واذا وقع الاخلال بشرط الاقايه تطرق ذلك ايضا الى العلم والدين وسقط اعتبار شروط هذا المنصب وهو خلاف الاجماع ولنتكلم الا في

وان اعداتي مثلك في الحقيقة قالت الحكماء قد يدوم الملك مع معظم النقاء فرب فقير ساد قومهم ورب اجق ساد قبيلته منهم الا قرع ابن حابس الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الا حق المطاع قالوا لا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب السيادة

واعظم من ذلك ان الله تعالى حرم الجحنة على المتكبر بن فقال سبحانه وتعالى الملك الدار الاخرة نعيمها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد (١١٦) ومنع من دخول الجحنة وقال جل وعز اصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير

حكمة اشترط النسب ليتحقق به الصواب في هذه المذاهب فنقول ان الاحكام الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحكم تشمل عليها وتشرع لاجلها ونحن اذا بحثنا عن الحكمة في اشترط النسب القرشي ومقصد الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في المشهور وان كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك بها حاصل لا يكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية كما علمت فلا بد ان من المصلحة في اشترط النسب وهي المقصودة من مشروعتها واذا سبرنا وقرعنا لم نجد لها الا اعتبارا العصبية التي تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها للصاحب المنصب فنسكن اليه الملة وأهلها وينتظم جبل الالف في ذلك ان قرشا كانوا عصبية مضر وأصلهم وأهل الغلب منهم وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثر والعصبية والشرف فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكينون لعلمهم فلو جعل الامر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بتجزأتهم وعدم انقيادهم ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر ان يردهم عن الخلاف ولا يحملهم على الكثرة فتعترق الجماعة وتختلف الكلمة والشارع محذور من ذلك حريص على اتفاهم ورفع التنازع والشتمات بينهم لتحصل اللجعة والعصبية وتحسن الحماية بخلاف ما اذا كان الامر في قر يش لانهم قادرين على سوق الناس بعصا الغلب الى ما يرادهم فلا يخشى من أحد خلاف عليهم ولا فرقة لانهم كفيون حينئذ يذبحونها ومنع الناس منها فاشترط نسبهم القرشي في هذا المنصب وهم أهل العصبية القوية ليكون أبلغ في انتظام الملة واتفاق الكلمة واذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر أجمع فاذن لهم سائر العرب وانقادت الامم وسواهم الى أحكام الملة ووطئت جنودهم قاصية البلاد كما وقع في أيام الفتوحات واستمر بعدها في الدولتين الى أن اضمحل أمر الخلافة وتلاشت عصبية العرب ويعلم ما كان لقر يش من الكثرة والتغلب على بطون مضر من مارس اخبار العرب وسيرهم وتفطن لذلك في أحواهم وقد ذكر ذلك ابن اسحق في كتاب السير وغيره فاذا ثبت أن اشترط القرشية انما هو لدفع التنازع عما كان لهم من العصبية والغلب وعلما ان الشارع لا يخص الاحكام بحيل ولا عصر ولا أمة علما ان ذلك انما هو من الكفاية فرددناه اليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهي وجود العصبية فاشترطنا في القائم بامور المسلمين أن يكون من قوم أولى عصبية قوية غالبية على من معها العصرها ليستبوعا ومن سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ولا يعلم ذلك في الاقطار والا لفاق كما كان في القرشية اذا الدعوة الاسلامية التي كانت لهم كانت عامة وعصبية العرب كانت وافية بها فغلبوا سائر الامم وانما يخص لهذا العهد كل قطر من تكون له فيه العصبية الغالبة واذا نظرت سر الله في الخلافة لم تعد هذا لانه سبحانه انما جعل الخليفة نائبا عنه في القيام بامور عباده ليجملهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالامر الا لمن له قدرة عليه الا ترى ما ذكره الامام ابن الخطيب (١) في شأن النساء وانهم في كثير من الاحكام الشرعية جعلن تبعاً للرجال ولم يدخلن في الخطاب بالوضع وانما دخلن عنده بالقياس وذلك لما لم يكن لمن من الامر شي وكان الرجال قوامين عليهم في الالهي العبادات التي كل أحد فيها قائم على نفسه فخطابهم فيها بالوضع لا بالقياس ثم ان الوجود شاهد بذلك فانه لا يقوم بامرامة أو جيل الا لمن غلب عليهم وقل ان يكون الامر الشرعي مخالفا للامر الوجودي والله تعالى اعلم

الحق وقال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحول دأؤه في يعني ان التكبر عليه واعلم ان الكبر يوجب المقت ومن مقته رجاله لم يستقم حاله ومن أبغضته بطائنه كان كمن غص بالماء ومن كرهه الحجة تطاولت عليه الاعداء واما الاعجاب فيحمله على الاستبداد وترك مشورات الرجال ومن الصفات التي لا تقوم معها المماكة الكذب والغدر والحجث والجور والسخف وقالت حكماء العرب والعجم ست خصال لا تغتفر من السلطان الكذب والخلف والحسد والحدة والبخل والجبن فانه اذا كان كذلك لم يوفق بوعده ولا بوعده فلم يرج خيره ولم يخف شره ولا بهاء لسلطان لا يرهيب وقال الحكماء خراب البلاد وفساد العباد مقر ونان بابطال الوعد والوعيد من الملوك والكذب اسقط الاخلاق وأغلب شي على صاحبه وأحرى أن لا ينزع عنه لضرارته وقيل لا عرابي لم تكذب قال لو تعزرت به ماتر كنه وهو نوع من الفحش وضرب من الدناءة وأصله اسنة عذاب المنى وهو أضغاث فكر الحق ومن يلبته انه يحمل على صاحبه ذنب غيره فاذا سمعت كذبة طائفة تسببت اليه قال الشاعر حسب الكذب من المماهة بعض ما يجيى عليه واذا سمعت بكذبة من غيره نسبت اليه (وقال غيره)

٢٧ * (فصل في مذاهب الشيعة في حكم الامامة) *

(١) قوله الامام الخطيب هو الفخر الرازي قاله نصر اه

اعلم تسببت اليه قال الشاعر حسب الكذب من المماهة بعض ما يجيى عليه واذا سمعت بكذبة من غيره نسبت اليه (وقال غيره)

لي حيلة فمن ينم وليس في الكذاب حيلة من كان يخلق مايقو * لخيلى فيه قلبه وقال الله تعالى انما يقترى الكذاب الذين لا يؤمنون بايات الله واما المحسد فانه اذا كان حسودا لم يشرف احدا واذا ضاعت (١١٧) الاشراف هلكت الاتباع ولا يصلح

الناس الاعلى اشرافهم

قال الشاعر

لا تصلح الناس فوضى

لا سراة لهم

ولا سراة اذا جهلهم سادوا

واما البخل فاذا كان بخيلا

لم يناصحه احد ولا تصلح

الولاية الا بالمناصحة وليس

للملك ان ينخل لان بيوت

الاموال في يديه واما الجبن

فاذا كان جبانا اختر اعلمه

عدوه وضاعت شعوره واذا

كان حديدا غضوبيا والقدرة

من ورائه هلكت رعيته

وليس للملك ان يغضب

لان القدرة من وراء حاجته

ولما دخل اسقف نجران

على مصعب بن الزبير

ضرب وجهه بالقضيب

فادماه فقال الاسقف ان

شاء الامير اخبرته بما انزل

الله على عيسى عليه السلام

قال قل قال لا تغضب بعدها

قال مات قال لا ينبغي للامام

ان يكون سقيها ومنه يلتمس

الحلم ولا جأتر ومنه يلتمس

العدل وقال الازاعي

يهلك السلطان بالاعجاب

والاختجاب فاما الاختجاب

فقد ذكرنا واما الاختجاب

فهو اوحى الخلال في هدم

السلطان واسرعها خرابا

للسلطان فانه اذا احتجب

السلطان فكانه قدمات

(اعلم) ان الشيعة لغة هم الصحب والاتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على اتباع علي وبنه رضي الله عنهم ومذهبهم جميعا متفقين عليه ان الامامة ليست من المصالح العامة التي تقوض الى نظر الامة ويتعين القائم بها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز ان ياغفاله ولا تقو يرضه الى الامة بل يجب عليه تعيين الامام لهم ويكون معصوما من الكبار والصغار وان عليا رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جاهدة السنة ولا ثقلة الشريعة بل اكثرها موضوع او مطعون في طريقه او بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة وتنقسم هذه النصوص عندهم الى جلي وخفي فالجلي مثل قوله من كنت مولاه فعلي مولاه قالوا ولم تطرد هذه الولاية الا في علي ولهذا قال له عمر اصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة ومنها قوله افضناكم على ولا معنى للامامة الا القضاء بحكام الله وهو المراد باولي الامر الواجبة طاعتهم بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم والمراد الحكم والقضاء ولهذا كان حكما في قضية الامامة يوم السقيفة دون غيره ومنها قوله من يبايعني علي روجه وهو وصي وولي هذا الامر من بعدى فلم يبايعه الاعلى ومن الخفي عندهم بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا لقرائه سورة براءة في الموسم حين انزلت فانه بعث بها ابا بكر ثم اوحى اليه ليلغه رجل منك او من قومك فبعث عليا ليكون القارئ المبلغ قالوا هو ذا يدل على تقديم علي وايضا فلم يعرف انه قدم احد اعلى علي واما ابو بكر وعمر فقدم عليهما في غزاتين اسامة بن زيد مرة وعمر بن العاصي اخرى وهذه كلها ادلة شاهدة بتعيين علي للخلافة دون غيره فنهاما هو غير معروف ومنها ما هو بعيد عن تأويلهم ثم منهم من يرى ان هذه النصوص تدل على تعيين علي وتخصه وكذلك تنتقل منه الى من بعده وهو هؤلاء هم الامامية ويتبرون من الشيخين حيث لم يقدموا عليا و يبايعوه بمقتضى هذه النصوص ويغمصون في امامتهما ولا يلتفت الى نقل القدرح فيهما من غلاتهم فهو مردود عندنا وعندهم ومنهم من يقول ان هذه الادلة انما اقتضت تعيين علي بالوصف لا بالشخص والناس مقصرون حيث لم يضعوا الوصف موضعوه هؤلاء هم الزيدية ولا يتبرون من الشيخين ولا يغمصون في امامتهما مع قولهم بان عليا افضل منهم بالكنم يجوزون امامة المفضل مع وجود الافضل ثم اختلفت نقول هؤلاء الشيعة في مساق الخلافة بعد علي فمنهم من ساقها في ولد فاطمة بالنص عليهم واحدا بعد واحد على ما يذكر بعد هؤلاء يسمون الامامية نسبة الى مقاتلهم باشترط معرفة الامام وتعيينه في الايمان وهي اصل عندهم ومنهم من ساقها في ولد فاطمة لكن بالاختيار من الشيوخ ويشترط ان يكون الامام منهم عالما زاهدا جوادا شجاعا ويخرج داعيا الى امامته وهوؤلاء هم الزيدية نسبة الى صاحب المذهب وهو زيد بن علي بن الحسين السبط وقد كان يناظر اخاه محمدا الباقر على اشتراط الخرج في الامام فيلزمه الباقر ان لا يكون ابوهم ازين العابدين اماما لانه لم يخرج ولا تعرض للخروج وكان مع ذلك ينعي عليه مذاهب المعتزلة واخذها باها عن واصل بن عطاء وما ناظر الامامية زيدا في امامة الشيخين ورأوه يقول بامامتهما ولا يتبرامنهما رفضوه ولم يجعلوه من الائمة وبذلك سموا رافضة ومنهم من ساقها بعد علي وابنيه السبطين على اختلافهم في ذلك الى اخيهما محمدا بن الحنفية ثم الى ولده وهم الكيسانية نسبة الى كيسان مولاه وبين هذه الطوائف اختلافات كثيرة تركناها اختصارا ومنهم طوائف يسمون الغلاة تجاوزوا حد العقل والايمان في القول بالوهمية هؤلاء الائمة اعلى انهم بشر ائمة فوا بصفات الالهية وان الاله حل في ذاته البشرية وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصاري في عيسى صلوات الله عليه ولقد حرق علي رضي الله عنه

لان الحجة موت حكمي فبعثت بطانته بارواح الخلائق وحرىهم وامواهم لان الظالم قد امن ان لا يصل المظلوم الى السلطان ومعظم مارا ينفى اعمارنا ومعنا من سمعنا من دخول الفساد على الملوك من حجبهم عن مباشرة الامور ولا تزال الرعية ذاسلطان واحدا وصلوا

الى سلطانهم فاذا احتجب فهناك سلاطين كثيرة يالها الملك المغربي واحتجبت عن الرعية بالحجاب والابواب وجعلت دونهم بروجا مشيدة وحظائر بالحجارة والماء (١١٨) والطين مانعة و باب الله مفتوح للسائلين ليس هناك لاحجاب ولا ابواب قال الله تعالى

الامن شاه ان يتفذي
ربه سبيل او قال معاوية
ليس بين أن يملك السلطان
رعيته أو تملا كنه الانهزم
والتواني وكاله أمران شدة
في غير افراط واين في غير
امتهان وسئل برب جهر أرى
المملوك أحم قال من ملك
جده هزله وقهر لبه هواه
وأعرب عن ضميره فعله
ولم يخندعه رضاه عن حظه
ولا غضبه عن كيدته وقال
بعض الحكماء زوال الدول
في اصطناع السقل ومن
طال عدوانه زال سلطانه
وقالوا من لم يستظهر بالحققة
لم ينتفع بالحفظة وقال يحيى
ابن خالد أحسن ما وجدت
في طراز الحكم من البلاغة
البخل والجهل مع التواضع
خير من السخاء والعلم مع
الكبر فيهما حسنة غطت
على سيئين وبالها سبئية
غطت على حسنتين
* (الباب الرابع عشر في
المخاض المحمود في
السلطان) *

وقد اتقت العلماء والحكام
عليها فقالوا أيها الملك ان
قصرت قوتك عن عدوك
فتتأق بالاخلاق الجميلة
التي ليس لعدوك مثلها فان
الكفاية من الغارة الشعواء
وقال معاوية اصصصه بين

بالنار من ذاهب فيه الى ذلك منهم وسخط محمد بن الحنفية المختار ابن ابي عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه فصرح
بلعنته والبراءة منه وكذلك فعل جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه بمن بلغه مثل هذا عنه ومنهم من يقول
ان كمال الامام لا يكون لغيره فاذا مات انتقلت روحه الى امام آخر ليكون فيه ذلك الكمال وهو قول
بالتناسخ ومن هؤلاء الغلاة من يقف عند واحد من الائمة لا يتجاوز الى غيره بحسب من يعين لذلك
عندهم وهؤلاء هم الواقفية فبعضهم يقول هو حي لم يميت الا انه غائب عن اعين الناس ويستشهدون لذلك
بقصة الخضر قيل مثل ذلك في علي رضي الله عنه وانه في السحاب والرعد صوته والبرق في سوطه وقالوا
مثله في محمد بن الحنفية وانه في جبل رضوى من أرض الحجاز وقال شاعرهم

الا ان الائمة من قريش * ولاية الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنيهم * هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسب سب سب ايمان وبر * وسب سب غيبة كربلاء
وسب لا يذوق الموت حتى * يقود الجيش يقدمه اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا * برضوى عنده عسل وماء

وقال مثله غلاة الامامية وخصوصا الاثني عشرية منهم يزعمون ان الثاني عشر من أئمتهم وهو محمد بن الحسن
العسكري و يلقبونه المهدي دخل في سرداب بدارهم بالحلة وتغيب حين اعتقل مع امه وغاب هنالك وهو
يخرج آخر الزمان فيعلاء الارض عدلا لا يشير بذلك الى الحديث الواقع في كتاب الترمذي في المهدي وهم
الى الا ان ينتظرونه و يسمونه المنتظر لذلك ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب يبسب هذا السرداب
وقد قدم امر كفا في تقون باسمه و يدعون للخروج حتى تشبثك النجوم ثم ينفضون ويرجئون الامر الى
الليلة الا تبه وهم على ذلك لهذا العهد وبعض هؤلاء الواقفية يقول ان الامام الذي مات يرجع الى حياته
الدينا ويستشهدون لذلك بما وقع في القرآن الكريم من قصة أهل الكهف والذي مر على قرية وقتيل
بني اسرائيل حين ضرب بعظام البقرة التي أمر وابتجها ومثل ذلك من الخوارق التي وقعت على طريق
المجزة ولا يصح الاستشهاد بها في غير مواضعها وكان من هؤلاء السيد الحنبري ومن شعره في ذلك

اذا ما المرء شاب له قذال * وعلاه المواشط بالحضاب
فقد ذهب بشاشته وأودى * فقم يا صاح نيك على الشباب
الى يوم تثوب الناس فيه * الى دنياه موقبل الحساب
فليس بعائد ما فات منه * الى أحد الى يوم الاياب
أدين بان ذلك دين حق * وما أنا في التشور بذي ارباب
كذلك الله أخبر عن أناس * حيوا من بعد درس في التراب

وقد كفانا مؤنة هؤلاء الغلاة ائمة الشيعة فانهم لا يقولون بها و يبطلون احتجاجاتهم عليها وأما الكيسانية
فساقوا الامامة من بعد محمد بن الحنفية الى ابنه ابي هاشم وهؤلاء هم الهاشمية ثم افترقوا فخرج منهم من ساقها
بعده الى أخيه علي ثم الى ابنه الحسن بن علي وآخرون يزعمون أن ابا هاشم لما مات بارض السراة منصرفا
من الشام أوصى الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وأوصى محمد الى ابنه ابراهيم المعروف بالامام وأوصى
ابراهيم الى أخيه عبد الله بن الحارثية الملقب بالسفاح وأوصى هو الى أخيه عبد الله ابي جعفر الملقب
بالمصور وانتقلت في ولده بالنص والعهد واحد بعد واحد الى آخرهم وهذا مذهب الهاشمية القائم

صوحان صف لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كان عالما برعيته عادلا في قضيته عاريا من بدولة
الكبرية بولا للعدر سهل احجاب مصون الباب متحز بالاصواب ريفيا بالضعيف غير محاب للاقوى ولا يخاف للقريب وقالوا المنفعة

توجب المحبة والمضرة توجب البغضة والمخالفة توجب العداوة والمناجاة توجب الافقة والصدق يوجب الثقة والامانة توجب الطمأنينة والعدل يوجب اجتماع القلوب والمجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة (١١٩) وسوء الخلق يوجب المباعدة والانبساط

يوجب المؤانسة والانقباض
يوجب الوحشة والكبر
يوجب المقت والتواضع
يوجب المقة والمجود يوجب
المجد والبخل يوجب المذمة
والتواني يوجب التضييع
والمجد يوجب رجاء الاعمال
والهو يني توجب الحسرة
والحزم يوجب السرور
والتغريب يوجب الندامة
والحذر يوجب العذر
واصابة التدبير توجب
بقاء النعمة وبالتواني تسهل
المطالب وبلين كنف
المعاشرة تدوم المودة ويحفظ
الجانب تأنس النفوس
وبسعة خلق المرء يطيب
عيشه والاستهانة توجب
التباعد وبكثرة الصمت
تكون الهيبة وعدل المنطق
يوجب الجلالة وبالانصبة
تكثر المواصلة وبالافضال
يعظم القدر وبالصالح
الاخلاق تزكو الاعمال
وباحتمال المؤن يجب
السودود وبالعلم عن السفه
تكثر انصارك عليه وبالرفق
والتؤدة تستحق اسم الكرم
وتترك ما لا يعينك يتم
لك الفضل واعلم ان السياسة
تكسووا أهلها المحبة
واللفظاة تخلع عن صاحبها
ثوب القبول ومن صغر
الهمة الحسد للصدق على

بدولة بني العباس وكان منهم أبو مسلم وسليمان بن كثير وأبو سلمة الخلال وغيرهم من شيععة العباسية وربما يعضدون ذلك بان حقهم في هذا الأمر يصل اليهم من العباس لانه كان حيا وقت الوفاة وهو أولى بالوراثة بعصبة العمومة وأما الزيدية فساقت الامامة على مذهبهم فيها وأنها باختيار اهل الحل والعقد لا بالنص فقالوا بامامة علي ثم ابنه الحسن ثم أخيه الحسين ثم ابنه علي زين العابدين ثم ابنه زيد بن علي وهو صاحب هذا المذهب وخرج بالركوفة داعيا الى الامامة فقتل وصلب بالكناسة وقال الزيدية بامامة ابنه يحيى من بعده فخصي الى خراسان وقتل بالمجوز جان بعد أن أوصى الى محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط ويقال له النفس الزكية فخرج بالجاز وتلقب بالمهدي وجاءته عساكر المنصور فقتل وعهد الى أخيه ابراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن علي فوجه اليهم المنصور عساكره فهزم وقتل ابراهيم وعيسى وكان جعفر الصادق أخبرهم بذلك كله وهي معدودة في كراماته وذهب آخرون منهم الى ان الامام بعد محمد بن عبد الله النفس الزكية هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر وعمر هو أخوزيد بن علي فخرج محمد بن القاسم بالطالقان فقبض عليه وسبق الى المعتصم فحبسه ومات في حبسه وقال آخرون من الزيدية ان الامام بعد يحيى بن زيد هو أخوه عيسى الذي حضر مع ابراهيم بن عبد الله في قتاله مع المنصور ونقلوا الامامة في عقبه واليه انتسب دعي الزنج كما نذر كه في اخبارهم وقال آخرون من الزيدية ان الامام بعد محمد بن عبد الله أخوه ادريس الذي فر الى المغرب ومات هناك وقام بامر ابنه ادريس واخذ مدينة فاس وكان من بعده عقبه ملوك بالمغرب الى ان انقرضوا كما نذر كه في اخبارهم وبقي امر الزيدية بعد ذلك غير منتظم وكان منهم الداعي الذي ملك طبرستان وهو الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين السبط وأخوه محمد بن زيد ثم قام بهذه الدعوة في الديلم الناصر الاطروش منهم واسلموا على يده وهو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر وعمر أخوزيد بن علي فكانت لبنية بطبرستان دولة وتوسل الديلم من نسبهم الى الملك والاستبداد على الخلفاء بعد اداد كما نذر كه في اخبارهم وأما الامامية فساقت الامامة من علي الرضا الى ابنه الحسن بالوصية ثم الى أخيه الحسين ثم الى ابنه علي زين العابدين ثم الى ابنه محمد الباقر ثم الى ابنه جعفر الصادق ومن هنا افترقوا فرقتين فرقة ساقواها الى ولده اسمعيل ويعرفونه بينهم بالامام وهم الاسماعيلية وفرقة ساقواها الى ابنه موسى الكاظم وهم الاثناعشرية لوقوفهم عند الثاني عشر من الائمة وقولهم بغيبتة الى آخر الزمان كما مر فاما الاسماعيلية فقالوا بامامة اسمعيل الامام بالنص من أبيه جعفر وفائدة النص عليه عندهم وان كان قد مات قبل ابيه انما هو بقاء الامامة في عقبه كقصة هرون مع موسى صلوات الله عليهم اقولوا انهم انتقلت الامامة من اسمعيل الى ابنه محمد المكتوم وهو اول الائمة المستورين لان الامام عندهم قد لا يكون له شوكة فيستتر وتكون دعائه ظاهرا من اقامة للحجة على الخلق واذا كانت له شوكة ظهر وأظهر دعوته قالوا بعد محمد المكتوم ابنه جعفر الصادق وبعده ابنه محمد الحبيب وهو آخر المستورين وبعده ابنه عبد الله المهدي الذي أظهر دعوته ابو عبد الله الشيعي في كامة وتتابع الناس على دعوته ثم أخرجه من معتقله بسجلماسة وملك القير وان المغرب وملك بنوه من بعده مصر كما هو معروف في اخبارهم ويسمى هؤلاء الاسماعيلية نسبة الى القول بامامة اسمعيل ويسمون ايضا بالباطنية نسبة الى قولهم بالامام الباطن اي المستور ويسمون ايضا بالمحدثة لما في ضمن مقالاتهم من الاتحاد ولهم مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا اليها الحسن بن محمد الصباح في آخر المائة الخامسة وملك حصونا بالشام والعراق ولم تنزل دعوته فيها الى أن توزعها الملك بين ملوك الترك بمصر وملوك التتر بالعراق

النعمة والنظر في العواقب نجاة ومن لم يحلم ندم ومن صبر غم ومن سكت سلم ومن خاف حذر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ومن أطاع هواه ضل ومع العجلة الندامة ومع التاني السلامة زارع البري يحصد السرور صاحب العاقل مغبوط صديق

الجاهل تعب اذا جهات فاسأل واذا زلت فارجع واذا اسأت فاندتم فاقلع واذا افضت فاكتم واذا منعت فاجل واذا
أعطيت فاجزل واذا غضبت فاحلم (١٢٠) من بدأك بيره فقد شغلك بشكره المروآت كلها تبع للعقل الرأى تبع للتجربة العقل

فانقرضت ومقالة هذا الصباح في دعوته مذ كورة في كتاب المال والتحل للشهر ستانى وأما الاثناعشرية
فر بما خصوا باسم الامامية عند المتأخرين منهم فقالوا يا امامة موسى الكاظم ابن جعفر الصادق لو فاة أخيه
الأكبر اسمعيل الامام في حياة أبيهما جعفر فنص على امامة موسى هـ ذاتم ابنه على الرضا الذى عهد الله
المأمون ومات قبله فلم يتم له أمر ثم ابنه محمد التقي ثم ابنه على الهادى ثم ابنه محمد الحسن العسكري ثم ابنه
محمد المهدي المنتظر الذى قدمناه قبل وفي كل واحدة من هذه المقالات للشيعة اختلاف كثير الا أن هذه
أشهر مذاهبهم ومن أراد استيعابها ومطالعتها فعليه بكتاب المال والتحل لابن خزم والشهر ستانى وغيرهما
ففيها بيان ذلك والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو العلى الكبير

٢٨ * (فصل في انقلاب الخلافة الى الملك) *

اعلم ان الملك غاية طبيعية للعصبة ليس وقوعه عنها باختيار انما هو بضرورة الوجود وترتيبه كما قلناه من
قبل وأن الشرائع والديانات وكل أمر يحتمل عليه الجمهور فلا بد فيه من العصبة اذ المطالبة لا تتم الا بها كما
قدمناه فالعصبة ضرورية للملة وبوجودها يتم أمر الله فيها وفي الصحيح ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه
ثم وجدنا الشارع قد ذم العصبة ونادى الى اطراحها وتر كها فقال ان الله أذهب عنكم عبية الجاهلية (١)
وقضها بالآباء أنتم بنو آدم وآدم من تراب وقال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم ووجدناه أيضا قد ذم الملك
وأهله ونهى على اهله وأحوالهم من الاستمتاع بالخلاق والاسراف في غير القصد والتسكع عن صراط الله
وانما حاض على الافقة في الدين وحذر من الخلاف والفرقة واعلم ان الدنيا كلها واحوالها عند الشارع
مطية للاخرة ومن فقد المطية فقد الوصول وليس مراده فيما ينهى عنه او يذمه من أفعال البشر أو
ينذبه الى تركها ما له بالكلية او اقتلعه من أصله وتعطيل القوى التى ينشأ عليها بالكلية انما قصده
تصريفها في اغراض الحق جهدا لا استطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقا وتتخذ الوجهة كما قال صلى الله
عليه وسلم من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او
امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فلم يذم الغضب وهو يقصد نزعه من الانسان فانه لو زالت منه قوة
الغضب لتقدم منه الانتصار للحق وبطل الجهاد واعلاء كلمة الله وانما يذم الغضب للشيطان وللأغراض
الذميمة فاذا كان الغضب لذلك كان مذموما واذا كان الغضب في الله والله كان مدحوا وهو من شمائله
صلى الله عليه وسلم وكذا ذم الشهوات ايضا ليس المراد بباطلها بالكلية فان من بطلت شهوته كان نقصا في
حقه وانما المراد تصريفها فيما ينج له باسمه على المصالح ليكون للانسان عبدا متصرفا طوع الاوامر
الالهية وكذا العصية حيث ذمها الشارع وقال ان تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم فانه مراده حيث تكون
العصية على الباطل وأحواله كما كانت في الجاهلية وأن يكون لاحد فخرها او حق على احد لان ذلك
مجان من أفعال العلة وغير نافعة في الاخرة التى هي دار القرار فاما اذا كانت العصية في الحق واقامة
أمر الله فأمر مطلوب ولو بطل لبطلت الشرائع اذ لا يتم قوامها الا بالعصية كما قلناه من قبل وكذا المال لما
ذمه الشارع لم يذم منه الغلب بالحق وقهر الكافة على الدين ومراعاة المصالح وانما ذمه لما فيه من التغلب
بالباطل وتصريف الاذميين طوع الاغراض والشهوات كما قلناه فلو كان الملك مخلصا في غلبه للناس
انه لله ومجملهم على عبادة الله وجهاد عدوه لم يكن ذلك مذموما وقد قال سليمان صلوات الله عليه رب هب
لى ما كلابى نبيغى لاحد من بعدى لما علم من نفسه انه بمعزل عن الباطل في النبوة والمال وما لى معاوية

أصله التمدت وشمته
السلامة والتوفيق أصله
العقل وشمته التبع
والتوفيق والاجتهاد
زوجان فالاجتهاد سبب
والتوفيق ينتج الاجتهاد
قال الله تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا والاعمال كلها تبع
للقدر واختار العلماء
أربع كلمات من أربع
كتب من التوراة من
قنع شبع ومن الزبور
من سكت سلم ومن
الانجيل من اعتزل نجوا ومن
القرآن ومن اعتصم بالله
فقد هدى الى صراط
مستقيم الحلم شرف والصبر
ظفر والمعروف كنز والجهد
سقى والايام دول والهدى
غير والمرء منسوب الى
فعله وما أخذ به عمله اصطناع
المعروف يكسب الحمد
أكرموا المجلس يعمر ناديك
أنصقوا من نفوسكم يوثق
بكم اياكم والاخلاق الدنيئة
فانها تضيع الشرف وتهدم
الجدد منها جهالة الجاهل
أهون من جريرته رأس
العشيرة يحمل انقالها
وأجعت حكماء العرب
والعجم على أربع كلمات
لا تحمل بطنك ما لا تطيق
ولا تعمل عملا لا ينفعك ولا

(١) قوله عبية الجاهلية قال المجدد العبيية وبال كسر الكبر والفتح والنخوة اه

تعتبر بامره ولا تنفق بماله وان كثر * (الباب الخامس عشر فيما يعز به السلطان) * وهى الطاعة قال ملك عمر
فارس لو بذان موبدنى ما شئى واحد يعز به السلطان قال الطاعة قال التودد الى الخاصة والعادل على العامة قال

صدق الامانة معقل الطاعة والطاعة زينة الملك وكان يقال طاعة السلطان على أربعة أوجه على الرغبة والرغبة والمحبة والديانة وما دخل سعد العشرة على بعض ملوك حير قال له ياسعد ما صلاح الملك قال معدلة (١٢١) شائعة وهيبية وازعة ورعية طاعة

فان في المعدلة حياة الانام
وفي الهيبية نفي الظلام وفي
طاعة الرعية التألف
والائتمام طاعة الائمة فرض
على الرعية كما ان طاعة
السلطان مقرونة بطاعة الله
اتقوا الله يحققه والسلطان
بطاعته من اجل الله
احلال السلطان عادلا كان
او جائرا الطاعة تؤلف شمل
الدين وتنظم امور المسلمين
عصان الائمة يهدم اركان
الملة اولى الناس بطاعة
السلطان ومناصحته أهل
الدين والنعم والمروآت اذ
لا يقوم الدين الا بالسلطان
ولا تكون النعم والحرم
محموظة الا به الطاعة ملاك
الدين الطاعة مع اعداء
السلامة ورفع منازل
السعادة الطريقة المثلى
والعروة الوثقى قوام الامة
وقيام السنة بطاعة الائمة
الطاعة عصمة من كل فتنة
ونجاة من كل شبهة طاعة
الائمة عصمة لمن لجأ اليها
وحزبن دخل فيها وليس
للعربية ان تعترض على
الائمة في تدبيرها وان
سوات لها انفسها بل عليها
الاتقياد وعلى الائمة الاجتهاد
بالطاعة تقوم الحدود
وتؤدى القرائض وتحقق
الدماء وتأمّن السبل
الامامة عصمة للعباد وحياة

عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عند قدومه الى الشام في ابهة الملك وزيه من العديدين والعدة استنبت ذلك وقال اكسروية يا معاوية فقال يا امير المؤمنين اناني ثغر تجاه العدو وبنالي مهاباتهم زينة الحرب والجهاد حاجة فسكت ولم يحطه لما احتج عليه بمقصود من مقاصد الحق والدين فلو كان القصد درفص الملك من اصله لم يقنع هذا الجواب في تلك الكسروية وان تحالها بل كان يحرض على خروجه عنها بالجملة وانما اراد عمر بالكسروية ما كان عليه اهل فارس في ملكهم من ارتكاب الباطل والظلم والبغي وسلبك سبيله والغفلة عن الله واجابه معاوية بان القصد بذلك ليس كسروية فارس وباطلهم وانما قصده بها وجه الله فسكت وهكذا كان شأن الصحابة في رفض الملك وحواله ونسيان عوائده حذر من التباسها بالباطل فلما استحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم استخاف ابا بكر على الصلاة اذ هي أهم امور الدين وارتضاه الناس للخلافة وهي حمل الكفاية على احكام الشريعة ولم يجز للملك ذلك كما انما مظة للباطل وتخلية يومئذ لاهل الكفر واعداء الدين فقام بذلك ابو بكر ماشاء الله متبعه اسن صاحبه وقاتل أهل الردة حتى اجتمع العرب على الاسلام ثم عهد الى عمر فاقتفى اثره وقاتل الامم فغلبهم واذن للعرب في ارتجاع ما بأيديهم من الدنيا والملك فغلبوهم عليه وابتزوه منهم ثم صارت الى عثمان بن عفان ثم الى علي رضي الله عنهما والكل متبرون من الملك منكبون عن طريقه واكد ذلك لديهم ما كانوا عليه من غضاضة الاسلام وبدواة العرب فقد كانوا بعد الامم عن احوال الدنيا وترفعها الا من حيث دينهم الذي يدعوهم الى الزهد في النعيم ولا من حيث بدواتهم ومواطنهم وما كانوا عليه من خشونة العيش وشظفه الذي ألفوه فلم تكن امة من الامم اسغب عيشا من مضر لما كانوا بالحجاز في ارض غنم يزدت زرع ولا ضرع وكانوا ممنوعين من الارياق وجبو بها بعدوها واختصاصها بمن وليها من ربيعه واليمن فلم يكونوا يتناولون الى خصبها ولقد كانوا كثيرا ما ياكلون العقارب والخنافس ويقفرون بأكل العلهز وهو وبر الابل يمهونه بالحجارة في الدم ويطبخونه وقر يمان هـ ذا كانت حال قريش في مطاعهم وموسا كنهم حتى اذا اجتمعت عصبية العرب على الدين بما كرمهم الله من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم زحفوا الى اعم فارس والروم وطلبوا ما كتب الله لهم من الارض بوعده الصديق فابتزوا ملكهم واستباحوا دنياهم فزخرت بحجار الرفه لديهم حتى كان الفارس الواحد يقسم له في بعض الغزوات ثلاثون ألفا من الذهب أو نحوها فاستولوا من ذلك على ما لا يأخذ هذه المحصر وهم مع ذلك على خشونة عيشهم فكان عمر يرفع ثوبه بالجلد وكان على يقول يا صقرا هو يا بيضاء غري غري وكان ابو موسى يتجاني عن أكل الدجاج لانه لم يعهدها للعرب لقلتها يومئذ وكانت المناخل مقودة عندهم بالجملة وانما كانوا ياكلون الخنطة بنخلها ومكاسهم مع هذا اتم ما كانت لاحد من أهل العالم قال المسعودي في أيام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والممال فكان له يوم قتل عند خازنه نجسون ومائة ألف دينار وألف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرى وحين وغيره مائة ألف دينار وخلف الاو ولا كثيرة وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار وخلف ألف فرس وألف امة وكانت غلة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم ومن ناحية السراة أكثر من ذلك وكان على مرط عبد الرحمن بن عوف ألف فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ الربع من متروك بعد وفاته اربعة وثمانين ألفا وخلف زيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يكسر بالفوس غير ما خاف من الاموال والضياع بمائة ألف دينار وبنو الزبير داره بالبصرة وكذلك بني مصر والكوفة والاستكندرية وكذلك بني طلحة داره بالكوفة وشيبدار بالمدينة وبنو ابا الجحس والاجر والساج وبنو

(١٢ - ابن خلدون) للبلاد اوجب الله لمن خصه بفضله واجله اعباءها الطاعة فقربها بطاعته وطاعة رسوله فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم طاعة الائمة هدى لمن استضاء بنورها وموئل لمن جافظ عليها الخارج من الطاعة

منقطع العصمة بربى من الذمة بمبدل بالسفر النعمة طاعة الأئمة جبل الله المشيرون ودينه القويم وحننته الواقية وكفايته العالمة اياكم
والخروج عن أنس الطاعة (١٢٢) الى وحشة المعصية ولا تسروا غش الأئمة وعليك بالاخلاص والنصيحة ما مشى قوم الى

سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق ورفع ستمها وأوسع فضاءها وجعل على أعلاها شرافات وبنى المقداد داره
بالمدينة وجعلها محصنة الظاهر والباطن وخلف يعلى بن منبه خمسين ألف دينار وعقار وغير ذلك ما قيمته
ثلاثمائة ألف درهم اه كلام المسعودي فكانت مكاسب القوم كتراه ولم يكن ذلك منعا عليهم في
دينهم اذ هي أموال حلال لانها غنائم وفيه ولم يكن تصرفهم فيها باسراف انما كانوا على قصد في احوالهم
كإقلائه فلم يكن ذلك بقادح فيهم وان كان الاستكثار من الدنيا مذمومًا فإلما يرجع الى ما أشرنا اليه من
الاسراف والخروج به عن القصد واذا كان حالهم قصدا ونفقاتهم في سبيل الحق ومذاهبه كان ذلك
الاستكثار عونا لهم على طرق الحق واكتساب الدار الآخرة فلما تدرجت البداوة والغضاضة الى نهايتها
وجاءت طبيعة الملك التي هي مقتضى العصبية كإقلائه وحصل التغلب والقهر كان حكم ذلك الملك عندهم
حكم ذلك الرّفه والاستكثار من الاموال فلم يصر فوا ذلك التغلب في باطل ولا يخرجوا به عن مقاصد
الديانة ومذاهب الحق وما وقعت الفتنة بين على ومعاوية وهي مقتضى العصبية كان طريقهم
فيها الحق والاجتهاد ولم يكونوا في محاربتهم لغرض دنوي ولا يشار باطل اولاستشعار حقد كما قد
يتوهمه متوهم وينزع اليه المجد وانما اختلف اجتهادهم في الحق وسفه كل واحد منظر صاحبه
باجتهاده في الحق فاقتتلوا عليه وان كان المصيب عليا فلم يكن معاوية قائما فيها بقصد الباطل
انما قصده الحق وأخطأ والسلك كانوا في مقاصدهم على حق ثم اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالجد
واستئثار الواحد به ولم يكن لمعاوية ان يدفع ذلك عن نفسه وقومه فهو أمر طبيعي ساقته العصبية
بطبيعتها واستشعرته بنوامية ومن لم يكن على طريق معاوية في اقتفاء الحق من أتباعهم فاعصو وصموا
عليه واستماتوا دونه ولوجلهم معاوية على غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالامر لوقوع في
افتراق الحكامة التي كان جمعها وتأليفها أهم عليه من أمر ليس وراءه كبير مخالفة وقد كان عمر بن
عبد العزيز رضي الله عنه يقول اذا رأى القاسم بن محمد بن أبي بكر لو كان لي من الارشئ لوليت الخلاقه ولو
اراد ان يهدى الله لفضل ولكنه كان يخشى من بنى أمية اهل الحل والعقد لما ذكرناه فلا يقدر ان يحول الامر
عنهم لئلا تقع الفرقة وهذا كما انما اجل عليه منازع الملك التي هي مقتضى العصبية فالملك اذا حصل
وفرضنا ان الواحد انفرده وصرفه في مذاهب الحق ووجوه لم يكن في ذلك نكير عليه ولقد انفرده
سليمان وابوه داود صلوات الله عليهم ما ملك بنى اسرائيل لما اقتضته طبيعة الملك فيهم من الانفراد به
وكانوا ما علمت من النبوة والحق وكذلك عهد معاوية الى يزيد خوفا من افتراق الحكامة كما كانت بنو
أمية لم يرضوا تسليم الامر الى من سواهم فلو قد عهد الى غيره اختلفوا عليه مع ان ظنهم كان به صالحا ولا
يرتاب احد في ذلك ولا يظن بمعاوية غيره فلم يكن لبعهد اليه وهو يعتقد ما كان عليه من القسوق حاشا لله
لمعاوية من ذلك وكذلك كان مروان بن الحكم وابنه وان كانوا ملوكا فلم يكن مذهبهم في الملك مذهب
اهل البطالة والبغى انما كانوا متحدين لمقاصد الحق جهدهم الا في ضرورته تحملمهم على بعضها مثل خشية
افتراق الحكامة الذي هو أهم لديهم من كل مقصد يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والاقتداء وما علم
السلف من احوالهم فقد احتج مالك في الموطن بعزل عبد الملك وأما مروان فكان من الطبقة الاولى من
التابعين وعدالتهم معروفة ثم تدرج الامر في ولد عبد الملك وكانوا من الدين بالملك الذي كانوا عليه
وتوسطهم عمر بن عبد العزيز ففرغ الى طريقة الخلفاء الاربعة والصحابة جهده ولم يهمل ثم جاء خلفهم
واستعملوا طبيعة الملك في اغراضهم الدنيوية ومقاصدهم ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحرى القصد

سلطان ليدلوه الا اذ لم الله
قبل ان يموتوا الطاعة
مقرونة بالمحبة طاعة المحبة
أفضل من طاعة الهيبة
للرعية على السلطان
الاستصلاح لهم والتعهد
لامورهم وحسن السيرة
فيهم والعامل عليهم
والتعديل بينهم وحق
السلطان عليهم طاعة
والاستقامة والشكر
والحجة بالرعية من الحاجة
الى الراعي ما ليس بالراعي
من الحاجة اليهم لولا الرعاة
هلكت الرعية ولولا المسيم
هلكت السوائم

باب السادس عشر في
ملاك أمور السلطان
قال سليمان بن داود
عليه ما السلام الرحمة
والعدل يحرزان الملك وقال
زيد ملك السلطان ثلاثة
أشياء الشدة على المذنب
والحجازة للمحسن وصدق
القول ولما غزا معاوية رذو
الاكاف ملك الروم وأحرب
بلاده وقتل جنده وأفضى
بطارقه قال له ملك الروم
انك قد قتلت وأحربت
فاخبرني ما الامر الذي
تشدت به حتى قويت
على ما أرى وبلغت في
السياسة ما لم يبلغه ملك
فان كان مما يضبط الامر

بمثله أدبت اليك الخراج وصرت كعض الرعية في الطاعة لك فقال له سابوراني لم أزد في السياسة على عثمان
خصال لم أهزل في أمر ولا نهى ولم أخلف في وعد ولا وعد ولا وعد ولا وعد ولا وعد ولا وعد ولا وعد ولا وعد ولا وعد ولا وعد

وأودعت قلوب الرعية المحبة من غير جرأة وهيبه من غير ضعيفه وعممت بالقوت ومنعت الفضول فأذعن له وأدى إليه الخراج وكتب الوليد إلى الحجاج ان يكتب له بسيرة فكتب إليه اني أيقظت رأي وأنت هو اى (١٢٣) وأذنت السيد المطاع في قومه ووليت

الحرب الحازم في أمره وولدت الخراج الموفى لامانتة وقسمت لكل خصم من نقسي قسما يعطيه حظامن نظرى ولطيف عنايتي وصرى السفى الى البطر والمسىء نخاف المذنب صولة العقاب وتسمك المحسن بحظه من الثواب وقال أبو عبيدة اذا كان الملك محضنا السر به عيذان ان يعرف ما في نفسه مخبرا للوزراء هيبا في أنقس العامة مكافئا بحسن البلاء لا يخافه البرى ولا يأمنه المحرم كان خليفنا بقاء ملكه (الباب السابع عشر في خير السلطان وشر السلطان) أفضل الملوكة من كان شكره بين الرعايا لكل واحد منهم فيه قسطه ليس أحدا حق به من أحدا يطمع القوى في حيفه ولا يياس الضعيف من عدله كان النبي صلى الله عليه وسلم تأخذ بيده الامة من اماء المدينة فتطوف به على سلك المدينة حتى تقضى حاجتها وفي حكم الهند أفضل السلطان من أمنه البرى وخافه المحرم وشر السلطان من خافه البرى وأمنه المحرم وقال عمر بن الخطاب لما

فيها واعتماد الحق في مذاهبها فكان ذلك عماد الناس الى أن نعو عليهم افعالهم وأدوا بالدعوة العباسية منهم وولى رجالها الامر فكانوا من العدل فكان وصرقوا الملك في وجوه الحق ومذاهبه ما استطاعوا حتى جاء بنو الرشيد من بعده فكان منهم الصالح والطالح ثم أفضى الامر الى بنينهم فاعطوا الملك والترف حقه وانفسوا في الدنيا واطلها وبنو الدين وراهم ظهر يافتأذن الله بحربهم وانتراع الامر من ايدى العرب جملة وامكن سواهم منه والله لا يظلم من قال ذرة ومن تأمل سيره هؤلاء الخلفاء والملوك واختلافهم في تحرى الحق من الباطل علم صحة ما قلناه وقد حكى المسعودى مثله في احوال بنى أمية عن أبى جعفر المنصور وقد حضر عروته وذكر ابني أمية فقال أما عبد الملك فكان جبارا لا يسالى بما صنع وأما سليمان فكان همه بطنه وفرجه وأما عمر فكان أعور بين عيمان وكان رجل القوم هشام قال ولم ينزل بنو أمية ضابطين لما هداهم من السلطان يحوطونه ويصونون ما وهب الله لهم منه مع تسهمهم على الامور ورفضهم دنيا -تها حتى أفضى الامر الى ابنائهم المترفين فكانت همتهم قصدا الشهوات وركوب اللذات من معاصي الله جهلا باستدراجهم وأمناملكهم مع اطراحهم صيانة للخلافة واستحقاقهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة فسلبهم الله العز والديار والذل ونفى عنهم النعمة ثم استخضر عبد الله بن مروان فقص عليه خبره مع ملك النوبة لما دخل أرضه فأرا أيام السفاح قال ائت ملأيتك ما أتاني ملكهم فعد على الارض وقد بسطت له فرش ذات قيمة فقلت له ما منعك من القعود على ثيابنا فقال اني ملك وحق لكل ملك أن يتواضع لعظمة الله اذ رفعه الله ثم قال لي لم تشر بون الخرج وهى محرمة عليك في كتابك فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا قال فلم تطؤون الزرع وبدوا بكم والفساد محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيدنا وأتباعنا جعلهم قال فلم تلبسون الذهب والحرير وهو محرم عليكم في كتابك قلت ذهب منا الملك وانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا واذلك على الكرمنا فطرق ينكت بيده في الارض ويقول عبيدنا وأتباعنا وأعاجم دخلوا في ديننا ثم رفع رأسه الى وقال ليس كما ذكرت بل أنتم قوم استحلتم محرم الله عليكم وأنتم ما عنه نهيتكم وظلمتكم فيما ملكتكم فسلبكم الله العز والديار بذنوبكم والله نعمة لم تبلغ غايتها فيكم وأنا خائف أن يحل بكم العذاب وأنتم بآدي فينا نالي معكم وإنما الضميمة ثلاثة فترودا ما احتجت اليه وارتحل عن أرضي فنهب المنصور وأطرق فقد تبين لك كيف انقلبت الخلافة الى الملك وان الامر كان في اوله خلافة ووازع كل احد فيهم ان نفسه وهو الدين وكانوا يؤثرونه على أمور دينناهم وان افضت الى هلاكهم وحدهم دون الكافة فهذا عثمان لما حصر في الدار جاهد الحسن والحسين (١) وعبد الله بن عمر وابن جعفر وأمثالهم بر بدون المدافعة عنه فالى ومنع من سل السيواف بين المسلمين مخافة الفرقة وحفظ الالفة التي بها حفظ الكلمة ولو أدى الى هلاكه وهذا على أشار عليه المغيرة لاول ولايته باستمعاء الزبير ومعاوية وطلحة على اعمالهم حتى يجتمع الناس على بيعته وتتفق الكلمة وله بعد ذلك ماشاء من أمره وكان ذلك من سياسة الملك فالى فرار من الغم الذي ينافيه الاسلام وغدا عليه المغيرة من الغداة فقال لقد أشرت عليك بالامس بما أشرت ثم عدت الى نظري فعلمت انه ليس من الحق والنصيحة وأن الحق فيما رأيت به أنت فقال على لا والله بل اعلم انك نهيته بالامس وغششتى اليوم ولكن منعتي مما أشرت به ذاتك الحق وهكذا كانت احوالهم في اصلاح دينهم بفساد دنياهم ونحن

نرفع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرفع

(١) قوله البيعة بفتح الموحدة أما بكسر هاء على وزن شعبة بسكون الباء فيمافهى معبد النصرى اه

ولاه الكوفة يا مغيرة لما منك الابرار ولتخفق الفجار وفي حكم الهند أيضا شر المال مال لا ينق من شره الاخوان الخنازل وشر السلطان من خافه البرى وشر البلاد ما ليس فيه خصم ولا أمن وخير السلطان من أشبه النسر وحوله الجيف لا من أشبه الحبيقة وحولها النسر

وعن هذا المعنى قالوا سلطان تخافه الرعية خير للارعية من سلطان يخافها وفي الامثال العامة رهבות خير لك من رجوت وكان يقال شر خصال الملوك الجبن عن الاعداء (١٢٤) والقسوة على الضعفاء والبخل عند الاعطاء وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلاث من القواقر

جار ملازم ان رأى حسنة سترها وان رأى سيئة اذاعها وامرأة ان دخلت عايبها السنك وان غبت عنهم تأمتمها وسلطان ان احسنت لم يحمدك وان أسأت قتلك وقال رجل لبعض العلماء متى أضل وأنا أعلم فقال اذا ملكتك امرأان أطعتهن ثم اذلوكن وان عصيتهن قتلوك وقال أبو حازم سليمان بن عبد الملك السلطان سوق ما نفق عنده أتى به وفي كتاب ابن المقفع الناس على دين الملك الا القليل فان يكن للبر والمروءة عنده تفارق سيكسك بذلك الفجور والدناءة في آفاق الارض وسمع زياد بن جلاب يذم الزمان فقال لو كان يدري ما الزمان لعاقبته ان الزمان هو السلطان وقال معاوية لابن الكواء صفتي الزمان فقال أنت الزمان ان تصلح يصلح وان تقسد تقسد والمثل السائر في كل زمان وعلى كل لسان الناس على دين الملك وقال بعض الحكماء ان أحق الناس ان يحذروا العدو والقادر والصديق الغادر والسلطان الخائر وقال مزرجهر آدمو الشعب صحبة السلطان السيئ الخلق وقال بعض الحكماء اذا ابتليت بحجة سلطان لا يبريد صلاح رعيته فقد خيرت بين الامة

فقد رايت كيف صار الامر الى الملك وبقيت معاني الخلافة من تحرى الدين ومذاهبه والبحرى على منهاج الحق ولم يظهر التعبير الا في الوازع الذي كان ديننا ثم انقلب عصبية وسيفاً وهكذا كان الامر لعهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك والصدرا الاول من خلفاء بني العباس الى الرشيد وبعث ولده ثم ذهبت معاني الخلافة ولم يبق الا اسمها واصر الامراء كما يجتأون جرت طبيعة التغلب الى غايتها واستعملت في اغراضها من القهر والتغلب في الشهوات والملاذو وهكذا كان الامر لو لد عبد الملك ولمن جاء بعد الرشيد من بني العباس واسم الخلافة باقيا فيهم ابقاء عصبية العرب والخلافة والمالك في الطورين ملتبس بعضهم باي بعض ثم ذهب رسم الخلافة واثرها بذهاب عصبية العرب وفناء جبايلهم وتلاشي أحوالهم وبقي الامراء كما يجتأون كما كان الشأن في ملوك العجم بالمشرق يدينون بطاعة الخليفة تبركوا والمالك بجميع القاب ومناحيه لهم وليس للخليفة منه شيء وكذلك فعل ملوك زناية بالمغرب مثل صنهاجة مع العبيديين ومغراوة وبني يقرن ابضا مع خلفاء بني امة بالاندلس والعبيديين بالقبير وان فقدت بين أن الخلافة قد وجدت بدون الملك اولاً ثم التذست معانيها واختلطت ثم انقرضت الملك حيث افرقت عصبية من عصبية الخلافة والله مقدر اللبيل والنهار وهو الواحد القهار

٢٩ * (فصل في معنى البيعة)

اعلم ان البيعة هي العهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على انه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمر المسلمين لا ينزعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكفه به من الامر على المنشط والمكره وكانوا اذا بايعوا الامير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تا كيد العهد فاشبه ذلك فعل البائع والمشتري فسمى بيعة مصدر باع وصارت البيعة مصالحة بالأيدي هذامدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع وهو المراد في الحديث في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ليه العقبه وعند الشجرة وحيثما ورد هذا اللفظ ومنه بيعة الخلفاء ومنه أيمان البيعة كان الخلفاء يستحلون على العهد ويستوعبون الايمان كلها ذلك فسمى هذا الاستيعاب ايمان البيعة وكان الاكراه فيها أكثر وأغلب ولهذا ما أفتى مالك رضي الله عنه بسقوط ايمان الاكراه أنكراها الولاية عليه ورأوها فادحة في ايمان البيعة ووقع ما وقع من محنة الامام رضي الله عنه وأما البيعة المشهورة لهذا العهد فهي تحية الملوك الكسروية من تقبيل الارض او اليد او الرجل او الذيل أطلق عليها اسم البيعة التي هي العهد على الطاعة مجازاً لما كان هذا الخوض في التحية والتزام الاداب من لوازم الطاعة وتوابعها وغلب فيها حتى صارت حقيقة عرفية واستغنى بها عن مصالحة أيدي الناس التي هي الحقيقة في الاصل لما في المصالحة لكل احد من التنزل والابتدال المتأبين للاربابسة ووصون المنصب الملوكي الا في الاقل ممن يقصد التواضع من الملوك فيأخذ به نفسه مع خواصه ومشاهير أهل الدين من رعيته فافهم معنى البيعة في العرف فانه كما يدعى الانسان معرفته بما يلزمه من حق سلطانه وامامه ولا تكون أفعاله عبثاً ومجاناً واعتبر ذلك من أفعال الملوك والله القوي العزيز

٣٠ * (فصل في ولاية العهد)

اعلم اننا قدمنا الكلام في الامامة ومشر وعينها ما فيها من المصلحة وان حقيقة النظر في مصالح الامة لدينهم وديارهم فهو واجبهم والامين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته وتبع ذلك ان ينظر لهم بعد مماته ويقم لهم من يتولى أمورهم كما كان هو يتولاها ويشقون بنظرهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل وقد عرف ذلك من الشرع باجماع قوله عبد الله كذا في النسخة التونسية وبعض القاسية وفي بعضها عبد الملك وأظنه تحييفاً قاله نصر

على دين الملك وقال بعض الحكماء ان أحق الناس ان يحذروا العدو والقادر والصديق الغادر والسلطان الخائر وقال مزرجهر آدمو الشعب صحبة السلطان السيئ الخلق وقال بعض الحكماء اذا ابتليت بحجة سلطان لا يبريد صلاح رعيته فقد خيرت بين الامة

أمرين ليس بينهما اختياراً اما الميل مع الوالي على الرعية فهو هلاك الدين واما الميل مع الرعية على الوالي فهو هلاك الدنيا فلاحيلة لك الا

الموت أو الهرب منه وقالوا الملك العادل كالتنهر الصافي ينتفع به الاشرار والاخيار ولا يضر احدا والمالك السوء مثل الجبقة تيسرع اليها شرار
الحيوان ويحماها الناس (الباب الثامن عشر في منزلة السلطان من القرآن) (١٢٥) روى عن النبي صلى

الله عليه وسلم انه قال ان
الله ليرعى بالسلطان مالا
يرعى بالقرآن معناه أي
يدفع وقال كعب مندل
الاسلام والسلطان والناس
مثل القسطاط والعمود
والاطناب والاو تاد
فالقسطاط الاسلام والعمود
السلطان والاطناب
والاو تاد الناس لا يصلح
بعضهم الا ببعض وقال
أردشير لابنه يابني ان الملك
والدين اخوان لا غنى
لا حدما عن الاخر
فالدين أس والملك حارس
ومالم يكن له أس فهو
مهذوم ومالم يكن له حارس
فضائع يابني اجعل حديثك
مع أهل المراتب وعطيتك
لاهل الجهاد وبشرى لاهل
الدين وسرك لمن عناهما
عناك ولتكن من أهل
العقل وكان يقال الدين
والسلطان توأمان
(الباب التاسع عشر في
خصال جامعة لامر
السلطان)

الامة على جوارحه وان عقاده اذ وقع بهد أبي بكر رضي الله عنه لمر بمحض من العجابه واجازوه وأوجبوا على
أنفسهم به طاعة عمر رضي الله عنه وعنهم وكذلك عهد عمر في الشورى الى الستة بقية العشرة وجعل لهم أن
يختاروا المسلمين ففرض بعضهم الى بعض حتى أفضى ذلك الى عبد الرحمن بن عوف فاجتهد وناظر المسلمين
فوجدهم متفقين على عثمان ودلى على فاتر عثمان بالبيعة على ذلك لموافقته اياه على لزوم الاقتداء
بالشيخين في كل ما بين دون اجتهاده فانه قد أمر عثمان لذلك وأوجبوا طاعته والملا من العجابه حاضرون
للاولى والثانية ولم ينسكه أحد منهم فدل على انهم متفقون على صحة هذا العهد عارفون بمشروعيته
والاجماع حجة كاعرف ولا يتهم الامام في هذا الامر وان عهد الى ابيه وابنه لانه آمن على النظر لهم في
حياته فاو الى أن لا يحتمل فيما تبعه بعد ممانته خلافا لمن قال بانها في الولد والوالد أول من خصص التهمة بالولد
دون الوالد فانه بعيد عن الظنة في ذلك كله لاسيما اذا كانت هناك داعية تدعو اليه من ايثار مصلحة او
توقع مفسدة فتنفي الظنة عند ذلك رأسا كما وقع في عهد معاوية لابنه يزيد وان كان فعل معاوية مع وفاق
الناس له حجة في الباب والذي دعاه معاوية لا يثار ابنه يزيد بالعهود دون من سواه انما هو مراعاة المصلحة في
اجتماع الناس واتفاق اهلهم باتفاق اهل الحل والعقد عليه حينئذ من بني أمية اذ بنوا أمية يومئذ
لا يرضون سواهم وهم عصاة قرينش وأهل الملة اجمع واهل الغلب منهم فاثرت بذلك دون غيره من يظن
انه أولى بها وعدل عن الغاضل الى المفضل حرصا على الاتفاق واجتماع الاهواء الذي شأنه أنهم عند
الشارع وان كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعدلته وصحبه مانعة من سوى ذلك وحضورا كبر العجابه لذلك
وسكوتهم عنه دليل على انفاء الريب فيه فليسوا بمن يأخذهم في الحق هو اذ ليس معاوية بمن تأخذ
العزة في قبول الحق فانهم كاهم اجل من ذلك وعدلتهم مانعة منه وفرار عبد الله بن عمر من ذلك انما هو
محمول على تو رعه من الدخول في شئ من الامور مباحا كان او محظورا كما هو معروف عنه ولم يبق في
الخالفه لهذا العهد الذي اتفق عليه المجاهد والابن الزبير وندور الخالف معروف ثم انه وقع مثل ذلك من
بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرون الحق ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان بن أمية
والسقاخ والمنصور والمهدي والرشيد من بني العباس وأمثالهم ممن عرفت عدالتهم وحسن رأيهم للمسلمين
والنظر لهم ولا يعاب عليهم ايثار ابنائهم واخوانهم وخر وجههم عن سنن الخلفاء الاربعة في ذلك فشأنهم غير
شأن أولئك الخلفاء فانهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينا فعند كل احد وازع من
نفسه فعهدوا الى من يرتضيه الدين فقط وآثروه على غيره ووكوا كل من سعى الى ذلك الى وازعه وأما
من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبية قد أشرفت على غايتها من الملك والوازع الديني قد ضعف
واحتيج الى الوازع السلطاني والعصبي فلو عهد الى غير من ترتضيه العصبية لردت ذلك العهد وانقض
أمره سر يعاوصرت الجماعة الى الفرقة والاختلاف سأل رجل عليا رضي الله عنه ما بال المسلمين اختلفوا
عليك ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر فقال لان ابابكر وعمر كانوا والدين على مثلي وانا اليوم وال على مثلك يشير الى
وازع الدين أفلاترى الى المأمون لمسه اهد الى على بن موسى بن جعفر الصادق وسماه الرضا كيف انكرت
العباسية ذلك ونقضوا بيعة وباعوا العمه ابراهيم بن المهدي وظهر من الهرج والخلاف وانقطاع السبل
وتعددا الثوار والخوارج ما كاد أن يصعالم الامر حتى بادر المأمون من خراسان الى بغداد ورتاهم لمعاودة
فلا بد من اعتبار ذلك في العهد فالعصوة وتختلف باختلاف ما يحدث فيها من الامور والقبائل والعصبيات
وتختلف باختلاف المصالح والسبل واحدا منها حكم يخصه لطفان الله بهيادها واما ان يكون القصد بان العهد

وسلاحه كفاءته وماله رعيته وقالت حكما الهند لا ظفر مع بغى ولا صحة مع تنهم ولا بناء مع كبر ولا شرف مع سوء أدب ولا بر مع شبح ولا
اجتناب محرم مع حرص ولا ولاية حكم مع عدم فقه ولا سودد مع انتقام ولا ثبات لمع تهاون وجهاته ووزارة ولا سولي أبو بكر رضي الله عنه

خطب فقال أيها الناس انه لا أحد أقوى عندي من المظلوم حتى أخذه بخرقة ولا أضعف من الظالم حتى أخذ الحق منه وقيل للاسكندر
بم نلت ما نلت قال باستمالة

الاعداء والاحسان الى الاصدقاء وقال بزجر جهرسوسوا احرار الناس بمحض المودة

والعامة بالرغبة والرغبة
والسنة فمالة بالخفاقة وقال
المو بذان السياسة التي بها
صلاح الملك الرفق بالرعية
وأخذ الحق منهم في غير مشقة
وسد القروج وأمن السبل
وان ينصف المظلوم من
الظالم ولا يحمل القوى
على الضعيف وقالوا الوالي
من الرعية كالروح من
الجسد لا حياة له الا به
وبعد الوالي من اصلاح
الرعية مع افساد نفسه
كبعد الجسد مع البقاء بعد
ذهاب الرأس والسلطان
خلق أن يعود نفسه الصبر
على من خالف رأيه من ذوي
النصيحة والتجرب عارضة
قولهم ولا ينبغي أن يحسد
الا على حسن التدبير ولان
يكذب لان احد الا يقدر
على استكراهه ولان
يغضب لان الغضب
والقدرة لقاح الشر والندامة
ولان يبخل لانه أقل الناس
خوفان الفقر ولا أن يحقد
لان قدره جل عن المجازاة
ولا ينبغي للوالي أن يستعمل
سيفه فيما يكتب في
بالسوط ولا سوطه فيما يكتب
فيه بالحبس ولا حبسه فيما
يكتفي فيه بالجفاء والوعيد
وقال معاوية اني لا اضع
سيفي حيث يكتبني سوطي
ولا سوطي حيث يكتبني

حفظ التراث على الابناء فليس من المودة الدينية اذ هو أمر من الله يخص به من يشاء من عباده ينبغي أن
تحسن فيه النية ما يمكن خوفاً من العيب بالمنصب الدينية والملك لله يؤتيه من يشاء وهو عرض هنا مور
تدعو والضرورة الى بيان الحق فيها فبالاول منها ما حدث في يزيد من الفسق ايام خلافته فبالك ان تظن
بما يرضى الله عنه انه علم ذلك من يزيد فانه اعدل من ذلك وافضل بل كان يعذله ايام حياته في سماع
الغناء وينها عنه وهو اقل من ذلك وكانت مذاهبهم فيه مختلفة ولما حدث في يزيد ما حدث من الفسق
اختلف الصحابة حينئذ في شأنه فمنهم من رأى الخروج عليه ونقض بيعته من أجل ذلك كما فعل الحسين
وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومن اتبعهما في ذلك ومنهم من أباه لما فيه من اثار القنينة وكثرة القتل
مع العجز عن الوفاء به لان شوكة يزيد يومئذ هي عصاة بني أمية وجهور أهل الحل والعقد من قر يش
وتستبح عصبية مضر أجمع وهي أعظم من كل شوكة ولا تطاق مقاومتهم فأقصر واعن يزيد بسبب ذلك
وأقاموا على الدعاء بهدايته والراحة منه وهذا كان شأن جهور المسلمين والكل محتمل دون ولا ينسرك على
احد من الفريقين فقاصد هم في البر وتحرى الحق معروفة وفقنا الله للاقتداء بهم والامر الثاني هو شأن
العهد من النبي صلى الله عليه وسلم وما تدعيه الشيعة من وصيته على رضي الله عنه وهو أمر لم يصح ولا نقله
احد من أئمة النقل والذي وقع في الصحيح من طلب الدواة والقرطاس لكتب الوصية وأن عمر منع من ذلك
فدليل واضح على انه لم يقع وكذا قول عمر رضي الله عنه حين طعن وسئل في العهد فقال ان العهد فقد عهد
من هو خير مني يعني أبابكر وان أتيتك فقد تركت من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم لم يعهد وكذلك
قول علي لابن عباس رضي الله عنهما ما حين دعاه للدخول الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن شأنهما في
العهد فإني على من ذلك وقال انه ان منعنا منها فلا نطمع فيها آخر الدهر وهذا دليل على ان عليا علم انه لم
يوص ولا عهد الى أحد وشبهة الامامة في ذلك انما هي كون الامامة من أركان الدين كما يزعمون وليس
كذلك وانما هي من المصالح العامة المفروضة الى نظر الخلق ولو كانت من أركان الدين لكان شأنها شأن
الصلاة وكان يستخلف فيها كما استخلف أبابكر في الصلاة وكان يشتر كما اشتر أمر الصلاة واحتجاج الصحابة
على خلافه أبي بكر بقياسها على الصلاة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينا اقلنا رضاه
لدينا دليل على أن الوصية لم تقع ويدل ذلك ايضا على ان امر الامامة والعهد بهما يمكن معهما كما هو اليوم
وشأن العصبية المراعاة في الاجتماع والافتراق في مجاري العادة لم يكن يومئذ ذلك الاعتبار لان امر الدين
والاسلام كان كما بنحو اوراق العادة من تأليف القلوب عليه واسماتة الناس دونه وذلك من اجل الاحوال
التي كانوا يشاهدونها في حضور الملائكة لتصرهم وتردد خبر السماء بينهم وتجدد خطاب الله في كل حادثة
تتلى عليهم فلم يحتاج الى مراعاة العصبية لمساخيل الناس من صيغة الانقياد والاذعان وما يستفهم من تنابع
المعجزات الخارقة والاحوال الالهية الواقعة والملائكة المترددة التي وجوا منها ودهشوا من متابعتها
في كان امر الخلافة والملك والعهد والعصبية وسائر هذه الانواع من درجات ذلك القبيل كما وقع فلما انحسر
ذلك المدد بذهاب تلك المعجزات ثم بقضاء القرون الذين شاهدوها فاستحالت تلك الصيغة قليلا قليلا
وذهبت الخوارق وصار الحكم للعادة كما كان فاعتبر امر العصبية ومجاري العوائد فيما يشاء عنهما من
المصالح والمفاسد وأصبح الملك والخلافة والعهد بهما من المهمات الالكيدة كما زعموا ولم يكن ذلك من
قبل فانظر كيف كانت الخلافة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم لم غير مهمة فلم يعهد فيها ثم تدرجت الالهية
زمان الخلافة بعض الشيء بما دعت الضرورة اليه في الحماية والجهاد وشأن الردة والقتوحات فكانوا

لسان ولو ان بنى وبين الناس شعرة ما انقطت لادم وها خلتها واذا خلوها مددتها ونحو هذا
قول الشعبي كان معاوية كالجمل والطيب والجمل الطيب هو الخاق بالشئ لا يضع يده الا حيث تبصر عينه ويشيخ له ان يعلم رعيته انه

لا يصاب خبره الا بالمعونة له على الخبر ولا ينبغي له ان يدع تفقد لطيف امور الرعية اتكالا على نظره في جسمها فان للظيف موقع ينتفع به وقد آتى الله ملك الدنيا سليمان بن داود عليهم السلام ثم تفقد الطير فقال مالي لا ارى (١٢٧) الهدهد لان النهاون بالسير اساس

الوقوع في الكبير وقد قال الشاعر

لا تحقرن شيئا

كحجر شبيب
وقالوا اصل الاشياء كلها

شيء واحد ولا تدع مباشرة

جسيم امره فلجسيم موضع

ان عقل عنه تفاقم ولا يلزم

نفسه مباشرة الصغير ايدا

فيضع الكبير وقال

زيد الحاجبه وليتك حاجتي

وعزيتك عن اربح المؤذن

للصلاة وصاحب الطعام

فان الطعام اذا عيدهم حننه

فسد وصار خ الليل اشرداه

وصاحب البر يدفالتهاون

بالبر يدساعة يخرب عمل

سنة وكان ابو العباس

السفاح يقول لا لعن الالين

حتى لا ينتفع الا بالشدية

ولا كثرن من الخاصة

ما منهم - الى العامة

ولا تمدن سني حتى يسله

الحق ولا عطين حتى لا ارى

للعطية موضعا وقال اردشير

لما اكل ملكه و اباد

اعداءه انه لم يحكم حاكم

على العقول كالعبر ولم

يحكمها محكم كالعجربة

وليس شيء اجمع للعقل من

خوف و حاجة يتأمل بها

صفحات حاله وكان عمر

يقول ان هذا الامر لا يصلح

له الا الالين في غير ضعف

بالخيار في الفعل والترك كما ذكرنا عن عمر رضي الله عنه ثم صارت اليوم من اهم الامور للائفة على الحماية والقيام بالمصالح فاعتبرت فيها العصبية التي هي سر الوازع عن القرعة والتخاذل ومنشأ الاجتماع والنواقح الكفيل بمقاصد الشريعة واحكامها والامر الثالث شأن الحروب الواقعة في الاسلام بين الصحابة والتابعين فاعلم ان اختلافهم انما يقع في الامور الدينية وينشأ عن الاجتهاد في الادلة الصحيحة والمدارك المعتبرة والمجتهدون اذا اختلفوا فان قلنا ان الحق في المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين ومن لم يصادفه فهو مخطئ فان جهته لا تنبع من اجماع فيبقى الكل على احتمال الاصابة ولا يتعين المخطئ منها والتأنيم مدفوع عن الكل اجماعا وان قلنا ان الكل حق وان كل مجتهد مصيب فاحرى بنفي الخطا والتأنيم وغاية الخلاف الذي بين الصحابة والتابعين انه خلاف اجتهادي في مسائل دينية ظنية وهذه احكامه والذي وقع من ذلك في الاسلام انما هو واقعة على معاوية ومع الزبير وعائشة وطلحة وواقعة الحسين مع يزيد وواقعة ابن الزبير مع عبد الملك فاما واقعة على فان الناس كانوا عند مقتل عثمان معترفين في الامصار فلم يشهدوا بيعة على والذين شهدوا منهم من بايع ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا على امام كسعد وسعيد وابن عمر واسامة بن زيد والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن سلام وقدامة بن مظعون واني سعيد الخدرى وكعب بن عجرة وكعب بن مالك والنعمان بن بشير وحسان بن ثابت ومسلمة بن مخزوم وفضالة بن عبيد واما مثلهم من اكابر الصحابة والذين كانوا في الامصار عدلوا عن بيعته ايضا الى الطلب بدم عثمان وتركو الامر فوضي حتى يكون شورى بين المسلمين لمن يولونه ووطنوا به على هواة في السكوت عن نصر عثمان من قاتله لاقى الممالة عليه فحاش لله من ذلك ولقد كان معاوية اذا صرح بعلامته انما يوجهها عليه في سكوته فقط ثم اختلفوا بعد ذلك فرأى على ان بيعته قد انهدمت ولزمت من تأخر عنها باجماع من اجتمع عليها بالمدينة دار النبي صلى الله عليه وسلم وموطن الصحابة وارجأ الامر في المطالبة بدم عثمان الى اجتماع الناس واتفاق الكلمة فيمكن حينئذ من ذلك ورأى الآخرون ان بيعته لم تنهدم لافتراق الصحابة اهل الحل والعقد بالافاق ولم يحضر الا قبل ولا تكون البيعة الا باتفاق اهل الحل والعقد ولا يلزم بعقد من تولاهم من غيرهم او من القليل منهم وان المسلمين حينئذ فوضي فيطالبون اولاد بدم عثمان ثم يجتمع معون على امام وذهب الى هذا معاوية وعمر بن العاصي وام المؤمنين عائشة والزبير وابنه عبد الله وطلحة وابنه محمد وسعد وسعيد والنعمان بن بشير ومعاوية بن خديج ومن كان على رأيهم من الصحابة الذين اختلفوا عن بيعة على بالمدينة كما ذكرنا الا ان اهل العصر الثاني من بعدهم اتفقوا على انعقاد بيعة على ولزومها للمسلمين اجمعين وتصويب رايه فيما ذهب اليه وتعين الخطا من جهة معاوية يقومون كان على رايه وخصوصا طلحة والزبير لانتقاضها على على بعد البيعة له فيما نقل مع دفع التأنيم عن كل من الفريقين كالشأن في المجتهدين وصار ذلك اجماعا من اهل العصر الثاني على احد قولي اهل العصر الاول كما هو معروف ولقد سئل على رضي الله عنه عن قتلى الجمل وصعق فقال والذي نفسي بيده لا يموتن احدا من هؤلاء وقلبه هنتي الادخل الجنة يشير الى الفريقين نقله الطبري وغيره فلا يقين عندك ريب في عدالة احدهم ولا قدح في شيء من ذلك فهم من علمت واقوالهم وافعالهم انما هي عن المستندات وعد التهم مقر وعغ منها عند اهل السنة الاقوال المعتبرة فيمن قاتل عليا لم يلقه اليه احدا من اهل الحق ولا عرج عليه واذا نظرت بعين الانصاف عذرت الناس اجمعين في شأن الاختلاف في عثمان واختلاف الصحابة من بعده وعلمت انها كانت فتنة ابتلى الله بها الامة بيننا ما المسلمون قد اذهب الله عدوهم وملكهم ارضهم وديارهم ونزلوا الامصار على حدودهم والقوة في غير عنف وقال الاصمعي قال لي الرشيد هل تعرف كلمات جامعات لمكارم الاخلاق يقول لفظها ويسهل حفظها تكون لاغراضها لتقاوم مقاصدها وفتاشرح المستبهم وتوضح المستعجم قلت نعم يا امير المؤمنين دخل اكنم بن صبيح حكيم العرب على بعض

والقوة في غير عنف وقال الاصمعي قال لي الرشيد هل تعرف كلمات جامعات لمكارم الاخلاق يقول لفظها ويسهل حفظها تكون لاغراضها لتقاوم مقاصدها وفتاشرح المستبهم وتوضح المستعجم قلت نعم يا امير المؤمنين دخل اكنم بن صبيح حكيم العرب على بعض

ملوكه اذ قال له اني سائلك عن اشياء لاتزال بصدري مخجلة وما تزال الشكوك عليها والحجة فانبتني بما عندي ذلك فيها فقال آيةت اللعن
سألت خبيراً واستنبأت بصيراً والجواب (١٢٨) يشقعه الصواب فسل عماد اللاب قال ما اللاب قال ما اللاب قال ما اللاب قال ما اللاب قال ما اللاب قال ما اللاب

واحتمال الحجر قال
في الشرف قال كفي الاذى
وبذل الندي قال في
المجد قال جل المغارم وابتداء
المكارم قال في الكرم
قال صدق الاخاء في الشدة
قال في العز قال شدة
العز وكثرة العز قال
في السماحة قال بذل
النائل وحب السائل قال
في الغنى قال الرضا بما
يكفي وقلة التمني قال في
الرأى قال لب تعينه
تجربة قال له الملك أوريت
زناد بصيرتي وأذ كيت
نار حيرتي فاحتكم قال لكل
كلمة هجيمة قال هي لك
قال الاضحي فقال لي الرشيد
ولك بكل كلمة بدرة
فانصرفت بثمانين ألفاً
وكان قس بن ساعدة
يفسد على قيصر فيكرمه
فقال له يوماً ما أفضل العقل
قال معرفة الرجل بنفسه
قال ما أفضل العلم قال
وقوف الرجل عند علمه قال
في أفضل المروءة قال
استيقاء الرجل ما وجهه
قال في أفضل المال قال
ما قضى به الحق وق
* (الباب الموفى عشرين
في الخصال التي هي أركان
السلطان) *
قال أبو جعفر المصور

بالبصرة والكوفة والشام ومصر وكانا كثر العرب الذين نزوا هذه الامصار جفاة لم يستكثروا من صحبة
النبي صلى الله عليه وسلم ولا هذبهم سيرته وآدابه ولا ارتاضوا بخلقه مع ما كان فيهم من الجاهلية من الجفاء
والعصبية والتفاخر والبعد عن سكينه الايمان واذابهم عند استفعال الدولة قد اصبحوا في ملكة المهاجرين
والانصار من قريش وكنانة وثقيف وهذيل واهل الحجاز ويثرب السابقة بين الاولين الى الايمان
فاستنكروا من ذلك وغصوا به ما يرون لانفسهم من التقدّم بانسابهم وكثرتهم ومصادمة فارس والروم
مثل قبائل بكر بن وائل وعبد القيس بن ربيعة وقبائل كندة والازد من اليمن وتميم وقيس من مضر فصاروا
الى الغرض من قريش والانفة عليهم والتمريض في طاعتهم والتعلل في ذلك بالنظم منهم والاستعداد عليهم
والطعن فيهم بالهجر عن السرية والعدل في القسم عن السوية وفشت القالة بذلك وانتهت الى المدينة وهم
من علمت فأقاموه وابلغوه عثمان فبعث الى الامصار من يكشف له الخبر بعث ابن عمر ومحمد بن مسلمة
واسامة بن زيد وامنالم فلم يتركوا على الامراء شيأ ولا رأوا عليهم طعنأ وادوا ذلك كما علموه فلم ينقطع الطعن
من أهل الامصار وما زالت الشناعات تنمو وورحى الوليد بن عقبة وهو على الكوفة بشرب الخمر وشهد عليه
جماعة منهم وحده عثمان وعزله ثم جاء الى المدينة من أهل الامصار يسألون عن عزل العمال وشكوا الى
عائشة وعلى والزبير وطلمحة وعزل لهم عثمان بعض العمال فلم تنقطع بذلك ألسنتهم بل وفدس عبيد بن
العاصي وهو على الكوفة فلما رجع اعترضوه بالطريق وردوه معزولاً ثم انتقل الخلاف بين عثمان ومن
معه من الصحابة بالمدينة ونقموا عليه امتناعه عن العزل فأبى إلا أن يكون على جرحه ثم نقولوا النكير الى
غير ذلك من أفعاله وهو متمسك بالاجتهاد وهم ايضا كذلك ثم تجتمع قوم من الغوغاء وجاؤا الى المدينة
يظهرون طلب النصفة من عثمان وهم بضم ر ون خلاف ذلك من قبله وفيهم من البصرة والكوفة ومصر
وقام معهم في ذلك على وعائشة والزبير وطلمحة وغيرهم يحاولون تسكين الامور ورجوع عثمان الى رأيهم
وعزل لهم عامل مصر فانصرفوا قليلاً ثم رجعوا وقد لبسوا بكتاب مدلس يرتعون أنهم لقوه في يد حمله الى
عامل مصر بان يقتلهم وحلف عثمان على ذلك فقوالوا لكانا من مروان فإنه كاتبك في خلاف مروان فقال
عثمان ليس في الحكم أكثر من هذا فاصرروه بداره ثم بيتهوه على حين غفلة من الناس وقتلوه وانفتح باب
القتنة فكل من هو لا عذر فيما وقع وكاهم كانوا همتهن بامر الدين ولا يضيعون شيئاً من تعلقاته ثم نظروا
بعده هذا الواقع واجتهدوا والله مطلع على احوالهم وعالم بهم ونحن لانظن بهم الاخير المساشهدت به
أحوالهم ومقالات الصادق فيهم واما الحسين فإنه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من أهل عصره بعثت
شيعة أهل البيت بالكوفة للحسين ان يأتهم فيقوموا بامرهم فرأى الحسين ان الخروج على يزيد يدمتعين
من أجل فسقه لاسيما من له القدرة على ذلك وظنهما من نفسه باهليته وشو كنهه فاما الالهية فكانت كما ظن
وزيادة واما الشوكة فغلط برجه الله فيها لان عصبية مضر كانت في قريش وعصبية قريش في عبد
مناف وعصبية عبد مناف إنما كانت في بني أمية تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولا ينكرونه وانما
نسى ذلك أول الاسلام لما شغل الناس من الذهول بالخوارق وأمر الوحي وتردد الملائكة لتصرة المسلمين
فأغفلوا أمور عوائدهم وذهبت عصبية الجاهلية ومنازعتها ونسيت ولم يبق الا العصبية الطبيعية في
الحماية والدفاع ينتفع بها في اقامة الدين وجهاد المشركين والدين فيها محكم والعادة معزولة حتى اذا انقطع
أمر النبوة والخوارق المهولة تراجع الحكم بعض الشيء للعوائد فعدت العصبية كما كانت ولما كانت
وأصبحت مضطووع لبني أمية من سواهم بما كان لهم من ذلك قبل (فقد) تبين لك غلط الحسين الا أنه

ما كان أحوجني أن يكون على باي أربعة لا يكون على باي أعف منهم قيل من هم يا أمير المؤمنين في
قال هم أركان الملأ لا يصلح الملأ الا بهم كما أن السرير لا يصلح الا بأربعة قوائم فان نقص قائمة واحدة عاب ذلك أحدهم قاض لا تأخذ

في الله لومة لائم والاخص صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى والثالث صاحب خراج يستصفي ولا يظلم الرغبة فاني غني عن ظلمهم ثم مضى على اصبعه السابعة ثلاث مرات يقول في كل مرة آه آه قال من هو يا امير المؤمنين (١٢٩) قال صاحب بر يد يكتب يخبره هؤلاء على

الحجة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يصلح الوالي الا باربع خصال ان تقصت واحدة لم يصلح له امر ولا نهي قوة على جمع المال من ابواب حله ووضعه في حقه وشدة لاجبروت فيها واين لا وهن فيه (الباب الحادي والعشرون في بيان حاجة السلطان الى العلم)

قال ابن المقفع اذا اكرمك الناس لمال او سلطان فلا تعجبك ذلك فان زوال الكرامة بزوالها ولا تكن تعجبك ان اكرمك لادب او علم او دين اعلم ارشدك الله ان اكثر الناس حاجة الى النفقة اكثرهم عيالا واتباعا وحشما واصحابا والحقاق مستمدون من السلطان ماله من الخلائق السنينة والطارئ العلية مفقرون اليه في الاحكام وقطع التناجر وفصل الخصام فهو اخرج خلق الله الى معرفة العلوم وجمع الحكم وشخص بالعلم كبلد بلا اهل وافضل ما في السلطان خصوصا وفي الناس عموما محبة العلم والتخلي به والشوق الى استماعه والتعظيم لجلته فان ذلك دليل على قوة الانسانية فيه وبعده من الهيمنة ومضاهاته

في امر دنوي لا يضره الغلط فيه واما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه لانه منوط بظنه وكان ظنه القدر على ذلك ولقد عزل ابن العباس وابن الزبير وابن عمر وابن الحنفية اخوه وغيره في مسيره الى الكوفة وعلما واطلعه في ذلك ولم يرجع عما هو بسبيله لما اراده الله واما غير الحسين من الصحابة الذين كانوا بالحجاز ومع يزيد بالشام والعراق ومن التابعين لهم فمروا ان الخروج على يزيد وان كان فاسقا لا يجوز ما ينشأ عنه من الهرج والدماء فاقصروا عن ذلك ولم يتابعوا الحسين ولا انكر واعليه ولا اثموه لانه مجتهد وهو اسوة المجتهدين ولا يذهب بك الغلط ان تقول بتأثير هؤلاء بمخالفة الحسين وقعودهم عن نصرته فانهم اكثر الصحابة وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه وكان الحسين يستشهد بهم وهو يقاتل بكر بلاه على فضله وحقه ويقول سئلوا جابر بن عبد الله واباسعيد الخدري وانس بن مالك وسهل بن سعيد وزيد بن ارقم وامثالهم ولم ينكر عليهم قعودهم عن نصرته ولا تعرض لذلك لعلمه انه عن اجتهاد منهم كما كان فعله عن اجتهاد منه وكذلك لا يذهب بك الغلط ان تقول بتصويب قتله لما كان عن اجتهاد وان كان هو على اجتهاد او يكون ذلك كما يجحد الشافعي والمالكي الحنفي على شرب النبيذ واعلم ان الاميريس كذلك وقتاله لم يكن عن اجتهاد هؤلاء وان كان خلافه عن اجتهادهم وانما انفرد بقتاله يزيد واصحابه ولا تقول ان يزيد وان كان فاسقا ولم يجز هؤلاء الخروج عليه فافعله عندهم صحيحة واعلم انه انما يفتنه من اعمال الفاسق ما كان مشروعا وقنال البغاة عندهم من شرطه ان يكون مع الامام العادل وهو مفقود في مسئلة تناقلا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا يزيد بل هي من فعله المؤكدة لفسقه والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد والصحابة الذين كانوا مع يزيد على حق ايضا واجتهاد وقد غلط القاضي ابو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في كتابه الذي سماه بالعواصم والقواصم ما معناه ان الحسين قتل بشرع جده وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الامام العادل ومن اعدل من الحسين في زمانه في امامته وعدالته في قتال اهل الاراء واما ابن الزبير فانه رأى في منامه ما رآه الحسين في وطن كما ظن وغلط في امر الشوكة اعظم لان بنى اسد لا يقاومون بنى امية في جاهلية ولا اسلام والقول بتعيين الخلفاء جهة مخالفة كما كان في جهة معاوية مع على لا سبيل اليه لان الاجماع هنالك قضى لثابته ولم نجد ههنا واما يزيد فعين خطاه فسقه وعبد الملك صاحب ابن الزبير اعظم الناس عدالة وثابته بعد الله احتياج مالك بقتله وعدول ابن عباس وابن عمر الى بيعته عن ابن الزبير وهم معه بالحجاز مع ان الكثير من الصحابة كانوا يريدون ان يبعثوا ابن الزبير لم يعتقد لانه لم يحضرها اهل العقد والحل كبيعة مروان وابن الزبير على خلاف ذلك والكل مجتهدون محمولون على الحق في الظاهر وان لم يتعين في جهة منهم ما والقتل الذي نزل به بعد تقرير ما قررناه يجبي على قواعد الفقه وقوانينه مع انه شهيد مثاب باعتبار قصده وتحريمه الحق هذا هو الذي ينبغي ان تحمل عليه افعال السلف من الصحابة والتابعين فهم خيار الامة واذا جعلناهم عرضة للقدح فن الذي يختص بالعدالة والنبي صلى الله عليه وسلم يقول خير الناس قرني ثم الذين يلونهم مرتين او ثلاثا ثم يقشوا الكذب بفعل الخيرة وهي العدالة مختصة بالقرن الاول والذي يليه فابا ان تعود نفسك لاسانك التعرض لاحد منهم ولا يشوش قلبك بالرأي في شئ مما وقع منهم والتمس لهم مذاهب الحق وطرقه ما استطعت فهم اولي الناس بذلك وما اختلفوا الا عن بينة وما قاتلوا الا في سبيل جهاد او اظهار حق واعنة ذلك ان اختلفوا فيهم رجعتهم بعددهم من الامة ليقندي كل واحد من يختاره منهم ويجعله امامه وهاديه ودليله فافهم ذلك وتبين حكمة الله في خلقه وكونه واعلم انه على كل شئ قدير واليه المرجع والمصير والله تعالى اعلم

(١٧ - ابن خلدون) للعالم العلوي وهو من اوكدم ما يتجيب به الى الرعية واذا كان الملك خالما من العلوم ركب هو اهوا واضر برعيته كالداية بالارسن تمر في غير طاريق وقد تلف ما تم به واعلم ان زهر القضاة وحسن المناقب وبهاه الحاسن وماض ذلك من تبحر

المطالب ونفس الرذائل كل ذلك يظهر عليك ويعظم منك بقدر ما أوتيت من علو المنزلة وشرف الخطوة فيكون حسنك أحسن كما يكون
قبحك أفتح وليس أحدم أهل (١٣٠) الدرجات السنية والمراتب العلية أحوج الى مجالسة العلماء وصحبة الفقهاء ودراسة كتب

٣٢ * (فصل في الخطط الدينية الخلافية) *

لماتين ان حقيقة الخلافة نابعة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا فصاحب الشرع
متصرف في الامرين اما في الدين فبمقتضى التكليف الشرعية الذي هو مأور بتبليغها وحمل الناس
عليها واما سياسة الدنيا فبمقتضى رعايته لمصالحهم في العمران البشري وقد قدمنا ان هذا العمران
ضروري للشروا ورعاية مصالحه كذلك لثلايقه سدان اهملت وقد منان الملك وسطوته كاف في حصول
هذه المصالح نعم انما تكون اكل اذا كانت بالاحكام الشرعية لانه اعلم به هذه المصالح فقد صار الملك
يندرج تحت الخلافة اذا كان اسلاميا ويكون من تواعبها وقد ينقر اذا كان في غير الملة وله على كل حال
مراتب خادمة ووظائف تابعة تبين خططا وتوزع على رجال الدولة وظائف فيقوم كل واحد بوظيفة
حسب بما يعينه الملك الذي تكون يده عالية عليهم فيتم بذلك امره ويحسن قيامه بسلطانه واما المنصب
الخلافي وان كان الملك يندرج تحتها بهذا الاعتبار الذي ذكرناه فتصرفه الديني يختص بخطط ومراتب
لا تعرف الا للخلفاء الاسلاميين فلذا ذكر الا ان الخطط الدينية المختصة بالخلافة ونرجع الى الخطط الملوكية
السلطانية فاعلم ان الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والقتيا والقضاء والجهاد والحسبة كلها مندرجة
تحت الامامة الكبرى التي هي الخلافة فكانها الامام الكبير والاصل الجامع وهـ هذه كلها متفرعة عنها
وداخله فيها العموم نظر الخلافة وتصرفها في سائر احوال الملة الدينية والدينية وتنفيذ احكام الشرع فيها
على العموم فاما امامة الصلاة فهى ارفع هذه الخطط كلها وازرفع من الملك بخصوصه المندرج معها تحت
الخلافة ولقد يشهد لذلك استدلال الصحابة في شأن ابي بكر رضي الله عنه باستخلافه في الصلاة على استخلافه
في السياسة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينه اقلنا رضاه لدينا فلولوا ان الصلاة ارفع من
السياسة لمصاع القياس واذا ثبت ذلك فاعلم ان المساجد في المدينة صنقان مساجد عظيمة كثيرة الغاشية
معدة للصلوات المشهودة واخرى دونها مختصة بقوم ومجلة وليست للصلوات العامة فاما المساجد العظيمة
فامر هاراجع الى الخليفة او من يفوض اليه من سلطان او وزير او قاض فينصب لها الامام في الصلوات
النجس والجمعة والعيدين والخسوف والاستسقاء وتعين ذلك انما هو من طريق الاولي والاستحسان
ولثلايق الرعايا عليه في شئ من النظر في المصالح العامة وقد يقول بالوجوب في ذلك من يقول بوجوب
اقامة الجمعة فيكون نصب الامام لها عنده واجبا * واما المساجد المختصة بقوم ومجلة فامر هاراجع الى
الحجران ولا يحتاج الى نظر خليفة ولا سلطان واحكام هذه الولاية وشروطها والموالي فيها معروف في كتب
الفقه ومبسوطة في كتب الاحكام السلطانية لساوردي وغيره فلان طول بذكرها وقد كان الخلفاء الاولون
لا يقلدون غيرها من الناس وانظر من طعن من الخلفاء في المسجد عند الاذان بالصلاة وترصدهم لذلك
في اوقاتها يشهد ذلك ذلك باشرتهم لها وانهم لم يكونوا يستخلفون فيها وكذا كان رجال الدولة الاموية
من بعدهم استثنائها واستعظام مرتبتها يحكي عن عبد الملك انه قال لحاجبه قد جعلت لك حجابة بابي
الاعن ثلاثة صاحب الطعام فانه يقصد بالتأخير والاذن بالصلاة فانه داع الى الله والبر يدان في تأخيره
فساد القاصبة فطسحات طبيعة الملك وعوارضه من الغلظة والرفع عن مساواة الناس في دينهم ودنياهم
استثنوا في الصلاة فكانوا يستأثرون بها في الاحيان وفي الصلوات العامة كالعيد والجمعة اشادة وتبنيها
فعل ذلك كثير من خلفاء بني العباس والعبيد بن صددردوتهم واما القيا والخليفة تفصح أهل العلم
والتدريس ورد القيا الى من هو اهل لها واعانتة على ذلك ومنع من ليس اهل لها وازجره لانها من مصالح

العلوم والحكم ومطالعة
دواوين العلماء ومجامع
الفقهاء وسير الحكماء من
السلطان وانما كان ذلك
من وجهين أحدهما انه
قد نصب نفسه اماما رسة
أخلاق الناس وفصل
خصوصاتهم وتعاطى
حكوماتهم وكل ذلك يحتاج
الى علم بارع ونظر ثاقب
وبصيرة بالعلم قوية ودراسة
طويلة فكيف يكون
حاله لولم يعد هذه الامور
عدتها ولم يقدم لها أهميتها
والثاني أن من سواه من
الناس لا يعدون من
ينكر عليهم ويعارضهم
ويذكر لهم مساوئهم
ويخالفهم في مذاهبهم
فيكون ذلك مما يعينهم
على رياضة أنفسهم وتعلمهم
مرادهم ومناظرة الاكفاء
ومعاشرة النظر ارا تلتقي
العقول وتهذيب النفوس
وتدريسا يأخذ الاحكام
بخلاف السلطان فان
ارتفاع درجته يقطع عنه
جميع ذلك اذ لا يقاها
ولا يجالسها الا معظم لقدره
مبجل لشأنه وسائر مساويه
ومادله بما ليس فيه
وانما جوا به لهم صدق
الامير وعلى قدر المرتبة
يكون علو السقطة كما ان
على قدر ارتفاع الحماط يكون صوت الوجبة * (فصل) * بانها الملك ليس أحد فوق أن يؤمر بتقوى الله ولا احد دون المسلمين
ان يؤمر بتقوى الله ولا أحد اجل قدر من أن يقبل أمر الله ولا أرفع خطر من ان يتعلم حكم الله ولا اعلى شأن من ان يتصف بصفت الله ومن

ان يؤمر بتقوى الله ولا احد دون المسلمين
ان يؤمر بتقوى الله ولا أحد اجل قدر من أن يقبل أمر الله ولا أرفع خطر من ان يتعلم حكم الله ولا اعلى شأن من ان يتصف بصفت الله ومن

صفت الله العلم الذي وصف به سبحانه نفسه وتعالى فقال تعالى وسع كرمه السموات والارض والكرسى هو العلم والكرسى هم العلماء واذا كان العلم فضيلة فرغبة الملوك وذوى الاخطار والاقدار والاشراف (١٣١) والشموخ فيه أولى لان الخطأ فيهم أوجب

والابتداء بالفضيلة فضيلة
(حكى) ان ابراهيم بن
المهدى دخل على المأمون
وعنده جماعة يتكلمون
في الفقه فقال يا عم ما عندك
فيما يقول هؤلاء فقال يا أمير
المؤمنين شغلونا في الصغر
واشغلنا في الكبر فقال
المأمون لم لا تتعلم اليوم
فقال او يحسن بمثلي طلب
العلم فقال نعم والله لان
تموت طالبا للعلم خير من أن
تعيش قانعا بالجهل قال
والى متى يحسن العلم قال
ما حسنت بك الحياة
وروى أن بعض الحكماء
رأى شخصا يطلب العلم
ويحب النظر فيه ويستحي
فقال يا هذا استحي أن
تكون في آخر عمرك أفضل
مما كنت في أوله ولان
الصغير أعذر وان لم يكن في
الجهل عذر وفي متون
الحكماء جهل الشباب معذور
وعلمه محذور فاما الكبير
فالجهل به أوجب وتقصه
علمه أفضح لان علوانه
اذ لم يكسبه فضلا ولم يفده
علما كان الصغير أفضل
منه لان الامل فيه أقوى
وحسبك نقیصة في رجل
يكون الصغير المساوى له
في الجهل أفضل منه وكما
ذكرنا من حاجة الشيخ الى

المسلمين في اديانهم فوجب عليه مراعاتها لا يتعرض لذلك من ليس له باهل فيفضل الناس وللمدرس
الانتصاب لتعليم العلم وبنه والجلوس لذلك في المساجد فان كانت من المساجد العظام التي للسلطان الولاية
عليها والنظر في أمتها كما مر فلا بد من استئذانه في ذلك وان كانت من مساجد العامة فلا يتوقف ذلك على
اذن على انه ينبغي ان يكون لكل أحد من المفتين والمدرسين زاجر من نفسه يمنع عن التصدي لما ليس له
باهل فيفضل به المستهدى ويضل به المسترشد وفي الأثر أجروكم على الغيبة أجروكم على جرائم جهنم فلا سلطان
فيهم لذلك من النظر ما توجه المصلحة من اجازة أو رد * وأما القضاء فهو من الوظائف الداخلة تحت
الخليفة لانه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسم اللتداعي وقطع التنازع الا انه بالاحكام
الشريعة المتلقاة من الكتاب والسنة فكان لذلك من وظائف الخليفة ومنه درجاني وعمومها وكان
الخلفاء في صدر الاسلام يباشرونه بانفسهم ولا يجعرون القضاء الى من سواهم وأول من دفعه الى غيره
وفوضه فيه عمر رضي الله عنه فولى أبا الدرداء معه بالمدينة وولى شريحا بالبصرة وولى أبا موسى الأشعري
بالكوفة وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذي تدور عليه أحكام القضاء وهي مستوفاة فيه يقول أما بعد
فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدى اليك فانه لا ينفع تسكلم بحق لانفاذ له وأس بين
الناس في وجهك وبجسالك وعدالك حتى لا يطمع شريف في حيقك ولا يأس ضعيف من عدلك البينة
على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ولا يمنعك
قضاء قضيتك أس فراجعت اليوم فيه علك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم
ومراجعة الحق خير من التماسه في الباطل الفهم الفهم فيما تجاليج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم
اعرف الامثال والاشباه ووقس الامور بنظائرهما واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهي اليه فان
أحضر بينته أخذت له بحقه والا استعملت القضية عليه فان ذلك انفي للشك وأجلى للجماء المسلمون عدول
بعضهم على بعض الا يجلود في حد أو يجزى باعله شهادة زور أو ظنينا في نسب أو ولاء فان الله سبحانه عقابن
الايان ودرأ بالبينات واياك والقلق والضجر والتأفف بالخصوم فان استمرار الحق في مواطن الحق يعظم
الله به الاجر ويحسن به الذكر والسلام انتهى كتاب عمرو انما كانوا يقدون القضاء لغيرهم وان كان مما يتعلق
بهم لقيامهم بالسياسة العامة وكثرة أشغالهم من الجهاد والفتوح وسد الثغور وحماية البيضة ولم يكن ذلك
مما يقوم به غيرهم اعظم العناية فاستحقوا القضاء في الوقعات بين الناس واستخلفوا فيه من يقوم به تحفيقا
على انفسهم وكانوا مع ذلك انما يقدونه أهل عصبيتهم بالنسب أو الولاء ولا يقدونه من بعدهم في ذلك واما
احكام هذا المنصب وشروطه فمعرفة في كتب الفقه وخصوصا كتب الاحكام السلطانية الا ان القاضي
انما كان له في عصر الخلفاء الفصل بين الخصوم فقط ثم دفع لهم بعد ذلك أمورا أخرى على التدرج بحسب
اشغال الخلفاء والملوك بالسياسة الكرى واستقر منصب القضاء آخر الامور انه يجمع مع الفصل بين
الخصوم استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في أموال المحجور عليهم من الجنان واليتامى والمفلسين
وأهل السفه وفي وصايا المسلمين وأوقافهم وتزويج الايامي عند فقد الالاء على رأى من رآه والنظر في مصالح
الطراف والابنية ونصيح النهور والامناء والنواب واستيفاء العلم والخبرة فيهم بالعدل والجرح ليحصل له
الوثوق بهم وصارت هذه كلها من تعلقات وظيفته وتوابع ولايته وقد كان الخلفاء من قبل يجعرون للقاضي
النظر في المظالم وهي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء وتحتاج الى علو يد وعظيم رهمة تسمع
الظالم من الخصمين وتزجر المتعدى وكأنه يمضي ما عجز القضاء أو غيرهم عن امضاءه ويكون نظره في البينات

العلم فحاجة السلطان اليه أكثر ودواعيه الى اكتسابه أشد لان من عداه انما تحضه نفسه الواحدة فيقرب عليه تحصيل ما يقوم بهه والمالك
منصب اسبابه اهل مملكته وتعليمهم وتقويم اودهم فهو الى العلم أحوج قال الشاعر
اذ لم يكن مر السنين مبرجما *

فن الفضل في الانسان سمته طفلا وماتنعم الاعوام حتى تعدها ولم تستقد فيهن علما ولا عقلا ارى الدهر من سوء التصرف ما مثالا
الى كل ذي جهل كان به جهلا (١٣٢) وقال بعض الحكماء كل عز لا يوطده علم مذلة وكل علم لا يؤكده عقل مضلة وكيف يستتدكف

والنقرير وروايت الامارات والقرائن وتأخير الحكم الى استجلاء الحق وجعل الخصمين على الصلح واستخلاف
الشهود وذلك اوسع من نظر القاضي وكان الخلفاء الاولون يباشرونهم الى ايام المهدي من بني
العباس وربما كانوا يجعلونها قضائهم كما فعل عمر رضي الله عنه مع قاضيه ابي ادريس الخولاني وكما
فعله المأمون ليحيى بن اكرم والمعتصم لاجد بن ابي داود وربما كانوا يجعلون للقاضي قيادة الجهاد في
عساكر الطوائف وكان يحيى بن اكرم يخرج ايام المأمون بالطائفة الى ارض الروم وكذا مندر بن سعيد
قاضي عبدالرحمن الناصر من بني أمية بالاندلس فكانت تولية هذه الوظائف انما تكون للخلفاء او من
يجعلون ذلك له من وزير مقوض او سلطان متغلب وكان ايضا النظر في الجرائم واقامة الحدود في الدولة
العباسية والاموية بالاندلس والعبيد بن بصر والمغرب راجعا الى صاحب الشرطة وهي وظيفة اخرى
دينية كانت من الوظائف الشرعية في تلك الدول توسع النظر فيها عن احكام القضاء قليلا فيجعل لاتهم
في الحكم مجالا ويقرض العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرائم ويقيم الحدود الثابتة في محالها ويحكم في
القول والقصاص ويقيم التعزير والتأديب في حق من لم ينته عن الجريمة ثم تنوسى شأن هاتين الوظيفة
في الدول التي تنوسى فيها امر الخلافة فصار امر المظالم راجعا الى السلطان كان له تقوى من الخليفة اولم
يكن وانقسمت وظيفة الشرطة قسمين منها وظيفة التهمة على الجرائم واقامة حدودها ومباشرة القطع
والقصاص حيث يتعين ونصب لذلك في هذه الدول كما يحكم فيها بموجب السياسة دون مراجعة
الاحكام الشرعية ويسمى تارة باسم الوالي وتارة باسم الشرطة وبقسم التعازير واقامة الحدود في الجرائم
الثابتة شرعا في مع ذلك للقاضي مع ما تقدم وصار ذلك من توابع وظيفته ولايته واسم الامر لهذا
العهد على ذلك وخرجت هذه الوظيفة عن اهل عصبة الدولة لان الامراء كان خلافة دينية وهذه
المخطة من مراسم الدين فكانوا يولون فيها الامن اهل عصبتهم من العرب ومواليهم بالخلف او بالرق او
بالاصطناع ممن يوثق بكفايته او غنائمه فيما يدفع اليه وما انقرض شأن الخلافة وطورها وصار الامر
كاهل كاهل الامراء واصارت هذه المخطط الدينية بعيدة عنه بعض الشيء لانها ليست من القاب الملك ولا
مراسمه ثم خرج الامر جلة من العرب وصار الملك لسواهم من اهل الترك والبربر فازدادت هذه المخطط
الخلافة بعد انهم يخافونها وعصبيتها وذلك ان العرب كانوا يرون ان الشرعية دينهم وان النبي صلى الله
عليه وسلم منهم واحكامه وشرايعه تختصهم بين الامم وطريقتهم وغيرهم لا يرون ذلك انما يولونها اجناسا من
التعظيم لئلا ياتوا بالملة فقط فصاروا يقدونهم من غير عصابتهم من كان تأهل لها في دول الخلفاء السالفة
وكان اولئك المتأهلون لما اخذهم ترف الدول منذ مئتين من السنين قد نسوا عهد البداوة وخشوتها
والندسوا بالحضارة في عوائد ترفهم ودعتهم وقلة الممانعة عن انفسهم وصارت هذه المخطط في الدول
الملوكية من بعد الخلفاء مختصة بهذا الصنف من المستضعفين في اهل الامصار ونزل اهلها عن مراتب العز
لفقد الاهلية بانسابهم وما هم عليه من الحضارة فحقتهم من الاحتقار ما لحق الحضرة المنجسة من الترف
والدعة البعدهاء عن عصبة الملك الذين هم عيال على الحماية وصار اعتبارهم في الدولة من اجل قيامها
بالملة واخذها باحكام الشريعة لئلا يولون للاحكام المقنون بها ولم يكن ايتارهم في الدولة حينئذ
اكراما لذواتهم وانما هو لما يتلمح من التجميل بمكاتبهم في مجالس الملوك لتعظيم الرتب الشرعية ولم يكن
لهم فيها من المحل والعقد شي وان حضره فحضور رسمي لاحقية وراه اذ حقيقة المحل والعقد انما هي
لاهل القدرة عليه فن لا قدره عليه فلا حل له ولا عقد لديه اللهم الا اخذ الاحكام الشرعية عنهم وتلقى

ملك او ذم منزلة عليقة عن
طلب العلم وهذا موسى
عليه السلام ارتحل من
الشام الى مجمع البحرين
في أقصى المغرب على بحر
الظلمات الى لقاء الحضرة
ليتعلم منه فلما نظر به قال
هل آتبعك على أن تعلمني
فما علمت رشدا هذا وهو
نبي الله وكتابه وهذا محمد
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وصقوته من جميع
خلقه قد اوصاه به وعلمه
كيف يستنزل ما في خزائنه
فقال وقل رب زدني علما
فلو كان في خزائنه اشرف
من العلم لنبيه عليه وهذا
ادم عليه السلام لما خفرت
الملائكة بتسبيحها
وتقديسها الربها فخر آدم
بالعلم فقال انبثوني باسماء
هؤلاء ان كنتم صادقين
فلما عجزوا امرهم بالسجود
له واخلاق بخصلة تستدعي
السجود لحاملها ان يتنافس
فيها كل ذي لب وهذا
فصل الخطاب لمن تدبره
ولا تنصن لك عذرا بما
روى في بعض الاخبار مثل
الذي يتعلم العلم في الصغر
كالوشم على الصخر والذي
يتعلم في الكبر كالنقش
على الماء فقد سمع الاحنف
وجلا يقول النعم لم في

الصغر كالنقش في الحجر فقال الكبير اكبر عقلا ولكنه اشغل قلبا ففحص عن المعنى ونبه عن العلة
وقد كان اصحاب النبي عليه السلام يسلمون شيوخا وكهولا واحدا كانوا يتعلمون العلم والقرآن والسنة وهم يحور العلم وطواد الحكم

الفتاوى

والفقه غير أن العلم في الصغر أرسخ أصولاً وأسبق فروعاً وليس إذالم يحزه بقوته كما قال زجل لابي هريرة رضي الله عنه اني اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال ابو هريرة كفي بتركك له تضيعه وبعض الخبير (١٣٣) من كل الشر وانما مثل الجاهل تحت

غيب الجهل مثل الجبال
تحت جبل ثقل فانه كلما
اعيا نقصه قليلاً قليلاً يوشك
ان ينقصه كله فيستريح
منه وان هو لم يطرح القليل
حتى يطرح الكثير فما
اوشك ان يصرفه كله
وكذلك الجاهل اذا تعلم
قليلاً قليلاً يوشك ان يأتي
على بقبته وان لم يتعلم في
الكبر لما فاتته في الصغر
فاوشك به ان يموت تحت
غيب الجهل

* (الباب الثاني والعشرون
في وصية امير المؤمنين علي
ابن ابي طالب)

رضي الله عنه لكميل بن
زيد في العلم واهله قال
كميل بن زيد النخعي
خرجت مع علي بن ابي
طالب رضي الله عنه الى
الجبالة فلما اصبح تنقس
الصعداء ثم قال يا كميل بن
زيد ان القلوب اوعية
فغيرها وواعها للخبر احفظ
عني ما قول لك الناس
ثلاثة فعالم رباني ومتعلم
علي سبيل نجاه وهمج
رعاع اتباع كل ناعق يميلون
مع كل ريح لم يستضيوا بنور
العلم ولم يلجؤا منه الى ركن
وثيق العلم خير من المال
العلم بحر سلك وانك تحرس
المال والعلم بزكوعلي

الفتاوى منهم فنعيم والله الموفق وربما يظن بعض الناس ان الحق فيما وراء ذلك وان فعل الملوكة فيما
فعلوه من اخراج الفقهاء والقضاة من الشورى مرجوح وقد قال صلى الله عليه وسلم لم العلماء ورثة الانبياء
فاعلم ان ذلك ليس كإطمنه وحكم الملك والسلطان انما يجري على ما تقتضيه طبيعة العمران والا كان بعيداً
عن السياسة فطبيعة العمران في هؤلاء لا تقضي لهم شيئاً من ذلك لان الشورى والحل والعقد لا تكون الا
لصاحب عصبية يقتدر بها على حل او عقد او فعل او ترك واما من لا عصبية له ولا يملك من امر نفسه شيئاً ولا
من حمايتها وانما هو عيال على غيره فاي مدخل له في الشورى او اي معنى يدعوا الى اعتباره فيها اللهم الا
شوراه فيما يعلمه من الاحكام الشرعية فوجوده في الاستفتاء خاصة واما شوراه في السياسة فهو بعيد عنها
لفقدانه للعصبية والقيام على معرفة احوالها واحكامها وانما كرامتهم من تبرعات الملوكة والامراء
الشاهدة لهم بحجيميل الاعتقاد في الدين وتعظيم من ينسب اليه باي جهة انتسب واما قوله صلى الله عليه
وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم ان الفقهاء في الاغلب لهذا العهد وما احتف به انما جملوا الشرعة اقول
في كيفية الاعمال في العبادات وكيفية القضاء في المعاملات ينصونها على من يحتاج الى العمل بها هذه غاية
الكبرهم ولا يتصفون الا بالاقل منها وفي بعض الاحوال والسلف رضوان الله عليهم واهل الدين والورع
من المسلمين جملوا الشرعة اتصافها وتحققها بمذاهبها فنجلها اتصافاً وتحققاً دون نقل فهو من الوارثين
مثل اهل رسالة التشيرى ومن اجتمع له الامران فهو العالم وهو الوارث على الحقيقة مثل فقهاء التابعين
والسلف والائمة الاربعة ومن اقتفى طريقهم وجاء على اثرهم واذا انقرد واحد من الامة باحد الامرين
فالعايد احق بالورثة من الفقيه الذي ليس بعايد لان العابد ورث صفة والفقيه الذي ليس بعايد لم يرث
شيئاً انما هو صاحب اقوال ينصها علينا في كيفية العمل وهؤلاء اكثر فقهاء عصرنا الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وقليل ما هم

(١) قوله المران بكسر الميم التمرن والاعتقاد على الشيء اه

الانفاق والمال تنقصه النفقة والعلم حاكم المال محكوم عليه ومحبة العالم دين يدان الله به يكسبه الطاعة في حياته وجبل الاحدوية
بعد وفاته مات خزان الاموال وهم احياء والعلم باقون ما بقي الدهر اشخاصهم معقودة وامثالهم في القلوب موجودة هان ههنا وانشاء

بده الى صدره لعلم اجالواصبته له جملة بلى قد اصبته له لغنا غير مأمون عليه يستعمل آله الدين للدنيا فيستظهر بحجج الله تعالى على كتابه او كقالب وبنعمته على عباده (١٣٤) او منقاد الامل الحق لا بصيرة له في اخبائه ينقح الشك في قلبه باول عارض من شبهة

باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم به والمراسلين يعين لذلك من يراه امه لا له فستعين فرضه عليه ويتخذ الاعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزرو ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الجمالين واهل السفن من الاكثار في الحمل والحكم على اهل المباحي المتداعية للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من ضررها على السابلة والضرب على ايدي المعلمين في المسكاتب وغيرها في البلاغ في ضربهم للصبيان المتعلمين ولا يتوقف حكمه على تنازع او استعداء بل له النظر والحكم فيما يصل الى علمه من ذلك ويرفع اليه وليس له امضاء الحكم في دعاوى مظالم بل فيما يتعلق بالنس والتدليس في المعاش وغيرها وفي المسكاتب والموازين وله ايضا جعل المماطلين على الانصاف وامثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة ولا انقاذ حكم وكانها احكام ينزه القاضي عنها له مومها وسهولة اغراضها فتدفع الى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعها على ذلك ان تكون خادمة لمنصب القضاء وقد كانت في كثير من الدول الاسلامية مثل العبيد بين مصر والمغرب والامويين بالاندلس داخلية في عموم ولاية القاضي بولي فيها باختياره ثم لما انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار نظره عام في امور السياسة اندرجت في وظائف الملك وافردت بالولاية (واما السكة) فهي النظر في النقود المتعامل بها بين الناس وحفظها مما يداخها من الغش او النقص ان كان يتعامل بها عددا او ما يتعلق بذلك ويوصل اليه من جميع الاعتبارات ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود بالاستجداء والخلوص برسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد تحت لذلك ونقش فيه نقوش خاصة به فيوضع على الدينار بعد ان يقدر ويضرب عليه بالمطرقه حتى ترسم فيه تلك النقوش وتكون علامة على جودته بحسب الغاية التي وقف عندها السبك والتخليص في متعارف اهل القطر ومذاهب الدولة الحاكمة فان السبك والتخليص في النقود لا يقف عند غاية وانما ترجع غايته الى الاجتهاد فاذا وقف اهل اقطر على غاية من التخليص وقفوا عندها وسوها اماما وعاريا يعتبرون به نقودهم ويتقنونها بما ثلته فان نقص عن ذلك كان زيفا والنظر في ذلك كله اصاحب هذه الوظيفة وهي دينية بهذا الاعتبار تندرج تحت الخلافة وقد كانت تندرج في عموم ولاية القاضي ثم افردت لهذا العهد كقوة في الحسبة هذا آخر الكلام في الوظائف الخلافية وبقية منها وظائف ذهبت بذهاب ما ينظر فيه واخرى صارت سلطانية فوظيفة الامارة والوزارة والحرب والمخارج صارت سلطانية تتكلم عليهم في اما كتبها بعد وظيفة الجهاد ووظيفة الجهاد بطلت بطلانه الا في قليل من الدول يمارسونه ويدرجون احكامه غالبا في السلطانيات وكذا نقابة الانساب التي يتوصل بها الى الخلافة او الحق في بيت المال قد بطلت لدنو الخلافة ورسومها وبالجملة قد اندرجت رسوم الخلافة ووظائفها في رسوم المال والسياسة في سائر الدول لهذا العهد والله مصرف الامور كيف يشاء

الا لا ذوا ذلك او هم موموا بالذات سريع الانقياد للشهوات ام آخرا منه جمع المال والادخار ليسامن رعاة الدين اقرب شهما بهما الانعام السائمة اللهم فكذلك يموت العلم يموت حامله ولكن ان تخلو الارض من قائم لله سبحانه بحجة ثلاث بطل حجج الله وبياناته ومن اولئك وامين اولئك اولئك الاقلون عدد الاكثرون عند الله قدرات تخزن الحكمة في قلوبهم حتى يزرعوها في قلوب اشباهم ويودعوها في صدور نظراتهم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلنوا ما استوحشه المترفون واستأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صجروا الدنيا باجساد ارواحها متعلقة بالخل الاعلى اولئك تخلقاء الله في بلاده ودعائه الى دينه آه شوقا الى رؤيتهم

٣٣ * (فصل في اللقب بامير المؤمنين وانه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء) *

وذلك انه لما بويع ابو بكر رضي الله عنه كان الصحابة رضي الله عنهم وسائر المسلمين يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينزل الامر على ذلك الى ان هلك فلما بويع لعمر بعهد الله كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانهم اسئمة قبلوا هذا اللقب بكثرة وطول اضافته وانه يتزايد فيما بعد دائما الى ان ينتهي الى الصحبة ويذهب منه التمييز بتعدد الاضافات وكثرتها فلا يعرف فكنا يمدون عن هذا اللقب الى ما سواه مما يناسبه ويدعى به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الامير وهو فاعيل

(الباب الثالث والعشرون في العقل والدهاء والخبث) قد ذكرت في كتاب الاسرار حقيقة العقل واقسامه ومحلها واحكامها بما لا يزيد عليه ونذكر ههنا منافعها

ومداركها ولباب ما تحررون القول فيه انه الاستشهاد بالشاهد على الغائب فن كان في طوقه ان يستدل بما شاهد على ما غاب عنه كان معه عقل ويسمى عاقلا عند الموحدين وبه يتوجه التكليف عليه وذلك ان من نظر الى قسم من

قد كمل بديانه وحصنت أركانها وجعلت فيه من الآلات ما يكتفي به ساكنوه فاشرف عليه انسان فرأى بيوتاً مقطوعة وأبواباً منصوبة
وفرشاً مقروشة وزراني مبشونة وموائد موضوعة وصحافاً مصقوفة وأرائك منصوبة (١٣٥) وجملاً مشدودة ووسطاً وأبواباً ربي

و بيوت ماء وميازيب
تصب الماء وتحتها بلايع
لغرض الماء الى سائر
ما يستعد العقالا للانتفاع
ثم فكر هل هذا القصر
بما حواه صنعة قادر صانع
عالم حتى أو اتفق لنفسه
وتركب على صورته بلا
صانع فيستقر في عقله
بالضرورة استحالة وجوده
من غير صانع وانه مقتدر
الى صانع صنعه وهذا علم
يجمع على العقول لا يقتصر
الى نظر واستدلال وانما
كثرت لك هذه الامثلة
لان ما في الانسان من
الاعضاء ولطف الصنعة
والعجائب أكثر مما في
القصر بأضعاف مضاعفة
فاذا نظر الى ما في نفسه
فرأى فيها من العجائب
والتركيب ومنفعة كل
عضو وتخصيصه بما يحتاج
نفع او دفع ضرر فانظر
في عضو واحد مثلاً وهو
فمه فيرى في اوله اسناناً
تشبه الفاس تصلح للقطع
وفي آخره طواحين مدرسة
تصلح للطحن وشدقين
كأنهما ثغال الرخي يمنعان
ان ينهرق الطعام الى
خارج ولساناً يرد ما انقلب
من الطعام اليه على
الطواحين ثم يلب ذلك

من الامارة وقد كان الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم أمير مكة وأمير الحجاز وكان الصحابة أيضاً
يدعون سعد بن ابى وقاص أمير المؤمنين لآمارته على جيش القادسية وهم معظم المسلمين يومئذوا اتفق أن
دعا بعض الصحابة عمر رضي الله عنه يا أمير المؤمنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال ان أول
من دعاه بذلك عبد الله بن جحش وقيل عمرو بن العاصي والمغيرة بن شعبة وقيل بر يد جاء بالفتح من بعض
البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر يقول أين أمير المؤمنين وسمعه الصحابة فاستحسنوه وقالوا
أصبت والله الله سبحانه والله أمير المؤمنين حقا فدعوه بذلك وذهب لقبه في الناس وتوارثه الخلفاء من بعده
سمة لا يشاركون فيها أحد سواهم سائر دولة بني أمية ثم ان الشيعة خصوصاً علياً باسم الامام نعمتاله بالامامة التي
هي أخت الخلافة وتعرف بضمهم في انه أحق بالامامة الصلاة من ابى بكر لما هو مذهبهم وبدعتهم فخصوه
بهذا اللقب ولما يسوقون اليه منصب الخلافة من بعده فكانوا كلهم يسمون بالامام ماداموا يدعون لهم
في الخلفاء حتى اذا استولون على الدولة يتحولون للقب فيمن بعده الى أمير المؤمنين كما فعله شيعة بني العباس
فانهم ما زالوا يدعون أنفسهم بالامام الى ابراهيم الذي جهره وبالبدعاء له وعقدوا الرايات للحرب على أمره فلما
هلك دعى أخوه السفاح بامير المؤمنين وكذا الرافضة باقرية فانهم ما زالوا يدعون أنفسهم من ولد اسمعيل
بالامام حتى انتهى الامر الى عبيد الله المهدي وكانوا أيضاً يدعون بالامام ولا يثبتون القاسم من بعده فلما
استوثق لهم الامر دعوا من بعدهما بامير المؤمنين وكذا الادارسة بالمغرب كانوا يلقبون ادريس بالامام
وابنه ادريس الاصغر كذلك وهكذا شأنهم وتوارث الخلفاء هذا اللقب بامير المؤمنين وجعلوه سمة لمن يملك
الحجاز والشام والعراق الموطن التي هي ديار العرب ومراكز الدولة واهل الملة والفتح وازداد ذلك في
عنفوان الدولة وبذخها لقب آخر للخلفاء يتميز به بعضهم عن بعض لما في أمير من الاشرار بينهم فاستحدث
ذلك بنو العباس سجلاً لاسمائهم الاعلام عن امتها في السنة السوية وصوناً للمساكن الا بتدال فتلقبوا
بالسفاح والمنصور والمهدي والمهدي والرشيدي الى آخر الدولة واقنفي أثرهم في ذلك العبيديون
باقرية ومصر وتجناب بنو أمية عن ذلك بالمشرق قبلهم من الغضاضة والساذجة لان العروبية
ومنازعها لم تفارقهم حينئذ ولم يتحول عنهم شعار البداوة الى شعار الحضارة وأما بالاندلس فتلقبوا كسلفهم
مع ما علموه من أنفسهم من القصور عن ذلك بالقصور عن ملك الحجاز اصل العرب والملة والبعده عن دار
الخلافة التي هي مركز العصبية وانهم انما منعوا امامارة القاصية أنفسهم من مهالك بني العباس حتى اذا جاء
عبدالرحمن الداخل الاخر منهم وهو الناصر بن محمد بن الامير عبد الله بن محمد بن عبدالرحمن الاوسط لاول
المائة الرابعة واشتهر مانال الخلافة بالمشرق من الحجاز واستبداد الموالي وعيشهم في الخلفاء بالعزل
والاستبدال والقتل والسمل ذهب عبدالرحمن هذا الى مثل مذاهب الخلفاء بالمشرق وافر بقبية وتسمى
بامير المؤمنين وتلقب بالناصر لدين الله وأخذت من بعده عادة ومذهب لقن عنه ولم يكن لا بائعاً وسلف
قومه واستمر الحال على ذلك الى أن انقرضت عصبية العرب أجمع وذهب رسم الخلافة وتغلب الموالي
من العجم على بني العباس والصنائع على العبيديين بالقاهرة وصنحاجة على أمراء افر بقبية وزنانه على المغرب
وملوك الطوائف بالاندلس على اربى أمية واقتمسوه واقترق امر الاسلام فاختلقت مذاهب الملوك
بالمغرب والشرق في الاختصاص باللقاب بعد أن تسماوا بامير المؤمنين السلطان فاما ملوك المشرق من العجم
فكان الخلفاء يخصصونهم باللقاب تشرقية حتى يستشعر منها انقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم مثل شرف
الدولة وعضد الدولة ووركن الدولة ومعز الدولة ونصير الدولة ونظام الملوك وبهاء الدولة وذخيرة الملوك

بلعوم لا زدراده بعد الطحن علم بادنى تأمل ان هذه الخلقه ما انعمت بنفسها اتفاقاً بل هي مفترقة الى قصد قاصد ودوجعل جاعلى وعلى هذا
الخط لو ذهبنا نذكر منفعة كل عضو لوقفنا على العجب ولكن تركناه كراهية النظر بل وعلى هذا المعنى به الكتاب المهين فقال تعالى

وفي أنفسكم أفلا تبصرون وبهذه العبرة تستقل العقول باثبات الصانع وتستغنى عن النظر في الجواهر والاعراض فالعلم المقيد لا يثبت الصانع في الشاهد مثل البناء والتجار (١٣٦) والخياط وأشباههم بعد النظر في صنائعهم على اضطرارو العلم المثبت للصانع سبحانه

عند النظر في حدوث العالم علم استدلالات اعتبارا للغائب بالشاهد اذ لا فرق في العقول بين صنعة وصنعة في اقتضاء صانع وانما كان العلم في الشاهد ضروريا لان الانسان لم يزل يرى البناء يدنى والخياط يخيط والتجار ينجس الخشب ولم تر العقلاء القديم سبحانه يخلق ويخترع وانما استفادوه من النظر في الشاهد فان قيل فاي العلمين اقوى في النقوس واثبت في العقول العلم بالصانع النظر في السرير واقتضائه للتجار أم العلم بالاله عند النظر في السموات والارضين وما بينهما فالجواب ان هذا يستدعي تفصيلا وتدقيقا وليس هذا الكتاب موضوعا لذلك فيمنه تعلم ان معه عقلا غير يزبا ونسبه عاقلان ونوجه التكليف عليه وهو العقل التكليني واذا ثبت هذا فاعلم ان الله تعالى خلق الخلق على اربعة اقسام ملائكة وادميين وشياطين وبهائم فاما الملائكة ففعل بلا شهوات ولا هوى يقارنه واما البهائم فشهوات بلا عقول واما

وامثال هذه وكان العبيديون ايضا يخصصون بها المراد منها حاجة فلما استبدوا على الخلافة قنعوا بهذه الالقباب وتجاؤا عن الالقباب الخلافة اذ بامعها وعدولا عن سماتها المختصة بها شأن المتغلبين المستبدين كما قلناه قبل ونزع المتأخرون اعاجم المشرق حين قوى استبدادهم على الملك وعلا كعبهم في الدواة والسلطان وتلاشت عصبية الخلافة واضمحلت بالجملة الى انتقال الالقباب الخاصة بالملك مثل الناصر والمنصور وزيادة على الالقباب يخصصون بها قبل هذا الانتقال مشعرة بالخروج عن رتبة الولاة والاصطناع عيما اضاؤها الى الدين فقط فيقولون صلاح الدين اسد الدين نور الدين واما ملوك الطوائف بالاندلس فاقسموا الالقباب الخلافة وتوزعوها لثورة استبدادهم عليهم كما كانوا من قبيلها وعصبيتها فاقبلوا بالناصر والمنصور والمعتمد والمظفر وامثالها كما قال ابن ابي شرف يعني عليهم

عما ربه في في ارض اندلس * اسماء معتمد فيها ومعتمد
الالقباب ملكة في غير موضعها * كالمركبكي انتفاخ صورة الاسد

واما صنعا فاقصر واعلى الالقباب التي كان الخلفاء العبيديون يلقبون بها للتنبؤ به مثل نصير الدولة ومعز الدولة واتصل لهم ذلك لما ادلوا من دعوة العبيديين بدعوة العباسيين ثم بعدت الشقة بينهم وبين الخلافة ونسوا عهدها فنسوا هذه الالقباب واقصر واعلى اسم السلطان وكذا شأن ملوك مغراة بالمغرب لم ينتحلوا شيئا من هذه الالقباب الا اسم السلطان جريا على مذاهب البداوة والغضاضة والساحي رسم الخلافة وتعطل دستها وقام بالمغرب من قبائل البربر يوسف بن تاشفين ملك لتونة فلك العدو تين وكان من اهل الحبير والاقتماء عزمت به همته الى الدخول في طاعة الخلافة تكريما لمراسم دينه فخطب المسقط ظهر العباسي واو فد عليه بيعة عبد الله بن العربي وابنه القاضي ابا بكر من مشيخة اشبيلية يطالبان توليته اياه على المغرب وتقليده ذلك فانقلبوا اليه بعهد الخلافة له على المغرب واستشعار زعيمهم في لبوسه ورتبه وخاطبه فيه بامير المؤمنين تشر يقاله واختصاصا فانخذها لقبوا وقال انه كان دعي له بامير المؤمنين من قبل اذ بامع رتبة الخلافة لما كان عليه هو وقومه المرابطون من انتقال الدين واتباع السنة وجاء المهدي على اثرهم داعيا الى الحق اخذ اذ بامع اهل المغرب عدولهم عنها الى تقليد السلف في ترك التأويل لظواهر الشريعة وما يؤول اليه ذلك من التجسيم كما هو معروف من مذهب الاشعرية وسمى اتباعه الموحدين تعريضا بذلك التكبير وكان يرى رأى اهل البيت في الامام المعصوم وانه لا بد منه في كل زمان يحفظ بوجوده نظام هذا العالم فسمى بالامام اوليها ما قلناه من مذهب الشيعة في الالقباب خلفائهم واراد في المعصوم اشارة الى مذهبهم في عصمة الامام وتنزهه عن اتباعه عن امير المؤمنين اخذ اذ بامع المتقدمين من الشيعة ولما فيها من مشاركة الانغمار والولدان من اعقاب اهل الخلافة يومئذ بالمشرق ثم انتحل عبد المؤمن ولي عهده اللقب بامير المؤمنين وجرى عليه من بعده خلفاء بني عبد المؤمن وآل ابي حفص من بعدهم استثنى اربابهم عن سواهم لما دعا اليه شيخهم المهدي من ذلك وانه صاحب الامر واولياؤه من بعده كذلك دون كل احد لانقاء عصبية قريش وتلاشيها فكان ذلك دأبهم ولما انتقض الامر بالمغرب وانتزعه زينة ذهب اولهم مذاهب البداوة والسذاجة واتباع لتونة في انتقال اللقب بامير المؤمنين اذ بامع رتبة الخلافة التي كانوا على طاعتها لبني عبد المؤمن اولوا وبني ابي حفص من بعدهم ثم نزع المتأخرون منهم الى اللقب بامير المؤمنين وانتحلوه هذا العهد استبلاغا في منازع الملك وتقييما لمذاهبهم وسماتهم والله غالب على امره

الشياطين والجن فركب الله فيها العقول والشهوات والهوى وهكذا ركب في بني آدم العقل والهوى والشهوة فصل فغلبت شهوات الشياطين وهواهم عقولهم فقطعوا اوقانهم بالاخلاق المذمومة بالسكبر والجب والمقت والفخر والدعوى والحسد

والاذية وسائر الاخلاق المهلكة وأما البهايم فتقتضت أوقافها في شهوات البطن والفرج وأما الادميون فركب فيهم عقول الملائكة
وأخلاق الشياطين وشهوات البهايم فن غلب عقله هو وهم منهم فكانت من عالم (١٣٧) الملائكة كالانبياء والرسل والاولياء

والاصفياء وقيل مل ما هم
وأما من كان عقله مغلوبا
ببهايم وشهواته فان كان
ذلك من المباحات من
المطاعم والملابس
والمراكب والنساء والخيل
المسومة والانعام والحمر
فكل وتمتع بعد ان كسبه
من حله فهذا من عالم البهايم
وأما الحقة بعالم البهايم
لانه لا تكلف على البهايم
وكذلك هذه المباحات لا
خرج في الاستمتاع بها بعد
ان يكون كسبه من حله
وان كان الغالب عليه
أخلاق الشياطين من
الكبر والعجب والחסد
والغش الى سائر الاخلاق
المذمومة فهذا من عالم
الشياطين وان اجتمع في
الشخص اقراط الشهوات
واتباع الهوى والاخلاق
المذمومة فيكون آدميا في
صورته شيطانيا في خلقاته
بهيمة في شهواته فلا يصلح
للحجة وان ثبت هذا فاعلم
ان هذا العقل الغريزي
أطول رقدة من العين
وأحوج الى الشحذ من
السيف (فصل) فاما
العقل المكتسب وهو
نتيجة العقل الغريزي فهو
ثقابة المعرفة واصابة
الفكرة وليس له حد ينتهي
اليه لانه ينمو اذا استعمل

٣٤ (فصل في شرح اسم البابا والبطريرك في الملة النصرانية واسم الكوهن عند اليهود)

(اعلم ان الملة لا بد لها من قائم عند غيبة النبي يحملهم على احكامها وشرائعها ويكون كالحليفة فيهم
للنبي فيما جاء به من التكاليف والنوع الانساني ايضا بما تقتضيه من ضرورة السياسة فيهم للاجتماع
البشري لا بد لهم من شخص يحملهم على مصالحهم ويزعهم عن مفسدهم بالقهر وهو المسمى بالملك والملة
الاسلامية لما كان الجهاد فيها مشروعا وعموم الدعوة وحمل الكافة على دين الاسلام طوعا وكرها اتخذت
فيها الخلافة والملك لتوجه الشوكة من القائم بها اليها معا واما ما سوى الملة الاسلامية فلم تكن دعوتهم
عامة ولا الجهاد عندهم مشروعا والافى المدافعة فقط فصارت القائم بامر الدين فيها لا يعنيه شئ من سياسة الملك
وانما وقع الملك لمن وقع منهم بالعرض ولا مرغبه في ديني وهو ما اقتضته لهم العصبية لما فيها من الطلب
للملك بالطبع لما قدمناه لانهم غير مكلفين بالتغلب على الامم كالملة الاسلامية وانما هم مطلوبون باقامة
دينهم في خاصتهم ولذلك بقي بنو اسرائيل من بعد موسى ويوشع صلوات الله عليهم انخروا بعامة سنة
لا يعتنون بشئ من امراك انما هم اقامة دينهم فقط وكان القائم به بينهم يسمى الكوهن كانه خليفة
موسى صلوات الله عليه يقيم لهم امر الصلاة والقربان ويشترطون فيه ان يكون من ذرية هرون صلوات
الله عليه لان موسى لم يقب ثم اختاروا لاقامة السياسة التي هي للبشر بالطبع سبعين شيخا كانوا يتلون
احكامهم العامة والكوهن اعظم منهم رتبة في الدين وبعدهن شغب الاحكام واتصل ذلك فيهم الى ان
استحكمت طبيعة العصبية وتمحضت الشوكة للملك فعلموا الكنعانيين على الارض التي اوردتهم الله بيت
المتدس وما جاورها كما بين لهم على لسان موسى صلوات الله عليه فخاربتهم أمم الفلستين والكنعانيين
والارمن واردن وعمان وماربورياس تهم في ذلك راجعة الى شيوخهم واقاموا على ذلك نحو امان
اربعمائة سنة ولم تكن لهم صولة الملك وضجرت بنو اسرائيل من مطالبة الامم فطلبوا على لسان شعويل من
انبيائهم ان يأذن الله لهم في تملك رجل عليهم طالوت وغلب الامم وقتل جالوت ملك الفلستين ثم ملك بعده
داود ثم سليمان صلوات الله عليهم ما واستعمل ملكه وامتد الى الحجاز ثم اطراف العين ثم الى اطراف بلاد
الروم ثم افترق الاسباط من بعد سليمان صلوات الله عليه بمقتضى العصبية في الدول كما قدمناه الى دولتين
كانت احدهما بالجزيرة والموصل للاسباط العشرة والاخرى بالقدس والسام لبني يهوذا وبنيامين ثم
غلبهم مختصر ملك بابل على ما كان بايديهم من الملك اولا للاسباط العشرة ثم ثانيا لبني يهوذا وبيت
القدس بعد اتصال ملكهم نحو الف سنة وخرب معبدهم واحرق توراتهم وامات دينهم ونقلهم الى اصبهان
وبلاد العراق الى ان ردهم بعض ملوك الكمانية من الفرس الى بيت المقدس من بعد سبعين سنة من
خروجهم فينبوا المسجد واقاموا امد دينهم على الرسم الاول للكهنة فقط والملك للفرس ثم غلب الاسكندر
وبنيونان على الفرس وصار اليهود في ملكتهم ثم فشل امر اليونانيين فاعتزل اليهود عليهم بالعصبية الطبيعية
ودفعوهم عن الاستيلاء عليهم وقام ملكهم الكهنة الذين كانوا فيهم من بني حشمتاي وقابلوا يونان
حتى انقرض امرهم وغلبهم الروم فصارت تحت امرهم ثم رجعوا الى بيت المقدس وفيها بنو هيردوس اصهار
بني حشمتاي وبقيت دولتهم فخاصروهم مدة ثم افتتحوها عنوة واخشعوا في القتل والهدم والتخريب وخربوا
بيت المقدس واجلوهم عنها الى رومة وماورائها وهو الحزاب الثاني للمسيح ويسميه اليهود بالجلوة الكبرى
فلم يبق لهم بعد هلكة القديان العصبية منهم وبقوا بعد ذلك في ملكة الروم ومن بعدهم يقيم لهم امد دينهم
الرئيس عليهم المسمى بالكوهن ثم جاء المسيح صلوات الله وسلامه عليه بمجاهاهم بهن الدين

(١٨ - ابن خلدون) وينقص ان أهمل ونماؤه يكون باحد وجهين اما ان يقارنه من مبدأ المشوءد كما هو حسن فطنة كالذي قال
الاصمعي قلت لغلام حدث من اولاد العرب كان يحدثنى وامعنى الله بقصاحته وملاحته ايسر لك ان يكون لك مائة الف درهم وانك أحق

قال لا والله قلت ولم قال أخاف ان يخني هل حقى جناية تذهب بمالى وبقى على حقى فاستخرج هذا الصبي بقرط ذكائه ما يدق على من هو أكبر منه سنا وقيل لبعض (١٣٨) الصبيان أنك أب قال فكان عيسى بن مريم وقد قالت الحكما آية العقل سرعة الفهم

والنسخ لبعض أحكام التوراة وظهرت على يديه الخوارق العجيبة من ابراء الكه والارض واحياء الموتى واجتمع مع عليه كثير من الناس وآمنوا به وأكثروا الحواريون من أصحابه وكانوا اثني عشر وبعث منهم رسلا الى الآفاق داعين الى ملته وذلك أيام اوغسطس اول ملوك القيصرية وفي مدة هيردوس ملك اليهود الذي انتزع الملك من بنى حشمناى اصهاره فغسده اليه وودو كذبوه وكتب هيردوس ملكهم ملك القيصرية اوغسطس يعرضه به فأذن لهم في قتله ووقع ما تلاه القرآن من أمره وافترق الحواريون شيعة ودخل أكثروهم بلاد الروم داعين الى دين النصرانية وكان بطرس كبيرهم فنزل برومة دار ملك القيصرية ثم كتبوا الانجيل الذي انزل على عيسى صلوات الله عليه في نسخ أربع على اختلاف رواياتهم فكتب متى انجيله في بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي منهم الى اللسان اللاتيني وكتب لوقا منهم انجيله باللاتيني الى بعض اكار الروم وكتب يوحنا بن زبدي منهم انجيله برومة وكتب بطرس انجيله باللاتيني ونسبه الى مرقاس تلميذه واختلفت هذه النسخ الاربع من الانجيل مع انها ليست كلها واحيا صر قابل مشوية بكلام عيسى عليه السلام وبكلام الحواريين وكلامها واعظ وقصص والاحكام فيها قليلة جدا واجتمع الحواريون الرسل لذلك العهد برومة ووضعوا قوانين الملة النصرانية وصبروها بيد اقليمطس تلميذ بطرس وكتبوا فيها مذد الكتب التي يجب قبولها والعمل بها في شريعة اليهود القديمة التوراة وهي خمسة أسفار وكتاب يوشع وكتاب القضاة وكتاب راعوث وكتاب يهوذا وأسفار الملوك اربعة وسفر بنيامين وكتاب المقابيل لابن كربولون ثلاثة وكتاب عزرا الامام وكتاب اوشير وقصة هامان وكتاب ايوب الصديق ومزامير داود عليه السلام وكتاب ابنه سليمان عليه السلام خمسة ونبوات الانبياء الكبار والصغار ستة عشر وكتاب يشوع بن شارخ وزير سليمان ومن شريعة عيسى صلوات الله عليه المتلقاة من الحواريين نسخ الانجيل الاربعه وكتب القتاليقون سبع رسائل ونامنها الايريكسيس في قصص الرسل وكتاب يولس اربع عشرة رسالة وكتاب اقليمطس وفيه الاحكام وكتاب ابوغالمسيس وفيه رؤيا يوحنا بن زبدي واختلف شأن القيصرية في الاخذ بهذه الشريعة تارة وتعظيم أهلها ثم كرها اخرى والتسلط عليهم بالقتل والبغى الى أن جاء قسطنطين وأخذ بها واستمروا عليهم وكان صاحب هذا الدين والمقيم لمراسمه يسمونه البطرك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم يبعث نوابه اخلفاءه الى ما بعد دعونه من ام النصرانية ويسمونه الاسقف اى نائب البطرك ويسمون الامام الذي يقيم الصلوات ويقيمهم في الدين بالقسيس ويسمون المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة للعبادة بالراهب وأكثروا منهم في الصوامع وكان بطرس الرسول رأس الحواريين وكبير التلاميذ برومة يقيم بهادين النصرانية الى أن قتله نير وزخامس القيصرية فبين قتل من البطارق والاساقفة ثم قام بخلافته في كرسي رومة اريوس وكان مرقاس الانجيلي بالاسكندرية ومصر والمغرب داعيا سبع سنين فقام بعده حنانيا وتسمى بالبطرك وهو اول البطاركة فيها وجملة من اثني عشر قسا على أنه اذا مات البطرك يكون واحدا من اثني عشر مكانه ويختار من المؤمنين واحدا مكان ذلك الثاني عشر فكان امر البطاركة الى القسوس ثم لما وقع الاختلاف بينهم في قواعد دينهم وعقائده واجتمعوا بانيقية أيام قسطنطين لتحرير الحق في الدين واتفق ثلثائة وثمانية عشر من اساقفتهم على رأى واحد في الدين فكتبوه وسموه الامام وصبروه أصلا يرجعون اليه وكان فيما كتبه أن البطرك القائم بالدين لا يرجع في تعيينه الى اجتهاد الاقصة كما قرره حنانيا تلميذ مرقاس وابطلوا ذلك الرأى وانما يتقدم من ملاوا واختيار من أئمة المؤمنين ورؤسائهم فبقى الامر كذلك ثم اختلفوا بعد ذلك في تقرير قواعد الدين وكانت لهم

وغاياته اصابة الوهم وليس للذكائه غاية ولا لجودة القرينة نهاية الا ترى ان اياس بن معاوية الذي يضرب المثل بذكائه قال لا به وهو مطلق وكان أبوه يؤثر أخاه عليه يا ابت تعلم ما مثلى ومثل أخى معك أنا كفرخ الحجم أقيج ما يكون أصغر ما يكون وكلما كبر ازداد ملاحه وحسننا فبني له العلالى ويتخذ له المربعات ويستحسنه الملوك ومثل أخى مثل الجحش الملح ما يكون أصغر ما يكون وكلما كبر قبح وصار الى القهقري انما يصلح لجل الزبل والتراب والوجه الثاني ما يصلح لذوى الحكمة وصحة الروية لطول ممارسة الامور وكثر التجارب وورود الغير على اسماعهم وتقلب الايام وتصرف الحوادث وتناسخ الدول قد مرت على عيونهم وجوه الغير وتصدت لاسماعهم أنواع الاخبار وآثار العبر قال بعض الحكماء كفى بالتجارب تأديبا وتقلب الايام عظة وقالوا التجربة مرآة العقل والفرقة عمرة الجهل ولذلك حدث آراء الشيوخ حتى قالوا المشايخ أشجار الوقار وينابيع الاخبار لا يطيش لهم سبهم ولا يسقط لهم وعليكم بما رآه الشيوخ فانهم ان عدموا ذكاه الطبع فقد أفادتهم الايام حنكة وتجربة وقد قال الشاعر الم تر ان العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب وقال آخر

مجمعات
الاخبار لا يطيش لهم سبهم ولا يسقط لهم وعليكم بما رآه الشيوخ فانهم ان عدموا ذكاه الطبع فقد أفادتهم
الايام حنكة وتجربة وقد قال الشاعر الم تر ان العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب وقال آخر

إذا طال عمر المرء في غير آفة * أفادت له الأيام في كرها عقلا غير ان للعقل آفات كما قال بعض الحكماء كيف نرجو العاقل النجاة والهوى والشهوة قد اكتنفاه والهوى أبعد من أن ينقذ فيه حيلة الحازم المحتال (١٣٩) وهو أغض مسل كما في الجنان من الروح

في الجحمان وأملك بالنفس من النفس والمسالك للشيء ولهذا قيل كم من عقل أسير عندهوى أمير فن أحب ان يكون حرافة يهوى والا صار عبدا كما قال علي بن

مجتمعات في تقريره ولم يخلفه واقف هذه القاعدة فبقي الامر فيها على ذلك واتصل فيهم نيابة الاساقفة عن البطرك وكان الاساقفة يدعون البطرك بالاب ايضا تعظيما له فاشتهبه الاسم في اعصار متطاولة يقال آخرها بطركية هرقل بالاسكندرية فارادوان يميزو البطرك عن الاسقف في التعظيم فدعوه البابا ومعناه أبو الالباب وظهر هذا الاسم اول ظهوره بمصر على ما زعم جر جيس بن العميد في تاريخه ثم نقلوه الى صاحب الكرسي الاعظم عندهم وهو كرسي رومة لانه كرسي بطرس الرسول كما قدمناه فلم يزل سمته عليه الى الآن ثم اختلفت النصارى في دينهم بعد ذلك وفيما يعتقدونه في المسيح وصاروا طوائف وفرقا واستظهروا بملوك النصرانية كل على صاحبها فاختلاف الحال في العصور في ظهور فرقة دون فرقة الى ان اسست لهم ثلاثة طوائف هي فرقةهم ولا يلتفتون الى غيرها وهم الملكية واليعقوبية والنسبورية ولم نر ان نسخم أوراق الكتاب بذكر مذاهب كفرهم فهمى على الجملته معروفة وكلها كفر كما صرح به القرآن الكريم ولم يبق بيننا وبينهم في ذلك جدال ولا استدلال انما هو الاسلام او الجزية أو القتل ثم اختلفت كل فرقة منهم ببطرك رومة اليوم المسمى بالبابا على رأى الملكية ورومة للأفرنجية وملكهم قائم بتلك الناحية وبطرك المعاهدين بمصر على رأى اليعقوبية وهو ساكن بين طهارانيهم والحبيشة يدينون بدينهم ولبطرك مصر فيهم اساقفة ينوبون عنه في اقامة دينهم هنالك واختص اسم البابا بطرك رومة لهذا العهد ولا يسمى اليعاقبة بطركهم بهذا الاسم وضبط هذه اللفظة بيا من موحدتين من أسقل والنطق بها مخففة والثانية مشددة ومن مذاهب البابا عند الافرنجية انه يحضهم على الانقياد للملك واحد يرفعون اليه في اختلافهم واجتماعهم يخرجون افتراق الحكامة ويخبري به العصبيات التي لا فوهمهم ثم تكون يده عالية على جمعهم ويسمونه الانبرذور وحرفه الوسط بين النذال والطاء المعجمة ومباشرة يضع التاج على رأسه للتبرك فيسمى المتوج ولعله معنى لفظه الانبرذور وهذا المخلص ما وردناه من شرح هذين الاسمين اللذين هما البابا والكوهن والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء

الجهم
أنفس حرة ونحن عبيد
ان ريق الهوى لرق شديد
واختلف الناس في العقل
المكتسب اذا تناهى وزاد
في الانسان هل يكون
فضيلة أم لا فقال معظم
العقلاء انه فضيلة اذا كان
مجموع آحاد والاحاد
فضائل ولا شك ان كثرة
القضائل فضيلة اما الشيء
المحدود فكون الزيادة
فيه نقصا من الحدود
كاتبه ورفي الشجاعة
والتبذير في الكرم فاما
الزيادة في العقل المكتسب
فزيادة علم بالامور وحسن
اصابة بالظنون ومعرفة
الملم يكن بما قد كان وروى ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال
أفضل الناس عقل الناس
وقال عليه السلام العقل
حيث كان ألف ما لوف
وقال القاسم بن محمد لم
يكن عقله أغلب خصال
الخير عليه كان حثفه في
أغلب الخصال عليه ولما
مات بعض الخلفاء حشدت

٣٥ * (فصل في مراتب الملك والسلطان والقاهما) *

اعلم ان السلطان في نفسه ضعيف يحمل امرا ثقيل فلا بد له من الاستعانة بابناء جنسه واذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وسائر مهنته فما ظنك بسياسة نوعه ومن استترعاه الله من خلقه وعباده وهو محتاج الى حماية السكافة من عدوهم بالمدافعة عنهم والى كف عدوان بعضهم على بعض في انفسهم بامضاء الاحكام الوازعة فيهم وكف العدوان عليهم في اموالهم باصلاح سبلتهم والى جملهم على مصالحهم ومآثرهم به البلوى في معاشهم ومعاملاتهم من تقفد المعاش والمساكين والموازين حذر من التظريف والى النظر في السكفة بحفظ النقود التي يتعاملون بها من الغش والى سياسة سبلهم بما يبريدهم من الانقياد والرضا بمقاصدهم منهم وانقراده بالجدد منهم فيحمل من ذلك فوق الغاية من معاناة القلوب قال بعض الاشراف من الحكماء معاناة نقل الجبال من اما كنهاهون على من معاناة قلوب الرجال ثم ان الاستعانة اذا كانت بأولى القرى من اهل النسب او التربية او الاصل طناع القديم للدولة كانت اكمل لما يقع في ذلك من مجانسة خلقهم لخلقهم المشاكلة في الاستعانة قال تعالى واجعل لى وزيران اهل هرون انجى اشدد به ازرى واشركه في امرى وهو امان يستعين في ذلك بسيفه او قلبه او رأيه أو معارفه أو بحجابه عن الناس ان يزدجوا عليه فيشغلوه عن النظر فيهم ماتهم او يدقع النظر في الملك كله ويعول على كفايته في ذلك واضطلاعه فلذلك قد تو جد في رجل واحد وقد تقترق في أشخاص وقد تقترق على واحد منها الى فرور

الروم واجتمعت ملوكها وقالوا الا ان يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فيمكننا الغرة منهم والوثبة عليهم وضر بواقي ذلك مشاورات وتراجعا وفيه بالمناظرات واجمعوا على انه فرصة الدهر وثغرة النحر وكان رجل منهم من ذوي الراى والمعرفة غائبا عنهم فقالوا من الحزم عرض

الرأى عليه فلما أخبروه بما أجمعوا عليه قال لا أرى ذلك صوابا فسألوه عن علته ذلك فقال غدا أخبركم إن شاء الله فلما أصبحوا غدوا عليه للوعد وقالوا القدوعدتنا قال نعم

فتوا بنوا تهاشاحتى سالت دماؤهم فلما بلغنا الغاية فتح باب بيت عنده وأرسل منه على الكلبين ذئبا عنده قد أعدده فلما أبصره تركا ما كانا عليه وتألقت قلوبهم ما ووثبا جميعا على الذئب فلانامنه ما أحياهم اقبل الرجل على اهل الجمع فقال لهم مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب لا يزال الهرج والقتال بينهم ما لم يظهر لهم عدو من غيرهم فاذا ظهر لهم عدو من غيرهم تركوا العداوة بينهم وتأفوا على العدو فاستحسنوا قوله وتفرقوا عن رأيهم واما المذموم في هذا الباب فصرف العقل الى الدهاء والمكر قال الشعبي ودعات العرب ستة معاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزيد ابن امية وقيس بن سعد بن عبادة وعبد الله بن بديل ابن ورقاء وقال الاصمعي كان معاوية يقول ان اللاناة وعمرو وللمدينة وزيد للصغار والبخار والمغيرة للامراء العظيم قال قبصة بن جابر ما رأيت اعطى لمجزيل مال بغير سلطان من طلحة بن عبيد الله ولا رأيت انقل حلاما ولا أطول لانة من معاوية ولا رأيت اغلب للرجال ولا ابدلهم حين يجتمعون من عمرو بن العاص ولا اشبهه سرا بعلانية

كثيرة كالعالم يتفرع الى قلم الرسائل والمخاطبات وقلم الصكوك والاقطاعات والى قلم المحاسبات وهو صاحب الحماية والعطاء وديوان الجيش وكالسيف يتفرع الى صاحب الحرب وصاحب الشرطة وصاحب البريد وولاية الثغور ثم اعلم ان الوظائف السلطانية في هذه الملة الاسلامية مندرجة تحت الخلافة لاشتمال منصب الخلافة على الدين والدنيا كما قدمناه فالاحكام الشرعية متعلقة بجميعةها وموجودة لكل واحدة منها في سائر وجوهها العدموم تتعلق بالحكم الشرعي بجميعة أفعال العباد والفقهاء ينظر في مرتبة المملك والسلطان وشروط تقليدها استبعادا على الخليفة وهو معنى السلطان أو تعويضا عنها وهو معنى الوزارة عندهم كما أتى وفي نظره في الاحكام والاموال وسائر المساسات مطلقا أو مقيدا أو في موجبات العزل ان عرضت وغير ذلك من معاني الملك والمالك والسلطان وكذا في سائر الوظائف التي تحت المالك والسلطان من وزارة او جباية او ولاية لا بد لافقيه من النظر في جميع ذلك كما قدمناه من استحباب حكم الخلافة الشرعية في الملة الاسلامية على رتبة الملك والسلطان الا ان كلامنا في وظائف المالك والسلطان ورتبته انما هو مقتضى طبيعة العمران ووجود البشر لا بما يخصهما من احكام الشرع فليس من غرض كتابنا كما علمت فلا نحتاج الى تفصيل احكامها الشرعية مع انها مستوفاة في كتب الاحكام السلطانية مثل كتاب القاضي أبي الحسن الماوردي وغيره من اعلام الفقهاء فان أردت استيفاء ما فعلت على العتاهالك وانما اكتملنا في الوظائف الخلافة وأفردها التميز بينهما وبين الوظائف السلطانية فقط لا لتحقيق احكامها الشرعية فليس من غرض كتابنا وانما تكلمنا في ذلك بما تقتضيه طبيعة العمران في الوجود الانساني والله الموفق

بما (الوزارة) وهي أم المخطط السلطانية والرتب الملوكية لان اسمها يدل على مطلق الاعانة فان الوزارة مأخوذة اما من الموازنة وهي المعاونة او من الوزر وهو الثقل كانه يحمل مع مقاعله أوزاره وانقاله وهو راجع الى المعاونة المطلقة وقد كنا قدمنا في أول الفصل ان أحوال السلطان وتصرفاته لا تعدو اربعة لانها اما ان تكون في امور جباية المكافاة وأسبابها من النظر في الجند والسلاح والحروب وسائر امور الحماية والمطالبة وصاحب هذا الوزير المنعز في الدول القديمة بالمشرق ولهذا العهد بالمغرب واما ان تكون في امور مخاطباته لمن بعد عنه في الممكن أو في الزمان وتنفيذ الامور فمن هو محبوب عنه وصاحب هذا هو الكاتب واما ان تكون في امور جباية المال وانفاقه وضبط ذلك من جميع وجوهه ان يكون بمضيعة وصاحب هذا هو صاحب المال والحماية وهو المسمى بالوزير لهذا العهد بالمشرق واما ان يكون في مدافعة الناس ذوى الحاجات عنه ان يزدجوا عليه فيشغلوه عن فهمه وهذا راجع لصاحب الباب الذي يحجه فلا تعدو احواله هذه الاربعة بوجه وكل خطة أو رتبة من رتب الملك والسلطان فاليها يرجع الا ان الرفع منها ما كانت الاعانة فيه عامة فيما تحت يد السلطان من ذلك الصنف اذ هو يقتضى مباشرة السلطان دائما ومشاركته في كل صنف من احوال ملكه واما ما كان خاصا ببعض الناس او ببعض الجهات فيكون دون الرتبة الاخرى كقيادة ثغر أو ولاية جباية خاصة أو النظر في أمراض كحسبة الطعام والنظر في السكة فان هذه كلها تنظر في احوال خاصة فيكون صاحبها تابع الال نظر العام وتكون رتبته مروية لا وثلك وما زال الامر في الدول قبل الاسلام هكذا حتى جاء الاسلام وصار الامر خلافة فذهبت تلك المخطط كلها بندها رسم الملك الى ما هو طبيعي من المعاونة بالرأى والمفاوضة فيه فلم يمكن زواله اذ هو امر لا بد منه فكان صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه ويقاضيه في مهماته العامة والخاصة ويخص مع ذلك بابا بخصيصيات اخرى حتى كان العرب الذين عرفوا الدول وحوالها في كسرى وقيسر والنجاشي يسمون

عليه السلام يا عوذ من ريبك قربا قلت يا بني واحي ومن لي باله قتل قال اجتنب محارم الله وادق ارض الله تكن عاقلا
ثم تنقل صالح الاعمال تزدد في الدنيا عقلا وتزدد من ريبك قربا عليه عزرا (ويروي) (١٤١) لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه شعر

ان المسكارم اخلاق مطهرة
فالعقل اولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها
والجود خامسها والعرف
سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها
والشكر تاسعها واللين
عاشيها
والنفس تعلم اني لا اصدقها
ولست ارشد الاحيين
اعصيا
والعين تعلم في عيني محدثها
ان كان من خربها او من
اعادها
وقال بعض الحكماء
العاقل من عقله في ارشاد
ومن رايه في امداد فقوله
سديد وفعله حميد والجاهل
من جهله في اغواء فقوله
سقيم وفعله ذميم فاما من
صرف فضل عقله الى
الدهاء والمكر والشكر
والحيل والخديعة كالبحاج
وزياد واشباههم فما مذموم
وقد قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لست بالخب
والخب لا يخدعني وقال
المغيرة كان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه افضل من
ان يخدع واعقل من ان
يخدع والموصوف بالدهاء
والمكر مذموم وصاحبه
مخدور ويخاف غوائله

ابا بكر وزبره ولم يكن لفظ الوزير يعرف بين المسلمين لذهاب رتبة الملك بسذاجة الاسلام وكذا عمر مع ابي بكر
وعلي وعثمان مع عمر واما حال الجباة والافتاق والحسبان فلم يكن عندهم برتبة لان القوم كانوا عرابا ميين
لا يحسبون الكسب والحساب فكانوا يستعملون في الحساب اهل الكسب او افراد امن موالى العجم عن
يحيده وكان قليلا فيهم واما شرافهم فلم يكونوا يحيدونه لان الامية كانت صفتهم التي امتازوا بها وكذا حال
المخاطبات وتقيذ الامور لم تكن عندهم رتبة خاصة للامية التي كانت فيهم والامانة العامة في كتمان
القول وتاديته ولم تخرج السياسة الى اختياره لان الخلافة انما هي دين ليست من السياسة المالكية في
شيء وايضا فلم تكن الكسبة صناعة فيستجد للخليفة احسبها لان الكل كانوا يعبرون عن مقاصدهم بالبلغ
العبارة ولم يبق الا الخط فكان الخليفة يستنصب في كتابته متى عن له من يحسنه * واما مدافعة
ذوى الحاجات عن ابوابهم فكان محظورا بالشر بعة فلم يبق له ان يملكها انقلب الخ لاقه الى الملك وجاءت
رسوم السلطان والقابله كان اول شيء يدي به في الدولة شأن الباب وسده دون الجمهور ربما كانوا يخشون
على انفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم كما وقع بعمر وعلي ومعاوية وعمر بن العاصي وغيرهم مع
ما في فتحه من ازدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن المهومات فتخذوا من يقوم لهم بذلك وسماهوا الحاجب
وقد جاء عن عبد الملك لما ولي حاجبه قال له قد ولت لك حجابي ابني الا عن ثلاثة المؤذن للصلاة فانه داعي الله
وصاحب البريد فامر ما جابه وصاحب الطعام لثلايقه ثم استعمل الملك بعد ذلك فظهر المشاور والمعين
في امور القبائل والعصائب واستئلافهم واطلاق عليه اسم الوزير وبقي امر الحسبان في الموالى والذميين
وتخذ للسجلات كاتب مخصوص حوطة على اسرار السلطان ان تشتهر فتفسد سياسته مع قومه ولم يكن
بمناية الوزير لانه انما احتيج له من حيث الخط والكسب لان حيث اللسان الذي هو الكلام اذ اللسان
لذلك العهد على حاله لم يفسد فكانت الوزارة لذلك ارفع رتبهم يومئذ هذه في سائر دوله بنى امية فكان
النظر للوزير عام في احوال التدبير والمفاوضات وسائر امور الحاجيات والمطالبات وما يتبعها من النظر في
ديوان الخند وفرض العطاء بالاهلية وغير ذلك فلما جاءت دولة بني العباس واستعمل الملك وعظمت
مراتبه وارتفعت عظم شأن الوزير وصارت اليه النيابة في انفاذ المل والعقد وتعيين مرتبته في الدولة
وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرقاب وجعل لها النظر في ديوان الحسبان لما احتاج اليه خطته من
قسم الاعطيات في الجند فاحتاج الى النظر في جمعه وتقريره واصيف اليه النظر فيه ثم جعل له النظر في
القلم والترسيل لصون اسرار السلطان ولحفظ البلاغة لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور وجعل الخاتم
لسجلات السلطان ليحفظها من الذباغ والشياع ودفع اليه فصار اسم الوزير جامعاً لخطى السيف والقلم
وسائر معاني الوزارة والمعاونة حتى لقد دعى جعفر بن يحيى بالسلطان ايام الرشيد اشارة الى عموم نظره
وقيامه بالدولة ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها الا الحجابة التي هي القيام على الباب فلم تكن له
لاستئذافه عن مثل ذلك ثم جاء في الدولة العباسية شأن الاستبداد على السلطان وتجاوز فيها الاستبداد الوزارة
مرة والسلطان اخرى وصار الوزير اذا استبد محتاجا الى استئذافه بالخليفة اياه لذلك لتصح الاحكام الشرعية
وتجبي على حالها كما تقدم فانقسمت الوزارة حينئذ الى وزارة تنفيذ وهي حال ما يكون السلطان قائما على
نفسه والى وزارة تقويم وهي حال ما يكون الوزير مستبدا عليه ثم استمر الاستبداد وصار الامر ملكا
العجم وتعمل رسم الخلافة ولم يكن لاولئك المتغلبين ان يفتخروا بالخلافة واستئذافهم من مشاركة
الوزارة في اللقب لانهم خولهم فتمسوا بالامارة والسلطان وكان المستبد على الدولة يسمى امير الامراء او

وتخدر عواقب جباةه وقد امر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابا موسى الاشعري ان يعزل زيادا عن ولايته فقال زيادا عن موجهة او
خيانة يا امير المؤمنين قال لادن واحدة منهم ما لو يكن كرهت ان اجل الناس على فضل علقك وكتب زيادا الى معاوية رضي الله عنه ان

العراق في شمالي ويميني فارغة فوالى الحجازا كذلك أهله فبلغ ذلك ابن عمر فقال اللهم كفه فطعن في أصبعه بعد أيام فسات فتحن وان
كنا نرغب عن الدهاء والمكر (١٤٢) فاننا نرغب في الحيلة ونرضى بها والاتساع في الحيلة مما تواصى به العقلاء قديما وحديثا

وليس ثنى من أمور الدنيا
لطالب الرفعة وباعى
الوسيلة ومرتا دى أمر كان
دق أو جل خير من الحيلة
وأضعف الحيلة أنفع من
كثرة الشدة وقالت الحكماء
ملك العقل الحيلة والثاني
للسبب الضعيف والقوى
من الامور (وروى)
ان رجلا وقف لكسرى
فقال أنا صنم ما تجوز
المخلاتق عنه قال ما هو قال
يشد برجلي جبل طرفه
برقبة الغيل و برجلي
الأخرى كذلك ويشد طرفه
برقبة الغيل ثم يساق الغيل
بالضرب والزجر فلا
أترشح ثم طلب ان يفعل
ذلك باربع من القبلة فرت
بحدتها فقسوه شطرين
فقال كسرى من لم يكن
أكبر ما فيه عقله هلك
يا كبر ما فيه فنظمه بعض
الشعراء فقال
من لم يكن أكبر عقله
أهلكه أكبر ما فيه
(وسمعت) استاذنا أبا
الوليد يحيى ان رجلا
استأذن على مروان الرشيد
وقال انى أصنع ما تجوز
المخلاتق عنه قال الرشيد
هات فانخرج انبوبة تصب
فيها البرعدة ثم وضع واحدة
في الأرض وقام على قدميه

بالسلطان الى ما يحل به الخليفة من القاب كتراه في القابهم وتر كوا اسم الوزارة الى من يتولاها الخليفة في
خاصته ولم ينزل هذا الشأن عندهم الى آخر دولتهم وفسد اللسان خلال ذلك كله وصارت صناعة يتخلها
بعض الناس فامتهنت وترفع الوزراء عنها لذلك ولا نهم عجم وليست تلك البلاغة هي المقصودة من لسانهم
فتغير لها من سائر الطبقات واختصت به وصارت خادمة للوزير واختص اسم الامير بصاحب الحروب
والجند وما يرجع اليها ويده مع ذلك عالية على أهل الرتب وأمره نافذ في الكل امانا بة أو استبدادا واستمر
الامر على هذا ثم جاءت دولة الترك آخر ما يصرفه أو ان الوزارة قد ابتدأت بترفع أولئك عنها ودفعها لمن يقوم
بها الخليفة المحجور ونظره مع ذلك متعقب بنظر الامير فصارت مرؤسة ناقصة فاستند كفاهل هذه الرتبة
العالية في الدولة عن اسم الوزارة وصار صاحب الاحكام والنظر في الجند يسمى عندهم بالنائب لهذا العهد
وبقى اسم الحاجب في مدلوله واختص اسم الوزير عندهم بالنظر في الجباية واما دولة بني أمية بالاندلس
فانقوا اسم الوزير في مدلوله اول الدولة ثم قسموا واختصه اصنافا واقر دواكل صنف وزير اختلفوا الحسبان
المال وزير او لترسيل وزير او للنظر في حوائج المظلمين وزير او للنظر في احوال أهل الثغور وزير او جعل
لهم بيت يجلسون فيه على فرش منضدة لهم وينفذون امر السلطان هناك كل فيما جعل له واقر ذلك لتردد
بينهم وبين الخليفة واحدهم من ارفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت فارتفع مجلسه عن مجالسهم
وخصوه باسم الحاجب ولم ينزل الشأن هذا الى آخر دولتهم فارتفعت خطة الحاجب ومرتبة على سائر الرتب
حتى صار ملوك الطوائف ينتخبون لقبها كثيرا فسمى الحاجب كما نذكره ثم جاءت دولة الشيعة
بأفريقية والقيروان وكان للقائمين بهار سوخ في البداوة فاعقلوا امر هذه المخطط اولا وتتمج اسمائها حتى
أدركت دولتهم الحضارة فصاروا الى تقليد الدولتين قبلهم في وضع اسمائها كتراه في اخبار دولتهم وما
جاءت دولة الموحدين من بعد ذلك اغفلت الامراؤا للبداهة ثم صارت الى انتقال الاسماء واللقاب وكان
اسم الوزير في مدلوله ثم اتبعوا دولة الامويين وقلدوها في مذهب السلطان واختاروا اسم الوزير لمن
يحجب السلطان في مجلسه ويقف بالوفود والداخلين على السلطان عند الحدود في تحييتهم وخطابهم
والاستدباب التي تلزم في الكون بين يديه ورفعوا خطة الجباية عنه ما شاؤوا ولم ينزل الشأن ذلك الى هذا
العهد واما في دولة الترك بالشرق فيسمون هذا الذي يقف بالناس على حدود الاداب في اللقاء والتحية في
مجالس السلطان والتقدم بالوفود بين يديه الديودار وضيغون اليه استتباع كاتب السر واصحاب البريد
المتصرفين في حاجات السلطان بالقاصية وبالخضرة وحاطهم على ذلك لهذا العهد والله مولى الامور ان يشاء
* (الجباية) * قد قدمنا ان هذا اللقب كان مخصوصا في الدولة الاموية والعباسية بمن يحجب السلطان
عن العامة ويغلق باب دولتهم او يفتح لهم على قدره في مواقيته وكانت هذه منزلة يومئذ عن المخطط
مرؤسة لما اذ الوزير متصرف فيها بما يراه وهكذا كانت سائر ايام بني العباس والى هذا العهد فهي بمصر
مرؤسة لصاحب الخطة العليا المسمى بالنائب واما في الدولة الاموية بالاندلس فكانت الجباية لمن يحجب
السلطان عن الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء في دولتهم فكانت في دولتهم ربيعة غاية
كتراه في اخبارهم كابن حديد وغيره من حجابهم ثم لما جاء الاستبداد على الدولة اختص المسمى باسم
الجباية لسرها فكان المنصور بن ابي عامر وابناؤه كذلك وما سبوا في مظاهر الملك اطوارا جاء من بعدهم
من ملوك الطوائف فلم يتركوا لقبها وكانوا يعدونها شرفا لهم وكان اعظمهم ملكا بعد انتقال القاب الملك
واسمائه لا بد له من ذكر الحاجب وذى الوزارتين يعنون به السيف والقلم ويدلون بالجباية على جباية

وجعل برعى ابرة من قامته فتقع كل ابرة في عين الامة الموضوع حتى فرغ غنشته فامر الرشيد بضم به مائة سوط السلطان
ثم أمره بمائة دينار فسل عن جمعه بين الكرامة والموان فقال وصلته لجودة ذكائه وأدبته كي لا يصرف فرط ذكائه في الفضول ومن رغب

ان العقل المكتسب اذا تنهى لا يكون فضيلة قال لان الفضائل مبات متوسطة بين فضيلتين ناقصتين فسا حلو والنوسط خرج عن حد الفضيلة كالسكر الذي هو متوسط بين البخل والتبذير والشجاعة وسط بين التهور والجبن (١٤٣) (وقالت الحكمة لاسكندر)

أيها الملك عليك بالاعتدال في كل الامور فان الزيادة عيب والتقصان عجز (وفي الحديث ان النبي عليه السلام قال خير الامور اوساطها) وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه خير الامور الاوسط اليه يرجع العالي ومنه يلحق التالي قالوا ولان زيادة العقل تقضي بصاحبها الى الدهاء والمكر وذلك مذموم (قلنا) هذا كله باطل بما قدمناه لنصرة القول الاول وهو منقوض بالعقل الغريزي وبالعلوم وبسائر الفضائل واما قولهم انه يقضي بصاحبه الى الدهاء والمكر قلنا الدهاء والمكر كسب معان اخر غير العقل ليست من لوازم العقل فان شاء تدهى ومكر وان شاء كف عما يقول في كل شئ يكتسبه العاقل باختياره وليس عقله اوقعه فيه بل انما اوقعه فيه قلبه عقله وكان بزرجه لما فرغ من كتاب امثاله ونسق كل باب على حياله يقول ليس العجب ممن حفظ هذه الامثال فصار عالما انما العجب ممن حفظها ولم يصر عالما وانما

السلطان عن العامة والخاصة وبيد الوزارتين على جمعه لخطى السيف والقلم ثم لم يكن في دول المغرب وافر بقبلة ذكر لهذا الاسم للبدو التي كانت فيهم وورع ما يوجد في دولة العبيديين بمصر عند اسس تعظامها وحضارتها الا انه قليل ولم ياجت دولة الموحدون لم تسمه كن فيها الحضارة الداعية الى انتحال الالقاب وتميز الخطط وتعيينها بالاسماء الا آخر فلم يكن عندهم من الرتب الا الوزير فكانوا اولاً يخصون بهذا الاسم الكتاب المتصرف المشارك للسلطان في خاص امره كابن عطية وعبدة السلام الكومي وكان له مع ذلك النظر في الحساب والاشغال المالية ثم صار بعد ذلك اسم الوزير لاهل نسب الدولة من الموحدون كابن جامع وغيره ولم يكن اسم الحاجب معروفة في دولتهم يومئذ (واما بنو ابي حفص باقر بقبلة) فكانت الرياسة في دولتهم اولاً والتقديم لوزير الرأى والمشورة وكان يخص باسم شيخ الموحدون وكان له النظر في الولايات والعزل وقود العساكر والحروب واختص الحسابان والديوان برتبة اخرى ويسمى متوليها بصاحب الاشغال ينظر فيها النظر المطلق في الدخل والمخرج ويحاسب ويستخلص الاموال ويعاقب على التقريط وكان من شرطه ان يكون من الموحدون واختص عندهم القلم ايضا بمن يجيد الترسيل ويؤمن على الاسرار لان الكتابة لم تكن من متعل القوم ولا الترسيل بلسانهم فلم يشترط فيه النسب واحتاج السلطان لتساع ملكه وكثرة المترقبين بداره الى قهرمان خاص بداره في احواله يجريها على قدرها وترتيبها من رزق وعطاء وكسوة ونفقة في المطابخ والاصطبلات وغيرها واحصر الذخيرة وتنفيذ ما يحتاج اليه في ذلك على اهل الجباية فخصوه باسم الحاجب وربما اضافوا اليه كتابة العلامة على السجلات اذا اتفق انه يحسن صناعة الكتابة وربما جعلوه غيره واستمر الامر على ذلك وحجب السلطان نفسه عن الناس فصار هذا الحاجب واسطة بين الناس وبين اهل الرتب كلهم ثم جمع له آخر الدولة السيف والحرب ثم الرأى والمشورة فصارت الخطبة ارفع الرتب واولها الخطط ثم جاء الاستبداد والحجر مدة من بعد السلطان الثاني عشر منهم ثم استبد بذلك حفيده السلطان ابو العباس على نفسه وازهد آثار الحجر والاستبداد باذئاب خطة الجباية التي كانت سلبا اليه وباشر اموره كلها بنفسه من غير استعانة باحد والامر على ذلك لهذا العهد * (واما دولة زناتة بالمغرب) * واعظمها دولة بني مرين فلا اثر لاسم الحاجب عندهم واما رياسة الحرب والعساكر فهي للوزير ورتبة القلم في الحساب والرسائل راجعة الى من يحسنها من اهلها وان اختصت ببعض البيوت المصطنعين في دولتهم وقد تجتمع عندهم وقد تفرق واما باب السلطان وحجبه عن العامة فهي رتبة عندهم يسمى صاحبها بالوزير ومعناه المقدم على الجنادرية المتصرفين بباب السلطان في تنفيذ اوامره وتصريف عقوباته وانزال سطواته وحفظ المعتقلين في سجنونه والعرى عليهم في ذلك فالسبب له واخذ الناس بالوقوف عند الحدود في دار العامة راجع اليه فكانها وزارة صغرى * (واما دولة بني عبدالوادم) * فلا اثر عندهم لشي من هذه الالقاب ولا تميز الخطط لبدو دولتهم وقصورها وانما يخصون باسم الحاجب في بعض الاحوال منقذ الخاص بالسلطان في داره كما كان في دولة بني ابي حفص وقد يجتمعون له الحسابان والسجلات كما كان فيها جلهم على ذلك تقليد الدولة بما كانوا في تبعها وقائمين بدعوتها منذ اول امرهم * (واما اهل الاندلس لهذا العهد) * فالخصوص عندهم بالحسبان وتنفيذ حال السلطان وسائر الامور المالية يسمونه بانو كليل واما الوزير برفه كالوزير الا انه قد يجتمع له الترسيل والسلطان عندهم يضع خطه على السجلات كلها فليس هناك خطة العلامة كما تغيرهم من الدول

اقول ليس العجب ممن قرأ كتابي هذا وصره هذبا كما لا تسمي العجب ممن قرأه ولم يصره هذبا كاملا * (الباب الرابع والعشرون في الوزراء وصفاتهم والجماعات والادابهم) * قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام واجعل لي وزيراً

من أهلي فلو كان السلطان يستغني عن الوزراء لكان أحق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران ثم ذكر حكمة الوزراء فقال أشد به
أزرى وأشركه في أمري دلت (١٤٤) الآية على ان موضع الوزارة ان تشدقوا عدل المملكة وان يقضي اليه السلطان بحجزه

(واما دولة الترك بمصر) فاسم المحاجب عندهم موضوع لما حكم من اهل الشوكة وهم الترك ينقذ
الاحكام بين الناس في المدينة وهم متعددون وهذه الوظيفة عندهم تحت وظيفة النيابة التي لها الحكم في
اهل الدولة وفي العمارة على الاطلاق وللانائب التولية والعزل في بعض الوظائف على الاحيان ويقطع
القليل من الارزاق ويثبت او تنفذ او امره كما تنفذ المراسم السلطانية وكان له النيابة المطلقة عن السلطان
وللحجاب الحكم فقط في طبقات العمارة والمجند عند الترافع اليهم واجبار من ابي الانقياد للحكم ويؤورهم تحت
طورا النيابة والوزير في دولة الترك هو صاحب جباية الاموال في الدولة على اختلاف اصنافها من خراج
او ميس أو جزية ثم في تصريفها في الانقافات السلطانية او الجرايات المقدرة وله مع ذلك التولية والعزل
في سائر العمال المباشرين لهذه الجباية والتنفيذ على اختلاف مراتبهم وتباين اصنافهم ومن عواندهم ان
يكون هذا الوزير من صنف القبط القاطنين على ديوان الحسان والجباية لا اختصاصهم بذلك في مصر منذ
عصور قديمة وقد يوليها السلطان بعض الاحيان لاهل الشوكة من رجالات الترك او ابنائهم على حسب
الداعية لذلك والله مدبر الامور ومصر فيها بحكمته لاله الاهورب الاوابين والآخرين

(ديوان الاعمال والجبايات)

اعلم ان هذه الوظيفة من الوظيفة الضرورية للملك وهي القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة
في الدخل والمخرج واحصاء العساكر باسمائهم وتقدير ارزاقهم وصرف اعطياتهم في ابائهم والرجوع في
ذلك الى القوانين التي يرتبها قومة تلك الاعمال وقهارة الدولة وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد
بتفاصيل ذلك في الدخل والمخرج مني على جزء كبير من الحساب لا يقوم به الا المهرة من اهل تلك الاعمال
ويسمى ذلك الكتاب بالديوان وكذلك مكان جلوس العمال المباشرين لها ويقال ان اصل هذه
التسمية ان كسرى نظر يوما الى كتاب ديوانه وهم يحسبون على انفسهم كانوا يحادثون فقال ديوانه أي
مجانين بلغة الفرس فسمى موضعهم بذلك وحذفت الهاء لكثرة الالاسه تعمال تحقيقا فقيل ديوان ثم نقل
هذا الاسم الى كتاب هذه الاعمال المتضمن للقوانين والحسابات وقيل انه اسم للشياطين بالفارسية سمي
الكتاب بذلك لسرعة نفوذهم في فهم الامور ووقوفهم على الجلي منها والخفي وجمعهم لما شذو وتفرق ثم
نقل الى مكان جلوسهم لتلك الاعمال وعلى هذا فثبتناول اسم الديوان كتاب الرسائل ومكان جلوسهم
بياب السلطان على ما يأتي بعد وقد تقدم هذه الوظيفة بناظر واحد ينظر في سائر هذه الاعمال وقد يفر لكل
صنف منها بناظر كما يفر في بعض الدول النظر في العساكر واقطاعاتهم وحسابان اعطياتهم او غير ذلك على
حسب مصطلح الدولة وما قرره اولوها واعلم ان هذه الوظيفة انما تحدث في الدول عندئذ يمكن الغلب
والاستيلاء والنظر في اعطاف الملك وقنون التمهيد واول من وضع الديوان في الدولة الاسلامية عمر رضي
الله عنه يقال لسبب مال اتي به ابوهريرة رضي الله عنه من البحر فاستكثروا وتعبوا في قومه فدعوا الى
احصاء الاموال وضبط العطاء والحقوق فأشار خالد بن الوليد بالديوان وقال رأيت لملوك الشام يدنون
فقبل منه عمر وقيل بل اشار عليه به امرخران لما رأى يبعث البعث بغير ديوان فقبل له ومن يعلم بغيبه من
يغيب منهم فان من تخلف أدخل بمكانه وانما يضبط ذلك الكتاب فأنبت لهم ديوانا وسأل عمر عن اسم
الديوان فغيره ولما اجتمع ذلك امرعقل بن ابي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب
قريش فكتبوا ديوان العساكر الاسلامية على ترتيب الانساب مبتدأ من قرابة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما بعدها الاقرب فالقرب هكذا كان ابتداء ديوان الجيش وروى الزهري عن سعيد بن المسيب

وبجزه اذا استكملت فيه
الخلال المحودة ثم قال كي
تسبحك كثير او نذكرك
كثير ادلت هذه الحكمة
على ان بحسبة العلماء
والصالحين واهل الخبرة
والمعرفة تنظم امور الدنيا
وامور الآخرة وكان اشجع
الناس يحتاج الى السلاح
وافره الخيل الى السوط
واحد الشغار الى المسن
كذلك يحتاج اجل الملوك
واعظمهم واعلمهم الى
الوزير (وروى ابو سعيد
الخدري) قال ما بعث الله
نبيا ولا استخلف خليفة
الا كانت له بطانان بطانة
تأمره بالمعروف وتحضه عليه
و بطانة تأمر بالشرو وتحضه
عليه والمعصوم من عصمه
الله تعالى وانما اشقت
الوزارة من الوزير وهو
الثقل يريد انه يحمل
من امر المملكة واعبائها
واثقها مثل الاوزار
أسعد الملوك من له وزير
صدق ان نسي ذكره وان
ذكر اعانه وقال وهب
ابن منبه قال موسى عليه
السلام لفرعون آمن
ولك الجنة ولك ملكك
قال حتى اشاءوراهمان
فشاورة في ذلك فقال بينهما
أنت له تعبد اذ صرت تعبد
فانف واستكبر وكان من

أمره ما كان وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج يزيد بن ابي مسلم لا يالوه خبالا ولبئس القرناء
شمر قرين الشرحدين وأشرف منازل الامميين الذبوة ثم الحلالة ثم الوزارة الوزير عون على الامور وشريك في التدبير وظهير على

السياسة ومفزع عند النازلة الوزير مع الملك بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه وفي الامثال نعم الظهير الوزير (واعلم) ان اول ما يستقيد الملك من الوزراء امر ان علم ما كان يجمله ويقوى عنده علم ما كان يعلمه فيزول شكه (١٤٥) واول ما يظهر نبل السلطان وقوة

تميزه وجوده عفة له في
استخفاف الوزراء واستنقاد
الحلساء ومحاذة العقلاء
فهذه ثلاث خلال تدل
على كماله وبها يجمل في
الحل في ذكره ويجمل في
العقول قدره وترسخ في
النفوس عظمته والمراء
موسوم بقرينه وكان
يقال حلية الملوك وزيرتهم
وزراؤهم وفي كتاب كلياته
ودمنه لا يصلح السلطان
الابالوزراء والاعوان
الابالودة والنصيحة
والمودة والنصيحة الابلالسر
والعفاف واعظم الاشياء
ضررا على الناس عامة
وعلى الولاة خاصة ان
يجر مواصالح الوزراء
والاعوان فنكون أعوانهم
غير ذي جدوى وغناء
ويحذر الملك ان يولي الوزارة
غير المتحرين كي لا تضيق
الامور كما يحذر ان يتطرب
بغير طبيب بصير مأمون
(قال شرح بن عبيد) لم
يكن في بني اسرائيل ملك
الاومعه رجل حكيم اذا رآه
غضب ما كتب له ثلاث
صرائف في كل صحيفة ارحم
المسكين واخش الموت
واذ كرا لا تحرقه كلما
غضب الملك ناوله صحيفة
حتى يسكن غضبه (وقال
أردشير) يحق على الملك

ان ذلك كان في المحرم سنة عشرين وأماديوان الخراج والحبايات فبقي بعد الاسلام على ما كان عليه من
قبل ديوان العراق بالفارسية وديوان الشام بالرومية وكتاب الدواوين من أهل العهد من الفريين ولما
جاء عبد الملك بن مروان واستحال الامر ما سكا وانتقل القوم من غضاضة البداوة الى رونق الحضارة ومن
سذاجة الامية الى حذق الكفاية وظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكفاية والحسبان فأمر عبد الملك
سليمان بن سعد والى الاردن لعهد ان ينقل ديوان الشام الى العربية فأكمله لسنة من يوم ابتدائه
ووقف عليه سر حون كاتب عبد الملك فقال لكاتب الروم اطلبوا العيش في غير هذه الصناعة فقد قطعها
الله عنكم وأماديوان العراق فأمر الحاج كاتبه صالح بن عبد الرحمن وكان يكتب بالعربية والفارسية
ولقن ذلك عن زاذان فروخ كاتب الحجاج قبله ولما قتل زاذان في حرب عبد الرحمن بن الاشعث استخلف
الحجاج صالحا هذا مكانه وأمره ان ينقل الديوان من الفارسية الى العربية ففعل ورغم ذلك كتاب الفرس
وكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما أعظم منته على الكفاية ثم جعلت هذه الوظيفة في دولة بني
العباس مضافة الى من كان له النظر فيه كما كان شأن بني برمك وبني سهل بن نبخت وغيرهم من وزراء
الدولة وأما ما يتعلق بهذه الوظيفة من الاحكام الشرعية مما يختص بالجيش او بيت المال في الدخل
والخرج وتميز النواحي بالصلح والعنوة وفي تقليد هذه الوظيفة لمن يكون وشروط الناظر فيها والكاتب
وقوانين الحسابات فأمر راجع الى كتب الاحكام السلطانية وهي مسطورة هنالك وليست من غرض
كتابتنا وانما نكتبكم فيها من حيث طبيعة الملك الذي نحن بصدد الكلام فيه وهذه الوظيفة جزء عظيم من
الملل بل هي ثالثة اركانها لان الملك لا بد له من الجند والمال والمخاطبة لمن غاب عنه فاحتاج صاحب الملك
الى الاعوان في امر السيف وامل القلم وامل المال فينفرد صاحبها بذلك يجزم من رئاسة الملك وكذلك كان
الامر في دولة بني امية بالاندلس والطوائف بعدهم وأما في دولة الموحدين فكان صاحبها انما يكون
من الموحدين يستعمل بالنظر في استخراج الاموال ووجهها ووضبطها وتعقب نظر الولاة والعمال فيها
ثم تميزها على قدرها وفي مواقيتها وكان يعرف بصاحب الاشغال وكان يرعا يلبها في الجهات غير الموحدين
من يحسنها ولما استبد بنو أبي حفص بافريقية وكان شأن الجالية من الاندلس فقد دم عليهم اهل
البيوتات وفيهم من كان يستعمل ذلك في الاندلس مثل بني سعيد اصحاب القلعة جوار غرناطة المعروفين
ببني ابي الحسن فاستكفوا بهم في ذلك وجعلوا لهم النظر في الاشغال كما كان لهم بالاندلس ودالوا فيها بينهم
وبين الموحدين ثم استعمل بها اهل الحسبان والكفاية وخرجت عن الموحدين ثم لما استغلظ امر الحاجب
ونفذ امره في كل شأن من شؤون الدولة تعطل هذا الرسم وصار صاحبها مرسوا للحاجب واصبح من جملة
الحباية وذهبت تلك الرئاسة التي كانت له في الدولة وأمادولة بني مرين لهذا العهد فسيان العطاء والخراج
مجموع لواحده صاحب هذه الرتبة هو الذي يصح الحسابات كلها ويرجع الى ديوانه ونظيره معقب بنظر
السلطان أو الوزير وخطه معتبر في صحة الحسابات في الخراج والعطاء هذه اصول الرتب والخطط السلطانية
وهي الرتب العالية التي هي علامة النظر ومباشرة للسلطان * وأما هذه الرتبة في دولة الترك فمنوعة
وصاحب ديوان العطاء يعرف بناظر الجيش وصاحب المال مخصوص باسم الوزير وهو الناظر في ديوان
الحباية العامة للدولة وهو اعلى رتب الناظرين في الاموال لان النظر في الاموال عندهم ينتوع الى رتب
كثيرة لا نفاس دواتهم وعظمة سلطانهم واتساع الاموال والحبايات عن ان يستقل بصبطها الواحد من
الرجال ولو بلغ في الكفاية مبالغه فتعين للنظر العام منها هذا المخصوص باسم الوزير وهو مع ذلك رديف

(١٩ - ابن خلدون) أن الغف ما يكون نظر العظم ما يكون خطر ولا يذهب حسن أثره في الرعية خوفا
له لا يستغنى بتدبير اليوم عن تدبير غد وأن يكون حذره للملاقين أكثر من حذره للتباعدين وان يتقى بطانة السوء أشد من اتقائه

العامه ولا يطمن في اصلاح العامه الا بالخاصه (وقال اردشير) لكل ملك بطانه حتى يجمع بذلك جميع المملكه فاذا اقام الملك بطانه على حال الصواب اقام كل امرئ (١٤٦) منهم بطانه على مثل ذلك حتى يجمع على الصلاح عامه الرعيه ومثال الملك الخير

والوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من النومه كلما الصافي فيه التمساح فلا يستطيع المرء دخوله وان كان ساجحا وكان الى الماء محتاجا ومثل السلطان مثل الطبيب ومثل الرعيه كمثل المرضى ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والاطباء فان كذب السفير بطل التدبير وكان السفير اذا اراد ان يقتل احدا من المرضى وصف للطبيب تقيض دائه فاذا سقاه الطبيب على صفة السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل الى الملك ما ليس في الرجل فيقتله الملك فن ههنا شرطنا ان يكون الوزير صدوقا في لسانه عدلا في دينه مأمونا في الخلاقه بصيرا بامور الرعيه وتكون بطانه الوزير من اهل الامانة والبصيره ويحذر الملك ان يولي الوزارة لثيما فالثيم اذا ارتفع جفا قاربه وانكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوى الفضل ولما اراد سليمان بن عبد الملك ان يستكتب كاتب الحاج يز يد بن ابي مسلم قال له عمر بن عبد العزيز اسألك

لمولى من موالى السلطان وأهل عصبته وأرباب السيوف في الدولة يرجع نظر الوزير الى نظره ويجهده جهده في متابعتها ويسمى عندهم اسما تاذ الدولة وهو واحد الامراء الا كابر في الدولة من الجنه دو ارباب السيوف ويتبع هذه الخطة خطه عندهم اخرى كلها راجعة الى الاموال والخسب ان مقصود النظر على امور خاصة مثل ناظر الخاص وهو المباشر لاموال السلطان الخاصة به من اقطاعه اوسه ههنا من اموال الخراج وبلاد الجباية مما ليس من اموال المسلمين العامه وهو تحت يد الامير استاذ الدار وان كان الوزير من الجنه فلا يكون لاستاذ الدار نظره عليه ونظر الخاص تحت يد الخازن لاموال السلطان من مما يليه المسمى خازن الدار لاختصاص وظيفته مما يملك السلطان الخاص ههنا بيان ههنا الخطة بدولة الترك بالمشرق بعد ما قدر مناه من امرها بالمغرب والله مصرف الامور لارب غيره

(ديوان الرسائل والكتابة)

هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لاستغناء كثير من الدول عنها اساسا كفي الدول العربية في البداوة التي لم يأخذها تذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع وانما كذا الحاجة اليها في الدولة الاسلاميه شأن اللسان العربي والبلاغة في العبارة عن المقاصد فصار الكتاب يؤدي كنه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الاكثر وكان الكتاب للامير يكون من اهل نسبه ومن عظماء قبيله كما كان للخلفاء و امراء الصحابة بالشام والعراق لعظم امانتهم وخلوص اسرارهم فلما فسد اللسان وصار صناعة اختصت بمن يحسد نهو كانت عند بني العباس رفيعة وكان الكتاب يصدر السجلات مطلقة ويكتب في آخرها اسمه ويختتم عليها بخاتم السلطان وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان اوشارته يعمس في طين احر مذاب بالماء ويسمى طين الختم ويطبع به على طرفي السجل عند طيبه والواقه ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان ويضع الكاتب فيها علامته اولا واخر على حسب الاختيار في محلهما وفي لفظها ثم قد تنزل ههنا الخطة بارتفاع المكان عند السلطان لغير صاحبها من اهل المراتب في الدولة او استبداد وزير عليه فنصير علامة هذا الكتاب بلغة الحكيم بعلامة الرئيس عليه يستدل بها في كتب صورة علامته المعهودة والحكم بعلامة ذلك الرئيس كما وقع آخر الدولة الحفصية لما ارتفع شأن الحجابة وصار امرها الى التفويض ثم الاستبداد صار حكم العلامة التي للكاتب ملغى وصورتها ثابتة اتباعا لسلف من امرها فصار الحجاب يرسم للكاتب امضاء كتابه ذلك بخط يصنعه ويتخير له من صبح الانفاذ ماشاء فيما امر الكتاب له ويضع العلامة المعتادة وقد يختص السلطان بنفسه بوضع ذلك اذا كان مستبدا بامر قائما على نفسه في رسم الامر للكاتب ليضع علامته ومن خطط الكتابة التوقيع وهو ان يحاس الكتاب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة اليه احكامها والفصل فيها مملوءة من السلطان بأو جلفظ وأبلغه فأما ان تصدر كذلك واما ان يحذوا الكتاب على مثاله في سجل يكون بيد صاحب القصة ويحتاج الموقع الى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعها وقد كان جعفر بن يحيى يوقع في القصص بين يدي الرشيد ويرعى بالقصة الى صاحبها فكانت توقيعاته يتنافس البلاغة في تحصيلها للوقوف فيها على اساليب البلاغة وفنونها حتى قيل انها كانت تباع كل قصة منها دينار وهكذا كان شأن الدول وهو اعلم ان صاحب هذه الخطة لا يبدآن يتخير من ارفع طبقات الناس واهل المروءة والحشمة منهم وزيادة العلم وعارضة البلاغة فانه معرض للنظر في اصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك ومقاصد احكامهم من امثال ذلك مع ما تدعو اليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالقضايا مع ما يضطر اليه في الترسيل وتطبيق

مقاصد بالله يا امير المؤمنين ان لا تحيى ذكر الحجاج باستكبابك اياه فقال يا ابا حفص اني لم اجده عنده خيانة دينار ولا درهم قال عمر انا اوجدك من هو اعف منه في الدينار والدرهم قال ومن هو قال ابليس ما مس دينار ولا درهم وقد اهل

هذا الخلق (ودخل) زجل له عقل وأدب على بعض الخلقاء فوجد عنده رجلا ذميا كان الخلية يميل اليه ويقر به فقال
يا ملك طاعته في الوري * وجبه مقترض واجب ان الذي شرفت من أجله * (١٤٧) يزعم هذا انه كاذب وأشار الى الذي

فاسأله يا امير المؤمنين
عن ذلك فسأله فلم يجدها
من أن يقول هو صادق
فاعترف بالاسلام لا يعرف
وزير الملك ماله ومعاليه
حتى يراعي من صاحبه
الواثق به ما يراعيه العاشق
الغيور من المشوقة المتهممة
(وكان بعض) الملوكة قد
كتب ثلاث رقاع وقال
لوزيرها اذا رأيتي غضبان
فادفع الى رقعة فسكان في
الواحدة انك لست باله
وانك ستوت وتعود الى
التراب فياكل بعضك بعضا
وفي الثانية ارحم من في
الارض يرحمك من في
السماء وفي الثالثة اقض
بين الناس بحكم الله فانهم
لا يصلحهم الا ذلك اذا
كان الوزير يساوي الملك
في الرأي والهيبة والطاعة
فلمصرعه الملك فان لم يفعل
فليعلم انه المصروع (وفي
الامثال) اذا سكنت الدهماء
خاف الوزراء وما كانت
أمور الملك عائدة الى
الوزراء وازمة الملوكة في
أكف الوزراء سبق فيهم
من العقلاء المثل السائر
فقالوا لا تعتبر عودة الامير
اذا غشك الوزير فلا تخش
الامير ويقال الخرق

مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها وقد تكون الرتبة في بعض الدول مستندة الى أرباب السيف
لما يقتضيه طبع الدولة من البعد عن معاناة العلم لاجل سداحة العصبية فيختص السلطان اهل
عصبية يخطط دولته وسائر رتبته فيعلم المال والسيف والكتابة منهم فأما رتبة السيف فتستغنى عن معاناة
العلم وأما المال والكتابة فيضطر الى ذلك للبلاغة في هذه والحسبان في الاخرى فيختارون لها من هذه
الطبقة ما دعت اليه الضرورة ويقدمونه الا انه لا يكون يد آخر من اهل العصبية غالبية على يدهو يكون
نظيره متصرفا عن نظيره كما هو في دولة الترك لهذا العهد بالشرق فان الكتابة عندهم وان كانت لصاحب
الانشاء الا أنه تحت يد امير من اهل عصبية السلطان يعرف بالذو يدار وتعيول السلطان ووثوقه به
واستنامته في غالب احواله اليه وتعيوله على الاخر في احوال البلاغة وتطبيق المقاصد وكتمان الاسرار
وغير ذلك من تواجها واما الشروط المعتبرة في صاحب هذه الرتبة التي يلاحظها السلطان في اختياره
وانتقائه من اصناف الناس فهي كثيرة واحسن من استوعبها عبد الحميد الكاتب في رسالته الى الكاتب
وهي اما بعد حفظكم الله يا اهل صناعة الكتابة ووطاكم ووفقهكم وارشدكم فان الله عز وجل جعل الناس
بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ومن بعد الملوكة المكرم من اصنافا وان كانوا في
الحقيقة سواء وصرقهم في صنوف الصناعات وضرور المخاولات الى اسباب معاشهم وابواب ارزاقهم
بفعلكم معشر الكاتب في اشرف الجهات اهل الادب والمروءة والعلم والرياسة بكم ينظم للخلافة محاسنها
وتستقيم امورها وبخصائكم يصلح الله للخلق سلطانهم وتعمر بلدانهم لا يستغنى الملك عنكم ولا يوجد كاف
الامنكم فوقكم من الملوكة موقع اسماعهم التي بها يسمعون وابصارهم التي بها يرون والسمتهم التي بها
ينطقون وايدهم التي بها يبطشون فامتكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا تزع عنكم ما ضفاه من
النعمة عليكم وليس احد من اهل الصناعات كلها الحوج الى اجتماع خلال الخير المحموده وخصال الفضل
المدكورة المردودة منكم ايها الكتاب اذا كنتم على ما ياتي في هذا الكتاب من صفتم فان الكتاب يحتاج من
نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في مهمات اموره ان يكون حليما في موضع الحلم فهميما في موضع
الحكم مقداما في موضع الاقدام محجما في موضع الاحجام مؤثرا للعقاف والعدل والانصاف كتموالاسرار
وفيما عند الشدائد عالما بما ياتي من النوازل يضع الامور مواضعها والظواهر في اما كنهها قد نظرتي كل
فن من فنون العلم فأحكمه وان لم يحكمه اخذ منه بمقدار ما يكتفي به يعرف بغير بزة عقله وحسن ادبه وفضل
تجربته ما ردد عليه قبل وروده وعاقبة ما صدر عنه قبل صدوره فيعدل لكل امرئته وعناده ويهين لكل
وجه هينته وعادته فتافسوا يا معشر الكاتب في صنوف الآداب وتفقوه في الدين وابدؤا بعلم كتاب الله
عز وجل والقرائن ثم العربية فانها ثقاف السنتكم ثم اجيدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار
واعرفوا غريبها ومعانيها وايام العرب والحجج وأحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما سمعوا اليه هممكم
ولا تصيغوا النظر في الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودينها وسفساف
الامور ومحقرها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهوا صناعتمكم عن الدناءة وارثوا بانفسكم عن
السعاية والنميمة وما فيه اهل الجهالات واياكم والكبر والسخف والعظمة فانها عداوة تجتلبه من
غير احنة وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو البقي لاهل الفضل والعدل والنبيل
من سلفكم وان نبا الزمان برجل منكم فاعظفوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله ويشوب اليه امره وان
أعد احد منكم الكبر عن مكسبه وفاقا اخوانه فزوره وعظموه وشاوروه واسم تظهره وبقض تجربته

ممارسة الامراء ومعاداة الوزراء ورب أمر كرهه الامير فتم بانوزيروكم من امر اراده الامير فثناه عنه الوزير وانما السلطان كالدار والوزير
بابها فن اتى الدار من بابها ونج ومن اتاها من غير بابها ازعج (وقال انوشروان) لا يتم للملك امره حتى يرفع نفسه عن كل هيب ويكون له

جليس مأمون الغيب وخادم ناصح الجيب وموقع الوزارة من المملكة كواقع المرأة من النظر فكما أن من لم ينظر إلى المرأة لا يرى شحاسن وجهه وعيوبه وكذلك السلطان (١٤٨) إذ لم يكن له وزير لا يعرف محاسن دولته وعيوبها وكاتب الملك مستقر أسرار له ولسانه الناطق عنه في آفاق مملكته

والخصوص بقر به ولزومه دون نظرائه ظهور الأمير وزيره وزينه حاجبه ولسانه كاتبه ورسوله عينه الكتابة قوام الخلافة وقرينة الرياسة وعمود المملكة للكتاب على الملك ثلاثة أشياء يرفع الحجاب عنه ويتهم الوشاة عليه ويقضى سره إليه (وقد قالت الحكماء) لا يطعم من ذوالكبر في الشناء ولا الحجب في كثرة الصديق ولا السني الأدب في الشرف ولا التخيخ في البر ولا الحرير في قلة الذنوب ولا الملك المتهاون الضعيف الوزراء في بقاء الملك وتكأن المرأة لا تبريك وجهك إلا بصفا جوهرها وجوده صقلها ونقاها من الصدأ كذلك الأمير لا يكمل أمره إلا بجودة عقل الوزير وصحة فهمه وصفا نفسه ونقا قلبه (ومن شروط الوزير) أن يكون مكيين الرجة للخلق رؤفا بهم ليأسو برجته ما يجرحه السلطان بغلظته (ومن شروطه) أن يكون نقي الجيب ناصح الغيب لا يقبل دقعة ولا يكتف نصيحة وقال بعض الملوك

وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واسـتـظهر به ليوم حاجته اليه أحوط منه على ولده وأخيه فإن عرّضت في الشغل شحمة فلا يصرّفها إلا إلى صاحبها وإن عرّضت مذمة فلا يحلمها هو من دونه ولا يحذر السقطة والزلة والمال عند تغير الحال فإن العيب اليكم معشر الكتاب أسرع منه إلى الفراء وهو لكم أفسد منه لها فقد علمتم أن الرجل منكم إذا صحبه من يبذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه أن يعتدله من وفائه وشكره واحتماله وخبره ونصيحته وكتبان سره وتدبير أمره ما هو جزاء الحكمة ويصدق ذلك تبعاله عند الحاجة اليه والأضطرار إلى ماله فاستشعروا ذلك وفتحكم الله من أنفسكم في حالة الرخاء والشدة والحرمان والمواساة والاحسان والسرور والأضراء فنهـمت الشحمة هذه من وسع بهامن أهل هذه الصنعة الشريفة وإذا ولى الرجل منكم أو صير إليه من أمر خلق الله وعياله أمر فليأقرب الله عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقا ولا ظالم منصفان الخالق عيال الله وأحبهم إليه أرفقهم بعياله ثم ليكن بالعدل حاكما وللأشراف مكرما وللفي عموقرا وللبالدع امرأا لرعية متألفا وعن إذا هم متخلفا وليكن في مجلسه متواضعا حليما وفي سجلات خراجها واستقصاء حقوقه رفيقا وإذا صاحب أحدكم رجلا فليخبر خلائقه فإذا عرف حسنها وقبحها أعانه على ما يوافق من الحسن واحتمل على صرفه عما يهواه من العجيب بالطف حيلة واجل وسيلة وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيرا بسياها التمس معرفة أخلاقها فإن كانت رموط لم يهجمها إذا ركها وإن كانت شبو بالانقاها من بين يديها وإن خاف منها شردت أبقاها من ناحية رأسها وإن كانت حرونا قع برفق هو ما في طرقها فإن استمرت عطقها يسيرا فساس له قيادها وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجر بهم وداخلهم والكتاب لفضل أدبه وشرف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس وينظره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تخبر جوبا ولا تعرف صوابا ولا تنههم خطايا إلا بقدر ما يصيرها إليه صاحبها الرأى كعب عليها الأفرقة وارجحكم الله في النظر وأعمالها ما يمكنكم فيه من الروية والفكر تأمنوا بأذن الله من حجبتموه النبوة والاستئصال والجفوة وبصير منكم إلى الموافقة وتصير وامنه إلى المواخاة والشفقة إن شاء الله ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه ومباسته ومركبه ومطعمه ومشر به وناله وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم كخدمته لا تحمّلون في خدمتكم على التقصير وحفظه لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير واستعجال عفاقكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا من أفعال السرف وسوء عاقبة الترف فانهم ما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان أهلها وأولاسيما السكاب وأرباب الآداب واللامور وأشباهه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤتلف أعمالكم بما سبقت إليه تجر بتمكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها بحجة وأصدقها حجة وأجدها عاقبة واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه ورويته فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقته وليوجز في ابتدائه وجوابه وليأخذ بمجامع حجه فإن ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل عن كثاره وليضرع إلى الله في صلته توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضرب يبدنه وعقله وآدابه فإنه إن ظن منكم ظان أو قال قائل أن الذي برز من جبل صنعته وقوة حركته إنما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بحسن ظنه ومقالته إلى أن يكاله الله عز وجل إلى نفسه فيصير منها إلى غير كاف وذلك على من تأمله غير خاف ولا يقول أحد منكم أنه أبصر بالامور وأجل لعب التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته فإن أعقل الرجلين عند ذوى

لوزيره لا تكونن إلى ما ترضى به أسرع مبادرة من اندارى فيما يخاف على منه وقال بعض الملوك اعط من اتاك بما تكره كما تعطى من اتاك بما تحب فإن من اندركن بشر (ومن شروطه) أن يكون معتدلا كليل تهامة لآخر

الالباب

ولا قرو وموقع الوزير من الملك موقع الملك من العامة وكان السلطان اذا صلح صلحت الرعية واذا فسد فسدوا وكذلك الوزراء اذا فسدوا
فسد الملك واذا صلح واصلح الملك (وكان) يقال آفة العقل المورى وآفة الامير سخافة (١٤٩) الوزير وقال المقتدر بالله لوزيره

ع-لى بن عيسى اتق الله
بعطفنى عليك ولا تعصه
فيسلطنى عليك وقال
المأمون لمجد بن يزيد اياك
ان تعصى الله فيما تنقرب
به الى فيسلطنى عليك
(واعلم) انه ليس للوزير
ان يكتم السلطان نصيحة
وان استقلها وموقع الوزير
من المملكة كواقع العينين
من الانسان وكاليدين فانه
اذا صح قبضهما وبسطهما
صح التدبير واذا سقطا دخل
التقص على الجسد ولا تصلح
الوزارة ان تكون في غير
اهلها كما لا يصلح الملك ان
يكون في غير اهله وشركه
الوزراء من كان الاشرار
ايضاله وزراء وبطانة
ودخلا ووصت امراة ابنتها
وكان ملكا فقالت يا بنى
ينبغى للملك ان يكون له
سنة اشياء وزير يثق برأيه
ويقضى الله بأسراره
وحصن بيمناه الله اذا فرغ
وسيف اذا نازل الاقران
لم يخنه وذخيرة خفية للمحل
اذا نابه نائبة كانت معه
وامراة اذا دخلت عليه
اذ هبت همه وطباخ اذا لم
يشته الطعام طبخ له
ما يشتهه
(الباب الخامس والعشرون)
في الجلساء وآدابهم

الالباب من رضى بالعجب ورافظ به وراى ان اصحابه اعقل منه واجل في طر يقته وعلى كل واحد من
القر يقين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكتر على اخيه
او نظيره وصاحبه وعشيره ووجد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث
بنعمته (وانا قول) في كتابي هذا ما سبق به المثل من التزمه النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب
وغرة كلامه بعد الذى فيه من ذكر الله عز وجل فذلك جعلته آخرة وقمة به ثولا لنا الله واياكم يا معشر
الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه باسعادهم وارشادهم فان ذلك اليه ويده والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته اه (الشرطة) ويسمى صاحبها هذا العهد بافر يقية الحاكم وفي دولة اهل الاندلس صاحب
المدينة وفي دولة الترك الوالى وهى وظيفة مرؤسة لصاحب السيف في الدولة وحكمه نافذ في صاحبها في
بعض الاحيان وكان اصل وضعها في الدولة العباسية لمن يقيم احكام الجرائم في حال استبدانها والاثم
المحدود بعد استيفائها فان التهم التى تعرض في الجرائم لا تنظر للشرع الا في استيفاء حدودها وليس سياسة
النظر في استيفاء وجوباتها باقرار بكرهه عليه الحاكم اذا احتقت به القران لما توجب به المصلحة العامة في
ذلك فكان الذى يقوم بهذا الاستبداء واستيفاء الحدود بعده اذا تزعزعه القاضي يسمى صاحب
الشرطة وربما جعلوا اليه النظر في الحدود والدماء باطلاق واقر دوها من نظر القاضي ونزهوا هذه المرتبة
وقادوها كبار القواد وعظماها الخاصة من مواليهم ولم تكن عامة التنفيذ في طبقات الناس انما كان
حكمهم على الدهماء واهل الرب والضرب على ايدى الرعايا والفقرة ثم عظمت نباهتها في دولة بنى امية
بالاندلس ونوعت الى شرطة كبرى وشرطة صغيرة وجعل حكم الكبرى على الخاصة والدهماء وجعل له
الحكم على اهل المراتب السلطانية والضرب على ايديهم في الظلمات وعلى ايدى قاربهم ومن اليهم من
اهل الجاه وجعل صاحب الصغرى مخصوصا بالعامية ونصب لصاحب الكبرى كرسي بياب دار السلطان
ورجال يتبوؤن المقاعد بين يديه فلا يرحون عنها الا في تصريفه وكانت ولايتها الاكبر من رجالات الدولة
حتى كانت ترشيد الوزارة والحجابة واما في دولة الموحدين بالمغرب فكان لها حظ من التنويه وان لم
يجعلوها عامة وكان لا يليها الا رجالات الموحدين وكبارهم ولم يكن له التحكم على اهل المراتب السلطانية
ثم فسد اليوم منصبها وخرجت عن رجال الموحدين وصارت ولايتها لمن قام بها من المصطنعين واما في دولة
بنى مرين فلهذا العهد بالشرق فولايتها في بيوت من مواليهم واهل اصطناعهم وفي دولة الترك بالشرق في
رجالات الترك او عقاب اهل الدولة قبلهم من الكرد يتغير ونهم لها في النظر بما يظهر منهم من الصلابة
والمضاء في الاحكام لقطع مواد الفساد وحسم ابواب الذعارة وتخريب مواطن الفسوق وتقرى بجماعه
مع اقامة الحدود الشرعية والسياسة كما تقتضيه رعاية المصالح العامة في المدينة والله مقلب الليل والنهار
وهو العزيز الجبار والله تعالى اعلم

(قيادة الاساطيل) وهى من مراتب الدولة وخطتها في ملك المغرب واقر يقية ومرؤسة لصاحب
السيف وتحت حكمه في كثير من الاحوال ويسمى صاحبها في عرفهم الملمند يتفخيم اللام منقولاً من لغة
الافرنجية فانه اسمها في اصطلح لغتهم وانما اختصت هذه المرتبة بملك افريقية والمغرب لانهم جميعا على
ضفة البحر الرومى من جهة الجنوب وعلى عدوته الجنوبية بلاد البربر كلهم من سبتة الى الاسكندرية
الى الشام وعلى عدوته الشمالية بلاد الاندلس والافرنجية والصقالبة والروم الى بلاد الشام ايضا ويسمى
البحر الرومى والبحر الشامى نسبة الى اهل عدوته والساكنون بسيف هذا البحر وسواحلها من عدوته

قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوا الا المتقين وقال سبحانه يا ويلنا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني
وكان الشيطان للانسان خذولا وينبغى للملك ان يجالس اهل العقل والادب وذوى الراى والحسب وذوى التجار والعبرة بالسنة

العقلاء لتفاح العقل ومادته ولذلك حدث آراء الشيخ فقال القدماء المشايخ أشجار الوقار وبيابيع الاخبار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم وقالوا عليك بأراء المشايخ (١٥٠) فانهم ان فقدوا ذكاه الطبع فقد مرت على عيونهم وجوه العبر وتصدت لاسماعهم آثار

يعانون من احواله مالاتعانه امة من امة البحار فقد كانت الروم والافرنجة والقوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومي وكانت أكثر حروبهم ومنازعتهم في السفن فكانوا مهرة في ركوبه والحرب في اساطيله ولما أسف من أسف منهم الى ملك العدو الجنو بيمثل الروم الى افريقية والقوط الى المغرب أجازوا في الاساطيل وملكوها وتعلموا على البر برها وانتمروا من ايديهم أمرها وكان لهم بها المدن المحاطة مثل قرطاجنة وسببلة وجبلولا ومرناق وشرشال وطنجة وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم يحارب صاحب رومة ويبعث الاساطيل لمحربه مشحونة بالعساكر والعدو فكانت هذه عادة لاهل هذا البحر الساكنين حقا فيه معروفة في القديم والحديث ولما ملك المسلمون مصر كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاصي رضي الله عنهما ان صف لي البحر فكتب اليه ان البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف ودود على عود وفروع حينئذ يمنع المسلمين من ركوبه ولم يركبه احد من العرب الا من اقتات على عمر في ركوبه ونال من عقابه كما فعل بعريضة من هزيمة الازدي يدبجيلة لما اغزاه عمان فبلغه غزوه في البحر فانكر عليه وعنفه انه ركب البحر للغزو ولم ينزل الشأن ذلك حتى اذا كان له دعاء به اذن للمسلمين في ركوبه والجهاد على اعدائه والسبب في ذلك ان العرب كانوا يداوتهم لم يكونوا اول الامر مهرة في ثقافته وركوبه والروم والافرنجة لما رستهم احواله ومر باهم في التقلب على اعدائه مرونا عليه واحكمه والدرية بثقافته فلما استقر الملك للعرب وسمح سلطانهم وصارت ام التجم خولاهم وتحت ايديهم وتقرب كل ذي صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية مما تسكرت ممارستهم للبحر وثقافته استحدثوا بصراها فشرهوا الى الجهاد فيه وانشؤا السفن فيه والشواني وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح وامطوها العساكر والمقاتلة من وراء البحر من ام الكثر والخصو واذلك من ممالكهم ونغورهم ما كان اقرب لهذا البحر وعلى حافته مثل الشام وافر يقية والمغرب والاندلس واوعز الخليفة عبد الملك الى حسان ابن الزعمان عامل افر يقية باتخاذ دار الصناعة بتونس لانشاء آلات البحرية حرصا على مراسم الجهاد ومنها كان قبح صقلية ايام زيادة الله الاول ابن ابراهيم بن الاغلب على يد اسد بن الفرات شيخ القتيبة وفتح قوصرة ايضا في ايامه بعد ان كان معاوية بن حديج اغزى صقلية ايام معاوية بن ابي سفيان فلم يفتح الله على يديه وفتحت على يد ابن الاغلب وقائده اسد بن الفرات وكانت من بعد ذلك اساطيل افر يقية والاندلس في دولة العبيديين والامويين تتعاقب الى بلادهم في سبيل الفتنة فتجوس خلال السواحل بالافساد والتخريب وانتهى اسطول الاندلس ايام عبد الرحمن الناصر الى مائتي مركب وانحوها واسطول افر يقية كذلك مثله او قريبا منه وكان قائد الاساطيل بالاندلس ابن رماحس ومرفؤها للحط والاقلاع بحرية والمرية وكانت اساطيلها مجتمعة من سائر الممالك من كل بلد تتخذ فيه السفن اسطول يرجع نظره الى قائد من النواتية يدبر امر حربه وسلاحه ومقاتلته ورئيس يدبر امر حربه بالبحر او بالبحر اذيف وامر اسائه في مرفئه فاذا اجتمعت الاساطيل لغزو ومخنقل او غرض سلطاني مهم عسكرت بمرفئه المعلوم وشحنها السلطان برجاله والتجاده عساكره ومواليه وجعلهم لنظر امير واحد من اعلى طبقات اهل مملكته يرجعون كلهم اليه ثم يسرحهم لوجههم وينظر اياهم بالفتح والغنيمه وكان المسلمون لعهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه وعظمت صولاتهم وسلطانهم فيه فلم يكن للامم النصرانية قبل اساطيلهم بشي من جوانبه وامتوا ظهره للفتح سائر ايامهم فكانت لهم المقامات المعلومه من الفتح والغنائم وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه مثل ميورقة ومنورقة وياسة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة

الغري وقالوا رأى الشيخ خير من مشهد العلام (وقال عبد الملك) مجلساته جنبوني ثلاثا لا تطروني فاني اعرف بنفسى منك ولا تكذبوني فانه لا رأى للكذب ولا تغتابوا عندي احدا فيفسد قلبي عليكم (وقال بعض الحكماء) كفى بالبحار تاديبا وتقلب الايام عظمة وقالوا التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل وقد قال هرم بن قطبة وهو واحد حكماء العرب حين تنافر اليه عامر بن الطفيل وعلقمة بن علابة عليكم بالحديث السن الحديث النظر (وقال كثير من حكماء العرب) عليكم بمشاورة الشباب فانهم يتنجون رأيا لم يعلمه طول القدم ولا استولت عليه رطوبة الهرم والمذهب الاول اصدق على العقول وقال عبد العزيز بن زرارة لمعاوية عليك بحالسة الالباء اعداء كانوا واصدقاء فان العقل يقع على العقل (وقال ابن عباس) بحالسة العقلاء تزيدي في الشرف وقال سفيان بن عيينة ان الرجل يمن كان قبلكم ليلقي الرجل العاقل فيكون عاقلا اياما وقال مالك بن

أنس مرسليمان بن داود عليهم السلام بقصر بارض مصر فوجد فيه مكتوبا غدونا من قرى اصطخر الى القصر فعلناه فن يسأل عن القصر فخبنا وجدناه يقاس المره بالمره اذا ما هو ماشاه واقريطش

وفي الشيء على الشيء * علامات واشباهه فلا تصحب أبا جهل * واياك واياها فكم من جاهل أردى * حلمي حين آخاه
قال ووجدنا عليه نسرا واقعا فدعا فقال من بني هذا القصر قال لأدرى قال كلك (١٥١) منذ وقعت عليه قال تستعماثة سنة

(وفي الامثال) يظن بالمرء
ما يظن بخيلته (ولما حج
عبيد الله بن جعفر نزل مكة
للافلحما أصبح قال يا أهل
مكة عرفنا خياركم من
أشراككم في ليلة واحدة
قالوا كيف ذلك قال نزلنا
ومعنا أخيار وأشرار فنزل
أخبارنا على أخباركم
وأشراؤنا على أشراؤكم
فعرفناكم وعلم أنه ليس
الدخان على البار بادل
من صاحب على صاحب
وقال الا وزاعي صاحب
للصاحب كالرقعة في الثوب
ان لم تكن في مثله شائته
وقال مالك بن مسمع
للأحنف بن قيس يا أبا
بحر ما اشتاق الى غائب
اذا حضرت ولا أنتقع
بجاضر اذا غبت فاخذه
ابراهيم بن العباس الكاتب
فنظمه فقال
وانت هوى النفس من
بينهم
وانت الحبيب وان انت المطاع
وما بك ان بعدوا وحده
وما هم ان بعدت اجتماع
وقال عبيد الله بن طاهر
المال غادورائح والسلطان
ظل زائل والاخوان كنوز
وافرة وقال الاصمعي تناظر
رجلان واعرابي حاضر
فقال لاحدهما مناظرة

واقرب يطش وقبرص وسائر ممالك الروم والافرنج وكان ابو القاسم الشيعي وابناؤا يغزون أساطيلهم من
المهدية جزيرة جنوة فتقلب بانظر والغنية مة واقتنح مجاهد العامري صاحب دانية من ملوك الطوائف
جزيرة سردانية في أساطيله سنة خمس واربع مائة وارتجفها النصارى لوقتها والمسلمون خلال ذلك كله قد
تغلبوا على كثير من حجة هذا البحر وسارت أساطيلهم فيهم جائية وذاهبة والعساكر الاسلامية تكبير البحر في
الاساطيل من صقلية الى البر الكبير المقابل لها من العدو الشمالية فتوقع بملوك الافرنج وتغن في
ممالكهم كل وقع في أيام بني الحسين ملوك صقلية القائلين فيها يدعوه العبيديين وانجازت ام النصرانية
بأساطيلهم الى الجانب الشمالي الشرقي منه من سواحل الافرنج والاصقة البع وجزائر الرومانية لا يعدونها
واساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء الاسد على فرستهم وقد ملأت الاكثر من بسط هذا البحر عدة
وعدا واختلفت في طرقه سلما وحر بافلم تسبح للنصرانية فيه الواح حتى اذا أدرك الدولة العبيدية
والاموية الفشل والوهن وطرقها الاعتلال مد النصارى ايديهم الى جزائر البحر الشرقية مثل صقلية
واقرب يطش ومالطة فلكروها ثم الحوا على سواحل الشام في تلك الفترة وملكو اطرابلس وعسقلان وصور
وعكا واسنة وتلوا على جميع الثغور بسواحل الشام وغلبوا على بيت المقدس وبنوا عليه كنيسة لاظهار
دينهم وعبادتهم وغلبوا بنى خردون على طرابلس ثم على قابس وصفاقس ووضعوا عليهم الجزية ثم ملكوا
المهدية مقر ملوك العبيديين من يد أعقاب بلدين بن زيري وكانت لهم في المائة الخامسة الكربة هذا البحر
وضعف شأن الاساطيل في دولة مصر والشام الى ان انقطع ولم يعتنوا بشيء من أمره هذا العهد بعد ان كان
لهم به في الدولة العبيدية عناية تجاوزت الحد كما هو معروف في أخبارهم فبطل رسم هذه الوظيفة هنالك
وبقيت باخرة ببقية والمغرب قصارت مختصة بها وكان الجانب الغربي من هذا البحر لهذا العهد موفور
الاساطيل ثابت القوة لم يتخيفه عدو ولا كانت لهم به كربة فكان قائد الاساطيل به لعهد المنونية بنى ميمون
رؤساء جزيرة قادس ومن ايديهم اخذها عبد المؤمن بتسليمهم وطاعتهم وانتهى عدد أساطيلهم الى المائة
من بلاد العدوتين جميعا ولما استقرت دولة الموحددين في المائة السادسة وملكو العدوتين اقاموا
خطة هذا الاساطيل على اتم ما عرف وأعظم ما عهد وكان قائدا اساطيلهم أحمد الصقلي أصله من صدغيار
الموطنين بجزيرة جربة من سروريكس اسره النصارى من سواحلها ووري عندهم واستخلصه صاحب
صقلية واستكفاه ثم هلك وولى ابنه فأسخطه ببعض النزعات وخشي على نفسه ولحق بتونس ونزل على
السيد بهامن بنى عبد المؤمن وأجاز الى مراكش فتلقاه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بالبرية والكرامة
واجزل الصلة وقلده أمر اساطيله بجلى في جهاد امم النصرانية وكانت له آثار واخبار ومقامات مذكورة في
دولة الموحدين وانتهت أساطيل المسلمين على عهده في الكثرة والاستجداء الى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد
فبعاه دناء ولما قام صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر والشام لعهد بهاسترجاع ثغور الشام من
يد امم النصرانية وتظهر بيت المقدس من رجس الكفر وبنائه تتابعت أساطيلهم الكفرية بالمدد تلك
الثغور من كل ناحية قرية لبيت المقدس الذي كانوا قد اسدسوا عليه فأمدوهم بالعدو الاقوات ولم
تقاومهم أساطيل الاسكندرية لاستمرار الغلب لهم في ذلك الجانب الشرقي من البحر وتعد اساطيلهم فيه
وضعف المسلمين منذ زمان طويل عن معانئهم هناك كما اشترنا له قبل فأوفد صلاح الدين على ابني
يعقوب المنصور سلطان المغرب لعهد من الموحدين رسوله عبد الكريم بن منقذ من بيت بني منقذ ملوك
شيزر وكان ملكها من ايديهم وأبى عليهم في دولته فبعث عبد الكريم منهم هذا الى ملك المغرب طالبامدد

ملك في الدين فرض والاستماع منك أدب ومجالستك زين ومعرفتك عز ومذاكرتك تليق لالعقول وشحنوا طوك شرف وفخر وقال
الاسماني غني مخارق بين يدي المأمون
واني اشتاق الى ظل صاحب * يروق ويصقوا كدرت عليه

عذيري من الانسان لان جفوته * صفالي ولا ان صرت طوع بيديه فطرب المأمون وقال ويحك يا مخارق خذ مني نصف الخلافة
وأعطني هذا الانسان وقالت الحكيماء (١٥٢) النظر في عواقب الامور تليق العقول وقالوا العاقل لا تنقطع صداقته والاحق لا تدوم

موذبه فالتخذ من نصحاء
أصحابك مرآة لطبايعك
وفعائلك كما تتخذ لوجهك
المرآة المجلوة فانك الى
صلاح طبائعك أحوج
منك الى تحسين صورتك
وقال المأمون للحسن بن
سهل نظرت في اللذات
فوجدتها كلها مملولة خلا
سبعة قال وما السبع يا أمير
المؤمنين قال خبز الخنضة
ولحم النعم والماء البارد
والثوب الناعم والرائحة
الطيبة والقراش الوطئ
والنظر الى الحسن من
كل شيء قال فإني أنت يا أمير
المؤمنين من محادثة الرجال
قال صدقت وهي اولاهن
وقال هشام بن عبد الملك
قد قضيت الوطر من كل
شيء فالكات المحلو والحامض
حتى لا أجدهن - ما طعاما
وشممت الرائحة حتى
لا أجدها ورائحة و أنت
النساء حتى ما أبالي امرأة أتيت
أم حاطم فما وجدت شيئا
ألذ من جلميس يسقط بيني
وبينه مؤنة التحفظ وقال
عبد الملك بن مروان قد
قضيت الوطر من كل
شيء إلا من محادثة الاخوان
في الليالي الزهر على العلالى
العقر وقال عبد الملك من
قرب السفلة وأدناسهم

٣٦ * (فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول) *

(اعلم) ان السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على امره الا ان الحاجة في اول الدولة الى
السيف مادام اهلها في تمهيد امرهم أشد من الحاجة الى القلم لان القلم في تلك الحال خادم فقط منقذ للحكم
السلطاني والسيف شريك في المعونة وكذلك في آخر الدولة حيث تضعف عصبيتها كما ذكرناه ويقل أهلها بما
ينالهم من الهرم الذي قدمناه فحتاج الدولة الى الاستظهار بآداب السيف وتقوى الحاجة اليهم في حماية
الدولة والمدافعة عنها كما كان الشأن اول الامر في تمهيدها فيكون للسيف منزلة على القلم في المحالين ويكون
أرباب السيف حينئذ أوسع جاهوا وأكثر نعمة واسنى اقطاعا وأما في وسط الدولة فيستغنى صاحبها بعض الشيء
عن السيف لانه قد تمهد أمره ولم يبق همه الا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة الدول
وتنفيد الاحكام والقلم هو المعين له في ذلك فنعظم الحاجة الى تصريفه وتكون السيف مهمة في مضاجع
اغمارها الا اذا نابت نائبة او دعيت الى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة اليها فتكون أرباب القلام
في هذه الحاجة أوسع جاهوا و أعلى رتبة وأعظم نعمة وثروة وأقرب من السلطان مجلسا وأكثر اليه ترددا وفي
خلواته نجما لانه حينئذ آتته التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه والنظر في اعطائه وتقريف أطرافه
والمباهاة بأحواله ويكون الوزراء حينئذ أهل السيف مستغنى عنهم بمعددين عن باطن السلطان حذرين
على انفسهم من بوادره وفي معنى ذلك ما كتب به أبو مسلم المنصور حين أمره بالقدوم امامه فدافنه بحفظناه

وباعد ذوى العقول واقصاهم استحق الخذلان ومن منع المال من المجدورته من لا يحمد
ومن الكلام الشريف قول الحكيماء أحوج ذال القليلة الى دين يحجزه وحياء بكفه وعقل يعدله والى تجر به طوبى له وغير محفوظه والى

من

اعراق تسرى اليه واعلاق تسهل الامور عليه والى جليس رفيق ورائد شفيق والى عين تنظر العواقب وعقل يخاف الغير ومن لم يعرف يوم ظفر الايام لم يحترس من سطوات الدهر ولم يحفظ من فلتات الذل ولم يتعاظمه ذنب (١٥٣) وان عظم ولا تناه وان سجع واذا رايت من وصايا القرس أخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت الدهم ما سئنت الله في عباده والله سبحانه وتعالى اعلم
 * (فصل في اشارات الملك والسلطان الخاصة به) *

(اعلم) ان للسلطان اشارات واحوالا تعتض بها الابهة والبدخ فيختص بها ويميز بانفعالها عن الرعية والبطانة وسائر الرؤساء في دولته فلنذكر ما هو مشتهر منها بما يبلغ المعرفة وفوق كل ذي علم عليم * (الآلة) *
 فن اشارات الملك اتخاذ الآلة من نشر اللوية والرايات وقرع الطبول والنفخ في الابواق والقرون وقد ذكر ارسطو في الككب المنسوب اليه في السياسة ان السر في ذلك ارباب العدو في الحرب فان الاصوات المائلة لها تأثير في النفوس بالروعة ولعمري انه امر وجد في مواطن الحرب يجده كل احد من نفسه وهذا السبب الذي ذكره ارسطو ان كان ذكره فهو صحيح به من الاعتبارات واما الحق في ذلك فهو ان النفس عند سماع النفخ والاصوات يدر كها الفرح والطرب بلا شك فيصعب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب ويسميت في ذلك الوجه الذي هو فيه وهذا موجود حتى في الحيوانات العجم فانفعال الابل بالحداء والخيل بالصغير والصرير كما علمت ويزيد ذلك تأثيرا اذا كانت الاصوات متناسبة كالمغناوات تعلم ما يحدث لاسمعه من مثل هذا المعنى ولاجل ذلك تتخذ العجم في مواطن حروبهم الآلات الموسيقية (١) لاطبلا ولا يوقا فيحذق المغنون بالسلطان في موكبه بالآلاتهم ويغنون فيحركون نفوس الشجعان بضربهم الى الاستماعة ولقد راينا في حروب العرب من يتغنى امام الموكب بالشعر ويطرب فيجيش همم الابطال بما فيها ويسارعون الى مجال الحرب وينبعث كل قرن الى قرنه وكذلك زناتة من امم المغرب يتقدم الشاعر عندهم امام الصفوف ويتغنى فيحرك بغنائها الجبال الرواسي ويبعث على الاستماعة من لا يظن بها ويسمون ذلك الغناء تاصوكيات واصله كله فرح يحدث في النفس فتنبعث عنه الشجاعة كما تنبعث عن نشوة الخمر بما حدث عنهما من الفرح والله اعلم * (واما) * تكثير الرايات وتلوينها واطالها فالقصد به التهور بل لاكثر وربما يحدث في النفوس من التهور بل زيادة في الاقدام واحوال النفوس وتلوينها غريسة والله الخلاق العليم ثم ان الملوك والدول يختلفون في اتخاذ هذه اشارات فبعضهم مكثر ومنهم مقل بحسب اتساع الدولة وعظمتها فاما الرايات فانها شعار الحروب من عهد الخليفة ولم تنزل الامم تعقدها في مواطن الحروب والغزوات والعهود النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الخلفاء واما قرع الطبول والنفخ في الابواق فكان المسلمون لا اول الملة متعاقبين عنه تنزها عن غاظة الملك ورفضا لحواله واحتقار الابهة التي ليست من الحق في شئ حتى اذا انقلبت الخلافة ملكا وتبجحوا زهرة الدنيا ونعيمها ولا بسهم الموالي من القرس والروم اهل الدول السالفة واروهم ما كان اولئك يتحلون به من مذاهب البذخ والترفع فكان مما استحسنه نوه اتخاذ الآلة فآخذوها واذنوا لعمالهم في اتخاذها تنويعا بالملك واهله فكثيرا ما كان العامل صاحب الثغور قائد الجيش يعقد له الخليفة من العباسيين او العبيد بين لوائه ويخرج الى بعثه او عمله من دار الخليفة او داره في مواكب من اصحاب الرايات والآلات فلا يميز بين موكب العامل والخليفة الا بكثرة اللوية وقتها وبما اختص به الخليفة من اللوان لرايته كالسواد في رايات بني العباس فان راياتهم كانت سودا خرا على شهدائهم من بني هاشم ونوعا على بني امية في قتلهم ولذلك سمو المسودة ولما افرق امر الهاشميين وخرج الطالبيون على العباسيين في كل جهة وعصر ذهبوا الى مخالفتهم في ذلك فاتخذوا الرايات بيضا وسموا المبيضة لذلك

(١) قوله الموسيقية وفي نسخة الموسيقارية وهي صحيحة لان الموسيقى بكسر القاف بين التختين اسم للنغم والالحان وتوقيعها يقال فيها موسيقى ويقال لصاحب الآلة موسيقار انظر اول سقينة الشيخ محمد شهاب (٢٠ - ابن خلدون) ما ملئت فنطول مصاحبة الغضب وانت صائر الى ما تحب * (الباب السادس والعشرون في بيان معرفة الخصال التي هي جمال السلطان) * قد ذكرنا الخصال التي تجرى من المماسكة تجرى الاساس من البنيان ونذكر الآن

من جلسك امرأتك كرهه
 أو خلة لا تحب أو صدرت
 منه كلمة عذراء أو هفة وغبراه
 فلا تقطع حبله ولا تصرم
 وده وليكن داو كيه واستر
 عورته فابقه وبار من عمله
 قال الله تعالى فان عصولك
 فقل اني بريء مما تعملون
 فلم يأمر بقطعهم وانما أمر
 بالبرائة من عملهم السوء
 قال الشاعر
 اذا راب مني مقصل فقطعته
 بقيت وما بي للتمه وض
 مقاصل
 وليكن أدأويه فان صح
 سرني
 وان هو أعيان كان فيه
 تحامل
 وأتى رجل الى بعض
 الحكماء فشكا اليه صديقه
 وعزم على قطعه والانتقام
 منه فقال له الحكيم اتفهم
 ما أقول لك فا كلمك أم بك
 من فورة الغضب ما شغلك
 عنه فقال اني لما تقول واع
 فقال أسر وركم عودته
 كان أطول أم غمك بذنبه
 قال بل سروردي قال اخسناته
 عندك أكثر أم سياتته
 قال بل حسناته قال فاصفح
 بصالح ايامك عن ذنبه
 وهب لسرورك جرمه
 واطرح مؤنة الغضب
 والانتقام منه ولعلك لا تنال

الحضال التي تجرى من المملكة بحرى التاج والطلسان وحسن الهيئة والكمال فاكلها وواقعتها العقو قال الله تعالى خذ العفو وأمر
بالعرف واعرض عن الجاهلين (١٥٤) فلما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل ما هذا قال لا ادري حتى

اسأل العالم فذهب جبريل
ثم عاد فقال يا محمد ربك
يقروك السلام ويأمرك
أن تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو
عن ظلمك واعلموا ان الله
الله ان الله تعالى امر بالعفو
ونذب اليه وذكرفضيلته
وحدث عليه ووصف به
نفسه فقال سبحانه
والكاظمين الغيظ والعافين
عن الناس والله يحب
المحسنين فاجوب الله تعالى
محبة للعافين واثني عليهم
بالاحسان فقال ولمن صبر
وعقران ذلك لمن عزم
الامور وعزائم الامور من
صفات المصطفين من
الرسول قال الله تعالى فاصبر
كما صبر اولو العزم من
الرسول وقال سبحانه واذا
ما غضبواهم يغفرون وقال
سبحانه وليعفو اوليصفحوا
الاتحجون ان يغفر الله
لكم فاستعطف الخلق
ونذبهم الى ان يعفوا عن
الجناة والظالمين والخطائين
كما يحبون ان يفعل الله
بهم وقال فيمن اتهم ولم
يعف وان اتهم بعد ظلمه
قاولئك ما عليهم من سبيل
فرفع الحرج عن المنتصر
والمنتقم ولم يوجب له فضيلة
ثم كشف الغطاء وازاح

سائر ايام العبيدين ومن خرج من الطالبيين في ذلك العهد بالمشرك كالدايمي بطبرستان وداعي صعدة
او من دعا الى بدعة الرافضة من غيرهم كالقرامطة ولما نزع المأمون عن لبس السواد وشعاره في دولته
عدل الى لون الخضره فجعل رايته خضراء واما الاستكثار منها فلا ينتهي الى حد وقد كانت آلة العبيدين
لما خرج العزيز الى فقع الشام خمسمائة من البنود وخمسمائة من الابواق واما ملوك البربر بالمغرب من
صنهاجة وغيرها فلم يختصوا بلون واحد بل وشوها بالذهب واتخذوها من الحجر بالخالص ملونة واستقروا
على الاذن فيها العمائم حتى اذا جاءت دولة الموحدين ومن بعدهم من زناة قصر والا لة من الطبول
والبنود على السلطان وحظروها على من سواه من عماله وجعلوا لها موكبا خاصا يتبع اثر السلطان في
مسيره يسمى الساقه وهم فيه بين مكثر ومقل باختلاف مذاهب الدول في ذلك فمنهم من يقتصر على سبع
من العدد تبرك بالنسبة كما هو في دولة الموحدين وبنو الاجر بالاندلس ومنهم من يبلغ العشرة والعشرين
كما هو عند زناة وقد بلغت في ايام السلطان ابي الحسن فيما ادركناه مائة من الطبول ومائة من البنود
ملونة بالحجر منسوجة بالذهب ما بين كبير وضعير وبأذنون للولادة والعمال والقواد في اتخاذ راية واحدة
صغيرة من السكك بيضاء وطويل صغير ايام الحرب لا يتجاوزون ذلك واما دولة الترك لهذا العهد بالشرق
فيتخذون اولاراية واحدة عظيمة وفي راسها خصلة كبيرة من الشعر يسمونها الشالش والجتر وهي شعار
السلطان عندهم ثم تعدد الرايات وسمونها السناجق واحدها سناجق وهي الراية بلسانهم واما الطبول
فيما لغون في الاستكثار منها وسمونها الكوسات ويبحون لكل امير او قائد عسكري ان يتخذ من ذلك
ما يشاء الا المحترفة خاص بالسلطان واما المجالقة لهذا العهد من امم الافرنجة بالاندلس فكثر شأنهم
اتخاذ الالوية القليلة ذاهبة في الجوصه مداومها قرع الاوتار من الضناير ونفخ الغيطات يذهبون فيها
مذهب الغناء وطريقة في مواطن حروبهم هكذا يبلغنا عنهم وعن وراءهم من ملوك العجم ومن آياته

خلق السموات والارض واختلاف السننكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين
* (السرير) * واما السرير والمنبر والتخت والكرسي وهو اعداد منسوبة او ارائك منسوبة للجلوس
السلطان عليها مرتفعان اهل مجلسه ان يساوهم في الصعود ولم يزل ذلك من سنن الملوك قبل الاسلام وفي
دول الجهم وقد كانوا يجلسون على اسرة الذهب وكان لسليمان بن داود صلوات الله عليه ما وسلامه كرسي
وسمى برمن عاج معشى بالذهب الا انه لا تأخذه الدول الا بعد الاستفحال والترف شأن الابهة كلها كما
قلناه واما في اول الدولة عند البدوة فلا يتشرفون اليه * واقل من اتخذه في الاسلام معاوية واستأذن
الناس فيه وقال لهم اني قد بدنت فاذنوا له فاتخذته واتبعه الملوك الاسلاميون فيه وصار من منازع الابهة
ولقد كان عمرو بن العاصي بصر يجلس في قصره على الارض مع العرب ويأبئه المقوقس الى قصره ومعه
سرير من الذهب محمول على الايدي لجلوسه شأن الملوك فيجاس عليه وهو امامه ولا يغيرون عليه وفاء
له بما اعتقد معهم من الذمة واطراح الابهة الملك ثم كان بعد ذلك لبني العباس والعبيدين وسائر ملوك
الاسلام شرقا وغربا من الاسرة والمنابر والتخوت ما عفا عن الاكسرة والقباصرة والله معقلب الليل والنهار
* (السكة) * وهي الختم على الدينار والدرهم المتعامل بهما بين الناس بطابع حديدية نقش فيه صورة
كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار او الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد
ان يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسكة مرة بعد اخرى وبعد تقدير اشخاص الدراهم
والدينار بوزن معين صحيح يصطلح عليه فيكون التعامل بها عددا وان لم تقدر اشخاصها يكون التعامل بها

العدرو صرح بتقديرات العافين على المنتصر بن الواهبين حقوقهم على المنتقمين فقال
سبحانه وان عافيتهم فاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خيرا للصابرين وهو ذانص لا يجتمل التأويل وتحقيق القول في ذلك ان

وزنا

الانتصار عدل والعقوف فضل وفضل الله أحب اليه من عدله لانه ان عدلنا فما أخذنا بحقه هذا وكان عقابنا رحمة تخلصنا ولو كان العدل يسع الخلائق لما قرنه الله بالاحسان فلما علم ان العدل استقصاه ومناقشه وذلك (١٥٥) مما تضييق عنده النفوس وتخرج

له الصدور زناط الاحسان بالعدل فقال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وأيضا فان الانتصار انتقام وعذاب بلا امتنان والعفو محبة من الله واحسان وأيضا فالانتصار سيئة والعفو حسنة قال الله تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة والدليل على ان الانتصار سيئة قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها غير انها الخماسية سيئة لما كانت نتيجة سيئة لانه لا يجوز الانتصار وهو كقول عمرو بن كلثوم

التغلي

الا لا يجهان أحد علينا
فنجعل فوق جهل الجاهلينا
فسمى الجزاء على الجهل
جهلا وان لم يكن في الحقيقة
جهلا وعن هذارت عائشة
رضي الله عنها قالت ما رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم
منتصرا من مظلمة ظلمها
قط غير انه اذا انتهك شيء
من محارم الله فلا يقوم
لغضبه شيء (وروي) انه
قال ينادي مناد يوم القيامة
من كان له على الله أجر
فليقم فلا يقوم الامن عقا
في الدنيا فان عفوت أيها
الطالب كان أجرك على
الله وان لم تعف كان حقتك

وزنا ولفظ السكة كان اسما للطابع وهي الحديد المنقذة لذلك ثم نقل الى أثرها وهي النقوش المائية على الدنانير والدراهم ثم نقل الى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة فصار علمها في عرف الدول وهي وظيفة ضرورية للملك اذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ويتقون في سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة وكان ملوك العجم يتخذونها وينقشون فيها ما تامل تكون مخصوصة بهما تامل السلطان لعهدا أو تمثيل حصن او حيوان او مصنوع أو غير ذلك ولم يزل هذا الشأن عند العجم الى آخر أمرهم * ولما جاء الاسلام أغفل ذلك اسذاجة الدين وبدوابة العرب وكا توابية تعاملون بالذهب والفضة وزناو كانت دنانير الفرس ودراهمهم بين ايديهم يردونها في معاملتهم الى الوزن ويتصارفون بها بينهم الى أن تفاحش الغش في الدنانير والدراهم لغفلة الدولة عن ذلك وأمر عبد الملك الحجاج على ما نقل سعيد بن المسيب وأبو الزناد بضرب الدراهم وتغيير المغشوش من الخالص وذلك سنة أربع وسبعين وقال المدائني سنة خمس وسبعين ثم أمر بصر فها في سائر النواحي سنة ست وسبعين وكتب عليها الله أحد الله الصمد ثم ولي ابن هبيرة العراق أيام يزيد بن عبد الملك فجود السكة ثم بالغ خالد القسري في تجو يدها ثم يوسف بن عمر بعده وقبل أول من ضرب الدنانير والدراهم مصعب بن الزبير بالعراق سنة سبعة وسبعين بأمر أخيه عبد الله لما ولي الحجاز وكتب عليها في أحد الوجهين بركة الله وفي الآخر اسم الله ثم غيرها الحجاج بعد ذلك بسنة وكتب عليها اسم الحجاج وقدر وزنها على ما كانت استقرت أيام عمر وذلك ان الدرهم كان وزنه اول الاسلام ستة دوانق والمثقال وزنه درهم وثلاثة أسباع درهم فتكون عشرة دراهم بسبعة مثاقيل وكان السبب في ذلك ان أوزان الدرهم أيام الفرس كانت مختلفة وكان منها على وزن المثقال عشرون قيراطا ومنها اثنا عشر ومنها عشرة فلما احتجج الى تقديره في الزكاة أخذ الوسيط وذلك اثنا عشر قيراطا فكان المثقال درهم ما وثلاثة أسباع درهم وقيل كان منها البغلي بثمانية دوانق والطبري اربعة دوانق والمغربي ثمانية دوانق والبغلي ستة دوانق فامر عمر ان ينظر الاغلب في التعامل فكان البغلي والطبري وهما اثنا عشر دنانق وكان الدرهم ستة دوانق وان زدت ثلاثة أسباعه كان مثقالا واذا نقصت ثلاثة أعشار المثقال كان درهمه فلما رأى عبد الملك اتخاذ السكة لصيانة النقدين الجارين في معاملة المسلمين من الغش فعين مقدارها على هذا الذي استقره عهد عمر رضي الله عنه واتخذ طابع الحديد واتخذ فيه كلمات لاصور الان العرب كان الكلام والبلغة أقرب مناجيهم وأظهرها مع ان الشرع ينهي عن الصور فلما فعل ذلك استمر بين الناس في أيام الملة كلها وكان الدينار والدرهم على شكلين مدورين والسكبة عليهم ما في دوائر متوازية يكتب فيها من أحد الوجهين أسماء الله تهللا وتحميذا وصلوة على النبي وآله وفي الوجه الثاني التاريخ واسم الخليفة وهكذا أيام العباسيين والعباسيين والامويين وأما صنفا فلم يتخذوا سكة الا آخر الامر اتخذها منصور صاحب بجاية ذلك ابن حماد في تاريخه ولما جاءت دولة الموحدين كان مما سن لهم المهدي اتخذ سكة الدرهم ربع الشكل وأن يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه ويملا من أحد الجانبين تهللا وتحميذا ومن الجانب الآخر كتابا في السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده ففعل ذلك الموحدون وكانت سكتهم على هذا الشكل لهذا العهد ولقد كان المهدي فيما ينقل ينعث قبل ظهوره بصاحب الدرهم والمر ببع نعمة بذلك المتكلمون بالحد ثان من قبله الخبزون في ملاجمهم عن دولته وأما أهل المشرق لهذا العهد فسكتهم غير مقدره وإنما يتعاملون بالدنانير والدراهم وزنا بالصنجات المقدره بعدة منها ولا

قبل من ظلمك ولان يكون أجرك في ضمان الله تعالى أو ثق من أن يكون قبل مخلوق وأيضا فان لم تعف نلت حقتك بلا زيادة عليه وان عفوت كان حسنة أسديتها لأخيك والله تعالى يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وشفع الاحنف بن قيس في محبوبوس الى السلطان

فقال له ان كان بغير ما فالعقوب يسعه وان كان بر يا فالعدل يسعه (وقيل) لبعض الكتاب بين يدي أمير المؤمنين بلغ أمير المؤمنين عنك
أمر فقال لا أبالي فقيل له ولم لا تبالي (١٥٦) قال ان صدق الناقل وسعني عقوبه وان كذب الناقل وسعني عدله ولم ادخل عينه بن

يطبعون عليها بالسكة نقوش الحكامات بالتخليل والصلاة واسم السلطان كما يفعله اهل المغرب ذلك تقدير
العزيز العليج (ولتختم السكلام) في السكة بذكر حقيقة الدرهم والدينار الشرعيين وبيان حقيقة مقدارهما
وذلك ان الدينار والدرهم مختلفا السكة في المقدار والموازين بالاقاق والامصار وسائر الاعمال والسرع
قد تعرض لذكرهما وعلق كثير من الاحكام بهما في الزكاة والانكحة والحدود وغيرهما فلا بد لهما عنده
من حقيقة ومقدار معين في تقدير تجرى عليهم الاحكامه دون غير الشرعي منهم ما فاعلم ان الاجماع منذ عهد
منذ صدر الاسلام وعهد الصحابة والتابعين ان الدرهم الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبعة مثاقيل من
الذهب والاقية منه اربعين ذرها وهو على هذا سبعة اعشار الدينار ووزن المثقال من الذهب ثنتان
وسبعون حبة من الشعير فالدرهم الذي هو سبعة اعشار خمسون حبة وخمسة حبة وهذه المقادير كلها ثابتة
بالاجماع فان الدرهم الجاهلي كان بينهم على انواع احودها الطبري وهو ثمانية دوانق والبغلي وهو اربعة
دوانق فعملوا الشرعي بينهما وهو ستة دوانق فكانوا يوجبون الزكاة في مائة درهم بعليته ومائة طبرية
نحوه دراهم وسطا وقد اختلف الناس هل كان ذلك من وضع عبد الملك او اجماع الناس بعده عليه كما ذكرناه
ذكر ذلك الخياط في كتاب معالم السنن والمساوردى في الاحكام السلطانية وانكره المحققون من المتأخرين
لما يلزم عليه ان يكون الدينار والدرهم الشرعيين مجهولين في عهد الصحابة ومن بعدهم مع تعاقب الحقوق
الشرعية بهما في الزكاة والانكحة والحدود وغيرهما كما ذكرناه والحق انهما كانا معلومين المقدار في ذلك
العصر لم يجرى ان الاحكام يومئذ بما يتعلق به ما من الحقوق وكان مقدارهما غير مشخص في الخارج
وانما كان متعارفا بينهم بالحكم الشرعي على المقدار في مقدارهما وزنتهما حتى استعمل الاسلام وعظمت
الدولة ودعت الحال الى تشخيصهما في المقدار والوزن كما هو عند الشرع ليستريحوا من كثرة التقدير
وقارن ذلك ايام عبد الملك فمشخص مقدارهما وعينهما في الخارج كما هو في الذهن ونقش عليهما بالسكة
باسمه وتاريخه اثر الشهادتين الايمانيتين وطرح النقود الجاهلية واساحتى خاصت ونقش عليها بالسكة
وتلاشى وجودها فهذا هو الحق الذي لا يحيد عنه ومن بعد ذلك وقع اختيار اهل السكة في الدول على
مخالفة المقدار الشرعي في الدينار والدرهم واختلفت في كل الاقطار والاقاق ورجع الناس الى تصور
مقاديرهما الشرعية ذهنا كما كان في الصدر الاول وصار اهل كل اقليم يستخرجون الحقوق الشرعية
من سكتهم بمعرفة النسبة التي بينها وبين مقاديرها الشرعية واما وزن الدينار باثنتين وسبعين حبة من
الشعير الوسط فهو الذي نقله المحققون وعليه الاجماع الا ان خرم خالف ذلك وزعم ان وزنه اربعة
وثمانون حبة نقل ذلك عنه القاضي عبد الحق وردده المحققون وعدوه وهما غلط وهو الصحيح والله سبحانه
الحق بكلماته وكذلك تعلم ان الاوقية الشرعية ليست هي المتعارفة بين الناس لان المتعارفة مختلفة
باختلاف الاقطار والشرعية متعددة ذهنا لاختلاف فيها والله خلق كل شيء فقدره تقديرا

حصن على عمر بن الخطاب
قال يا ابن الخطاب والله
ما عطيتنا الجزل وما تحكم
بيننا بالعدل فغضب عمر وهم
بان يوقع به فقال ابن اخيه
يا أمير المؤمنين ان الله
تعالى يقول خذ العفو وأمر
بالعرف وأعرض عن
الجاهلين وان هذان
الجاهلين فوالله ما جاوزها
عمر حين تلاها عليه وكان
عمر وفاقا عند كتاب الله تعالى
(وقال) النبي صلى الله
عليه وسلم ارجوا من في
الارض يرجوكم من في
السماء وقال ارحم ترحم
وكان يقال اولى الناس
بالسلطان احقهم بالرأفة
والرحمة وفي الانجيل ارفع
اهل الرحمة لانهم سيرجون
(وقال) سليمان بن داود
عليهما السلام لقد ابغض
الله المتسرعين الى اراقة
الدماء فاليهم انتهت القسوة
والغلظة والتباعد من
الرحمة ولما تمكن داود
من قتل جالوت ابقى عليه
وهو يومئذ عدوه وطالبه
وقال يارب اعظم دمي في
عين أعدائي كما عظمت في
عيني دم عدوي وكذلك
خاصني من جميع المهوم
وقالت حكيم الهند لاسودد
مع انتقام ولا سياسة مع
عزارة نقس وعجب (وقالت) الحكيم ليس الافراط في شيء اجود منه في العفو ولا هو في شيء اقبح منه في
العفو به وكذلك التقصير مذموم في العفو محمود في العفو به واعلم انك ان تخطى في العفو في ألف قضية خير من ان تخطى في العفو به في

التي
العفو به وكذلك التقصير مذموم في العفو محمود في العفو به واعلم انك ان تخطى في العفو في ألف قضية خير من ان تخطى في العفو به في

قضية واحدة (وقال) معاوية اثنى لارفع نفسه ان يكون ذنب أعظم من عقوى وجهه ل أكبر من حلمي وعورة لا يوارها سترى (وقال)
المؤمن ليس على في الحلم مؤنة ولوددت ان أهل الجرائم علموا رأيت في العقوق ذهب (١٥٧) الخوف عنهم فتخلص لي قلوبهم

وقال رجل لئذ تصور يا أمير المؤمنين ان الانتقام انتصاف والتجاوز فضل والمتجاوز قد تجاوز حد المنصف ونحن نعيذ أمير المؤمنين أن يرضى لنفسه باوكس النصيبين وأن لا يرتفع الى أعلى الدرجتين فاعف عنا يهف الله عنك فعاغف عنهم وأنشدوا

واذا بنى باع عليك بجعله فاقبله بالمعروف لا بالمنكر وقال بعضهم لمسلم بن قتيبة ما عفا عنه والله ما أدري أيها الأمير أي يوميك أشرف أيوم ظفرت أم يوم عقوت وقال الشاعر

ما زالت في العقول الذنوب واط لاقل جان بحرمة علق حتى تمنى العفاة أنهم هو عندك أمسوا في القيد والحلق

ورفع الى انوشروان ان العامة تؤنب المالك في معاودة الصمغ عن المذنبين مع تبايعهم في الذنوب فوقع المذنبون مرضى ونحن اطباء وليس معاودة الداء باهم مما نعنا من معاودة العلاج لهم (وقال) عمر بن عبد العزيز رحمه الله ما قرن شيء الى شيء أفضل من حلم الى علم ومن عفو الى قدرة (وقال) رجل لعبد الملك

التي تجعل في الاصبح ومنه تختم اذ البسه و يطلق على النهاية والتمام ومنه ختمت الامراذ بلغت آخره وختمت القرآن كذلك ومنه خاتم النبيين وخاتم الامر و يطلق على السداد الذي يسد به الاواني والذنان و يقال فيه ختام ومنه قوله تعالى ختامه مسك وقد غلط من فسر هذا بالنهاية والتمام قال لان آخرا يجدونه في شراهم ربح المسك وليس المعنى عليه وانما هو من الختم الذي هو السداد لان الختم يجعل لها في الدن سداد الطين او القار يحفظها او يطيب عرفها وذوقها فبولغ في وصف ختم الجنة بان سدادها من المسك وهو اطيب عرفها وذوقها من القار والطين المعهودين في الدنيا فاذا صح اطلاق الختم على هذه كلها صح اطلاقه على اثرها الناشئ عنها وذلك ان الختم اذا نقشت به كلمات او اشكال ثم غمست في مداف من الطين او مداد ووضع على صفح القرماس بقي اكثر الكلمات في ذلك الصفح وكذلك اذا طبع به على جسم لين كالشمع فانه يبقى نقش ذلك المكتوب مرتسا فيه واذا كانت كلمات وارتمت فقد يقرأ من الجهة اليسرى اذا كان النقش على الاستقامة من اليمنى وقدية - رأمن الجهة اليمنى اذا كان النقش من الجهة اليسرى لان الختم يقرب جهة الخط في الصفح عما كان في النقش من يمين او يسار فيحتمل ان يكون الختم بهذا الختم بنفسه في المداد او الطين ووضعه على الصفح فتنقش الكلمات فيه ويكون هذان من معنى النهاية والتمام بمعنى صحة ذلك المكتوب ونفوذه كأن السكاب انما يتم العمل بهذه العلامات وهو من دونها ما يغني ليس بتمام وقد يكون هذا الختم بالخط آخر السكاب او اوله بكلمات منتظمة من تحميمه او تسبيح او باسم السلطان او الامير او صاحب السكاب من كان او شيء من نوعه يكون ذلك الخط علامة على صحة السكاب ونفوذه و يسمى ذلك في المنعارف علامة ويسمى ختما تشبيها له بالخراتيم الا تصفى في النقش ومن هذا خاتم القاضي الذي يبعث به للتصوم أي علامته وخطه الذي يتفخه بها احكامه ومنه خاتم السلطان او الخليفة أي علامته قال الرشيد يحيى بن خالد لما اراد ان يستوزر جعفر او يستبدل به من الفضل اخيه فقال لا يهيم يحيى يا ابي اني اردت ان احول الخاتم من يميني الى شمالي فكيف له بالخاتم عن الوزارة لما كانت العلامة على الرسائل والصكوك من وظائف الوزارة لعهددهم ويشهد له هذه الاطلاق ما نقله الطبري ان معاوية ارسل الى الحسن عند مرادته اياه في الصلح صحيفة بيضاء ختمت على أسفلها وكتب اليه ان اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت اسفلها ما شئت فهو المالك ومعنى الختم هنا علامة في آخر الصحيفة بخطه واغيره ويحتمل ان يختم به في جسم لين فتنقش فيه حروفه ويجعل على موضع الختم من السكاب اذا خرم وعلى المودوعات وهو من السداد كما مر وهو في الوجهين آثار الخاتم فيطلق عليه خاتم واول من اطلق الختم على السكاب أي العلامة معاوية لانه امر لعمر بن الزبير عند زياد بالكوفة بمائة الف ففتح السكاب وصير المائة مائتين ورفع زياد حسابه فانكره معاوية وطلب بهما عمر وحده حتى قضاهما عنه أخوه عبد الله واتخذ معاوية عند ذلك ديوان الخاتم ذكره الطبري وقال آخره وحزم السكاب ولم تكن تحزم أي جعل لها السداد وديوان الختم عبارة عن السكاب القائم على انفاذ كتب السلطان والختم عليها اما بالعلامة او بالحزم وقد يطلق الديوان على مكان جالس هؤلاء السكاب كما ذكرناه في ديوان الاعمال والحزم للكتب يكون اما بدس الورق كما في عرف كتاب المغرب واما بلصق رأس الصحيفة على ما تنطوى عليه من السكاب كما في عرف أهل المشرق وقد يجعل على مكان الدس او اللصاق علامة يؤمن معها من فتحه والاطلاع على ما فيه فاهل المغرب يجعلون على مكان الدس قطعة من الشمع ويختمون عليها بخاتم نقشت فيه علامة لذلك فيرسم النقش في الشمع وكان في المشرق في الدول القديمة يختم على مكان اللصق

ابن مروان لما ظفر بالمهلب ما رايت أحدا يا أمير المؤمنين ظلم ظلمك ولا نصر نصرك ولا عفا عفوك (وقال) بعض التابعين لما عقب مستدع لعداوة اولياء المذنب والعاني مستدع لشكرهم أو مكافأتهم أيام قدرتهم ولان يثنى عليك باتساع الصدر خير من أن تنسب الى

ضمة واقالة العشرة موجبة اقالة شريك من ريك وعقوبك عن الناس موصول بعقوالله عنك وعقابك موصول بعقاب الله تعالى لك
والله يحب العاقين (وقال) المنصور (١٥٨) عقوبة الاحرار التعريض وعقوبة الاشرار التصريح (وقال) المأمون لما رايت الذنوب

جئت عن الحجازة بالعقاب جعلت العقاب فيها عوا أمضى من الضرب للرقاب وقال الاحنف لا تزال العرب بينة الفضل ما لم تعد العقوض بما والبذل سرفا وفي المحكمة اذا انتقمت فقد انتصفت واذا عفوت فقد انتقضت (وقال) بعض الحكماء اقبل العذرون كان مصنوعا الا ان يكون ممن أوجبت المروعة قطبته أو يكون في قبولك عذره تشجبه على المكر وه أو عونه على الشرفان قبولك للعذرية اشتراك في المنكر (ولما دخل) الفيل دمشق حشر الناس لرؤيته وصعد معاوية الى عليته له متطعا فيسنا هو كذلك اذ نظر في بعض الحجرى قصره رجلا مع بعض حرمة فأتى الحجره وودق الباب فلم يكن من فتحه بدفوقعت عينه على الرجل فقال يا هذا أتى قصرى وتحت جناحى تهتك حرى وأنت فى قبضتى ما جعلك على ذلك فهت الرجل وقال حملك أوفعنى قال له معاوية فان عفوت عنك تسترها على قال نعم فخلنى سبيله وهذا من الدهاء العظيم والحلم الواسع أن يطلب السترن الجافى وهو عروض قول الشاعر اذا مرضنا أنيناكم نعودكم * وتذنبون فنأنيكم فنعتذر (وأنى موسى الهادى) برجل قد جنى فعمل يعرعه بذنوبه ويتهدده فقال اعتذارى مما تقررنى به رد عليك واقرارى بما ذكرت به ذنب

بختام متقوش أيضا قد غس في مداف من الطين معد لذلك صبغه احمر فيرسم ذلك النقش عليه وكان هذا الطين في الدولة العباسية يعرف بطين الختم وكان يجلب من سيراف فيظهر أنه مخصوص بها فهذا الخاتم الذى هو العلامة المكتوبة والنقش للساد والحمز للكتب خاص بديوان الرسائل وكان ذلك للوزير في الدولة العباسية ثم اختلف العرف وصار ان اليه الترسيل وديوان الكتب في الدولة ثم صاروا في دول المغرب يعدون من علامات المالك وشاراته الخاتم للاصبع فيستعيدون صوغه من الذهب ويرصونه بالفصوص من الياقوت والغير زوج والزردوي يلبسه السلطان شارة في عرفهم كما كانت البرقة والقضيب في الدولة العباسية والمظلة في الدولة العبيدية والله مصرف الامور بحكمه
* (الطراز) * من ابهة الملك والسلطان ومذهاب الدول أن ترسم اسمائهم وعلامات تختص بهم في طراز أثوابهم المعدة لباسهم من الحرير أو الدياتج أو الابريسم تعتبر كتابة خطها في نسج الثوب الحماوسى يخط الذهب او ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب على ما يحكمه الصناع في تقدير ذلك ووضعها في صناعة نسجهم قصير الثياب الملوكية معلما بذلك الطراز قصدا للتنبؤ به بلاسها من السلطان فن دونه او الثوب به من يختصه السلطان بملبوسه اذا قصد نشره بذلك او ولاية لوظيفة من وظائف دولته وكان ملوك العجم من قبل الاسلام يجعلون ذلك الطراز بصور الملوك واشكالهم او اشكال وصور معينة لذلك ثم اعتاض ملوك الاسلام عن ذلك بكتب اسمائهم مع كلمات أخرى تجرى مجرى القال أو السجلات وكان ذلك في الدولتين من ابهة الامور وأنعم الاحوال وكانت الدول المععدة لنسج اثوابهم في قصورهم تسمى دور الطراز لذلك وكان القائم على النظر فيها يسمى صاحب الطراز ينظر في أمورا الصباغ والآلة والحماكة فيها وأجزاء رزاقهم وتسهيل آلائهم ومشاركة اعمالهم وكانوا يقدرون ذلك الخواص دولتهم وثقات مواليهم وكذلك كان الحال في دولة بنى أمية بالاندلس والطوائف من بعدهم وفي دولة العبيديين بمصر ومن كان على عهدهم من ملوك العجم بالشرق ثم لما ضاق نطاق الدول عن الترف والتفنن فيه اضيق نطاقها في الاستيلاء وتعدت الدول تعطلت هذه الوظيفة والولاية عليها من أكثر الدول بالجملة * ولما جاءت دولة الموحدين بالمغرب بعد بنى أمية أول المائة السادسة ولم يأخذوا بذلك أول دولتهم لما كانوا عليه من منازع الديانة والسذاجة التي اقنوها عن امامهم محمد بن تومرت المهدي وكانوا يتودعون عن لباس الحرير والذهب فسقطت هذه الوظيفة من دولتهم واستدرك منها اعقابهم آخر الدولة طرفا لم يكن بتلك النبلة واما لهذا العهد فادركنا بالمغرب في الدولة المرينية لعنفواتها وشموخها رسمها جليلا لقنوه من دولة ابن الاجر معاصرهم بالاندلس واتبع هو في ذلك ملوك الطوائف فأتى منه بلمحة شاهدة بالاثر * واما دولة الترك بمصر والشام لهذا العهد فقيه من الطرز تجرير آخر على مقدار ملكهم وعمران بلادهم الا ان ذلك لا يصنع في دورهم وقصورهم وليست من وظائف دولتهم وانما ينسج ما تطلبه الدولة من ذلك عند صناعه من الحرير ومن الذهب الخالص ويعمونه المزر كس لفظة العجمية ويرسم اسم السلطان أو الامير عليه وبعده الصناع لهم فيما يعدونه للدولة من طرف الصناعة اللائقة بها والله مع مدبر الليل والنهار والله خير الوارثين

(القساطيط والسياج)

اعلم ان من شارات الملك وترفه اتخاذ الاخبية والقساطيط والغازات من ثياب السكك والصوف والقطن بجدل السكك والقطن فيها هي بهافي الاسفار وتنوع منها الالوان ما بين كبير وصغير على نسبة الدولة في

الثروة

ولكني أقول فان كنت ترجو في العقوبة راحة * فلا تزدن عند المعافاة في الاجر فامر باطلاقة (وقال المهلب) لاشئ أبقى للملك من العقوبة فان الملك اذا وثقت رعيته منه بحسن العقول يوحشها الذنب وان عظم (١٥٩) وان خشيت منه العقوبة أو وحشها الذنب

وان صغر حتى يضطره ذلك الى المعصية ومن الحكمة البالغة في مثل هذا قول سابور وودجج اولاده فقال يا بني ان عجزك ان عاقبوا لوب الرعية حبا فاملوها خوفا وليس ذلك بان يحمل العقوبة على من لا يستحقها ولكن تعجيلها لمن يستحقها وفي هذا المعنى قال الله تعالى فشردهم من خلفهم وهذا معنى لا يتخلل عما وجبناه وهو معنى قول سابور ولا يخالف ما تقرنا من حسن العقول هذا محمول على الواجب المستحق أو على ما تفرقه اغرار بركون أمثاله فهنا يكون العقوب مفسدة في اليها المعاقب اذا لقت على مذنب عقوبه فلا تكن كالمثشي المتلذذ بعذابه لانك واياه اخوان لاب وأم آدم وحواء لم تفضل به وملك وقوتك بل بما فضلك الله به تطولا عليك فاذا كرت في مقامه وكان في مقامك ولا تأمن تغلب الدهر فتم ومقامه بين يدي من لا يرجح ولا ينظر في العواقب واحذر التفریط والتقصير واقم نفسك مذنباً اقم للعقوبة وليكن عقابك مقدراً كما

الثروة واليسار وانما يكون الامر في اول الدولة في بيوتهم التي جرت عاداتهم بتخاذها قبل الملك وكان العرب لعهد الخلفاء الاولين من بني امية انما يسكنون بيوتهم التي كانت لهم خياما من الوبر والصوف ولم تنزل العرب لذلك العهد بادين الا الاقل منهم فكانت اسفارهم لغزواتهم وحروبهم بطعونهم وسائر حلالهم واحباتهم من الاهل والولد كما هو شأن العرب لهذا العهد وكانت عساكرهم لذلك كثيرة الحبل بعيدة ما بين المنازل متفرقة الاحياء يعيب كل واحد منها عن نظر صاحبه من الاخرى كشأن العرب ولذلك ما كان عبد الملك يحتاج الى ساقه تحشد الناس على اثره ان يقيموا الاظمن وتقبل انه استعمل في ذلك الحجاج حين اشار به روح بن زباع وقصته في احراق فساطط روح وخيامه لا اول ولا يته حين وجدهم معيّن في يوم رحيل عبد الملك قصة مشهورة ومن هذه الولاية تعرف رتبة الحجاج بين العرب فانه لا يتولى ارادتهم على الظعن الامن يا من يواد السقهاء من احيائهم بماله من العصبية الحائلة دون ذلك ولذلك اختصه عبد الملك بهذه الرتبة ثقة بغناؤه فيها بعصيته وصرامته فلما تغننت الدولة العربية في مذاهب الحضارة والبدخ ونزلوا المدن والامصار وانما سكنى الخيام الى سكنى القصور ومن ظهر الخف الى ظهر الحافر اتخذوا للسكنى في اسفارهم ثياب السكك يستعملون منها يابوتا مختلفة الاشكال مقدرة الامثال من القورا والمسقطيلة والمربعة ويختلفون فيها بالبلغ مذاهب الاحتفال والزينة ويدير الامير والقائد للعساكر على فساططه وفازاته من بينهم سياج من السكك يسمى في المغرب بلسان البربر الذي هو لسان اهله افرالك بالسكاف التي بين السكاف والقاف ويختص به السلطان بذلك القطر لا يكون غيره * واما في المشرق فيتخذ كل امير وان كان دون السلطان ثم جئتم الدعوة بالنساء والولدان الى المقام بقصورهم ومنزلهم فخفف لذلك ظهرهم وتقاربت الساح بين منازل العسكر واجتمع الجيش والسلطان في معسكر واحد يحصره البصر في بسطة زموا انيقا للاختلاف ألوانه واستمر الحال على ذلك في مذاهب الدول في بندها وترتها وكذا كانت دولة الموحدين وزناته التي اظننا كان سفرهم اول أمرهم في بيوت سككهم قبل الملك من الخيام والقياطن حتى اذا أخذت الدولة في مذاهب الترف وسكنى التصور عادوا الى سكنى الاخبية والقساطيط وبلغوا من ذلك فوق ما ارادوه وهو من الترف بمكان الا ان العساكر به تصير عرضة للبيات لاجتماعهم في مكان واحد تشملهم فيه الصيحة ولحقتهم من الاهل والولد الذين تكون الاستماتة دونهم فيحتاج في ذلك الى تحفظ آخر والله القوي العزيز

(المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة)

وهما من الامور الخلاقية ومن اشارات الملك الاسلامي ولم يعرف في غير دول الاسلام * فاما البيت المقصورة من المسجد اصله السلطان فيتخذ ساجدا على المحراب فيجوز له وما يلبه فاول من اتخذها معاوية بن ابي سفيان حين طعنه الخارجي والقصة معروفة وقيل اول من اتخذها امر وان بن الحكم حين طعنه اليما في ثم اتخذها الخلفاء من بعدهم واصارت سنة في تمييز السلطان عن الناس في الصلاة وهي انما تحدث عند حصول الترف في الدول والاستئجال شأن احوال الابهة كلها وما زال الشأن ذلك في الدول الاسلامية كلها وعند افتراق الدولة العباسية وتعدد الدول بالشرق وكذا بالاندلس عند تفرق ارض الدولة الاموية وتعدد ملوك الطوائف واما المغرب فكان بنو الاغلب يتخذونها بالقبير وان ثم الخلفاء العبيديون ثم ولاتهم على المغرب من صنهاجة بنو باديس بفاس وبنو حجاب بالقلعة ثم ملك الموحدون سائر المغرب والاندلس ومحو ذلك الرسم على طريقة البدادة التي كانت شعارهم ولما

كان عطاؤك مقدرا وليكن عقابك للتقويم لا للانتقام ولزجر لا للهوى وعن هذا قال بنو رجهم لا ينبغي للملوك ان يكرموا احدا منهم وان ليس للهوان أهلا ولا ابن يهينوا احدا باكرام من ليس للكرامة أهلا لا تسكن على الاساءة أقوى من ادعى على الاحسان ولا على البخل أسرع

منك الى البذل قال الشاعر صفوح عن الاجرام حتى كانه * من العقول يعرف من الناس مجرما فليس يبالي ان يكون به الاذي *
اذا ما الاذي بالكره لم يغش مسلما (١٦٠) (وقال سليمان بن داود) عليهما السلام التمسك بالبر والعقوبة أمنية الملك الشريف

استعانت الدولة وأخذت بحظها من الترف وجاء أبو يعقوب المنصور ثالث ملوكهم فاتخذ هذه المقصورة
وبقيت من بعده سنة ملوك المغرب والاندلس وهكذا كان الشأن في سائر الدول سنة الله في عبادته *
(واما الدعاء على المنابر) في الخطبة فكان الشأن اولاً عند الخلفاء ولاية الصلاة بأنفسهم فكانوا ايدعون
لذلك بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والرضاعن أصحابه وأول من اتخذ المنبر عمرو بن العاصي لما
بنى جامع مصر وأول من دعا للخليفة على المنبر ابن عباس دعا على رضي الله عنهم في خطبته وهو بالبصرة
عامل له عليها فقال اللهم انصر علياً على الحق واتصل العمل على ذلك فيما بعد وبعدها أخذ عمرو بن العاصي
المنبر بلع عمر بن الخطاب ذلك فكتب اليه عمر بن الخطاب اما بعد فقد بلغني انك اتخذت منبراً ترقى به على
رقاب المسلمين او ما يكفيك ان تكون قائماً والمسلمون تحت عقبك فغزمت عليك الاما كسرتة فلما حدثت
الابهة وحدث في الخلفاء المانع من الخطبة والصلاة استنابوا فيهما فكان الخطيب يشيد بكر الخليفة
على المنبر تنويها باسمه ودعاه له بما جعل الله مصلحة العالم فيه ولان تلك الساعة مظنة للاجابة وما نثرت
عن السلف في قولهم من كانت له دعوة صالحة فليضعها في الساطن وكان الخليفة يقر بذلك فلما جاء
الحجر والاستبداد صار المتغلبون على الدول كثير ما يشاركون الخليفة في ذلك ويشاد باسمهم عقب اسمه
وذهب ذلك بذهاب تلك الدول وصار الامر الى اختصاص السلطان بالدعاء له على المنبر دون من سواه
وحظر ان يشاركه فيه احد او يسعوا اليه وكثير ما يغفل الماهدون من اهل الدول هذا الرسم عند
ما تكون الدولة في أسلوب الغضاضة ومن احيى البداوة في التغافل والخشونة ويقنعون بالدعاء على الابهام
والاجمال لمن ولي امور المسلمين ويسعون مثل هذه الخطبة اذا كانت على هذا المنحى عباسية يعنون
بذلك ان الدعاء على الاجمال انما يتناول العباسي تقليداً في ذلك لسلف من الامر ولا يحفلون بما وراء
ذلك من تعيينه والتصريح باسمه * يحكى أن يعمر اسن بن زيان ماهد دولة بني عبد الواد لما غلبه الامير
ابوز كرى يحيى بن ابي حفص على تلسان ثم بدله في اعادة الامر اليه على شروط شرطها كان فيها ذكر اسمه
على منابر عمله فقال يعمر اسن تلك اعود هم يذكرون عليها من شاءوا وكذلك يعقوب بن عبد الحق ماهد
دولة بني مرين حضره رسول المستنصر الخليفة بنونس من بني ابي حفص وثالث ملوكهم وتختلف بعض
أبامه عن شهود الجماعة فقيل له لم يحضر هذا الرسول كراهية لخطبة من ذكر سلطانه فأذن في الدعاء له
وكان ذلك سبباً لاختلافهم بدعوتهم وهكذا شأن الدول في بدايتها وتمكنها في الغضاضة والبداءة فاذا
انتهت عميون سياستهم ونظروا في اعطاف ملكهم واستتموا وشايات الحضارة ومعاني البذخ والابهة انحلوا
جميع هذه السمات وتفتنوا فيها وتجاروا الى غايتها وأنفوا من المشاركة فيها وخرجوا من اقتقادها واخلوا
ذولتهم من آثارها والعالم بستان والله على كل شيء قدير

٣٨ * (فصل في الحروب ومذاهب الامم في ترتيبها)

اعلم ان الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليفة منذ رآها الله وأصلها ارادة انتقام بعض البشر من
بعض ويتعصب لكل منها اهل عصيته فاذا تذا امر والدلك وتوافق الطائفتان احدهما تطلب الانتقام
والاخرى تدافع كانت الحرب وهو أمر طبيعي في البشر لا تتخلى له عنه امه ولا جيل وسبب هذا الانتقام
في الاكثر ما غيرة ومنافسة واما عدوان واما غضب لله ولدينه واما غضب للبلد وسبب في تمهيد هذه القالول
أكثر ما يجري بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة والثاني وهو العدوان أكثر ما يكون من الامم
الوحشية الساكنين بالقرى كالعرب والترك والتركان والاكراد واسباهم لانهم جعلوا أرواقهم في رماحهم

وعلى مثله يبعث الله ملكا
غير رحيم وقال معاوية لا
ينبغي للملك ان يظهر منه
غضب أو رضا الاثواب
أو عقاب وقال اردشير فضل
الملك على السوق انما
هو بقدرة على اقتناء
الحامد واستنقاد المكارم
فكلما استكثر منها بانت
فضيلته واستحقاقه لموضع
من الولاية عليهم وكما
نقص منهم ما قرب من
السوق (وقال المأمون)
انني لاجد لعقوى لذة أعظم
من لذة الانتقام واعلم انه
اذا عاقب الملك أو أهان
على ظن غير يقين أدخل
على نفسه من قبح الخطا في
الرأى أعظم مما أدخل على
صاحبه من العقوبة وقال
عمر بن الخطاب رضي الله
عنه الغالب بالشر مغلوب
وما ظفر من ظفر بالاشم
(وقيل) لا فلاتون أى
شيء من أفعال الناس يشبه
أفعال الله تعالى فقال
الاحسان الى الناس وقال
الحكيم الخ لم تقدم السفيه
والعقور زكاة العقل وقال
الحكيم السديد الذي لا
يشين حسن الظفر بقب
الانتقام وخير مناقب
الملوك العفو وكان يحيى
ابن معاذ يقول سبحان من

أذل العبد بالذنب وأذل الذنب بالعفو الهى ان عفوت فخير راحم وان عذبت فغير ظالم الهى ان كنت
لاترضى الا عن أهل طاعتك فكيف يصنع الخاطون وان كان لا ير جوك الا أهل وفائك فمن يستغيب المستغيبون وقال الشاعر
ومعاشهم

وان الله ذو حلم ولا يكن * لعز الحلم ينختم الحليم (وروي ان الحجاج) اخذ القطري بن الفجاءة فقال لا تقتلني قال ولم قال لخروج اخي
على قال فان مني كتاب امير المؤمنين ان لا تأخذني بذنب اخي قال هاته قال ان مني او كلمه (١٦١) قال الله تعالى ولا تزر وازرة

وزر اخرى فنعجب من
جوابه وخلي سبيله ولما
وقد عقيل بن ابي طالب
على معاوية امره بمائة
الف درهم فلما اراد
الاتصاف رأى في الطريق
جارية باربعين الف
درهم فرجع الى
معاوية فاخبره قال وما
تصنع بها قال تلدي
غلاما فان غضبتني
يضرب مفرقك بالسيف
فامر له بها فابتاعها فولدت
له مسلم بن عقيل ثم قدم
مسلم الشام فابتاع منه
معاوية بضعة فبلغ الحسين
ابن علي الخبر فكتب الى
معاوية اتى لا اجيز بيع
مسلم فارسل معاوية الى
مسلم فقال هذا كتاب الحسين
يا امر برد المال فقال مسلم
اما دون ان اضرب
مفرقك بالسيف فلا
فضحك معاوية وقال والله
لقد تهددني ابوك بذلك
قبل ان يشترى امك
وسوغه المال فقال الحسين
غلبنا معاوية حيا وجودا
* (الباب السابع والعشرون
في المشاورة والنصيحة) *
وهذا الباب مما يعده
الحكام من اساس
المملكة وقواعد السلطنة
ويقتد به الراس
والمرؤس وقد ذكرناه في

ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعه آذونه بالحرب ولا بغية لهم فيما وراء ذلك من رتبة
ولامالك وانما هم ونصب اعيانهم غلب الناس على ما في ايديهم والثالث هو المسمى في الشريعة بالجهاد
والرابع هو حروب الدول مع الخارجين عليها والمنايعن اطاعتها فهذه اربعة اصناف من الحروب الصنفان
الاولان منها حروب بنى وقتنة والصنفان الاخيران حروب جهاد وعدل وصفة الحروب الواقعة بين الخليفة
منذ اول وجودهم على نوعين نوع بالزحف صفة وفانوع بالكر والفرما الذي بالزحف فهو قتال العجم
كاهم على تعاقب اجيالهم واما الذي بالكر والفر فهو قتال العرب والبربر من اهل المغرب وقاتل الزحف
او ثق واشد من قتال الكر والفر وذلك لان قتال الزحف ترتب فيه الصفة وقوف وتسوي كما تسوي القداح
او صفة وقوف الصلاة ويمشون بصفة وفهم الى العدو وقدما فلذلك تكون اشد عند المصارع واصدق في القتال
وارهب للعدو لانه كالخيل الممتد والقصر المشيد لا يطعم في ازالته وفي التنزيل ان الله يحب الذين يقتلون
في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص اي يشد بعضهم ببعض بالثبات وفي الحديث الكر يم المؤمن للمؤمن
كالبنيان يشد بعضه ببعض ومن هنا يظهر لك حكمة ايجاب الثبات وتحرير التولي في الزحف فان المقصود
من الصف في القتال حفظ النظام كما قلناه فن ولي العدو ظهره فقد اخل بالمصاف وباعث المزيمة ان وقعت
وصار كانه جرها على المسلمين وامكن منهم عدوهم فعظم الذنب لعموم المقصد وتهدية الى الدين بخرق
سبب اجبه فعد من الكبار ويظهر من هذه الادلة ان قتال الزحف اشد عند الشارع واما قتال الكر والفر
فليس فيه من الشدة والامن من الهزيمة ما في قتال الزحف الا انهم قد يتخذون وراءهم في القتال مصافا
ثابتا يلجئون اليه في الكر والفر ويقوم لهم مقام قتال الزحف كما نذكره بعد ثم ان الدول القديمة الكثيرة
الجنود المتسعة الممالك كانوا يتعمون الجيوش والعساكر اقسامها بعونها كراديس ويسوون في كل
كردوس صفة وسبب ذلك انه لما كثرت جنودهم الكثرة البالغة وحشدوا من قاصية النواحي استدعى
ذلك ان يجهل بعضهم بعضا اذا اختلطوا في مجال الحرب واعتوروا مع عدوهم الطعن والضرب فيخشي من
تدافعهم فيما بينهم لاجل النكر او جهل بعضهم ببعض فلذلك كانوا يتعمون العساكر وجوعا يضعون
المتعارفين بعضهم لبعض ويرتبونها قريبان من الترتيب الطبيعي في الجهات الاربع ورئيس العساكر كلها
من سلطان او قائد في القلب ويسعون هذا الترتيب التعبية وهو مذكور في اخبار فارس والروم والدولتين
صدر الا سلام فيجعلون بين يدي المالك عسكر المنفرد بصفوفه متميزا بقائد ورأيته وشعاره ويسعون المقدمة
ثم عسكر اخر من ناحية اليمن من موقف الملك وعلى سميته يسعون الميمنة ثم عسكر اخر من ناحية الشمال
كذلك يسعون الميسرة ثم عسكر اخر من وراء العسكر يسعون الساقة ويقف الملك واصحابه في الوسط بين
هذه الاربع ويسعون موقفه القلب فاذا تم لهم هذا الترتيب المحكم اما في مدى واحد للبصر او على مسافة
بعيدة اكثرها اليوم واليوم ان بين كل عسكر من منها وكيفية اعطاء حال العساكر في القلعة والكثرة
تجبت يكون الزحف من بعدهم التعبية وانظر ذلك في اخبار الفتوحات واخبار الدولتين بالشرق وكيف
كانت العساكر لعده عبد الملك تتخلف عن رحبه له لبعده المدى في التعبية فاحتجيج لمن يسوقها من خلفه
وعين لذلك الحجاج بن يوسف كما اشرنا اليه وكما هو معروف في اخباره وكان في الدولة الاموية بالاندلس
ايضا كثير منه وهو مجهول فيما لينا نالما ادر كناد ولا قلي له العساكر لانه انتهى في مجال الحرب الى
التناكر بل اكثر الجيوش من الطائفتين من اعاجيمهم لدينا حله او مدينة ويعرف كل واحد منهم قرنه
ويناديه في حومة الحرب باسمه ولقبه فاستغنى عن تلك التعبية

(٢١ - ابن خلدون) باب الخصال القرانية ونذكره هنا فوائدها ومحاسنها العلماء والمستشير وان كان افضل رأيا من المشير فانه يزداد
برأيه رأيا كما تزداد النار بالسليط ضوا فلا يقدح في روعك انك اذا استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى رأي غيرك فيمنعك

ذلك عن المشاورة فانك لاترى الرأي للفخر به ولكن للانتفاع به فان أردت الذكرك ان خزلذك وأحسن عند ذوى الالباب لسياستك ان يقولوا لا ينقدربأيه دون ذوى الرأي (١٦٢) من اخوانه ولا يمنعك عزمك على انقاذريك وظهورصوابه للعب عن الاستشارة

الاترى ان ابراهيم عليه السلام أمر بذيح ابنة عزمة لامشورة فيها فعمله حسن الادب وعلمه بموقعه في النفوس على الاستشارة فيه فقال فيه يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ما ذاترى وهذا من أحسن ما برسم فى هذا الباب وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الرأى الفرد كالخطيب السجيل والرايان كالخطيبين والثلاثة الراء لا تسكاد تنقطم ويروى ان روميا وفارسا يتفاحرا فقال الفارسى نحن لانملك علينا من يشاور وقال الرومى ونحن لانملك علينا من لا يشاور وقال بزرجهرا اذا أشكل الرأى على الحازم كان بمنزلة من أضل لؤلؤة فجمع ما حـ ول مسقطها فالتسها فوجدها كذلك الحازم يجمع وجوه الرأى فى الامر المشكل ثم يضرب بعضها ببعض حتى يخلص له الصواب (وكان) يقال من كثرت استشارته حدث امامته وفى حكم الهندقال بعض الملوك ان الملك الحازم يزداد برأى الوزراء الحزمة كما يزداد البحر بمواده من الانهار وينال بالحزم والرأى ما لا يتاله بالقوة

(فصل) ومن مذاهب أهل الكرو والفر فى الحروب ضرب المصاف وراه مسكرهم من الجهادات والجهادات العجم فيتخذونها للمجالحة فى كرههم وفهم يطلبون به ثبات المقاتلة ليكون ادوم للحرب وأقرب الى الغلب وقد يقبله أهل الزحف أيضا ليزيدهم ثباتا وشدة فقد كان الفرس وهم أهل الزحف يتخذون القيد فى الحروب ويحملون عابها أبراجا من الخشب أمثال الصروح مشكونة بالمقاتلة والسلاح والرايات ويصفونها وراهم فى حومة الحرب كأنهم حصون فتقوى بذلك نفوسهم ويزدادون ثوقهم وانظر ما وقع من ذلك فى القادسية وأن فارس فى اليوم الثالث اشتدوا بها على المسلمين حتى اشتدت رجالات من العرب فخالطوهم وبعجوها بالأسبوف على خراطيمها فنقرت ونكصت على أعقابها الى مرابضها بالمداش فجفاه مسكر فارس لذلك وانهمزوا فى اليوم الرابع * وأما الروم وملوك القوط بالاندلس وأكثر العجم فكانوا يتخذون لذلك الاسرة ينصبون للملك سريره فى حومة الحرب ويحف به من خدمه وحاشيته وجنوده من هو زعيم بالاستماتة دونه وترفع الرايات فى أركان السرى ويحشدق به ساجد آخر من الرماة والرجال فى عظيم هيكل السرى ويصير فئة للمقاتلة والمجالحة والفرو جعل ذلك الفرس أيام القادسية وكان رستم جالس فيها على سريره نصبه لمجوسه حتى اختلفت صفوف فارس وخاطه العرب فى سريره ذلك فتحول عنه الى القران وقتل وأما أهل الكرو والفر من العرب وأكثر الامم البدوية الرحالة فبصقون لذلك ابائهم والظهر الذى يحمل ظعاثهم فيكون فئة لهم ويسعونها المجدفة وليس امته من الامم الا وهى تفعل ذلك فى حروبها وتراه اوثق فى الجولة وآمن من الغرة والمزيمه وهو أمره شاهد وقد اغفلته الدول لعهدنا بالحج له واعتاضوا عنه بالظهر الحامل للانقال (١) والفساطيط يجعلونها ساقفة من خلفهم ولا تغنى غناء القبيلة والابل فصارت العساكر بذلك عرضة للهزائم ومستشعرة للقران فى المواقف وكان الحرب اول الاسلام كله زحفا وكان العرب انما يعرفون الكرو والفر لكن جعلهم على ذلك اول الاسلام امران احدهما ان عدوهم كانوا يقاتلون زحفا فيضطرون الى مقاتلتهم بمثل قتالهم الثانى انهم كانوا مستميتين فى جهادهم لما رغبوا فيه من الصبر وما رسخ فيهم من الايمان والزحف الى الاستماتة أقرب * وأول من ابطال الصف فى الحروب وصار الى النعبية كراديس مروان بن الحكم فى قتال الضحاك الخارجى والحج يبرى بعده قال الطبرى لما ذكر قتال الحبيرى فولى الخوارج عليهم شييمان بن عبد العزيز الشكرى وبلغ أبالدقاء وقتالهم مروان بعد ذلك بالكرو اديس وابل الصف من يومئذ انتهى فتتوسى قتال الزحف بأبطال الصف ثم تنوسى الصف وراء المقاتلة بما داخل الدول من الترف وذلك أنها حينما كانت بدوية وسكنهاهم الخيام كانوا يستكثرون من الابل وسكنى النساء والولدان معهم فى الاحياء فلما حصلوا على ترف الملب والفوا سكنى القصور والحواضر وتركوا شأن البادية والقفر نسوا لذلك عهد الابل والظعائن وصب عليهم اتخاذها فخلقوا النساء فى الاسفار وجعلهم الملب والتزلف على اتخاذ الفساطيط والاخبية فاقصر واعلى الظهر الحامل للانقال والابنية وكان ذلك صفقتهم فى الحرب ولا يغنى كل الغناء لانه لا يدعو الى الاستماتة كما يدعو اليها الامل والمال فيخفف الصبر من أجل ذلك وتصرفهم الهبعت وتخرم صفوفهم

(فصل) ولما ذكرناه من ضرب المصاف وراه العساكر وتما كده فى قتال الكرو والفر صار ملوك المغرب يتخذون طائفة من الافرنجى جندهم واخصوا بذلك لان قتال أهل وطنهم كما بالالكرو والفر والسلاطون (١) قوله للانقال والابنية مراده بالابنية الخيام كما يدل له قوله فى فصل الخندق الا ترى قريبا اذا نزلوا وضربوا ابنتهم اه

والجند ولم ترزل خزمة الرجال يستحلون مرات قول النجباء كما يستحل الجاهل المساعدة على الهوى وقال المأمون يتأكد اظاهر بن الحسين صفلى اخلاق الخلوغ يعنى أخاه الامين فقال كان واسع الصدر ضيق الادب ينتج من نفسه ما نأباهه هم الاحرار

لا تصغي الى نصيحة ولا يقبل مشورة يستدبر اية فيرى سوء عاقبته فلا يردعه ذلك عن مجيئه - به قال فكيف حروبه قال يجتمع مع الكفاية
بالتبذير ويقرقها بسوء التدبير فقال المأمون لذلك ما حل محله أما والله لو ذاق (١٦٣) لذاعة النضاح واختار مشورة الرجل

وملك نفسه عند شهوتها
ما ظفر به وقال بعضهم انفاذ
الملوك الامور بغير روية
كالعبادة بغير نية ولم تزل
العقلاء على اختلاف
آرائهم يشهدون الغيوب
ويستشيرون صواب الرأي
من كل أحد حتى الامعة
الوعك هذا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يقول رحم
الله امرأه اهدى الى عيوني
وكان يقال من أعطى
أربعا لم يمنع أربعا من
أعطى الشكر لم يمنع المزيد
ومن أعطى التوبة لم يمنع
القبول ومن أعطى
الاستخارة لم يمنع الخيرة
ومن أعطى المشورة لم يمنع
الصواب وقال بعضهم خير
الرأي خير من فطيره وتأخيره
خير من تقديمه (وذكر
صاحب كتاب التاج ان
بعض ملوك العجم استشار
وزراء فقال أحدهم لا
ينبغي للملك ان يستشير منا
أحد الا بالخلافه اموت
للسر واخزم في الرأي وأحذر
للسلامة واعني لبعضنا من
غائلة البعض وكان بعض
ملوك العجم اذا شاور
مراتبه فقصر وفي الرأي
دعا الموكلين بارزاقهم -
فعاقبهم فيقولون تخطئ
مراتبك وتعاقبنا فيقول

يتأكد في حقه ضرب المصاف ليكون رد المقاتلة امامه فلا بد وأن يكون أهـل ذلك الصف من قوم
متعودين للثبات في الزحف والاحق لواء على طريقه اهل الكرك والفر فانهزم السلطان والعساكر باجفاله
فاحتاج الملوك بالمغرب أن يتخذوا جنودا من هذه الامة المتعوده الثبات في الزحف وهم الافرنج ويرتبون
مصافهم الخندق بهم منها هذا على ما فيه من الاستعانة بأهل الكفر وانما استخفوا ذلك للضرورة التي أربنا كها
من تخوف الاجفال على مصاف السلطان والافرنج لا يعرفون غير الثبات في ذلك لان عادتهم في القتال
الزحف فكانوا اقوم بذلك من غيرهم مع أن الملوك في المغرب انما يفعلون ذلك عند الحرب مع أمم العرب
والبربر وقتلهم على الطاعة وأما في الجهاد فلا يستعينون بهم حذرا من مخالفتهم على المسلمين - هذا هو
الواقع بالمغرب لهذا العهد وقد أبدى ناسديه والله بكل شئ عليم
(فصل) وبلغنا أن أمم الترك لهذا العهد قتلتهم مناصلة بالسهام وأن تعبئة الحرب عندهم بالمصاف وانهم
يقسمون بثلاثة صفوف يضربون صفورا واهل صف ويطربون عن خيولهم ويفرغون سهامهم بين أيديهم
ثم يتناضلون جلوسا وكل صف رده الذي امامه أن يكسهم العدو الى أن يتهيأ النصر لاحدى الطائفتين
على الاخرى وهي تعبئة محكمة غريبة

(فصل) وكان من مذاهب الاول في حروبهم حفر الخنادق على معسكرهم عند ما يتقاربون للزحف حذرا
من معرفة البيات والهجوم على المعسكر بالليل لما في ظلمته ووحشته من مضاعفة الخوف فيلجأ الجيش
بالفرار ويجتهد النقبوس في الظلمة - ثم من عاره فاذا تساوى في ذلك أرحف العسكر وقعت المزيمة فكانوا
لذلك يحتقرون الخنادق على معسكرهم اذا نزلوا وضربوا أسيبتهم ويدير ون الحفائر نطاقا عليهم من جميع
جهاتهم حرصا ان يخاطبهم العدو بالبيات فيتخاذلوا وكانت للدول في أمثال مذاقوة وعلمه اقتدارا احتشاد
الرجال وجمع الأيدي عليه في كل منزل من منازلهم بما كانوا عليه من قور العمران وضحامة المال فلما
حرب العمران وتبعه ضعف الدول وقلة الجنود وعدم الفعلة نسي هذا الشأن جملة كانه لم يكن والله خير
القادرين وانظر وصية على رضي الله عنه وتحريره لاصحابه يوم صفين تجد كثيرا من علم الحرب ولم يكن
احدا يبصر به امنه قال في كلام له فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدارع واخروا الحاسر
وعضوا على الاضراس فانه انبى للسيف عن الهام والتواء على اطراف الرماح فانه أصون للاسنة وغضوا
الابصار فانه أربط للجاش وأسكن للقلوب واخفوا الاصوات فانه أطرد للعقل وأولى بالوقار وأقوم اراياكم
فلا تملوها ولا تجعلوها الا بأيدي شجعانكم واستعينوا بالصديق والصبر فانه بقدر الصبر ينزل النصر وقال
الاشتر يومئذ يحرض الازدعضوا على النواجذ من الاضراس واستقبلوا القوم بها مكوشة وشدوا شدة قوم
موتورين يثارون باثامهم واخوانهم حنقا على عدوهم وقد وطنوا على الموت أنفسهم لهم لئلا يسبقوا بوتر
ولا يلحقهم في الدنيا عار وقد أشار الى كثير من ذلك ابو بكر الصديق في شاعر لمتونة وأهل الاندلس في كلمة
يدح بها تاشق بن علي بن يوسف ويصف ثباته في حرب - هدها ويذكره بامور الحرب في وصايا
وتحذيرات تنبهت على معرفة كثير من سياسة الحرب يقول فيها

يا ايها المـلا الذي يتقنع * من منكم الملك الهام الاروع
ومن الذي غدر العدو به دجى * فانقض كل وهو لا يتزعزع
تمضى الفوارس والطعان يصدها * عنه ويدعها الوفاء فترجع
والليل من وضع الترائك انه * صبح على هام الجيوش يلعب

نعم لم يخطوا الاتعاق قلوبهم - بارزاقهم واذا هتموا اخطوا وكانوا اذا هتموا بما شاؤوا - جل بعنوا الله بقوته وقوت عماله لسنته لتفرغ
لهم وكان يقال النفس اذا حرزت قوتها اطمأنت واذا شاورت فاصدق الخبر صدقك المشورة ولا تكلم المستشار فتوتى من قبل نفسك

وقال بعض ملوك العجم لا يمنعك شدة بأسك في باطنك ولا علوه مكانك في نفسك من ان تجتمع الى رأيك رأي غيرك فان احدثت اجبت
وان اخطأت عذرت فان في ذلك (١٦٤) خصا الامنهان وافق رأيك رأي غيرك ازيد رأيك شدة عندك وان خالفه عرضته

أنى فزعتم يا بنى صنهاجة * واليكم وفي الروع كان المفرع
انسان عين لم يصبه منكم * حزن وقلب أسلمته الاضلع
وصدتمو عن تاشفين وانه * له قبا له لوشاء فيكم موضع
ما أنتمو الا أسود خفية * كل لكل كريمة مسه نطلع
يا تاشفين أقم لجيشك عذره * بالليل والغدر الذي لا يدفع
(ومنها في سياسة الحرب)

اهديك من أدب السياسة مابه * كانت ملوك الفرس قبلك تولع
لا تني ادري بهالكنها * ذكرى تحض المؤمنين وتنفع
والبس من الحلقى المضاعفة التي * وصى بها صنع الصنائع تبع
والهندواني الرقيق فانه * امضى على حد الدلاص واقطع
واركب من الخيل السوابق عدة * حصنا حصينا ليس فيه مدفع
خندق عليك اذا ضربت بحملة * سيمان تتبع ظافرا أو تتبع
والواد لا تعبره وانزل عنده * بين العدو وبين جيشك يقطع
واجعل مناجرة الجيوش عشية * ووراءك الصدق الذي هو امنع
واذا تضايقت الجيوش بمعرك * ضحك فاطراف الرماح توسع
واصدمه اول وهلة لا تكترث * شيئا فاطهار النكول يضعض
واجعل من الطلاع أهل شهامة * للصدق فهم شمة لا تخدع
لا تسمع الكذاب جاءك مرجقا * لا رأى للكذاب فيما يصنع

قوله واصدمه اول وهلة لا تكترث البيت مخالف لما عليه الناس في أمر الحرب فقد قال عمر لابي عبيد بن
مسعود الثقفي لما ولاه حرب فارس والعراق فقال له اسمع وأطع من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم
واشر كهم في الامر ولا تجيب بن مسعود حتى تبين فانها الحرب ولا يصلح لها الا الرجل المكث الذي يعرف
الفرصة والكيف وقال له في أخرى انه لن يمنعني ان أوامر سبطا الا سرعت في الحرب وفي التسرع في الحرب
الا عن بيان ضباغ والله لولا ذلك لامرته لكن الحرب لا يصلحها الا الرجل المكث هذا كلام عمر وهو شاهد
بان التناقل في الحرب اولى من الخوف حتى يثبتين حال تلك الحرب وذلك عكس ما قاله الصيرفي الا ان
يريد ان الصدم بعد البيان فله وجه والله تعالى اعلم

(فصل) ولا وثوق في الحرب بالظفر وان حصلت أسبابه من العدة والعديد وانما الظفر فيها والغلب من
قبيل البخت والاتفاق وبيان ذلك ان أسباب القلب في الاكثر جمعة من أمور ظاهرة وهي الجيوش
ووفورها وكل الاسلحة واستجابتها وكثرة الشجعان وترتيب المصاف ومنه صدق القتال وما جرى مجرى
ذلك ومن أمور خفية وهي امان خدع البشر وحيلهم في الارحاف والتشائيع التي يقع بها التخذي وفي
التقدم الى الاماكن المرتفعة ليكون الحرب من أعلى فيتموه المنخفض لذلك وفي الكرمون في الغياض
ومطمئن الارض والتواري بالكدي عن العدو حتى يتداولهم العسكر دفعة وقد تورطوا فيتمون الى
النجاة وأمثال ذلك واما ان تكون تلك الأسباب الخفية أمور سماوية لا قدرة للبشر على اكتسابها تلي
في القلوب فيستولى الرهب عليهم لاجلها فتختل مراكزهم فتقع الهزيمة أو أكثر ما تقع الهزائم عن هذه

على نظرك فان رأيتهم معتمليا
لما رأيتهم قبلته وان رأيتهم
متصعبا استغيت عنه وتجد
بذلك النصيحة من شاؤونه
وان اخطأ وتمحض لك
مودته وان قصر ولو لم يكن
من فضيلة المشاورة الا انك
ان أصبته مستبداس لبت
فائدة الاصابة بالسننة
المسدة وقال قائل هذا
اتفاق ولو فعل كذا لكان
أحسن واذا شاورت فاصت
أجد الجماعة رأيك لانهم
لنفوسهم يحمدون وان
أخطأت حمل الجماعة خطأك
لانهم عن نفوسهم يكافون
واعلم ان القول الغليظ
يستمتع لفضل عاقبته كما
يتسكاره شرب الدواء المر
لفضل مغبته (وقال اعرابي)
ما عثرت قط حتى عثر قومي
قالوا وكيف ذلك قال لا
أفعل شيئا حتى أشاورهم
(وقيل) لرجل من بني
عبس ما أكثر صوابكم يا بنى
عبس فقال نحن ألف رجل
وفينا حازم واحد ونحن
نطعمه فكأننا ألف حازم
وكان ابن هبيرة أمير البصرة
يقول اللهم اني أعوذ بك
من صحبة من غايته خاصة
نفسه والاختطاط في هوى
مستشيرة (وفي حكم الهند)
من التمس من الاخوان

الرخصة عند المشورة ومن اطباء عند المرض ومن القهواء عند الشبه اخطأ الرأي وازداد مرضا وجل الوزر وقالت الحكيمة الاسباب
لاتشاو رعا لما ولا راعي غنم ولا كثير القوم مع النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خائف ولا من برهقه أحد السبيلين وقالوا الرأي

لخائف ولا محازق ولا محاقب ولا تشاور من لا ذئبق عنده والمحازق هو الذي ضغفه الخنف الضيق والمحاقب هو الذي يجدف بظنه ثقلا
وقالوا من شكالى عاجز اعجزه وامده من جرحه (ومن لطيف ماجرى فى الاستشارة) (١٦٥) ان زياد بن عبيد الله الحارثى استشار

عبيد الله بن عمر فى أخيه
أبى بكر ان يوليه القضاء
فاشار به فبعث الى أبى بكر
فامتنع عليه فبعث زياد
الى عبيد الله يستعين على
أبى بكر فقال أبو بكر لعبيد
الله أنشدك الله أترى لى
القضاء قال اللهم لا قال زياد
سبحان الله استشرتك
فاشرت على به ثم اسمعتك
تنهاه فقال أيها الأمير
استشرتني فاجتهدت لك
الرأى ونصحتك ونصحت
للمسلمين واسـتشارنى
فاجتهدت له رأى ونصحت
(وروى ان الحجاج)
بعث الى المهلب يستنجله
حرب الازرة فكتب
اليه المهلب ان من البلاء
ان يكون الرأى لمن يملكه
دون من لا يبصره
* (فصل فى النصيحة) *
اعلموا ان النصيح للمسلمين
وللخلائق أجمعين من سنن
المرسلين قال الله تعالى
اخبروا عن نوح عليه السلام
ولا يفتككم نهي ان أردت
ان أنصح لكم ان كان الله
يريد أن يغويكم وقال
شعب عليه السلام ونصحت
لكم فكيف آسى على قوم
كافرين ونصحت لكم
ولكن لا تجبون النصحين
وقال عليه السلام ان العبد

الاسباب الخفية لكثرة ما يعمل لكل واحد من القرينين فيها حرصا على الغلب فلا بد من وقوع
التأثير فى ذلك لاحدهما ضرورة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لم الحرب خدعة ومن أمثال العرب
رب حيلة أتفع من قبيلة فعدت من أن وقوع الغلب فى الحرب وغالبها عن أسبـاب خفية غير ظاهرة
ووقوع الاشياء عن الاسباب الخفية ومعنى البحث كما تقرر فى موضع فاعتبره وتفهم من وقوع
الغلب عن الامور السماوية كمشرحناه معنى قوله صلى الله عليه وسلم لم نصرت بالرعب مسيرة شهر
وما وقع من غلبه للمشركين فى حياته بالعدو القليل وغلب المسلمين من بعده كذلك فى الفتوحات
فان الله سبحانه وتعالى تكفل لنيبه بالقضاء الرعب فى قلوب الكافرين حتى يستولى على قلوبهم فيهم زوا
معجزه لرسوله صلى الله عليه وسلم فكان الرعب فى قلوبهم سبباً للهزائم فى الفتوحات الاسلامية كلها الا
انه خفي عن العيون وقد ذكر الطرطوشى ان من اسباب الغلب فى الحرب ان تقضل عدة القـرسان
المشاهير من الشجعان فى أحد الجانبين على عدتهم فى الجانب الاخر مثل ان يكون أحد الجانبين فيه عشرة
أو عشرون من الشجعان المشاهير وفى الجانب الاخر عشرين أو ستة عشر فالجانب الزائد ولو بواحد
يكون له الغلب وأعاد فى ذلك وأبدى وهو راجع الى الاسباب الظاهرة التى قد منا وليس يصحح وانما
الصحيح المعتبر فى الغلب حال العصبية ان يكون فى أحد الجانبين عصبية واحدة جامعة لكاهم وفى الجانب
الاخر عصابة متعددة لان العصاب اذا كانت متعددة تقع بينهما من التخاذل ما يقع فى الواحدان
المتفرقين الفاقدين للعصبية اذ تنزل كل عصابة منهم منزلة الواحدو يكون الجانب الذى عصابته متعددة
لا يقاوم الجانب الذى عصبته واحدة لاجل ذلك فتفهمه وواعلم انه أصح فى الاعتبار مما ذهب اليه
الطرطوشى ولم يحمله على ذلك الانسيان شأن العصبية فى حلة وبلدة وانهم انما يرون ذلك الدفاع والحماية
والمطالبة الى الواحدان والجماعة الناشئة عنهم لا يعتبرون فى ذلك عصبية ولا نسبا وقد بينا ذلك أول الكتاب
مع ان هذا وأمثاله على تقدير صحته انما هو من الاسباب الظاهرة مثل اتفاق الجيش فى العدة وصدق
القتال وكثرة الاسلحة وما أشبهها فكيف يجعل ذلك كقيل بالغلب ونحن قد قررنا ذلك الا ان شياً منها
لا يعارض الاسباب الخفية من الحيل والمخادع والامور السماوية من الرعب والمخذلان الالهى فافهمه
وتفهم أحوال السكون والله مقدر الليل والنهار

(فصل) ويلحق بمعنى الغلب فى الحرب وان اسبابه خفية وغير طبيعية حال الشهرة والصيت فقل ان
تصادف موضعها فى أحد من طبقات الناس من الملوك والعلماء والصلحاء والمختلين للفضائل على
العموم وكثير من اشتهر بالشرف وهو بخلافه وكثير من تجاوزت عنه الشهرة وهو أحق بها وأهلها وقد
تصادف موضعها وتكون طبقاتها على صاحبها والسبب فى ذلك ان الشهرة والصيت انما هما ما لا اخبار
والاخبار يدخلها الذهول عن المقاصد عند التناقل ويدخلها التعصب والتشيع ويدخلها الاوهام
ويدخلها الجهل بمطابقة الحكايات للاحوال الخفائية بالتلبس والتصنع أو لجهل الناقل ويدخلها التقرب
لاصحاب التجلة والمراتب الدنيوية بالثناء والمدح وتحمسين الاحوال واشارة الذك بذلك والنفوس مولعة
بحب الثناء والناس متناولون الى الدنيا واسبابها من جاه وثرثرة ولبسوا فى الاكثر براغبين فى الفضائل
ولا منافسين فى اهلها وأين مطابقة الحق مع هذه كلها فتحتل الشهرة عن اسباب خفية من هذه وتكون غير
مطابقة وكل ما حصل بسبب خفى فهو الذى يعبر عنه بالبحث كما تقرر والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

اذا نصح لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين (وروى) ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين
النصيحة ان الدين النصيحة قيل لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين ولعامتهم فالنصح فى الجملة فعل الشئ الذى به الصلاح

وَدَفْعُ الْمَلَامَةِ مَا خُوذَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَهِيَ السَّلْوُكُ الَّتِي يَخْتَارُهَا وَتَصْغِيرُهَا نَصِيحَةٌ تَقُولُ الْعَرَبُ هَذَا قِصٌّ مِنْ صَوَاحِ أَيِّ مَخِيضٍ وَنَحِيحَةٍ نَحِيحًا إِذَا خَطَبْتَهُ وَيَخْتَلَفُ النَّصِيحُ فِي الْأَشْيَاءِ (١٦٦) لِاخْتِلَافِ الْأَشْيَاءِ فَالنَّصِيحُ لِلَّهِ وَوَصْفُهُ بِمَا هُوَ وَأَهْلُهُ وَتَرْبِيهِ بِعَمَالِهِ سِوَا مَا هُوَ لَهُ عَقْدًا وَقَوْلًا

والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهرًا وباطنًا والرغبة في محابه والتباعد من مساخطه وموالاة من اطاعه ومعاداة من عصاه والجهاد في رد العصاة إلى طاعته قولًا وفعلاً وإرادة بث جميع ما ذكرناه في عبادته والنصيحة لكتابك إقامته في التلاوة وتحسينه عند القراءة وتفهيم ما فيه واستعماله والذب عنه من تأويل المجرمين وطعن الطاعنين وتعليم ما فيه للخلائق أجمعين قال الله تعالى كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكروا الآيات والنصيحة للرسول عليه السلام موازنته ونصرته والحجاية من دونه حيا وميتا وأحياء سنته بالطلب وأحياء مطر يقته في بث الدعوة وتأليف الكلمة والتفاني بالأخلاق الطاهرة والنصيحة للأئمة معاوتهم على ما تكفروا القيام به في تنبيههم عند الغفلة وإرشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوا وتحذيرهم عن يديهم سوء واعلامهم بأخلاق عمالهم وسيرهم في الرعية وسد خللتهم عند الحاجة ونصرتهم في جمع الحكامة

اعلم ان الجباية أول الدولة تكون قليلة الوزائع كثيرة الجملة وآخرة الدولة تكون كثيرة الوزائع قليلة الجملة والسبب في ذلك ان الدولة ان كانت على سنن الدين فليست الا المعارم الشرعية من الصدقات والخراج والحزبية وهي قليلة الوزائع لان مقدر الزكاة من المال قليل كما علمت وكذا زكاة الجيوب والمساشية وكذا الجزية والخراج وجميع المعارم الشرعية وهي حدود لا تتعدى وان كانت على سنن التغلب والعصية فلا بد من البدوة في أولها كما تقدم والبدوة تقتضي المسامحة والمكرامة وخفض الجناح والتجافي عن اموال الناس والغفلة عن تحصيل ذلك الا في النادر فيقول لذلك مقدر الولاية في الواحدة والوزيعة التي تجتمع الاموال من مجموعها واذا قلت الوزائع والوظائف عن الرعايا نشطوا بالعمل ورغبوا فيه فيكثر الاعتمار ويتزايد محصول الاقتباط بقلة المعتمر واذا كثر الاعتمار كثرت اعداد تلك الوظائف والوزائع فكثرت الجباية التي هي جملتها فاذا استمرت الدولة واتصلت وتعاقب ملوكها واحدا بعدوا حدوا تصفوا بالكس وذهب شر البدوة والسذاجة وخلفها من الاعضاء والتجافي وجاء الملك العضوض والحضارة الداعية الى الكيس وتختلى اهل الدولة حينئذ بخاتي التخلف وتكثرت عوائدهم وحوادثهم بسبب ما انفسوا فيه من النعيم والترف فيكثرون الوظائف والوزائع حينئذ على الرعايا والالكرة والقلاحين وسائر اهل المعارم ويزيدون في كل وظيفة ووزيعة مقدار اعطيتهم الجباية ويضعون المكوس على المبايعات وفي الابواب كما نذكر بعد ثم تدرج الزيادة في المقادير حتى تنقل المعارم على الرعايا وتنضم وتصير عادة مفروضة لان تلك الزيادة تدرجت قليلا قليلا ولم يشعر احد من زادها على التعيين ولا من هو واضعها انما ثبتت على الرعايا في الاعتمار لذهاب الامل من نفوسهم بقلة النفع اذا قابل بين نفعه ومعارمه وبين ثمرته وفائدته فنقبض كثير من الايدي عن الاعتمار بجملة فنقص جملة الجباية حينئذ بقصان تلك الوزائع منها وربما يزيدون في مقدار الوظائف اذا رآوا ذلك النقص في الجباية ويحسبون به جبراً لما نقص حتى تنتهي كل وظيفة ووزيعة الى غاية ليس وراءها نفع ولا فائدة لكثرة الانفاق حينئذ في الاعتمار وكثرة المعارم وعدم وفاء القائدة المرجوة به فلا تزال الجملة في نقص ومقدار الوزائع والوظائف في زيادة لما يعتقدونه من جبر الجملة به الى ان ينقص العمران بذهاب الاموال من الاعتمار ويعود وبال ذلك على الدولة لان فائدة الاعتمار عارضة اليها واذا فهمت ذلك علمت ان اقوى الاسباب في الاعتمار تقليل مقدار الوظائف على المعتمر من بين ما يمكن في ذلك تنديت النفوس اليه لثقتهم بابدراك المنفعة فيه والله سبحانه وتعالى مالك الامور كلها وبيده ملكوت كل شئ

٤٠ * (فصل في ضرب المكوس واخر الدولة) *

اعلم ان الدولة تكون في اولها بدوية كما قلناه فتكون لذلك قليلة الحاجات لعدم الترف وعوائدهم فيكون خرجها وانفاقها قليلا فيكون في الجباية حينئذ وفاء بازيد منها بل يفضل منها كثير عن حاجاتهم ثم لا يلبث ان تأخذ يد من الحضارة في الترف وعوائدها وتجري على نهج الدول السابقة قبلها فيكثر لذلك خراج اهل الدولة ويكثر خراج السلطان خصوصا كثره باعانة بنقته في خاصته وكثرة عطائه ولا يفي بذلك الجباية فتحتمل الدولة الى الزيادة في الجباية لما تحتاج اليه الحامية من العطاء والسلطان من النفقة فيزيد في مقدار الوظائف والوزائع اولا كما قلناه ثم يزداد الخراج والحاجات والتدرج في عوائدهم الترف وفي العطاء للحامية ويدرك الدولة الهرم وتضعف عصابها عن جباية الاموال من الاعمال والقاصية فتقل الجباية

عليهم ورد القلوب النافرة اليهم والنصح بجماعة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة بصغيرهم وتفريج كربهم وودعهم الى ما يسرهم وتوقى ما يشغل خواطرهم ويفتح باب الوسواس عليهم ومن النصيحة للمسلمين رفع

وثمة نفسه وبدنه وحواليه عنهم (قال الاصمعي) لفظ عمر بن الخطاب رضي الله عنه نواة من الطربق فامسكها بيده حتى مر بدار قوم فالتقاها في الدار وقال يا كاهن اجنهم والنصح ببيع المال ان يحب اسلامهم ويدعوهم الى الايمان (١٦٧) بالقول ويحذرهم سوء مغبة الكفر

وبالسيف ان كان ذال سلطان
أو يكفوا عن قتال المسلمين
فيكونوا ذمة والا فالقتل نصحاً
لاقامة امره فيهم (وروى
معاذ) ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ثلاث لا يغفل
عليهن قلب مسلم العمل
لله ومناجحة ولاية الامر
والاعتصام بجماعة المسلمين

وتكثر العوائد ويكثر بكثرها ارزاق الجنود وعطاؤهم فيستحدث صاحب الدولة أنواعاً من الجباية
يضر بها على البياعات ويفرض لها قدر معلوماً على الاثمان في الاسواق وعلى اعيان السلع في اموال
المدينة وهو مع هذا مضطر لذلك بسادعاه اليه ترف الناس من كثرة العطاء مع زيادة الخيوش والحامسة
وربما يزيد ذلك في اواخر الدولة زيادة بالغة فتكسد الاسواق لقساد الاموال وتؤذن ذلك باختلال
المران ويعود على الدولة ولا يزال ذلك يترايد الى ان تضجع وقد كان وقع منه بامصار المشرق في آخريات
الدولة العباسية والعبيدية كثير وفرضت المغارم حتى على الحاج في الموسم واسقط صلاح الدين ايووب تلك
الرسوم جملة واعاضها بما نارا الخير وكذلك وقع بالاندلس لعهد الطوائف حتى محارمه يوسف بن تاشفين
امير المرابطين وكذلك وقع بامصار الحارم يدافر بقية هذا العهد حين استبد بهار رؤساؤها والله تعالى اعلم

٤١ ﴿فعل في ان التجارة من السلطان مضره بالرعايا مقسدة للجباية﴾

اعلم ان الدولة اذا ضاقت جبايتها بما قد منه من الترف وكثرة العوائد والنفقات وقصر المحاصل من
جبايتها على الوفاء بحاجتها ونفقتها واحتاجت الى مزيد المال والجباية فتارة توضع المكوس على
بياعات الرعايا واسواقهم كما قدمنا ذلك في الفصل قبله وتارة بالزيادة في القاب المكوس ان كان قد
استحدث من قبل وتارة بمقاومة العمال والجباية وامتنكك اعطاءهم ما يرون انهم قد حصلوا على شيء مماثل
من اموال الجباية لا يظهره الحسبان وتارة باستحداث التجارة والفلحة للسلطان على تسمية الجباية بما
يرون التجار والفلاحين يحصلون على الفوائد والغلات مع سارة اموالهم وان الارباح تكون على نسبة
رؤس الاموال فيأخذون في اكتساب الحيوان والنبات لاستغلاله في شراء البضائع والتعرض بها لمحوالة
الاسواق ويحسبون ذلك من ادرا الجباية وتكثير الفوائد وهو غلط عظيم وادخال الضرر على الرعايا
من وجوه متعددة فالامضية الفلاحين والتجار في شراء الحيوان والبضائع وتيسير اسباب ذلك فان
الرعايا متكاثرون في السار متعاربون ومزججة بعضهم ببعض انتهت الى غاية موجودهم او تقرب واذا
رافقهم السلطان في ذلك وماله اعظم كثير منهم فلا يكاد احد منهم يحصل على غرضه في شيء من حاجاته
ويدخل على النفوس من ذلك غم ونكد ثم ان السلطان قد يتزعج الكثير من ذلك اذا تعرض له غضا
او بايسر ممن اولايه من يساقه في شراؤه فينحس منه على بائعه ثم اذا حصل فوائد الفلحة ومغلاها كاه
من زرع او حير او غسل او سكر او غير ذلك من انواع الغلات وحصلت بضائع التجارة من سائر الانواع
فلا يتظرون به حوالة الاسواق ولا تنافق البياعات لما يدعوهم اليه تكاليف الدولة فيكافون اهل تلك
الاصناف من تاجر او فلاح بشراء تلك البضائع ولا يرضون في اثمانها الا القيم واز يدفستوعبون في ذلك
ناض اموالهم وتبقى تلك البضائع بايديهم عروضا جامدة ويمكثون عطلا من الادارة التي فيها كسبهم
ومعاشهم وربما تدعوهم الضرورة الى شيء من المال فيبيعون تلك السلع على كساد من الاسواق بانحس
ثم وربما يتكرر ذلك على التاجر والفلاح منهم مما يذهب رأس ماله فيقع عدن سوقه ويتعدد ذلك
ويتكرر ويدخل به على الرعايا من العنت والمضايقة وفساد الارباح ما يقبض اموالهم عن السعي في ذلك
جملة ويؤدي الى فساد الجباية فان معظم الجباية انما هي من الفلاحين والتجار لا سيما بعد وضع المكوس
وتغوى الجباية بها فاذا انقبض الفلاحون عن الفلحة وتعد التجار عن التجارة ذهبت الجباية جملة او دخلها
النقص المتقاسح واذا قايس السلطان بين ما يحصل له من الجباية وبين هذه الارباح القليلة وجددها
بالنسبة الى الجباية اقل من القليل ثم انه ولو كان مفيداً فيذهب له بحظ عظيم من الجباية فيما يعانیه من

فان دعوتهم تحيط من
ورائهم وقال جابر بن
عبدالله بايعت النبي صلى
الله عليه وسلم على السمع
والطاعة فلقتني فيما
استطعت والنصح لكل
مسلم (وروى) انس
ان النبي عليه السلام قال
لا يؤمن احدكم حتى يحب
لاخيه ما يحب لنفسه
وقال أبو الدرداء العلم
يلغه البر والفاجر والحكمة
ينطق بها البر والفاجر
والنصيحة لله تعالى لا تثبت
الا في قلوب المنتجين الذين
صحت عقولهم وصدقت
نياتهم واعلم ان جمعة
النصيحة مرة لا يقبلها الا
اولوا العزم وكان عمر بن
الخطاب رجسه الله يقول
رحم الله امرأ اهدى الى
عبوبي وقال ميمون
ابن مهران قال لي عمر بن
عبد العزيز رجسه الله
قل لي في وجهي ما اكره

فان الرجل لا ينصح اخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره وقال مالك النصيحة لله في أرضه هي التي بعث الله بها أنبياءه ومن أمر الاسلام
القبض والنصيحة اعباد الله في أمورهم والنفوس مستقلة لانصح نافرة عن أهلها ومائلة الى ما وافق هواها (وفي منشور الحكم) وذلك من

نحسك وقلناك من مشى في هواك وكان يقال أخوك من احتمل أثقل نصيحتك وقال بعضهم شعرا عرضت نصيحة مني لزيد
فقال غششتي والنصح م (١٦٨) ومالي أن أكون نصحت زيدا * وزيد طاهر الأثواب ولكن قد أتاني أن زيدا

شراء أو بيع فإنه من البعيد أن يوجد فيه من المكس ولو كان غيره في تلك الصفقات لكان تمكسها كلها أصلا من جهة الجباية ثم فيه التعرض لاهل عمرانه واختلال الدولة بقسادهم ونقصه فان الرعايا اذا قعدوا عن تمييز أموالهم بالفلاحة والتجارة نقصت وتلاشت بالنفقات وكان فيها تلاف أحوالهم فافهم ذلك وكان الفرس لا يملكون عليهم الأمن اهل بيت المملكة ثم يختارونه من اهل الفضل والدين والادب والسخاء والتجاعة والكرم ثم يشترطون عليه مع ذلك العدل وان لا يتخذ صنعة فيضرب بحجرانه ولا يتاجر فيجب غلاء الاسعار في البضائع وأن لا يستخدم العبيد فانهم لا يشيرون بخير ولا مصلحة * واعلم ان السلطان لا ينهى ماله ولا يدوم جوده الا الجباية وادارها انما يكون بالعدل في اهل الاموال والنظر لهم بذلك فبذلك تنسب آمالهم ونشرح صدورهم للاخذ في تمييز الاموال وتنميتها فتنقص منها جباية السلطان وأما غير ذلك من تجارة وبيع فالتأخر والمضرة عاجلة للرعايا وفساد للجباية ونقص للجماعة وقد انتهى الحال بهؤلاء المستلخين للتجارة والفاخرة من الامراء والمتعلمين في البلدان انهم يتعرضون لشراء الغلات والسلع من اربابها الواردين على بلادهم ويفرضون لذلك من الثمن ما يشاؤون ويبيعونها في وقتها لمن تحت أيديهم من الرعايا بما يفرضون من الثمن وهذه أشد من الاولى واقرب الى فساد الرعية واختلال احوالهم وربما يحمل السلطان على ذلك من يداخله من هذه الاصناف أعني التجار والفلحين لما هي صناعته التي نشأ عليها فيحمل السلطان على ذلك ويضرب معه بسهم لنفسه ليحصل على غرضه من جمع المال سريع عسا بما يحصل له من التجارة بلا مغرم ولا مكس فانها اجدر بنحو الاموال وأسرع في تمييزه ولا يفهم ما يدخل على السلطان من الضرر بنقص جبايته فينبغي للسلطان أن يحذر من هؤلاء ويعرض عن سعياتهم المضرة بجبايته وساطانه والله يلهمنا رشداً ونفسياتنا ونفعا بالصالح الاعمال والله تعالى اعلم

٤٢ * (فصل في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة) *

والسبب في ذلك ان الجباية في اول الدولة تتوزع على اهل القبيل والعصبة بمقدار غنائمهم وعصبيتهم ولان الحاجة اليهم في تهديد الدولة كما قلناه من قبل فرئيسهم في ذلك متجاف لهم بما يسمون اليه من الجباية معترض عن ذلك بما هو يروم من الاستبداد عليهم فله عليهم عزه وله اليهم حاجة فلا يطير في سهمه منه من الجباية الا الاقل من حاجته فتجد حاشيته لذلك وأذياله من الوزراء والسكبان والموالي مملفين في الغالب وجاههم منقلص لانه من جاه مخدومهم ونطاقه قد ضاق بمن يراجه فيه من اهل عصبيته فاذا استعملت طبيعة الملك وحصل لصاحب الدولة الاستبداد على قومه قبض أيديهم عن الجبايات الا ما يظير لهم بين الناس في سهمانهم وتقل حظوظهم اذ ذلك لقله غنائمهم في الدولة بما انكبح من اعنتهم وصاروا الى والصنائع مساهمين لهم في القيام بالدولة وتمهيد الامر فينقرد صاحب الدولة حينئذ بالجباية او معظمها ويحتوى على الاموال ويحتجها بالنفقات في مهمات الاحوال فتكثر ثروته وتمتلئ خزائنه وينسج نطاق جاهه ويعتز على سائر قومه فيعظم حال حاشيته وذويه من وزير وكاتب وطاجب ومولى وشرطي ويتسع جاههم ويعتقون الاموال ويبتاعونها ثم اذا أخذت الدولة في الهرم بتلاشي العصبة وبقاء القبيل المساهدين للدولة احتاج صاحب الامر حينئذ الى الاعوان والانصار لكثرة الخواارج والمنازعين والثوار وقوم الانتقاص فصار خواجه لظهوره واعوانه وهم ارباب السوف واهل العصبية وانفق خزائنه وحاصله في مهمات الدولة وقتل مع ذلك الجباية لما قدمناه من كثرة العطاء والانفاق فيقتل الخواارج وتشتد حاجة الدولة الى المال فيتملص ظل النعمة والترف عن الخواص والمجباب والسكبان بتملص الجاه عنهم ووضيق

يقال عليه في مغناه شعر
فقلت له تجنب كل شئ
يقال عليك ان المحرر
* (وقال آخر) *
وعلى النصح نصيحتي
وعلى عصيان النصح
* (وللقطامي شعر) *
ومعصية الشفيق عليك مما
تزيدك مرة منه استماعا
وخير الامر ما استقبلت منه
وليس بان تتبعه اتباعا
* (ولورقة بن نوفل) *
لقد نصحت لا قوام وقلت لهم
أنا النذير فلا يغركم احد
لا شئ مما ترى تبقى بشاشته
الا لاله ويودي المال
والولد

لم تغن عن هرز يوم اخراثة
والخالد قد حاولت عاد
فما خلدوا
قال ابن وهب انما يحسن
الاختيار لغيره من يحسن
الاختيار لنفسه ولا خير لك
فيمن لا خير له في نفسه
وقالت العلماء ان ينحسك
امرؤ لا ينصح لنفسه (وقال
بعضهم) رأيت ورأيت في
المعرفة امثل لنفسك من
رأيت لانه خلوم هو الك
وقال أبو الدرداء ان شئت
لا نصحن لكم ان أحب
عباد الله الى الله الذين
يحببون الله الى عباده
ويعلمون في الارض

نحسك وروى ان رجلا لطم ابراهيم بن ادهم فرفع رأسه الى السماء وقال الهى ان كنت
تسبني وتعاقبه فلا تسبني ولا تعاقبه * (ومن الخصال التي تجرى بحرى الجبال والكمال الحلم) * (الباب الثامن والعشرون في الحلم) *

نطاقه

قال الله تعالى ان ابراهيم الحليم او اوه منيب وقال تعالى فاصفع الصفع الجبل (قال) على رضى الله عنه الصفع الجبل الرضا بلاء عتاب وقيل الصفع الجبل الرضا بالثوب ينج فيه ولا حقد معه وفي الامثال القديمة كذا الحليم ان يكون نبيا (١٦٩) (ويروى) ان رجلا قال يا رسول الله

علمني كلمات أعيش بهن ولا يكثرن علي فأنسى قال لا تغضب واعلم ان الحلم أشرف الاخلاق وأحقها بذوى الالباب لما فيه من راحة السر واجتلاب الحمد وأحق الناس به السلطان لانه منصوب لا قامه او الخلائق وعامرة اخلاقهم ولا يطيقون به في حال سلمهم وانما يغشون بابه حين تنازعهم وخصوماتهم وشروهم وتكدر نفوسهم وضيع اخلاقهم فان لم يكن معه حلم يرد به بوادرهم والواقع تحت عبث تقبل وكان أنوشروان ذاحلم وأناة وكان يقول في خصماتان لولائهما ظاهرتان عند الرعية اضقت بهما ذرعا للحلم والاناة (وروى) ان يحيى ابن زكريا قال لعيسى بن مريم عليهم السلام فقال يا روح الله اخبرني بأشد الاشياء في الدارين قال غضب الله تعالى قال ياروح الله وما ينجي من غضب الله تعالى قال ترك الغضب قال ياروح الله كيف بدو الغضب قال التعزير والتكبر والفخر على الناس وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وجبت

نطاقه على صاحب الدولة ثم تشتد حاجة صاحب الدولة الى المال وتنفق أبناء البطانة والحاشية ما تأمله آباؤهم من الاموال في غير سبيلها من اعانة صاحب الدولة وبقبولن على غير ما كان عليه آباؤهم وسلفهم من المناجحة ويرى صاحب الدولة انه احق بتلك الاموال التي اكتسبت في دولة سلفه ويحتاجهم فيصطلحها ويتزعمها منهم لنفسه شيئا فشيئا وواحد بعد واحد على نسبة رتبتهم وتكرار الدولة لهم ويعود وبال ذلك على الدولة بغناء حاشيتها ورجالاتها وأهل الثروة والنعمة من بطانتها ويتقوض بذلك كثير من مبادئ الجدي بعد ان يدعها اهله ويرفعوه وانظر ما وقع من ذلك لوزراء الدولة العباسية في بني قحطبة وبنو برمك وبنو سهل وبنو طاهر وامثالهم ثم في الدولة الاموية بالاندلس عند انحلالها أيام الطوائف في بني شهيد وبنو أبي عمدة وبنو حدير وبنو برد و امثالهم وكذا في الدولة التي ادركنها الهه ناسنة الله التي قد دخلت في عباده (فصل) ولما يتوقعه أهل الدولة من امثال هذه الماعط صارا الكثير منهم ينزعون الى الفرار عن الرتب والتخلص من رتبة السلطان بحاصل في ايديهم من مال الدولة الى قطر آخر ويرون انه انما لهم وأسلم في انفاقه وحصول ثمرته وهو من الاغلاط الفاحشة والاوهاام المفسدة لاحوالهم وديانهم واعلم ان الخلاص من ذلك بعد الحصول فيه عسير تمتنع فان صاحب هذا الغرض اذا كان هو المالك نفسه فلا تمكنه الرعية من ذلك مرفة عين ولا أهل العصبية المزاجون له بل في ظهور ذلك منه هدم الملكة وانلاف لنفسه بمجاري العادة بذلك لان رتبة الملك يعسر الخلاص منها سيما عند استئصال الدولة وضيع نطاقها وما يعرض فيها من البعد عن الحدود والخلال والتخليق بالشر وأما اذا كان صاحب هذا الغرض من بطانة السلطان وحاشيته وأهل الرتب في دولته فقل ان يخلى بينه وبين ذلك أما اوليا يراه المملوك ان ذوبهم وحاشيتهم بل وسائر رعاباهم مماليكهم مظهره على ذات صدورهم فلا يسهون بحل رتبته من الخدمة ضنا بآسارهم وأحوالهم ان يطعم عليها احد وغيره من خدمته لسواهم ولقد كان بنو امية بالاندلس يمنعون أهل دولتهم من السفر لفرقة الحاشية وتوهمونه من وقوعهم بايدي بني العباس فلم ينجح سائر ايامهم احد من أهل دولتهم وما ابيع الحج لاهل الدول من الاندلس الا بعد فراغ شأن الاموية ورجوعها الى الطوائف وأما ثانيا فلانهم وان سمو بحل رتبته هو فلا يسهون بالتجافي عن ذلك المال لما يرون انه جزء من مالهم كما يرون انه جزء من دولتهم اذ لم يكتسب الا بها وفي ظل جاهها فتقوم نفوسهم على انتزاع ذلك المال والتفاهم كما هو جزء من الدولة ينتفعون به ثم اذا توهمنا انه خالص بذلك المال الى قطر آخر وهو في النادر الاقل فتمتد اليه عين المملوك بذلك القطر ويتزعمونه بالارهاب والتخويف تعريضا وبالقهظا هرا لما يرون انه مال الجباية والدول وأنه مستحق للاتفاق في المصالح واذا كانت أعينهم تمتد الى أهل الثروة واليسار المتكسبين من وجوه المعاش فأحرى بها ان تمتد الى اموال الجباية والدول التي تحمد السبيل اليه بالشرع والعادة ولقد دحاول السلطان أبو يحيى زكريا بن أحمد الجبائي تاسع او عاشر ملوك الحفصيين باقر بقية الخروج عن عهدة المملك والالحاق بمصر فرار من طلب صاحب الثغور الغريبة لما استجمع لغزو تونس فاستعمل الجبائي الرحلة الى ثغر طرابلس يورى بتهميده وركب السفين من هنالك وخلص الى الاسكندرية بعد ان جعل جميع ما وجد به بيت المال من الصامت والذخيرة وباع كل ما كان بخزائنها من المتاع والعقار والجوهر حتى اكتسب واحتمل ذلك كله الى مصر ونزل على الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة سبع عشرة من المائة الثامنة فأكرم نزله ورفع مجلسه ولم يزل يستخلص ذخيرته شيئا فشيئا بالتعريض الى ان حصل عليها ولم يبق معاش ابن الجبائي الا في جرابته التي فرض له الى ان هلك سنة ثمان وعشر بن

(٢٢ - ابن خلدون) محبة الله تعالى على من أغضب فلم والذي يجمل ان يضرب في هذا الباب قصة استحق عليه السلام قال له ابراهيم يابني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابا عبد الله ما تؤمر مستجدي ان شاء الله من الصابرين ثم انه تله للجبين

وأمر على حلقة السكين فلم يقل الاخير افعال الله تعالى وبشرناه بسلام حليم (وفي الاخبار) يقول ابليس لعنه الله ان الحديد من الرجال لم يماس منه وان كان يجي الموقى بدعائه (١٧٠) لانه تأتي عليه ساعة يجتدي فيها فيصير منه الى ما يريد (ويروى) ان جعفر بن محمد

دخل على الرشيد وقد استغفبه الغضب فقال له يا امير المؤمنين انك انما تغضب لله تعالى ولا تغضب له يا كثر من غضبه لنفسه واعلم ارسدك الله ان هذه الكلمة لا قيمة لها والله اعلم حيث يجعل رسالته فما انفكها واجل قدرها واعظم شأنها الانك اذا كنت ايها السلطان انما تتصرف في ملك الله بامر الله فالله تعالى قد حدد حدودا وشرع شرائع واقام فروضا وسنن وانهي عن حدود ورسوم ثم قدر في كل خصلة عند مخالفته حدا محددا وانهي ان يتجاوز ذلك الحد فلا يقبل من استحق القطع والمحبس والادب والمحد ولا يحبس غير من استوجب المحبس وكانت الخلفاء يؤدبون الناس على قدر منازلهم فمن عثر من ذوى المرات اقبلت عثرته ولم يقابل بشئ لقوله عليه السلام اقبلوا ذوى الهيات عثراتهم ومن سواهم كان يقابل قدر منزلته وهفته فكان يقام قائما في مجلس يقعد فيه نظراؤه فتكون هذه حقوقه وآخريه جيبه وآخريته عمامته من

حسب ما نذكره في اخباره فهذا وامثاله من جملة الوسواس الذي يعتري أهل الدول لما يتوقعونه من ملوكهم من المعاطب وانما يخاصون ان اتفق لهم الخلاص بانفسهم وما يتوهمونه من الحاجة فغلط ووهم والذي حصل لهم من الشهرة بخدمة الدول كاف في وجدان المعاش لهم بالجزايات السلطانية او بالجهاه في انتقال طرق الكسب من التجارة والفلاحة والدول انساب لكن النفس راغبة اذا رغبت بها * واذا ترد الى قليل تقنع والله سبحانه هو الرزاق وهو الموفق بمنه وفضله والله اعلم

٤٣ * (فصل في أن نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية) *

والسبب في ذلك ان الدولة والسلطان هي السوق الاعظم للعالم ومنه مادة العمران فاذا احتجبت السلطان الاموال والجبايات اوفقت فلم يصر في مصارفها اقل حينئذ ما يبدى الحاشية والحامية وانقطع ايضا ما كان يصل منهم لمشتبه وذويهم وقت نفقاتهم جملة وهم معظم السواد ونفقاتهم اكثر مادة للاسواق من سواهم فيقع الكساد حينئذ في الاسواق وتضعف الارباح في المتاجر فيقتل الخراج لان الخراج والجباية انما تكون من الاعتماد والمعاملات ونفاق الاسواق وطلب الناس للفوائد والارباح وبال ذلك عائد على الدولة بالنقص لقلة اموال السلطان حينئذ بقلة الخراج فان الدولة كما قلناه هي السوق الاعظم ام الاسواق كلها واصلا ومادتها في الدخل والخرج فان كسدت وقت مصارفها فاجدر بما بعدهما من الاسواق ان يلحقها مثل ذلك واشد منه وايضا فالمال انما هو متردد بين الرعية والسلطان منهم اليه ومنه اليهم فاذا حجب السلطان عنده فقده الرعية سنة الله في عباده

٤٤ * (فصل في أن الظلم مؤذن بخراب العمران) *

اعلم ان العدوان على الناس في اموالهم ذاهب باآلمهم في تحصيلها واكتسابها ما يرونه حينئذ من ان غايتها ومصيرها انتهابها من ايديهم واذا ذهبت آلمهم في اكتسابها وتحصيلها انقضت ايديهم عن السعي في ذلك وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب فاذا كان الاعتداء كثيرا عاما في جميع ابواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالامال جملة بدخوله من جميع ابوابها وان كان الاعتداء يسيرا كان الانقباض عن الكسب على نسبه والعمران ووفوره ونفاق اسواقه انما هو بالاعمال وسعي الناس في المصالح والمكاسب ذاهب بين وجاه بين فاذا اعد الناس عن المعاش وانقضت ايديهم عن المكاسب كسدت اسواق العمران وانقضت الاحوال وابتدع الناس في الاتفاق من غير تلك الالة في طلب الرزق فيما خرج عن نطاقها فحتم ساكن القطر وختل دياره وخربت امصاره واختل باختلاله حال الدولة والسلطان لما انما صورة للعمران تغسد به قساد مادتها ضرورة وانظر في ذلك ما حكاه المسعودي في اخبار القرس عن المويدان صاحب الدين عندهم ايام بهرام بن بهرام وما عرض به للملك في انكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عائدته على الدولة بضرب المثال في ذلك على لسان البوم حين سمع الملك اصواتها وسأله عن فهم كلامها فقال له ان بوماذا كرا بوم نكاح بوم انثى وانها شرطت عليه عشرة من قرية من الخراب في ايام بهرام فقبل شرطها وقال لها ان دامت ايام الملك اقطعك الف قرية وهذا أسهل مرام فتذبه الملك من غفلة وخلاها بالمويدان وسأله عن مراده فقال له ايها الملك ان الملك لا يتم عزه الا بالشريعه والقيام لله بطاعته والتصرف تحت امره ونهيته ولا قوام للشرية الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالعبادة ولا سبيل للعبادة الا بالعدل

راسه وآخريه يكلمه بالكلام الذي فيه بعض الغلظة قال الشعبي كانت العصاة في زمن عمر وعثمان وعلى رضي الله والعدل عنهم اذا أخذ الرجل منهم نزع عمامته وطيف به في المسجد على قومه وقيل هذا أخذ بشعره فلما ولي زياد ضرب بهم ونزع عمامتهم فلما ولي

مصعب بن الزبير حلق مع الضرب رؤسهم فلما ولي بشر بن مروان اقامهم على الكراسي ثم مدت ايديهم وسهرها بمسار ثم نزع الكراسي
من تحت رجليه حتى يجرم يده فن ميت ومن حي فلما ولي الرجل المعروف بالحجاج (١٧١) قال كل هؤلاء يلعب من أخذ

بشعره ضرب عنقه وقال
ارسطاطاليس النفس
الدليله لا تجد ألم الهوان
والنفس الشريفة تؤثر فيها
يسير الكلام وفيه قيل
من ين سهل الهوان عليه
فما لجرح حيمت ايلام
واعلم ان من تجاوز في
العقوبة فوق ما حد الله
تعالى فيها شارك المجرم في
الذنب واسـتوجب ما
استوجبه المجرم من العقوبة
ويتبين في الاخرة انه
انما يعاقب للهـوى
والتشفي اذا غضب الله
تعالى (وفي كتاب سليمان
ابن داود عليهم السلام)
القاهر لنفسه أشد ممن يفتخ
المدينة وحده وصدق نبى
الله صلى الله عليه وسلم فان
السلطان يفتخ المدينة
ويقهـر أهلها ويغلب
جنودها ووجاتها ويقتل
ابطالها ثم تغلبه شهوته
ويبقى أسيراً في ذل هو اه
قد قهرته قيمة بطنبورها
أوقدح نجر يذهب بعقله
وقال أكنم بن صيفي
الصبري على جرع الحلم أعذب
من جنى عمر الندم (وسأل
على بن ابي طالب) رضى
الله عنه كثير من كبراء
فارس من أجدهم لو لهم
عندهم فقل لا ودشير فضل

والعدل الميزان المنصوب بين الخليفة نصيب الرب وجهه ل له قسما وهو الملك وأنت أيها الملك عدت الى
الضياع فانتزعتهم من أيديهم وعمارها وهم أرباب الخراج ومن تؤخذ منهم الاموال واقطعت المحاشية
والخدم وأهل البطالة فتركوا العمارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع وسوحوها في الخراج فغرمهم
من الملك ووقع الحيف على من بقي من أرباب الخراج وعمار الضياع فأنجلوا عن ضياعهم وخلصوا ديارهم
وأووا الى ما تعذر من الضياع فسلموها فقلت العمارة وخربت الضياع وقلت الاموال وهلكت الجنود
والرعية وطمع في ملك فارس من جاورهم من الملوك لعلمهم بانقطاع المواد التي لا تستقيم دعائم الملك الا بها
فلما سمع الملك ذلك اقبل على النظر في ملكه وانتزعت الضياع من ايدي الخاصة وردت على أربابها
وجعلوا على رسومهم السالفة وأخذوا في العمارة وقوى من ضعف منهم فعمرت الارض وأخصبت البلاد
وكثرت الاموال عند جباة الخراج وقويت الجنود وقطعت مواد الاعداء وشحنت النغور وأقبل الملك على
مباشرة أموره بنفسه فحسنت أيامه وانتظم ملكه ففقه من هذه الحكاية أن الظلم مخرب للعمران وان
عائدة الخراب في العمران على الدولة بالقسا والانتقاض ولا تنظر في ذلك الى أن الاعتداء قد يوجد
بالامصار العظيمة من الدول التي بها ولم يقع فيها خراب واعلم ان ذلك انما جاء من قبل المناسبة بين الاعتداء
واحوال أهل المصر فلما كان المصر كبير او عمرانه كثير او احواله متمسكة بما لا ينحصر كان وقوع النقص
فيه بالاعتداء والظلم يسير الان النقص انما يقع بالتدريج فاذا خفي بكثرة الاحوال واتساع الاعمال في
المصر لم يظهر أثره الا بعد حين وقد تذهب تلك الدولة المعتد به من أصلها قبل خراب المصر وتجيء الدولة
الآخرى فترفعه ويجدتها وتغير النقص الذي كان خفيا فيه فلا يكاد يشعر به الا ان ذلك في الاقل النادر
والمراد من هذا أن حصول النقص في العمران عن الظلم والعدوان امر واقع لا بد منه لما قدمناه وبواله عائد
على الدول ولا تحسبن الظلم انما هو أخذ المال او الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب كما هو
المشهور بل الظلم أعم من ذلك وكل من أخذ ملكا احداً وغصبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حقا
لم يقرضه الشرع فقد ظلمه في حيا الاموال بغير حقه غاطمة والمعتدون عليها ظلمة والمنتهبون لها ظلمة والممانعون
لحقوق الناس ظلمة وغصب الاملاك على العموم ظلمة ووبال ذلك كله عائدة على الدولة بخراب العمران
الذي هو مادتها الاذهاب الا مال من أهله واعلم ان هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم
وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري وهي الحكمة العامة
الرعاية للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال فلما
كان الظلم كما رأيت مؤذنا بانقطاع النوع عما أدى اليه من تخريب العمران كانت حكمة المحظرفيه
موجودة فكان تحريمه مهم ما أدلته من القرآن والسنة كثيراً كثيراً من أن يأخذها قانون الضبط والمحصر
ولو كان كل واحد قادرا عليه لوضع بازائه من العقوبات الزاجرة ما وضع بازائه غيره من المفسدات للنوع التي
يقدر كل احد على اقترافها من الزنا والقتل والسرقة الا أن الظلم لا يقدر عليه الا من يقدر عليه لانه انما يقع
من أهل القدرة والسلطان فبولغ في ذمهم وتكرير الوعيد فيهم عسى ان يكون الوازع فيه للقادر عليه في
نفسه وما ريك بظلام للعبيد ولا تقول ان العقوبة قد وضعت بازائه المحاربة في الشرع وهي من ظلم
القادر لان المحارب زمن حرايته قادر فان الجواب عن ذلك طريقه بين احدهم ما أن تقول العقوبة على
ما يتفرقه من الجنائيات في نفس او مال على ما ذهب اليه كثير وذلك انما يكون بعد القدرة عليه والمطالبة
بجنايته وأمانته المحاربة فهي خلون العقوبة الطريق الثاني ان تقول المحارب لا يوصف بالقدرة

السبق غير ان أجدهم سيرة انوشروان قال فاي اخلاقه كان أغلب عليه قال الحلم والاناة فقال على رضى الله عنه هم اتوا من يتجه ما علو
الهمة ومن محمود السيرة ان يعرف الناس من أخلاقك انك لا تجلب بالثواب ولا بالعقاب فان ذلك أدوم لحوف الخائف ورجاء الراجي

وقال محمود الوراق

سألزم نفسي الصمغ عن كل مذنب * وان عظمت منه على الجرائم فما الناس الا واحد من ثلاثة *
شريف ومشرف ومثل مقاوم (١٧٢) فاما الذي فوق فأعرف فضله * واتبع فيه الحق والحق لازم واما الذي دوني فان قال

صنت عن

اجابته نفسي وان لام لا ثم
واما الذي مثلي فان زل

أرهقا

تفضلت ان الحلم بالفضل

حاكم

(وقال الاصمعي) سمعت

اعرابيا يقول اسرع الناس

جوابا من لم يغضب لا توقدن

بين جنبيك جرة الغضب

واردد ساعة بالحلم فان

شجرة النار اذا المحت عليها

الرياح تحاكت أغصانها

فتشتعل نارا وتحترق من

أصولها * وقال عمر بن

عبد العزيز رضي الله عنه

ثلاث من اجتمعن فيه فقد

سعد من اذا غضب لم

يجز جه غضبه عن الحق

واذا رضي لم يدخله رضاه في

باطل واذا قدر عرف وكف

(وسئل جعفر بن محمد)

عن حد الحلم فقال وكيف

يعرف فضل شيء لم ير كماله في

أحد * وقال الاحنف لابنه

يا بني ان أردت ان تؤاخي

رجلا فلا تغضبه فان أنصت

والافاحذره (وكان سلم بن

نوفل) سيد بني كنانة

قصر به رجل من قومه

بسيقه فاخذ فاقى به اليه

فقال له ما الذي فعلت اما

لانا انما نعني بقدره الظالم البسوط التي لا تعارضها اقدرة فهي المؤذنة بالخراب واما قدرة المحارب

فانما هي اخافة يجهلها ذرية لا خذا الاموال والمدافعة عنها بيد الكل موجودة شرعا وسياسة فليست

من القدر المؤذن بالخراب والله قادر على ما يشاء

(فصل) ومن أشد الظلمات وأعظمها في افساد العمران تكليف الاعمال وتسخير الرعايا بغير حق

وذلك ان الاعمال من قبيل المتولات كما سنين في باب الرزق لان الرزق والكسب انما هو قبح اعمال

أهل العمران فاذا معاشهم وأعمالهم كلها امتولات ومكاسب لهم بل لا مكاسب لهم سواها فان الرعي

المعتمدين في العماره انما معاشهم ومكاسبهم من اعتمادهم ذلك فاذا كلفوا العمل في غير شأنهم واتخذوا

تسخيرا في معاشهم بطل كسبهم واعتصبوا قيمة عملهم ذلك وهو ممتولفهم فدخل عليهم الضرر وذهب لهم حظ

كبير من معاشهم بل هو معاشهم بالحيلة وان تركز ذلك عليهم أنفسهم افسادهم في العماره وقعدوا عن السعي

فيها جهلة فأدى ذلك الى انتقاص العمران وتخريره والله سبحانه وتعالى اعلم به التوفيق

(فصل) واعظم من ذلك في الظلم وفساد العمران والدولة التسلط على اموال الناس بشراعيين ايديهم

بأنحس الاثمان ثم فرض البضائع عليهم بارفع الاثمان على وجه العصب والاكراه في الشراء والبيع

وربما تقرر عليهم تلك الاثمان على النواحي والناجيل فبتهملون في تلك الخسارة التي تلحقهم بها

تخذتهم المطامع من جبر ذلك بحواله الاسواق في تلك البضائع التي فرضت عليهم بالغلاء الى بيعها بأبخس

الاثمان وتعود خساره ما بين الصنفين على رؤس اموالهم وقديم ذلك اصناف التجار المقعنين بالمدينة

والواردين من الآفاق في البضائع وسائر السوق وأهل الدكاكين في الماكمل والفواكه وأهل الصنائع

فما يتخذ من الآلات والمواعين فتشمل الخسارة سائر الاصناف والطبقات وتتوالى على الساعات

وتجحف برؤس الاموال ولا يجدون عنها وليجة الا تعود عن الاسواق لذهاب رؤس الاموال في جبرها

بالارباح ويتناقل الواردون من الآفاق لشراء البضائع وبيعها من أجل ذلك فتكسد الاسواق ويبطل

معاش الرعايا لان عامتهم من البيع والشراء واذا كانت الاسواق عطلا منها بطل معاشهم وتنتقص جباية

السلطان او تفسدان معظمها من أوسط الدولة وما بعدها انما هو من المكوس على البياعات كما قدمناه

ويؤول ذلك الى تلاشي الدولة وفساد عمران المدينة ويتطرق هذا الخلل على التدرج ولا يشعر به هذا

ما كان بامثال هذه الذرائع والاسباب الى أخذ الاموال وأما أخذها مجانا والعدوان على الناس في أموالهم

وحرمهم ودمائهم واسرارهم واعراضهم فهو يقضي الى الخلل والفساد دفعة وتنتقص الدولة سر يعاينها

ينشأ عنه من المخرج المقضي الى الانتقاص ومن أجل هذه المفسد حذر الشرع ذلك كله وشرع المكايسة

في البيع والشراء وحظرا كل أموال الناس بالباطل سد الابواب المفسدة المقضية الى انتقاص العمران

بالمخرج او بطلان المعاش واعلم ان الداعي لذلك كله انما هو حاجة الدولة والسلطان الى الاكثار من المال

بما يعرض لهم من الترف في الاحوال فتكثر نفقاتهم ويعظم الخرج ولا يفي به الدخل على القوانين المعتادة

يستحدثون القاباو وجوها يوسعون بها الجباية ليني لهم الدخل بالخرج ثم لا يزال الترف يزيد والخرج

يسد به يكثر والحاجة الى أموال الناس تشد ونطاق الدولة بذلك يزيد الى أن تنمحي دائرتها ويذهب

برئتها ويغلبها ظلمها والله اعلم

٤٥ * (فصل في الحجاب كيف يقع في الدول وانه يعظم عند الهرم) *

اعلم ان الدولة في أول أمرها تكون بعيدة عن منازع المالك كما قدمناه لانه لا بد لها من العصبية التي بها يتم

خشيت ان تقامى قال فلم

سودناك الا ان تكظم الغيظ

وتعفو عن الجاني وتعلم عن

سود أقوام وليسوا بسادة

بل السيد المعروف سلم بن نوفل

وقال رجل من كاب الحكم بن عوانة انما أنت عبد فقال والله

أمرها

وقال رجل من كاب الحكم بن عوانة انما أنت عبد فقال والله

لاطينك عطية ما يعطيه العبيد فاعطاه مائة رأس من السبي ومن أمثال العرب احلم تسدو يروي ان هشام غضب على رجل من
أشراف الناس فشقته فوجده الرجل فقال له اما تستحي ان تستمني وانت خليفة الله (١٧٣) في أرضه فاطرق هشام واستحيا

وقال له اقتص فقال اذا
سفيه مثلك فقال خذ من
ذلك عوضا من المال قال
ما كنت لافعل قال فهبها
لله قال هي لله ثم لك
فنكس هشام رأسه وقال
والله لاء ودلته اوقال
الشاعر
لن يبلغ المجد اقوام وان
شرفوا
حتى بذلوا وان عز والاقوام
ويشتموا فترى الالوان
مسفرة
لاصفح ذل ولا يكن صفح
اكرام
وقال آخر

وجه لرددناه بفضل
حلومنا
ولوانه اشترادناه بالجهل
رجحنا وقد خفت حلوم
كثيرة
وعدنا على أهل السقاة
بالفضل
وقال هشام لخالد بن
صفوان صف لي الاحنف
ابن قيس فقال يا امير
المؤمنين ان شئت اخبرتك
عنه بثلاث وان شئت
بائنتين وان شئت بواحدة
فقال اخبرني عنه بثلاث قال
كان لا يجرح ولا يجهل
ولا يدفع الحق اذا نزل به
قال فاخبرني عنه بائنتين
قال كان يؤثر الخيرو يتوقى

أمرها ويحصل استيلاؤها والبدوة هي شعار العصبية والدولة ان كان قيامها بالدين فانه بعيد عن منازع
الملك وان كان قيامها بعز الغلب فقط فالبدوة التي بها يحصل الغلب بعيدة أيضا عن منازع الملك
ومذاهبه فاذا كانت الدولة في أول أمرها بدوية كان صاحبها على حال الغضاضة والبدوة والقرب من
الناس وسهولة الاذن فاذا سرخ وعزوه وصار الى الانفراد بالحج ودواحتاج الى الانفراد بنفسه عن الناس
للحديث مع اوليائه في خواص شؤنه لما يكثر حينئذ من بحاشيته فيطلب الانفراد من العامة ما استطاع
ويتخذ الاذن بيباه على من لا يأمنه من اوليائه وأهل دولته ويتخذ حاجب له عن الناس بقبه بيباه هذه
الوظيفة ثم اذا استعمل الملك وجاءت مذاهبه ومنازعه استحالت خلق صاحب الدولة الى خلق الملك وهي
خلق غريبة مخصوصة محتاج مباشرة الى مداراتها ومعاملتها بما يجب لها وما لا يجب لها تلك الخلق منهم
بعض من يباشروهم فوقه فيما لا يرضيهم فيخطوهم وصاروا الى حالة الانتقام منه فان قدر معرفة هذه الآداب
الخواص من اوليائه هم وحجبا غير أولئك الخاصة عن لقاءهم في كل وقت حفظا على أنفسهم من معارضة
ما يخطوهم وعلى الناس من التعرض لعقابهم فصار لهم حجاب آخر اخص من الحجاب الاول يقضي اليهم
منه خواصهم من الاولياء ويحجب دونه من سواهم من العامة والحجاب الثاني يقضي الى مجالس
الاولياء ويحجب دونه من سواهم من العامة والحجاب الاول يكون في أول الدولة كما ذكرنا كما حدث لايام
معاوية وعبد الملك وخلفاء بني أمية وكان القائم على ذلك الحجاب يسمى عندهم الحجاب جريا على
مذهب الاشعري ثم لما جاءت دولة بني العباس وجدت الدولة من الترف والعز ما هو معروف
وكملت خلق الملك على ما يجب فيها فدعا ذلك الى الحجاب الثاني وصار اسم الحجاب اخص به وصار باب
الخلفاء داران للعباسية دار الخاصة ودار العامة كما هو مسطور في أخبارهم ثم حدث في الدول حجاب ثالث
أخص من الاولين وهو عند محاولة الحجر على صاحب الدولة وذلك ان أهل الدولة وخواص الملك اذا
نصبوا الانباء من الاعقاب وحاولوا الاستبداد عليهم فأول ما يبدأ به ذلك المستبد ان يحجب عنه بطانة ابنه
وخواص اوليائه بوجهه أن في مباشرتهم اياه حرق حجاب الهيبة وفساد قانون الادب ليقطع بذلك لقاء الغير
ويعوده ملاسبة أخلاقه وحتى لا يتبدل به سواه الى ان يستحكم الاستيلاء عليه فيكون هذا الحجاب من
دواعيه وهذا الحجاب لا يقع في الغالب الا اواخر الدولة كما قدمناه في الحجر ويكون دليلا على هرم الدولة
ونفاذ قوتها وهو مما يحشاها أهل الدول على أنفسهم لان القائم من بالدولة يحاولون على ذلك بطباعهم
عند هرم الدولة وهذا الاستبداد من اعقاب ملوكهم لماركب في النفوس من محبة الاستبداد بالملك
وخصوصا مع الترشيح لذلك وحصول دواعيه ومبادئه

٤٦ * (فصل في انقسام الدولة الواحدة بدولتين) *

اعلم ان اول ما يقع من آثار الهرم في الدولة انقسامها وذلك ان الملك عندما يستفحل ويبلغ احوال الترف
والنعيم الى غايتها ويستبد صاحب الدولة بالحج ودوينه ينفذ به بانفسه حيثئذ عن المشاركة ويصير الى قطع
اسبابها ما استطاع باهلا لك من استئراب به من ذوي قرابته المرشحين لمنصبه فر بما ارتاب المساهمون له
في ذلك بانفسهم ونزعوا الى القاصية اليهم من يلحق بهم مثل حالهم من الاعتراض والاسترابة ويكون نطاق
الدولة قد أخذ في التضيق ورجع عن القاصية فاستبد ذلك النازع من القرابة فيها ولا يزال امره يعظم
بتراجع نطاق الدولة حتى يقاسم الدولة ويكاد وانظر ذلك في الدولة الاسلامية العربية حين كان أمرها
حريزاجتماعها ونطاقها تمدد في الاتساع وعصبية بني عبدمناف واحدة غالبية على سائر مضر فلم ينقض عرق

الشرقال فاخبرني عنه بواحدة قال كان أعظم الناس سلطانا على نفسه وقال أكرم من صيفي الغلبة والعز للحلم وقال الاحنف بن قيس
وجدت الحلم أنصرتني من الرجال وصدق الاحنف فان من حلم كان الناس أنصاره كما روى ان رجلا أسرف في شتم بعض الأدباء وهو

سأكت نفسي له بعض المارين في الطريق وقال له يرجعك الله لا تنصرف لك قال لا قال لاني وجدت الحلم أنصر لي من الرجال
وهل حامت في الأحلى وقال رجل (١٧٤) لعرو بن العاص والله لا تفرغن لك فقال له الآن وقعت في الشغل وقال عبد

الله بن عمر رضي الله عنه
ان رجلا من كان قبلكم
استضاف قومًا فاضافوه
ولهم كربة تنج فقات والله
لا أنج ضيف أهلي الليلة
فـ وى جـ وهانى بطنها
فبلغ ذلك نبيهم أوقلامن
أقلامهم فقال مثل هذا مثل
أمة تكون بعدكم يظهر
سـ قهاؤها على حلماتها
وقال الاحنف اياكم ورأى
الاوغاد وقالوا مارأى
الاوغاد قال الذين يرون
الصفح والعقوعاروسل
الاحنف عن الحلم فقال
هو الذى تصبر عليه ولست
بجليم ولكنى صبور
ويروى ان المهلب نازعه
رجل من كبار بني تميم
فأرى على المهلب والمهلب
سأكت فقبل له في ذلك
فقال كنت اذا سـ بنى
استحدثت من مخفف
السباب وغلبة اللثام
والسقالة وكان اذا سـ بنى
تهال وجهه وشمخت نفسه
بان ظفر بفضل القحة ونبت
المروية وخلق ربة الحناء
وقلة الاكتر اسوء البناء
ومر المسيح عليه السلام على
قوم من اليمن ودفقوا له
شرًا وقال لهم خير اقبل له
انهم يقولون شرًا وانت
تقول خير اقبال كل ينطق

من الخلاف سائر أيامه الا ما كان من بدعة الخوارج المستميتين في شأن بدعتهم لم يكن ذلك النزعة ملك
ولا رياسة ولم يتم أمرهم لاحتهم العصبية القوية ثم لما خرج الأمر من بني أمية واستقل بنو العباس بالأمر
وكانت الدولة العربية قد بلغت الغاية من الغلب والترف وأذنت بالانقضاء عن القاصية نزاع عبد
الرحمن الداخل الى الأندلس قاصية دولة الاسلام فاستحدث بهم امل كما واقتطعها عن دولتهم وصير الدولة
دولتين ثم نزح ادريس الى المغرب بوجوه وقام بامرته وأمر ابنه من بعده البريرة من أوربة ومغيلة
وزناته واستولى على ناحية المغربين ثم ازدادت الدولة تغلظا فاضطر بالاعايلة في الامتناع عليهم ثم خرج
الشبيعة وقام بامرهم كامة وصنهاجة واستولوا على افر يقية والمغرب ثم مصر والشام والحجاز وغلبوا على
الادارة وقسموا الدولة دولتين آخرين وصارت الدولة العربية ثلاث دول دولة بني العباس بمركز العرب
وأصلهم ومادتهم الاسلام ودولة بني أمية بالمجدين بالأندلس ملكهم القديم وخـ لاقتهم بالمشرق ودولة
العبيديين بآفر يقية ومصر والشام والحجاز ولم تزل هـ هذه الدولة الى ان كان انقراضها متقاربا أو جمعها
وكذلك انقسمت دولة بني العباس بدول أخرى وكان بالقاصية بنو ساسان في ما وراء النهر وخراسان
والعلوية في الديلم وطبرستان وآل ذلك الى اسـ لاء الديلم على العراقيين وعلى بغداد والخلفاء ثم جاء
السلجوقية فملكوا جميع ذلك ثم انقسمت دولتهم ايضا بعد الاستفحال كما هو معروف في اخبارهم وكذلك
اعتبره في دولة صنهاجة بالمغرب وافر يقية لما بلغت الى غايتها أيام باديس بن المنصور خرج عليه عمه جاد
واقطع ممالك العرب لنفسه ما بين جبل أوراس الى تلمسان ومولوية واخط القلعة بجبل كامة جبال
المسيلة ونزلها واستولى على مركزهـ ثم أسير بجبل تطرى واستحدث ملكا آخر قسما الملك آل باديس
وبقى آل باديس بالقبور وان وما اليها ولم يزل ذلك الى ان انقرض أمرهما جميعا وكذلك دولة الموحدين لما
تقلص ظلها ثار بآفر يقية بنو ابي حفص فاستقلوا بها واستحدثوا ملكا لآعاقبهم بنو ابيها ثم لما استقل
أمرهم واستولى على الغاية خرج على الممالك الغربية من اعقابهم الامير أبو بكر يا يحيى ابن السلطان ابي
اسحق ابراهيم رابع خلفائهم واستحدث ملكا ببيجة وقسنطينة وما اليها أوربة بنه وقسمه وابه الدولة قسمين
ثم استولى على كرسى الحضرة بتونس ثم انقسم الملك ما بين اعقابهم ثم عاد الاستيلاء فيهم وقد ينتهي
الانقسام الى اكثر من دولتين وثلاثة وفي غير اعيان الممالك من قومه كما وقع في ملوك الطوائف بالأندلس
وملوك الحـ بالمشرق وفي ملك صنهاجة بآفر يقية فقد كان لا خرد دولتهم في كل حصن من حصون
آفر يقية تأثر مستقل بامرته كما تقدم ذكره وكذا حال التجريد والزبان آفر يقية قبيل هـ هذا العهد كما نذكره
وهكذا شأن كل دولة لا بد وأن يعرض فيها عوارض الهرم بالترف والدعة وتقلص ظل الغلب فيقسم
اعياصها ومن يغلب من رجال دولتها الامرو يتعد فيها الدولة والله وارث الارض ومن عليها

٤٧ * (فصل في ان الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع) *

قد قدمنا ذكر العوارض المؤذنة بالهرم وأسبابه واحدا بعد واحد وبيننا انها تحدث للدولة بالطبع وانها
كها امور طبيعية لها واذا كان الهرم طبيعيا في الدولة كان حدوثه بمثابة حدوث الامور الطبيعية
كما يحدث الهرم في المزاج الحيواني والهرم من الامراض المزمنة التي لا يمكن دواؤها ولا ارتفاعها لما انه
طبيعي والامور الطبيعية لا تتبدل وقد يتنبه كثير من اهل الدول ممن له يقظة في السـ ماسة فبى منازل
بدولتهم من عوارض الهرم ويظن انه يمكن الارتفاع فيأخذ نفسه بتلافي الدولة واصلاح مزاجها عن ذلك
الهرم ويحسبه انه لحقها بتمصير من قبله من اهل الدولة وغفلت عنهم وليس كذلك فانها امور طبيعية للدولة

مما عنده وقال اكنتم بنى من حلم سادومن تفهم ازدادوك كفر النعمة لثوم وصحبة الجاهل شوم ولقاء الاخوان والعوائد
تتم والمباشرة تيمن ومن الفساد ضاعة الزادوسم بـ رجل الشعبي يقبلح نسبه اليه فقال الشعبي ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا

فغفر الله لي وقال رجل لابي بكر الصديق رضي الله عنه لا سبك - بايدخل معك في قبرك فقال ابو بكر معك والله يدخل لامعي وقال رجل للاحنف بن قيس ان قلت كلمة لتسمعن عشر افعال له الاحنف

واحدة ويروي ان رجلا سبب الاحنف وهو يماشيه في الطريق فلما قرب من المنزل وقف الاحنف وقال يا هذا ان كان بقي معك شيء فقله ههنا فاني اخاف ان سمعت قتيان الحمصي ان يؤذوك وسب رجل بعض الحكماء فقال له الحكيم لست ادخل في حرب الغالب فيه شر من المغلوب وقال لقيط ابن زرارة شعرا

فقل لابي سعد فالي ومالكم ترعون مني ما لست تطعمم واعنق اغركم اني باحسن شيمة صير وانى بالفواحش اخرق وانك قد سابتني فقهرتني هنيئا امرية انت بالفحش احدثق

وقال رجل لابي ذر رضي الله عنه انت الذي نفاك معاوية من الشام لو كان فيك خير مانفاك فقال يا ابن أخي ان ورائي عقبة كؤود ان نجوت منها لم يضربني ما قلت وان لم انج منها فانا شر مما قلت وقال لقمان لابنه يا بني ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحكم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا اخوك

والعوائد هي المانعة له من تلافيا والعوائد منزلة طبيعية أخرى فان من ادرك مثلا اياه واكثر اهل بيته يلبسون الحرير والديماج ويتحلون بالذهب في السباح والمرابك ويحتجبون عن الناس في المجالس والصلوات فلا يمكنه مخالفة سلفه في ذلك الى الخشونة في اللباس والزى والاختلاط بالناس اذا العوائد حينئذ تمنع وهو يتقبح عليه مرتكبه ولو فعله لرمى بالجنون والوسواس في الخروج عن العوائد دفعة وخشى عليه عائدة ذلك وعاقبته في سلطانه وانظر شأن الانبياء في انكار العوائد ومخالفتها لولا التأييد الالهي والنصر السماوي وربما تكون العصبية قد ذهبت فتكون الابهة تعوض عن موقعها من النفوس فاذا ازيلت تلك الابهة مع ضعف العصبية تجاسرت الرعايا على الدولة بذهاب اوهاام الابهة فتدفع الدولة بتلك الابهة ما يمكنها حتى ينقضي الامر وربما يحدث عند آخر الدولة قوة توهم ان الهرم قد ارتفع عنها ويومض زبالها ايماضه الخلود كما يقع في الذبال المشتعل فانه عند مقاربة انطفائه يومض ايماضه توهم انها اشتعال وهي انطفاء فاعتبر ذلك ولا تغفل سر الله تعالى وحكمته في اطار وجوده على ما قدر فيه ولكل أجل كتاب

٤٨ * (فصل في كيفية طروق الخلال للدولة) *

اعلم ان مبنى الملك على اساسين لا بد منهما فالاول الشوكة والعصبة وهو المبرعته بالجنود والثاني المال الذي هو قوام اولئك الجنود واقامة ما يحتاج اليه الملك من الاحوال والخلل اذا طرقت الدولة طرقها في هذين الاساسين فلنذكر اول طروق الخلال في الشوكة والعصبة ثم نرجع الى طروقه في المال والحماية واعلم ان تهديد الدولة وتأسيسها كما قلناه انما يكون بالعصبة وانه لا بد من عصبة كبرى جامعة للعصائب مستتبعة لها وهي عصبة صاحب الدولة الخاصة من عشيرة وقبيلة فاذا جاءت الدولة طبيعية الملك من الترف وجدع انوف اهل العصبة كان اول ما يجدع انوف عشيرته وذوي قرابه المقاسمين له في اسم الملك فيسبب في جدع انوفهم بما بلغ من سوادهم ويأخذهم الترف ايضا اكثر من سوادهم لكانهم من الملك والعز والغلب فيحيط بهم هادمان وهما الترف والقهر ثم يصير القهر آخر الى القتل لما يحصل من مرض قلوبهم عند سوخ الملك لصاحب الامر فيقلب غيرته منهم الى الخوف على ملكه فيأخذهم بالقتل والاهانة وسلب النعمة والترف الذي تعودوا اليه كثيرا من غيرهم فيكونون يتسدد عصبية صاحب الدولة منهم وهي العصبة الكبرى التي كانت تجمع بها العصائب وتتبعها فتخلع عنها وتضعف شكيمتها وتسبب لها الباطلة من موالى النعمة وصنائع الاحسان وتتخذ منهم عصبية لانها ليست مثل تلك الشدة الشكومية التي تفقدان الرحم والقراية منها وقد كنا قدمنا ان شأن العصبية وقوتها انما هي بالقراية والرحم لما جعل الله في ذلك فينقر صاحب الدولة عن العشير والانصار الطبيعية ويحس بذلك اهل العصائب الاخرى فيتجاسرون عليه وعلى بطانته تجاسر اطيافهم ملكهم صاحب الدولة ويتبعهم بالقتل واحدا بعد واحد وبقدر الاخر من اهل الدولة في ذلك الاول مع ما يكون قد نزل بهم من مهلكة الترف الذي قدمنا فيستولى عليهم الهلاك بالترف والقتل حتى يخرجوا عن صبغة تلك العصبية وينشوا بعزتها وشورتها ويصيروا ورجعوا الى الحماية ويقبلون لذلك فنقل الحماية التي تنزل بالاطراف والثغور فيتجاسر الرعايا على بعض الدعوة في الاطراف ويساد الخوارج على الدولة من الاعياص وغيرهم الى تلك الاطراف لما يرجون حينئذ من حصول غرضهم بما يباعه اهل القاصية لهم وامنهم من وصول الحماية اليهم ولا يزال ذلك يتدرج ونطاق الدولة يتضيق حتى تصير الخوارج في اقرب الاماكن

الا عند الحاجة اليه وسب رجل بعض الحكماء فاعرض عنه فقال له اياك اعني فقال الحكيم وعنتك اعرض وفي هذا المعنى قيل قل ما يدلك من زور ومن كذب حلي اصم وأذني غير صماء وقيل يوما للاحنف ما أحلمك فقال لست بحليم ولا كفي التحام والله اني

لاسمع الحكمة فاجم لها ثلاثا ما يعني من جوابها الا الخوف من ان اسمع ما هو شر منها وقال الشاعر وليس يتم الحلم للمرء ارضيا *
اذا كان عند المخط لا يتعلم (176) كما لا يتم الجود للمرء موسرا * اذا كان عند العسر لا يتخشم وروى ان رجلا سب جمع قرين

محمد درضى الله عنه فقال
اماما قلت مما هو فينا
فاناس تنقر الله منه وما
قلت مما ليس فينا فاناسك
فيه الى الله تعالى وقال
بعض الحكماء احذروا
الغضب فرب غضب
استحق الغضبان به غضب
الله تعالى وقال اكن من
صبي لا يكون الرجل
حليما حتى يقول السفه انه
لضعيف مستذل ولا يكون
مخلصا حتى يقول الاحق
انه لمفسد ومن اشعر بيت
قيل في الحلم قول كعب بن
زهير
اذا أنت لم تعرض عن
الجمل والحق
أصبت حليما واصابك
جامل

الى مركز الدولة وربما اتفقت الدولة عند ذلك بدولتين او ثلاثة على قدر قوتها في الاصل كما قلناه و يقوم
بامرها غير اهل عصيتها لكن اذعاننا لاهل عصيتها وتعلمهم المعهود واعتبر هذا في دولة العرب في الاسلام
انتهت اولها الى الاندلس والهند والصين وكان امر بني أمية نافذا في جميع العرب بعصية بني عبد مناف حتى
لقد أمر سليمان بن عبد الملك من دمشق بقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بقرطبة فقتل ولم يرد أمر ثم
تلاشت عصية بني أمية بما صابهم من الترف فانقرضوا وجاء بنو العباس فغضوا من اعنة بني هاشم وقتلوا
الطالبين وشردوهم فاحلت عصية عبد مناف وتلاشت وتجاسر العرب عليهم فاستبد عليهم اهل القاصية
مثل بني الاغلب باقر بيقية واهل الاندلس وغيرهم وانقسمت الدولة ثم خرج بنو ادريس بالمغرب وقام
البربر بامرهم اذعاننا لعصية التي لهم وامنانا ان تصلهم مقاتلة او حامية للدولة فاذا خرج الدعاء آخر اذ تغلبون
على الاطراف والقاصية وتحصل لهم هناك دعوة وملك تنقسم به الدولة وربما يزيد ذلك متى زادت الدولة
تقلص الى ان ينتهي الى المركز وتضعف البطانة بعد ذلك بما أخذ منها الترف فتهلك وتضعف الدولة
المنقسمة كلها وربما طال امدها بعد ذلك فاستغنى عن العصية بما حصل لها من الصبغة في نفوس
اهل اياتها وهي صبغة الانقياد والتسليم منذ السنين الطويلة التي لا يعقل احد من الاجيال مبدؤها ولا
اوليتها فلا يعقلون الا التسليم لصاحب الدولة فيسبغني بذلك عن قوة العصاب ويكفي صاحبها بما
حصل لها في تهديدها الاجراء على الحامية من جندي ومرترق وبعيد ذلك ما وقع في النفوس عامة من
التسليم فلا يكاد احد ان يتصور عصيانا اخر وجالا او المجهور منكر كون عليه مخالفة له فلا يدرك على
التصدي لذلك ولو جهده ووربما كانت الدولة في هذا الحال اسلم من الخوارج والمنازعة لا يستحق
صبغة التسليم والانقياد لم فلا تكاد النفوس تحدث سرها بمخالفة ولا يتخلى في ضميرها انحراف عن
الطاعة فيكون اسلم من الهرج والانتقاض الذي يحدث من العصاب والعشائر ثم لا يزال امر الدولة
كذلك وهي تلامي في ذاتها شأن الحرارة الغريزية في البدن العادم للغذاء الى ان تنتهي الى
وقتها المقدور واكمل اجل كتاب ولكل دولة امد والله يقدر اللب والنها وهو الواحد القهار *
واما الخلل الذي يتطرق من جهة المال فاعلم ان الدولة في اولها تكون بدوية كما مر فيكون خلق الرفق
بالرعايا والقصد في النفقات والتعفف عن الاموال فتجاني عن الامعان في الجباية والتخلدق والكيس في
جمع الاموال وحسبان العمال ولا داعية حينئذ الى الاسراف في النفقة فلا يحتاج الدولة الى كثرة المال
ثم يحصل الاستيلاء ويعظم ويستعمل الملك فيدعو الى الترف ويكثر الانفاق بسببه فتعظم نفقات السلطان
واهل الدولة على العموم بل يتعدى ذلك الى اهل المصر ويبدو ذلك الى الزيادة في اعطيات الجنود وازراق
اهل الدولة ثم يعظم الترف فيكثر الاسراف في النفقات ويستشر ذلك في الرعية لان الناس على دين
ملوكها وعوائدها ويحتاج السلطان الى ضرب المكوس على اثمان البياعات في الاسواق لادارة
الجباية لما يراه من ترف المدينة الشاهد عليهم بالرفه وما يحتاج هو اليه من نفقات سلطانه وازراق جنوده
ثم تزيد عوائد الترف فلا تبقى المكوس وتكون الدولة قد استفحلت في الاستطالة واقهر لمن تحت
يدها من الرعايا فتمتد ايديهم الى جميع المال من اموال الرعايا من مكس وتجارة او نقد في بعض الاحوال
بشبهة او غير شبهة ويكون الجندي ذلك الطور قد تجاسر على الدولة بالحقوق من القشل والمهزم في العصية
فتوقع ذلك منهم وتداوى بسكينة العطايا وكثرة الانفاق فيهم ولا تجرد عن ذلك وليجة وتكون جباة
الاموال في الدولة قد عظمت ثروتهم في هذا الطور بكثرة الجباية وكونها بايديهم وبما اتسع لذلك من

ووصف اعرابي رجلا
فقال احلم من فرخ طائر
وقال اعرابي ان الغضب
عدو العقل ولذلك يحول بين
صاحبه وبين العقل والفهم
وقال صعصعة بن صوحان
الغضب مقدحة العقل
فر بما اصدور بما ازند
وقال اعرابي اذا جاء الغضب
تسلط الغضب وكان ابن
عوان اذا غضب على احد
من اهلها قال سبحان الله بارك
الله فيك وقال الاصمعي دفع
ارذشير الى رجل كان

يقوم على راسه كتابا وقال له اذا رأيتني اشد غضبي فادفعه الى فـ كان فيه اسكن فاست
باله انما انت بشر يوشك أن يأكل بعصك بعضا وتصير عن قرييب للدود واليراب وهذه السيرة اول من سنها ملك تبـ مع امر أن يكتب

في كتاب اسكن فليست باله وقال لصاحبه اذا غضبت فاعرضه على فكان اذا غضب عرضه عليه فاذا قرأ اسكن غضبه وقال معاوية افضل ما اعطى الرجل العقل والحلم فاذا ذكر ذكروا اذا اعطى شكر واذا ابتلى صبر واذا غضب (١٧٧) كظم واذا قدر عفا واذا اساء استعفى

واذا وعد انجز وفي الحكمة مكتوب من اطاع الغضب حرم السلامة ومن عصى الحق غمزه الذل وقال بعض الحكماء كظم الغضب يحلم والحلم صبر والتشفي ضرب من الجزع وقال آخر اول الغضب جنون وآخره ندم وقال بعض الحكماء اذا غلب على

جاههم فيتوجه اليهم باحتجان الاموال من الجباية وتفشوا السعاية فيهم بعضهم من بعض للمنافسة والمقد فتمهم النجبات والمصادرات واحدا واحدا الى ان تذهب ثروتهم وتتلاشى احوالهم ويقدم ما كان للدولة من الابهة والجمال بهم واذا اصطلمت نعمتهم تجاوزتهم الدولة الى اهل الثروة من الرعايا سواهم ويكون الوهن في هذا الطور قد تحق الشوكه وضعفت عن الاستطالة والقهر فنصرف سياسة صاحب الدولة حينئذ الى مداراة الامور ببذل المال و براه ارفع من السيف لانه غناؤه فتعظم حاجته الى الاموال زيادة على النفقات وازراق الجنود ولا يغني فيما يريدو يعظم الهرم بالدولة ويتجاسر عليها اهل النواحي والدولة تنحل عراها في كل طور من هـ - ذه الى ان تقضى الى الهلاك وتتعرض من الاستيلاء الكلال فان قصدها طالب انتزعهما من ايدي القائمين بها والاقبوت وهي تتلاشى الى ان تضج كل كالذيال في السراج اذا فني زيتها وطفئ والله مالك الامور ومدبر الالكوان لا اله الا هو

٤٩ * فصل في حدوث الدولة وتجددها كيف يقع *

اعلم ان نشأة الدول و بدايتها اذا اخذت الدولة المستقرة في الهرم والانتقاص يكون على نوعين اما بان يستمد ولاية الاعمال في الدولة بالقاصمة عندما يتقاص ظلها عنهم فيكون لكل واحد منهم دولة يستجدها لقومه وما يسهل تقر في نصابه يرثه عنه ابناؤه او واهله ويستفحل لهم الممل بالترتيب ويرثها من بعدهم على ذلك الممل و يتقارعون عليه ويتنازعون في الاستئثار به ويغلب منهم من يكون له فضل قوة على صاحبه وينزع ما في يده كما وقع في دولة بني العباس حين اخذت دولتهم في الهرم وتقاص ظلها عن القاصمة واستبدت بنو سامان بمواراه النهر و بنو حمدان بالموصل والشام و بنو طولون بمصر وكما وقع بالدولة الاموية بالاندلس واقترب ملكها في الطوائف الذين كانوا ولايتها في الاعمال وانقسمت دولها واملوا كأورثوها من بعدهم من قرابتهم او مواليهم وهذا النوع لا يكون بينهم وبين الدولة المستقرة حرب لانهم مستقررون في رياستهم ولا يطعمون في الاستيلاء على الدولة المستقرة بحرب وانما الدولة ادركها الهرم وتقاص ظلها عن القاصمة وبجزت عن الوصول اليها والنوع الثاني بان يخرج على الدولة خارج عن مجاورها من الامم والقبائل اما بدعوة يحمل الناس عليها كما اشرفنا اليه او يكون صاحب شوكه وعصبية كبير يراي قومه قد استفحل امره فيسعى بهم الى الممل وقد حدثوا به انفسهم بما حصل لهم من الاعتزاز على الدولة المستقرة وما نزل بها من الهرم فيتعين له ولقومه الاستيلاء عليها ويارسونها بالمطالبة الى ان يظفروا بها او يزنون (١) امرها كما يتبين والله سبحانه وتعالى اعلم

٥٠ * فصل في ان الدولة المستقرة انما تستولى على الدولة المستقرة بالمطاوله لا بالمانحة *

قد ذكرنا ان الدول الحادثة المتجددة نوعان نوع من ولاية الاطراف اذا تقصص ظل الدولة عنهم وانحسر تيارها وهؤلاء لا يقع منهم مطالبة للدولة في الاكثر كما قدمناه لان قصاراهم القنوع بما في ايديهم وهو نهاية قوتهم والنوع الثاني نوع الدعاة والخوارج على الدولة وهؤلاء لا بد لهم من المطالبة لان قوتهم وافية بها فان ذلك انما يكون في نصاب يكون له من العصبية والاعتزاز ما هو كفاء ذلك وواف به فيقع بينهم وبين الدولة المستقرة حرب سجال تتكرر وتتصل الى ان يقع لهم الاستيلاء والظفر بالمطلوب ولا يحصل لهم في الغالب ظفر بالمانحة والسبب في ذلك ان الظفر في الحروب انما يقع كما قدمناه بامور نفسانية وهمية وان كان العدد والسلاح وصدق القتال كفيلا به لكنه قاصر مع تلك الامور الوهمية كما مر ولذلك كان الخداع

(١) قوله ويزنون في نسخة ويرفون من الرغوب والراء والقاء اه

الرجل اربح خصال فقد عطب الرغبة والرغبة والشهوة والغضب (وقيل) لبعض الصالحين ان فلانا يقع فيك فقال لا غيظن من امره يغفر الله لي وله قيل له ومن امره قال الشيطان وقال رجل لاخيه اني مررت بفلان وهو يقع فيك ويذكرك باشياء رجلك منها قال فهل سمعتي اذكره بشئ قال لا فاباه فارحم وقال الفضيل ثلاثة لا يلامون على الغضب المريض والصائم والمسافر وقال الاحنف بن قيس لقد تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المتقري ابي جالس معه في فناء وهو يحدثنا اذ جاز جماعة يحملون قتيلا ومعه رجل ماسور فقبل له هذا البنت فقله اخوك فوالله ما قطع حديثه ولا حل جبوته حتى فرغ

(٢٣ - ابن خلدون)

من منطقة ثم انشد اقول للنفس تانيا وتغزية * احدى يدي اصابتني ولم ترد كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي ثم التفت الى بعض ولده فقال قم فاطلق عمك ووارثك وسق الى

أمة مائة من الابل فانها غريبة ومن أنبل بيت قالته العرب قول بعضهم فصيح بالخير خمس بالحقى رجع الاحلام ذبال الازر وقال غيره بالاحلام عاد لا يخاف جليسهم * (١٧٨) اذا حدثوا لم يخش سوء استماعهم وان حدثوا ادوا بحسن بيان

وقال المسبح عليه السلام ما حلم من لم يصبر عند الجهل وما قوة من لم يبرد الغضب وما عبادة من لم يتواضع للرب تعالى وقيل للاسكندر ان فلانا وفلانا ينتصانك ويثلبانك فلوعاقبتهم فقال لهم بعد العتوبة اعذر في نبي وتنقيصى (ويروى) ان جرير بن عبد الله بينما هو راكب قد اُردف ابنه اذ لقبه برجل فقال منه وحرير ساكت فلما ولي قال له ابنه يا ابي لم سكت عنه قال يا بني اذ اوسع جرحى وقال بعض الحكماء متى أشفى غبضى أحين أقدر فيقال لوعفوت أم حين أعجل فيقال لوصرت وسئل بعض أصحاب الاحنف أكان الاحنف يغضب فقال نعم لولم يغضب ما بان حلمه كان يغضبه الشئ يبين في وجهه اليومين والثلاثة وهو يصبر ويحلم ومن لم يغضب من الاشياء التي مثلها يغضب فقد فقد من الفضائل الشجاعة والانفة والمجبة والدفاع والاخذ بالثار والغيرة لان هذه الخصال نتائج الغضب ومن فقد الغضب فقد دأس الفضائل على ما سئذكر في باب الشجاعة ان شاء الله تعالى

من أنفع ما يستعمل في الحرب واكثر ما يقع الظفر به وفي الحديث الحرب خدعة والدولة المستقرة قد صيرت العوائد المألوفة طاعتها ضرورية واجبة كما تقدم في غير موضع فتكثر بذلك العوائق لصاحب الدولة المستجدة ويكثر من هم أتباعه وأهل شوكته وان كان الاقربون من بطانته على بصيرة في طاعته وموازرته الا ان الآخرين أكثر وقد داخلهم الفشل بتلك العقائد في التسليم للدولة المستقرة فيحصل بعض القصور منهم ولا يكاد صاحب الدولة المستجدة يتقوّم صاحب الدولة المستقرة فيرجع الى الصبر والمطاوله حتى يتضح هرم الدولة المستقرة فيضمحل عقائد التسليم لها من قومها وتتبعث منهم المهمل اصدق المطالبة معه فيقع الظفر والاستيلاء وايضا فالدولة المستقرة كثيرة الرزق بما استحسبكم لهم من الملك وتوسع من النعيم واللذات واختصوا به دون غيرهم من أموال الجباية فيكثر عندهم ارتباط الخيول واستجادة الاسلحة وتعظم فيهم الابهة الملكية ويقبض العطاء بينهم من ملو كهم اختيارا واضطرارا فيهربون بذلك كله عدوهم وأهل الدولة المستجدة بمعزل عن ذلك المأثم فيه من البداوة واحوال الفقر والتخصاصة فيسبق الى قلوبهم او هامم العرب بما يلقه من احوال الدولة المستقرة ويحرمون عن قتالهم من اجل ذلك فيصير امرهم الى المطاوله حتى تأخذ الدولة المستقرة ما خذها من الهرم ويستحسبكم الخال فيها في العصبية والجباية فتنتهز حينئذ صاحب الدولة المستجدة فرصة في الاستيلاء عليها بعد حين منذ المطالبة سنة الله في عباده وايضا فاهل الدولة المستجدة كلهم مباينون للدولة المستقرة بانسابهم وعوائدهم وفي سائر مناحيهم ثم هم مفاخر ونهم ومنابذون بما وقع من هذه المطالبة وبطعمهم في الاستيلاء عليه فتمكن المباعده بين اهل الدولتين ستر اوجهر ولا يصل الى أهل الدولة المستجدة خبر عن أهل الدولة المستقرة يصيبون منه غرة (١) باطنا وظاهرا لانتقاطع المداخلة بين الدولتين فيقومون على المطالبة وهم في اجسام وينسلكون عن المناجزة حتى يأذن الله بزوال الدولة المستقرة وفساء عمرها ووفور الخال في جميع جهاتها واتضح لاهل الدولة المستجدة مع الايام ما كان يخفى منهم من هرمها وتلاشيها وقد عظمت قوتهم بما اقتطعوه من أعمالها وتقصوه من اطرافها فتتبعث همهم يد اوحدة للمناجزة ويذهب ما كان يث في عزائمهم من التوهّمات وتنتهي المطاوله الى حدها ويقع الاستيلاء آخر ايام المعاجلة واعتبر ذلك في دولة بني العباس حين ظهورها حين قام الشيعة بخراسان بعد انعقاد الدعوة واجتماعهم على المطالبة عشر سنين اوتز يدو حينئذ تم لهم الظفر واستولوا على الدولة الاموية وكذا العلوية بطبرستان عند ظهور دعوتهم في الديلم كيف كانت مضاولتهم حتى استولوا على تلك الناحية ثم لما انقضى امر العلوية وسما الديلم الى ملك فارس والعراقين فكثروا سنين كثيرة يطاولون حتى اقتطعوا الصهبان ثم استولوا على الخليفة ببغداد وكذا العبيديون أقام داعيتهم بالمغرب ابو عبد الله الشيعي بنى كامة من قبائل البربر عشر سنين ويزيد تطاول بني الاغلب بافر يقية حتى ظفر بهم واستولوا على المغرب كله وسما الى ملك مصر فكثروا ثلاثين سنة أو نحوها في طلبها يجهزون اليها العساكر والاساطيل في كل وقت ويجي المدد لدا فعتهم براو بحر امن ببغداد والشام ومدكوا الاسكندرية والقوم والصعيد وتخطت دعوتهم من هنالك الى الحجاز واقامت بالحرمين ثم نازل قائدهم حوهر الكاتب بعساكره مدينة مصر واستولى عليها واقتلع دولة بني طغج من أصولها واحتط القاهرة فخاه الخليفة بعد المعز لدين الله فبزلها لستين سنة أو نحوها منذ استيلائهم على الاسكندرية وكذا السلجوقية ملوك الترك لما استولوا على بني سامان وأجازوا من وراء النهر مكثوا نحو امان ثلاثين سنة يطاولون بني سبكتكين

(١) قوله غرة بكسر الغين اي غفلة اه

وعند فقد الشجاعة تكون المهانة ومن المهانة يكون سقاف الاخلاق ورذالة الطباع فلا يبقى لسائر فضائله بخراسان موقع وكان يقال من لم يغضب فليس بحليم لان الحليم انما يعرف عند الغضب وقال الشعبي الجاهل خصم والحليم حاكم قال الشافعي من

استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو جبار وقد كان النبي عليه السلام يغضب ولكنه انما كان يغضب لانفسه بل عند انتماء حرمته واعلم ان الله تعالى مادمح من لا يغضب وانما مدمح من كظم الغيظ (١٧٩) فقال والكافين من الغيظ وقد انشد

النابعة الجعدى بحضرة
النبي عليه الصلاة والسلام
ولاخير في حلم اذا لم تكن له
بواد رحمتي صفوة ان يكدر
ولاخير في جهل اذا لم يكن له
حلم اذا ما اورد الامر اصدرا
فلم ينكر النبي صلى الله
عليه وسلم قوله وكان ابن
عمر اذا سافر استمع سفيها
ويقول استدفع به شر
السفهاء عني واعلموا ارشدكم
الله ان احسن خصال الملوك
واجملها قدر او هي حلية
الانبياء ولبسة الاصفياء
وجمال السوق والرؤساء
واعظمها في النقوس
موقعا واعملها على الرعايا
تفعا واخذها على مر الايام
ذكرا واجملها في الخافل
والخاسن نشر او هي الفضيلة
التي تعم سائر الفضائل
وتكمل بها سائر الخاسن
الحلم وها انا تلوع عليك
من ذلك ما يقضي فيه العجب
(هذه) دولة آل العباس
أولهم أبو العباس السفاح
والى يومنا هذا لم يكن فيهم
أجل من المأمون بلع من
حلمه انه كان يقول لو علم
الناس مالي في لذة العفو
ما تقر بوالي الا بالجرائم
فاق حلمه سائر خلفاء بني
العباس حتى صار يضرب
المثل بحلمه وبهذه الخصلة
تهمس ملكه وقهر أخاه الامين

بخر اسان حتى استولوا على دولته ثم زحفوا الى بغداد فاستولوا عليها وعلى الخليفة بها بعد ايام من الدهر وكذا
التزم من بعدهم خرجوا من المفازة أعوام سبع عشر وثمانية فلم يتم لهم الاستيلاء الا بعد اربعين سنة وكذا
أهل المغرب خرج به المرابطون من لمتونة على ملكهم من مغراوة فظاولوهم سنين ثم استولوا عليه ثم خرج
الموحدون بدعوتهم على لمتونة فكنوا نحوهم من ثلاثين سنة يحاربونهم حتى استولوا على كرسيمهم بمراسم وكذا
بنو مرين من زناتة خرجوا على الموحد من فكتوا باطالونهم نحو من ثلاثين سنة واستولوا على فاس
واقطعوا بها واعمالها من ملكهم ثم أقاموا في محاربتهم ثلاثين أخرى حتى استولوا على كرسيمهم بمراسم وكش
حسبنا نذكر ذلك كله في تواريخ هذه الدول فهكذا حال الدول المستجدة مع المستقرة في المطالبة والمطالبة
سنة الله في عبادته وان تجد لسنة الله تبديلا ولا يعارض ذلك ما وقع في الفتوحات الاسلامية وكيف كان
استيلاؤهم على فارس والروم لثلاث اربعمائة من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واعلم ان ذلك انما كان معجزة
من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم سرها استماتة المسلمين في جهاد عدوهم استبعاد ابايمان وما وقع الله
في قلوب عدوهم من الرعب والتخاذل فكان ذلك كله خارقا للعادة المقررة في مطاولة الدول المستجدة
للمستقرة واذا كان ذلك خارقا فهو من معجزات نبينا صلوات الله عليه المتعارف ظهورها في الملة الاسلامية
والمعجزات لا يقاس عليها الامور العادية ولا يعترض بها والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

٥١ (فصل في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والمجاعات) *

اعلم انه قد تقررت في سالف ان الدولة في اول امرها لا بد لها من الرفق في ملكتها والاعتدال في اياتها
امان الدين ان كانت الدعوة دينية او من المكارمة والحماسة التي تقضيها البدوة الطبيعية للدول
واذا كانت الملائكة رفيعة محسنة انبسطت آمال الرعايا وانتشطوا للعمران واسبابه فتوفرو بكثرة التناسل
واذا كان ذلك كله بالتدريج فالتدريج يظهر اثره بعد جيل أو جيلين في الاقل وفي انقضاء الجيلين تشرف الدولة
على نهاية عمرها الطبيعي فيكون حينئذ ذلك العمران في غاية الوفور والنماء ولا تقول انه قد مر ملك أو اخر
الدولة يكون فيها الاجحاف بالرعايا وسوء الملائكة فذلك صحيح ولا يعارض ما قلناه لان الاجحاف وان حدث
حينئذ وقت المجبات فالتدريج يظهر اثره في تناقص العمران بعد حين من أجل التدريج في الامور الطبيعية
ثم ان المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في اواخر الدول والسبب فيه اما المجاعات فلقص الناس أيديهم عن
الفلح في الاكثر بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الاموال والمجبات او الفتن الواقعة في انتقاص
الرعايا وكثرة الخوارج لهم الدولة فيقول احتسكار الزرع غالبا وليس صلاح الزرع وثمرته يستمر الوجود
ولا على وتيرة واحدة فطبيعة العالم في كثرة الامطار وقتها مختلفة والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر
والزرع والثمار والضرع على نسبه الان الناس وانقوتهم في اقواتهم بالاحتسكار فاذا فقد الاحتسكار عظم
توقع الناس للمجاعات فعلا الزرع وعجز عنه اولوا الحفاصة فهلكوا وكان بعض السنوات والاحتسكار
مفقود فشمع الناس الجوع واما كثرة الموتان فلها اسباب من كثرة المجاعات كما ذكرناه او كثرة الفتن لاختلال
الدولة فيكثر الهرج والقتل او وقوع البواعس وبه في الغالب فساد المماليك كثرة العمران لكثرة ما يخاطبه من
العفن والرطوبة الفاسدة واذا فسد المماليك وهو غذاء الروح الحيواني ولا يسه دائما فيسري الفساد الى
مزاجه فان كان الفساد قويا وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وامراضها مخصوصة بالرئة وان
كان الفساد دون القوى والكثير فيكثر العفن ويتضاعف فتكثر المجبات في الامراض وتقرض الابدان
وتهلك بسبب كثرة العفن والرطوبة الفاسدة في هذا كله كثرة العمران ووفوره آخر الدولة لما كان في

(ومنها) دولة بني امية اولهم معاوية بن ابي سفيان وآخرهم مروان الجعدى لم يكن فيهم احلم من معاوية ولا جرم دانت له الدنيا وملك بهار رقاب
العرب والحجم وصار حلمه يضرب به المثل ويقتدى به الخلق ويتفلق به العقلاء حتى حكى عنه انه كان يقول لو كان بيني وبين الناس خيط

عنك بوث أو شعرة ما انقطعت اذا جذبوا الرسلت واذا رسلوا جذبت (وهذه) دولة القرس وكانت اعظم دول الارض واشدها باساوا كثيرا
علوما وحكام يكن في كاسرها الحلم (١٨٠) من كسرى انوشروان وصار يضرب بحمله المثل وتطرز بسيرته الكتب والمصنفات فيرى

أوائلها من حسن الملكة ورفقةها وقله المعرم وهو ظاهر ولهذا تبين في موضعه من الحكمة ان تحلل الخلاء
والقفر بين العمران ضروري ليكون توج الهواء يذهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعفن بمخالطة
الحيوانات ويأتي بالهواء الصحيح ولهذا أيضا فان الموان يكون في المدن الموفورة العمران أكثر من غيرها
بكثير كصر بالمشرق وفارس بالمغرب والله يعقدر ما يشاء

٥٢ (فصل في أن العمران البشري لا بد له من سياسة ينظم بها أمره) *

اعلم انه قد تقدم لنا في غير موضع أن الاجتماع للبشر ضروري وهو معنى العمران الذي تتكلم فيه وأنه
لا بد لهم في الاجتماع من وازع كما يرجعون اليه وحكمه فيهم تارة يكون مستندا الى شرع منزل من عند
الله يوجب انقيادهم اليه ايمانهم بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به مبلغه وتارة الى سياسة عقلية يوجب
انقيادهم اليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم فالاولى يحصل نفعها في الدنيا
والآخرة لعلم الشارع بالمصالح في العاقبة ولما راعته نجاة العباد في الآخرة والثانية انما يحصل نفعها في
الدنيا فقط وما تسمع من السياسة المدنية فليس من هذا الباب وانما معناه عند الحكماء ما يجب أن
يكون عليه كل واحد من أهل ذلك المجتمع في نفسه وخلقه حتى يستغوا عن الحكم راسا ويسعون
المجتمع الذي يحصل فيه ما يسمى من ذلك بالمدنية الفاصلة والقوانين المرعاة في ذلك بالساسة المدنية
وليس مرادهم السياسة التي يحمل عليها أهل الاجتماع بالمصالح العامة فان هذه غير تلك وهذه المدنية
الفاصلة عندهم نادرة أو بعدة التوقع وانما يتكلمون عليها على جهة الغرض والتقدير ثم ان السياسة
العقلية التي قدمناها تكون على وجهين أحدهما يراعى فيها المصالح على العموم ومصالح السلطان في
استقامة ملكه على الخصوص وهذه كانت سياسة القرس وهي على جهة الحكمة وقد أغنانا الله تعالى
عنها في الملة ولعمد الخلافة لان الاحكام الشرعية مغنية عنها في المصالح العامة والخاصة والآفات واحكام
الملك مندرجة فيها * الوجه الثاني ان يراعى فيها مصلحة السلطان وكيف يستقيم له الملك مع القهر
والاستطالة وتكون المصالح العامة في هذه تبعا وهذه السياسة التي يحمل عليها أهل الاجتماع التي لساثر
الملوك في العالم من مسلم وكافر الا أن ملوك المسلمين يجرون منها على ما تقتضيه الشريعة الاسلامية بحسب
جهدهم فقوانينها اذا مجتمعة من احكام شرعية وآداب خلقية وقوانين في الاجتماع طبيعية وأشياء من
مراعاة الشوكه والعصبية ضرورية والافتداء فيها بالشرع أو لا ثم الحكماء في آدابهم والملوك في سيرهم ومن
أحسن ما كتب في ذلك واودع كتاب طاهر بن الحسين لابنه عبد الله بن طاهر لما ولاه المأمون الرقة ومصر
وما بينهما فكتب اليه أبوه طاهر كتابه المشهور وعهد اليه فيه ووصاه بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطانه
من الآداب الدينية والخلقة والسياسة الشرعية والملوكية وحثه على مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم بما
لا يستغنى عنه ملك ولا سوقة * ونص الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم) اما بعد فعليك بتقوى الله
وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل ومزايله سخطه واحفظ رعيته في الليل والنهار والزم ما ألدسك
الله من العافية بالذكركم عاديك وما أنت صائر اليه وموقوف عليه ومسؤل عنه والعمل في ذلك كله بما
يعصمك الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه فان الله سبحانه قد أحسن اليك وأوجب
الرافة عليك بمن استرعاك أمرهم من عباده والزمتك العدل فيهم والقيام بحقوقه وحدوده عليهم والذب عنهم
والدفع عن حريمهم ومنصبتهم والحققن لدمائهم والامن لسرهم وادخال الراحة عليهم وموافقك بما فرض
عليك وموقفك عليه وسائلك عنه ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ففرغ لذلك فهملك وعملك وبصرلك

ان امير المؤمنين علي بن
ابى طالب رضوان الله
عليه لفي كبير من كبراء
فارس فقال له ما حمد
خصال ملوككم فقال
السبق لشيرويه واحدهم
سيرة انوشروان فقال
له علي وما كان اغلب
خصاله عليه قال الحلم
والاناة قال علي هما توأم
ينتجهما علوهما وبلغ
من حلمه انه كان يضيق
صدره بحلمه فقال في
خصم لثان لولا انه ما
ظاهرتان عند الرعية
لضقت بهم اذ رعا الحلم
والاناة فأخافني بخصلة تم
منقعتها ويبقى على الدهر
جالها وتخلد في العلماء
والعقلاء والملوك والسوقة
بهجتها وحسن مصادرها
ومواردها ان يتخذها الملوك
شعارا ودارا وانما قصدت
الحكماء من الملوك خاصة
فاما من سواهم من الرعية
كالاخنف ونظرائه فلا
يحصون كثرة

(الباب التاسع والعشرون
في ما يسكن الغضب) *
فاول ذلك انك اذا نظرت
الى تغير اشكالك وتبدل
صورتك واجرازا وجهك
وانتفاخ اوداجك وذهاب
جنانك وسقط كلامك

وخش ما يخرج من فيك لا مسكت عن الغضب ولطالما كنت تستحي ان تتكلم بين يدي
الجلساء باليسير الجائر فعدت تهذب بالكثير الفاخش ولو ان من غضب استذكر اذا صاحوا سكن غر به انقلب صورته وتغير وجهه
ولا

واضطراب شقيقه وارتعاد اطرافه وسقط كلامه وخرى خطابه والتفاف لسانه وخفقت عقله وطيشه ووثو به من مجلسه كأنه تمز وسرعة
التفاته بينا وشمالا كأنه قد رعد ففهمه لما سمع وقلة التفاته الى من يعظه وينصحه (١٨١) كأنه أحنى ومن شؤم الغضب وعظيم

بليته انه قد يقتل النفوس
ويسلب الروح وكان
سبب موت مروان بن عبد
الملك انه وقع بينه وبين
أخيه سليمان كلام فجعل
عليه سليمان فقال يا من
يلحق أمه ففتح فاه ليحييه
وإذا يحببه عمر بن عبد
العزير فامسك على فيه
ورد كلمته وقال يا ابن عبد
الملك أخوك وأمامك وله
السن عليك فقال يا أبا
حفص قتلتي قال وما صنعت
بك قال رددت في جوفى أحر
من الحجر ومال جنبه ذات
ولع مري انه يز يد على
الحق (ومنها) أن ينقل
من الحالة التي كان عليها
الى غيرها كانت القرس
تقول اذا غضب القائم
فليجلس واذا كان جالسا
فلقم وهو بهذا المذهب كان
ياخذ المأمون نفسه
(ويروي) شكي الى
النبي صلى الله عليه وسلم
القسوة فقال اطلع في القبور
واعبر بالشور (وكان)
بعض ملوك الطوائف
اذا غضب التي بين يديه
مقايع ترب الملوك فيقول
غضبه (وكان) عكرمة
يقول في قوله تعالى واذا ذكر
ربك اذا نسيت يعني اذا
غضبت فانه اذا ذكر الله

ولا يشغلك عنه شاغل وانه رأس أمرك وملاك شأنك وأول ما يوقفك الله عليه ولا يكن أول ما يلزم به نفسك
وتنسب اليه فعلى المواظبة على ما فرض الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس
قبل وقتها على سننهم من اسباغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله عز وجل فيها ورتل في قراءتك وتعمدكن في
ركوعك وسجودك وتشهدك وتصرف فيه رأيك ونبئتك واحضض عليه جماعة ممن معك وتحت
يدك وادأب عليها فانها كما قال الله عز وجل تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم أتبع ذلك بالآخذ بسنن رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمثابرة على خلائقه واقنقاء أثر السلف الصالح من بعده واذا ورد عليك أمر فاستعن
عليه باستشارة الله عز وجل وتقواه وبلزوم ما أنزل الله عز وجل في كتابه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه
واتتمام ما جاءت به الآيات من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بالحق لله عز وجل ولا تملن عن
العدل فيما أحببت أو كرهت لقريب من الناس أو لبعيد أو أثر الفقه وأهله والدين وجملة وكتاب الله
عز وجل والعاملين به فان أفضل ما يتزين به المرء الفقه في الدين والطلب له والحث عليه والمعرفة بما
يتقرب به الى الله عز وجل فانه الدليل على الخير كما والقائد اليه والالتزام به والنهي عن المعاصي والموبقات
كها ومع توفيق الله عز وجل بزاد المرء معرفة واجد لاله ورد كاللدرجات العلى في المعاد مع ما في ظهوره
للناس من التوفيق لامرك والهيبة لسلطانك والانسيب والثقة بعدلك وعلبك بالانصاف في الامور كلها
فليس شيء أبين نقما ولا أخص أمنا ولا أجمع فضلا منه والقصد داعية الى الرشد والرشد دليل على التوفيق
والتوفيق قائد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالانصاف وكذا في دنياك كلها ولا تقصر في طلب
الآخرة والأجر والأعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشد والاعانة والاستكثار من البر والسعي له
اذا كان يطلب به وجه الله تعالى ومرضاته وموافقة أولياء الله في دار كرامته اما تعلم أن القصد في شأن الدنيا
يورث العزو ويخلص من الذنوب وأنت ان تحوط نفسك من قائل ولا تصلح أمورك بأفضل منه فانه واهتد به
تم أمورك وترتد قدرتك ويصلح عامتك وخاصتك وأحسن ظنك بالله عز وجل تستقم لك رعيتك والتمس
الوسيلة اليه في الامور كلها تستدم به النعمة عليك ولا تمن من أحد من الناس فيما تولى من عملك قبل أن
تكشف أمره فان يقع التهم بالبراء والظنون السيئة بهم آثم آثم فاجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك
واطر دعيتك سوء الظن بهم وارضضه فيهم بعينك ذلك على استطلاعهم ورياضتهم ولا تتخذن عدو الله
الشيطان في أمرك ممدافانه انما يكتب بالقليل من وهنك ويدخل عليك من الغم سوء الظن بهم
ما ينقص لذادة عيشك واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكتفي به ما أحببت كفايته من أمورك
وتدعوه به الناس الى محبتك والاستقامة في الامور كلها ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك والرافقة برعيتك
أن تستعمل المسئلة والبحث عن أمورك والمباشرة لامور الاولياء وحياطة الرعية والنظر في حوائجهم
وجمل مؤناتهم أيسر عندك مما سوى ذلك فانه أقوم للدين وأحبي للسنة واخلص نيتك في جميع
هذات وتقدر ديتهم بنفسك تفرد من يعلم انه مسؤول عما صنع ويجزي بما أحسن ومواخذه بما أساء
فان الله عز وجل جعل الدنيا حزا وعز او رفع من اتبعه وعززه واسلك بمن تسوسه وترعاه من حج الدين
وطريقه الا هدى واقم حدود الله تعالى في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك
ولا تتهاون به ولا تؤخر عقوبة اهل العقوبة فان في تفریطك في ذلك ما يقصد عليك حسن ظنك واعترم على
أمرك في ذلك بالناس من المعرفه وجانب البدع والشبهات يسلم لك دينك وتملك مروءتك واذا عاهدت
عهدا فآوف به واذا وعدت الخبير فأنجزه واقبل الحسنة وادفع بها وانغص عن عيب كل ذي عيب من

خاف منه فيقول غضبه (وفي) التوراة يا ابن آدم اذ كرتي حين تغضب اذكر كرتي حين أغضب ولا أحقك فيمن أحق (ومنها) أن يذكر نقرة
القلوب عنه وسقوط منزلته عند أبناء جنسه ووصفهم لآبائهم وطيشه وسخفه فيكون ذلك سببا لزال غيظه (ومنها) أن يتذكر انعطاف

القلوب عليه وأنطلق الالسنه بالثناء عليه وميل النفوس اليه وان الحلم عزوذين وان السقه ذل وشين (روي) أبو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما زلت ادرجك (١٨٢) بعفو الاعراف عوا يعزكم الله (وقال) بعض الحكماء من تذكرك قدرة الله لم يستعمل

رعيتهك واشدد اسانك عن قول الكذب والزور وابعض أهل النميمه فان أول فساد امورك في عاجلها وأجلها تقريب الكذب والجراعه على الكذب لان الكذب رأس الماسم والزور والنميمه خاتمها لان النميمه لا يسلم صاحبها او قائمها الا يسلم له صاحب ولا يستقيم له امر واحبب أهل الصلاح والصدق وأعن الاشراف بالحق وأعن الضعفاء وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله تعالى واعزز أمره والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة واجتنب سوء الالهواء والجور واصرف عنك ما رأيك واطهر براءتك من ذلك لرعيتهك وانعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم بالمعرفة التي تنتهي بك الى سبيل الهدى واملك نفسك عند الغضب وأثر الحلم والوقار واياك والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله واياك ان تقول أنا مسلم أفعل ما أشاء فان ذلك سر يع الى نقض الراي وقلة اليقين لله عز وجل وأخلص لله وحدده النية فيه واليقين واعلم ان الملك لله سبحانه وتعالى يؤتبه من يشاء وينزعه من يشاء وان تجد تغير النعمه وحلول النعمه الى احد أسرع منه الى جهله النعمه من اصحاب السلطان والمبسوط لهم في الدولة اذا كفر وانعم الله واحسانه واستطالوا بما اعطاهم الله عز وجل من فضله ودع عنك شره نفسك ولست تكن ذخائر ترك وكنوزك التي تدخر وتكز البر والتقوى واستصلاح الرعيه وعمارة بلادهم والتفقد لامورهم والحفظ لدمائهم والاعانة لهم وفقهم واعلم ان الاموال اذا كثرت وادخرت في الخزائن لا تنمو واذ كانت في صلاح الرعيه واعطاء حقهم وكف الاذيه عنهم من كثرت وصلمت به العامه وترتبت به الولاية وطاب به الزمان واعتقد فيه العز والمنفعة فليكن كنز خزائنك تقريق الاموال في عمارة الاسلام واهله ووفر منه على اولياء امير المؤمنين قبلك حقهم ووف من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح امورهم ومعاشهم فانك اذا فعلت قرت النعمه لك واستوجبت المزيه من الله تعالى وكنت بذلك على جبايه اموال رعيتهك وخراجك أقدر وكان الجرح لما شملهم من عدلك واحسانك اساس لطاعتك وطاب نفسا بكل ما اردت واجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب وليعظم حقلك فيه وانما يبقى من المال ما اتفق في سبيل الله وفي سبيل حقه واعرف للشاكرين حقهم وأبهم عليه واياك ان تنسبك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتهتاون بما يحق عليك فان التهاون يورث التفريط والتفريط يورث البوار وليكن عملك لله عز وجل وفيه وارح الثواب فان الله سبحانه قد أسبغ عليك فضله واعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيرا واحسانا فان الله عز وجل يكتب بقدرك شكر الشاكرين واحسان المحسنين ولا تحقرن ذنبا ولا تمالئن حاسدا ولا ترجن فاجرا ولا تصلن كفورا ولا تدهتن عداوا ولا تصدقن غاما ولا تأمنن عداولا توالبين فاسقوا ولا تبعن غاويا ولا تحمدن مرثيا ولا تحقرن انسانا ولا تردن سائلا فقيرا ولا تحسنن باطلا ولا تلاحظن مخفيا ولا تتخلفن وعدا ولا تدهنن فخرا ولا تظهرن غضا باوليا تبين رجاء ولا تمسحن من محاولا تزكين سعيها ولا تقربن في طلب الآخرة ولا ترفع للنمام عينها ولا تغمض عن ظالم رهبة منه ومحاباة ولا تطلبن ثواب الآخرة في الدنيا واكثر مشاوره الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن أهل التجارب وذوى العقول والراي والحكمة ولا تدخلن في مشورتك أهل الرفه والبخل ولا تسمعن لهم قولان ضررهم اكثر من نفعهم وليس شيء اسرع فسادا مما استقبلت فيه أمر رعيتهك من الشحم واعلم انك اذا كنت حريصا كنت كثير الاخذ قليل العطيه واذا كنت كذلك لم يستقم امرك الا قليلا فان رعيتهك انما تعتقد على محبتك بالكف عن اموالهم وترك الجور عليهم ووال من صفالك من اوليائك بالاتصال اليهم وحسن العطيه لهم واجتنب الشحم واعلم انه اول ما عصى به الانسان ربه وان العاصي بمنزلة الحرى وهو قول الله عز وجل ومن يوفى

قدرته في ظلم عباده (وكتب) بعض ملوك الفرس كتابا ودفعه الى وزيره وقال له اذا غضبت فناولنيه وفيه مكتوب مالك وللغضب انما أنت بشر ارحم من في الارض يرجئك من في السماء (وكان) معاوية كثيرا ما ينشد

انا اذا ما لت دواعي الهوى وانصت السامع للقائل واعتلج الناس بألبابهم تقضى بحكم عادل فاصل تخاف أن تسفه احلامنا فتكمل الدهر مع الخامل (وقال) بعض الحكماء اياك وعزة الغضب فانها تقضى الى ذلة العذر وقال الشاعر واذا ما اعترت في الغضب العز ففادك تذل الاعذار وقال غيره

زررنا على غير الفواحش قصنا ولم نستجز الا الذي هو اجوز (وقال) عبد الله بن مسلم ابن محارب لمرون الرشيد يا امير المؤمنين اسألك بالذي أنت بين يديه اذل مني بين يديك وبالذي هو اقدر على عقابك منك على عقابي ما عفوت عنى

ففعاعته لما ذكره قدرة الله عليه (وقال) رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان في أسارى ابن الاشعث ان الله قد اعطاك ما تحب من الضمير فاعط الله تعالى ما يحب من العفو (وقال) المأمون لعنه ابراهيم بن المهدي وكان مع اخيه عليه اني

شاوورت في أمرك فأشاروا على بقتك الا ان وجدت قدرك فوق ذنبك فذكرهت القتل للازم حرمته فقال يا امير المؤمنين ان المشير اشار بما جرت به العادة في السياسة الا انك ابيت ان تطلب النصر الا من حيث عودته (١٨٣) من العتوفان عاقبت فالك نظير وان عفوت

فلا نظير لك وأنشأ يقول
البري منك وطال العذر
عندك لي
فما فعلت فلم تعدل
ولم تلم
وقام عليك بي فاحتج
عندك لي

مقام شاهد عدل غير متهم
(وقال) بعض الحكماء
الغضب على من لا تملك
عجز وعلى من تملك اثم
(ومنها) ان يتذكر ما يؤل
اليه الغضب من الندم
ومذلة الانتقام وشروع
القصاص في بدنه بين يدي
من لا يرجعه فان ذلك مما
يرده من الغضب

*(الباب الثامن في
الجود والسخاء وهذه
الخصلة الجليل قدرها
العظيم موقعها الشريف
موردها ومصدرها)*

وهي احدى قواعد المملوكة
واساسها وتاجها وجمالها
تعونها الوجوه وتذلل لها
الرقاب وتخضع لها الجبابرة
ويستترق بها الاحرار
ويستمال بها الاعداء
ويستكثر بها الاولياء
ويحسن بها الثناء ويملك
بها القرباء والبعدهاء
ويسود بها في غير عشارهم
الغرياء (وهذه) الخصلة
بالعزائم الواجبات اشبه

شيخ نفسه فأولئك هم المفلحون فسر - ل طريق الجود بالحق واجعل للمسلمين كلهم في بيتك حظا ونصيبا
وايقن ان الجود افضل اعمال العباد فاعده لنفسك خلقا وارض به عملا ومذهبا وتفقد الجند في دواو بينهم
ومكاتبهم وأدر عليهم - ام ارزاقهم ووسع عليهم في معاشهم يذهب الله عز وجل بذلك فاقتم في قوى لك
امرهم وتزيد قلوبهم في طاعتك وامرك خلوصا وانشر احوالهم حسب ذى السلطان من السعادة ان يكون على
جنده ورعيته رجة في عدله وعطيته واتصافه وعنايته وشقته وبره وتوسعته فذلك مكر واحد البابين
بأسئسها رضى له الباب الاخر ولزوم العمل به تلقى ان شاء الله تعالى به نجاحا وصلاحا وفلاحا واعلم ان
القضاء من الله تعالى بالمكان الذى ليس له به شئ من الامور لانه ميزان الله الذى يعدل عليه احوال
الناس في الارض وباقامة العدل في القضاء والعمل تصلح احوال الرعية وتأمين السبل ويتصف المظلوم
وتأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدى حق الطاعة ويرزق من الله العافية والسلامة ويقبض
الدين ويجرى السنن والشرائع في مجاريها واشتد في امر الله عز وجل وتورع عن النطق وامض لاقامة
الحدود واقبل العجلة وابعد عن الضجر والعلق واقنع بالقسم وانتفع بتجربتك وانتبه في صحبتك واسدد في
منطقك وانصف الخصم وقف عند الشهادة والبلغ في الحجية ولا يأخذك في احد من رعيته محابة ولا بمجاملة
ولا لومة لائم وثبت وتأن وراقب وانظر وتفكر وتدبر واعلم - بر وتواضع لربك وارفق بجميع الرعية
وسلط الحق على نفسك ولا تسرعن الى سفك الدماء فان الدماء من الله عز وجل - كان عظيم انتها كلها
بغير حقها وانظر هذا الخراج الذى استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزوا رفعة ولا هله لتوسعة
ومنعة واهدوه كبتا وغيظا ولاهل الكفر من معاديبهم ذلا ووص - غارا فوزعه بين اصحابه بالحق والعدل
والتسوية والعموم ولا تدفعن شيئا منه عن شريف اشرفه ولا عن غني لغناه ولا عن كاتب لك ولا لخدم
خاصتك ولا حاشيتك ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ولا تكلف امر اقيه شطط واجل الناس كلهم على امر
الحق فان ذلك اجمع لاقتهم والزم ارضاء العامة واعلم انك جعلت بوليتك خازنا وحافظا وراعيا وانما سمى
اهل عملك رعيته لانك راعيتهم وقميتهم في ذمتهم ما اعطوك من عفوهم ونفقتهم في قوام امرهم وصلاحهم
وتقويم اودهم واستعمل عليهم اولى الراى والتدبير والتجربة والخبرة بالعلم والعدل بالسياسة والعفاف
ووسع عليهم في الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت واسند اليك فلا يشغلك عنه شاغل
ولا يصرفك عنه صارف فانك متى آثرته وقت فيه بالواجب استدعت به زيادة النعمة من ربك وحسن
الاحدوثة في عملك واستعيرت به المحبة من رعيته واعنت على الصلاح فدرت الخيرات بذلك وفشت
العمارة بناحيتك وظهر الخصب في كورك وكثر خراجك وتوفرت اموالك وقويت بذلك على ارتباط
جندك وارضاء العامة بافضالة العطاء فيهم من نفسك وكنتم محمودا بسياسة مرضى العدل في ذلك عند
عدوك وكنتم في امورك كلها اذا عدل وآلة وقوة وعدة فتنافس فيها ولا تقدم عليها شيا تحمد عاقبة امرك
ان شاء الله تعالى واجعل في كل كورة من عملك امينا يخبرك خبرك ويكتب اليك بسيرهم واعلم انهم
حتى كانت مع كل عامل في ع - له معاينة الاموره كلها واذا اردت ان تأمرهم بما فانظر في عواقب ما اردت من
ذلك فان رايت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع فامضه والافتوقف عنه وراجع
اهل البصر والعلم به ثم خذ فيه عدته فانه ربما نظر الرجل في امره وقد اتاه على ما يهوى فاغواه ذلك وانجبه
فان لم ينظر في عواقبه - اهلكه ونقض عليه امره فاستعمل الخزم في كل ما اردت وباشره بعد دعون الله عز
وجل بالقوة واكثر من استخارة ربك في جميع امورك وافرح من عمل يومك ولا تؤخره واكثر مباشرته

منها بالجمال والمتممات وكم قدرنا انما من كافر ترك دينه والتمزق دين الاسلام ابتغاء عرض قليل من الدنيا يناله وكم قد سمعنا من مسلم ارتدى في
ارض الشرك اقتنانا يسير من عرض الدنيا واخلق بخصلة يترك لها الانسان دينه الذى يعدل دونه نفسه ان تكون جارية القدر عظيمة

المحظور وأوحى خلق الله اليها أفقرهم الى عطف القلوب عليه وصرف الوجوه اليه وهم الملوك والولاة (واعلموا) يا معشر من وسع الله عليه ديناه وأسبغ عليه آلاءه ونعماه (١٨٤) انه ليس في الجنة لا وحسبك بكامة لا تدخل الجنة سوطا وضعة وانما أسست الجنة على

بنفسك فان لغدأ مورا وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي آخرت واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب بما فيه فاذا آخرت عمله اجتمع عليك عمل يومين فيشغل ذلك حتى ترضى منه واذا مضى لك كل يوم عمل له ارحت بدنك ونفسك وجعت امر سلطانك وانظر احرار الناس وذوى الفضل منهم من يلبون صفاء طوبيتهم وشهدت مودتهم لك ومقاهرتهم بالنصح والمحافظة على امرك فاستخلصهم واحسن اليهم وتعاهد اهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة واحتمل مؤنتهم واصلح حالهم حتى لا يجحدوا الخلتهم منافرا او افرده نفسك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمته اليك والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه فسل عنه اخفى مسئلة وكل بما ناله اهل الصلاح في رعبتك ومرهم برفع حوائجهم وخلاصهم لتتظرف فيما يصلح الله به امرهم وتعاهد ذوى البأساء ويتامهم واراملهم واجعل لهم امرا زافا من بيت المال اقتداء بامير المؤمنين اعزه الله تعالى في العطف عليهم والصلوة لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة واجر للامرء من بيت المال وقدم جملة القرآن منهم والمحافظين لا كثره في الجرائد على غيرهم وانصب لمرضى المسلمين دورا تأويهم ووقوا ما يرفقون بهم واطباء يعالجون اسقامهم واسعفهم بشهواتهم ما لم يؤذ ذلك الى سرف في بيت المال واعلم ان الناس اذا اعطوا حقه وقهروهم وفضل امانتهم لم تيرهم دور بما تيرهم المتصفح لامور الناس لكثرة ما يرد عليه ويشغل ذكره وفكره منها ما يناله به مؤنة ومشقة وليس من يرغب في العدل ويعرف بحاسن اموره في العاجل وفضل ثواب الاجل كالذي يستفزع ما يقرب به الى الله تعالى وتلتبس به رجته واكثر الاذن للناس عليك وارهم وجهك وسكن حراسك واخفض لهم جناحك واظهر لهم شرك ولن لهم في المسئلة والنطق واعطف عليهم بجودك وفضلك واذا اعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس والتماس للصنيعة والاجرم من غير تكدير ولا امتنان فان العطية على ذلك تجارة مرتجة ان شاء الله تعالى واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى من قبلك من اهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والاعم البائدة ثم اعتصم في احوالك كلها بالله سبحانه وتعالى والوقوف عند محبته والعمل بشريعتة وسنته وباقامة دينه وكتابه واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا الى سخط الله عز وجل واعرف ما يجمع عمالك من الاموال وما يتفقون منها ولا يجمع حراما ولا تنفق اسرافا واكثر بحاجسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هواك اتباع السنن واقامتها وايتارها ككارم الاخلاق ومقاتلتها وليكن اكرم دخلائك وخاصتك عليك من اذ ارأى عيالك تمنع هيبتك من انتهاء ذلك اليك في ستر واعلامك بما فيه من النقص فان اولئك انصح اوليائك ومضاهريك لوانظر عمالك الذين يحضرتك وكتابتك فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتا يدخل فيه بكتبه ومؤامرتة وما عنده من حوائج عمالك وأمور الدولة ورعبتك ثم فرغ لما يورد عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكر النظر فيه والتدبير له فما كان موافقا للحق والحزم فامضه واستخر الله عز وجل فيه وما كان مخالفا لذلك فاصرفه الى المسئلة عنه والتبذ ولا تمن على رعبتك ولا غيرهم بمعروف تؤتبه اليهم ولا تقبل من احد الا الوفاء والالاسنة والاعون في أمور المسلمين ولا تنص من المعروف الاعلى ذلك وتفههم كافي اليك وامعن النظر فيه والعمل به واسئعن بالله على جميع أمورك واستخره فان الله عز وجل مع الصالح واهله وليكن اعظم سيرتك وافضل رعبتك ما كان لله عز وجل رضا ولدينه نظاما ولا له عزاة وكينا ولله والذمة عدلا وصلاحا وانا سأل الله عز وجل ان يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءتك والسلام وحدث الاخبار يون ان هذا الكتاب لما ظهر وشاع امره اعجب به الناس واتصل بالمأمون فلما قرئ عليه قال ما بقى ابو الطيب يعني طاهر اشيا من أمور الدنيا والدين والتدبير والرأى

ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين (وهذه) الخصلة اعنى الكرم والجود والمخاء والايثار معنى واحد يوصف البارئ تعالى بالجود ولا يوصف بالمخاء كما يوصف بالعلم ولا يوصف بالعقل لعدم التوقيف (وحقيقة) الجودهى ان لا يصعب عليه البذل ويقال المخاء هو الرتبة الاولى ثم الجود ثم الايثار فمن اعطى البعض وامسك البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكبر فهو صاحب جود ومن اثر غيره بالماضر وبقي هو في مقاساة الضر فهو صاحب ايثار (قال) ذوالنون بداية السخاء ان تسخو نفسك بما في يديك ونهايته ان تسخو نفسك بما في ايدي الناس وان لا تبالي من كل الدنيا (وتذاكر) قوم من الزهاد عند رابعة العدو به فجعوا يذمون الدنيا ويكثرون من ذلك فقالت رابعة من احب شيئا كثر من ذكره واصل السخاء هو السماحة وان يوثى ما يؤتبه من طيبة نفس (وقد يكون) المعطى بخيلا اذا صعب عليه البذل

والممسك سخيا اذا كان لا يستصعب العطاء وان منع وطذا قال علماء وان الله تعالى لم ينزل جوادا وان لم يقع منه عطاء في الازل لان العطاء فعل والفعل في الازل مستحيل (وقالت) الحكمة أيها الجامع لا تخدع عن فلما كول للبدن والسماة

والموهوب للمعاد المتروك للعدو وقال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (قال) أبو هريرة رضي الله عنه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني جائع فاطعمني فبعث النبي (١٨٥) صلى الله عليه وسلم إلى أزواجه فقلن والذي بعثك بالحق ما عندنا الا

الماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما عند رسول الله ما يطعمك الله ثم قال من يضيف هذا هذه

الليلة رحمه الله فقال رجل من الانصار انا يا رسول الله فحملته الى منزله وقال لاهله هذا ضيف النبي صلى الله عليه وسلم فاكرمه

ولا تدخرى عنه شيئا فقالت ما عندنا الا قوت الصبية فقال قومي فعملهم عن قوتهم حتى يناموا ثم اُسرجى

وارزى فاذا أخذ الضيف يا كل قومي كانتك تصليين السراج فاطمئنه وتعالى ثم صغ السنن الضيف النبي صلى الله عليه وسلم ففعلت

وجعلنا يمضغان السننهما والضيف يظن أنهما يا كلان وباتا طاو بين فلما أصبحوا نظر النبي صلى الله عليه وسلم اليهما

تبسم ثم قال انى يحب الله من فلان وفلانته هذه الليلة ونزلات ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية (وقال) انس اهدى لبعض الصحابة رأس شاة مشوية وكان

والسياسة وصلاح الملك والرعية وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة الا وقد أحكمه واوصى به ثم أمر المأمون فكتب به الى جميع العمال في النواحي ليقتدوا به ويملوا بما فيه هذا احسن ما وقفت عليه في هذه السياسة والله اعلم

٥٣ (فصل في امر الفاطمي وما يذهب اليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك)

(اعلم) ان المشهور بين السكافة من اهل الاسلام على عر الا عصار انه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من اهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويثبته المسلمون ويسد تولى على الممالك الاسلامية ويسمى بالمهدي ويكون خروج الدجال وما بعده من اشراط الساعة النابتة في الصحيح على اثره وان عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال او ينزل معه فيساعده على قتله ويأتي بالمهدي في صلواته ويحججون في الباب باحاديث خرجها الأئمة وتكلم فيها المنكرون لذلك وربما عارضوه باي بعض الاخبار والمصوفة المتأخرين في امر هذا الفاطمي طريقة أخرى ونوع من الاستدلال وربما يعتمدون في ذلك على الكشف الذي هو أصل طرائقهم ونحن الآن نذكر ههنا الاحاديث الواردة في هذا الشأن والمناكرين فيها من المطاعن وماله في انكارهم من المستند ثم نبه به بذكر كلام المتصوفة ودعيتهم ليتبين لك الصحيح من ذلك ان شاء الله تعالى فتنه ان جماعة من الأئمة خرجوا احاديث المهدي منهم الترمذي وابوداود والبخاري وابن ماجه والحاكم والطبراني وابو يعلى الموصلي واسندوه الى جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس وابن عمر وطلحة وابن مسعود وابي هريرة وانس وابي سعيد الخدري وأم حبيبة وأم سلمة ونوبان وقررة بن ياس وعلى اله لالي وعبد الله بن الحرث بن جزء باسانية در بما يعرض لها المنكرون كما نذكره الا ان المعروف عند اهل الحديث ان الجرح مقدم على التعديل فاذا وجدنا طائفة في بعض رجال الاسانيد بعد غلة او بسوء حفظ او ضعف او سوء رأى تطرق ذلك الى صحة الحديث وأوهن منها ولا تقوان مثل ذلك بما يتطرق الى رجال الصحيحين فان الاجماع قد اتصل في الامة على تلقيها بالقبول والعمل بما فيها ما وفي الاجماع اعظم حماية واحسن دفع وليس غير الصحيحين بما ثبتهم في ذلك فقد نخبه سبحانه في كلامه في اسانيدهما بما نقل عن أئمة الحديث في ذلك ولقد توغل ابو بكر بن ابي خزيمة على ما نقل السهيلي عنه في جمعه للاحاديث الواردة في المهدي فقال ومن اغربها اسنادا ما ذكره ابو بكر الاسكافي في فوائد الاخبار سنة ١٠٠٠ الى مالك بن انس عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب بالمهدي فقد كفر ومن كذب بالدجال فقد كذب وقال في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما أحسب وحسبك هذا غلوا والله اعلم بصحة طريقه الى مالك بن انس على ان ابا بكر الاسكافي عندهم منهم وضاع * واما الترمذي فخرج هو وابوداود بسنديهما الى ابن عباس من طريق عاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة الى زر بن حبیش عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا مني او من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم ابي هذا لفظ ابي داود وسكت عليه وقال في رسالته المشهورة ان ما سكت عليه في كتابه فهو وضاح ولفظ الترمذي لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي وفي لفظ آخر حتى يلى رجل من اهل بيتي وكلاهما احديث حسن صحيح ورواه ايضا من طريق موقوف على ابي هريرة وقال الحماكم رواه الثوري وشعبة وزائدة وغيرهم من أئمة المسلمين عن عاصم قال وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كما هو الصحيح على ما اصلته من الاحتجاج باخبار عاصم اذ هو امام من أئمة المسلمين انتهى الا ان عاصم قال فيه احمد بن حنبل كان رجلا

(٢٤ - ابن خلدون) آيات حتى عاد الى الاول فنزلات ويؤثرون على أنفسهم (وقال) حذيفة العدوي انطلقت يوم

اليرموك اطلب ابن عمي ومعي شي من ماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته فاذا انابه بين القتل فقلت أسقيك فاذا رجل يقول آه فاشتر

ابن عمي ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسعيتك فسمع آخر يقول آه فاشاره هشام ان انطلق اليه فجمته فاذا هو قد مات ثم رجعت الى هشام فوجدته (١٨٦) قد مات ثم رجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات (وروي) عائشة رضي الله عنها قالت

صالحا قارئا للقرآن خيرا ثقة والاعمش احفظ منه وكان شعبة يحنار الاعمش عليه في تثبيت الحديث وقال العجلي كان يختلف عليه في زروابي وائل يشير بذلك الى ضعف روايته عنهما وقال محمد بن سعد كان ثقة الا انه كثير الخطا في حديثه وقال يعقوب بن سفيان في حديثه اضطراب وقال عبد الرحمن بن ابي حاتم قلت لابي ان ابا زرعة يقول عاصم ثقة فقال ليس محله هذا وقد تكلم فيه ابن علية فقال كل من اسمه عاصم سيئ الحفظ وقال ابو حاتم محله عندى محل الصدق صالح الحديث ولم يكن بذلك الحافظ واختلف فيه في قول النسائي وقال ابن حراس في حديثه نكرة وقال ابو جعفر العقيلي لم يكن فيه الا سوء الحفظ وقال الدارقطني في حفظه شيء وقال يحيى القطان ما وجدته رجلا اسمه عاصم الا وجدته ردي الحفظ وقال ايضا سمعت شعبة يقول حدثنا عاصم بن ابي الجود وفي الناس ما فيها وقال الذهبي ثبت في القراءة وهو في الحديث دون الثبت صدوق فهم وهو وحسن الحديث وان احتج احديان الشيخين أخرجه فثقه وقال أخرجه مقرر ونا غيره لا الا والله اعلم وخرج ابوداود في الباب عن علي رضي الله عنه من روايه قطن بن خليفة عن القاسم بن ابي مرة عن ابي الطفيل عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو لم يبق من الدهر الا يوم لمبعث الله رجلا من اهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا وقطن بن خليفة واثقه احمد ويحيى بن القطان وابن معين والنسائي وغيرهم الا ان العجلي قال حسن الحديث وفيه تشييع قليل وقال ابن معين مرة ثقة شيعي وقال احمد بن عبد الله بن يونس كذا عمر على قطن وهو مطروح لا نكتب عنه وقال مرة كنت امر به وأدعه مثل الكلاب وقال الدارقطني لا يحتج به وقال ابو بكر بن عديس ما تركت الرواية عنه الا سوء مذهبه وقال الجرجاني زائغ غير ثقة انتهى وخرج ابوداود ايضا بسنده الى علي رضي الله عنه من مروان بن المغيرة عن عمر بن ابي قيس عن شعيب بن ابي خالد عن ابي اسحق النسفي قال قال علي ونظر الى ابنه الحسن ان ابني هذا سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق يملأ الارض عدلا وقال هرون حدثنا عمر بن ابي قيس عن مطرف بن طريف عن ابي الحسن عن هلال بن عمر سمعت عليا يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحرث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطئ او يمكث لا تلمح ككلمة كنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووجب على كل مؤمن نصره او قال اجابته سمكت ابوداود عليه وقال في موضع آخر في هرون هو من ولد الشيعة وقال السلمي فيه نظرو وقال ابوداود في عمر بن ابي قيس لا بأس به في حديثه خطأ وقال الذهبي صدق له او هام وأما ابو اسحق الشيباني وان خرج عنه في الصحيحين فقد ثبت انه اختلط آخر عمره وروايته عن علي منقطعة وكذلك روايه ابي داود عن هرون بن المغيرة * وأما السند الثاني فأبو الحسن فيه وهلال بن عمر مجتهد ولا يعرف ابو الحسن الا من روايه مطرف بن طريف عن عمر بن ابي قيس عن ابي داود ايضا عن أم سلمة وكذا ابن ماجه والحاكم في المستدرک من طريق علي بن نفيل عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدي من ولد فاطمة ولقظ الحاكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذکر المهدي فقال نعم هو حق وهو من بني فاطمة ولم يتكلم عليه بتصحيح ولا غيره وقد ضاع عنه ابو جعفر العقيلي وقال لا يتابع على ابن نفيل عليه ولا يعرف الا به وخرج ابوداود ايضا عن أم سلمة من رواية صالح بن الخليل عن صاحب له عن أم سلمة قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا الى مكة فيأبى ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيأبى يعونه بين الركن والمقام فيبعث اليه بعث من الشام فيخسف بهم بالببداه بين مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك اتاه ابدال أهل الشام وعصائب أهل العراق فيأبى يعونه

قال النبي صلى الله عليه وسلم السخى قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة والجاهل السخى أحب الى الله من العابد البخيل (وروي) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن آدم انما المئمن مالك ما أكلت فانبت اولبست فابلت او اعطيت فامضيت (واعلم) ان المتخاء على وجوه متخاء في الدين وسخاء في الدنيا فالمتخاء في الدنيا البذل والعطاء والاثار وسخاء النفس قال الله تعالى ومن يوق شحم نفسه فاولئك هم المفلحون وعلامته ترك الادخار وبعض جمع المال وتعاهد الاخوان مسرورا قلبه بذلك والسخاء في الدين ان تسخو نفسك ان يتلفها الله تعالى وتريق دملك في الله سخاحة من غير كراهة لا تريد بذلك اوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب لان الغاب على قلبك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله تعالى حتى يفعل الله بك ما لا تتحسب ان تتخاره لنفسك (وقيل) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من السيد قال الجواد اذا سئل الخليم اذا استجهل الكريم الجالس على جالسه الحسن الخاقان جاوره (يقال) الذمان بن المنذر يوما بجالسائه من أفضل الناس عيشا وانه بهم بالاولا كرمهم

ثم

طباعا واجلهم في النقوس قدرا فسكت القوم فقال في ايدي اللعن افضل الناس من عاش الناس في فضله قال صدقت (وقال) الحسن
باع طلحة بن عثمان ارضا بمائة الف درهم فلما جاءه المال قال ان رجلا يبيت هذا (١٨٧) عنده لا يدري ما يدره لغيره بالله

ثم ينشأ رجل من قریش اخواله كذب فيبعث اليهم بعثا فيظفرون عليهم وذلك بعث كلب والحبيبة لمن لم
يشهد غنيمه كذب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة بينهم صلى الله عليه وسلم ويلي الاسلام بحجرانه
على الارض فيلبث سبع سنين وقال بعضهم تسع سنين ثم رواه ابو داود ومن رواه ابن الخليل عن عبد الله بن
الحريث عن ام سلمة فتبين بذلك المهم في الاسناد الاول ورجاله رجال الصحيحين لامطعن فيهم ولا معزز وقد
يقال انه من رواية قتادة عن ابي الخليل وفتادة مداس وقد عنعن عنه والمدلس لا يقبل من حديثه الا ما صرح
فيه بالسمع مع ان الحديث ليس فيه تصريح بذكر المهدي نعم ذكره ابو داود في ابوابه وخرج ابو داود
ايضا وتابعه الحماكم عن ابي سعيد الخدري من طريق عمران القطان عن فتادة عن ابي بصرة عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم المهدي مني اجلي الجبهة اقبى الانف يلا الارض قسطا
وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يملك سبع سنين هذا لفظ ابي داود وسكت عنه ولفظ الحماكم المهدي منا
اهل البيت اسم الانف اقبى اجلي يلا الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يعيش هكذا وبسط
يساره واصبعين من يمينه السبابة والابهام وعقد ثلاثة قال الحماكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم
يخرجاه اه وعمران القطان مختلف في الاحتجاج به انما اخرج له البخاري استشهاده الاصلاح وكان يحيى
القطان لا يحدث عنه وقال يحيى بن معين ليس بالقوي وقال مرة ليس بشئ وقال احمد بن حنبل ارجوان
يكون صالح الحديث وقال يزيد بن زريع كان حروريا وكان يرى السيف على اهل القبلة وقال النسائي
ضعيف وقال ابو عبيد الاحمر سأل ابا داود عنه فقال من اصحاب الحسن وما سمعت الا خيرا وسمعت مرة
اخرى ذكره فقال ضعيف اقبى في ايام ابراهيم بن عبد الله بن حسن بقتوى شديدة فيم اسفل الدماء وخرج
الترمذي وابن ماجه والحماكم عن ابي سعيد الخدري من طريق يزيد العمري عن ابي صديق الناجي عن ابي
سعيد الخدري قال خشينا ان يكون بعض شئ حدث فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان في امي
المهدي يخرج بعيش خمسا وسبعين او تسعا ويزيد الشاك قال قلنا وما ذلك قال سنين قال فيحيى اليه الرجل
فيقول يا مهدي اعطني قال فيحيى له في ثوبه ما استطاع ان يجمله لفظ الترمذي وقال هذا حديث حسن وقد
روى من غيره وجه عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظ ابن ماجه والحماكم يكون في امي المهدي
ان قصر فسبع والافتسح فتبع امي فيه نعمه لم يسعوا ويملها قط تؤتى الارض اكها ولا يدخر منه شئ والمال
يومئذ كدوس فيقوم الرجل فيقول يا مهدي اعطني فيقول خذ انتهي ويزيد العمري وان قال فيه الدارقطني
واحمد بن حنبل ويحيى بن معين انه صالح وزاد احمد انه فوق يزيد الرفاشي وفضل بن عيسى الا انه قال فيه
ابو حاتم ضعيف يكتب حديثه ولا يحتج به وقال يحيى بن معين في روايه اخرى لاشئ وقال مرة يكتب حديثه
وهو وضعيف وقال المجراني متمسك وقال ابو زرعة ليس بقوي واهي الحديث ضعيف وقال ابو حاتم
ليس بذلك وقد حدث عنه شعبة وقال النسائي ضعيف وقال ابن عدى عامة ما روي عنه ومن يروي عنهم
ضعفاء على ان شعبة قد روى عنه ولعل شعبة لم يرو عن اضعف منه وقد يقال ان حديث الترمذي وقع
تفسير المارواه مسلم في صحيحه من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكون في آخر امي
خليفة يحيى المال حثيا لا بعده عددا ومن حديث ابي سعيد قال من خلفناكم خليفه يحشو المال حثيا ومن
طريق اخرى عنها ما قال يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا بعده انتهي واحاديث مسلم لم يقع فيها
ذكر المهدي ولا دليل يقوم على انه المراد منها ورواه الحماكم ايضا من طريق عوف الاعرابي عن ابي الصديق
الناجي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تملأ الارض جورا

(ويروي) ان رجلا بعث الى حنظلة بجارية فوافته بين اصحابه فقال قبض ان اخذها لنفسه وانتم حصو رواه ان اخص بها واحدا
مشكم وكلكم له حق وحرمة وهذه لا تحتمل القسمة وكانوا ثمانين رجلا فامر لكل واحد منهم بجارية او وصيف (وقيل) لقيس بن سعد

هل رأيت قط أسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فحضر زوجه فقالت له انه نزل بك ضيقان فجاء بناقة فخرها وقال شأنكم فلما
كان الغد جاء باخرى ونحروها وقال (١٨٨) شأنكم فقلنا ما كلنا من التي نحرت البارحة الا اليسير فقال اني لا اطعم اضيافى القاءت

وظلموا وعدوانا ثم يخرج من اهل بيتي رجل يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا وقال فيه
الحاكم هـ ذاصحح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورواه الحاكم ايضا من طريق سليمان بن عبيد عن
ابي الصديق الناجي عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال يخرج في آخر امتي
المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الارض نباتها ويعطى المساكين حياوتها وتكثر المشية وتكثف الامم
يعيش سبع مائة وثمانين سنة يعني حجبا وقال فيه حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه مع ان سليمان بن عبيد لم
يخرج له احد من السنة لكن ذكره ابن حبان في الثقات ولم يرد ان احدا تكلم فيه ثم رواه الحاكم ايضا
من طريق اسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن مطر الوراق وابي هريرة العبدى عن ابي الصديق
الناجي عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تملأ الارض جورا وظلما فيخرج رجل من عترتي
فيملأ سبع مائة او تسع مائة الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما وقال الحاكم فيه هذا حديث صحيح على
شرط مسلم واما ما جاء له على شرط مسلم لم يخرجه عنه حماد بن سلمة وعن شيخه مطر الوراق واما شيخه
الاخر وهو ابو هريرة العبدى فلم يخرجه له وهو ضعيف جدا منهم بالكذب ولا حاجة الى بسط اقوال الائمة
في تضعيفه * واما الراوى له عن حماد بن سلمة وهو اسد بن موسى ويلقب اسد السنة وان قال البخارى
مشهور الحديث واستشهد به في صحيحه واحتج به ابو داود والنسائي الا انه قال مرة اخرى ثقة ولم يصنف
كان خيرا له وقال فيه محمد بن حزم منكر الحديث ورواه الطبراني في معجمه الاوسط من رواية ابي الواصل عبد
الحميد بن واصل عن ابي الصديق الناجي عن الحسن بن يزيد السدي احدى بيده لذة عن ابي سعيد
الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج رجل من امتي يقول بسنتي ينزل الله عز
وجل له القطر من السماء وتخرج الارض بركتها وتملأ الارض منه قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما
يعمل على هذه الامة سبع سنين وينزل بيت المقدس وقال الطبراني فيه ورواه جماعة عن ابي الصديق
ولم يدخل احد منهم بينه وبين ابي سعيد احد الا بالواصل فانه رواه عن الحسن بن يزيد عن ابي سعيد
انتهى وهذا الحسن بن يزيد ذكره ابن ابي حاتم ولم يعرفه بأكثر مما في هذا الاسناد من روايته عن ابي
سعيد ورواية ابي الصديق عنه وقال الذهبي في الميزان انه مجهول لكن ذكره ابن حبان في الثقات واما ابو
الواصل الذي رواه عن ابي الصديق فلم يخرجه له احد من السنة وذكره ابن حبان في الثقات في الطبقة
الثانية وقال فيه يروي عن انس وروى عنه شعبة وعتاب بن بشر وخرج ابن ماجه في كتاب السنن عن عبد
الله بن مسعود من طريق يزيد بن ابي زياد عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال بينما نحن عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا قبل قبضة من بني هاشم فلما رأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه
وتغير لونه قال فقلت ما نزال نرى في وجهك شيئا ذكره فقال انا اهل البيت اختار الله لنا الاخرة على الدنيا
وان اهل بيتي سلبقون بعدى بلا وتشر يد او تشر يد احدى باقى قوم من قبل المشرق معهم رايات سود
فيسألون الخبير فلا يعطونه فيقاتلون وينصرون فيعطون ماسا لولا فلابونه حتى يدفعونها الى رجل من
اهل بيتي فيملؤها قسطا كما ملؤها جورا فمن ادرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبو وعلوا الى النج انتهى * وهذا
الحديث يعرف عند الحديثين بحديث الزيات ويزيد بن ابي زياد رواه قال فيه شعبة كان رفعا يعني برفع
الاحاديث التي لا تعرف مرفوعة وقال محمد بن الفضل كان من كبار ائمة الشيعة وقال احمد بن حنبل لم يكن
بالحافظ وقال مرة حديثه ليس بذلك وقال يحيى بن معين ضعفه وقال العجلي جائز الحديث وكان باسخه
يلقن وقال ابو زرعة لئن يكتب حديثه ولا يحتج به وقال ابو حاتم ليس بالقوى وقال الجرجاني سمعته

فلقنا عنده اياما والسماء
تطر وهو يفعل كذلك
فلما اردنا الرحيل وضعنا
مائة دينار في بيته وقلنا للمرأة
اعتذرى لنا منه ومضينا
فلما متع النهار اذ ابرجل
يصبح خلفنا قفا واليها
الركب الائمة اعطيت وفي
من القرى ثم انه لم يبق وقال
لتأخذونها والاطمنتكم
برمحي فاخذناها وانصرف
(وقال) ميمون بن مهران
من طلب مرضاة الاخوان
بلاشي فليحجب اهل
القبور (وقال) ابن عباس
لا يتم المعروف الا بثلاثة
تجليله وتضعيره وستره فاذا
عجله فقد هناه واذا صغره
فقد عظمه واذا ستره فقد
تممه (وقال) الحسن كان
احدهم يشق ازاره لახيه
بنصفين (وقال) المغيرة في
كل شئ سرف الا في
المعروف (وقيل) للحسن
ابن سهل لا خير في السرف
فقال لا سرف في الخير فقلب
اللفظ واستوفى المعنى
ونظمه محمد بن حازم فقال
لا فقر عار ولا الغنى شرف
ولا سخاء في طاعة سرف
مالك الا شئ تقدمه
وكل شئ اخره تاف
واما طلحة بن عبد الله بن
خلف الخزاعي المعروف
طلحة الطلحات واما سمي بهذا الاسم لانه كان عظيم البذل في كل وجه وكان يبتاع الرقاب فيعتقها وكان
كل معتنق يولد له ولد ذكر سماه طلحة فبلغ عددهم ألف رجل كل سمي طلحة فسمي طلحة الطلحات ثم ولى سجستان وفيه يقول الشاعر

يضعفون
كل معتنق يولد له ولد ذكر سماه طلحة فبلغ عددهم ألف رجل كل سمي طلحة فسمي طلحة الطلحات ثم ولى سجستان وفيه يقول الشاعر

تضر الله اعظاما ذنوبها * بسجستان طلحة الطلحات فقد بلغه ان معلمه كان في الكعب بالجواز قد تعد به الدهر فارسل اليه مع غلامه
مائة الف فقال سلمها اليه فان يكن مات وله ولد فادفعها الي ولده وان لم يكن له ولد ففرقها (١٨٩) على قومه فوافقه الرسول قدمات

ولم يعقب فقرقها في قومه
(وقال) زيد بن اسلم وكان
من الخاشعين يا ابن آدم
أمرك الله ان تكون
كراما وتدخل الجنة
ونهاك ان تكون لثما
وتدخل النار (وقال)
حكيم بن خزام ما أصبحت
قط صبا احالم اربابني طالب
حاجة الا عدت ما صيبة
أرجو ثوابها (ولما) مات
وجد عليه مائتا الف دينار
ووجد مائة واربعة عشر
انتهز القرض عند ما كانها
ولا تحمل على نفسك هم
مالم يأتك * واعلم ان تقنيرك
على نفسك توفير لخزانتة
غيرك فكم من جامع لم يعمل
حليته (وقال) علي بن أبي
طالب رضي الله عنه ما
جئت من المال فوق
قوتك فانما أنت خازن
لغيرك (وروي) مالك في
المواطن مسكنا آل
عائشة وهي صائتة وليس
في بيتها الا رغيف فقالت
لمولاتها اعطيه اياه فقالت
ليس لك ما تقطر من عليه
فقالت اعطيه اياه ففعلت
فلما أمست أهدي لها
أهل بيت شاءوا كفتها يعني
ملقوفة بالزعران فقالت
لي عائشة كلي هذا خير
من قرصك (وقال) عبد

يضعون حديثه وقال ابو داود لا اعلم احد ترك حديثه وغيره احب الي منه وقال ابن عدي هو من شبيعة
أهل الكوفة ومع ضعفه يكتب حديثه وروى له مسلم لكن مقروبا وغيره وبالجملة فالأكثر من علي ضعفه
وقد صرح الأئمة بتضعيف هذا الحديث الذي رواه عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله وهو حديث
الرايات وقال وكيع بن الجراح فيه ليس بشيء وكذلك قال احمد بن حنبل وقال ابو قدامة سمعت ابا اسامة
يقول في حديث يزيد عن ابراهيم في الرايات لو حلف عندى نجسين يميننا قسامة ما صدقته اهـ ذام مذهب
ابراهيم اهـ ذام مذهب علقمة اهـ ذام مذهب عبد الله واورد العقيلي هذا الحديث في الضعفاء وقال الذهبي
ليس بصحيح وخرج ابن ماجه عن علي رضي الله عنه من رواية ياسين العجلي عن ابراهيم بن محمد بن الحنفية
عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي منا اهل البيت يصلح الله به في ليلة
وياسين العجلي وان قال فيه ابن معين ليس به بأس فقد قال البخاري فيه نظر وهذه اللفظة من اصطلاحه
قوية في التضعيف جدا وورد له ابن عدي في الكامل والذهبي في الميزان هذا الحديث على وجه
الاستنكار له وقال هو معروف به وخرج الطبراني في المعجم الاوسط عن علي رضي الله عنه انه قال للنبى
صلى الله عليه وسلم لم امننا المهدي ام من غيرنا يا رسول الله فقال بل من ابناي تختم الله كباينا فتح و بنا
يستعدون من الشرك و بنا يؤاف الله بين قلوبهم بعد عدة بينة لما بنا الف بين قلوبهم بعد عدة
الشرك قال علي أمؤمنون ام كافرون قال معتون وكافرانتهى وفيه عبد الله بن لميعة وهو وضعيف
معروف الحال وفيه عمر بن جابر الحضرمي وهو اضعف منه قال احمد بن حنبل روى عن جابرنا كبر
وبلغني انه كان يكذب وقال النسائي ليس بثقة وقال كان ابن لميعة شيخا احمق وضعيف العقل وكان يقول
علي في السحاب وكان يجلس معنا في مصر سحابة فيقول هذا علي قد مر في السحاب وخرج الطبراني عن علي
رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال يكون في آخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها كما
يحصل الذهب في المعدن فلا تسبوا اهل الشام ولو كن سبوا أشراهم فان فيهم الابدال يوشك ان يرسل
على اهل الشام صيب من السماء فيفرق جماعتهم حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم فعند ذلك يخرج خارج
من أهل بيتي في ثلاث رايات اكثر يقول بهم خمسة عشر الفا والمقل يقول بهم اثنا عشر الفا واما رتهم
امت امت يلقون سبع رايات تحت كل راية منها رجل يطلب الملك فيقتلهم الله جميعا ويرد الله الى المسلمين
أقتلهم ونعمتهم وقاصبتهم ورايتهم اهـ وفيه عبد الله بن لميعة وهو وضعيف معروف الحال ورواه الحاكم في
المستدرک وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه في روايته ثم يظهر الهاشمي فيرد الله الناس الى الفتهم المح وليس في
طريقه ابن لميعة وهو اسناد صحيح كما ذكر وخرج الحاكم في المستدرک عن علي رضي الله عنه من رواية ابني
الطفيل عن محمد بن الحنفية قال كنا عند علي رضي الله عنه فساله رجل عن المهدي فقال علي هيبت ثم عقد
بده سبعا فقال ذلك يخرج في آخر الزمان اذا قال الرجل الله الله قتل ويجمع الله له قوما قزع (١) كقزع
السحاب يؤاف الله بين قلوبهم فلا يستوحشون الى احد ولا يفرحون بأحد دخل فيهم عدتهم على عدة اهل
بدر لم يسبقهم الا لون ولا يدركهم الا آخرون وعلى عدد اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر قال ابو
الطفيل قال ابن الحنفية اتر يده قلت نعم قال فانه يخرج من بين هذين الاخشبين قلت لاجرم والله
ولا ادعها حتى اموت ومات بها يعني مكة قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين انتهى وانما
هو على شرط مسلم فقط فان فيه عمارة الذهبي ويونس بن ابني اسحق ولم يخرج لهما البخاري وفيه عمر بن

(١) قوله قزع بضم اوله وفتح الزاي ممنوع من الصرف كما خر اه

الله بن عمر ما كان أحدنا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يحسب ان له في الفضل شيئا (وقال) الحسن كنا نعد البخيل من يقرض أخاه
الدرهم (ومن عجائب) ما روى في الاشارة ما ذكره ابو محمد الازدي قال لما احترق المسجد بمصر ووطن المسلمون ان النصارى أحرقوه فاحرقوا

خاناهم فقبض السلطان جماعة من الذين أحرقوا الخان وكتب رقا عا فيها القتل وفيها القطع وفيها الجلد ونثرها عليهم فن وقعت عليه رقعة
فعل به ما فيها فو قعت رقعة (١٩٠) فيها القتل بيد رجل فقال ما كنت أبالي لولا أم لي وكان بجانبه بعض القبان فقال له في

وقعتي الجلد وليست لي أم
فادفع الي رقعتك وخذ
رقعتي ففعل ما فعلت ذلك
وتخلص هذا (وحكي) ان
أبا العباس الانطاكي
اجتمع عنده نيف وثمانون
رجلا بقر به بقرب الري
ولهم أرقعة لم تسمع جمعهم
فكسرو الرعقان واطقوا
السراج وجلسوا للطعام
الى ان كفووا فلما رفع اذا
الطعام بحاله لم يأكل منه
واحد منهم اثار صاحبه
على نفسه (وروي) انه
اجتمع بالرملة جماعة من
أرباب القلوب فحضر طبق
فيه تين أخضر وقد غسق
الليل فكان الواحد يمد
يده فاذا نظرت بحجة حصرم
يأكلها وان ظفر بطيب
دفعه الى صاحبه ولم يأكله
فلما رفع الطبق اذا الطيب
كله في الطبق لم يأكلوا
منه شيئا (وقال) بعض
الرواة دخلت على بشر
الحافي في يوم شديد البرد
وقد تعرى من الثياب
فقلت يا ابا نصر الناس
يزيدون الثياب في مثل
هذا اليوم وانت تتعص
فقال ذكرت الفقراء وما هم
فيه ولم يكن لي ما واسيهم
به فاردت ان أراقهم
بنقسي في مقاساة البرد

محمد العبقرى ولم يخرج له البخارى احتجا جليل استشهدا مع ما ينضم الى ذلك من تشيع عمار الذهبي
وهو وان وثقه احمد وابن معين وابو حاتم النسائي وغيرهم فقد قال علي بن المدني عن سفيان ان بشر بن
مروان قطع عرقو به قتل في اي شيء قال في التشيع وخرج ابن ماجه عن انس بن مالك رضي الله عنه في
رواية سعد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي بن زياد اليمامي عن عكرمة بن عمار عن اسحق بن عبد الله عن
انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن ولد عبد المطلب سادات اهل الجنة انا وجزء
وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي انتهى وعكرمة بن عمار وان اخرج له مسلم فانما اخرج له متابعة
وقد ضعفه بعض وثقه آخرون وقال ابو حاتم الرازي هو مدلس فلا يقبل الا ان يصرح بالسماع وعلي بن
زياد قال الذهبي في الميزان لا ندرى من هو ثم قال الصواب فيه عبد الله بن زياد وسعد بن عبد الحميد وان
وثقه يعقوب بن ابي شيبة وقال فيه يحيى بن معين ليس به بأس فقد تكلم فيه الثوري قالوا لانه رآه بقتي في
مسائل ويخطئ فيها وقال ابن حبان كان ممن فحس عطاؤه فلا يخرج به وقال احمد بن حنبل سعد بن عبد
الحميد يدعي انه سمع عرض كتب مالك والناس ينكرون عليه وذلك وهو ههنا بغيره اذ لم يخرج فكيف
سعهما وجهه الذهبي ممن لم يقدح فيه كلام من تكلم فيه وخرج الحاكم في مستدركه من رواية مجاهد
عن ابن عباس موقوف عليه قال مجاهد قال لي ابن عباس لولم اسمع انك مثل اهل البيت ما حدثت
بهذا الحديث قال فقال مجاهد دفانه في ستر لا اذكره لمن يكره قال فقال ابن عباس منا اهل البيت
اربعة منا السفاق ومنا المنذر ومنا المنصور ومنا المهدي قال فقال لابن عباس لولم اسمع انك مثل اهل البيت
عباس اما السفاق فربما قتل انصاره وعقاعن عدوه واما المنصور فانه يعطى النصر على عدوه الشطر ما كان
ولا يتعاضد في نفسه ويمسك القليل من حقه واما المنصور فانه يعطى النصر على عدوه الشطر ما كان
يعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبره من عدوه على مسيرة شهرين والمنصور بره من عدوه
على مسيرة شهر واما المهدي الذي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وامن البهايم السباع بتلج الارض
افلاذ كبدها قال قلت وما افلاذ كبدها قال امثال الاسطوانة من الذهب والفضة اه وقال الحاكم
هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وهو من رواية سمعي بن ابراهيم بن مهاجر عن ابيه واسمعي بن
ضعيف وابراهيم ابوه وان اخرج له مسلم فلا كثرون على تضعيفه اه وخرج ابن ماجه عن ثوبان قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل عند كبرك ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير الى واحد منهم حتى تطلع
الرايات السود من قبل المشرق فيقتلوهم قتل لا يقتلهم قوم ثم ذكر شيئا لا احفظ قال فاذا رايتهم فبايعوه ولو
حبوا على الثلج فانه خليفة الله المهدي اه ورجاله رجال النجاشين الا ان فيه ابا قابلة الجرمي وذكر الذهبي
وغيره انه مدلس وفيه سفيان الثوري وهو مشهور بالتدليس وكل واحد منهم ما عنعن ولم يصرح بالسماع
فلا يقبل وفيه عبد الرزاق بن همام وكان مشهورا بالتشيع وعمي في آخر وقته فغاط قال ابن عدى حدثت
بأحاديث في الفضائل لم يوافقها عليها احد ونسبوه الى التشيع انتهى * وخرج ابن ماجه عن عبد الله
ابن الحرث بن جزء الزبيدي من طريق ابن لهيعة عن ابي زرعة عن عمر بن جابر الحضرمي عن عبد الله بن
الحرث بن جزء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق فيوطنون للمهدي يعني سلطانه
قال الطبراني تفرد به ابن لهيعة وقد تقدم لنا في حديث علي الذي خرج الطبراني في معجمه الاوسط ان ابن
لهيعة ضعيف وان شيخه عمر بن جابر اضعف منه وخرج البزار في مسنده والطبراني في معجمه الاوسط واللفظ
للطبراني عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون في أمي المهدي ان قصر فسيبع والافتمان

(وقال) الاستاذ ابو علي لماسعي غلام خليل بالصوفية الى الخليفة بالزندقة أمر بضرب أعناقهم فاما الحميد
فانه تسبر بالثقة وكان يقى على مذهب أبي ثور واما الشحام والرقام والنوري وجماعة فقبض عليهم وبسط النطع لضرب أعناقهم

فتقدم النوري امامهم فقال له السباني أتدري لماذا تقدمت وتسايق قال نعم قال وماذا يجعلك قال أوثر أصحابي بحياة ساعة فقبحر السباني
وأنى الخبر الى الخليفة فرددهم الى القاضي ليتعرف حالهم فالتى القاضي على (١٩١) أبى الحسن النورى مسائل فتهية فاجاب

عن الكل ثم أخذ يقول
ان لله عباد اذا قاموا قاموا
بالله واذا نطقوا وانطقوا
بالله وسرد الفاظا حتى أبكى
القاضي فارس الى الخليفة
وقال ان كان هؤلاء زنادقة
فباع على وجه الارض مسلم
(ولما) مرض قيس بن سعد
ابن عباد استبطأ اخوانه
في العيادة فسأل عنهم فقال
انهم يستحبون عمالك عليهم
من الدين فقال أخرى الله ما
لا يمنع الاخوان من الزيارة
ثم أمر من ينادى من كان
لقيس عنده مال فهو منه
في حل فكسرت عتبة بابيه
بالعشى لكثرة العواد
(ويروى) ان عبد الله
ابن جهم فمروا وكان أحد
الاجواد خرج الى ضيعة له
فنزله على تخيل قوم وفيها
غلام أسود يقوم عليه فأتى
بقوته ثلاثة أقراص ودخل
كلب ودنا من الغلام فرمى
اليه بقرص فاكله ثم رمى
اليه بالثاني والثالث
فاكلهما وعبد الله ينظر
فقال يا غلام كم قوتك كل
يوم قال ما رأيت قال فلم
آثرت هذا الكلب قال
ماهى بارض كلاب وانه
جاء من مسافة بعيدة جائعا
فكرهت رده قال فأنت
صانع اليوم قال أطوى بومى

والافتسح تنعم فيها امتى نعمة لم ينعموا بمثلها ترسل السماء عليهم مدرارا ولا تدخر الارض شيئا من النبات
والمال كدوس يقوم الرجل يقول يا مهدى اعطني فيقول خذ قال الطبراني والبخاري والبخاري تفرد به محمد بن مروان
العجلي زاد البخاري ولا يعلم انه تابعه عليه أحد وهو وان وثقه أبو داود وابن حبان أيضا ما ذكره في الثقات
وقال فيه يحيى بن معين صالح وقال مرة ليس به بأس فقد اختلفوا فيه وقال أبو زرعة ليس عندي بذلك
وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل رأيت محمد بن مروان العجلي حدث با حديث وأنا شاهد لم نكتبها ثم كتبها
على عمد وكتب بعض أصحابنا عنه كانه ضعفه وخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي هريرة وقال
حدثنا خليلي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من أهل بيتي
فيضربهم حتى يرجعوا الى المحى قال قلت وكيف قال خمسة واثنين قال قلت وما خمس واثنين قال لا أدري
اه وهذا السند وان كان فيه بشير بن نهيك وقال فيه أبو حاتم لا يجمع به فقد احتج به الشيخان ووثقه الناس
ولم يلتفتوا الى قول أبي حاتم لا يجمع به إلا أن فيه رجاء بن أبي رجاء البشكري وهو مختلف فيه قال أبو زرعة
ثقة وقال يحيى بن معين ضعيف وقال أبو داود ضعيف وقال مرة صالح وعانى له البخاري في صحيحه حديثا
واحد وخرج أبو بكر البخاري في مسنده والطبراني في معجمه الكبير والوسط عن قررة بن اياس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لتلأ الأرض جورا وظلما فاذما ملئت جورا وظلما بعث الله رجلا من امتى اسمه اسى
واسم ابيه اسم ابى يماؤها عدلا وقيسا كما ملئت جورا وظلما فلا تمنع السماء من قطرها شيئا ولا الارض شيئا
من نباتها يلبث فيكم سبعه اوثمانية وتسعين سنين اه وفيه دواوين المحي بن مجرم عن ابيه وهما
ضعيفان جدا وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من
المهاجرين والانصار وعلى بن أبى طالب عن يساره والعباس عن يمينه اذ تلاحى العباس ورجل من
الانصار فاغاض الانصارى للعباس فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد العباس وبيده على وقال سينزع من
صلب هذا حتى يملأ الأرض جورا وظلما وسينزع من صلب هذا حتى يملأ الأرض قسطا وعدلا فاذا رأيت
ذلك فعليك بالفتى التيمى فانه يقبل من قبل المشرق وهو صاحب راية المهدي اه وفيه عبد الله بن عمر
العمى وعبد الله بن فضالة وهما ضعيفان اه وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن طلحة بن عبد الله عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ستكون فتنة لا يسكن منها جانب الا تشاجر جانب حتى ينادى مناد من السماء ان
أميركم فلان اه وفيه المثنى بن الصباح وهو ضعيف جدا وليس في الحديث تصريح بذكر المهدي وانما
ذكره في ابوابه وترجمته استئناسا (فهذه) جملة الاحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدي وخرجه
آخر الزمان وهى كما رأيت لم يخلص منها من النقد الا القليل والاقل منه وربما تمسك المنكرون لشأنه بما
رواه محمد بن خالد الجندى عن ابان بن صالح بن ابي عياش عن حسن البصرى عن انس بن مالك عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لا مهدي الا عيسى بن مريم وقال يحيى بن معين في محمد بن خالد الجندى انه ثقة
وقال البيهقي تفرد به محمد بن خالد وقال الحما كفيه انه رجل مجهول واختلف عليه في اسناده مرة يروى كما
تقدم وينسب ذلك لمحمد بن ادريس الشافعى ومرة يروى عن محمد بن خالد عن ابان عن الحسن عن النبي
صلى الله عليه وسلم مرسل لاقال البيهقي فرجع الى رواية محمد بن خالد وهو مجهول عن ابان بن ابي عياش
وهو متروك عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو منقطع وبالجملة فالحديث ضعيف مضطرب
وقد قيل في ان لا مهدي الا عيسى أى لا يتكلم في المهدي الا عيسى يحاولون بهذا التأويل رد الاحتجاج به أو
الجمع بينه وبين الاحاديث وهو مدفوع بحديث جريح ومثله من الخوارق * وأما المتصوفة فلم يكن

هذا قال عبد الله بن جهم قرأ الام على السخاء وهذا سخى منى فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الا^٣ لا تفاعتى الغلام ووهب ذلك له
(وقال) النورى رأيت محمد بن سوسة بالعداة صاحب مائة الف وبالعشى سألناه من أصحابه خبزة (وقال) أبو عبد الرحمن دخل أبو عبد

الله الروذباري الى دار بعض اصحابه فوجده غائبا وهنالك بيت مقفل فذكر القفل وأمر بجميع ما وجد فيه من المنافع فاتفق ذووه الى السوق فباعوه واصلحوه وابتاعه وقتا (١٩٤) من الثمن فجاء صاحب الروذباري فلم يقل شيئا فدخلت امرأته بعدهم الدار وعلما

المتقدمون منهم يخوضون في شيء من هذوا وما كان كلامهم في الجاهل بالاعمال وما يحصل عنهما من نتائج المواجد والاحوال وكان كلام الامامية والرافضة من الشيعة في تفضيل علي رضي الله تعالى عنه والقول بامامة مه وادعاء الوصية له بذلك من النبي صلى الله عليه وسلم والنبري من الشيخين كما ذكرناه في مذاهيمهم ثم حدث فيهم بعد ذلك القول بالامام المعصوم وكثرت التايف في مذاهيمهم وجاء الاسماعيلية منهم يدعون الوهية الامام بنوع من الحلول وآخرون يدعون رجعة من مات من الائمة بنوع التنازع وآخرون منتظرون مجيء من يقطع بموته منهم وآخرون منتظرون عود الامري اهل البيت مستدين على ذلك بما قدمناه من الاحاديث في المهدي وغيرها ثم حدث ايضا عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف وفيما وراء الحس وظهر من كثير منهم القول على الاطلاق بالحلول والوحدية فشاركوا فيها الامامية والرافضة ولهم بالوهية الائمة وحلول الاله فيهم وظهر منهم ايضا القول بالقطب والابدال وكانه يحاكي مذهب الرافضة في الامام والقباع واشهر بواقوال الشيعة وتوغلو في الديانة بمذاهيمهم حتى لقد جعلوا مستند مطريتهم في لبس الخرق ان عليا رضي الله عنه البسها الحسن البصري واخذ ذلك منه العهد بالترام الطريقة واتصل ذلك عنهم بالجنيد من شيوخهم ولا يعلم هذا عن علي من وجه صحيح ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله وجهه بل الحجابة كلهم أسوة في طرق المهدي وفي تخصيص هذا بعلي دونهم ورتبة من التشيع قوية فيهم ومنها ومن غيرها مما تقدم دخولهم في التشيع وانخرطوا في سلكه وظهر منهم ايضا القول بالقطب وامتلات كتب الاسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من المتصوفة بمثل ذلك في الفاطمية المنتظر وكان بعضهم عليه على بعض ويلقنه بعضهم من بعض وكأنه مبني على اصول واهية من الفرقين وربما يستدل بعضهم بكلام المتجيمين في القرانات وهو من نوع الكلام في الملاحم ويأتي الكلام عليهم في الباب الذي يلي هذوا اكثر من تكلم من هؤلاء المتصوفة المتأخرين في شأن الفاطمي ابن العربي الحاتمي في كتاب عنقاء مغرب وابن قسي في كتاب خلع النعلين وعبدالحق بن سبويه وابن ابي واطيل تلمذه في شرحه لكتاب خلع النعلين واكثر كتاباتهم في شأنه الغارز وامثال وربما يصرحون في الاقل او يصرح مفسر وكلامهم ومواصل مذاهيمهم فيه على ما ذكر ابن ابي واطيل ان النبوة بها ظهر الحق والمهدي بعد الضلال والعمى وانها تعقبها الخالفة ثم يعقب الخالفة الملك ثم يعود تحتج بها وتكبروا باطلاقها ولما كان في المعهود من سنة الله رجوع الامور الى ما كانت وجب ان يجبا امر النبوة والحق بالولاية ثم بخلافها ثم يعقبها الدجل مكان الملك والتسلط ثم يعود الكفر بحاله يشيرون بهذا الموضع من شأن النبوة والخالفة بعدها والملك بعد الخالفة هذه ثلاث مراتب وكذلك الولاية التي هي لهذا الفاطمي والدجل بعدها كناية عن خروج الدجال على اثره والكفر من بعد ذلك فهي ثلاث مراتب على نسبة الثلاث مراتب الاولى ثم يعود الكفر كما كان قبل النبوة قالوا ولما كان امر الخالفة لقر يش حكما شرعيا بالاجماع الذي لا يوهنه انكاره لم يزاول علمه وجب ان تكون الامامة فيمن هو اخص من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم اما ظاهرا كبنو المطالب واما باطنا ممن كان من حقيقة الال والال من اذا حضر لم يغيب من هو له وابن العربي الحاتمي سماه في كتابه عنقاء مغرب من تأليفه خاتم الاولياء وكى عنه بلبنة الفضة اشارة الى حديث البخاري في باب خاتم النبيين قال صلى الله عليه وسلم مثل فيمن قبلي من الانبياء كمثل رجل ابتي بيناوا كمله حتى اذا لم يبق منه الا موضع لبنة فانا تلك اللبنة فيمسررون خاتم النبيين باللبننة حتى اكدت البنيان ومعناه النبي الذي حصلت له النبوة الكاملة ويمثلون الولاية في

كساء فدخلت بيتا ومرت بالكساء وقالت يا اصحابنا هذا ايضا من جملة المنافع فيبعوه فقال زوجه الم تكلفت هذا باختيارك فقالت اسكت مثل هذا الشيخ بياسطنا ويحكم علينا و يبقى لنا شيء نذكره عنه (واما) عبد الملك بن بجر فورث خمسة آلاف درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال ما كنت لاسأل لاخواني الجنة في صلاتي وانجمل عليهم بحوالي (ويروي) ان الاشعث ابن قيس ارسل الى عدى ابن حاتم يستعير منه قدورا كانت لايه حاتم فلاها وبعث بها اليه وقال انا لانعيرها فارغة (وقال) بز رجهر لا عز اذبت اركانا ولا ابدخ بنينا من بث الكرم واكساب الشكر وذلك ان عز التظيم بالفعل الجبل باق في قلوب الرجال ومن تحصن بالجود وتحرز بالمعروف فقد ظفر بمن تأواه ورجح الشكر والثواب (ويروي) ان عبد الله ابن ابي بكر وكان احد الاجواد عطش يوما في طريقه فاستسقى من منزل امرأة فخرجت كوزا وقامت تخلف الباب وقالت تخنوا

عن الباب وليأخذ بعض غلمانكم فاني امرأة من العرب ماتت فوجي منذ ايام فمسر عبد الله وقال يا غلام اجعل اليها عشرة آلاف فقالت سبحان الله تسخرني فقال يا غلام اجعل اليها عشر من الفاق قالت اسأل الله العافية فقال يا غلام

تفاوت

اجل اليها الثلاثين القاف قالت اف لك فحمل اليها ثلاثين الف درهم فما استحي كثير خطابها (وقال) بعض الرواة قصه بدرجل الى صديق له فمدق عليه الباب فلما خرج قال ما حاجتك قال اربعمائة درهم على دين (١٩٣) فدخل الدار واخرجها اليه ثم دخل الدار

يا كما فقالت له امراته ملا
تعلات حين شقت عليك
الاجابة قال انما ابكي لاني
لم اتفقده حالي حتى احتاج
الى مكاشفتي (وقال) انتم
ابن صيفي صاحب المعروف
لا يقع فان وقع وجدتمت كما
(وقال) الفضيل ما كانوا
يعدون القرض مع رؤفا
(ويروي) عن امرأة من
المتعبدات انها قالت لحبان
ابن هلال وهو في جماعة
من اصحابه ما المتعبد عندكم
قال البذل والايثار قالت
في المتعبد في الدين قال
ان تعبدى الله تعالى بخيعة
به نفسك غير مكرهه قالت
اقتري بدون على ذلك جزاء
قالوا نعم لان الله تعالى وعد
على الحسنه بعشر امثالها قالت
فاذا اعطيتم واحده واخذتم
عشرا فاي شئ سخيتم به
وانما المتعبد ان تعبدوا
الله تعالى متعبد من متلذين
بطاعته غير كارهين
لا تريدون بذلك اجرا
الاستحيون ان يطلع على
قلوبكم فيعلم منها انها تريد
شيأ بشئ (وقالت) بعض
المتعبدات لبعض المتعبدين
أتظن السخاء في الدينار
والدرهم فقط انما السخاء
في بذل مهج النفوس لله
تعالى (وقال) أبو بكر

تفاوت مراتبها بالنموه ويجعلون صاحب الكمال فيها خاتم الاولياء اى حائز الرتبة التي هي خاتمة الولاية كما
كان خاتم الانبياء حائز الرتبة التي هي خاتمة النبوة فكذلك الشارح عن تلك المرتبة الخاتمة بلبنة البيت في
الحديث المذكور وهما على نسبة واحدة فيها هي لبنة واحدة في التمثيل في النبوة لبنة ذهب وفي
الولاية لبنة فضة للتفاوت بين الرتبين كما بين الذهب والفضة فيجعلون لبنة الذهب كناية عن النبي صلى
الله عليه وسلم ولبنة الفضة كناية عن هذا الولي القاطن والمنظر وذلك خاتم الانبياء وهما ذواتهم الاولياء
وقال ابن العربي في ما نقل ابن ابي واطيل عنه وهذا الامام المنتظر هو من اهل البيت من ولد فاطمة
وظهوره يكون من بعد مضي خفج من الهجرة ورسمه حروف ثلاثة ير يدعددها بحساب الحمل وهو
الحاء المعجمة بواحدة من ستمائة الفاء اخذت القاف بثمانين والحاء المعجمة بواحدة من اسفل ثلاثة وذلك
ستمائة وثلاثون سنة وهي في آخر القرن السابع ولما انصرم هذا العصر ولم يظهر رجل ذلك بعض
المقلدين لهم على أن المراد بتلك المدة مولده وعبر بظهوره عن مولده وأن خروجه يكون بعد العشر
والسبع مائة فانه الامام الناجم من ناحية المغرب قال واذا كان مولده كما زعم ابن العربي سنة ثلاث
وثمانين وستمائة فيكون عمره عند خروجه ستا وعشرين سنة قال وزعموا ان خروج الدجال يكون سنة
ثلاث واربعين وسبع مائة من اليوم المحمدي وابتداء اليوم المحمدي عندهم من يوم وفاة النبي صلى الله عليه
وسلم الى تمام ألف سنة قال ابن ابي واطيل في شرحه كتاب خلع النعيلين الولي المنتظر القائم بامر الله المشار اليه
بمحمد المهدي وخاتم الاولياء وليس هو بنبي وانما هو ولي ابنته ربه ووجه وجوبه قال صلى الله عليه وسلم
العالم في قومه كالنبي في أمته وقال علماء أمي كانباء بنى اسرائيل ولم تنزل البشرى تابيع به من أول اليوم
المحمدي الى قبيل الخمسمائة نصف اليوم وتأكدت وتضاعفت بتباشير المشايخ بتقرريب وقته
وازداد في زمانه منذ انقضت الى هلم جرا قال وذكر الكندي أن هذا الولي هو الذي يصلي بالناس صلاة
الظهر ويحدد الاسلام ويظهر العدل ويفتح جزيرة الاندلس ويصل الى رومية فيفتحها ويسير الى
المشرق فيفتحها ويفتح القسطنطينية ويصير له ملك الارض فيفتحها ويصلح الدين ويؤمنها ويصلحها ويظهر دين
الحقيقة فان من صلاة الظهر الى صلاة العصر وقت صلاة عليه الصلاة والسلام ما بين هذين وقت
وقال الكندي أيضا الحروف العربية غير المعجمة يعني المفتح بها سور القرآن جملة عددها سبع مائة وثلاثة
واربعون وسبعة دجالية ثم ينزل عيسى في وقت صلاة العصر فيصليح الدنيا ويمشي الشاة مع الذئب ثم يعطي
ملك العجم بعد اسلامهم مع عيسى مائة وستين عاما عدد حروف المعجم وهي قى ن دولة العدل منها
أربعون عاما قال ابن ابي واطيل وما ورد من قوله لا مهدي الا عيسى فعناه لا مهدي تساوى هدايته ولايته
وقيل لا يتكلم في المهدي الا عيسى وهذا مدفوع بحديث جريح وغيره وقد جاء في الصحيح انه قال لا ينزل هذا
الامر قائم حتى تقوم الساعة او يكون عليهم اثنا عشر خليفة يعني قرشيا وقد اعطى الوجود ان منهم من كان
في اول الاسلام ومنهم من سيكون في آخره وقال الخليفة بعدى ثلاثون واحدي وثلاثون اوستة وثلاثون
وانقضوا في خلافة الحسن واول امر معاوية فيكون اول امر معاوية بخلافة اخذ باوائل الاسماء فهو
سادس الحانفاه واما سابع الخلفاء فعمير بن عبد العزيز والباقر خمسة من اهل البيت من ذرية علي يؤيده
قوله انك لذوق نهار يد الامة اى انك الخليفة في اولها وذريتك في آخرها وروى ما استدلل بهذا الحديث
القائلون بالرجعة فالاول هو المشار اليه عندهم بطلوع الشمس من مغربها وقد قال صلى الله عليه وسلم
اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتتفقن كنوزهم ما في

(٢٥ - ابن خلدون) الدقاق وليس السخاء ان يعطى الواحد المعدم انما السخاء ان يعطى المعدم الواحد
(وقال) الشيخ أبو عبد الرحمن كان الاساءة اذ يسهل الصلوكي من الاجواد لم يكن يناول احدا شيأ بيده وانما كان يطره على الارض

فبتناوله الاخذ من الارض وكان يقول الدنيا اقل خطر من أن يرى من أجلها يدي فوق يد أخرى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
اليد العليا خير من اليد السفلى وكان (١٩٤) يتوضأ يومافي سخن داره فدخل عليه انسان وسأله شيأ فلم يحضره شي فقال اصبر حتى

سبيل الله وقد أنفق عمر بن الخطاب كنوز كسرى في سبيل الله والذي به لك قيصرو وينفق كنوز في
سبيل الله هو هذا المنتظر حين يفتح القسطنطينية فعم الامير اميرها ونعم الجيش ذلك الجيش كذا قال صلى
الله عليه وسلم ومدة حكمه بضع والوضع من ثلاث الى تسع وقيل الى عشر وجاء ذكر أربعين وفي بعض
الروايات سبعين وأما الاربعون فانها مدته ومدة الخلفاء الاربعة الباقين من اهله القائلين بامره من بعده
على جميعهم السلام قال وذكرا أصحاب التجوم والقرانات ان مدة بقاء امره واهل بيته من بعده مائة وتسعة
وخمسون عاما فيكون الامر على هذا جارا على الخلفاء والعدل اربعين اوسبعين ثم تختلف الاحوال
فتكون مائة كما انتهى كلام ابن ابي واطيل وقال في موضع آخر نزول عيسى يكون في وقت صلاة العصر
من اليوم المحمدي حين تمضي ثلاثة ارباعه قال وذكرا الكندي يعقوب بن اسحق في كتاب الجفر الذي ذكر فيه
القرانات انه اذا وصل القران الى الثور على رأس حضيح بحر فين (١) الضاد المعجمة والحاء المهملة يريد ثمانية
وتسعين وستمائة من الهجرة ينزل المسيح فيحكم في الارض ماشاء الله تعالى قال وقد ورد في الحديث ان
عيسى ينزل عند المنارة البيضاء شرق دمشق ينزل بين مهرودتين يعني حلتين مزرع قرين صفر او بين مصرتين
واضعا كقبة على اجنحة الملاكين له لمة كما تخرج من ديماس اذا ما طأ رأسه قطروا اذا رفعه تكدره منه جان
كالنوا أو كثير خيلان الوجه وفي حديث آخر مروع الخلق والى البياض والحجرة وفي آخرا نه يتزوج في القرب
والغرب دلوا البادية يترى وجه منها وتلد زوجته وذكرا وفاة بعد اربعين عاما وجاء ان عيسى يموت
بالمدينة ويدفن الى جانب عمر بن الخطاب وجاء ان ابا بكر وعمر يجشران بين نبيين قال ابن ابي واطيل والشعبة
يقول انه هو المسيح مسيح المسايح من آل محمد قلت وعليه جل بعض المتصوفة حديث لامهدي الاعيسى أي
لا يكون مهدي الا المهدي الذي نسبته الى الشريعة الحمديية نسبة عيسى الى الشريعة الموسوية في الاتباع
وعدم النسخ الى كلام من امثال هذا يعنون فيه الوقت والرجل والمكان بادلة واهية وتحكمات مختلفة
فينقضي الزمان ولا اثر شي من ذلك فيرجعون الى تجدديد رأي آخر منتمحل كما نراه من مفهومات لغوية
وأشياء تخيلية وأحكام نجومية في هذا انقضت اعمار الاول منهم والاخر وأما المتصوفة الذين عاصروناهم
فأكثرهم يشيرون الى ظهور رجل مجد لا يحكم الملة ومراسم الحق ويتخيمون ظهوره لما قرب من عصرنا
فبعضهم يقول من ولد فاطمة وبعضهم يطلق القول فيه سمعنا من جماعة كبارهم أبو يعقوب البادي
كبير الاولياء بالمغرب كان في أول هذه المائة الثامنة وأخبرني عنه حافظه صاحبنا ابو يحيى ذكر يا عن أبيه
أبي محمد عبيد الله عن أبيه الولي ابي يعقوب المذكور هذا آخر ما طالعنا عليه أو بلغنا من كلام هؤلاء
المتصوفة وما ورد من اهل الحديث من أخبار المهدي قد استوفينا جميعه بمبلغ طاقتنا والحق الذي ينبغي ان
يتقرر اليك انه لا تتم دعوة من الدين والملك الا بوجود شوكة عصبية تظهره وتدفع عنه من يدفعه حتى يتم
امر الله فيه وقد قرنا ذلك من قبل بابراهيمين القطعية التي اربناك هناك وعصبية الفاطميين بل وقريش
اجمع قد تلاشت من جميع الآفاق ووجدناهم آخرون قد استعلت عصبيتهم على عصبية قريش الاما بقى
بالبحر في مكة وينبع بالمدينة من الطالبيين من بني حسن وبني حسين وبني جعفر منتشرون في تلك البلاد
وغالبون عليها وهم عصاب بدوية متفرقون في مواطنهم وامارتهم وآرائهم يبلغون الآفا من الكثرة فان
صح ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوته الا بأن يكون منهم ويؤلف الله بين قلوبهم في اتباعه حتى
تتم له شوكة وعصبية وافية باظهار كرامته وحمل الناس عليها واما على غير هذا الوجه مثل ان يدعوا فاطمي

(١) قوله الضاد عند المغاربة بتسعين والصاد بستين قاله نصر اه

افرع فلما فرغ قال خذ
القمعة واخرج فلما اخرج
وعلم انه بعد صاح وقال
دخل انسان واخذ القمعة
فشواخلفه فلم يدركه
وانما فعل ذلك لانهم كانوا
يلومونه على البذل (وفي
معناه قال الشاعر)
ملاّت يدي من الدنيا امرارا
فما طمع العواذل في
اقتصادي

ولا وجهت على زكاة مال
وهل تجب الزكاة على جواد
(وكان) ابو مرثد احد
الكرام فدحه بعض الشعراء
فقال ما عندي ما اعطيك
ولكن قدمني الى القاضي
وادع على عشرة آلاف
درهم حتى اقر لك بها ثم
احبسني فان اهلى لا
يتركوني مستجونا ففعل
ذلك فلم يمسوا حتى دفع اليه
عشرة آلاف درهم (وقال)
زياد بن جرير رايته طلحة
ابن عبيد الله فرق مائة
الف في مجلس وانه ليخبط
ازاره بيده (وما) دخل
المنكدر على عائشة رضی الله
عنها قال لها يا ام المؤمنين
أصابني فاقه فقالت ما عندي
شيء فلو كانت عندي
عشرة آلاف لبعثت بها
اليك فلما خرج من عندها
جاءها عشرة آلاف من

عند خالد بن اسيد فارسلت بها في اثره فاشترى جارية بالف درهم فولدت له ثلاثة اولاد فكانوا
عباد المدينة محمد وابوبكر وعمر بنو المنكدر (وقال) يحيى بن معين كان جرير بن يزيد في دار المطلب فجاء انسان يسأله فقال للعلام

أذهب إلى الجوارى فقل لمن من أراد منهن أن تصبغ ثيابها فلبعث بها فجاء الغلام بثياب كثيرة فقال للسائل خذها (و قال الأصمعي)
كانت حرت حرب بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتتفاقم الأمر فيها حتى مشى بين الناس بالصلح (١٩٥) فاجتمعوا في المسجد الجامع قال

فبعثت وأنا غلام إلى ضراد
ابن القعقاع بن حازم
فأستأذنت عليه فأذن لي
فأذا هو عليه شهلة يجببط
نوى العزلة حلوب فخبيره
بمجمع القوم فأهل حتى
أكلت العز ثم غسل
القصعة وقال يا جارية
غدينا فأنتهز بيت وتمز
قال فدعاني فقدرته أن أكل
معها حتى إذا قضى من أكله
حاجته وثب إلى طين ملقى
في الدار فغسل به يده ثم صاح
بالجارية فقال اسقني ماء
فأنته بماء فشر به ومسح
فضله على وجهه ثم قال
الحمد لله ماء القرات بقر
البصرة بزيت الشام متى
تؤدى شكر هذه النعم ثم
قال على بردائي فأنته برداء
عدني فارتدى به على تلك
الشملة قال الأصمعي
فنجافيت عنه استقباحا
لزيه فدخلك المسجد وصلى
ركعتين ومشى إلى القوم
فلم يبق حبة إلا هلت
أعظاما له ثم جلس فتحمل
ما كان بين الأحياء من
الديات في ماله وانصرف
(و كان) البهلول بن
راشد الفقيه لما سجن
يعطى كل يوم الدجنان
دينارا فاستكثره أصحابه
وكلوه في ذلك فقال لهم

منهم إلى مثل هذا الأمر في أفق من الأفق من غير عصبية ولا شوكة إلا مجرد نسبة في أهل البيت فلا يتم
ذلك ولا يمكن لما أسلفناه من البراهين الصحيحة وأما ما تدعيه العامة والأغمار من الدهماء ممن لا يرجع
في ذلك إلى عقل يهديه ولا علم يفيدهم فيحسبون ذلك على غير نسبة وفي غير مكان تقليد لما اشتهر من ظهور
فاطمة ولا يعلمون حقيقة الأمر كما بيناه وأكثر ما يجيبون في ذلك القاصية من الممالك وأطراف العمران
مثل الزاب بقرية والسوس من المغرب وتجد الكثير من ضعفاء البصائر يقصدون رباطا لماسة لما كان
ذلك الرباط بالمغرب من الملتزمين من كدالة واعتقادهم أنه منهم وأقائمون بدعوتهم زعموا لا مستند لهم
الأغرابية تلك الأمم وبعدهم على يقين المعرفة بأحوالهم من كثرة أوقلة أو ضعف أوقوة ولبعد القاصية عن
منال الدولة وخروجهان نطاقها فتقوى عندهم الأوهام في ظهوره هناك بخروجه عن ربة الدولة ومثال
الأحكام والقهر ولا محصول لديهم في ذلك إلا هذا وقد يقصد ذلك الموضع كثير من ضعفاء العقول للتلبس
بدعوة يمه تمامها وسواسا وحقا وقتل كثير منهم أخبرني شيخنا محمد بن إبراهيم الأبي قال خرج رباط ماسة
لأول المائة الثامنة وعصر السلطان يوسف بن يعقوب رجل من منتحلي التصوف يعرف بالتوايزرى نسبة
إلى توزر بصغر وأدعى أنه الفاطمي المنتظر أتبعه الكثير من أهل السوس من ضالة وكر رلة وعظم أمره
وخافه رؤساء المصامدة على أمرهم فسد عليه السلسوى من قتله بيانا واتحل أمره وكذلك ظهر في غمارة في
آخر المائة السابعة وعشر التسعين منها رجل يعرف بالعباس وأدعى أنه الفاطمي وأتبعه الدهماء من غمارة
ودخل مدينة فاس عنوة وحرق أسواقها وأرتمل إلى بلاد المزمرة فقتل بها غيلة ولم يتم أمره وكثير من هذا
النمط وأخبرني شيخنا المذكور بقرية في مثل هذا وهو أنه صحب في حجة في رباط العباد وهو مدفون الشيخ
أبي مدين في جبل تلمسان المطل عليها رجلا من أهل البيت من سكان كربلاء كان متبوعا معظما كثيرا للتلمذ
والخادم قال وكان الرجال من موطنه يتلقونه بالثغقات في أكثر البلدان قال وتأت كدت الصبغة بيننا في ذلك
الطريق فأنكشفت لي أمرهم وانهم إنما جاؤا من موطنهم بكر بلاء لطلب هذا الأمر واتحال دعوة الفاطمي
بالمغرب فلما عين دولة بني مرين ويوسف بن يعقوب يومئذ منازل تلمسان قال لأصحابه أرجعوا فقد أزرى بنا
الغلط وليس هذا الوقت وقتنا ويذل هذا القول من هذا الرجل على أنه مستبصر في أن الأمر لا يتم إلا بالعصبية
المكافئة لأهل الوقت فلما علم أنه غريب في ذلك الوطن ولا شوكة له وأن عصبية بني مرين لذلك العهد
لا يقاومها أحد من أهل المغرب استكان ورجع إلى المحق وأقصر عن مضامره وبقى عليه أن يستيقن أن
عصبية القواطم وقريش أجمع قد ذهبت لا سيما في المغرب إلا أن التعصب لشأنه لم يتركه لهذا القول والله
يعلم وانتم لا تعلمون وقد كانت بالمغرب لهذه العصور القرية نزعة من الدعاء إلى الحق والقيام بالسنة
لا ينتحلون فيها دعوة فاطمة ولا غيره وانما ينزع منهم في بعض الأحيان الواحد فالواحد إلى إقامة السنة
وتغيير المنكر وبعثي بذلك ويكثر تابعه وأكثر ما يعنون بالصلاح السالبة لما أن أكثر فساد الأعراب فيها
لما قدمناه من طبيعة معاشهم في أخذون في تغيير المنكر بما استطاعوا إلا أن الصبغة الدينية فيهم لم تستحكم
لما أن توبة العرب ورجوعهم إلى الدين إنما يقصدون بها الأقصاع عن الغارة والنهب لا يعقلون في توبتهم
واقبالهم إلى مناحي الديانة غير ذلك لانها المعصية التي كانوا عليها قبل المقر به ومنها توبتهم فتجد ذلك
المنتحل للدعوة والقائم بزعمه بالسنة غير متعمقين في فروع الأقدار والاتباع إنما دينهم الأعراض عن
النهب والبغي وفساد السالبة ثم الأقبال على طلب الدنيا والمعاش بأقصى جهدهم وشهتان بين هذا الأجر
من إصلاح الخلق ومن طلب الدنيا فافقاهم ما تمتع لا تستحكم له صبغة في الدين ولا يكمل له نزوع عن

حفص بن نمرارة سمعت سفيان الثوري يقول إذا كمل صدق الصادق لم يملك ما في يديه فخر بهلول على يديه وقبيلها وجعل يقول سألتك
بالله أنت سمعته يقول هذا يخالف بالله لقد سمعته يقوله (وقال الشاعر) ذرني أكن للبالر بأولايكن بي المال ربنا محمدى غبه غدا

ارني جوادامات هزلالعلني * اري ماترني او تجيلاخلدا (وكان) عبدالله بن ابي بكر يفتق على اربعين دارا من جيرانه عن يمينه
واربعين عن يساره واربعين امامه (١٩٦) واربعين خلفه وبعث اليهم بالاضاحي والكسوة في الاعياد ويعتق في كل عبد مائة

الباطل على الجملة ولا يكثر ولا يختلف حال صاحب الدعوة معهم في استحكام دينه وولايته في نفسه دون
تابعه فاذا هلك النخل امرهم وتلاشت عصبيتهم وقد وقع ذلك بافريقية لرجل من كعب من سليم يسمى قاسم
ابن مرة بن اجد في المائة السابعة ثم من بعده لرجل آخر من بادية رباح من بطن منهم يعرفون بمسلم وكان
يسمى سعادة وكان أشد دينيا من الاول واقوم طريقة في نفسه ومع ذلك فلم يستتب أمرتا بعده كما ذكرناه حسبما
يأتي ذكر ذلك في موضعه عند ذكر قبائل سليم ورباح وبعد ذلك ظهر ناس بهذه الدعوة يتشبهون بمثل ذلك
ويلبسون فيها ويتحلقون اسم السنة وليسوا عليها الا الاقل فلا يتم لهم ولا ان بعدهم شيء من أمرهم انتهى
٥٤ * (فصل في ابتداء الدول والامم وفيه الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى الحفر) *

اعلم ان من خواص النفوس البشرية التشوف الى عواقب أمورهم وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت وخير
وشر سيما الحوادث العامة كعرفة ما بقى من الدنيا ومعرفة مدد الدول وتفاوتها والتطلع الى هذا طبيعة
البشر يحبون عليها ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوفون الى الوقوف على ذلك في المنام والاختيار من
الدهان لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفة وقولنا نجد في المدن صنفان من الناس ينتحلون
المعاش من ذلك لعلمهم بحرص الناس عليه فينتصبون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرضون لمن يسألهم
عنه فتغدو عليهم وتروح نسوان المدينة وصبياها وكثير من ضعفاء العقول يستكشفون عواقب أمرهم
في الكسب والجاه والمعاش والمعايشة والعداوة وأمثال ذلك ما بين خط في الرمل ويسمونه المنجم وطرق
بالحصي والحبوب ويسمونه الحاسب ونظر في المرايا والمياه ويسمونه ضارب المنديل وهو من المنكرات
الفاشية في الامصار لما تقر في الشريعة من ذم ذلك وان البشر محجوبون عن الغيب الا من اطعمه الله
عليه من عنده في نوم او ولاية واكثر ما يعنى بذلك ويتطلع اليه الامراء والملوك في آما ددولتهم ولذلك
انصرفت العناية من أهل العلم اليه وكل أمة من الامم يوجد لهم كلام من كاهن او منجم او ولى في مثل ذلك
من ملك برقمونه او دولة يحسدون انفسهم بها وما يحدث لهم من الحرب والملاحم ومدة بقاء الدولة وعدد
الملوك فيها والتعرض لاسمائهم ويسمى مثل ذلك الحدثان وكان في العرب الدهان والعراقون يرجعون
اليهم في ذلك وقد أخبرنا بما سبكون للعرب من الملك والدولة كما وقع لشق وسطح في تأويل رؤيا ربيعة بن
نصر من ملوك اليمن اخبرهم بملك الحبشة بلادهم ثم رجوعها اليهم ثم ظهور الملك والدولة للعرب من بعد
ذلك وكذا تأويل وسطح لرؤيا الموبدان حين بعث اليه كسرى بهامع عبد المسيح واخبرهم بظهور دولة
العرب وكذا كان في جيل البربر كهان من أشهرهم موسى بن صالح من بني يقرن ويقال من غمرة وله كلمات
حدثانية على طريقة الشعراء برطانتهم وفيها حدثان كثير ومعظمه فيما يكون لزنا من الملك والدولة
بالمغرب وهي متداولة بين أهل الجبل وهم يزعمون تارة انه ولى وتارة انه كاهن وقد يزعم بعض خرافهم
انه كان نبيا لان تاريخه عندهم قبل الهجرة بكثير والله أعلم وقد يستند الجبل الى خبر الانبياء ان كان
لعهدهم كما وقع لبني اسرائيل فان انبياءهم المتعاقبين فيهم كانوا يخبرونهم بمثله عند ما يعنونهم في السؤال
عنه * واما في الدولة الاسلامية فوقع منه كثير فيما يرجع الى بقاء الدنيا ومدتها على العموم وفيما
يرجع الى الدولة وأعمالها على الخصوص وكان المعتمد في ذلك في صدر الاسلام آثارا منقولة عن
الصحابه وخصوصا مسلمة بن اسرائيل مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وامثالهم ما ورد ما اقتبسوا
بعض ذلك من ظواهر ما نثروا وتأويلات محتملة ووقع لجهلهم فمروا بمثاله من أهل البيت كثير من ذلك
مستندهم فيه والله أعلم الكشف بما كانوا عليه من الولاية واذا كان مثله لا ينكر من غيرهم من

ملوك واشترى بوجارية
بعشرة آلاف قطب دابة
يحملها عليها فقال رجل
هذه دابتي فقال اجلوها
على دابته الى داره (وقال
عبدالله بن زهير)
وعاذلة تحشى الرديان

يصيني
تروح وتغدو بالامة
والقسم
تقول هل لك ان هلك
وانما
على الله ارزاق العباد كما زعم
وانى احب الخلد لو استطيعه
وكاخذ عندى ان اموت
ولم
(وروى) ان اعرابيا قدم
على علي بن ابي طالب رضي
الله عنه فقال يا امير المؤمنين
الى اليك حاجة الحياه يعنى
ان اذكرها قال فخطها في
الارض فخط في الارض
اننى فقير فقال لعلامه يا قنبر
ا كسه حتى فكساه الحلة
فقال
كسوتنى حلة تبلى محاسنها
فسوف ا كسوك من
حسن الثنا حللا
ان الثناء ليحبي ذكر صاحبه
كالغيث يحبي نداءه السهل
والجبل
ان مات حسن ثناء نلت
مكرمة
لا تبغين بما قد نلت به بدلا

لا ترهذ الدهر في عرف بدأت به * كل امرئ سوف يجزي بالذي فعلا قال علي زده مائة دينار
فاعطاه اياها فلما ولى الاعرابي قال قنبر يا امير المؤمنين لو فرقتما في المسلمين لاصحبت بهما من شأنهم فقال له يا قنبر فاني سمعت رسول الله

الاولياء

صلى الله عليه وسلم لم يقول اشكر والمان اثنى عليكم واذا انا كم كريم قوم فاكرموه (وقال) مظرف بن الشيخ اذا اراد احدكم منى حاجة فليرفعها في رقعة فاني اكره ان ارى في وجهه ذل الحاجة (قرئ) على القاضي ابي الوليد وانا اسمع (١٩٧) وامر بالبخل قلت لها اقصرى

فليس اليه ما حيت سبيل
أرى الناس خلان الكرام
ولا أرى
بخياله في العالمين خليل
وأنى رأيت البخل يزرى
بأمله
فأكرمت نفسي أن يقال
بخيل
ومن خير حالات الفتي
لوعلمته

اذا نال خير ان يكون نبيل
* (ولعروة بن الورد) *
وانى امر وعافى انانى شركة
وانت امر وعافى انانك
واحد

أضحكت منى أن سمعت
وان ترى
بجسمى شعوب الحق
والحق جاهد
اقسم جمى في جسوم
كثيرة

واحد وقزاح الماء والماء
بارد

(وقال) بعض الحكماء
أصل المحاسن كلها الكرم
وأصل الكرم نزاهة النفس
عن المحرم وسخاؤها بما
ملكته على الخاص والعام
وجميع خصال الخير من
فروعه (وروى) انه كان
عند البهلول بن راشد
طعام فعلا السعير فامر به
فبيع له ثم امر ان يشتري
له ربيع القفير فقبل له

الاولياء في ذوبهم واعقابهم وقد قال صلى الله عليه وسلم ان فيكم محدثين فهم اولى الناس به - ذه الرتب
الشريفة والكرامات الموهوبة وامابعص - ذه الملة وحين على الناس على العلوم والاصطلاحات
وترجمت كتب الحكماء الى اللسان العربي فأكثر معتمد في ذلك كلام المنجمين في الملك والدول وسائر
الامور العامة من القرائن وفي الموالي والمساائل وسائر الامور الخاصة من الطوارق لها وهي شكل
الذالك عند حدودها فلنذكر الان ما وقع لاهل الاثر في ذلك ثم نرجع لكلام المنجمين * اماهل الاثر
فله في مدة الملة وبقاء الدنيا على ما وقع في كتاب السهيلي فانه نقل عن الطبري ما يقتضى أن مدة بقاء
الدنيا منذ الملة خمسة مائة سنة ونقض ذلك بظهور كذبه ومستند الطبري في ذلك أنه نقل عن ابن عباس ان
الدنيا جمعة من جمع الاحرة ولم يذكر لذلك دليلا وسره والله اعلم تقدر الدنيا بايام خلق السموات والارض
وهي سبعة ثم اليوم بالف سنة لقوله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قال وقد ثبت في الصحيحين
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال اجلكم في اجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى غروب الشمس
وقال بعثت انا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وقد مر بين صلاة العصر وغروب الشمس حين
صير ورهظ كل شئ مثله يكون على التقريب نصف سبع وكذلك وصل الوسطى على السبابة فتكون
هذه المدة نصف سبع المدة كلها هو خمسة مائة سنة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم ان يعجز الله أن يؤخر
هذه الامة نصف يوم فدل ذلك على أن مدة الدنيا قبل الملة خمسة آلاف وخمسة مائة سنة وعن وهب بن منبه
انها خمسة آلاف وستة مائة سنة اعنى الماضى وعن كعب أن مدة الدنيا كلها ستة آلاف سنة قال السهيلي
وليس في الحديثين ما يشهد لشيء مما ذكره مع وقوع الوجود بخلافه فأما قوله ان يعجز الله ان يؤخر هذه
الامة نصف يوم فلا يقتضى نفي الزيادة على النصف وأما قوله بعثت انا والساعة كهاتين فالتساوية الاشارة
الى القرب وانه ليس بينه وبين الساعة نبي غيره ولا شرع غير شرعه ثم رجوع السهيلي الى تعيين أمد الملة
من مدرك آخر لو ساعده التحقيق وهو انه جمع الحروف المقطعة في اوائل السور بعد حذف المكرر قال
وهي اربعة عشر حرفا يجتمعها قولك (الم يسطع نصر حق كره) فأخذ عددها بحساب الجمل فكان سبع مائة
وثلاثة (١) اضافته الى المنقضى من الالف الاخرة قبل بعثته فهذه هي مدة الملة قال ولا يبعد ذلك ان
يكون من مقتضيات هذه الحروف وفوائدها قلت وكونه لا يبعد لا يقتضى ظهوره ولا التعويل عليه
والذى حمل السهيلي على ذلك انما هو ما وقع في كتاب السير لابن اسحق في حديث ابى اخطب من اجبار
اليهود وهما ابو ياسر واخوه حبي حين سمعا من الاحرف المقطعة الموتى والاهل على بيان المدة به هذا الحساب
فبلغت احدى وسبعين فاستقلا المدة وجاء حبي الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله هل مع هذا غيره فقال
المص ثم استزاد المر فبكت احدى وسبعين ومائتين فاستطال المدة وقال قد ليس علينا امرئ
يا محمد حتى لا ندرى اقبل الا اعطيت أم كثيرا ثم ذهبوا عنه وقال لهم ابو ياسر ما يدريكم له اعطى عددها
كها تسمائة مائة وأربع سنين قال ابن اسحق فنزل قوله تعالى منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر
مثنى مائة اه ولا يقوم من القصة دليل على تقدير الملة بهذا العدد لان دلالة هذه الحروف على تلك
الاعداد ليست بطبيعة ولا عقلية وانما هي بالتواضع والاصطلاح الذى سمونه حساب الجمل نعم انه
قديم مشهور وقدام الاصطلاح لا يصير حجة وليس ابو ياسر واخوه حبي ممن يؤخذوا به في ذلك دليلا ولا من

(١) قوله هذا العدد غير مطابق كما ان المترجم التركي لم يطابق في قوله ٩٣٠ وانما المطابق للحروف
الذكورة ٦٩٣ وهو الموافق لما سيذكره عن يعقوب الكندي قاله نصر اه

تبيع وتشتري فقال نفرح اذا فرح الناس ونحزن كما حزوا (ولم حاتم طي فقال)
فأبى أن لا أمنع الدهر جائعا فقولنا لهذا اللام الآن أعقنى * فان أنت لم تسطع فعض الاصابع فهل ماترون الا ان الطبيعة

* فكيف يتركى يا ابن ام الطبايعا * (وقال آخر) * اصون عرضي بمالى لادنسه * لا بارك الله بعد العرض في المال
احتمال للمال ان اودى فأجعه * (١٩٨) ولست للعرض ان اودى بحتمال (ويروى) ان رجلا سأل الحسن بن علي رضي الله عنه

علماء اليهود لانهم كانوا ياديه بالمخازن غفلا عن الصنائع والعلوم حتى عن علم شر بعثهم وفاة كتابهم ومثلهم
وانما يتلقون مثل هذا الحساب كما تلقه العوام في كل ملة فلا ينهض للسهيل دليل على ما ادعاه من ذلك
ووقع في الملة في حدثان دواتها على الخصوص مسند من الاثر جالى في حديث خرجه ابو داود عن حذيفة
ابن اليمان من طريق شيخه محمد بن يحيى الذهبي عن سعيد بن ابي مريم عن عبد الله بن فروخ عن أسامة
ابن زيد اللبثي عن ابي قبيصة بن ذؤيب عن ابيه قال قال حذيفة بن اليمان والله ما درى انسى اصحابي ام
تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فذفة الى ان تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة
فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وسكت عليه ابو داود وقد تقدم انه قال في رسالته ما سكت
عليه في كتابه فهو صالح وهذا الحديث اذا كان صحيفا ومجمل ويفتقر في بيان اجماله وتعيين مهماته الى
آثار اخرى يجود اسانيدها وقد وقع اسناد هذا الحديث في غير كتاب السنن على غير هذا الوجه فوقع في
الصحيحين من حديث حذيفة ايضا قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا فاغترك شيئا يكون في
مقامه ذاك الى قيام الساعة الا حدث عنه حقه من حقه ونسبه من نسبه قد علمه اصحابه هؤلاء وهؤلاء
البخاري ما ترك شيئا الى قيام الساعة الا ذكره وفي كتاب الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري قال صلى
بنار رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوما صلاة العصر بنهار ثم قام خطيبا فلم يدع شيئا يكون الى قيام الساعة الا
أخبرنا به حقه من حقه ونسبه من نسبه اه وهذه الاحاديث كلها محمولة على ما ثبت في الصحيحين من
احاديث الفتن والاشراط لا غير لانه المعهود من الشارع صلوات الله وسلامه عليه في أمثال هذه العمومات
وهذه الزيادة التي تغرد بها ابو داود في هذا الطريق شاذة منكثرة مع أن الائمة اختلفوا في رجاله فقال ابن ابي
مريم في ابن فروخ احاديثه منا كبر وقال البخاري يعرف منه وينكر وقال ابن عدى احاديثه غير محقة وطفه
واسامة بن زيد وان خرج له في الصحيحين ووثقه ابن معين فلما خرج له البخاري استشهدا بوضع يحيى بن
سعيد واحد بن حنبل وقال ابن حاتم يكتب حديثه ولا يخرج به وأبو قبيصة بن ذؤيب مجهول فتضعف هذه
الزيادة التي وقعت لابي داود في هذا الحديث من هذه الجهات مع شذوذها كما مر وقد يستندون في حدثان
الدول على الخصوص الى كتاب الجفري يزعمون ان فيه علم ذلك كله من طريق الاسرار والنجوم لا يزيدون
على ذلك ولا يعرفون اصل ذلك ولا مستنده واعلم ان كتاب الجفري كان أصله أن هرون بن سعيد العجلي
وهو رأس الزيدية كان له كتاب يروي عن جعفر الصادق وفيه علم ما يقع لاهل البيت على العموم
ولبعض الاشخاص منهم على الخصوص ووقع ذلك الجعفر ونظائره من رجالهم على طريق الكرامة
والكشف الذي يقع لمثلهم من الاولياء وكان مكتوبا عند جعفر في جلد ثور صغير فراه عنه هرون العجلي
وكتبه وسماه الجفري باسم المجلد الذي كتب منه لان الجفري في اللغة هو الصغير وصار هذا الاسم علميا على
هذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القرآن وما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق
وهذا الكتاب لم يتصل روايته ولا عرف عينه وانما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يحكمها دليل ولو صح
السند الى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه او من رجال قومه فهم أهل الكرامات وقد صرح
عنه أنه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم فتصح كما يقول وقد حذر يحيى بن عمير زيد من مصرعه
وعصاه فخرج وقتل بالجوز جان كما هو معروف واذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فما ظنك بهم علماء ودينا
وآثارنا من النبوة وعناية من الله بالاصل الكريم تشهد لفرعه الطيبة وقد ينقل بين أهل البيت كثير من
هذا الكلام غير منسوب الى أحد وفي أخبار دولة العبيديين كثير منه وانظر ما حكاه ابن الرقيق في لقاء ابي

شيئا فأعطاها نجسين الف درهم ونجس مائة دينار وقال اثبت بحمال يحمله لك فاتاه بحمال فأعطاها طيبا سانه وقال يكون كراه المجال من قبلي (ويروى) ان اللبث بن سعد سأله امرأة سكرجة عمل فامر لها بزق عمل فقيل له في ذلك فقال انها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر نعمتنا (وروى) ان رجلا استضاف لعبد الله بن عامر بن كرز فلما اراد الرجل ان يرتحل لم يعنه علمانه فسئل عن ذلك فقال عبد الله انهم لا يعينون من ارتحل عننا (وفي معناه يقول المتنبى)

اذ ارتحلت عن قوم وقد قدروا

ان لا تقادروهم فالراحلون هم (الباب الحادى والثلاثون) في بيان الشخ والبخل وما يتعلق بهما * الشخ في كلام العرب البخل ومنع الفضل كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم انى اعوذ بك من شخ نفسي واسرافها ووسواسها (وروى) جابر ان النبي عليه السلام قال اتقوا الشخ فان الشخ املاك

من كان قبلكم جعلهم على ان سفكوا الدماء واستحلوا محارمهم وقد فرق بينهم مفرقون فقوالوا الشخ اشد من البخل فان البخل كثر ما يقال في النفقة وامساكها قال الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى ومن

يخجل فلانما يخجل عن نفسه وقال تعالى في الشيخ أشجة على الخبز اولئك لم يؤمنوا وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فالشيخ
يبنى على الكزازة والامتناع فهو يكون في المال وفي جميع منافع البدن (وقال) ابن عمر (١٩٩) ليس الشيخ ان يمنع الرجل ماله

وانما الشيخ ان يطمع فيما
ليس له ولهذا قال ابن المبارك
سخاء النفس عماني أي
الناس أفضل من سخاء
النفس بالبذل (وقال)
رجل لابن مسعود اني اخاف
أن أكون قد ذهبت
سمعت الله تعالى يقول
ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون وانما رجل
شحيح لا يكاد ان يخرج
من يدي شي فقال له ابن
مسعود هذا ليس بالشيخ
الذي ذكره الله تعالى فانه
ان تأكل مال اخيك ظلما
ولكن ذلك البخل وبس
الشيء البخل ففرق بينهما
كما ترى (وقال) ابن عباس
الشيخ ان يبيع هو اه فلم
يقبل الايمان وقال طاوس
الشيخ ان يبيع المرء بما
في ايدي الناس والبخل
ان يبيع بما في يديه
(وروي) انس أن النبي
عليه الصلاة والسلام قال
برئ من الشح من أدى
الزكاة وقرى الضيف
واعطى في النائة (وقال)
ابن زيد من لم يأخذ شيئا
نهاه الله عنه ولم يدعه الشيخ
الى ان يمنع شيئا امر الله به
فقد وقاه شح نفسه (وقال)
ابو التياح الاسدي رأيت
رجلا في الطواف يقول

عبد الله الشيعي لعبد الله المهدي مع ابنه محمد الحبيب وما حدثنا به وكيف بعثناه الى ابن حوشب داعيتهم
بالعين فأمره بالخروج الى المغرب وبت الدعوة فيه على علم لفته ان دعوته تم هناك وان عبد الله الماني
المهدية بعد اسداسة فبحال دولتهم باقر بقية قال بنتها ليعصم بها القواطم ساعة من نهار وأراهم موقف
صاحب الحجاز ابي يزيد بالمهدية وكان يسأل عن منتهى موقفه حتى جاءه الخبير يبلوغه الى المكان
الذي عينه جده عبيد الله فأيقن بالظفر وبرز من البلد فزمره واتبعه الى ناحية الزاب فظفر به وقتله
ومثل هذه الاخبار عندهم كثيرة وأما المنجمون فيستندون في حدثان الدول الى الاحكام النجومية
اما في الامور العامة مثل الملك والدول في القرائن وخصوصا بين العلويين وذلك ان العلويين زحل
والمشتري يقتربان في كل عشرين سنة مرة ثم يعود القران الى برج آخر في تلك المثلثة من الثلث الايمن ثم
بعده الى آخر كذلك الى أن يتكرر في المثلثة الواحدة ثنتي عشرة مرة تستوي بوجهه الثلاثة في ستين سنة
ثم يعود فيسويها في ستين سنة ثم يعود ثالثة ثم رابعة فيسويها في المثلثة بثنيتي عشرة مرة وأربع
عودات في مائتين وأربعين سنة ويكون انتقاله في كل برج على الثلث الايمن ويتقل من المثلثة الى
المثلثة التي تليها اعني البرج الذي يلي البرج الاخير من القران الذي قبله من المثلثة وهذا القران الذي هو
قران العلويين ينقسم الى كبير وصغير ووسط فالكبير هو اجتماع العلويين في درجة واحدة من الفلك
الى ان يعود اليها بعد تسعمائة وستين سنة مرة واحدة والوسط هو اقتران العلويين في كل مثلثة اثنتي
عشرة مرة وبعدها مائتين وأربعين سنة ينتقل الى مثلثة أخرى والصغير هو اقتران العلويين في درجة برج
و بعد عشرين سنة يقتربان في برج آخر على ثلثيه الايمن في مثل درجة او دقائقه مثال ذلك وقع القران اول
دقيقة من الحمل وبعده عشرين يكون في اول دقيقة من القوس وبعده عشرين يكون في اول دقيقة من
الاسد وهذه كلها انارية وهذا كله قران صغير ثم يعود الى اول الحمل بعد ستين سنة ويسمى دور القران وعود
القران وبعدها مائتين وأربعين سنة ينتقل من النارية الى الترابية لانها بعد هذا قران وسط ثم ينتقل الى
الهوائية ثم المسائية ثم يرجع الى اول الحمل في تسعمائة وستين سنة وهو الكبير والقران الكبير يدل على
عظام الامور مثل تغيير الملك والدولة وانتقال الملك من قوم الى قوم والوسط على ظهور المتغلبين والطالبيين
للملك والصغير على ظهور الخوارج والدعاة وخراب المدن او عمرانها ويقع اثناء هذه القرائن قران التحسين
في برج السرطان في كل ثلاثين سنة مرة ويسمى الرابع و برج السرطان هو طالع العالم وفيه وبالزحل
وهبوط المريخ فتعظم دلالة هذا القران في الفتن والحروب وسفك الدماء وظهور الخوارج وحركة
العساكر وعصيان الجنود والوباء والقحط و يدوم ذلك او ينتهي على قدر السعادة والتخوس في وقت
قرانها على قدر تيسير الدليل فيه قال جراس بن اجد الحاسب في السكاب الذي ألفه نظام الملك ورجوع
المريخ الى العقرب له اثر عظيم في الملة الاسلامية لانه كان دليلا فاولد النبوي كان عند قران العلويين
ببرج العقرب فلما رجع هنالك حدث التشويش على الخلفاء وكثر المرض في أهل العلم والدين ونقصت
أحوالهم ورعيتهم بعض بيوت العبادة وقد يقال انه كان عند قتل علي رضي الله عنه ومروان من
بنو أمية والمتوكل من بني العباس فاذا روعيت هذه الاحكام مع احكام القرائن كانت في غاية
الاحكام * وقد كرس اذان البلخي أن الملة تنتهي الى ثلث مائة وعشرين وقد ظهر كذب هذا القول
وقال ابو عمر يظهر بعد المائة والخمسة من مائة اختلاف كبير ولم يصح ذلك وقال جراس رأيت في
كتب القدماء ان المنجمين اخبروا كسرى عن ملك العرب وظهور النبوة فيهم وان دليلا لهم الزهرة

اللهم قتي شح نفسي لا يزيد على ذلك شيئا فسألته عن ذلك فقال اذا وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل شيئا يكرهه الله تعالى واذا
الرجل عبد الرحمن بن عوف (واعلم) ان البخل يكون من سوء الظن بالله أن لا يخلف ولا يشب وهذا هو التصديق بما تكفل الله به

ويطرق الخيال والامتناع الى جميع الاوامر بين العبد وبين الخالق وبين العبد وبين الخلق في ترك معاوتهم والنصح لهم (وقال) كسرى
لا يصحبه اى شئ اضر بابن آدم (٢٠٠) قالوا الفقير فقال كسرى الشخ اضر من الفقير اذا وجد اتسع والشح لا يتسع ابد اولما

وكانت في شرفها فبقي الملك فيهم اربعين سنة وقال ابو معشر في كتاب القرانات القديمة اذا انتهت
الى السابعة والعشرين من الحوت فيها شرف الزهرة ووقع القران مع ذلك ببرج العقرب وهو دليل
العرب ظهرت حينئذ ذودولة العرب وكان منهم نبي ويكون قوة ملكه ومدته على ما بقى من درجات
شرف الزهرة وهي احدى عشرة درجة بتقريب من برج الحوت ومدته ذلك ستمائة وعشر سنين
وكان ظهروا الى سلم عند انتقال الزهرة ووقع القسمة اول الحمل وصاحب الحد المشترى وقال يعقوب
ابن اسحق الكندي ان مدة الملة تنتهي الى ستمائة وثلاث وتسعين سنة قال لان الزهرة كانت عند قران
الملة في ثمان وعشر من درجة وثلاثين دقيقة من الحوت فالباقي احدى عشرة درجة وثمان عشرة دقيقة
ودقائقها ستون فيكون ستمائة وثلاث وتسعين سنة قال وهذه الملة بالاتفاق الحكما ويعضده الحروف
الواقعة في اول السور بحذف المكرر واعتباره بحساب الحمل قلت وهذا هو الذي ذكره السهيلي والغالب
ان الاول هو مستند السهيلي فيما نقلناه عنه قال جراس سأل هر خرافير يد الحكيم عن مدة اردشبير وولده
وملوك الساسانية فقال دليل ملكه المشتري وكان في شرفه فيعطى اطول السنين واجودهاار بمائة
وسبع وعشرين سنة ثم تزيد الزهرة وتكون في شرفها وهي دليل العرب فيعلم كون لان طالع القران
الميزان وصاحبه الزهرة وكانت عند القران في شرفها فدل انهم يملكون الف سنة وستين سنة وسأل كسرى
انوشروان وزيره بزرجمهر الحكيم عن خروج الملك من فارس الى العرب فاخبره ان القايم منهم بولد نجس
واربعين من دوانته ويملك المشرق والمغرب والمشتري بغوص الى الزهرة وينقل القران من الهوائية الى
العقرب وهو مائى وهو دليل العرب فهذه الادلة تقضى للمدة دور الزهرة وهي الف وستون سنة وسأل
كسرى ابرويز البوس الحكيم عن ذلك فقال مثل قول بزرجمهر وقال نوفيل الرومى المنجم في ايام نبى امية
ان ملة الاسلام تبقى مدة القران الكبير تسعمائة وستين سنة فاذا عاد القران الى برج العقرب كما كان في
ابتداء الملة وتغير وضع الكواكب عن هيئتها في قران الملة فحينئذ اما ان يقر العمل به او يتجدد من
الاحكام ما يوجب خلاف الظن قال جراس واتفقوا على ان خراب العالم يكون باسئلاء الماء والنار حتى
تهلك سائر المكونات وذلك عندما يقطع قلب الاسد اربع وعشرين من درجة التي هي حد المريج وذلك بعد
مضى تسعمائة وستين سنة وذكرك جراس ان ملكا زابستان بعث الى المأمون بحكيمه ذوبان تحفه به في
هدية وانه تصرف للمأمون في الاختبارات بجزوب اخيه وبعقد اللوا لطاهر وان المأمون اعظم حكمته
فسأله عن مدة ملكهم فاحب به بانقطاع الملك من عقبه واتصاله في ولد اخيه وان العجم يتعلمون على
الخلافة من الديلم في دولة سنة خمسين ويكون ما يريد الله ثم يسوء حالهم ثم تظهر الترك من شمال المشرق
فيملكونه الى الشام والقرات وسيحون وسيملكون بلاد الروم ويكون ما يريد الله فقال له المأمون من
ابن لك هذا فقال من كتب الحكما ومن احكام صه بن داهر الهندي الذي وضع الشطرنج قلت والترك
الذين اشاروا الى ظهورهم بعد الديلم هم السجوقية وقد انقضت دولتهم اول القرن السابع قال جراس
وانتقال القران الى المثلثة الماسية من برج الحوت يكون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ليزدجرد وبعدها
الى برج العقرب حيث كان قران الملة سنة ثلاث وخمسين قال والذي في الحوت هو اول الانتقال والذي في
العقرب يستخرج منه دلائل الملة قال ونحوه يل السنة الاولى من القران الاول في المثلثات الماسية في ثلثي
رجب سنة ثمان وستين وثمانمائة ولم يستوف الكلام على ذلك * وأمام سنة المنجمين في دولة على
الخصوص فن القران الاوسط وهيئة القلائع عند وقوعه لان له دلالة عندهم على حدوث الدولة وجهاتها

قدم الشافعي من صنعاء
الى مكة كان معه عشرة
آلاف دينار فقالوا له
تشتري بها ضعة ف ضرب
خيمته خارج مكة وصب
الدينار في كل من دخل
عليه كان يعطيه قبضة
قبضة فلما جاء وقت الظهر
قام ونفض الثوب ولم يبق
شئ (ولما) قربت وفاته
قال مروا فلانا يغسلني
وكان الرجل غائبا فلما
قدم اخبر بذلك فدعا
بذ كرتة فوجد عليه سبعين
ألف درهم دينافقضاها
وقال هذا غسل لي اياه
(وروى) ان رجلا اراد
ان يؤذى عبد الله بن عباس
فاتي وجوه البلد وقال يقول
لكم ابن عباس تغدوا اليوم
عندي فاتوه فخلوا الدار
فقال ما هذا فاخبر الخبر
فامر ان تشتري الفواكه
في الوقت وأمر بالخبز
والطبخ فاصبح القرى
فلما فرغ قال لو كلاته
اموجود لنا هذا كل يوم
قالوا نعم قال فليتعد هؤلاء
كلهم كل يوم عندنا
* (ومن الخصال الجارية
بجري الكمال والجمال
ولعلها من الاصول
الصبر) *
* (الباب الثاني والثلاثون

في الصبر) * الصبر مام سائر الخصال وزعيم الغنم والظفر وملاك كل فضيلة وبه ينال كل خير ومكرمة قال الله تعالى من
ومت كيات ربك الحسنى على نبي اسرائيل بما صبروا وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فعظم وظائف الدين ذكر الله

وردوله جزاء معلوما لمن أقامها الا الصبر فانه غير حساب وقال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا قيل عن الدنيا وقال ابن عيينة لما اخذوا برأس الامر جعلهم الله رؤساء وقال تعالى ولقد تعلم انك يضيق صدرك بما يقولون (٢٠١) وقال تعالى قد تعلم انه ليحزنك

الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وقال تعالى ولتسعين من الذين اتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشر كوا اذى كثيرا ثم نذبهم الى الصبر مع وجود الاذى فقال وان تصبر واولتت واولتت فان ذلك من عزم الامور فالصبر حبس النفس على الاوامر والمكاره وعن النواهي والمعاصي الا ترى ان اهل الجنة نودوا وقيل لهم سلام عليك بما صبرتم فنع عقيب الدار فاخبر الله تعالى انه انا بهم جنته بصبرهم يعني صبرتم على طاعة الله وصبرتم عن معصية الله قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون دينهم بالغداة والعشي اى احبس نفسك لانية فمن امارات حسن التوفيق وعلامات السعادة الصبر في الملمات والرفق عند النوازل (وفيما يروى) ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود من صبر علينا واصل لنا (وقال سقيان) بلغنا ان لكل شئ ثمرة وثمره الصبر الظفر قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا الصبر وواصابوا

من العيران والقائمة بين بهامن الامم وعاد دملوكم واسمائهم واعمارهم ونخلهم واديانهم وعوادتهم وحروبهم كما ذكر أبو عمر في كتابه في القرانات وقد توجد هذه الدلالة من القران الاصغر اذا كان الاوسط دال عليه فن هذا يوجد الكلام في الدول وقد كان يعقوب بن اسحق الكندي منجم الرشيد والمأمون وضع في القرانات الكائنة في الملة كتابا سماه الشيعة بالجفر باسم كتابهم المنسوب الى جعفر الصادق وذكر فيه فيما يقال حدثان دولة بني العباس وانها نهايتهم واسرار الى انقراضها والحادثه على بعد ادانها تقع في انتصاف المائة السابعة وان بانقراضها يكون انقراض الملة ولم تقف على شئ من خبر هذا الكتاب ولا رأينا من وقف عليه واوله غرق في كتبهم التي طرحها هلا كوكملك التتر في دجلة عند استيلائهم على بغداد وقتل المستعصم آخر الخلفاء وقد وقع بالمغرب جزء منسوب الى هذا الكتاب يسمى بالجفر الصغير والظاهر انه وضع لبني عبد المؤمن لذكر الاولين من ملوك الموحديين فيه على التفصيل ومطابقة من تقدم عن ذلك من حديثه وكذب ما بعده وكان في دولة بني العباس من بعد الكندي منجمون وكتب في الحديثان وانظر ما نقله الطبري في اخبار المهدى عن ابي بديل من اصحاب صنائع الدولة قال بعث الى الربيع والحسن في غزاتهما مع الرشيد ايام ابيه فجهت ما جوف الليل فاذا عندهما كتاب من كتب الدولة يعني الحديثان واذامدة المهدى فيه عشرين سنين فقلت هذا الكتاب لا يخفى على المهدى وقدمضى من دولته ماضى فاذا وقف عليه كنتم قد نعتتم اليه نفسه قالوا لا الخلة فاستدعت عند نسخة الوراق مولى آل بديل وقالت له انسخ هذه الورقة وكتب مكان عشر أربعين ففعل فوالله لولا انى رأيت العشرة في تلك الورقة والاربعين في هذه ما كنت اشدك انها هي ثم كتب الناس من بعد ذلك في حديثان الدول منظوما ومثورا واور جزا ما شاء الله ان يكتبوه وبايدي الناس متفرقة كثير منها وتسمى الملاحم وبعضها في حديثان الملة على العموم وبعضها في دولة على الخصوص وكلاهما منسوبة الى مشاهير من اهل الخليفة وليس منها اصل يعتمد على روايته عن واضعه المنسوب اليه فن هذه الملاحم بالمغرب قصيدة ابن مرانة من بحر الطويل على روى الراوى متداولة بين الناس وتحسب العامة انها من الحديثان العام فيطلقون الكثير منها على الحاضر والمستقبل والذي سمعناه من شيوخنا انها مخصوصة بدولة المتونة لان الرجل كان قبيل دولتهم يوز كرفها استيلاؤها وهم على ستة من يدوم الى بنى جودوم لكهم لعدوة الاندلس ومن الملاحم بيد اهل المغرب ايضا قصيدة تسمى التبعية اولها طربت وما ذاك منى طرب * وقد يطرط الطائر المغضب وما ذاك منى للهو اراه * ولكن لتذكر بعض السبب قريسا من خمسمائة بيت او ألف فيما يقال ذكر فيها كثير من دولة الموحديين و اشار فيها الى القاطمة وغيره والظاهر انها مصنوعة ومن الملاحم بالمغرب ايضا الملحمة من الشعر الزجل منسوبة لبعض اليهود ذكر فيها احكام القرانات لعصره العلويين والنحسين وغيرهما واذ كرميته قتيلا بقاس وكان كذلك فيما زعموه واوله في صبغ ذال الازرق اشرفه خبارا * فافهموا يا قوم هذى الاشارا نجم زحل اخير بنى العلاما * وبدل الشكلا وهى سلاما شاشية زرقا بدل العماما * وشاش ازرق بدل الغرارا يقول في آخره قد تم ذا النجيس لانسان يهودى * يصب ببلدة فاس في يوم عبد حتى يجيحه الناس من البوادي * وقتله يا قوم على الفراد وابياته نحو الخمسمائة وهى في القرانات التي دلت على دولة الموحديين ومن ملاحم المغرب ايضا قصيدة

(٢٦ - ابن خلدون) وربطوا واتقوا الله لعلكم تغفون فعلى الفلاح على الصبر والتقوى يعني اصبر واعلى ما فرض الله عليكم وصابر واعدوكم وربطوا فيه قولان قيل ربطوا على الجهاد والثاني ربطوا على انتظار الصلوات بدليل ما روى أبو هريرة رضي

الله منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم الأدلكم على ما يحيط الله به الخطايا و رفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسبأغ
الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا (٢٠٢) الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلك الرباط (وقال) الحسن في قوله تعالى

من عروض المتقارب على روى الباء في حد ثمان دولة بني ابي حفص بتونس من الموحدين منسوبة لابن
الابار و قال لي قاضي قسنطينة الخطيب الكبير ابو علي بن باديس وكان بصيرا بما يقوله وله قدم في التتبع
فقال لي ان هذا ابن الابار باديس هو الحافظ الاندلسي الكاتب مقتول المستنصر و انما هو رجل خياط
من اهل تونس توأمت شهرته مع شهرة الحافظ وكان والدي رحمه الله تعالى بنسب هذه الابيات من هذه
المحمة و بقي بعضها في حفظي مطالعا

عذري من زمن قلب * يعرب بارقه الاشنب
ويبعث من جيشه قائدا * ويبقى هناك على مر قب
فتأني الى الشـيخ اخباره * فيقبل كالجبل الاجرب
ويظهر من عدله سيرة * وتلب سياسة مستجاب

ومنها

ومنها في ذكر احوال تونس على العموم

فاما رايت الرسوم انمحت * ولم يرع حق لذي منصب
فخذ في الترحل عن تونس * وودع معالمها واذهب
فسوف تكون بهما قننة * تضيف البرى الى المذنب

ووقفت بالمغرب على لمحمة اخرى في دولة بني ابي حفص هؤلاء بتونس فيها بعد السلطان ابي يحيى الشهير
عاشر ملوكهم ذكر محمد اخيه من بعده يقول فيها

وبعد ابي عبد الاله شقيقه * ويعرف بالوثاب في نسخة الاصل

الان هذا الرجل لم يملكها بعد اخيه وكان يبنى بذلك نفسه الى ان هلك ومن الملاحم في المغرب ايضا الملحمة
المنسوبة الى الهوثبي على لغة العامة في عروض البلاد التي اولها

دعني بدمعى الهتان * فترت الامطار ولم تقتر
واستقت كلها الويدان * وانى تملى وتنعدر
البلاد كلها تروى * فاولى ما ميل ما تدرى
ما بين الصيف والشتوى * والعام والربيع تجرى
قال حين صحت الدعوى * دعنى نبكى ومن عذر
انادى من ذى الازمان * ذا القرن اشتد وتمرى

وهي طويلة ومحفوظة بين عامة المغرب الاقصى والغالب عليها الواضع لانه لم يصح منها قول الا على
تأويل تحرفه العامة او الحارفي فيه من ينقلها من الخاصة ووقفت بالمشرق على ملحمة منسوبة لابن
العربى الحاتمي في كلام طويل شبه العازل يعلم تأويله الا الله الخلقه اوافق عدديه ورموز مغرزة واشكال
حيوانات تامة ورؤس مقطعة وتماثيل من حيوانات غريبة وفي آخرها قصيدة على روى اللام
والغالب انها كلها غير صحيحة لانها لم تنشأ عن اصل علمي من نجامة ولا غيرها وسمعت ايضا هناك
ملاحم اخرى منسوبة لابن سيدنا وابن عقب وليس في شيء منها دليل على الحكمة لان ذلك انما يؤخذ من
القرانات ووقفت بالمشرق ايضا على ملحمة من حد ثمان دولة الترك منسوبة الى رجل من الصوفية يسمى

قوله فاما رايت اصله فان رايت زيدت ما وادغمت في ان الشرطية المحذوف فونها خطأ وفي نسخة فلما
رايت والاولى هي الموجودة في النسخة التونسية قاله نصر اه

واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات
فاتمهن قال ابتلاه بالكوكب
فصبر وابتلاه بذبح ابنه
فصبر وقال سبحانه وتعالى
استعينوا بالصبر والصلاة
ان الله مع الصابرين فبدأ
بالصبر قبل الصلاة ثم قال
قولا عظيما فجعل نفسه
مع الصابرين دون المصلين
وقال النبي عليه الصلاة
والسلام لانصار ما يكن
عندي من خير فلان ادخره
عنكم ومن يستعفف يعفه
الله ومن يستغن يغنه الله
ومن يتصبر يصبره الله وما
اعطى احد عطاء خيرا ووسع
من الصبر (وقال ابن
مسعود) قسم النبي صلى
الله عليه وسلم قسما فقال
رجل من الانصار والله
انها لقسمة ما ريد بها وجه
الله فاخبرت النبي عليه
الصلاة والسلام فشق عليه
وتغير وجهه وغضب حتى
وددت اني لم اكن اخبرته
ثم قال قدا وذي موسى
باكثر من هذا فصبر
(وروى) ان النبي عليه
الصلاة والسلام مر على
امرأة تبكي عند قبر فقال لها
اتقي الله واصبري فقالت
اليك عنى فانك لم تصب
بمثل مصيبتى فلما قبل لها
هذا رسول الله جاء اليه

تعدت رانها لم تعرفه وقالت سأصبر فقال النبي عليه الصلاة والسلام انما الصبر عند الصدمة الاولى
ويحتمل هذا الحديث وجهين اما الطائفي فقال معناه ان الصبر المحمود عند اول نزول المصيبة وقد فالتك بالجزع واما القاسمي فقال معناه

البحريني

ان الصدمة الاولى وقت امره النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر وكان هذا تعليما لكل من فاته الصبر بذهول اونسبان او غلبة (و تروى)
ان النبي عليه الصلاة والسلام سئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة (٢٠٣) (وفي منشور الحكم) قالت الصحبة ان لاحقة بارض

المغرب قال الجوع وانام معك
قال الايمان انالاحق بارض
الحجاز قال الصبر انام معك
قال الملك انالاحق بارض
العراق قال القنك انام معك
(واعلم) ان المحلة خرق
ومخرجهما من قلة العقل
واخرق من ذلك التفريط
في الامر بعد القدرة ومثل
ذلك كالقدر على النار ان

كان ماؤه قليلا غلت بسير
من النار وان كانت مملوءة
لم تغل حتى تكثر نارها
وتطول مدتها وفي كتاب
حاو بدان خرد وليس
للحجم كتاب مثله قال محرم
على السامع تكذيب
القائل الا في ثلاث من غير
الحق صبر الجاهل على
مضض المصيبة وعافل
أبغض من أحسن اليه
وجساءة أحببت كنة

(فصل) واعلم ان
الصبر على أقسام صبر على
ما هو كسب للعبد وصبر
على ما ليس بكسب فالصبر
على الكسب على قسمين
صبر على ما أمر الله تعالى به
وصبر على ما نهى الله عنه
فاما الصبر على ما ليس
بكسب للعبد فكصبره
على مقاساة ما يتصل به
من حكم الله تعالى فيما
له فيه مشقة وينقسم من

البا ج ر ب ق و ك ه ا ال غاز بال ح ر و ف ا و ل ه ا

ان شئت تكشف سر الجفر ياسائل * من علم جفر وصي والد الحسن
فافهم وكن واعيا حرقا و جلته * والوصف فافهم كعمل المحاذق القطن
أما الذي قبل عصرى لست أذكره * لكنني أذكر الـ حتى من الزمن
بشهر بيمرس يبقى بحاء بعد خمسها * وحاء ميم بطيش نام في الكفن
شيين له أثر من تحت سرته * له القضاء قضى أى ذلك المنين
فصر والشأم مع ارض العراق له * وأذر بيجان في ملك الى اليمن
وآل بوران لسان طاهرهم * الفاتك الباتك المعنى بالسمن
لخلع سين ضعيف السن سنين اتي * لا لوفاق وتون ذى قـرن
قـرم شجاع له عقل ومشورة * يبقى بحاء واين بعد ذوسمن
من بعد دباع من الاعـ وام قتله * على المشورة ميم الملك ذواللسن
هذا هو الاعرج الكلي فاعن به * في عصره فتن ناهيك من فتن
يأتى من الشرق في جيش يقدمهم * عار عن القاف كاف جـ دب الفتن
بقتل دال ومثل الشأم أجمعها * أبدت بشجوع على الالهين والرطن
اذا أتى زلزلت يا ويح مصر من الزلزال مازال حاء غـير مقتطن
طاه وطاء وعين كلهم حبسوا * هـكـا وينفق أمـوالا بلائمن
يسير القاف قافا عند جمعهم * هون به ان ذاك الحصن في سكن
وينصبون أخاه وهو صالحهم * لاسلم الالف سين لذكـ بنى
تمت ولايتهم بالحاء لأحد * من السنين يدانى الملك في الزمن
يقال انه اشار الى الملك الظاهر وقدم أبيه عليه بمصر

يأتى اليه أبوه بعد هجرته * وطول غيبته والشظف والزرن

وأبياتها كثيرة والغالب أنها موضوعة ومثل صنعها كان في القديم كثيرا ومعروف الانتحال (حكى)
المؤرخون لاخبار بغداد أنه كان بها أيام مقتدر وورق ذكى يعرف بالديالى ييل الاوراق ويكتب فيها
بخط عتيق برغز فيه بحر وف من أسماء اهل الدولة وبشير بها الى ما يعرف ميلهم اليه من أحوال الرفعة
والجاه كأنها ملاحم ويحصل على ما يريد منهم من الدنيا وأنه وضع في بعض دفاتره ميم مكررة ثلاث مرات
وجاءه الى مقلع مولى المقتدر فقال له هذا كناية عنك وهو مقلع مولى المقتدر وذكـر عنه ما يرضاه ويناله من
الدولة ونصب لذلك علامات يمويه بها عليه فبذل له ما أغناه به ثم وضعه للوزير ابن القاسم بن وهب على
مقلع هذا وكان معزولا لا يخاله باوراق مثلها وذكـر اسم الوزير بمثل هذه الحروف وبعلامات ذكرها وأنه يلى
الوزارة للثاني عشر من الخلفاء وتستقيم الامور على يديه ويقهر الاعداء وتعمر الدنيا في أيامه وأوقف مقلعا
هذا على الاوراق وذكـر فيها كواش أخرى وملاحم من هذا النوع مما وقع وعالم يقع ونسب جميعه الى
دانيال فأهـجـب به مقلع ووقف عليه المقتدر واهتدى من تلك الامور والعلامات الى ابن وهب وكان ذلك
سببا لوزارته بمثل هذه الحيلة العربية في الكذب والمجهل بمثل هذه الالغاز والظاهر ان هذه الملحمة التي
ينسبونها الى الباجر بـقـي من هذا النوع * ولقد سألت أكمل الدين ابن شيخ الحنفية من العجم بالديار

وجه آخر على اربعة اقسام فأول أقسامه وأولها الصبر على امتثال امر الله سبحانه والاتباع عما نهى عنه والثاني الصبر على ما فات ادراكه
من مسرة أو تعضيب أو فاته من مصيبة والثالث الصبر فيما ينتظر وروده من رغبة يرجوها ويخشى حدوثه من رهبة يخافها والرابع

الصبر على ما نزل من مكرهه أو حل من أمر مخوف وجميع أقسامه محمود بكل أسان وفي كل ملة وعند كل أمة مؤمنة وكافرة (وقال أكرم بن صيني) من صبر ظفر (وقال (٢٠٤) علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه) الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو

(وقال اردشير) الصبر الدرك (وقال) عليه الصلاة والسلام الصبر ضياء وبالصبر يتوقع الفرج (وقال) عليه الصلاة والسلام الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب (وقال ابن عباس) أفضل العدة الصبر عند الشدة (وقال عبد المجيد السكاتب) لم أسمع أعجب من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كان الصبر واشكر مطية من ما باليت أي ما ركبت (وقال) بعض الحكماء بالصبر على مواقع المكروه تدرك المحظوظ (وقال) ابن المقفع في كتاب النعمة الصبر صبران فالثام أصبر أجساما والكرام أصبر نفوسا وليس الصبر المدحوح صاحبه ان يكون قوى الجسد على الكد والعمل فان هذا من صفات المحير ولكن ان يكون للنفس غلبا بالأمور محتملا ومحاشه عند الحفاظ مرتبطا (وفي منشور الحكمة) من أحب البقاء فليعد للأصائب قلبا صبوراً (وقال) بزرجه لم أر ظهرا على تنقل الدول كالصبر ولا مثلا للحماس كالجمال ولا مكسبة للجلال كالنوقى

المصرية عن هذه المحمة وعن هذا الرجل الذي تنسب اليه من الصوفية وهو الباجري وكان عارفا بطرائقهم فقال كان من القلندرية المتدعة في حلق اللحية وكان يتخذ عسما يكون بطن الكشف ويوصى الى رجال معينين عنده ويلغز عليهم بحر وف يعينها في ضمها لمن يراه منهم وير بما يظهر نظم ذلك في أبيات قليلة كان يتعاهد ما فتتروقت عنه وولع الناس بها وجعلوها المحمة مرموزة وزاد فيها الخراصون من ذلك الجنس في كل عصر وشغل العامة بفكر رموزها وهو أمر متع اذ الرمز انما يهدى الى كشفه قانون يعرف قبله ويوضح له وأما مثل هذه الحروف فدلتها على المراد منها مخصوصة بهذا النظم لا يتجاوزها آيت من كلام هذا الرجل الفاضل شفاعما كان في النفس من أمر هذه المحمة وما كنا ننتهـدى لولا ان هدانا الله والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

(الفصل الرابع من السكاتب الاول)

في البلدان والامصار وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه سوابق ولواحق

(فصل) في أن الدول اقدم من المدن والامصار وانما توجد ثابتة عن الملك وبيانه ان البناء واختطاط المنازل انما هو من منازع الحضارة التي يدعو اليها الترف والدعة كما قدمناه وذلك متأخر عن البداوة ومنازعها وايضا فالمدن والامصار ذاتها كل وأجرام عظيمة وبنائ كبير وهي موضوعة للعوموم لا للخصوص فتحتاج الى اجتماع الايدي وكثرة التعاون وليست من الامور الضرورية للناس التي تعيها بالسهولة حتى يكون تزوعهم اليها اضطرارا بل لابد من كراههم على ذلك وسوقهم اليه مضطهدين بعضا الملك او مرغبين في الثواب والاجر الذي لا يفي بكثرة الاملاك والدولة فلا بد في تصير الامصار واختطاط المدن من الدولة والملك ثم اذ بنيت المدينة وكل تشيدها بحسب نظر من شيدها وبما اقتضته الاحوال السماوية والارضية فيها فعمر الدولة حينئذ عمر لها فان كان عمر الدولة قصيرا وقف الحال فيها عند انتهاء الدولة وتراجع عمرها وخربت وان كان امد الدولة طويلا ومدتها منقصة فلا تزال المصانع فيها تاشاد والمنازل الرحيمة تتكثرت وتعد دون نطاق الاسواق يتبعاد وينفخ الى أن تتسع الخطة وتبعد المسافة وينفخ ذرع المساحة كما وقع ببغداد وأمثالها * ذكر الخطيب في تاريخه ان الجماعات بلغ عددها ببغداد اذ عهد المأمون خمسة وستين ألف حمام وكانت مشتملة على مدن وامصار متلاصقة ومتقاربة تجاوز الاربعين ولم تكن مدينته وحدها يجمعها سور واحد لا فراط العمران وكذا حال القيروان وقرطبة والمهدية في الملة الاسلامية وحال مصر القاهرة بعدها فيما يليغنا لهذا العهد وأما بعد انقراض الدولة المشددة لادينة فاما ان يكون لصواحي تلك المدينة وما قاربها من الجبال والسهل بادية يدها العمران دائما فيكون ذلك حافظا لوجودها ويسـتمر عمرها بعد الدولة كتراب نقاس و بجاية من المغرب و بعراق العجم من المشرق الموجود لها العمران من الجبال لان أهل البداوة اذا انتهت أحوالهم الى غاياتها من الرفعة والكسب تدعو الى الدعة والسكون الذي في طبيعة البشر فينزلون المدن والامصار ويتأهلون وأما اذا لم يكن لتلك المدينة المؤسسة مادة تقيد بها العمران بترادف الساكن من بدوها فيكون انقراض الدولة خرقا لسياسها فبرزول حفظها ويتناقص عمرها شيئا فشيئا الى أن يبذع رسا كنها وتخرب كما وقع بمصر وبغداد والكوفة بالمشرق والقيروان والمهدية وقلعة بني حجاب بالمغرب وأمثالها فتفهمه وهو ربما ينزل المدينة بعد انقراض مخطيها الاولين ملك آخر ودولة ثانية يتخذها قرا وركبها يستغني بها عن اختطاط مدينة ينزلها فتحفظ تلك الدولة سياسها وتزايد مبانيها ومصانعها بتزايد احوال الدولة الثانية وترفعها وتستجد بعمرانها عمر آخر كما وقع

بقاس

وهو (فاما القسم الاول) وهو

المزاج ولا يجابه للقت كالاعجاب ولا متافقة للروية كاستعمال الهزل في موضع الجد (فاما القسم الاول) وهو الصبر على امتثال أوامر الله تعالى والانهاء عن محارمه فيه يصح اداء الفرائض واستكمال السنن ويدخل في قوله تعالى انما يوفى الصابرون

أجرهم بغير حساب ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد (وقال الجنيدي) الصبر من الدنيا سهل هين على المؤمن وهجر الخلق في جنب الله شديد والمسير من النفس إلى الله شديد (٢٠٥) والصبر مع الله تعالى شديد وسئل

بقاس والقاهرة لهذا العهد والله سبحانه وتعالى أعلم به التوفيق

٢ * (فصل في أن الملب يدعو إلى نزول الأمصار) *

وذلك أن القبائل والعصائب إذا حصل لهم الملب اضطروا للاستيلاء على الأمصار لآخر من أحدهما ما يدعو إليه الملك من الدعوة والراحة وحط الأثقال واستكمال ما كان ناقصا من أمور العمران في البدو والثاني دفع ما يتوقع على الملك من أمر المنازعة والمشاغبين لأن المصر الذي يكون في نواحيهم ربما يكون للجمان يروم من منازعتهم والخروج عليهم واتبراع ذلك الملك الذي يدعو إليه من أيديهم فيعتصم بذلك المصر ويغالبهم مغالبة المصر على نهاية من الصعو بقوا المشقة والمصر يقوم مقام العساكر المتعددة لما فيه من الامتناع ونسكاية الحرب من وراه الجدران من غير حاجة إلى كثير عدد ولا عظيم شوكة لأن الشوكة والعصا بانهما احتيج اليها في الحرب للثبات لما يقع من بعددرة القوم بعضهم على بعض عند الجولة وثبات هؤلاء بالجدران فلا يضطرون إلى كبير عصابة ولا عدد فيكون حال هذا الحصن ومن يعتصم به من المنازعين مما يفترق في عضد الأمة التي تروم الاستيلاء ويخضع دشوكة استيلائها فإذا كانت بين أجنابهم أمصار تنظم وهان في استيلائهم للأمن من مثل هذا الانحزام وان لم يكن هناك مصر استحدثوه ضرورة لتكميل عمرانهم أولا وحط أثقالهم وليكون شجاق في حلق من يروم العزة والامتناع عليهم من طوائفهم وعصائبهم فتعين أن الملك يدعو إلى نزول الأمصار والاستيلاء عليها والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لأرب سواه

٣ * (فصل في أن المدن العظيمة والهيكل المرتفعة إنما يشيدها الملك الكثير) *

قد قدمنا ذلك في آثار الدولة من المباني وغيرها وإنما يكون على نسبتها وذلك أن تشييد المدن إنما يحصل باجتماع الفعلة وكثرتهم وتعاونهم فإذا كانت الدولة عظيمة متسعة الممالك حشرا آفة فعمله من أقطارها وجمعت أيديهم على عملها ور بما استعين في ذلك في أكثر الأمر بالهندام الذي يضاعف القوى والقدر في حمل أثقال البناء لعجز القوة البشرية وضعفها عن ذلك كالمخجل وغيره وربما يتوهم كثير من الناس إذا نظر إلى آثار الأقدمين ومصانعهم العظيمة مثل أيوان كسرى وأهرام مصر وحنايا المعلقة وشرسال بالمغرب إنما كانت بقدرهم متفرقين أو مجتمعين فينبخل لهم اجساما تناسب ذلك أعظم من هذه بكثير في طولها وقدرها لتناسب بينها وبين القدر التي صدرت تلك المباني عنها ويغفل عن شأن الهندام والمخجل وما اقتضته في ذلك الصناعة الهندسية وكثير من المتغلبين في البلاد يعانين في شأن البناء واستعمال الخيل في نقل الأجرام عند أهل الدولة المعتمنين بذلك من العجم ما يشهد له بما قلناه عيانا وكثير آثار الأقدمين لهذا العهد تسمى العامة عادية نسبة إلى قوم عادلتوهمهم من مباني عادومصانعهم إنما عظمت لعظم اجسامهم وتضاعف قدرهم وليس كذلك فقد نجد آثارا كثيرة من آثار الذين تعرف مقادير اجسامهم من الأمم وهي في مثل ذلك العظم أو أعظم كأيوان كسرى ومباني العبيديين من الشيعة بآفة رقية والصنهاجيين وأثرهم باد إلى اليوم في صومعة قلعة بني حماد وكذلك بناء الاغالبية في جامع القيروان وبناء الموحدين في رباط الفتح ورباط السلطان أبي سعيد لعهد أربعين سنة في المنصور بإزاء تلمسان وكذلك الحنانيا التي جلب إليها أهل قرطاجنة المساء في القناة الرابكة عليها ماثلة أيضا لهذا العهد وغير ذلك من المباني والهيكل التي نقلت النماذج وأهلها قريبا وبعيدا وتبيننا أنهم لم يكونوا بافراط في مقادير اجسامهم وإنما هذا رأى ولعب به القصاص عن قوم عاد وثمود والعالمقة ونجد بيوت ثمود في الحجر منحوتة إلى هذا العهد وقد ثبت في الحديث الصحيح أنها بيوتهم يمر بها الركب الجحازي أكثر السنين ويشاهدونها لا تزيد في جوها ومساحتها وسماكتها

عن الصبر فقال تجرع المرارة من غير تعديس (وكان حبيب بن أبي حبيب) إذا قرأ هذه الآية أنا وجدناه صابرا نعم العبد أنه أواب بكى ثم قال وأعجابه أعطى وأثنى (وقال الخواص) الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة (وقال عبد الواحد بن زيد) من نوى الصبر على طاعة الله تعالى صبره الله تعالى عليها وقواه ومن عزم على الصبر عن معصية الله تعالى أعانه الله تعالى وعصمه منها (وقال عمر بن عبد العزيز) للقاسم بن محمد أوصني فقال القاسم عليك بالصبر في مواضع الصبر (وقال الحسن) الصبر صبران صبر عند المصيبة وصبر عما نهى الله عنه وهو الأفضل وإنما يختلف الصبر بالخوف والرجاء فان من خاف شيئا صبر على الفراق منه وصبر عند السكراهية لما يجدر من ضرره ومن رجا شيئا صبر على طلبه لما يقدر به (وأما القسم الثاني) وهو الصبر على ما فات إدراكه من مسرة أو تقضت أوقاته من مصيبة فإنه يتعجل به الراحة مع كسب الثموية فان

صبر طاعة استراح واحرز الثواب وان لم يصبر جعل اللهم والو فر (وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه) للاشعث بن قيس ان تجزع فقد استحق ذلك منك بالرحم وان تصبر ففي ثواب الله تعالى خلف من ابتك ان تصبر جرى عليك القلم وأنت مأجور وان جرعتم جرى عليك

العلم وأنت مأزور ونظمه أبو تمام فقال وقال علي في التعازي لاشعث وخاف عليه بعض تلك المسامحة ثم أتصبر للبلوى عزاء وحسبة *
فتؤجرهم تسلو سلوا البهائم (٢٠٦) خلقتنا رجالا للتجدد والعزاة * وتلك الايامي للبكاء والمسامحة (وقال عمر بن الخطاب)

على المتعامد وانهم ليس بالعون فيما يعتق دون من ذلك حتى انهم ليرغمون أن عوج بن عناق من جليل
العمالة كان يتناول السمك من البحر طريا فيشوي به في الشمس يزعمون بذلك أن الشمس حارة فيما قرب
منها ولا يعلمون أن الحر في ما الدنيا هو الضوء لا انعكاس الشمس عما يقابلها سطح الارض والهواء وأما الشمس
في نفسها فغير حارة ولا باردة وانما هي كوكب مضي لا مزاج له وقد تقدم شيء من هذا في الفصل الثاني
حيث ذكرنا آثار الدولة على نسبة قوتها في أصلها واليخلق ما يشاء ويحكم ما يريد

٤ * (فصل في أن الهيكل العظيمة جدا لا تستقل ببنائها الدولة الواحدة) *

والسبب في ذلك ما ذكرناه من حاجة البناء الى التعاون ومضاعفة القدر البشري وقد تكون المباني في
عظمتها أكثر من القدر مفرده أو مضاعفة بالهدم كما قلناه فيحتاج الى معاودة قدر أخرى مثلها في أزمنة
متعاقبة الى ان تتم فيبتدئ الاول منهم بالبناء ويعقبه الثاني والثالث وكل واحد منهم قد استكمل شأنه في
حشر القملة وجمع الايدي حتى يتم القصد من ذلك ويكمل ويكون ما مثلا للعيان يظنه من براه من
الاخرين انه بناء دولة واحدة وانظر في ذلك ما نقله المؤرخون في بناء سد مأرب وان الذي بناه سد مأرب
يشجب وساق اليه سبعين وادبا وعاقه الموت عن اتمامه فأتاه ملوك حير من بعده ومثل هذا ما نقل في بناء
قرطاجنة وقتلتها الرأفة على الحنايا العادية واكثر المباني العظيمة في الغالب هذا شأنها ويشهد لذلك
أن المباني العظيمة لعهدنا نجد الملك الواحد يشرع في اختطاطها وتأسيسها فاذا لم يتبع اثره من بعده من
الملوك في اتمامها بقيت بجحالها ولم يكمل القصد فيها ويشهد لذلك ايضا ان نجد آثارا كثيرة من المباني
العظيمة تعجز الدول عن هدمها وتخربها مع ان الهدم يسر من البناء بكثير لان الهدم رجوع الى الاصل
الذي هو العدم والبناء على خلاف الاصل فاذا وجدنا بناء تضعف قوتنا البشرية عن هدمه مع سهولة الهدم
علمنا ان القدرة التي أسست مفرطة القوة وانها ليست أتر دولة واحدة وهذا مثل ما وقع للعرب في ابوان كسرى
لما اعتزم الرشيد على هدمه وبعث الى يحيى بن خالد وهو في محبس يستشير في ذلك فقال يا أمير المؤمنين
لا تقبل واتركه ما لا يستدل به على عظم ملك آباءك الذين سلبوا الملك لامل ذلك الهكل فاتهم في
النصيحة وقال اخذته الذرة للعجم والله لا صر عنه وشرف في هدمه وجمع الايدي عليه واتخذ له القوس
وجاهه بالنار وصب عليه الخل حتى اذا أدركه العجز بعد ذلك كاه وخاف القضيحة بعث الى يحيى يستشير
ثانيا في التجاني عن الهدم فقال يا أمير المؤمنين لا تفعل واستمر على ذلك لئلا يقال عجز أمير المؤمنين وملك
العرب عن هدم مصانع العجم ففرها الرشيد واقصر عن هدمه وكذلك اتفق للأموون في هدم
الاهرام التي بمصر وجمع القعلة لهدمها فلم يحل بطائل وشرف عوا في نقيبها فأتوها الى جو بين الحائط الظاهر
وما بعده من الحيطان وهنالك كان منتهى هدمهم وهو الى اليوم فيما يقال منقذ ظاهر ويزعم الزاعمون
أنه وجدوا كازيبين تلك الحيطان والله اعلم وكذلك حنايا المعلقة الى هذا العهد تحتاج اهل مدينة تونس الى
انتخاب الحجارة لبنائهم وتسيجيد الصنائع حجارة تلك الحنايا فيخاولون على هدمها الايام العديدة ولا يسقط
الصغير من جدرانها الا بعد مصاب الريق وتجتمع له الحوافل المشهورة شهدت منها في أيام صباي كثير والله
خلقتكم وما تعلمون

رضى الله عنه لرجل ان
صبرت مضي أمر الله وكنيت
ما جورا وان جرت مضي
أمر الله وكنيت مأزورا
(وقال الحسن) والله لو
كلفنا الجزع ما قننا به فالحمد
لله الذي أجرنا على ما لو نهانا
عنه لصرنا له وعن هذا
قالت الحكماء الجزع
اتعب من الصبر ففى
الجزع التعب والوزر
وفى الصبر الراحة والاجر
ولو صور الصبر والجزع
لكان الصبر أحسن صورة
وأكرم طبيعة وكان
الجزع أقبح صورة واخور
مبيعة ولو كان الصبر
أولاهما بالغبلة لحسن
الحلقة وكرم الطبيعة (وقال
بعض العلماء) لو وكل
الناس بالجزع للجؤ الى
الصبر (وقال شبيب بن
شيبه للهدى ان المرء أحق
ما صبر عليه ما لم يجد سبيلا
الى دفعه وأنشد
واذا أصبكت مصيبة فاصبر
لها

عظمت مصيبة مبتلى لا
يصبر
* (وقال آخر) *
وعوضت أجر من فقيد فلا
تكن
فقدك لا يأتى وأجره
يذهب

(وقال) بعض الحكماء ليس بمجموع له الرشيد من تابع الفاهم على فائت أو أكثر الفرح عند مستطرق
(وقال) الحكيم ان كنت جازعا على ما نقلت من يدك فاجزع على ما لم يصل اليك ومن أيقن ان كل فائت الى نقصان حسن عزاءه عند

٥ * (فصل فيما يجب مراعاته في أوضاع المدن وما يحدث اذا غفل عن تلك المراماة) *

(اعلم) ان المدن قرار يتخذ الامم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه فتؤثر الدعة والسكون
وتتوجه الى اتخاذ المنازل للقرار ولما كان ذلك للقرار والمأوى واجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من

ظوارقها

ظوارقها

ظوارقها

نزول القضاء (وقال الشاعر)

اذ اطال بالمحزون ايام صبره * كساه ضنا طول المقام على الصبر ولا شك ان الصبر يحمد غبه

ولكن اتفاق عليه من العمر (وقال بعض القدماء) الصبر على اربع مراتب (٢٠٧) على الشوق والاشفاق والزهد والترقب

فن اشتاق الى الجنة سلا
عن الشهوات ومن اشفق
من النار رجح عن
المحرمات ومن زهد في الدنيا
تهاون بالمصيبات ومن
راقب الموت اقصر عن
المخطنات (وأما القسم
الثالث) وهو الصبر فيما
ينتظر رور وده من رغبة
يرجوها او يخشى حدوثه
من رغبة يخافها الصبر
والتلطف تدفع عادته ما
يخاف وينال نفع ما يرجو
(قال) النبي عليه السلام
انظروا الفرع من الله بالصبر
عبادة (وقال محمد بن بشير)
ان الامور اذا اشتدت
مسالكها
فالصبر يفتح منها كل ما رجا
لا تبأسن وان طال مطالبه
اذا استعنت بصبر ان ترى
فرجا
اخلق بذى الصبر ان يحظى
بحاجته
ومد من القرع للابواب
ان يلجا
(وقال بعض الرواة) دخات
مدينة يقال لها ذفار فينا
انا اطوف في خرابها ذرايت
مكتوبا على قصر خراب
يامن الخ عليه الهمم والفكر
وغيرت حاله الايام والغير
اما سمعت بما قد قيل في
مثل

طوارقها وجلب المنافع وتسهل المرافق لها فاما الحماية من المضار فيراعى لها ان يدار على منازلها جميعا
سياج الاسوار وان يكون وضع ذلك في متمتع من الامكنة اما على هضبة متوعرة من الجبل واما باسنة تدار
بحرا ونهر بها حتى لا يوصل اليها الا بعد العبور على جسر او قنطرة فيصعب من الهاء على العدو ويتضاعف
امتناعها وحسنها ويمير اعى في ذلك للحماية من الاقفاق السماء يهبط منها على العدو ويتضاعف
فان الهوا اذا كان را كذا حبيثا ويجاور المياه الفاسدة او منافع متعقبة او مروج خبيثة اسرع اليها العفن
من مجاورتها فأسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا محالة وهذا ما شاهدوا والمدن التي لم يراع فيها طيب الهوا
كثيرة الامراض في الغالب وقد اشتهر بذلك في قطر المغرب بلد قابس من بلاد الجريد بافر بقة فلا يكاد
سا كنها وطارقها يخلص من حى العفن بوجهه ولقد يقال ان ذلك حادث فيها ولم تكن كذلك من قبل ونقل
البكرى في سبب حدوثه أنه وقع فيها حفر ظهر فيه اناه من نحاس مختوم بالرصاص فلما فاض ختمه صعد
منه دخان الى الجو وانقطع وكان ذلك مبدءا لأمراض الحميات فيه وأراد بذلك ان اناه كان مشتملا
على بعض أعمال الطلسمات لو بائه وانه ذهب سره بندها به فرجع اليها العفن والوباء وهذه الحكاية من
مذاهب العامة ومباحثهم الركيكة والبكرى لم يكن من نباهة العلم واستنارة البصيرة بحيث يدفع مثل هذا
أو يشين حرفه فنقله كما سمعته والذي يكشف الحق في ذلك ان هذه الالهوية العنفة أكثر ما يهتبه التعقبن
الاجسام وأمرض الحميات ركودها فاذا تحللها الريح ونفشت وزهبت بهما يمتدنا وشمالا خف شأن العفن
والمرض الياى منها للحيوانات والبلد اذا كان كثير الساكن وكثرت حركات أهله فيتموج الهوا ضرورة
وتحدث الريح المتخللة للهوا الرادو يكون ذلك معيناله على الحركة والنموج واذا خف الساكن لم يجد
الهوا معينا على حركته وتوجهه وبقى ساكنا رادو عظم عقنه وكثر ضرره وبلد قابس هذه كانت عند
ما كانت افر بقة مستعمدة العمران كثيرة الساكن تموج باهاها مواجف ساكن ذلك معينا على تموج الهوا
واضطرابه وتخفيف الأذى منه فلم يكن فيها كثير عفن ولا مرض وعند ما خف ساكنها رادو أوهها
المتعفن بقساد مياهاها فكثر العفن والمرض فهذا وجهه لا غير وقد رأينا عكس ذلك في بلاد وضعت ولم
يراع فيها طيب الهوا وكانت اولا قليلة الساكن فكانت أمراضها كثيرة فلما كثرت ساكنها انتقل حالها
عن ذلك وهذا مثل دار الملك بقاس لهذا العهد المسمى بالبلد الجدي وكثير من ذلك في العالم فتقهمه تجرد ما
قلته لك وأما جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى فيه أمور منها الماء بان يكون البلدة على نهر أو بآبارها عيون
عذبة ثمرة فان وجود الماء قريبا من البلدي سهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورة فيكون لهم في
وجوده مرفقة عظيمة عامة ومما يراعى من المرافق في المدن طيب المراعى لسائمهم اذ صاحب كل قرار لا بد
له من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب ولا بد للساكن من المراعى فاذا كان قريبا طيبا كان ذلك
أرفق بحالهم لما يعانون من المشقة في بعده ومما يراعى أيضا المزارع فان الزرع هي الاقوات فاذا كانت
مزارع البلد بالقرب منها كان ذلك سهلا في اتخاذه وأقرب في تحصيله ومن ذلك الشجر للعطب والبناء
فان العطب مما تبع البلوى في اتخاذه لوقود النيران للاضطلاع والطنبخ والخشب أيضا ضروري لسقوفهم
وكثير مما يستعمل فيه الخشب من ضرورياتهم وقد يراعى أيضا قريتهم من البحر لتسهيل الحاجات القاصبة
من البلاد النائية الا ان ذلك ليس بمغاية الا اول وهذه كلها متفاوتة بتفاوت الحاجات وماتدعو اليه ضرورة
الساكن وقد يكون الواضع غافلا عن حسن الاختيار الطبيعي أو بما يراعى ما هو أهم على نفسه وقومه
ولا يندكر حاجة غيرهم كما فعله العرب لا اول الامم في المدن التي اختطوها بالعراق واقر بقة فانهم لم

عند الاياس فان الله والقدر نعم للخطوب اذا احدثها طرقت * واصبر فقد فاز اقوام بما صبروا فكل ضيق سيأتي بعده سعة *
وكل فوت وشيك بعده انقار (وتحتمه مكتوب بخط آخر) لو كان كل من صبرا أعقب الظفر صبره ولو كجنا نجد الصبر في العاجل يقى العمر

ويدين من القبر ما كان أصل لذي العقل موته وهو طفل والسلام (قلت) لورايته لكنت تحته في الصبر استعمال الراحة وانتظار الفرج وحسن الظن بالله وأجر بغير (٢٠٨) حساب وفي الجزع استعمال المم ومنهك البدن واستشعار الخيبة وسوء الظن بالله وحمل الأثام

يراعوا فيها إلا الأهم عندهم من مراعي الأبل وما يصلح لها من الشجر والماء الملح ولم يراعوا الماء ولا المزارع ولا الحطب ولا مراعي السائمة من ذوات الطائف ولا غير ذلك كالقبر وان والكوفة والبصرة وأمثالها ولهذا كانت أقرب إلى الخراب لما لم تراعى فيها إلا ما هو للطبيعة (فصل) ومما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر أن تكون في جبل أو تكون بين أمة من الأمم موفورة العدد تكون صريحا للمدينة متى طرقتها طارق من العدو والسبب في ذلك أن المدينة إذا كانت حاضرة البحر ولم يكن بساحتها عمران للقبائل أهل العصابات ولا موضعها متوعر من الجبل كانت في غرة للبيات وسهل طر وقها في الأساطيل البحرية على عدوها وتحببها لها ما يأمن من وجود الصريح لها وان الحضرة المتعودين للدعة قد صاروا عابلا وأخرجوا عن حكم المقاتلة وهذه كالأسكنة درية من المشرق وطرابلس من المغرب وبونوة وسلاو متى كانت القبائل والعصائب موطنين بقر بها بحيث يبلغهم الصريح والنعير وكانت متوعدة المسالك على من يرومها باختطاطها في هضاب الجبال وعلى استئجارها كان لها بذلك منعة من العدو يتسوا من طر وقها ما يكادونه من وعرها وما يتوقعون منه من اجابة صريحها كما في سنة و بجاية و بلاد القل على صغرها فاقهم ذلك واعتبره في اختصاص الاسكنة درية باسم الثغر من لدن الدولة العباسية مع ان الدعوة من ورائها بركة وافر بيقية وانما اعتبر في ذلك الخافقة المتوقعة فيها من البحر اسهولة وضعها ولذلك والله أعلم كان طروق العدو للاسكنة درية وطرابلس في الملة مرات متعددة والله تعالى أعلم

(فصل في المساجد والبيوت العظيمة في العالم)

(اعلم) ان الله سبحانه وتعالى فضل من الارض بقاعا اختصها بنشر يقه وجعلها مواطن لعبادته يضاعف فيها الثواب وينمو بها الاجور وأخبرنا بذلك على السن رسله وأنبأته لطفًا بعبادته وتسهيلًا لاطرق السعادة لهم * وكانت المساجد الثلاثة هي أفضل بقاع الارض حسمًا في الصحيحين وهي مكة والمدينة وبيت المقدس أما البيت الحرام الذي بمكة فهو بيت ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه أمره الله ببنائه وان يؤذن في الناس بالحج اليه فبنائه هو وابنه اسمعيل كمنه القرآن وقام بما أمره الله فيه وسكن اسمعيل به مع هاجر ومن نزل معهم من جرهم الى ان قبضهما الله ودفنا بالحجر منه * وبيت المقدس بناه داود وسلوان عليه السلام أمرهما الله ببنائه مسجده ونصبهما كاهن ودفن كثير من الانبياء من ولد اسحق عليه السلام حواله * والمدينة مهاجر نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه أمره الله تعالى بالهجرة اليها واقامة دين الاسلام بها فبنى مسجده المحرام بها وكان ملحده الثرى يق فى تربتها هذه المساجد الثلاثة قررة عين المسلمين ومهوى أفئدتهم وعظمة دينهم وفي الآثار من فضلها ومضاعفة الثواب في مجاورتها والصلاة فيها كثير معروفي فلنشأ الى شئ من الخبر عن أولية هذه المساجد الثلاثة وكيف تدرجت أحوالها الى ان كمل ظهورها في العالم * (فأما مكة) فالوليتها ما يقال ان آدم صلوات الله عليه بناها قبالة البيت المعمور ثم هدمها الطوفان بعد ذلك وليس فيه خبر صحيح يعول عليه وانما اقتبسوه من محل الآية في قوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ثم بعث الله ابراهيم وكان من شأنه وشأن زرجته سارة وغيرتها من هاجر ما هو معروف واوحى الله اليه ان يترك ابنه اسمعيل وأمه هاجر بالفلاة فوضعها في مكان البيت وسارعهما وكف جعل الله لهما من اللطف في نبع ماء زمزم ومرور الرفقة من جرهم بها حتى احتملوهما وسكنوا اليهما ونزلوا معهم احوالى زمزم كما عرف في موضعه فاتخذ اسمعيل بموضع الكعبة بيتا يأوى اليه وادار عليه ساجدًا من الردم وجعله زربالغنم وجاء ابراهيم صلوات الله عليه مرارًا ليارته من الشام أمر في آخرها ببناء الكعبة

مع العقوبة وما أحسن يذى العقل اجتناب هذا والسلام (وقال بعض البلغاء) من صبر نال المني ومن شكر حصن النعماء (وقال الشاعر) الصبر مفتاح كل خير وكل شربه يهون اصبر وان طالت الليالي فربما ساعد المحزون وربما نبيل باصطبار ما قيل هيات لا يكون (وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله ما أنعم الله على عبده فانتزعها منه وعوضه صبرا الا كان ما عوضه أفضل مما انتزعه منه وقرأنا ما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (وروى) ان جارية كانت لعلي بن ابي طالب رضى الله عنه تنصرف في حوائجها فكأما خرجت تصدى لها خياط كان بقر دار على ويقول لها والله اني لا أحب لك الله فلما أكثر من ذلك سكنته الى على فقال لها على اذا قال لك مرة أخرى فقولى له والله اني لا أحب لك ما الذى تريد فعاد فقال لها ذلك فقالت له وأنا والله أحب لك فيه فقال لها تصبرين واصبر حتى يوفى الصابرون أجرهم بغير

حساب فرجعت الجارية وأخبرت مولاها فادعا على رضى الله عنه الخياط فوجد امره على الحكمة فوهبها له مع نفقة يستعين بها (وقال) على رضى الله عنه الصبر كقيل بالتجاح والتوكل لا يجبطه والعاقل لا يذل باول نسكبة ولا يقرح باول رفعة

وكان يقال الصبر سلامة والطيش ندامة (وأما القسم الرابع) وهو الصبر على ما نزل من مكره أو حل من أمر مخوف فالصبر فيه تنفتح وجوه الآراء وتتوقى مكايد الأعداء قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على نبي إسرائيل (٢٠٩) بالصبر وأوقال تعالى واصبر وما

صبرك إلا بالله وقال تعالى واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور وروى ابن عباس أن النبي عليه السلام قال إن استطعت أن تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل وإن لم تستطع فاصبر فإن في الصبر على ما تركه خير كثير واعلم إن النصر مع الصبر وإن

الفرج مع الكرب واليسر مع العسر (وقال علي رضي الله عنه) الصبر مناضل الحدثنان والمجزع من أعوان الزمان وقال الحكيم بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الأمور (وأشدوا)

انما أخرج مما أتقن فاذا حل في الخالي والمجزع ولما حبس أبو أيوب في الحبس خمس عشرة سنة صاقت حيلته وقل صبره وكتب إلى بعض أخوانه يشكو طول حبسه وقلة صبره فدعاه جواب رفته صبرا بأبواب صبر مبرح فاذا عجزت عن الخطوب فن لها

ان الذي عقد الذي انعقدت به عقد المكاره فيك يملك حلها صبرا فإن الصبر يعقب راحة فلهما أن تنجلي وألها فلما وقف عليها أبو أيوب

مكان ذلك الزرب فبناه واستعان فيه بانه اسمعيل ودعا الناس إلى حبه وبقي اسمعيل ساكنا به ولما قبضت أمه هاجر وقام بنوه من بعده بامر البيت مع أخوالهم من جرهم ثم العماليق من بعدهم واستمر الحال على ذلك والناس يهرعون إليها من كل أفق من جميع أهل الخليفة لآمن بنى اسمعيل ولآمن غيرهم عن دنا أو نأى فقد نقل أن التبابعة كانت تسج البيت وتعظمه وإن تبعها كساها الملاء والوصائل وأمر بتطهيرها وجعل لها مقناحا ونقل أيضا أن الفرس كانت تحب وجهه وتقرب إليه وإن غزى إلى الذهب للذين وجدتهما عبد المطلب حين احتفر زرم كانا من قريبينهم ولم ير لجرهم الولاية عليه من بعد ولد اسمعيل من قبل خواتم حتى إذا خرجت خزاعة وأقاموا بها بعدهم ما شاء الله ثم كثروا اسمعيل وانشروا وتشعبوا إلى كنانة ثم كنانة إلى قريش وغيرهم وساءت ولاية خزاعة فغلبتهم قريش على أمره وأخر جوههم من البيت وملكوا عليهم يومئذ قصى بن كلاب فبنى البيت وسقاه بخشب الدوم وجر يد النخل وقال الاعشى

خلفت بثوبي زاهب الدور والتي * بناها قصى والمضاض بن جرهم

ثم أصاب البيت سيل ويقال حريق وتهدم وأعادوا بناءه ووجهوا النفقة لذلك من أموالهم وانكسرت سقينة بساحل جدة فاشترى أخشابها للسقف وكانت جدرانها فوق القامة في عملها ثمانية عشر ذراعا وكان الباب لاصفا بالأرض في علوه فوق القامة لئلا تدخله السبول وقصرت بهم النفقة عن تمامه فقصر واعن قواعده وتركوا منه سبعة أذرع وشبرا أذرا وهاجج دار قصير يطاق من ورائه وهو الحجر وبقي البيت على هذا البناء إلى أن تحصن ابن الزبير بمكة حين دعاه نفسه وزحف إلى جيوش يزيد من معاوية مع المحصين ابن نعيم السكوني ورعى البيت ستة أربعم وستين فاصابه حريق يقال من النقط الذي رموا به على ابن الزبير فأعاد بناءه أحسن ما كان بعد أن اختلفت عليه العناية في بنائه واحتج عليهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها لولا قومك حديثنوه فبكتك لرددت البيت على قواعده إبراهيم ومجملات له باين شريبا وغيره يافهمه وكشف عن أساس إبراهيم عليه السلام ووجه الوجوه والأكابرح حتى عاينوه وأشار عليه ابن عباس بالتعري في حفظ القبلة على الناس فادار على الأساس الخشب ونصب من فوقها الاستار حفظ القبلة وبعث إلى صنعاء في القضة والكاس في عملها وسأل عن مقطع الحجارة الأول فجمع منها ما احتاج إليه ثم شرع في البناء على أساس إبراهيم عليه السلام ورفع جدرانها سبعا وعشرين ذراعا وجعل لها بابين لاصقين بالأرض كمرور في حديثه وجعل فرشها واوزد بالرخام وصاغ لها المفاتيح وصفاح الأبواب من الذهب ثم جاء الحجاج لمصاره أيام عبد الملك ورعى على المسجد بالمخجنقات إلى أن تصدعت حيطانها ثم لما ظفر بابن الزبير شاو عبد الملك فيما بناه وزاده في البيت فأمره بهدمه ورد البيت على قواعده قريش كملهي اليوم ويقال أنه ندم على ذلك حين علم صحة رواية ابن الزبير لمحدث عائشة وقال وددت أني كنت حملت أبا خبيص في امر البيت وبنائه ما تحمّل فهدم الحجاج منها ستة أذرع وشبرا مكان الحجر وبناه على أساس قريش وسد الباب الغربي وما تحت عتبة بابها اليوم من الباب الشرقي وترك ساثره لم يغير منه شيئا فبكل البناء الذي فيه اليوم بناء ابن الزبير وبناء الحجاج في الحائط صلة ظاهرة للعيان لمحة ظاهرة بين البناءين والبناء متميز عن البناء بمقدار أصبع شبه الصدع وقد تم * ويعرض ههنا أشكال قوى لما فاتته لما يقوله الفقهاء في امر الطواف ويحذر الطائف أن يميل على الشاذروان الدائر على أساس الجدران أسفها فيقع طوافه داخل البيت بناء على أن الجدران ما قامت على بعض الأساس وترك بعضه وهو مكان الشاذروان وكذا قالوا في تقبيل الحجر الأسود لا بد من رجوع الطائف من التقبيل حتى يستوى قائما لا

(٢٧ - ابن خلدون) كتب إليه صبرتي ووعظتي فأنالها * وستنجي بل لا أقول لها و يحلها من كان صاحب عقدها * كرمهاه إذ كان يملك حلها * فما لبث به ذلك إلا أياما حتى أطلق مكرها (ولتيم بن المعز) سأسكت صبرا واحسنا بانتي *

أرى الصبر سيقاليس فيه فلول
و يسخو بما في نفسه لجهول

(٢١٠)

عذابي ان اشكو الى الناس اتني * عليل ومن اشكو اليه عليل وان الذي يشكو الى غير نافع *
دع الدهر يجري باقداره * ويقضى عجائب أوطاره

ونم نومة عن ولاة الامور
وخل الزمان بتدواره
فانك ترحم من قد غبطت
وتعجب من قبح آثاره
(وأشندني بعضهم)
ويعني بالشكوى الى
الناس اتني
عليل ومن اشكو اليه عليل
ويعني الشكوى الى
الله أنه

عليه ما ألقاه قبل أقول
* (ولا تخ) *
اذا ابتليت فتدق بالله
وارض به
ان الذي يكشف البلوى
هو الله

الأس يقطع أحياناً صاحبه
لا تباسن فان الصانع الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرة
مالا امرئ حيلة فيما قضى الله
وصرف من هذه اللفظة
صابر و صبور و صبار
و متصبر فالمتصبر من صبر
في الله على المكارة فتارة
يجز وتارة يصبر والصابر
من لا يشكو ولا يجز
والصبار الذي لو دفع عليه
جميع البلايا والحن لم يتغير
وجهه في الحقيقة وان
تغير من وجهه الرسم
والبشرية والخلفة كما
قال القائل

صابر الصبر فاستغاث به الصبر
رفصاح الصبور يا صبر صبرا

يقع بعض طوافه داخل البيت واذ كان الجدران كلها من بناء ابن الزبير وهو نمان بنى على اساس ابراهيم
فكف يقع هذا الذي قالوه ولا يخلص من هذا الا باحد أمرين اما ان يكون الحجاج هدم جميعه واعاده وقد
نقل ذلك جماعة الا ان العيان في شواهده البناء بالتمام ما بين البناءين وتميز أحدهما الشقين من اعلاه عن
الاخر في الصناعة برذلك واما ان يكون ابن الزبير لم يرد البيت على اساس ابراهيم من جميع جهاته
وانما فعل ذلك في الحجر فقط ليدخله فهي الاثر مع كونها من بناء ابن الزبير ليست على قواعد ابراهيم
وهذا بعيد ولا يحمي من هذين والله تعالى اعلم ثم ان مساحة البيت وهو المسجد كان فضاء للطائفتين ولم
يكن عليه جدران أيام النبي صلى الله عليه وسلم واني بكر من بعده ثم كثر الناس فاسترى عمر رضي الله عنه دورا
هدمها وزادها في المسجد وأدار عليها جدران دون القامة وفعل مثل ذلك عثمان ثم ابن الزبير ثم الوليد بن
عبد الملك وبناه بعد ذلك الرخام ثم زاد فيه المنصور وابنه المهدي من بعده ووقفت الزيادة واستقرت على
ذلك عهدنا * وتشريف الله لهذا البيت وعنايته بها أكثر من ان يحاط به وكفى من ذلك أن جعله
مهبط الوحي والملائكة ومكانا للعبادة وفرض شعائر الحج ومناسكها ووجب محرمه من سائر نواحيه
من حقوق التعظيم والحق ما لم يوجب له غيره فمخ كل من خالف دين الاسلام من دخول ذلك الحرم
واوجب على داخله ان يتجرد من الخيط الا ازارا يستتره ووجهي العائذ به والرائع في مسارحه من مواقع
الآفات فلا يرام فيه خائف ولا يصاد له وحش ولا يجتطب له شجر وحده الحرم الذي يختص بهذه
الحرمية من طريق المدينة ثلاثة أميال الى النعمية ومن طريق العراق سبعة أميال الى الثانية من
جبل المنقطع ومن طريق الطائف سبعة أميال الى بطن غمرة ومن طريق جدة سبعة أميال الى منقطع
العشائر * هذا شأن مكة وخبرها وتسمى أم القرى وتسمى الكعبة لعلوها من اسم الكعب ويقال لها
أيضا بكة قال الاصمعي لان الناس يك بعضهم بعضا اليها اي يدفع وقال مجاهد بكة أي بدلوها مما كما قالوا
لازب ولازم لقرب الخرجين وقال النخعي بالباء البيت وبالميم البلد وقال الزهري بالباء للمسجد كله وبالميم
للحرم وقد كانت الامم منذ عهد الجاهلية تعظمه والمولك تبعث اليه بالاموال والذخائر كسرى وغيره وقصة
الاسياف وغزالي الذهب اللذين وجدتهما عبد المطلب حين احتقر زرم معروفه وقد وجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين افتتح مكة في الحب الذي كان فيها سبعين ألف أوقية من الذهب مما كان المولك
يهدون للبيت فيها ألف دينار مكررة مرتين بما تقي قنطار وزنا وقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه
يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك فلم يفعل ثم ذكر لابي بكر فلم يحركه هكذا قال الازرق وفي
البخاري بسنده الى أبي وائل قال جلست الى شيبة بن عثمان وقال جلس الى عمر بن الخطاب فقال هممت
أن لا أدع فيها صفرأ ولا بيضاء الا قمتها بين المسلمين قلت ما أنت بفاعل قال ولم قلت فلم يفعله صاحبك
فقال هما اللذان يقتدي بهما وخرجه ابوداود وابن ماجه واقام ذلك المال الى ان كانت فتنة الافطس
وهو الحسن بن الحسين بن علي بن علي بن زين العابدين سنة تسع وتسعين ومائة حين غلب على مكة عمدا الى
الكعبة فأخذ ما في خزائنها وقال ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعا فيها لا يستفح به نحن احق به نستعين
به على حربنا وخرجه وتصرف فيه وبطلت الذخيرة من الكعبة من يومئذ * (وأما بيت المقدس) وهو
المسجد الأقصى فكان أول أمره أيام الصابئة موضوعة الزهرة وكانوا يقرؤون اليه الزيت فيما يقرؤونه
يصبونه على الصخرة التي هناك ثم دثر ذلك الميكل واتخذها بنو اسرائيل حين ملكوها قبله لصلاتهم
وذلك ان موسى صلوات الله عليه لما خرج بنو اسرائيل من مصر لتمليكهم بيت المقدس كما وعد الله اباهم

وهذا أقوى بيت قيل في الصبر واحسنه وقريب منه قول القائل صبرت على الايام صبرا صارني * اسرائيل
الى ان يتأدى الحال لاصبر للصبر والصابر وهو الثابت على هذه المقامات وقيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخاني باخلاقى

وان من اخلاقى انا الصبور و يقال الصبر لله غنى والصبر بالله تقي والصبر في الله بلاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وانشدوا
اذ لعب الرجال بكل شئ * رايت المحب يلبس بالرجال وكيف الصبر عن حل منى * (٢١١)

وقال المحاسبي بين الصبر
والتصبر حالة هي النعم
وذلك اذا رفع الله له علما
من اعلام الاخرة يده
على منازل الصابرين
عنده فينعم القلب بسرور
النعميم وقال ابو محمد
المجربى الصبر هو ان
لا تفرق بين حال النعمة
والحمة مع سكون الخاطر
فيها والصبر هو السكون
مع البلاء مع وجدان انتقال
الحبة وانشدوا
صبرت ولم أطلع هو الك على
صبرى
واخفيت ما بي منك عن
موضع السر
مخافة ان يشك وضيمرى
صيايى
الى دمعتى سر افترجى ولا
أدرى
وقيل للمحاسبي بما اذا
يقوى الصابر على صبره
فقال اذا علمت ان فى صبرك
رضا مولاك اما سمعت
قول الحكيم
رضيت وقد أرضى اذا
كان مسخطى
من الامر ما فيه رضا صاحب
الامر
وفى معناه
ساصبر كي ترضى وأتلف
حسرة

اسرائيل واباه اسحق من قبله واقام وبارض التيه امره الله باتخاذ قبعة من خشب السنط عين بالوحى مقدارها
وصفتها وهيا كلها وثمانيلها وأن يكون فيها التابوت ومائدة بها قفاها ومنازة بقناديلها وأن يصنع مذبحا
للقربان وصف ذلك كله فى التوراة اكل وصف فصنع القبعة ووضع فيها تابوت العهد وهو التابوت الذى
فيه اللوح المصنوعة عوضا عن اللوح المنزلة بالكلمات العشر لما تكسرت ووضع المذبح عندها وعهد
الله الى موسى بان يكون هر و ن صاحب القربان ونصبوا تلك القبعة بين خيامهم فى التيه يصلىون اليها
ويتقربون فى المذبح امامها ويتعرضون للوحى عندها ولما ملكوا الشام وبقيت تلك القبعة قبلتهم
ووضعوها على الصخرة بيت المقدس وأراد داود عليه السلام بناء مسجده على الصخرة مكانها فلم يتم له
ذلك وعهد به الى ابنه سليمان فبناه لاربعم سنين من ملكه ونجس ما تسنة من وفاة موسى عليه السلام
وانتخذ عمه من الصفر وجعل به صرح الزجاج وغشى أبوابه وحيث انه بالذهب وصاغها كلها وثمانيله
واوعيته ومنازته ومقناحه من الذهب وجعل فى ظهره قبرا اضع فيه تابوت العهد وهو التابوت الذى فيه
اللوحة وجاء به من صهيون بلبا يه داود تحمله الاسباب والكهونة حتى وضعه فى القبر ووضعت القبعة
والاوعية والمذبح كل واحد حيث أعد له من المسجد وأقام كذلك ماشاء الله ثم خربه بختنصر بعد ثمانمائة
سنة من بنائه وأحرق التوراة والعصا وصاغ الهياكل ونثر الاجار ثم لما اعادهم ملوك الفرس بناه
عزير بنى اسرائيل لهم باعانة يهم من ملك الفرس الذى كانت الولادة لبني اسرائيل عليه من سبي
بختنصر وحدثهم فى بنائه حدود داود بناء سليمان بن داود عليه السلام فلم يتجاوزوها ثم تداوتهم ملوك
يونان والفرس والروم واستعمل الملك لبني اسرائيل فى هذه المدة ثم ابني خيمان من كهنتهم ثم لصهرهم
هيردوس وابنيه من بعده وبنى هيردوس بيت المقدس على بناء سليمان عليه السلام وتأنق فيه حتى
اكمله فى ست سنين فلما جاء بطيطس من ملوك الروم وغلبهم وملك أمرهم خرب بيت المقدس ومسجدها
وأمر ان يزرع مكانه ثم أخذ الروم يدين المسيح عليه السلام ودانو ابنته عظيمه ثم اختلف حال ملوك الروم فى
الاخذ بدين النصرارى تارة وتركه اخرى الى ان جاء قسطنطين وتنصرت أمه هيلانة وارتحلت الى المقدس
فى طلب الخشبة التى صلب عليها المسيح بزعمهم فأخبرها القساسة بانه رعى بخشبة على الارض وألقى عليها
القمامات والقاذورات فاستخرجت الخشبة وبذت مكان تلك القمامات كنيسة القمامة كأنها على قبره
بزعمهم وخربت ما وجدت من عمارة البيت وأمرت بطرح الزبل والقمامات على الصخرة حتى غطاها وحنى
مكانها اجزاء بزعمهم المسافة لوه بقبر المسيح ثم بنوا بازاء القمامة بيت لهم وهو البيت الذى ولد فيه عيسى عليه
السلام وبقي الامر كذلك الى ان جاء الاسلام وحضر عمر فتح بيت المقدس وسأل عن الصخرة فأرى
مكانها وقد علاها الزبل والتراب فكشف عنها وبنى عليها مسجدا على طريق البداوة وعظم من شأنه
ما أذن الله من تعظيمه وما سبق من أم الكباب فى فضله حسب ما ثبت ثم احتفل الوليد بن عبد الملك فى تشييد
مسجده على سنين مساجد الاسلام بما شاء الله من الاحتفال كما فعل فى المسجد الحرام وفى مسجد النبي صلى
الله عليه وسلم بالمدينة وفى مسجد دمشق وكانت العرب تسميه بلاط الوليد وألزم ملك الروم ان يبعث
القلعة والمال لبناء هذه المساجد وأن يتموها بالقسمة فأتاع لذلك وتم بناؤها على ما اقترحه ثم لما
ضعف أمر الخلافة أعوام الخمسمائة من الهجرة فى آخرها وكانت فى ملكة العبيد بين خلفاء القاهرة من
الشيعية واختل أمرهم زحف الفرنجة الى بيت المقدس فلكروه وملكوه عامه عامه تغور الشام وبنوا على
الصخرة المقدسة منه كنيسة كانوا يظنونها ويقتغرون بيئاتها حتى اذا سئل صلاح الدين بن أيوب

وحسبى ان ترضى و يتلقى صبرى قال شيخنا وشكلك لمن تحبه اعظم من شكلك لنفسك هذا ايوب لما أصيب بنفسه قال مسنى الضر
و يعقوب لما أصيب بحبيبه قال وأسفا على يوسف قال أحمد قال لى أبو سليمان الداراني ان تدرى بما اذا أوال العقلاء الثلاثة عن أساء اليهم

قلت لا قال لعلمهم بان الله تعالى ابتلاهم بذلك فصبروا ويرى ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه اذا أنزلت به مدى بلائى فدعاني
فساطمته بالاجابة فشبكتانى فقلت (٢١٢) عبدى أرجك من شئ به أرجك وقبل فى قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا انه الصبر الذى

الكردى بملك مصر والشام ومحاثر العبيدين وبتدعهم زحف الى الشام وجاهد من كان به من الفرنجة
حتى غلبهم على بيت المقدس وعلى ما كانوا مملوكوه من شعور الشام وذلك نحو ثمانين وخمس مائة من الهجرة
وهدم تلك الكنيسة وأظهر الصخرة وبنى المسجد على النحو الذى هو عليه اليوم لهذا العهد ولا يعرض لك
الاشكال المعروف فى الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أول بيت وضع فقال مكة قيل
ثم أى قال بيت المقدس قيل فكيف بينهما قال اربعون سنة فان المدة بين بناء مكة وبين بناء بيت المقدس
بمقدار ما بين ابراهيم وسليمان لان سليمان بنى به وهو ينيف على الالف بكثير * واعلم ان المراد بالوضع فى
الحديث ليس البناء وانما المراد اول بيت عين للعبادة ولا يعد ان يكون بيت المقدس عين للعبادة قبل
بناء سليمان بمثل هذه المدة وقد نقل أن الصائبة بنوا على الصخرة هيكل الزهرة فعمل ذلك انها كانت مكانا
للعبادة كما كانت الجاهلية تضع الاصنام والتماثيل حوالى الكعبة وفى جوفها والصابئة الذين بنوا هيكل
الزهرة كانوا على عهد ابراهيم عليه السلام فلا تبع مدة الاربعين سنة بين وضع مكة للعبادة ووضع بيت
المقدس وان لم يكن هناك بناء كما هو المعروف وان اول من بنى بيت المقدس سليمان عليه السلام فقهه
فقه حل هذا الاشكال * (واما المدينة) * وهى المسماة بيثرب فهى من بناء يثرب بن مهلائل من العمالقة
وملكها بنو اسرائيل من ايديهم فيما مملوكوه من أرض الحجاز ثم جاؤهم بنوقيلة من غسان وغلبوهم
عليها وعلى حصونها ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة اليها لما سبق من عناية الله بها فهاجر اليها معه
ابو بكر وتبعه أصحابه ونزل بها وبنى مسجده وبيوته فى الموضوع الذى كان الله قد أعد له لذلك وشرفه فى سابق
أزله وآواه أبناء قبيلة ونصره فلذلك سمو الانصار وسمت كلمة الاسلام من المدينة حتى علمت على الكلمات
وغلب على قومه وفتح مكة وملاها ووطن الانصار انه يتحول عنهم الى بلده فاهمهم ذلك فخاطبهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأخبرهم انه غير متحول حتى اذا قبض صلى الله عليه وسلم كان لمحمد الشريف بها وجاء
فى فضلها من الاحاديث الصحيحة ما لا يخفى به ووقع الخلاف بين العلماء فى تفضيلها على مكة وبه قال مالك
رحمه الله لما ثبت عنده فى ذلك من النص الصريح عن رافع بن خديج ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
المدينة خير من مكة نقل ذلك عبد الوهاب فى المعونة الى احاديث أخرى تدل بظاهرها على ذلك وخالف أبو
حنيفة والشافعى * وأصبحت على كل حال تسمية المسجد الحرام وجنح اليها الامم باقتدارهم من كل أوط
فانظر كيف تدرجت الفضيلة فى هذه المساجد المعظمة لما سبق من عناية الله لها وتفهم سر الله فى الكون
وتدريجها على ترتيب محكم فى أمور الدين والدنيا * وأما غيرها هذه المساجد الثلاثة فلا تعلم فى الارض
الاما يقال من شأن مسجد آدم عليه السلام بسرنديب من جزائر الهند لكى لم يثبت فيه شئ يعول عليه وقد
كانت للامم فى القديم مساجد يعظمونها على جهة الديانة بزعمهم منها بيوت النار للفرس وهياكل يونان
وبيوت العرب بالحجاز التى أمر النبي صلى الله عليه وسلم لم يهدمها فى غزواته وقد ذكر المسعودى منها بيوتنا
لسنمان ذكرها فى شئ اذهى غير مشروعة ولا هى على طريف دينى ولا يلتفت اليها ولا الى الخبر عنها ويكفى
فى ذلك ما وقع فى النوارىح من أراد معرفة الاخبار فعليه بها والله يهدى من يشاء سبحانه

٧ * (فصل فى أن المدن والامصار باقرية والمغرب قليلة) *

والسبب فى ذلك ان هذه الاقصاد كانت للبربر منذ آلاف من السنين قبل الاسلام وكان عمر انهارها بدويا
ولم تستقر فيهم الحضارة حتى تستكمل أحوالها والدول التى ملأتهم من الافرنجة والعرب لم يطل أمدهم
فيهم حتى ترسخ الحضارة منها فلم تنزل عوائد البدو وشؤونها فكانوا اليها أقرب فلم تسكن مبانيهم - م وأيضاً
ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب لا خيرها يدوم ولا شرها يبتى ولا فيها مخلوق
بقاها فاذ انصورت حقيقتها فحينئذ يرى الحوادث سهلة والمصائب هينة وقال الشاعر يمثل ذواللب فى نفسه * مصائب من قبل ان تنزلا

لا شكوى فيه - ولا بث
قال أنس ماصبر من بث
وقال عمر بن الخطاب رضى
الله عنه لا تستغزروا
الدموع بالتذكر وقال
الشاعر
ولا يبعث الا حزان مثل
التذكر
وعما عين على عظم الاسى
وشدة الجزع تذكر المسار
المنقضية وتصور المضار
الذاهبة وكثرة الشكوى
والاسف وقال الشاعر
لا تسكر الشكوى الى
الصدق
وارجع الى الخالق لا الخلق
لا يخرج الغريق بالغريق
وفى منشور الحكم المصيبة
بالصبر أعظم المصيبين
واعلم انه قل من صبر على
شدة الاونال ما يرجوه
من فرج و ينجى من نزلت
به مصيبة أو كان فى شدة
أن يسهلها على نفسه ولا
يعفل عن تذكر ما يتيقنه
من وجوب القناء وتقضى
المسار فان الدنيا دار من
لاداره ومال من لا مال له
ولها يجمع من لا عقل له
وعليها يعادى من لا علم له
وعليها يحسد من لا فقه له
ولها يسعى من لا ثقة له
من صح فيها سقم ومن سقم
فيها برم ومن افتقر فيها حزن

فان نزلت بغنة لم ترعه * لما كان في نفسه مثلا رأى الامر يقضى الى آخر * فصير آخره اولا وقال بعض الحكماء من حاذر لم يتخذع
ومن راقب لم يباع ومن كان متوقعا لم يلف متوجعا ومن لم يشعر نفسه بما ذكرنا (٢١٣) من احوال الدنيا وتقضى المسار ثم التواء

في اللجود بين اطباق الترب
والجنادل قد فارقه الاحباء
وهجرة القرباء والبعدهاء
الفتنة الحوادث وابقا قسليته
الصبر وضاعت عليه
الاشي وقال ابن الرومي
ان البلاء يطاق غير
مضاعف
فاذا تضاعف فهو غير مطاق
وانشدوا
تعودت من الضر حتى
الفتنة

فالصنائع بعدة عن البربر لانهم أعرق في البدو والصنائع من توابع الحضارة وانما تتم المباني بها فلا بد
من الحدق في تعلمها فلما لم يكن للبربر اتحال لها لم يكن لهم تشوف الى المباني فضلا عن المدن وايضا فهم
أهل عصبية وانساب لا يخلو عن ذلك جمع منهم والانساب والعصبية اجنح الى البدو وانما يدعوا الى
المدن الدعة والسكون ويصيرسا كنهاعيا لا على حاميها فتجد اهل البدو لذلك يستنكفون عن سكنى
المدينة او الاقامة بها ولا يدعوا الى ذلك الا الترف والغنى وقيل ما هو في الناس فلذلك كان عمران افر بقبية
والمغرب كله أو أكثره بدو باهل خيام وظوا عن وقياطن وكنن في الجبال وكان عمران بلاد العجم كله
أو أكثره قري وأمصار أو سابق من بلاد الاندلس والشام ومصر وعراق العجم وأمثالها لان العجم في
الغالب ليسوا باهل انساب يحافظون عليها ويتناغون في صراحتها وانعامها الا في الاقل وأكثر ما يكون
سكنى البدو لاهل الانساب لان حجة النسب أقرب واشد فكون عصبية كذلك وتزعم بصاحبها الى
سكنى البدو والتجافي عن المصر الذي يذهب بالمسالة ويصير به بالاعلى غيره فافهمه وقس عليه والله
سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

٨ (فصل في أن المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها والى من كان قبلها من الدول) *

واسلمنى حسن العزاء الى
الصبر
ووسع صدرى للاذى كثرة
الاذى
وان كنت احيانا يضيقي
به صدرى
وحسن لى ياسى من الناس
كلهم
لعلمى يصنع الله من حيث
لا أدري
وبلعض الاحراب
تعرفان الصبر بالحراجل
وليس على ريب الزمان
معول

والسبب في ذلك ما ذكرنا من انه في البربر بعينه اذ العرب ايضا أعرق في البدو وابعدهن الصنائع وايضا
فكانوا اجانب من الممالك التي استولوا عليها قبل الاسلام ولما تملكوها لم ينفسح الامد حتى تستوفى
رسوم الحضارة مع انهم استغنوا بما وجدوا من مباني غيرهم وايضا فكان الدين اول الامر مانعا من المغالاة
في البنيان والاسراف فيه في غير القصد كما عهداهم عمر حين استأذنه في بناء الكوفة بالحجارة وقد وقع
الحريق في القصب الذي كانوا بنوا به من قبل فقال افعلوا ولا يزيدن احد على ثلاثة ابيات ولا تطاولوا
في البنيان والزمو السنة لئلا تم الدولة وعهد الى الوفود وتقدم الى الناس ان لا يرفعوا بنينا فوق القدر قالوا
وما القدر قال ما لا يقربكم من السرف ولا يخرجكم عن القصد فلما بعد العهد بالدين والتخرج في أمثال هذه
الاقاصد وغلبت طبيعة الممل والترف واستخدم العرب أمة الفرس واخذوا عنهم الصنائع والمباني ودعاهم
اليها احوال الدعة والترف فيئذ شيدوا المباني والمصانع وكان عهد ذلك قريما بانقرض الدولة ولم ينفسح
الامد لكثرة البناء واختطاط المدن والامصار الا قليلا وليس كذلك غيرهم من الامم فالفرس طالت مدتهم
آلاف من السنين وكذلك القبط والنبط والروم وكذلك العرب الاولى من عاد وحمود والعمالقة والتبابعة
طالت آمادهم وورسخت الصنائع فيهم فكانت مبانيهم وهياكلهم أكثر عددًا وأبقى على الايام أثرا
واستبصر في هذا تجده كما قلت لك والله وارث الارض ومن عليها

٩ (فصل في أن المباني التي كانت تحتها العرب يسرع اليها الخراب الا في الاقل) *

فلو كان يغني ان يرى المرء
جازعا
لناثمة أو كان يغني التبذل
لكان التعزى عند كل
مصيبة
ونازلة بالحراولى واجل
فكيف وكل ليس بعدو
جنامه

والسبب في ذلك شأن البداوة والبعدهن الصنائع كما قدمناه فلا تكون المباني وثيقة في تشييدها وله والله
اعلم وجه آخر وهو أوسع به وذلك قلة مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن كما قلناه في المكان وطيب
المواضع والمياه والمزارع والمراعى فانه بالتفاوت في هذه تتفاوت جودة المصر وردائه من حيث العمران
الطبيعي والعرب يعزل عن هذا وانما يراعون مراعى ابلهم خاصة لا يبالون بالماء طاب أو خبث ولا قل
أو أكثر ولا يسألون عن زكاه المزارع والمانبات والاهوية لان تقاليمهم في الارض ونقلهم المحبوب من البلد
البعيد واما الرياح فالقفر مختلف للمهاب كلها والظعن كليل لهم بطبيعتها لان الرياح انما تخبث مع القرار
والسكنى وكثرة الفضلات وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان كيف لم يراعوا في اختطاطها الا

والمامرئ عما قضى الله مرحل
ولاذلتنا للذي ليس يحمل
فان تكن الايام فينا تبدلت * بيوس ونعمى والحوادث تفعل
ولكن وجدناها نفوسا كريمة * تحمل ما لا تستطيع فتحمل
فان كنت منا قناعة صليبة * وقينا بفضل الله منا نفوسنا *

فحمت لنا الاعراض والناس هزل * (الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر) * قال الله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام
يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك (٢١٤) فيكيدوا لك كيدا فلما افشى يوسف رؤياه بشهد امرأة يعقوب اخبرته خوته فخل به

مراعي ابلهم وما يقرب من القفر ومسالك الظعن فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعي للمدن ولم تكن لها
مادة تمد عمر انهما من بعدهم كما قدمنا أنه يحتاج اليه في حفظ العمران فقد كانت مواطنها غير طبيعية المقرار
ولم تكن في وسط الامم فعمرها الناس فلاول وهلة من انحلال أمرهم وذهاب عصبيتهم التي كانت سببا
لها في عليها الخراب والانحلال كان لم تكن والله يحكم لامعقب لحكمه

١٠ * (فصل في مبادئ الخراب في الامصار) *

اعلم ان الامصار اذا اختطت ولا تكون قليلة المساكن وقليلة آلات البناء من الحجر والجير وغيرهما مما
يعالى على المحيطان عند التأتق كالزجاج والرخام والبرج والرخام والفسيفساء والصدف فيكون بناؤها
يومئذ يدبوها ولا تهاقاسد فاذ اعظم عمران المدينة وكثرتسا كنها كثرت الآلات بكثرة الاعمال حينئذ
وكثرة الصنائع الى أن تبلغ غايتها من ذلك كما سبق شأنها فاذا تراجع عمرانها وخف سا كنها قلت الصنائع
لاجل ذلك ففقدت الاجادة في البناء والاحكام والمعالجة عليه بالتمتع ثم تقل الاعمال لعدم الساكن
فيقل جلب الآلات من الحجر والرخام وغيرهما فتنقص ويصير بناؤهم وتشيدهم من الآلات التي في
مبانيهم فينقلونها من مصنع الى مصنع لاجل خلاص كثير المصانع والقصور والمنازل بقلة العمران وقصوره
عما كان اولاً ثم لا تزال تنقل من قصر الى قصر ومن دار الى دار الى أن يفقد الكثير منها جلة فيهودون
الى البداوة في البناء واتخاذ الطوب عوضا عن الحجارة والقصور عن التمتع بالكلية فيعود بناء المدينة
مثل بناء القرى والمدن ويظهر عليها سيما البداوة ثم تمر في التناقص الى غايتها من الخراب ان قدر لها
سنة الله في خلقه

١١ * (فصل في ان تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرفه لاهلها وتفاق
الاسواق انما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة) *

والسبب في ذلك انه قد عرف وثبت أن الواحد من البشر غير مستقل بتحصيل حاجاته في معاشه وانهم
متعاونون جميعا في عمرانهم على ذلك والحاجة التي تحصل بتعاون طائفة منهم تشتد ضرورة الاكثر من
عددهم اضعافا لقوت من الخنطة مثلا لا يستقل الواحد بتحصيل حصته منه واذا انتدب لتحصيله السبعة
او العشرة من حداد ونجار للآلات وقائم على البقر واثارة الأرض وحصاد السنبل وسائر مؤن القلح
وتوزعوا على تلك الاعمال واجتمعوا وحصل بعملهم ذلك مقدار من القوت فانه حينئذ قوت لضعافهم
مرات فالاعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات العاملين وضرورتهم فأهل مدينة او مصر اذا وزعت
أعمالهم كلها على مقدار ضرورتهم وحاجاتهم اكتفى فيها بالقل من تلك الاعمال وبقية الاعمال كلها
زائدة على الضرورتات فتصرف في حالات الترف وعوائده وما يحتاج اليه غيرهم من اهل الامصار
ويستجلبونه منهم باعواضه وقيمة فيكون لهم بذلك حظ من الغنى وقد تبين لك في الفصل الخامس في باب
الكسب والرزق أن المكاسب انما هي قيم الاعمال فاذا كثرت الاعمال كثرت قيمها بينهم فكثرت
مكاسبهم ضرورة ودعتهم احوال الرفه والغنى الى الترف وحاجاته من التأتق في المساكن والملابس
واستجادة الآنية والمساورة واتخاذ الخدم والمراكب وهذه كلها أعمال تستدعي بغيرها ويختار المهرة
في صناعتها والقيام عليها فتتفق أسواق الاعمال والصنائع ويكثر دخل المصر وخرجه ويحصل اليسار
لمنتحلي ذلك من قبل اعمالهم ومتى زاد العمران زادت الاعمال فانية ثم زاد الترف فابالالكسب وزادت
عوائده وحاجاته واستنبتت الصنائع لتحصيلها فزادت قيمها وتضاعف الكسب في المدينة لذلك فانية

ماحل وفي الحديث
استعينوا على قضاء الحوائج
بالكتمان فان كل ذي
نعمة محسود واعلم ان
كتمان السر من الخصال
المجودة في جميع الخلق
ومن اللوازم في حق
الملوك ومن الفرائض
الواجبة على الوزراء وجلساء
الملوك والاتباع قال على
رضي الله عنه سر ك أسيرك
فاذا تكلمت به صرت أسيره
واعلم ان أمناء الاسرار أشد
تعذرا واول وجودا من أمناء
الاموال وحفظ الاموال
أسير من كتم الاسرار فان
أحراز الاموال منسوبة
بالابواب والاقفال وأحراز
الاسرار بارز يذيعها لسان
ناطق ويشيعها كلام سابق
وعبء الاسرار أثقل من
عبء الاموال وان الرجل
يستقل بالمحمل الثقيل يحمله
ويشفي به ويقله ولا يستطيع
كتم السر وان الرجل
يكون سره في قلبه فيلحقه
من القلق والكرب مالا
يلحقه بحمل الاثقال فاذا
أذاعه استراح قلبه وسكن
حاشه وكأما التي عن
نفسه جبلا وقال عمر بن
عبد العزيز القلوب أوعية
والشقاء أفعالها والاسن
مفتاحها فيحفظ كل امرئ

مفتاح سره ومن أعجب الامور ان اغلاق الدنيا كلما كثرت خزائنها كان أوثق لها الا السر
فانه كلما كثرت خزائنه كان أضيع له وكم من اظهار سر اوراق دم صاحبه ومنع من بلوغ ما آثر به ولو كتمه أمن من سطواته قال انوشير وان من

وتنعت

حُصِنَ سِرُّهُ فَلَهُ بِتَحْصِينِهِ خَصْلَتَانِ الظُّفْرُ بِحَاجَتِهِ وَالسَّلَامَةُ مِنَ السُّطُوتِ وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ سِرُّكَ مِنْ دَمِكَ فَلَا تَجْرَهُ فِي غَيْرِ أَوْ دَاخِلِكَ
فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ فَقَدْ أَرَقْتَهُ وَكَانَ الْعَمَّانُ بْنُ عَمَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَاتِبَ يَقَالُ لَهُ جِرَانٌ (٢١٥) فَاشْتَبَهَ كَيْ عَمَّانٍ فَقَالَ كَتَبَ الْعَهْدَ

بعدى لعبد الرحمن بن عوف
فقال جبران لعبد الرحمن
البشري فقال لعبد الرحمن
لك البشري بما اذا فخره
الخبر فانطلق لعبد الرحمن
فأخبر عثمان فقال عثمان
أعاهد الله أن لا يساكنني
جران أبدا وبقائه الى البصرة
فلم يزل بها حتى قتل عثمان
رضي الله عنه وواعلم ان
كتمان الاسرار يدل على
جواهر الرجال وكما انه لا خير
في آنية لا تمسك ما فيها فلا
خير في انسان لا يمسك سره
ويروي ان رجلا أودع
سره عند رجل فقال له
افهمت قال بل جهات
قال احفظت قال بل نسيت
وقيل لبعضهم كيف كتمك
للسر قال اجدهم الخبر وأحلف
للمستخبر وقال الشاعر
ولو قد درت على كتمان
ما اشتملت
منى الضلوع على الاسرار
والخبر
لكنت أول من ينسى
سرايره
اذ كنت من نشرها يوما
على خطر
قال شيخنا ومن أحسن شيء
سمعت في كتمان السر
ما نشدنيه بعض فقهاء
البصرة بالبصرة فقال
وقاسر ان في الضمير طوبى

ونفقت سوق الاعمال بها أكثر من الاول وكذا في الزيادة الثانية والثالثة لان الاعمال الزائدة كلها
تختص بالترف والغنى بخلاف الاعمال الاصلية التي تختص بالمعاش فالمراد افضل بعمران واحده فضله
بزيادة كسب ورفعه وبعوائده من الترف لا توجد في الاخرة فما كان عمرانه من الامصارا كثيرا او فركان
حال اهله في الترف ابلغ من حال امصر الذي دونه على وتيرة واحدة في الاصناف القاضى مع القاضى والناجر
مع التاجر والصانع مع الصانع والسوقى مع السوقى والامير مع الامير والشرطى مع الشرطى واعتبر ذلك في
المغرب مثلا بحال فاس مع غيرها من امصار الاخرى مثل بجاية وتلمسان وسبتة تجديسها بونا كثيرا على
المجيلة ثم على الخصوصيات فقال القاضى بفاس اوسع من حال القاضى بتلمسان وهكذا كل صنف مع
صنف اهله وكذا ايضا حال تلمسان مع وهران او الجزائر وحال وهران والجزائر مع مادونهما الى أن تنتهى
الى المدائر الذين اعتمدهم في ضروريات معاشهم فقط وبقصر ونحوها وما ذلك الاتفاوت الاعمال فيها
فكانها كلها اسواق للاعمال والمخرج في كل سوق على نسبه فالقاضى بفاس دخله كفاء خروجه وكذا القاضى
بتلمسان وحيث الدخل والمخرج أكثر تكون الاحوال اعظم وهم بفاس أكثر اتفاق سوق الاعمال بما
يدعو اليه الترف فالاحوال اصغرت ثم كذا حال وهران وقسنطينة والجزائر وسكرة حتى تنتهى كما قلناه الى
الامصار التي لا توفى اعمالها بضرورتها ولا تعد في الامصار اذهى من قبيل القرى والمدائر فلذلك تجدد
اهل هذه الامصار الصغيرة ضعفاء الاحوال متقاربين في الفقر والخصاصة لما أن اعمالهم لا تنفي بضرورتهم
ولا يفضل ما يتأثرونه كسبا فلا تنمو وكما سبهم وهم لذلك مساكين محايج الا في الاقل النادر واعتبر ذلك
حتى في احوال الفقراء والسؤال فان السائل بفاس أحسن حالا من السائل بتلمسان أو وهران ولقد شاهدت
بفاس السؤال يسألون أيام الاضاحى عثمان ضخما ياهم ورأيتهم يسألون كثيرا من احوال الترف واقترح
المساكل مثل سؤال اللحم والسمن وعلاج الطبخ والملابس والماءون كالغربال والانية ولو سأل سائل
مثل هذا بتلمسان أو وهران لاستنكر وعنف وزجره يملغنا لهذا العهد عن احوال القاهرة ومصر من الترف
والغنى في عوائدهم ما يقضى منه العجب حتى ان كثيرا من الفقراء بالمغرب ينزعون من النقلة الى مصر
لذلك وما يبلغهم من ان شأن الرفه بمصر اعظم من غيرها وبعقد العامة من الناس ان ذلك لزيادة اثار
في أهل تلك الاقفاق على غيرهم أو اموال مخزنة لديهم وأنهم أكثر صدقة وايتار من جميع أهل الامصار
وليس كذلك وانما هو ما تعرفه من ان عمران مصر والقاهرة أكثر من عمران هذه الامصار التي لديك
فكتمت لذلك احوالهم * وأما حال الدخل والمخرج فتسكف في جميع الامصار متى عظم الدخل عظم
المخرج وبالعكس ومتى عظم الدخل والمخرج اتسعت احوال الساكن ووسع المصير كل شيء يبلغك من
مثل هذا فلا تنكره واعتبره بكثرة العمران وما يكون عنده من كثرة المسكسبة التي يسهل بسببها البذل
والايتار على مبتغيه ومثله بشأن الحيوانات العجم مع بيوت المدينة الواحدة وكيف يختلف احوالها في
هجرانها وغشيانها فان بيوت اهل النعم والثروة والموائد الخصبه منها أكثر بساحتها وأقنيتها بنثر المحبوب
وسواقط القمات فيزدحم عليها غواشي النمل والحشاش ويحلق فوقها عصائب الطيور حتى تروح بطاننا
وتعتملى شبة عاور يا وبيوت اهل الخصاصة والفقراء الكاسدة ارزاقهم لا يسرى بساحتها ديب ولا يحلق
بجوها طائر ولا تاوى الى زوايا بيوتهم فارة ولا هرة كما قال الشاعر

تسقط الظير حيث تلتقط الحب وتغشى منازل الكرماء

فتأمل سر الله تعالى في ذلك واعتبر غاشية الاناسى بغاشية العجم من الحيوانات وقتات الموائد بفضلات

نسى الضمير بانها في طيه وفي معناه * ومستودع سرى كتمت مكانه * عن الحسن خوقان يتم به الحس
وخفت عليه من هوى النفس شهرة * فاودعته في حيث لا تبلغ النفس قال العتي أسرم معاوية رضي الله عنه الى عثمان بن عتبة

حديثا قلت لابي ان امير المؤمنين اسرالى حديثا فحدثك به قال لا من كتم حديثا كان الخياريه ومن اظهره كان الخياريه فلاتجعل نفسك مملوكا بعد ان كنت مالكا قلت (٢١٦) يا ابت افيد دخل هذا بين الرجل وابيه قال لا يا بني ولكن اكره ان تذلل اسانك بانفشاء

الرزق والترف وسهولتها على من يملكها الاستغناء عنهم عنها في الاكثر لوجود امثالها لديهم واعلم ان اتساع الاحوال وكثرة النعم في العمر ان تابع لكثرة وتعالى الله سبحانه وتعالى اعلم وهو غني عن العالمين

١٢ * (فصل في اسعار المدن) *

اعلم ان الاسواق كلها تشتمل على حاجات الناس فيها الضرورى وهى الاقوات من الخنطة وما فى معناها كالباقلا والبصل والثوم واشباهها ومنها المحاجى والكالى مثل الادم والقواكه والملابس والمساكن والمرابك وسائر المصانع والمبانى فاذا اسس تجار المصر وكثرتا كنه رخصت اسعار الضرورى من القوت وما فى معناها وغلت اسعار الكالى من الادم والقواكه وما يتبعها واذ اقل ساكن المصر وضعف عمرانه كان الامر بالعكس والسبب فى ذلك ان المحبوب من ضرورات القوت فتتوفر الدوايحى على اتخاذها ذلك احد لا يهمل قوت نفسه ولا قوت منزله لشهره او سنته فيبيع اتخاذها لاهل المصر اجمع اولا كثر منهم فى ذلك المصر او فيما قرب منه لا بد من ذلك وكل متخذة قوته فنفضل عنه وعن اهل بيته فضلة كبيرة تسد خلة كثير من اهل ذلك المصر فنفضل الاقوات عن اهل المصر من غير شك فترخص اسعارها فى الغالب الا ما يصيبها فى بعض السنين من الاوقات المساوية ولو لا احتكار الناس لها لما يتوقع من تلك الاوقات لمذلت دون ثمن ولا عوض لكثرتها بكثرة العمران واما سائر المرافق من الادم والقواكه وما اليها فانها لا تبيع بها البلوى ولا يستغرق اتخاذها اعمال اهل المصر اجمعين ولا الكثير منهم ثم ان المصر اذا كان مستجيرا موفورا العمران كثير حاجات الترف توفرت حينئذ الدوايحى على طلب المرافق والاسس تكثرت منها كل بحسب حاله فيقصر المصر الموجود منها على الحاجات قصورا بالغا ويكثر المستامون لها وهى قليلة فى نفسها فترد دم اهل الاغراض ويبدل اهل الرفه والترف اثمانها باسراف فى الغلاء لحاجتهم اليها كثر من غيرهم فيقع فيها الغلاء كتره * واما الصنائع والاعمال ايضا فى الامصار الموفورة العمران فسدب الغلاء فيها امور ثلاثة الاول كثرة الحاجة اليها كان الترف فى المصر بكثرة عمرانه والثانى اعتزاز اهل الاعمال بالخدمتهم وامتنان انفسهم لسهولة المعاش فى المدينة بكثرة اقواتها والثالث كثرة حاجاتهم الى امتنان غيرهم والى استعمال الصنائع فى مهنتهم فيبدلون فى ذلك لاهل الاعمال اكثر من قيمة اعمالهم مزاجية ومناصفة فى الاستئثار بها فيتمتع العمال والصنائع واهل الحرف وتغلبوا على اهلهم وتكثر نفقات اهل المصر فى ذلك * واما الامصار الصغيرة والقليلة الساكن فاقواتهم قليلة لقلية العمل فيها وما يتوقعونه لصغر مصرهم من عدم القوت فيتمسكون بما يحصل منه فى ايديهم ويحتكرونه فيعزونه لديهم ويغلو ثمنه على مستامه واما مرافقهم فلان تدعو اليها ايضا حاجبة بقلية الساكن ووضعت الاحوال فلا تنفق لديهم سوقه فيختص بالرخص فى سعره وقد يدخل ايضا فى قيمة الاقوات قيمة ما يعرض عليها من المكوس والمعارم للسلطان فى الاسواق وابواب الحفر والحياة فى منافع وصولها عن البسوات لما يسدبهم وبذلك كانت الاسعار فى الامصار اعلى من الاسعار فى البادية اذ المكوس والمعارم والقراض قليلة لديهم او معدومة وكثرتا فى الامصار لاسيما فى آخر الدولة وقد تدخل ايضا فى قيمة الاقوات قيمة علاجها فى الفلج ويحافظ على ذلك فى اسعارها كما وقع بالاندلس لهذا العهد وذلك انهم لما الجأهم النصارى الى سيف البحر وبلاد المتوعدة الحبيثة الزراعة النكدية والنبات وملكوا عليهم الارض الزاكية والبلد الطيب فاحتاجوا الى علاج المزارع والقطن لاصلاح نباتها وفتحها وكان ذلك العلاج باعمال ذات قيم ومواد من الزبل وغیره لها مونة وصارت فى فلكهم نفقات لها خطر فاعتبروها فى سعرهم واخصت قطر الاندلس بالغلاء منذ اضطرهم

السر قال فحدثت به معاوية فقال اعتقك احمى من رفق الخطا وقيل لبعض الملوكة ما اصعب الاشياء على الانسان قال ان يعرف نفسه ويكتف سره وقال قيس بن الخطيم اجود بمكنون البلاد واننى بسر لك عن سائلى لضنين اذا جا وزلا ثنتين سر فانه يبيت ويكثير الوشاة قين وان ضيع الاقوام سرا فانتى كتوم لاسرار العشير امين يكون له عندي اذا ما ضمته مكان سو يداء القوادم كين قال شيخنا قلت للناس يقولون اراد بالثنتين المودع والمودع ولا يبعدان يريد به الشفتين وكان يقال اصبر الناس من صبر على كتمان سره فلم يبدده لصديقه فيوشك ان يصير عدوا وقد روى فى الحديث عن النبي عليه السلام انه قال اذا حدث الرجل الرجل ثم التفت ففى امانة قلت واذا كانت امانة حرمت فيها الخيانة كالامانة فى الاموال وقال ابو بكر بن حزم انما يتجالس المتجالسان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يقشى على صاحبه ما يكره وقال هشام بن عروة ما من رجل ينتقص من امانته الانتقص ايمانه وقال جعفر بن عثمان يا ذا الذى اودعنى سره * النصارى لا ترجع ان تسعه منى لم اجره قط على فكرنى * كانه لم يجرفى اذنى وكان عمرو بن العاص يقول ما افضيت سرى الى رجل فافشاه

النصارى

على فليته إذا كان صدري أضييق به وقال الاحنف بن قيس يضيق صدرا أحدهم بسره حتى يحدث به ثم يقول اكنمه على وفي مشور
الحكم انقر بسرك ولا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون وأنشدوا (٢١٧) اذا ضاق صدر المرء عن سرفهه *

فصدر الذي يستودع السر

أضييق

وفي مشور الحكم من أفشى

سره كثر عليه المتأمرون

وقال الشاعر

وسرك ما كان عند امرئ

وسر الثلاثة غير الخفي

(وقال آخر)

ولا تنطق بسرك كل سر

اذا ما جاوز الالئين فاشي

(وقال آخر)

تبوح بسرك ضيقه

وتبغى لسرك من يكتم

وكنما لك السر فيماتخاف

وفيما تحاذره أخم

اذا ذاع سررك من مخبر

فانت اذالمته الوم

(وقال آخر)

اذا ضاق صدرك من

حديث

وأفشته الرجال فن تلوم

وان عابت من أفشى

حديثي

وسرى عنده فانا الموم

وقال الحكيم ما كتمته من

عدوك فلا تطلعن عليه

صديقك فان لم يكن لك بد

من اذاعته لقرينة تقتضيه

من صديق مساهم او

استشارة ناصح مسالم فن

صفات أمين الاسرار ان

يكون ذاعقل ودين ونصح

ومروءة فان هذه امور تمنع

من الاذاعة وتوجب حفظ

الامانة ومن كذات فيه

النصارى الى هذا المعمور بالاسلام مع سوا حله الاجل ذلك ويحسب الناس اذا سمعوا بغلاء الاسعار في
قطرهم انها القلة الاقوات والحبوب في أرضهم وليس كذلك فهم اكثر اهل المعمور فلما علمناه واقومهم
عليه وقل ان يخجلون منهم سلطان أو سوقة عن فدان أو مزرعة أو فلاح الاقليل من أهل الصناعات والمهن أو
الطراء على الومان من الغزاة المجاهدين ولهذا يختصم السلطان في عطائهم بالعولة وهي اقواتهم وعلوفاتهم
من الزرع وانما السبب في غلاء اسعر الحبوب عندهم ما ذكرناه ولما كانت بلاد البربر بالعكس من
ذلك في زكاه منابتهم وطيب ارضهم ارتفعت عنهم المئون جملة في الفلح مع كثرته وعمومه فصارت ذلك سببا
لرخص الاقوات ببلادهم والله مقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار لا رب سواه

١٣ * فصل في قصور اهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران *

والسبب في ذلك ان المصر الكثير العمران يكثر ترفه كما قدمناه وتكثر حاجات ساكنه من اجل الترف
وتعداد تلك الحاجات لما بدعوا اليها فنقلب ضرورات وتصريفه الاعمال كلها مع ذلك عزيزة والمرافق
غالية بازديحام الاغراض عليها من اجل الترف وبالمغرم السلطانية التي توضع على الاسواق والبياعات
وتعتبر في قيم المبيعات ويعظم فيها الغلاء في المرافق والاقوات والاعمال فتكثر لذلك نفقات ساكنه كثرة
بالغة على نسبة عمرانه ويعظم خرجه فيحتاج حينئذ الى المال الكثير للنفقة على نفسه وعياله في ضرورات
عيشهم وسائر مؤنهم والبدوى لم يكن دخله كثيرا اذا كان ساكنا كما يمكن كاسد الاسواق في الاعمال التي
هي سبب الكسب فلم يتأثر كسبا ولا مالا لافتة عذر عليه من اجل ذلك سكنى المصر الكبير لغلاء مرافقه
وعزلة حاجاته وهو في بدوه يسد خلته باقل الاعمال لانه قليل عوائد الترف في معاشه وسائر مؤنونه فلا يضطر
الى المسال وكل من يتشوف الى المصر وسكناه من اهل البادية فسر يعاما يظهر عجزه ويقتضخ في استبطانه
الامن يقدم منهم تأثر المال ويحصل له منه فوق الحاجة ويجري الى الغاية الطبيعية لاهل العمران من
الدعة والترف فحينئذ ينتقل الى المصر وينتظم حاله مع احوال اهله في عوائدهم وترفهم وهكذا شأن بداية
عمران الامصار والله بكل شئ محيط

١٤ * فصل في ان الاقطار في اختلاف احوالها بالرفه والفقير مثل الامصار *

(اعلم) ان ما توفر عمرانه من الاقطار وتعددت الامم في جهاته وكثرتا كنه اتسعت احوال اهله وكثرت
اموالهم وامصارهم وعظمت دولهم وممالكهم والسبب في ذلك كله ما ذكرناه من كثرة الاعمال وما
سبأ في ذكره من انها سبب الثروة بما يفضل عنها بعد الوفاء بالضروريات في حاجات الساكن من الفضلة
البالغة على مقدار العمران وكثرت فيعود على الناس كسبا يتأثرونه حسب ما نذكر ذلك في فصل المعاش
وبيان الرزق والكسب فيتميز بداره لذلك وتنسج الاحوال ويحسب الترف والغنى وتكثر الجباية للدولة
بنفاق الاسواق فيكثر مالها ويشمخ سلطانها وتتهن في اتخاذ المعاقل والحصون واختطاط المدن وتشميد
الامصار واعتبر بذلك باقطار المشرق مثل مصر والشام وعراق العجم والهند والصين وناحية الشمال كلها
واقطارها واوراء البحر الرومي لما كثر عمرانها كيف كثر المال فيها وعظمت دولتهم وتعددت مدنهم
وحواضرهم وعظمت متاجرهم وحوالهم فالذي نشاهده في هذا العهد من احوال تجار الامم النصرانية
الواردين على المسلمين بالمغرب في رفههم واتساع احوالهم اكثر من ان يحيط به الوصف وكذا تجار اهل
المشرق وما يبلغنا عن احوالهم وابلغ منها احوال اهل المشرق الاقصى من عراق العجم والهند والصين فانه
يلغنا عنهم في باب الغنى والرفه غرائب تسير الركبمان بحديثها واوربما تلتقي بالانكار في غالب الامر

(٢٨ - ابن خلدون) فهو عتقاء مغرب ولا تودع سررك عند من يستدعيه فان طالب الودية تخائن قال صاحب بن عبد القدوس لا تدع
سر الى طالبه منك والطالب للسر مذيع وفي الجملة اذا زال سررك عن عذبة لسانك فالاذاعة مستولية عليه وان اودعته قلب ناصح محب

فاحتمال مرارة الكتمان على قلبك أسهل عليك من التملل بتمليك سرك غيرك واعلم ان افشاء سر غيرك اخرج من اظهاسر نفسك
 لانه يبرح باحدى وصفتين اما الخيانة (٢١٨) ان كان مؤتمنا او النعمة ان كان مستخبرا وقال بعض الحكماء لابنه يا بني كن جوادا

و بحسب من يسعها من العامة ان ذلك لزيادة في اموالهم اولان المعادن الذهبية والفضية اكثر بارضهم
 اولان ذهب الاقدمين من الامم استأثروا به دون غيرهم وليس كذلك فعند الذهب الذي نعرفه في هذه
 الاقطار انما هو من بلاد السودان وهي الى المغرب اقرب وجميع ما في ارضهم من البضاعة فانهما يجلبونه
 الى غير بلادهم للتجارة فلو كان المال عتية مدام وفور لديهم لما جلبوا بضائعهم الى سواهم يستغنون بها
 الاموال ولا يستغنوا عن اموال الناس بالجملة ولقد ذهب المتجهون لمساروا مثل ذلك واستغروا ما في
 المشرق من كثرة الاحوال واتساعها ووفور اموالها فاقوا بان عطايا الكواكب والسهام في مواليد اهل
 المشرق اكثر منها حصصا في مواليد اهل المغرب وذلك صحيح من جهة المطابقة بين الاحكام النجومية
 والاحوال الارضية كما قلناه وهم انما اعطوا في ذلك السبب النجومي وبقى عليهم ان يعطوا السبب الارضي
 وهو ما ذكرناه من كثرة العمران واختصاصه بارض المشرق واقطاره وكثرة العمران تقيد كثرة الكسب
 بكثرة الاعمال التي هي سببه فلذلك اختص المشرق بالرفعة من بين الاقاليم لان ذلك لجزر الاثر النجومي
 فقد فهمت مما اشترناك اولانه لا يستقل بذلك وان المطابقة بين حكمه وعمران الارض وطبيعته امر لا يد
 منه واعتبر حاله ذا الرفعة من العمران في قطرافه يقيه وبرقة لما خف سكنها وتناقص عمرانها كيف
 تلاشت احوال اهلها وانتهوا الى الفقر والخصاصة وضعفت جباياتها فقلت اموال دولها بعد ان كانت
 دول الشبعة وصنهاجة بها على ما بلغت من الرفعة وكثرة الجبايات واتساع الاحوال في نفقاتهم واعطياتهم
 حتى لقد كانت الاموال ترفع من القبروان الى صاحب مصر لمحا جاته ومهماته وكانت اموال الدولة بحيث
 جعل جوهر الكاتب في سفره الى فتح مصر الف رجل من المال يستعد بها لارزاق الجنود واعطياتهم
 ونفقات الغزاة وقطر المغرب وان كان في القديم دون افر يقية فلم يكن بالنيل في ذلك وكانت احواله
 في دول الموحد من متسعة وجباياته موفورة وهو هذا العهد قد اقتصرت ذلك لتصور العمران فيه وتناقصه
 فقد ذهب من عمران البربر قية اكثر ونقص عن معهوده نقصا ظاهرا محسوسا وكاد ان يلحق في احواله
 بمثل احوال افر يقية بعد ان كان عمرانها متصلا من البحر الرومي الى بلاد السودان في طول ما بين السوس
 الاقصى وبرقة وهي اليوم كلها واكثرها فقار وخلاء وصحارى الاما هو منها بسيف البحر او ما يقارب من
 التلول والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

بالمال في مواضع الحق
 ضئيبا بالاسراع عن جميع
 الخناق فان اجد جود المره
 الاتفاق في وجه البر والنجل
 بكنوم السر وكان يقال
 صدورا الاحراق والاسرار
 وقال الشاعر
 ألم تر ان وشاة الرجا
 ل لا يتركون اديمي صحبا
 فلا نفس سرك الا ايلك
 فان لكل نصيح نصيحا
 * (وقال غيره) *
 ماكل مكثوم يباح به
 احذر اسانك من جوالبه
 ليس الهوى ما كنت
 تعرفه
 ايام تلعب في جوانبه
 هذا هو لوقد فحمت به
 ضحك الحسام الى مضاربه
 * (الباب الرابع والثلاثون
 في بيان الخصلة التي هي
 رهن بسائر الخصال وزعيم
 بالمزيد من النعماء والآلاء
 من ذي الخلال) *

١٥ * (فصل في تأمل العقار والضياع في الامصار وحال فوائدها ومستعلائها) *

(اعلم) ان تأمل العقار والضياع الكثيرة لاهل الامصار والمدن لا يكون دفعة واحدة ولا في عصر واحد
 اذ ليس يكون لاحد منهم من الثروة ما يملك به الاملاك التي تخرج قيمها على الدولو بلغت احوالهم في
 الرفعة ما عسى ان تباع وانما يكون ملكهم وتاثلهم لها تدريجا اما بالوراثة من آباءه وذوي رحمه حتى تتأدى
 املاك الكثيرين منهم الى الواحد دوا كثر لذلك وان يكون بحوالة الاسواق فان العقار في آخر الدولة
 واول الاخرى عند دفناء الحامية وخرق السياج وتداعي المصير الى الخراب تغل الغبطة به لقللة المنفعة فيها
 بتلاشي الاحوال فترخص قيمها وتملك بالاشمان الدسيرة وتخطى بالميراث الى ملك آخر وقد استجد المصير
 شبا به باستفحال الدولة الثانية وانتظمت له احوال راقية حسنة تحصل معها الغبطة في العقار والضياع
 لكثرة منافعها حينئذ فترتفع قيمها ويكون لها خطر لم يكن في الاول وهو هذا معنى الحوالة فيها ويصح
 مالها من اغنى اهل المصرو ليس ذلك بسعيها واكتسابه اذ قدرته تجزع من مثل ذلك واما فوائدها العقار
 والضياع فهي غير كافية لمالكها في حاجات معاشه اذ هي لا تنفي بعوائد الترف والسبابه وانما هي في

وهي الشكر قال الله تعالى
 حكاية عن سليمان عليه
 السلام وقد آتاه الله ملك
 الدنيا والجن والانس
 والطير والوحش والرياح
 تجري بامر كيف اراد
 فلما استمكن ملكه قال
 صلى الله عليه وسلم هذا من
 فضل ربي ليلوني اشكر
 أم أ كفر فاعدها نعمة

كما عدها ملوك الارض ولا حسبها كرامة من الله تعالى عليه كظنهم املوك الارض بل خاف ان تكون
 استدراجا من حيث لا يعلم كما قال تعالى في امة اراد هلاكهم سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وامل لهم ان كيدي متين جاء في النقيب اصيب

الغالب

عليهم النعم وأنسبهم الاستغفار وإنما الفرح بما أوتي من الدنيا والغبطة بزهرتها والاعتقاد بزخرفها من شدة عار الكفار التي ترى إلى قول
قارون للعين إنما أوتيته على علم عندي وكان جوابه ما قال الله تعالى فخسنا به (٢١٩) و بداره الأرض وما خاف سليمان عليه

السلام ان يكون استدرجا
كان جوابه ما قال الله تعالى
هذا عطافا فمن أوامرك
بغير حساب واعلم أرشدك
الله ان الشكر ليس هو
حافظ النعم فقط بل هو مع
حفظه لها زعيم زيادة
النعم وأمان من حلول النقم

الغالب لسد الخلة وضرورة المعاش والذي سمعناه من مشيخة البلدان ان القصص بياقته الملك من العقار
والضياح انما هو الحشية على من يتكبر خلفه من الذرية الضعفاء ليكون مبراهم به ورزقهم فيه ونشؤهم
بفائدته ماداموا عاجزين عن الاكتساب فاذا اقتدر واعلى تحصيل المكاسب وافهم بانفسهم وربما
يكون من الولد من يعجز عن التكسب اضغف في بدنه أو آفة في عقله المعاشي فيكون ذلك العقار قواما
لحاله هذا قصد المترفين في اقتنائهم واما التمول منه واجراء احوال المترفين فلا وقد يحصل ذلك عنه للقليل
او النادر بحوالة الاسواق وحصول الكثرة بالاعتق منه والعالى في جنسه وقيمته في المصير الا ان ذلك اذا
حصل ربما امتدت اليه عين الامراء والولاة واعتصم به وفي الغالب او ارادوه على بيعه منهم ونالت اصحابه
منه مضار ومعاطب والله غالب على أمره وهو رب العرش العظيم

١٦ * (فصل في حاجات المتولين من أهل الامصار إلى الجاه والمدافعة)

والشكر على ثلاث مراتب
شكر بالقلب وشكر
باللسان وشكر بالجوارح
فاما الشكر الواجب على
جميع الخلق فشكر القلب
وهو ان يعلم ان النعمة من
الله وحده ولا نعمة على
الخلق من أهل السموات
والارض الا وبدايتهم ان
الله تعالى حتى يكون
الشكر لله تعالى عن نفسك

وذلك ان الحضري اذا عظم تموله وكثر للعقار والضياح تأتله واصبح اغنى اهل المصرو ومقته العيون بذلك
وانفجعت احواله في الترف والعوائد اذ حرم عليها الامراء والملوك وغصوبه وما في طباع البشر من
العدوان تمتد اعيانهم الى تملك ما بيده وينافسونه فيه ويتحيلون على ذلك بكل ممكن حتى يحصلونه في ربة
حكم سلطاني وسبب من المؤاخذة طاهر ينزع به ماله واكثر الاحكام السلطانية جائرة في الغالب
اذ العدل المحض انما هو في الخلافة الشرعية وهي قلمة اللبث قال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى
ثلاثون سنة ثم تعود ملكا عضوا فلا بد حينئذ لصاحب المال والثروة الشهيرة في العمران من حافية
تذود عنه وجاه ينسحب عليه من ذى قرابة للالب او خاصة له او عصبية يتحاماها السلطان فيستظل بظلمها
ويرتع في أمثام من طوارق التعدي وان لم يكن له ذلك أصبح نهبا بوجوه التخيلات واسباب الحكام والله
يحكم لا معقب لحكمه

١٧ * (فصل في أن الحضارة في الامصار من قبل الدول وانما ترسخ باتباع الدولة ورسوخها)

وعن غيرك بمعرفة نعم الله
تعالى عليك وعلى غيرك
وهذا النوع هو الذي يقال
فيه يجب على العبد ان
يشكر الله على نعمة اسديت
الى غيره والدليل على ان
الشكر محله القلب وهو
المعرفة قوله تعالى وما ينكم
من نعمة فمن الله اي ايقنوا
انهم ان الله والى هذه
الكلمة انتهى جميع
ما قاله الخلق في الشكر
والدليل عليه ايضا قوله
تعالى ولقد نصركم الله ببدر
وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم

والسبب في ذلك ان الحضارة هي احوال عادية زائدة على الضروري من احوال العمران زيادة تتفاوت
بتفاوت الرفه وتفاوت الامم في القلة والكثرة تتفاوت غير منحصر وتقع فيها عند كثرة النعمتين في أنواعها
واصنافها فتكون بمنزلة الصنائع ويحتاج كل صنف منها الى القومة عليه والمهارة فيه وبقدر ما يتزيد من
اصنافها يتزيد اهل صناعاتها ويتلون ذلك الجمل بها ومتى اتصلت الايام وتعاقت تلك الصناعات
حذق اولئك الصنائع في صناعاتهم ومهروا في معرفتها والاعصار بطولها وانقاس امدها وتكرير
امثالها ترزدها السمت كما مورسوخا واكثر ما يقع ذلك في الامصار لاسه تجار العمران وكثرة الرفه في
أهلها وذلك كله انما يجي من قبل الدولة لان الدولة تجتمع أموال الرعية وتنقحها في بطانتها ورجالها
وتنسخ احوالهم بالجاه أكثر من اتساعها بالمال فيكون ذلك الاموال من الرعايا وخرجها في أهل
الدولة ثم فيمن تعلق بهم من أهل المصرو وهم الاكثر فتعظم لذلك ثروتهم ويكثر غناهم وتزيد عوائد
الترف ومذايبهم وتستحکم لديهم الصنائع في سائر فنونه وهذه هي الحضارة ولهذا تجد الامصار التي في
القاصية ولو كانت موفورة العمران تغلب عليها احوال البداءة وتباعد عن الحضارة في جميع مذاهبها
بختلف المدن المتوسطة في الاقطار التي هي مركز الدولة ومقرها وما ذاك الا بحوالة السلطان لهم وفيض
أموالهم فيهم كلما يقرب منهم في اقرب من الارض الى ان ينتهي الى الجوف على البعد وقد قدمنا
ان السلطان والدولة سوق للعالم فالبضائع كلها موجودة في السوق وما قرب منه واذا بعدت عن السوق

تشكرون أي اتقوني فانه شكر نعمتي وخلق الله تعالى الحياة نعمة على العبد قال الله تعالى ثم بعثنا من بعد موتكم لعلكم تشكرون
والعبارة عنه ان يقال الشكر اعتبار القلب بانعام الله تعالى على وجه الخضوع ويقال فيه الشكر اعتراف على بساط الشهود بادامة

حفظ الحرمة وقال أبو عثمان الشكر معرفة التجز عن الشكر وروى ان داود عليه السلام قال الهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمته من عندك فأوحى الله تعالى اليه الا ان (٢٢٠) قد شكرتى وقال وهب بن منبه قال داود عليه السلام الهى ابن آدم ليس منه شعرة

الا وتحتها نعمة وفوقها منك نعمة فمن ابن بكافتها فأوحى الله تعالى اليه يا داود انى أعطى الكثير وأرضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان ما بك من نعمة فى وفى هذا يقال الشكر هلى الشكر اتم الشكر وذلك بان ترى شكرك بتوفيقه ويكون ذلك التوفيق من أجل النعمة فتشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر الى ما لا يتناهى وهذا الشكر أيضا واجب وللمجد والورق اذا كان شكرى نعمة الله نعمة على له فى مثله اوجب الشكر فكيف بلوغ الشكر الا بقضاه وان طالت الايام واتصل العمر اذ امس بالسراة عم سرورها وان امس بالضراء أعقبها الاجر فامنها الاله فيه نعمة تضيق بها الا وهام والسر والجهر ومن أقر بنعم الله واحسانه فقد أقر بقدر ما كاف لان أحد الاله يمكنه ان يوازى شكر نعم الله تعالى وفى مناجاة موسى عليه السلام الهى خذت آدم بيدك وفعلت

افتقدت البضائع جملته ثم انه اذا اتصلت تلك الدولة وتعاقب ملوكها فى ذلك المصرا واحدا بعد واحد استحكمت الحضارة فيهم وزادت رسوخا واعتبر ذلك فى اليرود لما طال ملكهم بالشام نحو ما من ألف وأربعمائة سنة رسخت حضارتهم وخذ قوا فى أحوال المعاش وعوائده والتفنن فى صناعاته من المطاعم والملابس وسائر أحوال المنزل حتى انها لتؤخذ عنهم فى الغالب الى اليوم ورسخت الحضارة أيضا وعوائدها فى الشام منهم ومن دولة الروم بعدهم ستمائة سنة فكانوا فى غاية الحضارة وكذلك أيضا القبط دام ملكهم فى الخبايا ثلثة آلاف من السنين فرسخت عوائد الحضارة فى بلادهم مصر وأعقبهم بها ملك اليونان والروم ثم ملك الاسلام الناسم للكل فلم تزل عوائد الحضارة بها متصلة وكذلك أيضا رسخت عوائد الحضارة باليمن لاتصال دولة العرب بها منذ عهد العمالة والتبابعة آلافا من السنين وأعقبهم ملك مصر وكذلك الحضارة بالعراق لاتصال دولة التبت والفرس بها من لدن الكلدانيين والكمانيين والكسرى وبه والعرب بعدهم آلافا من السنين فلم يكن على وجه الارض لهذا العهد أحضر من أهل الشام والعراق ومصر وكذا أيضا رسخت عوائد الحضارة واستحكمت بالاندلس لاتصال الدولة العظيمة فيها للقوط ثم ما أعقبها من ملك بنى أمية آلافا من السنين وكلتا الدولتين عظيمة فأتصلت فيها عوائد الحضارة واستحكمت وأما افرى بيقية والمغرب فلم يكن بها قبل الاسلام ملك ضخم انما قطع الافرنجة الى افرى بيقية البحر وملكوا الساحل وكانت طاعة البربر أهل الضاحية لهم طاعة غير مستحكمة فكانوا على قلعة وأوفاز وأهل المغرب لم تجاورهم دولة وانما كانوا يعثون بطاعتهم الى القوط من وراء البحر ولما جاء الله بالاسلام وملك العرب افرى بيقية والمغرب لم يلبث فيهم ملك العرب الا قليلا أول الاسلام وكانوا لذلك العهدى فى طور البداوة ومن استقر منهم بافرى بيقية والمغرب لم يجد بها من الحضارة ما يقدر فيه من سلفه اذ كانوا ابرار من نعمتين فى البداوة ثم انتقض برابرة المغرب الاقصى لا قرب العهد وعلى يد ميسرة المطرفى أيام هشام بن عبد الملك ولم يراجعوا امر العرب بعد واسم تقبلوا بامر انفسهم وان بايعوا الادريس فلا تعد دولته فيهم عربى لان البرابرة الذين تولوها ولم يكن من العرب فيها كثير عدو بيقية الاغالبية ومن اليهم من العرب فكان لهم من الحضارة بعض الشيء حاصل لهم من ترف الملك ونعيمه وكثرة عمران القبروان وورث ذلك عنهم كامة ثم صدها حاجة من بعدهم وذلك كله قليل لم يبلغ اربعمائة سنة وانصرفت دواتهم واستحالت صبغة الحضارة بما كانت غير مستحكمة وتغلب بدو العرب الملاليين عليها وخر بوها وبقى أثر حتى من حضارة العمران فيها والى هذا العهد يؤنس فيمن سلف له بالقلعة أو القبروان والمهدي سلف فتجدله من الحضارة فى شؤون منزله وعوائده أحواله آثارا متبسة بغيرها يميزها الحضارى البصير بها وكذا فى أكثر أمصار افرى بيقية وليس ذلك فى المغرب وأمصاره لرسوخ الدولة بافرى بيقية أكثر امدامند عهد الاغالبية والشيعة وصنهاجة وأما المغرب فانتقل اليه منذ دولة الموحدين من الاندلس حظ كبير من الحضارة واستحكمت به عوائدها بما كان لدولتهم من الاستيلاء على بلاد الاندلس وانتقل الكثير من أهلها اليهم طوعا وكرها وكانت من اتساع النطاق ما علمت فكان فيها حظ صالح من الحضارة واستحكمتها ومعظمها من أهل الاندلس ثم انتقل أهل شرق الاندلس عند جالية الصارى الى افرى بيقية فأبوا فيها أيام صاها من الحضارة آثارا ومعظمها بتونس امترجت بحضارة مصر وما ينقله المسافر ون من عوائدها فكان بذلك للمغرب وافرى بيقية حظ صالح من الحضارة عفى عليه الخلاء ورجع على أعقابها وعاد البربر بالمغرب الى أديانهم من البداوة والخشونة وعلى كل حال فآثار الحضارة بافرى بيقية أكثر منها بالمغرب وأمصارها لتداول فيها من الدول السالفة أكثر من المغرب ولقرب

و فعلت فكيف شكرك فقال ان يعلم ان ذلك منى فكان معرفته بذلك شكره الى (فصل) وما اشكر اللسان فقال الله تعالى فيه واما بنعمة ربك فيحدث قبيل يعنى النبوة وقيل يعنى القرآن وحكم الآية عام فى جميع النعم

عوائدهم

وروى النعمان بن بشير ان النبي عليه الصلاة والسلام قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث
بالتعظيم وشكر وقال تعالى حكاية عن أهل الجنة انهم قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده (٢٢١) قال عامل عمر بن عبد العزيز رحمه

الله لما حفر نهر البصرة
الذي يقال له نهر عمراني
حفرت لاهل البصرة نهرًا
عذب لهم مشربه ووجدت
عنه ولم أر لهم على ذلك شكرًا
فان أذنت لي قسمت عليهم
ما أنفقت عليه فكتب
اليه عمر بن عبد العزيز
اني لا أحسب أهل البصرة
خلوا من رجل قال الحمد
لله حين حفر لك هذا النهر
وان الله قد رضيها شكرًا
من جنته فارض بها شكرًا
من نهرك والسلام وحقبة
الشكر في هذا القوم
الثناء على المحسن بذكر
احسانه وعلى هذا القول
يوصف الرب تعالى بانه
شكور وحقبة فشكر
العبد لله ثناؤه عليه بذكر
احسانه وشكر الله للعبد
ثناؤه عليه باحسانه
واحسان الرب للعبد انعامه
عليه وهذه اللفظة مأخوذة
من قولهم دابة شكور اذا
أظهرت من العن فوق
ماتعطي من العلف
ويقال وجهه شكور اذا
كان ممتلئ المحاسن ظاهرها
وفي الحديث يقول الله
تعالى انا والجن والانس
في نبا عظيم أخلق ويعبد
غيري وارزق ويشكر
غيري وقال بعضهم انما

عوائدهم من عوائد أهل مصر بكثرة المترددين بينهم فتعظن لهذا السرفانه خفي عن الناس واعلم انها
أمور متناسبة وهي حال الدولة في القوة والضعف وكثرة الامة او الجبل وعظم المدينة او المصر وكثرة
النعمة واليسار وذلك أن الدولة والمملك صورة الخلية والعمران وكلها مادة لها من الرعايا والامصار
وسائر الاحوال وأموال الجباية عائدة عليهم وييسارهم في الغالب من أسواقهم ومناجرهم واذا أفاض
السلطان عطاؤه وأمواله في أهلها انبثت فيهم ورجعت اليهم ثم اليهم منه فهي ذاهبة عنهم في الجباية والخراج
عائدة عليهم في العطاء فعلى نسبة حال الدولة يكون يسار الرعايا وعلى نسبة يسار الرعايا وكثرتهم يكون مال
الدولة وأصله كله العمران وكثرتة فاعتبره وتأمله في الدول تجده والله يحكم لامعقب الحكمة

١٨ * (فصل في ان الحضارة غاية العمران ونهاية له عمره وانها مؤذنة بفساده) *

قد بينا لك في سالف أن المملك والدولة غاية للعصبة وان الحضارة غاية للبدوة وان العمران كله من
بدوة وحضارة ومملك وسوقه له عمر محسوس كما أن للشخص الواحد من أشخاص المكونات عمر محسوسا
وتبين في المعقول والمنقول أن الاربعين للانسان غاية في تزايد قواه ونموها وأنه اذا بلغ سن الاربعين وقعت
الطبيعة عن اثر النشو والنمو برهة ثم تأخذ بعد ذلك في الانحطاط فاعلم أن الحضارة في العمران أيضا
كذلك لانه غاية لا مزيدا عليها وذلك أن الترف والنعمة اذا حصه لاهل العمران دعاهم بطبعه الى
مذاهب الحضارة والتخاق بعوائدها والحضارة كما علمت هي الترف واستجادة أحواله والسكاف
بالصنائع التي تؤتي من اصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهمة للطبايح أو الملابس أو المبانى أو الفرس
أو الأبنية ولسائر أحوال المنزل وللتأنيق في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج اليها عند البدوة وعدم
التأنيق فيها واذا بلغ التأنيق في هذه الاحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة الشهوات فتتلون النفس من تلك
العوائد بالوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها اذ ما دنيها فلا تستحسب صفة العوائد التي يعسر
ترعها واما دنياها فلكثرة الحاجات والمؤنات التي تطالب بها العوائد ويعجز الكسب عن الوفاء بها وبيانه
ان المصر بالثمن في الحضارة تعظم نفقات اهله والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران فحي كان العمران أكثر
كانت الحضارة أكثر وقد كنا قد منا ان المصر الكثير العمران يختص بالغلاء في أسواقه وأسعار حاجته
ثم تزيد الماكوس غلاء لان الحضارة انما تكون عند انتهاء الدولة في استنقائها وهو زمن وضع
الماكوس في الدول لكثرة خرجها حينئذ كما تقدم والماكوس تعود على البياعات بالغلاء لان السوق والتجار
كلهم يحسبون على سلعهم وبضائعهم جميع ما ينفقونه حتى في مؤنة أنفسهم فيكون المكس لذلك داخلا
في قيم البياعات وأثمانها فتعظم نفقات أهل الحضارة وتخرج عن القصد الى الاسراف ولا يجدون وليجة عن
ذلك ما ملكتهم من أثر العوائد وطاعتها وتذهب مكاسهم كلها في النفقات ويتابعون في الاملاق
والخصاصة ويغلب عليهم الفقر ويقل المستامون للبايع فتكسد الاسواق ويفسد حال المدينة وداعية
ذلك كله افراط الحضارة والترف وهذه مفسدات في المدينة على العموم في الاسواق والعمران واما فساد
أهلها في ذاتهم واحدا واحدا على الخصوص في الكد والتعب في حاجات العوائد والتلون بالوان الشرف في
تحصيلها وما يعود على النفس من الضرر بعد تحصيلها بحصول لون آخر من ألوانها فلذلك يكثرت منهم الفسق
والشر والسفاسة والتخيل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه وتتصرف النفس الى الفكر في
ذلك والغرور عليه واستجماع الحيلة له فتجدهم اجرياء على الكذب والمقاورة والغش والحلافة والسرقة
والنچور في الايمان والرباني البياعات ثم تجدهم ابصر بطرق الفسق ومذاهبه والمجاهرة به وبدواعيه

اني الناس لانهم في موضع صبرهم يحسبون انهم في موضع شكر * (فصل واما الشكر الذي على الجوارح فقال الله تعالى اعملوا آل داود
شكرا اوقليل من عبادي الشكور فجعل العمل شكر او قال عطاء دخلت على عائشة رضي الله عنهما مع عبيد بن عمير فقال لها عبيد يا أم

المؤمنين - يدنيا باعجاب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكبت وقالت وأي شأنه لم يكن عجبانه أناني في ليلة فدخل معي في فراشي حتى مس جلدى جلده (٢٢٢) ثم قال يا ابنة أبي بكر ذري أتعبد لي قالت قلت اني أحب قربك فاذنت له

فقام الى قبره من ماء فتوضأوا كثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء به لال فآذنه بالصلاة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا فلم لا أفعل وقد أنزل علي ان في خلق السموات والارض فعمل النبي عليه الصلاة والسلام الشكر بالعمل وبين به مراد الكتاب قال الله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد ان يذكر أو أراد شكورا أي كل واحد منهما يخلف الآخر فمنه ما عمله في أحدهما عمله في الآخر فجعل الاوراد والاعمال بالجوارح شكرا وروى ان النبي عليه السلام قام حتى انتهت قدماه فقبل يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا وقال أبو هريرة دخلت على ابي حازم فقلت له رجلك الله ما شكر العيين

واطراح الحشمة في الخوض فيه حتى بين الاقارب وذوى المحارم الذين تقتضى البعداوة الحياء منهم في الاقذاع بذلك وتجدهم أيضا يبصر بالملك والحديعة يدفون بذلك ما عساه ينالهم من القهر وما يتوقعونه من العقاب على تلك القبايح حتى يصير ذلك عادة وخلقا لا كثيرهم الا من عصمه الله ويموج ببحر المدينة بالسفلة من أهل الاخلاق الذميمة ويجارهم فيها كثير من ناشئة الدولة وولدانهم عن أهمل عن التأديب وغلب عليه خلق الجواروان كانوا أهل أنساب وبيوتات وذلك أن الناس بشر مماثلون وانما تفاضلوا وتميزوا بالخلق وانساب الفضائل واجتناب الرذائل فن استحكمت فيه صبغة الرذائل باى وجه كان وفسد خلق الخبير فيه لم ينفعه زكاه ونسبه ولا طيب منتهه ولهذا تجد كثير من أعقاب البيوت وذوى الاحساب والاصالة وأهل الدول منظر حين في الغمار منتحلين للحرف الدينية في معاشهم بما فسد من اخلاقهم وما تلونوا به من صبغة الشر والسفاسة واذا كثر ذلك في المدينة او الامة تأذن الله بخرابها وانقراضها وهو معنى قوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا متري فيها ففسدهم واقربا حتى عليها القول فدعنا هاتدميرا ووجهه حينئذ ان مكابهم حينئذ لا تفي بجاجاتهم لكثرة العوائد ومطالبة النفس بها فلا تستقيم احوالهم واذا فسدت احوال الاشخاص واحدا واحدا اختل نظام المدينة وخربت وهذا معنى ما يقوله بعض اهل الخواص ان المدينة اذا كثر فيها غرس النارنج تأذنت بالخراب حتى ان كثير من العامة يتحامي غرس النارنج بالدور وليس المراد ذلك ولا أنه خاصة في النارنج وانما سمعناه ان البساتين واجراء المياه هو من توابح الحضارة ثم ان النارنج والليم والسرور ومانال ذلك مما لا طعم فيه ولا منفعة هو من غاية الحضارة اذ لا يقصد بها في البساتين الأشكال المساقط ولا تغرس الا بعد الثمن في مذهب الترف وهذا هو الطور الذي يخشى معه هلاك المصر وخرابه كما قلناه ولقد قيل مثل ذلك في الدفلى وهو من هذا الباب اذ الدفلى لا يقصد بها الا تلون البساتين بنورها ما بين حجر وأبيض وهو من مذهب الترف * ومن مقاسد الحضارة انهم ماك في الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف فيقع التنفن في شهوات البطن في الماس كل والملاذ ويثب مع ذلك التنفن في شهوات الفرج بانواع المنال كرج من الزنا واللواط فيقضى ذلك الى فساد النوع اما بواسطة اختلاط الانساب كما في الزنا فيجهد كل واحدانه اذ هو غير رشدة لان المياه مختلطة في الارحام فتقتد الشفة الطبيعية على البنين والقيام عليهم فيهدكون ويؤدى ذلك الى انقطاع النوع او يكون فساد النوع كاللواط اذ هو يؤدى الى أن لا يوجد النوع والزنا يؤدى الى عدم ما يوجد منه ولذلك كان مذهب مال كرجه الله في اللواط أظهر من مذهب غيره ودل على أنه أبصر بمقاصد الشريعة واعتبارها المصالح فافهم ذلك واعتبر به ان غاية العمران هي الحضارة والترف وأنه اذا بلغ غايته انقلب الى الفساد واخذ في الهرم كالاعمار الطبيعية للحيوانات بل تقول ان الاخلاق المحاصلة من الحضارة والترف هي عين الفساد لان الانسان انما هو انسان باقتداره على جلب منافع ودفع مضاره واستقامة خلقه للسعي في ذلك والحضري لا يقدر على مباشرة حاجاته اما عجزا ما حصل له من الدعة أو ترفعها ما حصل له من المربي في النعيم والترف وكلا الامرين ذميمة وكذا الايقاد على دفع المضار واستقامة خلقه للسعي في ذلك والحضري بما قد فقد من خلق الانسان بالترف والنعيم في قهر التأديب فهو بذلك عيال على الحاممة التي تدافع عنه ثم هو فاسد ايضا غالبيا ففسدت منه العوائد وطاعتها ما تلونت به النفس من مكائنها كما قررنا في الاقل النادر واذا فسد الانسان في قدرته على أخلاقه ودينه فقد فسدت انسانته وصاروه خذاعا على الحقيقة وبهذا الاعتبار كان الذين يتربون على الحضارة وخلقها موجودين في كل دولة فقتديت من ان الحضارة هي سن الوقوف لعمر

قال اذا رأيت بهم ما خيرا أذعته وان رأيت بهم ما شرته قات له فاشكر الاذنين فقال اذا سمعت بهم ما خيرا العالم حفظه واذا سمعت بهم ما شرته قات فاشكر اليدين قال ان لا تأخذهم بما ليس لك ولا تمنع حق الله تعالى فيهما قات فاشكر

البطن قال ان يكون أسفله صبراً وأعلاه علماً قلت فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لغروهم حافظون الاعلى أرواحهم
او ماملكت أي ما لهم فانهم غير مملومين فان أنت فعلت فانت الشاكر حقاً وفي حكمة (٢٢٣) ادريس عليه السلام ان يستطيع

العالم في العمران والدولة والله سبحانه وتعالى كل يوم في شأن لا يشغله شأن عن شأن

١٩ * (فصل في أن الامصار التي تكون كراسي للملك تخرب بخراب الدولة وانتقاضها) *

قد استقر بنا في العمران ان الدولة اذا اختلت وانتقضت فان المصير الذي يكون كرسى بالسلطانها ينتقض
عمرانه ورمما ينتهي في انتقاضه الى الخراب ولا يكاد ذلك يتخلف والسبب فيه أمور (الاول) ان الدولة
لا يدف في أولها من البداوة المقتضية للتجافي عن أموال الناس والبعدهن التخاذل ويدعو ذلك الى تخفيف
الحباية والمغارم التي منها مادة الدولة فتقل النفقات ويقصر الترف فاذا صار المصير الذي كان كرسى بالملك في
ملكه هذه الدولة المتجددة ونقضت أحوال الترف فيها نقص الترف فمعنى تحت أيديها من أهل المصير لان
الرعيا تبسح للدولة فيرجعون الى خلق الدولة اما طوعا واما في طباع البشر من تقليد متبوعهم او كرها ما
يدعوا اليه خلق الدولة من الانقباض عن الترف في جميع الاحوال وقلة الفوائد التي هي مادة العوائد
فتقصر لذلك حضارة المصير ويذهب منه كثير من عوائده الترف وهو معنى ما نقول في خراب المصير * (الامر
الثاني) * ان الدولة انما يحصل لها الملك والاستيلاء بالغلب وانما يكون بعد العداوة والحروب
والعداوة تقتضي منافاة بين أهل الدولتين وتكثر احداها ما على الاخرى في العوائد والاحول وغلب
احد المنافيين يذهب بالمان في الاخر فتكون احوال الدولة السابقة منكرة عند أهل الدولة
الجديدة ومسبحة وقبيحة وخصوصا احوال الترف فتفقد في عرفهم بنكبر الدولة لما حتى تتشالم
بالندرج عوائد اخرى من الترف فتكون عنها حضارة مسبحة ونافذة وفيما بين ذلك قصور الحضارة الاولى
ونقصها وهو معنى اختلال العمران في المصير * (الامر الثالث) * ان كل امة لا بد لها من وطن هو منشؤهم
ومنه أولية ملكهم واذا ملكوا ملكا آخر صار تبعه للاول وامصاره تابعة لامصار الاول واتسع نطاق الملك
عليهم ولا بد من توسط الكرسى تخوم الممالك التي للدولة لانه شبه المركز للنطاق فيبعدمكانه عن مكان
الكرسى الاول وتهور ائمة الناس اليه من اجل الدولة والسلطان فينقل اليه العمران ويخف من مصر
الكرسى الاول والحضارة انما هي توفر العمران كما قدمناه فتتقص حضارته وتمدده وهو معنى اختلاله
وهذا كما وقع للسلجوقية في عدوهم بكرسيم عن بغداد الى اصبهان وللعرب قبلهم في العدول عن المدائن
الى الكوفة والبصرة ولبنى العباس في العدول عن دمشق الى بغداد ولبنى مرين بالمغرب في العدول عن
مراكش الى فاس وبالجملة فاتخذت الدولة الكرسى في مصر فيحل بعمران الكرسى الاول * (الامر الرابع) *
ان الدولة الثانية لا بد فيها من تبسح أهل الدولة السابقة واشياعها بنحو يلهم الى قصر آخر يؤمن فيه
غائثهم على الدولة وأكثروا أهل المصير الكرسى اشيع الدواة امامن الحامية الذين نزلوا به اول الدولة أو
أعبان المصير لانهم في الغالب مخالطة للدولة على طبقاتهم وتنوع اصنافهم بل أكثرهم ناشئ في الدولة
فهم شيعتها وان لم يكونوا بالشوكة والعصبة فهم بالمدل والحجة والعقيدة وطبيعة الدولة المتجددة نحو
آثار الدولة السابقة فينقلهم من مصر الكرسى الى وطنها الممتكن في ملكها فبعضهم على نوع التغريب
والحبس وبعضهم على نوع الكرامة والمناطف بحيث لا يؤدي الى النفرة حتى لا يبقى في مصر الكرسى
الابداة والمهل من أهل النخ والعياره وسواد العامة وينزل مكانهم حاميتهم واشياعها من يشدبه المصير
واذا ذهب من مصر اعينهم على طبقاتهم نقص ساكنه وهو معنى اختلال عمرانه ثم لا بد من أن يستجد
عمران آخر في ظل الدولة الجديدة وتحصل فيه حضارة اخرى على قدر الدولة وانما ذلك بمثابة من له بيت
على اوصاف مخصوصة فأظهر من قدرته على تغيير تلك الاوصاف واعادة بنائها على ما يختاره ويقترحه

أحدان يشكر الله تعالى
على نعمة بمنزلة الانعام على
خلقه ليكون صانعا الى
الخلق مثل ما صنع به
الخالق تعالى واذا ثبت
ان فعل الطاعات شكر فان
فيها ما هو أشد ملازمة
من غيره فالطاعة في مواساة
الفقراء اشكل بالشكر
على الغني من غيرها لانها
من جنس النعمة فاذا اردت
ان تحرس دوام نعم الله
تعالى عليك فادم مواساة
الفقراء والطاعة في رفع
ذوى الضعفة والنحو
والمسكنة بغير معصية أشبه
بالشكر على رفع قدرك
والتنويه باسمك والطاعة
في تحريم فض الفقراء وتلطيف
أغذيتهم أشبه بالشكر على
العافية من سائر الطاعات
والطاعة في الشفاعات
عند السلطان وقضاء
حوائج الغر باءوا الاخوان
أشبه بذوى الجاه من سائر
الطاعات وعلى هذا المثال
ينبغي ان يقال سائر نعم الله
تعالى على العبد ومن
العبارات الجامعة
للشكر ان يقال معرفة
بالحنان وذكر باللسان وعمل
بالجوارح * (فصل) *
في الكلام على الزيادة
قال الله تعالى انشكرتم

لا يزيدكم فقال قوم انما خاطب الله تعالى بهذا وبقوله ادعوني استجب لكم قوم ادعوني والدليل عليه ان انرى من يشكر على الغني ثم
يتلى بالقرآن ويشكر على العافية ثم يتلى بالمرض والله تعالى لا يتخلف وعده وقال قوم معناه لا يزيدكم نعمة الاخرة فان قيل انما تكون

الزيادة من جنس المزيد عليه فاجابوا ان النعم الدنيوية والاخروية وان تفاضلت واختلفت فكلاهما متجانسة من حيث انها نعمة وقال قوم معناه لا يزيدنكم خيرا ولا خيرا (٢٢٤) والصلاح قد يكون في كثير من الاوقات بالمنع والسقم ونحوهما فان من سأل الله تعالى

ان يعطيه مالا او يصح جسمه وهو يعلم انه ان وهبته المال انفقته في المعاصي او وهبته الصحة صرف صحته الى المشي في الاثم فامنع ههنا موهبة من الله تعالى بجزيلة وعن هذا قال العلماء منع الله تعالى عطا وقال قوم يمكن تقدير الاستثناء فيه اي لئن شكرتم لازيدنكم الا ان تعصوا وافاعابكم بالحرمان فاجعل ذلك كقارة

فيخرب ذلك البيت ثم يعيد بناءه ثانيا او قد وقع من ذلك كثير في الامصار التي هي كراسي للملك وشاهدناه وعلمناه والله يقدر الليل والنهار والسبب الطبيعي الاول في ذلك على الجملة ان الدولة والمال للعميران بمثابة الصورة للمادة وهو الشكل المحافظ بنوعه لوجودها وقد تقرر في علم الحوكمة انه لا يمكن انفكاك احدهما عن الاخر فالدولة دون العمران لا تتصور والعمران دون الدولة والمال متعذر لما في طباع البشر من العدوان الداعي الى الوازع فتتبعين السياسة لذلك اما الشرعية او الملكية وهو معنى الدولة واذا كانا لا ينفكا كانا فاختلال احدهما مؤثر في اختلال الاخر كما ان عدمه مؤثر في عدمه والحال العظيم انما يكون من خلل الدولة الكلية مثل دولة الروم او الفرس او العرب على العموم او بني امية او بني العباس كذلك واما الدولة الشخصية مثل دولة انوشروان او هرقل او عبد الملك بن مروان او الرشيد فاشخاصها متعاقبة على العمران حافظا لوجوده وبقائه وقرينة الشبهة بعضها من بعض فلا تؤثر كثير اختلال لان الدولة بالحقبة الفاعلة في مادة العمران انما هي العصبية والشوكة وهي مستمرة على اشخاص الدولة فاذا ذهبت تلك العصبية ودفعتها عصبية اخرى مؤثرة في العمران ذهبت اهل الشوكة باجمعهم وعظم الحال كما قررناه اولاً والله سبحانه وتعالى اعلم

٢٠ (فصل في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض)

وذلك انه من البين ان اعمال اهل مصر يستدعي بعضها بعضا في طبيعة العمران من التعاون وما يستدعي من الاعمال يختص ببعض اهل مصر فيقومون عليه ويستبصرون في صناعته ويختصون بوظيفته ويجعلون معاشهم فيه وورثته من منه لعموم البلوى به في مصر والحاجة اليه وما لا يستدعي في مصر يكون غفلا اذ لا فائدة لمنخله في الاحتراف به وما يستدعي من ذلك الضرورة المعاش فيوجد في كل مصر كالتجارت والحداود والتجار واماثلها وما يستدعي لعوائد الترف واحواله فلما يوجد في المدن المستبحرة في العمارة الاخذة في عوائد الترف والحضارة مثل الزجاج والصانع والدهان والطباخ والصفار والقراش والذبايح واماثل هذه وهي متفاوتة وبقدر متزايد عوائد الحضارة وتستدعي احوال الترف فتحدث صنائع لذلك النوع فتوجد بذلك مصر دون غيرها ومن هذا الباب الحجارات لانها توجد في الامصار المستحضرة المستبحرة العمران لما يدعوا اليه الترف والغنى من التمتع ولذلك لا تكون في المدن المتوسطة وان نزع بعض الملوك والرؤساء اليها فيختطها ويحجروا احوالها لانها اذا لم تكن لها داعية من كافة الناس فسرعانما تهجر وتخرب وتقرعها القوم لقله فائدتهم ومعاشهم منها والله يقبض ويبسط

٢١ (فصل في وجود العصبية في الامصار وتغلب بعضهم على بعض)

من البين ان الالتحام والاتصال موجد وفي طباع البشر وان لم يكونوا اهل نسب واحد الا انه كما قدمناه اضعف مما يكون في النسب وانه تخصص له العصبية بعضا مما تخصص بالنسب واهل الامصار كثير منهم ملتحمون بالصدر يجذب بعضهم بعضا الى ان يكونوا الحماة وقرابة قرابة وتجد بينهم من العداوة والصدقة ما يكون بين القبائل والعشائر مثله في فقر قونشيه عاصب فاذا نزل الهرم بالدولة وتقلص ظل الدولة عن الناصبية احتاج اهل امصارها الى القيام على امرهم والنظر في حمايتهم بلدهم ورجعوا الى الشورى وتميز العلية عن السفلة والنقوس بطباعها متطاولا الى الغلب والرياسة فتطمع المشيخة من خلفاء الجوم من الساطان والدولة القااهرة الى الاستبداد وابتدع كل صاحبهم ويستوصون بالتباعد من الموالى والشيع والاحلاف ويبدلون ما في ايديهم للاوغاد والاشباب

لكم وهو واصح من ان اعاقبكم في الاخرة والناس لا يسلمون من الذنوب ولو تهايان يسلموا من الذنوب لذرت الزيادات قال الله تعالى ولوانهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت آرجلهم وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين وقال قوم الاية خاصة لا محالة اذ

لو كانت على عمومها لوجب ان لا يموت من شكر على الحماة قال الشيخ قلت ان الله تعالى وعد الزيادة وقوله الحق وقد جعل الله العبادة علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا انه لم يشكر

فاذا رأينا الغنى يشكر الله تعالى بلسانه وماله في نقصان علمنا انه قد اخل بالشكر الذي اخذ عليه امانا ان لا يتركه او يتركه لغير اهله او يؤخره عن وقته او يمنع حقا واجبا عليه فيه من كسوة عريان او اطعام جائع وشبهه فيدخل في قول النبي

فيعصوب

صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل ما أفلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم بترك أدب أو اخلال بحق أو الماس بدين كما قال بعضهم أدنى الشكر أن لا تعصى الله بنعمه فان جوارحك كلها (٢٢٥) من نعم الله تعالى عليك فلا تعصه بها

ويحتمل أن يكون معنى الآية ثنتين شكرتم لا زيدنكم ان شاء الله تعالى انه قال ومن كان يريد حرث الدنيا نؤنه منها وكثير من الخلق يريدون حرث الدنيا ولا يتوون فيكون التقدير نؤنه منها لمن نشاء بدليل قوله في الآية الأخرى عجلناه فيها ما نشاء لمن نريد وهكذا قوله تعالى ادعوني أستجب لكم ثم ان كثيرا من الناس يدعون فلا يستجيب لهم ولكن معنى الآية أستجب لكم ان شئت وان شئت بدليل قوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وهذا من باب حمل المطلق على المقيد قال الجنيذ كنت بين يدي السرى وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت ان لا يعصى الله تعالى بشيء قال يوشك ان يكون حظك من الله لسانك فلا ازال أبكي على هذه الحكمة فان قيل ما معنى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وما تحصل من الأفعال في الوجود يمكن احصاؤه قلنا نعم الله تعالى على وجهين دفع ومنع فالدفع يمكن احصاؤه ودفع البلاء لا يمكن

فيعصو صب كل لصاحبه ويتعين الغلب لبعضهم فيعطف على اكنافه ليقص من اعنتهم وينتبه بهم بالقتل أو التعريب حتى يخضع منهم الشوكات النافذة ويقلم الاظفار الخادشة ويستبد بمصره أجمع ويرى انه قد استحدث ملكا كيوثره عقبه فحدث في ذلك الملك الاصغر ما يحدث في الملك الاعظم من عوارض الحمد والحرم وربما يسوء بعض هؤلاء الى منازع الملوك الاعظام اصحاب القبائل والعشائر والعصبيات والزخوف والحرور والاقطار واما الملك فينتحلون بهامن الجلوس على السرير واتخاذ الآلة واعداد المواكب للسير في اقطار البلاد والتختم والحسبة والخطاب بالتمويل ما يسخر منه من يشاهد احوالهم لما انتحلوه من شارات الملك التي ليسوا بها باهل انما دفعهم الى ذلك تقاص الدولة والتحام بعض القربان حتى صارت عصبية وقد يتبرهن بعضهم عن ذلك ويجري على مذهب السذاجة فرارامن التعريض بنفسه للسخرية والعبث وقد وقع هذا في افراسية في عهد في آخر الدولة الحفصية لاهل بلاد البحر يدمن طراباس وقابس وتوزر ونقطة وقفة وبسكرة والزاب وما الى ذلك سمو الى مثلها عند تقص ظل الدولة عنهم منذ عقود من السنين فاستغلبوا على امصارهم واستبدوا بها على الدولة في الاحكام والجبائية واعطوا طاعة معروفة وصفقة مخرضة واقطعوا حاجبا من الملاينة والملاطفة والاقبياد وهم معزل عنه وأورثوا ذلك اعقابهم لهذا العهد وحدث في خلفهم من الغلظة والتجبر ما يحدث لاقباب الملوك وخلفهم ونظموا انفسهم في اعداد السلاطين على قرب عهدهم بالسوق حتى محاذك مولانا امير المؤمنين ابو العباس وانتزع ما كان بايديهم من ذلك كما نذكره في اخبار الدولة وقد كان مثل ذلك وقع في آخر الدولة الضعافية واستقل بامصار البحر يداهلها واستبدوا على الدولة حتى انتزع ذلك منهم شيخ الموحدين وملكهم عبد المؤمن بن علي ونقلهم كلهم من امارتهم بها الى المغرب ومحام تلك البلاد اثارهم كما نذكر في اخباره وكذا وقع بسنة لاخر دولة بني عبد المؤمن وهذا التغلب يكون غالبا في اهل السروات والبيوتات المرشحة للمشيخة والرياسة في المصر وقد يحدث التغلب لبعض السفلة من الغوغاء والدمماء واذا حصلت له العصبية والاتحام بالاوغاد لاسباب يجرها له المقدر في تغلب على المشيخة والعلوية اذا كانوا قديين للعصابة والله سبحانه وتعالى غالب على أمره

٢٢ * (فصل في لغات اهل الامصار) *

(اعلم) ان لغات اهل الامصار انما تكون بلسان الامة او الجبل الغالب بين عليهما والمختطين لها ولذلك كانت لغات الامصار الاسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد ربيبة وان كان اللسان العربي المضرى قد فسدت ملكته وتغير اعرابه والسبب في ذلك ما وقع للدولة الاسلامية من الغلب على الامم والدين والملة صورة للوجود والملك وكهامة وادله والصورة مقدمة على المسادة والدين انما يستفاد من الشريعة وهي لسان العرب لسان النبي صلى الله عليه وسلم عربي فوجب هجر ما سوى اللسان العربي من اللسان في جميع ممالكها واعتبر ذلك في نهى عمر رضي الله عنه عن بطانة الاعاجم وقال انها خبث ما يكره خديجة فلما هجر الدين اللغات الأجنبية وكان لسان القائلين بالدولة الاسلامية العربية يهاجرت كلها في جميع ممالكها لان الناس تبع للسلطان وعلى دينه فصارت لسان العربي من شعائر الاسلام وطاعة العرب وهجر الامم لغاتهم والسننهم في جميع الامصار والممالك وصار اللسان العربي لسانهم حتى رسخ ذلك لغة في جميع امصارهم ومدنهم وصارت الالسنة العجمية دخيلة فيها وغريبة ثم فسدت اللسان العربي بمخالطتها في بعض احكامه وتغيروا اخره وان كان بقي في الدلالات على اصله وسمى لسانا حاضرا في جميع

(٢٩ - ابن خلدون) احصاؤها وما يدفع الله عنهم مما في مقدوره من ذلك وما يدفع تعالى عن العبد لا يحصى * (فصل) * ثم عدنا الى اقوال العلماء والحكام في الشكر فقال بعض الحكماء موضع الشكر من النعمة موضع القرى من الضيفان وجده لم يرم وان عدده

لم يقيم وأجمعت حكماء العرب والعجم على هذه اللفظة فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد الموجد ووجد المفقود وقالوا مصيبة ووجب
أجرها خير من نعمة لا يؤدى شكرها (٢٢٦) وقال بعض الحكماء من أعطى أربعمائة درهم من النعم لم يمتنع من شكرها ومن

أعطى التوبة لم يمتنع القبول
ومن أعطى الاستخارة لم يمتنع
الحبرة ومن أعطى المشورة
لم يمتنع الصواب وكان يقال
أذاعت النعم بالشكر
فهى أطواق وأذاعت
بالكفر فهى أغلال (قال
حبيب)

نعم أذاعت بشكر لم تزل
نعمان لم تزع فهى
مصائب

(و بعث) الحجاج الى الحسن
بمئتين ألف درهم فقال
الحمد لله الذى ذكرنى

(وقال) على بن ابي طالب
رضى الله عنه لا تكن
من يعجز عن شكر ما أوتى

و يدبغى الزيادة فيما بقى
ينهى ولا ينتهى ويأمر
الناس بما لا يأتى تحب

الصالحين ولا تجعل بأعمالهم
وتبغض المسيئين وأنت
منهم تذكر الموت لكثرة

ذنوبك ولا تدعها فى طول
حياتك وقال المغيرة بن
شعبة اشكر من أنعم عليك

وأنعم على من شكرك فإنه
لابقاء النعمة اذا كفرت
ولا زال لها اذا شكرت

وان الشكر زيادة من النعم
وأمان من النقم (وكان)
الحسن يقول ابن آدم متى

تفك من شكر النعم وانت
مرت بها كلما شكرت نعمة
تجد ذلك بالشكر أعظم منها عليك فانت لا تفك بالشكر من نعمة الى ما هو أعظم منها وقال سفيان لما

أمصار الاسلام وأيضا كثيرا أهل الامصار فى الملة لهذا العهد من اعقاب العرب المالكين لها المالكين
فى ترفها كثيرا والعجم الذين كانوا يورثوا أرضهم وديارهم واللغات متوارثة فبقيت لغة الاعقاب
على حياى لغة الآباء وان فسدت احكامها بمخالطة الاعجم شيئا فشيئا وسميت لغتهم حاضرة منسوبة الى
أهل الحواضر والامصار بخلاف لغة البدو من العرب فانها كانت أعرق فى العروبة ولما تملك العجم
من الديلم والسجوقية بعدهم بالمشرق وزناتة والبربر بالمغرب وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع
الممالك الاسلامية فسد اللسان العربى لذلك وكاد يذهب لولا ما حفظه من عنابة المسلمين بالكاتب والسنة
الذين بهم ما حفظ الدين وصار ذلك مرجحا لبقاء اللغة العربية المضربة من الشعر والكلام الا قليلا
بالامصار فلما ملك التتر والمغل بالمشرق ولم يكونوا على دين الاسلام ذهب ذلك المرجح وفسدت اللغة
العربية على الاطلاق ولم يبق لها رسم فى الممالك الاسلامية بالعراق وخراسان وبلاد فارس وارض
الهند والسند وما وراء النهر وبلاد الشمال وبلاد الروم وذهبت اساليب اللغة العربية من الشعر
والكلام الا قليلا يقع تعليمه صناعيا بالقوانين المتداولة من كلام العرب وحفظ كلامهم لمن يسره الله
تعالى لذلك وربما بقيت اللغة العربية المضربة بمصر والشام والاندلس والمغرب لبقاء الدين طلبا لها
فانحفظت به بعض الشيء وأما فى ممالك العراق وما وراءه فلم يبق له اثر ولا عين حتى ان كتب العلوم صارت
تكتب باللسان العجمى وكذا تدريسه فى المجالس والله اعلم بالصواب

(الفصل الخامس من السكائب الاول)

(فى المعاش ووجوه من الكسب والصنائع وما يعرض فى ذلك كله من الاحوال وفيه مسائل)

(فصل) فى حقيقة الرزق والكسب وشرحه ما وان الكسب هو قيمة الاعمال البشرية * اعلم ان
الانسان مفقود بالطبع الى ما يقوته وسمونه فى حالاته واطواره من لدن نشوه الى أشده الى كبره والله الغنى
وأنت الفقراء والله سبحانه خلق جميع ما فى العالم للانسان وامتن به عليه فى غير ما آتاه من كتابه فقال وسخر
لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه وسخر لكم البحر وسخر لكم الفلك وسخر لكم الانعام وكثير من
شواهد ويدا الانسان مبسوطة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخلاف وايدى البشر منشورة
فهى مشتركة فى ذلك وما حصل عليه يده هذا امتنع عن الاستخلاف بالعبود فالانسان متى اقتدر على نفسه
وتجاوز طور الضعف سعى فى اقتنائه المكاسب لينفق ما آتاه الله منها فى تحصيل حاجاته وضروراته بدفع
الاعراض عنها قال الله تعالى فابتغوا عند الله الرزق وقد يحصل له ذلك بغير سعى كالمطر المصلح للزراعة
وأمثاله الا انها انما تكون معينة ولا بد من سعيها كما يأتى فتكون له تلك المكاسب معاشا ان كانت
بمقدار الضرورة والحاجة وربما شامت ولا ان زادت على ذلك ثم ان ذلك الحاصل او المقتضى ان عادت
منفعة على العبد وحصلت له ثمرته من انفاقه فى مصالحه وحاجاته سعى ذلك رزقا قال صلى الله عليه وسلم
انما لك من مالك ما كنت فاقنت اولدست فاقبلت او تصدقت فامضيت وان لم ينفع به فى شيء من
مصالحه ولا حاجاته فلا يسمى بالنسبة الى المالك رزقا والمتملك منه حينئذ يسعى العبد وقد ربه يسعى
كسبا وهذا مثل التراث فانه يسمى بالنسبة الى المالك كسبا ولا يسمى رزقا اذ لم يحصل به منتفع وبالنسبة
الى الوارثين متى انتفعوا به يسمى رزقا هذا حقيقة مسمى الرزق عند أهل السنة وقد اشترط المعتزلة فى
تسميته رزقا ان يكون بحيث يصح تملكه وما لا يملك عندهم لا يسمى رزقا واخر جو الغصوبات والحرام
كله ان يسمى شيئا منها رزقا والله تعالى يرزق الغاصب والظالم والمؤمن والكافر ويخص برحمته

وهدايته

تجد ذلك بالشكر أعظم منها عليك فانت لا تفك بالشكر من نعمة الى ما هو أعظم منها وقال سفيان لما

جاء البشير الى يعقوب عليه السلام قال على أى دين تركته قال على دين الاسلام قال الحمد لله الذى تمت النعمة (وروى) ان عثمان بن

عقار رضي الله عنه دعى الى قوم يأخذهم على رية فافتروا قبل ان يبلغهم فاعتق عثمان رقية شكر الله تعالى ان لا يكون حرت على يديه فضيحة رجل مسلم (و بروى) ان الحسن بن علي الترم الركن وقال الهى نعمتى (٢٢٧) فلم تجدىنى شاكر او ابتليتى فلم تجدىنى

صابرا فلا انت سلبت
النعمة بتكرك الشكر ولا
انت ادمت النعمة بتكرك
الصبر الهى ما يكون من
الكريم الا الكرم ولا من
الحافى الا الحماؤ وقال عون
ابن عبد الله الحنجرى الذى
لا شرفه الشكر مع العافية
والصبر عند المصيبة
(وروى) ان غزاة قالت
اسلمان بن داود عليه
السلام يا بنى الله انا على
قدرى اشكر الله منك وكان
راكبا على فرس ذلول
ففر عنه ساجدا اشكر الله
ثم قال لولا انى ابحلك لسألتك
ان تنزع عنى ما اعطيتى
(وقال صدقة بن يسار بينا
داود عليه السلام فى محرابه
اذمرت به دودة فتفكر فى
خلقها وقال ما يعبا الله
بخلق هذه فانطقها الله
تعالى فقالت له يا داود
تجيبك نفسك لا تا على
قدر ما آتاني الله اذكر الله
واشكر له منك فيما آتاك
(ولحمود الوراق)
الهى لك الحمد الذى انت
أهله
على نعمة ما كنت منك
له أهلا
متى ازددت تقصير اتزدنى
تفضلا
كانى بالتقصير أستوجب
الفضلا

وهذا يتبعه من يشاء ولهم فى ذلك حجج ليس هذا موضع بسطها ثم اعلم ان الكسب انما يكون بالسعى فى
الاقتناء والقصد الى التخصيب فلا بد فى الرزق من سعى وعمل ولو فى تناوله وابتغائه من وجوهه قال
تعالى فابتغوا عند الله الرزق والسعي اليه انما يكون باقدار الله تعالى والهامة فالكل من عند الله فلا بد
من الاعمال الانسانية فى كل مكسوب ومتمول لانه ان كان عملا بنفسه مثل الصنائع فظاهر وان كان مقتنى
من الحيوان والنبات والمعدن فلا بد فيه من العمل الانسانى كالتراء والالم يحصل ولم يقع به انتفاع ثم ان الله
تعالى خلق الحجر من المعدنين من الذهب والفضة قيمة لكل متمول وهما الذخيرة والقنية لاهل العالم فى
الغالب وان اقتنى سواهما فى بعض الاحيان فانتما هو لقصده تحصيلها بما يقع فى غيرهما من حوالة
الاسواق التى هما عنهما عزل فهما اصل المكاسب والقنية والذخيرة واذا تقررت هذا كله فاعلم ان ما يفيد
الانسان ويقنيه من التمولات ان كان من الصنائع فالماقد المقتنى منه قيمة عماله وهو القصد بالقنية اذ
ليس هناك الا العمل وليس بمقصود بنفسه للقنية وقد يكون مع الصنائع فى بعضها غيرهما مثل التجارة
والحياكة معهما الخشب والغزل الا ان العمل فيهما اكثر فقيمتها اكثر وان كان من غير الصنائع فلا بد فى
قيمة ذلك المفاد والقنية من دخول قيمة العمل الذى حصلت به اذ لولا العمل لم تحصل قنيته او قد تكون
ملاحظة العمل ظاهرة فى الكثير منها فتجعل له حصص من القيمة عظمت او صغرت وقد تجتهد فى ملاحظة
العمل كما فى اعمار الاقوات بين الناس فان اعتبار الاعمال والنفقات فيها ملاحظ فى اعمار الحبوب كما
قدما له لكنه خفى فى الاقطار التى علاج القلع فيها وموتته سيرة فلا يشعر به الا القليل من اهل الفلح فقد
تبين ان المقادير والمكسبات كلها او اكثرها انما هى قيم الاعمال الانسانية وتبين معنى الرزق وانه
المنتفع به فقد بان معنى الكسب والرزق وشرح معهما ما اعلم انه اذا فقدت الاعمال او قلت بانتقاص
العمل ان تأذن الله برفع الكسب الا ترى الى الامصار القليلة الساكن كيف يقل الرزق والكسب فيها او
يقدر لقله الاعمال الانسانية وكذلك الامصار التى يكون عمراؤها كثير يكون اهلها اوسع احوالا واشد
رفاهية كما قدمناه قبل ومن هذا الباب تقول العامة فى البالد اذا تناقص عمرانها انها قد ذهب رزقها حتى
ان الانهار والعيون ينقطع جريها فى القفر لما ان فور العيون انما يكون بالانبات والامراء الذى هو
بالعمل الانسانى كالحال فى ضرور الانعام فى الم يكن انبساط ولا امتراء تضدت وغارت بالجملة كما يحف
الضرع اذ ترك امتراؤه وانظره فى البلاد التى تعهد فيها العيون لا يام عمرانها ثم يأتى عليها الحراب كيف
تغور مياها جملة كأنها لم تكن والله يقدر الليل والنهار

٢ (فصل فى وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه) *

اعلم ان المعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعى فى تحصيله وهو مفعول من العيش كانه لما كان العيش
الذى هو الحياة لا يحصل الا بهذه جماعات موضعا على طريق المبالغة ثم ان تحصيل الرزق وكسبه اما ان
يكون باخذ من يد الغير وانتزاعه بالاقتدار عليه على قانون متعارف ويسمى مغرما وجباية واما ان يكون
من الحيوان الوحشى باقتناصه واخذه برمييه من البر أو البحر ويسمى اصطيادا واما ان يكون من الحيوان
الداجن باستخراج فضوله المنصرفه بين الناس فى مناقعهم كالابن من الانعام والحمر من دوده والعسل
من نخله او يكون من النبات فى الزرع والشجر بالقيام عليه واعداه لاستخراج ثمرته ويسمى هذا كله
فلحا واما ان يكون الكسب من الاعمال الانسانية اما فى مواد معينة وتسمى الصنائع من كتابة وتجارة
وخياطة وجباكة وفروسية واما مثل ذلك او فى مواد غير معينة وهى جميع الامهانات والتصرفات واما ان

(وكان) بعضهم صديق خبيثه السلطان فارس له فقال له صاحبه اشكر الله تعالى فضرب الرجل فكتب اليه اشكر الله تعالى بنى
لحموس مجوسى مبطون قيد فجعل حلقة فى رجله وحلقة فى رجل المجوسى يقوم بالليل مرات ويحتاج هذا الى ان يقوم معه ويقف على رأسه

حتى يفرغ فكذب الى صاحبه فقال اشكر الله تعالى فقال الى متى تقول واي بلاء فوق هذا فقال له صاحبه لو وضع الزنار الذي في وسطه في وسطك كما وضع القيد الذي (٢٢٨) في رجله في رجلك ماذا كنت تصنع ولبعضهم ومن الرزية ان شكرى صامت *

عما فعات وأن برئ ناطق
أرى الصنيعة منك
ثم أسرها
اني اذ انشدى الكريم
لسارق
(وقال) رجل سهل بن
عبدالله ان اللص دخل
داوى واخذ متاعى فقال
اشكر الله تعالى لو دخل
الاص قبلك وهو الشيطان
فاخذ التوحيد ماذا كنت
تصنع (ولما) بشر ادريس
عليه السلام بالمعفرة سأل
المعفرة فقيل له فيه فقال
لاشكره فاني كنت اعمل
قبله للمعفرة فبسط الملك
جناحه فرفعه الى السماء
(ويروى) أن نبيا من
الانبياء عليهم السلام مر
بجحر صخر غير يخرج منه
الماء الكثير فتعجب منه
فانطقه الله تعالى فقال
منذ سمعت الله يقول
وقودها الناس والحجارة
فانا ابكى من خوفه فدعا
النبي عليه السلام ربه
أن يجبره من النار فأوحى
الله تعالى اليه انى أجرته
من النار فخر النبي عليه
السلام ثم عاد فوجد الحجر
يتفجر منه مثل ما كان
فتعجب فانطق الله تعالى
الحجر فقال له لم تبكى فقال
ذلك بكاء المحزن والخوف

يكون الكسب من البضائع واعداها للاعواض اما بالقلب بها في البلاد واحتكارها وارتياب حوالة
الاسواق فيها ويسمى هذا تجارة فهذه وجوه المعاش واصنافه وهى معنى ما ذكره المحققون من اهل الادب
والخدمة كالحجر برى وغيره فانهم قالوا المعاش اماره ومجاره وفلاحة وصناعة فاما الامارة فليست بذهب
طبيعى للمعاش فلا حاجة بنا الى ذكرها وقد تقدم شئ من احوال الجبايات السلطانية واهلها في الفصل
الثانى واما الفلاحة والصناعة والتجارة فهى وجوه طبيعية للمعاش أما الفلاحة فهى متقدمة عليها كلها
بالذات اذ هى بسيطة وطبيعية فطرية لا تحتاج الى نظر ولا علم ولهذا تنسب في الخليفة الى آدم ابى البشر وانه
معلمها والقائم عليها اشارة الى انها قد دم وجوه المعاش وانسبها الى الطبيعة وأما الصناعة فهى ثابته
ومتأخرة عنها لانها مكتبة وعلمية تصرف فيها الافكار والانتظار ولهذا لا توجد غالبا الا في اهل الحضرة الذى
هو متأخر عن البدو وثان عنه ومن هذا المعنى نسبت الى ادريس الاب الثانى للخليفة فانه مستنبطها لمن
بعده من البشر بالوحى من الله تعالى وأما التجارة وان كانت طبيعية فى الكسب فالاص كثر من طرقها
ومذاهبها انما هى تحيلات فى الحصول على ما بين التيمين فى الشراء والبيع التحصل فائدة الكسب من تلك
الفضلة ولذلك اباح الشرع فيه المكاسب لمساكنه من باب المقامرة لانه ليس أخذ المال الغير مجنونا فلماذا
اختص بالمشرعية

٣ * (فصل فى ان الخدمة ليست من المعاش الطبيعى) *

اعلم ان السلطان لا يبدله من اتخذ الخدمه فى سائر ابواب الامارة والمالك الذى هو بسبيله من الجنه
والشرطى والكاتب ويستكنى فى كل باب بمن يعلم غناؤه فيه ويتكفل بارزاقهم من بيت ماله وهذا كله
مندرج فى الامارة ومعاشها اذ كلهم يتسبب عليهم حكم الامارة والمالك الاعظم هو ينبوع جدواولهم وأما
مادون ذلك من الخدمة فسيها ان اكثر المترفين يترفع عن مباشرة حاجاته او يكون عاجزا عن الما رى
عليه من خلق التنعم والترقى فيتخذ من يتولى ذلك له ويقطعه عليه اجرام من ماله وهذه الحالة غير محموده
بحسب الرجولية الطبيعية للانسان اذ الثقة بكل احد عجز ولا نها تردي فى الوظائف والمخرج وتدل على العجز
والخث اللذين ينبغى فى مذاهب الرجولية التزعه عنهم الا ان العوائد تقاب طباع الانسان الى ما لو فيها
فهو ابن عوائده لا ابن نسبه ومع ذلك فالخدم الذى يستكنى به ويوثق بغناؤه كالمفقود اذا الخديم القائم
بذلك لا يعد واربع حالات اما ماضطلع بامرهم وموثوق فيما يحصل بيده واما بالاكس فيهما هو وان يكون
غير مضطلع بامرهم ولا موثوق فيما يحصل بيده واما بالاكس فى احدهما فقط مثل ان يكون مضطلا غير
موثوق او موثوقا غير مضطلع فاما الاول وهو المضطلع الموثوق فلا يمكن احد استعماله بوجه اذ هو
باضطلاعه وثقتة غنى عن اهل الرتب الدنية ومحتقر لئمال الاجرم من الخدمة لاقتداره على اكثر من ذلك
فلا يستعمله الا الامراء اهل الجاه العريض لعموم الحاجة الى الجاه واما الصنف الثانى وهو من ليس
بمضطلع ولا موثوق فلا ينبغى لعاقل استعماله لانه يحجب بخدمته فى الامرين معا فيضيع عليه لعدم
الاصطناع تارة ويذهب ماله بالخيانة اخرى فهو على كل حال على مولاه فهذان الصنفان لا يطمع احد
فى استعمالهما ولم يبق الاستعمال الصنفين الا خرين موثوق غير مضطلع ومضطلع غير موثوق وللناس
فى الترجيح بينهما مذهبان ولكل من الترجحين وجه الا ان المضطلع ولو كان غير موثوق أرجح لانه يؤمن
من تضيقه ويحاول على التحرز من خيانتة جهه الاستطاعة واما المضيق ولو كان مأمونا فضرره بالتضيق
اكثر من نفعه فاعلم ذلك واتخذ قانونا فى الاستكفاء بالخدمة والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

فصل

وهذا بكاء الشكر والسرور وروى ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ارحم عبادى المبتهلى

والمعاني فقال الهى ما بال المعاني فقال لقلته شكرهم على عافيتى اياهم وبالرجل اعرايا بلاء حسنا فقال لا ابلا الله بلاء يعجز عنه صبرك

وانعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك (وانشد بعضهم) سأشكر لاني اجازيك منعماً * بشكري ولكن كي يرى ذلك الشكر
واذ كرايا مالدی اصطنعتها * واخر ما يبقى على الشاكر الذكر * (وانشدوا) * (٢٢٩) اوليتي نعم ابو ح بشكرها *

وكفيتني كل الامور باسرها
فلاشكرنك ما حبيت
وان امت

فلاشكرنك اعظمي في قبرها
* (ولبعض الاعراب) *
الهي قد احسنت عودا
وبداة

الى فلم ينهض باحسانك
الشكر
فمن كان ذاع ذرديك ووجهة
فعدري اقرارى بان ليس
لى عذر

(وكان) مطرف يقول
الهي منك تكون النعمة
وعليك تمامها وانت
تعين على شكرها وعليتك
نوابها وهذا باب عظيم من
النعيم على العباد وقد اتى
الله على بعض عباده فقال
انه كان عبداً شكورا

(وقال) تعالى شاكر الانعمة
اجتباؤه وكذلك ساثر ما اتى
الله تعالى به على عباده ثم
قال فمن شكر فانا يشكر
لنفسه ومن تركي فانا
يتركي لنفسه ان احسنتم
احسنتم لانفسكم ليس للرب
تعالى فيها الا قليل ولا كثير
فانه اجل من ان ينال
المخطوظ واجل من ان
يلحقه ثناء من اوشكر
شاكر فاخبر ان العلو
والجلال له دونهم وانه
يتقدس عن الناس ثناء

٤ * (فصل في ان ابتغاء الاموال من الدفائن والسكنوفليس بمعاش طبيعي) *

اعلم ان كثير من ضغفاء العقول في الامصار يحرضون على استخراج الاموال من تحت الارض ويتبعون
الكسب من ذلك ويعتقدون ان اموال الامم السالفة مخزنة كلها تحت الارض محتوم عليها كلها
بطلاسم سحرية لا يقص ختامها ذلك الامن عثر على علمه واستحضر ما يحمله من الخور والدعاء والقربان
فاهل الامصار بافر بقرية يرون ان الافرنجة الذين كانوا قبل الاسلام يهاذقوا اموالهم كذلك وادعوا في
الحرف بالسكب الى ان يجدوا السبيل الى استخراجها واهل الامصار بالمشرق يرون مثل ذلك في اعم القبط
والروم والفرس ويتناقلون في ذلك احاديث تشبه حديث خرافة من انتهت بعض الطالبين لذلك الى حفر
موضع المال لمن لم يعرف طلسمه ولا خبره فيجدونه خاليا ومعروبا باليدان او يشاهد الاموال والجواهر
موضوعة والحرس دونها منتضين سيوفهم ويمتد به الارض حتى يظنه خسفاً او مثل ذلك من الهدر ونجد
كثيرا من طلبة البر بالمرغرب العاجزين عن المعاش الطبيعي واسبابه يتقربون الى اهل الدنيا بالاوراق
المنخرمة الحواشي اما بخطوط عجمية او بما ترجم بزعمهم منها من خطوط اهل الدفائن باعطاء الامارات
عياها في اما كنها يتبعون بذلك الرزق منهم بما يبعثونهم على الحفر والطلب ويموهون عليهم بانهم انما حفرهم
على الاستعانة بهم طالب الجاه في مثل هذا من منال الحكام والعقوبات وربما تكون عند بعضهم نادرة
او غريبة من الاعمال السحرية يتوهبها على تصديق ما بقي من دعواه وهو بمنزل عن السحر وطرقه فتولع
كثير من ضغفاء العقول بجمع الايدي على الاحتقار والتسترفه بظلمات الليل مخافة الرقباء وعيون اهل
الدول فاذا لم يعثر وا على شيء رددوا ذلك الى الجهل بالطلسم الذي ختم به على ذلك المال يخادعون به انفسهم
عن اخفاق مطامعهم والذي يحمل على ذلك في الغالب زيادة على ضعف العقل انما هو الجهل عن طلب
المعاش بالوجوه الطبيعية للكسب من التجارة والفلح والصناعة فيطلبونه بالوجوه المنخرقة وعلى غير المجري
الطبيعي من هذا وامثاله عجز عن السعي في المكاسب وركونا الى تناول الرزق من غير تعب ولا نصب
في تحصيله واكتسابه ولا يعلمون انهم يوقعون انفسهم بابتغاء ذلك من غير وجهه في نصب ومتاعب
وجهد شديد اشدهن الاول ويعرضون انفسهم مع ذلك لثال العقوبات وربما يحمل على ذلك في الاكثر
زيادة الترف وعوائده وخر وجهه عن حد النهاية حتى يقصر عنها وجوه الكسب ومذاهبه ولا تبقى بمطالبها
فاذا عجز عن الكسب بالمجري الطبيعي لم يجد وليجة في نفسه الا التمني لوجود المال العظيم دفعة من غير
كلفة ليني له ذلك بالعوائد التي حصل في اسرها فيحرص على ابتغاء ذلك ويسعى فيه جهده ولهذا فاكثر من
تراهم يحرضون على ذلك هم المترفون من اهل الدولة ومن سكان الامصار الكثرة الترف المنسمة
الاحوال مثل مصر وما في معناها فتجد الكثير منهم مغرمين بابتغاء ذلك وتحصيله ومساءلة الركب ان عن
شواذه كما يحرضون على الكيمياء هكذا بلغني عن اهل مصر في مفاوضة من يلقونه من طلبة المغار بقولهم
يعثرون منه على دفين او كنز يزيدون على ذلك البحث عن تغوير المياه لسائر وان غالب هذه
الاموال الدفينة كلها في مجارى النيل وانه اعظم ما يسترد فبنا ونحترقنا في تلك الافاق ويموه عليهم
اصحاب تلك الدفاتر المقتولة في الاعتذار عن الوصول اليها بجزية التبل تستر بذلك من الكذب حتى يحصل
على معاشه فيحرص سامع ذلك منهم على نضوب الماء بالاعمال السحرية لتحصيل مبتغاه من هذه كفا
بشأن السحر متوارثا في ذلك القطر عن اوليه فعلمهم السحرية وآثارها باقية بارضهم في البراري وغيرها
وقصة سحره فرعون شاهدة باختصاصهم بذلك وقد تناقل اهل المغرب قصة ينسبونهم الى حكاه

ممن او كفر كافر قال الله تعالى يدعوك ليعفركم فواجبا اعطى ثم اتى وقال على رضى الله عنه كفر النعمة داعية المقت ومن جازلك
بالشكر فقد اعطاك اكثر مما اخذ منك وحقين بمن اسديت اليه نعمة او قضيت له حاجة ان يكافئ فان لم يقدر فليشكر فان شكره فقد

أدى حقه (قال الشاعر)

فلو كان يستغني عن الشكر ماجد * لرفعة حال أو علو مكان

فقال اشكروني أيها الثقلان * (وقال البستي) * (٢٣٠) لئن عجزت عن شكر برك قوتي * وأقوى الوري عن شكر برك عاجز

فان ثنائى واعتقادى وطاعى

لا فلاك ما اوليته مراكز

وقال اسحق بن ابراهيم

الموصلى وقفت علينا امرأة

فقال يا قوم تغير علينا

الدهر اذ قل منا الشكر

وفارقنا الغنى وحالفنا

الفقر فرحم الله امرأهم

بعقل واعطى من فضل

وواسى من كفاف واعان

على عفاف (وانشدوا)

فلو كان للشكر شخص يمين

اذا مات تأمله الناظر

لمثله للحتى تراه

فتعلم انى امرؤ شاكر

ولكنه ساكن فى الضمير

يحركه الكلم السائر

(وقيل) لكسرى ما الشكر

فقال المكافاة على قدر

الطاعة قبل فبالكفر

قال ترك الجزاء ولو بالثناء

قبل وهل يكون أحد

أجل عن يتخل بالثناء قال

نعم من عادى على الصنعة

(الباب الخامس والثلاثون

فى بيان السيرة التى يصلح

عليها الامير والمأمور

ويستريح اليها الرئيس

والمرؤس مستخرجة من

القرآن العظيم) * قال الله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحه الا ام امثالكم

المشرق تعطى فيها كقيمة العمل بالتغوير بصناعة سحرية حسب ما تراه فيها وهى هذه

يا طالب السرى للتغوير * اسمع كلام الصدق من خبير

دع عنك ما قد صنعوا فى كتبهم * من قول بهتان ولفظ غرور

واسمع لصدق مقالتي ونصيحتي * ان كنت ممن لا يرى بالزور

فاذا اردت تغوير البئر التى * حارت لها الا وهام فى التدبير

صور كصورتك التى اوقفها * والرأس رأس الشبل فى التقوير

ويدها ما ساكن للجبل الذى * فى الدلو ينشل من قرار البير

وبصدره هاء كما عاينتها * عدد الطلاق احذر من التكرير

ويطأ على الطأ تغير ملامس * مشى اللبيب الكيس التكرير

ويكون حول الكل خطاثر * تربيعه أولى من التكرير

واذبح عليه الطير والطعم به * واقصده عقب الذبح بالتبغير

بالسندروس وباللبان ومبعة * والقسط والبدسه بنوب حرير

من احمر اواصفه لآزرق * لا اخضر فيه ولا تكدير

ويشده خيطان صوف ابيض * او احمر من خالص التخمير

والطالع الاسد الذى قد بينوا * ويكون بدء الشهر غير منير

والبدن متصل بسعد عطارد * فى يوم سبت ساعة التدبير

يعنى ان تكون الطأ تبين قدميه كأنه يشى عليها وعندى ان هذه القصيدة من تمويهات المتخرفين فلهم

فى ذلك احوال غريبة واصطلاحات عجيبه وتتمشى التخرفة والكذب بهم الى أن يسكنوا المنازل المشهورة

والدور المعروفة لثمة هذه ويحتمرون الحفرو يصفون المطابق فيها والشواهد التى يكتبونها فى صحائف

كذبهم ثم يقصدون ضغفاء العقول بامثال هذه الصحائف ويؤمنون على اكثر ذلك المتزل وسكناء

ويؤمنون أن به دفينان المال لا يعبر عن كثرته ويطلبون بالمال لا شتره العفاقير والبخورات لمحل

الطالسم ويعدونه بظهور الشواهد التى قد اعدوها هنا لك بانفسهم ومن فعلهم فيذبح لمسايراه من ذلك

وهو قد خدع وابس عليه من حيث لا يشعر وبيتهم فى ذلك اصطلاح فى كلامهم يلبسون به عليهم ليخفى

عند محاورتهم فيما يتلونه من حفر وخبور وذبج حيوان وامثال ذلك واما الكلام فى ذلك على الحقيقة فلا

اصل له فى علم ولا خبر واعلم أن الكنوز وان كانت توجد كنهان فى حكم النادر على وجه الانفاق لا على وجه

القصد اليها وليس ذلك ما يرتع به البلوى حتى يدخر الناس اموالهم تحت الارض ويختتمون عليها بالطالسم

لا فى القديم ولا فى الحديث والركاز الذى ورد فى الحديث وفرضه الفقهاء وهو دفين الجاهلية انما يوجد

بالعنور والانفاق لا بالقصد والطلب وايضا فى اختزن ماله وختم عليه بالاعمال السحرية فقد بالغ فى

اخفائه فكيف ينصب عليه الادلة والامارات لمن يدتبعه ويكتب ذلك فى الصحائف حتى يطالع على ذخيره

اهل الاعصار والافاق هذا يناقض قصد الاخفاء وايضا فافعال العقلاء لا بد وأن تكون لغرض مقصود

فى الانتفاع ومن اختزن المال فانه يختزنه لولده او قريبه او من يؤثره واما ان يقصد اخفائه بالكلية عن كل

أحد وانما هو للبلع والاعمال الكلبة من سيأتى من الامم فهذا ليس من مقاصد العقلاء

بوجهه * واما قولهم ابن اء والامم من قبلنا وما علم فيها من الكثرة والوفور فاعلم أن الاموال من الذهب

والفضة

فانبت الله تعالى المماثلة بيننا وبين سائر البهائم ومعلوم انهم لا يماثلوننا فى خلقنا واشكالنا وسائر ما تدركه العين منهم ومن انبغى المماثلة فى الاخلاق فلا احد من الخلق الا وفيه خلق من اخلاق البهائم ولهذا تجد اخلاق الخلائق مختلفة فاذا

وأيت من الانسان خلقا خارجا عن الاعتدال فابصر ما يماثل ذلك الخلق من خالق سائر الحيوان فالحمقه به وعامله كما كنت تعامله فحينئذ
تستر ينج من منازعتهم ويستريحون منك وتدوم العجبة فاذا رأينا الرجل الجاهل في خلواته (٢٣١) الغليظ في طباعه القوي في بدنه

لا يؤمن طغيانه وافرطه
فالحمقه بعالم النور والعرب
تقول اجهل من غروانت
اذا رأيت النمر بعدت
عنه ولم تخصمه ولا تسابه
فاسلك بالرجل كذلك
واذا رأيت الرجل الغالب
على أخلاقه السرقة خفية
والنقب لبلا على وجه
الاستسار قتلنا هذا يماثل
عالم الجرد فدع ملاحظته
ومخاضته كما تدع سباب
الجرد اذا أفسد رجليك ثم
أحى رجليك بما يصح له
واذا رأيت هجاما على
اعراض الناس وثلبهم
فقد ماثل عالم الكلاب
فان دأب الكلاب ان
يحفو من لا يحقوه ويتندى
بالاذية من لا يؤذيه فعامله
بما كنت تعامل به الكلاب

والفضة والجواهر والامتعته انما هي معادن ومكاسب مثل الحديد والنحاس والرصاص وسائر العقارات
والمعادن والعمران يظهرها بالاعمال الانسانية ويزيد فيها وينقصها وما يوجد منها بأيدي الناس فهو
متناقل متوارث وربما انتقل من قطر الى قطر ومن دولة الى اخرى بحسب اغراضه والعمران الذي
يسعد مدعى له فان نقص المال في المغرب وافر ببقية فلم ينقص ببلاد الصقالبه والا فرنج وان نقص في مصر
والشام فلم ينقص في الهند والصين وانما هي الآلات والمكاسب والعمران يوفرها أو ينقصها مع أن
المعادن يدركها البلاء كما يدرك سائر الموجودات ويسرع الى اللؤلؤ والجوهر أعظم مما يسرع الى غيره
وكذا الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير ينالها من البلاء والفناء ما يذهب باعبانها
لا قرب وقت وأما ما وقع في مصر من أمر المطالب والكنوز فسيببه ان مصر في ملكة القبط منذ آلاف
او يزيد من السنين وكان متاهم يدفنون بوجودهم من الذهب والفضة والجوهر واللائي على مذهب
من تقدم من أهل الدول فلما انتقضت دولة القبط وملك الفرس بلادهم نقر واعلى ذلك في قبورهم
وكشف قواعنه فأخذوا من قبورهم ما لا يوصف كالأهرام من قبور الملوك وغيرها وكذا فعل اليونانيون
من بعددهم وصارت قبورهم مظنة لذلك لهذا العهد ويعثرون على الدفن فيها في كثير من الاوقات اما
ما يدفنونه من أموالهم او ما يكرمون به موتاهم في الدفن من أوعية وتوابيت من الذهب والفضة معدة
لذلك فصارت قبور القبط منذ آلاف من السنين مظنة لوجود ذلك فيها فالدلك عنى أهل مصر بالبحث عن
المطالب لوجود ذلك فيها واستخراجها حتى اتهم حين ضربت المكوس على الاصناف آخر الدولة ضربت
على أهل المطالب وصدرت ضريبة على من يشتغل بذلك من المحقق والمهوسين فوجد بذلك المتعاطون
من أهل الاطماع الذريعة الى الكشف عنه والذرع باستخراجه وما حصلوا الاعلى الخبيثة في جميع
مساعيهم نعوذ بالله من الحسرة ان يحتاج من وقع له شيء من هذا الوسواس والتبلى به ان يتعوذ بالله من العجز
والكسل في طلب معاشه كما تعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينصرف عن طرق الشيطان
ووسواسه ولا يشغل نفسه بالمحالات والمكاذب من الحكايات والله يرزق من يشاء بغير حساب

• (فصل في أن الجاه مفيد للمال) •

وذلك ان الجاه صاحب المال والحظوة في جميع اصناف المعاش أكثر يسارا وثروة من فاقد الجاه والسبب
في ذلك ان صاحب الجاه محذور بالاعمال يتقرب بها اليه في سبيل التراف والمجاورة الى جاهه فالتناس
معينون له باعمالهم في جميع حاجاته من ضروري او حاجي او كمالى فتحصل قيم تلك الاعمال كلها من
كسبه وجميع ماشأه ان تبدل فيه الاعراض من العمل يستعمل فيها الناس من غير عوض فتوفر قيم
تلك الاعمال عليه فهو بين قيم الاعمال يكتمس بها وقيم اخرى تدعوه الضرورة الى اخراجها فتتوفر عليه
والاعمال لصاحب الجاه كثيرة فتقيد الغنى لا قرب وقت ويزداد مع الايام يسارا وثروة ولهذا المعنى كانت
الامارة احدى اسباب المعاش كما قدمناه وفاقد الجاه بالكلية ولو كان صاحب مال فلا يكون يساره الا بقدر
ماله وعلى نسبة تسعيه وهو لا يهتم أكثر التجار ولهذا تجد أهل الجاه منهم يكونون ايسر بكثير مما يشهد
لذلك ان تجد كثير من الفقهاء وأهل الدين والعبادة اذا اشتت رحسن الظن بهم واعتقدوا الجهور معاملته الله
في ارفادهم فأخلص الناس في اعانتهم على احوال دنياهم والاعتماد في مصالحتهم أسرع اليهم الثروة
واصبحوا مياسير من غير مال مقبتي الا ما يحصل لهم من قيم الاعمال التي وقعت المعونة بها من الناس لهم
رايت ان ذلك اعداد في الامصار والمدن وفي البدوي سعى لهم الناس في الفلح والتجر وكل قاعد بمنزله لا يبرح

اذا انجلك ألت تذهب
في شأنك ولا تخصصه ولا
تسبه فافعل بمن يهتضم
عرضك مثل ذلك واذا
رايت انسانا قد جبل على
الخلاف ان قلت لا قال نعم
وان قلت نعم قال لا فالحمقه
بعالم الخبير فان دأب الخبير
ان اذنيته بعدوان ابعديه
قرب وانت تستمع بالخيار
ولا تسبه ولا تفارقه فاستمع
ايضا بهذا الانسان ولا تسبه
ولا تفارقه واذا رأيت رجلا

يطلب عثرات الناس ومقطعاتهم فخله في الآدميين كمثل الذباب في عالم الطير فان الذباب يقع على الجسد فيتحامى صحيحه ويطلب المواضع
الثقل منه وذوات المادة والدم والنجاسة واذا بلت بسطان يهجم على الاموال والارواح فالحمقه بعالم الاسود وخذ جذرك منه كما تأخذ جذرك

من الاسد وليس الاثر بـ منه كما قال النابغة * ولا قرار على زار من الاسد * واذا بلت بانسان خبيث كثير الروغان والمناخرة فالحمقة
بعالم الثعالب واذا بلت بمن عيشي (٢٣٢) بالناسم و يفرق بين الاحبة فالحمقة بعالم الظربان وهي دابة صغيرة تقول العرب عند

من مكانه فينمو ماله و يعظم كسبه و يتأمل الغنى من غير سعي و يعجب من لا يقطن لهذا السر في حال ثروته
وأسباب غناه و يساره والله سبحانه و تعالى يرزق من يشاء بغير حساب

٦ * (فصل في أن السعادة والكسب إنما يحصل غالباً لأهل الخسوع

والتخلق وان هذا الخلق من أسباب السعادة) *

قد سلف لنا فيما سبق ان الكسب الذي يستقيده البشر إنما هو قيم اعمالهم ولو قدر احد عطل عن العمل
جملة لمكان فاقد الكسب بالكلية وعلى قدر عمله وشره بين الاعمال و حاجة الناس اليه يكون قدر قيمته
وعلى نسبة ذلك نمو كسبه او نقصانه وقد بينا آنفاً ان الجاه يفيد المال لما يحصل لصاحبه من تقرب الناس
اليه باعمالهم وأمورهم في دفع المضار وجلب المنافع وكان ما يتقربون به من عمل أو مال أو ضاعفا
يحصلون عليه بسبب الجاه من الاغراض في صالح أو طالح وتصير تلك الاعمال في كسبه و قيمتها أموال
و ثروته فيستفيد الغنى واليسار لا قرب وقت ثم ان الجاه متوزع في الناس و مترتب فيهم طبقة بعد طبقة
يتنهي في العلوى المملوك الذين ليس فوقهم يد عالية وفي السفلى الى من لا يملك ضرا ولا نفعا بين أبناء جنسه
و بين ذلك طبقات متعددة بحكمة الله في خلقه بما ينظم معاشهم و تيسر مصالحهم و يتم بقاؤهم لان
النوع الانساني لا يتم وجوده الا بالتعاون و أنه وان ندر في ذلك في صورة مفروضة لا يصح بقاؤه ثم ان
هذا التعاون لا يحصل الا بالاكرام عليه لجعلهم في الاكثر بمصالح النوع و لما جعل لهم من الاختيار وان
افعالهم إنما تصدر بالفكر والروية لا بالطبع وقد تمتنع من المعاونة فبتمتع جملته عليها فلا بد من حامل يكره
ابناء النوع على مصالحهم تتم الحكمة الالهية في بقاء هذا النوع وهذا معنى قوله تعالى ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وورثة ربك خيرا مما يحمعون فقد تبين ان الجاه هو القدرة
الحاملة للبشر على التصرف فيمن تحت أيديهم من أبناء جنسه هم بالاذن والمنع والتسلط بالقهر والغلبة
ليجملهم على دفع مضارهم وجلب منافعهم في العدل باحكام الشرائع والسياسة وعلى اغراضه فيما سوى
ذلك ولكن الاول مقصود في العناية بالبانية بالذات والثاني داخل فيها بالعرض كسائر الشرور والداخلية في
القضاء الالهى لانه قد لا يتم وجود الخير الكثير الا بوجود شر يسير من اجل المواد فلا يقوت الخير بذلك
بل يقع على ما ينطوى عليه من الشر اليسير وهذا معنى وقوع الظلم في الخليفة فتعهم ثم ان كل طبقة من
طباق اهل العمران من مدينة او اقليم لها قدرة على من درتها من الطباق وكل واحد من الطبقة السفلى
يستمد بذى الجاه من اهل الطبقة التي فوقه و يزداد كسبه تصرفا فيمن تحت يده على قدر ما يستقيده منه
والجاه على ذلك داخل على الناس في جميع أبواب المعاش و يتسع و يضيق بحسب الطبقة والطور الذي فيه
صاحبه فان كان الجاه منسعا كان الكسب الناشئ عنه كذلك وان كان ضيقا قلدا لانه و فاقد الجاه وان
كان له مال فلا يكون يساره الا بمقدار عمله أو ماله ونسبة سعيه ذاهبا و آتيا في تنميته كما كثر التجار و اهل
الفلاحة في الغالب و اهل الصنائع كذلك اذا فقدوا الجاه واقتصر و اعلى فواتد صنائعهم فانهم يصيرون الى
الفقر والخصاصة في الاكثر ولا تسرع اليهم ثروة وانما يرمقون العيش ترميقا و يدافعون ضرورة الفقر
مدافعة و اذا تقرر ذلك وان الجاه متفرع وان السعادة و الخير مقترنان بحصوله علمت ان بذله و افادته من
اعظم النعم واجلها وان باذله من اجل المتعمرين وانما يبذله لمن تحت يديه فيكون بذله بدعا عالية و عزة
فيحتاج طالبه و مبتغيه الى خضوع و تعلق كما يسأل اهل العز و المملوك و الاقنية مذكر حصوله فلذلك قلنا ان
الخسوع و التعلق من أسباب حصول هذا الجاه المحصل للسعادة و الكسب وان اكثر اهل الثروة و السعادة

تفرق الجماعة فسا بينهم
ظربان فتفرقوا وخاصة
هذه الدوية اذا حصلت
وسط جماعة أن يتفرقوا
وكما ان الجماعة اذا اقبلت
تقوم هذه الدابة طردوها
ومنعواها الدخول بينهم
كذلك ينبغي اخراج النعم
من بين الجماعة فان لم
يقبلوا يوشك ان يفرق
ما بينهم و يقسد قلوب
بعضهم على بعض و اذا
رايت انسانا لا يسمع العلم
والحكمة و ينقر من مجالس
العلماء و الحكماء و يالف
سماع اخبار اهل الدنيا
وسائر الخرافات و ما يجرى
في مجالس العوام فالحمقة
بعالم المحتاسف فانه يعجب
أكل العذرات و يالف
روائح النجاسات و لا تراها
الا ملايسا للاخيلية
و المراحيض و ينقر من
روائح المسك و الورد و اذا
طرح عليه المسك و الورد
مات و اذا رايت انسانا
دأبه حفظ الدنيا لا يستحي
في الوثوب عليها فالحمقة
بعالم الاحدية بان تنحى
رجل عنه و اذا بلت
بالرجل تظهر عليه الديانة
والسكينة و قد نصب
أشرا كذا لا تقتناص الدنيا
و أكل امـ وال و الدائع

والامانات والازمال واليتامى فالحمقة بعالم الذئاب وهو كما قال فيه القايل ذئب تراهم مصليا * فاذا مررت به ركع

يدعو ورجل دعائه * مالفريسة لا تقع بحل بها اذا العلاء * ان القواد قد انددع احترز منه كاحترز من الذئب و اذا بلت بحبته

انسان كذاب فاعلم ان الانسان الكذاب كالميت في الحيا لا يقبل له خبر كما لا يخبر الميت وكذا لا تحبب الموتى لا تحبب الكذاب (وقيل)
في المثل كل شيء شئ وصحبة الكذاب لاشئ ويجوز ان يلحق به العالم النعام فانه يدفن جميع بيضه (٢٣٣) تحت الرمل ثم يترك واحدة على

وجه الرمل وأخرى تحت
طاقة من الرمل وسائر
بيضه في قعر الحفرة فاذا
رأه الغر يأخذ تلك البيضة
وينصرف أو يكشف عن
وجه الرمل فيجد الأخرى
فيظن انه ليس ثم شئ آخر
والخبير بحالة النعام اذا
رأى البيضة لا يزال يحفر
حتى يصل الى حاجته
ولا يغتر بتلك البيضة
كذلك الكذاب اذا سمعت
منه خبر الا تصدقه حتى تبلغ
الغاية في الكشف عنه
واذا رايت الرجل انما
دأبه أن يصنع نفسه كما تصنع
العروس لبعها بيض
ثيابه ويعدل عمامته
ويتقى ان يمسه شئ غيره
وينظر في عطفه وي طرح
القذى عن ثوبه ليس له
همة بين المجالس الا نظره
الى نفسه واصلاح ما اثني
من ثيابه فالحق به بعالم
الطاووس الذي هذه
صنعة فانه يتجتر في مشيته
وينظر الى نفسه ويفرش
ذنبه فيتحذره الملوكة استحسانا
له واذا بليت بانسان حقوق
لا ينسى المقوات ويجازي
بعد المدة على السقطات
فالحق به بعالم الجبال والعرب
تقول فلان أحقد من جبل
وتجنب قرب الجبل المحقود

بهذا التعلق ولهذا نجد الكثير من يتخلق بالترفع والشتم لا يحصل لهم غرض الجاه فيمتصرون في التكبس
على اعمالهم ويصبرون الى الفقر والخصاصة * واعلم ان هذا الكبر والترفع من الاخلاق المذمومة
انما يحصل من توهم الكمال وان الناس يحتاجون الى بضاعته من علم او صنعة كالعالم المتبحر في علمه او
الكاتب الجيد في كتابته او الشاعر البليغ في شعره وكل محسن في صناعته يتوهم ان الناس يحتاجون
لما يبده فيحدث له ترفع عليهم بذلك وكذا يتوهم أهل الانساب من كان في آباءه ملك او عالم مشهور او كامل
في طور يعبرون بما رأوه او سمعوه من حال آباءهم في المدينة ويتوهمون انهم استحقوا مثل ذلك بقرابتهم
اليهم ورايتهم عندهم مستحسون في الحاضر بالامر المردوم وكذلك أهل الحيلة والبصر والتجارب
بالامور قد يتوهم بعضهم كمالا في نفسه بذلك واحتياجا اليه وتجد هؤلاء الاصناف كلهم مترفعين
لا يخضعون لاصحاب الجاه ولا يتملقون لمن هو اعلى منهم ويستصغرون من سواهم لاعتقادهم الفضل
على الناس فيستنكف أحدهم عن الخضوع ولو كان للملك وبعده مذلة وهو انا وسفهاو يحاسب الناس
في معاملتهم اياه بمقدار ما يتوهم في نفسه ويحقد على من قصر له في شئ مما يتوهمه من ذلك وربما يدخل
على نفسه الهموم والاحزان من تقصيرهم فيه ويستمر في عناء عظيم من ايجاب الحق لنفسه او اباية الناس
له من ذلك ويحصل له المقت من الناس لما في طباع البشر من التأله وقل ان يسلم احد منهم لاحد في
الكمال والترفع عليه الا ان يكون ذلك بنوع من القهر والغلبة والاسستطالة وهذا كله في ضمن الجاه فاذا
فقد صاحب هذا الخلق الجاه وهو مقلد له كما تبين لك مقتله الناس به هذا الترفع ولم يحصل له حظ من
احسانهم وفقد الجاه لذلك من أهل الطبقة التي هي أعلى منه لاجل المقت وما يحصل له بذلك من القعود
عن تعاهدهم وغشيان منازلهم ففسد معاشه وبقي في خصاصة وفقر أو فوق ذلك بقليل وأما الثروة فلا
تحصل له أصلا ومن هذا اشتهر بين الناس ان الكمال في المعرفة محروم من الحظ وانه قد حوسب بما
زرق من المعرفة واقتطع له ذلك من الحظ وهذا معناه ومن خلق لشيء يسره والله المقدر لارب سواه ولقد يقع
في الدول اضطراب في المراتب من أهل هذا الخلق ويرتفع فيها كثير من السفلة وينزل كثير من العلية بسبب
ذلك وذلك ان الدول اذا بلغت نهايتها من الغلب والاسستيلاء انقرض منها منبت الملك بملكهم وسلاطنتهم
ويش من سواهم من ذلك وانما صار وفي مراتب دون مرتبة الملك وتحت يد السلطان وكانهم خول له
فاذا استمرت الدولة وشجع الملك تساوى حينئذ في المنزلة عند السلطان كل من انتمى الى خدمته وتقرّب
اليه بنصيحة واصطنعه السلطان لغناؤه في كثير من مهماته فتجد كثير من السوقة يسعي في التقرب من
السلطان بحبسه ونصحته ويترف اليه بوجوه خدمته ويستعين على ذلك بعظيم من الخضوع والتماق له
ولحاشيته وأهل نسبه حتى يرتفع قدمه معهم وينظمه السلطان في جلته فيحصل له بذلك حظ عظيم من
السهادة وينتظم في عدد أهل الدولة وناشئة الدولة حينئذ من أبناء قومها الذين ذلوا واضعائهم ومهدوا
أكنافهم معتزون بما كان لا بائهم في ذلك من الاثار لم تسمح به نفوسهم على السلطان ويعتدون
بآثاره ويجرون في مضمار الدولة بسببه فيقتسم السلطان لذلك ويباعدهم ويميل الى هؤلاء
المصطنعين الذين لا يعتدون بقديم ولا يذهبون الى دالة ولا ترفع انما دأبهم الخضوع له والتماق والاعمال
في غرضه متى ذهب اليه فتسبح جاههم وتعلو منازلهم وتنصرف اليهم الوجوه والخواطر بما يحصل لهم
من قبل السلطان والمكانة عنده ويبقى ناشئة الدولة فيما هم فيه من الترفع والاعتداد بالقديم لا يزيدهم
ذلك الا بعد امان السلطان ومقتوا وناثار هؤلاء المصطنعين عليهم الى أن تنقرض الدولة وهذا أمر طبيعي

(٣٠ - ابن خلدون) فاجتنب صحبة الرجل الحق ودواذ بليت بانسان منافق يبطن خلاف ما يظهر فالحق به
بعالم البر بوع فان البر بوع وهو فأر يكون في البرية يتخذ حجر تحت الارض يقال له النافقاه وله فوهتان يدخل من احداهما ويخرج

من الاخرى ومنه اشتق اسم المناق فاذاهم احد باخذ منه دخل بحره وخرج من الباب الاخر فيحفر الصبا دخله فلا يظهر شئ كذلك حال المناق لا يصح منه شئ (٢٣٤) وعلى هذا النمط كن في صحبة الناس تستريح منهم وترى بهم منك فاعمر الله ما استقامت لي

في الدولة ومنه جاء شأن المصطنعين في الغالب والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لارب سواه

٧ * (فصل في ان القايمين بامور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والامامة والخطابة والاذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب) *

والسبب لذلك ان الكسب كما قدمناه قيمة الاعمال وانها متفاوتة بحسب الحاجة اليها فاذا كانت الاعمال ضرورية في العمران عامة البلوى به كانت قيمتها اعظم وكانت الحاجة اليها اشدد واهل هذه الصنائع الدينية لا تضطر اليهم عامة الخلق وانما يحتاج الي ما عندهم الخواص من اقبل على دينه وان احتجج الي الفتيا والقضاء في الخصوصات فليس على وجه الاضطرار والعموم فيقع الاستغناء عن هؤلاء في الاكثر وانما يهتم باقامة مراسمهم صاحب الدولة بحاله من النظر في المصالح فيقسم لهم حظام من الرزق على نسبة الحاجة اليهم على النحو الذي قررناه لا يساويهم باهل الشوكه ولا بأهل الصنائع من حيث الدين والمراسم الشرعية لكنه يقسم بحسب عموم الحاجة وضرورة اهل العمران فلا يصح في قسمهم الا القليل وهم ايضا لشرف بضائعهم اعزة على الخلق وعند نفوسهم فلا يخضعون لاهل الجاه حتى ينالوا منه حظا يستدرون به الرزق بل ولا تفرغ اوقاتهم لذلك لاساهم فيه من الشغل بهذه البضائع الشرعية المشتملة على اعمال الفكر والبدن بل ولا يسعهم ابتذال انفسهم لاهل الدنيا لشرف بضائعهم فهم يعزل عن ذلك فاذالك لا تعظم ثروتهم في الغالب ولقد بحثنا بعض الفاضلاء فنذكر ذلك على فوقع بيدي اوراق مخرقة من حسابات الدواوين بدار الامامون تشتمل على كثير من الدخل والمخرج وكان في ما طالعته فيه اوراق القضاة والائمة والمؤذنين فوقفته عليه وعلم منه صحة ما قلته ورجع اليه وقضينا العجب من اسرار الله في خلقه وحكمته في عوالمه والله الخالق القادر لارب سواه

٨ * (فصل في ان الفلاحه من معاش المستضعفين واهل العافية من البدو) *

وذلك لانه اصيل في الطبيعة وبسيط في منجاة ولذلك لا يتجدد ينتج له احد من اهل الحضرة في الغالب ولا من المترفين ويختص منتج له بالمذلة قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى السكة ببعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم الا دخله الذل ووجهه البخاري على الاستسكان منه وترجم عليه باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بالآلة الزرع او تجاوز الحد الذي امر به والسبب فيه والله اعلم ما يثمه من المغرم المفضي الى التحكم والبد العالية فيكون الغارم ذليلا بائسا متناولا ايدي القهر والاستطالة قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تعود الزكاة مغرما اشارة الى الملك العضوض القاهر للناس الذي معه التسلط والجور ونسيان حقوق الله تعالى في الممتلكات واعتبار الحقوق كلها مغرما للملك والدول والله قادر على ما يشاء والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

٩ * (فصل في معنى التجارة ومذاهبها واصنافها) *

اعلم ان التجارة محاولة الكسب بتضمين المسال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء ايا ما كانت السلعة من رقيق او زرع او حيوان او قماش وذلك القدر النامي يسمى ربحا فالحاولة لذلك الربح اما ان يخترن السلعة ويتحين بها حوالة الاسواق من الرخص الى الغلاء فيعظم ربحه واما بان ينقله الى بلد آخر تنفق فيه تلك السلعة اكثر من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه ولذلك قال بعض الشيوخ من التجار لطالب الكشف عن حقيقة التجارة انا اعلمها لك في كلمتين اشتراء الرخيص وبيع الغالي فقد حصلت التجارة اشارة له بذلك

الى

تعالى خالق الخلائق اجمعين وانعم عليهم بانواع النعم فاكمل حواسهم وخلق فيهم الشهوات

ثم افاض عليهم نعمه وكلمات لهم اللذات وبعد هذا فاقدر ووالله حق قدره ولا عظمه وحق عظمته بل قالوا فيه ما لا يليق به ووصفه

صحبة الناس وسكنت

نفسى واستراحت من

مكابدة اخلاقهم الامن

حيث سرت معهم هذه

السيرة (وقال) الرياح يابني

رياح لا تحقر واصغيرا

تأخذون عنه فاني اخذت

من الثعلب روغانه ومن

القرم كبايده ومن السنور

صرعه ومن الكلب نصرته

ومن ابن آوى حذره وقد

تعلمت من القمرمشى

الليل ومن الشمس الظهور

في الحين بعد الحين

(الباب السادس والثلاثون)

في بيان الخصلة التي فيها

غاية كمال السلطان وشفاء

الصدور وراحة القلوب

وطيبة النفوس) *

اعلم ايها الملك انه متى

كلمات فسلك الخصال

المجودة والاخلاق المشكورة

والسيرة المستقيمة وملكت

نفسك وقهرت هواك

ووضعت الاشياء مواضعها

ثم ان الرعية اهتضعت

حقك وجهلت قدرك

ولم توفك حظك فبلغك

منهم ما يسوءك ورأيت

منهم ما لا يجيبك فاعلم انك

لست باله فلا تطمئن ان

يصغولك منهم ما لا يصفو

منهم لاله وفصل الخطاب

في هذا الباب ان تعلم ان الله

بما يستحيل عليه وأضافوا إليه ما يتقدس عنه وسلبوه ما يجب له من الأسماء الحسنى والصفات العلى فمنهم من قال هو ثالث ثلاثة ومنهم من قال له زوجة ومنهم من قال له ابن ومنهم من قال له البنات ومنهم من يجسمه ومنهم (٢٣٥) من يشبهه ومنهم من أنكره رأسا وقال

مالخلق صانع كالحكاه
المخالف عنه فقال غوث
ونجما وما يهدى كالألأ الدهر

وهو مع ذلك يحبيهم وبيعتهم
ويصع أجسامهم وحواسمهم
ويرزقهم وينعشهم ويقضى
ما رزقهم وأوطأهم وبعثهم
متاعا حسنا وبلغهم آمالهم
في معظم ما يحتاجون إليه
فعاصلهم إليه صاعدة
وبركاتهم عليهم نازلة كل
يعمل على شاكلته وينفق
مما عنده وكل ذى حال

أولى بها (وفي مناجاة موسى

عليه السلام انه قال الهى

أسألك ان لا يقال فى ماليس

فى فإوحى الله تعالى إليه

ذلك شئى ما فعلته لنفسي

فكيف أفعله بك وفى هذه

السيرة عبرة لمن اعتد بر

وذكرى لمن ادكر مع انك

ان التمس رضا جميع

الناس التمس ما لا يدرك

وكيف يدرك رضا المختلفين

فيا أيها الملك الذى قد كتب

الله عليه القناء والعمر

القصير والزمان اليسير

والايام المعدودة والانفاس

المحصورة كيف أردت ان

يصفوك من الرعية مالم

يصف منهم الخالقهم ورازقهم

وحبيهم ومحببتهم هيات

هيات بعيد ماأملت

ومستحيل ماطلبت فكفى

الى المعنى الذى قررناه والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لارب سواه

١٠ * (فصل فى أى اصناف الناس يحترف بالتجارة وأيهم ينبغى له اجتناب حرفها) *

قد قدمنا ان معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها باعلى من ثمن الشراء اما بتظارح والة
الاسواق او نقلها الى بلد هى فيه انفق واغلى او بيعها بالقليل على الآجال وهذا الرجب بالنسبة الى اصل
المال يسير الا ان المال اذا كان كثيرا اعظم الربح لان القليل فى الكثير كثير ثم لا بد فى محاولة هذه التنمية
من حصول هذا المال بايدى الباعة فى شراء البضائع وبيعها ومعاملتهم فى تقاضى اثمانها واهل النصفقة
قليل فلا بد من الغش والتظريف المحجف بالبضائع ومن المطل فى الاثمان المحجف بالربح كتمطيل المحاولة
فى تلك المدة وبها تآؤه ومن الجحود والانسكار المسحوت لرأس المال ان لم يتقيد بالكتاب والشهادة وغناه
الحكام فى ذلك قليل لان الحكم انما هو على الظاهر فيعانى الناجر من ذلك أحوال الصعبة ولا يكاد يحصل
على ذلك التافه من الربح الا بعظم العناء والمشقة ولا يحصل او يتلاشى رأس ماله فان كان جريئاً على
الخصومة بصير بالحبسان شديداً لما حكمة مقدما على الحكام كان ذلك اقرب له الى النصفقة بجرأة منه
ومحاذرة والا فلا بد له من جاه يدع به ويقع له الهيبة عند الباعة ويحمل الحكام على انصافه من
معاملته فيحصل له بذلك النصفقة فى ماله طوعا فى الاول وكرها فى الثانى وأما من كان فاقدا للجرأة والاقدم
من نفسه فاقدا لجاهه من الحكام فينبغى له ان يحثب الاحتراف بالتجارة لانه يعرض ماله للضياع والذهاب
ويصير ما كلة للباعة ولا يكاد يتصف منهم لان الغالب فى الناس وخصوصا الرعاع والباعة شروهون
الى ما فى ايدى الناس سواهم متوثبون عليه ونولا وازع الاحكام لا صحت أموال الناس نهبا
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين

١١ * (فصل فى ان خلق التجارة نازلة عن خلق الاشراف والمولوك) *

وذلك ان التجارى غالب احوالهم انما يعانون البيع والشراء ولا بد فيه من الحكاية ضر ورة فان اقتصر
عليها اقتصرت به على خلقها وهى اعنى خلق الحكاية بعيدة عن المرواة التى تتخلق بها المولوك والاشراف
وأما ان استرذل خلقه بما ينبغى ذلك فى أهل الطبقة السعلى منهم من الماحكة والغش والخلافة وتعاهد
الايمان الكاذبة على الاثمان رد او قبول فاجدر بذلك الخلق ان يكون فى غاية المذلة لما هو معروف
ولذلك تجدها أهل الرياسة يتحامون الاحتراف بهذه الحرفة لاجل ما يكسب من هذا الخلق وقد يوجد منهم
من يسلم من هذا الخلق ويتعامه اشرف نفسه وكرم جلاله الا انه فى النادر بين الوجود والله يهدى من
يشاء بفضلهم وكرمه وهو رب الاولين والاخرين

١٢ * (فصل فى نقل التاجر للسلع) *

التاجر البصير بالتجارة لا ينقل من السلع الامتاع الحاجة اليه من الغنى والفقير والسلطان والسوقة اذ فى ذلك
نفاق سلعته واما اذا اخص نقله بما يحتاج اليه البعض فقط فقد يتعد نفاق سلعته حينئذ ذبعا واز الشراء
من ذلك البعض لعراض من العوارض فنكسد سوقه وتفسد ارباحه وكذلك اذا نقل السلعة المحتاج اليها فانما
ينقل الوسط من صنعها فان العالى من كل صنغ من السلع انما يختص به اهل الثروة وحاشية الدولة وهم
الاقول وانما يكون الناس اسوة فى الحاجة الى الوسط من كل صنغ فليتحذر ذلك جهده فقيه نفاق سلعته
او كسادها وكذلك نقل السلع من البلد البعيد المسافة او فى شدة الخطر فى الطرقات يكون اكثر فائدة

الله اسوة حسنة ان ترضى منهم بما رضى منهم خالقهم وتسير فيهم بسيرة ربهم فيهم المتركف احسن البك فرضى منك باليسير من العمل
واكثر لك من النعم من الاموال والخول فانظر كيف يستبرز لك ويتعمد سبائك ولا يفضحك فى خلواتك فى هذا ما يهدى النفوس

ويؤدب ذوى العقول ويهتدى الى الصواب ويوضح طرق الرشاد والله درر عمر بن الخطاب رضى الله عنه لقد كان واعيا لما تلوته عليك فانه روى عنه انه كتب الى عمرو بن العاص (٢٣٦) كن لرعيك ما تحب ان يكون لك اميرك (الباب السابع والثلاثون في بيان

التجار واعظم ارباحا وكفل بحوالة الاسواق لان السلعة المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعدهم مكانها او شدة العرور في طريقها فيقل حاملوها ويعجز وجودها واذا قلت وعزت غلت اثمانها او اما اذا كان البلد قريب المسافة والطريق سابل بالامن فانه حينئذ يكثر ناقلوها فتكثر وترخص اثمانها ولهذا تجرد التجار الذين يواعون بالدخول الى بلاد السودان ارفه الناس واكثرهم اموالا لبعدهم عنهم ومشقة واعتراض المفازة الصعبة المخطرة بالخوف والعطش لا يوجد فيها الماء الا في اماكن معلومة يهتدى اليها ادلاء الركان فلا يرتكب خطرهم هذا الطريق وبعده الا الاقل من الناس فيجد سلعة بلاد السودان قليلة ليدنا فتختص بالغلاء وكذلك السلعة لديهم فتعظم بضائع التجار من تناقلها ويمرع اليهم الغنى والثروة من اجل ذلك وكذلك المسافرون من بلادنا الى المشرق لبعده الشقة ايضا واما المترددون في افق واحد ما بين امصاره وبلدانه ففان ثقتهم قليلة وارباحهم تافهة لكثرة السلعة وكثرة ناقلها والله هو الرزاق ذو القوة المتين

١٣ (فصل في الاحتكار) *

وعما اشهر عند ذوى البصر والتجربة في الامصار ان احتكار الزرع لتحين اوقات الغلاء مشؤم وانه يعود على فائدته بالتلف والخسران وسببه والله اعلم ان الناس لم يحتاجهم الى الاقوات مضطرون الى ما يبذلون فيها من المال اضطرارا فتبقى النفوس متعلقة به وفي تعلق النفوس بما لها سركبير وفي بالله على من يأخذ به مجانا ولعله الذي اعتبره الشارع في اخذ اموال الناس بالباطل وهذا وان لم يكن مجانا فالنفوس متعلقة به لا عطائه ضرورة من غير سعة في العذر فهو كالمكره وما عدا الاقوات والمأكولات من المبيعات لا اضطرار للناس اليها وانما يبيعونهم عليها التفتن في الشهوات فلا يبذلون اموالهم فيها الا باختيار وحرص ولا يبقى لهم تعلق بما اعطوه فلماذا يكون من عرف بالاحتكار تجتمع القوى النفسانية على متابعتها مما يأخذ من اموالهم فيفسد ربحه والله تعالى اعلم * وسمعت فيما يناسب هذا احكاية تظر بقعة عن بعض مشيخة المغرب اخبرني شيخنا ابو عبد الله الابي قال حضرت عند القاضي يقاس لعهد السلطان ابي سعد وهو الفقيه ابو الحسن الملبلي وقد عرض عليه ان يختار بعض الالقب الخيرية لمجرايته قال فاطرق فلما تم قال لهم من مكس الخرفا سنضحك الحاضر ومن اصحابه وعجبوا واولوه عن حكمة ذلك فقال اذا كانت الجماليات كلها حراما فاخترنا منها ما لا يتابعه نفس معطية والخير قل ان يبذل فيها احد ماله الا وهو طرب مسرور بوجوده غير اسف عليه ولا متعلقة به نفسه وهذه ملاحظة غريبة والله سبحانه وتعالى يعلم ما تكن الصدور

١٤ (فصل في ان رخص الاسعار مضر بالمختبرين بالرخص) *

وذلك ان الكسب والمعاش كما قد مناه انما هو بالاصناف او التجارة والتجارة هي شراء البضائع والبيع وادخالها يتحين بها حوالة الاسواق بالزيادة في اثمانها ويسمى ربحا ويحصل منه الكسب والمعاش للمختبرين بالتجارة دائما فاذا استديم الرخص في سلعة او عرض من مأكول او ملبوس او متمول على الجملة ولم يحصل لتاجر حوالة الاسواق فسد الربح والنماء بطول تلك المدة وكسدت سوق ذلك الصنف ففقد التجار عن السعي فيها وفسدت رؤس اموالهم واعتبر ذلك اولابا زرع فانه اذا استديم رخصه يفسده حال المختبرين بسائر اطوار من الفلح والزراعة لقلة الربح فيه ويندابه او يفقده فيفقدون النماء في اموالهم او يجدونه على قلة ويعودون بالانفاق على رؤس اموالهم وتفسد احوالهم ويصرون الى الفقر والخصاصة ويتبع ذلك فساد حال المختبرين ايضا بالطين والخبر وسائر ما يتعلق بالزراعة من المحرث الى صيرورته ما كولا وكذا يفسد حال الجنود اذا كانت ارزاقهم من السلطان على اهل الفلح زرع فانها تغل جبايتهم من

الخصلة التي فيها ملجأ الملوك عند الشدائد ومعقل السلاطين عند اضطراب الامور وتغير الوجوه والاحوال) *
ايه الملك اذا اعتلجت الامور في صدره واضطربت عليك القواعد ومرتجت في قلبه وجه الرأي وتنكرت عليك المعارف واكفهر لك وجه الزمان فلا يغلبك خصلتان اترك للناس دينهم وديناهم ولك الامان من طوارق المحدثان وما ياتي به الملوان وقد روى ان المأمون قال في آخرو موافقة مع اخيه الامين وقد تغدت بيوت الاموال والحمت الاجناد في طلب ارزاق المأمون بقيت لاني خصلة لوفعها ملكا موضع قدمي هاتين قيل له وما هي فقال والله اني لاضن بها على نفسي فكيف على غيري فلما خلس له الامر سئل عن تلك الخصلة فقال لو ان الامين نادى في جميع بلاده انه قد حط الخراجات والوظائف السلطانية وسائر الجبايات عشرين ملك الامر على ولكن الله غائب على امره وما خشى المأمون انتقاض بيعته مع اهل

خراسان في امر فثبته مع اخيه الامين استشار الفضل بن سهل وكان وزيره فقال له الفضل قد قرأت القرآن وحديث الرسول عليه السلام والذي عندي ان تجتمع الفقهاء وتدعوهم الى الحق والعمل به واحياء السيرة وبسط العدل والقعود على

البدو وتواصل النظر في المظالم وتكرم القواد والملوك وابتناء الملوك وتهدبوا وعيد الكريمة والمراتب السنية والولايات المشاكلة ففعل ذلك وحط عن أهل خراسان ربع الخراج فصالت وجوه الخلائق اليه وكانوا يقولون (٢٣٧) ابن أختنا وابن عم نبينا عليه السلام

وانقاد اليه رافع بن الليث وكان من عظماء الملوك بخراسان ويدخل تحت هذه الترجمة أمر اتفق عليه حكماء العرب والروم والفرس والهند وهو أن تصطنع وجوه كل قبيلة والمتقدمين من كل عشيرة وتحسن إلى جملة القران والعلم وحفاظ الشريعة وتدني مجالسهم وتقرب الصالحين والمترهدين وكل ممتسك بعروة الدين وكذلك فليفعل بالاشراف من كل قبيلة والرؤساء المتبوعين من كل نبط فهو هؤلاء هم أئمة الخلق وبهم يملك من سواهم فن كمال السياسة والرياسة أن تبقى على كل ذي رياسة رياسته وعلى كل ذي عز عزته وعلى كل ذي منزل منزلته فينتد يكون الرؤساء الملك اعوانا ومن دانت له الفضلاء من كل قبيلة فاخلق به أن يدوم سلطانة والعامية والاتباع دون مقدمهم وساداتهم واتباعهم أجساد بالاروس واشباح بالأرواح ولما قامت العامة على السلطان بقرطبة ولبسوا السلاح كان شيخ جالس على كبره يعالج صنيعته فقال ما بال الناس قالوا

ذلك ويحزون عن اقامة الجندية التي هم بسببها ومطالبتهم بها ومنقطعون لها ففسد احوالهم وكذا اذا استديم الرخص في السكر او العسل فسد جميع ما يتعلق به وقعد المحترفون عن التجارة فيه وكذا الملبوسات اذا استديم فيها الرخص فاذا الرخص المفرط يحذف بمعاش المحترفين بذلك الصنف الرخص وكذا الغلاء المفرط ايضا وانما معاش الناس وكسبهم في التوسط من ذلك وسرعة حوالة الاسواق وعلم ذلك يرجع الى العوائد المتقررة بين اهل العمران وانما يحمد الرخص في الزرع من بين المبيعات لعموم الحاجة اليه واضطرار الناس الى الاقوات من بين الغني والفقير والعالة من الخلق هم الاكثر في العمران فيعم الرفق بذلك ويرجع جانب القوت على جانب التجارة في هذا الصنف الخاص والله الرزاق ذو القوة المتين والله سبحانه وتعالى رب العرش العظيم

١٥ * (فصل في ان خلق التجارة نازلة عن خلق الرؤساء وبعيدة من المرؤة) *

قد قدمنا في الفصل قبله ان التاجر مدفوع الى معاناة البيع والشراء وجلب القوائد والارباح ولا بد في ذلك من المكايسة والمماحكة والتعذلق وممارسة الخصومات والمجادل وهي عوارض هذه الحرفة وهذه الاوصاف تنقص من الذكاء والمرؤة وتجرح فيها الان الاعمال لا بد من عودا نارها على النفس فافعال الخبز تعود باثار الخبز والذكا وافعال الشر والسفسة تعود بصدد ذلك فتتمكن وترسخ ان سبقت وتكررت وتنقص خلال الخبز ان تأخرت عنها ما ينطبع من آثارها المذمومة في النفس شأن المسكات الناشئة عن الافعال وتفاوت هذه الآثار بتفاوت اصناف التجار في اطوارها هم فمن كان منهم سافل الطور ومخالف الباعه اهل الغش والخدابة والفسور في الامان اقرارا وانكارا كانت ردائة تلك الخلق عنه أشد وغلبت عليه السفسة وبعدهن المرؤة واكنسها بالجملة والافلا بد له من تأثير المكايسة والمماحكة في مرؤته وفقدان ذلك منهم في الجملة ووجود الصنف الثاني منهم الذي قدمناه في الفصل قبله انهم يدرون بالجاه ويعوض لهم من مباشرة ذلك فهم نادر واقل من النادر وذلك ان يكون المسال قد يوجد عنده دفعة بنوع غريب او ورثة عن احد من اهل بيته ففصلت له ثروة تعينه على الاتصال باهل الدولة وتكسبه ظهورا وثورة بين اهل عصره فيرتفع عن مباشرة ذلك بنفسه ويدفعه الى من يقوم له به من وكلائه وحشده ويسهل له الحكم النصفة في حقوقهم ما يؤنسونه من بره واتحافه فيبيع دونه عن تلك الخلق بالبعد عن معاناة الافعال المتضمنة لها كما مر فيهم ارسخ وبعدهن تلك الحاجة الا ما يسرى من آثار تلك الافعال من وراء المحجاب فانهم يضطرون الى مشاركة احوال اولئك الوكلاء ووفاقهم او خلافهم فيما يأتون او يذرون من ذلك الا انه قليل ولا يكاد يظهر اثره والله خلقكم وما تعملون

١٦ * (فصل في ان الصنائع لا بد لها من المعلم) *

(المعلم) ان الصناعة هي ملكة في امر على فكري ويكونه عمليها ووجهها في محسوس والاحوال الجسمانية المحسوسة فنقلها بالباشرة أو عب لها أو كحل لان المباشرة في الاحوال الجسمانية المحسوسة اتم فائدة والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد اخرى حتى ترسخ صورته وعلى نسبة الاصل تكون الملكة ونقل المعايية أو عب واتم من نقل الخبر والعلم فالملكة الحاصلة عنه اكل وارسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر وعلى قدر جودة التعليم وملكة المتعلم لم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته ثم ان الصنائع منها البسيط ومنها المركب والبسيط هو الذي يختص بالضروريات والمركب هو الذي يكون للكماليات والمتقدم منها في التعليم هو البسيط لبساطته او لانه مختص

قامت العامة على السلطان قال وهم رأس قالوا لقال شق الكبير يا صبي فذهبت مثلا * (الباب الثامن والثلاثون في بيان الخصال الموجبة لذم الرعية للسلطان) * قال حكيم الفرس ذم الرعية للملك على ثلاثة اوجه اما كرم قصر به عن قدره فاورثه ذلك ضغنوا امانتهم

يلج به فوق قدره فأورثه ذلك بطرا وأما رجل منع حظ من الأضاف وفي الأمثال أحسانك إلى الحر يبعثه على المكافأة وأحسانك إلى اللئيم الخسيس يبعثه على معاودة المسئلة (٢٣٨) (وقيل) للاسكندر ان فلانيا تبتصك ويسى الثناء عليك فقال أنا أعلم انه ليس

بالضروري الذي تتوفر الدواعي على تقبله فيكون سابقا للتعليم ويكون تعلمه لذلك ناقصا ولا يزال الفكر يخرج أصنافها ومركباتها من القوة إلى الفعل بالاستنباط شيئا فشيئا على التدرج حتى تكمل ولا يحصل ذلك دفعة وإنما يحصل في أزمان وأجبال وأذخروج الأشياء من القوة إلى الفعل لا يكون دفعة لا سيما في الأمور الصناعية فلا بد له اذن من زمان ولهذا تجد الصنائع في الأمصار الصغيرة ناقصة ولا يوجد منها إلا البسيط فإذ تزايدت حضارتها ودعت أمور الترف فيها إلى استعمال الصنائع خرجت من القوة إلى الفعل وتنقسم الصنائع أيضا إلى ما يختص بالمرعاش ضروريا أو غير ضروري وإلى ما يختص بالافكار التي هي خاصة بالإنسان من العلوم والصنائع والسياسة ومن الأول الحياكة والحجارة والتجارة والحداثة والمانها ومن الثاني الوراقة وهي معاناة الكتب بالإنساح والتجليد والغناء والشعر وتعليم العلم وأمثال ذلك ومن الثالث المجدية والمانها والله اعلم

١٧ * (فصل في ان الصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته) *

والسبب في ذلك ان الناس ما لم يستوف العمران الحضري وتمتد المدينة إنما هم مهم في الضروري من المعاش وهو تخصص ييل الاقوات من الحنطة وغيرها فإذا تمت المدينة وتزايدت فيها الاعمال ووفت بالضروري وزادت عليه صرف الزائد حينئذ إلى الكمالات من المعاش ثم ان الصنائع والعلوم إنما هي للإنسان من حيث فكره الذي يتميز به عن الحيوانات والقوت له من حيث الحيوانية والغذائية فهو مقدم ضروريته على العلوم والصنائع وهي متأخرة عن الضروري وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأني فيها حينئذ واستعداد ما يطلب منها بحيث تتوفر الدواعي الترف والثروة وأما العمران البدوي او القليل فلا يحتاج من الصنائع الا البسيط خاصة المسبب في الضروريات من نجار أو حداد أو خياط أو حائك أو جزار وإذا وجدت هذه بعد فلا توجد فيه كاملة ولا مستعدة وإنما يوجد منها بمقدار الضرورة وأما كل ما هو وسائل إلى غيرها وليست مقصودة لذاتها وإذا زخر بجزر العمران وطلبت فيه الكمالات كان من جلته التأني في الصنائع واستعدادها فكلت بجميع ممتعاتها وتزايدت صنائع أخرى معها مما تدعو إليه عوائد الترف وأحواله من جزر ودباغ وخزاز وصنائع وأمثال ذلك وقد تستهي هذه الاصناف إذا استبحر العمران إلى ان يوجد منها كثير من الكمالات والتأني فيها في الغاية وتكون من وجوه المعاش في المصير لمنتهجها بل تكون فائدتها من أعظم فوائد الاعمال ما يدعو إليه الترف في المدينة مثل الدهان والصفار والحمامي والصباح والسفاح والفراس ومعلم الغناء والرقص وقرع الطبول على التوقيع ومثل الوراقين الذين يعانون صناعة انساح الكتب وتجليدها وتصحيحها فان هذه الصناعة إنما يدعو إليها الترف في المدينة من الاشتغال بالأمور الفكرية وأمثال ذلك وقد يخرج عن الحد إذا كان العمران خارجا عن الحد كما بلغنا عن أهل مصر أن فيهم من يعلم الطيور العجم والحجر الانسية وتخييل أشياء من العجائب بأبصار الأعيان وتعليم الحداد والرقص والمشي على المحبوط في الهواء ورفع الأثقال من الحيوان والحجارة وغير ذلك من الصنائع التي لا توجد عندنا بالمغرب لان عمران امصارهم يبلغ عمران مصر والقاهرة اذ ادم الله عمراتها بالمسلمين

١٨ * (فصل في ان رسوخ الصنائع في الامصار إنما هو برسوخ الحضارة وطول امدها) *

والسبب في ذلك ظاهر وهو ان هذه كلها عوائد لعمران واللوان والعوائد إنما ترسخ بكثرة التكرار وطول الامد فتستحكم صبغة ذلك وترسخ في الاجيال وإذا استحكمت الصبغة عسر نزعها ولهذا تجد في الامصار

بشرير فينبغي ان تعلم هل ناله من ناحيتنا مردعاه الى ذلك فبحث عن حاله فوجد مهارته فأمر له بصلته سنينة فبلغه بعد ذلك انه بسط لسانه بالثناء عليه فقال أما ترون ان الامر لنا ان يقال فينا خير أو شر وينبغي للسلطان ان لا يتخذ الرعية مالا وقضية فيكونوا عليه بلاهة وقتنة ولكن يتخذهم أهلا وأخوانا فيكونون له جندا وأعداؤا وقد سبق في المثل اصلاح الرعية خبير من كثرة الجنود (الباب التاسع والثلاثون في مثل السلطان العادل والنجار) *

مثل السلطان العادل مثل الياقوتة النقيسة الرقيقة في وسط العقد ومثل الرعية مثل سائر الشذر فلا تلحظ العيون الا الواسطة واول ما يبصر المقبلون وينتقد الناقدون الواسطة وإنما يثنى المثنون على الواسطة وكلما حسنت الواسطة عمرت سائر الشذر فلا يكاد يذكر كإقبال ابن سعد لقيت بالحجاز بين مكة والمدينة سكنية بنت الحسين رضي الله عنهما فسفرت لي عن وجه ابنتها وأواجه كأنه قطعة قمر وقد أنقلتها

بالمجاهروا بالواقيت وأنواع الدرر فالنقتت الى وقالت والله ما عاقته عليها الا لتفضيحه وكما ان جمال السلك أن يلى الواسطة الا فضل فالفضل من الشذروان كان على خلاف ذلك كان سيئ النظم كذلك السلطان ينبغي أن يكون الاقرب

فلا قرب اليه أهل العلم والعقل والأدب والرأي والأصالة والشرف والمحافة وذوى الكمال من كل قبيلة وإن كان على خلاف ذلك كان نقصاً في التدبير وكان جمال العدة بواسطته كذلك جمال الرعية بكمال (٢٣٩) سلطانهم وفضله وبراعته وعدله ومثل

السلطان الجائر مثل الشوكة في الرجل فصاحبها تحت ألم وقلق ويتداعى لها سائر الجسد ولا يزال صاحبها يروم قلعها ويستعين بما في مسوره من الآلات والمناقش والابر على أخرجها لانها في غير موضعهما الطبيعي ويوشك أن تعلق بالجرة فابن غزالباقوت من شوك القناد

(الباب الموفى أربعين فيما يجب على الرعية اذا جاز السلطان) اعلم أرشدك الله ان الزمان وعاء لاهله ورأس الوعاء أطيب من أسفله كما ان رأس الجرة ارق وأصفى من أسفلها فلتن قلت ان الملوك اليوم ليسوا كمن مضى من الملوك فالرعية أيضاً ليسوا كمن مضى من الرعية ولست بان تدم أميرك اذا نظرت آثار من مضى منهم باولى من يدمك أميرك اذا نظرت آثار من مضى من الرعية فاذا جاز عليك السلطان فعليك الصبر وعليه الوزر (روى)

البخارى عن عباد بن الصامت قال يا يعنابني عليه السلام فكان فيما أخذ علينا ان يايعنا على

التي كانت استجرت في الحضارة لما تراجع عمرانها وتناقص بقيت فيها آثار من هذه الصنائع ليست في غيرها من الامصار المستحدثة العمران ولو بلغت مبالغها في الوفور والكثرة وما ذاك الا لان أحوال تلك القديمة العمران مستحكمة راسخة بطول الاحقاب وتداول الاحوال وتكررها وهذه لم تبلغ الغاية بعد وهذا كالحال في الاندلس لهذا العهد فانما نجد فيها رسوم الصنائع قائمة واحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو اليه عوائد امصارها كالمباني والطبخ واصناف الغناء والهوام واللات والاونار والرقص وتنضيد القرش في القصور وحسن الترتيب والاوزاع في البناء ووضوح الآنية من المعادن والحزف وجمع المواعين واقامة الولائم والاعراس وسائر الصنائع التي يدعوا اليها الترف وعوائده فنجدهم أقوم عليها وأبصر بها ونجد صنائعها مستحكمة لديهم فهم على حصة موفورة من ذلك وحظ متميز بين جميع الامصار وان كان عمرانها قد تناقص والكثير منه لا يساوى عمران غيرهما من بلاد العدو وما ذاك الا لما قدمناه من رسوخ الحضارة فيهم بروخ الدولة الاموية وما قبلها من دولة القوط وما بعدهما من دولة الطوائف الى هلم جاز بلغت الحضارة فيها مبلغا لم تبلغه في قطر الاما ينقل عن العراق والشام ومصر أيضا لطول آما الدول فيها فاستخدمت فيها الصنائع وكملت جميع اصنافها على الاستجداء والتمهيق وبقيت صبغتها ثابتة في ذلك العمران لا تفارقه الى أن يتنقض بالسكينة حال الصبغ اذا رشح في الثوب وكذا أيضا حال تونس فيما حصل فيها بالحضارة من الدول الصنهاجية والموحدين من بعدهم وما استكمل لها في ذلك من الصنائع في سائر الاحوال وان كان ذلك دون الاندلس الا أنه متضاعف برسوم منها تنقل اليها من مصر لقرب المسافة بينهما ما وتردد المسافرين من قطر هالي قطر مصر في كل سنة ووربما سكن أهلها هناك عصورا فينقلون من عوائد ترفهم ومحكم صنائعهم ما يقع لديهم موقع الاستحسان فصارت أحوالها في ذلك متشابهة من أحوال مصر لما ذكرناه ومن أحوال الاندلس لما أنا كترسا كنهان من شرق الاندلس حين الحلاء لهذا المائة السابعة وورسخ فيها من ذلك أحوال وان كان عمرانها ليس بمناسب لذلك لهذا العهد الا أن الصبغة استحكمت قليلا ما تحول الابز وال محله او كذا نجد بالقيروان ومراكش وقلعة ابن جاد اثرا باقيا من ذلك وان كانت هذه كلها اليوم خرابا وفي حكم الخراب ولا يتفطن لها الا البصير من الناس فيجد من هذه الصنائع آثارا تدله على ما كان بها كثر الحظ المحجوف في السكيب والله الخلاق العليم

١٩ * (فصل في ان الصنائع انما استجدت وتكثر اذا كثر طلبها) *

والسبب في ذلك ظاهرو وهو ان الانسان لا يسمع به مله أن يقع بجانبه كسبه ومنه معاشه اذا لا فائدة له في جميع عمره في شيء مما سواه فلا يصرفه الا فيما له قيمة في مصره ليعود عليه بالنفع وان كانت الصناعة مطلوبة وتوجه اليها النفاق كانت حينئذ الصناعة بمنابة السلعة التي تنفق سوقها وتطلب للبيع فتجهد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة ليكون منها معاشهم واذ لم تكن الصناعة مطلوبة لم تنفق سوقها ولا يوجه قصد الى تعلمها فاخصت بالترك وقدت للاهمال ولهذا يقال عن علي رضي الله عنه قيمة كل امرئ ما يحسن بمعنى أن صناعته هي قيمته أي قيمة عمله الذي هو معاشه وايضا فهو ناسراخر وهو ان الصنائع واجادتها انما تطلبها الدولة فهي التي تنفق سوقها وتوجه الطلبات اليها ومالم تطلبها الدولة وانما يطلبها غيرها من أهل المصر فليس على نسبتها لان الدولة هي السوق الاعظم وفيها نفاق كل شيء والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة فانفق منها كان أكثر باضرورة والسوقه وان طلبوا الصناعة فليس طلبهم بعام ولا سوقهم بنافعة والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرته علينا وان لا تنازع الامر اهله الا ان نروا كقرابوا عندكم فيه من الله برهان ومنه قال ابن عباس من كره من أميره شيئا فليصبر عليه فإنه من خرج من السلطان شبرامات ميمة جاهلية ومنه قال ابن مسعود وقال لنا

الذي عليه السلام انكم سترون بعدى اثره وامرنا بيا رسول الله قال ادوا لهم حقوقهم واسألوا الله حقكم (وروى) أبو داود في سننه ان النبي عليه السلام (٢٤٠) قال سيأتيكم ركب مبغضون يطلبون منكم ما لا يجب عليكم فاذا سألوا ذلك فاعطوهم

٢٠ * (فصل في ان الامصار اذا قاربت الخراب انتفعت منها الصنائع) *

وذلك لما بينا ان الصنائع انما تستجد اذا احتج اليها وكثر ما بها واذا ضعفت احوال المصر واخذ في الهرم بانتقاص عمرانه وقلة ساكنيه تناقص فيه الترف ورجعوا الى الاقتصاد على الضرورى من احوالهم فتقل الصنائع التي كانت من توابع الترف لان صاحبها حينئذ لا يصح له بها معاشه فيفر الى غيرها او يموت ولا يكون خلف منه فيذهب رسم تلك الصنائع جملة كما يذهب النفاشون والصواغ والكباب والنساج وامثالهم من الصنائع لمجارات الترف ولا تزال الصنائع في التناقص ما زال المصر في التناقص الى ان تضحل والله الخلاق العليم سبحانه وتعالى

٢١ * (فصل في ان العرب بعد الناس عن الصنائع) *

والسبب في ذلك انهم أعرق في البدو وأبعد عن العمران الحضري وما يدعون اليه من الصنائع وغيرها والجحيم من أهل المشرق وأم النصرانية عدوة البحر الرومي أقوم الناس عليها لانهم أعرق في العمران الحضري وأبعد عن البدو وعمرانه حتى ان الابل التي اعانت العرب على التوحش في القفر والاعراق في البدو مفقودة لديهم بالجملة ومفقودة مراعيا والرمال المهية لنتاجها ولها نخب دأوطان العرب وما ملكوه في الاسلام قليل الصنائع بالجملة حتى تجلب اليه من قطر آخر وانظر بلاد الجحيم من الصين والهند وارض الترك وأم النصرانية كيف استكثر فيهم الصنائع واستعملها الامم من عندهم وعمم المغرب من البربر مثل العرب في ذلك لرسوخهم في البدو منذ احقاب من السنين ويشهد ذلك قلة الامصار بقطرهم كما قدمناه فالصنائع بالمغرب لذلك قلة وغير مستخدمة الا ما كان من صناعة الصوف من نسجه والحداد في خزروه ودبغهم لماس استحضروا بلغوا فيه المبالغ العموم البلوى بها وكونه من أغلب السلع في قطرهم لما هم عليه من حال البدو واما المشرق فقد درست الصنائع فيه منذ ملك الامم الاقدمين من الفرس والنبط والقبط وبنو اسرائيل ويونان والروم احقابا متطاولة فرسخت فيهم احوال الحضارة ومن جعلتها الصنائع كما قدمناه فلم يجمع رسمها واما اليمن والبحرين وعمان والجزيرة وان ملكه العرب الا انهم تداولوا ملكه الا قدام السنين في أم كثير من منهم واخذوا مصار ومدينة وبلغوا الغاية من الحضارة والترف مثل عاد ومعد والعمالة وحجرتهم من بعدهم والتبابعة والاذواء فطال امد الملك والحضارة واستحكمت صبغتها وتوفرت الصنائع ورسخت فلم يبل ببلى الدولة كما قدمناه فبقيت مستعدة حتى الآن واخذت بذلك الوطن كصناعة الوشي والعصب وما يستجد من حول الثياب والحري فيها والله وارث الارض ومن عاها وهو خير الوارثين

٢٢ * (فصل في ان حصلت له ملكة في صناعة فقل ان يجيد بعدها ملكة في اخرى) *

ومثال ذلك الخياط اذا اجاد ملكة الخياطة واحكمها ورسخت في نفسه فلا يجيد من بعدها ملكة الخياطة او البناء الا ان تكون الاولى لم تستحكم بعد ولم ترسخ صبغتها والسبب في ذلك ان الملكات صفات للنفس والوان فلا تردهم دفعة ومن كان على الفطرة كان اسهل لقبول الملكات واحسن استعدادا لخصوصها فاذا تلونت النفس بالملكة الاخرى وخرجت عن الفطرة ضعف فيها الاستعداد باللون الحاصل من هذه الملكة فكان قبولها للملكة الاخرى اضعف وهذا بين شهده الوجود فقل ان تجد صاحب صناعة يحكمها ثم يحكم من بعدها اخرى ويكون فيها ما على رتبة واحدة من الاجادة حتى ان أهل العلم الذين ملكتهم فكريه ففهم بهذه المنابة ومن حصل منهم على ملكة علم من العلوم واجادها في الغاية فقل ان يجيد ملكة

ولا تسبوهم وتلدعوا لهم وهذا حديث عظيم الموقع في هذا الباب قد دفع اليهم ما طلبوا من الظلم ولا تنازعهم فيه ونكف السنن عن سبهم يا عبد الله لا تجعل سلاحك على من ظلمك الدعاء عليه ولكن الثقة بالله فلا تخنة فوق مخنة ابراهيم عليه السلام لما جعلوه في كفة المنجنيق ليدق به في النار قال اللهم انك تعلم ايمانى بك وعداوة قومي فيك فانصر في عليهم واكفني كيدهم (وقال) مالك بن دينار وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى انى انا الله ملك المملوك قلوب المملوك بيدي فمن اطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه عقوبة فلا تشغلوا انفسكم بسب المملوك ولكن توبوا الى الله اعطفهم عليكم وفي بعض الكتب ابن آدم تدع على من ظلمك ويدعوك عليك من ظلمته فان شئت اجبتك واجبتنا عليك وان شئت اخرت الامر الى يوم القيامة فيسبكم العفو (وقال) سليمان بن داود عليه السلام لا تجعل لملكك في الاعداء المكافاة ولكن الثقة بالله وروى

ابو داود في السنن قال سرت ملحمة لعائشة رضيت الله عنها فجعلت تدع على من اخذها فسمعها النبي عليه السلام فقال لا تسبني عنه يعني لا تخفي عنه فنهاه عن الدعاء على الظالم كما ترى فاذا قال المظلوم في دعائه اللهم لا توفقه فقد دعا على نفسه علم

وعلى سائر الرعية لانه من قلة توفيقه ظلمك ولو كان موقفا ما ظلمك فان استجب دعائك فيه زاد ظلمك ومن الالفاظ المروية عن سلف هذه الامة قولهم لو كانت عندنا دعوة مستجابة ما جعلناها الا في السلطان (وقال) (٢٤١) القليل لو ظفرت بيبت المال لاخذت من

حلاله وصنعت منه اطيب الطعام ثم دعوت الصالحين وأهل الفضل من الاخيار والابرار فاذا فرغوا قلت لهم تعالوا نعدور بنا ان يوفق ملوكنا وسائر من يلي علينا وجعل اليه امرنا وما قدم معاوية المدينة دخل دار عثمان فقالت عائشة ابنة عثمان وابنتاه فقال معاوية يا بنت أخي ان الناس أعطوا ناطعة وأعطينا هم أمانا واطهرنا لهم حملات تحت غضب واطهر والناطعة تحتها قدوم كل انسان سببه وهو يرى مكان انصاره فان تكشاهم نكثوا بنا ولا ندرى اعلمنا نكون ام لنا ولا نكوفى ابنة عم امير المؤمنين خير من ان تكوفى امرأة من عرض المسلمين (وروى) ان رجلا من العقلاء غصبه بعض الولاة فغصبه فاستعدى عليه الى المنصور فقال له اصلحك الله اذ كر حاجتي ام اضرب لك قبلها مثلا فقال بل اضرب لي قبلها مثلا قال اصلحك الله ان الطفل الصغير اذا نابه امر يكرهه فانه يقر الى امه اذ لا يعرف غيرها وظن انه انه لانصره فوقعها فاذا ترعرع واشتد فتأذى كان فرازه وشكواه الى ابيه لعلمه

علم آخر على نسبه بل يكون مقصرا فيه ان طلبه الا في الاقل النادر من الاحوال ومبني سببه على ما ذكرناه من الاستعداد وتوليئته بلون المملكة الحاصلة في النفس والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لا رب سواه

٢٣ * (فصل في الاشارة الى امهات الصنائع) *

اعلم ان الصنائع في النوع الانساني كثيرة لثبوت الاعمال المتداولة في العمران فهي بحيث تشدعن المحصر ولا يأخذها العدا لان منها ما هو ضروري في العمران او شريف بالموضوع فتنحصرها بالذكر وتترك ما سواها فاما الضروري فالقلاحة والنساء والخياطة والتجارة والحياكة واما الشريفة بالموضوع فكالتوليد والكفاية والوراقة والغناء والطب فاما التوليد فانها ضرورية في العمران وعمامة البهلولي اذ بها يحصل حياة المولود ويتم غالبها وموضوعها مع ذلك المولودون وامهاتهم واما الطب فهو حفظ الصحة للانسان ودفع المرض عنه وهو يتفرع عن علم الطبيعة وموضوعه مع ذلك بدن الانسان واما الكفاية وما يتبعها من الوراقة فهي حافظة على الانسان حاجته ومقدمة لمساعدته في النسيان ومبلغه في ضمائر النفس الى البعد الغائب ومخلدة نتائج الافكار والعلم في الصحف ورافعة رتب الوجود للعاني واما الغناء فهو نسب الاصوات ومظهر جمال اللسان مع كل هذه الصنائع الثلاثة تداع الى مخالطة الملوك الاعظم في خلواتهم ومجالس انفسهم فلها بذلك شرف ليس لغيرها وما سوى ذلك من الصنائع فتابعة ومتممة في الغالب وقد يختلف ذلك باختلاف الاغراض والدواعي والله اعلم بالصواب

٢٤ * (فصل في صناعة القلاحة) *

هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الاقوات والمحبوب بالقيام على اثاره الارض لها وازدهارها وعلاج نباتها وتعمدهه بالسقي والتنمية الى بلوغ غايتها ثم حصاد ثمرتها واستخراج حبه من غلافه واحكام الاعمال لذلك وتحصيل اسبابه ودواعيه وهي اقدم الصنائع لما انها محصلة للقوت المكمل لحياة الانسان غالبا اذ يمكن وجوده من دون جميع الاشياء الا من دون القوت وهذا اختصت هذه الصناعة بالبدو اذ قدمنا انه اقدم من الحضرة وسابق عليه فكانت هذه الصناعة لذلك بدوية لا يقوم عليها الحضرة ولا يعرفونها لان احوالهم كلها نائية على البداوة فصنائعهم نائية عن صنائعها وتابعة لها والله سبحانه وتعالى مقيم العباد في ما اراد

٢٥ * (فصل في صناعة البناء) *

هذه الصناعة اول صنائع العمران الحضري وادومها وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للامكن والمأوى للابدان في المدن وذلك ان الانسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب احواله لا بد ان يفكر فيما يدفع عنه الاذى من الحر والبرد كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها والبشر يختلف في هذه الجملة الفكرية فمنهم المعتدلون فيما يتخذون ذلك باعتدال أهالي الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس واما أهل البدو فيبعدون عن اتخاذ ذلك القصورا فكارهم من ادراك الصنائع البشرية فيما درون للغيران والكهوف المعدة من غير علاج ثم المعتدلون المتخذون للمأوى قديشكاثرون في البسيطة الواحدة بحيث يتناكرون ولا يتعارفون فيخشون طروق بعضهم بعضا فيحتاجون الى حفظ مجتمعهم بادارة ماء او اسوار تحوطهم ويصير جمعهم مدينة واحدة ومصر او احد او يحوطهم الحكام من داخل يدفع بعضهم عن بعض وقد يحتاجون الى الانتصاف ويتخذون المعامل والمحصون لهم ولهم تحت أيديهم مثل الملوك ومن في معناهم من الامراء وكبار القبائل في المدن كل مدينة على ما يتعارفون ويصلحون عليه ويناسب مزاج هو ائهم واختلاف احوالهم في الغنى والفقر وكذا حال أهل المدينة الواحدة فمنهم من يتخذ

(٣١ - ابن خلدون) بان اباة اقوى من امه على نصرته فاذا بلغ وصار رجلا وخر به امرشكا الى الوالى لعلمه بانه اقوى من ابيه فاذا فزع قلبه واشتدت شكيمته شكالى السلطان لعلمه بانه اقوى من سواه فان لم ينصفه السلطان شكالى الله عز وجل وقد نزلت بي نازلة

وليس فوقك احد اقوى منك فان انصفتي والارفعت امرها الى الله في الموسم فاني متوجه الى بيته ورحمه اذ ليس فوقك احد الا الله تعالى قال بل ننصقك وامر بان (٢٤٢) يكتب الى واليه برضيعته اليه (الباب الحادي والاربعون في كما تكونوا يولى عليكم) *

القصور والمصانع العظيمة الساحة المشتملة على عدة الدور والبيوت والغرف الكبيرة لكثرة ولده وحشمه وعياله وتابعه ويؤسس جدرانها بالحجارة ويلحم بينها بالكس و يعالى عليها بالاصبغة والجص و يبالغ في ذلك بالتمجيد والتنميق اظهار اللبسطة بالعبارة في شأن المأوى و يهيئ مع ذلك الاسراب والمظامير للاختزان لا قوته والاصطبلات لربط مقر بانه اذا كان من أهل الجود وكثرة التابيع والحاشية كالامراء ومن في معناهم ومنهم من يبنى الدور والبيوت لنفسه وسكنه وولده لا يمتنع ما وراء ذلك لقصور حاله عنه واقمصاره على الكن الطبعي للبشر و بين ذلك مراتب غير منحصرة وقد يحتاج هذه الصناعة أيضا عند تأسيس الملوك وأهل الدول المدن العظيمة والها كل المرتفعة و يبالغون في اتقان الاوضاع وعلا الاجرام مع الاحكام لتبلغ الصناعة مبالغها وهذه الصناعة هي التي تحصل الدوامي لذلك وأكثر ما تكون هذه الصناعة في الاقاليم المعتدلة من الرابع وما حواله اذا الاقاليم المنخفضة لا يبنون فيها وانما يتخذون البيوت حطائر من القصب والطين وانما يوجد في الاقاليم المعتدلة له وأهل هذه الصناعة القاطنون عليها متقنون ففهم البصير الماهر ومنهم القاصر ثم هي تنوع أنواعا كثيرة فمنها البناء بالحجارة المنجدة يقام بها الجدران ملصقا بعضها الى بعض بالطين والكس الذي يعقد معهما ويلتحم كأنها جسم واحد ومنها البناء بالتراب خاصة يتخذها الوحان من الخشب مقدران طولا وعرضا باختلاف العادات في التقدير وأوسطه أربعة أذرع في ذراعين فينصبان على أساس وقد يوضع دما بينهما بما يراه صاحب البناء في عرض الأساس و يوصل بينهما بأذرع من الخشب يربط عليها بالحبال والجدران يسد الجبهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينهما بلوحين آخرين صغيرين ثم يوضع فيه التراب مخلطا بالكس ويركز بالمرکز المعدة حتى ينعم ركزه ويختلط أجزاءه ثم يزداد التراب ثانيا وثالثا الى أن يمتلئ ذلك الخلاء بين اللوحين وقد تدخلت أجزاء الكس والتراب وصارت جسما واحدا ثم يعاد نصب اللوحين على الصورة ويركز كذلك الى أن يتم وينظم الألواح كلها سطران فوق سطر الى أن ينتظم الحائط كله ملتصقا كأنه قطعة واحدة ويسمى الطابية وصانعه الطواب ومن صنائع البناء أيضا أن تجعل الحيطان بالكس بعد أن يحل بالماء ويخمر أسبوعا أو أسبوعين على قدر ما يعتدله مزاجه عن افراط النارية المفسدة للحام فإذ اتهم له ما يرضاه من ذلك علاه من فوق الحائط وذلك الى أن يلتحم ومن صنائع البناء عمل السقف بان يمد الخشب المحكم النجارة أو الساذجة على حائطى البيب ومن فوقها الألواح كذلك موصولة بالداسترو ويصب عليها التراب والكس ويسط بالمرکز حتى تتداخل أجزاءه وتلتحم و يعالى عليها الكس كما يعالى على الحائط ومن صناعة البناء ما يرجع الى التنميق والتزيين كما يصنع من فوق الحيطان الاشكال الجميلة من الجص يخمر بالماء ثم يرجع جسدا وفيه بقية البلبل فيشكل على التناسيب فخر بما يثاقب الحديد الى أن يبقى له رونق ورواء ويربعا على الحيطان أيضا بقطع الرخام والاجر والخزف أو بالاصدق أو السبع يفصل أجزاء متجانسة أو مختلفة وتوضع في الكس على نسب وأوضاع مقدره عندهم يبدو به الحائط للعيان كأنه قطع الرخام المنتمية الى غير ذلك من بناء الجباب والصحار يجلسق الماء بعد أن تعدي البيوت قصاع الرخام القوراء المحكمه الخراط بالفومات في وسطها ينبع الماء الجارى الى الصهر يجيب اليه من خارج في القنوات المقضية الى البيوت وأمثال ذلك من أنواع البناء وتختلف الصناعات في جميع ذلك باختلاف الحدق والبصر ويعظم عمران المدينة ويتسع فيكثر ويربعا يرجع المحكام الى نظرهؤلاء فيما هم أبصر به من أحوال البناء وذلك أن الناس في المدن لكثرة الازدحام والعمران يتشاحون حتى في القضاء والهواء للاعلى والاسفل

لم ازل اسمع الناس يقولون أعمالكم عمالكم كما تكونوا يولى عليكم الى ان ظفرت بهذا المعنى في القرآن قال الله تعالى وكذلك تولى بعض الظالمين بعضا وكان يقال ما أنكرت من زمانك فانما أفسده عليك عملك وقال عبد الملك بن مروان انصقونا يا مائة عشر الرعية تزيدون مناسيرة أبا بكر وعمر ولا تسيروا فينا ولا في أنفسكم بسيرتهم انسال الله ان يعين كلا على كل (وقال) قتادة قالت بنو اسرائيل المنسا أنت في السماء ونحن في الارض فكيف نعرف رضاك من سخطك فأوحى الله تعالى الى بعض أنبيائهم اذا استعملت عليكم خيارك فقد رضيت عنكم واذا استعملت عليكم شرارك فقد سخطت عليكم وقال حبيدة السلماني لعلي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ما بال أبي بكر وعمر انطاع الناس لهما والديناع عليهما أضحيق من شرفا تسعت عليهما ووليت أنت وعمان الخلافة ولم ينطاعوا لك كما قد اتسعت فصارت عليك الضيق من شبر فقال لان رعية أبي بكر وعمر كانوا مثلي ومثل عثمان ورعيتي انا اليوم مثلك وشبهك (وكذب) اخ لمحمد بن يوسف يشكوا اليه جور

ومن العمل فكاتب اليه محمد بن يوسف بلغني كتابك تذكر ما أنتم فيه وليس ينبغي لمن يعمل بالمعصية ان ينكر العقوبة وما أرى ما أنتم فيه الامن

شؤم الذنوب والسلام * (الباب الثاني والاربعون في بيان الخصلة التي تصلحها الرعية) * اعلم ان ادعى خصال السلطان الى اصلاح الرعية واقواها اثر في تسمكهم باديانهم وحقظهم لمروا تهم اصلاح السلطان (٢٤٣) نفسه وتزده عن سفساف الاخلاق

ومن الانتفاع بظاهر البناء مما يتوقع معه حصول الضرر في المحيطان فيمنع جاره من ذلك الا ما كان له فيه حق ويختلفون ايضا في استحقاق الطرق والمنافذ للمياه الحاربه والفضلات المسربة في القنوات ووربما يدعى بعضهم حق في حائطه او علوه او قنانه لتضايق الجوار او يدعى بعضهم على جاره اختلال حائطه خشية سقوطه ويحتاج الى الحكم عليه بهدمه ودفع ضرره عن جاره عند من يراه او يحتاج الى قسمة دار او عرصه بين شر يكين بحيث لا يقع معها فساد في الدار ولا امال لمنفعتها او امثال ذلك ويحفي جميع ذلك الاعلى اهل البصر العارفين بالبناء واحواله المستدلين عليها بالمعاقد والقسم ومرآة الخشب ومييل المحيطان واعتدالها وقسم المساكن على نسبة اوضاعها ومنافعها وتسريب المياه في القنوات مجلوبه ومرفوعة بحيث لا تضر بما مرت عليه من البيوت والمحيطان وغير ذلك فلم يهدأ كاه البصر والخبرة التي ليست لغيرهم وهم مع ذلك يخترعون بالجوودة والقصور في الاحبال باعتبار الدول وقوتها فانما قدمنا ان الصنائع وكلها انما هو بكامل الحضارة وكثرتها بكثره الطالب لها فلذلك عند مات كون الدولة بدوية في اول امرها تقتصر في امر البناء الى غير قطرها كما وقع للوليد بن عبد الملك حين اجتمع على بناء مسجد المدينة والقدس ومسجده بالشام فبعث الى ملك الروم بالقسم فطنظينية في القعلة المهترية في البناء فبعث اليه منهم من حصل له غرضه من تلك المساجد وقد يعرف صاحب هذه الصناعة اشياء من الهندسة مثل نسوية المحيطان بالوزن واجزاء المياه باخذ الارتفاع وامثال ذلك فيحتاج الى البصر بشئ من مسائله وكذلك في جبال اقبال بالهندام فان الاجرام العظيمة اذا شيدت بالحجارة الكبيرة يجر قدر القعلة عن رفعها الى مكانها من الحائط فيجبل لذلك بمضاعفة قوة الجبل بادخاله في المعانيق من اثقاب مقدره على نسب هندسية تصير الثقيل عند معاناة الرفع خفيفا فيتم المراد من ذلك بغير كلفة وهذا التماثل يصول هندسية معروفة متداولة بين البشر ويمثلها كان بناء الهياكل المسائلة لهذا العهد التي يحسب الناس انها من بناء الجاهلية وان ابدانهم كانت على نسبتها في العظم الجسماني وليس كذلك وانما تم لهم ذلك بالجميل الهندسية كما ذكرناه فتعهم ذلك والله يخلفي ما يشاء سبحانه

٢٦ * (فصل في صناعة النجارة) *

هذه الصناعة من ضروريات العمران ومادتها الخشب وذلك ان الله سبحانه وتعالى جعل للادعي في كل مكون من المكونات منافع تكمل بها ضروراته واحتاجاته وكان منها الشجر فان له فيه من المنافع ما لا ينحصر مما هو معروف لكل احد ومن منافعها اتخاذها خشبا اذا يست واول منافعها ان يكون وقودا للنيران في معاشهم وعصا للالاتك والذود وغيرهما من ضرورياتهم ودعائم ما يخشى ميله من اثقالهم ثم بعد ذلك منافع اخرى لاهل البدو والحضر فاما اهل البدو فيتخذون منها العمود والوتاد لحياتهم والحدوج لظعائهم والرماح والقسي والسهام لاسلحهم واما اهل الحضر فالسقف لبيوتهم والاغلاق لابوابهم والكراسي لجلوسهم وكل واحدة من هذه فالخشبة مادة لها ولا تصير الى الصورة الخاصة بها الا بالصناعة والصناعة المتكفلة بذلك المحصلة لكل واحد من صورها هي النجارة على اختلاف رتبها فيحتاج صاحبها الى تقصير الخشب او لا ما ينحشبا اصغر منه او الواح ثم تركيب تلك الفصائل بحسب الصور المظلموبة وهو في كل ذلك يحاول بصنعتهم اعداد تلك الفصائل بالانتظام الى ان تصير اعضاء ذلك الشكل بخصوص والقائم على هذه الصناعة هو النجار وهو ضروري في العمران ثم اذا عظمت الحضارة وجاء الترف وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنم من سقف او باب او كرسي او ما عود حدث التأنق في صناعة ذلك

وتجور وما خورو يعيب الامين بذلك فيقول استحب ابانواس شاعرا ما جانا كافر استخلصه معه لشراب التجور وارتكاب المسامونينيل الحارم وهو القائل الافاس قتي نجر او قل لي هي النجر ولا تسقي سرا اذا امكن الجهر وبج باسم من تهوى ودعني من الكبي

فلا خير في اللذات من دونها ستر حتى تغيرت عليه نفوس الخلق وتكررت له وجوه الوري فلما بلغ الامين حبسه ثم اطلقه بعد ان اخذ عليه ان لا يشرب نجر او لا يقول فيه شعر اغتني اراد السلطان اصلاح رعيته وهو متمسك على سبئ اخلاقه كان يكن اراد بقاء الجسم مع فقد

رأسه أو أراد استقامة الجسم مع عدم حيائه ولكن أراد تقويم الضلع مع اعوجاج الذئخض وكيف يحيا النون مع فساد الماء ولقد اصاب الخليل في قوله اصلح نفسك لنفسك (٢٤٤) تكون الناس تبعاً لك وقد يما قيل من اصلح نفسه ارغم انف اعدائه ومن اعلم

جده بلغ كنه امانيه (وسئل)
بعض الحكماء باسم بنتهم
الانسان من عدوه فقال
باصلاح نفسه ولا يفتح
اليدى
اذا غدا ملك بالله ومشتغلا
فاحكم على ملكه بالويل
والحرب
اماترى الشمس في الميزان
هابطة
لما غدا وهو برج اللهو
والطرب
وصحبة الاشرار تورث الشر
كالريح اذا مرت على التبن
جملت نبتنا واذا مرت على
الطيب جملت طيبا فحال
استصلاح رعييتك وانت
فاسد وارشادهم وانت غاو
وهذا يتهم وانت ضال وقد
سبق المثل ومن العجايب
اعمش كحال وتقول العرب
يا طبيب طب نفسك وكيف
يقدر الاعشى على ان يهدى
والفقير على ان يغنى والذليل
على ان يعزف بعدك عن
تطهير غيرك من العيوب
قبل تطهير نفسك كبعد
الطبيب عن ابراه غيره من
دائه مثله (وقال) بعض
حكماء المهندنان يبلغ ألف
رجل في اصلاح رجل
واحد بحسن القول دون
حسن الفعل كما يبلغ رجل
واحد في اصلاح ألف

واستعادته بغرائب من الصناعة كالمية ليست من الضرورى في شئ مثل التخطيط في الابواب والكراسى
ومثل تهئية القمع من الخشب بصناعة الخراط يحكم برورها وتشكيلها ثم تؤلف على نسب مقدره وتلحم
بالدساتر فتبدول لرى العين ملتصمة وقد أخذ منها اختلاف الاشكال على تناسب يصنع هذا في كل شئ يتخذ
من الخشب فيجىء آتى ما يكون وكذلك في جميع ما يحتاج اليه من الالات المتخذة من الخشب من
اى نوع كان وكذلك قد يحتاج الى هذه الصناعة في انشاء المراكب البحرية ذات الالواح والدر وهو
أجرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار سبجه في الماء بقوامه وكله ليكون ذلك الشكل
أعون لها في مصادمة الماء ووجهل لها عوض الحركة الحيوانية التى للسمة كتحريك الرياح وربما
أعينت بحركة المقاذيف كما فى الاساطيل وهذه الصناعة من اصلها محتاجة الى اصل كبير من الهندسة فى
جميع اضافها لان اخراج الصور من القوة الى الفعل على وجه الاحكام محتاج الى معرفة التناسب فى
المقادير اما عمومها وخصوصا وتناسب المقادير لا يدق به من الرجوع الى المهندس ولهذا كان أئمة الهندسة
اليونانيون كلهم أئمة فى هذه الصناعة فكان اوقليدس صاحب كتاب الاصول فى الهندسة نجارا وها كان
يعرف وكذلك بلونينوس صاحب كتاب الخروطات وميلاوش وغيرهم وفيما يقال ان معلم هذه الصناعة
فى الخليفة هو نوح عليه السلام وها أنشأ سفينة النجاة التى كانت بها مجهزة عند الطوفان وهذا الخبر وان
كان مكابى كنى كونه نجارا الا ان كونه اول من علمها وتعلمها لا يقوم دليل من النقل عليه لبعده الامداد
وانما معناه والله اعلم الاشارة الى قدم التجارة لانه لم يصح حكاية عنها قبل خبر نوح عليه السلام فجعل كانه
اول من تعلمها فنفهم اسرار الصنائع فى الخليفة والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

٢٧ * (فصل فى صناعة الحياكة والخياطة) *

ها تان الصنائعان ضروريان فى العمران لما يحتاج اليه البشر من الرفه فالاولى لنسج الغزل من الصوف
والسكان والقطن سد فى الطول والحمامى العرض لذلك النسج بالالتحام الشديد فتم منها قطع مقدره
فمنها الاكسبة من الصوف للاشتمال ومنها الثياب من القطن والسكان للباس والصناعة الثانية لتقدير
المنسوجات على اختلاف الاشكال والعوائد تفصل اولها بقراض قطعاً مناسبة للاعضاء البدنية ثم تلحم
تلك القطع بالحياطة الحكة وصلا وتبديتها وتفصحا على حسب نوع الصناعة وهذه الثانية مختصة
بالعمران المحضرى لسان اهل البدو يستغنون عنها وانما يشتملون الاثواب اشتمالا وانما تفصيل
الثياب وتقديرها والحامها بالحياطة للباس من مذهب الحضارة وفتونها وتقمهم هذا فى سر تحريم الخط
فى الحج لسان مشروعية الحج مشتملة على نذ العلاتى النبوية كاهلها والرجوع الى الله تعالى كما خلقنا اول
مرة حتى لا يعلق العبد قلبه بشئ من عوائده لانه لا يطيع ولا يمشى ولا يخاف ولا تعرض لاصيد ولا شئ
من عوائده التى تلونت بها نفسه وخلقه مع انه يقدها بالموت ضرورة وانما يحىء كانه وارد الى المحشر
ضارعا بقلبه مخلصا لربه وكان جزاؤه ان تم له اخلاصه فى ذلك ان يخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه سبحانه
ما ارفقت بعبادك وارحمت بهم فى طلب هدايتهم اليك * وهاتان الصنائعان قديمتان فى الخليفة لسان
الذئض ضرورى للبشر فى العمران المعتدل واما المنخرى الى الحر فلا يحتاج اهلها الى دفعه ولهذا يملغنا عن
اهل الاقليم الاول من السودان انهم عراة فى الغالب ولقد قدم هذه الصنائع بنسبها العامة الى ادريس عليه
السلام وهو اقدم الانبياء اوربما ينسبونها الى هرامس وقد يقال ان هرامس هو ادريس والله سبحانه
وتعالى هو الخلاق العليم

رجل بحسن الفعل دون القول وفيه قال القائل يا ايها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم فصل
تصف الدواء من السقام لذى الضنى * كيمما يصح به وانت سقيم ما زلت تلحق بالرشاد عقولنا * عظة وانت من الرشاد عديم

أبد أنفسك فانهم اعن غيرها * فاذا انتهت عنهما فانت حكيم فهناك يقبل ما تقول و يقتدى * بالرأى منك وينفع التعليم
لأنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم ولكن أقوى الأسباب (٢٤٥) في صلاحهم عند قوت صلاحه استعماله

عليهم الخاصة منهم وذوي
الاحلام والمروات القائمة

والاذبال الظاهرة حتى رأس
العامية سراتهم فهو الطريق
الى حفظ أديانهم و مرواآتهم
وتماسدكهم عن الانهماك
في المخطورات وملاسة
المحرمات وقال الشاعر
لا تصلح الناس فوضى
لا سراتهم
ولا سراة اذا جهلهم سادوا
(وقال) مردك القارسي
خلتان في السلطان أقرب
الى صلاح الرعية مما
سواهما ثقة الرأى وشدة
الرجة وما أحق السلطان
أن يسلك بالرعية كل سبيل
يصلحون عليه ويسودون
معه فحينئذ يكون رئيس
الرؤساء وأمير اعلی السادة
والفضلاء وان أهم لهم
وركوب شهواتهم وتوسط
لذاتهم ذهب أديانهم
وسقطت مرواآتهم ويقوا
كجاء المثل في الجماعة
المذمومة تقول العرب في
القوم لا رؤساء فيهم ولا
سروات بينهم هم سواسية
كاسنان الحجار وتقول
سواسية كاسنان المشط
وفيهم يقول الشاعر
سواس كاسنان الحجار
فلاترى
لذى شية منهم على ناشى
فضلا

وهي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الا تدعى من بطن أمه من الرفق في اخراجها من رحمها
وتهيئة اسباب ذلك ثم ما يصلح به بعد الخروج على ما نذكر وهي مختصة بالنساء في غالب الامر لانهن
الظاهرات بعضهن على عورات بعض وتسعى القائمة على ذلك منهن القابلة استعير فيهما معنى الاعطاء
والقبول كأن النساء تعطيهما الجنين وكانها تقبله وذلك ان الجنين اذا استكمل خلقه في الرحم واطواره
و بلغ الى غاية والمدة التي قدر الله لمكته وهي تسعة اشهر في الغالب فيطلب الخرج مما جعل الله في
المولود من النزوع لذلك ويضيق عليه المغذي فيسرور بما تزق بعض جوانب الفرج بالضغط وربما
انقطع بعض ما كان في الاغشية من الالتصاق والاتحام بالرحم وهذه كلها آلام يشتد لها الوجع وهو
معنى الطلق فتكون القابلة معينة في ذلك بعض الشيء بغز الظهر والوركين وما يحاذي الرحم من الاسافل
تساقق بذلك فعل الدافعة في اخراج الجنين وتسهيل ما يصعب منه بما يمكنها وعلى ما تهتدى الى معرفة
عسره ثم اذا خرج الجنين بقيت بينه وبين الرحم الوصلة حيث كان يتغذى منها متصله من سرتة معاه وتلك
الوصلة عضو فضلى لتغذية المولود خاصة فتقطعها القابلة من حيث لا تتعدى مكان الفضلة ولا تضر معاه
ولا يرحم أمه ثم تدمل مكان الجراحة منه بالسكى او بما تراه من وجوه الاندمال ثم ان الجنين عند خروجه
في ذلك المنفذ الضيق وهو رطب العظام سهل الانعطاف والاندناء فربما تتغير أشكال أعضائه وأوضاعها
أقرب التكوين ورطوبة المواد فتتناوله القابلة بالغمز والاصلاح حتى يرجع كل عضو الى شكله
الطبيعي ووضعه المقدر له ويرتد خلقه سويا ثم بعد ذلك تراجع النساء وتحاذيهن بالغمز والملاينة لخروج
اغشية الجنين لانهار بما تخرج من خروجه قليلا ويخشى عند ذلك ان تراجع المسكة حالها الطبيعية
قبل استكمال خروج الاغشية وهي فضلات فتعفن ويسرى عفن الى الرحم فيقع الهلاك فتحاذر القابلة
هذا وتحاول في اعانة الدفع الى ان يخرج تلك الاغشية ان كانت قد تأخرت ثم ترجع الى المولود فتخرج
اعضائه بالادهان والذورات القابضة لتشده وتجفف رطوبات الرحم وتحنكه لرفع لماته وتسقطه
لاستقرار بطون دماغه وتغزغز باللعوق لدفع السدم من معاه وتجويفها عن الالتصاق ثم تدوى النساء
بعد ذلك من الوهن الذي اصابها بالطلق وما لحق رحمها من الم الانفصال اذا المولود ان لم يكن عضو طبيعيا
في حالة التكوين في الرحم صيرته بالاتحام كالعضو المتصل فلذلك كان في انفصاله الم يقرب من الم القطع
وتداوى مع ذلك ما يلحق الفرج من الم من جراحة التزريق عند الضغط في الخروج وهذه كلها ادواء تجدد
هؤلاء القوابل أبصر بدواتها وكذلك ما يعرض للمولود مدة الرضاع من ادواء في بدنه الى حين الانفصال
فحينئذ من أبصر بهامن الطبيب الماهر وما ذلك الا لان بدن الانسان في تلك الحالة اتماها هو بدن انساني
بالقوة فقط فاذا جاو زالفصال صار بدنا انسانيا بالفعل فكانت حاجته حينئذ الى الطبيب اشده فهدنه
الصناعة كما تراه ضرورية في العمران للنوع الانساني لا يتم كون اشخاصه في الغالب دونها وقد يعرض
لبعض اشخاص النوع الاستغناء عن هذه الصناعة اما بحلق الله ذلك لهم معجزة وخرق العادة كما في حق
الانباء صلوات الله وسلامه عليهم او بالمسام وهداية يلمهم لها المولود و يقطر عليها فيتم وجودهم من دون
هذه الصناعة فاما شأن المعجزة من ذلك فقد وقع كثيرا ومنه ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ولد
مسرورا محتونا واضعا يديه على الارض شاخصا بصره الى السماء وكذلك شأن عيسى في المهد وغير ذلك
واما شأن الالهام فلا ينكر واذا كانت الحيوانات العجم تختص بعرائب من الالهامات كالنحل وغيرها فما

ولان يكون أمير اعلی الفضلاء والرؤساء خيرا من أن يكون أمير اعلی الاخساء والرمادية والغوغاه والاندناء (وقد قال) عبد الملك بن مروان
يوما وقد استقام له الامر من بعد زنى من عبد الله بن عمر فانه أبى ان يدخل في سلطاني فقال بعض جلسائه يستخصره وتضرب عنقه وتستريح

منه فقال عبد الملك و يلب اذا قتلت ابن عمر على من اكون امير او ماصار او دالى الحجاز فى الدولة العباسية ليقول من هناك من بنى امية
قال له عبد الله بن الحسن يا ابن عم (٢٤٦) اذا سرعت فى قتل ا كفاك فكن تباهى بساطنك اعف بعف الله عنك فعفا (وقال)

ارسطاطاليس للاسكندر
استصلح الرعية و اذهب
شمرهم تكون رئيس الاخبار
مدوحين ولا تكون رئيسا
لا شرار مذمومين فتكون
كرامى البقر
(الباب الثالث والاربعون
فيه ما يلب السلطان من
الرعية) *

كتب ارسطاطاليس الى
الاسكندر امك الرعية
بالاحسان تظفر منهم بالحبه
فان طلب ذلك منهم
بالاحسان هو اذوم بقاء
منهم بالاعتساف واعلم انك
انما تملك الابدان فتخطاها
الى القلوب بالمعروف
(واعلم) انه اذا عدل
السلطان ملك قلوب الرعية
واذا جار لم يملك منهم الا الرياء
والتصنع وفى سير المتقدمين
قلوب الرعية خزائن ملوكها
فما اودعوها من شئ
فليعلموا انه فيها (واعلم) ان
الرعية اذا قدرت على ان
تقول قدرت على ان تفعل
فاجتهد ان لا تقول تسلم
من ان تفعل وليس هذا
خلاف ما روى عن معاوية
ان رجلا غلظ له فعلم عليه
فقيل له اتعلم على مثل هذا
فقال انى لا حول بين
الناس والسنتهم ما لم يحولوا
بيننا وبين سلطانتنا وذلك

ذلك بالانسان المفضل عليهم وخصوصا من اختص بكرامة الله ثم الالهام العام للولودين فى الاقبال على
الشدى اوضح شاهد على وجود الالهام العام لهم فشان العناية الالهية اعظم من ان يحاط به ومن هنا يقم
بطلان رأى الفارابى وحكامه الاندلس فيما احتجوا به لعدم انقراض الانواع واستحالة انقطاع المكونات
وخصوصا فى النوع الانسانى وقالوا لولا انقطعت اشخاصه لاسمحتم وجودها بعد ذلك لتوقفه على هذه
الصناعة التى لا يتم كون الانسان الا بها اذ لو قدرنا مولودا دون هذه الصناعة وكفاتها الى حين الفصال لم يتم
بقاؤه اصلا ووجود الصنائع دون الفكر يمنع لانها ثمرة وتابعة له وتكاف ابن سينا فى الرد على هذا الرأى
لنخالفته اياه وذهابه الى امكان انقطاع الانواع ونحوها عالم التكرور ثم عوده ثانيا لاقتضايات فلاكية
واوضاع غريبة تندرج فى الاحقاب بزعمه فتقتضى تخمير طينة مناسبة لمرآجه بحرارة مناسبة فيتم كونه انسانا
ثم يقبض له حيوان يخلق فيه الهام لثريته والحنو عليه الى ان يتم وجوده وفصاله واظنبت فى بيان ذلك فى
الرسالة التى سماها رسالة حتى بن يقظان وهذا الاستدلال غير صحيح وان كنا نوافقه على انقطاع الانواع
لكن من غير ما استدلل به فان دليله مبنى على اسناد الافعال الى العلة الموجبة وادى ل القول بالفاعل
المختار يرد عليه ولا واسطة على القول بالفاعل المختار بين الافعال والقدر القديمة ولا حاجة الى هذا
التكلف * ثم لو سلمنا جدلا للغاية ما ينبنى عليه اطراد وجوده ذلك الشخص بخلق الالهام لترتيبه فى
الحيوان الاعجم وما الضرورة الداعية لذلك واذا كان الالهام يخلق فى الحيوان الاعجم فما المانع من
خلقه للولود نفسه كقرنانه او لا وخلق الالهام فى شخص لمصالح نفسه اقرب من خلقه فيه لمصالح غيره فكلا
المذهبين شاهدان على انفسهم ما بالبطلان فى منحهم ما ساقروته لك والله تعالى اعلم

٢٩ * فصل فى صناعة الطب وانها محتاج اليها فى الحواضر والامصار ودون البادية *

هذه الصناعة ضرورية فى المدن والامصار لما عرف من فائدتها فان شمرتها حفظ الصحة للاصحاء ودفع
المرض عن المرضى بالمداواة حتى يحصل لهم البرء من امراضهم واعلم ان اصل الامراض كلها انما هو
من الاغذية كما قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الجامع للطب وهو قوله المعدة بيت الداء والحمية
رأس الدواء واصل كل داء البردة فلما قوله المعدة بيت الداء فهو ظاهر واما قوله الحمية رأس الدواء
فالحمية الجوع وهو الاحتماء من الطعام والمعنى ان الجوع هو الدواء العظيم الذى هو اصل الادوية
واما قوله اصل كل داء البردة فعنى البردة ادخال الطعام على الطعام فى المعدة قبل ان يتم هضم الاول
وشرحه هذا ان الله سبحانه خلق الانسان وحفظ حياته بالغذاء يستعمله بالاكل وينقى ذممه القوى
المهضمة والغاذية الى ان يصير دما ملائما لاجزاء البدن من اللحم والعظم ثم تأخذ النامية فينقلب
لحم او عظما ومعنى المهضم طبخ الغذاء بالحراة الغريزية طورا بعد طور حتى يصير جزأا لتعمل من البدن
وتفسيره ان الغذاء اذا حصل فى القوم ولا كنه الاشداق أثرت فيه حرارة الفم لطبخها سيرا وقلبت مزاجه بعض
الشيء كما تراه فى اللقمة اذا تناولتها طعاما ثم اجدها مضمغة فترى مزاجها غيبر مزاج الطعام ثم يحصل فى المعدة
فتطبخه حرارة المعدة الى ان يصير كيموسا وهو صفو ذلك المطبوخ وترسله الى الكبد وترسل ما راسب منه
فى المعانة لا ينقل الى المخرجين ثم تطبخ حرارة الكبد ذلك الكيموس الى ان يصير دما عبيطا وتطبخ عليه
رغوة من الطبخ هى الصفراء وترسب منه اجزاء باسفة هى السوداء ويصير الحار الغريزى بعض الشيء عن
طبخ الغلظ منه فهو والبلمغ ثم ترسلها الكبد كلها فى العروق والجداول ويأخذها طبخ الحار الغريزى
هناك فيكون عن الدم الخالص بخار حار رطب يد الروح الحيوانى وتأخذ النامية مأخذها فى الدم فيكون

ان تفسير قوله فاجتهد ان لا تقول يعنى اذا عدت لم يتكلموا بشئ وهذه السيرة احسن من سيرة ادرشير
لما رجع اليه ان جماعة من بطانته قد فسدت نياتهم فوقع نحن معاشر الملوك انما تملك الاجساد لا النيات ونحكى بالعدل لابرصا ونقص

مجا

عن الاعمال لا عن السرائر (قلت) وانما تحسن هذه السيرة لمن يحجز عن الاولى لان ملك الاجساد قد يكون بالعدل والظلم وملك القلوب لا يكون الا بالعدل واين هذا من قوله وقد رفع اليه انك ركبت امس في عدة قليلة وتلك (٢٤٧) حالة لا يؤمن اغتيال الاعداء فيها

فوقع من عم احسانه امن
أعداءه وما احسن ما قال
عبد الملك بن مروان يا اهل
الشام انما انا لكم كالظلم
الرائح على فراخه ينقى
عنهم القذرو ويباعد عنهم
الحجرو ويكهنهم من المطر
ويحميهم من الضباب
ويحرسهم من الذئاب
يا اهل الشام انتم الحجة
والرداء وانتم العدة والجداء
وقالت العجم اسوس المملوك
من قادر عنته الى طاعته
بقلو بها ولا ينبغي للوالى
أن يرغب في الكرامة
التي ينالها من العامة
كرها وان كان في التي يستحقها
بحسن الاثر و صواب
التدبير وقال عمر بن عبد
العزير انى لا جمع ان
أخرج للمسلمين أمرا من
العدل فأخاف أن لا تحمله
قلوبهم فأخرج معهم طمعا
من طمع الدنيا فان تفرقت
القلوب من هذا سكنت
الى هذا وقال معاوية
لزيد من اسوس الناس
انا وأنت فقال يا امير
المؤمنين ما جعل الله رجلا
حفظ الناس بسيفه كن
اسمع الناس وأطاعوا له
بالين ويروى ان سليما
مولي زياد بن زياد
عند معاوية فقال معاوية

لجما ثم غليظه عظاما ثم يرسل البدن ما يفضل عن حاجاته من ذلك فضلات مختلفة من العرق واللعاب
والمخاط والدمع هذه صورة الغذاء وخروجها من القوة الى الفعل لجسام ان اصل الامراض ومعظمها هي
الحجيات وسببها ان الحار الغريزي قد يصف عن تمام النضج في طبخه في كل طور من هذه فيبقى ذلك
الغذاء دون نضج وسببه غالبا كثرة الغذاء في المعدة حتى يكون اغلب على الحار الغريزي او ادخال الطعام
الى المعدة قبل أن تستوفي طبخ الاول فيستقل به الحار الغريزي ويترك الاول بحاله او يتوزع عليهما
فيقتصر عن تمام الطبخ والنضج وترسله المعدة كذلك الى الكبد فلا تقوى حرارة الكبد ايضا على انضاجه
وربما يبقى في الكبد من الغذاء الاول فضلة غير ناضجة وترسل الكبد جميع ذلك الى العروق غير ناضج كما
هو فاذا أخذ البدن حاجته الملائمة ارسله مع الفضلات الاخرى من العرق والدمع واللعاب ان اقتدر على
ذلك وربما يعجز عن الكثير منه فيبقى في العروق والكبد والمعدة وتتزايد مع الايام وكل ذى رطوبة
من المتزجات اذا لم يأخذها الطبخ والنضج يعفن فيتعفن ذلك الغذاء غير الناضج وهو المسمى بالخلط وكل
متعفن فبه حرارة غريبة وتلك هي المسمية في بدن الانسان بالحمى واختبر ذلك بالطعام اذا ترك حتى يتعفن
وفي الزبل اذا تعفن أيضا كيف تنبعث فيه الحرارة وتأخذ ما أخذها فهاهنا معنى الحجيات في الابدان وهي
رأس الامراض وأصلها كما وقع في الحديث وهذه الحجيات علاجها بقطع الغذاء عن المريض اسابيع
معلومة ثم يناوله الاغذية الملائمة حتى يتم برؤه وذلك في حال الصحة علاج في التحفظ من هذا المرض وأصله
كما وقع في الحديث وقد يكون ذلك العفن في عضو مخصوص فيتولد عنه مرض في ذلك العضو ويحدث
جراحات في البدن اما في الاعضاء الرئيسية او في غيرها وقد يمرض العضو ويحدث عنه مرض القوى
الموجودة له هذه كلها جماع الامراض وأصلها في الغالب من الاغذية وهذا كما مر فروع الى الطبيب
ووقوع هذه الامراض في اهل الحضرة والامصارا كثير لحظب عيشهم وكثرة ما كملهم وقلة اقتصارهم على
نوع واحد من الاغذية وعدم توقيتهم لتناولها وكثيرا ما يخالطون بالاغذية من التوابل والبقول والفواكه
رطبوا يابسوا في سبيل العلاج بالطبخ ولا يقتصرون في ذلك على نوع او انواع فر بما عددنا في اليوم الواحد
من ألوان الطبخ اربعين نوعا من النبات والحبوب فيصير الغذاء مزاجا غريبا وربما يكون غير يابسا
ملائمة البدن وأجزائه ثم ان الاهوية في الامصار تفسد بمخاطبة الاغذية العفنة من كثرة الفضلات والاهوية
منشطة للارواح ومقوية بنشاطها الاثر الحار الغريزي في المضم ثم الى الرياضة مفقودة لاهل الامصار اذ هم
في الغالب وادعون ساكنون لا تأخذ منهم الرياضة شيئا ولا تؤثر فيهم اثر ارفا كان وقوع الامراض كثير في
المدن والامصار وعلى قدر وقوعه كانت حاجتهم الى هذه الصناعة وأما اهل البدو فكلهم قليل في
الغالب والجوع اغلب عليهم لقلة المحبوب حتى صار لهم ذلك عادة وربما يظن انها جيلة لاستمرارها ثم الادم
قليلة لديهم او مفقودة بالجملة وعلاج الطبخ بالتوابل والفواكه انما يمددوا به ترف الحاضرة الذين هم
بعزل عنه فيتناولون اغذيتهم بسيطة بعيدة عما يخالطها ويقرب مزاجها من ملائمة البدن وأما هو يتهم
فقليلة العفن لقلة الرطوبات والعفونات ان كانوا آهلين او لاختلاف الاهوية ان كانوا طواعن ثم ان
الرياضة موجودة فيهم للثمة الحركة في ركض الخيل او الصيد او طلب الحاجات المهنة أنفسهم في حاجاتهم
فيحسن بذلك كله المضم ويجودو بفقدها ادخال الطعام على الطعام فتكون أضرحتهم أصلح وابعدهم
الامراض فتقل حاجتهم الى الطب ولهذا لا يوجد الطبيب في البادية بوجهه وما ذلك الا للاسبغ تغناء عنه
اذ لو احتج اليه لوجد لانه يكون له بذلك في البدو معاش يدعو الى سكناه سنة الله التي قد خلقت في

أسكت فما أدرك صاحبك بسيفه أدركت أكثر منه بل ساني (الباب الرابع والاربعون في التحذير من حجة السلطان) اتفقت
حكما العرب والعجم ووصاياهم على النهي عن حجة السلطان قال في كتاب كليله وودمنه ثلاثة لا يسلم عليها الا القليل حجة السلطان

واثمان النساء على الاسرار وشرب السم على التجربة وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر وأعظم منه خطر اصحبه السلطان وقال مردك احق الامور بالثبوت فيها (٢٤٨) أمر السلطان فانه من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس شعار العرور وفي حكم الهند أيضا

عباده وان تجد لسنة الله تبديلا

٣٠ * (فصل في ان الخط والكاتبه من عداد الصنائع الانسانية) *

وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة اذا الكتابة من خواص الانسان التي يميز بها عن الحيوان وأضافه هي تطلع على ما في الضمائر وتنادى بها الاغراض الى البلد البعيد دفقة قضى الحاجات وقد دفعت مؤنة المباشرة لها ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الاولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم فهي شريفة بهمة الوجه والمنافع وخروجها في الانسان من القوة الى الفهم على انما يكون بالتعليم وعلى قدر الاجتماع والعمران والتناخي في الكمالات والطلب لذلك تكون جودة الخط في المدينة اذ هو من جملة الصنائع وقد قدمنا ان هذا شأنها وانها تابعة للعمران ولهذا نجد اذ كثرت البدو امين لا يكتبون ولا يقرؤون ومن قرأ منهم او كتب فيكون خطه قاصرا وقراءته غير نافذة ونجد تعليم الخط في الامصار الخارج عمراتها عن الحد ابلغ واحسن وأسهل طر يقا لاستحكام الصنعة فيها كما يحكي لنا عن مصر لهذا العهد وان بها معلمين منتصبين لتعليم الخط بقون على المتعلم قوانين واحكاما في وضع كل حرف ويزيدون الى ذلك المباشرة بتعليم وضعه فتعزز لديه رتبة العلم والحس في التعليم وتأتي ملكته على أتم الوجوه وانما أتى هذا من كمال الصنائع ووفورها بكثره العمران وانتساح الاعمال وقد كان الخط العربي بالغامبا من الاحكام والاتقان والجودة في دولة التبايعه لما بلغت من الحضارة والترقي وهو المسمى بالخط المجرى وانتقل منها الى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نساء التبايعه في العصبية والمجديدين الملك العرب بأرض العراق ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند التبايعه لقصور ما بين الدولتين وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش فيما ذكر يقال ان الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن أمية ويقال حرب بن أمية وأخذها من أسلم بن سدره وهو قول ممكن وأقرب من ذهب الى أنهم تعلموها من اباد أهل العراق لقول شاعرهم

قوم لهم ساحة العراق اذا ساروا جيعا والخط والقلم

وهو قول بعيد لان ابادا وان نزلوا ساحة العراق فلم ير الواعلي شأنهم من البدو والخط من الصنائع الحضرية وانما معنى قول الشاعر انهم أقرب الى الخط والقلم من غيرهم من العرب لقرابهم من ساحة الامصار وضواحيها فالقول بان اهل الحجاز انما لقنوها من الحيرة ولقنها أهل الحيرة من التبايعه ووجهير هو الالتيق من الاقوال وكان مجير كتابة تسمى المسند حروفها منقصة وكانوا ينعنون من تعلمها الا باذنها ومن جبر تعلمت مضر الكتابة العربية الا انهم لم يكونوا يجيدون لها شأن الصنائع اذا وقعت بالبدو فلا تكون محكمة المذاهب ولا ماثلة الى الاتقان والتنميق لبون ما بين البدو والصناعة واستغناء البدو عنها في الاكثر وكانت كتابة العرب بدوية مثل او قريمان كتابتهم لهذا العهد وادونت قول ان كتابتهم لهذا العهد احسن صناعة لان هؤلاء أقرب الى الحضارة ومخالطة الامصار والدول واما مضر فكانوا اعرق في البدو وابتعد عن الحضرة من أهل اليمن وأهل العراق وأهل الشام ومصر فكان الخط العربي لاول الاسلام غير بالغ الى الغاية من الاحكام والاتقان والاجادة ولا الى التوسط لمكان العرب من البدو والتوحش وبعدهم عن الصنائع وانظر ما وقع لاجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الاجادة فخالف الكثير من رسوماتهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها ثم اثنى

صحة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطر وانما تشبه بالجبل الودع فيها الثمار الطيبة والسباع العادية والثعابين المهلكة فالارتقاء اليه شديد والمقام فيه أشد وليس يتكافأ خبير السلطان وشبهه لان خير السلطان لا يعدوز يد الحال وشرب السلطان قد ينزل الحال ويتلف النفس التي لها طلب المزيد ولا خير في الشيء الذي في سلامته مال وجاه وفي نكته المجائحة والتلف ولهذا ما قيل للعتابي لم أتعب السلطان على ما فيه من الادب قال اني رأيت يعطى عشرة آلاف في غير شيء ويردى من الصوري في غير شيء ولا أدري أي الرجلين أكون (وأخبرني) أبو العباس المجرى وكان من دوح أرض الهند والصين وانتهى الى صين الصين الى جبل الياقوت بالهندوان فيه ثعابين ليس في مع مور الارض أعظم منها فان الواحد منها يبلغ الثور صحيفا فلا يصل أحد الى ذلك الجبل ولا يقربه فاذا كثرت الامطار احدثت

السيول منه المحصى وسائر ما فيه من المنافع الى مستقر المياه على مسير أيام من الجبل فيبحث الناس ذلك المحصى فيوجد فيها الواحدة بعد الواحدة من أحجار الياقوت وقال معاوية لرجل من قريش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبي

ويرضى رضا الصبي ويبتسب بطش الاسد وقال المأمون لو كنت رجلا من العامة ما صحبت السلطان وقال الاخنف بن قيس ثلاثة
لا أقولهن الا ليعتبر بهن لا اخلف جليسي الابدما أحضره به ولا ادخل في أمر لا ادخل فيه (٢٤٩) ولا آتى السلطان الا ان يرسل الي

وقال ابن المقفع لابنه ان
وجدت من السلطان
وصحبت غنى فأغن عن
نفسك واعتزله جهديك
فانه من يأخذه السلطان
بحقه يحل بينه وبين لذة
الدينا ومن لا يأخذه بحقه
يكسبه الفضيحة في الدنيا
والوزر في الآخرة وقال
ميمون بن مهران قال لي
عمر بن عبد العزيز يا ميمون
احفظ عني أربعا لا يحب
سلطانا وان أمرته بالمعروف
ونهيته عن المنكر ولا تخلون
بامرأة وان قرأتها القرآن
ولا تصل من قطع رجمه
فانه لك أقطع ولا تتكلم
بكلام اليوم تعتذر منه غدا
(وفي منشور الحكم) كثرة
الاشغال مذهلة عن وجود
الذات بكنهها وكقدرنا
وبلغنا من صحب السلطان
من أهل الفضل والعقل
والعلم والدين ليصلحه ففسد
هو به فكان كما قال الاول
عدوى البليد الى الجليد
سريته
والجور يوضع في الرماد
فيخمد
ومثل من يحب السلطان
ليصلحه مثل من ذهب
ليقيم حائطا ما لا يفتقد
عليه ليقمه فخر الحائط عليه
فأهلكه وفي كتاب كليله

التابعون من السلف رسما فيهم فيها تبر كما رسمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير الخلق من بعده
المتلقون لوجه من كتاب الله وكلامه كما يقيني لهذا العهد خطو لي او عالم تبر كما ويبيع رسمة خطأ أو صوابا وابن
نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه فاتبع ذلك وأثبت رسما ونبه العلماء بالرسم على مواضعه ولا تلتفت
في ذلك الى ما يرغم بعض المغفلين من أنهم كانوا يحكمون لصناعة الخط وان ما يتخيل من مخالفة خطوطهم
لاصول الرسم ليس كما يتخيل بل لسكاها وجه ويقولون في مثل زيادة الالف في لا أنحنه انه تنبيه على ان
الذبح لم يقع وفي زيادة الياء في بأيديانه تنبيه على كمال القدرة الربية وامثال ذلك مما لا أصل له الا التحكم
الحض وما جعله -م على ذلك الاعتقادهم ان في ذلك تنزيه للصحابة عن توهم النقص في قلة اجادة الخط
وحسبوا ان الخط كمال فنزهوهم عن نقصه ونسبوا اليهم الكمال باجادته ومطلبوا تعليل ما خالف الاجادة من
رسمة وذلك ليس بصحيح * واعلم ان الخط ليس بكامل في حقهم اذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية
كما رأيت في عامر والكمال في الصنائع اضافي وليس بكامل مطاني اذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في
الحلال وانما يعود على اسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لاجل دلالته على ما في النفوس
وقد كان صلى الله عليه وسلم اميا وكان ذلك كمالا في حقه وبالنسبة الى مقامه لشر فغو تنزهه عن الصنائع
العملية التي هي اسباب المعاش والعمران كما هو وليست الامية كمالا في حقنا نحن اذ هو منقطع الى ربه
ونحن متعاونون على الحياة الدنيا شأن الصنائع كلها حتى العلوم الاصلية فان الكمال في حقه هو
تنزهه عنها لانه لا يتخلفا ثم لما جاء الملك للعرب وفتحوا الامصار ومدكوا والمالك ونزلوا البصرة والكوفة
واحتاجت الدولة الى الكتابة استعملوا الخط وطلبوا مواضعه وتعلمه وتداولوه فترقت الاجادة فيه
واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الاتقان الا انها كانت دون الغاية والخط الكوفي معروف
الرسم لهذا العهد ثم انتشر العرب في الاقطار والممالك واقتنوا فر يقية والاندلس واختط بنو العباس
بغداد وترقت الخطوط فيها الى الغاية لما استبحرت في العمران وكانت دار الاسلام وركز الدولة العربية
وكان الخط البغدادي معروف الرسم وتبعه الافريق المعروف رسمة القديم لهذا العهد ويقرب من اوضاع
الخط المشرقي وتحت يزم ملك الاندلس بالامو بين تميز وابطاحوا لهم من الحضارة والصنائع والخطوط فتميز
صنف خطهم الاندلسي كما هو معروف الرسم لهذا العهد وطما بجزر العمران والحضارة في الدول الاسلامية
في كل قطر وعظم الملك ونفقت اسواق العلوم وانتسخت الكتب واجيد كتبها وتجليدها وملائتها
القصور والخزائن الملو كية بما لا كئاله وتنافس اهل الاقطار في ذلك وتنافسوا فيه ثم لما انحل نظام
الدولة الاسلامية وتناقصت تناقص ذلك اجمع ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة فانتقل شأنها من
الخط والكتابة بل والعلم الى مصر والقاهرة فلم تزل اسواقها نافقة لهذا العهد وله بها معلمون برسوم
لتعليم الحروف بقوانين في وضعها واشكالها متعارفة بينهم فلا يلبث المتعلم او يحكم اشكال تلك الحروف
على تلك الاوضاع وقد لقيتها حسنا وحنق فيها درية وكابا واخذها قوانين علمية فتعجب احسن ما يكون
واما اهل الاندلس فاقترقوا في الاقطار عند ثلاثي ملك العرب بها ومن خلفهم من البر وتغلبت عليهم
ام النصرانية فانتهروا في عدوة المغرب وافر يقية من لدن الدولة اللتونية الى هذا العهد وشاركوا اهل
العمران بما لديهم من الصنائع وتعلموا باذيال الدولة فغلب خطهم على الخط الافريق وعنى عليه ونسى
خط القبروان والمهدية نسبة بان عواندهما مواضعهما وصارت خطوط اهل افريقية كما على الرسم
الاندلسي بتونس وماليها لتوفر اهل الاندلس بها عند الجالية من شرق الاندلس وبقي منه رسم ببلاد

(٣٢ - ابن خلدون) ودمنه لا يسعد من ابتلى بحببة الملوك فانه لا عهد لهم ولا وفاء ولا قريب ولا جيم ولا يكرم عليهم احد
الان يطعموا فيم اعنده فيقر بوه عند ذلك فاذا اقضوا حاجتهم تركوه ولا وود ولا اذاع الا البلاء يجزي والذنب لا يغفر له وقال بزرجمهر لا تصلح

صحبة السلطان الاباطعة واليدل ولا مؤاخة الاخوان الابالين والمواساة (وقال) بعض حكماء افرس المال والاساطان مفسدان لسلك
أحد الارجل له عقل كامل وقالت (٢٥٠) الحكماء صاحب السلطان كراكب الاسدي يخافه الناس وهو لم يركبه أخوف وقالوا من لزم

الجريد الذين لم يخاطوا كتاب الاندلس ولا تمرسوا بجوارهم إنما كان يغدون على دار الملك بتونس فصار
خط أهل افر ببيعة من احسن خطوط أهل الاندلس حتى اذا تقلص ظل الدولة الموحدية بعض الشيء
وتراجع امر الحضارة والترقي بتراجع العمران نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسمه وجعل فيه وجه
التعليم بفساد الحضارة وتناقص العمران وبقيت فيه آثار الخط الاندلسي تشهد بما كان لهم من ذلك لما
قدمناه من ان الصنائع اذا رسخت بالحضارة فيعسر محوها وحصل في دولة بني مرين من بعد ذلك بالمغرب
الاقصى لون من الخط الاندلسي القريب جوارهم وسقوط من خرج منهم الى فاس قرينا واسستعمالهم اياهم
سائر الدولة ونسب عهدهم الخط فيما بعد عن سدة المملك وداره كان لم يعرف فصارت الخطوط بافر ببيعة
والمغرب بين مائلة الى الرداءة بعيدة عن الجودة وصارت الكتب اذا انتسخت فلا فائدة تحصل لم تصحها منها
الالاناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتخفيف وتغيير الاشكال الخطية عن الجودة حتى لا تسكاد
تقرأ الا بعد عسر ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول والله أعلم

٣١ * (فصل في صناعة الوراقة) *

كانت العناية قديما بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجديدها وتصحيفها بالرواية والضبط وكان
سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة وقد ذهب ذلك لهذا العهد بذهاب الدولة وتناقص
العمران بعد ان كان منه في الملة الاسلامية بجزائر العراق والاندلس اذهب وكله من توابع العمران
واساع نطاق الدولة ونطاق اسواق ذلك لديهما فكثرت التآليف العلمية والدواوين وحرص الناس
على تنافلهما في الافاق والاعصار فانتهجت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ
والتصحيف والتجليد وسائر الامور الكتبية والدواوين واختصت بالمصارف العظيمة العمران وكانت
السجلات اول الانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والاقطاعات والسكرات في الرقوق المهمة
بالصناعة من الجدل لكثرة الرفعة وقلة التآليف صدر الملة كما نذكره وقلة الرسائل السلطانية والسكرات
مع ذلك فانصهر واعلى السكب في الرق تشرى بالكتوبات وميل الاجهزة الى الصحة والاتقان ثم طمأ بحر
التآليف والتدوين وكثرت رسائل السلطان وكرهه وضاق الرق عن ذلك فاشارة الفضل بن يحيى بصناعة
السكرات وصنعها وكتب فيه رسائل السلطان وكرهه واتخذها الناس من بعده صحفا مكتوبة باتهم السلطانية
والعلمية وبلغت الاجادة في صناعة ماشاءت ثم وقفت عناية اهل العلوم وهمم أهل الدول على ضبط
الدواوين العلمية وتصحيفها بالرواية المسندة الى مؤلفيها ووضعها لانه الشأن الا هم من التصحيح والضبط
فبذلك تسند الاقوال الى قائلها والفتيا الى الحاكم بها الجتهدي طريق استنباطها وما لم يكن تصحيح المتن
باسنادها الى مدونها فلا يصح اسناد قول لهم ولا فتيا وهكذا كان شأن أهل العلوم وجلت في العصور
والاجيال والافاق حتى لقد قصرت فائدة الصناعة الحديثة في الرواية على هذه فقط اذ تهرت الكبري
من معرفة صحيح الاحاديث وحسنها ومساؤها ومقطوعها وموقوفها من موضوعها قد ذهبت
وتحضت زبدة في ذلك الامهات المتلقاة بالقبول عند الامة وصار القصد الى ذلك لغوامن العمل ولم يتبق
ثمرة الرواية والاشتغال بها الا في تصحيح تلك الامهات الحديثة وسواها من كتب الفقه للفتيا وغير ذلك من
الدواوين والتآليف العلمية واتصال سندها بمؤلفيها الصحيح النقل عنهم والاسناد اليهم وكانت هذه
الرسوم بالمشرق والاندلس معجدة الطرق واضحة المسالك ولهذا نجد الدواوين المنتسخة لذلك العهد في
اقطارهم على غاية من الاتقان والاحكام والصحة ومنها هذا العهد بأيدي الناس في العالم اصول عتيقة

باب السلطان بصبر جميل
وكظم الغيظ واطراح
الاذى وصل الى حاجته
كالكريم لا يتعلق باكرم
الشجر لكن بادناها وكانت
العرب تقول ان لم تكن
من قرباء الملك فكمن من
بعدها (وفي) حكم الهند
انما مثل السلطان في قلة
وفائه مع اصحابه وسخائه
نفسه عن فقده منهم كمثل
الصبي والمكتب كلما ذهب
واحد جاء آخر والعرب
تقول السلطان ذو غدوات
وذو بدوات وذو تدرا
وتريد انه سربع الانصراف
كثير البدوات هجم على
الامور واصله من الدر
وهو الدفع

(الباب الخامس والاربعون)

في صحبة السلطان *

قال ابن عباس قال لي ابي
يا بني اني ارى امير المؤمنين
يستخيلك ويستشرك
ويقدمك على الاكابر من
اصحاب محمد عليه السلام
واني اوصيك بخلال ثلاث
لا تفشين له سرا ولا يجر بن
عليك كذبا ولا تغتابن
عنده احد (قال) الشعبي
قلت لابن عباس كل واحدة
منهن خير من ألف قال
اي والله ومن عشرة آلاف
وقالوا صحبة السلطان

شهد

بالحذر والصديق بالنواضع والعدو بالجور والعامه بالبشر ولا تحكم لاحد بحسن رأى الملك
الاجسن اثره (قال) بعض الحكماء لا تستطاع السلطان ما كتمك ولا تفش ما اطلعك عليه من ادل على السلطان استنقله ومن امن

عليه عاداه ومن أظهر أنه يستشير به بعده (وقال) بعض الحكماء إذا زادك السلطان تأتسا فزده باجلا واذا جعلك السلطان أخا فاجعله أبوا وان زادك احسانا فزده فعل العبد مع سيده وان ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس (٢٥١) فأخذوا في البناء عليه فعملك

بالدعاء له وان نزلت منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثري الدعاء له عند كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة الا ان تكلمه على رؤس الناس فلا تأولوا بعظمته وذكركه وقال ابن المقفع لتكن حاجتك في ساطنك ثلاث خلال رضارتك ورضا سلطانك ورضا من تلي عليه ولا عليك ان تلهو عن المسال

والذخرفس ما أتيتك منها ما يكفي ويطيب (وقال) مسلم بن عمرو لم يخدم السلطان لا تعتر بالسلطان اذا أدناك ولا تنفيرا اذا أقصاك وروى أن بعض الملوك استصحب حكيمًا فقال له أصحبتك على ثلاث خلال قال وما هن قال لا تنك لي ستر ولا تشتم لي عرضا ولا تقبل في قول قائل حتى تستشير في قال هذا لك فخالي عندك قال لا أنفي لك سرا ولا أدخ عنك نصيحة ولا أوتر عليك أحدا قال نعم الصاحب المستصحب أنت وقيل لعبد الله بن جعفر ما تخرق قال الدالة على السلطان والوثبة قبل الامكان وقال ابن المقفع أولى الناس بالملك

تسهد ببلوغ الغاية لهم في ذلك وأهل الآفاق يتناقضون الى الآفاق ويشدون عليها يد الضمانة ولقد ذهب هذه الرسوم لهذا العهد جملته بالمغرب وأهله لا تقطع صناعة الخط والضبط والرواية منه بانقراض عمرانه وبداءة أهله وصارت الامهات والدواوين تنسخ بالخطوط اليدوية تنسخها طلبة البربر صحائف مستحجة برداعة الخط وكثرة الفساد والتخفيف فنسغل على متصفحها ولا يحصل منها فائدة الا في الاقل النادر وأيضا فقد دخل الخلل من ذلك في الفتيا فان غالب الاقوال المعزوة غير مروية عن أئمة المذهب وانما تنلقى من تلك الدواوين على ما هي عليه وتبع ذلك أيضا ما يتصدى اليه بعض أئمتهم من التأليف لقله بصرهم بصناعاته وعدم الصنائع الوافية بما قصده ولم يبق من هذا الرسم بالاندلس الا اثاره خفية بالاحياء وهي على الاضمحلال فقد كاد العلم ينقطع بالكيفية من الغرب والله غالب على أمره ويبلغنا لهذا العهد ان صناعة الرواية قائمة بالمشرق وتصحح الدواوين لمن يرومه بذلك سهل على مبتغيه لتفاني اسواق العلوم والصنائع كما نذكره بعد الا ان الخط الذي بقي من الاجادة في الانتساح هنالك انما هو للعجم وفي خطوطهم واما النسخ بمصر فقد كاد يفسد بالمغرب واشد والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

٢٢ * (فصل في صناعة الغناء) *

هذه الصناعة هي تخمين الاشعار الموزونة بتقطيع الاصوات على نسب منتظمة معروفة بوقع على كل صوت منها توقيعا عند قطعه فيكون نغمة ثم تواف تلك النغم بعضها الى بعض على نسب متعارفة فيلذ سمعها الاجل ذلك التناسب وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الاصوات وذلك انه تبين في علم الموسيقى ان الاصوات تتناسب فيكون صوت نصف صوت وربع آخر وخمس آخر وجزأ من احد عشر من آخر واختلاف هذه النسب عند تأديتها الى السمع يخرجهما من البساطة الى التركيب وليس كل تركيب منها ملذوذ عند السماع بل تراكب خاصة هي التي حصرها اهل علم الموسيقى وتكلموا عليها كما هو مذكور في موضعه وقد بساوق ذلك التخليق في النغمات الغنائية بتقطيع اصوات اخرى من الجمادات اما بالقرع او بالنقح في الآلات نتجت لذلك فترى لها الذة عند السماع فيهنال هذا العهد اصناف منها ما يسمى به الشبابة وهي قصبه جوفاء بانجاش في جوانبها معدودة ينفتح فيها فتصوت ويخرج الصوت من جوفها على سداة من تلك الانجاش ويقطع الصوت بوضع الاصابع من اليدين جميعا على تلك الانجاش وضعا مع تعارفا حتى يحدث النسب بين الاصوات فيه وتتصل كذلك متناسبة فيما تذال السمع بادراكها للتناسب الذي ذكرناه ومن جنس هذه الآلة المزمار الذي يسمى الزلامي وهو شكل القصبه منحوتة الجانبيين من الخشب جوفاء من غير تدوير لاجل ائتنلافها من قطعتين منفردتين كذلك بانجاش معدودة ينفتح فيها بقصبه صغيرة توصل فينفذ النغم بواسطته اليها وتوصت بنغمة حادة يجري فيها من تقطيع الاصوات من تلك الانجاش بالاصابع مثل ما يجري في الشبابة ومن أحسن آلات الزمر لهذا العهد البوق وهو بوق من نحاس اجوف في مقدار الذراع يتسع الى ان يكون انقراج مخرجه في مقدار دون الكف في شكل برى القلم وينفتح فيه بقصبه صغيرة تؤدي الريح من الفم اليه فيخرج الصوت نغمة تدوي باوق فيه انجاش ايضا معدودة وتقطع نغمة منها كذلك بالاصابع على التناسب فيكون ملذوذ ومنها آلات الاوتار وهي جوفاء كلها اما على شكل قطعة من السكره مثل البربط والراب او على شكل مربع كالعانون توضع الاوتار على بساطها مشدودة في رأسها الى دساتر جانله لبتأني شد الاوتار ورخوها عندها الحاجة اليه بادارتها ثم تفرع الاوتار اما بعودا آخر او بوتر مشدود بين طرفي قوس يمر عليها بعد ان يطلى بالشمع والاندرو ويقطع الصوت فيه بتخفيف اليد في امراره

الفاحشة المقدم على السلطان بالدالة وقال يحيى بن خالد الدالة تقسد الجرمة القديمة وتضر بالحجة المتأكدة وقال بزرجهر اذا خدمت ملكا من الملوك فلا تطعمه في معصية خالفت فان احسانه اليك فوق احسان الملوك واقعا بهك اعلاظ من ايقاعه أصحب الملوك بالهيبة لهم

والوقار لانهم انما احتجوا عن الناس لقيام الهيبة فلا تترك الهيبة وان طال أنسك بهم فهو وحسبهم منك لا تعط السلطان مجهودك في أول صحبتك له فلا تجذب بعد ليزيد موضعا (٢٥٢) ولكن دع ليزيد موضعا لسلطان وكانك تتعلم منه وأشر عليه وكانك تستشيرها اذا أحلك

اونقله من وتر الى وتر والبد اليسرى مع ذلك في جميع آلات الاوتار توقع باصابعها على اطراف الاوتار فيما يقرع او يملك بالوتر فتحدث الاصوات متناسبة ملذوذة وقد يكون القرع في الطسوت بالقضبان او في الاعواد ببعضها ببعض على توقع متناسب يحدث عنه التذاب بالمسموع ولينين لك السدب في اللذة الناشئة عن الغناء وذلك ان اللذة كما تقرر في موضعه هي ادراك الملائم والمحسوس انما تدرك منه كيفية فاذا كانت مناسبة للمدرك وملائمة كانت ملذوذة واذا كانت منافية له منافرة كانت مؤلمة فالملائم من الطعوم ما تناسبت كيفية حاسة الذوق في مزاجها وكذا الملائم من الممسوت وفي الروائح ما تناسب مزاج الروح القلبي البخاري لانه المدرك واليه تؤديه الحاسة ولهذا كانت الرياحين والازهار العطر يات أحسن رائحة وأشده ملائمة للروح لغلبة الحرارة فيها التي هي مزاج الروح القلبي وأما المرثيات والمسموعات فالملائم فيها تناسب الاوضاع في أشكالها وكيفياتها فهو أنسب عند النفس وأشده ملائمة لها فاذا كان المرثى متناسبا في أشكاله وتخطيطه التي له بحسب مادته بحيث لا يخرج عما تقتضيه مادته الخاصة من كمال المناسبة والوضع وذلك هو معنى الجمال والحسن في كل مدرك كان ذلك حينئذ متناسبا للنفس المدركة فتلتذذ بدراك ملائمتها ولهذا تجد العاشقين المستهترين في المحبة يعبرون عن غاية محبتهم وعشقهم بامتزاج أرواحهم بروح المحبوب وفي هذا سر تفهمه ان كنت من أهله وهو اتحاد المبدأ وان كل ماسواك اذا نظرت وتاملته رأيت بينك وبينه اتحاد في البداية يشهد لك به اتحاد كاني الكون ومعناه من وجه آخر ان الوجود يشترك بين الموجودات كما تقوله الحكماء فتود ان تخرج بما شاهدت فيه الكمال لتجد به بل تروم النفس حينئذ الخروج عن الوهم الى الحقيقة التي هي اتحاد المبدأ والكون ولما كان أنسب الاشياء الى الانسان وأقربها الى ان يدرك الكمال في تناسب موضوعها هو شكله الانساني فكان ادراكه للجمال والحسن في تخطيطه وأصواته من المدرك التي هي أقرب الى فطرته فيلهمج كل انسان بالحسن من المرثى او المسموع عمة تقتضي الفطرة والحسن في المسموع أن تكون الاصوات متناسبة لامتنافرة وذلك ان الاصوات لها كيفيات من الحمس والجهر والرخاوة والشددة والقلقلة والضغط وغير ذلك والتناسب فيها هو الذي يوجب لها الحسن فالوان لا يخرج من الصوت الى مده دفعة بل بتدرج يخرج ثم يرجع كذلك وهكذا الى المثل بل لا بد من توسط المتغير بين الصوتين وتأمل هذا من افتتاح أهل اللسان التراكيب من الحروف المتنافرة أو المتقاربة المخارج فانه من باب وثبات تناسبها في الاجزاء كما مر أول الباب فيخرج من الصوت الى نصفه أو ثلثه أو جزءه من كذا منه على حسب ما يكون التثقل مناسب على ما حصره أهل الصناعة فاذا كانت الاصوات على تناسب في الكيفيات كما ذكره أهل تلك الصناعة كانت ملائمة ملذوذة ومن هذا التناسب ما يكون بسيطا وما يكون الكثير من الناس مطبوعا عليه لا يحتاجون فيه الى تعلم ولا صناعة كما نجد المطبوعين على الموازين الشعرية وتوقيع الرقص وأمثال ذلك وتسمى العامة هذه القابلية بالمصنوع وكثير من القراء بهذه المثابة يقرؤون القرآن فيجيدون في تلاحين أصواتهم كأنها المزمار فيبطرون بحسن مساقهم وتناسب لغتهم ومن هذا التناسب ما يحدث بالتركيب وليس كل الناس يستوي في معرفته ولا كل الطبائع توافق صاحبها في العمل به اذا علم وهذا هو التلميح الذي يتكفل به علم الموسيقى كما نشرحه بعد عند ذكر العلوم وقد أنكر مالك رحمه الله تعالى القراءة بالتلميح وأجازها الشافعي رضي الله تعالى عنه وليس المراد تلميح الموسيقى في الصناعة فانه لا ينبغي ان يختلف في حظه اذ صناعة الغناء مبنية للقرآن بكل وجهه لان القراءة والاداء تحتاج الى مقدار من الصوت لتعيين أداء الحروف لامن حيث اتبع الحركات في موضعه او مقدار المد عند

السلطان من نفسه بحيث يسمع منك ويتقربك فإياك والدخول بينه وبين بطانته فانك لا تدري متى يتغير لك فيكون عون عليك إياك ان تعادي من اذا شاء يطرح ثيابه ويدخل مع الملك في ثيابه فعل وفي الامثال القديمة احذر رماة الخدعة وفيه قيل ليس الشفيخ الذي يأتيك مؤتورا مثل الشفيخ الذي يأتيك عريانا وفي الامثال لا تدل فتقل ولا توجف فتخف وقال الرشيد لا سمعيل بن صبيح اباك والدالة فانها تقصد الحرمه وقال سليمان بن داود عليهم السلام لا تغش السلطان ولا تعد عنه وقال الحكماء شدة الاتقباض عن السلطان تورث التهمة وشدة الانبساط تقبح باب الملالة واعلم ان من طلب الغز بلا ذل كانت ثمرة سعيه الذل أحرز منزلتك عند السلطان بمثل ما كتبتهم ان الجهد والمناسحة واحذر ان يحطك التهاون عمارك اليه التحفظ ان أشقى الناس بالسلطان صاحبه كما ان أقرب الاشياء الى النار أسرها احترق من

لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم الغيظ واطراح الاذى وصل الى حاجته (وقال الاحنف بن قيس) من لا تنقبضوا عن السلطان ولا تهاكوا عليه فانه من أشرف على السلطان أرداه ومن تضرع له تحطاه وقال ابن عباس رضي الله عنه

ثلاثة من عاداته ذلة السلطان والولد والغريم واعلم انه انما يستطيع صحبة السلطان احدث رجلين اما فاجر مصانع ينال حاجته بقوره ويسلم بمصانعه وامام مغفل مهين لا يحسده احد فاما من اراد ان يحب السلطان (٢٥٣) بالصدق والنصيحة والعفاف

من يطلقه او يقصره وامثال ذلك والتخين ايضا يتعين له مقدار من الصوت لا يتم الا به من اجل التناسب الذي قلناه في حقيقة التخين واعتبار احوالهم ما قد يتخلل بالاخر اذا تعارضوا وتقديم الرواية متعين من تغيير الرواية المنقولة في القرآن فلا يمكن اجتماع التخين والاداء المعبر في القرآن بوجه وانما مرادهم التخين البسيط الذي يهتدى اليه صاحب المصنوع بطبعه كما قدمناه فيرد اصواته ترددا على نسب يدركها العالم بالغناء وغيره ولا ينبغي ذلك بوجه كما قاله مالك هذا هو محل الخلاف والظاهر تنزيه القرآن عن هذا كله كما ذهب اليه الامام رحمه الله تعالى لان القرآن محل خشوع يذكر الموت وما بعده وليس مقام التذات اذ ينادى بالحقن من الاصوات وهكذا كانت قراءة الصحابة رضي الله عنهم كفي اخبارهم واما قوله صلى الله عليه وسلم لم تعد اوتى خزما من خزما لداود فليس المراد به التردد والتخين انما معناه حسن الصوت واداء القراءة والابانة في مخارج الحروف والنطق بها واذ قد ذكرنا معنى الغناء فاعلم انه يحدث في العمران اذا توفرت وتجاوز حد الضرورى الى المحاجى ثم الى الكمالى وتفتنوا وافتتحت هذه الصناعة لانه لا يستدعيها الا من فرغ من جميع حاجاته الضرورية والمهمة من المعاش والمنزل وغيره فلا يطالبها الا الغارغون عن سائر احوالهم فنحن في مذاهب المذوذات وكان في سلطان العجم قبل الملة منها بحر جزاخرى امصارهم ومدنهم وكان ملوكهم يتخذون ذلك ويولعون به حتى لقد كان ملوك الفرس اهتماما به هذه الصناعة ولهم مكان في دولتهم وكانوا يحضرون مشاهدتهم ومجامعهم ويغنون فيها وهذا شأن العجم لهذا العهد في كل اقطار من آفاقهم وعملا كمن عمالكهم واما العرب فكان لهم اولافن الشعر يؤلفون فيه الكلام اجزاء متساوية على تناسب بينها في عدة حروفها المتحركة والساكنة ويفصلون الكلام في تلك الاجزاء تقصلا لا يكون كل جزء منها مستقلا بالافادة لا ينقطع على الاخر ويسمونه البيت فتلايم الطبع بالجزئة او لا ثم يتناسب الاجزاء في المقاطع والمبادئ ثم بتأدية المعنى المقصود وتطبيق الكلام عليها فلهذا وجبه فامتاز من بين كلامهم يحظ من الشرف ليس لغيره لاجل اختصاصه بهذا التناسب وجعله ديوانا لخبارهم وحكمهم وشرفهم ومحكا لقرائنهم في اصابة المعاني واجادة الاساليب واستمر واعلى ذلك وهذا التناسب الذي من اجل الاجزاء والمتحرك والساكن من الحروف قطرة من بحر من تناسب الاصوات كما هو معروف في كتب الموسيقى الا انهم لم يشعروا بما سواها لانهم حينئذ لم ينتحلوا العلم ولا عرفوا صناعة وكانت البدوة اغلب نحلهم ثم تغنى الحداثة منهم في حذاء بلهم والقبيان في فضاء خلواتهم فرجعوا الاصوات وترغوا وكانوا يسمون الترخ اذا كان بالشعر غناء واذا كان بالتهليل او نوع القراءة تغييرا بالعين المحجمة والباء الموحدة وعلاها ابو اسحق الزجاج بانها تذكروا بالغابر وهو الباقي اى باحوال الاخرة وربما تناسبوا في غنائهم بين التغمات مناسبة بسيطة كما ذكره ابن رشيق آخر كتاب العمدة وغيره وكانوا يسمونه السناد وكان اكثر ما يكون منهم في الخفيف الذي يرقص عليه ويمشى بالدف والمزمار فيطرب ويستخف الخلود وكانوا يسمونه هذا المزج وهذا البسيط كمن التلاخين هو من اولئها ولا يبعد ان تنفطن له الطباع من غير تعليم شأن البساط كاهن الصنائع ولم ينزل هذا شأن العرب في بدواتهم وجاهليتهم فلما جاء الاسلام واسسه وتوابعه على مسالك الدنيا وحازوا سلطان العجم وغلبوه عليهم وكانوا من البدوة والغضاضة على الحال التي عرفت لهم مع غضارة الدين وشدة في ترك احوال الفراغ وما ليس بنافع في دين ولا معاش فهجر واذلك شيئا ما ولم يكن المذوذ عندهم الا جميع القراءة والترغ بالشعر الذي هو دينهم ومذهبهم فلما جاءهم الترف وغلب عليهم الرفه بما حصل لهم من غنائم لامرصاروا الى نضارة العيش ورقة الحاشية واستعلاء الفراغ

فقلنا تستقيم له صحبته لانه يجتمع عليه عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد اما الصديق فينافسه في منزلته فطعن عليه لنصيحته له فاذا اجتمع عليه هذان الضغنان كان قد تعرض للهلاك وقال بعض الحكماء من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الاخرة لا يوحشك من السلطان اكرام الاشراف ان ذلك للضرورة اليهم كما يضطر الملك الى الخجامة فيشرط قفاه ويخرج دمه (وفي الامثال) لا حل لمن لاسقبه له وكان ابن عمر اذا سافر الى مكة استحب معه رجلا فيه ما فيه يستدفع به شر السقهاء واهل الوغاة والدغايرة وقال المعتصم ان للسلطان لسكرات فيها الرضا عن استوجب السخط والسخط على من استوجب الرضا ومنه قول الحكماء خاطر من لجمع في البحر واعظم منه خطر من صحب السلطان وقال ابن المقفع لابنه لا تعدن شتم السلطان شتما ولا اغلاظة اغلاظا فان ربح العزة تبسطه في غير باس ولا سخط (وقال ساميد) احد حكماء الفرس

اربعه اشياء ينبغي ان تفسر للفهم كما تفسر للبلد ولا يتكلم فيها على زكاه احد تاول الدين واخلاق الادوية وصفة الطريق الخوف والراي في السلطان واعلم ان السلطان اذا انقطع منك في الاخرة نسي الاول فارحامهم مقطوعة وجاهلهم مصرومة الامن رضوانه في

وقتهم وساعتهم واذا رايت من الوالي خلا لا تتبعي فلا تكابديه على ردها فانها رايضة صعبة لكن احسن مساعدته على احسن رايه فاذا استحكمت منه ناحية من الصواب (٢٥٤) كان ذلك الصواب هو الذي يبصر الخطايا اللطيفة اكثر من تبصيرك واجعل العدل من

حكمتك فان العدل يدعو بعضه الى بعض فاذا تمكن اقتلع الخطأ ولا تطلب ما قبل الوالي بالمسئله ولا تستبطئه وان ابطأ ولكن اطلب ما قبله بالاستحقاق والاسئتماء فانك اذا استحقته أتاك من غير طلب واذا لم تستبطئه كان أعجل له وقال يحيى بن خالد اذا صحبت السلطان فداره مداراة المرأة العاقلة القبيحة للزوج الاحق المبعوض وقال يحيى بن خالد لبعض اخوانه تذكر لي هرون الرشيد فقال له ارض بقلبه من كثيره واياك ان تسخط فيكون أسخط منك

وافترق المغنون من الفرس والروم فوقعوا الى الحجاز وصاروا موالى للعرب وغنوا جميعا بالعبدان والطنابير والمعازف والمزامير وسمع العرب تلحينهم للاصوات فخلقوا عليهم الشعارهم وظهور بالمدينة نشيط الفارسي وطويس وسائب حاتم مولى عبد الله بن جعفر فسموا شعرا العرب ولحنوه ووجدوا فيه وطارهم ذكر ثم أخذ عنهم معبد وطبقته وابن سريرج وأنظروهم وما زالت صناعة الغناء تدرج الى ان كملت أيام بني العباس عند ابراهيم بن المهدي و ابراهيم الموصلي وابنه اسحق وابنه جادو كان من ذلك في دولتهم به تعداد ما تبعه الحديث بعده وبه وبجاسه لهذا العهد وأمعنوا في اللهو والالعاب واتخذت آلات الرقص في الملبس والقضبان والاشعار التي يتزعم بها عليهم وجعل صنفا وحده واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالكرج وهي تماثيل خيل مسرحة من الخشب معلقة باطراف اقبية يلبسها النساء ويحيا كين بها امتطاء الخيل فيكرونها ويقرنها ويناقفون وامثال ذلك من اللعب المعذلة للولائم والاعراس وأيام الاعياد ومجاسس الفراغ واللهو وكثر ذلك بيعة داد و امصار العراق وانتشر منها الى غيرها وكان للموصلين غلام اسمه زرياب أخذ عنهم الغناء فاجاد فصر فوه الى المغرب غيرة منه فخلق بالحكم ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل امير الاندلس فبالغ في تكريمه وركب للقائه وأسنى له الجوائز والاقطاعات والجزايات واحده من دولته وندمائه بمكان فأورث بالاندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه الى ازمان الطوائف وطما منها بشيدلية بحر زاخر وتناقل منها بعد ذهاب غضايتها الى بلاد العدو وبأفريقية والمغرب وانقسم على امصارها وبها الان منها صباية على تراجع عمرانها وتناقص دولها وهذه الصناعة آخر ما يحصل في العمران من الصنائع لانها كالمية في غير وظيفة من الوظائف الا وظيفة القراع والفرح وهي أيضا اول ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعه والله اعلم

٣٣ * (فصل في ان الصنائع تكسب صاحبها عقلا وخصوصا الكتابة والحساب) *

قد ذكرنا في السكب ان النفس الناطقة للانسان انما توجد فيه بالقوة وان خروجها من القوة الى الفعل انما هو بتجدد العلوم والادراكات عن المحسوسات اولاً ثم ما يتكسب بعدها بالقوة النظرية الى ان يصير ادراكها كالفعل وعقلا لمحض فانها تكون ذاتا روحانية ويستكمل حينئذ وجودها فوجب لذلك ان يكون كل نوع من العلم والنظر يقدها عقلا فريدا والصنائع ايدى ما يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستفاد من تلك الملائكة فلهذا كانت الملائكة في التجربة تقيد عقلا والملائكة الصناعات تقيد عقلا والحضارة الكاملة تقيد عقلا لانها مجتمعة من صنائع في شأن تدبير المنزل ومعايشة ابناة الجنس وتحصيل الآداب في مخالطتهم ثم القيام بامور الدين واعتبار آدابها وشرائطها وهذه كلها قوانين تنظم علومها فيحصل منها زيادة عقل والكتابة من بين الصنائع اكثر فائدة لذلك لانها تشتمل على العلوم والانظار بخلاف الصنائع وبيانه ان في الكتابة انتقالا من الحروف الخظية الى الكلمات اللفظية في الخيال ومن الكلمات اللفظية في الخيال الى المعاني التي في النفس ذلك دائما فيحصل لها ملكة الانتقال من الادلة الى المدلولات وهو معنى النظر العقلي الذي يكسب العلوم المحجولة فيكسب بذلك ملكة من التعقل تكون زيادة عقل ويحصل به قوة فطنة وكيس في الامور ما تعودوه من ذلك الانتقال ولذلك قال كسرى في كتابه لمسا رآهم تلك الفطنة والكيس فقال ديوانه اى شياطين وجنون قالوا وذلك اصل اسئتماق الديوان لاهل الكتابة ويلحق بذلك الحساب فان في صناعة الحساب نوع تصرف في العدد بالضم والتفريق يحتاج فيه الى استدلال كثير فيبقى متعودا للاستدلال والنظر وهو معنى العقل والله اعلم

(الباب السادس والاربعون في سيرة السلطان مع الجنود) اعلم ان الجنود عدد المملك وحصونه ومعاقله وأوتاده وهم حياة البضة والذابون من الحرمة والدافعون عن العورة وهم حياة النغور وحراس الابواب والعدة للحوادث وامداد المسلمين والحد الذي يلقى العدو والسهم الذي يرمى به والسلاح المدفوع في نحرة فبهم يذب عن الحریم وتؤمن السبل وتسد النغور وهم عز الارض وحياة النغور والذادة عن الحریم والشوكه على العدو وعلى الجنود الجند عند اللقاء والصبر عند البلاء

الفصل

الجنود الجند عند اللقاء والصبر عند البلاء

فان كانت لهم الغلبة فليجمعوا في الطالب وان تكن عليهم فليكسر والاعنة وليجمعوا الاستدلال واخبار غدو يتبغى للملك ان يتفقد

جذبه كنفه صاحب البستان بستانه فيقلع العشب الذي لا ينفعه من العشب ما لا ينفع ومع ذلك يضر بالنبات النافع فهو بالقلع اجدر ولا يستصلح الجند الابادار ارزاقهم وسد حاجاتهم والمكافأة لهم على قدر عنايتهم وبلائهم (٢٥٥) وحنود الملوك وعددها وقف على سعود الائمة

ونحوها وقال ابو يزيد
لابنه شيرويه لا توسع على
جندك فيستغنوا عنك
ولا تضيق عليهم فيضجوا
منك واعطهم عطاء قصدا
وامنعهم من عاجل او وسع
عليهم في الرخاء ولا توسع
عليهم في العطاء ولما
أفضى الامر الى ابي جعفر
المنصور انفذ جيشا وقال
لقواده سير وانتمثل هذه
السيرة ثم قال صدق
الاعرابي اجع كلبك
يتبعك فقام ابو العباس
الطوسي فقال يا امير
المؤمنين أخشى أن يلوح
له غيرك برغيف فيتبعه

و يدعك (ويروي) ان
كسرى صنع طعاما في
سماط فلما فرغوا ورفعت
الاسلات وقعت عينه
على رجل من اصحابه قد
أخذ ما له قيمة كثيرة
فسكت عنه وجعل الخدم
يرفعون الاسلات فلم
يجدوا الجام فسمعهم كسرى
يتكلمون فقال مالكم
فقالوا فقدنا جاما من
الجمام فقال لا عليكم
أخذ من لا يرده ورآه من
لا يقضه فلما كان بعد
أيام دخل الرجل على
كسرى وعلبه حيلة جميلة
وحال مستحجة فقال له

(الفصل السادس من الكتاب الاول)

في العلوم واصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك
كاه من الاحوال وفيه مقدمة ولو احوق

١ * (فصل في ان العلم والتعليم طبعي في العمران البشري) *

وذلك ان الانسان قد شاركه جميع الحيوانات في حوائطه من الحس والحركة والغذاء والكن وغير ذلك
وانما تميز عنها بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بابناء جنسه والاجتماع المهيب لذلك
التعاون وقبول ما جاءت به الانبياء عن الله تعالى والعمل به واتباع صلاحيه فهو مفكر في ذلك كاه
دائما لا يفتر عن الفكر فيه طرفه عين بل اختلاج الفكر اسرع من لمخ البصر وعن هذا الفكر تنشأ العلوم
وما قدمناه من الصنائع ثم لاجل هذا الفكر وما جبل عليه الانسان بل الحيوان من تحصيل ما تستدعيه
الطباع فيكون الفكر راغبيا في تحصيل ما ليس عنده من الادراكات فيرجع الى من سبقه بعلم أو زاد عليه
بمعرفة او ادراك أو أخذ من تقدمه من الانبياء الذين يبلغونه لمن تلقاه فيلقن ذلك عنهم ويحرص على
أخذه وعلمه ثم ان فكره ونظيره يتوجه الى واحد واحد من الحقائق وينظر ما يعرض له لذاته واحدا بعد آخر
ويتبرن على ذلك حتى يصير الحاق العوارض بتلك الحقيقة ملكة له فيكون حينئذ علمه بما يعرض لتلك
الحقيقة علما مخصوصا وتشوف نفوس أهل الحمل الناشئة الى تحصيل ذلك فيفرعون الى أهل معرفته
ويجيئ التعليم من هذا فقتبين بذلك ان العلم والتعليم طبعي في البشر

٢ * (فصل في أن التعليم للعلم من جملة الصنائع) *

وذلك ان المحقق في العلم والتقني فيه والاستيلاء عليه انما هو بحصول ملكة في الاطاعة بمباديه وقواعده
والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن المحقق في ذلك الفن
المتناول حاصل وهذه الملكة هي في غير الفهم والوعي لا تاجد فهم المسئلة الواحدة من انقن الواحد ووعيا
مشتركا بين من شدا في ذلك الفن وبين من هو مبتدئ فيه وبين العامى الذي لم يحصل علما وبين العالم
التحرير والملكة انما هي للعالم أو الشاदी في الفنون دون من سواهما فدل على أن هذه الملكة غير الفهم
والوعي والملكات كاه اجتماعية سواء كانت في البدن او في الدماغ من الفكر وغيره كالحساب والجمعيات
كاه محسوسة فتقتصر الى التعليم ولهذا كان السند في التعليم في كل علم اوصناعة الى مشاهير المعلمين فيها
معتبرا عند كل أهل أفق وجيل ويدل ايضا على ان تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه فكل
امام من الائمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به شأن الصنائع كاه اعدل على ان ذلك الاصطلاح ليس
من العلم والالكان واحدا عند جمعهم الا ترى الى علم الكلام كيف تخالف في تعليمه اصطلاح المتقدمين
والمتأخرين وكذا اصول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يتوجه الى مطالعته تجد الاصطلاحات في تعليمه
متخالفة فدل على انها صناعات في التعليم والعلم واحد في نفسه واذا تقرر ذلك فاعلم ان سند تعليم العلم لهذا
العهد قد كاد أن ينقطع عن أهل المغرب باختلال عمرانها وتناقص الدول فيه وما يحدث عن ذلك من نقص
الصنائع وفقدانها كما مر وذلك ان القبروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والاندلس واستبحر عمرانها
وكان فيهما للعلوم والصنائع اسواق نافقة وبحور زاخرة ورسخ فيها ما التعليم لا متداده صوردهما وما كان
فيهما من الحضارة فلما خربتا انقطع التعليم من المغرب الا قليلا كان في دولة الموحدين بمرا كش مستقادا
منها ولم ترسخ الحضارة بمرا كش ابدوة الدولة الموحدية في أفريقيا وقرب عهد انقراضها بمجدتها فلم تحصل

كسرى هذا من ذلك قال نعم ولم يقل له شيئا (وسئل عمر بن معاذ) وكان على الصوائفيم قدرت على جيوش الصائفة وكان يغزوي
كل سنة ويمير الجيوش الى بلاد الروم فقال بسمانة الظهر والتقدير وكثرة الكرامك (وروي) أن بعض امراء العرب كان ظالمًا لرعيته

شديد الاذى لهم في اموالهم فمعتوب في ذلك فقال اجمع كلك يتبعك فوثبوا عليه فقتلوه فخر به بعض الحكماء فقال ربما اكل النكاح صاحبه اذا لم يشعبه (٢٥٦) * (الباب السابع والاربعون في سيرة السلطان في استعباده الخراج) * أي الملك من طالع عدوانه

زال سلطانه واعلم ان المال
 قوة السلطان وعمارة
 المملكة واقاحه الامن
 وتناجه العدل وهو حصن
 السلطان ومادة المال والمال
 أقوى العدد على العدو
 وهو ذخيرة الملك وعمارة
 المملكة وحياة الارض
 ومن حقه ان يؤخذ من
 حقه ويوضع في حقه ويمنع
 من سرف ولا يؤخذ من
 الرعية الا ما فضل عن
 معاشها ومصالحها ثم ينفق
 ذلك في الوجوه التي يعود
 عليها نفعها فيايبها الملك
 احرص كل الحرص على
 عمارة الارضين والسلام
 أيها الملك مرجحاة الاموال
 بالرفق وبجانبه الخرق
 فان العلة تنال من الدم
 بغير اذى ولا سماع صوت
 ما لا تناله البعوضة بلسعتها
 وهول صوتها (ولما عزل
 عثمان) عمرو بن العاص
 عن مصر استعمل عليها
 ابن أبي السرح فعمل من
 المال أكثر مما كان يحمله
 عمرو فقال عثمان يا عمرو
 أشعرت ان اللقاح درت
 بعدك فقال عمرو ذلك
 لانكم اعجفتتم اولادها
 وقال زياد احسنوا الى
 المزارعين فانكم لم تزلوا
 سعيانما سعيوا وفي مشور

احوال الحضارة فيها الا في الاقل وبعدها تقراض الدولة بمرأ كش ارتحل الى المشرق من افر يقية القاضي ابو
 القاسم بن زيتون لعهد اواسط المائة السابعة فأدرك تلميذ الامام ابن الخطيب فأخذ عنهم ولقن تعليمهم
 وحذق في العقليات والنقليات ورجع الى تونس بعلم كثير وتعليم حسن وجاء على أثره من المشرق ابو عبد
 الله بن شعيب الذكالي كان ارتحل اليه من المغرب فأخذ عن مشيخته مصر ورجع الى تونس واستقر بها
 وكان تعليمه مقيدا فأخذ عنهما أهل تونس واتصل بسند تعليمهما في تلاميذهما اجابلا بعد جبل حتى انتهى
 الى القاضي محمد بن عبد السلام شارح ابن الحاجب وتلميذه وانتقل من تونس الى تلمسان في ابن الامام
 وتلميذه فانه قرأ مع ابن عبد السلام على مشيخته واحدة وفي مجالس باعابها وتلميذ ابن عبد السلام بتونس
 وابن الامام بتلمسان لهذا العهد الا أنهم من القلة بحيث يخشى انقطاع سندهم ثم ارتحل من زاوية في آخر
 المائة السابعة ابو علي ناصر الدين المشدالي وأدرك تلميذاني عمرو بن الحاجب واخذ عنهم ولقن تعليمهم
 وقرأ مع شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة وحذق في العقليات والنقليات ورجع الى المغرب بعلم كثير
 وتعليم مقيد ونزل بجاية واتصل بسند تعليمه في طلبتها ورجع الى تلمسان عمر ان المشدالي من تلميذه
 وأوطنها وبث طريقته فيها وتلميذه لهذا العهد بجاية وتلمسان قليل او اقل من القليل وبقيت فاس وسائر
 اقطار المغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقير وان لم يتصل بسند التعليم فيهم
 فمسرعا عليهم حصول المملكة والحذق في العلوم وأيسر طرق هذه المملكة فتق الناسان بالمحاورة والمنظرة في
 المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها فيجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من
 أعمالهم في ملازمة المجالس العلمية تسكوتها لا ينطقون ولا يقاضون وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة
 فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل بجد
 ملكته قاصرة في علمه ان فاوض او ناظر أو علم وما أتاهم القصور الامن قبل التعليم وانقطاع سنده والوا
 لحفظهم ابلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم أنه المقصود من المملكة العلمية وليس كذلك ومما
 يشهد بذلك في المغرب ان المدة المعينة لسكني طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة وهي بتونس
 خمس سنين وهذه المدة بالمدارس على المتعارف هي اقل ما يتأتى فيها الطالب العلم حصول مبتغاه من المملكة
 العلمية او الدأس من تحصيلها اطفال امدها في المغرب لهذه المدة لاجل عسرهما من قلة الجودة في التعليم خاصة
 لا مما سوى ذلك وأما أهل الاندلس فذهب رسم التعليم من بينهم وذهبت عنايتهم بالعلوم لتناقص
 عمران المسلمين بهامندمئين من السنين ولم يبق من رسم العلم فيهم الا فن العربية والادب اقتصر واعليه
 وانحفظ سند تعليمه بينهم فانحفظ بحفظه وأما الفقه بينهم فرسم خلوا اثر بعد عين وأما العقليات فلا اثر ولا
 عين وما ذاك الا لانقطاع سند التعليم فيها بتناقص عمران وتغلب العدو على عامتها الا قليلا بسبب
 البحر شغلهم بما يشبههم أكثر من شغلهم بما بعدهم والله غالب على امره وأما المشرق فلم ينقطع سند التعليم
 فيه بل اسواقنا فقهة وبحوره زاخرة لا اتصال عمران الموفور واتصال السند فيه وان كانت الامصار العظيمة
 التي كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة الا ان الله تعالى قد أدال منها بمصارعهم
 من تلك وانتقل العلم منها الى عراق العجم بخراسان وما وراء النهر من المشرق ثم الى القاهرة وما اليها من
 المغرب فلم تزل موفورة وعمرانها متصلة وسند التعليم بها قائما فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة
 تعليم العلم بل وفي سائر الصناعات حتى انه ليظن كثير من رحالة اهل المغرب الى المشرق في طلب العلم ان
 عقولهم على الجملة اكمل من عقول اهل المغرب وانهم اشد نباهة واعظم كياسة بغطرتهم الاولى وان

المحكمة من جاوز في الحلب حلب الدم (وفي الامثال) اذا استقصى العجل في مص أمه رفته
 وقال جعفر بن يحيى الخراج عمود الملك وما استغزير بمن العدل ولا استغزير بمن الظلم وأسرع الامور في خراب البلاد تعطيل الارضين وهلال

نقوسهم

الرعية وانكسار الخراج بالجور والتخامل ومثل الساطان اذا جمل على اهل الخراج حتى ضعفوا عن عمارة الارضين مثل من يقطع لمحبه
وياكله من الجوع فهو وان قوى من ناحية فقد ضعف من ناحية وما أدخل على نفسه (٢٥٧) من الوجع والضعف أعظم مما

دفع عن نفسه من ألم الجوع
ومثل من كاف الرعية
من الخراج فوق طاقتها
كالذي يطين سطحه بتراب
أساس بيته ومن يدمن
خز العمد ويوشك ان
يضعف فتقع الخيمة وإذا
ضعف المزارعون عجزوا
عن عمارة الارضين
فيتركونها فتعرب الارض
ويهرب الزراع فتضعف
العمارة فيضعف الخراج
وينتج ذلك ضعف الاجناد
وإذا ضعف الجند طمع
الاعداء في السلطان أيها
الملك كن بما يبقى في يد
رعيته أفرح منك بما
تأخذ منها لا يقل مع
الصلاح شي ولا يبقى مع
الفساد شي وصيانة القليل
أولى من تربية الجليل
فلا مال لا خرق ولا عيلة
لمصلحة (وروي) ان المؤمن
أرق ليلة فاستدعى سميرا
فحدثه بحديث فقال يا امير
المؤمنين كان الموصل
بومة وبالبصرة بومة
فقطبت بومة الموصل
الى بومة البصرة بنتها لابنها
فقات بومة البصرة
لانكحك انتي الان
تجعل في صدقها مائة
ضبعة خراب فقات بومة
الموصل لا اقدر عليها الان

نفوسهم الناطقة كمل بفطرتها من نفوس اهل المغرب ويعتقدون التفاوت بيننا وبينهم في حقيقة
الانسانية وينشعون لذلك ويؤمنون بما يرون من كسبهم في العلوم والصنائع وليس كذلك وليس
بين قطر المشرق والمغرب تفاوت بهذا المقدار الذي هو تفاوت في الحقيقة الواحدة اللهم الا قاليم المنخرقة
مثل الاول والسابع فان المزجعة فيها منخرقة والنفوس على نسبتها كما مر وانما الذي فضل به اهل المشرق
اهل المغرب هو ما يحصل في النفس من آثار الحضارة من العقل المزيدي كما تقدم في الصنائع ونزولها الان
تحقيقا وذلك ان الحضارة في آداب في احوالهم في المعاش والمسكن والبناء وامور الدين والدنيا وكذا اسائر
اعمالهم وعاداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم فلهم في ذلك كله آداب يوقف عندها في جميع ما يتناولونه
ويتلبسون به من اخذوا وتركوا حتى كانوا حدولا تتعدى وهي مع ذلك صنائع يتلقاها الاخر عن الاول
منهم ولا شك ان كل صناعة مرتبة يرجع منها الى النفس اثر يكسبها علة جديدة تستعده لقبول صناعة
اخرى ويتبأها العقل لسرعة الادراك للمعارف ولقد بلغنا في تعليم الصنائع عن اهل مصر غايات لا تدرك
مثل أنهم يعلمون الحرف الانسانية والحيوانات العجمية من الماشي والطيور مقررات من الكلام والافعال
يستغرب ندورها ويعجز اهل المغرب عن فهمها وحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الاحوال
العادية يزيد الانسان ذكاء في عقله واضاءة في فكره بكثرة الملكات الحاصلة لانه نفس اذ قد منان النفس
انما تشبه بالادراكات وما يرجع اليها من الملكات فيزدادون بذلك كسبها ما يرجع الى النفس من
الآثار العلمية فيضنه العاقل يتفاوت في الحقيقة الانسانية وليس كذلك الاثرى الى اهل الحضرة اهل البدو
كيف تجد الحضرة متحديا بالذكاء متمتئا من النكيس حتى ان البدوي ليطنه انه قد فاته في حقيقة انسانيته
وعقله وليس كذلك وما ذلك الا لاجادته في ملكات الصنائع والآداب في العوائد والاحوال الحضرية
مالا يعرفه البدوي فلما امتلا الحضرة من الصنائع وملكاتها وحسن تعليمها ظن كل من قصر عن تلك
الملكات انها الكمال في عقله وان نفوس اهل البدو قاصرة بفطرتها ووجوبها عن فطرته وليس كذلك فانا
نجد من اهل البدو من هو في اعلى رتبة من الفهم والكمال في عقله وفطرته انما الذي ظهر على اهل
الحضرة من ذلك هو رونق الصنائع والتعليم فان لها آثارا ترجع الى النفس كما قدمناه وكذا اهل المشرق
لما كانوا في التعليم والصنائع ارسخ رتبة واعلى قدما وكان اهل المغرب اقرب الى البدو لما قدمناه في
الفصل قبل هذا من المغفلين في بادى الرأي انه لكمال في حقيقة الانسانية اختصوا به عن اهل المغرب
وليس ذلك بصحيح فتفهمه والله يزيد في الخلق ما يشاء وهو اله السموات والارض

٣ (فصل في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعم الخضر) ❦

والسبب في ذلك ان تعليم العلم كما قدمناه من جملة الصنائع وقد كنا قد منان الصنائع انما تكثر في الامصار
وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلته والحضارة والترافى تكون نسبة الصنائع في الجوده والكثرة لانه امر
زائد على المعاش حتى فضلت أعمال اهل العمران عن معاشهم انصرفت الى ما وراء المعاش من التصرف
في خاصية الانسان وهي العلوم والصنائع ومن تشوف بفطرته الى العلم من نشأ في القرى والامصار غير
المتدنية فلا يجد فيها التعليم الذي هو صناعى لفقدان الصنائع في اهل البدو كما قدمناه ولا بدله من الرحلة في
طلبه الى الامصار المستبحرة شأن الصنائع كلها واعتبر ما قرناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة
والدكوفة لما كثر عمرانها صدر الاسلام واستوت فيها الحضارة كيف زخرت فيها بحجار العلم وتقننوا في
اصطلاحات التعليم واصناف العلوم واستنباط المسائل والغنون حتى اربوا على المتقدمين وفاقوا المتأخرين

(٣٣ - ابن خلدون) ولكن ان دام والبناسم الله عليه سنة واحدة فعلت لك ذلك قال فاستيقظ المأمون وجلس
لظالم وانصف الناس بعضهم من بعض وتقد امر الولاية (وسمعت) بعض شيوخ الاندلس من الاجناد وغيرهم يقولون مازال اهل

الاسلام ظاهر بن على صدهم وامر العدو في ضعف وانتفاض لما كانت الارض مقطعة في ايدي الاجناد فكانوا يستغلونها ويرفقون بالفلحين ويربونهم كايبر بنى (٢٥٨) التاجر تجارته وكانت الارض عامرة والاموال وافرة والاجناد متوافرين والسلاح

ولما تناقص عمرها وابدع سكانها انطوى ذلك البساط بما عليه جملة وفقد العلم بها والتعلم وانتقل الى غيرها من امصار الاسلام ونحن لهذا العهد نرى ان العلم والتعليم اتساهوا بالقاهرة من بلاد مصر لما ان عمراتها مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ومن جملة تعليم العلم وكذلك فيها وحفظه ما وقع لهذه العصور بها منذ ما تئمن من السنين في دولة الترك من ايام صلاح الدين بن ايوب وهلم جرا وذلك ان امراء الترك في دولتهم يحشون عادية سلطانهم على من يتخلفونه من ذريتهم لمساله عليهم من الرق او الولاة وما يخشى من معاطب الملك ونكباته فاستكثر ومن بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المغلة يجعلون فيها مشركا لولدهم ينظر عليها او نصيب منها مع ما فيهم غالبا من الجنوح الى الخيبر والتباس الاجور في المقاصد والافعال فكثرت الاوقاف لذلك وعظمت الغلات والفوائد وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جراتهم منها وارتحل اليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ونفقت بها السواق العلوم وزحرت بحارها والله يخلف ما يشاء

٤ * (فصل في اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد) *

(اعلم) ان العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الامصار تخصصها وتعلمها هي على صنفين صنف طبيعي للانسان يهتدى اليه بفكره وصنف تقلي يأخذه عن وضعه والاول هي العلوم الحكيمة الفلسفية وهي التي يمكن ان يقف عليها الانسان بطبيعة فكره ويهتدى بمداركه البشرية الى موضوعاتها ومسائلها واتجاهها برهدها ووجوه تعلمها حتى يفقه نظرها (١) ويحتمه على الصواب من الخطا فمن حيث هو وانسان ذوقه والثاني هي العلوم النقلية الموضوعة وهي كلها مستندة الى الخبير عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق الفروع من مسائلها بالاصول لان الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه فتحتاج الى الالتحاق بوجه قياسي الا ان هذا القياس يتفرع عن الخبر بشبوت الحكم في الاصل وهو تقلي فرجع هذا القياس الى النقل لتفرعه عنه واصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهبط بها للافادة ثم يستنبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه نزل القرآن واصناف هذه العلوم النقلية كثيرة لان المكلف يجب عليه ان يعرف احكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى ابناء جنسه وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص او بالاجماع او بالالحاق فلا بد من النظر في الكتاب بيان القاطن او لا وهذا هو علم النفس ثم ياتى نادقله وروايته الى النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من عند الله واختلاف روايات القراء في قراءته وهذا هو علم القراءات ثم ياتى سناد السنة الى صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة احوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق باخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك وهذه هي علوم الحديث ثم لا بد في استنباط هذه الاحكام من اصولها من وجه قانوني يقيد العلم بكيفية هذا الاستنباط وهذا هو اصول الفقه وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة احكام الله تعالى في افعال المكلفين وهذا هو الفقه ثم ان التكليف منها بدني ومنها قلبي وهو المختص بالايمان وما يجب ان يعتقده مما لا يعتقده وهذه هي العقائد الالمانية في الذات والصفات وامور الحشر والنعم والعذاب والقدر والحجاج عن هذه بالادلة العقلية هو علم الكلام ثم النظر في القرآن والحديث لا بد ان تتقدمه العلوم اللسانية لانه متوقف عليها وهي اصناف فنها علم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الادب حسبما تنسلكم عليها كلها وهذه العلوم

فوق ما يحتاج اليه الى ان كان الامر في آخرايام ابن ابي عامر فرد عطايا الجند مشاهرة بقبض الاموال على النطع وقدم على الارض جملة يجيئونها فاكلوا الرعايا واجتاحوا اموالهم واسد تضعفهم فتهادبت الرعايا وضعفوا عن العمارة ففقت الجبايات المرتفعة الى السلطان وضعفت الاجناد وقوى العدو على بلاد المسلمين حتى اخذ الكثير منها ولم يزل امر المسلمين في نقص وامر العدو في ظهوره الى ان دخلها المتلثون فردوا الاقطاعات كما كانت في الزمان القديم ولا ادري ما يكون وراء ذلك

* (الباب الثامن والاربعون في سيرة السلطان في بيت المال) *

هذا باب سلكت فيه سلوك الطوائف والهند والصين والسند وبعض ملوك الروم خلاف سيرة الانبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين فكانت الملوك تدخر الاموال وتحتجبها دون الرعية وتعددها ليوم كريمة على ما بينا في الباب قبله وكانت الرسل والخلفاء بعدهم تبذل الاموال ولا

(١) قوله حتى يفقه نظرها يستعمل ووقف متعدية فاقول ووقفته على كذا اي اطاعته عليه قاله نصر اه

تدخرها او تصطنع الرعية وتوسع عليها فكانت الرعية هم الاجناد والحماة وهذه سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد علمت ان جوعه كان اكثر من شعبه وانه مات ودرعه مرهونة في صاع شعير عند يهودي وكذلك الخلفاء الراشدون بعده ابو بكر

ومعرو عثمان وعلي وابنه الحسن وعمر بن عبدالعزيز والنبي عليه السلام لما فتح الله عليه اليمن كان يجبي له الاموال فيقرقها اليومها وقد توضع في المجد وتفرش الانطاع ويفرقها من الغدولم يكن له بيت مال (۲۵۹) (وروي) ابوداود في السنن ان النبي

عليه السلام صلى العشاء الاخرة ثم دخل حجرته وخرج مسرعاً وفي يديه خريفة فيها ذهب فتمعه ثم قال ما ظن آل محمد لو أدرك الموت وهذا عنده ولم يكن للنبي عليه السلام بيت مال ولا للخلفاء الراشدين بعده وانما كانت الخلفاء تقسم الاموال التي جبيت من حلها بين المسلمين وربما يفضل منها فضلات فيجعل في بيت من حضر من غائب واحتاج من حاضر قسم له حظه ثم يفرق حتى لا يبقى في البيت منه درهم كما روي ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه اشرف على بيت المال وفيه مال فقال يا بيضاء وياجرأه ابيضى واجرأه وجرأه ابيضى ثم امر فقسم جميع ما فيه على المسلمين وامر فقبوا ان يكسوه و برشه ثم دخل فضلى فيه ثم كثير من الملوكة ساروا في الاموال على نحو هذه السيرة من ملوك الاسلام و ملوك الروم ومعظم ما اهلك بلاد الاندلس وسلط عليها الروم ان الروم التي كانت تجاورها لم تكن لهم بيوت اموال وكانوا يأخذون الجزية من سلاطين الاندلس ثم يدخلون الكنيسة فيقسمها سلاطينهم على رجاله بالباس و يأخذون مثل ما يأخذون وقد لا يأخذون منها وانما كانوا يسطعون بها الرجال وكان سلاطيننا يجيب الاموال وتضيق الرجال فكان للروم بيوت للمسلمين بيوت

التقلية كلها مختصة بالملة الاسلامية واهلها وان كانت كل ملة على الجملة لا بد فيها من مثل ذلك فهي مشاركة لها في الجنس البعيد من حيث انها علوم الشرعية المنزلة من عند الله تعالى على صاحب الشريعة المبلغ لها واما على الخصوص فباينة تجميع المال لانها نسخة لها وكل ما قبلها من علوم الملل فهو جورة والنظر فيها مخطور فقد نهى الشرع عن النظر في الكتب المنزلة غير القرآن قال صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل السكاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنة بالذي انزل الينا وانزل اليكم والمنا والمكم واحذروا راي النبي صلى الله عليه وسلم في يد عمر رضي الله عنه ورقة من التوراة فعضب حتى تبين الغضب في وجهه ثم قال الم آتاكم بها بيضاء نقيه والله لو كان موثبي حيا ما وسعه الا اتبعي ثم ان هذه العلوم الشرعية التقلية قد نفقت اسواقها في هذه الملة بما لا يزيد عليه وانتهت فيها مدارك الناظرين الى الغاية التي لا فوقها وهذبت الاصطلاحات ورببت الفنون فجاءت من وراء الغاية في الحسن والتميز وكان اكل فن رجال يرجع اليهم فيه واوضاع يستفاد منها التعليم واختص المشرق من ذلك والمغرب بما هو مشهور ومنها حسب ما نذكره الان عند تعديده هذه الفنون وقد كسدت لهذا العهد اسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران فيه وانقطاع سبل العلم والتعليم كما قدمناه في الفصل قبله وما ادرى ما فعل الله بالمشرق والظن به نفاق العلم فيه واتصال التعليم في العلوم وفي سائر الصنائع الضرورية والحكالية لكثرة عمرانه والحضارة ووجود الاعانة لطالب العلم بالحجرات من الاوقاف التي اتسمت بها ارزاقهم والله سبحانه وتعالى هو الفاعل لما يريد ويبيده التوفيق والاعانة

• (علوم القرآن من التفسير والقراءات) •

القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المحصف وهو متواتر بين الامة الان الصحابة ورواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه و كيفيات الحروف في ادائها وتنويع ذلك واشتهر الى ان استقرت منها سبع طرق معينة تواترت نقلها ايضاً بادائها واختصت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها من اجم الغفير فصارت هذه القراءات السبع اصولاً للقراءة ورمز بما زيد بعد ذلك قراءات اخرى لم تحق بالسبع الا انها عند ائمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل وهذه القراءات السبع معروفة في كتبها وقد خالف بعض الناس في تواتر طرقها لانها عندهم كقفيات للاداء وهو غير منضبط وليس ذلك عندهم بقادح في تواتر القرآن وابه الاكثر وقالوا بتواترها وقال آخرون بتواتر غير الاداء منها كالمدا والتسهيل لعدم الوقوف على كيفيته بالسبع وهو الصحيح ولم يزل القراء يتداولون هذه القراءات وروايتها الى ان كتبت العلوم ودونت فكتبت فيما كتب من العلوم وصارت صناعة مخصوصة وعلما منفردا وتناقله الناس بالمشرق والاندلس في جبل بعد جبل الى ان ملب بشرق الاندلس مجاهد من موالى العارفين وكان معتمدا بهذا الفن من بين فنون القرآن لما اخذ به مولا المنصور بن ابي عامر واجتهد في تعليمه وعرضه على من كان من ائمة القراءة بحضرة فكان سهمه في ذلك وافرا واختص مجاهد بعد ذلك بامارة دانية والجزائر الشرقية فنفتت بها سوق القراءة لما كان هو من ائمتها وبما كان له من العناية بسائر العلوم عموماً وبالقرآات خصوصاً فظهر لعهد ابوعمر والداني وبلغ الغاية فيها ووقفت عليه معرفتها وانتهت الى روايته اسانيدها وتعددت تاليفه فيها وعول الناس عليها وعدلوا عن غيرها واعتمدوا من بينها كتاب التيسير له ثم ظهر بعد ذلك فيما يالاه من العصور والاجيال ابوالقاسم ابن فيره من اهل شاطبة فعمد الى تهذيب مادونه ابوعمر وتلخيصه فنظم ذلك كله في قصيدة لغز فيها اسماء القراء بجر وف ا ب ج د ترتيباً احكمه

الجزية من سلاطين الاندلس ثم يدخلون الكنيسة فيقسمها سلاطينهم على رجاله بالباس و يأخذون مثل ما يأخذون وقد لا يأخذون منها وانما كانوا يسطعون بها الرجال وكان سلاطيننا يجيب الاموال وتضيق الرجال فكان للروم بيوت للمسلمين بيوت

أموال فهم هذه الخلة قهرونا وظهر واعلينا وكان من يدهم هذا المذهب ولا يدخر الاموال تضرب فيه الامثال ويقال عدو المال بيت المال وصديقه جنده فاذا ضعف (٢٦٠) أحدهم اقوى الآخر واذا ضعف بيت المال يبذله للحمة قوى الناصر واشتد

باس الجند وقوى الملك
واذا قوى بيت المال
وامتلا بالمال والقل الناصر
وضعت الحجة تضعف الملك
فوثبت عليه الاعداء وقد
شاهدنا ذلك في بلاد
الاندلس مشاهدة واذا
كان الدفاع في الرجال
لا في الاموال وانما يدفع
بالاموال بواسطة الرجال
فلا شك ان بيت رجال
خير من بيت مال وقد قال
بعض الملوك لابنه يا بني
لا تجمع الاموال لتقوى
بها على الاعداء فان في
جمعها تقوية الاعداء
يعني اذا جمعت الاموال
أضعفت الرجال فيطمع
فك الصديق ويثب
عدك العدو وانما مثل
الملك في مملكته مثل رجل
له بستان فيها عين معينة
فان هو قام على البستان
فاحسن تدبيرها فهندس
ارضها وغرس اشجارها
وحظر على جوانبها ثم
ارسل عليها الماء اخضر
عودها فقويت اشجارها
واينعت ثمارها وزكت
بركاتها فكانوا جميعا في
أمان من الضيعة ولا
يخافون فقرا ولا شتا وانا
هو رغب في غلتها وجنابها
ولم ينفق فيها ما يقيمها ولا

ليتمسر عليه ما قصده من الاختصار ولا يكون أسهل للحفظ لاجل نظامها فاستوعب فيها القرن استيعابا حسنا
وعنى الناس بحفظها وتلقينها للولدان المتعلمين وجرى العمل على ذلك في أمصار المغرب والاندلس وربما
أضيف الى فن القراآت فن الرسم أيضا وهي أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية لان فيه
حروفا كثيرة وقمر رسما على غير المعروف من قياس الخط كزيادة الباء في بيايدوز زيادة الالف في لاذبجنه
ولا اوضه واولوا في جزاؤا الظالمين وحذف الالفات في مواضع دون أخرى ومارسهم فيه من التآت عدودا
والاصل فيه مربوط على شكل المساء وغير ذلك وقد مر تعديل هذا الرسم المحقق عند الكلام في الخط فطما
جاءت هذه المخالفة لاوضاع الخط وقانونه احتيج الى حصرها فكتب الناس فيها ايضا عند كتبهم في العلوم
وانتهت بالمغرب الى ابي عمر الداني المذكور فكتب فيها كتبها من أشرها كتاب المنع وأخذ به الناس وعولوا
عليه ونظمه أبو القاسم الشاطبي في قصيدته المشهورة على روى الراي وولع الناس بحفظها ثم كثر الخلاف
في الرسم في كلمات وحروف أخرى ذكرها أبو داود سليمان بن نجاح من موالى مجاهد في كتبه وهو من
تلاميذ أبي عمر والداني والمشتهر بحمل علومه وروايته كتبه ثم نقل به عدة خلاف آخر فنظم الخرازون
المتأخرين بالمغرب أرجوزة أخرى زاد فيها على المقنع خلافا كثيرا وعزاه لنا قبله واشتهرت بالمغرب واقتصر
الناس على حفظها وهجر روايتها كتب أبي داود أبي عمر والشاطبي في الرسم (وأما التفسير) فاعلم
ان القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مقرراته
وتراكيبه وكان ينزل جملا جملا وآيات آيات لبيان التوحيد والقروض الدينية بحسب الوقائع ومنها ما هو
في العقائد اليمانية ومنها ما هو في أحكام الجوارح ومنها ما يتقدم ومنها ما يتأخر ويكون ناسخا له وكان
النبي صلى الله عليه وسلم لم يبين الحمول ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه أصحابه فعرفوه وعرفوا سبب
نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولا عنه كما علم من قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح أنها نعى النبي
صلى الله عليه وسلم وأمثال ذلك ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وتداول ذلك
التابعون من بعدهم ونقل ذلك عنهم ولم ينزل ذلك متناقلا بين الصدر الاول والسلف حتى صارت المعارف
علوم ودونت الكتب فكتب الكثير من ذلك ونقلت الآيات الواردة فيه عن الصحابة والتابعين وانتهى
ذلك الى الطبري والواقدي والثعالبي وأمثال ذلك من المفسرين فكتبوا فيه ما شاء الله ان يكتبوه من
الآيات ثم صارت علوم اللسان صناعية من الكلام في موضوعات اللغة وأحكام الاعراب والبلاغة في
التراكيب فوضعت الدواوين في ذلك بعد ان كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها الى نقل ولا كتاب
فتنوسى ذلك وصارت تلتقي من كتب أهل اللسان فاحتيج الى ذلك في تفسير القرآن لانه بلسان العرب
وعلى منهاج بلاغتهم وصار التفسير على صنعتين تفسير نقلي مستند الى الآيات المنقولة عن السلف وهي
معرفة الناسخ والمنسوخ وأبواب النزول ومقاصد الآيات وكل ذلك لا يعرف الا بالنقل عن الصحابة
والتابعين وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا الا ان كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين
والمقبول والمدرد والسبب في ذلك ان العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وانما غلبت عليهم البداوة
والامية واذا تشوقوا الى معرفة شئ مما تشوق اليه القوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليفة
وأسرار الوجود فأنما يسألون عنه أهل السكاب قبلهم ويستفيدونه منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن
تبع دينهم من النصارى وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ باقية مثلهم ولا يعرفون من ذلك الا ما تعرفه
العامية من أهل السكاب ومعظمهم من حير الذين أخذوا بدين اليهودية فطما اسلموا بقوا على ما كان عندهم

ساق اليها من الماء ما يري و يها رغبة في الغلة وضنة بالمال ضعفت عمارتها ووقف اشجارها ووقلت ثمارها
وذهب غلتها ومحق الدهر ما جنى من غلتها فافترق القوم وهلكوا وتشتتوا ومثال الملك في جمع المال ليقوى به على عدوه مثل طائر ينتف

ريشه ويص أصولها ويا كل مانع منها فإذله طيبها وأعيجه نصب جسمه على ذلك وقوته على عدوه فلم ينزل كذلك حتى خف ريشه
فسقط إلى الأرض فأكلته الهوام والحشرات (ورأيت) في أخبار بعض الملوك أن وزيره (٢٦١) أشار عليه بجمع الأموال واقتناء

الكنوز وقال إن الرجال
وان تفرقوا عنك اليوم
فحتى احتجتمهم عرضت
عليهم الأموال فتمافتوا
عليك فقال له الملك هل
لهذا من شاهد قال نعم هل
بحضرتنا الساعة ذباب قال
لا قال فامر باحضار حفنة
فيها عسل فحضرت فتساقط
عليها الذباب لوقتها فإشار
السلطان بعض أصحابه في
ذلك فنهأ عن ذلك وقال
لا تغير قلوب الرجال فليس
في كل وقت أردتهم حضروا
فسال هل لذلك من دليل
قال نعم إذا أمسينا سأخبرك
فلما أظلم الليل قال للملك
هات الحفنة فحضرت ولم
تتحضر ذبابة واحدة (وقد
روينا) عن سيرة بعض
السلطين في أرض مصر
وكان قد ملكها وكان اسمه
يلدق ورانه كان يجتمع
الأموال ولا يحفل بالرجال
فقال له أصحابه إن أمير
الحيوش بالشام وهو
يتواعدك وكانه قد قدم
عليك فاستعد الرجال
وأنت فيهم الأموال فأوما
إلى صناديق موضوعة
عنده وقال الرجال في
الصناديق فغزا أمير
الحيوش ذلك الملك في مصر
وقته وتسلم الصناديق

علا لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يختاطون لها مثل أخبار بدء الخليفة وما يرجع إلى الحدوث
والملاحم وأمثال ذلك وهو مؤلف مثل كتب الأخبار وهو من منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم فأمثلة
التفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض أخبار وقوف عليهم وليست مما يرجع إلى
الأحكام فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل وينسأهل المفسرون في مثل ذلك وماؤا كتب التفسير
بهذه المنقولات وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم معرفة ما يقولونه
من ذلك إلا أنهم بعد صحتهم وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة فتلقبت بالقبول
من يومئذ فلما رجع الناس إلى التحقيق والتعميق وجاء أبو محمد بن عطية من متأخري المغرب فلتخص
تلك التفاسير كلها وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والاندلس
حسن المنحى وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق والصف
الأخ من التفسير وهو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والأعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب
المقاصد والأساليب وهذا الصنف من التفسير قل إن ينقرد عن الأول إذا الأول هو المقصود بالذات وإنما جاء
هذا بعد أن صار للسان وعلومه صناعة نعم قد يكون في بعض التفاسير غالباً ومن أحسن ما شتم عليه هذا
الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق لأن مؤلفه من أهل الاعتزال في
العقائد فبأني بالحاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له في أي القرآن من طرق البلاغة فصاوب ذلك
للمحققين من أهل السنة انحراف عنه وتحذير للجمهور من مكانه مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق
باللسان والبلاغة وإذا كان الناظر فيه واقفاً مع ذلك على المذاهب السنية محسناً للجماع عنها فلا جرم أنه
مأمون من غوائله فلتعنت مطالعته لغرابة فنونه في اللسان ولقد وصل إلينا في هذه العصور تأليف لبعض
العراقيين وهو شرف الدين الطيبي من أهل تويريز من عراق العجم شرح فيه كتاب الزمخشري هذا وتبع
ألفاظه وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بادلته تزيقها وبين أن البلاغة إنما تقع في الآية على ما يراه أهل
السنة لا على ما يراه المعتزلة فأحسن في ذلك ما شاء مع امتاعه في سائر فنون البلاغة وفوق كل ذي علم عليم

٦ * علوم الحديث *

وأما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة لأن منها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه وذلك بما ثبت في شريعتنا
من جواز النسخ ووقوعه لطفاً من الله بعباده وتخييفاً عنهم باعتبار مصالحهم التي تسفل لهم بها قال تعالى
ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها فإذا تعارض الخبران بالتق والاثبات وتعذر الجمع بينهما
ببعض التاويل وعلم تقدم أحدهما تبين أن المتأخر ناسخ ومعرفة الناسخ والمنسوخ من أهم علوم الحديث
وأصعبها قال الزهري أعيان الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من
منسوخه وكان للشافعي رضي الله عنه فيه قدم راسخة ومن علوم الأحاديث النظر في الأسانيد ومعرفة ما
يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط لأن العمل إنما وجب بما يغلب
على الظن صدقه من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجهد في الطريق التي تحصل ذلك الظن وهو
بمعرفة رواة الحديث بالعدالة والضبط وإنما ثبت ذلك بالنقل عن أعلام الدين بتعدياتهم وبراعتهم من
الجرح والغفلة ويكون لنا ذلك دليل على القبول أو الترك وكذلك مراتب هؤلاء النقلة من الصحابة
والتابعين ونفاوتهم في ذلك وتميزهم فيه واحداً واحداً وكذلك الأسانيد تتفاوت باتصالها وانقطاعها بأن
يكون الراوي لم يلق الراوي الذي نقل عنه وبسلامتها من العلال الموهمة لها وتنتهي بالنفاوت إلى طرفين

والمالك فكان رأيه رأياً فاسداً لأن رجالاتهم لوقته ويصطنعهم لحاجته إنما يكونون أجنادا يجمعين وشركة ملقين ليس فيهم عنه
ولا عندهم دفاع ولا ممارسة للعروب (ومن السير) المروية في هذا الباب أنه لما فتحت العراق جي بالمسال إلى عمر فقال صاحب بيت المال

أدخله بيت المال فقال لا ورب الكعبة لا يؤوى تحت سقف بيت حتى نقتله فغطي في المسجد بالانطاع وحرسه رجال من المهاجرين
والانصار فلما أصبح نظر الى الذهب (٢٦٢) والفضة والياقوت والزبرجد والدرين لا فبكي فقال له العباس اوعبد الرحمن

ابن عوف يا امير المؤمنين
والله ما هذا بيوم بكاء
ولكنه يوم شكر وسرور
فقال اني والله ما ذهبت
حيث ذهبت ولكنه والله
ما كثر هذا في قوم الا وقع
باسمهم بينهم ثم اقبل على
القبلة ورفع يديه وقال
اللهم اني اعوذ بك ان
اكون مستدر جافاني
اسمك تقول سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون ثم قال
ابن سراقه بن جعشم فاني
به اشعر الذراعين دقيقهما
فاعطاه سوارى كسرى
وقال البسهما ففعل فقال
قل الله اكبر قال الله اكبر
قال قل الحمد لله الذي
سلمهما كسرى والبسهما
سراقه بن جعشم اعرابيا
من بني مدح ثم قبلهما
وقال ان الذي ادى هذا
الامين فقال له رجل انا
اخبرك انت امين الله
تعالى وهم يؤدون اليك
ما اديت لله تعالى فاذا
رتعت رتعا وقال صدقت
وانما البسهما سراقه لان
النبي صلى الله عليه وسلم
قال لسراقه ونظر الى ذراعيه
كأنى بك قد لبست سوارى
كسرى ولم يجعل له الا
السوارين (ولما ولى ابو
بكر الصديق) رضي الله عنه

حكيم بقبول الاعلى ورد الاسفل ويختلف في المتوسط بحسب المنقول عن ائمة الشأن ولهم في ذلك الفاظ
اصطلحوا على وضعها لهذه المراتب المرتبة مثل الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمعضل
والشاذ والغريب وغير ذلك من القاب المندولة بينهم وبواعلى كل واحد منها ونقلوا ما فيه من الخلاف
لائمة اللسان او الوفاق ثم النظر في كيفية اخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة او كتابة او مناولة او اجازة
وتفاوت رتبها وما للعلماء في ذلك من الخلاف بالقبول والرد ثم اتبعوا ذلك بكلام في الفاظ تقع في متون
الحديث من غريب او مشكل او تحريف او مفرق منها او مختلف وما يناسب ذلك هذا معظم ما ينظر فيه
اهل الحديث وغالبه وكانت احوال نقلة الحديث في عصور السلف من العناية والتابعين معرفة عنه
اهل بلده فمنهم بالحجاز ومنهم بالبصرة والكوفة من العراق ومنهم بالشام ومصر والحجج معروفة
مشهورون في اعصارهم وكانت طريقة اهل الحجاز في اعصارهم في الاسانيد اعلى من سواهم وامتن في
الحجة لاستبدادهم في شروط النقل من العدالة والضبط وتحفيظهم عن قبول المجهول الحال في ذلك وسند
الطريقة الحجازية بعد السلف الامام مالك عالم المدينة رضى الله تعالى عنه ثم اصحابه مثل الامام محمد بن
ادريس الشافعي والامام احمد بن حنبل وامثالهم وكان علم الشريعة في مبداه ذلك الامر نقلا صراحتا
السلف وتحرروا الصحيح حتى اكلواها وكتب مالك رحمه الله كتاب الموطأ اودعه اصول الاحكام من الصحيح
المتفق عليه ورتبه على ابواب الفقه ثم عني الحافظ بمعرفة طرق الاحاديث واسانيد مختلفه ورعا يقع
اسناد الحديث من طرق متعددة عن رواة مختلفين وقد يقع الحديث ايضا في ابواب متعددة باختلاف
المعاني التي اشتمل عليها وجاء محمد بن اسمعيل البخاري امام الحديثين في عصره في راج احاديث السنة على
ابوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق التي للحجاز التي للعراقين والشاميين واعتمد منها ما اجمعوا عليه
دون ما اختلفوا فيه وكررا الاحاديث يسوقها في كل باب بمعنى ذلك الباب الذي تضمنه الحديث فتكررت
لذلك احاديثه حتى يقال انه اشتمل (١) على تسعة آلاف حديث وما ثلثين منها ثلاثة آلاف متكررة وفرق
الطرق والاسانيد عليها مختلفة في كل باب ثم جاء الامام مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله تعالى فالف
مسنده الصحيح حذافيه حذو البخاري في نقل الجمع عليه وحذف المتكرر منها وجمع الطرق والاسانيد بوجه
على ابواب الفقه وتراجمه ومع ذلك فلم يستوعبها الصحيح كله وقد استدرك الناس عليهم ما في ذلك ثم كتب ابو
داود السجستاني وابوعيسى الترمذي وابوعبد الرحمن النسائي في السنن باوسع من الصحيح وقصدوا
ما توفرت فيه شروط العمل اما من الرتبة العالية في الاسانيد وهو الصحيح كما هو معروف واما من الذي دونه
من الحسن وغيره ليكون ذلك اماما للسنة والعمل وهذه هي المسانيد المشهورة في الملة وهي امهات كتب
الحديث في السنة فانها وان تعددت ترجع الى هذه في الاغلب ومعرفة هذه الشروط والاصطلاحات كلها
هي علم الحديث وربما يفردها الناس والمتمسوخ فيجعل قنابراسه وكذا الغريب وللناس فيه تاليف
مشهور ثم المؤلف والمختلف وقد ألف الناس في علوم الحديث واكثر واومن في قول علماء ائمتهم
ابوعبد الله الحاكم ونال ليقه فيه مشهورة وهو الذي هذبه واظهر محاسنه واشهر كتاب للتأخرن فيه كتاب
ابي عمرو بن الصلاح كان لعهد اوائل المائة السابعة وتلاه يحيى الدين النووي بمثل ذلك والفن شريف
في مغزاه لانه معرفة ما يحفظ به السنن المنقولة عن صاحب الشريعة وقد انقطع لهذا العهد تخريج شيء من
الاحاديث واستدراكها على المتقدمين اذ العادة تشهد بان هؤلاء الائمة على تعددهم وتلاحق عصورهم

(١) قوله تسعة الذي في النووي على مسلم انها سبعة بتدريج السنن فخره اه

جاهه مال من المال فصب في المسجد وامر فنادى من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم دين او عدة فليحضر
قال ابو ايوب الانصاري فجمته فقلت يا خليفة رسول الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي لو قد جاءني مال اعطيتك هكذا وهكذا وان شئت

بكتفه فسكت أبو بكر فانصرفت ثم عاودته فسكت عني ثم انصرفت وعاودته فقلت اما ان تعطيني واما ان تبخل عني فقال ما تبخل عنك
اذمب فخذ فحقت حفته قال عدها فعددتها فوجدت فيها خمسة دنانير وأبو أيوب (٢٦٣) من أغنياء الانصار وهو وزير

النبى صلى الله عليه وسلم
دل الحديث على ان بيت
المال للغي والفقر ودل
أيضانه لا يجب ان يساوى
فيه جميع المسلمين بل ذلك
موقوف الى اجتهاد الامام
* (فصل) * قال الحسن
ابن علي الاسدي اخبرني أبي
قال وجدت في كتاب قبطني
باللغة الصعديّة مما نقل
بالعربية مبلغ ما كان
يستخرج لفرعون يوسف
من أموال مصر بحقي
الخراج مما يؤخذ من
وجوه الجبايات لسنة
واحدة على العدل
والانصاف والرسوم
الحاربة من غير اضطهاد
ولامناقشة وبعد وضع
ما يجب وضعه لموادث
الزمان نظر الامام علي بن
وتقوية الخلفاء من العين
أربعة وعشرون ألف ألف
وأربعمائة ألف دينار
من ذلك ما ينصرف في
عمارة البلاد لمخفر الخليج
والانفاق على الجسور
وسد الترع واصلاح
المناشآت ثم تقوية من
يحتاج الى تقويته من غير
رجوع عليه بها الاقامة
العوامل والتوسعة في البذار
وغير ذلك من الاسلآت
وأجرة من يستعان به لمحل

وكفايتهم واجتهادهم لم يكونوا يعقلوا شيئا من السنة او يتركوه حتى يعثر عليه المتأخر هذا بعد علمهم وانما
تنصرف العناية لهذا العهد الى تصحيح الامهات المكتوبة ووضبطها بالرواية عن مصنفها والنظر في اسانيدها
الى مؤلفها وعرض ذلك على ما تقر في علم الحديث من الشروط والاحكام لتتصل الاسانيد محكمة الى
منتهاها ولم ين يدوا في ذلك على العناية بما كثر من هذه الامهات الخمسة الا في القليل * فالما البخاري وهو
أعلاها رتبة فاستصعب الناس شرحه واستغلوا وامتناه من اجل ما يحتاج اليه من معرفة الطرق المتعددة
ورجالها من أهل المجاز والشأن والعراق ومعرفة احوالهم واختلاف الناس فيهم ولذلك يحتاج الى
امعان النظر في الثقة في ترجمته لانه يترجم الترجمة ويورد فيها الحديث بسند أو طريق ثم يترجم أخرى
ويورد فيها ذلك الحديث بعينه لما تضمنه من المعنى الذي ترجم به الباب وكذلك في ترجمة غيره الى أن
يتكرر الحديث في ابواب كثيرة بحسب معانيه واختلافها ومن شرحه ولم يستوفه - ذافيه فلم يوف حق
الشرح كابن بطلان وابن المهلب وابن التين ونحوهم ولقد سمعت كثيرا من شيوخنا ترجمهم الله يقولون شرح
كتاب البخاري دين على الامة يعنون ان احدهم من علماء الامة لم يوف ما يجب له من الشرح بهذا الاعتبار
* وأما صحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به وأكبروا عليه وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري من
غير الصحيح مما لم يكن على شرطه وأكثروا وقع له في التراجم وأولى الامام المارزي من فقهاء المالكية عليه
شرحاً وسماه المعلم بقوائدهم اشتمل على عبون من علم الحديث وفنون من الفقه ثم اكمله القاضي
عياض من بعده وتممه وسماه اكمل المعلم وتلاه ما بحبي الدين النووي بشرح استوفى ما في الكابين
وزاد عليها فجاه شرحا وافيا * وأما كتب السنن الاخرى وفيها معظم ما أخذ الفقهاء فكثر شرحها في كتب
الفقه الا ما يختص بعلم الحديث فكتب الناس عليها واستوفوا من ذلك ما يحتاج اليه من علم الحديث
وهو موضوعاتها والاسانيد التي اشتملت على الاحاديث المعمول بها من السنة * واعلم ان الاحاديث قد تميزت
مراتبها هذا العهد بين صحيح وضعيف ومعلول وغيرهاتنزهاتائمة الحديث وجهها بذته وعرفوها ولم يبق
طريق في تصحيح ما يصح من قبل ولقد كان الأئمة في الحديث يعرفون الاحاديث بطرقها واسانيدها
بحيث لو روى حديث بغير سند وطريقه يظنون الى انه قد قلب عن وضعه ولقد وقع مثل ذلك
للإمام محمد بن اسماعيل البخاري حين ورد على بغداد وقصد المحمد بن عثمان امتحانه فساءلوه عن احاديث قبلوا
اسانيدها فقال لا اعرف هذه ولكن حدثني فلان ثم اتى بجميع تلك الاحاديث على الوضع الصحيح ورد كل
متن الى سنده واقروا له بالامامة * واعلم ايضا ان الأئمة اختلفت في تفانوا في الاكتفاء من هذه الصناعة
والاقلال فابو حنيفة رضي الله تعالى عنه يقال بلغت روايته الى سبعة عشر حديثا ونحوها وما لك رحمه الله
انما صح عنده ما في كتاب الموطا وغايتها ثلثمائة حديث ونحوها واواجد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده
خمسون الف حديث ولكل ما اداه اليه اجتهاده في ذلك وقد تقول بعض المبعضين المتعسفين الى ان منهم
من كان قليل البضاعة في الحديث فلهاذا قلت روايته ولا سبيل الى هذا المعتقد في كبار الأئمة لان الشريعة
نما تؤخذ من الكتاب والسنة ومن كان قليل البضاعة من الحديث فينبغي عليه طلبه وروايته والجد
والتشهير في ذلك لا يأخذ الدين عن اصول صحيحة ويتلقى الاحكام عن صاحبها المبلغ لها وانما قل منهم من
قوله الذي في شرح الزرقاني على الموطا حكاية اقوال خمسة في عدة احاديثه اولها خمسة ثمانية ثمانية مائة
ثالثها الف ونيّف واربعمائة الف وسبعمائة وعشرون خامسها ستمائة وستة وستون وليس فيه قول بما
في هذه النسخة قاله نصر المهوريني اه

البذار وسائر نفقات تطبيق الارضين ثمانمائة ألف دينار وما ينصرف في ارزاق الاولياء الموسومين بالسلاح ومن في جملتهم من الشادية
والعلمان واشياهم وعدة جميعهم مع الف كاتب موسومين بالدواوين سوى اتباعهم من الخزان ومن يجري مجراهم مائة ألف

واحدى عشر الف دينار وثمانية الف درهم ولا ينصرف للارامل والياتام يرصون به من بيت المال وان كانوا غير محتاجين حتى لا يتخلوا منهم من يفرعون (٢٦٤) اربعمائة الف دينار ولا ينصرف في كنفته برايتهم وسائر بيوت صلواتهم مائة الف دينار ولما

ينصرف في الصدقات مما يصب صباو ينادى برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة ولم يحضر فيحضر لذلك من يحضر ولا يرد احد والامناء جلوس فاذا رآوا انسانا لم يجروا به بان يأخذ افر دوه بعد قبضه ما قبضه حتى اذا فرق المال واجتمع من هذه الطائفة عدد دخل امناء فرعون اليه وهو بنقرة المال ودعـ وال بطول البقاء ودوام العز والسلامة وانتهى اليه حال تلك الطائفة فبأمر بتغيير شعثها بالجحام واللباس ثم يمد السماط فيأكلون بين يديه ويشربون ويستعلم من كل واحد سب فاقته فان كان ذلك من آفة الزمان رد عليه مثل ما كان له وان كان سـ وهو رأى وتدبير غيره مستقيم ضمه الى من يشرف عليه ويأخذه بالادب والمعرفة التي لا يصلح الابهام اثنا الف دينار ولما ينصرف من نفقات فرعون الراتبه لسنته مائة الف دينار تكون النفقات على مائة دم تقصيلها تسعة آلاف الف وثمانمائة الف دينار ويحصل بعد ذلك ما

قل الرواية لاجل المطاعن التي تعترضه فيها والعمل التي تعرض في طرقها سيما والمجرح مقدم عند الاكثر فيؤديه الاجتهاد الى ترك الاخذ بما يعرض مثل ذلك فيه من الاحاديث وطرق الاسانيد ويكثر ذلك فتقل روايته لضعف في الطرق هذا مع ان اهل الحجازا اكثر روايه للحديث من اهل العراق لان المدينة دار الهجرة وماوى الصحابة ومن انتقل منهم الى العراق كان شغلاهم بالجهاد اكثر والامام ابو حنيفة اتما قات روايته لما شد في شروط الرواية والتحمل وضعف رواية الحديث اليه في اذا عارضها الفـ عمل النفسى وقلت من اجلها روايته فقل حديثه لانه ترك رواية الحديث متمدا في اشياء من ذلك ويدل على انه من كبار المجتهدين في علم الحديث اعتماد مذهبه بينهم والتعويل عليه واعتباره ردا وقبولا واما غيره من المحدثين وهم مـ المجتهودون وسواهم في الشروط وكثرت حديثهم والسلك عن اجتهاد وقد توسع أصحابه من بعده في الشروط وكثرت روايتهم وروى الطحاوى فاكثروا كتب مسنده وهو جليل القدر الا لانه عدل الصحيحين لان الشروط التي اعتمدها البخارى ومـ لم في كتابيهـ ما مجع عليها بين الامة كما قالوه وشروط الطحاوى غير منقح عليها كالرواية عن المسنور المال وغيره فلها تقدم الصحيحان بل وكتب السنن المعروفة عليه لتأخر شرطه عن شروطهم ومن اجل هذا قبل في الصحيحين بالاجماع على قبوله ما من جهة الاجماع على صحته ما فهم ما من الشروط المتفق عليها فلا تأخذك ريبه في ذلك فالقوم أحق الناس بالظن الجليل بهم والتماس الخراج الصحيحة لهم والله سبحانه وتعالى أعلم بما في حقائق الامور

٧ * (علم الفقه وما يتبعه من الفرائض) *

الفقه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكره والاباحة وهي منلقاة من الكتب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفة ما من الأدلة فاذا استخرجت الاحكام من تلك الأدلة قبل لم يفقه وكان السلف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف في باب بينهم ولا بد من وقوعه ضرورة ان الأدلة غالبها من النصوص وهي بلغة العرب وفي اقتضاآت ألفاظها الكثير من معانيها الاختلاف بينهم معروف وأيضا فالسنة مختلفة الطرق في الثبوت وتعارض في الاكثر احكامها فتحتاج الى الترجيح وهو مختلف أيضا فالادلة من غير النصوص مختلف فيها وأيضا فالوقائع المتجددة لا توفى بها النصوص وما كان منها غير ظاهر في المنصوص فيعمل على منصوص لمشابهة بينهم وهذه كلها اشارات للتحلاف ضرورية الوقوع ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والأئمة من بعدهم ثم ان الصحابة كلهم لم يكونوا اهل فتيا ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم وانما كان ذلك مختصا بالعلماء للقرآن العارفين بما نسخه ومنسوخه ومثابهة ومحكمه وسائر دلالاته بما تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم أو ممن سمعهم منهم من علمتهم وكانوا يسمون لذلك القراء الذين يقرؤون الكتاب لان العرب كانوا امة أمية فاقتصر من كان منهم قارئاً للكتاب بهذا الاسم لغرابته يؤذون بقى الامر كذلك صدر الملة ثم عظمت أمصار الاسلام وذهبت الامية من العرب بممارسة الكتاب وتمكن الاستنباط وكل الفقه وأصبح صناعة وعلما فبذلوا باسم الفقهاء والعلماء من القراء وانقسم الفقه فيهم الى طريقتين طريقة اهل الرأي والقياس وهم اهل العراق وطريقة اهل الحديث وهم اهل الحجاز وكان الحديث قديما في اهل العراق لما قدماء فاستكثر وامن القياس ومهر واقع فذلك قبل اهل الرأي ومدة قدم جاعتهم الذي استقر المذهب فيه وفي اصحابه ابو حنيفة وامام اهل الحجاز مالك بن انس والشافعي من بعده ثم انكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به وهم الظاهرية وجعلوا المدارك كلها منحصرة في النصوص والاجماع وردوا القياس الجلي والعلية المنصوصة

يشتمه يوسف الصديق عليه السلام ويحصله فرعون في بيت المال لنوايب الزمان اربعة عشر ألف الف وستمائة الف دينار (وقال ابو درهم) كانت ارض مصر ارضاً مدبرة حتى ان الماء ليحمرى تحتها واقينتها فيحسبوه كيف

شاؤوا برسـ لوه كيف شاؤوا وذلك قول فرعون اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون وكان ملك مصر عظيما لم يكن في الارض اعظم من ملك مصر وكانت الجنات بحافتي النبل متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء والزروع كذلك من اسوان الى رشيد وكانت ارض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا لمدبر وافي جسورها وحقاقتها (٢٦٥) والزروع ما بين الجبلين من اولها الى

آخرها وذلك قوله تعالى
كم تركوا من جنات وعيون
وزروع ومقام كريم
ونعمة كانوا فيها فاكهين
واقام الكريم المنابر وكان
بها الف منبر (وقال عبد
الله بن عمرو) استعمل
فرعون هامان على حفر
خليج سر دوس فأخذ في
حفره وتديبه فجعل أهل
القرى يسألونه ان يجري
الخليج تحت قريرتهم
ويعطوه مالا وكان يذهب به
من قرية الى قرية من الشرق
الى الغرب ومن الشمال
الى القبلة ويسوقه كيف
أراد فلبس في مصر خليج
أكثر عطوفا منه فاجتمع
له من ذلك أموال عظيمة
فحملها الى فرعون وأخبره
بالخبر فقال له فرعون انه
ينبغي للسيد ان يعطف
على عبده ويقبض عليهم
من خزائنه وذخائره ولا
يرغب فيما بأيديهم رد
على أهل القرى ما أخذت
منهم فرد عليهم أموالهم
فهذه سيرة من لا يعرف
الله ولا يرجو لقاءه ولا
يخاف عذابه ولا يؤمن
بيوم الحساب فكيف
يجب ان تكون سيرة

الى النص لان النص على العلة نص على الحكم في جميع محالها وكان امام هذا المذهب داود بن علي وابنه
وأصحابهما وكانت هذه المذاهب الثلاثة هي مذاهب الجمهور والمشتهرة بين الامة وشذاهل البيت بمذاهب
ابتدعوا وهاو فقه انفرادوا به وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح وعلى قولهم بعصاة الائمة
ورفع الخلاف عن اقوالهم وهو كاهل اصول واهلية وشذوذ ذلك الخوارج ولم يحتفل الجمهور
بمذاهبهم بل اوسعوا ما جازب الانكار والقدح فلا يعرف شيئا من مذاهبهم ولا تروى كتبهم ولا اثر لشي
منها الا في مواضعهم فكاتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت دولتهم قائمة في المغرب والشرق واليمن
والخوارج كذلك ولكل منهم كتب وتاليف وآراء في الفقه غريبة ثم درس مذهب اهل الظاهر
اليوم بدروس أئمة وانكار الجمهور على منتهى له ولم يبق الا في الكتب المجلدة وربما يكلف كثير من
الطالبين عن تكلف بانتحال مذهبهم على تلك الكتب يوم اخذ فقههم منها ومذهبهم فلا يحس بلو بمائل
ويصير الى مخالفة الجمهور وانكارهم عليه وربما عد هذه النحلة من أهل البدع بنقله العلم من الكتب من
غير مفتاح المعلمين وقد فعل ذلك ابن خزم بالاندلس على علور تده في حفظ الحديث وصار الى مذهب اهل
الظاهر وهو مرفيع باجتهاد زعمه في اقوالهم وخالف امامهم داود وتعرض للكثير من أئمة المسلمين فقم الناس
ذلك عليه وأوسعوا مذهبهم استهجانا وانكارا وتلقوا كتبهم بالاغفال والترك حتى انها الحاضر ببعضها
بالاسواق وربما تمزق في بعض الاحيان ولم يبق الا المذهب اهل الرأي من العراق واهل الحديث من
الحجاز فاما اهل العراق فامامهم الذي استقرت عنده مذاهبهم ابو حنيفة النعمان بن ثابت ومقامه في
الفقه لا يلحق شهادته بذلك اهل جلده وخصوصا مالك والشافعي * واما اهل الحجاز فكان امامهم
مالك بن انس الاصمعي امام دار الهجرة رجه الله تعالى واختص بزيادة مدرك آخر للاحكام غير المدارك
المعتبرة عنده غيره وهو عمل أهل المدينة لانه رأى انهم فيما ينفسون عليه من فعل او ترك متابعون لمن
قبلهم ضرورة ولديهم واقدمائهم وهكذا الى الجبل المباشر من الفعل النبي صلى الله عليه وسلم الاخذين
ذلك عنه وصار ذلك عنده من اصول الادلة الشرعية ووطن كثيران ذلك من مسائل الاجماع فأنكره لان
دليل الاجماع لا يخص اهل المدينة من سواهم بل هو شامل للامة واعلم ان الاجماع انما هو الاتفاق
على الامر الديني عن اجتهاد ومالك رجه الله تعالى لم يعتبر عمل اهل المدينة من هذا المعنى وانما اعتبره من
حيث اتباع الجبل بالمشاهدة للجبل الى ان ينتهي الى الشارع صلوات الله وسلامه عليه وضرورة اقتدائهم
بمعين ذلك يع الملة ذكرت في باب الاجماع الابواب بها من حيث ما فيها من الاتفاق الجامع بينها وبين
الاجماع الا ان اتفاق اهل الاجماع عن نظر واجتهاد في الادلة واتفاق هؤلاء في فعل او ترك مستندين الى
مشاهدة من قبلهم ولو ذكرت المسئلة في باب فعل النبي صلى الله عليه وسلم وتقريره اومع الادلة المختلف فيها
مثل مذهب الشافعي وشرع من قبلنا والاسـ بحجاب لكان اليبق ثم كان من بعد مالك بن انس محمد بن
ادريس المطلبي الشافعي رجه الله تعالى رحل الى العراق من بعد مالك واتى أصحاب الامام ابي حنيفة
وأخذ عنهم وخرج ماريقة اهل الحجاز بطريقه اهل العراق واختص بمذهب وخالف ما لكارجه الله تعالى
في كثير من مذهبه وجاء من بعدهما احمد بن حنبل رجه الله وكان من عليه المحدثين وقرأ أصحابه على
أصحاب الامام ابي حنيفة مع وفور بضاعتهم من الحديث فاخصوا بمذهب آخر ووقف التقليدي في الامصار

(٣٤ - ابن خلدون)
من يقول لا اله الا الله ويوقن بالحساب والثواب والعقاب (وقال ابن عباس)
رضي الله عنهم في قوله تعالى اجعلني على خزائن الارض اني خفيظ لديم قال هي خزائن مصر وكانت ارضه من فرس خافي مثلها ولم يطع يوسف
فرعون ويخلفه وينوب عنه الا بعد ان دعاه الى الاسلام فاسلم حينئذ قال اجعلني على خزائن الارض (ولما استوثق) امر يوسف الصديق

عليه السلام وكل وصارت الاشياء اليه واراد ربك ان يعرضه على صبره لما لم يركب محارمه وحلت سبوا الغلاء والجوع مات العزيز
وذهبت الذخائر واقترت زليخا وعى بصرها وجمعت تنكف الناس فقيل لها لو تعرضت للملك لعله يرجك ويعينك فطالما حقت عليه
واكرمه ثم قيل لها لا تقلى (٢٦٦) لانه ربما يتذكر ما كان منك اليه من المرادته والحبس فيسى عليك ويكافئك فيما سبق

عنده هؤلاء الاربعة ودرس المقلدون من سواهم وسد الناس باب الخلاف وطرقها كثيرا تشعب
الاصطلاحات في العلوم ولما عاق عن الوصول الى رتبة الاجتهاد ولما خشى من اسناد ذلك الى غير اهله
ومن لا يوثق برأيه ولا يدينه فصرحوا بالعجز والاعواز وردوا الناس الى تقليده هؤلاء كل من اختص به من
المقلدين وحظروا ان يتداول تقليدهم لما فيه من التلاعب ولم يبق الا تقل مذهبهم وعمد كل مقلد
بمذهب من قلده منهم بعد تصحيح الاصول واتصال سندها بالرواية لا يحصل اليوم للفقهاء غير هذا ومدعى
الاجتهاد لمذاهبهم مردود على عقبه وهو رتقليده وقد صار اهل الاسلام اليوم على تقليده هؤلاء الاربعة
الاربعة فاما احمد بن حنبل فقلده قليل بعد مذهبهم عن الاجتهاد واصالته في معاضدة الرواية وللأخبار
بعضها يبعثوا اكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها وهم اكثر الناس حفظا للسنة ورواية الحديث
وأما ابو حنيفة فقلده اليوم اهل العراق ومسلمة الهند والصين وما وراء النهر وبالاد العمم كلها لما كان
مذهبه اخص بالعراق ودار الاسلام وكان تلميذه صحابة الخلفاء من بنى العباس فكثرت تاليفهم
ومناظراتهم مع الشافعية وحسنت مباحثهم في الخلافات وحاووا منها بعلم مسقطر في النظر في توهي
بين أيدي الناس وبالمغرب منها شئ قليل نقله اليه القاضي ابن العربي وابو الوائيد الباجي في رحلتهم واما
الشافعي فقلده وبمصر اكثر مما سواها وقد كان انتم مذهبهم بالعراق وخراسان وما وراء النهر وقاسموا
الحنفية في الفتوى والتدريس في جميع الامصار وعظمت مجالس المناظرات بينهم وشخنت كتب
الخلافات بانواع استدلالهم ثم درس ذلك كاه بدر وس المشرق واقطاره وكان الامام محمد بن ادريس
الشافعي لما نزل على بنى عبد الحكم بمصر اخذ عنه جماعة من بنى عبد الحكم وأشهب وابن القاسم وابن
المواز وغيرهم ثم المحدث بن مسكين وبنوه ثم انقرض فقه اهل السنة من مصر بظهور دولة الرافضة
وتداول بها فقه اهل البيت وتلاشي من سواهم الى ان ذهبت دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح
الدين يوسف بن ايوب ورجح اليهم فقه الشافعي واصحابه من اهل العراق والشام فعاد الى احسن ما كان
ونفق سوقه واشتهر منهم محيي الدين النووي من الحلب التي ربيت في ظل الدولة الايوبية بالشام وعز الدين
ابن عبد السلام ايضا ثم ابن الرقعة بمصر وتقى الدين بن دقيق العيد ثم تقى الدين السبكي بعدهما الى ان
انتهى ذلك الى شيخ الاسلام بمصر لهذا العهد وهو سراج الدين البلقيني فهو اليوم اكبر الشافعية بمصر كبير
العلماء بل اكبر العلماء من اهل العصر * واما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه اهل المغرب
والاندلس وان كان يوجد في غيرهم الا أنهم لم يقلدوا غيره الا في القليل لما ان رحلتهم كانت غالبا الى الحجاز
وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج الى العراق ولم يكن العراق في طريقهم فاقصر
على الاخذ من علماء المدينة وشيوخهم يومئذ واما امامهم مالك وشيوخهم من قبله وتلميذه من بعده فرجع اليه
اهل المغرب والاندلس وقلده دون غيره من لم تصل اليهم طريقته وايضا لبداهة كانت غالبية على اهل
المغرب والاندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لاهل العراق فكانوا الى اهل الحجاز اميل لمناسبة
البداهة ولهذا لم يزل المذهب المالكي غصا عندهم ولم يأخذوا تنقيح الحضارة وتخليتها كما وقع في غيره من
المذاهب ولما صار مذهب كل امام عالما مخصوصا عند اهل مذهبهم ولم يكن لهم سبيل الى الاجتهاد
والقياس فاحتاجوا الى تظهير المسائل في الاحكام وتفريقها عند الاشتباه بالاستناد الى الاصول

منك اليه فقالت انا اعلم
بجلمه وكرمه وجاست له
على رايته في طريقه يوم
خروجه وكان يركب في
زهاء مائة ألف من عظام
قومه واهل مكة فبما
أحست به قامت وقالت
سبحان من جعل الملوك
عبيدا بمصيتهم وجعل
العبيد ملوكا بطاعتهم فقال
يوسف ومن أنت قالت
أنا التي كنت اخذت على
صدور قدي وأرجل جنك
بيدي وأكرم مسواك
بجهدى وكان منى ما كان
وذقت وبال أمرى وذهبت
قوتى وتلف مالي وعى
بصرى وصرت أسأل الناس
فهم من يرحمني ومنهم
من لا يرحمني بعدما كنت
معبودة اهل مصر كلها
صرت مرحومة بهم بل
محرومة منهم هذا جزاء المقدسين
فبكي يوسف عليه السلام
بكاء شديدا وقال لها هل
بقي في قلبك من حبك
اي شئ فقالت والذي
اتخذ ابراهيم خليلا لنظرة
اليك أحب الي من مله
الارض ذهبا وفضة فضى
يوسف وأرسل اليه ان
كنت ايمانا تزوجناك وان

كنت ذات بعل أغنيانا فقالت لارسلو الملك اعرف بالله من أن يستهزئ بي هو لم يردني
في أيام شبابي وجالي فكيف يقبلني وأنا عجوز فعمياء فقيرة فأمر بها يوسف عليه السلام فبهزت فتر وجهها وادخلت عليه فصف قدميه
وجعل يرضي ودعا الله باسمه الاعظم فرد الله تعالى عليها سبابها ووجهها وبصرها كهيته يوم راودته فواقعها فاذا هي بكر فولدت له

المقررة

افرائيم بن يوسف وميشا بن يوسف وطاب في الاسلام عيشهم ما حتى فرق الدهر بينهم ما فيجب للقوى ان لا ينسى الضعيف ولغنى ان لا ينسى الفقير فرب مطلوب يصير طالبا ومرغوب اليه يصير راغبا ومسؤول يصير سائلا وراحم يصير مرحوما (فهذا يوسف) الصديق عليه السلام انظر الى ضعفه في بداخوته يوم الحجب ثم ضعفهم بين يديه يوم الصاع (وهذه زليخا) (٢٦٧) ملكة مصر وسيدة أهلها عادت

تتكلم في الناس في الطرقات
قال الله تعالى وأورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون
مشارك الارض ومغارها
التي باركنا فيها فكان
يوسف عليه السلام بعد
هذا يجوع ويأكل خبز
الشعير ولا يشبع فعمل له
أجوع ويبدك خزائن
الارض قال أخاف أن
أشبع فأنسى الجائعين
(وقد رأيت) أن الحققة
بمنقبة في مثلها يتنافس
العقلاء ويرغب فيها
الملوك والوزراء وذلك اني
لما كنت بالعراق وكان
الوزير نظام الملك والغالب
على ألقابه خواجا بررك
رحمه الله تعالى قدوزر لاني
الفتح ملك الترك ابن الب
ارسلان وكان قدوزر لاني
من قبله فقام بدولته ما
أحسن قيام فشد أركانها
وشيد بنيانها واستمال
الاعداء ووالي الاولياء
واستعمل الكفاة وعم
احسانه العدو والصديق
والبغض والحبيب والبعيد
والقريب حتى ألقى الملك
بجرائه وذل الخلق لسلطانه
وكان الذي مهله ذلك
بإذن الله تعالى وتوفيقه

لمقررة من مذاهب امامهم وصار ذلك كله يحتاج الى ملكة راسخة يقدر بها على ذلك النوع من التنظير
والنقد واتباع مذهب امامهم فيهم ما ما استضاءوا وهذه الملكة هي علم الفقه لهذا العهد وأهل المغرب
جميعا مقلدون لملك رجه الله وقد كان تلميذه افتقر وابتصر والعراق فكان بالعراق منهم القاضي اسمعيل
وطبقته مثل ابن خوزيمنداد وابن اللبان والقاضي أبو بكر الابهري والقاضي أبو الحسن بن القصار
والقاضي عبد الوهاب ومن بعدهم وكان بمصر ابن القاسم وأشباهه وابن عبد الحكم والحريث بن مسكين
وطبقتهم ورحل من الاندلس عبد الملك بن حبيب فأخذ عن ابن القاسم وطبقته وبث مذهب مالك في
الاندلس ودون فيه كتاب الواضحة ثم دون العتيبي من تلامذته كتاب العتبية ورحل من افر بقيقة اسدين
الفرات فكتب عن أصحاب أبي حنيفة فاولا ثم انتقل الى مذهب مالك وكتب على ابن القاسم في سائر
أبواب الفقه وجاء الى القيروان بكتابه وسعى الاسدية نسبة الى اسدين الفران فقرأها سجنون على اسد
ثم ارتحل الى المشرق ولحق ابن القاسم وأخذ عنه وعارضه بمسائل الاسدية فرجع عن كثير منها وكتب
سجنون مسائله اودونها وأثبت ما رجع عنه وكتب لاسد ان يأخذ بكتاب سجنون فأنف من ذلك فترك
الناس كتابه واتبعوا مديونة سجنون على ما كان فيهما من اختلاط المسائل في الابواب فكانت تسمى
المديونة والمختلطة وعكف أهل القيروان على هذه المديونة وأهل الاندلس على الواضحة والعتبية ثم اختصر
ابن أبي زيد المديونة والمختلطة في كتابه المسمى بالمختصر ونحصره ايضا البوسعيدي البرادعي من فقهاء القيروان
في كتابه المسمى بالتهذيب واعتمده المشيخة من أهل افر بقيقة وأخذوا به وتركوا ما سواه وكذلك اعتمد أهل
الاندلس كتاب العتبية وهاجروا الواضحة وما سواها ولم تزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الامهات
بالشرح والايضاح والتجميع فكتب أهل افر بقيقة على المديونة ماشاء الله ان يكتبوا مثل ابن يونس واللمخي
وابن محرز التونسي وابن بشير وامثالهم وكتب أهل الاندلس على العتبية ماشاء الله ان يكتبوا مثل ابن رشد
وأمثاله وجمع ابن أبي زيد جميع ما في الامهات من المسائل والخلاف والاقوال في كتاب النوادر فاشتمل
على جميع اقوال المذهب وفتح الامهات كلها في هذا الكتاب ونقل ابن يونس معظمه في كتابه على
المديونة وزخرت بحجرات المذهب المالكي في الافقيين الى انقراض دولة قرطبة والقيروان ثم تملك ما
أهل المغرب بعد ذلك الى ان جاء كتاب ابن عمرو بن الحاجب لمخص فيه طرق أهل المذهب في كل باب
وتعديد اقوالهم في كل مسألة فجاء كالبرنامج للمذهب وكانت الطريقة المالكية بقيت في مصر من لدن
الحريث بن مسكين وابن المبشر وابن الهيثم وابن رشيق وابن شاس وكانت بالاسكنة درية في بني عوف
وبني سند وابن عطاء الله ولم أدر عن أخذها ابو عمرو بن الحاجب لكنه جاء بعد انقراض دولة العبيديين
وزهاب فقه أهل البيت وظهور فقه السنة من الشافعية والمالكية وما جاء كتابه الى المغرب آخر المائة
السابعة عكف عليه الكثير من طلبة المغرب وخصوصا أهل بجاية لما كان كبير مشيختهم ابو علي ناصر
الدين الزواوي هو الذي جلبه الى المغرب فانه كان قرأ على أصحابه بمصر ونسخ مختصره ذلك فجاء به وانتشر
بقطر بجاية في تلميذه ومنهم من انتقل الى سائر الامصار المغربية وطلبة الفقه بالمغرب لهذا العهد تداولون قراءته
ويتدارسونه لما يؤثر عن الشيخ ناصر الدين من الترغيب فيه وقد شرحه جماعة من شيوخهم كابن عبد
السلام وابن رشد وابن هرون وكاهم من مشيخة أهل تونس وسابق حلبيتهم في الاجادة في ذلك ابن عبد

أنه أقبل بكتابه على مراعاة جمال الدين فبنى دور العلم للفقهاء وأنشأ المدارس للعلماء وأسس الرباطات للعباد والزهاد وأهل الصلاح
والفقر ثم أجرى لهم الجرايات والكساوي والنققات وأجرى الخير والرزق لمن كان من أهل الطلب للعلم مضافا الى أرزاقهم وعم بذلك
سائر أقطار مملكته فلم يكن من أوائل الشام وهي بيت المقدس الى سائر الشام الا على وديار بكر والعراقين وخراسان بأقطارها الى سمرقند

من ورانهر جيڪون مسيرت هاء ماٿه عوم حامل علم او طالبه او متعبدا و زاهد في زاويته الا وكرامته شاملة له وسابغة عليه وكان الذي يخرج من بيوت امواله في هذه الابواب ستمائة الف دينار في كل سنة فوشي به الوشاة الى ابي الفتح الملك واوغر واصدره عليه وقالوا ان هذا المال يخرج من بيوت الاموال (٢٦٨) يقيم به جيشا يركز رايته في سورقسطنة طينية فخا من ذلك قلب ابي الفتح الملك فلما دخل

السلام وهم مع ذلك يتعاهدون كتاب التهذيب في دروسهم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

٨ * (علم الفرائض)

وهو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة مما تصح باعتبار فروضها الاصول او مناسختها وذلك اذا هلك احد الورثة وانكسرت سهامه على فروض ورثته فانه حينئذ يحتاج الى حساب يصح الفريضة الاولى حتى يصل اهل الفروض جميعا في الفريضة بين الالف ففروضهم من غير تجزئة وقد تكون هذه المناسخت اكثر من واحد واثنين وتعد لذلك بعددا كثر بقدر ما تعدد يحتاج الى الحساب وان وكذلك اذا كانت فريضة ذات وجهين مثل ان يقر بعض الورثة بوارث وينكره الاخر فتحسب على الوجهين حينئذ وينظر مبلغ السهام ثم تقسم التركة على نسب سهام الورثة من اصل الفريضة وكل ذلك يحتاج الى الحساب وكان غالباً فيه وجعلوه فنامقروا للناس فيه تاليف كثيرة أشهرها عند المالكية من متأخري الاندلس كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي ابي القاسم الحوفي ثم المجعدي ومن متأخري افرقيمة ابن النمر الطرابلسي وامثالهم واما الشافعية والحنفية والمخالفة فلهم فيه تاليف كثيرة واعمال عظيمة صعبة شاهدهم باتساع الباع في الفقه والحساب وخصوصا ابا المعالي رضي الله تعالى عنه وامثاله من اهل المذاهب وهو فخر شريف مجمع بين المقول والمنقول والوصول به الى المحقوق في الوراثة بوجوه صحيحة يقينية عند ما تجهل المحظوظ وتشكل على القاسمين وللعلماء من اهل الامصار بها عناية ومن المصنفين من يحتاج فيها الى الغلوفي الحساب وفروض المسائل التي تحتاج الى استخراج الجوهولات من فنون الحساب كالجبر والمقابلة والتصرف في الجذور وامثال ذلك فيملاؤها تاليفهم وهو وان لم يكن متداولاً بين الناس ولا يقيد فيما يتداولونه من وراثتهم لغرابته وقلة وقوعه فهو يفيد المران وتحصيل الملكية في المتداول على اكمل الوجوه وقد يحتاج الاكثر من اهل هذا الفن على فضله بالحديث المنقول عن ابي هريرة رضي الله عنه ان الفرائض ثلث العلم وانها اول ما ينسى وفي رواية نصف العلم خرجة ابو نعيم الحافظ واحتج به اهل الفرائض بناء على ان المراد بالفرائض فروض الوراثة والذي يظهر ان هذا الحمل بعددوان المراد بالفرائض انما هي الفرائض التكليفية في العبادات والعدادات والموارث وغيرها وهذا المعنى يصح فيها النصفة والتولية واما فروض الوراثة فهي اقل من ذلك كله بالنسبة الى علم الشريعة كلها ويعين هذا المراد ان حمل لفظ الفرائض على هذا الفن الخصوص او تحسبه به بفروض الوراثة انما هو اصطلاح ناشئ للفقهاء عند حدوث الفنون والاصطلاحات ولم يكن صدر الاسلام يطلق على هذا الاعلى عمومه مشتقاً من الفرض الذي هو لغة التقدير او القطع وما كان المراد به في اطلاقه الاجمعي الفروض كما قلناه وهي حقيقة الشرعية فلا ينبغي ان يحمل الاعلى ما كان يحمل في عصرهم فهو ابيق بمرادهم منه والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

٩ * (اصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات)

(اعلم) ان اصول الفقه من اعظم العلوم الشرعية واجلها قدرا واكثرها فائدة وهو النظر في الادلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الاحكام والتكاليف واصول الادلة الشرعية هي السكك الذي هو القرآن ثم السنة المبينة له فعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانت الاحكام تنلق منه بما يوحى اليه من

عليه قال يا ابت يا بنت يا بنتي انك تخرج من بيوت الاموال كل سنة ستمائة الف دينار الى من لا ينفعا ولا يبغي منا فبكي نظام الملك وقال يا بني انا شيخ اعجمي لوفودي عـ لي فيمن يز يدلم احفظ خمسة دنابر وانت غلام تركي لوفودي عليك عسك تحفظ ثلاثين ديناراً وانت مشغل بلذاتك منهمك في شهواتك واكثر ما يصعد الى الله تعالى معاصيك دون طاعاتك وجيوشك الذين تعدهم للنواب اذا احتشدوا كما فوا عنك بسيف طوله ذراعان وقوس لا ينتهي مدى حرماه ثلثمائة ذراع وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصي والخجور والملاهي والمزمار والضرب وروانا ائت لك جيشا يسمى جيش الليل اذا نامت جيوشك ليل لا قامت جيوش الليل على اقدامهم صفة وفابن يدي بهم فارسوا دموعهم واطلقوا بالدعاء استنهم ومدوا الى الله اكرمهم بالدعاء لك وحيوشك فانت وحيوشك في حقارتهم تعيشون ويدعاتهم تبيتون ويبركاتهم تظرون وترزقون تخرق سهامهم الى السماء السابعة بالدعاء والتضرع فبكي ابو الفتح الملك بكاء شديدا ثم قال شاباش القرآن يا ابت شاباش اكثر لي من هذا الجيش (ومن مناقب) هذا الرجل وفضائله ان رجلا قصده يقال له ابو سعد الصوفي فقال له يا خواجه انا اني لك مدرسة يبغداد مدينة السلام لا يكون في معمر الارض مثلها يخلد بها ذكرك الى ان تقوم الساعة قال اقبل وكتب الي وكلائه

تظرون وترزقون تخرق سهامهم الى السماء السابعة بالدعاء والتضرع فبكي ابو الفتح الملك بكاء شديدا ثم قال شاباش القرآن يا ابت شاباش اكثر لي من هذا الجيش (ومن مناقب) هذا الرجل وفضائله ان رجلا قصده يقال له ابو سعد الصوفي فقال له يا خواجه انا اني لك مدرسة يبغداد مدينة السلام لا يكون في معمر الارض مثلها يخلد بها ذكرك الى ان تقوم الساعة قال اقبل وكتب الي وكلائه

بيعداد أن يمكنه من الاموال فابتاع بعمه على شاطئ دجلة وخط المدرسة النظامية وبنائها احسن بنيان وكتب عليها اسم نظام الملك بنو حوثها
أسواقا تكون محبسة عليها وابتاع ضياعا وخانات وجماعات وواقفت عليها فكمات لنظام الملك بذلك رياسة وسودود وكرجبل طبق
الارض خبره وعم المشارق والمغرب اثره وكان ذلك في سني عشر الحسنيين وأربعمائة (٢٦٩) من الهجرة ثم رفع حساب النفقات

الى نظام الملك فبلغ ما يقارب
ستين ألف دينار ثم نفي
الخبر الى نظام الملك من
الكتاب وأهل الحساب أن
جميع ما أتفق فيها نحو من
تسعة عشر ألف دينار وأن
سائر الاموال احتجبت لنفسه
وخانك فيها فدعا نظام
الملك الى أصحاب الحساب
فلما أحسن أبو سعيد بذلك
أرسل الى الخليفة أبي
العباس يقول هل لك في
أن أطبق الارض بذكرك
وأشرك فخر الاتيموه الايام
قال وما هو قال نحو وانتم
نظام الملك عن هذه المدرسة
ونكتب عليهم السمك وتزن
له ستين ألف دينار فارسل
اليه الخليفة يقول له أنفذ
من يقبض المال فلما
استوفى منه مضى الى
أصحاب فقال له نظام الملك
أنك قدر فعت الينانحوا
من ستين ألف دينار رفقة
وأحب اخراج الحساب فقال
له أبو سعيد لا تطل الخطاب
ان رضيت والاحوت
اسمك المكتوب عليها
وكتبت عليها اسم غيرك
وأرسل معي من يقبض
المال فلما أحسن نظام
الملك بذلك قال يا شيخ

القرآن وبينه بقوله وفعله بخطاب شفاهي لا يحتاج الى نقل ولا الى نظر وقياس ومن بعده صلوات الله
وسلامه عليه تعذر الخطاب الشفاهي وانحفظ القرآن بالتواتر وأما السنة فأجمع الصحابة رضوان الله تعالى
عليهم على وجوب العمل بما يصل البناء منها قولاً أو فعلاً لا بالنقل الصحيح الذي يغلب على الظن صدقه
وتعذرت دلالة الشرع في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار ثم ينزل الاجماع منزلة الاجماع الصحابة على
التكبير على مخالفيهم ولا يكون ذلك الا عن مسند لان مثلهم لا يتفقون من غير دليل ثابت مع شهادة
الادلة بعصمة الجماعة فصار الاجماع دليلاً ثابتاً في الشرعيات ثم نظرنا في طرق استدلال الصحابة والسلف
بالكتاب والسنة فاذا هم يقسمون الاشياء بالاشبهاء منها وما يناظرون الامثال بالامثال باجماع منهم
وتسليم بعضهم لبعض في ذلك فان كتبهم من الواقعات بعده صلوات الله وسلامه عليه لم تدرج في
النصوص الثابتة ففاسدوا ما ثبت والمحذور ما نص عليه بشرط في ذلك الاتحاق تصحيح تلك المساواة بين
الشيئين أو المثلين حتى يغلب على الظن ان حكم الله تعالى فيهما واحد وصار ذلك دليلاً لشرعها باجماعهم
عليه وهو القياس وهو رابع الادلة واتفق جمهور العلماء على أن هذه هي أصول الادلة وان خالف
بعضهم في الاجماع والقياس الا أنه شذوذ والمحقق بعضهم بهذه الاربع ادلة أخرى لا حاجة بنا الى ذكرها
لضعف مداركها وشذوذ القول فيها فكان اول مباحث هذا الفن النظر في كون هذه ادلة قأما الكتاب
فدليله المعجزة القاطعة في متنه والتواتر في نقله فلم يبق فيه مجال للاحتمال وأما السنة وما نقل الينانحوا
فالاجماع على وجوب العمل بما يصح منها كما قلناه مع تضادها كان عليه العمل في حياته صلوات الله
وسلامه عليه من انفاذ الكتب والرسائل الى النواحي بالاحكام والشرايع أمرها ونهايا وأما الاجماع فلا نقاهم
رضوان الله تعالى عليهم على انكار مخالفتهم مع العصمة الثابتة للامة واما القياس فباجماع الصحابة رضي
الله عنهم عليه كما قدمناه هذه اصول الادلة ثم ان المنقول من السنة محتاج الى تصحيح الخبر بالنظر في طرق
النقل وعدالة الناقلين لتمييز الحالة المحصلة لا لظن بصدقه الذي هو مناط وجوب العمل وهذه ايضا من
قواعد الفن ويلحق بذلك عند التعارض بين الخبرين وطلب المتقدم منها معرفة الناصح والمنسوخ وهي
من فصوله ايضا وأبوابه ثم بعد ذلك يتعين النظر في دلالة الالفاظ وذلك ان استفادة المعاني على الاطلاق
من تركيب الكلام على الاطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة والقوانين
اللسانية في ذلك هي علوم النحو والنصرف والبيان وحين كان الكلام ملكة لاهله لم تكن هذه علومها
ولا قوانين ولم يكن الفقه حينئذ يحتاج اليها لانها جلية وملكة فلما فسدت الملكة في لسان العرب قبيدها
الجهاندة المتجددون لذلك تنقل صحيح ومقاييس مستنبطة صحيحة وصارت علومها يحتاج اليها الفقه في
معرفة احكام الله تعالى ثم ان هناك استفادات أخرى خاصة من تركيب الكلام وهي استفادة الاحكام
الشرعية بين المعاني من أدلتها الخاصة من تركيب الكلام وهو الفقه ولا يكفي فيه معرفة الدلالات
الوضعية على الاطلاق بل لا بد من معرفة أمور أخرى تتوقف عليها تلك الدلالات الخاصة وجاهت استفاد
الاحكام بحسب ما أصل أهل الشرع وجهاندة العلم من ذلك وجعلوه قوانين لهذه الاستفادة مثل أن اللغة
لا تثبت قياسا والمشتراك لا يراد به معنيها معا والاولا تقتضي الترتيب والعام اذا خرجت افراد الخاص منه
هل يبقى حجة فيما عداها والامر للوجوب والندب والفقور والترخي والنهي يقتضي الفساد والحكمة والمطلق

قد وسعنا لك جميع ذلك كله ولا تمنع اسمنا ثم ان ابا سعيد بن ابي بكر المال الرباطات للصوفية واشتهر الصياع والخانات والبساتين
والدور ووقف جميع ذلك على الصوفية فالصوفية الى يومنا هذا في رباط أبي سعيد الصوفي وواقفه يتقبلون بيعداد في هذه المناقب
فليتنافس المتنافسون ويمثل هذا فليعمل العاملون فان فيها عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت وخلود جميل الذكر فإياهم لم تجد شيئا

يبقى على الدهر الا الذكر حسنا كان او قبيحا وقال الشاعر ولا شيء يدوم فكن حديثا * جميل الذكرا فالدنيا حديث فانتهر فرصة العمر ومساعدة الدنيا ونهذ الامر وقدم لنفسك كما قدم وانذكر بالصالحات كما ذكر واودخر لنفسك في الآخرة كما ادخر واواعلم ان المأكل للبدن والمهوب للاماد (٢٧٠) والمتروك للعدو فاختر اى الثلاث شئت والسلام (وكان) ابن ابي داود الوزير واسع النقص

هل يحمل على المقيد والنص على العلة كافي في التعدد ام لا وامثال هذه فكانت كلها من قواعد هذا الفن ولا يكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية ثم ان النظر في القياس من اعظم قواعد هذا الفن لان فيه تحقيق الاصل والفرع فيما يقاس ويمائل من الاحكام وينفتح الوصف الذي يغلب على الظن ان الحكم علق به في الاصل من تبيين اوصاف ذلك المحل او وجود ذلك الوصف والفرع من غير معارض يمنع من ترتيب الحكم عليه في مسائل اخرى من توابع ذلك كلها قواعد هذا الفن (واعلم) ان هذا الفن من الفنون المستحدثة في الملة وكان السلف في غنية عنه بما ان استفادة المعاني من الالفاظ لا يحتاج فيها الى ازيد مما عندهم من الملكة اللسانية واما القوانين التي يحتاج اليها في استفادة الاحكام خصوصا فانهم اخذوا معظمها واما الاسانيد فلم يكونوا يحتاجون الى النظر فيها القرب العصر وممارسة النقطة وخبرتهم بهم فلما انقرض السلف وذمب الصدرا الاول وانقلبت العلوم كلها صناعا كما قررناه من قبل احتاج الفقهاء والمجتهدون الى تحصيل هذه القوانين والقواعد لاستفادة الاحكام من الادلة فكتبوه افاقا فاعلموا برأسه سموه اصول الفقه وكان اول من كتب فيه الشافعي رضي الله تعالى عنه املى فيه رسالته المشهورة تكلم فيها في الاوامر والنواهي والبيان والخبر والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس ثم كتب فقهاء الحنفية فيه وحققت اولئك القواعد واوسعوا القول فيها وكتب المتكلمون ايضا كذلك الا ان كتابة الفقهاء فيها امس بالفقه واليق بالقروع لكثرة الامثلة منها والشواهد وبناء المسائل فيها على النكت الفقهية والمتكلمون بمجرد صور تلك المسائل عن الفقه ويميلون الى الاستدلال العقلي ما لم يكن لانه غالب فنونهم ومقتضى طريقتهم فكان لفقهاء الحنفية فيها اليد الطولى من الغوص على النكت الفقهية والتقاط هذه القوانين من مسائل الفقه ما لم يكن وجاء ابو زيد الدبوسي من ائمتهم فكتب في القياس باوسع من جميعهم وتم الاجتاج والشروط التي يحتاج اليها فيه وكتبت صناعة اصول الفقه بكامله وتمهدت مسائله وتمهدت قواعد وعنى الناس بطريق المتكلمين فيه وكان من احسن ما كتب فيه المتكلمون كتاب البرهان لامام الحرمين والمستصفي للغزالي وهو امن الاشعرية وكتاب العهد لعبد الجبار وشرحه المعتمد دلا في الحسين البصري وهما من المعتزلة وكانت الاربعة قواعد هذا الفن واركانها ثم لمخص هذه الكتب الاربعة في الان من المتكلمين المتأخرين وهما الامام نجر الدين بن الخطيب في كتاب المحصول وسيف الدين الادمي في كتاب الاحكام واختلفت طرائقهم في الفن بين التحقيق والحجاج فابن الخطيب اتميل الى الاستكثار من الادلة والاحتجاج والادمي مواج بتحقيق المذاهب وتقرير المسائل واما كتاب المحصول فاخصره بلبذ الامام سراج الدين الادمي في كتاب التحصيل وناج الدين الازموي في كتاب المحاصل واقتطف شهاب الدين القرافي منها ما تقدمت وقواعد في كتاب صغير سماه التنقيحات وكذلك فعل البيضاوي في كتاب المنهاج وعنى المبتدئون بهذين الكتابين وشرحهما كثير من الناس واما كتاب الاحكام للادمي وهو اكثر تحقيقا في المسائل فلخصه ابو عمر وبن الحاجب في كتابه المعرف وبالختصر الكبير ثم اختصره في كتاب آخر تداوله طلبة العلم وعنى اهل المشرق والمغرب به وبمطالعة وشرحه ووصلت زبدة طريق المتكلمين في هذا الفن في هذه المختصرات واما طريق الحنفية فكتبوا فيها كثيرا وكان من احسن كتابه فيها المتقدمين تأليف ابو زيد الدبوسي واحسن كتابه المتأخرين فيها تأليف سيف الاسلام

مبسوط الدين يعطى الجزيل ويستقل الكثير ولا يردسوا الا ويمتدنى بالنوال فقال له الواثق امير المؤمنين يوما قد بلغني بسط يدك بالاعطاء وهذا يتلف بيوت الاموال فاطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال يا امير المؤمنين ذخائر اجمعها واصل اليك ومقاييس شكرها موصولة بك وانما لي من ذلك تعسقي في اصال الثناء اليك فقال الواثق لله انت جدي بالاعطاء واكثر بالشكر والثناء

(ابواب التاسع والاربعون في سيرة السلطان في الانفاق من بيت المال وسيرة العمال)

اعلم ان يوسف الصديق عليه السلام لما ملك خزائن الارض كان يجوع ويأكل الشعير فقيل له اتجوع وبيدك خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجائعين (وروى) البيهقي باسناده قال لما استخلف ابو بكر الصديق رضي الله عنه غدا الى السوق فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه اين تريد قال السوق قال قد

جاءك ما يشغلك عن السوق قال سبحان الله يشغلي عن عمالي قال نفرص لك بالمعروف قال فانق في سنتين وبعض اخرى ثمانية آلاف درهم ووصي ان ترد من ماله في بيت المال (وروى) هذه القصة الحسن البصري قال لما حضرنا ابا بكر الوفاة قال انظر واكف انفق من مال الله فوجدوا قد انفق في سنتين ونصف ثمانية آلاف درهم قال اقضوا معاني فقضوا واعلموا

البرذوي

ثم قال يا معشر المسلمين انه قد حضر من قضاء الله ما ترون ولا بد لكم من رجل يلى امركم ويصلى بكم ويقال عدوكم فان شئتم اجتمعتم وانتمرت
لكم وان شئتم اجتهدت لكم فوالذي لا اله الا هو ما آلوكم ونفسي خبير افبكروا وقالوا انت خيرنا واعلمنا فاخترنا فقال قد اخترت لكم عمر
(وروى) مالك هذه القصة على غير هذا الوجه قال بلغني ان ابا بكر لما ولي لم ينفق من (٢٧١) مال الله شيئا وغدا يومان من بني عمرو بن

عوف وكانت له هناك
امرأة من الانصار في جمال له
يريد ان يبيعها فلقبها
بعض المسلمين فقال ما تصنع
هذا اشغلك عن الناس
وعن النظر في امرهم قال
فكيف اصنع قالوا اتفرغ
للتنظر في امورهم وتستفق
من هذا المال فباع تلك
الابل وغيرها من ماله
الا الارض ثم طرحه في
بيت المال فكان ينفق
من المال على نفسه وعلى
عاله ثم كان عمر على
مثل ذلك ثم وله عمر بن
عبد العزيز فلم ينفق منه
فقبل له قد صنع ابو بكر
وعمر ما قد علمت قال اجل
والذي اخذت من هذا
المال فان يكن لي فيه حق
فقد اسـ توفيت وزدت
ولولا ذلك لفعلت (قال)
ابن القاسم قلت لما لك
فان قولهم عن عمر انه رد
ثمانين ألفا قال كذبوا انما
يقول هذا عداء الله هو
لم يجز لولده سلف ابي موسى
اباه حين اخذ منه نصفه
فكيف ياخذ من مال الله
ثمانين ألفا فلما توفي ابو
بكر استرجع على رضى الله
عنه وجاءه سرا عابا كما

اليزدوى من ائمتهم وهو مستوعب وجاء ابن الساعاتى من فقهاء الحنفية فجمع بين كتاب الاحكام وكتاب
اليزدوى في الطريقتين وسمى كتابه بالبدائع فجاء من احسن الاوضاع وايدعها واؤتمتة العلماء لهذا العهد
يتداولونه قراءة وبحثا وولع كثير من علماء الحنابلة بشرحه والحال على ذلك لهذا العهد هذه حقيقة هذا الفن
وتعيين موضوعاته وتعيينها لتأليف المشهورة لهذا العهد فيه والله ينفعنا بالعلم ويجعلنا من أهله بمنه
وكرمه انه على كل شئ قدير * (وأما الخلافات) * فاعلم ان هذه الفقه المستنبط من الأدلة الشرعية
كثرت في الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وانظارهم خلافا لا بد من وقوعه مما قدمناه واتسع
ذلك في الملة اتساعا عظيما وكان للفقهاء ان يقلدوا من شاؤوا منهم ثم لما انتهى ذلك الى الائمة الاربعه من
علماء الامصار وكانوا يمكن من حسن الظن بهم اقتصر الناس على تقليدهم ومنعوا من تقليد سواهم
لذهاب الاجتهاد لصعوبته وتشعب العلوم التي هي موادها باتصال الزمان وافتقار من يقوم على سوى هذه
المذاهب الاربعه فاقامت هذه المذاهب الاربعه اصول الملة وأجرى الخلاف بين المتمسكين بها
والآخذين باحكامها مجرى الخلاف في النصوص الشرعية والاصول الفقهية وجرت بينهم المناظرات
في تصحيح كل منهم مذهب امامه تجري على اصول صحيحة وطرائق قويمه يمتنع بها كل على مذهبه الذي
قلده وتمسك به وأجرى في مسائل الشريعة كلها وفي كل باب من أبواب الفقه فتسارعت يكون الخلاف بين
الشافعي ومالك وأبو حنيفة يوافق احدهما وتارة بين مالك وأبي حنيفة والشافعي يوافق احدهما وتارة بين
الشافعي وأبي حنيفة ومالك يوافق احدهما وكان في هذه المناظرات بيان ما أخذ هؤلاء الائمة ومثارات
اختلافهم ومواقف اجتهادهم كان هذا الصنف من العلم يسمى بالخلافات ولا بد لصاحبه من معرفة
القواعد التي يتوصل بها الى استنباط الاحكام كما يحتاج اليها المجتهد الا ان المجتهد يحتاج اليها للاستنباط
وصاحب الخلافات يحتاج اليها للحفاظ تلك المسائل المستنبطة من ان يهدمها المخالف بادلتها وهو لم يرى
علم جليل القائدة في معرفة ما أخذ الائمة وأدلتهم ومران المظالمين له على الاستدلال فيما يرى ومون
الائمة استدلال عليه وتأليف الحنفية والشافعية فيه اكثر من تأليف المالكية لان القياس عند
الحنفية اصل لكثير من فروع مذهبهم كما عرفت ففهم لذلك اهل النظر والبحث واما المالكية فالأثر
اكثر معتمد لهم وليسوا بامل نظر وايضا اكثرهم اهل المغرب وهم بادية عقل من الصنائع الا في الاقل
وللغزالي رحمه الله تعالى فيه كتاب المأخذ ولا ي زيد الدبوسى كتاب التعليق ولا ابن القصار من شيوخ
المالكية عيون الأدلة وقد جمع ابن الساعاتى في مختصره في اصول الفقه جميع ما ينبنى عليهما من
الفقه الخـ لافي مدرجاتي كل مسألة ما ينبنى عليهما من الخلافات * (وأما المجدل) * وهو معرفة آداب
المنظرة التي تجري بين اهل المذاهب الفقهية وغيرهم فانه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول
منسـ معا وكل واحد من المناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ومنه ما يكون
صوابا ومنه ما يكون خطأ فاحتاج الائمة الى ان يضعوا آدابا واحكاما يقف المناظران عند حدودها
في الرد والقبول وكيف يكون حال المستدل والمجيب وحدث يسوغ له ان يكون مستدلا وكيف
يكون مخصوصا منقطعا ومحـل اعتراضه او معارضته وأن يجب عليه السكوت وتخصمه الكلام
والاستدلال ولذلك قيل فيه انه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل

وقال رجل الله ابا بكر لقد كنت والله اول القوم اسلاما واكلهم ايماننا واشدهم يقينا واخوفهم لله تعالى واحوطهم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم واشبههم به هديا وبقاؤهم من اوفضالا وكرمهم عليهم وارفعهم عنده فيجزاك الله عن الاسلام خيرا صدقت رسول الله حين
كذبه الناس فساءك الله في كتابه صديقا فقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون وانسته حين تخلفوا ووقت معه حين

قعدوا وصحبته في الشدة حين تعرفوا كرم العجة ثانياً اثنين وصاحبه في القارور في هجرة المنزل عليه السكنة وخلقه في أمته أحسن
الخلاقة فتوى حين ضعف أصحابك وبرزت حين استكانوا وقت بالارحين فسلوا ومضت بقوة اذوقوا كنت أطولهم صمتا وأبلغهم
قولاً وأشجعهم قلباً وأشدهم يقيناً (٢٧٢) وأحسنهم عملاً كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً في بدئك قوياً في أمر دينك

بها إلى حفظ رأى وهو - دمه كان ذلك الرأى من الفقه أو غيره وهو طريقتان طريقة البردوى وهي
خاصة بالأدلة الشرعية من النص والاجماع والاستدلال وطريقة العميدى وهي عامة في كل دليل
يستدل به من أى علم كان واكثر استدلال وهو من المناجى المحسنة والمغالطات فيه في نفس الامر كثيرة
وإذا اعتدبنا النظر بالمنطقي كان في الغالب أشبهه بالقياس المغالطى والسوفسطائى الا ان صور الأدلة
والاقيسة فيه محضة مراعاة تحرى فيها طرق الاستدلال كما ينبغي وهذا العميدى هو أول من كتب فيها
ونسبت الطريقة اليه ووضع الكتاب المسمى بالارشاد مختصراً وتبعه من المتأخرين كالتسفي وغيره
جاؤا على اثره وسلكوا مسلكه وكثرت في الطريقة التاليف وهي لهذا العهد مهمزة لنقص العلم
والتعميم في الامصار الاسلامية وهي مع ذلك كمالية وليست ضرورية والله سبحانه وتعالى اعلم به التوفيق

١٠ * (علم الكلام) *

هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد اليمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المخرفين في الاعتقادات عن
مذاهب السلف واهل السنة وسر هذه العقائد اليمانية هو التوحيد فدلنا تقدم هنا الطريقة في برهان عقلي
يكشف لنا عن التوحيد في أقرب الطرق والمساخذ ثم نرجع الى تحقيق علمه وفيما ينظر ويشير الى
حدوثه في الملة وما دعا الى وضعه فنقول ان الحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من الذوات او من
الافعال البشرية او الحيوانية فلا بد لها من اسباب متقدمة عليها ينتج في مسانعة العادة وعنها يتم كونه
وكل واحد من هذه الاسباب حادث أيضاً فلا بد له من اسباب أخرى ولا تزال تلك الاسباب مرتبة حتى تتم
الى مسبب الاسباب وموجدها وخالقها سبحانه لا اله الا هو وتلك الاسباب في ارتقائها تتفصح وتتضاعف
طولاً وعرضاً ويحار العقل في ادراكها وتعددها فاذا ايجصرها الا الى العلم المحيط سيما الافعال البشرية
والحيوانية فان من جملة اسبابها في الشاهد القصور والارادات اذ لا يتم كون الفعل الا بارادته والقصد اليه
والقصور والارادات أمور نفسانية ناشئة في الغالب عن تصورات سابقة يتلو بعضها بعضها وتلك التصورات
هي اسباب قصد الفعل وقد تكون اسباب تلك التصورات تصورات أخرى وكل ما يقع في النفس من
التصورات مجهول سببه اذ لا يطع أحد على مبادئ الامور والنفسانية ولا على ترتيبها التام هي أشياء يعجز
الله في الفكر يتبع بعضها بعضها والانسان عاجز عن معرفة مبادئها وغاياتها وانما يجتهد في العلم في الغالب
بالاسباب التي هي طبيعة ظاهرة ويقع في مداركها على نظام وترتيب لان الطبيعة محصورة للنفس وتحت
طورها واما التصورات فطاقها اوسع من النفس لانها العقل الذي هو فوق طور النفس فلا تدرك الكثير
منها فضعف الا عن الاحاطة وتأمل من ذلك حكمة الشارع في نهيه عن النظر الى الاسباب والوقوف معها فانه
واذ يهيم فيه الفكر ولا يخلو منه بطائل ولا يظفر بحقيقة قل الله ثم ذرهم في حوضهم بلعجون وربما انقطع
في وقوفه عن الارتقاء الى ما فوقه فزلت قدمه وأصبح من الضالين المهالكين نعوذ بالله من الخمران
والخمران المبين ولا تخسبن ان هذا الوقوف أو الرجوع عنه في قدرتك واختيارك بل هو لون يحصل
لنفسه وصيغة تستخدم من الخوض في الاسباب على نسبة لانعلمها اذ لو علمناها لحرزنا منها فلنحترز من
ذلك بقطع النظر عنها جملة وأيضاً فوجه تأثير هذه الاسباب في الكثير من مسبباتها مجهول لانها انما يوقف
عليها بالعادة لا فتران الشاهد بالاستناد الى الظاهر وحقيقة التأثير وكيفية مجهولة وما أوتيت من العلم الا

متواضعاً في نفسك عظيماً
محبوباً الى اهل السموات
والارض فيجزاك الله عنا
وعن الاسلام خيراً (وقال)
عمر رحم الله أبابكر لقد
أتعب من بعده تعباً شديداً
(وروى) البيهقي عن عمر
رضي الله عنه انه قال اني
أنزلت نفسي من مال الله
تعالى بمنزلة ولى النبي ان
استغنيت استغففت وان
افتقرت أكلت بالمعروف
(وفي رواية أخرى) ان
احتجت أخذت منه فاذا
أبست رددته (وفي رواية
أخرى) أخبركم بما استحل
من مال الله تعالى وما قال
يحل لي استحل منه حلين
حله لثأره وحله للفظ
وما حج عليه واعمر وقوتي
وقوت عمالي كقوت رجل
من قریش لامن اغنيائهم
ولامن فقراهم ثم انابعد
ذلك رجل من المسلمين
يصيني ما اصابهم (وقال)
انس بن مالك غلا الطعام
على عهد عمر رضي الله عنه
فاكل خبز الشعمير وكان
قبل ذلك لا يأكله فاستنكره
بطنه فصوت فصر به بيده
وقال هو والله ماترى حتى
يوسع الله على المسلمين

(وقال) ابو عثمان التمدى رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت وعليه جبة صوف
فيها اثنا عشر رقعة احدها بادم أحمر (وقال) عطاء بن السائب استعمل عمر بن الخطاب السائب بن الاقرع على المدائن فدخل ابوانا
من ابوان كسرى فاذا صم يشير باصبعه الى الارض قد عقد امر بعين فقال والله ما يشير هذا الى الارض الا وشم شيء فاحقر وافاستخروا

منه سقا فنه جوهر فكتب الى عمر بن الخطاب اما بعد فاني دخلت ابوانا من ابوان كسرى فرايت كذا وكذا فاحتقرت فاخرجت سقفا
فيه جوهر فلم اجد احق به منك يا امير المؤمنين لم يكن من في المسلمين فادعه بينهم انما اصدنا شيا تحت الارض فلما قدم السقط على
عمر وعليه خاتم السائب فرأى عمر فيما يرى النائم كان نارا اججت وهو يراد يلقي فيها (٢٧٣) فكتب الى السائب ان اقدم على قال

فقدمت عليه وهو يطوف
في ابل الصدقة فطقت معه
الى نصف النهار ثم دعاهم
فاغتسل ودعا على بما فاغتسلت
ثم ذهب الى منزله فأتى بلحم
غليظ وخبز متحمس فقال
انظر من على السائب فاذا
سودان من الصوفية فاذا
لهم فجمع لياكل معهم
فاذا لحم غليظ لا يستطيع
ان اسيغه وقد كنت
تعودت ذرمتك اصهبان
اذا وضعته في في دخل
بطني ثم دعابا اسقط وقال
أتعرف خاتمك قلت نعم
فقال كتبت ترفق لي تزعم
اني احق به من اين اصبته
فاخبرته قال اذهب فاجعله
في بيت مال المسلمين حتى
اقدمه بينهم (وقال) قيادة
قدم عمر بن الخطاب رضى
الله عنه الشام فصنع له
طعام لم ير قبله مثله فقال
هذا النافق الفقراء المسلمين
الذين ماتوا وهم لا يشبعون
من خبز الشعير قال خالد بن
الوليد لهم الجنة فاغرو رقت
عينا عمر وقال لئن كان
حظنا في هذا الطعام
وذهبوا بالجنة لقد باينونا
بونا بعيدا (وقال) عبد الله
ابن عمر العمري ان عمر بن

قال لا فلذلك امرنا بقطع النظر عنها والغائها جهلة والتوجه الى مسبب الاسباب كلها وفعالها وموجدها
لترسخ صفة التوحيد في النفس على ما علمنا الشارع الذي هو اعرف بمصالح ديننا وطرق سعادتنا الاطلاع
على ما وراء الحس قال صلى الله عليه وسلم من مات يشهد ان لا اله الا الله دخل الجنة فان وقف عند تلك
الاسباب فعدا انقطع وحق عليه كراه الكفر وان سجد في سجود النظر والبحث عنها وعن اسبابها وتأثيراتها
واحد ذاب بعد واحد فاننا الضامن له ان لا يعود الا بالجمية فلذلك نهانا الشارع عن النظر في الاسباب وامرنا
بالتوحيد المطلق قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ولا تنقن بما يزعم لك الكفر
من انه مقتدر على الاحاطة بالكائنات واسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله وسفاهه رايه في ذلك
واعلم ان الوجود عند ذلك مدرك في بادئ رايه منحصر في مداركه لا يعدوها والامر في نفسه بخلاف ذلك
والحق من ورائه الا ترى الاصم كيف ينحصر الوجود عنده في المحسوسات الاربع والمعقولات ويسقط
من الوجود عنده صنف السموات وكذلك الاعشى ايضا يسقط عنده صنف المرئيات ولولا ما يردهم الى
ذلك تقليد الا باو المشيخة من اهل عصرهم والكافة لما اقروا به لكنهم يتبعون الكافة في اثبات هذه
الاصناف لا بما يقتضي فطرتهم وطبيعة ادراكهم ولو سئل الحيوان الاعجم ونطق لوجدناه منكر للمعقولات
وساقطة لديه بالكلية فاذا علمت هذا فاعلم هناك ضربان من الادراك غير مدركا تالان ادراكا كانت مخلوقة
محدثة وخلق الله اكبر من خلق الناس والمحصر مجبول والوجود اوسع نطاقا من ذلك والله من ورائهم
محبط فاتهم ادراكا ومدركاتك في المحصر واتبع ما امرك الشارع به من اعتقادك وعملك فهو احرص على
سعادتك واعلم بما يتبعك لانه من طور فوق ادراكك ومن نطاق اوسع من نطاق عقلك وليس ذلك
بقادح في العقل ومداركه بل العقل ميزان صحيح فاحكامه يقينية لا كذب فيها غير انك لا تطمع ان ترزن به
امور التوحيد والاشخرة وحقبة النبوة وحقائق الصفات الالهية وكل ما وراء طوره فان ذلك طمع في مجال
ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع ان يزن به الجبال وهذ لا يدرك على ان
الميزان في احكامه غير صادق لكن العقل قديق عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له ان يحبط بالله
وبصفاته فانه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه وتفتن في هذا الغاط من يقدم العقل على السمع في امثال
هذه القضايا وقصور فهمه واضمحلال رايه فقد تبين لك الحق من ذلك واذا تبين ذلك فاعلم الاسباب اذا
تجاوزت في الارتقاء نطاق ادراكنا ووجودنا خرجت عن ان تكون مدركة فيفضل العقل في بدياء الاوهام
ويحاررو ينقطع فاذا التوحيد هو العجز عن ادراك الاسباب وكميات تأثيرها وتقوى يص ذلك الى خالقها
المحيط بها اذ لفاعل غيره وكما تترقى به وترجع الى قدرته وعلما به انما هو من حيث صدور رعايته وهذا
هو معنى ما نقل عن بعض الصديقين العجز عن الادراك ادراك ثم ان المعتبر في هذا التوحيد ليس هو
الايمان فقط الذي هو تصديق حكيم فان ذلك من حديث النفس وانما الكمال فيه حصول صفة منه
تتكيف بها النفس كما ان المطلوب من الاعمال والعبادات ايضا حصول ملكة الطاعة والانقياد وتفرغ
القلب عن شواغل ماسوى المعبود حتى ينقلب المر يد السالك ربانيا والفرق بين الحال والعلم في العقائد
فرق ما بين القول والاصاف وشرحه ان كثير من الناس يعلم ان رحمة النبيج والمسكين قر به الى الله تعالى
مندوب اليها ويقول بذلك ويعترف به ويذكر ما اخذه من الشريعة وهو لو رأى يتيم او مسكينا من ابناء

(٣٥ - ابن خلدون) الخطاب رضى الله عنه حين قدم الشام قال لابي عبيدة اذهب بنا الى منزلك قال ماتر يدالي ان تقصر عينك
على قال فدخل منزله فلم ير شيئا فقال عمر ابن متاعك لا ارى الا ابدا وشنا وصحفة وانت امير عندك طعام فقام ابو عبيدة الى جونة فاخرج
منها كسرات فبكي عمر فقال ابو عبيدة قد قلت لك انك تقصر عينك على يا امير المؤمنين بكفيلك من الدنيا ما بلغك المتعيل فقال عمر غرنا

الذي يابعدك يا ابا عبد الله (وقال) النخعي بعث عمر بن الخطاب مصدقين فابطؤا عليه وبالناس حاجة شديدة فخاؤا بالصداقات فقام فيها
متر رابعاً بمائة تختاف في اولها و آخرها يقول هذه ل فلان وهذه ل فلان حتى انتصف النهار و جاع ودخل بيته حتى اذا امكن
أكله أكله ثم قال من أدخله (٢٧٤) بطنه ابعده الله (وقال) طاوس اجذب الناس على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

المستضعفين لقرعنه واستنكف ان يباشره فضلا عن التمسح عليه للرجة وما بعد ذلك من مقامات
العطف والحنو والصدقة فهذا التماس حصل له من رجة اليثيم مقام العلم ولم يحصل له مقام الحال والاتصاف
ومن الناس من يحصل له مع مقام العلم والاعتراف بان رجة المسكين قربته الى الله تعالى مقام آخر اعلى من
الاول وهو الاتصاف بالرجة وحصول ملكتها حتى رأى يتيماً او مسكيناً ياد باله و مسح عليه وهو المس
الثواب في الشفقة عليه لا يكاد يصبر عن ذلك ولو دفع عنه ثم يتصدق عليه بما حضره من ذات يده وكذا
علمك بالتوحيد مع اتصافك به والعلم الحاصل عن الاتصاف ضروري وهو اوثق مبنى من العلم الحاصل قبل
الاتصاف وليس الاتصاف بحاصل عن مجرد العلم حتى يقع العمل ويتكرر مراراً غير منحصرة بقرحة الملكة
ويحصل الاتصاف والتحقيق ويحجب العلم الثاني النافع في الآخرة فان العلم الاول الجرد عن الاتصاف
قليل الجدوى والنفع وهذا علم اكثر النظائر والمطلوب انما هو العلم الحالى الناشئ عن العادة وهو اعلم ان
الكمال عند الشارع في كل ما كلف به انما هو في هذا ما طلب اعتقاده فالكمال فيه في العلم الثاني
الحاصل عن الاتصاف ومطالب عمله من العبادات فالكمال فيها في حصول الاتصاف والتحقيق بها ثم ان
الاقبال على العبادات والمواظبة عليها والحصول لهذه الثمرة الشريفة قال صلى الله عليه وسلم لم في رأس
العبادات جعلت قرعة عيني في الصلاة فان الصلاة صارت له صفة وحالا يجد فيها منتهى لذته وقرعة عينه وان
هذا من صلاة الناس ومن لم يها فويل للمصليين الذين هم عن صلاتهم ساهون اللهم وفقنا واهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقد تبين لك من جميع ما قررناه
ان المطالب في التكليف كما حصل ملكة راسخة في النفس يحصل عنها علم اضطراري للنفس
هو التوحيد وهو العقيدة الايمانية وهو الذي تحصل به السعادة وان ذلك سواء في التكليف القلبية
والبدنية ويتفهم منه ان الايمان الذي هو اصل التكليف وينبوعها هو بهذه المثابة ذو مراتب
اولها التصديق القلبي الموافق للسان واعمالها حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي وما يتبعه
من العمل مستولية على القلب فيستتبع الجوارح وتتدرج في طاعتها جميع التصرفات حتى تنخرط
الافعال كلها في طاعة ذلك التصديق الايماني وهذا ارفع مراتب الايمان وهو الايمان الكامل
الذي لا يقارن المؤمن معه صغيرة ولا كبيرة ان حصول الملكة ورسوخها مانع من الانحراف عن منهاجها
طرفة عين قال صلى الله عليه وسلم لم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وفي حديث هرقل لما سأل
ابا قبيان بن حرب عن النبي صلى الله عليه وسلم واحواله فقال في أصحابه بل يرتد احد منهم بسخطه لديه قال
لا قال وكذلك الايمان حين تخاط بشاشته القلوب ومعناه ان ملكة الايمان اذا استقرت عسر على النفس
مخالفتها شأن الملكات اذا استقرت فانها تحصل بمثابة الجبله والقطرة وهذه هي المرتبة العالية من الايمان
وهي في المرتبة الثانية من العصمة لان العصمة واجبة للانبياء وجوباً سابقاً وهذه حاصله للمؤمنين حصولاً
تابعاً لعمالهم وتصديقهم وهذه الملكة ورسوخها يقع التفاوت في الايمان كالذي يتلى عليه لك من
اقاويل السلف وفي تراجم البخاري رضي الله عنه في باب الايمان كثير منه مثل ان الايمان قول وعمل
ويزيد وينقص وان الصلاة والصيام من الايمان وان تطوعه رمضان من الايمان والحياة من الايمان
والمراد بهذا كله الايمان الكامل الذي اشرنا اليه والى ملكته وهو فعلى وما التصديق الذي هو اول

فأكل سمنا ولا سمنا حتى
اكل الناس (وقال) سعيد
ابن جبير ان علياً رضي الله
عنه قدم الكوفة وهو
خليفة وعليه ازاران
قطر يان قد رقع ازاره
بخرقة ليست بقطر به من
وراءه فجاءه اعرابي فنظر
الى تلك الخرقه فقال
يا امير المؤمنين كل من هذا
الطعام والانس واركب
فانك ميت او مقتول قال
ان هذا خبري في صلاتي
واصل قلبي واشبهه بشبه
الصالحين قبلي واحذر ان
يقتدى بي من اتى من
بعدي (وقال) الحسن ان
عمر بن الخطاب بيناهو
يعس في المدينة بالليل
أتى على امرأة من الانصار
تحمّل قرية فسألها
فذكرت ان لها عيال وان
ليس لها خادم وانها
تخرج في الليل فتسقيهم
الماء وتكره ان يخرج
بالنهار فيملعها
القرية حتى يبلغ منزلها
وقال اغدي على عمر غدوة
يخدمك خادماً قالت لا
اصل اليه قال انك ستجديه
ان شاء الله تعالى فغدت
عليه فاذا هي به فعرفت انه
الذي حمل قرية فاذهبت

تولى فارس في اثرها و امر لها بخادم وثيقة و ما صح عمر رضي الله عنه قال كم بلغت نفقتنا يا يرفا قال ثمانية
عشرون ايام امير المؤمنين قال ويحك اجتمعنا بيت مال المسلمين (وقال) شهر بن حوشب لما قدم عمر الشام طاف بكورها حتى نزل حص
فقال اكتبوا لي فقراءهم فرفعوا اليه الرقعة واذا فيها سعيدين عامر فقال من سعيدين عامر قالوا اميرنا فحجب عمر وقال كيف يكون اميركم

فقيرا فقالوا انه لا يسلك شيا فبكي عمرو بعث اليه بالف دينار يسع عينيهما في حاجته فعجل يسترجع فقالت له امرأته مالك اصابتك امير المؤمنين بشي قال اعظام من ذلك اتيتي الدنيا دخات على الدنيا وانى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم ابار بعين عام فوالله ما يسرتني انى حبست عن الرعب

(٢٧٥)

الشمس قالت فاصنع فيه ماشئت قال هل عندك معونة قالت نعم فاتت به بخمارها فصر الدنانير فيها صر راثم جعلها في مخللة و بات يصلى ويبكي حتى اصبح فاعرض جيشامن جيوش المسلمين فامضاها كلها فقالت مرآته رحمتك الله لو حبست منها شيئا نسيت عين به فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لو اطاعت امرأة من نساء اهل الجنة الى الارض الملائات الارض من ربح المسك وانى والله ما اختارك عطين فسكتت (وروى) ان عمر رضى الله عنه استعمل على حصص رجلا يقال له عمير بن سعد فلما مضت السنة كتب اليه ان يقدم عليه فلم يشعر به عمير الا ان قدم ماشيا حافيا معه عكازته وادواته وخرودته وقصعته على ظهره فلما نظر اليه عمر قال يا عمير اخنثنا ام البلاد بالاسوء فقال يا امير المؤمنين اما نهالك الله ان تجهر بالسوء وعن سوء الظن وماترى من سوء الحال وقد جئتك بالدينيا اجرها بقرابها فقال

مراتبه فلا تفاوت فيه فن اعتبر اوائل الاسماء ووجهه على التصديق منع من التفاوت كما قال ائمة المنكلمين ومن اعتبروا اخر الاسماء ووجهه على هذه الملائكة التى هى الايمان الكامل ظهر له التفاوت وليس ذلك بقادح فى اتحاد حقيقةه الاولى التى هى التصديق اذ التصديق موجود فى جميع رتبته لانه اقل ما يطاق عليه اسم الايمان وهو المخلص من عهدة الكفر والفصل بين الكافر والمسلم لم فلا يجزى اقل منه وهو فى نفسه حقيقة واحدة لا تفاوت وانما التفاوت فى المحال المحاصلة عن الاعمال كما قلناه فافهم * واعلم ان الشارع وصف لنا هذا الايمان الذى فى المرتبة الاولى الذى هو تصديق وعين امور مخصوصة كقلنا التصديق بها يقبلوا وابتداءها فى انفسنا مع الاقرار بالسنة وانما هى العقائد التى تقررت فى الدين قال صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الاخر وتؤمن بالقدر خيره وشره وهذه هى العقائد الايمانية المقررة فى علم الكلام ونشرها بالمجملتين للتحقق حقيقة هذا الفن وكيفية حدوده فنقول اعلم ان الشارع لما امرنا بالايمان بهذا الخالق الذى رد الافعال كلها اليه وافرد به كما قدمناه وعرفنا ان فى هذا الايمان نجاة عند الموت اذا حضرنا لم يعرفنا بكنهه حقيقة هذا الخالق المعبود اذ ذلك متعذر على ادراكنا ومن فوق طورنا فكفنا ولا اعتقاد تنزيهه فى ذاته عن مشابهة المخلوقين والامساخ انه خالق لهم لعدم الفارق على هذا النقص يدبر ثم تنزيهه عن صفات النقص والاشابه المخلوقين ثم توحيد به بالاتحاد والالم يتم الخالق للتمانع ثم اعتقاده انه عالم قادر فبذلك تتم الافعال شاهدة قضيتها لسكمال الاتحاد والخلق ومريد والالم يخصص شئ من المخلوقات ومقدر لكل كائن والافلا رادة حادثة وانه بعيد نابعد الموت تكمى لا لعناية به بالايجاد ولو كان لامرفان كان عبثا فهو للبقاء السرمدى بعد الموت ثم اعتقاد بعثة الرسل للنجاة من شقاء هذا المعاد لا اختلاف احواله بالشقاء والسعادة وعدم معرفتنا بذلك وتتمام لطقه بنافى الايتاء بذلك وبيان الطريقين وان الجنة للنعمين و جهنم للعذاب هذه امهات العقائد الايمانية معللة بادلتها العقلية وادلتها من الكتاب والسنة كثيرة وعن تلك الادلة اخذها السلف وارشد اليها العلماء وحققها الائمة الا انه عرض بعد ذلك خلاف فى تقاصيل هذه العقائد اكثر مما ارها من الاسمى المتشابهة فدعا ذلك الى الحصام والنناظر والاسئلة تدل بالعقل زيادة الى النقل فحدث بذلك علم الكلام ولتبيين لك تفصيل هذا الجمل وذلك ان القرآن ورد فيه وصف المعبود بالتزويه المطلق الظاهر للدلالة من غير تأويل فى اى كثيرة وهى سلوب كلها ووصيحتها فى باها فوجب الايمان بها ووقع فى كلام الشارع صلوات الله عليه وكلام الصحابة والتابعين تفسيرها على ظاهرها ثم وردت فى القرآن اى اخرى قليلة توهم التشبيه مرة فى الذات واخرى فى الصلوات فاما السلف فعلموا اذلة التنزيه لكثيرها ووضوح دلالتها وعلموا استحالة التشبيه وقضوا بان الايات من كلام الله فامنوا بها ولم يتعرضوا للمعناها ببحث ولا تأويل وهو ذم معنى قول الكثير منهم اقرؤها كما جاءت اى آمنوا بانها من عند الله ولا تعرضوا لتأويلها ولا تفسيرها لحوالها وان تكون ابتلاء فيجب الودف والاذعان له وشذ لعصرهم مبتدعة اتبعوا ما تشابه من الايات وتوغلوا فى التشبيه ففترقوا شبهوا فى الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه عملا بظواهرها وردت بذلك فوقعوا فى التجسيم الصريح ومخالفة اى التنزيه المطلق التى هى اكثر موارد ووضح دلالة لان معقولة الجسم تقتضى النقص والافتقار وتغليب آيات السلوب فى التنزيه المطلق التى هى اكثر موارد ووضح دلالة اولى من

ومامعك من الدنيا قال عكازة اتو كاطها وادفع بها عدوان لقيته وخرودى اجل فيه طعمى وادواتى هذه اجل فيها ماء لشرى وصلاتى وقصعته هذه اتوضا فيها واغسل فيها راسى واكل فيها طعمى فوالله يا امير المؤمنين ما الدنيا بعد الاتبعها سامعى قال فقام عمر من مجلسه الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر فبكى ثم قال اللهم الحقنى بصاحبى غير مقتضخ ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه ثم قال

ما صنعت في عملك يا عمير قال أخذت الرقة من أهل الرقة والابل من أهل الابل وأخذت الجزية من أهل الذمة عن يدهم صاغرون ثم
 قسمتها بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل فوالله يا أمير المؤمنين لو بقي منها شيء عندى أتيتك به فقال عمر عدالى عملك فقال عمير أشدك
 الله ان لا تردنى الى عملى فانى لم أسلم (٢٧٦) منه حتى قلت لذى اخرك الله ولقد خشيت ان يخفى على محمد صلى الله عليه وسلم

ولقد سمعته يقول أنا حبيبي
 المظالم فما حاجته
 حبيته ولكن ائذنى
 الى أهلى فاذن له فأتى أهله
 فبعث عمر رجلا يقال
 له خبيب بما في دينار
 فقال أئت عميرا فانزل عليه
 ثلاثا فان يك خائنا لم يخف
 عليك في عيشه وحال أهل
 بيته وان لم يك خائنا لم
 يخف عليك فادفع اليه
 المائة فاناه خبيب فنزل به
 ثلاثا فلم ير له عيشا الا الشعر
 والزيت فلما مضت ثلاث
 قال يا خبيب ان رأيت ان
 تحول الى جبرائنا فلفل
 ان يكونوا أوسع عيشا منا
 أما نحن فوالله لو كان عندنا
 غير هذا لثربناك به (قال)
 فدفع اليه المائة وقال
 بعث بها إليك أمير المؤمنين
 فدعا بقر وخلق لامرأته
 فصرها الخسة والسنة
 والسبعة فقصها فقدم
 خبيب على عمر فقال يا أمير
 المؤمنين جئتك من عند
 أزهد الناس وما عندهم من
 الدنيا لا قليل ولا كثير
 فبعث اليه عمر وقال
 ما صنعت في المائة يا عمير
 قال لا تساني عنها قال لتخبرني
 (قال) قسمتها بينى وبين

التعلق بطواهر هذه التي لنا عن غيبة وجمع بين الدليلين بناو يلهم ثم يعرفون من شناعة ذلك بقولهم جسم
 لا كالأجسام وليس ذلك بدافع عنهم لانه قول متناقض وجمع بين نفي واثبات ان كان بالمعقولة واحدة من
 الجسم وان خالقوا بينهم وانقوا المعقولة المتعارفة فقد وافقونا في التنزيه ولم يبق الاجماع لفظ الجسم اسما
 من أسمائه ويتوقف مثله على الاذن وقرىق منهم ذهبوا الى التشبيه في الصفات كاثبات الجهة والاستواء
 والنزول والصوت والحرف وأمثال ذلك وآل قوله م الى التجسيم فنزعوا مثل الاولين الى قوله م صوت
 لا كالاصوات جهة لا كالجهاات نزول لا كالنزول يعنون من الاجسام واندفع ذلك بما اندفع به الاول ولم
 يبق في هـ هذه الظواهر الاعتقادات السلف ومـ ذاهبهم م والايان بها كما هي لـ لا يكر النفي على معانيها
 بنقيها مع انها صحيحة ثابتة م من القرآن ولهـ ذات نظر ماتراه في عقيدة الرسالة لابن ابي زيد وكاب المختصر
 له وفي كتاب المحافظين عبد البر وغيرهم فانهم م محمومون على هـ هذا المعنى ولا تغمض عينك عن القران
 الدالة على ذلك في غضون كلامهم م ثم لما كثرت العـ لوم والصـ نائع وولع الناس بالتدوين والبحث في
 سائر الانحاء وألف المتكلمون في التنزيه حـ حدث بدعة المعتزلة في تعميم هذا التنزيه في آى السـ لوب
 فقصوا بنفى صفات المعاني من العلم والقدرة والارادة والحياة زائدة على أحكامها مما يلزم على ذلك من تعدد
 القديم بزعمهم وهو مردود بان الصفات ليست عين الذات ولا غيرها وقصوا بنفى السمع والبصر لكونهما
 من عوارض الاجسام وهو مردود لعدم اشتراط البنية في مدلول هـ هذا اللفظ وانما هو ادراك المسموع أو
 المدصر وقصوا بنفى الكلام اشبه ما في السمع والبصر ولم يعقلوا صفة الكلام التي تقوم بالنفس فقصوا بان
 القرآن مخلوق بدعة صرح السلف بخلافها وعظم ضرر هذه البدعة ولقنها بعض الخلق اعن أئمتهم فعمل
 الناس عليها وخالفهم أئمة السلف فاستحل لخالفهم يسار كثير منهم ودمواؤهم وكان ذلك سببا لانتهاض
 أهل السنة بالدلة العقلية على هـ هذه العقائد فدعا في صدور هـ هذه البـ دع وقام بذلك الشيخ أبو الحسن
 الأشعري امام المنكلمين فتوسط بين الطرق ونفى التشبيه وأثبت الصفات المعنوية وقصر التنزيه على
 ما قصره عليه السلف وشهدت له الادلة المختصة لعمومه فثبت الصفات الاربع المعنوية والسمع
 والبصر والكلام القائم بالنفس بطريق النقل والعقل ورد على الميتة دعة في ذلك كاه وتكلم معهم فيما
 مهدوه لهذه البدع من القول بالصلاح والاصح والتحسين والتقيح وكل العقائد في البعثة وأحوال الجنة
 والنار والثواب والعقاب وألحق بذلك الكلام في الامامة لما ظهر حجة ثم من بدعة الامامة من قولهم انها
 من عقائد الايمان وانه يجب على النبي تعيينها والخروج عن الهدى في ذلك لمن هي له وكذلك على الامة
 وقصارى أمر الامامة انها قضية مصححية اجماعية ولا تلحق بالعقائد فلذلك الحقوه باسمائل هـ هذا الفن
 وسما مجموعه علم الكلام اما لما فيه من المناظرة على البـ دع وهى كلام صرف وليست براجعة الى عمل
 واما لان سبب وضـ دع والخوض فيه هو تنازعهم في اثبات الكلام النفسى وكثر اتباع الشيخ أبى الحسن
 الأشعري واقتنى طر يقته من بعده تلميذه كابن مجاهد وغيره وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني فتصدر
 للامة في طر يقتهم وهذبوا ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الادلة والانظار وذلك مثل اثبات
 الجوهر الفرد والخلاء وان العرض لا يقوم بالعرض وانه لا يبق زمانين وأمثال ذلك مما تتوقف عليه
 ادلتهم وجعل هذه القواعد تبعا لعقائد الايمانية في وجوب اعتقادها والتوقف تلك الادلة عليها وان بطلان

اخواني المهاجرين والانصار قال فامر له بوسقى طعام ونوبن قال يا أمير المؤمنين أما لثوبان فأقبل
 وأما الوسقان فلا حاجة لي بهما عند أهل صاع من برهم وكافهم حتى ارجع اليهم (وروى) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صرار بعانة
 دينار وقال للعلم اذهب بها الى عبيدة بن الجراح ثم تلك ساعة في البيت حتى ترى ما يصنع فذهب بها للعلم اليه وقال يقول لك أمير

الدليل

المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك قال وصله الله ورجه (ثم قال) تعالى يا جارية اذهبي بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى انقذها وارجع الغلام الى عمر فاخبره (ووجهه) قد اعدم مثلها المعاذين جبل فقال له اذهب بهذه الى معاذ بن جبل وتلكا في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع فيها فذهب بها اليه وقال ان امير المؤمنين يقول لك اجعل هذه (٢٧٧) في بعض حاجتك فقال رحمه الله

واوصله (ثم قال) يا جارية اذهبي الى فلان بكذا والى فلان بكذا فقالت امرأة معاذ ونحن والله مساكين فاعطنا ولم يبق في المحرقة الا ديناران فرمى بهما اليها فرجع الغلام فاخبر بذلك عمر فقال عمر انهم اخوة بعضهم من بعض

(الباب الموفى تحسين في سيرة السلطان في تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيرة العمال)

(اعلم) ارشدك الله تعالى ان اول من اتخذ الدواوين واجرى الاعطية على ما روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان يفضل اهل السابقة ثم الذين يلونهم حتى اجري على العامة شيئا واحدا ثمانمائة واربعمائة وفرض للعمال مائة درهم في كل سنة (وكان) ابو بكر رضي الله عنه يساوي بين الناس في العطاء ولا يفضل اهل السابقة ويقول انما عملوا لله فاجورهم على الله وانما هذا المال عرض حاضر يا كاه البر والفاجر وليس ثمنا لعمالهم (وكان) عمر يقول لا اجعل من

الدليل يؤذن بطلان المدلول وجملة هذه الطريقة وجاءت من احسن الفنون النظرية والعلوم الدينية الا ان صور الادلة تعتبر بها الاقيسة ولم تكن حينئذ ظاهرة في الملة ولو ظهر منها بعض الشيء فلم يأخذ به المتكلمون لملاستهم الفلسفة المبينة للعقائد الشرعية بالجملة فكانت مهجورة عنهم لذلك ثم جاء بعد القاضي ابى بكر الباقلاني امام الحرمين ابو المعالي فامل في الطريقة كتاب الشامل واوسع القول فيه ثم خصه في كتاب الارشاد واتخذ الناس اماما لعقائدهم ثم انتشرت من بعد ذلك علوم المنطق في الملة وقرأه الناس وقرؤا بينه وبين العلوم الفلسفية بانه قانون ومعياري للدلالة فقط يسير به الادلة منها كما يسير من سواها ثم نظر وفي تلك القواعد والمقدمات في فن الكلام للاقدمين في الفقه الكبار منها بالبراهين التي ادلت الى ذلك ورعيان كثير منها مقتبس من كلام الفلاسفة في الطبيعيات والاهليات فلا سير وما المعيار المنطقي ردهم الى ذلك فيها ولم يعتدوا بطلان المدلول من بطلان دليله كما صار اليه القاضي فصارت هذه الطريقة من مصطلحهم مبينة للطريقة الاولى وتسمى طريقة المتأخرين وربما ادخلوا فيها الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه من العقائد الايمانية وجعلوا لهم من خصوم العقائد لتناسب الكثير من مذاهب المبتدعة ومذاهبهم - واول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنحى الغزالي رحمه الله وتبعه الامام ابن الخطيب وجماعة تفوقوا اثرهم واعتمدوا تقليدهم ثم توغل المتأخرون من بعدهم في مخالطة كتب الفلاسفة والتبس عليهم شأن الموضوع في العلمين فحسبوه فيما واحد من اشتباه المسائل فيما بينهم واعلم ان المتكلمين لما كانوا يستدلون في اكثر احوالهم بالكائنات واحوالها على وجود الباري وصفاته وهو نوع استدلالهم غالبا والجسم الطبيعي ينظر فيه الفلاسفة في الطبيعيات وهو بعض من هذه الكائنات الا ان نظره فيها يخالف لنظر المتكلم وهو ينظر في الجسم من حيث يتحرك ويسكن والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل وكذا نظر الفلاسفة وفي الاهليات انما هو ينظر في الوجود المطلق وما يقضيه له ذاته ونظر المتكلم في الوجود من حيث انه يدل على الوجود والمجمل في موضوع علم الكلام عند اهلها انما هو العقائد الايمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن ان يستدل عليها بالادلة العقلية فترقع البدع وتزول الشكوك والشبه عن تلك العقائد واذ اتأملت حال الفن في حدوثه وكيف تدرج كلام الناس فيه صدر اربعة صدر وكلهم يفرض العقائد صحيحة ويستنهض الحجج والادلة علمت حينئذ ما قرره له في موضوع الفن وانه لا يعدوه ولقد اختلفت الطرق يقنان عنده هؤلاء المتأخرين والتبست مسائل الكلام بمسائل الفلسفة بحيث لا يتميز احد الفئتين من الاخر ولا يحصل عليه طالبيه من كتبهم كما فعل له البيضاوي في الطوالع ومن جاء بعده من علماء العجم في جميع تاليفاتهم الا ان هذه الطريقة قديمتها بعض طلبة العلم للاطلاع على المذاهب والاغراق في معرفة الحجاج لو فورد ذلك فيها واما محاذاة طريقة السلف بعقائد علم الكلام فانما هو للطريقة القديمة للمتكلمين واصلها كتاب الارشاد وما حاذوه ومن اراد ادخال الرد على الفلاسفة في عقائدهم فعليه بكتب الغزالي والامام ابن الخطيب فانها وان وقع فيها مخالفة للاصطلاح القديم فليس فيها من الاختلاط في المسائل والتبس في الموضوع ما في طريقة هؤلاء المتأخرين من بعدهم وعلى الجملة فينبغي ان يعلم ان هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم اذ المجددة والمبتدعة قد انقرضوا والائة من اهل السنة كفوناشاتهم فيما كتبوا ودونوا والادلة العقلية انما احتاجوا

قابل رسول الله كن قائل معه ولم يقدر عمر الارزاق الا في ولاية عمر الفاجر على عمار ستمائة درهم مع عطائه لولائه وكتابه ومؤذنيه ومن كان يلي معه في كل شهر لما بعثه وبعث معه عثمان بن حنيف وابن مسعود الى العراق واجرى عليه في كل يوم نصف شاة ورأسها ووجد لها واكارها ونصف جريب كل يوم واجرى على عثمان بن حنيف ربع شاة وخمسة دراهم كل يوم مع عطائه (وكان) عطاء خمسة آلاف

درهم وأجرى على عبد الله بن مسعود مائة درهم في كل شهر وربع شاة في كل يوم وأجرى على شريح القاضي مائة درهم في كل شهر وعشرة
أجربة (وإنما) فضل عمارة عليهم لأنه كان على الصلاة (قال) مالك وكان عمر لا يفرض لصغير رضيع فإذا فطم فرض له فممن الليل
وصي بيكي بن الرضاع وأمه لا ترضعه (٢٧٨) فقال لها عمر أرضعيه قالت إذا لا يفرض له عمر قال بلى هو يفرض له ثم فرض عمر بعد

ذلك لمولود مائة درهم في كل سنة (قال ابن جبلة) وفرض عمر للعبان لكل عبل من ذكروا ثقي جريمين من بر في كل شهر وقسطين من زيت وقسطا من خل ومائة درهم في كل سنة (قال) والمجرب فقبر بالقرطبي والقسط قدرين ربع الزيت بالقرطبي (قال) الحسن وكان عطاء سلمة خمسة آلاف وكان على زهاء ثمانين ألف من الناس (وكان) يخطب الناس في عبادة يلبس نصفاً ويقترش نصفاً فاذا خرج عطاؤه أمضاه وكان يسف الخوص ويأكل من سقيف يده (وقال) الحسن قدم على عمر بن الخطاب وفد من البصرة مع أبي موسى الأشعري قال فكان يدخل عليه وله كل يوم خبز ثلاث (فرما) وافقناهما أدمومة يمين واحيانا بزيت واحيانا باللبن وربما وافقنا القديد اليابس قد دق ثم أغلى عليه بماء وربما وافقنا اللحم الغريص وهو قليل فقال لهم يوماً اني أرى والله تقذيركم وكراهيتمكم اطعاني

١١ * (علم التصوف) *

هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة واصله ان طريفة هؤلاء القوم لم تنزل عند سلف الامة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريفة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمه ورمن لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلو للعبادة وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبولون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة وقال القشيري رحمه الله ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس والظاهر انه لقب ومن قال اشتقاقه من الصفاء او من الصفة فبعيد من جهة القياس للغوى قال وكذلك من الصوف لانهم لم يختصوا بلبسه * قلت والاطهر ان قيل بالاشتقاق انه من الصوف وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف فلما اختص هؤلاء بمذهب الزهد والانفراد عن الخلق والاقبال على العبادة اختصوا بما أخذهم ذلك ان الانسان بما هو انسان انما يتميز عن سائر الحيوان بالادراك وادراكه نوعان ادراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم وادراك للاحوال القائمة من الفرح والحزن والقبض والبسط والرضا والغضب والصبر والشكر وأمثال ذلك فالروح العاقل والمنصرف في البدن تتشأن ادراكات وارادات وأحوال وهي التي يميز بها الانسان وبعضها ينشأ من بعض كما ينشأ العلم من الادلة والفرح والحزن عن ادراك المثل أو المتلذبه والنشاط عن الحما والكسل عن الاعياء وكذلك المريد في مجاهدته وعبادته لا بدوان ينشأ له عن كل مجاهدة حال نتيجة تلك المجاهدة وتلك الحالة اما ان تكون نوع عبادة قهر سخو وتصبح مقام المريد واما ان لا تكون عبادة وانما تكون صفة حاصله للنعس من حزن وسرور ونشاط او كسل او غير ذلك من المقامات ولا يزال المريد يترقى من مقام الى مقام الى أن ينتهي الى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للعبادة قال صلى الله عليه وسلم من مات يشهد ان لا اله الا الله دخل الجنة فالمريد لا بد له من الترقى في هذه الاطوار وأصلها كلها الطاعة والاخلاص وبتقدمها الايمان وبصاحبها ونشأ عنها الاحوال والصفات نتائج وثمرة ثم تنشأ عنها اخرى واخرى الى مقام التوحيد والعرفان واذا وقع تقصير في النتيجة او خلل فنعلم انه انما اتى من قبل التقصير في الذي قبله وكذلك في الخواطر النفسانية والواردات القلبية فلهذا يحتاج المريد الى محاسبة نفسه في سائر اعماله وينظر في حقائقها الان حصول النتائج عن الاعمال ضروري وقصورها من الخلل فيها كذلك والمريد يجب ذلك بذوقه ومحاسب نفسه على اسبابه ولا يشاركهم في ذلك الا القليل من الناس لان العقلة عن هذا كانت شاملة وغاية اهل العبادات اذا لم ينتهوا الى هذا النوع انهم يتأتون بالطاعات مخلفة

فاني لو شئت لكنت اطيبكم طعاماً وأرقكم عيشاً ما والله ما أجهل كراكر واسنمة وأعرف صلاة وصنابا وصلاتي (قال) والصلاة الشواء والصناب الخردل واللائق الخبز الرقاق ولكني سمعت الله تعالى غير أقواما بامر فعلوه فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاكلتمنا ابوموسى فقال لو كلمت امير المؤمنين لقرض لكم من بيت المال طعاما فاكلتموه

فكلمناه فقال يا عمير انك تعلم انك لا تفهم ما ارضاه لنفسى فقلنا يا امير المؤمنين ان المدينة ارض العيش بها شديد ولا ترى طعامك
يغنيننا ولا يوكلك طعامك واننا بارض ذات ريف وان اميرنا يغنيننا وان طعامه يؤكل قال فنظر ساعة ثم رفع رأسه فقال قد فرضت لكم من
بيت المال شاتين وجر يمين فاذا كان بالعادة فضع احدى الشاتين على احدى البحر يمين (٢٧٩) وكل أنت واصحابك ثم ادع بشراب

ثم اسق الذي عن يمينك
ثم اسق الذي عن شمالك
ثم قم لحاجتك واذا كان
العشاء فضع الشاة الغابرة
على البحر يمين الا
فكل أنت واصحابك الا
وأوسعوا الناس في بيوتهم
وأطعموا عيالهم والله
ما أظن رستاقا يؤخذ منه
كل يوم شاتان وجر يمين
الا يسرعان في خرابه
(وكان عمر) قد أطمع
جر يمين بالحل والزيت
لثلاثين رجلا فكفاهم
فاجراه على كل رجل في كل
شهر ممن كان في الديوان
مـ كان ما كانت فارس
تجربه على خيولهم
وأساورهم (وقال) سعيد
ابن المسيب وأبو سلمة كان
عمر بن الخطاب رضى الله
عنه أبا العيال يسلم على
أبوابهن ويقول ألكن
حاجة وأيتسكن تريد أن
تشتري شيئا فیرسلن معه
بجوابهن ومن ليس
عندها شيء اشترى لها
من عنده واذا قدم الرسول
من بعض النعمور يتبعهن
بنفسه في منازلهن بكتب
زواجهن ويقول أزواجكن
في سبيل الله وأنتن في بلاد

من نظر الفقه في الاجزاء والامثال وهو لا يبحثون عن نتائجها بالاذواق والمواد ليطلعوا على انها خاصة
من التقصير أولا فظهر ان اصل طريقتهم كلها محاسبة النفس على الافعال والتروك والكلام في هذه
الاذواق والمواد التي تحصل عن المجاهدات ثم تستقر لكل يد مقاما ويرتقى منها الى غير هاتهما ثم مع ذلك
آداب مخصوصة بهم واصطلاحات في الفاظ تدور بينهم اذا وضاع اللغوية لتماهي للماضي المتعارفة فاذا
مرض من انعاني ما هو غير متعارف اصطلاحا عن التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه فلهذا اختص هؤلاء
بهذا النوع من العلم الذي ليس لواحد غيرهم من اهل الشريعة الكلام فيه وصار علم الشريعة على صنفين
صنف مخصوص بالفقه او اهل الفتاوى والاحكام العامة في العبادات والمعاملات وصنف
مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الاذواق والمواد المعارضة
في طريقها وكيفية الترتي منها من ذوق الى ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك فلما كتبت
العلوم ودونت وأنف الفقهاء في الفقه واصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من اهل هذه
الطريقة في طريقهم ففهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الاخذ والتروك كما فعله
القشيري في كتاب الرسالة والسهروردي في كتاب عوارف المعارف وامثالهم وجمع الغزالي رحمه الله بين
الامر في كتاب الاحياء فدون فيها احكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم
في عباراتهم وصار علم التصوف في الملة علما مدونا بعد ان كانت الطريقة عبادة فقط وكانت احكامها انما
تتلقى من صدور الرجال كما وقع في سائر العلوم التي دونت بالكتب من التفسير والحديث والفقه
والاصول وغير ذلك ثم ان هذه المجاهدة والخلق والذكريات بها غالبا ككشف حجاب المحس والاطلاع
على عوالم من امر الله ليس لصاحب المحس ادراك شي منها والروح من تلك العوالم وسبب هذا الكشف
ان الروح اذا رجعت عن المحس الظاهر الى الباطن ضعفت احوال المحس وقويت احوال الروح وغلب
سلطانها وتجدد نشوه واعان على ذلك الذكر فانه كانه غذاء لتنمية الروح ولا يزال في غمغمة وتزيد الى ان يصير
شهودا بعد ان كان علميا يكشف حجاب المحس ويتم وجود النفس الذي لها من ذاتها وهو عين الادراك
فيتم عرض حينئذ للواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح الالهي وتقرب ذاته في تحقق حقيقتها من الافق
الاعلى افاق الملائكة وهذا الكشف كثير اما يعرض لاهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا
يدرك سواهم وكذلك يدركون كثير من الواطن قبل وقوعها ويتصرفون بهمهم وقوى نفوسهم في
الموجودات السفلية وتسير طوع ارادتهم فالعظمة منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا يتصرفون ولا يتخبرون
عن حقيقة شيء لم يؤمر وبالتكلم فيه بل يعدون ما يقع لهم من ذلك مخنوقا ويتعذرون منه اذا هاجهم وقد
كان الصحابة رضى الله عنهم على مثل هذه المجاهدة وكان حظهم من هذه الكرامات اوفر الحظوظ لكنهم
لم يقع لهم بها عناية وفي فضائل ابي بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم كثير منها وتبعهم في ذلك اهل
الطريقة ممن اشتملت رسالة القشيري على ذكرهم ومن تبع طريقتهم من بعدهم * ثم ان قوما من
المتأخرين انصرفت عنايتهم الى كشف الحجاب والمدارك التي وراءه واختلفت طرق الرياضة عنهم في ذلك
باختلاف تعليمهم في امانة القوى المحسية وتغذية الروح العاقل بالذكريات حتى يحصل للنفس ادراكها الذي
لها من ذاتها بتمام نشوتها وتغذيتها فاذا حصل ذلك زعموا ان الوجود قد انحصر في مداركها حينئذ وانهم

رسول الله ان كان عندك من يقرأ او افاقر بن من الابواب حتى اقر الكن ثم يقول الرسول يخرج يوم كذا وكذا فانا كئيب حتى تبعث
بكتبكن ثم يدور عليهن بالقراطيس والدوايق يقول هذه دواقرطاس فادنين من الابواب حتى اكتب لكن ويمر الى المغيبات فيأخذ
كنهن فيبعث بها الى أزواجهن (وقال) الربيع بن زياد الحارثي كنت عاملا لابن موسى الأشعري على البحر من فكتب اليه عمر بن

المخاطب يأمره بالقدوم عليه ووعماله وأن يستخلفوا جعنا فلما قدمت المدينة أتيت يرفأ فقلت يا يرفأ ما تريد وابن سبيل أي الهيات أحب
 إلى أمير المؤمنين أن يرى فيها عمله فأومأ إلى الخشونة فالتفت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولبست عمامتي على رأسي فدخلنا
 على عمر فصفقنا بين يديه فصعد فينا (٢٨٠) ووصوب فلم تأخذ عينه غيري فدعاني فقال من أنت قلت الربيع بن زياد الحارثي (قال)

وما تتولى من أعمالنا قلت
 البحر بن قال وكم ترزق
 قلت الفاقال كثيرها تصنع
 بها قلت اتقوت منها شيئا
 وأعود على أقارب لي فما
 فضل صنم فعملي فقراء
 المسلمين قال فلا بأس أرجع
 إلى موضعتك فارجعت
 إلى موضعي من الصف
 فصعد فينا ووصوب فلم تقع
 عينه الأعلى فدعاني فقال
 كم سنك قلت خمس
 وأربعون سنة قال الآن
 حين استكملت (ثم دعا)
 بالضعام وأصحابي حديثو
 عهد بلين العيش وقد
 تجوعنا له فأني بخبز وأعضاء
 يعبر بفعل أصحابي يعافون
 ذلك وجعلت آكل وجعلت
 أنظر إليه يلحظني من
 بينهم ثم سبقت مني كلمة
 تمنيت أني سمعت في
 الأرض ولم أقلها فقلت
 يا أمير المؤمنين إن الناس
 يحتاجون إلى سلامتك
 فلو عمدت إلى طعام ألبن
 من هـ ذافز جرتي ثم قال
 كيف قلت فقلت قلت
 يا أمير المؤمنين لو تنظر إلى
 قوتك من الطعام بين أن
 يجزئك قبل أراذلك أياه
 بيوم ويطبخ لك اللحم

كشفا وذوات الوجود وتصورا واحقا ثقتها كلها من العرش إلى الشمس هكذا قال الغزالي رحمه الله في
 كتاب الاحياء بعد أن ذكر صورة الرياضة ثم ان هـ ذلك الكشف لا يكون صحيحا كاملا عندهم الا اذا
 كان ناشئا عن الاستقامة لان الكشف قد يحصل لصاحب الجوع والخلوقة وان لم يكن هناك استقامة
 كالسحرة والنصارى وغيرهم من المرتاضين وليس مرادنا الا الكشف الناشئ عن الاستقامة
 ومثاله ان المرأة الصقيمة لما اذا كانت محبوبة ومقترنة وحوذى بها جهة المرثى فانه يتشبه بكل فيه معوجا
 على غير صورته وان كانت مسطحة تشبه كل فيها المرثى صحيحا فالاستقامة للنفس كالانبساط للـرأة
 فيما ينطبع فيهما من الاحوال ولما عني المتأخرون به هذا النوع من الكشف تكاموا في حقائق
 الموجودات العلوية والسفلية وحقائق الملك والروح والعرش والكرسي وأمثال ذلك وقصرت مدارك
 من لم يشاركهم في طريقهم عن فهم أذواقهم وواجدهم في ذلك وأهل القتياب من منكر عليهم وسلم لهم
 وائس البرهان والدليل بنافع في هذه الطريق ردا وقبولا اذ هي من قبيل الوجدانيات وورعها قصد بعض
 المصنفين بيان مذهبهم في كشف الوجود وترتيب حقائقه فاني بالانغمض فالانغمض بالنسبة إلى أهل النظر
 والاصطلاحات والعلوم كما فعل القرغاني شارح قصيدة ابن الفارض في الديباجة التي كتبها في صدر ذلك
 الشرح فانه ذكر في صدور الوجود عن الفاعل وترتيبه ان الوجود كله صادر عن صفة الوجدانية التي هي
 مظهر الاحدية وهمامها صادرة عن الذات الكريمة التي هي عين الوحدة لا غير ويسمون هـ هذا الصدور
 بالتجلي وأول مراتب التجليات عندهم تجلي الذات على نفسه وهو يتضمن الكمال بافاضة الوجود والظهور
 لقوله في الحديث الذي يتناقض لونه كنت كنزا مخفيا فاجبت ان أعرف فخلقت الخلق ليعرفوني وهـ هذا
 الكمال في الوجود المتنزل في الوجود وتفصيل الحقائق وهو عندهم عالم المعاني والمخصرة الكمالية والحقيقة
 المحمدية وفيها حقائق الصفات والروح والنلم وحقائق الانبياء والرسل أجمعين والكمال من أهل الملة المحمدية
 وهذا كله تفصيل الحقيقة المحمدية ويصدر عن هذه الحقائق حقائق أخرى في المخصرة الهياثية وهي مرتبة
 المثال ثم عنها العرش ثم الكرسي ثم الافلاك ثم عالم العناصر ثم عالم التركيب هـ ذاتي عالم الرتب فاذا تجليات
 فهي في عالم الفتى ويسمى هذا المذهب مذهب أهل التجلي والمظاهر والمخضرات وهو كلام لا يقدر أهل
 النظر على تفصيل مقتضاه لغموضه وانغلاقه وبعدهما بين كلام صاحب المشاهدة والوجدان وصاحب
 الدليل وورعما أنك بظاهر الشرع هذا الترتيب وكذلك ذهب آخرون منهم إلى القول بالوحدة المطلقة وهو
 رأى أغرب من الاول في تعقله وتغاريه برغم ان الوجود له قوى في تفاصيلها كانت حقائق
 الموجودات وصورها وموادها والعناصر إنما كانت بما فيها من القوى وكذلك مادتها الهياثية نفسها قوى
 بها كان وجودها ثم ان المركبات فيها تلك القوى متضمنة في القوة التي كان بها التركيب كالقوة المعدنية
 فيها قوى العناصر بهيولاها وزيادة القوة المعدنية ثم القوة الحيوانية تتضمن القوة المعدنية وزيادة قوتها في
 نفسها وكذا القوة الانسانية مع الحيوانية ثم الفلك يتضمن القوة الانسانية وزيادة وكذا الذات الروحانية
 والقوة الجامعة لكل من غير تفصيل هي القوة الالهية التي انبثت في جميع الموجودات كلية وجزئية ووجهتها
 وأحاطت بهما من كل وجه لامن جهة الظهور ولامن جهة الخفاء ولامن جهة الصورة ولامن جهة المادة
 فالكل واحد وهو نفس الذات الالهية وهي في الحقيقة واحدة بسيطة والاعتبار هو المفصل لها كالانسانية مع

كذا فتوفى بالخبر لينا وبالجم غر يضاف لذن غيظه ثم قال ههنا عت قلت نعم (قال) يا ربيع انالوشنا الحيوانية
 الملائكة هذه الرطب من صلاتك وسنابك يعني خبز الخوارى ولكني رأيت الله تعالى عاب على قوم شهواتهم فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم
 الدنيا واستمتعتم بها ثم أمر ابا موسى باقرارى على عملى وان يستبدل بصاحبى (وقال) قبصة بن ذؤيب دعا عمر بن الخطاب عبيد الله بن

سعد وكان على أهل حص فقال سلام يحبك أهل الشام قال اني احبهم فاحبوني قال مالك قلت عبدى وفرسى وبعلى وخادمى (قال)
فاذا تلبس في الشتاء قلت عصابة أشدها راسى وجبة وكساء قال فالتبس في الصيف قلت قيصاور ريطه فاعطاني عرا الف دينار
(وقال) خذها واستنق منها واعط منها قلت لا اربى فيها واستجد من هو أحوج اليها مني (٢٨١) قال خذها فان النبي عليه السلام

دفع الى مالا وهو دون
الذي أعطيتك فقلت
له كما قلت لي فقال يا عمر
ما آتاك الله من هذا
المال عطاء من غير ان
تعرض له أو تشرف له
نفسك فاقبله فأخذه
فانطلق به الى امرأته فقال
أترين رجلا له هذا من
فقره المهاجرين هو أم من
الاغنياء فقالت بل من
الاغنياء فقصها حتى
بقيت منها صرة أظن فيها
ثلاثين وأخوذ ذلك فقالت
له امرأته ألبس لي انا حق
فأعطاها اياه (وقال) زياد
ابن حيوه ييناخن بخناصرة
اذا با امرأة تسأل عن دار
عمر بن عبد العزيز يرضى
الله عنه فأرشدناها الى
الدار فرأت دارا متشعبة
فقالت لحياط هناك استأذن
لي على فاطمة امرأة عمر بن
عبد العزيز قال فادخلي
وصوتى بها فانها تأذن لك
فدخلت فلما أبصرت
ما هناك قالت جئت أم
فقري من بيت الفقراء
واذا رجل يعمل في الطين
فسألتها عن أمير المؤمنين
فقالت هو ذلك يعمل
في الطين فقالت له يا أمير

الحيوانية الاترى انهما مندرجة فيها وكأنة بكونها فإتارة يملونها بالجنس مع النوع في كل موجود كما ذكرناه
وتارة بالكل مع الجزء على طريقة المثال وهم في هذا كله يفرقون من التركيب والكثرة بوجه من الوجوه
وانما أوجبه انهم لا يفرقون بين الوجود والعدم بل يفرقون بين الوجود والعدم في حقيقة
ما يقولونه في الوحدة شبيهة بما نقوله في الحكمة في الالوان من ان وجودها مشروط بالضوء فاذا عدم الضوء
لم تكن الالوان موجودة بوجهه وكذا عدم الموجودات المحسوسة كلها مشروطة بوجود المدرك
الحسي بل والموجودات المعنوية والمتوهمة أيضا مشروطة بوجود المدرك العقلي فاذا الوجود انفصل كله
مشروط بوجود المدرك البشري فلو فرضنا عدم المدرك البشري بجملة لم يكن هناك تفصيل الوجود بل هو
بسيط واحد فالحر والبرد والصلابة واللين بل والارض والماء والنار والسماء والكواكب انما وجدت
لوجود الحواس المدركة لها ما جعل في المدرك من التفصيل الذي ليس في الموجود وانما هو في
المدرك فقط فاذا فقدت المدرك المفصلة فلا تفصيل انما هو ادراك واحد وهو انما لا غيره ويعتبرون ذلك
بالحال الذائم فانه اذا نام وفقد الحس الظاهر فقد كل محسوس وهو في تلك الحالة الا ما يفصله له الخيال قالوا
فكذلك الیقظان انما يعتبر تلك المدركات كلها على التفصيل بنوع مدركة البشري ولو قدر فقدم مدركة فقد
التفصيل وهذا هو معنى قولهم الموهوم لا الوهم الذي هو من جملة المدرك البشري به هذا المخلص رأيهم على
ما يقه من كلام ابن دهقان وهو في غاية السقوط لانا قطع بوجود البلد الذي نحن مسافرون عنه واليه
يقينا مع غيبته عن أعيننا وبوجود السماء المظلمة والكواكب وسائر الاشياء الغائبة عنا والانسان قاطع
بذلك ولا يكابر احد نفسه في اليقين مع ان المحققين من المتصوفة المتأخرين يقولون ان المرء بعد الكشف
ربما يعرض له توهم هذه الوحدة ويسمى ذلك عندهم مقام الجمع ثم يترقى عنه الى التمييز بين الموجودات
ويعبرون عن ذلك بمقام الفرق وهو مقام العارف المحقق ولا بد للارء عندهم من عقبة الجمع وهي عقبة صعبة
لانه يجتشي على المرء من وقوفه عند هافتن صفة فقد تبدت مراتب اهل هذه الطريقة ثم ان هؤلاء
المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم الى
الحلول والوحدة كما اشرنا اليه ومثلوا بالحكم منه مثل الهروي في كتاب المقامات له وغيره وتبعهم ابن العربي
وابن سبعين وتلميذهم ابن العقب وابن الفارض والنجم الاسرائيلي في قصائدهم وكان سلفهم محالطين
للاسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين ايضا بالحلول واليه الاثمة مذهبهم لا يعرف لا ولهم فاشرب
كل واحد من الفريقين مذهب الاخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة
القول بالقطب ومعناه رأس العارفين يزعمون انه لا يمكن ان يساويه احد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه
الله ثم يورث مقامه لاخر من اهل العرفان وقد اشار الى ذلك ابن سينا في كتاب الاشارات في فصول
التصوف منها فقال جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل واردا ويطالع عليه الا الواحد بعد الواحد وهذا
كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي وانما هو من أنواع الخطابة وهو بعينه ما نقوله الرافضة
ودانابه ثم قالوا بترتيب وجود الابدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء حتى انهم لما أسندوا
لباس خرقه التصوف ليحعلوه اصلا لظريعتهم وتخليهم رفعوه الى على رضى الله عنه وهو من هذا المعنى ايضا
والافعل رضى الله عنه لم يختص من بين الصحابة بتخليه ولا طريقة في لباسه ولا حال بل كان أبو بكر وعمر

(٣٦ - ابن خلدون) المؤمن مات زوجي وترك ثمان بنات فبكي عمر بكاء شديدا ثم قال فاماتن يدين قالت تفرض لمن قال تفرض
للكبيري ما اسمها قالت فلانة فكذبها فقالت الحمد لله قال ما اسم الثانية قالت فلانة فكذبها فقالت الحمد لله حتى كذب السابعة فقالت
جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين فطرح التلم من يده وقال لها ما انك لو ولدت الحمد له لاتمناهن للعرى السبع فليواسين هذه الثامنة

باب المحادى والنجسون في أحكام أهل الذمة) (روى) عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذراري بنا واولادنا (٢٨٢) وأهل ملتنا وشرطنا انكم على أنفسنا لانحدث في مدائننا ولا في ساحولها ديارا ولا كنيسة

ولا قبة ولا صومعة قراهب ولا نجد ما خرب منها ولا ما كان مختطما منها في خطط المسلمين في ليل ولا نهار وإن توسع أبوابهم بالمسارعة وابن السبيل وإن نزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليال نطمعهم ولا نؤوى في كنائسنا ولا في منازلنا جاسوسا ولا نكتم غشا للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شرعنا ولا ندعو إليه أحدا ولا نمنع أحدا من ذوى قرابتنا الدخول في الاسلام إن أرادوه وإن توفى المسلمون ونقوم لهم من مجالسنا إذا أرادوا الجلوس ولا نتشبه بهم في شئ من لباسهم من قانسوة ولا عمامة ولا نعالين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكى بكلامهم ولا نركب بالسروج ولا نقتلد بالسيف ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نكلمه معناه ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخجور وإن نجز مقادير وسناننا وزينا حيشما كنا وإن نشد الزنا نير على اوساطنا ولا نظهر صلباننا وكتبنا في شئ من طرق المسلمين ولا أسواقهم

رضى الله عنهم ما أزهه الناس به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرهم عبادة ولم يختص أحد منهم في الدين بشئ يؤثر عنه في الخصوص بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة يشهد ذلك من كلام هؤلاء المتصوفة في امر القاطمي وما شجئوا كتبهم في ذلك مما ليس لسابق المتصوفة فيه كلام ينفي أو يثبت وإنما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم والله يهدي إلى الحق ثم إن كثيرا من الفقهاء وأهل الفتيا اتدبو الرد على هؤلاء المتأخرين في هذه المقالات وأمثالها وشملوا بالذكير سائر ما وقع لهم في الطريقة والمحقق أن كلامهم معهم فيه تفصيل فإن كلامهم في أربعة مواضع أحدها الكلام على المجاهدات وما يحصل من الأذواق والمواجد ومحاسبة النفس على الأعمال لتحصل تلك الأذواق التي تصير مقاما وتترقى منه إلى غيره كما قلناه وثانيها الكلام في الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب مثل الصفات الربانية والعرش والكرسي والملائكة والوحى والنبوة والروح وحقائق كل موجود غائب أو شاهد وتوحيه الأكواف في صدورهم من موجداتها وتكونها كالمروثات التصرفات في العوالم والأكواف بأنواع الكرامات ورابعها الألفاظ موهمة الظاهر صدرت من الكثيرين من أئمة القوم يعبرون عنها في اصطلاحهم بالسطحات تستشكل ظواهرها فخر ومحسن ومنازل فاما الكلام في المجاهدات والمقامات وما يحصل من الأذواق والمواجد في نتائجها ومحاسبة النفس على التقصير في أسبابها فامر لا مدفع فيه لاحد وأذواقهم فيه صحيحة والتحقق بها هو عين السعادة وأما الكلام في كرامات القوم واخبارهم بالمغيبات وتصرفهم في الكائنات فامر صحيح غير منكر وإن مال بعض العلماء إلى إنكارها فليس ذلك من الحق وما احتج به الاستاذ أبو اسحق الأسفرايني من أئمة الأشعرية على إنكارها إلا التباسها بالمعجزة فقد فرق المحققون من أهل السنة بينهما بالتحدى وهو دعوى وقوع المعجزة على وفق ما جاء به قالوا ثم إن وقوعها على وفق دعوى الكاذب غير مقدر لأن دلالة المعجزة على الصدق عقلية فإن صفة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكاذب لتبدلت صفة نفسها وهو محال هذا مع أن الوجود شاهد بوقوع الكثير من هذه الكرامات وإنكارها نوع مكابرة وقد وقع للصحابة وأكابر السلف كثير من ذلك وهو مع لوم مشهور وأما الكلام في الكشف واعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات فأكثر كلامهم فيه نوع من التشابه لما أنه وجد في عندهم وفاقد الوجه إن عندهم يعزل عن أذواقهم فيه والافات لا تعطى دلالة على مرادهم منه لأنها لم توضع إلا للعارف واكثر من المحسوسات فينبغي أن لا تعرض لكلامهم في ذلك وتركة فيماتر كناه من التشابه ومن رزقه الله فهم شئ من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة فأكرمها سعادة وأما الألفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالسطحات ويؤاخذهم بها أهل الشرع فاعلم أن الانصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن المحسوس والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذوره فبن علم منهم فضله واقداؤه جل على القصص الجميل من هذا وان العبارة عن الموجد صعبة لفقدان الوضع لها كوقوع لابي يزيد وأمثاله ومن لم يعلم فضله ولا اشتهر فؤاخذ بما صدر عنه من ذلك إذ لم يبين لنا ما يحمله لنا على تأويل كلامه وأما من تكلم بمثلها وهو حاضر في حسه ولم يملكه الحال فؤاخذ أيضا ولهذا أفتى الفقهاء وأكابر المتصوفة بقتل الحلاج لأنه تكلم في حضوره وهو مالك الحاله والله أعلم وبلغ المتصوفة من أهل الرسالة اعلام الماله الذين

ولا تضرب نواقيسنا في كنائسنا الاضرب باخفيا ولا ترفع أصواتنا بالقرعة في كنائسنا في شئ من حضرة المسلمين أشربنا ولا نخرج شعابنا ولا باعوثنا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر التبرير في شئ من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ماجرى عليه سهام المسلمين ولا نتطلع على منازلهم (فلما أتيت) عمر رضي الله عنه بالسكاك فزاد فيه ولا تضرب أحدا

من المسلمين شرطننا ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا في شيء مما شرطناه لكم وضمنناه على أنفسنا فلا ذمنا
وقد حل منا ما يحل من أهل المعاندة والشقاق فكتب اليه عمر رضي الله عنه ان امض ما سألوه والحق فيه حرفين اشترطتهما عليهم مع
ما شرطوا على أنفسهم ان لا يشتر واشيا من سببايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا (٢٨٣) فقد خلع عهده (وروي) نافع عن سالم

مولي عمر بن الخطاب ان
عمر كتب الى أهل الشام
في النصارى أن يقطع ركبهم
وان يركبوا على الاكف
وان يركبوا في شق وان
يلبسوا خلاف زي المسلمين
ليعرفوا (وروي) ان بني
تغلب دخلوا على عمر بن
عبد العزيز فقالوا يا امير
المؤمنين ان اقوم من العرب
افرض لنا قال نصارى قالوا
نصارى قال ادعوا الى حجاما
ففعلوا فجزوا نواصيهم وشق
من ارديتهم خزما يجترمونها
وامرهم ان لا يركبوا
السروج ويركبوا الاكف
من شق واحد (وروي)
ان امير المؤمنين المتوكل
اقصى اليهود والنصارى ولم
يستعملهم واذنهم واقصاهم
وظائف بين زيهم وزي
المسلمين وجعل على ابوابهم
مثالا للشياطين لانهم أهل
ذلك وقرب منه أهل الحق
وباعد عنه أهل الباطل
والاهواء فاحيا الله به الحق
وأما به الباطل فهو
يذكر بذلك ويترحم عليه
مادامت الدنيا (وكان)
عمر بن الخطاب رضي الله
عنه يقول لا تستعملوا اليهود
والنصارى فانهم أهل رشا

اشترنا اليهم من قبل لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب ولا هذا النوع من الادراك انما همهم الاتباع
والاقتداء ما استطاعوا ومن عرض له شيء من ذلك اعرض عنه ولم يحفل به بل يقرون منه ويرون انه من
العوائق والحجج وانه ادراك من ادراك النفس بخلاف حاد وان الموجودات لا تنحصر في مدارك
الانسان وعلم الله اوسع وخلقه اكبر وشريعته بالهداية املا فلا ينطقون بشيء مما يدركون بل حظروا
الخوض في ذلك ومنعوا من يكشف له الحجاب من اصحابهم من الخوض فيه والوقوف عنده بل ياتزمون
طريقتهم كما كانوا في عالم الحس قبل الكشف من الاتباع والاقتداء ويأمرون اصحابهم بالانزاهة وهكذا
ينبغي ان يكون حال المريد والله الموفق للصواب

١٢ * (علم تعبير الرؤيا) *

هذا العلم من العلوم الشرعية وهو وحادث في الملة عند ما صارت العلوم صنائع وكتب الناس فيها واما الرؤيا
والتعبير يرها فقد كان موجودا في السلف كما هو في الخائف وربما كان في الملوك والامم من قبل الا انه لم
يصل الى اللامكتفاء فيه بكلام المعبرين من أهل الاسلام والافاروقيا ووجوده في صنم البشر على
الاطلاق ولا بد من تعبيرها فقد كان يوسف الصديق صلوات الله عليه يعبر الرؤيا كما وقع في القرآن
وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابي بكر رضي الله عنه والرؤيا مدرك من مدارك
الغيب وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وقال لم يبق من المبررات
الا الرؤيا الصالحة سراجا الرجل الصالح او ترى له واول ما يدبى به النبي صلى الله عليه وسلم لم من الوحى الرؤيا
فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وكان النبي صلى الله عليه وسلم لم اذا انقضى من صلاة الغداة
يقول لاصحابه هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا يسألهم عن ذلك ليس يتبشروا بما وقع من ذلك مما فيه ظهور
الدين واعزازة واما السبب في كون الرؤيا مدركا للغيب فهو ان الروح القلبية وهو البخار اللطيف المنبعث
من تجويف القلب اللحمي ينتشر في اشريانات ومع الدم في سائر البدن وبه تكمل افعال القوى
الحوانية واحساسها فاذا أدركه الملال بكثرة انصرف في الاحساس بالحواس الخمس وتصريف القوى
الظاهرة وغشى سطح البدن ما يغشاها من برد الاله ل الخنس الروح من سائر اقطار البدن الى مركزه القلبي
فيستجم بذلك معاودة فعله فتعطلت الحواس الظاهرة كلها وذلك هو معنى النوم كما تقدم في اول الكتاب
ثم ان هذا الروح القلبي هو مطية للروح العاقل من الانسان والروح العاقل مدرك لجميع ما في عالم الامر
بذاته اذ حقيقة وذاته عين الادراك وانما يمنع من تعقله للمدارك الغيبية ما هو فيه من حجاب الاشياء
بالبدن وقواه وحواسه فلو قد دخل من هذا الحجاب وتجرد عنه لرجع الى حقيقة وهو عين الادراك فيعقل
كل مدرك فاذا تجرد عن بعضها خفت شواغله فلا بد له من ادراك لمحته من عالمه بقدر ما تجرد له وهو في هذه
الحالة قد خفت شواغل الحس الظاهر كلها وهي الشاغل الاعظم فاستعد لقبول ما هنا لك من المدارك
اللائية من عالمه واذا ادرك ما يدرك من عوالمه رجع الى بدنه اذ هو مادام في بدنه جسماني لا يمكنه
التصرف الا بالمدارك الجسمانية والمدارك الجسمانية لا علم لها بالاشياء الدماغية والمتصرف منها هو الخيال
فانه ينتزع من الصور المحسوسة صور اخيالية ثم يدفعها الى المحافظة تحفظها الى وقت الحاجة اليها عند
النظر والاستدلال وكذلك تجرد النفس منها صور اخرى نفسانية عقلية فيترقى التجرد من المحسوس الى

في دينهم ولا تحل في دين الله الرشا وما استقدم عمر بن الخطاب ابا موسى الاشعري من البصرة وكان عاملا عليهم الحساب دخل على عمر
وهو في المسجد فاستأذن لكتابة وكان نصرانيا فقال له عمر قاتلك الله وضرب بيده على فخذه وولدت ذميا على المسلمين اما سمعت الله تعالى
يقول يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم فانه منهم الا تتخذت حنيا فقال يا امير

المؤمنين لي كتابته وله دينه فقال لا كرمهم اذا هانهم الله ولا اعزهم اذا ذلهم الله ولا اذلهم الله ولا اقصاهم الله وكتب بعض العمال الى عمر بن الخطاب ان العدد قد كثروا والحزبية قد كثرت فذمتهم بالاعاجم فكتب اليه عمر انهم اعداء الله وانهم لنا غششة فانزلهم حيث انزلهم الله ولا تردوا اليهم شيئا وقال عمر ان بن اسد (٢٨٤) انا كتاب عمر بن عبد العزيز الى محمد بن المنصور اما بعد فانه بلغني ان في عمال

رجلا يقال له حسان بن برزى على غير دين الاسلام والله تعالى يقول يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اتوا السكيب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا اتاك كاذبي هذافادع حسان الى الاسلام فان اسلم فهو منا ونحن منه وان ابى فلا تستعن به ولا تأخذ من غير اهل الاسلام على شيء من اعمال المسلمين فقرأ السكيب عليه فاسلم (ولما) خرج النبي عليه السلام الى بدر تبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة فقال اني اريد ان اتبعك واصيب معك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن استعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة ففرح به اصحاب النبي عليه السلام وكانت له قوة وجلد فقال جئت لا اتبعك واصيب معك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن استعين بمشرك ثم لحقه على ظهر البيداء فقال له مثل ذلك قال تؤمن

المعقول والخيال واسطة بينهما وذلك اذا ادركت النفس من عالمها ما تدركه الالته الى الخيال في صورته بالصورة المناسبة له ويدفعه الى الحس المشترك فيراه النائم كأنه محسوس فينتزل المدرك من الروح العقلي الى الحسي والخيال ايضا واسطة هذه حقيقة الرؤيا ومن هذا النقر يظهر للفرق بين الرؤيا بالصالحية واضغاث الاحلام السكاذبة فانها كلها صور في الخيال حالة النوم لكن ان كانت تلك الصورة من نزلة من الروح العقلي المدرك فهو رؤيا وان كانت مأخوذة من الصور التي في المحافظة التي كان الخيال اودعها اياها منذ اليقظة فهي اضغاث احلام واما معنى التعبير فاعلم ان الروح العقلي اذا ادرك مدركه والقاء الى الخيال في صورته فلما يصور في الصور المناسبة لذلك المعنى بعض الشيء كما يدرك معنى السلطان الاعظم في صورته الخيال بصورة البحر او يدرك العداوة في صورته الخيال في صورة الحية فاذا استيقظ وهو لم يعلم من امره الا انه رأى البحر او الحية فينظر المعبر بقوة التشبيه بعد ان يتيقن ان البحر صورة محسوسة وان المدرك وراءها وهو يتهدى بقرائن اخرى تعين له المدرك فيقول مثلا هو السلطان لان البحر خلق عظيم يناسب ان يشبه به السلطان وكذلك الحية يناسب ان تشبه به بالعدو لعظم ضررها وكذا الاواني تشبه بالنساء لانهن اوعية وامنال ذلك ومن المرثى ما يكون صريحا لا يقتصر الى تعبير مجازيها ووضوحها او لاقرب الشبه فيها بين المدرك وشبهه ولهذا وقع في الصحيح الرؤيا ثلاث رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان فالرؤيا التي من الله هي الصريحة التي لا تقتصر الى تأويل والتي من الملك هي الرؤيا الصادقة تقتصر الى التعبير والرؤيا التي من الشيطان هي الاضغاث واعلم ايضا ان الخيال اذا ألقى اليه الروح مدركه فلما يصور في القوالب المعتادة للحس ما لم يكن الحس ادركه قط فلا يصور فيه فلاممكن من ولد اعنى ان يصور له السلطان بالبحر ولا العدو بالحية ولا النساء بالاواني لانه لم يدرك شيئا من هذه وانما يصور له الخيال امثال هذه في شبهها ومناسبها من جنس مداركه التي هي السموم والامهومات وليتحفظ المعبر من مثل هذا فربما اختلط به التعبير وفسد قانونه ثم ان علم التعبير علم بقوانين كايه يبنى عليها المعبر عبارة ما يقص عليه وتأويله كما يقولون البحر يدل على السلطان وفي موضع آخر يقولون البحر يدل على الغيظ وفي موضع آخر يقولون البحر يدل على المهم والامر الفادح ومثل ما يقولون الحية تدل على العدو وفي موضع آخر يقولون هي كاتم سر وفي موضع آخر يقولون تدل على الحياة وأمثال ذلك فيحفظ المعبر هذه القوانين الكليية ويعبر في كل موضع بما تقتضيه القرائن التي تعين من هذه القوانين ما هو الباقى بالرؤيا وتلك القرائن منها في اليقظة ومنها في النوم ومنها ما ينقدح في نفس المعبر بالخاصية التي خلقت فيه وكل ميسر لما خلق له ولم ينزل هذا العلم متناقلا بين السلف وكان محمد بن سيرين فيهم من أشهر العلماء وكتب عنه في ذلك القوانين وتناقلها الناس لهذا العهد والى الكرماني فيه من بعده ثم ألف المتكلمون المتأخرون واكثروا المتداول بين أهل المغرب لهذا العهد كتب ابن أبي طالب القيرواني من علماء القيروان مثل الممتع وغيره وكتاب الاشارة للسالمي وهو علم مضي بنور النبوة للنسبة بينهما كما وقع في الصحيح والله علام الغيوب

١٣ * (العلوم العقلية واصنافها) *

واما العلوم العقلية التي هي طبيعية للانسان من حيث انه ذو فكر فهي غير مختصة بملة بل يوجد النظر فيها لاهل الملل كلها مويستورون في مداركها ومباحثها وهي موجودة في النوع الانساني منذ كان عمران

بالله ورسوله قال نعم فخرج به وهذا اصل عظيم في ان لا يستعان بكافر هذا وقد خرج ليقابل بين يدي النبي عليه السلام ويراق دمه فكيف استعماهم على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله ان لا تولوا على اعمالنا الا اهل القرآن فسكتبوا اليه انا وجدنا فيهم خيانة فسكتب اليهم ان لم يكن في اهل القرآن خير فاجدر ان لا يكون في غيرهم خير

المخلقة

﴿فصل﴾ ومضى نقض الذمي العهد بمخالفته لشي من الشروط المأخوذة عليه لم يرد الى مأمونه والامام فيه بالخيار بين القتل والاسترقاق وقال أصحاب الشافعي ويلزمهم ان يميز واعن المسلمين في اللباس وان لبسوا قلائس ميز وهاعن قلائس المسلمين بالخرق ويشدون الزناير في اوساطهم ويكون في رقابهم خاتم من رصاص او نحاس او جرس يدخل (٢٨٥) معهم الحجام وليس لهم ان يلبسوا العمائم

والضلسان وأما المراءة فتشده الزناير تحت الازار وقيل فوق الازار وهو الاولى ويكون في عنقها خاتم يدخل معها الحجام ويكون أحد خفيها أسود والاخر أبيض ولا يكون الخيل وير يكون البغال والحجر بالا كف عرضا ولا يركبون بالسروج ولا يتصدرون في المجالس ولا يبدون بالسلام ويلبثون الى أضيق الطريق ويمنعون ان يعلوا على المسلمين في البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز بل يمنعون وان تملكوا دارا عالية أقروا عليها ويمنعون من اظهار المنكر كالخمر والحزب والنفاق والانييل ويمنعون من المقام في الحجاز وهي مكة والمدينة واليمامة ويجعل الامام على كل طائفة منهم رجلا يكتب اسماءهم وحلاهم ويستوفي جميع ما يؤخذون به من جميع الشروط وان امتنعوا من اداء الجزية والتزام احكام الملة انتقض عهدهم وان زنى احدهم بمسلة او اصابها

الحليقة وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة وهي مشتملة على اربعة علوم الاول علم المنطق وهو علم بصم الذهن عن الخطا في اقتناص المطالب المجهولة من الامور الحاصلة المعلومة وفائدته تمييز الخطا من الصواب فيما يلتمسه الناظر في الموجودات وعوارضها يتقف على تحقيق الحق في الكائنات بمنتهى فكره ثم النظر بعد ذلك عندهم اما في المحسوسات من الاجسام العنصرية والمكونة عنهما من المعدن والنبات والحيوان والاجسام الفلكية والحركات الطبيعية والنفس التي تنبعث عنها الحركات وغير ذلك ويسمى هذا الفن بالعلم الطبي وهو الثاني منها واما ان يكون النظر في الامور التي وراء الطبيعة من الروحانيات ويسمونه العلم الالهي وهو الثالث منها والعلم الرابع وهو الناظر في المقادير ويشتمل على اربعة علوم وتسمى التعاليم او علم الهندسة وهو الناظر في المقادير على الاطلاق اما المنفصلة من حيث كونها معدودة او المتصلة وهي اما ذو بعد واحد وهو الخط او ذو بعدين وهو السطح او ذو ابعاد ثلاثة وهو الجسم التعليمي ينظر في هذه المقادير وما يعرض لها اما من حيث ذاتها او من حيث نسبة بعضها الى بعض وثانيها علم الارتمطاتي وهو معرفة ما يعرض لكم المنفصل الذي هو العدد ويؤخذ له من الخواص والعوارض اللاحقة وثالثها علم الموسيقى وهو معرفة نسب الاصوات والنغم بعضها من بعض وتقديرها بالعدد وثمرته معرفة تلاحين الغناء ورابعها علم الهيئة وهو تعيين الاشكال للافلاك وحصر اوضاعها وتعدد الكواكب كوكب من السيارة والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها ومن رجوعها واستقامتها واقبالها وادبارها فهذه اصول العلوم الفلسفية وهي سبعة المنطق وهو المقدم منها وبعده التعاليم فالارتمطاتي اولها ثم الهندسة ثم الهيئة ثم الموسيقى ثم الطبيعيات ثم الالهيات ولكل واحد منها فروع تتفرع عنه فن فروع الطبيعيات الطب ومن فروع علم العدد علم الحساب والقرائض والمعاملات ومن فروع الهيئة الاثر ياج وهي قوانين لحسابات حركات الكواكب وتعديلها للوقوف على مواضعها متى قصد ذلك ومن فروع النظر في النجوم علم الاحكام النجومية ونحن نتكلم عليها واحدا بعد واحد الى آخرها واعلم ان اكثر من عني بها في الاجيال الذين عرفنا اخبارهم الامتان العظيمتان في الدولة قبل الاسلام وهما فارس والروم فكانت اسواق العلوم نافقة لديهم على ما بلغنا لما كان العمران موفورا فيهم والدولة والسلطان قبل الاسلام وعصرهم فكان لهذه العلوم بحور زاخرة في آفاقهم واهصارهم وكان للكلدانيين ومن قبلهم من السريانيين ومن عاصرهم من القبط عنانية بالسحر والنجامة وما يتبعها من الطلاسم وأخذ ذلك عنهم الامم من فارس ويونان فاختص بها القبط وطمى بحر ما فيهم كما وقع في المثلون خبر هاروت وماروت وشأن السحرة وما نقله أهل العلم من شأن البرابي بصعيد مصر ثم تنابعت الملل بحظر ذلك وتحريمه فدرست علومه وبطلت كان لم تكن الا بقايا يتناقلها منتحلوه هذه الصنائع والله اعلم بصحتها ان سبوت الشرع قائمة على ظهورها مانعة من اختبارها واما الفرس فكان شأن هذه العلوم العقلية عندهم عظيما وناطقها متسع لما كانت عليه دولتهم من الضخامة واتصال الملل ولقد يقال ان هذه العلوم اتت واصلا الى يونان منهم حين قتل الاسكندر دارا وغلب على مملكة الكينية فاستوى على كتبهم وعلومهم ما لا يأخذ الحصر ولما فتحت ارض فارس ووجدوا فيها كتب كثيرة كتب ساعد بن ابي وقاص الى عمر بن الخطاب ليستأذنه في شأنها وتقليها للمسلمين فكتب اليه عمر ان اطرحوها في المساء

بنكاح او اوى عينها للسكرار او دل على عورة للمسلمين او فتن مسلما عن دينه او قتله او قطع عليه الطريق او ذكر الله ورسوله بما لا يجوز قيل ينتقض وان فعل ما يمنع منه مما لا ضره فيه كترك الغيار واظهار الخمر وما اشبهها مع زر عليه ومتى فعل ما يوجب نقض العهد رد الى مأمونه في أحد القوانين وقتل في الحين في القول الاخر ﴿فصل﴾ في تقدير الجزية باختلاف بين العلماء فقيل انهم مقدرة الاقل والاكثر

على ما كتب به عمر الى عثمان بن حنيف بالكوفة فوقع على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى من دونه اربعة وعشرون درهما وعلى الامام في الزيادة والنقصان (٢٨٦) وهو الاقيس وقيل انها مقدرة الاقل دون الاكثر فيجوز للامام ان يزيد على ما قدره عمر

ولا يجوز ان ينقص عنه وقال بعضهم هم يجوز ان يساوي بينهم من كل واحد دينار وقال مالك يؤخذ من الموسر اربعة درهما ومن الفقير دينار وعشرة دراهم ويتخرج على مذهب مالك في وجوب تقدير طرفيها قولان بناء على العشر المأخوذ منه هل هو تقدير شرعي لا يجوز فيه الزيادة والنقصان وعن مالك فيه روايتان ولا تجزية على النساء والمماليك والصبيان والمجانين وكتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن سلام عليك اما بعد فان اهل الكوفة قد اصابهم بلاهوشة وجور من العمال وستن سنة سنها عليهم عمال السوء فاحرز عليهم ارضهم ولا تحمل خرابا على عامر ولا عامرا على خراب ولا تأخذ من الخراب الا ما يطيقون ولا من العامر الا وظيفة الخراج الا وزن سبعة ليس لها اس ولا اجور اضرابين ولا اداة الفضة ولا هدية النيروز والمهرجان ولا ثمن المحصف ولا اجور البيوت ولا دراهم

فان يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله باهدى منه وان يكن ضلالا فقد كفانا الله فطر حواقيق الماء وفي النار وذهبت علوم الفرس فيها عن ان تصل اليها واما الروم فكانت الدولة منهم ليونان واولا كان لهذه العلوم بينهم مجال رحب وجهلها مشاهير من رجالهم مثل اساطين الحكمة وغيرهم واختص فيها المشاؤون منهم اصحاب الرواق بطريقة حسنة في التعليم كانوا يقرؤون في رواق يظلمهم من الشمس والبرد على ما زعموا واتصل فيها سبب تعليمهم على ما زعمون من لدن لقمان الحكيم في تلميذه بقراط الدن ثم الى تلميذه ارسطو ثم الى تلميذه الاسكندر الافرو دسي وتامس طيون وغيرهم وكان ارسطو معلم اللاسكندر ملكهم الذي غلب الفرس على ملكهم وانتزع الملك من ايديهم وكان ارسطو في هذه العلوم قدما وبعدهم فيها اصيناو وكان يسمى المعلم الاول فطار له في العالم ذكره ولما انقرض امر اليونان وصار الامر للقيصرية واخذوا يدين النصرانية تهجروا تلك العلوم كما تقتضيه الممل والشرايع فيها وبقيت في صحفها ودواوينها مخلدة باقية في خزائنهم ثم ملكوا الشام وكتب هذه العلوم باقية فيهم ثم جاء الله بالاسلام وكان لاهله الظهور الذي لا كفاه له وايتروا الروم ملكهم فيما ابتزوه للامم وابتداء امرهم بالسذاجة والغفلة عن الصنائع حتى اذا تبجح السلطان والدولة واخذوا من الحضارة بالحظ الذي لم يكن لغيرهم من الامم وتفننوا في الصنائع والعلوم تشوقوا الى الاطلاع على هذه العلوم الحكيمة بما سمعوا من الاساقفة والاقسة الماهدين بعض ذكرونها بما سمعوا اليه افكار الانسان فيها فبعث ابو جعفر المنصور الى ملك الروم ان يبعث اليه بكتب التعاليم مترجمة فبعث اليه بكتب اقليدس وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصا على الظفر بما بقي منها وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له في العلم رغبة بما كان يتحمله فانبعث لهذه العلوم حرصا وافر والرسول على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين واتساعها بالحظ العربي وبعث المترجمين لذلك فاوعى منه واستوعب وعكف عليها النظار من اهل الاسلام وحذقوا في فنونها وانتهت الى الغاية انظارهم فيها وخالقوا كثير من آراء المعلم الاول واختصوه بالرد والقبول لوقوف الشهرة عنده ودونوا في ذلك الدواوين واربعوا على من تقدمهم في هذه العلوم وكان من اكابرهم في الملة ابو نصر الفارابي وابو علي ابن سينا بالمشرق والقاضي ابو الوليد بن رشد والوزير ابو بكر بن الصائغ بالاندلس الى آخره بلغوا الغاية في هذه العلوم واختص هؤلاء بالشهرة والذكور واقتصر كثير على انتحال التعاليم وما يضاف اليها من علوم النجامة والسحر والطلسمات ووقفت الشهرة في هذا المنتحل على مسلمة ابن احمد الجرجيني من اهل الاندلس وتلميذه ودخل على الملة من هذه العلوم واهلها داخله واسمتهوت الكثير من الناس بما جنحوا اليها وقلدوا آراءها والذنب في ذلك ان ارتسكبه ولو شاء الله ما فعله ثم ان المغرب والاندلس لما ركزت ربح العمران بهما وتناقصت العلوم بتناقصه اضمحل ذلك منهن ما الا قليلا من رسومه تجدها في تقارير من الناس وتحت رقبة من علماء السنة ويبلغنا عن اهل المشرق ان بضائع هذه العلوم لم تنزل عندهم موفورة وخصوصا في عراق العجم وما بعده فيما وراء النهر وانهم على تبع من العلوم العقلية لتوفر عمر انهم واستحكام الحضارة فيهم ولقد وقفت بمصر على تأليف متعددة لرجل من عظماء هرات من بلاد خراسان يشهر بسعد الدين النفثازي منها في علم الكلام واصل الفقه والبيان تشهد بان له ملكة واسعة في هذه العلوم وفي اثنا ثمان ما يدل له على انه اطلع على العلوم الحكيمة

النسكاح ولا يخرج على من اسلم من اهل الارض والواجب ان يؤخذ ما ضرب به عمر بن الخطاب رضي الله وقدماء عنه وهو من كل جريب عشرة دراهم ومن كل جريب نخيل ثمانية دراهم ومن كل جريب حنطة اربعة دراهم ومن كل جريب شعير درهمان * (فصل) * واما السكاكيس فامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الاسلام ومنع ان تحدث

كنيسة وأمران لا تظهر عليه خارحة من كنيسة ولا يظهر صليب خارج من كنيسة الا كسر على رأس صاحبه وكان عروة بن محمد يهدمها
بصنعا وهذا مذهب علماء المسلمين اجمعين وشدد في ذلك عمر بن عبد العزيز وأمران لا يترك في دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة
ولا حديثة وهكذا قال الحسن البصري قال من السنة ان تهدم الكنائس التي (٢٨٧) في الامصار القديمة والحديثة ويمنع أهل

الذمة من بناء ما حارب قال
الاصم طخري ان طينوا
ظاهر الحائط منعو وان
طينوا داخله الذي يليهم لم
يمنعوا ويمنعون ان يعملوا
على المسلمين في البناء وتجوز
المساواة وقيل لا تجوز
*(الباب الثاني والخمسون
في بيان الصقات المعتمدة
في الولاية)*
اعلم ارشدك الله تعالى ان
منزلة العمال من الولى
منزلة السلاح من المقاتل
فاجتهد جهديك في ابتغاء
صالح العمال واذافقد الولى
عمال الصدق كان كقصد
المقاتل السلاح يوم الحرب
ويحتاج الى طبقات الرجال
كما يحتاج الحرب الى
اصناف العدة فمنها الدرق
للاستحسان والسيف
للمناجزة والرمح للطاعة
والسهم للباعدة والدرع
للتحصن واسكل منها موضع
ليس للآخر والرجال للملك
كالاداة للصانع لا يسد بعضها
مسد بعض كذلك طبقات
الرجال للملك منهم للرأى
والمشورة ومنهم لادارة
الحرب ومنهم لمباشرة
الحرب ومنهم لمجمع
الاموال ومنهم لمحافظة

وقد ما عالمة في سائر الفنون العقلية والله يؤيد بنصره من يشاء كذلك بلغنا هذا العهد ان هذه العلوم
الفلسفية ببلاد الافرنجة من ارض رومة وما اليها من العدو الشمالية نافقة الاسواق وأن رسومها هناك
متجددة ومجاس تعليمها متعددة ودواوينها جامعة متوفرة وطلبتها متكررة والله اعلم بما هنالك وهو
يخاف ما يشاء ويختار

(العلوم الغدبية)

وأولها الارتماطيقي وهو معرفة خواص الاعداد من حيث التاليف اما على التوالي او بالتضعيف من مثل
ان الاعداد اذا توالفت متفاضلة بعدد واحد فان جمع الطرفين منها مساو لجمع كل عددين بعدهما من
الطرفين بعدهما واحد ومثل ضعف الواسطة ان كانت عدة تلك الاعداد فردا مثل الافراد على تواليها
والازواج على تواليها ومثل ان الاعداد اذا توالفت على نسبة واحدة يكون اولها نصف ثانيا وثالثها نصف
ثانيتها الخ او يكون اولها ثلث ثانيا وثالثها ثلث ثانيا الخ فان ضرب الطرفين أحدهما في الآخر كضرب
كل عددين بعدهما من الطرفين بعد واحد أحدهما في الآخر ومثل ربع الواسطة ان كانت العدة فردا
ذلك مثل اعداد زوج الزوج المتوالية من اثنين فأربعة فثمانية فستة عشر ومثل ما يحدث من الخواص
العديدية في وضع المثلثات العديدية والمربعات والخمسات والمسدسات اذا وضعت متتالية في سطورها بان
يجمع من الواحد الى العدد الاخير فتكون مثلثة وتتوالى المثلثات هكذا في سطر تحت الاضلاع ثم تزيد
على كل مثلث ثلث الضلع الذي قبله فتكون مربعة وتزيد على كل مربع مثلث الضلع الذي قبله فتكون
مخمسية وهلم جرا وتتوالى الاشكال على توالي الاضلاع ويحدث جدول ذو طول وعرض في عرضه
الاعداد على تواليها ثم المثلثات على تواليها ثم المربعات الخ وفي طوله كل عدد واحد كاله بالغا
ما بلغ وتحدث في جمعها وقسمه بعضها على بعض طولها وعرضها خواص غريبة استقررت منها وتقررت
في دواوينهم مسائلها وكذلك ما يحدث للزوج والفرد وزوج الفرد وزوج الزوج والفرد
فان لكل منها خواص مختصة به تضمنها هذا الفن وليست في غيره وهذا الفن اول اجزاء التعاليم واثبتها
ويدخل في براهين الحساب والحكام المتقدمين والمتأخرين فيه تاليف واكثرهم بدرجونه في التعاليم
ولا يقر دونه بالتاليف فعلم ذلك ابن سينا في كتاب الشفا والنجاح وغيره من المتقدمين واما المتأخرون
فهو عندهم مهجور اذ هو غير متداول ومنفعة في البراهين لافي الحساب فهو له ذلك بعد ان استخلصوا
زبدته في البراهين الحسابية كما فعله ابن البناء في كتاب رفع الحجاب والله سبحانه وتعالى اعلم
*(ومن فروع علم العدد صناعة الحساب) وهي صناعة عملية في حساب الاعداد بالضم والتفريق
فالضم يكون في الاعداد بالافراد وهو الجمع والتضعيف تضاعف عددا باحد عدد آخر وهذا هو
الضرب والتفريق أيضا يكون في الاعداد اما بالافراد مثل ازالة عدد من عدد ومعرفة الباقي وهو الطرح او
تفصيل عدد باجزاء متساوية تكون عدتها محصلة وهو القسمة وسواء كان هذا الضم والتفريق في الصحيح
من العدد أو الكسر ومعنى الكسر نسبة عدد الى عدد تلك النسبة تسمى كسرا وكذلك يكون بالضم
والتفريق في الجذور ومعناها العدد الذي يضرب في مثله فيكون منه العدد المربع فان تلك الجذور أيضا
يدخلها الضم والتفريق وهذه الصناعة حادثة احتيج اليها الحساب في المعاملات والنفاس فيها كثيرا

ومنهم للحماية ومنهم للكتابة ومنهم للجمال والفخر ومنهم للباهاء ولذكروهم من للدعاء والوقار ومنهم للعلم والفتيا وحفظ اساس
الملة فلا يكمل للملك ملك ما لم يجمع هذه الطبقات وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما مات كسرى بلغ موته رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال من استخلفوا قالوا ابنته بوران قال ان يبلغ قوم اسندوا امرهم الى امرأة وقال ابن عباس لما كانت فتنة الحرة قيل من استعمل

القوم قالوا عبد الله بن مطيع على قر يش وعبد الله بن حنظلة الراهب على الانصار قال امير ان هلك والله القوم وليس يشترط الا في الامامة
 العظمى دون سائر الولايات (ولما) استخضر هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن الحسين وكان من الخطباء قال له هشام بلغني انك تخطب
 الخلافة ولا تصلح لها لانك ابن امة (٢٨٨) قال زيد فقد كان اسمعيل بن ابراهيم بن امة واسحق بن حرة ومحرم رعايه السلام من

ولد اسمعيل ثم اتهمه في أمر
 فقال له زيد انا اختلف لك
 قال هشام ومن يصدقك
 قال زيد انه ليس احد
 فوق ان يأمر بتقوى الله
 ولا احد دون ان يؤمر
 بتقوى الله وقال بعض
 الخلقاء دلوني على رجل
 استعمله على امر قد اهتمني
 قالوا كيف ترى بده قال اذا
 كان في القوم وليس اميرهم
 كان كانه اميرهم واذا كان
 في القوم وهو اميرهم كان
 كانه رجل منهم قالوا ما
 نعلمه الا الربيع بن زياد
 الحارثي قال صدقتهم هو لها
 ويروي ان عمر بن عبد
 العزيز استشار في قوم
 يستعملهم فقال له بعض
 اصحابه عليك باهل العدل
 قال ومن هم قال الذين ان
 عدلوا فهو ومارجوت وان
 قصر واقل الناس اجتهد
 عمر (ولما قدم البريدين
 بشر بن مروان على عبد
 الملك بن مروان سألته عن
 بشر قال يا امير المؤمنين
 هو الشديد في غير عنف
 اللين في غير ضعف فقال
 عبد الملك ذلك الاعسر
 الاجود الذي كان يامن
 عنده البري ويخاف لديه
 السقيم ويعاقب على قدر

وتداولوها في الامصار بالتعليم للولدان ومن احسن التعليم عندهم الابداء بها الاتهام اعرف متفحمة
 وبرا هي من منظمة فينشأ عنهما في الغالب عقل مضي ودرب على الصواب وقد يقال من اخذ نفسه بتعليم
 الحساب اول امره انه يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المبادئ ومناقشة النفس فيصير ذلك خلقا
 ويطهروا الصدق ولازمه مذهبا ومن احسن التأليف المبسوطه فيهما له ذالعهده بالمغرب كتاب الحصار
 الصغير ولابن البناء المراكشي فيه تلخيص ضابط لقوانين اعماله مفيد ثم شرحه بكتاب سماه دفع الحجاب
 وهو مستغلق على المبتدئ بما فيه من البراهين الوثيقة المبادئ وهو كتاب جليل القدر ادر كذا المشيخة
 تعظمه وهو كتاب جدير بذلك وانما جاءه الاستعلاء من طريق البرهان ببيان علوم التعاليم لان مسائلها
 واعمالها واضحة كلها واذا قصد شرحها فاقدمها واعطاء العمال في تلك الاعمال وفي ذلك من العسر على الفهم
 ما لا يوجد في اعمال المسائل فتأمل والله يهدي بنوره من يشاء وهو القوي الامين (ومن فروعها الجبر
 والمقابلة) وهي صناعة يستخرج بها العدم والجوهول من قبل المعلوم المفروض اذا كان بينهما نسبة
 تقتضي ذلك فاصطلحوا فيها على ان جعلوا للمجهول مراتب من طريق التضعيف بالضرب اولها العدد
 لان به يتعين المطلوب المجهول باستخراج من نسبة المجهول اليه وثانيتها الشيء لان كل مجهول فهو من جهة
 ابهامه شيء وهو ايضا جذر لما يلزم من تضعيفه في المرتبة الثانية وثالثتها المال وهو امر مهم وما به ذلك
 فعلى نسبة الاس في المضروبين ثم يقع العمل المفروض في المسئلة فتخرج الى معادلة بين مختلفين او اكثر
 من هذه الاجناس فيقالون بعضها ببعض ويحبرون ما فيها من الكسر حتى يصير صحيحا ويحطون المراتب
 الى اقل الاسوس ان امكن حتى يصير الى الثلاثة التي عليها مدار الجبر عندهم وهي العدم والشيء والمال
 فان كانت المعادلة بين واحد واحدتين فالمسال والجذور يزول ابهامه بمعادلة العددين يتعين المال وان
 عادل الجذور يتعين عدتها وان كانت المعادلة بين واحد واثنين آخرجه العمل الهندسي من طريق تفصيل
 الضرب في الاثنين وهي مهمة فيعينها ذلك الضرب المقصود ولا يمكن المعادلة بين اثنين واثنين واكثر
 ما انتهت المعادلة بينهم الى ست مسائل لان المعادلة بين عدد وجذر ومال مفردة او مركبة تجيء ستة واول
 من كتب في هذا الفن ابو عبد الله الخوارزمي وبعده ابو كامل شجاع بن اسلم و جاء الناس على اثره فيه
 وكتبه في مسائله الست من احسن الكتب الموضوعه فيه وشرحه كثير من اهل الاندلس فاجادوا ومن
 احسن شروحاته كتاب القرشي وقد بلغنا ان بعض ائمة التعاليم من اهل المشرق انهى المعاملات الى اكثر
 من هذه الست اجناس وبلغها الى فوق العشرين واستخرج لها كلها الاعمال واتبعه ببرا هي هندسية
 والله يزيد في الخاق ما يشاء سبحانه وتعالى (ومن فروعها ايضا المعاملات) وهو تصرف الحساب في
 معاملات المدن في البياعات والمساحات والزكوات وسائر ما يعرض فيه العدم من المعاملات يصرف في
 ذلك صناعة الحساب في الجوهول والمعلوم والكسر والصحيح والجذور وغرها والغرض من تكثير
 المسائل المفروضة فيها حصول المراتب والدربة بتكرار العمل حتى ترسخ الملائكة في صناعة الحساب ولاهل
 الصناعة الحسابية من اهل الاندلس تأليف فيها متعددة من اشهرها معاملات الزهراوي وابن السمع
 وابي مسلم بن خالدون من تلميذ مسلمة المجرطلي وامثالهم (ومن فروعها ايضا الفرائض) وهي صناعة
 حسابية في صحيح السهام لذوى القروض في الوراثات اذ اتاه ددت وهلك بعض الوراثين وانكسرت

الذنب ويعرف موضع العقول الشديدي في غير ضعف اللين في غير ضعف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال
 الحكيم اعتبر الرجال بافعالهم لا بعظمت اجسامهم فان الذر مع عظمه لا يأكل الاميتا وطير الماء مع ضعفه يتحامي ميت السمك ويأكل الحي
 منها (وفي) حكم الهند السلطان الحازم ربما احب الرجل فاقصاه واطرحه مخافة ضره كالمسوع يقطع اصبعه لئلا ينتشر السم في جسمه

وربما بغض الرجل فأكره نفسه على توليته وتقر به اغنا ويحده عنده كسكاره المر على الدواء البش لنقعه الان للاسلام شر وطافلا
تستقيم هذه السيرة عليها الاترى ان على بن ابي طالب رضى الله عنه لما افضت الخلافة اليه كان معاوية والبا على الشام من قبل عمر ثم
عثمان فاشار في امره فقال له بعضهم اقره على امرته وارسل اليه بعهد فاذ ادخل (٢٨٩) في بيعتك فاعزله فقال له رجلك

الله انا امرني ان اطالب العدل
بالجور ثم عزله فكان
سبب عصيانه وهكذا
أشار واعليه فقالوا يا امير
المؤمنين لو فضلت هؤلاء
الاشراف ومن تتخوف
منهم وانما الناس اصحاب
دنيا حتى اذا استوثق الامر
عدت الى التسوية فقال
أنا مروني ان اطالب العدل
بالجور فبين وليت عليه
والله لو كان مالي لسويت
بينهم ولم افضل بعضهم
على بعض فكيف والمال
لهم واعطاء المال في غير
حقه تمذير وسرف وهو

سهاه على ورثته او زادت الفروض عند اجتماعها وتراجعها على المال كله او كان في الفريضة اقرار
وانكار من بعض الورثة فيحتاج في ذلك كله الى عمل يعين به سهام الفريضة من كتحص و سهام الورثة
من كل بطن مصححا حتى تكون حظوظ الوارثين من المال على نسبة سهامهم من جهة سهام الفريضة
فيدخلها من صناعة الحساب جزء كبير من صحيحه وكسره و جذره ومع لومه ومجهوله وترتيب على ترتيب
أبواب الفرائض الفقهية ومساائلها فاشتمل حينئذ هذه الصناعة على جزء من الفقه وهو احكام الوراثة من
الفروض والعول والاقرار والانكار والوصايا والتدبير وغير ذلك من مسائلها وعلى جزء من الحساب وهو
تحصيل السهمان باعتبار الحكم الفقهي وهي من أجل العلوم وقد يورد أهلها احاديث نبوية تشهد بفضائها
مثل الفرائض ثلث العلم وانها أول ما يرفع من العلوم وغير ذلك وعندى ان ظواهر تلك الاحاديث كلها
انما هي في الفرائض العينية كما تقدم لافرائض الوراثة فانها اقل من ان تكون في كتبها ثلث العلم وأما
الفرائض العينية فكثيرة وقد أضاف الناس في هذا الفن قديما وحديثا وأوجبوا من احسن التأليف فيه
على مذهب مالك رحمه الله كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي ابي القاسم الحوفي وكتاب ابن المنجر والحمدى
والصردى وغيرهم لكن الفضل للحوفي فكاتبه مقدم على جميعها وقد شرحه من شيوخنا ابو عبد الله
سليمان الشطبي كبير مشيخة فاس فوضح وأوجب ولامام الحرميين فيهما تأليف على مذهب الشافعي
تشهد بتاسع باعه في العلوم وروسخ قدمه وكذا الحنفية والحنابلة ومقامات الناس في العلوم مختلفة والله
يهدي من يشاء بينه وكرمه لارب سواه

(العلوم الهندسية)

هذا العلم هو النظر في المقادير اما المتصلة كالخط والسطح والجسم واما المنفصلة كالأعداد وفيما يعرض
لها من العوارض الذاتية مثل أن كل مثلث فزو اياه مثل قائمتين ومثل ان كل خطين متوازيين لا يلتقيان
في وجه ولو خرجا الى غير نهاية ومثل ان كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان
ومثل ان الاربعة مقادير المتناسبة ضرب الاول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع وأمثال ذلك
والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة كتاب أوقليدس ويسمى كتاب الاصول وكتاب الاركان
وهو أبسط ما وضع فيها للعلمين وأول ما ترجم من كتاب اليونانيين في الملة ايام ابي جعفر المنصور ونسخه
مختلفة باختلاف المترجمين فمنها الحنين بن اسحق ولثابت بن قرة ولبوسف بن الحجاج ويشتمل على خمس
عشرة مقالة اربعة في السطوح وواحدة في الاقدار المتناسبة وأخرى في نسب السطوح وبعضها الى بعض
وثلاث في العدد والعاشر في المنطقات والقوى على المنطقات ومعناه الجذور ونحوها في الجسيمات وقد
اختصره الناس اخذت ارات كثيرة كقوله ابن سينا في تواليه الشفاء أفرد له جزءا منها اختصه به وكذلك ابن
الصات في كتاب الاقتصاد وغيرهم وشرحه آخرون شروحا كثيرة وهو مبدأ العلوم الهندسية باطلاق
واعلم ان الهندسة تفيد صاحبها اضاءة في عقله واستقامة في فكره لان براهينها كلها بينة الانتظام جلية
الترتيب لا يكاد الغلط يدخل اقيسها الترتيبها وانتظامها فيبعد الفمكر بما راس تهاعن الخطا وينشأ
اصحابها عقل على ذلك المهيج وقد زعموا انه كان مكتوبا على باب افلاطون من لم يكن مهندسا فلا يدخل
منزلنا وكان شيوخنا رحمه الله يقولون ممارسة علم الهندسة للفكر بمثابة الصابون للثوب الذي يغسل منه

يرفع ذكر صاحبه في الدنيا
ويضعه عند الله في الآخرة
ولن يضع امرؤ ماله في غير
حقه وعند غير أهله الا حرمه
الله تعالى شكرهم ويصير
لغيره ودهم فان بقي معه
منهم من يظهر له الود والشكر
فذلك ملق وخدعة
لينال منه فان زلت به
النعل يوما ما فاحتاج الى
معونته ومكافاته ما سلف
من مبرته فشر خليل
والأم خدين واياك ايها
الوالي وحب المدح فان
من أحب المدح عدك من
مدح نفسه واذا علم ذلك

(٣٧ - ابن خلدون)

منك جعله الناس سلبا لقضاء حوائجهم منك فيمنئذ يكون قضاء الحوائج لنفسك لاهم
وقال النبي عليه السلام أحشوا في وجوه المداحين التراب وسمع المقداد رجل يمدح عثمان بن عفان فأخذ ذلكا من تراب فلقاه في وجهه
وسمع النبي عليه السلام رجل يمدح رجلا فقال قطعتم ظهر أخيك وسمعها ما فلعج به دها ووصف اعز ابي امير فقال كان اذا ولى لم

يطابق بين جفونه وأرسل العيون على عيونيه فهو غائب عنهم شاهدتهم فالحسن راجح والمسئء مخاطف وقال عبد الله بن الزبير يوما لا يبعدن ابن هندان كانت فيه مخارج ما نجد لها في أحد بعه أده أبدا والله ان كنا نعرفه وما لليث الحرب على برائته باجر آمنه فمتفارق لنا وان كنا نتخذعه وما ابن ليلة من الارض (٢٩٠) بأدهى منه والله لو ددت أنا متعنا به مادام في هذا حجر وأشار الى أبي قبيس لا يتخون له

عقل ولا ينقص له قوة
وقال الصنابحي كتب
عمر بن الخطاب الى أبي
عبيدة كتابا في مثل أذن
الغارة أما بعد فإنه لا يقيم
أمر الله في الناس الا حصف
العمدة بعيد الغرة لا يطلع
الناس منه على عورة ولا
يخفى في الحق على الجرة
ولا يخاف في الله لومة لائم
(وقال) مالك جاء رجل الى
عمر بن الخطاب رضي الله
عنه وسأله ان يكتب له
كتابا في أمر فقال اذهب الى
منزلة فاتني بدواة وقرطاس
فذهب فلم يجد فقال اطلب
عندهم شيئا فذهب فلم
يجد عندهم الا اذن فردود
فكتب له في تلك الاذن
(ولما) ولي المأمون يحيى
ابن أكرم قضاء البصرة
بعدان استمع من عقله وعلمه
وامتحنه بمسائل فوجده
فوق ما يريد فتلقاه وجوه
البصرة فرأوا شابا صبيا
مادة لم يتعلمه فتعجبوا
ونظر بعضهم الى بعض
يقولون الا كف ويعمزون
الحواجب فقال له بعضهم
كم سن القاضى أصلحه الله
قال مثل سن عتاب بن
أسيد لما ولاه النبي عليه

الاقدار وينقيه من الاوضار والادران وانما ذلك لما اشرفنا اليه من ترتيبه وانتظامه * (ومن فروع هذا الفن الهندسة المخصوصة بالشكال الكرية والمخروطات) * أما الاشكال الكرية ففهي كتابان من كتب اليونانيين لثاودوسوس ويوس وميلاوش في سطوحها وقطوعها وكتاب ثاودوسوس يوس مقدم في التعليم على كتاب ميلاوش لتوقف كثير من براهينه عليه ولا بد من مالم يريد الخوض في علم الهيئة لان براهينها متوقفة عليهم ما فالكلام في الهيئة كله كلام في الكرات السماوية وما يعرض فيها من القطوع والدوائر بأسباب الحركات كما نذكره فقد يتوقف على معرفة احكام الاشكال الكرية سطوحها وقطوعها وأما المخروطات فهو من فروع الهندسة أيضا وهو علم ينظر فيما يقع في الاجسام المخروطية من الاشكال والقطوع ويبرهن على ما يعرض لذلك من العوارض يبرهن هندسية متوقفة على التعليم الاول وفائدتها تظهر في الصنائع العملية التي موادها الاجسام مثل التجارة والبناء وكيف تصنع التماثيل الغريبة والهياكل النادرة وكيف يتحمل على جر الاثقال ونقل الهياكل بالهندام والمخال وامثال ذلك وقد أفرده بعض المؤلفين في هذا الفن كتابا في الحمل العملية يتضمن من الصناعات الغريبة والحيل المستظرفة كل عجيبة وربما استعلق على الفهوم لصعوبة براهينه الهندسية وهو موجود بأيدي الناس ينسبونه الى بنى شاكر والله تعالى اعلم * (ومن فروع الهندسة المساحة) * وهو فن يحتاج اليه في مسح الارض ومعناه استخراج مقدار الارض المعروفة بنسبة شبر وذراع او غيرهما ونسبة ارض من ارض اذا قويت بمثل ذلك ويحتاج الى ذلك في توظيف المزارع والقدن وبساتين الغراسه وفي قسمة الحوائط والاراضي بين الشركاء او الورثة وامثال ذلك وللناس فيها موضوعات حسنة وكثيرة والله الموفق للصواب بمنه وكرمه * (المنظور من فروع الهندسة) * وهو علم يتبين به اسباب الغلط في الادراك البصري بمعرفة كيفية وقوعها بناء على ان ادراك البصر يكون بمخروط شعاعي رأسه يقطعه الباصر وقاعدته المرئي ثم يقع الغلط كثيرا في رؤية القريب كبروا البعيدة غير او كذا رؤية الاشباح الصغيرة تحت الماء ورواء الاجسام الشفافة كبيرة ورؤية النقطة النازلة من المطر خطا مستقيما والساعة دائرة وامثال ذلك فيتبين في هذا العلم اسباب ذلك وكيفية براهينه الهندسية ويبين به أيضا اختلاف المنظر في القمر باختلاف العروض الذي يتبين علمه بمعرفة رؤية الالهة وحصول الكسوفات وكثير من امثال هذا وقد ألف في هذا الفن كثير من اليونانيين وأشهر من ألف فيه من المسلمين ابن الهيثم وغيره فيه ايضا تأليف وهو من هذه الرابضة وتغار بها

(علم الهيئة)

وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتغيرة ويستدل بكيفية تلك الحركات على اشكال وأوضاع للافلاك لزمت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية كما يبرهن على أن مركز الارض مابين مركز فللك الشمس بوجود حركة الاقبال والادبار وكما يستدل بالرجوع والاستقامة للكواكب على وجود افلاك صغيرة حاملة لها متحركة داخل فللكها الاعظم وكما يبرهن على وجود الفلك الثامن بحركة الكواكب الثابتة وكما يبرهن على تعدد الافلاك للكواكب الواحد بتعداد الممول له وامثال ذلك وادراك الموجود من الحركات وكيفية اجناسها وانما هو بالرصد فانما علمنا حركة الاقبال والادبار وكذا مركز الافلاك في طبقاتها وكذا الرجوع والاستقامة وامثال ذلك وكان اليونانيون

السلام مكة فها بوه لحدة جوابه وعرفوا فضله وكان لعناب بن أسيد احدى وعشرون سنة لما ولي مكة وكان يعنون
عمر يقول لا يصلح ان يلي أمور الناس الا حصيف العقل وافر العلم قليل الغرة بعيد الهمة شديد في غير عنف لين في غير ضعف جواد في غير سرف لا يخاف في الله لومة لائم وقال ايضا ينبغي ان يكون في الوالى من الشدة ما يكون ضرب الرقاب عنده في الحق كعقل عصفور ويكون

فيه من الرقة والحنو والرافة والرحمة ما يجوز عن قتل غصقوز بغير حق (ويروي) ان الرشيد بدأ حضر رجلا ليوليه القضاء فقال له اني
لا احسن القضاء ولا انا فقهه فقال له الرشيد فبك ثلاث خلال لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة ولك حلم يمنعك من العجلة ومن لم
يجعل قل خطوه وانت رجل تشاور في أمرك ومن شاور كثير صوابه وأما الفقه فضم (٢٩١) البك من تنقعه فولى فما وجد واقبه

مطعنا وقال اياس بن معاوية
استحضرني عمر بن ميمونة
فحضرت فساكنتي فسكت
فلما اطالت قال ايه قلت
سل عما بد لك قال اتقرا
القرآن قلت نعم قال فهل
تقرض الغرائض قلت نعم
قال فهل تعرف من أيام
العرب شيئا قلت أنا بها أعلم
قال فهل تعرف من أيام
الجمهم شيئا قلت أنا بها أعلم
قال اني أريد أن أستعين
بك قلت ان في ثلاثا لا أصلح
معهن للعمل قال ما هن
قلت انادميم كثرى وأنا
حديد وأنا عي قال أما
الدمامة فاني لا أريد ان
أحسن بك وأما العي فاني
أراك تعرب عن نفسك
وأما سوء الخلق فقومك
السوط فولاني وأعطاني
الف درهم فهو أول ماتم ولته
وقال سليمان بن داود
عليهما السلام ما لاقاة
لبوة سلبت أشبالها
باصعب من لقاء جاهل
راض عن نفسه
*(الباب الثالث والخمسون)
في بيان الشروط والعهود
التي تؤخذ على العمال)*
اعلم أرشدك الله ان يجب
أن يولي على الاعمال أهل

يعتنون بالرصد كثيرا ويتخذون له الآلات التي توضع ليرصد بها حركة الكوكب المعين وكانت تسمى
عندهم ذات الحلق وصناعة عملها والبراهين عليه في مطابقة حركتها بحركة الفلك منقول بأيدي الناس
وأما في الاسلام فلم تقع به عناية الا في القليل وكان في أيام المأمون شي منه وصنع الآلة المعروفة للرصد
المسميات ذات الحلق وشرع في ذلك فلم يتم ولمسات ذهب رسمه واغفل واعتمد من بعده على الارصاد
القديمة وليست بمعنوية لاختلاف الحركات با اتصال الاحقاب وان مطابقة حركة الآلة في الرصد بحركة
الافلاك والكواكب انما هو بالتقريب ولا يعطى التحقيق فاذا طال الزمان ظهرت تفاوت ذلك بالتقريب
وهذه الهيئة صناعة شريفة وليست على ما يفهم في المشهور وانها تعطي صورة السموات وترتيب الافلاك
والكواكب بالحقيقة بل انما تعطي ان هذه الصور والهيئات للافلاك لزمت عن هذه الحركات وانما
تعلم انه لا يعدان يكون الشيء الواحد لازما مختلفين وان قلنا ان الحركات لازمة فهو استدلال باللازم على
وجود المزموم ولا يعطى الحقيقة بوجهه على انه علم جليل وهو واحد اركان التعاليم ومن احسن التاليف فيه
كتاب المحسوطي منسوب لبطليموس وليس من ملوك اليونان الذين أسماؤهم بطليموس على ما حقه
شرح الكتاب وقد اختصره الأئمة من حكماء الاسلام كما فعله ابن سينا وأدرجه في تعاليم الشفاء وخصه ابن
رشدأ بضامن حكماء الاندلس وابن السمع وابن الصلت في كتاب الاقتصار لابن الفرغانى هيئة مخصصة
قربها وحذف براهين الهندسية والله علم الانسان ما لم يعلم سبحانه لا اله الا هو رب العالمين * (ومن فروعه
علم الازياج) * وهي صناعة حسابية على قوانين عديدة فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما
أدى اليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب
في أفلاكها الاى وقت فرض من قبل حساب حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة وهذه
الصناعة قوانين كالمقدمات والاصول لها في معرفة الشهور والايام والتواريخ الماضية وأصول متفرقة
من معرفة الأوج والحضيض والميول وأصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها في جداول
مرتبة تسهل على المتعلمين وتسمى الازياج ويسمى استخراج مواضع الكواكب للوقت المفروض لهذه
الصناعة تعديلا وتقويما وللناس فيه تاليف كثيرة للتقدمين والمتأخرين مثل البتاني (١) وابن السككاد
وقد عول المتأخرون لهذا العهد بالغرب على زيج منسوب لابن اسحق من منجمى تونس في أول المائة
السابعة ويزعمون أن ابن اسحق عول فيه على الرصد وأن يهوديا كان بصقلية ماهرا في الهيئة والتعالم
وكان قد عني بالرصد وكان يبعث اليه ما يقع في ذلك من أحوال الكواكب وحركاتها فكان أهل المغرب
لذلك عنوا به لوثاقفة مبناه على ما يزعمون وخصه ابن البتاني آخر سمى المنهاج فولع به الناس لما سهل من
الاعمال فيه وانما يحتاج الى مواضع الكواكب من الفلك لتبني عليها الاحكام النجومية وهو معرفة
الآثار التي تحدث عنها باوضاعها في عالم الانسان من الملب والدول والمواليد البشرية كما تبينه بعد توضيح
فيه ادلتهم ان شاء الله تعالى والله الموفق لما يحبه ويرضاه لا معبود سواه

(علم المنطق)

وهو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود والمعرفة للآليات والحجج المقيمة للتصديقات ودلائل ان
(١) قوله البتاني بفتح الموحدة وتشديد المثناة كما ضبطه ابن خلدون في ترجمته قبيل آخر الحمددين اه

الحزم والكفاية والصدق والامانة وتكون التولية للغناء لالهوى وملاك الولايات وأساسها ان لا يولي الاعمال طالب لها ولا رغب
فيها روى البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعى رجل فلما سلمنا عليه قال صاحبي يا رسول
الله استعملني فقال عليه السلام انما الاستعمل على عملنا من أرادته فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما عرفت الذي في نفسه (وقد روى)

عن برزخه وقد قيل له ما بال ملك آل ساسان صار امره الى ما صار اليه قال لانهم قلدوا كبار الاعمال صنعوا الرجال والله در عمرو بن
 العاصي حيث قال موت الف من العيلة اقل ضرر رامن ارتقاع واحد من السفلة وقال العلامة ابن ابيون غضب المأمون على بعض اصحابه
 غضبا شديدا ثم قال له لا املك الله (٢٩٢) او يبلغك دولة السفلى وقال رجل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لرجل قد آذاه

أدر كنت امرأة الصبيان
 وقال المستوفى عن الاكبر وكان
 قد عرف في الجاهلية ثمانمائة
 سنة
 وما سقطت يوما من الدهر
 أمة
 الى الذل الان يسود
 ذمها
 اذا ساد فمنا بعد ذلك لثمننا
 تصدى لنا ذل وقد اذيمها
 وما قادها للخير الا محرب
 علم باقبال الامور كرمها
 وما كل ذي اب يعاش
 بقضه
 ولكن لتدبير الامور
 حكيما
 واعلم ان معظم ما يدخل
 على الدول من الفساد من
 تقليد الاعمال اهل
 الحرص عليهم لانه لا يخطبها
 الا نص في ثوب ناسك
 وذئب في مسلاخ عابد
 جريص على جمع الدنيا
 نابذ ليدنه وحروده دليل
 على الخيانة يتخذون عباد
 الله حولا واهلهم دولا واذا
 اهتضمت حقوق المسلمين
 واكثرت اهلهم فسدت
 نياتهم وقلت طاعتهم
 فانتقضت الامور ودب
 الفساد الى الممالك وقد
 ذكرنا في اول الكتاب

الاصل في الادراك انما هو المحسوسات بالحواس الخمس وجميع الحيوانات مشتركة في هذا الادراك من
 الناطق وغيره وانما يتميز الانسان عن ابا دراك الكليات وهي مجردة من المحسوسات وذلك بان يحصل في
 الخيال من الاشخاص المتفقة صورة منطبقة على جميع تلك الاشخاص المحسوسة وهي الكلي ثم ينظر
 الذهن بين تلك الاشخاص المتفقة واشخاص اخرى توافقه في بعض فيحصل له صورة تنطبق ايضا عليها
 باعتبار ما اتفق عليه ولا يزال يرتقى في التجريد الى الكل الذي لا يوجد كليا آخر معه يوافقه فيكون لاجل ذلك
 بساطا وهذا مثل ما يجرد من اشخاص الانسان صورة النوع المنطبقة عليها ثم ينظر بينه وبين الحيوان
 ويجرد صورة الجنس المنطبقة عليها ثم بينهما وبين النباتات الى ان يتهدى الى الجنس العالي وهو الجوهر
 فلا يجد كليا يوافقه في شئ فيقف العقل هناك عن التجريد ثم ان الانسان لما خلق الله له الفكر الذي
 به يدرك العلوم والصنائع وكان العلم اما تصورا للماهيات ويعني به ادراك ساذج من غير حكم معه واما
 تصديقا اي حكمها بثبوت امر لا مرفصا رسي الفكر في تحصيل المطالبات اما بان تجمع تلك الكليات بعضها
 الى بعض على جهة التاليف فتحصل صورة في الذهن كقصة منطبقة على افراد في الخارج فتكون تلك
 الصورة الذهنية مقيدة لمعرفة ماهية تلك الاشخاص واما بان يحكم بامر على امر فيثبت له ويكون ذلك
 تصديقا وغايته في الحقيقة راجعة الى التصور لان فائدة ذلك اذا حصل انما هي معرفة حقائق الاشياء
 التي هي مقتضى العلم وهذا السعي من الفكر قد يكون بطريق صحيح وقد يكون بطريق فاسد فافتضى
 ذلك تمييز الطريق الذي يسعي به الفكر في تحصيل المطالب العلمية ليميز فيها الصحيح من الفاسد فكان ذلك
 قانون المنطق وتكلم فيه المتقدمون اول ما تكلموا به بجلال ومقترقا ولم تهذب طرقه ولم تجمع مسائله
 حتى ظهر في يونان ارسطو فهذب مباحثه ورتب مسائله وفضوله وجهله اول العلوم الحكمية وافتحتها
 ولذلك يسمى بالمعلم الاول وكتابه المخصوص بالمنطق يسمى النص وهو يشتمل على ثمانية كتب اربعة
 منها في صورة القياس واربعة في مادته وذلك ان المطالب التصديقية على التحاء فنهما ما يكون المطلوب فيه
 اليقين بطبعه ومنها ما يكون المطلوب فيه الظن وهو على مراتب فينظر في القياس من حيث المطلوب الذي
 يقبده وما ينبغي ان تكون مقدماته بذلك الاعتبار ومن اي جنس يكون من العلم او من الظن وقد ينظر
 في القياس لابعبار مطلوب مخصوص بل من جهة انتاجه خاصة ويقال للنظر الاول انه من حيث المادة
 ونعني به المادة المنتجة للمطلوب المخصوص من يقين او ظن ويقال للنظر الثاني انه من حيث الصورة وانتاج
 القياس على الاطلاق فكانت لذلك كتب المنطق ثمانية الاول في الاجناس العالية التي ينتهي اليها
 تجريد المحسوسات وهي التي ليس فوقها جنس ويسمى كتاب المقولات والثاني في القضايا التصديقية
 واصنافها ويسمى كتاب العبارة والثالث في القياس وصورة انتاجه على الاطلاق ويسمى كتاب القياس
 وهذا آخر النظر من حيث الصورة ثم الراجع كتاب البرهان وهو النظر في القياس المنتج لليقين وكيف
 يجب ان تكون مقدماته يقينية ويختص بشروط اخرى لافادة اليقين من كونه في مثل كونها ذاتية
 واولية وغير ذلك وفي هذا الكتاب الكلام في المعارف والحدود اذا المطلوب فيها انما هو اليقين لوجوب
 المطابقة بين الحد والمحد ولا يحتمل غيرهما فلذلك اختصت عند المتقدمين بهذا الكتاب والخامس كتاب
 الجدول وهو القياس المفيد قطع المشاغب والحغام الخصم وما يجب ان يستعمل فيه من المشهورات ويختص

الا تارفي كراهية الولايات (وقال المأمون) ما فتق على قط فتق في مملكتي الا وجدت سببه جور العمال
 (فان قيل) فامعنى قول يوسف عليه السلام للملك اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ علم (قلنا) يوسف كان نبيا من انبياء الله تعالى وانما
 من نفسه بالكفاية والامانة بين يدي من لا يتحقق بواطن امره ولا يعلم خصائصه وفضائله ويرى الامور والاعمال والولايات في

أيدي من ليسوا أهلها ويجوز مثل هذا اليوم من حصل بين يدي جبار لا يعلم منزلته ولا ما عنده من الخصال والقضائل أن يذ كر بعض ما يعلم من نفسه ليعلم قدره فيسلم بذلك من شره وعن هذا قال بعض أصحاب الشافعي إذا كان القضاء في يده من لا يصلح له وجب أن يخطبه من يصلح له وكان ذلك فرضا عليه وفقهاء الامصار على خلاف هذا الرأي (٢٩٣) ويحتمل ان يكون يوسف عليه السلام قد أوحى اليه بما يصير

أمره الله من الملك والعدل ونشر كلمة الاسلام فلهذا نبه على نفسه ومن عجيب ما يروى في هذا الباب ان لقمان الحكيم كان عبدا أسود حبشا غليظ الشفتين مصفح القدمين لامرأة من بني الحنظلي وكان جلسا لداود عليه السلام فأثابه جبريل عليه السلام بالنبوة من عند الله الذي يصطفى انبؤته من يشاء فقال لقمان يا جبريل ان أمرني ربى فسمع وطاعة وان خيرني اخترت الحكمة فرضى الله تعالى قوله فأعطاه الحكمة وصرف عنه الرسالة الى داود عليه السلام فكان داود يقول طوبى لك يا لقمان أوتيت الحكمة وأوتى داود البلية وروى أنه جالس داود عليه السلام وداود يعمل الدرع فأقام حولا يصير صنعة الدرع ولا يعلم ما يصلح له ولا يسأل عن ذلك فلما تم حول لبس داود الدرع وقال درع حصنة ليوم حرب فقال لقمان الصمت حكمة وقليل فاعله وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا بعث عاملا اشترط عليه أن لا يركب البراذين ولا يلبس الرقيق ولا يأكل كل النقي ولا يتخذ حجابا ولا يعلق بابا عن حوائج الناس وما يصلحهم ويقول له اني لا استعملك على إظهارهم ولا اعراضهم ولا اعمالهم وانما استعملك لتصلى بهم وتقتضي بينهم بالعدل (وروى) عبيدة بن رفاع قال بلغ عمر بن الخطاب أن سعد بن ابى وقاص اتخذ قصر اوجع ل عليه بابا وقال انقطع الصوت فأرسل عمر محمد بن

أيضا من جهة افادته لهذا الغرض بشروط اخرى من حيث افادته لهذا الغرض وهي مذ كورة هناك وفي هذا الكتاب يذ كر المواضع التي يستنبط منها صاحب القياس قياسه وفيه عكوس القضايا والسادس كتاب السقطة وهو القياس الذي يفيد خلاف الحق ويغالط به المناظر صاحبه وهو فاسد وهذا انما كتب لي عرف به القياس المغالط فيحذر منه * والسابع كتاب الخطابة وهو القياس المقيس لترغيب الجمهور وجهاهم على المراد منهم وما يجب ان يستعمل في ذلك من المقالات * والثامن كتاب الشعر وهو القياس الذي يفيد التمثيل والتشبيه خاصة للاقبال على الشيء أو النفرة عنه وما يجب أن يستعمل فيه من القضايا التخييلية هذه هي كتب المنطق الثمانية عند المتقدمين ثم ان حكماء اليونانيين بعد ان تهذبت الصناعة ورتبت رأوا انه لا بد من الكلام في الكلمات الخمس المقيسة للتصور فاستدركوا فيها مقالة تختص بها مقدمة بين يدي الفن فصارت تسع اوت رجعت كلها في الملة الاسلامية وكتبها اوتدوا لها فلاسفة الاسلام بالشرح والتلخيص كما فعله القاراني وابن سينا ثم ابن رشد من فلاسفة الاندلس ولا ابن سينا كتاب الشفاء استوعب فيه علوم الفلسفة السبعة كلها ثم جاء المتأخرون بغير واصطلاح المنطق والحكمة وابتدوا في الكلمات الخمس ثمرة وهي الكلام في الحدود والرسوم نقلها من كتاب البرهان وحدقوا كتاب المقولات لان نظر المنطقي فيه بالعرض لا بالذات والمحتمل في كتاب العبارة الكلام في العكس لانه من توابع الكلام في القضايا ببعض الوجوه ثم تكلموا في اقياس من حيث انتاجه للطلاب على العموم لا بحسب مادة وحدقوا النظر فيه بحسب المادة وهي الكتب الخمسة البرهان والجدل والخطابة والشعر والسقطة وورما يلج بعضهم باليسير منها الماسما وأغفلوها كان لم تكن وهي المهتم المعتمد في الفن ثم تكلموا في ما وضعوه من ذلك كلاما مستبحرا ونظروا فيه من حيث انه فن براسه لانه من حيث انه آلة للعلوم فطال الكلام فيه واتسع وأول من فعل ذلك الامام فخر الدين بن الخطيب ومن بعده افضل الدين الخويني وعلى كتبه معتمد المشاركة لهذا العهد وله في هذه الصناعة كتاب كشف الاسرار وهو طويل واختصر فيها مختصر الموجز وهو حسن في التعليم ثم مختصر الجمل في قدر أربعة اوراق اخذ بمجامع الفن وأصوله فتداوله المتعلمون لهذا العهد فينتفعون به وهجرت كتب المتقدمين وطرقهم كان لم تكن وهي مئة من ثمره المنطق وفائدته كما قلناه والله الهادي للصواب

وهو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون فينظر في الاجسام السماوية والعنصرية وما يتولد عنها من حيوان وانسان ونبات ومعادن وما يتكون في الارض من العيون والزلازل وفي الجيوم السحاب والبخار والعدو والبرق والصواعق وغير ذلك وفي مبدأ الحركة للاجسام وهو النفس على تنوعها في الانسان والحيوان والنبات وكتب ارسطو فيه موجوده بين أيدي الناس ترجمت مع ما ترجم من علوم الفلسفة أيام المأمون وألف الناس على حذوها وواعب من ألف في ذلك ابن سينا في كتاب الشفاء جمع فيه العلوم السبعة للفلاسفة كما قدمنا ثم خصه في كتاب النجاة وفي كتاب الاشارات وكانه يخالف ارسطو في الكثير من مسائلها ويقول برأيه فيها او اما ابن رشد فلخص كتب ارسطو وشرحها متبعه له غير مخالف وألف الناس في ذلك كثير لكن هذه هي المشهوره لهذا العهد والمعتبرة في الصناعة ولاهل المشرق عناية

رضي الله عنه اذا بعث عاملا اشترط عليه أن لا يركب البراذين ولا يلبس الرقيق ولا يأكل كل النقي ولا يتخذ حجابا ولا يعلق بابا عن حوائج الناس وما يصلحهم ويقول له اني لا استعملك على إظهارهم ولا اعراضهم ولا اعمالهم وانما استعملك لتصلى بهم وتقتضي بينهم بالعدل (وروى) عبيدة بن رفاع قال بلغ عمر بن الخطاب أن سعد بن ابى وقاص اتخذ قصر اوجع ل عليه بابا وقال انقطع الصوت فأرسل عمر محمد بن

مسلمة وكان عمر اذا أحب ان يؤتى بالامر كما هو عليه بعنه فقال له اثبت سعدا فاحرق عليه ما يبه فقدم الكوفة فلما أتى الباب أخرج زنده
 واستورى ناراً ثم أحرق الباب فأتى سعد الخبير ووصف له بصفته فعرفه فخرج اليه سعد فقال له محمد انه قد بلغ أمير المؤمنين انك قلت
 انقطع الصوت فخاف سعد بالله (٢٩٤) ما قال ذلك فقال له محمد تفعل الذي أمرنا له وتؤدى عنك ما تقول ثم ركب راحلته

فلما كان بين البرية
 أصابه من الحمص والجوع
 ما لله به أعلم فأبصر غنما
 فأرسل غلامه بعمامته
 فقال اذهب فابتع منهم شاة
 فجاء الغلام بالشاة وهو
 يصلي فاراد ذبحها فإشار
 إليه ان كف فلما قضى
 صلاته قال انظر فان كانت
 مملوكة فاسمها فارد الشاة
 وخذ العمامة وان كانت
 حرة فاذبح الشاة فذهب
 فاذا هي مملوكة فرد الشاة
 وأخذ العمامة فاخذ بخظام
 ناقته فجعل لا يمر ببقلة
 الا خطتها حتى آواه الليل
 الى قوم فأتوه بخبز وابن
 وقالوا كان عندنا شئ
 غير هذا اتيناك به فقال
 بسم الله كل حلال أذهب
 السعيب خير من ما كل
 السوء حتى قدم المدينة
 فنزل بأهله فابتر من المساء
 ثم راح فلما أبصره عمر رضي
 الله عنه قال له لولا حسن
 الظن بك ماراً بنا انك
 أديت وذكروا أنه أسرع
 السير فقال قد فعلت وهو
 يعتذرو ويحلف بالله ما قال
 فقال عمر هل أمر لك بشئ قال
 ماراً يت مكاناً ان تأمر لي
 فقال عمران ارض العراق

بكتاب الاشارات لابن سينا وللإمام ابن الخطيب عليه شرح حسن وكذا الآمدى وشرحها ايضا نصير
 الدين الطوسي المعروف بنحواجه من أهل المشرق وبحث مع الامام في كثير من مسائله فأوفى على انظاره
 وبحبوته وفوق كل ذي علم عليم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

١٩ * (علم الطب) *

ومن فروع الطبيعيات صناعة الطب وهي صناعة تنظر في بدن الانسان من حيث يمرض ويصح فيحاول
 صاحبها حفظ الصحة وبر المرض بالادوية والاغذية بعد ان يثبث المرض الذي يخص كل عضو من اعضاء
 البدن وأسباب تلك الامراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الادوية مستدلين على ذلك بالخبرة الادوية
 وقواها وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله الدواء اولاً في السحجية والفضلات والتبض بمخاذين
 لذلك قوة الطبيعة فانها المدبرة في حالي الصحة والمرض وانما الطبيب يحاذيها ويعينها بعض الشيء بحسب
 ما تقتضيه طبيعة المادة والفصل والسن ويسمى العلم الجامع لهذا كله علم الطب ويرى ما افردوا بعض
 الاعضاء بالكلام وجعلوا علماء خاصا كالعين وعلاها وأكحالها وكذلك الحمة وبالغن من منافع الاعضاء
 ومعناها المنفعة التي لاجلها خلق كل عضو من اعضاء البدن الحيواني وان لم يكن ذلك من موضوع علم
 الطب الا أنهم جمعوا له من لواحقه وتوابعه وامام هذه الصناعة التي ترجمت كتبه فيها من الاقدمين
 جالينوس يقال انه كان معاصراً لعيسى عليه السلام ويقال انه مات بصقلية في سبيل تغلب ومطواعة
 اغتراب وتآليفه فيها هي الامهات التي اقتدى بها جميع اطباء بعده وكان في الاسلام في هذه الصناعة
 ائمة جاؤا من وراء الغاية مثل الرازي والمجوسى وابن سينا ومن اهل الاندلس ايضا كثير وأشهرهم ابن
 زهر وهو له هذا العهد في المدن الاسلامية كانها تقتصت لوقوف العمران وتناقصه وهي من الصنائع التي
 لا تستدعيها الا الحضارة والترقى كما تبينه بعد

(فصل) وللبادية من أهل العلم من ان طب يبنونه في غالب الامر على تحريه قاصرة على بعض الاشخاص
 متوارثا عن مشايخ الحمى وبخائر زور بما يصح منه البعض الا انه ليس على قانون طبيعى ولا على موافقة
 المزاج وكان عند العرب من هذا الطب كثير وكان فيهم أطباء معروفون كالمحرث بن كلدة وغيره والطب
 المنقول في الشرعيات من هذا القبيل وليس من الوحي في شئ وانما هو امر كان عاديا للعرب ووقع في ذكر
 احوال النبي صلى الله عليه وسلم لم من نوع ذكر احواله التي هي عادة وجبلة لا من جهة ان ذلك مشروع
 على ذلك التحوم العمل فانه صلى الله عليه وسلم لم انما بعث ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب ولا
 غيره من العادات وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال انتم اعلم بما ورد نياكم فلا ينبغي ان يحتمل
 شئ من الطب الذي وقع في الاحاديث الصحيحة المنقولة على انه مشروع فليس هناك ما يدل عليه اللهم
 الا اذا استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الايماني فيكون له اثر عظيم في النفع وليس ذلك في الطب
 المزاجي وانما هو من آثار الكرامة الايمانية كما وقع في مداواة المبطلون بالعسل والله الهادي الى
 الصواب لا رب سواه

٢٠ * (الفلاحة) *

هذه الصناعة من فروع الطبيعيات وهي النظر في النبات من حيث تنميتها وتشتتة بالاسقى والاهلاج

ارض رقيقة وان أهل المدينة يموتون حولى من الجوع فخشيت أن أمر لك بشئ يكون لك بارده ولى الحار
 وروى زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل مولى له يدعى هنياعا على الحمى فقال يا هنياع اضمم جناحك عن المسلمين واتق
 دعوة المظلوم فان دعوة المظلوم مستجابة وأدخل رب الصريمة والغنيمة ما يالك ونعم ابن عوف ونعم ابن عقان فانهم ما ان تهلك ماشيتهما

وتعهد

يرجعان الى زرع ونخل وان رب الصرمية والغنيمية ان تهلك ماشيتهما يا تبني بسننه فيقول يا امير المؤمنين افتاركمهم انالابالك فالماه
والسكلاء ايسر على من الذهب والورق وايم الله انهم ليرون اني قد ظلمتهم انهار التلاذهم قاتلوا عليهم في الجاهلية واسلموا عليهم في الاسلام
والذي نفسي بيده لولا المسال الذي اُجمل عليه في سبيل الله ما حيت عليهم من بلادهم شيئا (٢٩٥) (ومر) يوم اييناه بيني بحجارة ووجص
فقال ان هذا قد كرهه

وتعهده بمثل ذلك وكان للمتقدمين بها عناية كثيرة وكان النظر فيها عندهم عام في النبات من جهة غرسه
وتنميته ومن جهة خواصه وروحانيته ومشاكلاتها وروحيات الكواكب والهياكل المستعمل ذلك كله
في باب البحر فخطمت عنياتهم به لاجل ذلك وترجم من كتب اليونانيين كتاب الفلاحة النبطية
منسوبة لعلماء النبط مشتملة من ذلك على علم كبير ولما نظر اهل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب
وكان باب البحر سدودا والنظريه محظورا فاقصر وامنه على الكلام في النبات من جهة غرسه وعلاجه
وما يعرض له في ذلك وحذفوا الكلام في الفن الاخر منه جملة واخصر ابن العوام كتاب القلاحة النبطية
على هذا المنهاج وبقي الفن الاخر منه معقلنا نقل منه مسلمة في كتبه البحرية امهات من مسائله كما نذكره
عند الكلام على السحر ان شاء الله تعالى وكتب المتأخرين في الفلاحة كثيرة ولا يعدون فيها الكلام في
القراس والعلاج وحفظ النبات من حوائجهم وعوائقهم وما يعرض في ذلك كله وهي موجودة

٢١ * (علم الالهيات) *

وهو علم ينظر في الوجود المطلق فأولا في الامور العامة للجسم مانيات والروحانيات من المساهبات والوحدة
والآثار والوجوب والامكان وغير ذلك ثم ينظر في مبادئ الموجودات وانهار وروحيات ثم في كيفية صدور
الموجودات عنها ومرتباتها ثم في احوال النفس بعد مفارقة الاجسام وعودها الى المبدأ وهو عنددهم علم
شريف يزعمون انه يوفقهم على معرفة الوجود على ما هو عليه وان ذلك عين السعادة في زعمهم وسيأتي الرد
عليهم وهو قال للطبيعيات في ترتيبهم ولذلك يسونه علم ما وراء الطبيعة وكتب المعلم الاول فيه موجودة بين
أيدي الناس ولخصه ابن سينا في كتاب الشفاء والنجاء وكذلك لخصها ابن رشد من حكام الاندلس ولما
وضع المتأخرون في علوم القوم ودونوا فيها ورد عليهم الغزالي ما رد منها ثم خلط المتأخرون من المتكلمين
مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة لعروضها في مباحثهم وتشابه موضوع علم الكلام بموضوع الالهيات
ومسائلهم بمسائلها فصارت كنهان غير وترتيب الحكماء في مسائل الطبيعيات والالهيات وخطوطها
فنا واحدا قدموا الكلام في الامور العامة ثم اتبعوه بالجوهرانيات وتوابعها ثم بالروحانيات وتوابعها الى آخر
العلم كما فعله الامام ابن الخطيب في المباحث المشرقية وجميع من بعده من علماء الكلام وصار علم الكلام
مختلطا بمسائل الحكمة وكتبه محشوة بها كان الغرض من موضوعها ومسائلها ما واحد وانس ذلك على
الناس وهو غير صواب لان مسائل علم الكلام انما هي عقائد متلقاة من الشريعة كما نقلها السلف من غير
رجوع فيها الى العقل ولا تعويل عليه معني انها لا تثبت الا به فان العقل مع زول عن الشرع وانظار وما
تحدث فيه المتكلمون من اقامة الحجج فليس يجتمع الحق فيها فالتعليل بالدليل بعد ان لم يكن معلوما هو
شأن الفلسفة بل انما هو التماس حجة عقلية تعضد عقائد الايمان ومذاهب السلف فيها وتدفع شبه اهل
البدع عنها الذين زعموا ان مداركهم فيها عقلية وذلك بعد ان تفرض صحيحة بالادلة النقلية كما نقلها السلف
واعتقدوها وكثير ما بين المقامين وذلك ان مدارك صاحب الشريعة اوسع لاتساع نطاقها عن مدارك
الانظار العقلية فهي فوقها ومحطة بالاستمدادها من الانوار الالهية فلا تدخل تحت قانون النظر الضعيف
والمدارك الخاطئة فاذا هادانا الشارع الى مدارك فينبغي ان تقدمه على مداركنا ونثق به دونها ولا ننظر في
تصحيحه بمدارك العقل ولو عارضه بل نعلم ما عرنا به اعتقادا وعلمنا ونسكت عمالم نفهم من ذلك ونفوضه

الله عنه ما يمنعك ان تفشي العمل في الافضل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال هم اجل من ان ادنسهم بالعمل وقال ابراهيم
لنعي كان عمرا اذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسأروهم وعن يعرف من أهل البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف وهل يعود
الريض فان قالوا نعم حمد الله تعالى وان قالوا لا كتب اليه ان اقبل ومثل السلطان اذا ولي العمال الظالمين مثل من يسترعي غنمه الذئب

ومثل من يربط الكلب العقور بيا به وان العامة لتشتتم الحجاج بن يوسف والخاصة بعلوم عبد الملك بن مروان لانه استتره الرعية وقد قيل
ومن يربط الكلب العقور بيا به * فعقر جميع الناس من رباط الكلب وكان العلامة بن ايوب لما ولي فارس من قبل المأمون
يكتب عهد العمال فيقرؤه (٢٩٦) على من يحضره من أهل ذلك العمل ويقول انتم عبوني عليه فاستوفوه منه ومن تظلم الى منه

الى الشارع ونعزل العقل عنه والمتكلمون انفساد عامهم الى ذلك كلام اهل الاتحاد في معارضات العقائد
السلفية بالبدع النظرية فاحتاجوا الى الرد عليهم من جنس معارضاتهم واستدعي ذلك الحجج النظرية
ومحاذاة العقائد السلفية بها واما النظر في مسائل الطبيعيات والالهيات بالتصحيح والبطلان فليس من
موضوع علم الكلام ولا من جنس انظار المتكلمين فاعلم ذلك لتيز به بين الفئتين فانهم ما يختلطان عند
المتأخرين في الوضع والتأليف والحق مقابلة كل منهما صاحبه بالموضوع والمسائل وانما جاء الالتباس
من اتحاد المطالب عند الاستدلال وصار احتياج اهل الكلام كانه انشاء لطلب الاعتداد بالدليل وليس
كذلك بل انما هو رد على المدعي والمطلوب مقرر وض الصدق معلومه وكذا جاء المتأخرون من غلاة
المتصوفة المتكلمين بالمواد ايضا فخلطوا مسائل الفئتين به فموجعوا الكلام واحدا فيها كلها مثل
كلامهم في النبوت والاتحاد والحلول والوحدة وغير ذلك والمدارك في هذه الفنون الثلاثة متغايرة مختلفة
وأبعدها من جنس الفنون والعلوم مدارك المتصوفة لانهم يدعون فيها الوجدان ويفرون عن الدليل
والوجدان بعيد عن المدارك العلمية وباحتوائها وتوابعها كما بيناه ونبينه والله يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم والله اعلم بالصواب

٢٢ * (٤- علوم السحر والطلسمات) *

هو علم بكيفية استعدادات تقدر النفوس البشرية بهما على التأثيرات في عالم العناصر ما بغير معين او معين
من الامور السماوية والاول هو السحر والثاني هو الطلسمات ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند
الشرائع لما فيها من الضرر وما يشترط فيها من الوجهة الى غير الله من كوكب او غيره كانت كتبها
كالهقود بين الناس الاما وجد في كتب الامم الاقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام مثل النبط
والكلدانين فان جميع من تقدمه من الانبياء لم يشعروا بالشرائح ولا جاؤا بالاحكام انما كانت كتبهم
مواعظ وتوحيد لله ونذير بالجنة والنار وكانت هذه العلوم في اهل بابل من السريانيين والكلدانين
وفي اهل مصر من القبط وغيرهم وكان لهم فيها التاليف والاشعار ولم يترجم لنا من كتبهم فيها الا القليل
مثل الفلاحة النبطية من اوضاع اهل بابل فاخذ الناس منها هذا العلم وتغنوا فيه ووضعوا به ذلك
الايضاح مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندى في صور الدرج والكواكب وغيرهم
ثم ظهر بالشرق جابر بن حيان كبير السحرة في هذه المهلة فتصنع كتب القوم واستخرج الصناعات وغاص
على زبدتها واستخرجها ووضع فيها غيرهما من التاليف واكثر الكلام فيها وفي صناعة السيمياء لانها من
توابعها لان احالة الاجسام النوعية من صورة الى اخرى انما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العمالية فهو
من قبيل السحر كما نذكره في موضعه * ثم جاء مسلمة بن احمد المجرى بطى امام اهل الاندلس في العالمين
والسحريات فخلص جميع تلك الكتب وهذبها وجمع طرقها في كتابه الذى سماه غاية الحكيم ولم يكتب
احد في هذا العلم بعده ولقد قدمه من اقدمه يثبت بها حقيقة السحر وذلك ان النفوس البشرية وان كانت
واحدة بالنوع فهى مختلفة بالخواص وهى اصناف كل صنف مختص بخاصية واحدة بالنوع لا توجد في
الصنف الاخر وصارت تلك الخواص فطرة وجبلة لاصنفها فنفس الانبياء عليهم الصلاة والسلام لها
خاصية تستعدها لمعرفة الربانية ومخاطبة الملائكة عليهم السلام عن الله سبحانه وتعالى كما مر وما ينبغ

فعل انصافه ونقمة جانيا
وراجعوا يا امر العمال ان
يقروا عهد على اهل
عمله في كل جمعة ويقول
لهم هل استوفيت
(الباب الرابع والخمسون
في هدايا العمال والرشا
على الشفاعات) *
روى ابو داود في السنن
ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من شفيع لاخيه
شفاعة فاهدى له هدية
عليها فقبلها فقد اتى بابا
عظيما من ابواب الربا والسر
فيه انك اذا قدرت على
قضاء حاجة من عند
السلطان الظالم او السيد
القاهره صار ذلك واجبا
عليك وروى البخارى
في صحيحه ان النبي صلى الله
عليه وسلم استعمل رجلا
يقال له ابن الانبية فلما
جاء قال يا رسول الله هذا
لكم وهذا الى قال فغضب
النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ما بال الرجل نستعمله
على عمل من اعمالنا فيقول
هذا لكم وهذا الى افلا
قعدت في بيت ابيه وامه
فمنظر هل يهدى له قال
مالك وكان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يشاطر

العمال في اخذ نصف اموالهم وشاطر ابا هريرة وقال له من اين لك هذا المال فقال ابو
هريرة دواب تناجحت وتجارا تداوات فقال اد الشطر وانما شاطرهم حين ظهرت لهم اموال بعد الولاية لم تكن تعرف لهم * وروى
مالك عن ابن عمر انه اشترى هو ووعيد الله اخوه ابلا فبعثها الى ابيهم فبعت فقال عمر رعية ما في ابي فشاطرهما وشاطر سعد بن ابي

وقاص حين قدم من الكوفة كأنه رأى أن ما أصاب العامل من غير رشوة وإن كان حلالاً فلا يستحق ذلك لأن له بالامرة قوة على أن ينال من الحلال ما لا يناله غيره فعمله كالمضارب للمسلمين ولما دفع أبو موسى الأشعري ما لا من يدت المال لعبد الله وعبيد الله ابني عمر بن الخطاب بالبصرة اشترى ما منه بضاعة فربحت بالمدينة فإذ عمران يأخذ جميع الربح فراجعهم (٢٩٧) عبد الله فحك بهم بنصف الربح

فاخذ جميع انصف الربح
 واخذ عمر النصف لبيت
 المال (وكتب) عمر بن
 عبد العزيز الى عماله ابا عبد
 فانما هلك من كان قبلكم
 بمنعهم الحق حتى يشتري
 وبسطهم الباطل حتى
 يقتدى الملك بالدين
 يقوى والدين بالمالك يبقى
 (وكان) عمر بن الخطاب
 رضى الله عنه يأمر اذا قدم
 عليه العمال ان يدخلوا
 نهرا ولا يدخلوا البلاكى لا
 يحتجبوا شيئا من الاموال
 وقال عتاب بن أسيد والله ما
 اصبحت في عملي الذي ولاني
 النبي صلى الله عليه وسلم
 الاثويين مع عقدين
 كسوتهم مامولاي كيسان
 وروى ان عليا رضى الله
 عنه استعمل ابا مسعود
 الانصارى على السواد
 فرجع الى داره وقد
 امتلأت فقال ما هؤلاء قالوا
 كذلك يصنعون بالرجل
 اذا استعمل قال كل هؤلاء
 يريدون ان يأكلوا في
 امانتي ويروى في امارتي
 فرجع الى علي وقال لا
 حاجة لي في العمل وقد ذكرنا
 ان النبي صلى الله عليه وسلم
 دعا عبد الرحمن بن سمرة
 ليستعمله فقال يا رسول الله

ذلك من التأثير في الاكوان واستجلاب روحانية الكواكب للتصرف فيها والتأثير بقوة نفسانية او
 شيطانية فاما تأثير الانبياء في دلهي وخاصة ربانية ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع على المغيبات
 بقوى شيطانية وهكذا كل صنف مختص بخاصية لا توجد في الاخر والنفوس الساحرة على مراتب ثلاثة
 ياتي شرحها فاولها المؤثرة بالهمة فقط من غير آله ولا معين وهذا هو الذي تسميه الفلاسفة السحر والثاني
 بعين من مزاج الافلاك او العناصر او خواص الاعداد ويسمونه الطلسمات وهو اضعف رتبة من الاول
 والثالث تأثير في القوى المتخيلة يعمله صاحب هذه التأثير الى القوى المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من
 التصرف ويلقى فيها انواعا من الخيالات والمخاطبات وصورا مما يقصده من ذلك ثم ينزلها الى الحس من
 الرائين بقوة نفوسه المؤثرة فيه فينظر الراؤن كأنها في الخارج وليس هناك شيء من ذلك كما يحكي عن بعضهم
 انه يرى البساتين والانهار والقصور وليس هناك شيء من ذلك ويسمى هذا عندهم الفلاسفة الشعوذة او
 الشعوذة هذا تفصيل مراتبه ثم هذه الخاصية تكون في الساحر بالقوة شأن القوى البشرية كلها وانما تخرج
 الى الفعل بالرياسة والرياسة السحر كلها انما تكون بالتوجه الى الافلاك والكواكب والعوالم العلوية
 والشياطين بانواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل فهي لذلك وجهته الى غير الله وسبحو له
 والوجهة الى غير الله كفر فلهذا كان السحر كقرا والذكر من مواده واسبابه كإرايات ولهذا اختلف
 الفقهاء في قتل الساحر هل هو لكفره السابق على فعله أو لتصرفه بالفساد وما ينشأ عنه من الفساد في
 الاكوان والكل حاصل منه ولما كانت المرتبتان الاوليان من السحر لها حقيقة في الخارج والمرتبة
 الاخيرة الثالثة لاحقيقة لها اختلف العلماء في السحر هل هو حقيقة أو انما هو تخيل فالقائلون بان له
 حقيقة ونظر والمرتبتين الاوليين والقائلون بان لاحقيقة له ونظر والمرتبة الثالثة الاخيرة فليس
 بينهم اختلاف في نفس الامر بل انما جاء من قبل استنباه هذه المراتب والله أعلم وواعلم ان وجود السحر
 لامرية فيه بين العقلاء من أجل التأثير الذي ذكرناه وقد نطق به القرآن قال الله تعالى ولكن الشياطين
 كفر وايعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ابليس ها روت وماروت وما يعلمان من أحد حتى
 يقول انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد
 الا باذن الله وسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان يخيل اليه انه يفعل الشيء ولا يفعله وجعل
 سحره في مشط ومشاقة وجف طلعة ودفن في بئر ذروان فانزل الله عز وجل عليه في المعوذتين ومن شر
 النفاثات في العقد قالت عائشة رضى الله عنها فكان لا يقرأ على عقه دومة من تلك العقدة التي سحر فيها الا
 انخلت واما وجود السحر في أهل بابل وهم الكلدانيون من النبط والسر يانين فكثير ونطق به القرآن
 وجاءت به الاخبار وكان للسحر في بابل ومعمر ازمان بعثة موسى عليه السلام أسواق نافقة ولهذا كانت
 مجزة موسى من جنس ما يدعون ويتناغون فيه وبقي من آثار ذلك في البرابي بصعيد مصر وشواهد الدالة
 على ذلك وراينا بالعبان من بصور صورة الشخص المسحور بخواص اشياء مقابلة لسنواته وطوله موجودة
 بالمسحور واما تلك المعاني من اسماء ووصفات في التأليف والتفريق ثم يتكلم على تلك الصورة التي
 أقامها مقام الشخص المسحور وعينا ومعنى ثم يثقف من ريقه بعد اجتماعه في فيه بتكرير بخارج تلك
 الحروف من الكلام السوء ويعقد على ذلك المعنى في سبب أعداءه لذلك نقاؤا بالعقد والالزام وأخذ العهد

(٣٨ - ابن خلدون) اختر لي قال اقدم في بيتك وفي الامثال ان الهدية تسمى وتضم وقال بعض الحكماء الرشوة رشاء الحاجة وانشد بعضهم
 اذا أتت الهدية دار قوم * تطايرت الامانة من كواها (ولبعضهم) ان الهدية حلوة * كالسحر تجلب القلوبا تدنى البعيد من الهوى *
 حتى تصير قريبا وتردمضغن العدا * وبعدهم جفوته حبيبا (ومما قلته في الرشوة) وأكرم من يدق الباب شخص *

يقبل الحجل مشغول بالدين ينوء اذا شئ نفسه ونفخا * ويتطع بابه بالركبتين واكرم شافع يمشي عليها * ابو المنقوش فوق الصقعتين
 (وقلت ايضا) اذا كنت في حاجة مرسلا * وانت بانجازها مغرم فارسل باكمه خلافة * به صم اغطس ابكم
 ودع عنك كل رسول سوى * (٢٩٨) رسول يقال له الدرهم (وكتب) عبد الملك بن مروان الى قاضيه الحرث بن عامر وقد

على من اشرك به من الجن في نغمته في فعله ذلك استشعار للعزيمة بالعزم ولتلك البنية والاسماء السبعة روح
 خبيثة تخرج منه مع النغم متعلقة بريقه الخارج من فيه بالنفث فتزل عنها ارواح خبيثة ويقع عن ذلك
 بالسحور ما يحاوله الساحر وشاهدنا ايضا من المنتحلين للسحور وعمله من يشير الى كساء او جلد ويتكلم عليه في
 سره فاذا هو مقطوع متخرق ويشير الى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبعج فاذا امه اوها ساقة من بطونها
 الى الارض وسمعنا ان بارض الهند هذا العهد من يشير الى انسان في تحت قلبه ويقع ميتا وينقب عن قلبه فلا
 يوجد في حشاه ويشير الى الرمانة وتفتح فلا يوجد من جبو بها شئ وكذلك سمعنا ان بارض السودان وارض
 الترك من يسحر السحاب فيمطر الارض المخصوصة وكذلك راينا من عمل الطلسمات عجائب في الاعداد
 المتخابة وهي رك زفد احدى العديدين مائتان وعشرون والاخر مائتان واربعه وعشرون ومعنى المتخابة
 ان اجزاء كل واحد التي فيه من نصف وثلاث وربع وسدس وخمس وامثالها اذا جمع كان مساويا للعدد
 الاخر صاحبها فتسمى لاجل ذلك المتخابة ونقل اصحاب الطلسمات ان لتلك الاعداد اثر في الالفه بين
 المتحابين واجتماعها اذا وضع لهم امثالا ان احدهما بطالع الزهرة وهي في بيتها او شرفها ناظرة الى القمر
 نظره ودمه وقبوله ويجعل طالع الثاني سابع الاول ويضع على احد التمانين احد العديدين والاخر على
 الاخر ويقصد بالاكثر الذي يراد ان يلاقيه الاغنى المحبوب ما ادري الاكثر كية او الاكثر اجزاء فيكون
 لذلك من التأليف العظيم بين المتحابين ما لا يكاد ينفك احدهما عن الاخر قاله صاحب الغاية وغيره من
 ائمة هذا الشأن وشهدت له التجربة وكذا طابع الاسد ويسمى ايضا طابع الحصى وهو ان يرسم في قالب
 هنداصبع صورة اسد شائلا ذنبه عاضا على حصة قد قسمها بنصفين وبين يديه صورة حية منسابة من
 رجليه الى قبالة وجهه فاغرة فاهما الى فيه وعلى ظهره صورة عقرب يتدب ويتحين يرسمه حلول الشمس
 بالوجه الاول او الثالث من الاسد بشرط صلاح النيران وسلامتهم من النحوس فاذا وجد ذلك وعثر عليه
 طبع في ذلك الوقت في مقدار الميثقال فاودنه من الذهب ونمس بعد في الزعفران محلول بالماء الورد وورق
 في خرقة حرير صفر افرانهم يزعمون ان لمسك من العز على السلاطين في مباشرتهم وخدمتهم وتسخيرهم له
 ما لا يعبر عنه وكذلك للسلاطين فيه من القوة والعز على من تحت ايديهم ذلك ايضا اهل هذا الشأن
 في الغاية وغيرها وشهدت له التجربة وكذلك وفق المسدس المختص بالشمس ذكره وانه يوضع عند حلول
 الشمس في شرفها وسلامتها من النحوس وسلامتها القوم بطالع ملوكي بعينه برفيه نظر صاحب العاشر
 لصاحب الطالع نظر مودة وقبول ويصلح فيه ما يكون في مواليد الملوك من الادلة الشريفة ويرفع في خرقة
 حرير صفر افرانهم يدان يغمس في الطيب فزرع وان له اثر في صحابة الملوك وخدمتهم ومعاشرتهم وامثال
 ذلك كثير وكتاب الغاية لمسلمة بن احمد المجر يطل هو ومدونة هذه الصناعة وفيه اسئلة كثيرة مسائلها
 وذكر لنا ان الامام الفخر بن الخطيب وضع كتابا في ذلك وسماه بالاسرار المكتوم وانه بالمشرق يتداوله اهله
 ونحن لم نقف عليه والامام لم يكن من ائمة هذا الشأن فيما نظن واعل الامر بخلاف ذلك وبالغرب صنف
 من هؤلاء المنتحلين لهذه الاعمال السحرية يعرفون بالبعاجين وهم الذين ذكرت اول انهم يشيرون الى
 الكساء او الجلد فيتخرق ويشيرون الى بطون الغنم بالبعج فتبعج ويسمى احدهم لهذا الغرض باسم البعاج
 لان اكثر ما ينتحل من السحر يعج الانعام يهرب بذلك اهلها ليعطوه من فضلها وهم متستر ون بذلك في

ارتشى بكرمه
 اذارشوة من باب بيت
 تقحمت
 لتسكن فيه والامانة فيه
 سعت هربا منه ووات
 كانها
 حلیم تولى من جواب سقيه
 * (الباب الخامس
 والخمسون في معرفة
 حسن الخلق) *
 اعلموا ارشدكم الله تعالى ان
 هذا الباب مما غلط الخلق
 فيه وقلوب القوم ركوة
 فعمدوا الى اخلاق العامة
 وخلق الغوغاء والادنياء
 وما يجرى بينهم اذا تلاقوا
 وتعاشروا من الافراط في
 مدح بعضهم بعضا وتعاظمهم
 الكذب والتصنع والمق
 والمراآة والمعاريض عن
 الامور المكنونة التي يسوء
 اظهاها والاختراط في سلك
 المزاج والمهاترة فهذا وما
 أشبهه عندهم من حسن
 الخلق وهو عندنا تقيض
 مانص الله عليه ورسوله
 من حسن الخلق فاول ذلك
 ان تعلم انه لم تحتوا الارض
 على بشر احسن خلقا من
 محمد صلى الله عليه وسلم
 فيكل من تخاف باخلاق
 رسول الله صلى الله عليه

وسلم او قاربها او بعضها كان احسن الناس خلقا وكل خلق ليس يعد من اخلاقه صلى الله عليه وسلم
 فليس من حسن الخلق وهذا فصل الخطاب في هذا الباب لمن عقل وانما اوثى الناس في هذا الباب لانهم استحسوا الاخلاق العامة
 واستحسنوا الاخلاق النبوية مجملهم باخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم وهما انا نلو عليك من اخلاق الانبياء والمرسلين والاولياء

والاصفياء والعلماء والصلحاء من رجوان ينفعنا الله واياك به قال الله تعالى لتدبره وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم
فخص الله نبيه من كريم الطباع ومحاسن الاخلاق من الحمياء والكرام والصفوح وحسن العهد بمالم يؤتة غيره ثم ما اثبت الله تعالى عليه بشئ
من فضائله بمثل ما اثبت عليه بحسن الخلق فقال وانك لعلى خلق عظيم وعن هذا قال الشيخ (٢٩٩) ان الله سبحانه دعا الخلق الى حسن

المخلوق ودعائه عليه السلام
من حسن الخلق (قال عبيد
الله بن عمير) قلت لعائشة
أم المؤمنين صفي لى خلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت لى أما تقرأ القرآن
كان خلقه القرآن وحسبك
بهذا القول منقبة للرسول
صلى الله عليه وسلم وتعريف
لك بحسن الخلق فاذا كان
خلق النبي صلى الله عليه
وسلم القرآن فالقرآن يجمع
كل فضيلة ويحث عليها
وينهى عن كل نقيصة
ورذيلة ويوضحها ويبينها
ولذلك لما أنزل الله تعالى
خذا لعقوب وأمر بالعرف
وأعرض عن الجاهلين
قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما هذا يا جبريل قال ان الله
تعالى يأمرك ان تصل من
قطعك وتعطى من حرمك
وتعفو عن ظلمك فهذا من
حسن الخلق كما ترى فانظر
أين أخلاق العامة من هذا
النمط وان أحدهم يقطع من
وصله ويحرم من أعطاه
ويظلم من سالمه ويغضب
على من آثمه وانما اقتصر
على هذه الكلمات لانها
أصول الفضائل وينبوع
المناقب لان فى أخذ العفو

الغاية خوفا على أنفسهم من الحكام لقيت منهم جماعة وشاهدت من أفعالهم هذه بذلك وأخبر وفى ان
لهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات كفرية واشراك الروحانيات الجن والكواكب ساطرت فيها صحيفة
عندهم تسمى الخزيرية يتدارسونها وان بهذه الرياضة والوجهة يصلون الى حصول هذه الافعال لهم وان
التأثير الذى لهم انما هو في مساوى الانسان الحر من المتاع والحجون والرفيق ويعبرون عن ذلك بقولهم
انما نفعل فيما تشي فيه الدرهم اى ما يملك ويبيع ويشترى من سائر المتعلقات هذا ما زعموه وسألت
بعضهم فأخبرني به وأما أفعالهم فظاهرة موجودة وقتنا على الكثير منها وعانيتهم ان غير ربيبة فى ذلك هذا
شأن السحر والطلسمات وآثارهما فى العالم فاما الفلاسفة فقروا بين السحر والطلسمات بعد ان أثبتوا انهما
جميعا أثر للنفس الانسانية واستدلوا على وجود الاثر للنفس الانسانية بان لهما آثارا فى بدنهما على غير المجرى
الطبيعى واسبابه الجسمانية بل آثار عارضة من كفيات الارواح نارة كالسخونة الحادثة عن الفرح
والسرور ومن جهة التصورات النفسانية أخرى كالذى يقع من قبل التوهم فان الماشى على حرف حائط
او على جبل منتصب اذا قوى عنده توهم السقوط سقط بلا شك ولهذا تجد كثير من الناس يعودون
أنفسهم ذلك حتى يذهب عنهم هذا الوهم فجدد بهم مشون على حرف الحائط والجبل المنتصب ولا يخافون
السقوط فثبت ان ذلك من آثار النفس الانسانية وتصورها للسقوط من اجل الوهم واذا كان ذلك
اثر للنفس فى بدنهما من غير الاسباب الجسمانية الطبيعية فثابت ان يكون لها مثل هذا الاثر فى غير
بدنها اذ نسبتها الى الابدان فى ذلك النوع من التأثير واحدة لانها غير حالة فى البدن ولا منطبعة فيه
فثبت انها مؤثرة فى سائر الاجسام وأما التفرقة عندهم بين السحر والطلسمات فهو ان السحر لا يحتاج
الساحر فيه الى معين وصاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكواكب وأسرار الاعداد وخواص
الموجودات وأرضاع الفلك المؤثرة فى عالم العناصر كما يقوله المنجمون ويقولون السحر اتحاد روح
بروح والطلسم اتحاد روح بحسب ومعناه عندهم ربط الطبايع العلوية السماوية بالطبايع السفلية
والطبايع العلوية هى روحانيات الكواكب ولذلك يستعين صاحبها فى غالب الامر بالنجامة والساحر
عندهم غير مكتسب لسحره بل هو مقطور عندهم على تلك الجملة المختصة بذلك النوع من التأثير
والفرق عندهم بين المعجزة والسحر ان المعجزة قوة الهية تبعث فى النفس ذلك التأثير فهو مؤثر بروح
الله على فعله ذلك والساحر انما يفعل ذلك من عند نفسه وبقوته النفسانية وبامداد الشياطين فى بعض
الاحوال فيبين ما الفرق فى المعقولية والحقيقة والذات فى نفس الامر وانما تستدل نحن على التفرقة
بالعلامات الظاهرة وهى وجود المعجزة لصاحب الخير وفى مقاصد الخير وللنفوس المتمحضة للخير
والتحدى بها على دعوى النبوة والسحر انما يوجد لصاحب الشر وفى أفعال الشرى الغالب من التفرقة
بين الزوجين وضرر الاعداء وأمثال ذلك وللنفوس المتمحضة للشر هذا هو الفرق بينهما ما عند الحكماء
الالهييين وقد يدوجد لبعض المتصوفة وأصحاب الكرامات تأثيرا يضاف فى احوال العالم وليس معدودا من
جنس السحر وانما هو بالامداد الالهى لان طريقتهم ونحلتهم من آثار النبوة وتوابعها ولهم فى المدد
الالهى حظ على قدر حالهم وايمانهم وتمسكهم بكلمة الله واذا قدر احد منهم على افعال الشر فلا يأتىها لانه
معتد فيما يأتى به ويذره للامر الالهى فحالا يقع لهم فيه الاذن لا يأتونه بوجه ومن آناه منهم فقد عدل عن

صلة القاطع والصفح عن الظالم واعطاء المانع وفى الامر بالمعروف وتقوى الله وصله الرحم ووصون اللسان وغض الطرف عن المحرمات وفى
تقوى الله يدخل جميع آداب الشرع فرضها ونقلها وفى الاعراض عن الجاهلين والصفح والحلم وقوة النفس عن ممارسة السفيه ومجاراة
البيوح فهذه الاصول الثلاث تتضمن محاسن الشرع ونصاوتينها وضمنا واعتبارا (وروى) أنس قبل يارسول الله أى المؤمنين أفضل قال

أحسنهم خلقا (وروى) أبو داود في السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم لم قال بعثت لأتمم مكارم الاخلاق اقتضى الحديث أن كل نبي مبعوث إلى أمة إنما بعث ليعلم الخلق حسن الخلق وان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم الاخلاق فاذن حسن الخلق امتثال الشرائع بأسرها (وروى) البخاري (٣٠٠) عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا قال وان من أحبكم إلى

أحسنكم أحوالا فإنا كان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية فعبه اعرابي جبدة شديدة حتى أثرت حاشية الرداء في عنقه وقال يا محمد رمي من مال الله الذي آتاك فلست تأمرني بما لك ولا بما لآبائك فالتفت إليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال مروا له ولم يكلمه بشيء (وروى) معاذ ابن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم لم قال له حسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل وعلموا ان الخلق الحسن أفضل مناقب العبد وبه يظهر جواهر الرجال والانسان مستور بخلقته مشهور بخلقته ألا ترى ان الله تعالى خص نبيه صلى الله عليه وسلم بما خصه به من الفضائل ثم لم يثن عليه بشيء من خصاله بمثل ما أثبت عليه بخلقته وقال بعض المفسرين في قوله تعالى وانك لعلى خالق عظيم قال لا تخاصم ولا تتخاصم من شدة معرفتك بالله تعالى وقيل لم يثر فيك جفاء الخلق بعدم معرفتك بالحق وقال الحاشية كظم الغيظ

طريق الحق وربما سب حاله ولما كانت المعجزة بامداد روح الله والقوى الالهية فذلك لا يعارضها شيء من السحر وانظر شأن سحرة فرعون مع موسى في معجزة العصا كيف تلقفت ما كانوا يأفكون وذهب سحرة واضمحلت كان لم يكن وكذلك ما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم في المعوذتين ومن شر القائنات في العقد قالت عائشة رضي الله عنها فكان لا يقرؤها على عقدة من العقد أنى سحر فيها الا انحلت فالسحر لا يثبت مع اسم الله وذكره وقد نقل المؤرخون ان زر كرش كاويان وهي راية كسرى كان فيها الوفق المثني العمدى منسوجا بالذهب في اوضاع فلكية رصدت لذلك الوفق ووجدت الاية يوم قتل رستم بالقادسية واقعة على الارض بعد انهزام أهل فارس وشه ماتهم وهو فيما تزعم أهل الطلسمات والافاق مخصوص بالغلب في الحروب وان الاية التي يكون فيها الأتمهزم أصل الا الان هذه عارضة المدد الالهى من ايمان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بكامة الله فانحل معها كل عقد سحري ولم يثبت وبطل ما كانوا يعملون وأما الشريعة فلم تفرق بين السحر والطلسمات وجعلته كله بابا واحدا محظورا لان الافعال إنما اباح لنا الشارع منها ما يهمننا في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا وفي معاشنا الذي فيه صلاح ديننا وما لا يهمننا في شيء منه ما فان كان فيه ضرر وانوع ضرر كاسحرك الحاصل ضرره بالوقوع ويلحق به الطلسمات لان أثرهما واحد وكالتجامة التي فيها نوع ضرر باعتبار التأثير فتفسد العقيدة الايمانية ببرد الامور الى غير الله فيكون حينئذ ذلك الفعل محظورا على نفسه في الضرر وان لم يكن مهما علينا ولا فيه ضرر فلا أقل من أن تركه قربة الى الله فان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فجعلت الشريعة باب السحر والطلسمات والشعوذة بابا واحدا لما فيه من الضرر وخصته بالتحريم وأما الفرق عندهم بين المعجزة والسحر فالذي ذكره المتكلمون انه راجع الى التحدى وهو دعوى وقوعها على وفق ما ادعاه قائلها والساحر مصروف عن مثل هذا التحدى فلا يقع منه وقوع المعجزة على وفق دعوى الكاذب غير مقدور لان دلالة المعجزة على الصدق عقلية لان صفة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكذب لاستحال الصادق كاذبا وهو محال فاذا لا تقع المعجزة مع الكاذب باطلاق وأما الحكماء فالفرق بينهما عندهم كما ذكرناه فرق ما بين الخير والشر في نهاية الطرفين فالساحر لا يصدر منه الخير ولا يستعمل في أسباب الخير وصاحب المعجزة لا يصدر منه الشر ولا يستعمل في أسباب الشر وكانها على طرفي النقيض في أصل فطرتهما والله يهدي من يشاء وهو القوي العزيز لا ريب سواه

وهو المسمى لهذا العهد بالسيمياء نقل وضوء من الطلسمات اليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة

واظهار الطلاقة والبشر الالمتدع أو فاجر الا ان يكون فاجرا اذا انبسطت استحياء والعقود عن الزاين الابادب أو فاستعمل اقامة حدو كلف الاذى عن كل مسلم ومعاهد لا لتغيير منكر أو أخذ مظلة لمظالم فهذا حسن الخلق وقيل حسن الخلق ان لا تتغير عن يقف في الصنف بجنبك (وقيل) لا لا حيف ممن تعلمت حسن الخلق قال من قيس بن عاصم المنقري قال بينهما هو ذات يوم جالس في داره اذ جاءته

خادم له بسعة ودعاه شواء فسقط من يده فوقع على ابن له فمات فدهشت الجارية فقال لا روع عليك أنت حره لوجه الله تعالى وكان
 ابن عمر اذا رأى واحدا من عبده يحسن الصلاة يعتقد فعره فواذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مرة آله فماتت بعتهم فقيل له في
 ذلك فقال من خدعنا في الله اتخذنا له وقال الفضيل لوان امرأ احسن الاحسان كله (٣٠١) وكانت له دجاجة وأساء اليه الم

يكن من المحسنين (وكان
 المحاسبي) يقول فقدنا ثلاثة
 أشياء حسن الوجه مع الصيانة
 وحسن القول مع الامانة
 وحسن الاخاء مع الوفاء وقال
 الحسن بن علي رضوان الله
 عليه عنوان الشرف حسن
 الخلق وكان عبد الله بن
 محمد الرازي يقول حسن
 الخلق استصغار ما منك
 واستعظام ما اليك (وقال
 سهل) حسن الخلق ان لا
 تطمع فيما ليس لك وليس
 بهذه الصفة أحد الا الله
 تعالى وقيل حسن الخلق
 تحمل أفعال الخلق وقال
 شاء الكرماني علامة حسن
 الخلق كف الاذى واحتمال
 المؤن وقيل حسن الخلق
 ان تكون من الناس
 قريبا وفيما بينهم غريبا
 وقيل حسن الخلق قبول ما
 يرد عليك من جفاء الخلق
 وقضاء الحق بلا ضجر ولا
 قلق وقيل الخلق الحسن
 احتمال المكروه بحسن
 الإدارة (وقالت امرأة)
 لما لك بن دينار يامراني
 فقال يا هذه وجدت اسمي
 الذي أضله أهل البصرة
 وفي الحديث ان النبي صلى
 الله عليه وسلم قال ان تسعوا

فاسعمل استعمال العام في الخاص وحده هذا العلم في الملة بعد صدر منها وعند ظهور الغلاة من
 المتصوفة وجنوحهم الى كشف حجاب الحس وظهور الخوارق على أيديهم والتصرفات في عالم العناصر
 وتداول الكتب والاصطلاحات ومزاعمهم في تنزل الوجود عن الواحد وترتيبهم وزعموا أن الكمال
 الاسمائي مظاهره اراج الافلاك والكواكب وان طبائع الحروف وأسرارها سارية في الاسماء فهي
 سارية في الاكوان على هذا النظام والاكوان من لدن الابداع الاول تنقل في اطواره وتغرب عن اسرارها
 فحدث لذلك علم أسرار الحروف وهو من تقاريع علم السيمياء لا يوقف على موضوعه ولا تحاط بالعدد مسائله
 تعدت فيه تاليف البوني وابن العربي وغيرهما عن اتباع آثارهما وخصص له عندهم وعمرته تصرف
 لغنوس الرابنة في عالم الطبيعة بالاسماء المحسنة والكلمات الالهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالاسرار
 السارية في الاكوان ثم اختلفوا في سر التصرف الذي في الحروف بما هو وخفهم من جعله للزجاج الذي فيه وقسم
 الحروف بقسمة الطبائع الى أربعة اصناف كالعناصر واختصت كل طبيعة بصنف من الحروف يقع
 التصرف في طبيعتها فلا وانفعالا بذلك الصنف فتتوالت الحروف بقانون صناعي يسمى التفسير الى
 نار به وهو واثية وماثية وترايبية على حسب تنوع العناصر فالالف للنار والباء للهواء والجيم للماء والدادل
 للتراب ثم ترجع كذلك على التوالي من الحروف والعناصر الى أن تنفذت لعنصر النار حروف سبعة الالف
 والماء والطاء والميم والقاف والسين والذال وتعين لعنصر الهواء سبعة أيضا الباء والواو والياء والنون والضاد
 والتاء والظاء وتعين لعنصر الماء أيضا سبعة الجيم والزاي والكاف والصاد والقاف والتاء والعين وتعين لعنصر
 التراب أيضا سبعة الال والحاء واللام والعين والراء والخاء والشين والحروف النارية لدفع الامراض الباردة
 وبضاعة قوة الحرارة حيث تطلب مضاعفتها محاسا أو حكما كما في تضعيف قوى المريح في الحروب
 والقتل والقتل والمائية أيضا لدفع الامراض الحارة من حيمات وغيرها وتضعيف القوى الباردة حيث
 تطلب مضاعفتها حسا أو حكما كتضعيف قوى القمر وأمثال ذلك ومنهم من جعل سر التصرف الذي في
 الحروف للنسبة العددية فان حروف الابداع الالف على اعدادها المتعارفة وضعا وطبعا فيهن من أجل تناسب
 الاعداد تناسب في نفسها أيضا كما بين الباء والكاف والراء لدلالاتها كما على الالفين كل في مرتبة فالباء
 على اثنين في مرتبة الالف والكاف على اثنين في مرتبة العشرات والراء على اثنين في مرتبة المئين وكالذي
 بيناهو بين الدال والميم والتاء لدلالاتها على الاربعة وبين الاربعة والالفين نسبة الضعف وخرج للاسماء
 أوافق كمال الاعداد مختص كل صنف من الحروف بصنف من الاوافق الذي يناسبه من حيث عدد الشكل
 أو عدد الحروف وامتزج التصرف من السر المحرف والسر العدي لاجل التناسب الذي بينهن ما فلما سر
 التناسب الذي بينهن هذه الحروف وأمرجة الطبائع أو بين الحروف والاعداد فأمر سر على الفهم اذ ليس
 من قبيل العلوم والقياسات وانما مستندهم فيه الذوق والكشف البوني ولا تظن أن سر الحروف
 مما يتوصل اليه بالقياس العقلي وانما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الالهي وأما التصرف في عالم
 قوله ترتيب طبائع الحروف عند المعاربة غير ترتيب المشاركة ومنهم الغزالي كما ان الجمل عندهم مخالف
 في ستة أحرف فان الصاد عندهم بستين والصاد بستين والعين المهملة بشمسة والظاء بشمسة والثاء والعين
 بستين والثاء والعين بالف اه

الناس باموالهم ولكن سعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق (وروي) ان أبا عثمان اجناز بسكة وقت الهجرة فالتقى عليه من فوق سطح
 طست رماذ فتغير أصحابه وبسطوا أسننتهم في الملقى فقال أبو عثمان لا تقولوا شيئا من استحق ان يصب عليه النار فصحح على الرماد لم يميز
 ان يغضب وقيل لابراهيم بن ادهم هل فرحت في الدنيا قط قال نعم مرتين احدهما كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان فيقال علي والثانية

كنت جالسا فجاء انسان فصعني (وكان اويس القرني) اذ ارآه الصبيان روه بانحازة وكان يقول ان كان لا بد فارموني بالحجارة الصغار كي
لا تدموا على ساقى فتعنعوني الصلاة (وروى) ان عليا رضى الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاها ثانيا واثالثا فلم يجبه فقام اليه فراه مضطجعا
فقال اما تسمع يا غلام قال نعم (٣٠٢) قال فما جعلك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك فكانت قال امض فانك حروجه

الله وهذا اكثر قوة الهية
يقرنها الله على المصطفين
من عباده واهل الصفوة
من اوليائه الا ترى الى قوله
تعالى فيمراجعة من الله
لنت لهم ولو كنت فظا غلظا
القلب لانفضوا من حولك
فقرده عن حقائق البشرية
والبسمة من نعوت الربوبية
حتى قواه على محبتهم
وصبره على تبليغ الرسالة
اليهم مع الذي كان يقاسيه
من اخلاقهم مع كونه
مستغرفا باستيلاء الحق
تعالى عليه يختص برحمته
من يشاء وهو قال النبي صلى
الله عليه وسلم لم المؤمن
ألف مألوف ولا خير فيمن
لا يألف ولا يؤلف وإنما
سمى بالأدعي لأنه تألف
من الجواهر والالوان
(وقال عليه السلام)
لرجلين متباغضين آدم
الله بينكما أي ألف بينكما
ومنه سمي الأدم المأكول
لأنه يؤلف الطعام ويحسنه
ومنه قول النبي صلى الله
عليه وسلم لرجل أراد ان
يتزوج امرأة انظر اليها فانه
أحرى ان يؤدم بينكما أي
يؤلف بينكما وروى ان
معه وفا الكرخي نزل الدجلة

الطبيعة بهذه الحروف والاسماء المر كبة فيها وتأثرا لا كوان عن ذلك فأمر لا ينكر اثبوتها من كثير منهم
تواتر او قد يظن ان تصرف هؤلاء وتصرف اصحاب الطلسمات واحد وليس كذلك فان حقيقة الطلسم
وتأثيره على ما حققه اهله أنه قوى روحانية من جوهر القهر تفعل فيما له ركب فعل غلبة وقهر بأسرار
فلكية ونسب عددية وبخورات جالبات لروحانية ذلك الطلسم شديدة فيه بالممة فاندتار بط الطبايع
العلوية بالطبايع السفلية وهو عندهم كالخبرة المر كبة من هوائية وأرضية ومائية ونارية حاصلتها في جعلها
تجسبل وتصرف ما حصلت فيه الى ذاتها وتقبله الى صورتها وكذلك الاكسيرا للاجسام المعدنية كالخبرة
تقلب المعدن الذي تسرى فيه الى نفسها بالا حالة ولذلك يقولون موضوع الكيمياء جسد في جسد لان
الاكسيرا اجزأؤها جسدانية وتقولون موضوع الطلسم روح في جسد لانها بط الطبايع العلوية بالطبايع
السفلية والطبايع السفلية جسد والطبايع العلوية روحانية وتحقق الفرق بين تصرف أهل الطلسمات
وأهل الاسماء بعد أن تعلم أن التصرف في عالم الطبيعة كانهما هو للنفس الانسانية والمهم البشرية ان
النفس الانسانية محيطة بالطبيعة وحكمة عليهم بالذات الا أن تصرف أهل الطلسمات انما هو في استنزال
روحانية الافلاك وربطها بالصور أو بالنسب العددية حتى يحصل من ذلك نوع مزاج يفعل الاحالة
والقلب بطبعته فعل الخبرة قيمها حصلت فيه وتصرف اصحاب الاسماء انما هو بما حصل لهم بالمجاهدة
والكشف من النور والاهي والامداد الراني فيبخر الطبيعة لذلك طائفة غير مستعصية ولا يحتاج الى مدد
من القوى الفلكية ولا غيرها لان مدده أعلى منها ويحتاج أهل الطلسمات الى قليل من الرياضة تقدر
النفس قوة على استنزال روحانية الافلاك وأهون بها وجهة ورياضة بخلاف أهل الاسماء فان رياضتهم
هي الرياضة الكبرى وليست لقصدا التصرف في الاكوان اذ هو حجاب وانما التصرف حاصل لهم بالعرض
كرامة من كرامات الله لهم فان خلاصا صاحب الاسماء عن معرفة أسرار الله وحقائق الملكوت الذي هو نتيجة
المشاهدة والكشف واقتصر على مناسبات الاسماء وطبايع الحروف والكلمات وتصرف بهما من هذه
الحيشية وهؤلاء هم أهل السيمياء في المشهور كان اذا لفرق بينه وبين صاحب الطلسمات بل صاحب
الطلسمات أو وثق منه لانه يرجع الى اصول طبيعية علمية وقوانين مرتبة وأما صاحب اسرار الاسماء اذا
فاته الكشف الذي يطلع به على حقائق الكلمات وآثار المناسبات بقوات الخلوص في الوجهة وليس له
في العلوم الاصطلاحية قانون برهاني يعول عليه يكون حاله أضعف رتبة وقديم مزج صاحب الاسماء قوى
الكلمات والاسماء بقوى الكواكب فيعلم ان ذكر الاسماء المحسنى أو ما يرسم من أوقافها بل ولسائر
الاسماء اوقافا تكون من حظوظ الكواكب الذي يناسب ذلك الاسم كقوله البونى في كتابه الذي
سماه الاعماط وهذه المناسبات عندهم هي من لدن الحضرة العمانية وهى برزخية الكمال الاسماي
وانما تنزل تفصيلها في الحقائق على ما هي عليه من المناسبات واثبات هذه المناسبات عندهم انما هو
بحكم المشاهدة فاذا اخذ صاحب الاسماء عن تلك المشاهدة وتلقى تلك المناسبات بتقليدا كان عمله بمثابة
عمل صاحب الطلسم بل هو اوثق منه كما قلناه وكذلك قديم مزج ايضا صاحب الطلسمات عمله وقوى
كواكبه بقوى الدعوات المؤلفة من الكلمات المخصوصة لمناسبة بين الكلمات والكواكب الا ان
مناسبة الكلمات عندهم ليست كما هي عند اصحاب الاسماء من الاطلاع في حال المشاهدة وانما

يتوضأ ووضع مصحفه وملتحمته فعات امرأة فاخذتها فاتبها معروف وقال يا أختي انما معروف
لابأس عليك الملك ابن يقرأ قالت لا قال فزوج قالت لا قال فهاتي المصحف وخذى الثوب (وروى) ان ابا ذر كان على حوض يسقى ابه
فاسرع بعض الناس اليه فانكسر الحوض فجلس ثم اضطلع فقبل له في ذلك فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم امرنا اذا غضب الرجل

ان يجلس فان ذهب عنه والا فليضطجع (وقال علي بن ابي طالب) رضي الله عنه ان الناصح كفاتري قطعها وقال ابو ذر اننا انكسر في وجوه قوم وان قلوبنا لتعلمهم وقال الحرث بن قيس يعجبني من القراء كل ملطي مفتحك فاما الذي تلقاه بشرو ويلقاك بعبوس بين عليك بعمله فلا اكثر الله في المسلمين مثله وقال عمرو بن الزبير مكتوب في الحكمة (٣٠٣) بني لتكن كلمات طيبة وليكن

وجهك طلقا وتكن
 أحب الى الناس من
 يعطيهم العطاء ومن يعصب
 صاحب السوء لا يسلم ومن
 يعصب صاحب الصالح لا يغتم
 (وروي) ان ابراهيم بن
 ادهم خرج الى بعض
 البراري فاستقبله جندي
 فقال له ابن العمران فاشار
 الى المقبرة فضرب رأسه
 فاوضحه فلما جاوزه قيل له
 هذا ابراهيم بن ادهم زاهد
 خراسان فخاضه يعتذرا اليه
 فقال انك لما ضربتني
 سألت الله للجنة فقال
 لم فقال قد علمت اني اؤجر
 على ذلك فلم ارد ان يكون
 نصيب منك الخير ونصيبك
 مني الشر (وحكى) أن
 ابا عثمان الخيري دعا
 انسان الى ضيافة فلما وافى
 باب الدار قال يا استاذ ليس
 لي وجه في دخولك وقد
 ندمت فانصرف رجلك
 الله فرجع ابو عثمان فلما
 وافى منزله عاد اليه الرجل
 وقال يا استاذ ندمت واخذ
 يعتذر وقال احضر الساعة
 فقام ابو عثمان ومضى
 معه فلما وافى دراه قال
 مثل ما قال في الاولى واخذ
 يعتذر ثم كذلك في الثالثة

يرجع الى ما اقتضته اصول طريقتهم المحترمة من اقتسام الكواكب لجميع ما في عالم المكونات من
 جواهر واعراض وذوات ومعاني والحروف والاسماء من جملة ما فيه فلكل واحد من الكواكب
 قسم منها يخصه وينون على ذلك مبانى غريبة منكرة من تقسيم سور القرآن وآيه على هذا النحو
 كما فعله مسجلة المجرى في الغاية والظاهر من حال البوئي في لغاطه انه اعتبر طريقتهم فان تلك
 الانماط اذا تصفحتها وتصفحت الدعوات التي تضمنتها وتقسيمها على ساعات الكواكب السبعة
 ثم وقفت على الغاية وتصفحت قيامات الكواكب التي فيها وهي الدعوات التي تختص بكل كوكب
 يسمونها قيامات الكواكب اي الدعوة التي يقام له بها شهادة ذلك امامانه من مادتها اوبان
 التناسب الذي كان في أصل الابداع وبرزخ العلم قضي بذلك كله وما اوتيتهم من العلم الا قليلا
 وليس كل ما حرمه الشارع من العلوم يترك الثبوت فقد ثبت ان المصحح مع حضره لكن حسنا من العلم
 بما علمنا (ومن فروع علم السيمياء عندهم استخراج الاجوبة من الاسئلة) * بارتيابات بين الكلمات
 حرفية يوهمون انها اصل في معرفة ما يحاولون علمه من الكائنات الاستقبالية وانما هي شبه المعاينة
 والمسائل السبالية ولهم في ذلك كلام كثير من ادعية واعجبه زيارحة العالم السني وقد تقدم ذكرها ونبين
 عنانها في كيفية العمل بتلك الزيارحة بدائرها وجدولها المكتوب حولها ثم تكشف عن الحق فيها وانها
 ليست من الغيب وانما هي مطابقة بين مسئلة وجوابها في الافادة فقط وقد اشرنا الى ذلك من قبل وليس
 هذنا راية يعول عليها في صحة هذه التصديده الا انها تحريتا اصح المنع منها في ظاهر الامر والله الموفق بینه

وهي هذه
 يقول سبتي ويحمد ربه * مصل على هادي الناس ارسلا
 محمد المبعوث خاتم الانبيا * ورضي عن الصحب ومن لهم تلا
 الالهة زيارحة العالم الذي * تراه بحيكه وبالعقل قدحلا
 من احكم الوضع في حكم جسمه * ويدرك احكاما تدبرها العلا
 ومن احكم الربط فيدرك قوة * ويدرك للتقوى وللحلال حصلا
 ومن احكم التصريف يحكم سره * ويعقل نفسه وصح له الولا
 وفي عالم الامر تراه محققا * وهذا مقام من بالاذكار كركلا
 فهذي سر ائركم بكتها * اقهادوا ترا وللحاء عدلا
 فطاء لها عرش وفيه نقوشنا * بنظم ونشر قد تراه بحجلا
 ونسب دوائر كنسبة فلكها * وارسم كواكب الادراجها العلا
 واخرج لاوتار وارسم حروفها * وكوريمثله على حدمن خلا
 اقم شكل ذيرهم وسو بيوتهم * وحقق بهاهم ونورهم جلا
 وحصل علوم الطبايع مهندسا * وعلم الموسيقى والارباع مثلا
 وسو لموسيقى وعلم حروفهم * وعلم باللات في حق وحصلا
 وسو ودوائر ونسب حروفها * وعلمه اطلق والاقليم جدولا
 اميرنا فهو نهاية دولة * زانية آبت وحكم لها خلا

والرابعة ابو عثمان ينصرف ويحضر ثم قال يا استاذ انما اردت اختبارك والوقوف على اخلاقك وجعل يعتذرا اليه ويمدحه فقال ابو
 عثمان لا تمدحني على خالق تجرد مثله مع الكلاب فالكلاب اذا دعى حضر واذا جرح انزجر (وروي) ان بعض الفقراء نزل على جعفر بن
 حفظة وكان جعفر يخدمه والفقير يقول نعم الرجل اذنت لولم تكن يهوديا فقال له جعفر عقيب ذلك لا تقدر فيما تحتاج اليه من الخدمة

فصل لتعسك الشفاء ولي الهداية (وروى) ان ابا جعفر القمى المتعبد لقيه بعض الاجناد و معه كلب لصيد فقال له خذ هذا الكلب
 وقده خلقى فاني فضر ب راسه بالسوط حتى اوجعه فقال له بعض المنارين ويحك هـ ذا ابو جعفر القمى ودى العابد فنزل عن فرسه وجعل
 يقبل يديه ويعتذر اليه فقال أنت (٣٠٤) في حل قال ابراهيم بن الحسن سمعت ابراهيم القمى ودى ليالى عديدا اذا فرغ من خربه في

حرف الليل يدعو ويقول
 اللهم اغفر لصاحب الكلب
 وارجه (وقيل) مكتوب
 في الانجيل عبدى اذ كرتى
 حين تغضب اذكرك حين
 اغضب وقال بعض
 المفسرين في قوله تعالى
 وقولوا للناس حسنا أى كل
 من لقيه فقل له حسنا
 من القول وقال لقمان
 لابنه ثلاثة لا يعرفون الا فى
 ثلاثة الحلم عند الغضب
 والشجاعة فى الحرب والاخ
 عند الحاجة اليه وروى ان
 عبد الله الخياط كان له
 مجوسى يخيط عنده
 الثياب ويدفع له دراهم
 زيوفا وكان عبد الله يأخذها
 فجاء المجوسى يوما بالدراهم
 فلم يجده فاعطاها للتلميذه
 فلم يقبلها فدفع له صحفا
 فلما رجع عبد الله قال
 تلميذه وهذه دراهم المجوسى
 وذكر قصته فقال عبد الله
 بئس ما فعلت انه معاملى
 بهذه المعاملة منذ اعوام
 وانا اصبر عليها والقيها فى
 البئر لئلا يغربها غيرى
 (وروى) ان معاوية
 نظر الى ابنه يزيد يضرب
 امة له فقال اتضرب من
 لا يتمتع منك لقد حلت

وقطـ راندا لس فابن لهودهـ م * وجاء بنونصر ووظفرهـ م تلا
 ملوك و فرسان واهل الحكمة * فان شئت نصمهم ووظفرهم حلا
 ومهدى توحيد بتونس حكمهم * ملوك و بالشرق بالوافق نزلا
 واقسم على القطر وكن منقدا * فان شئت للروم فبالحرشكلا
 قننش و برشون الرا حرقهم * وافر نسهم دال وبالطاء ككلا
 ملوك ككناوة ودلوا قافهم * واعراب قومنا بتريق اعمالا
 فهند حباشى وسند قهرهـ م * وفرس ططارى وما بدهم طالا
 فقصرهـ م حاهو يزدجردهـ م * لسكاف وقبطهم بلامه طولا
 وعباس كاهـ م شريف معظم * ولا كن تركى بذال الفعل عطلا
 فان شئت تدقيق الملوك وكهم * ففتح يمو تائم نسب وجدولا
 على حكم قانون الحر وف وعلما * وعلم طبائعاها و ككاه مثلا
 فنـ علم العـ المومـ لم علمنا * و يعلم اسرار الوجودوا ككلا
 فـ يرسخ علمه ويعرف ربه * وعـ لم ملاحيم بحساميم فصلا
 وحيث اتى اسم والعروض يشقه * فحكم الحكيم فيه قطعا ليقنلا
 وتأتك احرف فسـ وانضربها * واحرف سبويه تاتيك فصلا
 فيكن بتنكير وقابل وعوضن * بتريكم الغالى للاجزاء خنلا
 وفى العقدة والخزوم يعرف غالبا * وزد لجم وصفه فى العقل فعلا
 وانـ ترطاطع وسـ و بهرتبة * واعكس بجذرية وبالذود عدلا
 ويدركها المره فيبلغ قصده * وتعطى حروفها وفى نظامها انجلا
 اذا كان سعدوا والكواكب اسعدت * فحسبك فى الملك ونيل اسمه العلا
 وايقاع دالمهم بمرمـ وزمنة * فنسب دنادينا تجد فيه منها
 وادنا زيرهم فلحسابهم * ومثناهم المثلث يجيمه قدجلا
 وادخل بافلاك وعدل بجداول * وارسم ابا جادو باقىه جلا
 وجوز شذوذ الكون تجرى ومثله * اتى فى عروض الشعر عن جملة ملا
 فاصل لدينا واصل لفقهننا * وعـ لم لحنونا فاحفظ وحصلا
 فادخل لفساطع على الوفق جذره * وسبح باسمه وكبر وهلا
 فتخرج ابيانا وفى كل مطلب * ينظم طبيعى وسر من العـ لا
 وتبقى بحصرها كذا حكم عددهـ م * فعلم القوانيج ترى فيه منها
 فتخرج ابيانا وعشرون ضعفت * من الالف طبعا قابض اصاح جدول
 تريك صناعات من الضرب اكلمات * فصح لك المنى وصح لك العـ لا
 وسبحـ م زيرهم واتى بقرة * اقهادوا اثر الزير وحصلا

اقها

القدرة بينى وبين اولى التراث وقال بعضهم اصل سوء الخلق ضيق القلب وضيقه على قديمين

أدناه وأهونه ان لا يتسع لمراد الخلق وأقصاه وشده ان لا يتسع لمراد الحق وقال الخاسي اصل سوء الخلق الاعجاب وهل يسوء خلق الرجل
 الا من يحبه وتكبره وانه لا يرى فوقه احد ولا يعرف قدر نفسه فقد اخله العز وقال الحسن فى قوله تعالى وثيابك فطهر اى وخلقتك فحسن

واسبح عليكم نعمه ظاهرة وباطنة الظاهرة تسوية الخاق والباطنة حسن الخاق وقال الفضيل لان يصحني فاجر حسن الخاق احب الي من ان يصحني عابدي الخاق (فان قيل) اليس قد روى ان عيسى ويحيى بن زكريا عليهم السلام التقي فقال يحيى لعيسى تلقاني صاحبا كأنك آمن فقال عيسى (٣٠٦) وانت تلقاني عابسا كأنك آيس فأوحى الله اليهما ان احبكما الي اشكبا صاحبه فلنا كذلك

الجزر المحبب في العمل
 اقامة السؤال عن الملوك
 ص ١٥ هـ ع ٤
 ع-ح-
 مقام الاولون ع-و مقام بها هـ سج لا

(الانفصال الروحاني والانتقاد الرباني)

اي طالب السر تهليل ربه * لدى اسماء الحسنى تصادف منها
 تطيعك احيار الانام بقلوبهم * كذلك ريسهم وفي الشمس أعمالا
 ترى عامة الناس اليك تقيدوا * وما قلته حقا وفي الغير أه-ملا
 طر يفتك هذا السبل والسبل الذي * أقوله غ-يرك ونصر ك-واجتلي
 اذا شئت تحيا في الوجود مع التقي * ودينا متينا او تكن متوصلا
 كذي النون والجند مع سر صنعته * وفي سر بسطام اراك مسر بلا
 وفي العالم العلوي تكون محدثا * كذا قالت الهندوصوفة الملا
 ط-ريق رسول الله بالحق ساطع * وما حكم صنع مثل ج-بريل أنزلا
 فبطشك تهليل وقوسك مطع * ويوم الخميس البدء والاحداثجلى
 وفي جمعة أيضا بالاسماء منه له * وفي اثنين للحسنى تكون مكمل
 وفي طائفة سر وفي هائه اذا * اراك بهما مع نسبة الكل أعظلا
 وساعة سعد شرطهم في نقوشها * وعود ومصطكي بخور تحصلا
 وتندلم عليها آخرا لشر دعوة * والاخلاص والسبع المثاني مرتلا

*(انصال أنوار الكواكب) * بله في لاهي لا ظغ ش لد سع ق صح ه ف و ي

وفي يدك اليمنى حديد وخاتم * وكل برأسك وفي دعوة فلا
 وآية حشر فاجعل القلب وجهها * واتلوا اذا نام الانام ورتلا
 هي السر في الاكوان لا شئ غيرها * هي الآية العظمى فحقق وحصلا
 تكون بها قطبا اذا جدت خدمة * وتدرك أسرارها من العالم الع-لا
 سرى بها ناجي ومعروف قبله * وباح بها المح-لاج جهرا فأعقلا
 وكان بها الشبلي يداب دائما * الى ان رقى فوق المريدين واعتلى
 فصف من الادناس قلبك جاهدا * ولازم لاذ كاروصم وتنقلا
 فما نال سر القوم الاحمق * علم باسرار العلوم محصلا

ع صح صح وسلم ع ه ه ك لم م الم ع = س ج ع ه ه ح د ف ك ص ح ح دم
 *(مقامات المحبة وميل النفوس والمجاهدة والطاعة والعبادة وحب وتعشق
 وفناء القناء وتوجه ومراقبة وخله دائمة)*
 الانفعال الطبيعي

يستحب ان يكون المؤمن
 وليس اطلاق الوجهه
 والتبسم في وجه اخيك
 منها عنه وانما المكروه
 ما ذكرناه في اول الباب من
 التماق والتصنع وفصل
 الخطاب في هذا الباب
 ما روى هذين أبي هالتي
 صفة مجلس النبي صلى
 الله عليه وسلم فقال كان
 أصحابه كما سمع على رؤسهم
 الطير ومعلوم ان من كان
 على رأسه طائر لا يبرح
 فانه لا يتحرك ولا يتكلم
 ولا يظرف بهينه حذرا ان
 ينفر الطائر وقال ابن المقفع
 كان لي صديق من أعظم
 الناس في عيني وكان رأس
 ما عظمه في عيني صغر الدنيا
 في عينه كان خارجا من
 سلطان فرجه فلا يدعوا له
 مؤنة ولا يستخف له رأيا
 ولا بدنا وكان خارجا من
 سلطان الجهالة فلا يقدم
 أبدا الا على ثقتهم نفعه كان
 أكثر دهره صامنا فاذا قال
 بد القائلين وكان متضاعفا
 مستضعفا فاذا جاء الجده فهو
 الليث عاديا كان لا يدخل
 في دعوى ولا يشرك في مراء
 ولا يدلي بحجة حتى يرى
 قاضيا عدلا وشهودا عدولا

وكان لا يلوم أحدا على ما يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذره كان لا يشكروا وجعها الا الى من
 يرجع عنده البر ولا صاحبا الا ان يرجع عنده النصيحة لها جميعا وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يشتكي ولا ينتقم من الولي على العدو ولا
 يتقل عن الولي ولا يخص نفسه دون أخوانه بشئ من اهتمامه وحيلته وقوته فاوقف هذه الاخلاق فان لم تطق فخذ القليل خير من ترك

لبر جيس

الجميع وروى ان حكيماً سمع رجلاً يذم الزمان وأهله وأنه قد فسد الناس ولم يبق أحد يحب فقال له يا هذا أنت طلبت صاحباً تؤذيه فلا ينتصر وتنال منه فلا ينتصف وتأكل رحله ولا يرزؤك بشئ وتجوع عليه فيحلم فلم تنصف في الطلب فلم تجد حاجتك ولكن ان اردت صاحباً يؤذيك فلا تنتصر ويجفوك فلا تنتقم ويأكل رحلك فلا تنال منه شيئاً وجدت اصحاباً (٣٠٧) واخوانا واولادنا وانا اول من يصعبك

﴿فصل في الفرق بين المداهنة والمداواة﴾
 من دارى سلم ومن داهن اثم وهذا باب اختط على معظم الخلق فداهنا واهم يحسبون انهم يدارون فالمداهنة منهى عنها والمدارة مأور بها قال الله تعالى في المداهنة ودوا ولو تدهن فدهنون وقال النبي صلى الله عليه وسلم في المداواة راس العقل بعد الايمان بالله التودد الى الناس وامرت بمدارة الناس كما امرت باداء الغرائض (واعلم) انه اذا سقمت المداوات صارت مداهنة فالمداهنة ان تدارى الناس على وجه يذهب فيه دينك والمدارة مخالفتهم على وجه يسلم لك دينك وذلك ان هذه الامة نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قالت له قريش يا محمد اعبد آلهتنا سنة وثؤمن بك فأبى قالوا فشهرا فأبى قالوا فبوما فأبى قالوا ساعة فأبى قالوا فاستلمها بيدك وثؤمن بك فوقف النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وطمع ان يفعل ان يؤمنوا فأنزل الله تعالى ودوا لو تدهن

لبرجيس في المحبة الوفق صرفوا * بقزدر او نحاس الخاطا كدلا
 وقيل بفضة صحیحاً رأيت * فجعلك طالعاً خطوطه ماء لا
 توخ به زيادة النور للقمم * وجعلك للقبول شمسها أصلا
 ويومه والنجور عودهم * ووقت لساعة ودعوتها ألا
 ودعوتها بغاية فهي أعلمت * وعن طسيان دعوة ولها جلا
 وقيل بدعوة حروف لوضعها * بحر هواه او مطالب أهلا
 فتمنقش أحرفا بادل ولا مها * وذلك وفق للربح حصلا
 اذالم يكن هوى هوالك دلالها * فدال ليدو واوزينب معطلا
 فحسن لبائنه وبائهم اذا * هوالك وباقيهم قليلة جلا
 ونقش مشا كل بشرط لوضعهم * ومازدت انسيه لفعالك عدلا
 ومفتاح مريم ففعلها مساوا * فبورى وبسطا محي بسورتها اتلا
 وجعلك بالقصد وكن متقددا * ادلة وحشي لقبضة مديلا
 فاعكس بيوتها بالف ونيف * فباطناسر وفي سرها النجلا

﴿فصل في المقامات للنهاية﴾

لك الغيب صورة من العالم العلا * وتوجد ادارا وملبسها الخلا
 ويوسف في المحسن وهذا شبيهه * بنثر وترتيل حقيقة انزلا
 وفي يده طول وفي الغيب ناطق * فيحكي الى عود يجاوب بلبلا
 وقد جن به لول بعشق جمالها * وعند تجايب البس طام اخذلا
 ومات اجلده واشرب حبها * جنيد وبصرى والجسم أهمللا
 فطلب في التهليل غاية ومن * باسمائه الحسنى بلانسيه خلا
 ومن صاحب الحسنى له الفوز بالمنى * ويسهم بالزاني لدى جيرة العلا
 وتخرى بالغيث اذا جدت خدمة * تريك عجائب ما كان موثلا
 فهذا هو الفوز وحسن تناله * ومنها زيادات لتفسر بها اتلا

﴿الوصية والتختم والايمان والاسلام والتحریم والابهلية﴾

فهذا قصدا وتسعون عدده * وما زاد خطبة وختمها وجدولا
 عجت لآيات وتسعون عددها * تولد ابياتا وما حصرها انجلا
 فن فهم السر فيهم نفسهم * ويههم نفسهم يران شابه اشكلا
 حرام وشري لاظهار سرنا * لناس وان خصوا وكان التأهلا
 فان شئت أهله فغلظ يمينهم * وتفههم برحلة ودين تطولا
 لهلك ان تنجو وسامع سرهم * من القتع والافشاق ترأس بالاعلا
 فنجل لابعاس لسره كاتم * فنال سمادات وتابعه اعلا

فدهنون وقيل له ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا ذنباك ضعف الحياة وضعف الممات ومثاله ان تقول للظالم ابعالك الله ومن دعا الظالم بالبعاف فقد احب ان يعصى الله سبحانه وهذا باب ينبغي لذوى الدين حفظه وقد رأى بعض الفقهاء الخرج من هذه الهدية بالتعريض وكان الفقيه بن الحصار بقرطبة له جاز نصراني يقضي حوائجه وينفعه وكان الفقيه يكثر ان يقول ابعالك الله وتولالة

فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال الامن هديته فاستهدوني اهدكم يا عبادي كلكم جائع الامن اطعمته فاسطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار الامن كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادي انكم تحطون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي انكم لن تبغوا ضري فتضروني ولن تبغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي (٣٠٩) لوان اولكم وآخركم وانسكم وجنبكم كانوا

على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لوان اولكم وآخركم وانسكم وجنبكم كانوا على اخير قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لوان اولكم وآخركم وانسكم وجنبكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فاعطيت كل انسان مسئلة ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص الخيط اذا دخل في البحر يا عبادي انما هي اعمالكم احصياها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه يرويها ابو ادريس الخولاني عن ابي ذر ومسندا الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو ادريس اذا حده دته جنى على ركبته وروى عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انظروا ظلمات يوم القيامة وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا دعوة المظلوم فانه ليس ينهاه وبين الله حجاب وروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

راس الجوز او نائله وتر راس الدلو الى حد المركز واضقنا باله حروف السؤال ونظرنا عديتها واقل ما تكون ثمانية وثمانين واكثر ما تكون ستة وتسعين وهي جملة الدور الصحيح فكانت في سؤالنا ثلاثا وتسعين وعين ويختصر السؤال ان زاد عن ستة وتسعين بان يسقط جميع ادوار الاثني عشرية ويحفظ ما خرج منها وما بقي فكانت في سؤالنا تسعة اثنان في الحروف ما لم يبلغ الطالع اثنى عشرة درجة فان بلغها لم تثبت لها عدة ولا دور ثم اثبتت اعدادها ايضا ان زاد الطالع عن اربعة وعشرين في الوجه الثالث ثم تثبت الطالع وهو واحد وسلطان الطالع وهو اربعة والدور الاكبر وهو واحد واجمع ما بين الطالع والدور وهو اثنان في هذا السؤال واضرب ما خرج منه ما في سلطان البرج يبلغ ثمانية واضف السلطان للطالع فيكون خمسة فهذه تسعة اصول فما خرج من ضرب الطالع والدور الاكبر في سلطان القوس مما لم يبلغ اثنى عشر فيه تدخل في ضلع ثمانية من اسفل الجدول صاعد او ان زاد على اثنى عشر طرح ادوارا وتدخل بالباقي في ضلع ثمانية وتعلم على منتهى العدد والخمسة المستخرجة من السلطان والطالع يكون الطالع في ضلع السطح المبسوط الاعلى من الجدول وتعدمتواليه انجسات ادوارا وتحفظها الى ان يقف العدد على حرف من اربعة وهي الف او باء او جيم او زاي فوق العدد في عملنا على حرف الالف وخلف ثلاثة ادوارا فبنا ثلاثة في ثلاثة كانت تسعة وهو عدد الدور الاول فاثبتته واجمع ما بين الضلعين القائم والمبسوط يكن في بيت ثمانية في مقابلة البيوت العارضة بالعدد من الجدول وان وقف في مقابلة الخالي من بيوت الجدول على احدها فلا يعتبر وتستمر على ادوارك وادخل بعدد ما في الدور الاول وذلك تسعة في صدر الجدول مما يلي البيت الذي اجتمع فيه وهي ثمانية مارا الى جهة اليسار فوق على حرف لام الف ولا يخرج منها ابدا حرف مركب وانما هو اذن حرف تاء اربعة بمائة برسم الزمام فعمل عليها بعد نقلها من بيت القصيد واجمع عدد الدور للسلطان يبلغ ثلاثة عشر ادخل بها في حروف الاوتار واثبت ما وقع عليه العدد وعلم عليه من بيت القصيد ومن هذا القانون تدرى كم تدور المحرور في النظم الطبيعي وذلك ان تجمع حروف الدور الاول وهو تسعة لسلطان البرج وهو اربعة تبلغ ثلاثة عشر اضعفها بمثلها تكون ستة وعشرين اسقط منها درج الطالع وهو واحد في هذا السؤال الباقي خمسة وعشرون فعلى ذلك يكون نظام الحروف الاول ثم ثلاثة وعشرون مرتين ثم اثنان وعشرون مرتين على حسب هذا الطرح الى ان ينتهي للواحد من آخر البيت المنظوم ولا تقف على اربعة وعشرين لطرح ذلك الواحد ولا ثم ضع الدور الثاني واضف حروف الدور الاول الى ثمانية الخارجة من ضرب الطالع والدور في السلطان تكن سبعة عشر الباقي خمسة فاصعد في ضلع ثمانية بخمسة من حيث انتهت في الدور الاول وعلم عليه وادخل في صدر الجدول بسبعة عشر ثم بخمسة ولا تعد الخالي والدور العشرين فوجدنا حرف تاء خمسا ونهنا هونون لان دورنا في مرتبة العشرات فكانت الخمسة مائة بخمسة لان دورها سبعة عشر فلو لم تكن سبعة عشر لكانت مئينا فاثبت نونا ثم ادخل بخمسة ايضا من اوله وانظر ما حاذى ذلك من السطح تجد واحدا فقهر العدد واحدا يقع على خمسة اضعفها واحدا السطح تكن ستة اثنان واو او علم عليها من بيت القصيد اربعة واصفها للثمانية الخارجة من ضرب الطالع مع الدور في السلطان تبلغ اثنى عشر اضعفها الباقي من الدور الثاني وهو خمسة تبلغ سبعة عشر وهو مال الدور الثاني فدخلنا بسبعة عشر في حروف الاوتار فوق العدد على واحد اثنان الالف وعلم عليها من بيت القصيد واسقط من

من كانت لاختيه عنده مظنة من عرض او شيئا فليتحلله منه قبل ان لا يكون درهم ولا دينار ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظنته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فعمل عليه وروى سعيد بن زيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم من الارض شبرا طوقه من سبع ارضين قال ابو جعفر الطحاوي معناه انه يقاب شجاعا اقرع فبطوقه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في مانع الزكاة

يجي بماله يوم القيامة سبحانه اقرع يتبعه ويقول انما مالنا انا كنزك فكان هذا دخلا في قوله تعالى سيطر قون ما يخلو به يوم القيامة
 وروى ابوهريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الغني ظم وروى ابو موسى الاشعري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليحلي
 للظالم حتى اذا اخذ له يقاته وقرأ (٣١٠) وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذها ليم شديد وروى انس ان النبي صلى

الله عليه وسلم قال انصر
 اخاك ظالما او مظلوما قالوا
 يا رسول الله كيف هذا
 انصره مظلوما فكيف
 انصره ظالما قال تأخذ فوق
 يده وروى ابوهريرة ان
 النبي صلى الله عليه وسلم
 قال صنفتان من اهل النار
 لم ارهما ناس معهم سباط
 كاذناب البقر يضربون
 بها الناس ونساء كاسيات
 عاريات ما ثلاث مما يمتنع
 على رؤسهن مثل اسنة
 البخت لا يربن الجنة
 ولا يحدن ريجها وقال الله
 تعالى واذا اردنا ان نهلك
 قرية امرنا مترفيا ففقسوا
 فيها فحق عليها القول
 فدمرناها تدميرا وفي الآية
 تاويلان احدهما امرناهم
 بالطاعة ففسدوا اي خرجوا
 عن الطاعة والثاني على
 قراءة المدينى اى كثرت
 عددهم واسبغنا النعم عليهم
 ففسدوا وتباغوا ومنه قول
 النبي صلى الله عليه وسلم
 خير المال سكة مأمورة
 ومهرة مأمورة اى كثيرة
 التناج (واعلموا) ان حشرات
 الارض وهو امهات لعن
 العصاة وقال مجاهد اذا
 اشعثت الارض تقول

حروف الاوتار ثلاثة حرف عـ مدة الخارج من الدور الثاني وضع الدور الثالث واضف خمسة الى ثمانية تكن
 ثلاثة عشر الباقي واحد انقل الدور في ضلع ثمانية بواحد وادخل في بيت القصيد بثلاثة عشر وخذ ما وقع
 عليه العدد وهو ق وعلم عليه وادخل بثلاثة عشر في حروف الاوتار واثبت ما خرج وهو سين وعلم عليه من
 بيت القصيد ثم ادخل مما يلي السين الخارجة بالباقي من دور ثلاثة عشر وهو واحد فخذ ما يلي حرف سين
 من الاوتار فكان ب ا ثبتها وعلم عليها من بيت القصيد وهذا يقال له الدور المعطوف وميزانه صحيح وهو ان
 تضعف ثلاثة عشر بمثلها وتضيف اليها الواحد الباقي من الدور تبلغ سبعة وعشرين وهو حرف باء المستخرج
 من الاوتار من بيت القصيد وادخل في صدر الجدول بثلاثة عشر وانظر ما قبله من السطح واضعه بمثله
 وزد عليه الواحد الباقي من ثلاثة عشر فكان حرف جيم وكانت الجملة سبعة فذلك حرف زاي فاثبتناه
 وعلمنا عليه من بيت القصيد وميزانه ان تضعف السبعة بمثلها وزد عليها الواحد الباقي من ثلاثة عشر يكن
 خمسة عشر وهو الخامس عشر من بيت القصيد وهذا اخذ اوار الثلثيات وضع الدور الرابع مع وله من العدد
 تسعة باضافة الباقي من الدور السابق فاضرب الطالع مع الدور في السلطان وهذا الدور آخر العمل في البيت
 الاول من الرباعيات فاضرب على حرفين من الاوتار واضع ب تسعة وادخل بتسعة من دور
 الحرف الذي اخذته آخر من بيت القصيد فالتاسع حرف راء فاثبتته وعلم عليه وادخل في صدر الجدول بتسعة
 وانظر ما قبلها من السطح يكون ج قهقر العدد واحد يكون الف وهو الثاني من حرف الراء من بيت القصيد
 فاثبتته وعلم عليه وهو عد مما يلي الثاني تسعة يكون ألف ايضا ا ثبتته وعلم عليه وادخل في حروف الاوتار
 واضع تسعة بمثلها تبلغ ثمانية عشر ادخل بها في حروف الاوتار تقف على حرف راء ا ثبتها وعلم عليها من بيت
 القصيد ثمانية واربعين وادخل بثمانية عشر في حروف الاوتار تقف على س ا ثبتها وعلم عليها اثنين واضف
 اثنين الى تسعة تكون احد عشر ادخل في صدر الجدول باحد عشر تقابلها من السطح الف ا ثبتها وعلم عليها
 تسعة وضع الدور الخامس وعدته سبعة عشر الباقي خمسة اضعب بخمسة في ضلع ثمانية واضرب على
 حرفين من الاوتار واضع خمسة بمثلها واضعها الى سبعة عشر عدد دورها الجملة سبعة وعشرون ادخل
 بها في حروف الاوتار تقف على ب ا ثبتها وعلم عليها اثنين وثلاثين واطرح من سبعة عشر اثنين التي هي في أس
 اثنين وثلاثين الباقي خمسة عشر ادخل بها في حروف الاوتار تقف على ق ا ثبتها وعلم عليها ستة وعشرين
 وادخل في صدر الجدول بست وعشرين تقف على اثنين بالغبار وذلك حرف ب ا ثبتته وعلم عليه اربعة
 وخمسين واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور السادس وعدته ثلاثة عشر الباقي منه واحد قتبين
 اذ ذلك ان دور النظم من خمسة وعشرين فان الادوار خمسة وعشرون وسبعة عشر وخمسة وثلاثة عشر وواحد
 فاضرب خمسة في خمسة تكن خمسة وعشرين وهو الدور في نظم البيت فانقل الدور في ضلع ثمانية بواحد
 ولكن لم يدخل في بيت القصيد بثلاثة عشر كما قدمناه لانه دور ثان من نشأة تركيبة ثمانية بل اضفنا
 الاربعة التي من اربعة وخمسين الخارجة على حروف ب من بيت القصيد الى الواحد تكون خمسة تضيف
 خمسة الى ثلاثة عشر التي للدور تبلغ ثمانية عشر ادخل بها في صدر الجدول وخذ ما قبلها من السطح وهو
 الف ا ثبتته وعلم عليه من بيت القصيد اثني عشر واضرب على حرفين من الاوتار ومن هذا الجدول تنظر
 احرف السؤال فما خرج منها زده مع بيت القصيد من آخره وعلم عليه من حروف السؤال ليكون دخلا في

البهايم هذا من اجل عصاة بني آدم فذلك قوله تعالى اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وفي الحديث
 عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الحسل لتموت بذنب ابن آدم يعني ان بذنوب الخناق يمتنع القطر فلا تنبت الارض فتمتلك الدواب
 والحشرات وسبع ابوهريرة يقول ان الظالم لا يضره الا نفسه فقال بلى والله ان الجباري لتموت هزلا في وكرها بظلم الظالم وقال ابن

العدد

مسعود خزيمة بنى آدم قتلت الحسل (وروى) مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد اوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال الرجل وان كان شياً يسيراً يا رسول الله قال وان كان قضيباً من اراك وقال ابن عباس ما ظهر الغلول في قوم قط الا فشا فيهم الموت ولا تنقص قوم المكيال والميزان الا اقتطع عنهم الرزق (٣١١) ولا حكم قوم بغير حق الا فشا فيهم الدم ولا خفر قوم بالعهده الا سلط

عليهم العدو وقال بعض الحكماء اذ كر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك لا يجبنك ربح الذراعين بسفك الدماء فان له قاتلاً لا يموت (وروى) ان بعض الملوك رقم على بساطه لا نظن اذا ما كنت مقتدرًا فالظلم مصدره يفضى الى الندم تنام عينك والمظالموم منتصب يدعو عليك وعين الله لم تتم أنشدنا قاضي القضاة أبو عبد الله الدامغانى رحمه الله ببغداد اذا ما هممت بظلم العباد فكن ذا كراهول يوم المعاد فان المظالم يوم القصاص لمن قد تزددها شر زاد وقال سحنون بن سعيد كان يزيد بن حاتم الحكيم يقول ما هبت شأ قط هييتى رجلاً ظلمته وأنا أعلم ان لا ناصر له الا الله فيقول لى حسيبك الله الله بنى وبيتك وقال بلال بن سعيد اتقوا الله فيمن لا ناصر له الا الله وقال أبو سليمان الدراوى

العدد في بيت القصيد وكذلك تفعل بكل حرف حرف بعد ذلك مناسباً بحروف السؤال فما خرج منها زده الى بيت القصيد من آخره وعلم عليه ثم أضف الى ثمانية عشر ما علمته على حرف الالف من الابدان فكان اثنين تبلغ الجملة عشرين ادخل بها في حروف الاوتار تقف على حرف راء اثنته وعلم عليه من بيت القصيد ستة وتسعين وهو نهاية الدور في الحرف الوترى فاضرب على حرفين من الاوتار ووضعه الدور السابع وهو ابتداء اخترع ثمان يذشأ من الاختراعين ولهذا الدور من العدد تسعة تصنف لها واحد تكون عشرة للنشأة الثانية وهذا الواحد تزيده بعد الى اثني عشر دورا اذا كان من هذه النسبة او تقصه من الاصل تبلغ الجملة خمسة عشر فاصعد في ضلع ثمانية وتسعين وادخل في صدر الجدول بعشرة تقف على خمسة عشر واثمانيون مضاعفة مثلها وتلك في اثنتها وعلم عليها من بيت القصيد اثنين وخمسين اثنين وأسقط تسعة التي للدور الباقي واحد واربعون فادخل بها في حروف الاوتار تقف على واحد اثنته وكذلك ادخل بها في بيت القصيد يتجدد واحد فهاذا ميزان هذه النشأة الثانية فعلم عليه من بيت القصيد علامتين علامة على الالف الاخير الميزاني واخرى على الالف الاولى فقط والثانية اربعة وعشرون واضرب على حرفين من الاوتار ووضعه الدور الثامن وعدته سبعة عشر الباقي خمسة ادخل في ضلع ثمانية وخمسين وادخل في بيت القصيد بخمسة تقف على عين سبعين اثنتها وعلم عليها وادخل في الجدول بخمسة وخذ ما قبلها من السطح وذلك واحد اثنته وعلم عليه من البيت ثمانية واربعين واسقط واحد من ثمانية واربعين للاس الثاني واضف اليها خمسة الدور والجملة اثنان وخمسون ادخل بها في صدر الجدول تقف على حرف غبارية وهي مرتبة مئينية لتزايد العدد فتكون مائتين وهي حرف راء اثنتها وعلم عليها من القصيد اربعة وعشرين فانتقل الامر من ستة وتسعين الى الابدان وهو اربعة وعشرون فاضف الى اربعة وعشرين خمسة الدور واسقط واحد تكون الجملة ثمانية وعشرين ادخل بالنصف منها في بيت القصيد تقف على ثمانية اثبت ٢ وعلم عليها وضع الدور التاسع وعدده ثلاثة عشر الباقي واحد اصعد في ضلع ثمانية بواحد وليست نسبة العمل هنا كسبقتها في الدور السادس لتضاعف العدد ولولاه من النشأة الثانية ولانه اول الثلث الثالث من مربعات البروج وآخر الستة الاربعة من المثلثات فاضرب ثلاثة عشر التي للدور في اربعة التي هي مثلثات البروج السابقة الجملة اثنان وخمسون ادخل بها في صدر الجدول تقف على حرف اثنين غبارية وانما هي مئينية لتجاوزها في العدد عن مرتبة الاحاد والعشرات فاثنته مائتين راء وعلم عليها من بيت القصيد ثمانية واربعين واضف الى ثلاثة عشر الدور واحد الاس وادخل باربعة عشر في بيت القصيد تبلغ ثمانية فعلم عليها ثمانية وعشرين واطرح من اربعة عشر سبعة يبقى سبعة اضرب على حرفين من الاوتار وادخل بسبعة تقف على حرف لام اثنته وعلم عليه من البيت وضع الدور العاشر وعدده تسعة وهذا ابتداء المثلثة الرابعة واصعد في ضلع ثمانية بتسعة تكون خلافاً فصعد بتسعة ثانية تصير في السابع من الابدان اضرب تسعة في اربعة اصعد ثمانية وانما كانت تضرب في اثنين وادخل في الجدول بسعة وثلاثين تقف على اربعة زمامية وهي عشرية فاخذناها احادية لقلة الادوار فاثبت حرف دال وان أضفت الى ستة وثلاثين واحداً الاس كان حدها من بيت القصيد فعلم عليها ولودخلت بالتسعة لا غير من غير ضرب في صدر الجدول لو قف على ثمانية فاطرح من ثمانية اربعة الباقي اربعة وهو المقصود ولودخلت في صدر الجدول بثمانية

لما دخل اخوة يوسف عليه السلام عرفهم ولم يعرفوه وكان على وجهه برقع يخفيه لابي كبيرهم وكان ابن خالته فقال له يم اوصالك ابوك قال يا ربم قال وما هن قال يا بنى لا تتبع هواك فنفاق ايمانك يدعو الى الجنة والهوى يدعو الى النار ولا تكثر منطقتك بما لا يعينك فتسقط من عينه ولا تسيء بربك الظن فلا يستجيب لك ولا تكن ظالماً فان الجنة لم تخلق للظالمين (وبكى) على بن الفضل يوماً

فقد له ما يبكيك فقال ابكي على من ظلمني اذ وقف غدا بين يدي الله تعالى ولم يكن له حجة ولمجد والوراق اني وهيت الظالمى ظلمى *
 وتركت ذلك له على على ورايته اسدى الى يدا * لما بان بجهله حلى رجعت اساسه عليه واح * ساني فاب مضاعف الجورم
 وغدوت ذا الجرم ومجدة * (٣١٢) وغدا بكسب الذم والاثم مازال يظلمني وارجه * حتى ربيت له من الظلم

وكانما الاحسان كان له
 وانا المسمى اليه في الحكم
 وروى ان النبي صلى الله
 عليه وسلم قال يقول الله
 تعالى استغضبي على
 من ظلم من لا يجديناصرا
 غيري (وقال) ابن مسعود
 لما كشف الله العذاب
 عن قوم يونس ترادوا المظالم
 حتى ان كان الرجل ليقلع
 الحجر من اساسه فيرده الى
 صاحبه وقال نور بن زيد
 الحجر في البنيان من غير حله
 هربون على خرابه وقال
 غيره لو ان الجنة وهى دار
 البقاء استت على حجر من
 الظلم لا وشك ان تحرب
 وقال الحكيم العدل حرمة
 والظلم ظلمات فالعدل يجز
 اليك الحوائج والجور يحجم
 عليك الحوائج فاحذر من
 لاجنة له الا الثقة بنزول
 الغير ولا سلاح له الا
 الابطال الى مقاب الدول
 قال مالك بن دينار قرأت
 في بعض الكتب بامعشر
 الظلمة لا تحبالوا أهل الذكر
 فانهم اذا ذكر وفي ذكرتهم
 برجتى واذا ذكرتم وفي
 ذكرتم بلعنتى وقال ابو
 امامة يجي الظالم يوم
 القيامة حتى اذا كان على

عشر التي هي تسعة في اثنين لو وقف على واحد زماهى وهو عشرى فاطرح منه اثنين تكرار التسعة الباقى
 ثمانية نصفها المطلوب ولو دخلت في صدر الجدول بسبعة وعشرين بضر بها في ثلاثة لوقعت على عشرة
 زمامية والعمل واحد ثم ادخل بتسعة في بيت القصيد واثبت ما خرج وهو الف ثم اضرب تسعة في ثلاثة
 اتى هي مركب تسعة الماضية واسقط واحد وادخل في صدر الجدول بستة وعشرين واثبت ما خرج وهو
 مائتان بحرف راء وعلم عليه من بيت القصيد ستة وتسعين واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور
 المحادى عشر وله سبعة عشر الباقى خمسة اضعف في ضلع ثمانية بخمسة وتحسب ما تكرر عليه المشى في الدور
 الاول وادخل في صدر الجدول بخمسة تقف على خال فخذ ما قبله من السطح وهو واحد فادخل بواحد في
 بيت القصيد تكن سين أثبتة وعلم عليه اربعة ولو يكون الوقف في الجدول على بيت عامر لا ثبتنا الواحد
 ثلاثة وأضعف سبعة عشر بمثلها واسقط واحد واضعفها بمثلها وازدهار اربعة تبلغ سبعة وثلاثين ادخل بها
 في الاوتار تقف على ستة أثبتها وعلم عليها وأضعف خمسة بمثلها وادخل في البيت تقف على لام اثبتها وعلم
 عليها عشر بن واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور الثاني عشر وله ثلاثة عشر الباقى واحد اضعف في
 ضلع ثمانية بواحد وهذا الدور آخر الادوار وآخر المثلثات اربع المثلثات اربعة واثبتها في
 الرابعة والواحد في صدر الجدول يقع على ثمانين زمامية وانما هى آحاد ثمانية وليس معان من الادوار
 الا واحد فلوراد عن اربعة من مربعات اثني عشر او ثلاثة من مثلثات اثني عشر فكانت ح وانما هى
 د فاثبتها وعلم عليها من بيت القصيد اربعة وسبعين ثم انظر مانا بهما من السطح تكن خمسة اضعفها بمثلها
 للاس تبلغ عشرة اثبتى وعلم عليها وانظر في أى المراتب وقعت وجدناها في الرابعة دخلنا بسبعة في
 حروف الاوتار وهذا المدخل يسمى التوليد الحرفى فكانت ف اثبتها واضف الى سبعة واحد الدور
 المحملة ثمانية ادخل بها في الاوتار تبلغ س اثبتها وعلم عليها ثمانية واضرب ثمانية في ثلاثة الزائدة على
 عشرة الدور فانها آخر مربعات الادوار بالمثلثات تبلغ اربعة وعشرين ادخل بها في بيت القصيد وعلم على
 ما يخرج منها وهو مائتان وعلامتها ستة وتسعون وهونهاية الدور الثاني في الادوار الحرفية واضرب على
 حرفين من الاوتار وضع النتيجة الاولى ولها تسعة وهذا العدد يناسب ابد الباقى من حروف الاوتار بعد
 طرحها ادوار وذلك تسعة فاضرب تسعة في ثلاثة التى هي زائدة على تسعين من حروف الاوتار واضف
 لها واحدا الباقى من الدور الثاني عشر تبلغ ثمانية وعشرين فادخل بها في حروف الاوتار تبلغ الف اثبتة
 وعلم عليه ستة وتسعين وان ضربت سبعة التى هي ادوار الحروف التسعينية في اربعة وهى الثلاثة الزائدة
 على تسعين والواحد الباقى من الدور الثاني عشر كان كذلك واصعد في ضلع ثمانية بتسعة وادخل في
 الجدول بتسعة تبلغ اثنين زمامية واضرب تسعة فيما تناسب من السطح وذلك ثلاثة وأضعف لذلك سبعة
 عدد الاوتار الحرفية واطرح واحد الباقى من دورا ثني عشر تبلغ ثلاثة وثلاثين ادخل بها في البيت تبلغ
 خمسة فاثبتها واضف تسعة بمثلها وادخل في صدر الجدول بثمانية عشر وخذ ما في السطح وهو واحد ادخل
 به في حروف الاوتار تبلغ م أثبتة وعلم عليه واضرب على حرفين من الاوتار وضع النتيجة الثانية ولها
 سبعة عشر الباقى خمسة فاصعد في ضلع ثمانية بخمسة واضرب خمسة في ثلاثة الزائدة على تسعين تبلغ خمسة
 عشر اضعف لها واحد الباقى من الدور الثاني عشر تكن تسعة وادخل بستة عشر في بيت القصيد تبلغ ت

جسرجه من لقيه المظلوم وعرف ما ظلمه به فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا اماما يديهم
 من الحسنات فان لم يجددوا حسنات حمل عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموا حتى يردوا الدرء الاسفل من النار ومن صحح مسلم ان هشام بن
 حكيم مر بالشام على اناس وقد اقيموا في الشمس وصب على رؤسهم الزيت قال ما هذا قال يعذبون في الخراج قال امامانى سمعت النبي

صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا واخبرني رجل عن كان يقرأ العلم بالاسكندرية قال كان ههنا شيخ
 يكون عينه كاسين يدور حولهم فرأيتهم في النوم بعد وفاته فقلت له من أين تجيء فقال لي لا تسأل فاعدت عليه فقال لا تسأل فساأته
 فقال من الحجيم فقلت له فإلى أين تذهب قال الى مثل الدار التي خرجت منها قلت فكيف (٣١٣) لقيت قال وماذا لقيت كان ليحني

قد جعل في هاون وودق حتى
 صار مثل المنخ (واخبرني)
 رجل من أهل العلم والدين
 قال رأيت فلانا لبياع في
 النوم بعد وفاته فقلت
 ما فعل الله بك قال أنا
 محبوس عن الجنة قلت
 فيماذا قال كنت أبيع
 في الدكان فيزدحم الناس
 علي فأخذوا زدرهمهم
 فأضجعها في في وكلما
 تفرغت وزنتها وأعطيت
 كل انسان حقه فأختلطت
 في في الفضلات فجاء
 اثنان فدفعوا لآحدهما
 بقضة الاخر وكانت
 أنقص من فضته بحبة
 ثم حوسبت فبقي على حبة
 فقلت فادفع له الحبة
 وتخلص فجعل يقلب
 كفيه ويقول من أين
 ادفع له من أين ادفع له
 فكرها مرات (ويروي)
 ان يونس عليه السلام
 لما نبت بالعراء وأنبت الله
 عليه شجرة من يقطين
 كان يأوي الى ظلها فيست
 فيها كي عليها فأوحى الله
 تعالى اليه تبكي على شجرة
 فقدتها ولا تبكي على مائة
 ألف أو يزيدون أردت
 ان أهلكهم وقيل لابن

أثبتوه علم عليه اربعة وستين وأضف الى خمسة الثلاثة الزائدة على تسعين وزد واحد الباقي من الدور
 الثاني عشر يكن تسعة ادخل بها في صدر الجداول تبلغ ثلاثين زمامية وانظرها في السطح تجد واحد اثبته
 وعلم عليه من بيت القصة يدور هو التاسع أيضا من البيت وادخل بتسعة في صدر الجداول تقف على ثلاثة
 وهي عشرات فاثبت لام وعلم عليه وضع النتيجة الثالثة وعددها ثلاثة عشر الباقي واحد فانه في ضلع
 ثمانية بواحد وأضف الى ثلاثة عشر الثلاثة الزائدة على التسعين وواحد الباقي من الدور الثاني عشر تبلغ
 سبعة عشر وواحد النتيجة تكن ثمانية عشر ادخل بها في حروف الاوتار تكن لاما اثبته بهذا آخر العمل
 والمثال في هذا السؤال السابق اردنا ان نعلم ان هذه الزاير جمة علم محدث أو قديم بطالع أول درجة من
 القوس اثبته حروف الاوتار ثم حروف السؤال ثم الاصول وهي عدة الحروف ثلاثة وتسعون ادوارها
 سبعة الباقي منها تسعة الطالع واحد سلطان القوس اربعة الدور الاكبر واحد درج الطالع مع الدور اثنان
 ضرب الطالع مع الدور في السلطان ثمانية اضافة السلطان للطالع خمسة بيت القصيد

سؤال عظيم الخلق حزت فضن اذن * غرائب شك ضبطه الحمد مثلا
 حروف الاوتار ص ط ه ر ث ك ه م ص ص و ن ب ه س ا ن ل م ن ص
 ع ف ص و ر س ك ل م ن ص ع ف ض ق ر س ت ث خ ذ ط غ
 ش ط ي ع ح ص ر و ح ر و ح ل ص ك ل م ن ص ا ب ج د ه
 و ز ح ط ي

* (حروف السؤال) * ا ل ز ا ي ر ج ة ع ل م م ح د ث ا م ق د ي م
 الدور الاول ٩ الدور الثاني ١٧ الباقي ٥ الدور الثالث ١٣ الباقي ١ الدور الرابع ٩
 الدور الخامس ١٧ الباقي ٥ الدور السادس ١٣ الباقي ١ الدور السابع ٩ الدور الثامن ١٧
 الباقي ٥ الدور التاسع ١٣ الباقي ١ الدور العاشر ١٣ الدور الحادي عشر ١٧ الباقي ٥
 الدور الثاني عشر ١٣ الباقي ١ النتيجة الاولى ٩ النتيجة الثانية ١٧ الباقي ٥ النتيجة الثالثة
 ١٣ الباقي ١

(٤٠ - ابن خلدون) السماء الاسدي أيام معاوية كيف تركت الناس قال بين مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهي وقال بعض
 الحكماء أفقر الناس أكثرهم كسبا من حرام لانه استدان بالظلم ما لا بد له من رده وقال رجل كنت جالسا عند عمر بن عبدالعزيز فذكر الحجاج
 فسبته ووقعت فيه فقال عمران الرجل ليظلم بالظلم ولا يزال المظلوم يشتم الظالم ويسببه حتى يستوفي حقه فيكون للظالم حق عليه وقال

عمر بن ينارزادى رجل في بني اسرائيل من رأى فلا يظلمن أحدا واذا رجل قد ذهب ذراعه من عضده وهو يبكي ويقول من رأى فلا يظلمن أحدا فسئل عن حاله فقال بينهما أنا أسير على شاطئ البحر في بعض سواحل الشام اذ مررت بنبطى قد اصطاد تسعة أنوان فأخذت منه نونا وهو كاره بعد ان ضربت (٣١٤) رأسه فعض النون ابهامى عضه يسيرة ثم أكلناه فوعدت الاكلة في ابهامى فاتفقت الاطباء

على قطعه فقطعه فوعدت في كفى ثم ساءدى ثم عضدى فن رأى فلا يظلمن أحدا فخرجت أسير في البلاد وأرى يد قطع عضدى اذ رفعت لى شجرة فأوويت الى ظلها فنعست فقبل لى فى المنام لى شىء تقطع اعضاءك رد الحق الى أهله فوعدت الصاد فقلت يا عبد الله أنا تملمو كل فاعقنى فقال ما أعرفك فاخبرته فبكى وتضرع وقال أنت فى حبل فلما قالها تناثر الدود من عضدى وسكن الوجع فقلت له بماذا دعوت على قال لما ضربت رأسى وأخذت السمكة نظرت الى السماء وبكيت فقلت يا رب أشهد أنك عدل تحب العدل وهما ذمامك عدل وانك الحق تحب الحق وخلقته وخلقته وجهته قويا وجعلته ضعيفا فأسألك يا من خلقته وخلقته أن تجعله عبرة لخلقك (وقال معاوية) ان أولى الناس بالعرفو أقدروهم على الانتقام وان أنقص الناس عقلا من ظلم من دونه وقال بعض الحكماء الظلم على ثلاثة أوجه ظلم لا يغفره الله

ه ع ح و ٦٦ في اى ٦

٢٣	غ	١	س
٢٤	ر	٢	و
٢٥	ا	٣	ا
٢٦	ى	٤	ل
٢٧	ب	٥	ع
٢٨	ش	٦	ظ
٢٩	ك	٧	ى
٣٠	ض	٨	م
٣١	ب	٩	ا
٣٢	ط	١٠	ل
٣٣	ه	١١	خ
٣٤	ا	١٢	ل
٣٥	ل	١٣	ق
٣٦	ج	١٤	ح
٣٧	د	١٥	ز
٣٨	م	١٦	ت
٣٩	ث	١٧	ف
٤٠	ل	١٨	ص
٤١	ا	١٩	ن
		٢٠	ا
		٢١	ذ
		٢٢	ن

ف وزاوس دراس ابارق اعرص ح رحل دارس ال دى وس رادم ن ال ل دورها على خمسة وعشرين ثم على ثلاثة وعشرين مرتين ثم على واحد وعشرين مرتين الى أن تنتهى الى الواحد من آخر البيت وتنقل الحروف جميعا والله أعلم ن ف روح روح ال ودس ادرس ره ال درى س وان س دروا ب لا ام رب و ال ل هذا آخر الكلام فى استخراج الاجوبة من زايرة العالم منظومة وللقوم طرائق اخرى من غير الزايرة يستخرجون بها اجوبة المسائل غير منظومة وعندهم ان السر فى استخراج الجواب منظوما من الزايرة انما

وظلم لا يتركه الله وظلم لا يعبأ الله به شيا فاما الظلم الذى لا يغفره الله فهو الشرك بالله واما الظلم الذى لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا واما الظلم الذى لا يعبأ الله به فظلم العبد ما بينه وبين الله تعالى وقال ميمون بن مهران من ظلم رجلا مظلمة ففاته ان يخرج فاستغفر الله دبر كل صلاة رجوت أن يخرج من مظلمته (وقال يوسف بن اسباط) توفي رجل من الحواريين فوجدوا عليه وجداشد يد اوش

ذلك الى المسيح صلى الله عليه وسلم فوقف على قبره ودعا فاجابه الله تعالى وفي رجله نعلان من نار فسأل عيسى عن ذلك فقال والله ما عصبت قط الا اني مرت عظامي فلم انصره فتنعمت هاتين النعلين واما انا فاصيبك اذا فعلت باحدمك وهما فادع الله تعالى له واستغفر له كما فعل موسى عليه السلام لما آذى هرون واخذ بلحيتته ورأسه ثم تبين له برأته وان بنى اسرائيل (٣١٥) غلبوه عليه وعلى عبادة العجل

فقال رب اغفر لي ولا تخي
 وادخلنا في رحمتك وانت
 ارحم الراحمين (وروي)
 ان قوم لوط كانت فيهم
 عشرة خصال فاهلكهم
 الله بها كانوا يتعوطون في
 الطرقات وتحت الاشجار
 المثمة وفي المياه الجارية
 وفي شطوط الانهار وكانوا
 يخذفون الناس بالحصى
 فدمو منهم واذا اجتمعوا في
 المجلس اظهر والمنكر
 باخراج الربيع منهم والطم
 على رقابهم وكانوا يرفعون
 ثيابهم قبل ان يتعوطوا
 ويأتون بالطامة الكبرى
 وهي اللواط قال الله تعالى
 انتم لتأتون الرجال
 وتقطعون السبل وتأتون
 في ناديكم المنكر والنادي
 المجلس ويلعبون بالجمام
 ويرمون بالجمام
 وضرب الدف وشرب الخمر
 وقص اللحية وتطويل
 الشارب والتصفيق ولبس
 الحجر وتزويد عليهم هذه
 الامة باتيان النساء
 بعضهن بعضا وانما جعلهم
 على اتيان الرجال انهم
 كانت لهم ثمار كثيرة في
 منازلهم وحوادثهم فاصابهم
 قحط وقلة من الثمار فقالوا

هو مزجه - بيت مالك بن وهيب وهو سؤال عظيم الخلق البيت ولذلك يخرج الجواب على رويه واما الطرق الاخرى فيخرج الجواب غير منظوم فن طرائقهم في استخراج الاجوبة ما نقله عن بعض المحققين منهم

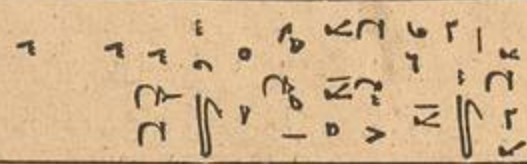
(فصل في الاطلاع على الاسرار الحفية من جهة الارتباطات الحرفية)

اعلم ارشدنا الله واياك ان هذه الحروف اصل الالف في كل قضية وانما تستنتج الاجوبة على تجزئته بالكيفية وهي ثلاثة واربعون حرفا كما ترى والله علام الغيوب او ل اع ط س ال م خ ي دل ز ق ت ا ر ذ ص ف ن غ ش الك ل ي ب م ص ب ح ط ل ج ه د ن ل ث ا وقد نظمها بعض الفضلاء في بيت جعل فيه كل حرف مشددا من حرفين وسماه القطب فقال

سؤال عظيم الخلق حرت فصن اذن * غرائب شك ضبطه الحمد مثلا

فاذا اردت استنتاج المسئلة فاحذف ما تكره من حروفها واثبت ما فضل منه ثم احذف من الاصل وهو القطب لكل حرف فضل من المسئلة حرفا مثله واثبت ما فضل منه ثم اخرج الفضائل في سطر واحد تبدأ بالاول من فضله والثاني من فضل المسئلة وهكذا الى ان يتم الفضلان او ينقذا أحدهما قبل الاخر فتضع البقية على ترتيبها فاذا كان عدد الحروف الخارجة بعد المزج موافقا لعدد حروف الاصل قبل الحذف فالعمل صحيح فحينئذ تصنف اليها خمس نونات لتعدل بها الموازين الموسمية وتكمل الحروف ثمانية واربعين حرفا فتعمر بها جدول او بما يكون آخر ما في السطر الاول اول ما في السطر الثاني وتنقل البقية على حالها وهكذا الى ان تتم عمارة الجدول ويعود السطر الاول بعينه وتتوالي الحروف في القطر على نسبة الحركة ثم تخرج وتر كل حرف بقية من بعده على اعظم جزء يوجد له وتضع الوتر مقابلا للحرف ثم تستخرج النسب العنصرية للحروف المحدولية وتعرف قوتها الطبيعية وموازينها الروطانية وغيرها النفسانية واسوسها الاصلية من الجدول الموضوع لذلك وهذه صورته

الموازين	الاسوس	الغرائز	الموازين	القوى	ا
و	صح ح	6	لا >	ه 28	ب
	ح	30	لا	س 2	ج
	ر 36	لا 2	س	ع 4	د
ط	ع	و 2	لا	ح 8	ه
القوى	ه 8	ح	ر 2		و
ك	ه 5	ح	ك		ز



بأى شئ تمنع شمارنا حتى لا يطررها احد من الناس فاصطلموا على ان من وجدوه فيها انكسروه وغرموه اربعة دراهم ففعلوا وما سبقتهم بها احد من العالمين قال ابن عباس فكان بنده الفاحشة فيهم انهم هم وايد ذلك فجاءهم ابلدس في هيئة صبي اجمل شئ رآه الناس فنكسروه وتبخروا على ذلك وقال ابو العتاهية اما والله ان الظالم لثوم ولكن المسمى هو الظالم الى ديان يوم الدين نضى وعند الله يتجمع الخصوص

سل الايام عن اعم تقضت * فتخبرك المعالم والرسوم (وروى) ان اثنوسروان كان له معلم حسن التأديب فعلمه حتى فاق في العلوم
 فضر به المعلم يومان غير ذنب فاوجعه فمات اثنوسروان عليه فلما ولي الملك قال له ما جعل لك على ما صنعت من ضر في يوم كذا وكذا انظما
 قال لما رأيتك ترعب في العلم (٣١٦) رجوت لك الملك بعد ابيك فاجبت ان اذيقك طعم القلم لئلا تقلم فقال اثنوسروان زه

*(الباب السابع والخمسون)
 في تحريم السعاية والنميمة
 وقبحهما وما يؤول اليه
 أمرهما من الافعال الرديئة
 والعواقب الذميمة *
 قال الله تعالى ولا تطع كل
 حلاف مهين هما زمناه
 بنميم مناع للخبر معتد أثيم
 عتل بعد ذلك زنيم فذكر
 الله تعالى في القرآن أصناف
 أهل الكفر والالحاد
 والتثليث وأهل الدهر
 والظلم والفسوق وأشباههم
 ولم يسب الله سبحانه أحدا
 منهم الا انما في هذه
 الآية وحسبك بها خسة
 و رذيلة وسقوطا وضعة
 وهذه الآيات ترات في الوليد
 ابن المغيرة في أصح الاقوال
 والهمماذ المغتاب الذي يأكل
 لحم الناس الطاعن فيهم
 وقال الحسن البصري هو
 الذي يغمز باخيه في المجلس
 وهو الهمزة المذمومة والعتل في
 اللغة الغليظ وأصله من
 العتل وهو الدفع بالقوة
 والعنف وقال علي رضي
 الله عنه والحسن البصري
 العتل الفاحش السيئ
 الخلق وقال ابن عباس
 العتل القاتل الشديد
 المنافق وقال عبيد بن عمير

ثم تأخذ وتركل حرف بعد حرف به في أسوس أو تاد الفلك الاربعه واحده ذر ما يلي الاوتاد وكذلك السواقط
 لان نسبتهم مضطر به وهذ الخارج هو اول رتب السريان ثم تأخذ مجموع العناصر وتخط منها أسوس
 المولدات يبقى اس عالم الخلق بعد عرضة لمدد الكونية فتعمل عليه بعض الجردات عن المواد وهي
 عناصر الامداد يخرج افق النفس الاوسط وتخرج اول رتب السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط
 وهذا مخصوص بعوالم الاكوان البسيطة لا المركبة ثم تضرب عالم التوسط في افق النفس الاوسط يخرج
 الافق الاعلى فتعمل عليه اول رتب السريان ثم تطرح من الرابع اول عناصر الامداد الاصلية يبقى ثالث
 رتبة السريان فنضرب مجموع اجزاء العناصر الاربعه ابدأ في رابع مرتبة السريان يخرج اول عالم التفصيل
 والثاني في الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل والثالث في الثالث يخرج ثالث عالم التفصيل والرابع في
 الرابع يخرج رابع عالم التفصيل فتجمع عوالم التفصيل وتخط من عالم الشكل تبقى العوالم الجردة فتقسم
 على الافق الاعلى يخرج الجزء الاول ويقسم المتكسر على الافق الاوسط يخرج الجزء الثاني وما انكسر
 فهو الثالث ويتعين الرابع هذا في الرباعي وان شئت اكثر من الرباعي فتستكثر من عوالم التفصيل
 ومن رتب السريان ومن الاوقاف بعد الحروف والله يرشدنا وياك وكذلك اذا قسم عالم التجريد على اول
 رتب السريان يخرج الجزء الاول من عالم التركيب وكذلك الى نهاية الرتبة الاخيرة من عالم الكون فانهم
 وتدبر والله المرشد المعين * ومن طريقهم ايضا في استخراج الجواب قال بعض المحققين منهم اعلم ايدينا
 الله وياك بروح منه ان علم الحروف جليل يتوصل العالم به الى ما يتوصل به غيره من العلوم المتداولة بين
 العالم وللعلم به شرائط تلتزم وقد يستخرج العالم اسرار الخلق وسرار الطبيعة فيطلع بذلك على نتيجتي
 الفلاسفة اعني السيميا واختها ويرفع له حجاب الجهولات ويطلع بذلك على مكنون خبايا القلوب وقد شهدت
 جماعة بارض المغرب عن اتصال بذلك فأتوا بغير الغرائب وخرق العوائد وتصرف في الوجود بتأيد الله
 واعلم ان ملائكة كل فضيلة الاجتهاد وحسن الملكة مع الصبر مفتاح كل خير كما ان الخرق والعجز له رأس
 الحرمان فاقول اذا اردت ان تعلم قوة كل حرف من حروف الفبا بطوس اعني اجد الى آخر العدد وهذا اول
 مدخل من علم الحروف فانظر ما لذلك الحرف من الاعداد فنلك الدرجة التي هي مناسبة للحرف هي قوته
 في الجسمانيات ثم اضرب العدد في مثله تخرج لل قوته في الروحانيات وهي وتره وهذا في الحروف المنقوطة
 لا يتم بل يتم لغير المنقوطة لان المنقوطة منها مراتب المعاني يأتي عليها البيان فيما بعد واعلم ان لكل شكل
 من اشكال الحروف شكلا في العالم العلوي اعني الكبرسي ومنها المتحرك والساكن والعلوي والسفلي كما
 هو مرقوم في اما كنه من الجدول الموضوع في الزيارج واعلم ان قوى الحروف ثلاثة اقسام الاول
 وهو اقلها قوة تظهر بعد كتابتها فتكون كناية لعالم روحي مخصوص بذلك الحرف المرسوم حتى يخرج
 ذلك الحرف بقوة نفسانية وجمع همة كانت قوى الحروف مؤثرة في عالم الاجسام الثاني قوتها في الهئية
 الفكرية وذلك ما يصدر عن تصرف الروحانيات لها فهي قوة في الروحانيات العلويات وقوة شكلية
 في عالم الجسمانيات الثالث وهو ما يجتمع مع الباطن اعني القوة النفسانية على تكوينه فتكون قبل النطق
 به صورة في النفس بعد النطق به صورة في الحروف وقوة في النطق واما طبايعها فهي الطبيعية
 المنسوبة للمولدات في الحروف وهي الحرارة واليبوسة والحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة والبرودة

العتل الاكول الشروب القوي الشديد يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة وقال يمان هو الحافي القاسي اللثيم والرطوبة
 العسر وقال مقاتل العتل الضخم وقال السكبي الشديد في كفره عند العرب عتل وقيل العتل الشديد الخوصمة بالباطل والزنيم هو
 الذي لا يعرف من ابوه قال حسان بن ثابت وانت زنيم نبط في آل هاشم * كما نبط خلف الراكب القديح الفرد (وقال غيره)

زئيم ليس يعرف من أبوه * بنى الام ذو حجب ثم وقال اكثر النقلة هـ ذاء رجل انما ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة وعن هذا قال القدماء لا يكون غماما الا فى نسبة شئ وسعى رجل الى بلال بن ابي بردة برجل وكان أمير البصرة فقال له انصرف حتى اكشف عنك فكشف عنه فاذا هو لغير رشدة يعنى ولد ذنا وقال أبو موسى الأشعري لا يعنى على الناس (٣١٧) الا ولد بنى وقيل الزئيم الذى له زئمة فى عتقه يعرف بها كما

تعرف الشاة قال ابن عباس لما وصفه الله تعالى بذلك الحال المذمومة لم يعرف حتى قيل زئيم فعرف لانه كانت له زئمة يعرف بها كما تعرف الشاة بزئمتها (ومن ذلك) قول الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتدينوا ان تصيدوا وقوما بجهالة لتزلزلن في الوليد بن عقبة بن ابي معيط بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بنى المصطلق بعد الواقعة وكان بينه وبينهم عداوة فى الجاهلية فخرجوا يثقلونه تعظيما لامر النبي صلى الله عليه وسلم ففرغ ورجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال منعوني صدقاتهم وأرادوا قتلى فغضب النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ثم كشف أمرهم فوجد ما قاله كذبا فزلت هذه الآية وسماه الله تعالى فاسقا (ومن ذلك) قول الله سبحانه سمعون للكذب اكلون للسحت فشرى الله تعالى بين السامع والقائل فى القبح وسأوى بينهم فى الذم فكان فيه تنبيه على ان السامع غمام فى الحكم

والرطوبة فهذا سر العدد اليماني والحجارة جامعة للهوا والار وهما ا ه ط م ف ش ذ ح ز ل س ق ث ظ والبرودة جامعة للهوا والماء ب و ي ن ص ت ض د ح ل ع ر خ غ واليبوسة جامعة للنار والارض ا ه ط م ف ش ذ ب و ي ن ص ت ض فهذه نسبة حروف الطبائع وتداخل اجزاء بعضها فى بعض وتداخل اجزاء العالم فيها علىيات وسه فليات باسم باب الامهات الاول اعنى الطبائع الاربع المنفردة حتى اردت استخراج مجهول من مسئلة ما حقق طالع السائل او طالع مسئلته واستنطق حروف او تادها الاربع الاول والرابع والسابع والعاشر من متوية مرتبة واستخرج اعداد القوى والاول تاد كاسم نبيين واجل وانسب واستخرج الجواب يخرج لك المطلوب اما بصريح اللفظ او بالمعنى وكذلك فى كل مسئلة تقع لك بيانه اذا اردت ان تستخرج قوى حروف الطالع مع اسم السائل والحاجة فاجمع اعدادها بالجمل الكبير فمجان الطالع الجمل رابعه السرطان سابعه الميزان عاشره الجدى وهو اقوى هذه الاول تاد فاسم قط من كل برج حرقى التعريف وانظر ما يخص كل برج من الاعداد والمنطقة الموضوعه فى دائرتها واحذف اجزاء الكسرى فى النسب الاستنطاقية كلها وانثت تحت كل حرف ما يخصه من ذلك ثم اعداد حروف العناصر الاربعه وما يخصها كالاول وارسم ذلك كله احرفا ورب الاول تاد والقوى والقرائن سه طرامه تتر جا وكسروا ضرب ما يضرب لاستخراج الموازين واجمع واسم منتج الجواب يخرج لك الضمير وجوابه مثاله افرض ان الطالع الجمل كما تقدم ترسم ح م ل فلجماعه من العدد ثمانية لها النصف والربع والثمن د ب ا الميم لها من العدد اربعون لها النصف والربع والثمن والعشر ونصف العشر اذا اردت التدقيق م ل ك ي ه د اللام لها من العدد ثلثا لثون لها النصف والثلثان والثلث والخمس والسادس والعشر ك ي و ه ج وه كذا تفعل بسائر حروف المسئلة والاسم من كل لفظ يقع لك واما الاستخراج الاول تاد فهو ان تقسم م ربع كل حرف على اعظم جزء يوجد له مثاله حرف دله من الاعداد اربعة مرتبعها ستة عشر اقسامها على اعظم جزء يوجد لها وهو اثنان يخرج وتر الدال ثمانية ثم تضع كل وتر مقابل الحرف ثم تستخرج النسب العنصرية كما تقدم فى شرح الاستنطاق ولها قاعدة تطرد فى اسم استخراجها من طبع الحروف وطبع البيت الذى يحل فيه من الجداول كما ذكر الشيخ لمن عرف الاصطلاح والله اعلم

(فصل فى الاستدلال على ما فى الضمائر الخفية بالقوانين المحرفية)

وذلك لوسأل سائل عن عدل لم يعرف مرضه ما عتبه ومما موافق لبرئته منه فخر السائل ان يسمى ماشاء من الاشياء على اسم العلة المحجولة لتجعل ذلك الاسم قاعدة لك ثم استنطق الاسم مع اسم الطالع والعناصر والسائل واليوم والساعة ان اردت التدقيق فى المسئلة والاقتصر على الاسم الذى سماه السائل وفعلت به كما ينبىين فاقول مثلا سمى السائل فرسا فانبت الحروف الثلاثة مع اعدادها المنطقية بيانه ان اللقاء من العدد ثمانين ولها م ك ي ح ب ثم الراء لها من العدد مائتان ق ن ل ك ي ثم السين لها من العدد ستون ولها م ل ك فالواو عدد تام له د ج ب والسين مثله ولها م ل ك فاذا بسطت حروف الاسماء وجدت عنصرين متساويين فاحكم لاكثرهما حروفا وبالغلبة على الاخر ثم اجمل قوله لعل هذه عبارة بعض المشاركة لان هذا ترتيب المشاركة لارتيب المغاربة الذى قدمه اه

(واما ما روى فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم) فروى مسلم فى الصحيح قال همام كنا مع حذيفة فقيل له ان رجلا يرفع الحديث الى عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال حذيفة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قتات وفى لفظ آخر غمام وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا خبركم بشراكم قالوا بلى يا رسول الله قال من شر اركم المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون العيوب

وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ملعون ذوا الوجه - من ملعون ذوا اللسانين ملعون كل - فأما ملعون كل فثقات ملعون كل منان فالسفار المحرس بين الناس يأتي بينهم العداوة والقنات النمام والذم الذي يحمل الخبز ويمن به وروى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال (٣١٨) انهما البعذان وما يعذبان في كثير مما احدهما فإكان لا يستبرئ من البول وأما الآخر

عدد حروف عناصر اسم المطلوب وحروفه دون بسط وكذلك اسم الطالب واحكم للاكثر والاقوى بالغلبة
وصفة قوى استخراج العناصر

بياض بالاصل

فتكون الغلبة هنا للتراب وطبعه البرودة واليبوسة طبع السواد فتحكم على المر يض بالسواد فاذا اقلت من حروف الاستنطاق كلاما على نسبة تقر بديعة خرج موضع الوجد في الحلق ويوافق من الادوية حقنة ومن الاشر به شراب الليمون هذا ما خرج من قوى اعداد حروف اسم فرس وهو مثال تقر يبي مختصر وأما استخراج قوى العناصر من الاسماء العلمية فهو ان تسمى مثلا محمدا فتقسم احرفه مقطعة ثم تضع اسماء العناصر الاربعة على ترتيب الفلك يخرج لك ما في كل عنصر من الحروف والعدد ومثاله

ناري	ترابي	هوائي	مائي
ا ا ا	ب ب ب	ج ج ج	د د د
ه ه ه	و و و	ز ز ز	ح ح ح
ط ط ط	ي ي ي	ك ك ك	ل ل ل
م م م	ن ن ن	ص ص ص	ع ع ع
ف ف ف	ض ض ض	ق ق ق	ر ر ر
س س س	ت ت ت	ث ث ث	خ خ خ
ذ ذ ذ	ظ ظ ظ	غ غ غ	ش ش ش

فتعد اقوى هذه العناصر من هذا الاسم المذكور عنصر الماء لان عدد حروفه عشرة وحرفا في جعلت له الغلبة على بقية عناصر الاسم المذكور وهكذا يفعل بجميع الاسماء حينئذ تضاف الى اوتارها والوزن المنسوب للطالع في الزايرة اولوتر البنت المنسوب لمالك بن وهيب الذي جعله قاعدة مزج الاسئلة وهو هذا سؤال عظيم الحاق حزن فصن اذن غرائب شئت ضبطه الحمد مثلا وهو وتر مشهور لاستخراج الجهولات وعلمه كان يعتمد ابن الرقام واصحابه وهو عمل تام قائم بنفسه في المثالات الوضعية وصفة العمل بهذا الوتر المذكور ان ترسمه مقطعا متمترجا با لفاظ السؤال على قانون صنفه التفسير وعدة حروف هذا الوتر اعني البت ثلاثة واربعون حرفا لان كل حرف مشدود من حرفين ثم تحذف ما تكرر وعند المزج من الحروف ومن الاصل لكل حرف فضل من المسئلة حرفا يماثله وتثبت الفضلين سطر اعترجا بعضه ببعض الحروف الاول من فضلة القطب والثاني من فضلة السؤال حتى يتم الفضلان جميعا فتكون ثلاثة واربعين فضلة اليها خمس نونات ليكون ثمانية واربعين لتمامها الموازين الموسيقية ثم تضع الفضلة على ترتيبها فان كان عدد الحروف الخارجة بعد المزج يوافق العدد الاصل قبل

فكان يمشى بالنميمة فاخذ جريدة رطبة فشقها بنصفين فغرز في كل قبر واحدة فقالوا يا رسول الله لم فعلت هذا قال لعلمه يخفف عنهم ما لم يبسوا وذلك لبركة يده صلى الله عليه وسلم (وأما السعاية) الى السلطان والى كل ذي قدرة ومكة فهي المهلكة والمهلكة تجتمع الى الخصال المذمومة الغيبة ولؤم النميمة والتغوير بالنفوس والاموال والقدرح في المنازك والاحوال وتسلب العز يزعه وتخط المكين عن مكانته والسيد عن مرتبته فكم من دم اراقه سخي ساعوكم حريم استبيح بنميمة باغ وكم من صفين تقاطعا ومن متواصلين تباعدوا ومن محبين بناغضا ومن القيين تهاجروا ومن زوجين افتراقا فليتنق الله ربه رجل ساعدته الايام وتراخت عنه الاقداران يصيح لساع او يسمع لنمام وروى ابن قتيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة لا يدخلها ديوث والقلاع فالديوث الذي يجمع بين النساء والرجال سمي بذلك لانه يدب بينهم والقلاع الساعي الذي يقع في الناس عند الامراء لانه يقصد الرجل المتمكن عند السلطان فلا يزال يقع فيه حتى يقامه (وقال) كعب اصاب الناس فحط شديد على عهد موسى صلى الله عليه وسلم فخرج موسى يسئس في بني اسرائيل فلم يسقوا ثم خرج ثانية فلم يسقوا ثم خرج الثالثة فادعى الله تعالى اليه اني لا استجيب لك ولا لمن معك فان فيكم نماما فقال يارب من

المحذف
نزال يقع فيه حتى يقامه (وقال) كعب اصاب الناس فحط شديد على عهد موسى صلى الله عليه وسلم فخرج موسى يسئس في بني اسرائيل فلم يسقوا ثم خرج ثانية فلم يسقوا ثم خرج الثالثة فادعى الله تعالى اليه اني لا استجيب لك ولا لمن معك فان فيكم نماما فقال يارب من

حتى نخرجه من بيننا فاحي الله تعالى اليه يا موسى أنها كم عن النعمة وآتيها فتابوا فامرسل الله سبحانه عليهم الغيث * ولما اتى اسقف
نجران عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له يا امير المؤمنين احذر قاتل الثلاثة قال ومن قاتل الثلاثة قال الرجل يأتى الامام بالحديث
الكذب فيقبله الامام فيكون قد قتل نفسه وصاحبه وامامه فقال عمر ما اراك (٣١٩) ابعدت ووجدنا في حكم القدماء ابغض

الناس الى الله المثلث قال
الاصمعي هو الرجل يسعى
بالنميمة ياخيه الى الامام
فيهلك نفسه واخاه وامامه
(وذكرت السعياية) عند
المأمون فقال لو لم يكن من
عبيهم الا انهم اصدق ما
يكونون ابغض ما يكون
عند الله تعالى * وقال حكيم
القرس الصدق زين كل
احد الا السعياية فان الساعي
اذم وآثم ما يكون اذا
صدق (وروى) ان رجلا
سعى بخاره عند الوليد بن
عبد الملك فقال له الوليد اما
انت فتخبرنا انك جار سوء
ان شئت ارسلنا معك فان
كنت صادقا ابغضناك وان
كنت كاذبا عاقبناك وان
شئت تاركنا قال تاركني

يا امير المؤمنين قال قد
تاركناك * والله در الاسكندر
حين وشى اليه واش برجل
فقال له الاسكندر ان شئت
قبلناك على صاحبك بشرط
ان تقبله عليك وان شئت
اقلناك قال اقلني قال قد
اقلناك كف عن الشر بكف
عنتك الشر (ومن العجب)
الذي لا يحب بعده ان
الرجل يشهد عندك في
باقة بقل فلا تقبله حتى

الحذف فالعمل صحيح ثم عمر بما خرجت جنولا مر بعايكون آخر ما في السطر الاول ما في السطر الثاني
وعلى هذا النسق حتى يعود السطر الاول بعينه وتتوالى الحروف في القطر على نسبة الحركة ثم تخرج وتركل
حرف كما تقدم وتضاهى مقابله ثم تستخرج النسب العنصرية للحروف الجدولية لتعرف قوتها
الطبيعية وموازينها الروحانية وغايرها النفسانية واسوسها الاصلية من الجدول الموضوع لذلك وصفة
استخراج النسب العنصرية هو ان تنظر الحرف الاول من الجدول ما طبيعته وطبيعة البيت الذي حل
فيه فان اتفقت في جنس والافستخرج بين الحرفين نسبة يتبعها هذا القانون في جميع الحروف الجدولية
وتحقيق ذلك سهل على من عرف قوانينه كما هو مقرر في دوائرها الموسيقية ثم تأخذ وتركل حرف بعد ضربه
في اسوس او تاد الفلك الاربعة كما تقدم واحذر ما يلي الاوتاد وكذلك السواقط لان نسبتها مضطربة وهذا
الذي يخرج الملك هو اول مراتب السريان ثم تأخذ مجموع العناصر وتحط منها اسواس المولدات يبقى اس
عالم الخلق بعد عرضه للادد الكونية فتعمل عليه بعض المجرذات عن المواد وهي عناصر الامداد يخرج
افق النفس الاوسط وتطرح اول رتب السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط وهذا مخصوص
بعوالم الاكوان البسيطة لا المركبة ثم تضرب عالم التوسط في افق النفس الاوسط يخرج الافق الاعلى
فتعمل عليه اول رتب السريان ثم تطرح من الرابع اول عناصر الامداد الاصلية يبقى ثالث رتبة السريان
ثم تضرب مجموع اجزاء العناصر الاربعة ابدافى الرابع رتب السريان يخرج اول عالم التفصيل والثاني في
الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل وكذلك الثالث والرابع فتجمع عوالم التفصيل وتحط من عالم الكل تبقى
العوالم المجردة فتقسم على الافق الاعلى يخرج الجزء الاول ومن هنا يطرد العمل في التامة وله مقامات
في كتب ابن وحشية والبونى وغيرهما وهذا التدبير يجري على القانون الطبيعي المحكمى في هذا الفن
وغيره من فنون الحكمة الالهية وعليه مدار وضع الارباع الحرفية والصنعة الالهية والنيرجات الفلسفية
والله الملموم به المستعان وعليه التكامل وحسبنا الله ونعم الوكيل

٢٤ * (علم الكيمياء) *

وهو علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ويشرح العمل الذي يوصل الى ذلك
فيتصفقون المكونات كلها بعد معرفة اخرجتها وقواها العلمهم يعثرون على المادة المستعدة لذلك حتى من
الفضلات الحيوانية كالعظام والريش والبيض والعذرات فضلا عن المعادن ثم يشرح الاعمال التي
تخرج بها تلك المادة من القوة الى الفعل مثل حل الاجسام الى اجزائها الطبيعية بالنصعيد والتقطير ووجد
الذائب منها بالتكليس وامهات الصاب بالههرو والصلاية وامثال ذلك وفي زعمهم انه يخرج بهذه الصناعات
كالحاجس طبيعي يسمى الكسير وانه يلقي منه على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب والفضة
بالاستعداد القريب من الفعل مثل الرصاص والقصدير والنحاس بعد ان يحوى بالنار فيمود ذهب البريزا
ويكونون عن ذلك الا كسير اذا الغزوا اصطلاحاتهم بالروح وعن الجسم الذي يلقي عليه بالجسد فشرح
هذه الاصطلاحات وصورة هذا العمل الصناعي الذي يقبل هذه الاجسام المستعدة الى صورة الذهب
والفضة هو علم الكيمياء وما زال الناس يؤلفون فيها قديما وحديثا وبعثوا في الكلام فيها الى من ليس
من اهلها وامام المدونين فيها جابر بن حبان حتى انهم يخصونها به فيسعونها علم جابره فيها سجعون رسالة

تسأل الناس عنه هل هو من اهل الثقة والعدالة والامانة والصيانة ثم يتم عندك بحديث فيه الهلاك وفساد الاحوال فتقبله * وقال يحيى
ابن زيد قلت للحسن بن علي رضى الله عنهما ما سقى السم اخبرني من سقاك فدمعت عيناه وقال انا في آخر قدم من الدنيا واول قدم من
الآخرة تأمرني ان اغمز * قال رجل للمهدي عندي نصيحة يا امير المؤمنين قال لمن نصيحتك هذه التناام لعامة المسلمين ام لنفسك قال لك

يا امير المؤمنين قال المهدي ليس الساعي باعظم عورة ولا اوجب حالا من قبل سماعته ولا تخولون ان تكون حاسد نعمة فلان شفي المشغيا
او عدوا فلان عاقب لك عدوك ثم اقبل على الناس وقال ايها الناس لا ينصح لنا ناصح الا بما لله فيه رضا للمسلمين فيه صلاح (وروى)

ان ساعيا سعي برجل الى الفضل بن (٣٢٠) سهل فوقع على ظهر كتابه نحن نرى قبول السعاية اشرف من السعاية لان السعاية دالة
والقبول اجازة وليس من
دل على شيء يمكن قبل واجاز
لان من فعل اشرف من قال
(ويروى) ان رجلا رفع
الى المنصور نصيحة فوقع على
ظهرها هذه نصيحة لم يرد بها
وجه الله تعالى ولا جواب
عندنا لمن آثرنا على الله تعالى
(وروى) ان رجلا قال
للمؤمن يا امير المؤمنين الله
الله في اصحاب الاخبار فانهم
قوم ان اعطوا كذبوا وان
حرموا كذبوا فان اعطوا
مدحوا وهم كاذبون وان
حرموا ذموا وهم كاذبون
فقال المأمون لله درهمان كلمة
ما اقصدها واين فضله او امر
ان ثبتت في امور اصحاب
الاخبار (وقال مروان بن
زبياع) العبدسي يابني
عبدس احفظوا عني ثلاثا
من نقل اليكم نقل عنكم
واياكم والتزويج في البيوتات
السوء واستكثر وان
الصديق ما استعظم
واستقلوا من العدو ما
استعظم فان استكثره
يمكن * وقال بعض الحكماء
احذروا اعداء العقول
والصوص الموداة وهم
السعاة والنمامون اذا سرق
للصوص المتاع سرقوا
المودات * وقال حكيم العرب اياك والسعاة فانهم اعداء عقلك ولصوص عدلك فيفقدون

كها شبيهة بالاغاز وزعموا انه لا يفتح عقلها الا من احاط علما بجميع ما فيها والطغرائي من حكماء المشرق
المتأخرين له فيها ادواوين ومناظرات مع اهلها وغيره من الحكماء وكتب فيها مسئلة المجر يطى من
حكيم الاندلس كتابه الذي سماه رتبة الحكيم ووجهه قرين الحكيم الاخر في البحر والاطلسات الذي
سماه غاية الحكيم وزعم ان هاتين الصناعتين هما نتيجتان للحكمة وثمرتان للعلوم ومن لم يقف عليهما
فهو فاقد ثمره العلم والحكمة اجمع وكلامه في ذلك الكتاب وكلامهم اجمع في تاليفهم هي الغاز يتعذر
فهمها على من لم يعان اصطلاحاتهم في ذلك ونحن نذكر سبب عدوهم الى هذه الرموز والاعزاز ولا ين
المعبر بي من آفة هذا الشأن كلمات شريفة على حروف المعجم من ابداع ما يجي في الشعر من غزوة كلها
لغز الا حاجي والمعاياة فلا تكاد تفهم وقد ينسبون للغز الى رحمة الله بعض التاليف فيها وليس بصحيح لان
الرجل لم تكن مداركه العالية لتقف عن خطا ما يذهبون اليه حتى يتخذه ويربما نسبه وابعض المذاهب
والاقوال فيها الخالد بن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم ومن المعلوم البين ان خالد بن الجليل
العربي والبدواة اليه اقرب فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالحجة فكيف له بصناعة غريبة المنحى مبنية
على معرفة طبائع المركبات وخراجتها وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم
اللهم الا ان يكون خالد بن يزيد اخ من اهل المدرك الصناعية تشبه باسمه فمكن * وانا نقل لك هنا
رسالة ابى بكر بن بشرون لابي السمع في هذه الصناعة وكلامها من تليذ مسلمة فيستدل من كلامه فيها على
ما ذهب اليه في شأنها اذا عاينته حقه من التأمل قال ابن بشرون بعد صدر من الرسالة خارج عن الغرض
والمقدمات التي لهذه الصناعة الكريمة قد ذكرها الاولون واقتص جميعها اهل الفلسفة من معرفة تكون
المعادن وتحتاق الاجار والجر واهر وطباع البقاع والاما كن فنحننا اشتهاها من ذكرها ولا يمكن ابي من
هذه الصنعة ما يحتاج اليه فيبدأ معرفته فتدقوا لينا بنى لطلاب هذا العلم ان يعلموا اول ثلاث خصال اولها
هل تكون والثانية من أي تكون والثالثة من أي كيف تكون فاذا عرف هذه الثلاثة واحكمها فقد
ظفر بطوبه وبلغ نهايته من هذا العلم فأما البحث عن وجودها والاستدلال عن تكونها فقد كفيينا
بما بعثنا به اليك من الاكسيروا ما من أي شيء تكون فانما يدون بذلك البحث عن الحجر الذي يمكنه
العمل وان كان العمل موجودا من كل شيء بالقوة لانها من الطبائع الاربع منها تكتبت ابتداء والبا
ترجع انتهاء ولكن من الاشياء ما يكون فيه بالقوة ولا يكون بالفعل وذلك ان منها ما يمكن تفصيلها ومنها
ما لا يمكن تفصيلها فالتى يمكن تفصيلها تعالج وتدبر وهي التي تخرج من القوة الى الفعل والتي يمكن
تفصيلها لا تعالج ولا تدبر لانها في القوة فقط وانما لم يمكن تفصيلها الا ستغراق بعض طبائعها في بعض
وفضل قوة الكبير منها على الصغير فينبغي للوفيق الله ان تعرف اوفى الاجار المنفصلة التي لا يمكن فيها
العمل وجنسه وقوته وعمله وما يدبر من الحل والعقد والتنقية والتكليس والتنشيف والتقليب فان من لم
يعرف هذه الاصول التي هي عماد هذه الصنعة لم ينجح ولم يظفر بخير ابدأ وينبغي لك ان تعلم هل يمكن ان
يسرعان عليه بغيره او يكتفي به وحده وهل هو واحد في الابداء او شاركه غيره فصار في التدبير واحدا
فسمى حجرا وينبغي لك ان تعلم كيفية عمله وكيفية اوزانه وازمانه وكيفية تربيته الروح فيه وادخال
النفس عليه وهل تقدر النار على تفصيلها منه بعد تدبيره فان لم تقدر فلا علة وما السبب الموجب لذلك

فان
بين قولك وفعلك (وفي المثل السائر) من اطاع الواشي ضيع الصديق وقد يقطع الشجر فينبثق ويقطع اللحم بالسيف فيندمل واللسان
لا يندمل جرحه واحق الناس برعاية ما رسمته من هذه الخلال ونقلته من هذه الحكيم واستودعته من هذه السير من آتاه الله سلطانا

ويمكن له في الارض قدما فذو القدرة اذا اطاع الواشي هلك العالم (وكان) بعض الحكماء يقولون من اراد ان يسلم من الاثم ويقي له الاخوان
فيجعل نفسه بينهم وبينهم قاضيا عدلا ويحكم بالعدل ولا يقبل احدا في احد ولا في نفسه الا بشهود وتعديل فاننا قد اوجبنا بقول اقوام
وابعضنا بقول آخرين فاصبحنا ناديين ومن اطيف حكمه الله تعالى في النعمية لماعلم (٣٢١) من شؤمها واستطارة شرورها

وعوم مضرتها في الوري
حكم بقسق النمام حتى لا
يقبل له قول فيستر بح
الخلق من شره (وقال ابن
عمر وقد الله الحاج ووفد
الشيطان قوم يرسلهم
السلطان الى الناس
ويسألهم عن حالهم فيخبرونه
ان الناس راضون وليسوا
براضين واعلموا ان الله
تعالى خلق الانسان على
انحاء شتى لسانا ذكرا
الاثن لكثيرها وطول
تبعها فخلق الله الحواس
الشريفة والاعضاء
النافعة النفيسة فمن
أفضل ما ركب فيه اللسان
الذي هو آلة النطق
والبيان وبه فصل بينه
وبين البهائم ثم فضله على
سائر الحيوان وامتن عليه
في اول سورة الرحمن فقال
تعالى الرحمن علم القرآن
خلق الانسان علمه البيان
وخلق فيه أعضاء تدل
وتستهان وجعلها مجرى
لقضول الطعام والشراب
فمن يتبع سقطات الكلام
ويروى عثرات الانام التي
هي كالعورات الواجب
سترها ودفنها كان قد
استعمل اشرف الالات

فان هذا هو المطلوب فافهم واعلم ان الفلاسفة كلها مدحت النفس وزعمت انها المدبرة للجسد والحاملة
له والدافعة عنه والفاعلة فيه وذلك ان الجسد اذا خرجت النفس منه مات وبرد فلم يقدر على الحركة
والامتناع من غيره لانه لا حياة فيه ولا نور وانما ذكر الجسد والنفس لان هذه الصفات شبيهة بجسد
الانسان الذي تركيبه على الغذاء والعشاء وقوامه وتماثله بالنفس الحية النورية التي بها يفعل العظام
والاشياء المتقابلة التي لا يقدر عليها غيرها بالاقوة المحبة التي فيها وانما تفعل الانسان لاختلاف تركيب
طبائعه ولوانه تمت طبائعه لسلمت من الاعراض والتضاد ولم تقدر النفس على الخروج من بدنه وان كان
خالدا باقيا فسبحان مديبر الاشياء تعالى واعلم ان الطبائع التي يحدث عنها هذا العمل كيفية دافعة في
الابتداء فضية محتاجة الى الانتهاء وليس لها اذا صارت في هذا الحد ان تستحيل الى ما منه تر كبت
كما قلناه آتفاقي الانسان لان طبائع هذا الجوهر قد لزمت بعضها بعضا وصارت شبيها واحدا شبيها بالنفس
في قوتها وفعالها وبالجملة في تركيبه وبجسده به بعد ان كانت طبائعه مفرقة باعنائها فيما عداها من
افاعيل الطبائع ان القوة للضعيف الذي يقوى على تفصيل الاشياء وتركيبتها وتماثها فلذلك قات
قوى وضعيف وانما وقع التغيير والقناء في التركيب الاول للاختلاف وعدم ذلك في الثاني للاتفاق
وقد قال بعض الاولين التفصيل والتقطيع في هذا العمل حياة وبقاء والتركيب موت وفناء وهذا الكلام
دقيق المعنى لان الحكيم اراد بقوله حياة وبقاء خروجه من العدم الى الوجود لانه مادام على تركيبه الاول
فهو وان لا محالة فاذا ركب التركيب الثاني عدم القناء والتركيب الثاني لا يكون الا بعد التفصيل
والتقطيع فاذا التفصيل والتقطيع في هذا العمل خاصة فاذا بقي الجسد المحلول انبسط فيه لدم الصورة
لانه قد صار في الجسد بمنزلة النفس التي لا صورة لها وذلك انه لا وزن له فيه وسيرى ذلك ان شاء الله تعالى
وقد ينبغي لك ان تعلم ان اختلاط اللطيف باللطيف أهون من اختلاط الغليظ بالغليظ وانما اراد بذلك
التشاكل في الارواح والاجساد لان الاشياء تتصل باشكالها وكرت لك ذلك لانه لم ان العمل اوفى
وايسر من الطبائع اللطيفة الروحانية منها من الغليظة الجسمانية وقد يتصور في العقل ان الاجزاء اقوى
وأصبر على النار من الارواح كترى الذهب والحديد والنحاس اصبر على النار من الكبريت والزئبق
وغيرهما من الارواح فاقول ان الاجساد قد كانت ارواحا في بدنها فلما اصابتها النار اصابها النار اصابها
لزجة غليظة فلم تقدر النار على اكلها الا فرطت غلظها وتزججها فاذا افرطت النار عليها صيرتها ارواحا كما
كانت اول خلقها وان تلك الارواح اللطيفة اذا اصابها النار ابقمت ولم تقدر على البقاء عليها فيذبحي لك ان
تعلم ما صير الاجساد في هذه الحالة وصير الارواح في هذا الحال فهو اجل ما تعرفه * اقول انما ابقمت تلك
الارواح لاشتهائها ولما افتها وانما اشتعلت لكثرة رطوبتها وان النار اذا احست بالرطوبة تعلقت بها
لانها هوائية تشاكل النار ولا تزال تغتذى بها الى ان تقوى وكذلك الاجساد اذا احست بوصول النار اليها
لقلية تلزجها وغلظها وانما صارت تلك الاجساد لا تشتعل لانها مركبة من ارض وماء صابر على النار
فطيفه متعدد بكثيفة لطول الطبع اللين المسازج للاشياء وذلك ان كل من لا شئ بالاشياء بالنار لمقارفة
لطيفة من كثيفة ودخول بعضها في بعض على غير التحليل والمواقفة فصارت ذلك الانضمام والتداخل
مجاورة لا مجازجة فسهل بذلك افتراقهما كالماء والدهن وما اشبههما وانما وصفت ذلك لتستدل به

(٤١ - ابن خلدون)

في اخص المستعملات فصارت كمن لم يحسن بلسانه سواء اخيه وجعل
اكرم جوارحه لا يحسن اجناس المستعرضين ورضى ان يقع من الناس موقع الذباب من الطير يتبع ثقل الجسد ويحامي صحبه وقد
كان له في نشر الحواس شغل ولكن اهل كل ذي حال اولي بها وفي هذا سبق المثل ان لم تكن ملحا تصليح فلا تكن ذبا با تفسد ومن لم يقدر

على جميع الفضائل فلتكن هـ - منه ترك الرذائل واذا تبسح الامام عورات الناس افسدهم (وروى) ان النبي صلى الله عليه وسلم هم بالخروج يوم اذ سمع قوم من اصحابه يضحكون فامتنع من الخروج اليهم حذر ان لا يفسد قلبه عليهم ولو علم الذي يسمع اخبار الناس ماجنى على نفسه لعلم ان اصمم كان هنا (٣٢٢) لعيشه وانعم لباله من سماع الاخبار يا واحد ما ذاعل نقلة الاخبار جعلوا اليك الصدق

او الكذب فتكون في سماع الكذب عن قال الله تعالى فيه سماع الكذب اكلون للسحت وتكون في سماع الصدق جمالا اللهم حرج الصدر على الخلق معاديا لهم متبع العثرات الخلق وخرنا لسهطاتهم قد وعيت منهم ما يجب ستره وحققت ما يجب نسيانه ثم لا تستطيع النصفه من قائل لانك ان كنت ذا قدرة اهلكك الرعية ثم لا تستطيع ان تهلك جميع الرعية وان كنت سوقة لم يشف غيظك ثم افسدت اخوانك وابعضت من يجب ان تحبه واحببت من يجب ان تبغضه ثم لاتزال تتحمل الخسائر وتريد الاحقاد والضغائن وترصد اكل قائل يوما يشقى صدرك فيه فما اغني العاقل عن هذه البلية والله درع روى ابن العاص روى انه لا حاه رجل يوما فقال له الرجل اما والله ان عشت لاتق - رغن لك فقال له عمر وبن العاص الا ان وقعت في الشغل يا ابن انخي (الباب الثامن والخمسون في القصص وحكمته) *

على تركيب الطبائع وتقالها فاذا علمت ذلك علما شافيا فقد اخذت حفظك منها وينبغي ان تعلم ان الاخر لا ط التي هي طبائع هذه الصناعة موافقة بعضها لبعض مفصلة من جوهر واحد يجمعها انظام واحد بتدبير واحد لا يدخل عليه غريب في الجز منه ولا في الكل كما قال الفيلسوف انك اذا احكمت تدبير الطبائع وتأليفها ولم تدخل عليها غريبا فقد احكمت ما اردت احكامه وقوامه اذا الطبيعة واحدة لا غريب فيها فمن ادخل عليها غريبا فقد زاعغ عنها ووقع في الخطا * واعلم ان هـ - هذه الطبيعة اذا دخل لها جسد من قرائنها على ما ينبغي في المحل حتى يشا كلها في الرقة واللاطفة انبسطت فيه - ووجرت معه - حيثما جرى لان الاجساد مادامت غليظة جافة لا تنبسط ولا تتراوج وحل الاجساد لا يكون بغير الارواح فافهم هـ - ذلك الله هذا القول واعلم هـ - ذلك الله ان هذا المحل في جسد الحيوان هو المحل الذي لا يضمحل ولا ينتقض وهو الذي يقاب الطبائع ويمسكها ويظهر لها الوانا وازهارا عجيبة وليس كل جسد يحل خـ لاف هـ - ذاهو المحل التام لانه مخالف للحياة وانما حله بما يوافقها ويدفع عنه حرق النار حتى يزول عن الغلظ وتقلب الطبائع عن حالاتها الى ما لها ان تتقلب من اللطافة والغلظ فاذا بلغت الاجساد نهايتها من التحليل والتلطيف ظهرت لها هنالك قوة تمسك وتغوص وتقلب وتنقبذ وكل عمل لا يرى له مصداق في اوله فلا خير فيه واعلم ان البارد من الطبائع هو يبيد الاشياء ويعقد رطوبتها والحار منها يظهر رطوبتها ويعقد يديها وانما افردت الحار والبرد لانهما فاعلان والرطوبة واليبس منفعلان وعلى انفعال كل واحد منهما صاحبه تحدث الاجسام وتتكون وان كان الحار كثر فعلا في ذلك من البرد لان البرد ليس له نقل الاشياء ولا تحركها والحار هو علة الحركة وتبتي ضعفت علة السكون وهو الحار لم يتم منها شيء ابدا كما انه اذا فرطت الحرارة على شيء ولم يكن ثم برد احرقته واهلكته فمن اجل هذه العلة احتيج الى البارد في هذه الاعمال ليقوى به كل ضد على ضده ويدفع عنه حر النار ولم يجدد الرق للاسفة اكثر شيء الامن النيران المحرقة وامرت بتطهير الطبائع والانفاس واخراج دنسها ورطوبتها ونفي آفاتها واساخا عنها على ذلك استقام رأيهم وتدبيرهم فانما عملهم انما هو مع النار والواو واليه يصير آخر افلا ذلك قالوا اياكم والنيران المحرقات وانما ارادوا بذلك نفي الآفات التي معها فتجمع على الجسد اذ فبين فتكون اسرع عملها كوكذلك كل شيء انما يتلاشى ويفسد من ذاته لتضاد طبيائعه واختلافه فيتوسط بين شيئين فلم يجد ما يقوى به ويعينه الا قهرته الا قوة واهلكته واعلم ان الحكمة كهاذا كرت ترداد الارواح على الاجساد مرارا ليكون الزم اليها واقوى على قتال النار اذا هي باشرتها عند الالفة اعني بذلك النار العنصرية فاعلمه * ولنقل الا ان على الحجر الذي يمكن منه العمل على ما ذكره الفلاسفة فقد اختلفوا فيه فمنهم من زعم انه في الحيوان ومنهم من زعم انه في النبات ومنهم من زعم انه في المعادن ومنهم من زعم انه في الجميع وهذه الدعوى ليست بنا حاجة الى استقصائها ومناظرة اهلها عليهم لان الكلام يطول جدا وقد قلت فيما تقدم ان العمل يكون في كل شيء بالقوة لان الطبائع موجودة في كل شيء فهو وكذلك فتريد ان تعلم من أي شيء يكون العمل بالقوة والفعل فنقص الى ما قاله الحراني ان الصبغ كله احدث صبغين اما صبغ جسد كالزعفران في الثوب الابيض حتى يحول فيه وهو مضمحل من نقض التركيب والصبغ الثاني تغليب الجوهر من جوهر نفسه الى جوهر غيره ولونه كتغليب الشجر بل التراب الى نفسه وقلب الحيوان والنبات الى نفسه حتى يصير التراب نباتا والنبات

قال الله تعالى ولاكم في القصص حياة باولى الالباب يعني اذا علم القاتل والقاطع انه يقتص منه اجرم ولم يقدم على الفعل فيكون في ذلك حياته وحياة الذي هم به (وروى) ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول ما يقضى بين الناس في الدماء روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده لاجبه مظلمة فليتحلها منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل

حيوانا

أن يؤخذ لآخيه من حسنة فان لم يكن له حسنة ات أخذ من سمات أخيه فطرح عليه وهذا حديث صحيح زواه البخاري فان قيل يعارضه قوله تعالى ولا تزروا زورا وكيف يؤخذ الظالم بذنب ركبته المظالم قلنا معنى الآية لا يعاقب أحد بذنب أحد ابتداء وامافي مسئلتنا فخلت بقيت عنده وليس له وفاء بها فهو الذي اكتسب هذا الوزر (٣٢٣) وهو المعنى بقوله تعالى وليحتمل أن تغالمهم

وأنتالامع أنغالمهم ووروى أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخاص المؤمنون من النار فيجسسون على قنطرة بين الجنة والنار ليقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فالذي نفسي بيده لاحدهم اهدي لمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال قبل موته من كانت له عندي مظلمة فلبأت حتى أقصه من نفسي فقام سوار بن غزية فقال يا رسول الله انك ضربتني على بطني ليه العقبية فاجععتني فقال النبي صلى الله عليه وسلم دونك فاقص فقال يا رسول الله انك ضربتني وأنا مكشوف البطن فكشف النبي صلى الله عليه وسلم بطنه فاذا هو كالتباطي يعني ثياب مصر فاكب عليه يقبله فقال يا سوار ما حملت علي هذا فقال يا رسول الله دنالقاء هؤلاء المشركين ولا ندري فأردت أن يكون آخر العهد بك

حيوانا ولا يكون الا بالروح المحي والحيوان القاعل الذي له توليد الاجرام وقلب الاعيان فاذا كان هذا هكذا فنقول ان العمل لا بد أن يكون اما في الحيوان واما في النبات وبرهان ذلك انه ما مطبوغان على الغذاء وبه قوامهما وتمامهما فالما النبات فليس فيه ما في الحيوان من اللطافة والقوة ولذلك قل خوض الحكماء فيه واما الحيوان فهو آخر الاسس تحالات الثلاث ونهايتها وذلك ان المعدن يستحيل نباتا والنبات يستحيل حيوانا والحيوان لا يستحيل الى شيء هو اللف منه الا ان يعكس راجعا الى الغلظ وانه ايضا لا يوجد في العالم شيء يتعلق به الروح المحية غيره والروح اللف ما في العالم ولم يتعلق بالروح بالحيوان الا بما كتبه اياها فالما الروح التي في النبات فانها يسيرة فيها غلظ وكثافة وهي مع ذلك مستغرقة كامنة في غلظها وغلظ جسد النبات فلم يقدر على الحركة لغلظها وغلظ روحه والروح المتحركة اللف من الروح الكامنة كثير او ذلك ان المتحركة لها قبول الغذاء والتنقل والتنفس وليس للكامنة غير قبول الغذاء وحده ولا تجرى اذا قبست بالروح المحية الا كالارض عند الماء كذلك النبات عند الحيوان فالعمل في الحيوان اعلى وارفع واهون وايسر فينبغي للعاقل اذا عرف ذلك ان يجرب ما كان سهلا ويترك ما يحشى فيه عسرا ويعلم ان الحيوان عند الحكماء ينقسم اقساما من الامهات التي هي الطبائع والحديثة التي هي المواليد وهذا معروف متيسر الفهم فلذلك قسمت الحكماء العناصر والمواليد اقساما مادية واقساما مادية فعملوا كل متحرك فاعل حيا وكل ساكن مفعولا ميتا وقسموا ذلك في جميع الاشياء وفي الاجساد الدائمة وفي العقاقير المعدنية فسموا كل شيء يذوب في النار ويطير ويشتعل حيا وما كان على خلاف ذلك سموه ميتا فالما الحيوان والنبات فسموا كل ما انفصل منها طبائع اربها حيا وما لم يتفصل سموه ميتا ثم انهم طلبوا اوجيغ الاقسام المحية فلم يجدوا وفق هذه الصناعة مما يتفصل فصولا اربعة ظاهرة للعيان ولم يجدوه غير الحجر الذي في الحيوان فيجسسون حتى عرفوه واخذوه وديره فتكيف لهم منه الذي ارادوا وقد تكيف مثل هذا في المعادن والنبات بعد جمع العقاقير وغلظها ثم تفصل بعد ذلك فالما النبات فانه ما يتفصل ببعض هذه الفصول مثل الاشعثان واما المعادن ففيها اجساد اوارواح وانفاس اذا خرجت ودبرت كان منها ما له تأثير وقد دبرنا كل ذلك فكان الحيوان منها اعلى وارفع وتديره اسهل وايسر فينبغي لك ان تعلم ما هو الحجر الموجود في الحيوان وطريق وجوده انا بينا ان الحيوان ارفع المواليد وكذا ما تتركب منه فهو اللف منه كالنبات من الارض وانما كان النبات اللف من الارض لانه انما يكون من جوهره الصافي وجسده اللطيف فوجب له بذلك اللطافة والرفقة وكذا هذا الحجر الحواني بمنزلة النبات في التراب وبالجملة فانه ليس في الحيوان شيء يتفصل طبائع اربها غير فافهم هذا القول فانه لا يكاد يخفى الاعلى جاهل بين الجهالة ومن لا عقل له فقد اخبرتك ماهية هذا الحجر واعلمت جنسه وانا بين لك وجوه تدبيره حتى يكمل الذي شرطناه على انفسنا من الانصاف ان شاء الله سبحانه (التدبير على بركة الله) خذ الحجر الكريم فاودعه القرعة والانيق وفصل طبائعه الاربع التي هي النار والهواء والارض والماء وهي الجسد والروح والنفس والصبيغ فاذا عززت الماء عن التراب والهواء عن النار فارفع كل واحد في ذاته على حدة وخذ لها بط اسفل الانا وهو الثقيل فاغسله بالنار الحارة حتى تذهب النار عنه سواده ويزول غلظه وحقاؤه وبيضه تبيضها تحكما وطير عنه فضول الرطوبات المستجبة فيه فانه بصير عند ذلك ماءا بيضا لاطمته فيه ولا وسخ

أن أقبل بطنك فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه مع أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لعله ان الله تعالى لا يدع القصاص في المظالم بين العباد لان الله تعالى أعذل من أن يدع مظلمة لاحد دعندني ولا غيره وفي الحديث يقول الله تعالى يوم القيامة أنا ظالم ان فاتني ظلم ظالم ويرى أن داود عليه السلام يقدمه خصمه الى الله يوم القيامة فيقضي له عليه فيدفعه الى أورياسلما

ثم يستوهبه الله تعالى من أوريا ثم يعوض أوريا على ذلك الجنة وقال حبيب دخل عثمان بن عفان رضي الله عنه فوجد غلامه يعاقب ناقة له واذق علفها شيئا فأخذ بذنه فعركها ثم ندم فقال لعلامة قم فاقص مني فاني الغلام فلم يزل به حتى قام فأخذ بذنه ثم قال يعرك وهو يقول شد شد حتى عرف عثمان (٣٢٤) انه قد بلغ منه ثم قال واهل القصاص الدنيا قبل القصاص الاخرة (روى) عون بن عبد

الله ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا خادما له فلم يجبه أو كان نائما فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا القصاص لأوجعتك ضربا وروى ابن وهب في موطنه عن ابن شهاب قال وقد أقاد النبي صلى الله عليه وسلم والخليفتان من أنفسهم ليستن بهم ولم يتعمدوا حيقا وكانوا سلاطين ومن صحيح مسلم روى أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفسس قالوا المفسس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفسس من امتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسنة فإذ انبت حسنته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحه عليه ثم طرح في النار قال مالك وبلغني ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما ولى الخليفة ضرب رجلا ثم ندم وقال مالي ولهذا الوردتها عليهم

ولا تضاد ثم اعمد الى تلك الطبائع الا اول الصاعدة منه فظهرها أبيض من السواد والتضاد وكر رعليها الغسل والتصعد حتى تطف وترق وتصفو فاذا فعلت ذلك فقد فتح الله عليك فابدأ بالتركيب الذي عليه مدار العمل وذلك ان التركيب لا يكون الا بالترجيح والتعقيل فاما التزويج فهو اختلاط اللطيف بالغليظ وأما التعقيل فهو التمشية والسحق حتى يختلط ببعضه بعض ويصير شيا واحدا لا اختلاف فيه ولا نقصان بمنزلة الامتزاج بالماء فعند ذلك يقوى الغليظ على امسك اللطيف وتقوى الروح على مقابلة النار وتصير عليها وتقوى النفس على الغوص في الاجساد والديب فيها وانما وجد ذلك بعد التركيب لان الجسد المحلول لما ازدوج بالروح مازجه بجميع أجزائه ودخل بعضها في بعض لتشا كلها فصار شيا واحدا ووجب من ذلك أن يعرض للروح من الصلاح والقساد والبقاء والنبوت ما يعرض للجسد لموضع الامتزاج وكذلك النفس اذا امتزجت بهما ودخلت فيهما بخدمة التدبير اختلطت أجزاؤه بجميع أجزاء الاخرين اعني الروح والجسد وصارت هي وهما شيا واحدا لا اختلاف فيه بمنزلة الجزء الكلي الذي سلمت طبائعه وانفتحت أجزاؤه فاذا اتى هذا المركب الجسد المحلول وألح عليه النار وأظهر ما فيه من الرطوبة على وجهه ذاب في الجسد المحلول ومن شأن الرطوبة الاشتعال وتعلق النار بها فاذا اردت النار التعلق بها منعهان الاتحاد بالنفس مما زج الماء لها فان النار لا تتحد بالدهن حتى يكون خالصا وكذلك الماء من شأنه النفور من النار فاذا ألحمت عليه النار وأردت تطهيره حبسه الجسد اليابس الممازج له في جوفه فخنقه من الطيران فكان الجسد دعة لا مساك الماء والماء دعة لبقاء الدهن والدهن دعة لثبات الصبغ والصبغ دعة لظهور الدهن واطهار الدهنية في الاشياء المظلمة التي لا نور لها ولا حياة فيها فهذا هو الجسد المستقيم وهكذا يكون العمل وهذه التصفية التي سألت عنها وهي التي سميتها الحكة بيضة وياها يعنون لا بيضة الدجاج وواعلم ان الحكة كما لم تسمها بهذا الاسم لغير معنى بل اشبهتها بالقدسات مسلمة عن ذلك يوما وليس عنده غيري فقلت له أيها الحكميم الفاضل اخبرني لاي شئ سميت الحكة كحكة الحيوان بيضة اختيارا منهم لذلك أم لمعني دعاهم اليه فقال بل لمعني غامض فقلت أيها الحكميم وما ظهر لهم من ذلك من المنفعة والاستدلال على الصنعة حتى شبهوها وسموها بيضة فقال لشبهها وقربتها من المركب فكيف فيه فانه سيظهر لك معناه فبقيت بين يديه مفرقا لا اقدر على الوصول الى معناه فلما رأى ما في من الفكر وان نفسي قد مضت فيها اخذ به ضدي وهزني هزة خفيفة وقال لي يا أبا بكر ذلك للنسبة التي بينهما في كية الالوان عند امتزاج الطبائع وتأليفها فلما قال ذلك انجذبت عن الظلمة واضاء لي نور قلبي وقوى عقلي على فهمه فنهضت شاكر الله عليه الى منزلي وأقمت على ذلك شهرا كلالا هندسيا يبرهن به على صحة ما قاله مسلمة وأنا واضعه لك في هذا الكتاب مثال ذلك ان المركب اذا تم وكل كان نسبة ما فيه من طبيعة الهواء الى ما في البيضة من طبيعة الهواء كنسبة ما في المركب من طبيعة النار الى ما في البيضة من طبيعة النار وكذلك الطبيعتان الاخرتان الارض والماء فأقول ان كل شئين متناسبين على هذه الصفة فهما متشابهان ومثال ذلك ان تجعل لسطح البيضة هزوحا فاذا اردنا ذلك فانا نأخذ أقل طبائع المركب وهي طبيعة اليبوسة ونضيف اليها مثلها من طبيعة الرطوبة ونديرهما حتى تنشف طبيعة اليبوسة بطبيعة الرطوبة بتو تعقل قوتها وكان في هذا الكلام رجزا وله كنه لا يخفى عليك ثم تحمل عليها جميعا مثلها من الروح وهو الماء فيكون الجسيم ستة

فسمعت عائشة فارسلت الى عمر فجاهد عمر فقال له اني قد ضربت رجلا وقد كنت معاني من هذا ان أضرب فقال عمر كذلك الامام فقال فما الخرج قال ان تأتي الرجل فتسأله ان يجعلك في حل فتابه فاسم تحلاه ذات الاربعة على ان الامير والمأمور في القصاص سواء اذا جنى أحدهما على الآخر وان الامير اذا ظلم المأمور زال تأمره عليه في ذلك المعنى وكان الامير في

ذلك المعنى كبعض المؤثر عليهم حتى يتحاكموا الى السلطان الاعظم وكان عمر يقول انما بعثت امرأتى ليعلموا الناس دينهم ويقسموا بينهم فيئتهم و يعدلوا فيهم ولم ابعثهم ليضربوا بأشارهم ويحلقوا أشعارهم فمن ظلمه أمير فلا امره عليه دوني حتى آخذ ذله بحقه قال عمرو بن العاص الله الله يا أمير المؤمنين ان أدب رجل رجلا من رعيته انك لتقصه منه فقال عمر (٣٢٥) كيف لا اقصه منه وقد رأيت النبي

صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه (فاما القصص بين البهائم) فاختلف الناس في حشرها وفي جريان القصص بينها فكان ابن عباس يقول حشرها موتها قال وحشر كل شيء الموت الا الجن والانس فانهما يوافقان يوم القيامة وقال معظم المفسرين انها تحشر ويقتص منها قال ابن حبيب تحشر البهائم وقال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب وقال أبو الحسن الأشعري لا تقطع باعادة البهائم والجنان ومن لم تبلغه الدعوة ويجوز ان يعادوا ويدخلوا الجنة ويجوز ان لا يعادوا والدليل على نبوت الاعداء في الجملة قوله تعالى واذا الوحوش حشرت وقال تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير يخنثه الا امم امثالكم الى ان قال ثم الى ربهم يحشرون (وروى) مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجمحاء من الشاة القرناء وقال أبو ذر انتطخت شاتان عند النبي

امثال ثم تحمل على الجميع بعد التدبير مثله الامن طبيعة الهواء التي هي النفس وذلك ثلاثة أجزاء فيكون الجميع تسعة امثال اليبوسة بالقوة وتجعل تحت كل ضلعين من المركب الذي طبيعته محيطية بسطح المركب طبيعتين فتجعل اول الضلعين المحيطين بسطحه طبيعة الماء وطبيعة الهواء وهما ضلعان اح د وسطح ا ب ج د وكذلك الضلعان المحيطان بسطح البيضة الاذان هما الماء والهواء ضلعاهما ه ز وح فأقول ان سطح ا ب ج د يشبه سطح ه ز وطبيعة الهواء التي تسمى نفسا وكذلك سطح المركب والحكمة لم تسم شيئا باسم شيء الا تشبه به والكلمات التي سألت عن شرحها الارض المقدسة وهي المنهقدة من الطبايع العلوية والسفلية والنجاس هو الذي اخرج سواده وقطع حتى صار هباء ثم جرب بالزجاج حتى صار نجاسا بالمغنيس ياجرهم الذي تجمد فيه الارواح وتخرجه الطبيعة العلوية التي تستجيب في الارواح لتقابل عليها النار والفرفرة لون احر فان يجمده الكيان والرياح صخر له ثلاث قوى مختلفة الشخوص ولكنها متشابهة ومتجانسة فالواحدة روحانية نيرة صافية وهي القاعلة والثانية نفسانية وهي متحركة حساسة غير انها اغلظ من الاولى ومركزها دون مركز الاولى والثالثة قوة أرضية حادة قابضة منعكسة الى مركز الارض لتقلها وهي المسككة الروحانية والنفسانية جميعا والمحيطية بهما وما سائر الباقية فبمقدرة ومختصرة الباس على الجاهل ومن عرف المقدمات استغنى عن غيرها فهذا جميع ما سألتني عنه وقد بعثت به اليك مقصرا ونرجو بتوفيق الله ان تبلغ املك والسلام انتهى كلام ابن بشرون وهو من كبار تلامذة مسلمة الجعري بطي شيخ الاندلس في علوم الكيمياء والسيما والسحر في القرن الثالث وما بعده وأنت ترى كيف صرف الفاظهم كلها في الصناعة الى الرمز والالغاز التي لا تسكاد تبين ولا تعرف وذلك دليل على انها ليست بصناعة طبيعية * والذي يجب ان يعتقد في امر الكيمياء وهو الحق الذي يعضده الواقع انها من جنس آثار النفوس الروحانية وتصرفها في عالم الطبيعة امام نوع الكرامة ان كانت النفوس خيرة او من نوع السحرة ان كانت النفوس شريرة فاجرة فاما الكرامة فظاهرة واما السحر فلان الساحر كما ثبت في مكان تحققه يقبل الايمان المسادية بقوته السحرية ولا بد له مع ذلك عندهم من مادة يقع فعله السحري فيها كتحريك بعض الحيوانات من مادة التراب والشجر والنبات والجملة من غير مادتها المخصوصة بها كوقوع السحرة فرعون في الحبال والعصى وكما يتقل عن سحرة السودان والمهود في قاصية الجنوب والترك في قاصية الشمال انهم يسحرون الجوالا لمطار وغير ذلك * ولما كانت هذه تخليقا للذهب في غير مادته الخاصة به كان من قبيل السحر والمتكلمون فيه من اعلام الحكمة مثل جابر ومسلمة ومن كان قبلهم من حكماء الامم انما نحو هذا المنحى ولهذا كان كلامهم فيه الغازا حذرا عليها من انكار الشرائع على السحر وانواعه لان ذلك يرجع الى الضنانية بها كما هو رأي من لم يذهب الى التحقيق في ذلك وانظر كيف سمي مسلمة كتابه في هارتبة الحكيم وسمى كتابه في البحر والطلسمات غاية الحكيم اشارة الى عموم موضوع الغاية وخصوص موضوع هذه لان الغاية أعلى من الرتبة فكان مسائل الرتبة بعض من مسائل الغاية وتشاركها في الموضوعات ومن كلامه في الفنين يبين ما قلناه ونحن نبين فيما بعد دغلظ من يزعم ان مدارك هذا الامر بالصناعة الطبيعية والله العليم الخبير

٢٥ * (فصل في ابطال الفلسفة وفساد منحلها) *

صلى الله عليه وسلم فقال أندرون فيما انتطختا قلت لا أدري قال لكن الله يدري وسبقتني بينهما قال أبو ذر قد تر كنا النبي صلى الله عليه وسلم وما يقاب طائر جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علما وقال أبو ذر ان الحجر ليسئل عن نسكبه اصبع الرجل وفي الحديث الصحيح في مسلم والبخاري وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ياتني أحدكم على رقبته بعير له رضاه على رقبته بقرة لها خوار على رقبته شاة تهر

ثم بسطها بقاع قرقر فتطوّه باطرافها وتنطقه بقرونها كما سرت عليه أولاها عادت أخرها والحديث وارد في مانع الزكاة وقال أبو الحسن
لا تجوز المقاصة بين البهائم لأنها غير مكافئة ولا يجرى عليها القلم قال وما ورد في ذلك من الاخبار نحو قوله صلى الله عليه وسلم يقتص للجماء
من القرناء ويستل العود لم خدش (٣٢٦) العود فعلى سبيل المثل والاختبار عن شدة التقص في الحساب وأنه لا بد ان يقتص لظالم

من الظالم وأبى ذلك الأستاذ
هذا الفصل وما بعده مهم لان هذه العلوم عارضة في العمران كثيرة في المدن وضررها في الدين كثير فوجب
ان يصعد بشأنها ويكشف عن المعتقد الحق فيها وذلك ان قومنا من عقلاء النوع الانساني زعموا أن
الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسي تدرك ذواته واحواله بأسبابها وعلاها بالانظار الفكرية والاقيسة
العقلية وان تصحیح العقائد الايمانية من قبل النظر لامن جهة السمع فانها بعض من مدارك العقل
وهو لا يسمون فلاسفة جمع فيلسوف وهو باللسان اليوناني محب الحكمة فيبحثوا عن ذلك وشعره وال
وحوموا على اصابة الغرض منه ووضعوا قانونا يتهدى به العقل في نظره الى التمييز بين الحق والباطل
وسموه بالمنطق ومحصل ذلك ان النظر الذي يقيده تمييز الحق من الباطل انما هو للذهن في المعاني المنتزعة
من الموجودات الشخصية فيجرد منها والاصور منظمة على جميع الاشخاص كما ينطبق الطابع على جميع
التقوس التي ترسمها في طين او شمع وهذه المجردة من المحسوسات تسمى المعقولات الاوائل ثم تجرد من تلك
المعاني المكتوبة اذا كانت مشتمكة مع معاني اخرى وقد تميزت عنها في الذهن فتجرد منها معاني اخرى وهي
التي اشتركت بها ثم تجرد ثانيا ان اشار كها غير وثالثها ان ينتهي التجريد الى المعاني البسيطة المكتوبة
المنطقية على جميع المعاني والاشخاص ولا يكون منها تجريد بعد ذلك ذواهي الاجناس العالية وهذه
المجردات كلها من غير المحسوسات هي من حيث تأليف بعضها مع بعض لتحصيل العلوم منها تسمى
المعقولات الثواني فاذا نظر الفكري في هذه المعقولات المجردة وطالب تصور الوجود كما هو فلا بد للذهن من
اضافة بعضها الى بعض ونفي بعضها عن بعض بالبرهان العقلي اليقيني ليحصل تصور الوجود تصورا صحيحا
مطابقا اذا كان ذلك بقانون صحيح كما هو وصف التصديق الذي هو تلك الاضافة والحكم متقدم عندهم
على صنف التصور في النهاية والتصور متقدم عليه في البداية والتعليم لان التصور التام عندهم هو غاية
الطالب الادراك وانما التصديق وسيلة له وما تسمعه في كتب المنطقيين من تقدم التصور وتوقف
التصديق عليه فبمعنى الشهور لا يعني العلم التام وهذا هو مذهب كبيرهم ارسطو ثم يزعمون ان السعادة
في ادراك الموجودات كلها ما في الحس وما وراء الحس بهذا النظر وتلك البراهين هو حاصل مداركهم في
الوجود على الجملة وما آلت اليه وهو الذي فرغوا عليه قضايا انظارهم انهم عثروا على الجسم البشري
يحكم الشهود والحس ثم ترقى ادراكهم قليلا فاشعروا بوجود النفس من قبل الحركة والحس في الحيوانات
ثم احسوا من قوى النفس سلطان العقل ووقف ادراكهم فقضوا على الجسم العالي السماوي يتخوم
القضاء على امر الذات الانسانية ووجب عندهم أن يكون للفلك نفس وعقل كما للانسان ثم انها وذلك
نهاية عدد الاحاد وهي العشر تسع مفصلة ذواتها اجل وواحد اول مفرد وهو العاشر ويزعمون أن السعادة
في ادراك الوجود على هذا النحو من التضام مع تذبذب النفس وتخلتها بالفضائل وان ذلك ممكن للانسان
ولولم يرد شرع لتمييزه بين الفضيلة والرذيلة من الافعال بمقتضى عقله ونظيره وميله الى الحمود ومنها واجتنب
لذموم بقطرته وان ذلك اذا حصل للنفس حصلت لها البهجة واللذة وان الجسم بل بذلك هو الشدة
السرمدى وهذا عندهم هو معنى النعيم والعذاب في الآخرة الى خبط لهم في تفاصيل ذلك معروف من
كلماتهم وامام هذه المذاهب الذي حصل مسائلها ودون علمها وسطر حجاجها اقيما بلغنا في هذه الاحقايق
هو ارسطو المقدوني من اهل مقدونية من بلاد الروم من تلاميذ افلاطون وهو معلم الاسكندر ويروي

من الظالم وأبى ذلك الأستاذ
أبو اسحق الاسفرائيني
قال في الجامع الجلي يجري
القصاص بينها قال ويحتمل
انها كانت تعقل هذا
التقدر في دار الدنيا فلماذا
أجرى فيه القصاص وكلام
الاستاذ له وجه في الصحة
لان البهيمة تعرف النفع
والضرر فتقر من العصا
وتقبل الى العلف وينزجر
الكاب اذا زجروا يستأسد
اذا اشلى والطير والوحش
يقر من الجوارح استدفعا
اشرها ثم ان لم يجز عليها
القتل في الدنيا فانهما رفع
القتل عنها في الاحكام
فان قيل القصاص انتقام
وهو خرا على جنائية وقعت
من مخالفة الامر والبهائم
ليست بمكافئة ولا لما عقول
ولا جاءها رسول والعقول
عندكم لا يجب بها شيء على
العقلاء فضلا عن البهائم
وفي هذا انفصال عن قول
الاستاذ انها كانت تعقل
هذا القدر اذا لا يجب بالعقل
شيء ويشهد له قوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا فاجواب انها ليست
مكافئة لان من ضرورة
التكليف ان يعلم الرسول

والمرسل وذلك من خصائص العقلاء وهم الثقلان واذا لم تكن مكافئة كانت في المشيئة يفعل الله بها
ما اراد كما سطر عليها في الدنيا الاستخار والذبح فلا اعتراض عليه والله تعالى ان يفعل في ملكه ما اراد من تنعيم وتعذيب واذا جاز ان
البهيمة ابتداء جاز ان يؤلمها بعد حياتها والا لية محمولة على من يعلم الرسول والمرسل ثم ان لم يجز عليهم القلم في الدنيا فانهما رفع القلم عنها

الاحكام ولكن فيما بينها توأخذ وقد روى البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الزنح فانه كان يفتح على ابراهيم عليه السلام
فهذه عجماء عوقبت على سوء صنيع جنسها وفيه دليل على ان الله تعالى ان يعذب بملكه لا بالمعصية وقد ضرب موسى عليه السلام الحجر
الذي مر بثوبه وبنو اسرائيل ينظرون عورته رواه البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣٢٧) قال فضر به بعصاه والحجر يفر

والمعلم الاول على الاطلاق يعنون معلم صناعه المنطق اذ لم تكن قبله مهذبة وهو اول من رتب قانونها
واسستوفى مسائلها واحسن بسطها ولقد احسن في ذلك القانون ماشاء لو تكفل له بقصدهم في الالهيات ثم
كان من بعده في الاسلام من اخذ بتلك المذاهب واتبع فيها رايه حذوا والنعل بالنعل الا في القليل وذلك ان
كتب اولئك المتقدمين ما ترجعها الخلفاء من بني العباس من اللسان اليوناني الى اللسان العربي تصفحها
كثير من أهل الملة وأخذ من مذاهبهم من أضله الله من منتخبي العلوم وجادلوا عنها واختلفوا في مسائل من
تغاريعها وكان من أشهرهم ابو نصر الفارابي في المائة الرابعة لعهد سيف الدولة وابو علي بن سينا في
المائة الخامسة لعهد نظام الملك من بني بويه باصهان وغيرهما * واعلم ان هذا الرأى الذي ذهبوا اليه
باطل بجميه وجوده فاما سنادهم الموجودات كلها الى العقل الاول واكتفاؤهم به في الترقى الى
الواجب فهو قصور وعساور ذلك من رتب خلق الله فالوجود اوسع نطاقا من ذلك ويخلق ما لا تعلمون
وكانهم في اقتصارهم على اثبات العقل فقط والغفلة عما وراءه بمثابة الطبيعيين المقتصرين على اثبات
الاجسام خاصة المعرضين عن النقل والعقل المعتقدين انه ليس وراء الجسم في حكمة الله شئ وأما البراهين
التي يزعمونها على مدعاتهم في الموجودات ويعرضونها على معيار المنطق وقانونه فهي قاصرة وغير وافية
بالغرض اماما كان منها في الموجودات الجسمانية ويسمونه العلم الطبيعي فوجه قصور ان المطابقة بين
تلك النتائج الذهنية التي تستخرج بالحدود والاقبسة كفي زعمهم وبين ما في الخارج غير يقيني لان تلك
احكام ذهنية كلية عامة والموجودات الخارجية متشخصة بموادها ولعل في المواد ما يمنع من مطابقة
الذهني الكلي للخارجي الشخصي اللهم الا ما يشهد له الحس من ذلك فدليله شهوده لا تلك البراهين فأين
اليقين الذي يحجونه فيها ودرما يكون تصرف الذهن ايضا في المعقولات الاول المطابقة للشخصيات
بالصور الخيالية لا في المعقولات الثواني التي تجر يدنا في الرتبة الثانية فيكون الحكم حينئذ يقيني بمثابة
المحسوسات اذ المعقولات الاول اقرب الى مطابقة الخارج لكامل الانطباق فيها فانسلم لهم حينئذ دعواؤهم
في ذلك الا انه ينبغي لنا الاعراض عن النظر فيها اذ هو من ترك المسلم لئلا يعنيه فان مسائل الطبيعيات
لاتهمنا في ديننا ولا معاشنا فوجب علينا تركها * واماما ما كان منها في الموجودات التي وراء الحس وهي
الروحانيات ويسمونه العلم الالهي وعلم ما بعد الطبيعة فان ذواتها مجهولة ترأسا ولا يمكن التوصل اليها ولا
البرهان عليها لان تجر يد المعقولات من الموجودات الخارجية الشخصية اتساقا ويمكن فيما هو مدرك لنا
ونحن لا ندرك الذوات الروحانية حتى نجر دمنها ما يات اخرى بحجاب الحس بيننا وبينها فلا يتأق لنا
برهان عليها ولا مدرك لنا في اثبات وجودها على الجمله الا ما نجد بين جنسنا من امر النفس الانسانية
واحوال مداركها وخصوصات الرؤيا التي هي وجدانية لكل احد وما وراء ذلك من حقيقتها ووصفاتها فامر
غامض لا سبيل الى الوقوف عليه وقد صرح بذلك محققوهم حيث ذهبوا الى ان الماداة له لا يمكن
البرهان عليه لان مقدمات البرهان من شرطها ان تكون ذاتية وقال كبيرهم افلاطون ان الالهيات
لا يوصل فيها الي يقين وانما يقال فيها بالاحق والاولى يعني الظن واذا كنا نلتصق بعقد النصب
على الظن فقط فيكفينا الظن الذي كان اولافأى فائدة له - ذه العلوم والاشغال بها ونحن انما عنيتنا
بمخصصيل اليقين فيما وراء الحس من الموجودات وهذه هي غاية الافكار الانسانية عندهم واما قولهم ان

وموسى يقول ثوبى حجر
ثوبى حجر قال أبوهريرة
فوالذي نفسي بيده انه
لندب بالحجر ستة أو سبعة
ودروى في نفسه يرقوله
تعالى وقودها الناس
والحجارة انها الحجارة التي
تكسر الناس في الدنيا
ودروى ان المسيح عليه
السلام مر بجبل فسمع
انينه فسأله عن ذلك فقال
سمعت الله يقول وقودها
الناس والحجارة فلا أدري
أكون من تلك الحجارة
أم لا وقد تناول بعضهم قول
ابن عباس حشرها موتها
تحشر لضرب من القصاص
بينهم تصير ترابا قلت
وتأويل ابن عباس بعيد
لان الحشر الجمع وليس
في موتها جمعها بل فيه
تفرقتها وتفرقة أجزاءها ثم
قد قال والى ربهم يحشرون
وانما يكون الحشر الى
الرب تعالى باعادة الحياة
اليها وجمعها الى ربها
* (الباب التاسع والخمسون
في الفرج بعد الشدة) *
قال الله تعالى وهو الذي
ينزل الغيث من بعد
ما قنطوا وقال سبحانه أمن
يجيب المضطر اذا دعاه

ويشكف السوء وقال تعالى ان مع العسر يسرا وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم ابشر وافقد جاءكم اليسر
لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود والذي نفسي بيده لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر لن يغلب عسر يسرين ومعنى هذا انه عرف
العسر ونكر اليسر ومن عادة العرب اذا ذكرت اسماء عرفاتهم أعادته كذلك فهو وفادانكرته ثم كررته كذلك فهما اثنان وقال بعضهم

ان يكن نالك الزمان يبلوى * عظمت عندها الخطوب وجالت
فاضطربوا وتنتظر بلوغ مداها * فالرزايا اذا تواتت تولت
وقال ابن عباس اول ما اتخذ النساء (٣٢٨) النطق من قبل أم اسمعيل اتخذت منطقة التعتي اثرها على سارة ثم جاءها ابراهيم وابنها

وتلتها قوارع ناكات * ستمت دونها الحباة وملمت
واذا او هنت قواك وجالت * كشفت عنك جلة فتجالت

اسمعيل وهي ترضعه حتى
وضعهما عند البيت عند
دوحة فوق زمزم في أعلى
المسجد وليس بمكة يومئذ
أحد وليس بها ماء فوضه
هنا لك ووضع عندهما جرابا
فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم
وقفا ابراهيم منطلقا فنبهته
أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم
أين تذهب وتركنا بهذا
الوادى ليس فيه أنيس
ولاشئ فقالت ذلك مرارا
وجعل لا يلتفت اليها
فقالت له الله امرك بهذا
قال نعم قالت اذا لا يضيعنا
ثم رجعت فانطلق ابراهيم
حتى اذا كان عند الثنية
حيث لا يرونه استقبل
البيت بوجهه ثم دعاهم ولاء
الدعوات ورفع يديه فقال
رب انى اسكنت من ذريتي
بوادى غير ذى زرع عند
بيتك المحرم حتى يبلغ
يشكرون وجعلت أم
اسمعيل ترضع اسمعيل
وتشرب من ذلك الماء حتى
اذا تقدم الى السقاء عطشت
وعطش ابنها وجعلت
تنظر اليه يتلوى فانطلقت
كراهية ان تنظر اليه
فوجدت الصفا قرب
جبل في الارض يليها

السعادة في ادراك الموجودات على ما هي علمه بتلك البراهين فقول مزيف مردود ونفسه براه ان الانسان
مركب من جزأين أحدهما جسماني والآخر روحاني يمتزج به ولكل واحد من الجزأين مدارك مخصوصة
به والمدرك فيه ما واحد وهو الجزء الروحاني يدرك تارة مدارك روحانية وتارة مدارك جسمانية الا ان
المدارك الروحانية يدركها بذاته بغير واسطة والمدارك الجسمانية بواسطة آلات الجسم من الدماغ
والحواس وكل مدرك فله ابتهاج بما يدركه واعتبر به بحال الصبي في اول مداركه الجسمانية التي هي
بواسطة كيف يتمتع بما يبصره من الضوء وما يسمع من الاصوات فلا شك ان الابتهاج بالادراك الذي
للفنفس من ذاتها بغير واسطة يكون اشد والذات النفس الروحانية اذا شغرت بادراكها الذي لها من ذاتها
بغير واسطة حصل لها ابتهاج ولذة لا يعبر عنها وهذا الادراك لا يحصل بنظر ولا علم وانما يحصل بكشف
حجاب الحس ونسيان المدارك الجسمانية بالجملة والمتصوفة كثير ما يعنون بحصول هذا الادراك للفنفس
بحصول هذه البهجة فيحاولون بالرياضة اتماته القوى الجسمانية ومداركها حتى الفكر من الدماغ لا يحصل
للفنفس ادراكها الذي لها من ذاتها عند ذوال الشواغب والموانع الجسمانية فيحصل لهم بهجة ولذة لا يعبر
عنها وهذا الذي زعموه بتقدير صحتهم لم لهم وهو مع ذلك غير وافي بمقصودهم فأما قولهم ان البراهين
والادلة العقلية محصلة لهذا النوع من الادراك والابتهاج عنه فباطل كما رأيت اذ البراهين والادلة من جهة
المدارك الجسمانية لانها بالقوى الدماغية من الخيال والفكر والذكري ونحن اول شئ نغني به في تحصيل
هذا الادراك اتماته هذه القوى الدماغية كلها لانها منازعة له قاذحة فيه وتجد الماهر منهم كما كفا على
كتاب الشفاء والاشارات والتجاء وتلاخيص ابن رشد للفص من تأليف ارسطو وغيره يعبر اوراقه
ويتوثق من براهينها ويلتمس هذا القسط من السعادة عادة فيها ولا يعلم انه يستكثر بذلك من الموانع عن
ومستندهم في ذلك ما ينقلونه عن ارسطو والفارابي وابن سينا ان من حصل له ادراك العقل الفعال
واتصل به في حياته فقد حصل حظ من هذه السعادة والعقل الفعال عندهم عبارة عن اول رتبة ينكشف
عنها الحس من رتب الروحانيات ويحصلون الاتصال بالعقل الفعال على الادراك العلي وقد رأيت فساد
وانما يعنى ارسطو واصحابه بذلك الاتصال والادراك ادراك النفس الذي لها من ذاتها وبغير واسطة
وهو لا يحصل الا بكشف حجاب الحس وأما قولهم ان البهجة الناشئة عن هذا الادراك هي عين السعادة
الموعود بها فباطل ايضا لاننا نعلم ان البهجة الناشئة عن الادراك الحس مدرك آخر للفنفس من غير واسطة وانما
تتمتع بادراكها ذلك ابتهاج شديد او ذلك لا يعين انما أنه عين السعادة الاخرى ولا يبدل هي من جهة
الملاذات التي لتلك السعادة وأما قولهم ان السعادة في ادراك هذه الموجودات على ما هي عليه فقول باطل من
على ما كنا قدمناه في أصل التوحيد من الاوهام والاعلاط في أن الوجود عند كل مدرك منحصر في مداركه
وبيننا فساد ذلك وان الوجود اوسع من أن يحاط به او يستوفى ادراكه بجملة روحانيا وجسمانية والذي
يحصل من جميع ما قررناه من مذاهيم ان الجزء الروحاني اذا فارق القوى الجسمانية ادراكها كذا تياتي
مختصا بصنف من المدارك وهي الموجودات التي احاط بها علمنا وليس بعلم الادراك في الموجودات كلها
تخصروا به يتمتع بذلك النجوم من الادراك ابتهاج شديد كما يتمتع الصبي بمداركه الحسية في اول نشأته
ومن لنا بعد ذلك بادراك جميع الموجودات او بحصول السعادة التي وعدنا بها الشارع ان لم تعمل لها هي

فقامت عليه ثم استقبلت الوادى هل ترى أحد فلم تر أحد ثم سمعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى هيات
ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحد فلم تر أحد ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لم قلنا
سعى الناس بينهم ما فلما أشرقت على المروة سمعت صوتا فقلت صه تريد نفسك فسمعت أيضا فقالت قد سمعت ان كان عندك غير

فاذا هي بالملك عند موضع زمر فبحث بعقبه اوقال يجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول يدها هكذا وجعلت تعرف من الماء في سقاتها وهو يقور بعدما تعرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسمعيل لو تركت زمر اوقال لو لم تعرف لك كانت عيننا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيت الله تعالى بينه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضع أهله (ومنها قصة الثلاثة الذين خلفوا) وذلك ان كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية تخلفوا عن غزوة تبوك ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلام الثلاثة قال كعب فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لنا الارض بما رحبت فهاهي التي أعرفو كنت أطوف في الاسواق وأشهد الصلاة مع المسلمين ولا يكلمني أحد واتي رسول الله (٣٢٩) صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وأقول

في نفسى هل حرك شفتيه
بردا السلام أم لا حتى اذا
طال ذلك على من جفوة
الناس تسورت جدار حائط
أنى فتسادة وهو ابن عمي
وأحب الناس الى فسلمت
عليه فوالله ما رد على السلام
فلما سمعت خمسون ليلة من
يوم نهي رسول الله عن
كلامنا صليت صلاة الفجر
وأنا على ظهر بيت من
بيوتنا فبينما أنا جالس
على الحالة التي ذكرها
الله تعالى قد ضاقت على
نفسى وضافت على الارض
بما رحبت وما كان من
شيء أهم على من ان أموت
فلا يصلى على النبي او
يموت النبي صلى الله عليه
وسلم فأكون من الناس
في تلك المنزلة لا يكلمني
أحد ولا يصلى على فأنزل
الله تو بتناقض صوت
صارخ من أعلى الجبل
يا كعب بن مالك ابشر
تخمرت ساجد الله تعالى

هيئات ما توعدون وأما قوله -م ان الانسان مسهل تهذيب نفسه واصلاحها بما لبسته المحمود من الخلق
وبجانبه المذموم فامر بنبي على ان ابتهاج النفس بادراكها الذي لها من ذاتها وعين السعادة الموعود بها
لان الرذائل عاقبة للنفس عن تمام ادراكها ذلك بما يحصل لها من الملكات الجسمانية والوانها وقد
بين ان اثر السعادة والشقاوة من وراء الادراكات الجسمانية والروحانية فهذا التهذيب الذي توصلوا الى
معرفة انما تقع في البهجة الناشئة عن الادراك الروحاني فقط الذي هو على مقاييس وقوانين وأما ما وراء
ذلك من السعادة التي وعدنا بها الشارع على امتثال ما امر به من الاعمال والاخلاق فامر لا يحيط به مدارك
المدرسين وقد تنبه لذلك زعيمهم -م أبو علي بن سينا فقال في كتاب المبدأ والمعاد ما معناه ان المعاد الروحاني
واحواله هو ما يتوصل اليه بالبراهين العقلية والمقاييس لانه على نسبة طبيعة محضة ووظيفة وتيرة واحدة
فلنا في البراهين عليه سعة وأما المعاد الجسماني وحواله فلا يمكن ادراكه بالبرهان لانه ليس على نسبة
واحدة وقد بسطته لنا الشريعة المحمدية فلينظر فيها وان يرجع في احواله اليها فهذا العلم كراية غير
واف بمقاصدهم التي حوموا عليها مع ما فيه من مخالفة الشرائع وظواهرها وليس له فيما علمنا الاثمة واحدة
وهي شحذ الذهن في ترتيب الادلة والحجاج لتحصيل ملكة الاتقان والصواب في البراهين وذلك ان نظم
المقاييس وترتيبها على وجه الاحكام والاتقان هو كما شروها في صناعتهم المنطقية وقولهم بذلك في علومهم
الطبيعية وهم كثير ما يستعملونها في علومهم الحكمية من الطبيعيات والتعاليم وما بعدها فيستولى الناظر
فيها بكثرة استعمال البراهين بشر وطها على ملكة الاتقان والصواب في الحجاج والاستدلالات لانها وان
كانت غير واف بمقاصدهم فهي اصح ما علمناه من قوانين الاظهار هذه هي ثمرة هذه الصناعة مع الاطلاع
على مذاهب اهل العلم وآرائهم ومضارها ما علمت فليكن الناظر فيها متحرزا جهده من معاطبها وليكن نظر
من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقه ولا يمكن أحد علمها وهو خلو من
علوم الملة فقل ان يسلم لذلك من معاطبها والله الموفق للصواب وللحق والهادي اليه وما كنا ننتدى لولا
ان هدانا الله

٢٦ * (فصل في ابطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها) *

هذه الصناعة يزعم أصحابها انهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوى
الذكاء وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجمعة فتكون لذلك اوضاع الافلاك والكواكب
دالة على ما يحدث من نوع نوع من انواع الكائنات الكلية والشخصية فالمتقدمون منهم يرون ان معرفة
قوى الذكاء وتأثيراتها بالنجومية وهو امر تنصرف الاعمار كلها لواجتمع عن تحصيله اذ التجرب انما

(٤٢ - ابن خلدون)

ما علم غيره ما ثم آتيت النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وهو يبرق وجهه من السرور فقال ابشر بخير يوم مر عليك منذ
ولدتك أمك فقلت يا رسول الله ان من توبتي ان أتخضع من مالي صدقة الى الله تعالى والى رسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك (وروي) ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم لم يمشب ودرج في وضع ربي فيه فلما جن
عليه الليل رأى كوكبا يقال انه رأى الزهرة فقال هذا ربي فلما اقل قال لا احب الا فلما رأى القمر بارأ قال هذا
ربي فلما اقل بعد طلوع الفجر قال ان لم يهدني ربي لا كون من القوم الضالين فلما اصبح ورأى الشمس بازغة قال هذا ربي

هذا كبر فلما أفلت قال يا قوم اني بري مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين
 وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هددان يعني الى الاسلام ولا أخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا
 تذكرون قالوا يا ابراهيم اما تخاف من آلهتنا ان تصيبك بسوء ان أنت سببتنا او عبتنا قال وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم
 بالله ما ينزل به عليكم سلطانا فأي القرى يقرين أحق بالامن ان كنتم تعلمون وكان آزر يصنع أصناما بعد هداقومه ثم بعطيه ابراهيم بيدها
 فيكسرها ويذهب بها الى نهر لهم فيصبها فيه على رؤسها ويقول لها اشربي استهزأ بها واظهار القوم هفساد ما هم عليه ففشا ذلك عندهم
 من غير ان يبلغ ذلك عمرو ذفاول (٣٣٠) ما بدأ قومه ان نظروا في النجوم فقال اني سقيم يعني من الغيظ عليهم وعلى أصنامهم

تحصل في المرات المتعددة بالتركيب يحصل عنها العلم او الظن وادوار الكواكب منها ما هو طويل الزمن
 ويحتاج تكرره الى آما دواحقاب متطاولة يتقاصر عنها ما هو طويل من اعمار العالم وريما ذهب ضعفه منهم
 الى ان معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها كانت بالوحى وهو رأى فائل وقد كفونا مؤنة ابضاله ومن اوضح
 الادلة فيه ان تعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابعدا الناس عن الصنائع وانهم لا يتعرضون للاخبار
 عن الغيب الا ان يكون عن الله فكيف يدعون استنباطها بالصناعة ويشيرون بذلك لتابعيهم من الخلق
 وأما بطليموس ومن تبعه من المتأخرين فيرون ان دلالة الكواكب على ذلك دلالة طبيعية من قبل مزاج
 يحصل للكواكب في الكائنات العنصرية قال لان فعل النيران واثرها في العنصر يات ظاهرا لا يسع احدا
 بحده مثل فعل الشمس في تبدل الفصول وازدهارها ونضج الثمار والزرع وغير ذلك وفعل القمر في الرطوبات
 والماء وانضاج المواد المنعقمة وفواكه القنار وسائر افعاله ثم قال ولنا فيه ما بهما من الكواكب
 طريقان الاولى التقليد لمن نقل ذلك عنه من أئمة الصناعات الا انه غير مفقود للنفس الثانية الحدس
 والتجربة بقياس كل واحد منها الى النيران الاعظم الذي عرفنا طبيعته واثره معرفة ظاهرة فنظروا ليزيد
 ذلك الكوكب عند القران في قوته ومزاجه فتعرف موافقته له في الطبيعة او ينقص عنها فتعرف
 مضادته ثم اذا عرفنا قواها مفردة عرفنا امر كبة وذلك عند تناظرها باشكل التثلث والتربيع وغيرهما
 ومعرفة ذلك من قبل طبائع البروج بالقياس ايضا الى النيران الاعظم واذا عرفنا قوى الكواكب كلها فهي
 مؤثرة في الماهية وذلك ظاهر والمزاج الذي يحصل منها للهواء يحصل للماء تحتها من المولدات وتتخاق به
 النطف والبرزق تصير حال البدن المتكون عنها وللنفس المتعلقة به الغائضة عليه المكتسبة الماهية
 ولما يتبع النفس والبدن من الاحوال لان كيفيات البرزق والنطفة كيفيات الماهية تولد عنها ما ينشأ
 منها قال وهو مع ذلك ظني وليس من اليقين في شيء وليس هو ايضا من القضاء الالهي يعني القدر انما هو من
 جملة الاسباب الطبيعية للكائن والقضاء الالهي سابق على كل شيء هذا يحصل كلام بطليموس واصحابه وهو
 منصوص في كتابه الاربع وغيره ومنه يتبين ضعف مدرك هذه الصناعة وذلك ان العلم الكائن او الظن
 به انما يحصل عن العلم بجملة اسبابه من الفاعل والقابل والصورة والغاية على ما تبين في موضعه والقوى
 النجومية على ما قررناه انما هي فاعلة فقط والجزء العنصري هو القابل ثم ان القوى النجومية ليست هي
 الفاعل بجملة بل هناك قوى اخرى فاعلة معها في الجزء المادي مثل قوة التولد والاب والنوع التي في
 النطفة وقوى الخاصة التي تتميز بها صنف صنف من النوع وغير ذلك فالقوى النجومية اذا حصل كلها
 وحصل العلم فيها انما هي فاعل واحد من جملة الاسباب الفاعلة للكائن ثم انه يشترط مع العلم بقوى

فضنوا انه مطعون وكانوا
 يقرون من الطاعون اذا
 سمعوا به فتولوا عنه
 مدبرين فراغ الى آلهتهم
 فدخل عليهم اوهام قد وضعوا
 لها طعاما وشربا فقالوا
 تاكلون ما لكم لا تنطقون
 فاقبل عليهم ضربا باليمين
 وكسرها وقطع ايديها
 وارجلها حتى جعلها اذا
 وارق طعامها وشربها
 وعمد الى الفأس فعلقه بيد
 المهمل العظيم ثم خرج عنها
 وتركها فلما رجع قومه
 من عيدهم دخلوا بيت
 أصنامهم فلما رأوا ما صنع
 به اراهم ذلك وأعظموه
 وقالوا من فعل هذا يا لهتنا
 انه لمن الظالمين فقال بعضهم
 سمعنا قتي يذكرهم يقال له
 ابراهيم سمعنا به
 ويستهزى بها فقال عمرو ذفاول
 فأتوا به على عين الناس
 لعلمهم بشهدون فلما اتى
 بابراهيم صلى الله عليه وسلم
 قالوا ان انت فعلت هذا

يا لهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوه ان كانوا ينطقون فارجعوا الى انفسهم فقالوا
 انكم انتم الظالمون قالوا ان اقد ظلمناه بما نسبنا اليه ثم قالوا وقد عرفوا انها لاتضر ولا تنفع لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال اقدعبدون من
 دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم وما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فقال له عمرو ذفاول كيف ذلك قال آخذر جليل قد استوجبا
 تعبدوتدعو الى عبادته قال ابراهيم ان ربي الذي يحيي ويميت قال عمرو ذفاول انا احى واميت قال كيف ذلك قال آخذر جليل قد استوجبا
 القتل في حكمي فاقتل احدهم افا كون قدامته واقفوعن الاخر فاكون قد احييته فقال ابراهيم ان كنت صادقا فاحي الذي قتلت
 بزعمك اخرج روحا من جسدي من غير ان تقتله ان كنت صادقا وان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت عند ذلك

التحوم

ثم وذلوم يرد الى ابراهيم شيئا وامر به الى السجن فلبث فيه سبع سنين وجعل يذو اهل السجن الى الله تعالى والى الاسلام حتى ظهر امره
 وفساواتبعه قوم كثير على دينه فلم ارادوا ان يخرجوا ابراهيم واجتمع امرهم على ذلك بنوحير اطول جداره ستون ذراعا و وضعوه الى
 سفع جبل منيف لا يرام ولا يرقوا بلطوا الجدار فلامشى فيه احد الاذنان عنه واذن ثم وذابها الناس احتطبو النار ابراهيم ولا
 يتخلفن عنها ذكرا ولا اشي ولا حولا عبد ولا شريف ولا وضيع ومن تخلف عن ذلك التي في تلك النار فعملوا في ذلك اربعين ليلة حتى
 ان المرأة منهم تنذر ذلك على نفسها اثني رجب غائبها ووافق عليها حتى اذا اكمل ذلك قد فوافيه النار حتى انه كان يسمع وهج النار على
 المسافة البعيدة فلما بلغ ذلك وضع ابراهيم في كفة المتخنيق قال وهب بن منبه فبلغني (٣٣١) ان السماء والارض والبحار وما

فيها ضجوا الى الله تعالى
 ضجة واحدة قالوا يا ربنا
 ليس في ارضك احد يعبدك
 غيره فاذن لنا في نصرته
 فاوحى الله تعالى اليهم ان
 استغاث بشئ منكم
 فانصروه واغيشوه وان
 دعاني فاناوليه وناصره فلما
 وضعوه في كفة المتخنيق
 وقذفوه قال حسبي الله ونعم
 الوكيل اللهم انك تعلم
 ايماني بك وعداوة قومي
 فيك فانصرني عليهم ونجني
 من النار فاوحى الله تعالى
 الى النار ان كوني بردا
 وسلاما على ابراهيم
 فاطاعت النار ربه اولم
 يقول سلاما لمسات من
 شدة البرد ولت ابراهيم في
 النار سبعة ايام ووطن قومه
 انه قد احترق ثم قال ثم وذل
 انظر واما ذاب ابراهيم
 فاني رايت اللبنة في نومي ان
 جدار هذا الحيز قد تهدم
 وخرج ابراهيم يمشى قال
 وذاب النحاس الذي سديه

النجوم وتأثيراتها يزيد حدس وتخمين وحينة يحصل عنده الظن بوقوع الكائن والمحدس والتخمين
 قوى للناظر في فكره وليس من علل الكائن ولا من اصول الصناعة فاذا فقه هذا الحدس والتخمين رجعت
 ادراجها عن الظن الى الشك هذا اذا حصل العلم بالقوى النجومية على سداده ولم تعترضه آفة وهذا معوز
 لما فيه من معرفة حسابات الكواكب في سيرها لتعرف به أوضاعها ولما ان اختصاص كل كوكب
 بقوة لا دليل عليه ومدرك بطليموس في اثبات القوى للكواكب المنسوبة بقياسها الى الشمس مدرك
 ضعيف لان قوة الشمس غالبية لجميع القوى من الكواكب ومستولية عليها فقل ان يشعر بالزيادة فيها
 او النقصان منها عند المقارنة كما قال وهذه كلها فادحة في تعريف الكائنات الواقعة في عالم العناصر بهذه
 الصناعة ثم ان تأثير الكواكب فيما تحتها باطل اذ قد تبين في باب التوحيد ان لفاعل الا الله بطريق
 استدلالى كرايته واحتج له اهل علم الكلام بما هو غنى عن البيان من ان اسناد الاسباب الى المسببات
 مجهول الكيفية والعقل متهم على ما يقضى به فيما يظهر بادى الرأى من التأثير فعمل اسنادها على غير
 صورة التأثير المتعارف والقدرة الالهية رابطة بينهما كما ربطت جميع الكائنات علوا وسفلا سيما والشرع
 بردا لحوادث كلها الى قدرة الله تعالى ويبرأ مما سوى ذلك والنبوات ايضا منكرة لشان النجوم وتأثيراتها
 واستقرار الشرعيات شاهد بذلك في مثل قوله ان الشمس والقمر لا يخسفان لموت احد ولا يحيا به وفي قوله
 اصبح من عبادى مؤمنين وكافرين فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمنين بكافر بالكواكب
 واما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بمؤمن بالكواكب الحديث الصحيح فقه بان الكبر بطلان هذه
 الصناعة من طريق الشرع وضعف مداركها مع ذلك من طريق العقل مع ما لها من المضار في العمران
 الانسانى مما تبعث في عقائد العوام من الفساد اذا اتقى الصدق من احكامها في بعض الاحيان اتفاقا لا
 يرجع الى تهليل ولا تخميني قبله بذلك من لا معرفة له ويظن انفراد الصدق في سائر احكامها وليس
 كذلك فيقع في رد الاشياء الى غير خالقها ثم ما ينشأ عنها كثيرا في الدول من توقع القواطع وما يبعث عليه
 ذلك التوقع من تطاول الاعداء والمتر بصين بالدولة الى الفتك والثورة وقد شاهدنا من ذلك كثيرا فينبغي
 ان تحظر هذه الصناعة على جميع اهل العمران لما ينشأ عنها من المضار في الدين والدول ولا يدح في ذلك
 كون وجودها طبيعيا للبشر بمقتضى مداركهم وعلومهم فالخير والشر طبيعتان موجودتان في العالم لا يمكن
 نزعهما وانما يتعلق التكليف بالاسباب حصولهما فيتعين السعي في اكتساب الخير بالاسباب ودفع الاسباب
 الشر والمضار هذا الواجب على من عرف مفاصل هذا العلم ومضاره وليعلم من ذلك انها وان كانت صحيحة
 في نفسها فلا يمكن احدا من اهل الملة تحصيل علمها ولا ما كتها بل ان نظرها ناظر وظن الاطاعة بها فهو في

باب الحيز واحترق الجدار فصار رمادا فاطلعوا على ابراهيم فرأوه صحيحا سليما وخرج الى الناس ينظرون اليه على تلك الحال فلما رآهم
 خرج يمشى حتى قعد الى امه وهي في الجمع واقبلت سارة وكانت اول من آمن به حتى جلست اليه فقالت يا ابراهيم انى آمنت بالذى جعل
 النار بردا وسلاما قالت لها ام ابراهيم احذرى القتل على نفسك فقالت اليك عنى فاني لا اُخاف شيئا وقد آمنت بالله ابراهيم وحول ابراهيم
 جمع من الناس لا يحصى عددهم يأتمرون ليجددوا له عذابا فارسل الله تعالى ريحا عاصفا فسفت رماد تلك النار في وجوههم وعيونهم
 فقروا عنه وقام ابراهيم داعيا الى الله تعالى ومدكر ابيه وقال مجاهد وقتادة وغيرهما ان نبي الله سليمان بن داود عليه السلام انطلق الى
 الحمام ومعه جنى يقال له صخر ولم يكن سليمان عليه السلام يدخل الحمام الا خاتم فدخل الحمام واعطى الشيطان خاتمه فالتقه في البحر

فألقته سمكة ونزع ملك سليمان منه وألقى على الشيطان شبه سليمان فخاف فجاس على كرسية وسط على جميع ملك سليمان غير نسائه
 فجعل يقضي بين الناس والناس ينكرون قضايه حتى قالوا لقد فتى نبي الله سليمان وهكث على ذلك أربعين يوماً ثم أقبل في حالته تلك
 وهو جائع نافع حتى انتهى إلى صيادين في البحر فاستطعم أحدهم من صيده وقال له أنا سليمان فقام إليه بعضهم فصر به بعصافح وجهه
 فجعل يغسل دمه على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم على ضربه أياه ثم أعطوا سليمان سمكتين مما قد تغير عندهم وتين ولم يشغله
 ما كان فيه من الضرب عن أن يقوم إلى شاطئ البحر فشق بطونها وغسلها فو جد خاتمه في بطن أحدهما فآخذة فلدسه فرد الله عليه
 بهاءه وملاكه وجاءت الطير (٣٣٢) فخامت عليه فعرف القوم أنه سليمان فجاءوا يعترفون إليه (وروى) وهب بن منبه

ان الله تعالى وهب لآبراهيم
 اسحق فلما كان ابن سبع
 سنين أوحى الله تعالى إلى
 ابراهيم ان يذبحه وان
 يجعله قرباناً فذبح ابراهيم
 ذلك عن اسحق وأمه
 وجميع الناس وأسره إلى
 خليل له يقال له العازر
 وكان أول من آمن به من
 قومه يوم أحرق فقال له
 ان الله سبحانه رفع اسمك في
 الملأ الاعلى على جميع
 أهل البلاء حتى كنت
 أرفعهم بيلة ليرفعك الله
 بقدر ذلك في المنازل
 والفضائل وقد علمت ان
 الله تعالى لم يبتلك بذلك
 ليرفعك ولا لفضلك فلا
 يسوان بالله فذلك وأعوذ
 بالله ان يكون ذلك حتماً
 مني على الله تعالى أو سخطاً
 بحكمه الذي حكم على عباده
 ولكن هذا حسن الظن بالله
 فان عزم ربك على ذلك
 فكن عند حسن علمك
 ولا حول ولا قوة الا بالله

غاية القصور في نفس الامران الشرعية لما حظرت النظر فيها فقد الاجتماع من اهل العلم لقرائنها
 والتحقيق لتعليمها واصرار المولع بها من الناس وهم الاقل واقل من الاقل انما يطالع كتبها ومقالاتها في
 كسر بيته مسترا عن الناس وتحت ربة الجمهور مع شعوب الصناعة وكثرة قروعه وواعابها على الفهم
 فكيف يحصل منها على طائل ونحن نجد الفقه الذي عم نفعه ديناً وديناً وسهات ما أخذ من الكتاب
 والسنة وعكف الجمهور على قراءته وتعليمه ثم بعد التحقيق والتجميع وطول الدراسة وكثرة المحاسن
 وتعدد انما يحذف فيه الواحد بعد الواحد في الاعصار والاجبال فكيف يعلم مهجور للشيعة مضروب
 دونه سد الحظر والتعريم مكنة وممنوع عن الجمهور وصعب المأخذ محتاج بعد الممارسة والتحصيل لاصوله
 وفروعه إلى مزيد حدس وتخمين يكتنفان به من الناظر فابن التحصيل والحذق فيه مع هذه كلها ومدعى
 ذلك من الناس مردود على عقبه ولا شاهد له يقوم بذلك لغرابة الفن بين اهل الملة وقلة حيلته فاعتبر ذلك
 يتبين لك صحة ما ذهبنا إليه والله أعلم بالغيب فلا يظهر على غيبه احدا * ومما وقع في هذا المعنى لبعض
 اصحابنا من اهل العصر عند ما غلب العرب على كرا السلطان أبي الحسن وحاصر وبه القبر وان وكثر
 ارجاف القرين الاولياء والاعداء وقال في ذلك أبو القاسم الروحي من شعراء اهل تونس
 استغفر الله كل حين * قد ذهب العيش والمناه * أصبح في تونس وأمسي * والصبح لله والمساء
 الخوف والجموع والمنايا * يحدتها المهرج والوباء * والناس في مريه وحب * وما عسى ينفع المرء
 فاحمدى ترى عليا * حل به الهلاك والتواء * وآخر قال سوفي يأتي * به اليكم صباراء
 والله من فوق ذا وهذا * يقضى لعبدية ما يشاء * يار اصد الخنس الجوارى * ما فعلت هذه السماء
 مظلمونا وقد زعمتم * انكم اليوم أملياء * من خميس على خميس * وطمعت وأربعاء
 ونصف شهر وعشرون * وثالث ضمه القضاء * ولا ترى غير زور قول * اذك جهل أم ازدره
 انالى الله قد علمنا * ان ليس يستدفع القضاء * رضيت بالله لى الها * حسبكم البدر أو ذكاه
 ما هذه الانجم السوارى * الاعباد يد أوامه * يقضى عليها وليس تقضى * وما لها في الورى اقتضاء
 ضلت عقول ترى قديما * ماشأنه المجرم والفناء * وحكمت في الوجود طبعها * يحده الماء والهواء
 لم تر حـ... لولا ازاء مر * تغذوهم وتربوهم * الله ربى ولست أدري * ما الجواهر الفردة والحلاء
 ولا الهول التي تنادى * مالى عن صورة عراء * ولا وجود ولا انعدام * ولا ثبوت ولا انتفاء
 ولست أدري ما الكسب الا * ما جلب البيع والشراء * وانما مذهبي وديني * ما كان والناس اولياء
 اذ لا قصـول ولا اصول * ولا جدال ولا ارتباء * ما تبع الصدر واقتنينا * ياخذنا كان الاقتفاء

العلی العظیم فتعزى ابراهيم عليه السلام بقوله واستدله رأيه وبصيرته وانطلق باسحق فلما صعد الجبل
 ومعه السكين والجبل وأداة القربان فقال له اسحق يا ابيت ارى معك اداة القربان ولا ارى قرباناً قال ابراهيم يا بنى القربان بعين ربك
 ينظر اليه وان شاء رحم أباك فلم يقطن اسحق فلما وافي رأس الجبل قال ابراهيم يا بنى ان الله تعالى أمرنى ان أذبحك وأجعلك قرباناً يرفعك
 اليه ويتقبلك فانظر ماذا ترى فهلل اسحق واستبشر فقال له والده لقد فعلت يا بنى يا امر ما فجع به والدوله وانى لارى من سرورك بذلك
 وشركك لربك أمر الرجو به العافية والفرج فقال يا ابيت لم يكن شئ من الدنيا احب الى من البر بلك وبامى وقد حرمته رنى فاذا أردت
 ذبحى فاشـدد وثاقى فانى أخاف حين يفارقنى عقلى واجد لم الحديدان يتحرك منى عضو فيؤذيك وأنا اكره ان أحمم بذلك عملى فاذا

فرغت من امرى فاقرى على السلام وقل لها لا تجزى فقد اكرم الله لك ابنتك في جنته فلما فرغ من وصية عمه ابراهيم صلى الله عليه وسلم اليه فقصه بعمامته ما بين منكبيه الى السكبين ثم كبه لوجهه وكره ان يستقبل وجهه كي لا تدركه له رحمة اذاهو وشحط فادخل يده من تحت حلقه فلما اراد ان يحز انقلب السكين فاجس ابراهيم في نفسه ثم عاد الثانية فلما اراد ان يحز انقلب السكين ونودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انك كذلك تجزى المحسنين ان هذا هو البلاء المبين وقد يناله بدمع عظيم هذا فدعا ابنتك قد فداه الله لك به فنظر ابراهيم خلفه فاذا بك بش قد لوى قرنه الايمن على ساق شجرة فوجه ابراهيم الى القبلة وقبلة يومئذ مكة فذبحه ابراهيم وقصبه اسحق فلما فرغ منه وضع اقر بانا فرغ الله اليه وتقبله (قال أبو هريرة) ولما صار (٣٣٣) يوسف عليه السلام الى مصر واسترق

بعدها حربة جرح جرحا شديدا وجعل يبكي الليل والنهار على ابويه واخوته ووطنه وما تبلى به من الرق فاحماله من الليلي يدعور به تعالى وكان من دعائه ان قال يارب اخرجتني من أحب البلاد الى وقررت بيني وبين اخوتي وأبوي ووطنى فاجعل لى فى ذلك خيرا وفرجا ونجرا من حيث احسب ومن حيث لا احسب وحبب الى البلاد التى انا فيها وحببها الى كل من يدخلها وحببني الى اهلها وحببهم الى ولائتي حتى يجمع بيني وبين أبوي واخوتي فى بئر منك ونعمة وسرور يجمع لئنا خير الدنيا والاخرة انك سميع الدعاء فاقى يوسف فى نومه فقيل له ان الله تعالى قد استجاب لك دعائك واعطاك منك وورثك هذه البلاد وسلطانها وجمع اليك

كانوا كما يعلمون منهم * ولم يكن ذلك الهذاه * يا اشعري الزمان انى * اشعري الصيف والشتاء
 أنا اجزى بالشر شرا * والخير عن مثله جزاء * واتى ان أكن مطيعا * قرب أعصى ولى رجاء
 واتى تحت حكم بار * أطاعه العرش والعرش ليس باستطارك ولا كرك * اتاحه الحكم والقضاء
 لو حدث الاشعري عن * له الى رأيه انتماء * فقال اخبرهم بانى * مما يقولونه براء
 ٢٧ * (فصل فى انكارثرة الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من المفاسد عن انتحالها) *

اعلم ان كثير من العاجزين عن معاشهم تحملهم المطامع على انتحال هذه الصنائع ويرون انها احد مذاهب المعاش ووجوهه وان اقتناء المال منها يسر واسهل على مبتغيه فيرتكبون فيها من المناعب والمشاق ومعاناة الصعاب وعسف الحكام وخسارة الاموال فى النفقات زيادة على النبل من غرضه والعطب آخرها اذا ظهر على خبيثة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعوا وانما اطعمهم فى ذلك رؤية ان المعادن تستحيل وينقلب بعضها الى بعض للمادة المشتركة فيحاولون بالعلاج صيرورة الفضة ذهباً والنحاس والقصدير فضة ويحسبون انها من مكنات عالم الطبيعة وهم فى علاج ذلك طرق مختلفة لا اختلاف مذاهبهم فى التدبير وصورته وفى المادة الموضوعه عندهم للعلاج المسماة عندهم بالحجر المكرم هل هى العذرة او الدم او الشعر او البيض او كذا وكذا مما سوى ذلك وجهه التدبير عندهم بعد تعين المادة ان تمهى بالفهر على حجر صلداملس وتبقى اثناءها مائها بالماء بعد ان يضاف اليها من العقاقير والادوية ما يناسب القصد منها ويؤثر فى انقلابها الى المعدن المطلوب ثم تحفف بالشمس من بعد السقي او تطبخ بالنار او تصعدا وتكلس لاستخراج مائها وتوربها فاذا رضى بذلك كله من علاجها وتم تدبيره على ما اقتضته اصول صنعيته حصل من ذلك كله تراب او مائع يسمى بالاكسير ويزعمون انه اذا اتى على الفضة الحماة بالنار عادت ذهباً او النحاس المحمى بالنار عادت فضة على حسب ما قصد به فى عمله ويزعم المحققون منهم ان ذلك الاكسير مادة مركبة من العناصر الاربعة حصل فيها بذلك العلاج الخاص والتدبير مزاج ذوقى طبيعية تصرف ما حصلت فيه اليها وتقلبه الى صورتها وزجاجها وتثبت فيه ما حصل فيها من الكيفيات والقوى كالخبرة للخبر تقلب العين الى ذاتها وتعمل فيه ما حصل لها من الانقشاش والمشااشة ليحسن هضمه فى المعدة ويستعمل سرى على الغذاء وكذا الاكسير الذهب والفضة فيما يحصل فيه من المعادن يصرفه اليها ما يقبله الى صورتها هذا يحصل زعمهم على الجملة فتعدهم عاكفين على هذا العلاج يبتغون الرزق والمعاش فيه ويتناقلون احكامه وقواعده من كتب لائمة الصناعات من قبلهم يتداولونها بينهم ويتناظرون فى فهم لغوزها وكشف اسرارها اذ هى فى الاكثر تشبه المعنى كما ليف جابر بن حيان فى رسالته السبعين ومسلمة

أوبك واخوتك واهل بيتك فطب نفسا واعلم ان الله تعالى لن يخلف وعده وبدعاء يوسف صارت مصر محبوبة يجب من دخلها فلا يكاد يخرج منها قال قتادة ما سكنها نبي قبله ولما جمع الله شمله وتكاملت النعمة عليه اشتاق الى لقائه به فقال رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطرا السموات والارض أنت ولى فى الدنيا والاخرة توفنى مسلما والحقنى بالصالحين * ولما وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطلق اهل السجون ويقسم الاموال ضيق على يزيد بن ابي مسلم فلما ولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن ابي مسلم افر يقية فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن ابي مسلم فأتى به فى شهر رمضان عند المغرب وفى يد ابن ابي مسلم عنقه ودعنب فقال له يزيد بن ابي مسلم نعم قال نعم قال اما والله لطماسات الله تعالى ان يمكثنى منك بغير عهد ولا عقد

فقال حمدوا نانا والله فطامسا ألمت الله ان يجيرني منك و يعيدني فقال يز يدفوا لله ما جارك ولا أعاذك وان سابتني ملك الموت الى قبض روحك اسبقته والله لا كانت هذه الحجة حتى أقتلك فاقام المؤذن الصلاة فوضع يز يد العنق ودو تقدم ليصلي وكان أهل افر يقية قد اجتمعوا على قتله فلما ركع ضربه رجل على رأسه بعمود فقتله وقيل لمجد بن يز يد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الامير وأحيا الاسير سنة الله التي قد خات في عباده طمولوج الحياة من شفا الموت وحضور الموت من معدن الحياة (ويروي) ان سلطان صقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم فامر بالبحر وقال انفذ الان مركبا الى افر يقية يأتوني باخبارها فعمر القائد المركب وأرسله لمحبتة فلما أصبحوا اذا بالمركب في موضعه (٣٣٤) لم يبرح فقال له الملك اليس قد فعلت ما امرتك به قال نعم قد امتثلت امرك وانفذت

البحر يطى في كتابه رتبة الحكيم والطغرائي والمغيري في قصائده العربية في اجادة النظم وأمثالها ولا يحلون من بعده هذا كله بطائل منها * فاوضت يوما شيخنا بالبركات التلقيني كبير مشيخة الاندلس في مثل ذلك ووقفته على بعض التاليف فيها قصة طويلا ثم رده الى وقال لي وأنا الضامن له ان لا يعود الى بيته الا بالخبية ثم منهم من يقتصر في ذلك على الداسة فقط اما الظاهرة كتمويه الفضة بالذهب والنحاس بالفضة او خلطها على نسبة جزء او جزئين او ثلاثة او الخفية كالقواء الشبه بين المعادن با الصناعة مثل تبييض النحاس وتليينه بالزرق المصعد فيجىء جمعها معدنية اشبهها بالفضة ويخفي الاعلى النقاد الماهرة في قدر اصحاب هذه الدلس مع دلسهم هذه سكة يسر بونها في الناس ويظعنونها بطابع السلطان تمويهها على الجمهور بالخلاص وهؤلاء اخس الناس حرفة وأسوأهم عاقبة لتلبسهم بسرفة اموال الناس فان صاحب هذه الداسة انما هو يدفع نحاسا في الفضة وفضة في الذهب ليستخلصها لنفسه فهو سارق أو أثر من السارق ومعظم هذا الصنف لدينا بالمغرب من طلبة البربر المنبذين باطراف البقاع ومساكن الانغماد يأوون الى مساجد البادية ويموهون على الاغنياء منهم بان بايديهم صناعة الذهب والفضة والنقوس مولعة بحبهما والاستهلاك في طلبهما فيحصلون من ذلك على معاش ثم يبتقى ذلك عندهم تحت الخوف والرقبة الى ان يظهر العجز وتقع الفضيحة فيقررون الى موضع آخر ويستجدون حالا أخرى في اسسهم واه بعض أهل الدنيا باطباعهم فيما لديهم ولا يزالون كذلك في ابتغاء معاشهم وهذا الصنف لا كلام معهم لانهم بلغوا الغاية في الجهل والرداءة والاحتراف بالسرقه ولا حاسم لعلمهم الا اشتداد الحام كالم عليهم وتناولهم من حيث كانوا وقطع ايديهم متى ظهر واعلى شأنهم لان فيه افساد للسكة التي تعيها الهوى وهي مقول الناس كافة والسلطان مكاف باصلاحها والاحتياط عليها والاشتداد على مقسديها وأمان انتحل هذه الصناعات ولم يرض بحال الدلسة بل استسكف عنها وتره نفسه عن افساد سكة المسلمين وتقودهم وانما يطلب احالة الفضة للذهب والرصاص والنحاس والقزدير الى الفضة بذلك النجوم العلاج وبالكبير المحاصل عنده فلناعم هؤلاء متكلم وبحث في مداركهم لذلك مع انالاع لم ان أحدا من أهل العلم تم له هذا الغرض او حصل منه على نغية انما تذهب اعمارهم في التدبير والفهر والصلاح والتصعيد والتكليس واعتيام الاخطار بجمع العقاقير والبحث عنها ويناقلون في ذلك حكايات وقعت لغيرهم عن تم له الغرض منها او وقف على الوصول يقنعون باستماعها والمفاوضة فيها ولا يستريون في تصديقها شأن السككفين المغر من بوساوس الاخبار فيما يكلفون به فاذا سئلوا عن تحقيق ذلك بالمعاينة أنكروه وقالوا انما سمعنا ولم نره كذا شأنهم في كل عصر وجيل واعلم ان انتقال هذه الصنعة قديم في العالم وقد تكلم الناس فيها من المتقدمين

المركب فرجع بعد ساعة وسجدت مقدمة المركب بخاء ومعه رجل فقال الملك ما منعك ان تذهب حيث امرتك قال ذهبت بالمركب فبينما اننا في جوف الليل والبحارون يقذفون اذا أنا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين بكرها مرارا فلما استقر صوته في اسماعنا نادى به مرارا يا بليك يا بليك وهو ينادى يا الله يا غياث المستغيثين ويحني تحييه يا بليك يا بليك وقد فطنا المركب نحو الصوت فالتفتنا هذا الرجل غريبا في آخر رمق من الحياة فاخذناه من البحر وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من افر يقية فغرقت سفينتنا منذ أيام ومازات استبح حتى وجدت الموت فلم أشعر الا بالغيوث من ناحيتكم فسبحان من أسهر سلطانا وأرق جبارا في قصره لغريق في البحر حتى

استخرجه من تلك الظلمات ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحشة لاله الانت سبحانك وأخبرني رجل كان أمام المسجد الجامع بالاسكندرية قال كنت بصقلية أيام فتن العدو فرحفت البناني البحر سفن تقارب ثلاثمائة سفينة وأرست في الساحل فرأينا أحرارهم ولا وفتينا الشيخ الصالح العابد ابن المستطاري فلجأ الناس اليه واستجمعوا وحوله يتبركون به وينتظرون الفرج على يديه قال فنظر الى السماء حينئذ وسجد وعفر خديه بالأرض يقام ما يميننا وشمالنا قال فوالله ما ذهبنا حتى هبت ريح مرقها كل مرقق فلم يجئنا منها اثنان (واخبرني) أبو القاسم بن فانتك رجه الله قال كنت في طريق الحجاز فعطش الناس في مغارة تسوك ففقد الماء ولم يوجد الاغنياء صاحب لي جمال فجعل يبيعه بالدينار ببارف الاثمان فجاء رجل كان موسوما بالصلاح عليه مقطعة يحمل ركوة ومعه شيء من دقيق فشق

والمتأخرين

الى الجمال ليعبده الماء بذلك الدقيق فكلمته فاني على ثم عاودته فاني قال فبسط الرجل النطع في الارض ونثر عليه الدقيق ثم رمق
الماء وقال الهى انا عبدك وهذا دقيقتك ولا املك غيره وقد ابى ان يقبله ثم ضرب بيده في النطع وقال وعزتك لا برحت حتى اشرب فوالله
ما تفرقنا حتى نشأ الصحاب فامطر للحين فشرب الماء ولم يبرح فـ كان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم رب أشعب اغبرذى طمر من لا يؤبه
له لو أقسم على الله لأبره (وأخبرني) شيخ من ممن كان يعجب العلماء بالقيروان يقال له حريز قال أخبرني عبد السكافي الديباجي قال رأيت
بالقيروان آية عظيمة وذلك ان رجلا جاء بصبي له وقد أسكت فلا يتكلم فدخل به الى الفقيه أبي بكر بن عبد الرحمن وقال له ان ابني هذا
قد أسكت منذ أيام فلا يتكلم فادع الله ان يفرج ما نزل به قال فدعا الشيخ ساعة (٣٣٥) ثم مسح وجه الصبي فاستفاق الصبي

فقال له قل لاله الا الله فقال
الصبي أشهد ان لا اله الا الله
وأشهد ان محمدا رسول الله
ثم التفت الى الرجل وقال
اكتفها على الى الموت ثم
التفت الى جاريته فقال
اكتفي على هذا الى الموت
وأنت حرة قبلما كان يوم
توفي الشيخ أبو بكر واجتمع
الناس لمبارزته وتكاثرت
الامم قام الرجل فاستنصت
الناس فسكتوا فقال يا أهل
القيروان اسمعوا قصتي
مع هذا الشيخ وذكر الحديث
كلمة سقناه (وحدثني) هذا
الشيخ قال نزل عندنا
بالقيروان قصة لم يسمع في
السالفين مثله او ذلك ان
بعض الجزار بن اصبح
كبشالية ذبحه فتجذب بين
يديه فاغاث منه وذهب
فقام الجزار يطلبه وجعل
يمشي الى أن دخل خربة
فاذا فيه رجل مذبح يتجذب
في دمه فقزع وخرج
هاربا واذا صاحب الشرطة

والمتأخر بن فلتنقل مذاهبهم في ذلك ثم نتلوه بما يظهر فيها من التحقيق الذي عليه الامر في نفسه منقول
ان مبنى الكلام في هذه الصناعة عند الحكماء على حال الماء اذن السبعة المنطوقة وهي الذهب والفضة
والرصاص والقرزير والنحاس والحديد والمخارصين هل هي مختلقات بالفصول وكلها انواع قائمه بانفسها
اوانها مختلفة بخواص من الكيفيات وهي كلها اصناف لنوع واحد فالذي ذهب اليه ابو نصر الفارابي
وتابعه عليه حكماء الاندلس انها نوع واحد وان اختلافها بالتماهي والكيفيات من الرطوبة واليبوسة
واللين والصلابة والالوان من الصفرة والبياض والسواد وهي كلها اصناف لذلك النوع الواحد والذي
ذهب اليه ابن سينا وتابعه عليه حكماء المشرق انها مختلفة بالفصول وانها انواع متباينة كل واحد منها قائم
بنفسه ومحقق بحقيقته له فصل وجنس شأن سائر الانواع وبنى ابو نصر الفارابي على مذهبه في اتفاقها
بالنوع امكان انقلاب بعضها الى بعض لا يمكن تبدل الاعراض حينئذ وعلاجها بالصنعة في هذا الوجه
كانت صناعة الكيمياء عنده ممكنة ههنا المأخذ وبنى ابو علي ابن سينا على مذهبه في اختلافها بالنوع
انكار هذه الصناعة واستحالة وجودها بناء على ان الفصل لا سبيل بالصناعة اليه وانما يخلقه خالق الاشياء
ومقدرها هو والله عز وجل والفصول مجهولة الحقائق رأسا بالتصور فكيف يحاول انقلابها بالصنعة وغلطه
الطغرائي من اكارها هل هذه الصناعة في هذا القول ورد عليه بان التدبير والعلاج ليس في تخليق الفصل
وابداعه وانما هو في اعداد المادة لقبوله خاصة والفصل يأتي من بعد الاعداد من لدن خالقه وبارئه كما
يفيض النور على الاجسام بالثقل والامهارة ولا حاجة بنا في ذلك الى تصوره ومعرفة قال واذا كنا قد عثرنا
على تخليق بعض الحيوانات مع الجهل بقصدها مثل العقرب من التراب والنتن ومثل الحيات المتكونة
من الشعر ومثل ما ذكره اصحاب الفلاحة من تكوّن النحل اذا فقدت من عجاجيل البقر وتكوّن القصب
من قرون ذوات الظلف وتصير سكر الحشوش والقرون بالعسل بين يدي ذلك الفلح للقرون فما المانع اذا
من العثور على مثل ذلك في الذهب والفضة فتتخذ مادة تصيفها للتدبير بعد ان يكون فيها استعداد اول
لقبول صورة الذهب والفضة ثم تحاويلها بالعلاج الى ان يتم فيها الاستعداد لقبول فصلها انتهى كلام
الطغرائي بمعناه وهذا الذي ذكره في الرد على ابن سينا صحيح لكن لنا في الرد على اهل هذه الصناعة مأخذ آخر
يتبين منه استحالة وجودها واطلاق مزعمهم اجمعين لا الطغرائي ولا ابن سينا وذلك ان حاصل علاجهم
انهم بعد الوقوف على المادة المستعدة بالاسس تعداد الاول يجعلونها وضوعا ويحاذون في تدبيرها وعلاجها
تدبير الطبيعة في الجسم المعدني حتى احاطته ذهبها وفضة ويضاعفون القوى الفاعلة والمنفعة ليم في زمان
أقصر لانه تبين في موضعه ان مضاعفة قوة الفاعل تنقص من زمن فعله وتبين ان الذهب انما يتم كونه

والرجال عندهم خبر القتل وجعلوا يطلبون خبر القاتل والمقتول فأصابوا بسده السكين وهو ملوث بالدم والرجل مقتول بالخربة
فقبضوه وجملوه الى السلطان فقال له انت قتلت الرجل قال نعم قال فما زالوا يسئتنطقونه وهو يعترف اعترافا لا اشكال فيه فأمر به
السلطان ليقتل فاخرج للقتل واجتمع الامم ابيصر واقتله فلما ساهوا بقتله اندفع رجل من الحلقة المجتمعين فقال لهم لا تقتلوه انا قاتل
القتيل فقبض وجعل الى السلطان فاعترف وقال انا قتلته فقال له السلطان قد كنت معافي من هذا فاجلكت على الاعتراف قال رأيت هذا
الرجل يقتل ظلما فكرهت ان التي الله تعالى بدم رجلين فأمر به السلطان فقتل ثم قاتل الرجل يا أيها الرجل ما دعاك الى الاعتراف بالقتل
وانت بري فقال الرجل فإحيا لي رجل مقتول بالخربة وأخذوني وأنا خارج من الخربة وبئس السكين ملطخة بالدم فان أنكرت من

يقبلي وان اعتذرت من يعذرتي فلي سبيله وانصرف مكرما (ولما وزر نخر الملك) نظام الدين لسنجار الملك وكان انخر الملك ابن عمه يقال له شهاب الملك وكان يخاف منه على منزله فقال للملك سنجان لاجل حياة لي معلم الان تقتل ابن عمي شهاب الملك في سنجان فما زال يراجعها الى ان امر به فحبس في بلدي يقال لها بيهي وكان والي ذلك البلدي يكرمه لجلالته ووجلاله اهل بيته واخلى له دارا في القلعة مشرفة ثم جعل نخر الملك يفسد قلب سنجان ويحمله على قتل شهاب الملك الى ان ارسل سنجان الى واليه بقتل شهاب الملك فاستعظم الوالي قتله واخره اياما ثم لم يجد يدان قتله فعزم على قتله في يوم جمعة فبينما شهاب الملك يطالع من طاقات الدار اذا بقارس يركض فاجس في نفسه خيفة منه وقال هذا ير يدان يقتلني فوصل الفارس (٣٣٦) وقال مات نخر الملك في سبيل شهاب الملك ثم وزر السنجان في بيان الفعالي ما يريد

في معدنه بعد الف وثمانين من السنين دورة الشمس الكبرى فاذا تضاعفت القوي والكيفيات في العلاج كان زمن كونه اقصر من ذلك ضرورة على ما قلناه او يتجرون به لاجلهم ذلك حصول صورة مزاجية اتلك المادة تصيرها كالتجيرة فتعمل في الجسم المعالج الا فاعيل المطلوبة في حالته وذلك هو الاكسبر على ما تقدم واعلم ان كل متكون من المولدات العنصرية فلا بد فيه من اجتماع العناصر الاربعه على نسبة متفاوتة اذ لو كانت متكافئة في النسبة لماتم امتزاجها فلا بد من الجزء الغالب على الكل ولا بد في كل ممتزج من المولدات من حرارة غريزية هي الفاعلة لكونه الحافظة لصورته ثم كل متكون في زمان فلا بد من اختلاف اطواره وانتقاله في زمن التسكوبين من طور الى طور حتى ينتهي الى غاية وهو انظر شأن الانسان في طور النطفة ثم العلقة ثم المضغة ثم النصور ثم الجنين ثم المولود ثم الرضيع ثم ثم الى نهايته ونسب الاجزاء في كل طور تختلف في مقاديرها وكيفياتها والالكان الطور بعينه الاول هو الاخير وكذا الحرارة الغريزية في كل طور مخالفة لها في الطور الاخر فانظر الى الذهب ما يكون له في معدنه من الاطوار منذ الف سنة وثمانين وما يتقل فيه من الاحوال فيحتاج صاحب الكيمياء الى ان يساوق فعل الطبيعة في المعدن ويحاويه بتدبيره وعلاجه الى ان يتم ومن شرط الصناعة ابدان تصور ما يقصد اليه بالصناعة في الامثال الساخرة للحكيم اول العمل آخر الفكرة واخر الفكرة اول العمل فلا بد من تصور هذه الحالات للذهب في احواله المتعددة ونسبها المتفاوتة في كل طور واختلاف الحار الغريزي عند اختلافها ومقدار الزمان في كل طور وما ينوب عنه من مقدار القوي المضاعفة ويقوم مقامه حتى يحاذي بذلك كله فعل الطبيعة في المعدن او تعدل بعض المواد بصورة مزاجية تكون كصورة التجيرة للتجيرة وتعمل في هذه المادة بالنسبة لتقواها ومقاديرها وهذه كلها انما يحصرها العلم المحيط والعلوم البشرية قاصرة عن ذلك وانما حال من يدعي حصوله على الذهب بهذه الصناعة بمثابة من يدعي بالصناعة تخليق انسان من المتي ونحن اذا سلمنا له الاطاعة بأجزائه ونسبته واطواره وكيفية تخليقه في رجه وعلم ذلك علما محصلا بتقاصه له حتى لا يشك منه شيء عن علمه سلمنا له تخليق هذا الانسان واتى له ذلك ونقرب هذا البرهان بالاختصار ليسهل فهمه فنقول حاصل صناعة الكيمياء وما يدعون به هذا التدبير انه مساوقة الطبيعة المعدنية بالفعل الصناعي ومحاذاتها به الى ان يتم كون الجسم المعدني او تخليق مادة بقوي وافعال وصوره مزاجية تفعل في الجسم فعلا طبيعيا فتصير به وتقلبه الى صورتها والقول الصناعي مسبق بتصورات احوال الطبيعة المعدنية التي يقصد مساوقتها ومحاذاتها او فعل المادة ذات القوي فيها تصور مقصلا لا واحدة بعد اخرى وتلك الاحوال لانهاية لها والعلم البشري عاجز عن الاطاعة بما دونها وهو بمثابة من يقصد تخليق انسان او حيوان او نبات هذا يحصل هذا البرهان

(اخبرني) أبو الفضل المعبر بمصر قال كان بمصر ملوك بني حمدان وكان الرئيس ناصر الدولة وكان يشكو وجع القولنج فأعيا الاطباء ولم يوجد له شفاء ثم ان السلطان دس على قتله فارصد له رجل معه خنجر فلما جاء في بعض دها ليز اتصر وثب عليه الرجل وضربه بالخنجر فاعت الضربة في أسفل خصرته فأصاب طرف الخنجر المعبي الذي هو القولنج فخرج ما فيه الخلط ثم عافاه الله تعالى فصبح وبرى كاحسن ما كان (ولما كنت بالاسكندرية) نزلت سفن العدو بساحل مدينة برفا فاقذوا قوم من المسلمين وقتلوا بعضهم وأسروا بعضهم فأخذوا رجل منهم وشككاه من خلفه فلما تبوا والسفينة عمد اليه بعض الاعلاج فرفسه وألقاه في البحر ثم طعنه برمح كان معه فلم يخطئ

نصل الرمح جبل السككي فقطعه وانحلت يد الرجل فسيح حتى لمق بالشاطئي سليمان ووصل الى الاسكندرية في عافية (وحدثني) بعض الشاميين ان رجلا خبازا بينما هو يجتر في ثور به مدينة دمشق اذ عبر عليه رجل يبيع المشمش قال فاشترى منه وجعل يأكل بالخبز الحار فلما فرغ سقط مغشيا عليه ففطروا فاذا هو ميت فعملوا بتر بصون به ويحملون له الاطباء في لمسون دلائله وهو واضح الحياة منه ففوضوا ابانه ميت فغسل وكفن وحمل الى الجبانة فبينما هم خارجون به من باب المدينة استقبلهم رجل طبيب يقال له البير ودي وكان طبيبا ماهرا اذا قبالطبيب فسمع الناس يلهمجون بقصته فقال لهم خطوه حتى اراه قال فخطوه وجعل يقبله وينظر في امارات الحياة التي يعرفها ثم فتح فوه وغفقه شيئا وقال حقنه فاندفع ما هنالك يسيل واذا الرجل قد فتح عينيه وتكلم وعاد كما كان الى

وهو

دكانه (وكان رجل) يمشي بمعداد فبينما هو في الطريق اذا بدا رقد وقعت عليه فخرت كالجبل العظيم واذا في الحائط طاقة فاخطأت رأسه فصارت الدار كوما خرج الرجل من الطاقة سليمان (وحدثني) أبو القاسم الحضرمي قال كنت باليمن في أرض الصليحي فوشى بي الى السلطان فأمر بقتلي فاخرجت وقدمت للقتل وتركتي السيف ثم قال لي مدرقتك فددت عنقي لقضاء الله تعالى ثم قال لي السيف اشتد فقلت دونك يا هذا فبينما نحن كذلك اذا بصائح من داخل القصر لا تقتلوه لا تقتلوه فخلوا سبيلي (وجرت بقرطبة قصة غريبة) في أيام المنصور بن أبي عامر وذلك ان رجلا يعرف بقاسم بن محمد السنبي شهد عليه بالزندقة فحبسه المنصور ومدته مع جماعة من الاديان من وجوه قرطبة مرقون بالانهمالك والزندقة وكان ينادى عليهم في كل جمعة (٣٣٧) يوقفون اثر صلاة الجمعة بسباب الجامع الاعظم من كانت عنده

شهادة فيهم فليؤدها فثبت على قاسم عند القاضي سجل شهادات الشهود بأنواع منكرة تتضمن الزندقة والكفر فطلعوا الى القصر وعقدوا مجلسا عظيما واستشير الفقهاء فيه فأوجبوا قتله فالتحق قاسم فحضر وحضر أبوه وحضر ابنان صغيران لقاسم وابسوا ثياب الحداد وحمل أبوه معه نعشا وجالين وجعل أبوه والصبيان يبكون على باب القصر واحضر لضرب عنقه سيف يعرف بابن المندي ودفعت اليه أسياق من القصر فجعل يروضا ويلس شقارها وأبوه وابناه ينظران وحضر الفقيه أبو عمر والمكودي الاشبيلي على كره منه وكان يأبى الحضور فاستفتوه فقال يا هؤلاء ان الدماء لا تسفك الا بالحق الواضح دون الشبه

وهو أوثق ما علمته وليست الاستحالة فيه من جهة الفصول كما رأيت ولا من الطبيعة انما هو من تعذر الاحاطة وقصور البشر عنها وما ذكره ابن سينا من عجز عن ذلك وله وجه آخر في الاستحالة من جهة غايته وذلك ان حكمة الله في الحجر بن وندورهما انه ما قيم لمكاسب الناس وميتولاتهم فلو حصل عليه ما بالصنعة لبطلت حكمة الله في ذلك وكثر وجوده ما حتى لا يحصل احد من اقتنائهم ما على شيء وله وجه آخر من الاستحالة ايضا وهو ان الطبيعة لا تترك اقرب الطرق في أفهامها وترتكب الاعوص والابعد فلو كان هذا الطريق الصنعي الذي يزعمون انه صحيح وانه اقرب من طريق الطبيعة في معدنها واول زمانها لما تركته الطبيعة الى طريقها الذي سلكته في كون النضة والذهب وتخليقهما واما تشبيه الطغرائي هذا التدبير بما عثر عليه من مفردات لامثاله في الطبيعة كالتقرب والنحل والحية وتخليقها فأمر صحيح في هذه أدى اليه العثور كما زعم واما الكيمياء فلم يتقل عن احد من أهل العلم انه عثر عليها ولا على طريقها وما زال منتحلوها يجتبطون فيها خبط عشواء الى هلم جرا ولا يظفرون الا بالحمك كليات الكاذبة ولو صح ذلك لاحد منهم لمخفاه عنه اولاده أو تلميذه وأصحابه وتوقف في الاصدقاء وضمن تصديقه صحة العمل بعده الى أن ينتشروا ويبلغ الينا والى غيرنا واما قولهم ان الاكسبر بمثابة الخميرة وانه مركب يجيل ما يحصل فيه ويقبله الى ذلك فاعلم ان الخميرة انما تقرب العجين وتعد له ضم وهو فساد والفساد في المواد سهل يقع بايسر شيء من الافعال والطبايع والمطلوب بالاكسبر قلب المعدن الى ما هو اشرف منه وأعلى فهو تسكون وصلاح والتسكون أصل من الفساد فلا يقاس الاكسبر بالخميرة وتحقيق الامر في ذلك ان الكيمياء ان صح وجودها كما تزعم الحكماء المتكلمون فيها مثل جابر بن حيان ومسلمة بن أحمد الجعفي وأمثالهم فليست من باب الصناعات الطبيعية ولا تتم بامر صنعي وليس كلامهم فيها من منحنى الطبيعيات انما هو من منحنى كلامهم في الامور السخرية وسائر الخوارق وما كان من ذلك للحلاج وغيره وقد ذكر مسألتي في كتاب الغاية ما يشبه ذلك وكلامه فيها في كتاب رتبة الكيمياء من هذا المنحنى وهذا كلام جابر في رسالته ونحو كلامهم فيه معروف ولا حاجة بنا الى شرحه وبالجملة فأمر ما عندهم من كليات المواد الخارجة عن حكم الصناعات فكما لا يتدبر ما منه الخشب والحيوان في يوم أو شهر خشب او حيوانا في ما عدا مجرى تخليقه كذلك لا يتدبر ذهب من مادة الذهب في يوم ولا شهر ولا يتغير طريق عاقبة الابار فادعها وراء عالم الطبايع وعمل الصناعات فكذلك من طلب الكيمياء باصناعها يصيب ماله وعمله ويقال لهذا التدبير الصنعي التدبير العقيم لان نبلها ان كان صحيحا فهو واقع بماء ورائه الطبايع والصناعات فهو كالشيء على الماء وانما يطاها وانما هو في كائنات الاجساد ونحو ذلك من كرامات الاولياء الخارقة للعادة او مثل

(٤٣ - ابن خلدون) احسبوا ان السنبي فروجا بما اذا تدبجونه فقال القاضي ابن الشرفي بما ثبت عندي وأمعنت النظر فيه قال الفقيه أوقفني عليه فاخذ السجل ونظر فيه فقال أخبرني بمن قتلته من هؤلاء الشبه ودقال بهذا وهذا حتى عد خمسة قال الفقيه فيجمعهم يقتله قال نعم قال فلوشهد منهم اثنان خاصة كنت تقتله قال لا انما قوتى بعضهم بعضا وركب اكثرهم عندي فالتفت الفقيه الى الفقهاء المشاورين فقالوا يا هؤلاء ما بالعاظم يقتل المسلمون عندكم ويسفك دماؤهم فلست أرى قتله ولا أشير به فخرج الفقهاء الى قواه ولم يروا عليه شيئا بعدما افتوا يقتله منذ سنة أشهر فانقض الجمع وشيم السيف وطار البشير الى ابن ابي عامر فاخبره بالجلس فقال ابن ابي عامر مضيتم تقتلون ابن السنبي فدفعتم القاضي قد اجهدت بالدين ولا قاتل لمؤجل فحبس أياما ثم أطلق فكان ابن ذكوان الفقيه يقول للقاضي في مثل هذا قال

القائل اذا سئل سم عرفت الله قال بنقضه عزائى ومعنى الدعائم على اسان الفقيه هم الشهود الذين لو انقروا منهم اثنان لم يثبت الحكم ولا قبلا فيه فاذا كثروا قوتى بعضهم بعضا فلا يثبت الحكم بهم (وفي تقييد هذا ما حدثني القاضي) أبو مروان الداني بطرطوشة وقد ولي قضاءها فنذاكرنا يوما فقال نزلت قافلة بقرية خربة من أعمال دانية فأووا الى دار خراب هناك ليستكنوا من الرياح والامطار واسنة وقد وانارهم وسورا معيشتهم وقرب تلك الخربة حائط مائل قد اشرف على الوقوع فقال رجل منهم لاهل القافلة يا هؤلاء لا تتعدوا تحت هذا الحائط ولا تدخلوا هذه البقعة فابوا الادخولها وابتات الرجل منتبذا خارجا عنهم لم يقرب ذلك المكان ثم اصبحوا في عافية وجعلوا دوابهم فيبينما هم كذلك اذ دخل الرجل الخربة (٣٢٨) ليستوقد ببقية النار فخر عليه الحائط فسات مكانه (و بلغنى) عن بعض الفقهاء ان جيشا

تخليق الطير ونحوها من معجزات الانبياء قال تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فننفخ فيها فتكون طيرا باذنى وعلى ذلك فسبيل تيسيرها مختلف بحسب حال من يؤتاها فربما أوتيتها الصالح وتوتيتها غيره فتكون عنده معارضة وربما أوتيتها الصالح ولا يملك ايتاءها فلا تتم في يد غيره ومن هذا الباب يكون عملها اسعرا با فقد تبين انها انما تقع بتأثيرات النفوس وخوارق العادة امام معجزة او كرامة او معجزة او لهذا كان كلام الحكماء كلهم في الغالزا لا يضفر بحقيقة الامن خاض لمحة من علم السحر واطلع على تصرفات النفس في عالم الطبيعة وأمر خرق العادة غير متحصرة ولا يقصد احد الى تحصيلها والله بما يعملون محيط وأكثر ما يحمل على التماس هذه الصناعة وانتحالها هو كقولنا الهجر عن الطرق الطبيعية للمعاش وابتعاؤه من غير وجوده الطبيعية كالفلحة والتجارة والصناعة فيستعجب العاجز ابتغاءه من هذه وروم الحصول على الكثير من المال دفعة بوجوه غير طبيعية من الكيمياء وغيرها أو أكثر من يعنى بذلك الفقراء من أهل العمران حتى في الحكماء المتكلمين في انكارها واستحالتها فان ابن سينا القائل باستحالتها كان علة الوزراء فكان من أهل الغنى والثروة والقاراني القائل بإمكانها كان من أهل الفقر الذين يوزرهم أدنى بلغة من المعاش واسبابه وهذه مظاهر في انظار النفوس المولعة بطرقها وانتحالها والله الرزاق ذو القوة المتين لا رب سواه

من الجيوش كان بصقلية ناهض من مكان الى مكان فقدموا ساعة لبعض شأنهم فاذا يقرب يدب فضر به بعض الاجناد مقرعة كانت معه ثم رفع المقرعة الى نحو عنقه فاذا بالقرع قد تشمت باهداب المقرعة وهو لا يشعر فلدغته في عنقه فقتل مكانه (واخبرني القاضي) أبو الوليد الباجي عن أبي ذر قال كنت أقرأ على الشيخ ابي حفص عمر بن أحمد بن شاهين بيعة اذ جزأ من الحديث في حانوت رجل يبيع العطر فجاء رجل طواف بطبق يحمله في يده وأعطاه عشرة دراهم وقال له ادفع الى اشياء مما ادا من العطر فاخذها في طبقه ومشي فسقط الطبق من يده وتفرق جميع ما كان فيه فبكي الطواف وجرع حتى رجناه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت لعلك تحيرنا ببعض هذه الاسباب

٢٨ * (فصل في ان كثرة التاليف في العلوم عاتقة عن التحصيل) *

(اعلم) انه مما اضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التاليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك وحيد في نفسه لم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم الى حفظها كلها أو أكثرها ومرعاة طرقها ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة اذا تجرد لها فيقع القصور ولا بددون رتبة التحصيل ويمثل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بكتب المدونة مثلا وما كتب عليها من الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن يونس والآنمى وابن بشير والتنبيهات والمقدمات والبيان والتحصيل على العنينة وكذلك كتاب ابن الحاجب وما كتب عليه ثم انه يحتاج الى تمييز الطريقة القبروانية من القرطبية والبغدادية والمصرية وطرق المتأخرين عنهم والاحاطة بذلك كله وحينئذ يسلم له منصب الفتاوى كلها متكررة والمعنى واحد والمتعلم مطالب باستحضار جميعها وتمييز ما بينها والعمر ينقض في واحد منها ولو اقتصر المعلمون بالمتعلمين على المسائل المذهبية فقط لكان الامر بدون ذلك بكثير وكان التعليم سهلا وما أخذه قريبا ولكنه داء لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحويلها ويمثل اوضاع عالم العربية من كتاب سيمويه وجميع ما كتب عليه وطرق البصريين والكوفيين

قال نعم فنزل وجمع ما تجمع منها وجبر له ما نقص واقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له لا تجزع فامر الدنيا ليس من ذلك فقال الطواف اتظن أيها الشيخ ان جزي اضياع ما ضاع لقد علم الله تعالى متى كنت في القافلة الفلانية فضاء لي هميان فيه أربعمائة دينار أو أربعمائة دينار الشك من أبي ذر ومعه اقصوص قيمتها مثل ذلك فاجزعت اضياعها ولكن ولدني في هذه الليلة مولودا فاحتجت في البيت الى ما تحتاج اليه النفس ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم فاشفت ان اشترى بها حوائج النفساء فابقي بغير رأس مال ولا أقدرة على التكسب فقلت اشترى بها شيئا وأطوف صدر نهاري فعمسى استفضل شيئا أسد به ربي وبيتي رأس المال اتصرف فيه فلما قدر الله تعالى بضياعه جزعت فقلت لا عندي مال أرجع به اليهم ولا ما اكتسب به وعلمت أنه لم يبق لي الا

والبغداديين
قال نعم فنزل وجمع ما تجمع منها وجبر له ما نقص واقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له
لا تجزع فامر الدنيا ليس من ذلك فقال الطواف اتظن أيها الشيخ ان جزي اضياع ما ضاع لقد علم الله تعالى متى كنت في القافلة الفلانية فضاء لي هميان فيه أربعمائة دينار أو أربعمائة دينار الشك من أبي ذر ومعه اقصوص قيمتها مثل ذلك فاجزعت اضياعها ولكن ولدني في هذه الليلة مولودا فاحتجت في البيت الى ما تحتاج اليه النفس ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم فاشفت ان اشترى بها حوائج النفساء فابقي بغير رأس مال ولا أقدرة على التكسب فقلت اشترى بها شيئا وأطوف صدر نهاري فعمسى استفضل شيئا أسد به ربي وبيتي رأس المال اتصرف فيه فلما قدر الله تعالى بضياعه جزعت فقلت لا عندي مال أرجع به اليهم ولا ما اكتسب به وعلمت أنه لم يبق لي الا

الفرار منهم وترحمهم على هذه الحال يهلكون بعدى فهذا الذى اوجب جزى قال الشيخ ابو ذر وكان رجل من الجنه جالس على باب داره يستوعب الحديث فقال للشيخ ابي حفص انا ارجب اذا تمتم امره ان تدخل معه عندي وقام فظننا انه يريد ان يعطيه شيئاً قال فدخنا عليه فاذن لنا فقال الجندى للطواف عجب من جزعك فاعاد عليه القصة فقال الجندى وكنت في تلك القافلة قال نعم وكان بهامن عظام الناس فلان وفلان فعلم الجندى صحة قوله فقال له وما علامه الميمان وفي أى موضع سقط منك فوصف الميمان والعلامة فقال له الجندى لورايتك كنت تعرفه قال نعم فاخرج الجندى ميمان ووضع بين يديه فقال هذا ميمانى وعلامة صحته قولى ان فيه من الاجار ماضفته كذا وكذا ففتح الميمان فوجد الاجار على ما ذكر فقال الجندى خذ مالك (٣٣٩) بارك الله فيه فقال الطواف هذه

الاجار قيمتها مثل الدنانير او اكثر فخذ انت الدنانير فنفسي طيبة بذلك فقال الجندى لا آخذ على امانتى شيئاً فدخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الاغنياء فبكى الجندى بكاء شديداً وانتحب فقال له ابو حفص علام تبكي وقد ادى الله امانتك وقد بذل لك مالا كثيراً وان شئت عرضنا عليه ان يعده عليك فقال ما أبكى لذلك وانما أبكى لاني اعلم انه قد حان اجلي فانه ما كان بقى امل اوله ولا امنية ائمانها الا ان يأتيني الله بصاحب هذا المال فيأخذه فلما قضى الله تعالى ذلك بفضله ولم يبق لى امل علمت انه قد حان اجلي قال الشيخ ابو ذر فضا انقضى شهر حتى توفي وصلينا عليه (قال القاضي) وحدثني ابو القاسم ابن الحسين بالموصل قال لقد جرت ههنا في هذا

والبغداديين والاندلسيين من بعدهم وطرق المتقدمين والمتأخرين مثل ابن الحاجب وابن مالك وجميع ما كتب في ذلك وكيف يطالب به المتعلم وينقضي عمره دونه ولا يطمع احد في الغاية منه الا في القليل النادر مثل ما وصل اليها بالمغرب لهذا العهد من تاليف رجل من اهل صناعة العربية من اهل مصر يعرف بابن هشام ظهر من كلامه فيها انه استولى على غايه من ملكة تلك الصناعة لم تحصل الا اسيبو به وابن جنى واهل طبقتها العظم ملكته وما احاط به من اصول ذلك الفن وتعار يعه وحسن تصرفه ودل ذلك على ان الفضل ليس منحصر في المتقدمين سيما مع ما قدمناه من كثرة الشواغب بتعدد المذاهب والطرق والتاليف ولكن فضل الله يؤتية من يشاء وهذا نادرون نوادر الوجود والافاظ اظهران المتعلم ولو قطع عمره في هذا كله فلا يفي له بتحصيل علم العربية مثلاً الذي هو اتم من الآلات ووسيلة فكيف يكون في المقصود الذي هو الثمرة ولكن الله يهدي من يشاء

٢٩ * (فصل في ان كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم) *

ذهب كثير من المتأخرين الى اختصار الطرق والاختصارات في العلوم يولعون بها ويدوتون منها برناجاً مختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأداتها باختصار في الالفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك مخلاً بالبلغة وعسر على الفهم ورجماعه والى الكتب الامهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاختصر وهاتقر بما للحفظ كما فعله ابن الحاجب في الفقه واصول الفقه وابن مالك في العربية والمخونجي في المنطق وامثالهم وهو فساد في التعليم وفيه اخلال بالتحصيل وذلك لان فيه تخليطاً على المبتدى بالقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم كما سيأتى ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع الالفاظ الاختصار العويصة للفهم يتراحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها لان الالفاظ المختصرات تجدها لاجل ذلك صعبة عويصة فينقطع في فهمها حظ صالح عن الوقت ثم بعد ذلك فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات اذا تم على سداد ولم تعقبه آفة فهمية ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات الدسطة المطولة بكثير ما يقع في تلك من التكرار والاحالة المقديين لمحصل الملكة النامية واذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلته كسأن هذه الموضوعات المختصرة فقد صدوا الى تسهيل الحفظ على المتعلمين فاركبوهم صعباً يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها ومن يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له والله سبحانه وتعالى اعلم

٣٠ * (فصل في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته) *

(اعلم) ان تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيداً اذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً وقليلًا قليلًا يليق عليه

المسجد وهو هذه الدار والحانوت وأشار اليها قصة عجيبة كان يسكن هذه الدار رجل من التجار من يسافر الى الكوفة في تجارة الخبز فيبنيها هو يحمل الخبز في خرج على حماره وهو جميع ماله نزلت القافلة فأراد انزاله عن الحمار فنقل عليه فأمر اناسا هناك فأعانه على انزاله ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك الرجل لياً كل معه فاجابه وأكل معه ثم سأله عن امره فأخبره انه رجل خرج من الكوفة لارزاعه دون زاد فقال له الرجل تكون معي وتعتني على سفري ويكون طعامك عندي فقال الرجل اني حرص على خدمتك وبححتاج الى طعامك فسار معي في طريقه فقدمه على احسن حال قال فوصلنا كريت فنزلت الرفقة خارج المدينة ودخل الناس لقضاء حوائجهم فقال الرجل للخادم احفظ رحلتنا حتى ادخل واشترى حاجتنا ثم دخل وقضى حوائجها فباطأ هناك ثم خرج فلم يجد الرفقة ولا وجد صاحبها فظن انه لما رحلت الرفقة

السلام الاجل الذي اجله لرعي غنم شعيب التي رعاها موسى عوضا عن مهر ابنته اخذ موسى عليه السلام زوجته وكر راجعا من مدين
 فلما وافى الوادي المقدس عند جانب الطور اجنهم الليل بظلمته فامسوا باثنتين فيبينما هم كذلك اذ ضرب زوجته الطلق وكانت حاملا
 وليس عندهم ما يحتاج اليه النفساء من الغذاء والدواء ما يصلح به شأنهم فبقوا في ضيق من الحال وقلته من الحيرة فخرج موسى عليه
 السلام يلبثت وينظر يمينا وشمالا عسى فرج لما امسوا وفيه من الضر راذراى نار افاق لاهله اكلوا والى آتست نار العلى آتيكم منها
 بقبس أو اجد على النار هدى فلما اتاها اصبى في ما يكون ذرعا وأجره قلبا وآيسه عن رفق نودى من شاطئ الوادي الايمن يا موسى انا
 ربك وهكذا الطائف الحق سبحانه مع من سلم لامره ورجا فضله وتكلم بالهدى والبشرى (٣٤١) يفتح الله فيه امله ويعطيه فوق

ما سأله هذا موسى عليه
 السلام خرج يقبس نارا
 نودى بالنبوة وعن هذا قال
 عليا وأنا ليس في خصال
 الخبير وان جلت ولا في
 انواع الاعمال وان عظمت
 أعلى من حسن الظن بالله
 تعالى ونظمه بعض الشعراء
 فقال
 أيها العبد كن لما است
 ترجو

من نجاح أرجى لما أنت راج
 ان موسى مضى يقبس نارا
 من ضيائه وآه الليل داج
 فأنى أهله وقد كالم الله
 وناجاه وهو خير مناج
 وكذا الكرب كلما اشتد بالعب
 دذنت منه راحة الانقراج
 (وروى) ان العدونزل
 بساحة افر بقية في عدد
 كثير من المراكب ففني
 ماؤهم وعطشوا وفنقر
 المسلمون لهم في خاق عظيم
 من تلك السواحل
 والحصون فنعوهم التزول
 لاستقاء الماء وأرسلوا

الملكمة الناشئة عنه والله علمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن
 لا يخط على المتعلم علمان معا فإنه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما - ما لم يفتنه من تقسيم البال وانصرا فنه عن
 كل واحد منهما الى تفهم الاخر فبسته عقلمان معا ويستصعبان ويعود منهما - ما بالخبيرة واذا تفرغ الفكر
 لتعليم ما هو بسببه مقتصر عليه فر بما كان ذلك أحد - بدر يتخص به والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب
 (فصل) واعلم أيها المتعلم اني أنعمت بك بقائدة في تعلمك فان تلقيت بالقبول وأمسكتها بيد الصنعة ظفرت
 بكنز عظيم وذخيرة شريفة وأقدمك مقدمة تعينك في فهمها وذلك ان الفكر الانساني طبيعة مخصوصة
 فطرها الله كما فطر سائر مبدعاته وهو وجودان حركة للنفس في البطن الاوسط من الدماغ تارة يكون مبدأ
 للافعال الانسانية على نظام وترتيب وتارة يكون مبدأ للعالم ما لم يكن حاصلا لابان يتوجه الى المطلوب وقد
 تصور طرفه ويروم نفيه أو اثباته فيلوح له الوسط الذي يجمع بينهما ما لم يكن حاصلا للبصر ان كان واحدا
 وينتقل الى تحصيل آخر ان كان متعددا ويصير الى الظفر بمطلوبه هذا شأن هذه الطبيعة الفكرية التي تميز
 بها البشر من بين سائر الحيوانات ثم الصناعة المنطقية هي كيفية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية تصفه
 لتعلم سداده من خطئه لانها وان كان الصواب لها ذاتيا الا انه قد يعرض لها الخطأ في الاقل من تصور
 الطرفين على غير صورتها من اشتباه الهيات في نظم القضايا وترتيبها للنتائج فتعين المنطق للتخلص من
 ورطة هذا الفساد اذ اعرض بالمنطق اذا امر صناعى مساوق للطبيعة الفكرية ومنطق على صورة فعلها
 وان يكونه امر صناعيا استغنى عنه في الاكثر ولذلك تجدد كثير من فنون النظر في الخلية يحصلون على
 المطالب في العلوم دون صنعة المنطق ولا سيما مع صدق النية والتعرض لرحمة الله فان ذلك أعظم معنى
 ويسلكون بالطبيعة الفكرية على سدادها فيقضي بالطبع الى حصول الوسط والعلم بالمطلوب كما فطرها
 الله عليه ثم من دون هذا الامر صناعى الذي هو المنطق مقدمة أخرى من التعلم وهي معرفة الالفاظ
 ودلالاتها على المعاني الذهنية تردها من مشافهة الرسوم بالكتاب ومشافهة اللسان بالخطاب فلا بد أيها المتعلم
 من مجاوزتك هذه الحجب كلها الى الفكر في مطلوبك فأولاد دالة الكتابة المرسومة على الالفاظ المقولة
 وهي اخفها ثم دلالة الالفاظ المقولة على المعاني المطلوبة ثم القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال في قواها
 المعروفة في صنعة المنطق ثم تلك المعاني مجردة في الفكر اشتراطا يقتضيه بالمطلوب بالطبيعة الفكرية
 بالتعرض لرحمة الله ومواهبه وليس كل أحد يتجاوز هذه المراتب بسرعة ولا يقطع هذه الحجب في التعليم
 بسهولة بل ربما وقف الذهن في حجب الالفاظ المناقشات او عثر في اشتراك الادلة بشغب الجدال والشبهات
 وقد عد عن تخصص بل المطلوب ولم يكدي يتخلص من تلك العمرة الا قليلا ممن هداه الله فاذا ابتليت بمثل ذلك

الى المسلمين ان يخلوهم واستقاء الماء فأبوا اقتضاء ف عطشهم حتى أشر فواعلى الهلاك ففتحوا الناجيلهم وأخذوا في الدعاء والاستسقاء الى
 الله تعالى والتضرع اليه فلم يك بأوشك من السماء ان القت باورا قها ثم أرخت ماء كثيرا فبسط القوم انطاعهم وجفانهم وآلاتهم فشر بوا
 وملؤا وانهم فضج المسلمون عند ذلك وقالوا هؤلاء كفار واعداه الله ورسوله قد أخلصوا الى ربهم وانا يوا الله وسألوه ماء يحيون به رمقهم
 فأعانتهم ففحن أحق بالدعاء والتضرع الى الله سبحانه وأولى بالاجابة منهم ثم جمد المسلمون في الدعاء والصلاة والابتغال الى الله تعالى في أن
 يريهم آية يقوى بها قلوب الضعفاء ويتزايد شكر أهل المعرفة والاولياء فيبينما هم كذلك اذ أرسل الله عليهم ريحا فبددتهم ومزقتهم كل
 مخرق وكسرت عراكهم ولم يجتمع منهم اثنان ومن عجائب صنع الله تعالى في هذا الباب ان رجلا من ديار بكر جاء الى بيت المقدس وزار

قبر الخليل صلى الله عليه وسلم وأكل من ضبا فته فطارت حبة عدس من ذلك الطعام في خيشومه ورام نحو وجهها بكل حيلة فأعجزته حتى
تركته مضى ثم رجع إلى بلاده فينماها وجالس إذ عطس فطارت العدسة في الأرض فإذا طائر قد انقطعها وبقى الرجل فسبحان
من جعل أنف هذا الرجل حرا لقوت هذا الطائر على بعد الشقة والمسافة وأما أنا فلما هممت بالرحيل من بلدي إلى المشرق في طلب
العلم كنت لا أعرف التجارة ولا إلى حرفة أرجع إليها فجزعت من الخرج ووجو كنت أقول إن ذهبت نفقتي ماذا أفعل وكان أقوى المال
في نفسي أن أحفظ البساتين بالاجرة وأدرس العلم بالدليل ثم استخرت الله تعالى فرحلت وكانت معي نفقة وافرة في هميان على وسطى وكنت
أسمع المسافرين يقولون من نام بالليل (٣٤٢) في القيا في وله نفقة على وسطه فلا يجلبها فان اللصوص إذا كبرت الخلق يتدرون أو ساطهم

وعرض المارتبائك في فهمك أو تغيب بالشبهات في ذهنك فاطر ح ذلك وانتم بحجب الاقفاظ وعوايق
الشبهات واترك الامر الصناعي جملة واخاص الى فضاء الفكر الطبيعي الذي فطرت عليه وسرح نظرك فيه
وفرغ ذهنك فيه للغوص على مرامك منه واضعالم حاجب وضعها كابر النظر قبلك مستعرضا للفتح من
الله كما فتح عليهم من ذهنهم من رحمة وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فاذا فعت ذلك اشرفت عليك انوار الفتح
من الله بالظفر بمطوبك وحصل الامام الوسط الذي جعله الله من مقتضات هذا الفكر ونظره عليه كما قلناه
وحينئذ فارجع به الى قوال الادلة وصورها فأفرغها فيها ووفقه حقها من القانون الصناعي ثم اكسه صور
الاقفاظ وأبرزه الى عالم الخطاب والمشاهدة وثيق العرى صحيح البنيان * وأمان وقفت عند المناقشة
والشبهة في الادلة الصناعية وتمييز صوابها من خطئها وهذه أمور صناعية وضعمة تسوي جهاتها
المتعددة وتشابه لاجل الوضع والاصطلاح فلا تميز جهة الحق منها الذجهة الحق انما تستبين اذا كانت
بالطبع فيستمر ما حصل من الشك والارتباب وتسدل الحجب على المطلوب وتقع بالناظر عن تحصيله
وهذا شأن الاكثرين من النظار والمتأخرين سيما من سبقته له عجمة في لسانه فربطت عن ذهنه ومن
حصل له شعب بالقانون المنطقي تعصب له فاعتقد انه الذريعة الى ادراك الحق بالطبع فيقع في الحيرة بين
شبهه الادلة وشكوكها ولا يكاد يخلص منها والذريعة الى ادراك الحق بالطبع انما هو الفكر الطبيعي كما
قلناه اذا جرد عن جميع الاوهام وتعرض الناظر فيه الى رحمة الله تعالى واما المنطق فانه هو واصف الفعل
هذا الفكر فبساوقه لذلك في الاكثر فاعتبه بذلك واستمطر رحمة الله تعالى متى أعوزك فهم المسائل تشرق
عليك انواره بالانهام الى الصواب والله الهادي الى رحمة وما العلم الامن عند الله

٣١ (فصل في أن العلوم الالهية لا توسع فيها الا نظار ولا تفرع المسائل)

(اعلم) ان العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير
والحدِيث والفقه وعلم الكلام والطبيعات والاهليات من الفلسفة وعلوم هي آليات وسوية لهذه العلوم
كالعربية والحساب وغيرهما للشرعيات وكالمنطق للفلسفة ووربما كان آلة العلم الكلام ولاصول الفقه
على طريقة المتأخرين فأما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفرع المسائل
واستكشاف الادلة والناظران ذلك يزد بطالبها كما في ملكته وايضا لمعانها المقصودة واما العلوم التي
هي آلة لغيرها مثل العربية والمنطق وامثالها فلا ينبغي أن ينظر فيها الا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط
ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل لان ذلك مخرج لها عن المقصود اذا المقصود منها ما هي آلة له لا غير
فكلاما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار الاشتغال بها لغوا مع ما فيه من صعوبة الحصول على

فخرجت من بلاد السويدية
الى انطاكية وهي اذذاك
حرب للروم فسرنا لبلتنا
وأصبحنا على باب انطاكية
فاخذتني عيني وحملت
الهميان ونمت ولم استيقظ
الاضحية النهار فاستيقظت
ومددت يدي الى الهميان
فلما احده فجمعت أنظر الى
القافلة وألقت الى الناس
وقد أسقط في يدي ولم
يبقى لي حيلة فاسترجعت
ورفعت أمري الى الله
سبحانه واذا رجل من أهل
القافلة ملتقنا الى فوق
وجهي في وجهه فاذا هو
يضحك لما رأى ما بي فقام
مالك أيها الفقه قلت خير
فراجعني فقلت خير فقام
الي وقال خذهم مالك
عافاك الله فسألته كيف
ظفرت به فقال أرسلت قد
تدخرت ذراعين أو ثلاثة
والتفت فرأيت سوادا
في الموضع الذي كنت فيه
نأما فسرت اليه واخذته

فاذا هو الهميان رحمة الله عليه ورضوانه لديه (الباب الستون في بيان الخصلة التي هي ام الخصال وينبوع ملكتها
القضايا ومن فقد الم يكمل فيه خصله وهي الشجاعة ويعبر عنها بالصبر ويعبر عنها بقوة النفس) قالت الحكماء أصل الخيرات كلها في
ثبات القلب ومنه تستمد جميع القضايا وهو الثبوت والقوة على ما يوجبها العدل والعلم والحبين غير يزره يجمعها سوء الظن بالله تعالى والشجاعة
غير يزره يجمعها حسن الظن بالله تعالى سئل الاحنف عن الشجاعة فقال صبر ساعة وسئل ابو جهل عن الشجاعة فقال تصبرون على حر
السيوف فوافق ناقة وهو ما بين الحبطين واعلم ان القادم للقتال طريدة من طرائد الموت فاستقبال الموت خيرا من استدباره وقد قال الاول رب
حياة سببها التعرض للوفاة ووفاء سببها اطاب الحياة ومن حرص على الموت في الجهاد وهبت له الحياة وقالوا الهزيمة شقرة من شقار الموت والقار

يمكن من نفسه والمقاتل يدفع عن نفسه وقالوا ثمرة الشجاعة الامن من العدو واعلم ان من قتل في الحرب مدبراً اكثر من قتل مقبلاً وقالوا
تأخيراً لاجل حصن المحارب وقيل لبعضهم في أي جنة تحب ان تاتي عدوك قال بادبار دولته وانتضاء مدته واعلم ان الشجاعة لمن كانت له
الدولة واذا انقضت المدة لم تغن كثرة العدد وقال علي رضي الله عنه اذا انقضت المدة كانت الهلكة في الجملة واعلم ان كل كريمة ترفع أو
مكرمة تكسب لا تتحقق الا بالشجاعة الا ترى انك اذا هممت ان تمنع شيئاً من مالك خارط بك ووهن قلبك وعجزت نفسك فتمسكت
به واذا حققت عزك وقويت نفسك وقهرت ذلك العجز اخرجت المسائل الماضون به وعلى قدر قوة القلب وضعفه تكون طبيعة النفس
باخراجه او كراهية النفس لا خراجه مع اخراجه وعلى هذا النمط جميع الفضائل (٣٤٣) مهمالم يقارنها قوة نفس لم تتحقق

وكانت مخدوعة وروى
ان الرسول صلى الله عليه
وسلم قال الشجاعة والحج
غرائز يضعها الله تعالى
فمن يشاء من عباده فالحج
يقرب من الله وأبيه والشجاعة
يقايل عن لا يؤوب به الى
رحله بقوة القلب يصاب
امثال الاوامر والانتها عن

ملكها بطولها وكثرة فروعها وربما يكون ذلك عائقاً عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول وسائلها
مع ان شأنها اهم والعمر يقصر عن تحصيل الجموع على هذه الصورة فيكون الاشتغال بهذه العلوم
الآلية تضيق العمر وشغلا عما لا يعني وهذا كما فعل المتأخرون في صناعة المنطق واصول
الفقه لانهم اوسعوا دائرة الكلام فيها واكثروا من التقاريع والاستدلالات بما اخرجها عن كونها آتية
وصيرها من المقاصد دوراً يقع فيها انظار لا حاجة بها في العلوم المقصودة فهي من نوع اللغو وهي أيضاً
مضرة بالمعلمين على الاطلاق لان المتعلمين اهتموا بهم بالعلوم المقصودة اكثر من اهتمائهم بوسائلها فاذا
قطعوا العمر في تحصيل الوسائل حتى يظفرون بالمقاصد فلهاذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الاتقان
لا يستبحر في شأنها وينهوا المتعلم على الغرض منها ويقفوا به عنده فنزعت به همته بعد ذلك الى شيء
من التوغل فلا يبرق له ماشاء من المراتي صعبا وسهلا وكل ميسر لما خلق له

٣٢ (فصل في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرقه) *

الزواج وبه قوة القلب
يصاب اكتساب الفضائل
وبه قوة القلب ينتهي عن
اتباع الهوى والتضيغ
بالذم قال الشاعر
جمع الشجاعة والخضوع
لربه
ما احسن المحراب في المحراب
وبه قوة القلب يصبر المجلس
على ايذاء المجلس وحقاه
الصاحب وبه قوة القلب
يكتم الاسرار ويدفع العار
وبه قوة القلب يتقحم الامور
الصعاب وبه قوة القلب
يتحمل اثقال المكازة
وبه قوة القلب يصبر على
اخلاق الرجال وبه قوة

(اعلم ان تعليم الولدان للقرآن شعار من شعار الدين اخذ به اهل الملة ودرجوا عليه في جميع امصارهم لما
يسبق فيه الى القلوب من رسوخ الايمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الاحاديث وصار القرآن
اصل التعليم الذي ينبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات وسبب ذلك ان تعليم الصغار اشد رسوخا وهو اصل
لما بعده لان السابق الاول للقلوب كالاساس للملكات وعلى حسب الاساس واساليبه يكون حال ما ينبنى
عليه واختلفت طرقه في تعليم القرآن للولدان باختلافهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات
فأما اهل المغرب فذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط واخذهم اثناء المدارس به بالرسم
ومسائله واختلفت جملة القرآن فيه لا يخطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لامن حديث ولا من
فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب الى ان يخطق فيه او ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا
عن العلم بالجملة وهذا مذهب اهل الامصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر اتم المغرب في ولدانهم الى ان
يجاوزوا حد البلوغ الى الشبيبة وكذا في الكبير اذا راجع مدارس القران بعد طائفة من عمره فهم لذلك
اقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم وأما اهل الاندلس فذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث
هو وهذا هو الذي يراعون في التعليم الا انه لما كان القرآن اصل ذلك واسمه ومنبع الدين والعلوم جعلوه
اصلا في التعليم فلا يقتصر ون لذلك عليه فقط بل يخطون في تعليمهم للولدان روايه الشرح في الغالب
والترسل واخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكاتب ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن
دون هذه بل عنايتهم فيه بالخط اكثر من جميعها الى ان يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشبيبة وقد شدوا

القلب تفقد كل عزيمته وروية اوجه الحزم والعدل وبه قوة القلب يضحك الرجال في وجوه الرجال وقلوبهم مشحونة بالضعفان والاحقاد
كما قال ابو ذر وانا لنكسر في وجوه قوم وان فلو بنا لتاعنهم وقال علي رضي الله عنه انا انصافع ا كفا ترى قطعها ولس الصبر والشجاعة وقوة
النفس ان تكون مصرافي الحال لوجافي الباطل ولان تكون جادا عند الضرب صبوراً على التعيب مضمماً على التعزير والتهور فان
هذه صفات الحزم والخنازير ولكن ان تكون صبوراً على اداء الحقوق عليك صبوراً على سماعها والقائنها اليك غالباً هو الكمال
لشها وانك ما ترمي للفضائل بجهلك عاملاً في ذلك على الحقيقة التي لا يحيل عنها حياة ولا موت حتى يكون عندك موتك على الخبر الذي
اشار به العلم واوجبه العدل خيرا من البقاء على ما اوجب رفض العلم والعدل كما قال علي بن الحسين رضوان الله عليهم ما يابني وما يابني ابوك

لو ان الخلق خالفوه اذا كان على الحق وهل الخير كله للمحق الابد الموت ومن هذا قالت حكما الهند اذ لم يكن للملك من نفسه مبعين كان في جميع اموره ضعية فاحذولا واعلم ان الجبن مقنلة والحرص محرمة والعجز ذل والجبن ضعف والجبان يعين على نفسه بقرعن امه وابيه وصاحبته وبنه واعلم ان كل كرهه ما بين الحلبتين والشجاع يحمي عن لا يناسبه وبقى مال الجار والرفيق بمحبتته والجبان يخاف مالا يحس به والجبان حنفة من فرقه واعلم ان الشجاعة عند اللقاء على ثلاثة اوجه رجل اذا التقى الجمعان وتزاحف الزحقان واكتحلت الاحداق بالاحداق برز من الصف الى وسط المعترك يحمل ويكرو وينادي هل من مبارزو الثاني اذا التحم القوم واختلطوا ولم يدرا احد من أين ياتيه الموت يكون رابط الجاش (٣٤٤) ساكن القلب حاضر اللب لم يخامر الدهس ولا خالطته الحيرة فينقب بقلب المالك

بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما وبرز في الخط والكتاب وتعلق باذيال العلم على المجلة لو كان فيهم اسند لتعليم العلوم لكنهم يتعطون عند ذلك لا تقطاع اسند التعليم في آفاقهم ولا يحصل بل بايديهم الا ما حصل من ذلك التعليم الاول وفيه كفاية لمن ارشده الله تعالى واسند اذ اذا وجد المعلم وأما أهل افرقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قوائين العلوم وتلقين بعض مسائلها الا ان عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان اياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقرائنه أكثر مما سواه وعنايتهم بالخط تتبع لذلك وبالجملة فطريقهم في تعليم القرآن أقرب الى طريقة أهل الاندلس لان اسند طريقهم في ذلك متصل بشيخة الاندلس الذين اجازوا عند تغلب النصارى على شرق الاندلس واسند تقروا بتونس وعندهم أخذوا منهم بعد ذلك وأما أهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك على ما يبلغنا ولا أدري بم عنيتهم منها والذي ينقل لنا ان عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوائينه في زمن الشيبانية ولا يخلطون بتعليم الخط بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلوم له على انفراد كما تعلق سائر الصنائع ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان واذا كتبوا لهم الاواح فخط قاصر عن الاجادة ومن اراد تعلم الخط فعلى قدر ما يسوغ له بعد ذلك من المهمة في طلبه هو يتبعه من أهل صنعة فاما أهل افرقية والمغرب فأفادهم الاقتصار على القرآن القصور عن ملكة الانسان جملة وذلك ان القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة كما ان البشتر مصر وفون عن الايمان بمنزله فهم مصر وفون لذلك عن الاستعمال على اساليبها والاحتذاء بها وليس لهم ملكة في غير اساليبها فلا يحصل لصاحبها ملكة في اللسان العربي وحظه المجدود في العبارات وقلة التصرف في الكلام وربما كان أهل افرقية في ذلك أخف من أهل المغرب لما يخلطون في تعليمهم القرآن بعبارات العلوم في قوائينها كما قلناه فمقدرون على شيء من التصرف ومحاذاة المثل بالمثل الآن ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة لما ان أكثر محفظهم عبارات العلوم النازلة عن البلاغة كما سأتى في فصوله وأما أهل الاندلس فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من أول العمر حصول ملكة صاروا بها عرفت في اللسان العربي وقصروا في سائر العلوم بعدهم عن مدارسة القرآن والحديث الذي هو اصل العلوم واساسها فكانوا لذلك أهل حظ وأدب بارع أو مقصر على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبا ولقد ذهب القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب رحلته الى طريقة غريبة في وجه التعليم وأعاد في ذلك وأبدوا قدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب أهل الاندلس قال لان الشمرديوان العرب ويدعو الى تقديمه وتعليم العربية في التعليم ضرورة فساد اللغة ثم ينتقل منه الى الحساب فيتمرن فيه حتى يرى القوائين ثم ينتقل الى درس القرآن فانه يتيسر عليه بهذه

لامره القاسم على نفسه والثالث اذا انهزم أصحابه يلزم الساقية ويضرب في وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوى قلوب أصحابه ويرجي ضيقهم ويمدهم بالكلام الجميل ويشجع نفوسهم فين وقع اقامه ومن وقف جملة ومن كردس فرسه كشف عنه حتى يتيسر العدو منهم وهذا أجدهم شجاعة وعن هذا قالوا المقاتل وراء الفارين كما استغفر من وراء الغافلين ومن أكرم الكرم الدفاع عن الحرم (وقالوا) لكل واحد يومان لا بد منهم ما احدهما لا يجمل عليه والثاني لا يغفل عنه فيا للبيان والفرار وكان شيوخ الحنابلة يسيحون في بلادنا قالوا اذ ارتح حرب بين المسلمين والافكار ثم افترقوا فوجدوا في المعترك قطعة من بيضة الحديد قدر ثلثها

بما حوته من الرأس فيقال انه لم يرقط ضربه اقوى منها وكان شيوخ الجند في بلدنا طروشة يحكون انهم خرجوا في أيام سيف الملة في سرية الى بلاد العدو فبينما هم يسرون اذ لقيتهم سرية للروم يريدون مناماتر يدم منهم قال وعرف بعضهم بعضا وكان فينا صناديد الفرسان وفيهم صناديد الروم فتوافقنا ساعة ثم شدنا وشدوا فالتقينا ونجا الدنا ساعة ثم مضى الله تعالى اكلهم فبعناهم حصيدا كانهم خرد على الاوصام وكان هناك بقربهم قرية فيها اشئ من الخرفشربناه وسكرنا ثم اشتدنا شراشع اللحم فقمنا نقطع من لحمهم ونجعل على النار اكلنا منها ففرغ من كنا اسرناهم منهم وبلغ الحديث الى الروم فقضت النصارى تعجبنا منا وقد الرب في قلوبهم (وروي) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتى عمرو بن معد يكرب فقال له يا عمر وای السلاح افضل في الحرب فقال عن

المقدمة

أيها نسأل قال ما تقول في السهام قال منها ما يخطى ويصيب قال فما تقول في الرمح قال أخوك ورب ما خالك قال فما تقول في السيف قال ذلك ذلك لا أم لك قال فما تقول في الترس قال هو الدائرة وعليه تدور الدوائر وكان عمرو هذا من شجعان العرب وابطالها نزل يوم القادسية على النهر فقال لصاحبه اني عابر على الجسر فان أسرعت مقدار جزر الخبز وروجدت موتى وسيفي بيدي أقاتل به تلقاه وجهي وقد عقرني القوم وأنا قائم بينهم وان أبطأ تم وجدتموني قتيلا بينهم ثم انعمس فحمل على القوم فقال بعضهم لبعض يا بني زيد على ما تدعون صاحبكم والله ما أرى ان تدركوه حيا فمما لو فانتهم واليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فامسكه وان الفارس لم يضرب فرسه فما يقدر الفرس ان يتحرك فلما غشينا رمى الرجل بنفسه وخطى فرسه (٣٤٥) فركبه عمر وقال أنا أبو نوركذتم والله

تفقدوني قالوا ابن فرسك قال رمي بنشابة فغار وشب فصرعني (وروي) ان عمرا حمل يوم القادسية على رستم وهو الذي قدمه يزيد جد ملك الفرس على قتال المسلمين فاستقبل عمرو رستم على قبل فقطع عرقوبه فسقط رستم وسقط القيل عليه مع خرج كان عليه فيه أربعون ألف دينار فقتل رستم وانتهزمت العجم وروى ان قاتل رستم زعيم بن فلان وأما الضربة التي حكيناها التي حازت ثلث البيضة بما حوته من الرأس فلم يسمع بمثله في جاهلية ولا اسلام فحملتها الروم وعاقبتها كنيسة لهم وكانوا اذا عيروا بانهم زاهم يقولون لبتينا أقواما هذا ضرب بهم في رجل أبطال الروم اليها البروها وانما كانت العرب تفخر في هذا الباب بقول الفرسين تواب يصف ضرب رستم

المقدمة ثم قال ويا غفلة اهل بلادنا في ان يؤخذ الصبي بكباب الله في أول أمره يقر أما لا يفهم وينصب في أمر غيره أهم عليه ثم قال ينظر في اصول الدين ثم اصول الفقه ثم المجدل ثم الحديث وعلموه ونهسي مع ذلك ان يخطى في التعليم علمان الا ان يكون المتعلم قبالا لذلك بحودة الفهم والنشاط هذا ما أشار اليه القاضي أبو بكر رحمه الله وهو لم يرمي مذهب حسن الا ان العوائد لا تساعد عليه وهي اهل بالاحوال ووجه ما اختصت به العوائد من تقدم دراسة القرآن ايتار للتبرك والثواب وخشية ما يعرض للولدي جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم فيقوته القرآن لانه مادام في الحجر منقاد للحكم فاذا تجاوز البلوغ وانحل من ربة القهر فر بما عصفت به رياح الشبهة فالفتنة بساحل البطالة فيغتمون في زمان الجور ربة الحكم تخصصيل القرآن لئلا يذهب خلوامنه ولو حصل اليقين باستمراره في طاب العلم وقبوله التعليم لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي أولى ما اخذ به اهل المغرب والمشرق ولكن الله يحكم ما يشاء لامة عقب لحكمه سبحانه

٣٣ * (فصل في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم) *

وذلك ان ارماف الحد في التعليم مضر بالمتعلم سيما في أصغر الولد لانه من سوء الملائكة ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين او الممالئك او الخدم سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاء الى الكسل ووجل على الكذب والخيف وهو النظار بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الايدي بالقهر عليه وعمله المكر والحديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقها فوسدت معاني الانسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه وميزله وصار عبالا على غيره في ذلك بل وكسبت النفس عن اكتساب القضايل والخلق الجميل فاقبضت عن غايتها ومدى انسانيتها فارتكس وعاد في أسفل السافلين وهكذا وقع لكل امة حصلت في قبضة القهر ونال منها العسف واعتبره في كل من يملك امره عليه ولا تكون الملائكة الكافلة له رفيقة به وتجذ ذلك فيهم استقراء وانظره في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء حتى انهم بوصف قون في كل افق وعصر بالحرج ومعناه في الاصطلاح المشهور والتخايب والسكيد وسببه ما قلناه فيمنعني للعلم في متعلمه والوالد في ولده ان لا يستبدوا عليهم في التأديب وقد قال محمد بن أبي زيد في كتابه الذي ألفه في حكم المعلمين والمتعلمين لا ينبغي التأديب الصبيان ان يزيد في ضربهم اذا احتاجوا اليه على ثلاثة أسواط شيأ ومن كلام عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله حرصا على صون النفوس عن مذلة التأديب وعلمان المقدر الذي عينه الشرع لذلك أملاكه فانه أعلم بمصلحته ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لعلم ولده محمد الامين فقال يا أحرار أمير المؤمنين

(٤٤ - ابن خلدون) أبقى الحوادث والايام من نمر * آثار سيف قديم أثره بادي تظل تحقر عنه ان ضربت به * بعد الذراعين والقيدين والهادي وينشد قول النابغة في السيف أيضا يقدر السلوقي المضاعف نسجه * ويوقد بالاصفاح نار الجباب وبابن هذا من قد الحديد يدسحواه من الرأس وابن الثريا من الثرى وابن الحسام من المنجل ولولا كراهة التظويل لذكرنا من أمثال هذا ما فيه العجب وقد قالوا السيف ظل الموت السيف لعاب المنية والرمح رشاء المنية والسهام رسل لا تؤامر من أرسلها والرمح أخوك ورب ما خالك والدرع مشغلة للرجال ومتعبة للفارس وانها الحصن حصين والترس يجن وعليه تدور الدوائر * (الباب الحادي والستون في ذكر الحر وبوتدبيرها ووجبلها وأحكامها) * من حرم الملك أن لا يحقر عدوه وان كان ذليلا ولا يغفل عنه وان كان حقيرا فكم من

في القرآن قال الله تعالى
 وأعدوا لهم ما استطعتم من
 قوة ومن رباط الخيل
 ترهبون به عدو الله وعدوكم
 فقوله تعالى ما استطعتم
 مشتمل على كل ما في مقدور
 البشر من العدة والآلة
 والحيلة وفسر النبي صلى الله
 عليه وسلم القوة بقر على أناس
 يرعون فقال الان القوة
 الرمي الان القوة الرمي ألا
 ان القوة الرمي وكان بعض
 أصحابه اذا أراد الغزوا
 يقص أنظاره ويتركها عدة
 ويرها قوة فأول ذلك أن
 يقدم بين يدي اللقاء عملا
 صالحا من صدقة وصيام
 ورد مظلمة وصلة رحم
 ودعاء بخالص وأمر معروف
 وتغيير منكر وأمثال ذلك
 فقد كان عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه يأمر بذلك
 ويقول انما تقابلون
 بأعمالكم وروى ان بريدا
 ورد عليه بفتح للمسلمين فقال
 له عمر أي وقت لقيم العدو

برغوث أسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا وقال الشاعر فلا تحقرن عدو ارمالك * وان كان في ساعديه قصر فان السيوف تحز الرقاب
 وتجزع عاتق الابر وفي الامثال لا تحقرن الذليل فر بما شرف بالذباب العزيز ومثل العدو مثل النار ان تداركت أولها سهل اطلقاؤها
 وان تركت حتى استحك ضرامها وتضاعفت بليتها ومثله أيضا مثل الجرح الردي ان تداركته سهل برؤه وان أغفلته حتى تغل
 عظمت بليته وأعبا الاطباء برؤه (واعلموا) ان الناس قد وضعوا في تدبير الحروب كتباً وتبوا فيها ترتيباً لا يسع اهل سائر الاقاليم حمله اذ
 لكل أمة في الغالب نوع من التدبير وصنف من الحيلة وضرب من المكيده وجنس من اللقاء والسر والفرو وتعبية المواقب وحمل بعضهم
 على بعض ولكن نصف منه أشياء (٣٤٦) تجرى مجرى المعادلات كما تختلف في انهاء أئمة الحروب وتبدأ أولها بما ذكره الله تعالى

قد دفع اليك مهجة نفسه وعثرة قلبه فصبر يدك عليه بمسوة وطاعته لك واجبة فذكر له بحيث وضعك
 أمير المؤمنين من أقرئه القرآن وعرفه الاخبار ورواه الاشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدنه
 وامنعه من الضحك الا في أوقاته وخذبه بتعظيم مشايخ بني هاشم اذا دخلوا عليه ورفع مجالس القوادا
 حضر ومحاسنه ولا تمرن بك ساعة الا وانت معتتم فائدة تفيد اباها من غير ان تحزنه فقيمت ذمته ولا تمن في
 مساحتها فيستحلي الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالقرب والآلية فان اباها ما عليك بالشدة والغلظة اه

٣٤ * (فصل في أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة من يدك في التعلم) *

والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحسسون به من المذاهب والقضايا تارة
 علماً وتعلماً والقارة تارة محاكاة وتلقيناً بالباشرة الا أن حصول المملكات عن المباشرة والتلقين اشد
 استحساناً كما واقوى رسوخاً فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول المملكات ورسوخها والاصطلاحات أيضاً
 في تعليم العلوم مخالطة على المتعلم حتى لا يظن كثير منهم انها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك المباشرة
 لاختلاف الطرق فيهما من المعلمين فللقاء اهل العلوم وتعدد المشايخ يفيد تمييز الاصطلاحات بما يراه من
 اختلاف طرقهم فيها فيجرب العالم عنها ويعلم انها النجاء لتعليم وطرق توصيل وتنهض قواه الى الرسوخ
 والاستحكام في المملكات ويصح معارفه ويميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين
 وكثيرتها من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم وهذا من يسر الله عليه طرق العلم والهداية فالرحلة لا بد منها في
 طلب العلم لاكتساب القوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

٣٥ * (فصل في أن العلماء من بين البشر ابعدهن السياسة ومذاهبها) *

والسبب في ذلك انهم معتادون النظر الفكري والغوص على المعاني وانزاعها من المحسوس وتجرب يدها في
 الذهن أموراً كلية عامة ليحكم عليها بأمر العموم لا بخصوص مادة ولا شخص ولا جيل ولا أمة ولا صنف
 من الناس ويطبقةون من بعد ذلك الكلي على الخارجيات وايضاً يقيسون الامور على اشباهها وأمثالها
 بما اعتادوه من القياس الفقهي فلا تنزل احكامهم وانظارهم كلها في الذهن ولا تصير الى المطابقة الا بعد
 الفراغ من البحث والنظرو لا تصير بالمجمل الى مطابقة وانما يتفرع ما في الخارج عما في الذهن من ذلك
 كلاحكام الشرعية فانها فروع عما في المحفوظ من أدلة الكتاب والسنة فتطلب مطابقة ما في الخارج لها
 عكس الانظار في العلوم العقلية التي تطلب في صحتها مطابقتها ما في الخارج فهم متعودون في سائر انظارهم
 الامور الذهنية والانظار الفكري به لا يعرفون سواها والسياسة يحتاج صاحبها الى مراعاة ما في الخارج وما
 يلحقها من الاحوال ويتبعها فانها أخفية والعمل ان يكون فيها ما يمنع من الحاقها بشيء أو مثال وينافي

قال غدوة قال ومتي انهزم قال عند الزوال فقال عمر ان الله وانا اليه راجعون وقام الشرك للايمان من غدوة الكلي
 الى الزوال لقد أحدثتم بعدى حدثاً واحداً حدث بعدكم حدثاً والشأن كل الشأن في استجداء القواد وانتخاب الامراء واصحاب الولاية
 فقهة قالت حكما العجم أسد يقود الف نعلب خير من نعلب يقود الف اسد فلا ينبغي ان يقدم على الجبش الا الرجل ذو البسالة والنجدة
 والشجاعة والجرأة ثبت الجنان صارم القلب جريته رابض الجأش صادق البأس ممن قد توسط الحروب ومارس الرجال وما رسوه ونازل
 الاقران وقارع الأبطال عارفاً بوضع الفرص خبيراً بمواقع القلب والميمنة والميسرة من الحرب وما الذي يجب شحنته بالحاجة والابطال
 من ذلك بصير ا بصنوف العدو ومواقع الغررة منه ومواقع الشدة منه فانه اذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كان جميعهم كأنه مثله فان

رأى لقراع السكائب وجهها والاردود الغنم للزريعة (واعلم) ان الحزب خذعة عن جميع العقلاء واخر ما يجب ركوبه قرع السكائب
 وحمل الجيوش بعضها على بعض فلنبدأ بتصريف الحيلة في نيل الظفر (قال) نصر بن سيار كنت أمير خراسان من قبل مروان الجعدي آخر
 ملوك بني أمية قال وكان عظماء الترك يقولون ينبغي للقائد العظيم القباد أن يكون فيه عشرة أخلاق من أخلاق البهائم شجاعة الديك
 وبحث الدجاجة وقلب الاسد وحيلة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراح وحراسة الكركي وغارة الذئب وسمن تغير وهي
 دويمة تكون بخراسان تمن على التعب والشقاء وكان يقال اشهد خلق الله تعالى عشرة الجبال والحديد ينحت الجبال والنار تأكل
 الحديد والماء يطفئ النار والسحاب تحمل الماء والريح تصرف السحاب والانسان (٣٤٧) يقبى الريح لمحاكاة السحاب والسكر يصرع
 الانسان والنوم يذهب

السكر والهضم يمنع النوم
 فاشد خلق ربك اللهم فاول
 ذلك ان يثب جواسيسه في
 عسكر عدوه يستعلم اخباره
 مع الساعات ويستعلم
 رؤسائهم وقادتهم وذوي
 الشجاعة منهم ويديس اليهم
 ويهدمهم وعداجيلهم
 ويوجه اليهم بضروب
 الخدعة ويقوى اطماعهم
 في ان يثابروا عندهم من
 الهبات الفاخرة والولايات
 السنية وان راي وجهها
 عاجلهم بالهدايا والتحف
 وسألهم اما العذر بصاحبهم
 واما عبرته وقت اللقاء
 وينشئ على السننهم كتباً
 مداسة اليه وينشئ في
 عسكره ويكتب على السهام
 اخباراً مزورة ويرعى بها في
 جيوشهم ويضرب بينهم بما
 في الميسور من ذلك فان
 جميع ما ذكرنا تنفق فيه
 الاموال والحيل واللقاء
 تنفق فيه الارواح والرؤس
 ووجوه الخداع فيه

الكلبي الذي يحاول تطبيقه عليهم ولا يقاس شيء من أحوال العمران على الاخر اذ كما اشبهتها في أمر واحد
 فلعلمها المختلفة في أمور فتكون العلماء لاجل ما تعودوه من تعميم الاحكام وقياس الامور بعضها على
 بعض اذا نظر وافي السياسة افرغوا ذلك في قالب انظارهم ونوع اساليبهم فيقعون في الغلط كثير ولا
 يؤمن عليهم ويلحق بهم اهل الذكاء والكيس من اهل العمران لانهم ينزعون بثقوب اذهانهم الى
 مثل شأن الفقهاء من الغوص على المعاني والقياس والمحاكاة فيقعون في الغلط والعامي السليم الطبع
 المتوسط الكيس لقصو رفوكة عن ذلك وعدم اعتياده اياه يقتصر لكل مادة على حكمها وفي كل صنف
 من الاحول والاشخاص على ما اختص به ولا يعدي الحكم بقياس ولا تعميم ولا يفارق في أكثر نظره
 المواد المحسوسة ولا يجاوزها في ذهنه كالساجح لا يفارق البر عند الموضع قال الشاعر
 فلا توغلن اذا ما سبحت * فان السلامة في الساحل

فيكون مأموماً من النظر في سياسته مستقيم النظر في معاملته ابناء جنسه فيحسن معاشه وتندفع آفاته ومضاره
 باستقامة نظره وفوق كل ذي علم عليم ومن هنا يبين ان صناعة المنطق غير مأمنة الغلط لكثرة ما فيها من
 الانزاع وبعدها عن المحسوس فانها تنظر في المعقولات الثواني ولعل المواد فيها ما يمنع تلك الاحكام
 ويناقضها عند مراعاة التطبيق اليقيني وأما النظر في المعقولات الاولى وهي التي تجر يدنا قريب فليس كذلك
 لانها تخيلية وصور المحسوسات حافظه مؤذنة بتصديق انطباقه والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

٢٦ * (فصل في أن جملة العلم في الاسلام أكثرهم العجم) *

من الغريب الواقع ان جملة العلم في الملة الاسلامية اكثرهم العجم لان العلوم الشرعية ولامن العلوم
 العقلية الا في القليل النادر وان كان منهم العربي في نسبتها فهو عجمي في لغته ومرباه ومشيجته مع ان الملة
 عربية وصاحب شرعها عربي والسبب في ذلك ان الملة في اولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى
 احوال السذاجة والبداءة وانما احكام الشرع التي هي اوامر الله ونواهيها كان الرجال ينقلونها في
 صدورهم وقد عرفوا ما اخذها من السكائب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع واصحابه والقوم
 يومئذ عرب لم يعرفوا امر التعليم والتأليف والتدوين ولا دفعوا اليه ولا دعوتهم اليه حاجة وحري الامر على
 ذلك زمن الصحابة والتابعين وكانوا يسمعون المختصين بحمل ذلك ونقله القراء اي الذين يقرؤون السكائب
 وليسوا اميين لان الامية يومئذ صفة عامة في الصحابة كما كانوا يعرفون جملة القرآن يومئذ قراء اشارة الى
 هذا فهم قراء السكائب والسنة المأثورة عن الله لانهم لم يعرفوا الاحكام الشرعية الا منتهى ومن الحديث
 الذي هو في غالب موارد تفسيره وشرح قال صلى الله عليه وسلم تركت فيكم امرين ان تضلوا ما تمسكتم بهما

لا تحصى والمحاضر فيها ابصر من الغائب والله دراهم المله كما كتب اليه الحجاج يستعجله في حرب الازارقة رد الجواب فقال ان من البلاد ان
 يكون الرأي عند من يملكه لا عند من يبصره وقال المختار ابن زيد بن انس حين ولاه الجزيرة وامره بقتال عبد الله بن زياد امض الى عدولة
 برأى غير مستبد وبجزم غير متمكك ولا تركز الى الدولة فبرع انقلب واستنصر من لا يطعم في عمال ولا تسر بقلبك واستخر الله تعالى
 قبل اقدامك توفيقاً * وأوصت أم الذبالب العيسية ابنتها القتال وهو من أشد العرب يابني لا تنشب في حرب ان وثقت شدتك حتى تعرف
 وجه المهرب منها فان النفس اقوى شيء اذا وجدت سبيل الحيلة واطع شيء اذا يئست منها وأجد الشدة ما كانت الحيلة مدبرة لها اذا
 لم يكن النصر من الله تعالى فانها واختمت من الحار بخلاسة الذئب وطرمه طيران الغراب فان المحذر زمام الشجاعة والتهور وعدو

الشدة وقال ابو السرايا وكان أحد القناك لابنه يابني كن بجيبتك اوثق منك بشدتك وبجذرك اوثق منك بشجاعتك فان الحرب حرب
 المتهور وغنيمة المحذر واعلم ان الدول اذا زالت صارت حيلها وبالاعليها واذا اذن الله تعالى في حلول البلاء كانت الآفة في المحل
 وقالت الحكمة اذا نزل القضاء كان العطب في الحملة واذا انقضت مدة الدول ادرت سنة العفلة عن سنة المحذور ويغلب الضعيف باقبال
 دولته كما يغلب القوى بفناء مدته وقالوا سواد الدول ونحو سواد الملك ونحوه وقالوا ابهى زى على كل امرئ دولته فاذا
 انقضت بدت عورته وقالوا رب حيلة اهل ذلك المحتال فن الحزم المألوف عند سواس الحروب أن تكون حجة الرجال وكفاة الابطال في
 القلب فانه مهم انكسر الجناحان (٣٤٨) فالعيون ناظرة الى القلب فاذا كانت واياته تخفى وطبوله تضرب كانت حصنا

كتاب الله وسنتي فلما بعد النقل من لدن دولة الرشيد فابعد احتيج الى وضع التماسير القرآنية وتقييد
 الحديث مخافة ضياعه ثم احتيج الى معرفة الاسانيد وتعديل الناقلين للتمييز بين الصحيح من الاسانيد وما
 دونه ثم كثر استخراج احكام الوقعات من الكتب والسنة وفسد مع ذلك اللسان فاحتيج الى وضع القوانين
 النخوية وصارت العلوم الشرعية كلها ملكات في الاستنباط والاستخراج والتنظير والقياس
 واحتاجت الى علوم اخرى وهي وسائل لها من معرفة قوانين العربية وقوانين ذلك الاستنباط والقياس
 والذب عن العقائد الايمانية بالادلة لكثرة البدع والالحاد فصارت هذه العلوم كلها علموما ذات ملكات
 محتاجة الى التعليم فاندرجت في جملة الصنائع وقد كنا قدمنا ان الصنائع من منتهى الحضرة وان العرب
 ابعد الناس عنها فصارت العلوم لذلك حصرية بقومها بعد عنها العرب وعن سوقها والحضر لذلك العهد هم
 العجم اومن في معناهم من الموالي واهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للجم في الحضارة واحوالها من
 الصنائع والحرف لانهم اقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس فكان صاحب صناعة النحو
 سيبويه والفارسي من بعده والزجاج من بعدهما وكلهم عجم في انسابهم وانما روي في اللسان العربي
 فاكتسبه بالمرى ومخالطة العرب وصيروه قوانين وفنما من بعدهم وكذا جملة الحديث الذين حفظوه عن
 اهل الاسلام اكثرهم عجم او مستعجمون باللغة والمربي وكان علماء اصول الفقه كلهم عجم كما يعرف وكذا
 جملة علم الكلام وكذا اكثر المفسرين ولم يبق بحفظ العلم وتدوينه الا الاعاجم وظهر مصداق قوله صلى الله
 عليه وسلم لم يولد في العلم الا كنف السماء لئلا يولد قوم من اهل فارس واما العرب الذين ادركو هذه الحضارة
 وسوقها وخرجوا اليها عن البداوة فشتغلتمهم الرياسة في الدولة العباسية وما دفعوا اليه من القيام بالملك عن
 القيام بالعلم والنظر فيه فانهم كانوا اهل الدولة وحاميتها واولى سياستها مع ما يلحقهم من الانفة عن انتقال
 العلم حينئذ بمصارف جملة الصنائع والرؤساء ابداء يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجرب اليها ودفعوا ذلك
 الى من قام به من العجم والمولدين وما زالوا يرون لهم حق القيام به فانه دينهم وعلومهم ولا يحنقون حلتها
 كل الاحتقار حتى اذا خرج الامر من العرب جملة وصار للعجم صارت العلوم الشرعية غريبة النسبة عند اهل
 الملك بما هم عليه من البعد عن نسبتها وامتن حلتها بما يرون انهم بعداء عنهم مشتغلين بما لا يعني ولا
 يحدى عنهم في الملك والسياسة كما ذكرناه في نقل المراتب الدينية فهذا الذي قرناه هو السبب في ان جملة
 الشريعة او عامتهم من العجم واما العلوم العقلية ايضا فلم تظهر في الملة الا بعد ان تميز جملة العلم ومؤلفوه
 واستقر العلم كله صناعة فاخصت بالعجم وتركتها للعرب وانصرفوا عن انتحالها فلم يحملها الا المعربون
 من العجم شأن الصنائع كما قلناه اولاً فلم يزل ذلك في الامصار مادامت الحضارة في العجم وبلادهم من العراق

للجناحين ياوى اليه كل
 منهنم واذا انكسر القلب
 تمزق الجناحان مثال ذلك
 الطائر اذا انكسر احدى
 جناحيه يرجى عوده ولو
 بعد حين وان انكسر
 الرأس ذهب الجناحان ولا
 يحيى كثره انكسر جناحي
 العسكر وثبات القلب ثم
 يرجع الفارون الى
 القلب ويكون الظفر لهم
 وقل عسكر انكسر قلبه
 فاطلج اوتراجع اللهم الا ان
 يكون مكبدة من صاحب
 الجيش فيخل القلب قصدا
 وتعمد او لا يغادر به كبير
 امر حتى اذا توسطه العدو
 اشتغل بنهبه واطبقت
 عليه الجناحان ومن اعظم
 المتكابد في الحرب الكمناء
 ولا يحيى كثره كمن
 عسكر استيحت بيضته
 وقل عزمه بالكمنا وذلك
 ان الفارس لا يزال على حية
 في الدفاع وحي الذمار حتى
 يلتفت فيرى وراءه بندا

منشورا ويصح ضرب الطبول فحينئذ همته خلاص نفسه وان تمكن همته وراء ذلك وعليه
 مدار الحروب في اصطناع الشجعان واختيار الابطال فاصطنع ذوى البسالة والاقدام والجراة ولا عليك أن لا يكثر او لا يكثر
 يكثر او لا تمش بيت الشاعر والذاس الف منهم وكواحد * وواحد كالالف ان امرئى بل قدح ب ذلك فوجد الواحد
 منهم خيرا من عشرة آلاف وسأحكى لك من ذلك ما تقضى منه العجب فهم في الجيش وان قلوا كالانفة في اللبن في ذلك لما التقى
 المستعين بن هود مع الطاغية بن رديميل النصراني على مدينة وشقة في تغور بلاد الاندلس وكان العسكران كالمكافئين كل واحد منهما
 يراهق عشرين الف مقاتل بين خيل ورجل فحدثى رجل ورجل فحدثى رجل عن حضر الواقعة من الاجناد قال لساننا اللقاء قال الطاغية بن رديميل لمن يثق

بعقله وعمارته للجزوب من رجاله استعلم من في صكر المسلمين من الشيخان الذين يعرفهم كبايعه روفونسا ومن غاب منهم ومن حضر
 فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان حتى عد سبعة رجال قال انظر الان من في عسكري من الرجال المعروفين بالثجاعة ومن غاب
 منهم فعدوهم فوجدوهم ثمانية رجال لا يزيدون فقام الطاغية ضاحكا مسرورا وهو يقول يا بياضك من يوم تم ناشب الحرب بينهم
 فلم تزل المصاهرة بين الفريقين لم يول احد منهم ذبوره ولا ترشح عن مقامه حتى في اكثر العسكرين ولم يفر واحد منهم فلما كان وقت العصر
 نظر واليناساعة ثم حملوا على المناجلة وداخلونا مدخله ففرقوا بيننا وصرنا شطرين وحاولوا بيننا وبين اصحابنا وصرنا وابتدنا فكان ذلك
 سبب وهننا وضعفنا ولم نعلم الحرب الا ساعة ونحن في خسارة معهم فاشارة مقدموا (٢٤٩) العسكر على السلطان أن ينحو

بنفسه وانكسر عسكر
 المسلمين وتفرق جمعهم
 ومالك العدو مدينة وشقة
 فليعتبر ذوالحزم والبصيرة
 من جمع يحتوى على
 اربعين الف مقاتل ولا
 يحضره من الشيخان
 المعدودين الا خمسة عشر
 رجلا وليعتبر بضم الهمزة
 بالظفر واستبشاره بالغمية

لما زاد في ابطاله رجل
 واحد (وسمعت) أستاذنا
 القاضي ابا الوليد الباجي
 رحمه الله يحكي قال بينما
 المنصور وبن ابي عامر في
 بعض غزواته اذ وقف
 على نشر من الارض
 مرتفع فرأى جيوش
 المسلمين بين يديه ومن
 خلفه وعن يمينه ويساره
 قدموا السهل والجبل
 فالتفت الى مقدم العسكر
 وهو رجل يعرف بابن
 المعصفي فقال كيف ترى
 هذا العسكر ايها الوزير
 قال ابن المعصفي ارى جمعا

وخراسان وما وراء النهر فلما خربت تلك الامصار وذهبت منها الحضارة التي هي سر الله في حصول العلم
 والصنائع ذهب العلم من الجحيم جملة لما شملهم من البداوة واختص العلم بالامصار الموفورة الحضارة ولا وفر
 اليوم في الحضارة من مصرفه في أم العالم واخوان الاسلام ويزبوع العلم والصنائع وبقي بعض الحضارة فيما
 وراء النهر لما هناك من الحضارة بالدولة التي فيها اقلهم بذلك حصه من العلوم والصنائع لا تنكر وقد دلنا
 على ذلك كلام بعض علمائهم في تاليف وصلت الينا الى هذه البلاد وهو سعد الدين التقي تاليفي واما
 غيره من الجحيم فلم نزلهم من بعد الامام ابن الخطيب ونصير الذين الطوسي كلاما يعول على نهايته في
 الاصابة فاعتبر ذلك وتأمله ترجعنا في احوال الخليفة والله يخلق ما يشاء لاله الا هو وحده لا شريك له
 الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله

٣٧ * (فصل في علوم اللسان العربي) *

أركانها أربعة وهي اللغة والنحو والبيان والادب ومعرفت ضرورية على اهل الشريعة اذ ما أخذ الاحكام
 الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب وشرح مشكلاتها
 من لغاتهم فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة وتفاوت في التأكيذ بتفاوت
 مراتبها في التوفيق بمقصود الكلام حسبما يتبين في الكلام عليها فافنا والذي يتحصل ان الهم المقدم
 منها هو النحو اذ به يتبين اصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولا له الجهل
 أصل الافادة وكان من حق علم اللغة التقدم لولا ان أكثر الاوضاع باقية في موضوعاتها لم تتغير بخلاف
 الاعراب الدال على الاسناد والمسند والمسند اليه فانه تغير بالجملة ولم يبق له اثر فلذلك كان علم النحو اهم
 من اللغة اذ في جهله الاخلال بالتفاهم جملة وليست كذلك اللغة والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

* (علم النحو) *

اعلم ان اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لسانه فلا بد ان تصير ملكة
 متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل امة بحسب اصطلاحاتهم وكانت الملكة المحاصلة
 للعرب من ذلك احسن الملكات وأوضحها ابانة عن المقاصد لدلالة تغير الكلمات فيها على كثير من المعاني
 مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من المجرور واعني المضاف ومثل الحروف التي تفضي بالافعال
 الى الذوات من غير تكاف الفاظ اخرى وليس يوجد ذلك الا في لغة العرب واما غيرهما من اللغات فكل
 معنى أو حال لا يبدله من الفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم في مخاطباتهم أطول مما تقدره بكلام
 العرب وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم أو تبت جوامع السكلم واختصر لي الكلام اختصارا فصار

كثيرا وجيشا واسعا فقال له المنصور لا يعجز ان يكون في هذا الجيش ألف مقاتل من أهل الشجاعة والبسالة فسكت ابن المعصفي فقال
 المنصور وما سكو تلك اليس في هذه الجيوش ألف مقاتل قال لا قال فتعجب المنصور ثم انعطف عليه فقال افيهم خمسمائة رجل من الابطال
 المعدودين قال لا فخلق المنصور ثم انعطف عليه فقال افيهم مائة رجل من الابطال قال لا قال افيهم خمسون من الابطال قال لا فسيبه
 المنصور واستخف به وأمر به فاخرج على أجمع صفة فلما أتوا وسطا بالادامشركين اجتمعت الروم وتصافى الجمعان فبرز عليج من الروم بين
 الصفيين سالك في سلاحه يركو ويفرو وهو ينادى هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقطعه العليج ففرح المشركون
 وصاحوا واضطرب لها المسلمون ثم جعل العليج يمزح بين الصفيين وينادى هل من مبارز اثنين لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا

ساعة فقتله العلي وجعل يكره ويحمل وينادي نهل من مبارز ثلاثة لواحد فبرز اليه رجل فقتله العلي فصاح المشركون وذل المسلمون وكادت تكون كسرة فقيل لمنصور وما لها غير ابن المحصني فبعث اليه فحضر فقال له المنصور الاتري ما يصنع هذا العلي السكاب منذ اليوم قال بعيني جميع ما جرى قال فما الجملة فيه قال وما الذي تريد قال ان تكفي المسلمين شره قال نعم الا ان ثم قصد الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من اهل الثغور على فرس قد تشرت اورا كهاهز الا وهو يحمل قر به ماء بين يديه على القرس والرجل في نفسه وحده غير متصنع فقال له ابن المحصني الاتري ما يصنع هذا العلي منذ اليوم قال قد رأيت في ذاتي فيه قال ار يد رأسه الا ان قال نعم فحمل القرية الى رحله وليس لائمة حربه وبرز اليه فتجاوول ساعة (٣٥٠) فلم ير الناس الا المسلم خارجا اليهم يركض ولا يدرون ما هنالك واذا الرجل يحمل رأس

العلي فالتى الرأس بين يدي المنصور فقال له ابن المحصني من هؤلاء الرجال أخبرتك انه ليس في عسكريك منهم الف ولا جسمائة ولا مائة ولا خمسون ولا عشرون ولا عشرة فرد ابن المحصني الى منزلته وأكرمه (واعلم) ان أول الحرب شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى الحرب شعناء عابسة وشوواء كالحة حرور في حياض الموت شمس في الوطيس تغدى بالنفوس الحرب أولها الكلام وآخرها الحجام الحرب مرة المذاق اذا قلصت عن ساق من صبر فيها عرف ومن ضعف عنها تلف جسم الحرب الشجاعة وقبلها التدبير وعينها الحذر وجناحها الطاعة ولسانها المكيدة وقائدتها الرفق وسائقها النصر وقال الرسول صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقالوا الحرب غشوم

للحروف في اعتمهم والحركات والميآت اى الاوضاع اعتبار في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعة يستفيدون ذلك منها بما هي ملائكة في السنتم يأخذها الاخر من الاول كما أخذ صيغتنا لهذا العهد لغاتنا فلما جاء الاسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الامم والدول وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما التى اليها السمع من الخالقات التي للعلمين والسمع ابو الملكات اللسانة ففسدت بما التى اليها مما يغايرها لجنوحها اليه باعتياد السمع وخشي اهل العلوم منهم ان تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم فاستنبطوا من مجازي كلامهم قواني لتلك الملكة مطردة شبه السكيات والقواعد يقيسون عليها سائر انواع الكلام ويلحقون الاشياء بالاشياء مثل أن القاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته اعرابا وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا واما ذلك وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدها بالسكاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو وأول من كتب فيها ابو الاسود الدؤلي من بني كنانة ويقال بإشارة على رضى الله عنه لانه رأى تغير الملكة فأشار عليه بحفظها ففرغ الى ضبطها بالقوانين المحاضرة المسماة مقراة ثم كتب فيها الناس من بعده الى ان انتهت الى الخليل بن احمد الفراهيدي أيام الرشيد اذ حوج ما كان الناس اليها لذهب تلك الملكة من العرب فهذب الصناعة وكل ابوابها واخذها عنه سيبويه فأكمل تقاريعها واستكثر من ادتها وشواهدا ووضع فيها كتابه المشهور الذي صار اما مال كل ما كتب فيها من بعده ثم وضع ابو على القاسم الزجاج كتابا مختصرا للمتعلمين يحذون فيها حذوا الامام في كتابه ثم طال الكلام في هذه الصناعة وحدثت الحلاف بين أهلها في الكوفة والبصرة المصيرين القديمين للعرب وكثرة الادلة والحجاج بينهم وتباينت الطرق في التعليم وكثر الاختلاف في اعراب كثير من آي القرآن باختلافهم في تلك القواعد وطال ذلك على المتعلمين وجاء المتأخرون بمذاهبهم في الاختصار فاقتصر واكثر من ذلك الطول مع استيعابهم جميع ما نقل كما فعله ابن مالك في كتاب التسهيل وأمثاله أو اقتصرهم على المبادئ للمتعلمين كما فعله الزنجشيري في المفضل وابن الحاجب في المقدمة له ووربما نظموا ذلك نظاما مثل ابن مالك في الارجوزتين الكبرى والصغرى وابن معطى في الارجوزة الالقية وبالجملة فالنائب في هذا الفن أكثر من أن تحصى أو يحاط بها وطرق التعليم فيها مختلفة فطريقة المتقدمين مغايرة لطريقة المتأخرين والسكوبيون والبصريون والبغداديون والاندلسيون مختلفة طرقهم كذلك وقد كادت هذه الصناعة أن تؤذ بالذهاب لمسارنا من النقص في سائر العلوم والصنائع بتناقص العمران ووصل اليها بالمغرب لهذه العصور وروديوان من مصر منسوب الى جمال

سميت بذلك لانها تنطى الى غير الحافي قال الشاعر لم اكن من جناتها علم الله وانى بجرها اليوم صالى الدين وقال آخر رأيت الحرب يجنيها اناس * ويصلى حرقا قوم براء * وقال آخر الحرب اول ما تكون قتيبة * تسمى بيزتها الكل جهول حتى اذا اضطرمت وشب ضرامها * عادت عجوزا غير ذات خليل شطاء يذكرونها وتعتبرت * مكروهة للشتم والتقبيل (وقال بعض الحكماء) قد جمع الله تعالى آداب الحرب في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قاتلوا واذا كروا والله كثير العليم تغلبون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين * واستوصى قوم أكرمهم بن صبي في حرب أرادوها فقال أقبلوا الخلاف على امرائكم واعلموا ان كثرة الصباح فشل ولا جماعة لمن اختلف وتشتتوا فان أكرم القريتين الركين

(وقال) عتبة بن ربيعة يوم بدر لا صحابه الا ترون اصحاب محمد جنيا على الركب كأنهم خرس يتلظون تلمظ الحيات (ورأيت) غير واحد من ألف في الحر وب يكره رفع الصوت بالتكبير ويقولون يذكر الله في نفسه واعلم أرشدك الله تعالى ان الله تعالى قد اوضح لنا في كتابه حلة النصر وعله الهزيمة والفرار فقال يا ايها الذين آمنوا ان نصر الله وينصركم وشئت أقدمكم يعني ان تنصروا ورسوله ودينه وأما الفرار فعلمته المعاصي قال الله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان انما استتر لهم الشيطان ببعض ما كسبوا أي بشؤم ذنوبهم وتركهم المركز الذي رسمه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم رتب الرماة يوم أحد على ثلثة الجبل لئلا ينعوا قر يشأن يخرجوا عليهم كينامن ذلك الموضوع ثم التقي المسلمون فانهمزم الكفار فقال الرماة (٣٥١) لا تقوتنا الغنائم فأقبلوا على الغنائم

وتركو المركز الاول فخرجت

خيل المشركين من هناك وأقبلوا على المسلمين فكانت مقنله أحد وليخف قائد الجيش العلامة التي هو مشهور بها فان عدوه قد يستعلم حليته والوان

خيله ورايته ولا يلزم خيمته ليلانهارا ولا يبذل زيه و يغير خيمته ويعمى مكانه كي لا يلتص عدوه غرته واذا سكنت الحرب فلا يمش في النفر السير من قومه خارج عسكره فان عيون عدوه قد انكبت عليه وعلى هذا الوجه كسر المسلمون جيوش افر يقية عند فتحها وذلك ان الحرب سكنت في وسط النهار فخرج مقدم العدو عيسى خارج العسكر بتمير عساكرا المسلمين فبعاه الخبر الى عبد الله بن أبي السرح وهو قائم في قبته فخرج فيمن وثق به من رجاله وحمل على العدو فقتل الملك وكان الفتح

الدين بن هشام من علمائها استوفى فيه أحكام الاعراب مجله ومفصلة وتكلم على الحروف والمفردات والمحمل وحذف ما في الصناعة من المتكرر في أكثر ابوابها وسماه بالمعنى في الاعراب وأشار الى نكت اعراب القرآن كلها وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظامت سائرها فوقعنا منه على علم جم يشهد به ولو قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته منها وكانه يخوف في طريقته منحة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جنى واتبعوا مصطلح تعليمه فأتى من ذلك بشئ عجيب ذال على قوة ملكته واطلاعه والله يزيد في الخلق ما يشاء

(علم اللغة)

هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالاعراب واستنبتت القوانين لمخفظها كما قلنا ثم استمر ذلك الفساد بلاسة التجم ومخالطتهم حتى تأدى الفساد الى موضوعات الالفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ملامع هجئة المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصرح العربية فاحتج الى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والندو بن خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث فشمع كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين وكان سابق الحبلية في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي ألف فيها كتاب العين فحصر فيه مركات حروف المعجم كلها من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي وهو غاية ما ينتهي اليه التركيب في اللسان العربي وتأتي له حصر ذلك بوجه عديدة حاصرة وذلك ان جملة الكلمات الثنائية تخرج من جميع الاعداد على التوالي من واحد الى سبعة وعشرين وهو دون نهاية حروف المعجم بواحد لان الحرف الواحد منها يؤخذ مع كل واحد من السبعة والعشرين فنسكون سبعة وعشرين كلمة ثنائية ثم يؤخذ الثاني مع الستة والعشرين من كذلك ثم الثالث والرابع ثم يؤخذ السابع والعشرون مع الثامن والعشرين فيكون واحدا فتكون كلها الاعداد على التوالي العدد من واحد الى سبعة وعشرين فتجمع كما هي بالعمل المعروف عند أهل الحساب ثم تضاعف لاجل قلب الثنائي لان التقديم والتأخير بين الحروف معتبر في التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات وتخرج الثلاثيات من ضرب عدد الثنائيات فيما يجمع من واحد الى ستة وعشرين لان كل ثنائية يز يد عليها حرفا فتكون ثلاثة فتكون الثنائية بمنزلة الحرف الواحد مع كل واحد من الحروف الباقية وهي ستة وعشرون حرفا بعد الثنائية فتجمع من واحد الى ستة وعشرون على التوالي العدد و يضرب فيه جملة الثنائيات ثم تضرب الخارج في ستة جملة مقلوبات الكلمة الثلاثية فيخرج مجموع تراكيها من حروف المعجم وكذلك في الرباعي والخماسي فانحصرت له التراكيب بهذا الوجه وترتب ابوابه على حروف المعجم بالترتيب المتعارف واعتمده في ترتيب الخارج فبدل بحروف الخلق ثم ما بعد من

ولما عبر طارق مولى موسى بن نصير الى بلاد الاندلس ليقبضها وموسى اذ ذلك بافر يقية خرجوا في الجزيرة الخضراء وتخصصوا في الجبل الذي يسمى اليوم جبل طارق وهم في ألف وتسعمائة رجل فطمعت الروم فيهم فاقتتلوا ثلاثة أيام وكان على الروم تدمير استخلفه لدر يق ملك الروم وكان قد كتب الى لدر يق يعلمه ان قوما لا تدرى امن الارض ام من السماء قد وصلوا الى بلادنا وقد لقيتهم فانهمض الى بنفسك فأتاه لدر يق في تسعين الف عنان ولقيهم طارق وعلى خيله مغيث الرومي مولى لوليد بن عبد الملك فاقتتلوا ثلاثة أيام اشد قتال فرأى طارق ما الناس فيه من الشدة فقام فخصهم على الصبر ورغبتهم في الشهادة وبسط في آمالهم ثم قال أين المقر البحر من ورائكم والعدو أمامكم فليس الا الصبر منكم والنصر من ربكم وأنافع لشبابنا فعملوا كمنع على فوالله لا تصدن طاغيتهم فاما أن أقتله واما ان أقتل دونه

فاستوثق طارق من خيله وعرف حيلة لدر يق وعلامته وخيمته ثم جل مع أصحابه عليه حيلة رجل واحد فقتل الله تعالى لدر يق بعد قتل
 قدر في العدو وحى الله تعالى المسلمين فلم يقتل منهم كثير وانهمز الروم فاقام المسلمون يقتلونهم ثلاثة ايام واحتر طارق رأس لدر يق
 وبعث بها الى موسى وبعث بها موسى الى الوليد بن عبد الملك وسار مغتث الى قرطبة وسار طارق الى طليطلة ولم يكن همه غير المساندة
 التي تذكر اهل الكتاب انها مائدة سليمان بن داود عليهم السلام فدفع اليه ابن اخت لدر يق المساندة والتاج فقومت المساندة بما تاتي
 الف لما فيها من الجواهر التي لم يبرم مثلها وبهذه الحيلة قهر البارسلان ملك الترك ملك الروم وقعه وقتل رجاله وبادجعه وكانت الروم
 قد جعت جيو شايقل ان يجمع (٣٥٢) لمن بعدهم مثلها وكان مبلغ عددهم ستمائة الف مقاتل كآب متواصلة وعسا كرم ترادفة

حروف الحنك ثم الاضراس ثم الشفة وجعل حروف العلة آ حروفى المحروف الهوائبة وبدان حروف
 الحلقى بالعين لانه الاقصى منها فاذلك سمي كتابه بالعين لان المتقدمين كانوا يذهبون في تسمية دواو بينهم
 الى مثل هذا وهو تسميته باول ما يقع فيه من الكلمات والالفاظ ثم بين المهمل منها من المسعمل وكان
 المهمل في الرباعي والخماسي اكثر لقله استعمال العرب له لثقله ولحق به الشائى لقله دورانه وكان
 الاستعمال في الثلاثى اغلب فكانت اوضاعه اكثر لدورانه وضمن التحليل ذلك كله في كتاب العين
 واستوعبه احسن استيعاب واوعاه وجاء ابو بكر الزبيدي وكتب لهشام المؤيد بالاندلس في المائة الرابعة
 فاخصره مع المحافظة على الاستيعاب وحذف منه المهمل كله وكثيرا من شواهد المسعمل ولخصه للحفظ
 احسن لخصه والف الجوهري من المشاركة كتاب الصحاح على الترتيب المتعارف لحروف المعجم فجعل
 البداية منها بالهمزة وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الاخير من الكلمة لاضطرار الناس في الاكثر الى
 اواخر الكلام وحصر اللغة اقتداء بحصر التحليل ثم ألف فيها من الاندلسيين ابن سيده من اهل دانية في دولة
 علي بن مجاهد كتاب المحكم على ذلك المنحى من الاستيعاب وعلى نحو ترتيب كتاب العين وزاد فيه التعرض
 لاشتقاق الكلام وتصاريفها فاجاء من احسن الدواوين ولخصه محمد بن ابي الحسين صاحب المستنصر من
 ملوك الدولة الحفصية بنونس وقلب ترتيبه الى ترتيب كتاب الصحاح في اعتبار اواخر الكلام وبناء التراجم
 عليها فكانت اولى رحى وسبلى ابوة هذه اصول كتب اللغة في ما علمناه وهناك مختصرات اخرى مختصة
 بصنف من الكلام ومستوعبة لبعض الابواب اولها الان وجه المحصر فيها خفي ووجه المحصر في تلك
 جلى من قبل التراكيب كجرايت ومن الكتب الموضوعية ايضا في اللغة كتاب الزخشرى في الجاز بين فيه
 كل ما تجوزت به العرب من الالفاظ وفيما تجوزت به من المدلولات وهو كتاب شريف الافاد ثم لما كانت
 العرب تضع الشيء على العموم ثم تستعمل في الامور الخاصة الفاظ اخرى خاصة بها فوق ذلك عندنا بين
 الوضع والاستعمال واحتاج الى فقه في اللغة عزى بالماخذ كل وضع اليبض بالوضع العام لكل ما فيه بياض
 ثم اخص ما فيه بياض من الخيل بالاشهب ومن الانسان بالازهر ومن الغنم بالامخ حتى صار استعمال
 اليبض في هذه كلها الخنا وخروجان لسان العرب واختص بالتأليف في هذا المنحى الثعالبي واقرده في
 كتاب له سماه فقه اللغة وهو من آكد ما يأخذ به اللغوي نفسه ان يحرف استعمال العرب عن مواضعه فليس
 معرفة الوضع الاول بكاف في التركيب حتى يشهد له استعمال العرب لذلك واكثر ما يحتاج الى ذلك
 الاديب في فني نظمه ونثره حذر ان ان يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في مفرداتها وتراكيبها وهو اشد
 من اللحن في الاعراب والخش وكذلك الف بعض المتأخرين في الالفاظ المشتركة وتكفل بحصرها وان لم

وكراديس يتلو بعضها
 بعضها لا يدركهم الطرف
 ولا يخص بهم العدد وقد
 استعدوا من الكراع
 والسلاح والجحانيق
 والالات المعدة لفتح
 الحصون في الحرب بما
 لا يحصى وكانوا قد قدموا
 بلاد المسلمين الشام ومصر
 والعراق وخراسان وديار
 بكر ولم يشكوا ان الدولة
 قد دارت لهم وان نجوم
 السعود قد خدمتهم ثم
 استقبلوا بلاد المسلمين
 فتواترت اخبارهم الى بلاد
 المسلمين واضطربت لها
 عمالت الاسلام فاحتشد
 للقائهم البارسلان التركي
 وهو الذي يسمى الملك
 العادل وجمع جموعه
 بمدينة اصبهان واستعد
 بما قدر عليه ثم خرج
 يؤمهم فلم يزل العسكران
 يتدانان الى ان عادت
 طلائع المسلمين الى المسلمين
 وقالوا للبارسلان غدا

يتراهى الجمعان فبات المسلمون ليلة الجمعة والروم في عدد لا يحصيهم الا الذي خلقهم وما المسلمون
 فيهم الا كلمة جاثق فبقي المسلمون واجين لسادهم فلما اصبحوا صباح يوم الجمعة نظر بعضهم الى بعض فقال المسلمون ما راوا من كثرة
 العدو وقوتهم ولا لهم فامر البارسلان ان يعد المسلمون فبلغوا اثني عشر الف تركي واداهم منهم كالرقة في ذراع الحمار فجمع ذوى الراى
 من اهل الحرب والندبير والشفقة على المسلمين والنظر في العواقب واستشارهم في استخلاص صواب الراى فتشاوروا برهه ثم اجتمع رأيهم
 على اللقاء فتواعد القوم وتحالفوا وانصحو الاسلام واهله ثم تأهبوا اهبته اللقاء وقالوا للبارسلان لان نسمى الله ونحمل على القوم فقال
 البارسلان يا معشر اهل الاسلام اهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمون منخطبون على المنابر ويدعون لنا في شرق البلاد وغربها فاذا انزلنا

الشمس وفات الاقياء وعلما ان المحلين قد صلوا ودهوا والناو صلينا نحن عملنا امرنا فاصبر والى ان زالت الشمس ثم صلوا ودعوا الله تعالى ان ينصر دينه وان ير بط على قلوبهم باصبر وان يوهن عدوهم وان يلقى في قلوبهم الرعب وكان البارسلان قد استوثق من خيمة ملك الروم وعلامته وفرسه وزيه ثم قال لرجاله لا يتخاف احدكم ان يفعل كفعلى ويضرب بسيفه ويرمى بسهمه حيث اضرب بسيفي وارمى بسهمي ثم حمل جميعهم حمله رجل واحد الى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونها فخلص واليه وقتل من حوله واسره ملك الروم وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك فدعت الروم ان ملكهم قد قتل فبتددوا وتمزقوا كل ممزق وعمل السيف فيهم اياما واخذ المسلمون اموالهم وغنائمهم واستخضرو ملك الروم بين يدي البارسلان بحبل في عنقه فقال له البارسلان ما كنت تصنع (٣٥٣) في لو اخذتني قال فهل تشك اني كنت

اقبلك فقال له البارسلان انت اقل في عيني من ان اقبلك اذهبوا به وبعوه فمن يزيد فكان يقاد بالحبل في عنقه وينادي عليه من يشترى ملك الروم وما زالوا كذلك يطوفون به على الخيام ومنازل المسلمين وينادي عليه بالدرهم والفلوس فلم يدفع فيه احد شيئا حتى باعوه من انسان بكعب فأخذ الذي كان تولى ذلك من امره الكتاب والملك وجعلهما الى البارسلان وقال قد طغت جميع العسكر وناديت عليه فلم يبذل فيه احد شيئا الا رجل واحد دفع لي فيه كعبا قال قد انصف لان الكتاب خير منه فاقبض الكتاب وادفع اليه هذا الكتاب ثم انه امر بعد ذلك باطلاقه فذهب الى قسطنطينية فعزله الروم وكناه بالناز فانظر ماذا يتأق على الملوك اذا عرفوا في الحروب من

تبلغ الى النهاية في ذلك فهو مستوعب لالا كثر واما المختصرات الموجودة في هذا الفن مخصوصة بالمتداول من اللغة الكثير الاستعمال تههلا لحفظها على الطالب فكثيرة مثل الالفاظ لابن السكيت والفصح لتعرب وغيرهما وبعضها اقل لغة من بعض لا اختلاف نظرهم في الالهام على الطالب للحفظ والله الخلاق العالم لا رب سواه

(علم البيان)

هذا العلم حادث في المهة بعد علم العربية واللغة وهو من العلوم الاسانمة لانه متعلق بالالفاظ وما تبعه ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني وذلك ان الامور التي يقصد بالمتكلم بها افادة السامع من كلامه هي اما تصور مفردات تسندو يسند اليها ويقضي بعضها الى بعض والدالة على هذه هي المفردات من الاسماء والافعال والحروف واما تميز المسندات من المسند اليها والازمنة ويولد عليها بتغير الحركات وهو الاعراب وابنية الكلمات وهذه كلها هي صناعة النحو ويبقى من الامور المكتشفة بالواقعات المحتاجة للدلالة احوال المتخاطبين والقاعلين وما يقصد به حال الفعل وهو محتاج الى الدلالة عليه لانه من تمام الافادة واذا حصلت تلك المقام فقد تبلغ غاية الافادة في كلامه واذا لم يشتمل على شئ منها فليس من جنس كلام العربي فان كلامهم واسع ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الاعراب والابانة الا ترى ان قولهم زيد جاءني مغار لقولهم جاءني زيد من قبل ان المتقدم منهما هو الالهام عند المتكلم فن قال جاءني زيد أفاد ان اهتمامه بالجي قبيل الشخص المسند اليه ومن قال زيد جاءني أفاد ان اهتمامه بالشخص قبيل الجي والمسند وكذا التعبير عن اجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصول او بهم او معرفة وكذا تارة كيد الاسناد على الجملة كقولهم زيد قائم وان زيد قائم متغايرة كها في الدلالة وان استوت من طريق الاعراب فان الاول العاري عن التما كيدانما يفيد الخالي الذهن والثاني المؤ كيدان يفيد المتردد والثالث يفيد المنكرفه في مختلفة وكذلك تقول جاءني الرجل ثم تقول مكانه بعينه جاءني رجل اذا قصدت بذلك التذكير تعظيمه وان رجلا لا يعادله احد من الرجال ثم الجملة الاسنادية تكون خبرية وهي التي لها خارج تطابقه واولا وانشائية وهي التي لا خارج لها كالطلب وانواعه ثم قد يتبعه من ترك العاطف بين الجملتين اذا كان للثانية محل من الاعراب فيشرك بذلك منزلة التابع المفرد نعمتاو كيد او بدلا بعطف او يتبع العطف اذا لم يكن للثانية محل من الاعراب ثم يعترض المحل الاطناب والايجاز فيورد الكلام عليهم ما ثم قد يبدل باللفظ ولا ير يد منطوقه وير يذلازمة ان كان مقردا كما تقول زيد اسد فلتر يد حقيقة الاسد المنطوقه وانما تر يد شجاعة اللازمة وتسندها الى زيد وتسمى هذه استعارة وقد تر يد باللفظ المر كب

(٤٥ - ابن خلدون) الجملة والقصد في المكيدة (واعلم) ان القدماء قالوا الكثرة للارعب والقلة للنصر وقد قال تعالى و يوم جنين اذا عجبتمكم كثيرا فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين فالكثرة ابداء يعجب الاعجاب الهلاك وخير الاصحاب اربعة وخير السرايار بعامة وخير الجيوش اربعة آلاف ولن يغاب جيش يبلغ اثني عشر الفا من قلة اذا اجتمعت كلمتهم فاما صفة اللقاء وهو احسن ترتيب رأيت في بلادنا وهو ارجى تدبير فعمله في لقاء عدونا ان تقدم الرحالة بالدرق السكاملة والرياح الطوال والمزاريق المسنونة النافذة فيصقوا صفة وفهم ويركز وامرا كرههم ورمحهم خلف ظهورهم في الارض وصدورهم شارعة الى عدوهم وهم جاثمون في الارض وكل رجل منهم قد اتم الارض ركبته اليسرى وترسه قائم بين يديه وخلفه هم الرماة المختارون التي تمرق

سهاهم من الدروع والحيل خلف الرماة فاذا حلت الروم على المسلمين لم يتزخح الرجال عن هياتها ولا يهجمون على قدميه
 فاذا قرب العدو رشقهم الرماة بالنشاب والرجال بالمازاريق وصدور الرماح تلقاهم فأخذوا يمينه ويسيره فيخرج خيل المسلمين بين الرماة
 والرجال فتنازل منهم ماشاء الله ولقد حدثني من حضر مثل هذه الوقعة في بلدي طرطوشة قال صافقت الروم على هذا الترتيب فحملوا
 علينا فبينما رجل منا كان في آخر الصف فقام على قدميه فحمل عليه عجم من العدو فصاب غرته فقتله ولم يبرز المقتدر بالله بن هو دم ملك
 الاندلس من سر قسطة في تغور بلاد الاندلس للقاء الطاغية ردميل عظيم الروم وكان كل واحد منهم قد احتشد بمسوره فالتقى
 المسلمون والكفار ثم تنازلوا للقتال (٣٥٤) وتصافقوا ودام القتال بينهم صدرا كبيرا من النهار وكان المسلمون في خسران

الدلالة على ملزومه كما تقول زيد كثير الرماد وتر يدبه ما لزمت ذلك عنه من الجود وقرى الضيف لان كثرة
 الرماد ناشئة عنهم فهي دالة عليهم ما وهذه كالدلالة زائدة على دلالة الالفاظ المقرد والمر كب وانما هي
 هيات واحوال لواقعات جعلت للدلالة عليهم الاحوال وهيات في الالفاظ كل بحسب ما يقتضيه مقامه
 فاشتمل هذا العلم المسمى بالبيان على البحث عن هذه الدلالات التي للهيات والاحوال والمقامات وجعل
 على ثلاثة اصناف الصنف الاول يبحث فيه عن هذه الهيات والاحوال التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات
 المحال ويسمى علم البلاغة والصنف الثاني يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزومه وهي
 الاستعارة والكناية كما قلناه ويسمى علم البيان والمحتمل ما صنفنا آخره والنظر في ترتيب الكلام وتحسينه
 بنوع من التتميق اما بصريح يقص له او بتجنيس يشابه بين الالفاظ او ترصيع يتقطع اوزانه او تورية عن
 المعنى المقصود بابهام معنى اخفى منه لا يشارك اللفظ بينهما او امثال ذلك ويسمى عندهم علم البديع واطلق
 على الاصناف الثلاثة عند المحدثين اسم البيان وهو اسم الصنف الثاني لان الاقدمين اول ما تكلموا فيه
 ثم تلاحت مسائل الفن واحدة بعد اخرى وكتب فيهما جعفر بن يحيى والمجاظ وقدامة وانشأهم املاآت
 غير وافية فيها ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئا فشيئا الى ان محض السكاكي زبده وهذب مسائله ورتب
 ابوابه على نحو ما ذكرناه انما ترتيب ألف كتابه المسمى بالافتاح في النحو والنصر يف والبيان فجعل
 هذا الفن من بعض اجزائه واخذ المحدثون من كتابه وللخصوص امهات هي المتداولة لهذا العهد كما فعله
 السكاكي في كتاب التبيين وابن مالك في كتاب المصباح وجلال الدين القزويني في كتاب الايضاح
 والنخب وهو اصغر حجم من الايضاح والعناية بهذا العهد عند اهل المشرق في الشرح والتعليل منه
 اكثر من غيره وبالجملة فالمشاركة على هذا الفن اقوم من المغاربة وسببه والله اعلم انه كمال في العلوم
 اللسانية والصنائع الكماكية توجد في العمران والمشرق او فرع عمران من المغرب كما ذكرناه او تقول اعناية
 العم وهو معظم اهل المشرق ك تفسير الزختمري وهو كله مبني على هذا الفن وهو اصله وانما اخص
 بأهل المغرب من اصناف علم البديع خاصة وجعلوا من جملة علوم الادب الشعرية وفروعها والقابا
 واعدوا ابوابا ونوعا انواعا وزعموا انها احصت وهامن لسان العرب وانما احصاهم على ذلك الولوع بتزيين
 الالفاظ وان علم البديع سهل المأخذ وصعبت عليهم ما خذ البلاغة والبيان لدقة انظارهما ونحوض
 معانيهما فتجافوا عنهم ومن ألف في البديع من اهل افر يقية ابن رشيق وكتاب العمدة له مشهور وجرى
 كثير من اهل افر يقية والاندرلس على منحاها واعلم ان ثمرة هذا الفن انما هي في فهم الاعجاز من القرآن لان
 اعجاز في وفاء الدلالة منه بجمييع مقتضيات الاحوال منطوقة ومفهومة وهي اعلى مراتب الكلام مع

فأفزع المقتدر ذلك وفرق
 المسلمون من شر ذلك
 اليوم فدعا المقتدر رجلا
 من المسلمين لم يكن في
 التغور وأعرف بالحرب منه
 يسمى سعداره فقال له المقتدر
 كيف ترى في هذا اليوم
 فقال سعداره هذا يوم
 اسود ولكن قد بقيت لي
 حيلة فذهب سعداره زيه
 زى الروم وكلامه كلامهم
 لمجاورتهم وكثرة مخايلهم
 فانغمس في عسكر الكفار
 ثم صعد الى الطاغية ردميل
 فألقاه سكا في السلاح
 مكثنا في الحديد لا يظهر
 منه الا عيناه فجعل يتخلله
 ويترصد غرته الى ان
 أمكنته الفرصة فحمل
 عليه فطعنه في عينه فخر
 صرعا باليدين والقم ثم
 جعل ينادي بلسان الروم
 قتل السلطان يا معشر الروم
 فشا عتق له في العسكر
 فتخادلوا وولوا منه زمين
 وكان الفتح باذن الله تعالى

ولما استضعف الروم صقلية وضر بواعليهم الخراج فكانوا يحملون اليهم الخراج
 ويحملون الاموال الى العرب بافر يقية ويستجدون بهم على الروم فقال لهم ملك الروم انما مثل ومثلكم يا اهل صقلية مثل رجل له
 زوجتان عجوز وصبية فكان اذا بات عند الصبية تلقط الشيب من لحية لتصبه في زبد في العجوز اذا بات عند العجوز تلقط الشعر
 الاسود من لحية لتشيخه فترصد الصبية فيه فوشك ان دام هذا ان يصبح اطللس كذلك حالكم معي ومع العرب اذا اديتم المسال لي ولهم
 يوشك ان تنفدوا والكم فنبقوا فقر ارضعفاء فأتسلكم واتسلم البلاد ويروى انه لما هم بحصار صقلية امر ان يبسط بساط في الارض
 ثم جعل في وسطه دينارا ثم قال لوجه رجاله من اخذ منكم هذا الدينار ولم يسطر البساط علمنا انه يصلح للملك فوقفوا حوله ولم يصل احد اليه

السكال

فلما اعياهم ذلك طووا واناجية من البساط من عنده وامر كل واحد ان يطوى مما يليه حتى طوى البساط فذو ايديهم فحقة والديفار
فحينئذ قال لهم اذا اردتم مدينة صقلية خذوا ما حولها من المحصون والمدن الصغار والاضلاع والقري حتى اذا ضعفت اخذتموها وكان
بسر قسطة فارس يقال له ابن فتحون وكان يناسبني فبيع خال والدتي وكان اشجع العرب والعجم وكان المستعين ابوا المقدر يرى له ذلك
ويعظمه وكان يجري عليه في كل عطية جسمائة دينار وكانت النصرانية باسرها قد عرفت مكانه ومكانت لقاءه فيحيى ان الرومي اذا
سقى فرسه فلم يشرب يقول له اشرب هل ابن فتحون رايت في المساء فسدته نظراؤه على كثرة العطاء ومنزلته من السلطان فأوغروا به صدر
المستعين فذمعه اياما ثم ان اشأغزوة الى بلاد الروم فتوافقت المسلمون والمشركون (٣٥٥) صقوا فاشم برز عالج الى وسط الميدان

ينادي هل من مبارز فخرج
اليه فارس من المسلمين
فتجا ولا ساعة فقتله الرومي
وصاح الكفار سرورا
وانكسرت نفوس المسلمين
وجعل الرومي يكر بين
الصقين وينادي هل من
اشين لواحد فخرج اليه
فارس من المسلمين فقتله
الرومي فصاح الكفار سرورا
وانكسرت نفوس المسلمين
وجعل يجول بين الصقين
وينادي ويقول ثلاثة
لواحد فلم يستجري احد من
المسلمين ان يخرج اليه
وبقي الناس في حيرة فقبل
للسلطان مالها الا ابو الوليد
ابن فتحون فدعاها ونطق
به وقال له اماترى ما يصنع
هذا العليج فقال هو يعني
قال فما الحيلة فيه فقال
ابو الوليد فنادا ترى فقال
اكف المسلم من شره فقال
الساعة يكون ذلك ان
شاء الله تعالى فلبس قينص
كتان واستوى على

الكمال فيما يختص بالالفاظ في انقائها وجودة رصدها وترتيبها ودها والاعجاز الذي تقصر الافهام
عن دركها وانما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته فيه. درك
من اعجازه على قدر ذوقه فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه اعلى مقام في ذلك لانهم
فرسان الكلام وجهابذته والذوق عندهم موجودا وبارما يكون واضح وما يكون الى هذا الفن
المفسرون واكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه حتى ظهر جارا لله الخشعي ووضع كتابه في التفسير وتبع
آي القرآن باحكام هذا الفن بما يمدى البعض من اعجازه فانقر هذا الفضل على جميع التفاسير لولا انه
يؤيد عقائد اهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة ولاجل هذا يتخاماه كثير من اهل السنة
مع وفور بضاعتهم من البلاغة فن احكم عقائد السنة وشارك في هذا الفن بعض المشاركة حتى يقدر على
الرد عليه من جنس كلامه او يعلم انه بدعة فيعرض عنها ولا تضرب في معتقده فانه يتعين عليه النظر في هذا
الكتاب للفقير بشي من الاعجاز مع السلامة من البدع والاهواء والله الهادي من يشاء الى سواء السبيل

* (علم الادب) *

هذا العلم لا موضوع له ينظر في اثبات عوارضه ونفيها وانما المقصود منه عند اهل اللسان ثمرته وهي
الاجادة في فني المنظوم والمنثور على اساليب العرب ومناحيهم فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه
تحصل به الكامة من شعر عالي الطبقة وسجع متساو في الاجادة ومسايل من اللغة والنحو مبثوثة اثناء
ذلك متفرقة يستقرى منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من ايام العرب يفهم
به ما يقع في اشعارهم منها وكذلك ذكر المهم من الانساب الشهيرة والخبار العامة والمقصود بذلك كله ان
لا يخفى على الناظر فيه شي من كلام العرب واساليبهم ومناحي بلاغتهم اذا تصفحه لانه لا يتحصل الملكة من
حفظه الا بعد فهمه فيحتاج الى تقديم جميع ما وقف عليه فهمه ثم انهم اذا ارادوا وحده هذا الفن قالوا
الادب هو حفظ اشعار العرب واخبارها والاخذ من كل علم بطرف يرى يدون من علوم اللسان والعلوم
الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث اذا مدخل لغوي بذلك من العلوم في كلام العرب
الما ذهب اليه المتأخرون عند كلفهم بصناعة الحديث من التورية في اشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات
العلمية فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ الى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائما على فهمها وسماعها من
شيوخنا في مجالس التعليم ان اصول هذا الفن واركانه اربعة دواوين وهي ادب الكتاب لابن قتيبة
وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابي علي القالي البغدادي وما سوى
هذه الاربعة فتبع لها وفرغ عنها كتب المحدثين في ذلك كثيرة وكان الغناء في الصدر الاول من اجزاء

سرجه بلاس لاج واخذ بيده سوطا طويل الطرف وفي طرفه عقدة معقودة ثم رزاليه فحجب منه النصراني ثم حمل كل واحد منهم ما على
صاحبه فلم تخط طعنة النصراني سرج ابن فتحون واذا ابن فتحون متعلق برقبة الفرس ونزل الى الارض لاشي منه في السرج ثم طفر على
سرجه وحمل عليه ووضر به بالسوط في عنقه فالتوى على عنقه فحذبه بيده من السرج فاقتله من سرجه وجاءه بجرحه فالتوى بين يدي
المستعين فعلم المستعين انه كان قد اخطأ في صنعه معه فأكرمه وورده الى احسن احواله ايها الاجناد اقلوا الخلاف على الامراء فلا تظفر مع
اختلاف ولا جاعة لمن اختلف عليه قال الله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وأول الظفر الاجتماع وأول الخذلان الافتراق
وعساد الجاعة السمع والطاعة وانما اتى على بن ابي طالب رضي الله عنه يوم صفين من العصبان وكان قد ظهر اهل العراق على اهل

الشام ووضعت صفوق معاوية فاحسن بالشروانه مغلوب فقال لعمر بن العاص اذهب فخذ لنا الامان من ابن عمك يعني عليا فادار
 عمر والحيلة فامرهم ان يرفعوا المصاحف في اطراف الرماح وينادون ندعوكم الى كتاب الله تعالى فلما رأى ذلك اصحاب علي كفوا عن
 الحرب فقال لهم علي رضي الله عنه أي قوم هذه مكيدة منهم ولم يبق في القوم دفاع فهو وتر كوا القتال وكان ذلك سبب الحكمين
 واعلموا ان من اُخزم مكيدة الحرب ذكاء العيون واستطلاع الاخبار وانشاء الغلبة وافشاء السرور وابانة المخدرو الاحتراس من العدو وان
 لا تخرج هاربا الى قتال ولا تضيق امانا على مستأمن وقال بعض المصنفين كثرة التكبير عند اللقاء فمثل غضوا الاصوات وتجلببوا بالسكينة
 واكملوا الزمام واحتموا الجبين (٣٥٦) وادرعوا الليل فانه اخفى للويل الليل يكفيك الجبان ويصف الشجاع الليل المدد

هذالفن لما هو تاسم للشعر اذا الغناء انما هو تلحينه وكان الكلب والفضلاء من الخواص في الدولة
 العباسية يأخذون أنفسهم به حرصا على تحصيل اساليب الشعر وفنونه فلم يكن انتقاله قاضي العدالة
 والمروءة وقد ألف القاضي أبو الفرج الاصبهاني وهو وماه وكناه في الاغانى جمع فيه اخبار العرب وأشعارهم
 وأنسابهم وایامهم وودودهم ووجهل مبناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرشيدي
 فاستوعب فيه ذلك اتم استيعاب ووفاء ولعمري انه ديوان العرب وجامع أشنات الخاسن التي سلفت لهم في
 كل فن من فنون الشعر والنار يخ والغناء وسائر الاحوال ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلم وهو الغاية
 التي يسو اليها الاديب ويقف عندها وافي له بها ونحن الآن نرجع بالتحقيق على الاجال فيما تكلمنا
 عليه من علوم اللسان والله الهادي للصواب

٣٨ (فصل في أن اللغة ملكة صناعية)

(اعلم ان اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة اذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها
 وقصورها بحسب تمام الملكة او نقصانها وليس ذلك بالنظر الى المفردات وانما هو بالنظر الى التراكيب
 فاذا حصلت الملكة النامية في تركيب الالفاظ المقررة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف
 الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من افادة مقصوده للسامع وهذا هو معنى
 البلاغة والملكات لا تحصل الا بتكرار الافعال لان الفعل يقع اولاً وتعود منه للذات صفة ثم تكرر فتكون
 حالا ومعنى الحال انها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة اي صفة راسخة فالملك من العرب
 حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام اهل جيله وأساليتهم في مخاطباتهم وكيفية
 تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها اولاً ثم يسمع التراكيب بعدها
 فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر الى ان يصير
 ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كاحدهم هكذا تصيرت الاسن واللغات من جبل الى جبل وتعلمها العجم
 والاطفال وهذا هو معنى ما تقول العامة من أن اللغة للعرب بالطبع اي بالملكة الاولى التي اخذت عنهم
 ولم يأخذوها عن غيرهم ثم انه لما فسدت هذه الملكة اضر بمخاطبتهم الاعاجم وسبب فسادها ان الناس
 من الجبل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كصفات اخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب فيعبر بها عن
 مقصوده لكثرة انخاططين للعرب من غيرهم ويسمع كيفيات العرب أيضا فاختلط عليه الامر وأخذ من
 هذه وهذه فاستحدثت ملكة وكانت ناقصة عن الاولى وهذا معنى فساد اللسان العربي ولهذا كانت لغة
 قريش أفصح اللغات العربية وأصحها بالبعد عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم من اكتشفهم من

الاعظم الحازم يحدوه
 على كل حال الماوية ان
 قرب والغارة ان بعد
 والكمين ان انكشف
 والاستطراد اذا ولي الجهل
 قوة الجرات من اعتز بقوته
 فقدوه من ليس من القوة
 التورط في الهوة لكن أشد
 ما كنت حذرا ما كنت
 عند نفسك أكثر قوة
 وعددا من استضعف
 عدوه اغتر ومن اغترظ به
 عدوه اشعروا قلوبكم في
 الحرب الجراءة فلها سبب
 الضفر واذا كروا الضمائر
 فانها تبعث على الاقدام
 والتمزوا الطاعة فانها
 جهن المحارب اذا وقع
 اللقاهم زالقضاء اذا التي
 السيف السيف زال الحنار
 رب مكيدة ابلغ من نخدة
 رب كلمة هزمت عسكرا
 الصبر سبب النصر الظفر
 مع الصبر اجعل قتال عدوك
 آخر حيل النصر مع التدبير
 لا ظفر مع بغي ولا تغتر

بالاقوياء لفضل قوتهم على الضعفاء لا تجبنوا عند اللقاء لا تملوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور
 ولا تغلوا عند الغنائم تزمو الجهاد عن عرض الدنيا
 (الباب الثاني والستون في القضاء والقدرة والتوكل والطلب)
 اعلم وقفت الله تعالى ان مذهب الخلق في القضاء والقدرة وخلق الافعال وارادة الكائنات منتشرة ولا يخرج عن علمه وقضائه وقدره
 وحكمه حادث فن خالقنا في القضاء والقدر وافقنا في العلم وقد تبين الخلق فيه وتشتت مذاهبهم وتقاطعوا فيه وتدابروا وكل حزب بما
 لديهم فرحون ولم نضع هذه الترجمة لاستيفاء ما قالوا والاحتياج لكل فريق لان ذلك يستدعي مجلدات وأسفار وانما نذكر في هذا الكتاب
 احكاما ظاهرة قريية من العقول لتعريب الغائبة على الناظر فيه فاعلم اولاً ان كل ما يجري في العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضرر

وايمان وكفر وطاعة ومعصية بقضاء وقدر وكذلك لا يطير ما لم ينجح فيه ولا يدب حيوان على فطنه وزجاليه ولا تطير به وضعة ولا تسقط ورقة الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته كما لا يجري شئ من ذلك الا وقدره سبق علمه به ثم اعلم ان القدر والطلب لا يتنافيان والتوكل والكسب لا يتضادان وذلك ان تعلم ان كل ما قضى الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كما ان ما علم الله تعالى انه يكون فهو كائن ومن خالفنا في القضاء والقدر وافقنا في العلم فرب امر قدر الله تعالى وصوله اليك بغير طلب فهو واصل ورب امر قدر وصوله اليك بعد الطلب فلا يصل الا بالطلب والطلب ايضا من القدر ولا فرق بين الامر المطلوب وبين الطلب في انهما مقادير وان فنهما قلنا انهما مالا يتنافيان وكذلك التوكل مع الكسب لان التوكل محلله القلب والكسب محلله الجوارح ولا يتضاد شيان في محلين (٣٥٧) بعدما يتحقق العبدان المقدمون من قبل الله تعالى فان تعسر شئ

تقف وهذيل وخراعة و بنى كذانة وعطفان و بنى أسدو و بنى عجم وامان بعد عنهم من ربيعة و تخم و جذام وغسان و اباد و قضاة و عرب اليمن الجاورين لامم الفرس والروم والحبشة فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الاعاجم وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في العجوة والفساد عند اهل الصناعة العربية والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

٣٩ * فصل في أن لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضر و جبير *

وذلك انما نجد في بيان المقاصد والوقا بال دلالة على سنن اللسان المضري ولم يفقد منها الادلة المحركات على تعيين الفاعل من المفعول فاعتراضوا منها بالتقديم والتأخير وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد الان البيان والبلاغة في اللسان المضري اكثر واعرف لان الالفاظ باعتماد الالفاظ على المعاني باعتمادها و يبقى ما تقتضيه الاحوال ويسمى بساط المال محتاجا الى ما يدل عليه وكل معنى لا بد وان تكتمفه احوال تخصه فيجب ان تعتبر تلك الاحوال في تأدية المقصود لانها صغافه وتلك الاحوال في جميع الالسن اكثر ما يدل عليها بالالفاظ تخصها بالوضع واما في اللسان العربي فاما ما يدل عليها باحوال وكيفيات تراكب الالفاظ وتاليفها من تقديم او تأخير او حذف او حركة اعراب وقد يدل عليها بالحروف غير المستقلة ولذلك تفاوتت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك الكيفيات كما قدمناه في بيان الكلام العربي لذلك او نحو ذلك الالفاظ وعبارة من جميع الالسن وهذامه مني قوله صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلام واختصر لي الكلام اختصارا واعتبر ذلك بما يحكي عن عيسى بن عمرو وقد قاله بعض النحاة اني اجد في كلام العرب تكرار في قولهم زيد قائم وان زيد قائم وان زيد قائم والمعنى واحد فقال له ان معانيها مختلفة فالاول لا فائدة الخالي الذهن من قيام زيد والثاني لمن سمع فانه ذكره والثالث ان عرف بالاصرار على انكاره فاختلقت الدلالة باختلاف الاحوال وما زالت هذه البلاغة والبيان يدين العرب ومذهبهم لهذا العهد ولا تتفق في ذلك الى خرفشة النحاة اهل صناعة الاعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق حيث يرجعون ان البلاغة لهذا العهد ذهبت وان اللسان العربي فسد اعتبارا بما وقع او اخر الكلام من فساد الاعراب الذي يتدارسون قوانينه وهي مقالة دسهما التشيع في طباعهم والفاها التصور في افئدتهم والافئتن نجد اليوم الكثير من الفاظ العرب لم تزل في موضوعاتها الاولى والتعبير عن المقاصد والتعاون فيه بتفاوت الابانة وجود في كلامهم لهذا العهد واساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة في مخاطباتهم وفهم الخطيب المصقع في محافلهم ومجسامهم والشاعر المقلق على اساليب لغتهم والذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك ولم يفقد من احوال اللسان المدون

فبتقديره وان اتفق فبتيسيره قال انس جاء رجلا على ناقه فقال يا رسول الله ادعها او توكل فقال اعقلها وتوكل والتوكل والاعتصام بالقدر يستمدان من العقل والطلب والكسب يستمدان من الامر فالتمس على الله تعالى هو الثقة بما ضمنه وانقطع يكون ما حكم به فن دام امرا من الامور ليس الطريق في تحصيله ان يغلق بابيه عليه ويقوض امره الى ربه وينتظر حصول ذلك الامر بل الطريق ان يشرع في طلبه على الوجه الذي شرعه الله فيه وقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة يستظهر به ويحترس من العدو واقام الرماة يوم احد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس لامه الحرب ويعبى

الجيوش ويامرهم وينهاهم بما فيه مصالحهم واسترتى و امر بالاسترقاء وتداوى و امر بالمداداة وقال انزل الداء الذي انزل الدوا (فان قيل) قد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من استرتى او اكنوى فقد برئ من التوكل (قلنا) اليس قد قال اعقلها او توكل و ظاهر بين درعين وسائر ما ذكرناه اتفاقا (فان قيل) فما الجمع بين ذلك (قلنا) معناه من استرتى واكنوى متكلا على الرقية والسكي وان البر من قبلها ما خاصة فهذا يخرج من التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث الى غير الله تعالى فاما من باشر الاسباب والادوية وتعاطى تدبير الامور بنفسه واعوانه وماله على ما جرت به سيرة الله تعالى في أرضه وعادته في خلقه غير معتمد على شئ من ذلك بل هو واثق القلب ان ما حصل فبتقديره وما تعسر فبتقديره معتمدا في ذلك على المسبب لاعلى الاسباب فهذا هو التوكل لكن شرطه ان يمشی في ذلك كله مع الاثر ولا يسلك

طريقه فيه معصية فليس يستدرج ما عند الله بما صبه وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه من ابتغى امرأ بمصيبة الله كان ابعد ما رجا وأقر بلحى مما تقي ومن ظن ان الطالب والاكتساب يناقض التوكل فقعدي بيته وأغلق بابها متكلا على الله تعالى في زعمه كان عن العقل خارجا وفي تبه الجهل والجأو يقال له قبحت يا هذا الذمعت وحضر الطعام فهو الى الطعام احوج منه الى المعرفة وينبغي لاهله أن يداووه ألا ترى ان الله تعالى قال لمريم وهزي اليك بجوزع النخلة فهـ الامر بما بالسكون ثم حمل الرطب الي فيها وهكذا القول فيمن له دابة او بستان يؤمر بسقى البستان وحفره واصلاح شأنه ويؤمر بان يعلف الدابة ويسقيها واشدوا الم تر ان الله قال لمريم * ولو شاء اجنح المجرع من غير هزها * اليها ولكن كل شئ له سبب

الذي فهزي المجرع تساقط الرطب

(٣٥٨)

والاحركات الاعراب في او اخر الكلم فقط الذي لزم في لسان مضر طريقة واحدة ومهيما معروفا وهو الاعراب وهو بعض من احكام اللسان وانما وقعت العناية بلسان مضر لما فسد بمخاطبهم الاعاجم حين استولوا على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب وصارت ملكة على غير الصورة التي كانت أولا فانقلب لغة اخرى وكان القرآن منزلا به والحديث النبوي منقول بالغة وهما اصل الدين والملة فخشي تناسيها وانغلاق الافهام عنهما بققدان اللسان الذي تنزله فاحتج الى تدوين احكامه ووضع متايبه واستنباط قوانينه وصار علماء اذ فصول وابواب ومقدمات ومساائل سماها اهله بعلم النحو وصناعة العربية فاصبح فنا محقة وظاوعلماء مكتوبا وسما الى فهم كتاب الله وسنة رسوله واذا اولعنا الواعثين بنا به ذا اللسان العربي لهذا العهد واستقر بنا احكامه نعتاض عن الحركات الاعرابية في دلالاتها بما مورأ اخرى موجودة فيه فتكون لها قوانين تخصها ولعلماء تكون في او اخره على غير المنهاج الاول في لغة مضر فليست اللغات وملاكتها مجانا ولقد كان اللسان المضرى مع اللسان الحميري بهذه المتابعة وتغيرت عنده مضر كثير من موضوعات اللسان الحميري وتصاريف كلماته تشبه بذلك الانتقال الموجودة لدينا سخا لافان يحمله التصور على انها لغة واحدة ويلتمس اجراء اللغة الحميرية على مقاييس اللغة المضرية وقوانينها كما يزعم بعضهم في اشتقاق القليل في اللسان الحميري انه من القول وكثير من اشباه هذا وليس ذلك بصحيح ولغة حمير لغة اخرى مغايرة للغة مضر في الكثير من اوضاعها وتصاريفها وحركات اعرابها كما هي لغة العرب لهذا العهد مع لغة مضر الا ان العناية بلسان مضر من اجل الشريعة كما قلناه جل ذلك على الاستنباط والاستمقراء وليس عندنا لهذا العهد ما يحكم لنا على مثل ذلك وبدعونا اليه وعما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد حيث كانوا من الاقطار شأهم في النطق بالقاف فانهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الامصار كما هو مذكور في كتب العربية انه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الاعلى وما ينطقون بها ايضا من مخرج الكاف وان كان أسفل من موضع القاف وما يليه من الحنك الاعلى كما هي بل يجيئون بها متوسطة بين الكاف والقاف وهو موجود للجيل اجمع حيث كانوا من غرب او شرق حتى صار ذلك علامة عليهم من بين الامم والاجيال ومختصا بهم لا يشارههم فيها غيرهم حتى ان من يريد التعرّب والانتساب الى الجيل والدخول فيه يحاكيهم في النطق بها وعندهم انه انما يميز العربي الصريح من الدخيل في العروبة والمخضري بالنطق بهذه القاف ويظهر بذلك انها لغة مضر بعينها فان هذا الجيل الباقين معظمهم ورؤساؤهم شرقا وغربا في ولد منصور بن بكر بن هوازن بن منصور بن قيس بن عيلان بن سليم بن منصور ومن بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور وهم لهذا العهد اكثر الامم في المعور واغلبهم

وهكذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو بخصاصا وتروح بطان فلم يحمل ارزاقها اليها في اوكارها بل اللهم ما طلبه بالغدو والرواح وقد كان جهيل ريس القنذله مارس يري من تصديق القدر وتكذيب الطالب دون أهل زمانه من الملوكة ما حجزه عن الطالب والتدبير فاخرجه اخوته من سلطانه وقهره على مملكته فقال له بعض الحكماء ان ترك الطالب يضعف الهمة ويذل النفس وصاحبه سائر الى اخلاق ذوات الاجرة من الحيوان كالاضب وسائر الحشرات تشأ في اجرتها وفيه يكون موتها ثم جمعوا بين القدر والطالب وقالوا انها ما كالعديلين على ظهر الدابة ان حمل في واحد منهما ما ارجح مما حمل في الاخر

سقط وتعب ظهره ونقل عليه سقره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سقره وتمت بغيته وضر بواقفه مثلا وهم عجب بما قالوا وان اعمى ومقعدا كانا في قرية بققر وضر لا قائد للاعشى ولا حامل للمقعد وكان في القرية رجل يطعمهما كل يوم احتسابا قوتهم من الطعام والشراب فلم يزالا في عافية الى ان دالم الختسب فاقاما بعده اياما فاشد جوعهما وبلغ الضرر منهما ما جده فاجعروا رايهما على ان يحمل الاعشى المقعد فدلله المقعد على الطريق بيصره ويستقل المقعد يحمل الاعشى فيدوران في القرية يسبتطعمان اهلها ففعلوا ففهم امرهما ولولم يقع لاهل كفاف كذلك القدر وسببه الطالب والطالب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه فاخذ جهيل في الطالب ففقه باعدائه ورجع الى ملكه فكان جهيل يقول لا تدعن الطالب انك لا على القدر ولا تجهدن نفسك في الطالب معتمدا عليه مستتبهم

بالقدر فانك اذا اجهدت نفسك بالطلب بوجوه التدبير المحمودة مصدقا بقابل القدر نلت ماتحاول ولم تلتو عليك الامور وان عمات بذلك
 فالتوى عليك امر من مطلوبك فذلك من اعانة القدر وانك قد اتيت ذنبه اذ فقد جوارحك واستكشف ظاهرك و باطنك وتب الى
 الله تعالى من كل ذنب اتيت به بجارحة من جوارحك واخرج من كل مظلمة ظلمتها فاذا فعلت ذلك قابلك الحظ وساعدك القدر ان شاء الله تعالى
 وعلم ان هذا الاصل الذي قرره ان يخرج عليه ما ورد في القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم من الامر بالنوكل على الله والتسليم
 اليه والتفويض له من ذلك ان سليمان الخواص تلايوما قوله تعالى وقول كل على الحى الذى لا يموت فقال ما ينبغي لعبد بعد هذه الآية
 ان يلجأ الى احد غير الله فلنا معناه لا يلجأ الى الاسباب اعتمادا عليها ولو كان يلجأ اليها (٣٥٩) وانقaban الله تعالى يفعل ما يشاء

كما امر النبي صلى الله عليه
 وسلم بعقل الناقه ولبس
 درعين الاترى ان من يطلب
 الزرع والولد ثم قد عد في
 بيته لم يظأر وجهه ولا يذر
 ارضه معتمدا في ذلك على
 الله تعالى وانقابه ان تلد
 امراته من غير وقاع وتنبت
 ارضه الزرع من غير بذر
 كان عن المعقول خارجا
 ولا مر الله تاركا وللأئمة
 والحكام في القدر الفاظ
 بارعة على السهر والامتحان
 * منها ما روى ان على بن
 ابي طالب رضى الله عنه
 سئل عن القدر فأعرض
 عن السائل فأبى الاجواب
 فقال على اخبرني اخذتك
 الله كما يشاء او كما يشاء
 فامسك الرجل فقال على
 للحاضر بن اترونه يقول
 كما يشاء اذا والله أضرب
 عنه فقال الرجل كما يشاء
 فقال على ايميتك كما
 تشاء او كما يشاء فقال
 قال ايميتك كما تشاء او كما

وهم من اعقاب مضر وسائر الجبل منهم في النطق بهذه القاف اسوة وهـ هذه اللغة لم يبتدعها هذا الجبل بل
 هي متوارثة فيهم متعاقبة ويقهر من ذلك انها لغة ضراواين ولعلمها لغة النبي صلى الله عليه وسلم بعينها
 وقد ادعى ذلك فقهاء اهل البيت وزعموا ان من قرأ في أم القرآن اهدنا الصراط المستقيم بغير القاف التي
 لهذا الجبل فقد سخن وافسد صلاته ولم ادر من اين جاء هذا فان لغة اهل الامصار ايضا لم يستحدثوها
 وانما تناقلوها من لدن سلفهم وكان اكثرهم من مضر لما نزلوا الامصار من لدن الفتح واهل الجبل ايضا
 لم يستحدثوها لانهم ابعدهم مخالطة الاعاجم من اهل الامصار فهذا يرجح فيما يوجد من اللغة لديهم انه
 من لغة سلفهم هذا مع اتفاق اهل الجبل كلهم شرقا وغربا في النطق بها وانها الخاصة التي يتميز بها العربي
 من الهجين والمخضري فتفههم ذلك والله الهادي المبين

٤٠ (فصل في ان لغة اهل الحضرة والامصار لغة قائمة بنفسها مخالفة للغة مضر) *

اعلم ان عرف التخاطب في الامصار وبين الحضرة بلغة مضر القديمة ولا بلغة اهل الجبل بل هي لغة
 اخرى قائمة بنفسها بعدد عن لغة مضر وعن لغة هذا الجبل العربي الذي لعهدنا وهي عن لغة مضر بعدد فاما
 انها لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر يشهد له ما فيها من التغير الذي بعد صناعة اهل النجوم والناوهم مع
 ذلك تختلف باختلاف الامصار في اصطلاحاتهم فلغة اهل المشرق مياينة بعض الشيء للغة اهل المغرب وكذا
 اهل الاندلس معهم ما وكل منهم متصل بلغته الى تادية مقصوده والابانة عما في نفسه وهذا معنى اللسان
 والاعنة ووقدان الاعراب ليس بضائر لهم كما قلناه في لغة العرب لهذا العهد واما انها بعد عن اللسان الاول من
 لغة هذا الجبل فلان البعد عن اللسان انما هو بمخالطة العجم في خااطبهم اكثر كانت لغته عن ذلك
 اللسان الاصلى ابعدان الملكة انما تحصل بالتعليم كما قلناه وهذه ملكة متميزة من الملكة الاولى التي كانت
 للعرب ومن الملكة الثانية التي للعجم فعلى مقدار ما يسمعون من العجم ويربون عليه يبعدون عن الملكة
 الاولى واعتبر ذلك في امصار افریقیة والمغرب والاندلس والمشرق اما افریقیة والمغرب فخالطت العرب
 فيها البرابرة من العجم بوفور عرارتها بهم ولم يكديخلو عنهم مصر ولا جيل فعلبت العجم فيها على اللسان العربي
 الذي كان لهم ووصارت لغة اخرى متميزة في العجم فيها الغالب لما ذكرناه فهي عن اللسان الاول ابعدهم وكذا
 المشرق ما غلب العرب على اعمه من فارس والترك فخالطوهم وتداولت بينهم لغاتهم في الكرة والفلاحين
 والسبي الذين اتخذوهم خولا ودايات واطناروا مرضع فسدت لغتهم بقساد الملكة حتى انقلبت لغة اخرى
 وكذا اهل الاندلس مع عجم الجلائنة والافرنجة وصار اهل الامصار كلهم من هذه الاقاليم اهل لغة اخرى
 مخصوصة بهم تخالف لغة مضر ويخالف ايضا بعضها بعضا كما نذكره وكانها لغة اخرى لاستحكام ملكتها

يشاء قال كما يشاء قال افيحشرك كما تشاء او كما يشاء قال افيحشرك كما تشاء او كما يشاء قال افيحشرك كما تشاء او كما يشاء
 الامر شئ وروى ان رجلا قد ربا بوجوسيا تناظر افعال القدرى للمجوسى مالم لا تسل فقال المجوسى لو اراد الله تعالى لاسامت فقال القدرى
 لو اراد الله ان تسلم ولكن الشيطان يمنعك قال المجوسى فانامع اقواها ما وروى في الاسرائيليات ان نبيامن انبياء الله تعالى مر بفتح منصوب
 واذا طائر قرىب منه فقال الطائر يا نبي الله هل رايت اقل عقلا من هذا انصب هذا الفخ ليصيدي فيه وانا انظر اليه قال فذهب عنه ثم
 رجع فاذا الطائر في الفخ فقال له عجب الك اولست القائل آتفا كذا وكذا فقال يا نبي الله اذا جاء الحين لم يبق اذن ولا عين وقال رجل من
 الخوارج لعلى رضى الله عنه ارايت من جنبى سبل الهدى وسلب بنى سبل الردى أحسن الى ام اساء فقال له على ان كنت استوجبته عليه

حقا قد أساء وان كنت لم تستوجب عليه شيئا فهو يفعل ما يشاء (وقال) ميمون بن مهران لغيلان القدرى سئل فاقوى ما تكونون اذا سألتم فقال غيلان أشاء الله ان يعصى فقال ميمون أيعصى كارها فاقطع غيلان وروى ان رجلا قال لبرز جهر تعال ننظر في القدر فقال وما تصنع بالمنظرة في القدر رأيت ظاهر استدلال به على الباطن ورأيت احق مرزوقا وعاقلا محرر وما فعلت ان التدبير ليس الى العباد وقال بعضهم يخيب الفتى من حيث يرزق صاحبه ويغيب المنى من حيث يحرم طالبه ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك فقال له يزيد بن المهلب انت ادهى الناس واعلمهم فكيف طرحت نفسك في يدى سليمان فقال موسى ان الهدى هدى هندس (٣٦٠) المساء في الارض القباقي ويصير القريب منه والبعيد على بعده في النجوم ثم ينصب له

في اجابهم والله يخلق ما يشاء ويقدر

٤١ * (فصل في تعليم اللسان المضرى)

اعلم ان ملكة اللسان المضرى لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ولغة اهل الجبل كلهم مغايرة للغة مضر التي نزل بها القرآن وانما هي لغة اخرى من امتزاج العجمة بها كما قدمناه الان اللغات لما كانت ملكات كما كان تعلمها بمكاشان سائر الملكات ووجه التعليم لمن يتبع هذه الملكة ويروم تحصيلها ان يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على اساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في اسجاعهم واشعارهم وكلمات المولدين ايضا في سائر فنونهم حتى ينزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم ثم يتصرف به كذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم وما وعاها وحفظه من اساليبهم وترتيب الفاظهم فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثرتهم ما رسوخا وقوة ويحتاج مع ذلك الى سلامة الطبع والتفهيم الحسن لمنازع العرب واساليبهم في التراكييب ومراعاة التطبيق بينهما وبين مقتضيات الاحوال والذوق يشهد بذلك وهو ينشأ ما بين هذه الملكة والطبع السليم فيها ما كذا نذكر وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول المصنوع نظما ونثرا ومن حصل على هذه الملكات فقد حصل على لغة مضر وهو الناقد البصير بالبلغة فيها وكذا ينبغي ان يكون تعلمها والله يهدي من يشاء بعضه وكرمه

٤٢ * (فصل في ان ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم)

والسبب في ذلك ان صناعة العربية انما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة فهو علم بكيفية لانفس كيفية فليست نفس الملكة وانما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما ولا يحكمها عملا مثل ان يقول بصير بالخياطة غير محكم للملكة في التعبير عن بعض انواعها الخياطة هي ان يدخل الخيط في خرت الابرة ثم يغرزها في لفتى الثوب مجتمعين ويخرجها من الجانب الاخر بمقدار كذا ثم يردّها الى حيث ابتدأت ويخرجها قدام منفذها الاول بمطرح ما بين التقيمين الاولين ثم يتعاضد على ذلك الى آخر العمل ويعطى صورة العجك والتسديد والتقييم وسائر انواع الخياطة واعمالها وهو اذا طوب ان يعمل ذلك بسد لا يحكم منه شيئا وكذا الوسئل عالم بالنجارة عن تفصيل الخشب فيقول هو ان تضع المتشار على رأس الخشبة وتمسك بطرفه واخر قبالة تلك تمسك بطرفه الاخر وتعاقبانه بينكما واطرافه المضرسة المحددة تقطع ما مرت عليه ذامبة وجائية الى ان ينتهي الى آخر الخشبة وهو لوطوب بهذا العمل اوشى منه لم يحكمه وهكذا العلم بقوانين الاعراب مع هذه الملكة في نفسها فان العلم بقوانين الاعراب انما هو علم بكيفية

الصبي الفتح بالدودة والحبة فلا يبصره حتى يقع فيه وفي الاسرائيليات ان الهداهد كانت رائدة سليمان بن داود عليهما السلام الى الماء فتقدم معسكره ثم نظر الارض فتقول الماء ههنا على الفقامة واقل او اكثر فتبادر الجبن تحفره فلا يلحق سليمان الا وقد استعد الماء واعلموا ان المارب مما هو مقضى مقدر كالمنقلب في كف الطالب وانشد بعضهم واذا خشيت من الامور مقذرا وقررت منه فخذوه تتوجه وابشار طبعت على ما في غير مخبر هو اى ولو خبرت كنت المهذبا اريد فلا اعطى واعطى فلم ارد وقصر عاى ان ينال المغيبا واصرف عن قصدى وعلى مقصر

وامسى وما اعطيت الا التعجبا ولما وقع الطاعون بالكوفة قرأ ابن ابي عمير على جماله يطلب النجاة فسمع من شدينا يشد ان يسبق الله على حمار * ولا على ذى منعة طيار او يأتى الخنزير على مقدار * قد يصيح الله امام السارى فذكر راجعا الى الكوفة وقال اذا كان الله امام السارى فلات حين مهرب وانشد بعضهم اقام على المسير وقد انيخت مطايا وغرد حاديها وقال اخاف عادية الا الى * على نفسي وان اتى رداها ومن كذبت منيته بارضه فلا يس موت في ارض سواها ولما قتل كسرى بزرجمهر وجدوا في منطقته كتابا فيه اذا كان القدر حقا فاحرص باطل واذا كان الغدر في الناس طبعا فالثقة بكل احد عجز واذا كان الموت بكل احد نازلا فالظن ائيمته الى الدنيا حتى وقال ابن عباس وجعفر بن محمد والحسن البصرى

في قوله تعالى وكان تحته كنزهما إنما كان الكنز لو كان ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن
وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف
الذنبا وتعلمها باهاها كيف يطمئن إليها إلا الله محمد رسول الله وقال يحيى بن معاذ عجبت من ثلاث رجل يريد تناول رزقه بتدبيره
وهو يرى تناقص تدبيره ورجل شغله هم غده وعالم مقتون يعيب على زاهد مغبوط ومن عجيب ما نزل بالاسكندرية أن رجلاً من
خدمة السلطان غاب عن خدمته أياما فقبضه الشرط وجلبه إلى دار السلطان فأنساب منهم في بعض الطريق وترامى في بئر والمدينة
مسر به تحت الأرض باسم اربيشي الماشي فيها فأنما يخترقها ويديرها (٣٦١) في دورها آبار على تلك السروب فما

زال الرجل يشي إلى أن لاح
له بئر مضية فطمع فيها وإذا
البئر في دار السلطان فطاع
الرجل في دار السلطان
فادبه السلطان فكان فيه
المثل السائر الفار من القضاء
الغالب كالمغلت في يد
الطالب وقال ابن مسعود
ان الرجل يشرف على
الامر من الامارة والتجارة
او غيرها ذكروه الله تعالى
فوق سمواته فيقول للملك
اصرف عن عبدي هذا
الامر فاني ان ايسره له أدخله
به جهنم فيظل يتعيط على
جيرانه فيقول سبقتي فلان
وحسبني فلان وما صرّفه
عنه الا الله تعالى وأنشدوا
قالوا تقيم وقد أحا
ط بك العدو ولا تفر
فاجبتهم الشيخ ما
لم ينتفع بالعلم غير
لانلت خير اما بعد
مت ولا عداني الدهر شر
ان كنت اعلم أن غيب
والله ينفع او يضر

العمل وليس هو نفس العمل ولذلك نجد كثير من جهابذة النخبة والمهرة في صناعة العربية المحيطين
علمًا بتلك القوانين اذا سئل في كتابة سطر من إلى أخيه أو ذى مودته أو شوكوى ظلامة أو قصد من قصوده
اخفا فيها عن الصواب أو كثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المتصوّد على اساليب
اللسان العربي وكذا نجد كثير ممن يحسن هذه الملكة ويحيد الفنين من المنظوم والمنثور وهو لا يحسن
اعراب الفاعل من المفعول ولا المرفوع عن المجرور ولا شبهاً من قوانين صناعة العربية فمن هذا تعلم أن
تلك الملكة هي غير صناعة العربية وانها مستغنية عنها بالجملة وقد نجد بعض المهرة في صناعة الاعراب
بصير اجمال هذه الملكة وهو قليل واتفاقوا كثيراً يقع للمخاطبين الكتاب سببوه فانه لم يقتصر على
قوانين الاعراب فقط بل ملاء كتابه من أمثال العرب وشواهد اشعارهم وعباراتهم فكان فيه جزء صالح
من تعليم هذه الملكة فجد العاكف عليه والمحصل له قد حصل على حظ من كلام العرب واندرج في
مخزونه في أما كنهه ومفاصل حاجاته وتنبهه لشأن الملكة فاستوفى تعليمه فان كان يبلغ في الافادة ومن
هؤلاء المخاطبين الكتاب سببوه من يعقل عن التطن لهذا فيحصل على علم اللسان صناعة ولا يحصل عليه
ملكه وأما المخاطبون لكتب المتأخرين العربية عن ذلك الأمن القوانين النحوية مجردة عن اشعار العرب
وكلامهم فقط لا يشعرون لذلك بامر هذه الملكة او ينتبهون لشأنها فتجدهم يحسبون انهم قد حصلوا على
رتبة في لسان العرب وهم ابعيد الناس عنه وأهل صناعة العربية بالاندلس ومعلموها اقرب إلى تحصيل
هذه الملكة وتعليمها من سواهم لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم والتفقه في الكثير من التراكم في
مجالس تعليمهم فيسبق إلى المبتدى كثير من الملكة اثناء التعليم فتقطع النفس لها وتستعد إلى تحصيلها
وقبولها وأما من سواهم من أهل المغرب واقريقية وغيرهم فاجر واصناعة العربية مجردة عن العلوم بحسبها
وقطعوا النظر عن التفقه في تراكم كلام العرب إلا أن أعرابوا شواهدا ورجحوا مذهبها من جهة الاقتضاء
الذهني لا من جهة محامل اللسان وتراكمها فأصبحت صناعة العربية كأنها من جهة له قوانين المنطق
العقلية او الحدول وبعدت عن مناحي اللسان وملكته وما ذلك الا عدولهم عن البحث في شواهد اللسان
وتراكمهم وتعمير أساليبهم وغفلتهم عن المران في ذلك للتعلم فهو احسن ما تفيد هذه الملكة في اللسان وتلك
القوانين انما هي وسائل للتعليم لكانهم أجزوا على غير ما قصد بها وأصاروا على ما احتوا وبعدا عن ثمرتها
وتعلم ما قرناه في هذا الباب ان حصول ملكة اللسان العربي انما هو بدمية الحفظ من كلام العرب حتى
يرتسم في خياله المنوال الذي تسبوا عليه تراكمهم فيمنهج هو عليه وينزل بذلك منزلة من نشأ معهم وخاطط
عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم والله مقدر

(٤٦ - ابن خلدون)

استأذن العقل على الجدل فقال اذهب لا حاجة لي بك فقال العقل ولم فقال انك تحتاج الى ولا
احتاج اليك (واوصى) حكيم ابنه فقال يا بني رزقك الله جدا يخدمك به ذوق العقول ولا رزقك عقلا تخدم به ذوق الجدد وكان يقال
افراط العقل مضر بالجدوروى ان رجلا خبير في أمر فاني ان يختار وقال أنا بجدى أو وثق منى بعقلى فافترغوا في الامثال اسبح بجد لا بجد
اسبح بجد أو دمع جديك لا كدك الجدل الجدل الجدل أعنى من الكدواعلم ان زمام الامور التوفيق ولم ينزل من السماء الى الارض اقل من
التوفيق وهو مقرون بالاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلا وقد كنت جئت فيه كتابا من جملة كتابي في الاسرار هل
التوفيق مكتسب او موهبة بلا سبب فلا ترى يد عليه ومن لطيف ما وقعت عليه في مجازي القضاء والقدر ان الهارب من المدة دور

كالمنفقات في يد الطالب فانزل في مدينة الاسكندرية في قضية الرجل الذي تقدم ذكره * (الباب الثالث والسبعون وهو جامع من اخبار ملوك العجم وحكاياتهم وهو يشتمل على خمسة فصول) * (الاول) يشتمل على اخبار رفعت البنابعد الفراغ من الكتاب فالتمناهما (والثاني) يشتمل على حكم الحكيم الفرس خاصة (والثالث) يشتمل على حكم حكيم الهند خاصة (والرابع) يشتمل على حكم الحكيم العرب خاصة (والخامس) يشتمل على حكم مجموعة منتخبة رسمنا ذلك لتتظرف في عقول القوم واغراضهم ومنتهى مرامهم من كتاب خاويدان خرد الفارسي قال ثلاثة لا يصلح فسادهم بشئ من الحيل العداوة بين الاقارب وتحاسد الاكفاء والركاك في العقول وثلاثة لا يستفسد صلاحهن بنوع (٣٦٢) من المكر والحيل العباد في العلماء والفقهاء والمستبصرين والسخفاء في ذوى الاخطار

الامور كلها والله اعلم بالغيب

٤٣ * (فصل في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان وتحقيق معناه وبيان انه لا يحصل غالب الاستعراب من العجم) *

اعلم ان لفظ الذوق يتداولها المعتنون بقنون البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان وقد مر تفسير البلاغة وانها مطابقة للكلام للغنى من جميع وجوهه بخواص تقع للتراكيب في افادة ذلك فالتمت كالمصطلح بلسان العرب والبليغ فيه يتعبرى المهتمة المفيدة لذلك على اساليب العرب وانحاء مخاطباتهم وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده فاذا اتصت مقاماته بمخاطبة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه وسهل عليه امر التركيب حتى لا يكاد يتخرفه غير منحنى البلاغة التي للعرب وان سمع تركيبا غير جار على ذلك المنحنى محج ونباعته سمعه بأدنى فكر بل وبغير فكر الا بما استفاد من حصول هذه الملكة فان الملكات اذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل ولذلك يظن كثير من المغفلين من لم يعرف شأن الملكات ان الصواب للعرب في لغتهم اعرابا وبلاغة امر طبيعي ويقول كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وانما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي أنها اجبلة وطبع وهذه الملكة كما تقدم انما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تركيبه وليست تحصل بمعرفة القوانين العلية في ذلك التي استنبط أهل صناعة اللسان فان هذه القوانين انما تفيد دعما بذلك اللسان ولا تنفيذ حصول الملكة بالفعل في محله او قد مر ذلك واذا تقرر ذلك فلكي البلاغة في اللسان تهدي البليغ الى وجود النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم ولورام صاحب هذه الملكة حيداعن هذه السبيل المعنية والتراكيب المخصوصة لما قدر عايبه ولا واقفه عليه لسانه لانه لا يعتاده ولا تهديه اليه ملكته الراسخة عنده واذا عرض عليه الكلام حائدا عن اسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم اعرض عنه ومجهوعلم أنه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم ورعا بما يعجز عن الاحتجاج لذلك كما تصنع أهل القوانين التخوية والبيانية فان ذلك استدلال بما حصل من القوانين المقادة بالاستقراء وهذا امر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم ومثاله لو فرضنا صبيا من صبيانهم نشأ وربى في جبلهم فانه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الاعراب والبلاغة فيها حتى يستولى على غايتها وليس من العلم القانوني في شئ وانما هو بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه وكذلك تحصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الجهد بحفظ كلامهم واشعارهم وخطبهم والمداومة على ذلك بحيث يحصل الملكة ويصير كواحد من نشأ في

وثلاث لا يشجع منهن -
الحياة والعافية والمال
وقال ابن لقمان لا يسه
يا ابت ما لاء العياء قال
دعونه وولدته قال فما
الجرح الدوى قال المرأة
السوء قال فما الحبل الثقيل
قال الغضب ولما قرأ هذه
الحكاية أبو عباد الكاتب
وكان نظريفا في اخباره
قال والله الغضب أخف
على من ريشة وكان اسرع
الناس غضبا فقبل له
انما في ايمان ان احتمال
الغضب ثقيل فقال لا
والله لا يقوى على احتمال
الغضب الا الجمل وغضب
يوماعلى بعض اصحابه فرماه
بدواة فشحبه فجعل الدم
يسيل فقال ابو عباد صدق
الله العظيم حيث قال
والذين اذا ما غضبوا هم
يعقرون فاستدعاه المأمون
وقال ويحك لا تحسن أن
تقرأ آية من كتاب الله تعالى
قال بلى والله يا امير المؤمنين

انى لا قرأ من سورة واحدة الف آية فخحك المأمون وامر باخراجه وقيل لانوشروا ما العقل
قال القصد في كل الامور قيل فما المروءة قال ترك الريبة قيل فما السخاء قال ان تنصف من نفسك قيل فما الحق قال الاغراق في الذم
والجد وقيل لبعض الحكماء ما الحزم قال سوء الظن وقال بعضهم في قوله الحزم سوء الظن قال انما اراد سوء الظن بنفسه لا بغيره قيل فما
الصواب قال المشورة قيل فما الذى يجمع القلوب على المودة قال كف بدول وشر جميل قيل فما الاحتياط قال الاقتصاد في الحب والبغض
وقال معاوية لزيد بن جندب ولله العراف يا زيدا لئن حكيت وبغضت قصدا فان الغيرة كانت واجعا للرجوع والتزوع ببقية من قلبك
واخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المهاد وهو مثل قول علي بن ابي طالب رضى الله عنه احب حبيبك هو ناما عسى أن يكون يعيضك

جبلهم

يوما ما وابعض يعضك هو ناما عسى ان يكون حبيبك يوما ما ومن ذلك قول الاول وأحبه حبيبك جبار ويدا فليس يع - والى ان تضمر
 وقال آخر ولا تأسن الدهر من حب كاشم * ولا تأمن الدهر صرم حبيب وسئل بزرجمهر عن العقل فقال ترك ما لا يعنى قيل
 فما الحزم قال انتهز الفرصة قيل فما الحزم قال العفو عند المقدرة قيل فما الشدة قال ملك الغضب قيل فما الحزم قال حب مغروق وبعض
 مغرط وقيل لبعض الملوك وبلغ في المنزلة والتقدير ما يبلغه أحد من ملوك زمانه ما الذي يبلغ بك هذه المنزلة قال عفرى عند قدرتي واني
 بعد شدتي وبذلي الانصاف ولومي لنفسى وبقاى في الحب والبغض مكانا لموضع الاستبدال وقال الاسكندر لبعض الحكماء وأراد سقرا
 أرشدني لأحزم أمرى قال لا تملك قلبك بحبة الشئ ولا يستولى عليك بغضه (٣٦٣) واجعله ما قصد فان القلب كاسمه

يتقلب وله خاصية في
 القلب تنزع وترجع
 واجعل وزيرك الثابت
 وسفيرك النيقظ ولا تقدم
 الابعد المشورة فانه انعم
 الدليل واذا فعات ذلك
 ملكت قلوب رعيتك ملك
 استعباد قال الشاعر
 وما سعى الانسان الا لانه
 ولا القلب الا انه يتقلب
 وقيل لبعض الحكماء
 الدليل الناصح قال غريزة
 العقل مع الطبع قيل فما
 القائد المشفق قال حسن
 المنطق قيل فما العناء
 المعبي قال تطبيعك من
 لا طبع له وقال الفضل بن
 مروان سألت رسول ملك
 الروم عن سيرة ملكهم قال
 بذل عرفه وجرده سيقه
 فأجتمعت عليه القلوب
 رغبة ورهبة لا ينغص جنده
 ولا يخرج رعيته سهل
 النوال حزن النكال الرجاء
 والخوف معقودان في يده
 قلت فكيف حكمه قال

حيلهم وورى بين أجيالهم والقوانين بعزل عن هذا واستعير هذه الملكة عند ما ترسخ وتستقر اسم الذوق
 الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان وانما هو موضوع لادراك الطعوم لكن لما كان محل هذه
 الملكة في اللسان من حيث النطق باللام كما هو محل لادراك الطعوم استعير لها اسمها وايضا فهو
 وجد في اللسان كما ان الطعوم محسوسة له فليل له ذوق واذا تبين لك ذلك علمت منه ان الاعاجم
 الداخلين في اللسان العربي الطارين عليه المضطربين الى النطق به لخاططة أهله كالفرس والروم والترك
 بالمشرق وكالبربر بالمغرب فانه لا يحصل لهم هذا الذوق لقصور حظهم في هذه الملكة التي قررنا امرها لان
 قصاراهم بعد طائفة من العمر وسبق ملكة أخرى الى اللسان وهي لغاتهم ان يعنونوا بما يتداوله أهل
 مصر بينهم في المحاوراة من مقردومركب ما يرضون اليه من ذلك وهذه الملكة قد ذهبت لاهل
 الامصار وبعثوا عنها كما تقدم وانما لهم في ذلك ملكة أخرى وليست هي ملكة اللسان المطلوبة ومن
 عرف تلك الملكة من القوانين المسطرة في الكتب فليس من تحصل الملكة في شئ انما حصل أحكامها
 كما عرفت وانما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتیاد والتكرار للكلام العربي فان عرض لك ما سمعته
 من أن سيمويه والغارسي والبخشيري وأمثالهم من فرسان الكلام كانوا اعجابا مع حصول هذه الملكة
 لهم فاعلم أن أوائل القوم الذين سمع عنهم انما كانوا اعجابا في نسبهم فقط وأما المربي والنشأة فكانت بين
 أهل هذه الملكة من العرب ومن تعلمها منهم فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لا وراها وكانهم في أول
 نشأتهم من العرب الذين نشؤوا في أجيالهم حتى ادركوا كنه اللغة وصاروا من أهلها فهم وان كانوا اعجابا
 في النسب فليسوا باعجابا في اللغة والكلام لانهم ادركوا الملة في عنقها واللغة في شباها ولم تذهب
 آثار الملكة ولا من أهل الامصار ثم عكفوا على الممارسة والمداولة لكلام العرب حتى استولوا على غايته
 واليوم الواحد من العجم اذا خالط أهل اللسان العربي بالامصار أول ما يجد تلك الملكة المقصودة من
 اللسان العربي مخفية الا نأروا ويجد ملكتهم الخاصة بهم ملكة أخرى مخالفة لملكته اللسان العربي
 ثم اذا فرضنا انه أقبل على الممارسة لكلام العرب وأشعارهم بالمداولة والمخاطبة يستفيد تحصيلها فقل ان
 يحصل له ما قدمناه من أن الملكة اذا سبقتهم ملكة أخرى في المحل فلا تحصل الا ناقصة مخدوشة وان
 فرضنا عجميا في النسب سلم من مخالطة اللسان العجمي بالكلمة وذهب الى تعلم هذه الملكة بالمداولة
 فربما يحصل له ذلك لكنه من الندور بحيث لا يخفى عليك بما تقرروا وما يدعي كثير ممن ينظر في هذه
 القوانين البيانية حصول هذا الذوق له بها وهو غلط او مغالطة وانما حصلت له الملكة ان حصلت في تلك
 القوانين البيانية وليست من ملكة العبارة في شئ والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

يرد الظلم ويردع الظالم ويعطى كل ذي حق حقه فالرعية اثنان راض ومعتبط قلت فكيف هيبتهم له قال يتصور في القلوب فنفضي
 له العيون قال فنظر رسول ملك الحبشة الى اصغاني اليه واقبال عيني عليه وكانت الرسل تنزل عندي فقال لترجمانه الذي يقول الرومي
 قال يصرفه ملكهم ويذ كر سيرته فكلم الترجمان بشئ فقال لي الترجمان يقول ان ملكهم ذواناة عند القدرة وذو حلم عند الغضب وذو
 سطوة عند المغالبة وذو عقوبة عند الاجرام قد كسار عيته جميع نعمته وقصرهم تعنيف عقوبته فهم يترآونه ترائي الملال حبالا
 ويخافونه مخافة الموت نكالا وقد وسعهم عدله وردد عنهم سطوته علة فلامتنه فرحة ولا تؤيسه غفلة اذا اعطى اوسع واذا عاقب اوجع
 فاناس اثنان راج وخائف فلا را ابي خائب الامل ولا الخائف بعيد الاجل قلت فكيف رهبتم له قال لا ترفع اليه العيون اجفانها ولا

تبعه الابصار انسانها كان رعيته تطافرت عليهم صغور واندقال فحدثت المأمون بهذين الحديثين فقال لي كم قيمتهما عندك قلت الف درهم قال يا فضل ان قيمتهما اكثر من الخلافة اما علمت حديث امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قيمة كل امرئ ما يحسن أتعرف احدا من الخطباء البلغاء يحسن أن يصف احدا من خلفاء الله الراشدين المهديين بمثل هذه الصفة قلت لا قال فقد امرت لهما بعشرين الف دينار معجلة لهما واجعل العدة مائة بيني وبينهما على العود فلو لاحقوق الاسلام واهله رايت اعطاءهما ما في بيت المال الخاصة والعامة دون ما يستحقانه وقال الفضل بن سهل كان هندي رسول ملك الروم وكان يحمدني عن أخت للملك يقال لها خاتون قال اصابنا سنة احترم شواظها علينا (٣٦٤) بحرارة المصائب وصنوف الآفات فنزع الناس الى الملك فلم يدروا ما يحجبهم به فقالت

٤٤ * (فصل في ان اهل الامصار على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية التي تستفاد بالتعليم ومن كان منهم ابعدهن اللسان العربي كان حصو له االصعب واعسر) *

والسبب في ذلك ما سبق الى المتعلم من حصول ملكة منافية للملكة المطلوبة بما سبق اليه من اللسان الحضري الذي افادته العجمة حتى نزل بها اللسان عن ملكته الاولى الى ملكة اخرى هي لغة الحضرة لهذا العهد ولهذا نجد المعلمين يذهبون الى المسابقة بتعليم اللسان للولدان وتعتقد النخلة ان هذه المسابقة بصناعة لهم وليس كذلك وانما هي بتعليم هذه الملكة بمخاطبة اللسان وكلام العرب نعم صناعة النخوة اقرب الى مخاطبة ذلك وما كان من لغات اهل الامصار عرق في العجمة وابعدهن لسان مصر قصر صاحبه عن تعلم اللغة المصرية وحصول ملكتها التمكن المناقاة حينئذ واعتبر ذلك في اهل الامصار اهل افر بقيمة والمغرب لما كانوا عرق في العجمة وابعدهن اللسان الاول كان لهم قصور وتام في تحصيل ملكته بالتعليم ولقد نقل ابن الرقي ان بعض كتاب القير وان كتب الى صاحب له يا اخي ومن لاعدمت ففقدته اعلمني ابو سعيد كلاما انك كنت ذكرت انك تكون مع الذين تأتي وعاقنا اليوم فلم يتبأ لنا الخروج واما اهل المنزل الكلاب من امر الشين فقد كذبوا هذا باطلا ليس من هذا حرفا واحدا وكابي اليك وانما مشتاق اليك ان شاء الله وهكذا كانت ملكتهم في اللسان الحضري شديدا ما ذكرنا وكذلك اشعارهم كانت بعيدة عن الملكة نازلة عن الطبقة ولم تنزل كذلك لهذا العهد ولهذا ما كان بافر بقيمة من مشاهير الشعراء الا ابن رشيق وابن شرف واكثر ما يكون فيها الشعر امر اطرائين عليها ولم تنزل طبقتهم في البلاغة حتى الا ن ماثلة الى القصور واهل الاندلس اقرب منهم الى تحصيل هذه الملكة بكثرة معاناتهم وامتلائهم من المحفوظات اللغوية نظما ونثرا وكان فيهم ابن حيان المورخ امام اهل الصناعة في هذه الملكة ورافع الراية لهم فيها وابن عبدربه والقسطلي واما لهم من شعراء ملوك الطوائف لما زخرت فيها بحجار اللسان والادب وتداول ذلك فيهم مئين من السنين حتى كان الانقراض والجلعاء يام تغلب النصرانية وشغلوا عن تعلم ذلك وتناقص العمران فتناقص ذلك شأن الصنائع كلها فقصرت الملكة فيهم عن شأنها حتى بلغت الحضيض وكان من آخرهم صالح بن شريف ومالك بن المرحل من تليها الطبقة الاشديليين بسنة وكتاب دولة ابن الاحراف اولها وألقت الاندلس اقلاد كبدها من اهل تلك الملكة بالجملة الى العدو لعدو الاشديلية الى بسنة ومن شرق الاندلس الى افر بقيمة ولم يلبثوا الى أن انقرضوا وانقطع سبب تعليمهم في هذه الصناعة لعسر قبول العدو لها وصعوبتها عليهم بعوج ألسنتهم ورسوخهم في العجمة البربرية وهي منافية لما قلناه ثم عادت الملكة من بعد ذلك الى الاندلس كما كانت ونجى بها ابن بشر بن وابن جابر وابن الجباب وطبقتهم ثم ابراهيم

له خاتون ايها الملك ان الحزم عاق لا يخفق جديده ولا يمتن عزيزه وهو دليل الملك على استصلاح رعيته وزاجله عن استسادهما وقد فرغت رعيتهك اليك لفضل العجز عن الالتجاء الى من لا تريده الاساة الى خلقه عزاولا ينقصه العود بالاحسان اليهم ملكا وما احدث اولي بحفظ الوصية من الموصى ولا بر كوب الدلالة من الدال ولا بحسن الرعاية من الراعي ولم تنزل في نعمه لم تغيرها نعمة وفي رضالم يذكره نسخا الى ان جرى القدر بما عصى منه البصر وذهل عنه الحذر فسلم الموهوب والسالب هو الواهب فعديله بشكر النعم وعذبه من قطع النعم حتى تنسه ينسك ولا تجعل الحياء من التذلل للمعز المنذل شركا بينك وبين رعيتهك فستحق مذموم

العاقبة وليكن مرهم ونفسك بصرف القلوب الى الاقرار لله بكنه القدرة وتذليل الاسن في الدعاء بمحض الشكر فان الملك ربما عاقب عبده ليرجعه عن شئ فعل الى صالح عمل ولبعضه على دؤب شكر يحوزه به فضل احراف مرها الملك ان تقوم فيهم فتذمهم بهذا الكلام ففعلت فرجع القوم عن بابه وقد علم الله تعالى منهم الوعظ في الامر والنهي في حال عليهم المحول وما يبتهم مقتد فبما كان سلمها وتواترت عليهم الزيادات بجميل الصنيع فاعترف الملك لها بالفضل فقلدها الملك بعده وجمع الرعية على الطاعة له في المحبوب والمكروه فهذا فعل الله باعدائه وضرائه نعمته لما شكره أعاد لهم من نعمه ما كان قد استرجعهم وزادهم من فضله ما تمنوه فكيف بمن يوحده ويؤمنون به لو صدقت نياتنا وصحبت ضمائرنا وقال الواقدي توفي رسول بعض الملوك بدمشق في خلافة هشام فوجدني

الساحلي

جيبه لوح من ذهب مكتوب فيه اذا ذهب الوفاء نزل البلاء واذا مات الاعتصام عاش الانتقام واذا ظهرت الخيانات امتحنت البركات وقال
الوضاحي ووجه انوشروان رسول الاله الى ملك قد اجمع على محاربه وامره ان يعرف سيرته في نفسه ورعيته فرجع اليه فقال وجدت عنده الهزل
اقوى من الحمد والكذب اكثر من الصدق والجور ارفع من العدل فقال انوشروان رزقت الظفر به سراليه وليكن عملك في محاربه بنه بما هو
عنده اضعف واقل واوضع فانك منصور وهو مخذول فصار اليه فقتله واستولى على مملكته وقال بزرجهر المزح آفة الحمد والكذب عدو
الصدق والجور مفسدة الملك فاذا استعمل الملك الهزل ذهب هيئته واذا استحب الكذب استخف به واذا بسط الجور فسد سلطانه وكان
نقش خاتم رستم وهو احد ملوك الفرس الهزل مبعضة والكذب منقصة والجور مفسدة وقتل لبعض اصحاب اسفند بارز رجل من الترك فاصيب
في عنقه لوح ذهب مكتوب فيه آفة الشدة التهييب وآفة المنطق الحياء وآفة كل شيء الكذب (٣٦٥) وقيل لبعض الحكماء قيمة الصدق

قال الخلد في الدنيا قيل فما
قيمة الكذب قال موت
عاجل قيل فما قيمة العدل
قال ملك الابد قيل فما
قيمة الجور قال ذل الحياة
قال وسأل ملك الهند
الاسكندر وقد دخل بلاده
ما علامة الملك ودولته قال
له الخلد في كل الامور قال
فما علامة تزواله قال
الهزل فيه قال فاسرور
الدنيا قال الرضا عمار رزقت
قال فما غمها قال الحرص
على ما الملك لا تناله وقال
بزرجهر ثلاث هن سرور
الدنيا وثلاث هن غمها فاما
السرور فالرضا بالقسم
والرضا بالطاعة في النعم ونفي
الاهتمام بالرزق لغد واما
الغم فحرص مسرف وسؤال
مخجف وتضي ما يلهف ومر
بعض الملوك بغلام يسوق
جارا غير منبعت وقد
عنق عليه في السوق فقال
يا غلام ارفق به فقال
الغلام يا ايها الملك في الرفق
به مضرة عليه قال وما

الساحلي الطريحي وطبقته وقفاهم ابن الخطيب من بعدهم الها ملك لهذا العهد شهيدا بسعاية أعدائه
وكان له في اللسان ملكة لا تدرك واتبع اثره تليد ذبه بعده وبالجملة فشا ن هذه الملكة بالاندلس أكثر
وتعلمها أيسر وأسهل بما هم عليه لهذا العهد كما قدمناه من معاناة علوم اللسان ومخاطبتهم عليها وعلى
علوم الآداب وسند تعليمها ولان أهل اللسان العجمي الذين تقدموا كتبهم انما هم طارئون عليهم وليست
عجمتهم أصلا لاهل الاندلس والبربر في هذه العداوة وهم اهلها ولسانهم لسانها الا في الامصار فقط وهم
فيها منغمسون في بحر عجمتهم وروايتهم البربرية فيصعب عليهم تحصيل الملكة اللسانية بالتعليم
بخلاف أهل الاندلس واعتبر ذلك بحال أهل المشرق لعهد الدولة الاموية والعباسية فكان شأنهم شأن
أهل الاندلس في تمام هذه الملكة اراجادتها بعدهم لذلك العهد عن الاعاجم ومخاطبتهم الا في القليل
فكان أمر هذه الملكة في ذلك العهد اذ قوم وكان في قول الشعراء والكاتب اوفر لتوفر العرب وابتنائهم
بالمشرق وانظر ما اشتمل عليه كتاب الاغانى من نظمهم ونثرهم فان ذلك الكتاب هو كتاب العرب وديوانهم
وفيه لغتهم وأخبارهم واياهم وملتهم العربية وسيرتهم وآثار خلفائهم وملوكهم وأشعارهم وغنائهم
وسائر مغانيهم له فلا كتاب او عيب منه لاحوال العرب وبقي أمر هذه الملكة مستحكما في المشرق في الدولتين
وربما كانت فيهم أبلغ ممن سواهم ممن كان في الجاهلية كما نذكره بعد حتى تلاشي أمر العرب ودرست لغتهم
وفسد كلامهم وانقضى أمرهم ودولتهم وصار الامر للاعاجم والملك في أيديهم والتغلب لهم وذلك في دولة
الديلم والسلاجوقية وخاطوا أهل الامصار والحواضر حتى بعدوا عن اللسان العربي وملكته وصارتم تعلمها
منهم مقتصرين على ذلك فخر لسانهم لهذا العهد في المنظوم والمشور وان كانوا اكثر من
والله يخاف ما يشاء ويختار والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لارب سواه

٤٥ * (فصل في انقسام الكلام الى فنون النظم والنثر) *

اعلم ان لسان العرب وكلامهم على فنين في الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقفى ومعناه الذي تكون
اوزانه كلها على روى واحد وهو القافية وفي النثر وهو الكلام غير الموزون وكل واحد من الفنين يشتمل
على فنون ومذاهب في الكلام فاما الشعر فله المدح والمجاء والرثاء واما النثر فله السجع الذي يؤتى به
قطعا ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعا ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام اطلاقا
ولا يقطع اجزاء بل يرسل ارسالا من غير تعقيد بقافية ولا غيرها ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب
الجمهور وترهيبهم واما القرآن وان كان من المنثور لانه خارج عن الوصفين وليس يسمى مرسل مطلقا ولا
سجعا بل تفصيل آيات ينتهي الى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ثم يعاد الكلام في الآية

مضرتة قال تطول طريقه ويشد جوعه وفي العنف احسان اليه قال وما الاحسان اليه قال يخفف جملة ويطول اكله فاعجب الملك بكلامه
وقال له قد أمرت الملك باف درهم قال رزق مقدور وواهب ما جور قال وقد أمرت باثبات اسمك في حشمتي قال كفت مؤثمة ورزقت بها
معونة قال لولا انك حديث السن لاستوزرتك قال ان يعدم الفضل من رزق العقل قال فهل تصلح لذلك قال انما يكون الحمد والذم بعد
التجربة ولا يعرف الانسان نفسه حتى يسلوا قال فاستوزره فوجده ذارأي صليب وفهم رحيب ومشورة تقع مواقع التوفيق قال وكتب
الاسكندر الى ارسطاطاليس وقد نفذ في الشرق والغرب وبلغ منهم ما لم يبلغه احد قبله اكتب الى لفظا موجزا ينفع ويردع فكتب
اليه اذا استولت بك السلامة فقد ذكر العطب واذا هنتك العافية فحدث نفسك بالبلاء واذا اطمان بك الامن فاستشر الخوف واذا

بلغت نهاية الامل فاذا كرم الموت فان اجبت نفسك فلا تتبعان لها في الاساءة اليها نصيبا قال ووعظ بعض الحكماء كما يقال له ايها الملك ان الدنيا دار عمل والاخرة دار ثواب ومن لا يقدم لا يجدهن نفسك حلاوة عيشها بترك الاساءة اليها واعلم ان زمام العاقبة بيد البلاء وامن السلامة تحت جناح العطب وباب الامن مستور بالخوف فلا تكونن في حال من هذه الثلاثة غير متوقع لاضدادها ولا تتجمل بنفسك عرض السهام المملكة فان الدهر عدو ابن آدم فاحترز من عدوك بغاية الاستعداد واذا فكرت في نفسك وعدوها استتغيت عن الوعظ (قال) وكتب الاسكندر على باب الاسكندرية اجل قريب في يد غيرك وسوق حثيث من الليل والنهار واذا انتهت المدة حمل بينك وبين العدة فاحتمل قبل المنع (٣٦٦) واكرم اجدك بحسن صحبة السائقين واذا آمنتك السلامة فاستوحش بالعطب فانه الغاية

والاخرى بعدها ويتى من غير التزام حرف يكون سبعا ولا قافية وهو معنى قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها ما شئتني تقشعمرنه جلود الذين يخشون ربهم وقال قد فصلنا الآيات ويهيم آخرا الآيات منها اواصل اذ ليست اسبعا ولا التزم فيها ما يلتزم في السجع ولا هي ايضا قواف واطلق اسم المثنى على آيات القرآن كلها على العموم لما ذكرناه واختصت بام القرآن للعناية فيها كالنجم للثريا ولهذا سميت السبع المثنى وانظر هذا مع مقاله المفسرون في تعليل تسميتها بالمثنى يشهد ذلك الحق برحمان ما قلناه واعلم ان لكل واحد من هذه الفنون اساليب تختص به عند اهلها لا تصح للفن الاخر ولا تسعمل فيه مثل النسب المختص بالشعر والمجد والدعاء المختص بالخطب والدعاء المختص بالمخاطبات وامثال ذلك وقد استعملت المتأخرون اساليب الشعر وموازينه في المنشور من كثرة الاسجاع والتزام التقفية وتقدم النسب بين يدي الاغراض وصار هذا المنشور اذا تأملته من باب الشعر وفنه ولم يقترقا الا في الوزن واستمر المتأخرون من السكك على هذه الطريقة واستعملوها في المخاطبات السلطانية وقصر والاستعمال في المنشور كله على هذا الفن الذي ارتضوه وخطوا الاساليب فيه وهجر والمرسل وتناوه وخصوصا اهل المشرق وصارت المخاطبات السلطانية لهذا العهد عند السكك الغفل جارية على هذا الاسلوب الذي اشرنا اليه وهو غير صواب من جهة البلاغة لما يلاحظ في تطبيق الكلام على مقتضى الحال من احوال الخطاب والمخاطب وهذا الفن المنشور المقتضى ادخل المتأخرون فيه اساليب الشعر فوجب ان تنزه المخاطبات السلطانية عنه اذ اساليب الشعر تنافيا للودعية وخطا الجذب المنزل والاطناب في الاوصاف وضرب الامثال وكثرة التشبيهات والاستعارات حيث لا تدعو ضرورة الى ذلك في الخطاب والتزام التقفية ايضا من اللودعية والترزين وحوال الملك والسلطان وخطاب الجمهور وعن الملوك بالترغيب والترهيب يتاني ذلك ويباينه والمحمود في المخاطبات السلطانية المرسل وهو اطلاق الكلام وارساله من غير تسجيح الا في الاقل النادر وحيث ترسله الملائكة ارسالا من غير تكلف له ثم اعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال فان المقامات مختلفة ولكل مقام أسلوب يخصه من اطناب او ايجاز وحذف او اثبات او تصريح او اشارة وكتابة واستعارة واما اجراء المخاطبات السلطانية على هذا النحو الذي هو على اساليب الشعر فدموم وما حمل عليه اهل العصر الاستيلاء الجمجة على الستهم وقصورهم لذلك عن اعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال فمعجز واعن الكلام المرسل لبعدهم في البلاغة وانفساح خطوبه وولعوا بهذا المسجع يلقون به ما نقصهم من تطبيق الكلام على المقصود ومقتضى الحال فيه ويجبرونه بذلك القدر من الترزين بالاسجاع والالقاء البديعة ويعقلون عماسوى ذلك واكثر من اخذ بهذا الفن وبالغ فيه في سائر الخاء

واذا فرحت للعافية فاخرن للبلاء فاليه تكون الرجعة واذا بسطك الامل فاقبض نفسك عنه بذكر الاجل فهو الموعد واليه المورد (وقال) ابن الاعرابي حدثني من رأى بين اصبهان وفارس حجرا مكتوبا عليه العافية مقرونة بالبلاء والسلامة مقرونة بالعطب والامن مقرون بالخوف وما ضرب انوشروان عنق بزرجمهر لما رغب عن دين الجوسية وانتقل الى دين المسيح عليه السلام وجد في منطقتة كتابا فيه ثلاث كلمات اذا كان القدر حقا فاحرص باطل واذا كان العدر في الناس طبا عا فالثقة بكل أحد معجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فالطمأنينة الى الدنيا حق ولما تاب الله تعالى على النبي سليمان عليه السلام ورد عليه ملكه كتب على كرسيه اذا صحت العافية

نزل البلاء واذا تمت السلامة تخم العطب واذا تم الامن عن الخوف (وحقر) حقيير بفارس فوجد فيه لوح رخام فيه أربعة أسطر محفورة أولها أيها المعاني ابرئ بالبلاء والثاني أيها السلام توقع العطب والثالث أيها الآمن خذ أهبة الخوف والرابع أيها المؤمن ان بعد عنك العسر ولما نزل أبو مسلم مدينة سمرقند أتاه أسبند هاف قال أيها الملك ان بالقد هارجر امدفونافيه ثلاثة أسطر وجدت في الكتاب ان سليمان بن داود عليهما السلام بعث به ودفن في هذا الموضع ووجد انك أنت الذي تستخرج جهونعمل بمافيه فأمر به فخرج فاذا أول سطر منه الحزم انتهاز الفرصة وترك الوافع يخاف عليه القوت والسطر الثاني الرياسة لا تتم الا بحسن السياسة والسطر الثالث لم يقتل الا باهمن ترك الابناء ولم يصب من لم يجب فـ كان أبو مسلم يقول علم جليل به

كلامهم

تم هذه الدولة ان لم ينزل القدر بما يحول بيننا وبين الحذر فلم ينزل يستعمل هذا الكلام الى ان قدم العراق فاعماه القدر عن الاستعانة بالحذر فقله ابو جعفر المنصور وما حج ابو مسلم قيل له ان بالحيرة نصرانيا قد أتت عليه مائة وستة وعنده علم من العلم الاول فوجه اليه فأتى به فلما نظر الشيخ الى ابي مسلم قال قدمت بالاكفاية ولم تأل في العناية وقد بلغت النهاية احرقت نفسك لمن سيستحسبك وكان قد عانيت رمسك فبكي ابو مسلم فقال لا تبك فانك لم تتوثق من خرم وثيق ولا من رأى رتيق ولا تدبير نافع ولا من سيف قاطع ولا من ما استجمع احد لامله الا سرع في تقريب اجله قال حتى تراه يكون قال اذا تواطأ الخليفة فان على امركان والتقدير في يدي من يبطل معه التدبير وان رجعت الى خراسان سلمت وهيات فاراد الرجوع فكتب اليه السلطان بالمضى ووجهه (٣٦٧) اليه من يحثه فلولا ان البصر يعمى

اذ انزل القدر لكانت هذه
دلالة تقع موقع العيان
وتبعث على التيقظ في
الحذر والاحتياط في الحرب
على ان لكل نفس غاية
واكل امر نهاية (وقيل)
لجاليوس وهو وحده كيم
الطب وفلسوفه وقد نهكته
العلة الاتعاج فقال اذا
كان الداء من السماء بطل
الدواء واذا قدر الرب بطل
حذر المر بوب ونعم الدواء
الاجل وبس الدعاء الامل
وقال بعض الغزاة قد حاصنا
من بلاد الروم فرأينا فيه
صورة الاسد من حجر
مكتوب عليه الحيلة خير
من الشدة والتأني أفضل
من العجلة والجهد في
الحرب أحزم من العقل
والثقة كفي العاقبة مادة
الجزع (وقال) أحمد بن
سهل وجه ملك الروم الى
هرون الرشيد بثلاثة أساف
مع هدايا كثيرة وعلى سيف
منها مكتوب ايها المقاتل

اجل تنعم ولا تفكر في العاقبة فتهزم وعلى الثاني منها مكتوب اذ لم تصل ضربة سيفك فصلها بالقاء خوفك وعلى الثالث مكتوب التأني
فيما لا يخفى عليه القوات افضل من العجلة الى ادراك الامل وقال الحسن بن سهل قرأت في كتاب جاويدان خرد ثلاث تبطل مع ثلاث
الشدة مع الحيلة والعجلة مع التأني والاسراف مع القصد (وقال) الخضر بن علي رأيت بعدن حجرا عليه مكتوب بالحجيرة ايها الشديدا حذر
الحيلة ايها العجول احذر التأني ايها المحارب تأس من الفكر في العاقبة ايها الطالب موجود الا تقطع املك من بلوغه (وكتب) قيصر الى
كسرى اخبرني بأربعة اشياء لم اجدهم يعرفها واخالها عندك اخبرني ما عدو الشدة وصديق الضفر ومدرك الامل ومفتاح الفقر فكتب
اليه الحيلة عدو الشدة والصدوق الضفر والتأني مدرك الامل والجود مفتاح الفقر (وقال) بعض الملوك الحكيم وأراد سقر او قنبي

كلامهم كتاب المشرق وشعر اوه هذا العهد حتى انهم ليجنواون بالاعراب في الكلمات والنصر يف اذا
دخلت لهم في تجنيس أو مطابقة لا يجتمعان معهما فيرجحون ذلك الصنف من التجنيس ويدعون الأعراب
ويفسدون بنية الكلمة عساها تصادف التجنيس فتأمل ذلك بما قدمناه لك تتقف على صحة ما ذكرناه
والله الموفق للصواب بمنه وكرمه والله تعالى أعلم

٤٦ * (فصل في انه لا تنفق الاجادة في فني المنظوم والمنشور معا الا لاقل) *

والسبب في ذلك انه كما يشاهد ملكة في اللسان فاذا تسبقت الى محله ملكة اخرى قصرت بالحل عن تمام
الملكة اللاحقة لان تمام الملكات وحصولها للطبايع التي على القطرة الاولى اسهل وأيسر واذا تقدمتها
ملكة اخرى كانت منازعة لها في المادة القابلة وعائقة عن سرعة القبول فوعدت المناقاة وتعدرا تمام
في الملكة وهذا موجود في الملكات الصانعة كلها على الاطلاق وقد برهننا عليه في موضعه بنحو من هذا
البرهان فاعتبر مثله في اللغات فانها ملكات اللسان وهي بمنزلة الصانعة وانظر من تقدم له شيء من العجمة
كيف يكون قاصرا في اللسان العربي ابدأ فالعجمي الذي سبقت له اللغة الفارسية لا يستولي على ملكة
اللسان العربي ولا يزال قاصرا فيه ولو تعلمه وعلمه وكذا البربري والرومي والافرنجي قل ان تجد احد منهم
يحكم الملكة اللسان العربي وما ذلك الا لما سبق الى السنتهم من ملكة اللسان الاخر حتى ان طالب العلم
من اهل هذه اللسان اذا طلبه بين اهل اللسان العربي جاءه قصيرا في معارفه عن الغاية والتحصيل وما أتى
الامن قبل اللسان وقد تقدم لك من قبل ان الاسن واللغات شبيهة بالصنائع وقد تقدم لك ان الصنائع
وملكاتها لا تزدهم وان من سبقت له اجادة في صناعة فقل ان يجيد اخرى أو يستولي فيها على الغاية والله
خالقكم وما تعلمون

٤٧ * (فصل في صناعة الشعر ووجه تعلمه) *

هذا الفن من فنون كلام العرب وهو المسمى بالشعر عندهم ويوجد في سائر اللغات الا انما تتكلم
في الشعر الذي لا العرب فان أمكن ان تجد فيه اهل اللسان الاخرى مقصودهم من كلامهم والافلك لسان
احكام في البلاغة تخصه وهو في لسان العرب غريب التزعة عزيز المنحى اذ هو كلام مقصود قطعاً قطعاً
متساوية في الوزن متحدة في الحرف الاخير من كل قطعة وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتا
ويسمى الحرف الاخير الذي تتفق فيه روي او قافية ويسمى جملة الكلام الى اخره قصيدة وكلمة وينفرد
كل بيت منه باقائه في تراكيبه حتى كانه كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده واذا افرد كان تاما في بابه
في مدح أو تشييب اورثاء فيجرح الشاعر على اعطاء ذلك البيت ما يستقل في افادته ثم يستأنف في البيت

على أشباه من حكمته عمل بها في سفرى فقال اجعل تأنيك زمام عجلتك وحيثك رسول شدتك وعقولك ملك قدرتك وأناضامن لك
 قلوب رعيته ان لم تخرجهم بالشدة او تبطرهم بالاحسان اليهم وقال الخضر بن علي قرأت في كتاب جاو يدان خردوهو واجب كتاب للقرس
 الحيلة أنفع من أقوى الشدة وأقل التأني اجل من اكثر العجلة والدولة رسول القضاء المبرم واذا استبد الانسان برأيه عميت عليه المرشد
 وكان التجسس كان ابو بزرجه خامل القدر وضيع الحال مفهمه المنطق فلما اتت لبزرجه خمس عشرة سنة وحضر في مجلس الملك وقد
 جلست الوزراء على كراسيها والمرآة في مجالسها وقف بحبال الملك ثم قال الحمد لله المأمول نعمه المرهوب نعمة الدال عليه بالرغبة اليه
 المؤيد الملك بسعوده في الفلك (٣٦٨) حتى رفع شأنه وعظم سلطانه وانار به البلاد واعاش به العباد وقسم له في التقدير ووجوه

الاخر كلما آخر كذلك ويسهت طرد للخروج من فن الى فن ومن مقصود الى مقصود بان يوطئ المقصود
 الاول ومعانيه الى ان تناسب المقصود الثاني ويعد الكلام عن التناقض كما يستتطر من التشبيب الى
 المدح ومن وصف الببغاء والطول الى وصف الركب او الخيل او الطيف ومن وصف الممدوح الى وصف
 قومه وعساكره ومن التوبيخ والعتاب في الرثاء الى التائروا أمثال ذلك ويراعى فيه اتفاق القصيدة كلها في
 الوزن الواحد حذر ان يتساهل الطبع في الخروج من وزن الى وزن يقاربه فقه ديجني ذلك من أجل
 المقاربة على كثير من الناس وهذه الموازين شروط وأحكام تضمنها علم العروض وليس كل وزن يتفق في
 الطبع استعملته العرب في هذا الفن وانما هي اوزان مخصوصة تسمى أهل تلك الصناعة بالبحر وقد
 حصرها في خمسة عشر بحراً يعني أنهم لم يجدوا للعرب في غيرهما من الموازين الطبيعية نظماً واعلم ان فن
 الشعر من بين الكلام كان شريفاً عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم واخبارهم وشاهد صوابهم
 ونخلة علومهم واصلا يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم وكانت ملكته مستحكمة فيهم شأن الملكات
 كلها والملكات اللسانيات كلها انما اكتسبها بالصناعة والارتباط في كلامهم حتى يحصل شبهة في تلك
 الملكة والشعر من بين فنون الكلام صعب المأخذ على من يريد ان يكتب ملكته بالصناعة من المتأخرين
 لاستقلال كل بيت منه بانه كلام تام في مقصوده ويصلح ان ينفرد دون ماسواه فيحتاج من أجل ذلك الى
 نوع تالطف في تلك الملكة حتى يفرغ الكلام الشعري في قوالبه التي عرفت له في ذلك المنحى من شعر
 العرب ويرزقه مستقلة بنفسه ثم يأتي بيت آخر كذلك ثم يبيت ويسـ تكمل الفنون الوافية بمقصوده
 ثم يناسب بين البيوت في موالاتها بعضها ببعض بحسب اختلافي الفنون التي في القصيدة واضعوبة
 منجاء وغرابة فنه كان محكماً للترشح في استجداء أساليبها وشكذ الافكار في تنزيل الكلام في قوالبه ولا يمكن
 فيه ملكة الكلام العربي على الاطلاق بل يحتاج بخصوصه الى تالطف ومحاوله في رعاية الاساليب التي
 اختصتها العرب بها واستعمالها ولذا ذكرها هنا لعلها لا تسلب عندهم هذه الصناعة وما يريدون بها في
 اطلاقهم فاعلم انها عبارة عندهم عن المنوال الذي يتشبه فيه التراث كيب او القالب الذي يفرغ فيه ولا
 يرجع الى الكلام باعتبار افادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الالفاظ والاعراب ولا باعتبار افادته كمال المعنى من
 خواص التراث كيب الذي هو وظيفة الالفاظ والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي
 هو وظيفة العروض فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية وانما يرجع الى صورة
 ذهنية للتراث كيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تراكيب خاص وتلك الصورة ينتزعها الذهن من
 اعيان التراث كيب وأشخاصها او يصيرها في الخيال كالقالب او المنوال ثم ينتقى التراث كيب الصحيحة عند

التدبير فرعى رعيته بفضل
 نعمته وجماها المؤيدات
 واوردها المعشبات وذاذها
 عن الآكامين والقهها
 بالرفق واللين انعاما من الله
 تعالى عليه وتثبيتا لما في
 يديه واسأله ان يبارك له
 فيما آتاه ويخبره فيما
 استرعاه ويرفع قدره في
 السماء وينزله كره تحت
 السماء حتى لا يبقى له بينهما
 مناوى ولا يجده فيهما ما
 مداني واستوهب له حياة
 لا تنغيص فيها وقدرة
 لا شاذ عنها وملكها لا يؤس
 فيه وعافية تديم له البقاء
 وتكثر له النوا وعزايؤمنه
 من انقلاب رعيته او هجوم
 بلبه فانه مولى الخيرة وداغ
 الشرف أقر الملك في شئ فيه
 بثمن الجواهر ورفيعه ولم
 يدفع حداثة سنه مع نبل
 كلامه ان استوزر وقادته
 خيره وشبهه في كان أول
 داخل وآخر خارج (وقال)
 عمر بن عبدالعزيز بالله

على العاقل نعمة بعد الاسلام افضل من مباينة هذه السفلة بالفهم والعقل ولو لم يكن هذا
 ما عرف الله تعالى الابا جهل الاتري ان الله تعالى خاطب اولي النهى وذوى الالباب وذوى البصائر ويجب على العلية ان يحمدوا الله
 تعالى على مباينتهم هذه السفلة بالعقول والافهام لكي يحمدونه على جميع النعم (وقيل) لمروان بن محمد وهو آخر ملوك بني أمية ما الذي
 أصارك الى هذا قال الاستبداد برأى ما كثرت على كتب نصر بن سيار ان أمده بالاموال والرجال قلت في نفسي هذا رجل يريد
 الاستكثار من الاموال والجندي بما يظهر لي من فساد الدولة قبيله وهيئات ان ينتفض على خراسان فانتفضت دولته من خراسان وقال
 الوادي قال الفضل بن سهل لم ادعي للمؤمن في كور خراسان بالخلافة جاءتنا هدايا الملوك سروراً يمكنه من الخلافة ووجه ملك

العرب

كالبستان شيخا يقال له ذوبان وكتب يذكر انه قدوجه بهديه لبس في الارض اسنى منها ولا ارفع ولا أنبل ولا أفخر منها فاجاب المأمون وقال سل الشيخ ما معه فسأله فقال ما معي شيء أكثر من علمي قلت وأى شيء علمك قال رأى يتعم وتديب يقطع ودلالة تجمع قال فسر المأمون بذلك فأمر بانزاله واكرامه وكرمان امره فلما اجتمع على التوجه الى العراق لقتال اخيه قال لذوبان ماترى في التوجه الى العراق قال رأى وثيق وخزم مصيب ومالك قريب فالسير ماض فاقض ما انت قاض قال له من توجه قال الفتى الاعور الطاهر الاظهر يسير ولا يعثر قوى مرهوب مقاتل غير مغلوب قال فكيف توجه من الجند قال اربعة آلاف صوارم الاسياف لا ينقصون العدد ولا يحتاجون الى المدد فسر المأمون بذلك ووجه بطاهر بن الحسين قال وفي اى وقت يخرج قال مع طلوع الفجر يجمع (٣٦٩) لك الامر ويصير الى النصر نصر

سريع وقتل ذريح
وتفريق تلك المجموع
والنصر له لاعليه ثم يرجع
الامر اليك واليه فظفر طاهر
وكان له النصر وقتل على بن
عيسى وزير الامين واستولى
على عسكره وحاز امواله فأمر
المالك لذوبان بمائة الف
درهم فلم يقبلها وقال ايها
المالك ان ملكتى لم يوجهنى
اليك لا تقصك مالك فلا
تجعل ردى لتعمتك تهتظا
وساقبل ما ينفي هذا المال
ويزيد عليه قال المأمون
وما هو قال كتاب يوجد
بالعراق فيه مكارم
الاخلاق وعلم الاق
من كتب عظيم القرس
فيه شفاء النفس من صنوف
الآداب ليس في كتاب
عندنا قائل لم يبيد ولا فطن
اريب يوجد تحت ايوان
بالمداش فيقاس بالذرعان
في وسط الايوان لازيادة
ولا نقصان فاحفر المدر
واقطع الحجر فاذا وصلت الى

العرب باعتبار الاعراب والبيان فيرصها فيه رصا كما يفعله البناء في القالب او النساج في المنوال حتى ينسج
القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ما ملكت اللسان
العربي فيه فان لكل فن من الكلام اساليب تختص به وتوجد فيه على انحاء مختلفة فسؤال الطول في
الشعر يكون بخطاب الطول كقوله * يادارمية بالعلماء فالسند * ويكون باستدعاء الصخب للوقوف
والسؤال كقوله * فانسأل الدار التي خف أهلها * او باستدعاء الصخب على الطل
كقوله * قفانك من ذكرى حبيب ومنزل * او بالاستدعاء عن الجواب لخطاب
غير معين كقوله * ألم تسأل فتخبرك الرسوم * ومثل تحية الطول بالامر لخطاب غير معين بتحتها كقوله
حي الديار بجانب الغزل * او بالدعاء لها بالاسقيا
كقوله اسقى طولهم أجش هذيم * وغدت عليهم نضرة ونعيم
او سؤاله السقيها من البرق كقوله
يا برقي طالع منزلا بالبرق * واحد السحاب لها حذاء الانيق
او مثل التفجيع في الجزع باستدعاء البكاء كقوله
كذافا يجبل الخطب وليقذع الامر * وليس لعين لم يقض ماؤها عذر
او باستعظام الحادث كقوله * أرايت من جملوا على الاعواد * او بالتسجيل على الاكوان بالمصيبة لفقده
كقوله منابت العشب لاحام ولا راع * مضى الردى بطويل الرمح والباع
او بالانكار على من لم يتفجع له من الجمادات كقول الخارجية
ايا شجر الخابور مالك مورقا * كانك لم تجزع على ابن طريف
او بتثنية فريقه بالراحة من ثقل وطأته كقوله
التي الرماح ربيعة بن نزار * أودى الردى بقر يثقل المغوار
وأمثال ذلك كثير في سائر فنون الكلام ومذاهبه وتنظيم التراكيب فيه بالجمال وغير الجمال انشائية
وخبرية اسمية وفعلية متقنة وغير متقنة مفصلة وموصولة على ما هو شأن التراكيب في الكلام العربي
في مكان كل كلمة من الاخرى يعرفك فيه ما تستفيد به بالارتياض في أشعار العرب من القالب السكلى المجرد
في الذهن من التراكيب المعينة التي ينطبق ذلك القالب على جميعها فان مؤلف الكلام هو كالبنيان او
النساج والصورة الذهنية المنطبقة كالقالب الذي يبنى فيه أو المنوال الذي ينسج عليه فان خرج عن القالب
في بنائه أو على المنوال في نسجه كان فاسدا ولا تقبل ان معرفة قوانين البلاغة كافية في ذلك لاننا نقول

(٤٧ - ابن خلدون) الساجه فافلعهاتجد الحاجة ولا تلزم لغبرها فيلزمك غب ضرها فاسر المأمون الى ايوان كسرى
خفروا في وسطه فوجدوا صندوقا صغيرا من زجاج عليه قفل منه فعمل الى المأمون فقال لذوبان هذا يغيبك قال نعم ايها الملك قال خذها
وانصرف فتكلم بلسانه ونفخ في القفل فانفتح فخرج منه خرقة ديباج فنشرها فاسقط منها اوراق فعددها مائة ورقة ولم يكن في الصندوق شيء
غيرها فأخذ الاوراق وانصرف الى منزله قال الفضل بن سهل فحسبته فسأله فقال هذا كتاب جاويدان خرد تأليف كيجور وزير ملك
ايران شهر فطلبت منه شيئا فدفع الى ورقات منه وترجمها الى الخضر بن علي ثم أخبرت المأمون فقال اجعل الى الورقات فعملتها اليه فقرأها
فقال والله هذا الكلام لا ما نحن فيه من لى السننا * (فصل في نوادر بزجر حكيم القرس نخسني النجما ووعظني الوعاء شفقة

ونصيحة وتأديبا فلم يعطني أحد مثل شبي ولا يعجني مثل فكرى ولقد استضأت بنور الشمس وضوء القمر فلم استضي بشئ أضوأ من نور قلبي وكنت عند الأحرار والعبيد فلم يملكني أحد ولا قهر في غيرهم وهاوى وعاداني الأعداء فلم أر أعدى لي من نفسي إذا جهلت واحترزت لنفسى بنفسي من الخلق كأنهم حذر أعليها وشقة فوجدتها أشرف النفس لنفسها ورأيت أنه لا يأتها الفساد إلا من قبلها وزخني المضايق فلم يزخني مثل الخلق سوء ووقعت من أبعدها وأطول الطول فلم أقع في شئ أضر علي من لسانى ومشيئت على الجرو ووطئت على الرضاء فلم أر ناراً أحمر من غضبي إذا تمكنت منى وطالبني الطلاب فلم يدركنى مدرك مثل انساني ونظرت ما لدهاء القاتل ومن أين نالنى فوجده من معصية ربى سبحانه والتست الراحة (٣٧٠) لنفسى فلم أجد شيئاً أروح لها من تركها مالا يعينها ورأيت البحار ورأيت الأهوال

قوانين البلاغة أنما هي قواعد علمية قياسية تقيدها واستعمال التراكيب على هيأتها الخاصة بما القياس وهو قياس على صحيح مطرد كما هو قياس القوانين الاعرابية وهذه الأساليب التي نحن نقررها ليست من القياس في شئ إنما هي هيئة ترسخ في النفس من تتبع التراكيب في شعر العرب مجرباً بها على اللسان حتى تستحكم صورتها فيستفيد بها العمل على مثلها والاحتذاء بها في كل تركيب من الشعر كما قدمنا ذلك في الكلام باطلاق وان القوانين العلمية من العربية والبيان لا تقيدها بوجه وليس كل ما يصح في قياس كلام العرب وقوانينه العلمية استعماله وإنما المستعمل عندهم من ذلك أنحاء معروفة يطالع عليها المحفظون لكلامهم تدرج صورتها تحت تلك القوانين القياسية فإذا نظر في شعر العرب على هذا النحو وبهذه الأساليب الذهنية التي تصير كالقوالب كان نظراً في المستعمل من تراكيبهم لا فيما يقضيه القياس ولهذا قلنا إن المحصل لهذه القوالب في الذهن أنما هو حفظ أشعار العرب وكلامهم وهذه القوالب كما تكون في المنظوم تكون في المنثور فإن العرب استعمالوا كلامهم في كلا الغنمين وجاهوا به مفصلاً في النوعين في الشعر بالقطع الموزونة والقوافي المقعدة واستقلال الكلام في كل قطعة وفي المنثور يعتبرون الموازنة والتشابه بين القطع غالباً وقد يقيده بالاسجاع وقد يرسو لونه وكل واحدة من هذه معروفة في لسان العرب والمستعمل منها عندهم هو الذي يبنى مؤلف الكلام عليه تأليفه ولا يعرفه إلا من حفظ كلامهم حتى يتجرد في ذهنه من القوالب المعينة الشخصية قال كلى مطلق يحذو حذوه في التأليف كما يحذو البناء على القالب والنساج على المنوال فلماذا كان من تأليف الكلام منقرداً عن نظر النحوى والبنائي والعروضي نعم إن مراعاة قوانين هذه العلوم شرط في التأليف بدونها فاذا تحصلت هذه الصفات كلها في الكلام اختص بنوع من النظر لطيف في هذه القوالب التي يسعونها أساليب ولا يفيد الاحفظ كلام العرب نظماً ونثراً وإذا تقرر معنى الأسلوب ما هو فليذكر بعد هذا الورع ما للشعر به تفهم حقيقة على صعوبة هذا الغرض فإنا لم نقف عليه لاحد من المتقدمين في بيانها وقول العروضيين في حدها انه الكلام الموزون المقفى ليس بهذا الشعر الذي نخر بصدده ولا رسم له وصناعتهم إنما تنظر في الشعر باعتبار ما فيه من الاعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة فلا يحرم ان حدهم ذلك لا يصلح له عندنا فلا بد من تعريف يعطينا حقيقة من هذه الهيئة فنقول الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والوصاف المفصل باجزائه متفقه في الوزن والروي مستعمل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده الجارى على أساليب العرب المخصوصة به فنقولنا الكلام البليغ جنس وقولنا المبني على الاستعارة والوصاف فصل عما يخيل لوم من هذه فانه في الغالب ليس بشعر وقولنا المفصل باجزائه متفقه الوزن

فلم اره ولا مثل الوقوف على سلطان جاز وتو حشت في البرية والجمال فلم ار مثل القرن السوء وعالجت السباع والضباع والذئاب وعاشرتهم وعاشرتني وغلبتها فغلبني صاحب الخناق السوء وأكلت الطيب وشربت المسكر وعانقت الحسان فلم أجد شيئاً الذم العافية والامن وتوسطت الشياطين والجمال والسباع فلم أخرج الامن الانسان السوء وأكلت الصبر وشربت المر فلم ار شيئاً أمر من الفقر وشهدت الحروب وتعبية الجيوش وبأثرت السيوف وصارعت الاقران فلم ار قرناً غلب من المرءة السوء وعالجت الحديد ونقلت الصخر فلم أر رجلاً أثقل من الدين ونظرت فيما يذل العزيز ويكسر العتوى ويضع الشريف فلم أر أذل من

ذى فاقة وحاجة ورشة بالنشاب ورجعت بالحجارة فلم أر أنفذ من الكلام السوء يخرج من فم مطالب بحق وعمرت السجن وشددت في الوثاق وضربت بهمد الحديد فلم يهدمنى مثل ما هدمنى الغم والههم والحزن واصطنعت الاخوان وانتخبت الاقوام للعدو والشدة والنائبة فلم ار شيئاً أخير من التكرم عندهم وطلبت الغنى من وجوه فلم ار أغنى من الفروع وتصدقت بالذخائر فلم أر صدقة أنفع من رذذى ضلالة الى هدى ورأيت الوحدة والغربة والمذلة فلم أر أذل من مقاساة البحار السوء وشهدت البنيان لا عز به واذكر فلم ار شرفاً رفيع من اصطناع المعروف ولبست الكساء الفاخرة فلم ألبس شيئاً مثل الصلاح وطلبت احسن الاشياء عند الناس فلم أجد شيئاً احسن من حسن الخلق وسررت بعبايا الملوك وحببناهم فلم أسر بشئ أكثر من الخلاص منهم * (فصل) * ومن حكم شباباق السندي

من كتابه الذي سماه مثقل الجواهر للملك بن فايز الهندي يا ايها الملك اتق عثرات الزمان وتخس تساط الايام ولوم عليه الدهر واهل ان
 للاعمال جزاء اتق العواقب وللآيام عثرات فكن على حذر ولا تقدر مغيبات فاستعد لها وللزمان منقلب فاحذر دولته اثم الكربة تخف
 سطوته سر يبع الغرة فلا تأمن دولته واعلم ان من لم يدان نفسه من سقام الآثم في ايام حياته فما بعده من الشقاء في دار لا دواء له بها
 ومن اذل حواسه واستعبدها فيما يقدم من خير انفسه بان فضله وظهر نبهه ومن لم يضبط نفسه وهي واحدة لم يضبط حواسه وهي خمس
 واذا لم يضبط حواسه مع قاتمها وذلها اصعب عليه ضبط الاعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم فكانت عامة الرعية في قواصي البلاد
 واطراف المملكة اربعة من الضبط فليبدأ الملك بسطاطه على نفسه فليس من عدوا حتى (٣٧١) ان يبدأه بالقهر من نفسه ثم يشرع

في قهر حواسه الخمس لان
 قوة الواحدة ممنون دون
 صوابها قد تأتي على
 النفس القوية الحذرة
 فكيف اذا اجتمعت خمس
 انفس على واحدة واعلم
 ان لكل واحدة ممنون
 شره ليست للاخرى غيرها
 تسلم من شرها وانما يهلك
 الحيوان بالشهوات الا ترى
 أن القرامش يكره الشمس
 فيسكن من حرها ويعبى به
 ضياء النار فيدنو منها
 فتحرقه والظبي على نغار
 قلبه وشدة حره ينصت
 للسماع المونق الملهي
 فيمكن القانص من نفسه
 وذياب الورد المتبع لطيب
 الارجيح يطلب ما يقطر
 من اذن القبل لطيب
 رائحته فانه في طيب رائحة
 المسك فيلهيه طيب الرائحة
 عن الاحتراس من تحريك
 القبل اذنه فينوج في
 اصل اذنه فتقع عليه
 ضربة الاذن فتقتله

والروى فصل له عن الكلام المنثور الذي ليس بشعر عند الكل وقولنا مسة تنقل كل جزء منها في غرضه
 ومقصده عما قبله وبعده بيان للحقيقة لان الشعر لا تكون ابياته الا كذلك ولم يفصل به شيء وقولنا
 الجارى على الاساليب المخصوصة به فصل له عما لم يجز منه على اساليب العرب المعروفة فانه حينئذ لا
 يكثر شعر التماهو وكلام منظوم لان الشعر له اساليب تخصه لا تكون للمنثور وكذا اساليب المنثور لا
 تكون للشعر فما كان من الكلام منظوما وليس على تلك الاساليب فلا يكون شعرا وبهذا الاعتبار كان
 الكثير من لغته من شيوخنا في هذه الصناعة الادبية يرون ان نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في
 شيء لانهم لم يجزوا على اساليب العرب من الامم عند من يرى ان الشعر يوجد للعرب وغيرهم ومن يرى انه
 لا يوجد لغيرهم فلا يحتاج الى ذلك ويقول مكانه الجارى على الاساليب المخصوصة واذا قدر غنا من الكلام
 على حقيقة الشعر فاجتمع الى الكلام في كيفية عمله فنقول اعلم ان لعمل الشعر واحكام صناعته شروطا
 اولها الحفظ من جنسه أى من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة يسبح على منوالها ويتخير
 المحفوظ من الحر النقي الكبير الاساليب وهذا المحفوظ المختار اقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول
 الاسلاميين مثل ابن ابي ربيعة وكثير وذى الرمة وجرير وابي نواس وجبيل والبحتري والرضي وابي
 فراس وأكثره شعر كتاب الاغاني لانه جمع شعر اهل الطبقة الاسلامية كله والمختار من شعر الجاهلية ومن
 كان خالبا من المحفوظ فنظمه فاصر ردى ولا يعطيه الرونق والحلاوة الا كثرة المحفوظ فن حفظه او
 عدم لم يكن له شعر وانما هو نظم ساقط واجتناب الشعر اولى من لم يكن له محفوظ ثم بعد الامتلاء من
 الحفظ وشحذ القرية للنسيج على المنوال يقبل على النظم وبالاكثر منه يستحكم ملكته وترسخ وربما
 يقال ان من شرطه نسيان ذلك المحفوظ انتهى رسومه المحرفية القاهرة اذهى صادة عن استعمالها بعينها
 فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتفى الاسبوب فيها كانه منوال يأخذ بالنسيج عليه بامثالها من كلمات
 اخرى ضرورة ثم لا بد له من الحلاوة واستجادة المكان المنظور فيه من المماه والازهار وكذا المسموع لاستنارة
 القرية باستجماعها وتنشيطها بالاذن والسرور ثم مع هذا كله في شرطه ان يكون على جسام ونشاط فذلك
 اجمع له وانشط للقرية ان تأتي بمثل ذلك المنوال الذي في حفظه قالوا وخبير الاوقات لذلك اوقات البكر
 عند المبوب من النوم وفراغ المعدة ونشاط الفكر وفي هؤلاء الجاهل وربما قالوا ان من بواعثه العشق
 والانشاء ذلك ابن رشيقي في كتاب العمدة وهو السكاب الذي انقرب هذه الصناعة واعطاء حقه ولم
 يكتب فيها احد قبله ولا بعده مثله قالوا فان استصعب عليه بعد هذا كله فليتركه الى وقت آخر ولا يكره
 نفسه عليه وليكن بناء البيت على القافية من اول صوغه ونسجه بعضها ويبني الكلام عليها الى آخره لانه

والسكك في البحر تحمله لذة الطعم ان يتلعه فتحصل الصنارة في جوفه فيكون فيه حفته (وذكر الحكيم) ان خص الامعروفة قتلت بالافراط
 فيهما لو كاهر وفيها فالصيدمات فيه قيده الملك والافراط في العاهرات منه سيب الملك والافراط في السكرات فيه طاق الملك وشدة
 الحرص مات منه مهر يق الملك والغضب آخر سخى الملك والطعم مع وائل والفرح واطبات والانفة بوليس والتواني زمير بهر واخلى
 بنخال اهلكت ملو كان يجتنبها الملوك واعلم ان الرعية تستطى الى الملك العادل استطاء اهل الجذب الى الغيث ويتعشون
 بطبعته عليهم كانهماش النبات بما يناله من القطر بل الرعية بالملك العادل اتم نعمتها بالانعام لان المنفعة الغيث وقوامها وعدل
 الملك على الدوام لا يتعين له وقت ويجسن بالملك ان يشبه تصاريف تدبيره بطباع ثمانية اشياء وهي الغيث والشمس والقمر والريح

والنار والارض والماء والموت فاما شبه الغيث فتواتره في اربعة اشهر من السنة ومنفعة تجميع السنة كذلك ينبغي للملك ان يعطى جنده
 واعوانه في الاربعة اشهر تقديرا لثمة السنة فيجعل رقبهم ووضعهم في الحق الذي يسر توجده بونه بمنزلة كما يسوي المطر بين كل اكمة
 مشرقه وغائطه مستقل ويعمر كلامه مائة بقدر حبه ثم يستجيب الملك في الثمانية الاشهر حقوقه من غلاتهم وخراجهم كما تسخن الشمس
 بحرها وشدة فعلها انداوة الغيث والامطار في الاربعة الاشهر واما شبه الريح فان الريح لطيفة المدخل تسرح في جميع المنافذ حتى لا يقوت
 مكان كذلك الملك ينبغي ان يتوكل على قلوب الناس بجواسيسه وعيونهم لا يخنفون عنه بشئ حتى يعرف ما ياترون به في بيوتهم واسواقهم
 وكالتمر اذا استهل أيامه فأضاء (٣٧٢) واعتدل نوره على الخلق وسر الناس بضوئه ينبغي ان يكون الملك يهيجته وزينته واشراقه

في مجلسه وابتدائه رعيته
 بدسه فلا يخص شريفا
 دون وضيع بعده
 وكالارض في كتمان السر
 والاحتمال والصبر والامانة
 وكانار على اهل الذعارة
 والفساد وكه اقبة الموت
 في الثواب والعقاب يكون
 ثوابه لا يقصر عن اقامة
 حدوده ولا يتجاوزها وكالماء في
 لينة لمن لا يئنه وهدمه
 واقلاعه عظيم الشجر لمن
 حاربه واعلم انه قد يكتنف
 السلطان من شرار الناس
 والاعوان على الحاجة اليهم
 من يستبشع ويستكره
 كالحيات تكتنف بالصندل
 فيقتلها الصندل بطيب
 رائحته وبرده وييسه
 ويستقع الصندل بها اذا
 لا يقرب منه من يريد ان
 يقطعه * ليكن فيك مع
 تطلقك تشد يد البلاء فلا
 يتجر اعليتك فان القمر
 يستنار بضوئه ويظهر له
 لكن الشمس يستظل من

ان غفل عن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعها في محله افر بما تجيء نافرة قلقة واذا سمع الخاطر
 بالبيت ولم يناسب الذي عنده فليتركه الى موضعه الا ليق به فان كل بيت مستقل بنفسه ولم يتبق الا
 المناسبة فليتغير فيها كما يشاء وليراجع شعره بعد الخلاص منه بالتمحيص والنقد ولا يرض به على الترك اذا لم
 يبلغ الاجادة فان الانسان مقتون بشعره اذ هو نبات فكره واختر اعقر يحته ولا يستعمل فيه من الكلام
 الا الاصحح من التراكييب والخالص من الضر ورات اللسانية فليجرحها فانها تنزل بالكلام عن طبقة
 البلاغة وقد حذر ائمة اللسان عن المولد ارتكاب الضر ورة اذ هو في سعة منها بالعدل عنها الى الطرية
 المثلى من الملكة ويجتنب ايضا المعتمد من التراكييب جهده وانما يقصد منها ما كانت معانيه تسابق الفاظه
 الى الفهم وكذلك كثرة المعاني في البيت الواحد فان فيه نوع تعقيد على الفهم وانما المختار منه ما كانت
 الفاظه طبعا على معانيه او اوفى فان كانت المعاني كثيرة كان حشا واستعمل الذهن بالغوص عليها فنح
 الذوق عن استيفاء مدركه من البلاغة ولا يكون الشعر سهلا الا اذا كانت معانيه تسابق الفاظه الى
 الذهن ولهذا كان شيوخنا رجعهم الله يعيرون شعر ابي بكر بن خفاجة شاعر شرق الاندلس لكثرة معانيه
 وازدحامها في البيت الواحد كما كانوا يعيرون شعر المتنبي والمعري بعدم النسيج على الاساليب العربية كما
 مرف كان شعرهما كلاما منظوما نازلا عن طبقة الشعر والحما كذلك هو الذوق وليجتنب الشاعر ايضا
 الحوشى من الالفاظ والمقصر وكذلك السوقى المبتذل بالتداول بالاستعمال فانه ينزل بالكلام عن طبقة
 البلاغة ايضا فصير مبتذلا ويقرب من عدم الافادة كقولهم النار طارة والسما فوقنا ومقدار ما يقرب من
 طبقة عدم الافادة يبعد عن رتبة البلاغة اذ هما طرفان ولهذا كان الشعر في الربانيات والنبويات قليل
 الاجادة في الغالب ولا يحدق فيه الا الفحول وفي القليل على العشر لان معانيها متداولة بين الجهم ورفق صير
 مبتذلة لذلك واذا تعذر الشعر بعد هذا كله فليروضه ويعاوده فان القرية مثل الضر عدير بالامتراء
 ويحجف بالترك والاهمال وبالجملة فهذه الصناعة وتعلمها مستوفى في كتاب العمد لابن رشيق وقد ذكرنا
 منها ما حضرنا بحسب الجهد ومن اراد استيفاء ذلك فعليه بذلك الكتاب ففيه البقية من ذلك وهذه نبذة
 كافية والله المعين وقد نظم الناس في امر هذه الصناعة الشعرية ما يجب فيها ومن احسن ما قيل في ذلك
 واطنه لابن رشيق

لئن الله صنعة الشعر ماذا * من صنوف الجهال منه لقينا * يثرون الغريب منه على ما
 كان سهلا للسامعين مبينا * ويرون المحال معني صحبا * وخسيس الكلام شيا ثمينا
 يجهلون الصواب منه ولا يد * رون للجهل انهم يجهلوننا * فهم عند من سوانا يلامو

ن
 حرا ويسكن لها وقد قالت العرب في مثل هذا لا تكن حلوا فاستترط ولا مرافق لفظ اجعل لكل
 طبقة من اعدائك اشباههم من اعوانك يسوسونهم فانهم كالماء في الاذن لاحيلة في اخراجه الابار فم من الماء الذي هو من جنسه
 اذا عادت رجلا فلا تعاد جنسه واستبق من دونه احد افعمي تنفع به فان السيف القاتل من جنس الدرع الواقي ولا تطمع في
 الكذب والمطبوع على الشران تعطفها بالاحسان فانها كالقرد كلما سمن باطعام الحلاوة والدم ازداد وجهه قبحا * قد يرد الواحد
 كيد الجميع اذا كان عاقلا كما يرد الظل حرشع الشمس اذا كان واقفا غاية ارمى الناس ان يقتل بسهمه واحدا لكن رمية عاقل ذهن
 يقتل الجيش بأسره والملك الشريف العاقل لا يتقدفيه قدح اهل ابغى من انقطع اليه ولزمه كان كالجوهر المضي بنوره لا تطفئه

عصوف الرياح من كان قابلا لما يورد عليه في اصغائه الى كل قول يسمعه كان كالسراج يميل به كل ربح لينة ثم لا يلبث ان عصفت
 الرياح يطفأ * تدبير الملك الحازم في ساطانه كتهامه صاحب البستان بسببه انه يخرج ناحل عيدانه وشوك شجره فيصيط به على ثمره
 وذرع له بقية من الثمر والفساد كما ينتخب الملك اهل الشكيمة والشوك فيجعلهم في اقصاه وحدوده رد اللمة الكفة * وليكن الملك احذر ما يكون
 آمن ما يكون (قلت) وقد صدق الشاعر أمنتم ريب المنون ففتم * رب خوف مكن في امان قال الاتري ان بهر شان الملك انامت
 المرأة على فراشه ر جلا فلما رام فراشه وثب عليه فقتله وباسراج الملك قتله بخنقال مسموم ودرورف الملب قتله امراته بمذبة خبأتها في
 عقاصها واعلم العدو قد علم منك مواضع الحذر وحالات الامن وانما ترصده لك (٣٧٣) في حالات الامن والمواضع التي تظن

العدو لا يمكن فيها فكن
 احذر ما يكون فيها وسائر
 حكم هذا الباب قد قدمتها
 في تراجم كتابنا
 * (فصل) * قال غيره
 لا ينبغي للملك ان يكون له
 ايام مع لومة يظهر فيها
 فان في ذلك خصا لا مذمومة
 منها انه قد يعوق عن ذلك
 اليوم مملكتهم او بعض
 كسل اولذمة معتنمة فيلزمه
 الخروج على كره ومنها انه
 اذا تخلف عن الظهور في
 ذلك اليوم لامر ما تطاوت
 الاعناق من الرعية وكثر
 كلامها وقالوا مرض اومات
 او اصابته آفة فيكسب
 العدو جراحة وسرورا ويكسب
 الولي خزا وجسا ومنها انه
 قد يواعد عدوه ليوم
 يلتقيان فيه فلا يتم له ذلك
 ولا ينبغي ان يكون الملك
 كثير التصرف عند فساد
 الزمان وخبث الرعية
 وعن هذا قالت الحكماء
 اذا كان الجمل كثير القفز

ن وفي الحق عندنا يعذرونا * انما الشعر ما يناسب في النظم * م وان كان في الصفت فنونا
 فاني بعضه يشا كل بعضا * واقامت له الص دور المتونا * كل معني اناك منه على ما
 تتقي ولم يكن او يكونا * فتناهي من البيان الى ان * كاد حسنا يبين للناظرينا
 فكان الالفاظ منه وجوه * والمعاني ركن فيها عيوننا * ان ما في المرام حسب الاماني
 يتحلى بحسنة المنشدوننا * فاذا ما مدحت بالشعر حرا * رمت فيه مذاهب المشتبهينا
 فجعلت النسيب سهلا قريبا * وجعلت المدح صدقا مينا * وتعلبت ما يهجن في السه
 مع وان كان لفظه موزونا * واذا ما عرضته بهجاء * عبت فيه مذاهب المرقيينا
 فجعلت النصر يح منه دواء * وجعلت التعريض داء فدينا * واذا ما بكت فيه على العا
 دين يوما للبين والظاعنينا * حلت دون الاسبى وذلت ماكا * ن من الدمع في العيون مصونا
 ثم ان كنت عاتبا جئت بالوع * ادعوا داوا بالصعوبة لينا * فتركت الذي عبت عليه
 حذرا آمنا عز زمامينا * واصح القريرض ما قارب النظم * م وان كان واضحنا مستهينا
 فاذا قبل اطعم الناس طرا * واذا ريم اعجز المعجزينا

ومن ذلك ايضا قول بعضهم

الشعر ما قومت ربع صدوره * وشددت بالتهذيب أس متونه
 ورأبت بالاطناب شعب صدوعه * وفخت بالايجاز عور عيونه
 وجمعت بين قريبه وبعيده * وجمعت بين شجوه ومعينه
 واذا ما دحت به جوادا ما جدا * وقضيت به بالشكر حرق ديونه
 اصغيت به بنفثش ورضيت به * وخصصته بخطيره وخبثه
 فيكون جزلا في مساق صنوفه * ويكون سهلا في اتقاق فنونه
 واذا بكت به الديار واهلها * اجريت للمحزون ماء شؤونه
 واذا اردت كناية عن ريبة * باينت بين ظهـ وره وبطـونه
 فجعلت سامعه يشوب شكوكه * يذبـونه وطنـونه بيبقينهـ

٤٨ * (فصل في ان صناعة النظم والنثر انما هي في الالفاظ لافي المعاني)

(اعلم) ان صناعة الكلام نظم او نثر انما هي في الالفاظ لافي المعاني وانما المعاني تبع لها وهي اصل
 فالصانع الذي يجاول ملكة الكلام في النظم والنثر انما يجاولها في الالفاظ بحيث يفظ أمثالها من كلام

كان نصيب الذئب * (فصل) * من نوادر كلام العرب من حكما كنتم من صيني وهذا رجل كان له عقل وعلم ومعرفة وتجربة وقد علق
 الناس عنه حكما لطيفة والفوا فيها تصانيف فن حكمه قال من فسدت بطاقتك كان كمن غص بالماء أفضل من السؤال ركوب الاهوال
 من حسد الناس بدأ بمضرة نفسه العديم من احتاج الى ائيم من لم يعتبر فقد خسر ما كل عسرة تقال ولا كل فرصة تنال لا وفان ليس له حياء
 قدي شهر السلاح في بعض المزاج من وفي بالعهده فاز بالجمـ د الموت يدنو والمرء باه وطول الغضب يورث الوصب ر بعتق شمر من رق من
 اصطنع قوما احتاج اليهم يوما ما الكذب جهت والحلف مقت من لم يكف اذا له في ماساه الحري يتقاضى للهن نفسه واللثيم يستحسن
 تسوية وجسه ليس بانسان من ليس له اخوان أنت عز رب نفسك ان صحبت من هو دونك عليك بالجملة لمن لا تدوم له مواضع له في

الاسفار يمدوا واختبارا قد كل تحسب من ليس له ادب افضل الافعال صيانه العرض بالمسال ليس من خادث الجهول يدي معقول ليس للمخلف مثل الرد من جالس الجهال فليستعد لقل وقال ما جلا عنك النسيان مثل البيان ولا نفي عنك البهتان مثل البرهان لم ينجم من الموت غنى لماله ولا فقير لاقباله اذا اردت طرد الحرفه الهوان كثرة العلال آية البخل كفر النعمة اثم وصحبة الاحق شؤم ان من الكرم لين الشيم اياك والخديعة فانها خلق ائيم أحض أخاك النصيحة حسنة كانت او قبيحة رب سباب قد هاجه العتاب الصدود آفة المقت سبب الحرمان التواني من سأل فوق قدره استحق الحرمان ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤبان من الفساد اذاعة الزاد من حل سادوم تفهم ازداد لا ترغب (٣٧٤) فيمن يزهد فيك رب بعيد اقرب من قريب المزاح يورث الضغائن سل عن الرفيق

قبل الطريق وعن الجار
 قبل الدار عنك خير من
 سمين غيرك من أجد المسير
 أدرك المقييل استرعوة
 اخسك لما يع لم فيك
 لا تكثر من المزاح فتذهب
 همتك ولا من الضحك
 فيستخف بك من أكثر
 من شئ عرف به كفى بالحلم
 ناصر المنه تهتم الضيعة
 نعم الشئ الهدية بين يدي
 الحاجة ربحا نصح غير
 الناصح وربما غش المنصيح
 الكلام فيما ينفعك
 خير من السكوت والسكوت
 عما يضرك خير من
 الكلام لا يغرنك من
 جاهل قرابة ولا جوار ولا
 الف فان اقرب ما تكون
 من النار قربا اقرب
 ما تكون منها تهابا ارفض
 أهل الدناءة تلزمك المهابة
 دع مجالسة أهل الريب
 على كل حال فانك ان يسلم
 دينك لم تسلم من سوء المقال
 الكرم شكر البلاء والاثم

العرب لا يكثر استعماله وجره على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان مضر و يتخلص من العجمة التي ربي عليهم في جيله ويفرض نفسه مثل وليد ينشأ في جبل العرب ويلقن لغتهم كما يلقنها الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم وذلك ان اقدمنا ان لسان ملكة من الملكات في النطق يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل والذي في اللسان والنطق انما هو الالفاظ واما المعاني فهي في الضمائر وايضا فالمعاني موجودة عند كل واحد وفي طوع كل فمكر منها ما يشاء ويرضى فلا تحتاج الى صناعة وتأليف الكلام للعبارة عنها والحاجة للصناعة كما قلناه وهو بمثابة القوالب للمعاني فكما ان الاواني التي يغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد في نفسه وتختلف الجودة في الاواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها باختلاف الماء كذلك جودة اللغة وبلوغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد والمعاني واحدة في نفسها وانما الجاهل بتأليف الكلام واساليبها على مقتضى ملكة اللسان اذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن بمثابة المقعد الذي يروم النهوض ولا يستطيعه لفقده ان القدرة عليه والله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

٤٩ * فصل في ان حصول هذه الملكة بكثر المحفوظ وجودتها بجودة المحفوظ *

قد قدمنا انه لا بد من كثرة المحفوظ لمن يروم تعلم اللسان العربي وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للمحافظ فن كان محفوظه شعر حبيب أو العتاني أو ابن المعتز أو ابن هانئ أو الشريف الرضي أو رسائل ابن المقفع أو سهل بن هرون أو ابن الزيات أو البديع أو الصائبي تكون ملكته أجود وعلى مقاما ورتبة في البلاغة من يحفظ شعر ابن سهل من المتأخرين أو ابن النبية أو ترسل البيهقي أو العماد الاصبهاني فنزل طبقة هؤلاء عن أولئك يظهر ذلك للبصير الناقد صاحب الذوق وعلى مقدار جودة المحفوظ أو السموع تكون جودة الاستعمال من بعده ثم اجادة الملكة من بعدهما فبارتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام ترتقي الملكة الحاصلة لان الطبع انما ينسج على منوالها وتنمو قوى الملكة بتغذيتها وذلك ان النفس وان كانت في جبلتها واحدة بالنوع فهي تختلف في البشر بالقوة والضعف في الادراك واختلاف انما هو باختلاف ما ردد عليها من الادراكات والمسكات والالوان التي تعكفها من خارج فبهذه يتم وجودها وتخرج من القوة الى الفعول صورتها والملكات التي تحصل لها انما تحصل على التدرج كما قدمناه فالملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر وملكة الكتابة بحفظ الاسجاع والترسيل والعلمية بمخالطة العلوم والادراكات والاتجاهات والانظار والفقهية بمخالطة الفقه وتنظير المسائل وتفرعها وتخرج الفروع على الاصول والتصوفية الربانية بالعبادات

كفر النعمة اكرم الصنائع سلامة الصدور ان تسلم من الناس حتى يسلموا منك من عدم الايمان والاذكار لم تزد الرواية فقها المحزن منسدة للعقل ومقطعة للجملة كثرة النوم امانة للقلب شدة المخدر تدل على ضعف اليقين محادثة الحق والسفهاء تورث سوء الخلق الدليل على الحق اعجاب المرء بعقله من لم يسمع الحديث فارفع عنه مؤنته من حدث من لا يفقه كمن قدم مائة لاهل القبور من قطع عليك الحديث فلا تحدثه فليس بصاحب ادب من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يقبل صدقه من وصل من يحسده قوى عدوه وقصر بنفسه اغفر زلة صديقك من غضب من غير شئ رضي من لاشئ من غضب على من لا يقدر عليه طال جزه الرجل عبده هو اول جاهل الجاهل ما عرف عتل العاقل من خاف ربه كف ظلمه كسمل الفقير هلا كشمع

الغنى فضيخته من لم يتورع في كلامه أظهر فجوروه كل شيء لا يوافق الاحق فاعلم انه صواب اذا غلبت امراتك فجاهدها فانها عدوك من لم يعرف الخبز من الشرف فالحق به باليهام من طلب ما عند البخيل مات جوعا جارا الرجل الجواد كجوار البحر لا يخاف العطش وجار البخيل في المفازة ملك اذا لم تنفع بمصادقة الاحياء فأت أهل القبور من عادي من فوقه ابغضه من تحته الرزق مقسوم والحريص محروم من كثر كلامه على المساندة غش بظنه وابغضه أصحابه العلم زين ومنفعة والجهد شين ومضرة الجاهل يستطعم الشر والعاقل يمنع نفسه من الشر من لم يرتح للثناء فليس له نصيب في المروعة اذا كان لك جار او صديق لا يتنفع به فصوره مثله في الحائط فانه آزين للحائط واخف للأؤنة العاقل يرغب في الادب والجاهل يهرب منه العاقل اذا فاته الادب لزم الصمت لا تستنطق (٣٧٥) من تكذبه العاقل يتهم رأيه في نفسه

والجاهل يقيم على جهله من لم يملك عقله لم يملك نفسه من أظهر محاسنه ودفن مساويه كمل عقله من غلب هواه عقله افتضح من استشاره عدوه في صديقه أمر بقطيعته مصادقة الكرام غنمة ومصادقة اللئام ندامة لا تدخل على صديقك التهمة فيرجع لك عن النصيحة اذا انقطع رجائك عن صديقك فالحقه بعدوك من طاب مرضاة الاخوان بغير شيء فليصادق أهل القبور العاقل ليس في مصادقته مخادعة رأس مال الاحق الخديعة وفائدتها الغضب والحليم رأس ماله الصمت وفائدته الخلم اذا جهل عليك الاحق فالبس له سلاح الرفق واللاطف صديق كل امرئ عقله وعدوك امرئ حقه من أنزل نفسه عاقلا أنزله الناس جاهلا

والاذكار وتعتيل الحواس الظاهرة بالخلوقة والانفراد عن الخلق ما استطاع حتى تحصل له ملكة الرجوع الى حسه الباطن وروحه وينقلب رانيا وكذا سائر هاولا لتعس في كل واحد منها لون تتكيف به وعلى حسب ما نشأت الملكة عليه من جودة او رداءة تكون تلك الملكة في نفسها فذلك البلاغة العالية الطبقة في جنسها التماثل يحصل بحفظ العالي في طبقة من الكلام ولهذا كان الفقهاء واهل العلوم كلهم قاصرين في البلاغة وما ذلك الا لما سبق الى محفظهم ويمتلي به من القوانين العلمية والعبارات الفقهية الخارجية عن أسلوب البلاغة والتنازلة عن الطبقة لان العبارة عن القوانين والعلوم لاحظ لها في البلاغة فاذا سبق ذلك المحفوظ الى الفكر وكثر وتلونت به النفس جاءت الملكة الناشئة عنه في غاية القصور وانخرقت عباراته عن أساليب العرب في كلامه وهو كذا نجد شعر الفقهاء والنجاة والمنكاهمين والنظار وغيرهم ممن لم يمتلي من حفظ النبي المحرم من كلام العرب (أخبرني) صاحبنا الفاضل أبو القاسم بن رضوان كاتب العلامة بالدولة المربنية قال ذا كرت يوما صاحبنا بالعباس بن شعيب كاتب السلطان أبي الحسن وكان المقدم في البصر باللسان لعهدده فانشده مطلع قصيدة ابن النخوي ولم أنسبها له وهو هذا

لم ادري حين وقعت بالاطلال * ما الفرق بين جديدها والبالى
فقال لي على البديهة هذا شعر فقيه فقلت له ومن أين لك ذلك قال من قوله ما الفرق اذهي من عبارات الفقهاء وليست من أساليب كلام العرب فقلت له لله أبوك انه ابن النخوي وأما الكتاب والشعراء فليسوا كذلك لتخبرهم في محفظهم ومخاطبتهم كلام العرب وأساليبهم في الترسيل وانقائهم له الجيد من الكلام ذا كرت يوما صاحبنا بالعباد الله بن الخطيب وزير الملوكة بالاندلس من بني الاجر وكان الصدر المقدم في الشعر والكتابة فقلت له اجدا استصعبا على في نظم الشعر متى رمت مع بصري به وحفظي للجيد من الكلام من القرآن والحديث وفنون من كلام العرب وان كان محفظي قلب لا وانما أتيت والله أعلم من قبل ما حصل في حفظي من الاشعار العلمية والقوانين التأليفية فاني حفظت قصيدتي الشاطبي الكبرى والصغرى في القرآن وتدارست كتابي ابن الحاجب في الفقه والاصول وجمل الخونجي في المنطق وبعض كتاب التسهيل وكثير من قوانين التعليم في الخالس فامة لا محفظي من ذلك وخدش وجه الملكة التي استعدت لها بالمحفوظ الجيد من القرآن والحديث وكلام العرب فعاق القرحة عن بلوغها فنظر الى ساعة مجبها ثم قال لله أنت وهل يقول هذا الامثلك ويظهر لك من هذا الفصل وما تقر فيه سر آخر وهو اعطاء السبب في أن كلام الاسلاميين من العرب اعلى طبقة في البلاغة واذا وقعها من كلام الجاهلية في منشورهم ومنظومهم فاننا نجد سر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والمحطبة

من قنع بكذب الثناء أظهر للناس رقاغته السكوت عن الاحق جوابه السكوت يزين الاحق والكلام يشينه من استمال عليك بملسه وتحلى بقضله فلا كثر الله في الناس مثله الجواد محبوب والبخيل مبعوض اذا جلت البخيل مؤنة أبدى لك الحرمان والعداوة البخيل يمنع ما عنده ويخجل على الجواد بجوده من طلب من البخيل حاجة فهو شر منه من بذل لبخيل صاته ورفع عنه مؤنة دامت له مودته ضيف البخيل آمن من النخمة من طلب من لثيم حاجة كمن طلب السمك في المفازة عدة الكريم تقود عدة اللثيم تسويف الكريم يواسي اخوانه في دوائه واللثيم يقطعهم لا تخضع للثيم فانه لا يعطيك انما الصديق الذي يبذل لك ماله عند الحاجة ونفسه عند البلية ويحفظك عند المغيب ويتعلمك عند الرجاء اذا صادقت الوزير فلا تخش الامير من لم ينحك في الصداقة فعاده من غشك في العداوة ولا تلمه من كان

الناس عنه دسوا ولم يكن له اصدقاؤه من صادق الاخوان بالمر ككافوه بالغدر من لم يواس الاخوان في دولته خذل عنه مأمه اياك ان تبغى مودة من يحسدك فانه لا يقبل اخاك من حسدك على علمك لم يستمع حديثك الحاسد يفرح بزنتك ويعيب صوابك اذ ارايت من يحسدك ويسرك ان تسلم منه فعم عليه امورك من صبر على مودة الكاذب فهو ومنه وكل شئ شئ ومودة الكاذب لاشئ من بدالك بجهله فكافئه بحملك نعمه اول المروءة طلاقة الوجه والثانية التودد والثالثة الفصاحة الفاجر لا يبالي ما قال والورع يتعاهد كلامه من شغل مشغولا فقد اظهر ثقله من صبر على شغل سوء فقد نظر الى سخنة عينه من لم يغلب الحزن بالصبر طال نغمه من استطال على الناس بغير سلطان فليصبر على الذل والهوان لا تحقر (٣٧٦) الفقير السرى ولا ترغب في الغنى الذي من تشبه بالسرارة وغلبت عليه الدناءة فلا تتركه

من اغضبه انكرته من اغنيته اعطفته من تعرض لصاحب الدولة انقلب بهزيمة من صانع بماله لم يحشتم من طالب حاجته من صاحب الكتاب ملوه ومن عاداهم انكروه من شمع عليك بانفه وطمع بصره ولم يدخل عليك فضله فليمن عليك سلبه السفيه يقطع مودة لم تزل ويكتسب عداوة لم تكن حمل المروءة تقبل من سالم الناس غنم خذلان الجار لؤم ورجال البلاء قليل احفظ اخوانك تذل اعداءك ما أجل الصبر على ما لا بد لك منه المحروم من طال نصبه وكان لغيره شبه لا قوى أقوى من قوى على نفسه ولا عاجز اعجز ممن اعجز عنها الخير في أهله غريب ما ضعف قوة من يغالب من لا يغالب (الباب الرابع والستون) مشتمل على حكم مشورة

وجرير والقرزدي ونصيب وغيا لان ذى الرمة والاحوص وشارثم كلام السلف من العرب في الدولة الاموية وصدر من الدولة العباسية في خطبهم وترسبيلهم ومحاوراتهم للملوك ارفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنصرة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد ومن كلام الجاهلية في منشورهم ومحاوراتهم والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة والسبب في ذلك ان هؤلاء الذين ادر كوا الاسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الاتيان بمثلهما الكونها ولجت في قلوبهم ونشأت على أساليبها فوسمهم فنضت طباعهم وارقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من اهل الجاهلية عن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة وأصنى رونقا من أولئك وأرصف مبنى وأعدل ثقفا بما استغادوه من الكلام العالي الطبقة وتأمل ذلك يشهد لك به ذوقك ان كنت من أهل الذوق والتبصر بالبلاغة واقد سألت يوما شيخنا الشريف ابا القاسم قاضي غرناطة لعهدنا وكان شيخ هذه الصناعة أخذ بسببته عن جماعة من مشيختها من تلاميذ الشلوين واستبحر في علم اللسان وجاء من وراء الغاية فيه فسأله يوما ما بال العرب الاسلاميين اعلى طبقة في البلاغة من الجاهليين ولم يكن ليستنكر ذلك بذوقه فسكت طويلا ثم قال لي والله ما ادري فقلت اعرض عليك شيا أظهر لي في ذلك ولعله السبب فيه وذكرت له هذا الذي كتبت فسكت معجبا ثم قال لي يا فقيه هذا كلام من حقه ان يكتب بالذهب وكان من بعدها يؤثر محلا ويصيح في مجالس التعليم الى قولى ويشهد لي بالنباهة في العلوم والله خلق الانسان وعلمه البيان

٥٠ (فصل في ترفع اهل المراتب عن احتمال الشعر)

(اعلم) ان الشعر كان دينا للعرب فيه علومهم وحكمهم وكان رؤساء العرب منافسين فيه وكانوا يقفون بسوق عكاظ لانشاده وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل البصر للتميز حوله حتى اتوا الى المناعة في تعليق أشعارهم باركان البيت المحرام موضع حجهم وبيت ابراهيم كفاعل امر والقيس بن حجر والنابغة الذبياني وزهير بن ابي سلمى وعنصرة بن شداد وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة والاعشى وغيرهم من أصحاب المعانيات السبع فانه انما كان يتوصل الى تعليق الشعر بها من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصبية ومكانه في مضر على ما قيل في سبب تسميتها بالمعلقات ثم انصرف العرب عن ذلك اول الاسلام بما شغلهم من امر الدين والنبوة والوحى وما أدعاهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا ثم استقر ذلك واونس الرشد لمن الملة ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وأتاب عليه فرجعوا حيث نزلوا في دينهم منه وكان

اعلم ايها المر يدان الله تعالى يتحنن أنبياءه واصفيائه باعدائه ويضطر أوليائه واحبائه الى اعدائه رفة وتقريرا بالانبياء وتحميها للهفوات أوليائه وذخرا لهم عنده وزان في لديه تعظيم الاقدارهم وتشريف المنازلهم وترقية الدرجاتهم قال الله سبحانه وتعالى عزز يه لندبه محمد صلى الله عليه وسلم اعظيم ما كان يلقاه من سطوات اعدائه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ومن الجرمين يا محمد لا تستوحش منا ولا تنهمنا في سيرتنا فمن نخبه ويحينا فالبلاء على وجهين احدهما الذنب والاخر رفع درجة وتوفير اجر ولذلك كان أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالأمثل فالبلاء بلا ان بلاء لضعيف درجة ويحبص سيئة وبلوغ فضيلة وعلو منزلة وبلاء عقوبة

لهم

لاتتهالك حرمة واقتراف معصية ان تخلوا مكاره ان تكون لمحدث رجعة فلا رغبة عما أنعم الله به منها ولو سبته عن اصابة فلا غنى عن
زاجر عنها فلا ي ذلك كان حلو فاعظمت به المنة ووجبت لله به التهمة (وكان جعفر بن محمد) (٣٧٧) رضي الله عنه اذا وقع في

شئ يكرهه يقول اللهم
اجعله ادبا ولا تجعله غضبا
وفي الحديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم لو كان
اثوم في رأس جبل لقبض
الله له من يؤذيه يامن
ضاق صدره وحرج قلبه
وساء خلقه من عدو اقلقه
وحاسد حسده طيب نفسا
وقر عيننا وانعم عيشا بشهادة
الرسول لك بالايمن
وعدوك بالنفاق ينج
ان عنتها املك في الانبياء
اسوة املك في الصالحين
قدوة فلو لم نلقى الله عز وجل
من الحسنات الامما اقترفناه
اختيار اللقينا الله تعالى
فقراء من الحسنات ثقلاء
من السيئات قال الشاعر
قد ينعم الله بالملوى وان
عظمت
ويبتلى الله بعض القوم
بالنعم
قال بعض الحكماء الذي
رايتما نحب فيما نكره
أكثر مما رأيتما نحب
فما نحب وقال علي بن
أبي طالب رضي الله عنه
ما أهمنى ذنب امهات بعده
حتى أصلى ركة من
السجود قبور الاحياء
وشماتة الاعداء وتجربة
الاصدقاء وسعد الناس
من كان القضاء له مساعدا

لعمري بن أبي زيعة كبير قريش لذلك العهد مقامات فيه عالية وطبقة مرتفعة وكان كثيرا ما يعرض شعره
على ابن عباس فيقف لاستماعه محببا ثم جاء من بعد ذلك الملك والدولة العزيزة وتقرب اليهم العرب
بأشعارهم يندحونهم بها ويحيزهم الخلقاء باعظم الجوائز على نسبة الجود في أشعارهم ومكانهم من قومه
ويحرصون على استمداد أشعارهم يطالعون منها على الآثار والاعخبار واللغة وشرف اللسان والعرب
يطالبون وليداهم بحفظها ولم ينزل هذا الشأن أيام بنى أمية وصدرا من دولة بنى العباس وانظر ما نقله
صاحب العقد في مسامرة الرشيد للاصمعي في باب الشعر والشعراء تجد ما كان عليه الرشيد من المعرفة بذلك
والريخ وفيه العناية بتخاله والتبصر بحيد الكلام و رديته وكثرة محفوفة منه ثم جاء خلق من بعدهم
لم يكن اللسان لسانهم من أجل العجمة وتقصيرها باللسان وانما تعلموه صناعة ثم مدحوا بأشعارهم أمراء العجم
الذين ليس اللسان لهم طالين معروفيهم فقط لا سوى ذلك من الاغراض كما فعله حبيب والبحري والمتيني
وابن هانئ ومن بعدهم الى هلم جراف صار عرض الشـهـر في الغالب انما هو الكذب والاستجداء لذهاب
المنافع التي كانت فيه للاولين كما ذكرناه آنفا وانف منه لذلك أهل الهمم وال مراتب من المتأخرين وتغيير
الحال وأصبح تعاطيه هجينة في الرياضة ومذمة لاهل المناصب الكبيرة والله مقلب الليل والنهار

٥١ * (فصل في أشعار العرب واهل الامصار لهذا العهد) *

(اعلم) ان الشعر لا يختص باللسان العربي فقط بل هو موجود في كل لغة سواء كانت عربية او عجمية وقد
كان في القريش شعرا في يونان كذلك وذكر منهم ارسطو في كتاب المنطق او ميريس الشاعر واثني عليه
وكان في حمير ايضا شعراء متقدمون ولما فسدت لسان مضر ولغتهم التي دونت مقاييسها وقوانين اعرابها
وفسدت اللغات من بعد بحسب ما خالطها وما زجها من العجمة فكانت تحيل العرب بأنفسهم لغة خالفت
لغة سلفهم من مضر في الاعراب جملة وفي كثير من الموضوعات اللغوية وبناء الكلمات وكذلك المخضراهل
الامصار نشأت فيهم لغة اخرى خالفت لسان مضر في الاعراب واكثر الاوضاع والتصاريف وخالفت ايضا
لغة الجبل من العرب لهذا العهد وخالفت هي في نفسها بحسب اصطلاحات اهل الآفاق فلاهل الشرق
وامصار لغة غير لغة اهل المغرب وامصاره وتخالفتهم ايضا لغة اهل الاندلس وامصاره ثم لما كان الشعر
موجودا بالطبع في اهل كل لسان لان الموازين على نسبة واحدة في اعداد متحرركات والسواكن وتقابلها
موجودة في طباع البشر فلم يهجر الشعر بقدان لغة واحدة وهي لغة مضر الذين كانوا يقولوه وفرسان
ميدانه حس بما اشتهر بين اهل الخبيجة قبل كل جيل واهل كل لغة من العرب المستعجمين والمخضراهل
الامصار يتعاطون منه ما يطاوعهم في اتخاله ووصف بناءه على مهج كلامهم فاما العرب اهل هذا الجبل
المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الاعراب على ما كان عليه سلفهم
المستعربون وياتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر واغراضه من التسيب والمدح والثناء
والهجاء ويستطردون في الخروج من فن الى فن في الكلام ويربها هجوعا وعلو المقصود لاول كلامهم وأكث
ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ثم بعد ذلك ينسبون فاهل امصار المغرب من العرب يسعون هذه القصائد
بالاصعيات نسبة الى الاصمعي رواية العرب في اشعارهم واهل المشرق من العرب يسعون هذا النوع من
الشعر بالبدوي وربما يلحنون فيه الحاننا بسبب سبب لاهل طريقة الصناعة الموسيقية ثم يغنون به ويسعون
الغناء به باسم الحوراني نسبة الى حوران من اطراف العراق والشام وهي من منازل العرب البادية
ومساكنهم الى هذا العهد ولهم فن آخر كثير التداول في نظمهم يجهون به معصبا على أربعة اجزاء يخالف

(٤٨ - ابن خلدون) وكان لمساعدته اهلا غاب على الكريم من بدر اليه الشماتة لثوم عوام الناس عدة
مخاوصهم بحى القدر يسبق الخدم من سخر من شئ حاق به من غير شئ ابتلى به الخلق نهب المصائب ماذا كره الرجال تلعج لابابها

أقل ما في طلب الجملة الخروج من الاستكانة جاني العقوبة على نفسه اعظم جرما عليهم من المعاقب له عاها قرابة بغير منفعة بلية عظيمة
 النعمة متممة كفاك أدبالنفسك (٣٧٨) ما كرهته من غيرك الحجة شؤ بوب الجهل الانفة قوام السفة قل انفس لم يعقب ذلا

آخرها الثلاثة في روية ويلتزمون القافية الرابعة في كل بيت الى آخر القصيدة شبيها بالربيع والخمسة
 الذي أحده المتأخرون من المولدين وهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفيهم التحول والتأخرون
 والكثير من المنتخبين للعلوم لهذا العهد وخصوصا علم اللسان يستند بهذه القنون التي لهم اذا سمعها وبيج
 نظمهم اذا أنشد ويعتقد أن ذوقه انما بدأ عنها الاستهجانها وقد ان الاعراب منها وهذا انما أتى من فقدان
 الملكة في لغتهم فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه وذوقه بلاغتها ان كان سليما من الاوقات
 في فطرته ونظيره والا فالاعراب لا مدخل له في البلاغة انما البلاغة مطابقة الكلام المقصود ولتقتضى
 الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع الدال على الفاعل والنصب الدال على المفعول أو بالعكس وانما يدل
 على ذلك قرائن الكلام كما هو لغتهم هذه فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة فاذا عرف اصطلاح
 في ملكة واشتهر صححت الدلالة واذا باقية تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صححت البلاغة ولا عبرة
 بقوانين النحاة في ذلك وأساليب الشعر وفنونه موجودة في أشعارهم هذه ما عدا حركات الاعراب في أواخر
 الكلام فان غالب كلماتهم موقوفة الآخر ويقترب عندهم الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر بقرائن
 الكلام لا بحركات الاعراب فن أشعارهم على لسان الشريف بن هاشم يبكي الجازية بنت سرحان ويذكر
 ظنهم مع قومها الى المغرب

العادر كين لا يؤمن من
 ازدحام الكلام مضلة
 الصواب عجب لوالقري
 قبل سوء الظن والحقاق
 السبة أعجب ما في هذا
 الانسان قلبه وله مواد من
 الحكمة واضداد من
 خلافها فان سمح له الرجاء
 اذله الطمع وان هاج به
 الطمع أهلكه الحرص
 وان ملكه اليأس قتله
 الاسف وان عرض له
 الغضب اشتد به الغيظ
 وان استعد بالرضائى
 التحفظ وان ناله الخوف
 شغله الخدز وان اتسع له
 الامن استلبته الغرة وان
 حدثت له نعمة اخذته
 العزة وان امتحن بصيبة
 فضحه الجزع وان افاد
 مالا اطغاه الغنى وان عصته
 فاقته أشغله البلاء وان
 أجهده الجوع قعد به
 الضعف وان أفرط في
 الشبع كظنه البطننة فكل
 تقصير به مضر وكل افراط
 له مفسد افضل القول
 بديهة امرئ وردت في مقام
 خوف اشد الناس غما
 الذى يرى غيره في الموضع
 الذى هو فيه او لا ما اخذ
 الله طاقة احد الارفع عنه
 طاعته من العجب ان لا
 ترضى عن ابغى رضاك

قال الشريف بن هاشم على * ترى كبدى حراشكت من زفيرها
 يعزل الالام أين مارات خاطرى * يرداء لام البدوي يلقى عصيرها
 وماذا اشكات الروح مع ما طار لها * عذاب ودائع تلف الله خيرها
 بحسن قطاع عامرى ضميرها * طوى وهند جاني ذكيرها
 وعادت كما خواراة في يد غاسل * على مثل شوك الطلح عقدوا يسيرها
 تجابدوها اثنين والسنزح بينهم * على شول لعه والمعاني جديرها
 وباتت دموع العين ذارقات لسانها * شبيهه دوار السواني يدبرها
 تدارك منها الجمح ذراو رادها * مروان يجي مترا كبا من صبيرها
 لصب من القيعان من جانب الصفا * عيون ولحمان البرق في غدبيرها
 ها أيقنى منى سنا بليت غدوة * بغداد ناحت منى حتى فقيرها
 ونادى المنادى بالرحيل وشد دوا * وعرج غاربها على مستعيرها
 وشدها الادهم دياب بن غانم * على يدماضى وليد مقرب ميرها
 وقال لهم حسن بن سرحان غربوا * وسوقوا التجوع ان كان تاهو غيرها
 ويدلص وسدهسها بالتسامح * وباليمين لا يجحدوا في صغيرها
 غدرفى زمان السفة من عباس الوغى * وما كان يرمى من حمير وميرها
 غدرفى وهو زعم صديقي وصاحبى * وناليه مامن درمى ما يدبرها
 ورجع يقول لهم بلاد بن هاشم * تحمير البالد المعطشة ما يجيرها
 حرام على باب بغداد وأرضها * داخل ولا عائله من يعيرها
 فصدق درمى من بلاد بن هاشم * على الشمس او حول العظامن هجيرها
 وباتت نيران العذارى قوادح * بخر وابجرحان فيبروا أسيرها

وأعجب من ذلك ان تخط عليه زئير الاسد يشبه صولته علامة العلم العمل بالاعراض عند المذاهبة
 لا تعادوا حتى تروا لا تغروا حتى تفعلوا لا تأنفوا حتى تظلموا اوجه الشعاع برأى الساحة من لزوم الحجة والاستقامة لزمتها العبطة والسلامة
 ومن

قصص الاواين ومواظب الاخرين البحث يوضح الحق كما يورى النار القدر ليس مع الحسد سرور ولا مع الحرص راحة ولا مع السخط غناء (قال جعفر بن محمد الصادق) عجبتم لمن بلى بربع كيف يغفل عن اربع (٣٧٩) لمن ابتلى بالضر كيف يذهب عنه

ان يقول منى الضر وانت
ارحم الراحمين والله تعالى
يقول فاستجبنا له فكشفنا
ما به من ضر وعجبت لمن بلى
بالغم كيف يذهب عنه ان
يقول لا اله الا انت سبحانك
اننى كنت من الظالمين والله
تعالى يقول فاستجبنا له
ونجينا من الغم وكذلك
تنجى المؤمنين وعجبت
لمن خاف شيئاً كيف يذهب
عنه ان يقول حسبي الله ونعم
الوكيل والله تعالى يقول
فانقلبوا بنعمة من الله وفضل
لم يمسسهم سوء وعجبت
لمن مكر به كيف يذهب
عنه ان يقول واقوص
امرئ الى الله ان الله بصير
بالعباد والله تعالى يقول
فوقاه الله سمات ما مكروا
وعجبت لمن انعم عليه بنعمة
خاف زوالها كيف يذهب
عنه ان يقول ولولا اذخعت
جنتك قلت ما شاء الله
لا قوة الا بالله كذا سنة الله
سبحانه فمن صدق في
التبائنه اليه ولم يتوكل في
مهمات الاعلنه المدين
مأتمه او مذمة الذم وارد
منجاة من متلفه او قدوم
غائب بعد ان جاءت بالياس
منه الركائب واشتر المصادر
ظفر على قنوط الطيبة
مخالفة للروفة فاصبر لحق

ومن قولهم في رثاء امير زناته ابى سعد البقرى مقارعهم بافر يقيه وارض الزاب ورتاؤم له على جهة التهمك
تقول فتاة الحمى سعدى وهاضها * ولها في ظهون الباكين عويل
ايا سائلى عن قبر الزناتى خليفه * خذ النعت منى لا تكون هبيل
تراه العالى الواردات وفوقه * من الربط عيساوى بناه طويل
وله يميل الفور من سائر النقا * به الوادى شرقا والبراع ديل
ايا لهف كبدى على الزناتى خليفه * قد كان لاعتاب الجهاد سليل
قتيل فتى الهجاء ياب بن غانم * جراحه كافواه المزدان سليل
يا جاران مات الزناتى خليفه * لا ترحل الا ان يرى يد رحيل
وبالامس رحلتك ثلاثين مرة * وعشرا وستا فى النهار قليل
ومن قولهم على لسان الشريف بن هاشم يذكر عتابا وقع بينه وبين ماضى بن مقرب
تبدى لى ماضى الهجاء وقال لى * اياشكر ما احناشى عليك رضاش
اياشكر عدى مابق وديننا * ورائنا عريب عر بالابسين نماش
نحن عدينا فصادقوا ما قضى لنا * كما صادقت طعم الزناد طشاش
باعدنا يا شاكرا عدى لبرسلامه * لنجد دموم عرر بلاه عاش
ان كانت بنت سيدهم بأرضهم * هى العرب ما ردنا لمن طيشاش
ومن قولهم في ذكر رحلتهم الى الغرب وغلبهم زناته عليه
واى جميل ضاع لى فى الشريف بن هاشم * واى جميل ضاع قبلى جميلها
انا كنت انا وياه فى زهو بيتنا * عنانى كجبه ما عنانى دليلها
وعدت كفى شارب من مدامه * من الخمر هوة ما قدر من يميلها
او مثل شعظامات مضيون كبدها * غر يباوهى مدوخه عن قبيلها
اتاه زمان السوء حتى ادوخت * وهى بين عرب غافلا عن نزيلها
كذلك انا مما لم امانى من الوحي * شاكى بكبد باديا من عليها
وامرت قومى بالرحيل وبعكروا * وقووا وشدا الحوايا جميلها
قعدنا سبعة ايام محبوس نجعنا * والبدوم ما ترفع عمود قبيلها
تظل على احداث الثنايا سوارى * يضل الحرفوق التصاوى نصيلها
ومن شعر سلطان بن مظفر بن يحيى من الزاودة احدث بطون رياح واهل الرياسة فيهم يقولها وهو معتقل
بالمهدية فى سجن الامير ابى ذكريان ابى حنيفة اول ملوك افر يقيه من الموحدين
يقول وفى نوح الدجابع ذميمة * حرام على اجقان عيني منساها
ايا من لى حالف الوجد والاسى * ورو حاهما مى طال ما فى سقامها
ججارية بدوية عرب يبيسة * عداوية ولها بعين داعرماها
مولعة بالبدول تالف القرى * سوا عاب الوعسا بوالى خيامها
عمان ومشتهيا بها كل سرية * محبونة بها ولها صحب غرامها
ومر باعها عشب الاراضى من الحيا * لوانى من الحور والحلايا احسامها

وجب عليك وان خالف هو الك بهاء المجلس الشريف بالرجل الفاضل اليه بين راحة وروح العمل النافذ بالرجل المدبر كبهاء الباقوت
واللؤلؤ فى تيجان الملوك ما انور الهدى ما انظم العمى ما اكرم التقي ما اخدع الهوى ما اسرع البلا ما اجلد الصبا الجودان بهضم الروح حظ

الحسد والاسراف ان يهضم الحسد حفظ الروح والعدل ان يعطى كل واحد منهم ما حظه والشح ان تكف حطوطهم ما عنهم ما عدو يخاف الله
 فيما تذكره خير من صديق لا يخافه (٣٨٠) فيما تحب من العجب ان تطاب في صحة كل علم ما يتقنا ونكمل العلم الى الله تعالى

من غير بحث عن صحته
 لا يربك الباطل مما ترى
 به ولكن احذر ان يصدع
 عليك الحق فيشهد عليك
 عنك ووجهك من بطل
 وشاؤه بطل منحه الراغب
 فقير بقدر رغبته الحق
 يعطى ويمنع تجاوز عن
 ذنوب الناس لتحتج عليهم
 واجتنب الذنوب لتقل
 حجتهم عليك الفراغ الفاضل
 عن الجسم مقدسة الحجة
 احدي العلتين الفرق
 ينسب الحجة طاب العلية في
 كلامك وسوي بينهم وبين
 السفلة في احكامك موت
 في عزخير من حياة في ذل
 الا كفاء من كل غط
 متباغضون ما ضاع امرؤ
 عرف قدر نفسه الدعة
 الهنية تكون بعد انقضاء
 العمل لن يفارق الخير
 صاحبه حتى يفارقه خير
 الناس من تواضع عن
 روعة وعفا عن قدرة الحاسد
 يظهر وده في كلامه وبغضه
 في افعاله فاسم الصديق
 ومعنى العدو اليا يقسد
 الالانية والعجب يقسد
 عمل السيرة اذا كثرت
 القدرة قلت الشهوة من
 عرف قدره كفاك نفسه
 كفى بانظر شفيعا للاذنب
 الى الحليم لسان الجاهل

تسوق بسوق العين مما تداركت * عليهم من السحب السواري غمامها
 وماذا بكت بالما وماذا تبلطت * عيون عذاري المزن عذابا جماها
 كان عروس البكر لاحت ثيابها * عليها ومن نور الاقاصي حزامها
 فـلاة ودهنا واتساع ومنهـة * ومرعى سـوى ما في مرعى نعامها
 ومشر وبها من مخض ألبان شولها * عليهم ومن لحم الحواري طعامها
 تعاتب على الابواب والموقف الذي * يشيب الفتى مما يقاسى زحامها
 سـقى الله ذا الوادي المنجبر بالحيا * وبلا ويحيى ما بلى من رمامها
 فكافاتها بالود منى وليتني * ظفـرت بأيام مضت في ركامها
 لبالي اقواس الصباني سواـدى * اذاقت لا تخطى من أيدي سهامها
 وفرسى عديدا تحت سرجي مسافة * زمان الصـبـاسر جاو بـيدي لجامها
 ولمن رداح أسـهـرتني ولم ارى * من الخلق أبهى من نظام ابتسامها
 ولم غيرها من كاعب مرجـنة * مطـرزة الاجفان باهى وشامها
 وصفقت من وجدى عليها طريحة * بكفى ولم ينسى جـداها ذمامها
 ونار يخطب الوجهـد توهج في الحشى * وتوجج لا يطفا من الماضرامها
 أيام وعدنى الوعدـهـذا الى متى * فنى العـمر في دار عـمـاني ظلامها
 ولكن رأيت الشمس تكسف ساعة * ويغـمى عليها ثم يبرى غمامها
 بنود ورايات من السـعدا قبلت * الينا بعون الله يهـقـوعـلامها
 أرى في القلبالعين أظعان عزوتى * ورعى على كفى وسـيرى امامها
 بجر عاتق النوق من عود شامس * أحب بالاد الله عنـدى حشامها
 الى منزل بالجمـعـرية للذى * مقـيم بها مالد عنـدى مقامها
 وتلقى سراة من هـلال بن عامر * يزيل الصدا والغل عنى سلامها
 بهم تضرب الامثال شرقا ومغربا * اذا قالوا قوم اسر يبع انهم زامها
 عليهم ومن هو في حـماهم تحية * من الدهر ما غنى بقبة حمامها
 فدع ذاولا تأسف على سالف مضى * ترى الدنيا ما دامت لا حد دوامها

ومن اشعار المتأخرين منهم قول خالد بن جزرة بن عمر شيخ الكعوب من اولاد أبي الليل يعاتب اقنالم اولاد مهلهل ويحيب شاعرهم شبل بن مسكينة بن مهلهل عن أبيات فخر عليهم فيها بقومه

يقول وذا قول المصاب الذي نشأ * قوارع قيعان يعانى صـعابها
 ير يح بها حادى المصاب اذا انتقى * فنونا من انشاد القوافي عرابها
 محـبرة مختارة من نشادنا * تحدى بها تام الوشا ملتبابها
 مغرلة عن نافـدى غضونها * محكمة القيعان داني ودابها
 وهيص يتذكاري لها يا ذوى الندى * قوارع من شـبل وهذى جوابها
 اشـبل جنينان من جبالك طرائفا * فراح يرح الموجهين الغنابها
 نـفـرت ولم تقصر ولا انت عادى * سـوى قلت في جهورها ما اعابها

دليل حقه لظفر مع بنى ولا صحه مع منهم ولا ثناء مع كبر ولا صداقة مع خب من لم يعرف قدره فاكفه
 :تسبك أذى ما ردم ما خالف شهادة العقل قطع ظهري وأفسد الدين ربلان جاهل ناسك وعالم فاجر هـذا يدعو الناس الى جهله ينسبكه
 لقولك

وهذا ينقر الناس عن علمه بقسمة من قوى هو اضعف حزمه من ظهر غيظه قل كبره كفى بالنظم طارد المنفعة وداعيا للنفقة من قبل
صنك فقد باعك مروءة الهدية تقفأ عين الحكيم عفو الراي خير من استكره الفكر (٣٨١) من لم يؤمن بالقدر فقد كفر ومن
حمد الله فقد نخر ما كتب

بمثل الكبير من اسمعني
بالله افتر الناس اليه
التقصير يخلخل عن
الصواب الافراط يعجمك
في الخطا ثلاث خصال
ما اجتمعن الا في كريم حسن
المخضر واحتمال الزلة
وقلة المالة وكفى مخبرا عما
يتي ماضي وكفى عبرا
لذوى الابواب ماجربوا
التهاون بالمطء لموب اول
اسباب حرمانه الشبه ظلمة
لن يضيع امر و صواب
القول حتى يضيع صواب
العمل خير الامور ما سر
عاجله وحسنت عاقبته
لاشرف مع سوء ادب ولا بر
مع شخ ولا اجتناب محرم مع
حرص ولا محبة مع زهو
باجالة الفكر يستخرج
الراي المصيب ويحسن
التأني تدرك المطالب
وبالنصفة يكثر المتواصلون
الفاحشة عارا لا بد وعقوبة
غدا الشمانة تعقب الندامة
من سخر ابتلى قال الله تعالى
ان تسخروا منا فانا نسخر
منكم كما تسخرون اذا فقد
المنفضلون هلك المتجملون
رب صيانة غرست من
لحظة وحر جنت من
لفظة ما شاهد على غائب
بادل من طرف على قلب

لقولك في أم المؤمنين بن حمزة * وحامى حماها عا ديا في حرايها
أما تـ لم انه قامها بعد ماتي * رصاص بن يحيى وعلاق دابها
شهابا من اهل الامرياشبل خارق * وهل رأيت من جالو غنى واصطلى بها
شواهد طقاها أضرمت بعد طقيه * وأثنا طقاها حاسرا لا أهابها
واضرم بعد الطقية من التي صحت * نهاسا الى بيت المنايفة دى بها
كما كان هو يطلب على داجنيت * رجال بنى كعب الذى يتى بها
وليداعا تابتوا أنا أغنى لاني * غنيت بعلاق الشنا واغتصابها
على وناذفغ بها كل مبضع * بالاسيا فنتاش العدا من رفاها
فان كانت الاملاك بغت عرايس * علينا باطراف القنا اختصابها
ولا نقرها الارهاف ودبل * وزرق السبايا والمطايار كباها
بتي عننا ما رضى الذلعة * سير كالسنة الحناش انسلابها
وهى عالمابان المنيا تقيها * بلاشك والذنياسريع انقلابها

ومنها في وصف الظعائن
بظعن قطوع البيد لا تخشى العدا * فتون بحربات مخوف جناها
تري العين فيها اقل لشبل عرائف * وكل مهاة محتظيا ربابها
تري أهلها غرض الصباح أن يقها * بكل حلوب الجوف ماسد بابها
لها كل يوم في الارامى قنائل * وور الفاجر المزوح عفو اصبابها
ومن قولهم في الامثال المحكمية

وطلبك في المنوع منك سفامة * وصدك عن صدعك صواب
اذاريت ناسا يغلقوا عنك بابهم * ظهـ وور المطايا يفتح الله باب
ومن قول شبل يذكر انتساب الكعوب الى برجيم

فشايب وشباب من اولاد برجيم * جميع البرايا تشكى من ضهادها
ومن قوله يعاتب اخوانه في موالاته شيخ الموحدين ابي محمد بن تافرا كين المستبد بجباية السلطان بتونس
على سلطانها مة كقولة ابي اسحق ابن السلطان ابي يحيى وذلك فيما قرب من عصرنا
يقول بلا جهل فى الجود خالد * مقالة قول وال وقال صواب
مقالة حيران بذهن ولم يكن * هريجا ولا فيما يقول ذهاب
تهجست معناها بها لا الحاجة * ولا هرج ينقاد منه معاب
ولبت بها كبدى وهى نعم صاحبه * خزينة فكر والحزين يصاب
تقومت بادى شرها عن ما رب * جرت من رجال فى القبيل فراب
بنى كعب أدنى الاقرب بين لدننا * بنى عم منهم شايب وشباب
جرى عند فتح الوطن من البعضهم * مصافاة ود واتساع جناب
وبعضهم ملناله عن خصمه * كما يعلموا قولى يقينه صاب
وبعضهم وعمره من بعض ملنكا * ضرابا وفى حرا الظهير كتاب

شر المال لا يتفق منه أفضل المال ما صير به العرض وبالافصال تشرف الاقدار الذى يكون سببا لفساد نفسه اذ لمن يفسده عدوه
اودهره لا تعدن ودبعة مالا المشهورة رقى البحر يص كليب يعبر على الانسان اللسان وعلى المودة العينان لا شرف اعلى من الاسلام ولا كرم

أعلى من التقوى ولا شفيح اعنى من التوبة أولى الناس بامر من حافظ عليه الخبر موضوع لمن أرادته موثوق لمن عمل لله الرغبة ثم مفتاح
الطالب ومطية الحسرة المحرص داع (٣٨٢) الى الحرمان التنقل بالحسنة ينفى السببة المكافأة بالسببة دخول فيها البغى سابق

و بعضهم و جانا بحجاس - سميت * خواطر منا للنزير و هاب
و بعضهم و نظار فينا بسوة * تقهناه حتى ما عناه ساب
رجح ينتهي مما سمعنا قبيحه * مرارا وفي بعض المراتب هاب
و بعضهم و ساشي من اوغاد قادر * غلق عنه في احكام السقايف باب
فصعنا عنه و اقتضى منه مورد * على كرهه مولى البسالى و دياب
ونحن على دافى المدان طلب العلاء * له م ما حططنا للفقير نقاب
و خزنا حى وطن بترشيش بعدما * نقهنا عليها سبما ورقاب
ومهم من الاملاك ما كان خارج * على احكام والى امرها ناب
بردع قروم من قروم قبيلنا * بنى كعب لا واهال الغريم وطاب
جرينا بهم عن كل تأليف فى العدا * وقنا لهم عن كل قيد مناب
الى ان عاد من لا كان فيهم مبهمة * ربيها و خيرا ته عليه نصاب
و ركبو السبايا المثلثات من أهلها * ولبسوا من انواع الحجر برثياب
وساقوا المطايا باشر الانسواله * جواهر ما يغلو بها بحلاب
و كسبوا من اصناف السعايا دائر * ضخم الخزات الزمان تصاب
و عادوا نظير البرمكيين قبل دا * والا هلالا فى زمان دياب
و كانوا لنا درعا لكل مهمة * الى ان بان من نار العدو شهاب
خبلوا الدار فى جنح الظلام و لا تقوا * ملامه و لا دار الكرام عتاب
كسوا الحى جلاب البهيم لسيره * وهم لودر و البسوا قبيح جباب
لذلك منهم حابس مادار القنا * ذهل حلى ان كان عقله غاب
يظن ظنه ونا ليس نحن باهلها * تنى يكن له فى السماح شعاب
خطاهو و من و اتاه فى سوطانه * بالاثبات من ظن القبائح عاب
فواعزوتى ان الفتى بو محمد * وهو بلا لاف بغير حساب
و برحت الاوغاد منه و يحسبوا * بروحه ما يحيى بروح سحاب
جروا يطلبوا تحت السحاب شرائع * لقاوا كل ما يستأملوه سرايب
وهو لوعطى ما كان للرأى عارف * ولا كان فى قلة عطاء صواب
وان نحن مانس تاملوا عنه راحة * وانه باسهم التلاف مصاب
وان ما و طار شيش بضياق وسعها * عليه ويمشى بالقز و ع لزاب
وانه منها عن قريب مقاصل * خروج عناز هو الهما و قباب
وعن فانتات الطرف بيض غوانج * وروا خلف استار و خلف حجاب
يتيه اذا تاهوا و يصعبوا اذا صبروا * بحسن قوانين و صوت رباب
يضلوه من عدم اليقين و ربما * يطرح حتى ما كانه شباب
هم حازله زمه و طوع أو امر * ولذة ما كول و طيب شراب
حرام على ابن تافرا كين ما مضى * من الودال ما بديل بحراب

الى الحين اصلاح الرعية
أنفع من كثرة الجنود وحق
المذموم التائب وحق
المرحوم المعونة من الجهل
والجفاء اظهار الفرح عند
المخزون المخزون يحمد
على الفرح ويشكر المكتئب
من ظل السلامة تدب افاعى
الاتات اعظم الناس
قدرا من لم يجعل الدنيا
لنفسه قدرا ما حدث محدث
بدعة الاترك بها سنة
عزائم الامور خيارها
ومحدثاتها شرارها الملك
يكسب من انفاقه والعامه
تنفق من تكسبها من افنى
عمره فى جمع المال مخافة
العدم فقد أشلم نفسه
للعدم (قال الشاعر)
ومن ينفق الساعات فى
جمع ماله
مخافة فقر فالذى فعل
الفقر

من لم يقدر على جمع
القضاء فليكن فضائله
ترك الرذائل اذ لم تكن
للمتصلح فلا تكن ذبابا
تفسد اسه تصالح بعض
العدو افضل من اهلا كه
من سعادة المرء ان يطول
عمره و يرى فى عدوه ما يسره
خير المكتب ما اذا أعاد
قارئه النظر فيه زاد حسنه
أو وقف على خيره أثقل

الاجمال من اتسمت مروءته وقلت مقدرته استحقى من الله بقدر قر به من عقلك واطعه بقدر حاجتك اليه وحقه وان
بقدر قدرته عليك واعصه بقدر نصيرك على النار واعمل للدينا بقدر بقائك فيها واعمل للاخرة بقدر مقامك فيها الملك ينفق ليكتسب

والعامة تكتسب لتتفق الطاعة به - در الفاقية بحش زوال النعم اذا زال معها التجر - مل اولى الامور بك اوجبه عليك الدنيا العاقبة والشباب العجوة اذا قبل الامراسر به واذا ادبر صرح اذا عدل السلطان ملك قلوب (٣٨٣) الرصبة واذا جارم يملك منهم الالرباه

والتصنع الصدقة من سعة
 وابدأ بمن تعول اذا أضرت
 النواقل بالفرائض تركت
 النواقل وقدمت الفرائض
 قدر الرجل على قدره منه
 وصدقته على قدر عمره
 وشجاعته على قدر انفته
 وعفته على قدر غيرته
 من اطاع الواشي ضيع
 الصديق ومن جعل لنفسه
 حظا من حسن الظن روح
 قلبه شر مالك ما لم تكن اثم
 مكتسبه وحرمت منفعة
 انفاقه رب مغبوط بليته
 قامت بوا كيه في آخرها
 لا تخرج خبير من لا يرجو خيرا
 ولا تأمن بجانب من لا يأمن
 جانبه لك تارك الطلب
 ضجرا أرحى للعودة من
 تاركه خورا ثمرات الشهوات
 الخنازى المخصوصة تمرض
 القلب أعم الاشياء نفعها
 فقد الأشرار من استكنفي
 الكفاة كفي الاعداء خير
 مالك ما اغناك وخير
 منه ما وقلك صولة الكريم
 سلمية ذنب أسد خير من
 رأس كلب بجمهة العير
 يقدي حافر الفرس من
 استبد برأيه خفت وطأته
 على اعدائه انما لك من
 دنياك ما أصلمحت به
 مثواك من أمن الزمان
 خانه ومن تعزز عليه اهانه

وان كان له عقل رجب وفطنة * يلجج في اليم الغريق غراب
 وأما الب - دال ابدها من فباعل * كبرالى أن تبقى الرجال كباب
 ويحسى بها سوق علينا س - لاعه * ويحماره ووصوف القنا وجعاب
 ويسى غلام طالب رجب ملكا * ندوما ولايمسى صحح بناب
 أياوا كلين الخ - بز تبغوا ادا - ه * غاطتوا ادمتوا في السعوم لباب
 ومن ش - مر على بن عمر بن ابراهيم من رؤساء بني عامر لهذا العهد أحد بطون زغبة يعاتب بنى **المتطاولين**
 الى رياسته
 محبرة كالدرفي بدصانع * اذا كان في سلك الحر يرتظام
 اباحها منها فقهه أسباب ماضى * وشاء تبارك والضعفون تسام
 غدا منه لام الحى حين واتشفت * عصاها ولا صيداعه حكام
 ولكن ضميرى يوم بأن بهم الينا * تبرم على ش - وك القناديرام
 والا كبراص التهامى قوادح * وبين عواج الكافات ضرام
 والالكان القلب في يد قابض * أناه - م من شار الق - طيح غشام
 لما قلت سمان شقا البين زارنى * اذا كان ينادى باله - راق وفخام
 أليار بوع كان بالامس عامر * يحيى وحله والقطين لماس
 وغيدتداني لافطافى ملاعب * دحى الليل فيهم ساه - ر ونيام
 ونعم يشوف الناظر بين التعامها * لنا ما يدان من مهرق وكظام
 وعردبها سها ليدعو لسر بها * واطلاق من شرب المها وانعام
 واليوم ما فيها سوى اليوم حولها * ين - وح على اطلال لها وخيام
 وقنابها طوطا ولا نسالها * بعين سخية قا والدموع سحاجام
 ولاصح لي منها سوى وحش خاطرى * وسقمتى من أسباب ان عرفت او هام
 ومن بعد ذاتدى منصور بوعلى * سلام ومن بعد السلام س - لام
 وقولوا له يا بوالوفا كلح رايبكم * دخلتم بحج - و رغامات دهام
 زواخر ما تنقاس باله - ود انما * لها س - ليات على الفضاوا كام
 ولاقتس - تمواقها قياسا يدلكم * ولبس البج - و راطاميات تعام
 وعانوا على ه - كاتكم في ورودها * من الناس عدمان العقول ائام
 أبا عزوة ركبوا الضلالة واللام - م * قرار ولا دنيا لمن دوام
 الاعنائه - مو لوترى كيف رأيتهم * مثل سرور فلاه ماله من تمام
 خلو القنا وبقوا في مرقب العلا * مواضع ما هباله - م مقام
 وحق النبي والبيت واركانه الذي * وما زارها في كل دهر وعام
 لبر اللبالي فيه ان طالت الحيا * يذوقون من نخط الكساع مدام
 ولابرها تبقى البوادي عوا كف * بكل ردني مطرب وحسام
 وكل مسافة ك السداياه عابر * عليهم امن اولاد الكرام غ - لام
 وكل كبيت يكتنه ص - عض نابه * يظل بصارع في العنان لجام

كالمجبب أن تكون المرأة أضوا من الناظر فيها فكذلك يجب ان يكون المؤدب أفضل ممن يؤدب من ترك العمل بما ينبغي عومل بما لا ينبغي ليس في الشراسة ولا في الخطا قدوة ان تكون لله ناصحا حتى تحب عدوك اذا اطاع الله في عداوته وتقلع عما

عاداك عليه وتبعض وليك اذا عصي الله في موالاتك وتترع عما والاك عابه لا تكن على الاساءة اقوى منك على الاحسان الشقي من
جمع لغيره وضيق على نفسه (٣٨٤) شر اخلاق الكريم أن يمنع خيره من كانت الاخرة رأس ماله كانت الدنيا ربحه ومن كانت

وتحمل بنا الارض العقيمة مدة * وتولدنا من كل ضيق كظام
بالابطال والقود الهجان وبالقتنا * لها وقت وجنات البدور زظام
أتجهد دني وانا عقب دنة ودها * وفي سن رمحي للحروب ع-لام
ونحن كاضر اس المواقف بنجهم * حتى يقاضوا من ديون غرام
متى كان يوم القحط يا ميرا بوعلى * ياتي سعايا صاير من ق-دام
كذلك بوجه والى اليسر ابغته * وخلي الجباد العالميات تسام
وخلي رجالا لا يرى الضيم جارهم * ولا يجهم وابدهي الع-دو زمام
الا يقية مومها وعقد بثوسم * وهمم عذرة عده دائئا ودوام
وكم نار طعنها على البدو سابق * ما بين صحاصيح وما بين حسام
فتي نار قطار الص-وى يومنا على * لنا ارض ترك الطاعة من زمام
وكم ذاليجيب واثرها من غنية مة * حليف النبا سماع كل غيام
وان جافا جفوه الملوك ووسعوا * غدا طبعه يجدي عليه قيام
عليكم سلام الله من لسن فاهم * ما غنت الورقا وناح حزام
ومن شعر عرب بنو اسحق حوران لامرأة قتل زوجها فبعثت الى اخلاقه من قيس تعريهم بطاب تاره تقول
تقول فتاة الحى أم-س-لامه * بعين اراع الله من-لارثي لها
تبيت بطول الليل ما تالف الكرى * موجه مة كان الشقا في مجالها
على ماجرى في دارها وبوعيا لها * بلحظة عين البين غي-رحالها
فقد تاوى شهاب الدين يا قيس كلهم * وفتواعن أخذ النار ما دامقالمها
أناقات اذا ورد الكتاب يسرفي * ويبرد من نيران قلبي ذبالها
اياحين تسريح الذوائب واللحى * وببيض العذارى ما جيت وواجهها

(الموشحات والازجال للاندلس)

وأما أهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهدبت مناخيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث
المتأخرون منهم فنامنهم سموه بالموشح ينظمونه أسماط اسماط واغصانا اغصانا يكثرون منها ومن
اعار بضها المختلفة ويسمون المتعد منها بيتا واحدا ويلتزمون عند قوافي تلك الاغصان واوزانها امتثالبا
فيما بعد الى آخر القطعة واكثر ما تنتهي عندهم الى سبعة أبيات ويشتمل كل بيت على اغصان عددها
بحسب الاغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد وتجاروا في ذلك الى الغاية
واستظرفه الناس جملة الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه وكان المخترع لها يجزي برة الاندلس
مقدم بن معاقر الفربري من شعراء الامير عبد الله بن محمد المرواني واخذ ذلك عنه ابو عبد الله احمد بن
عبدربه صاحب كتاب العقد ولم يظهر لهم ما مع المتأخرين ذكر وكسدت موشحاتهما فكان أول من برع في
هذا الشأن عبادة الغزاز شاعر المعتصم بن صمداح صاحب المرية وقد ذكره في الاصل البطل يوسى انه سمع ابا بكر
ابن زهير يقول كل الوشاحين عيال على عبادة الغزاز فيما اتفق له من قوله
بدرتم * شمس ضحا * غصن نقا * مسك شم
ما تم * ما اوضحا * ما اورقا * ما انم
لاجرم * من لحا * قد عشقا * قد حرم

الدنيا رأس ماله كانت
الاخرة خسارته أفضل
العلم وقوف الرجل عند
علمه أفضل المال ما قضت
به الحق وق البدع فخاخ
محبوة قد عاقت عليها
ألفاظ ظاهرة رجاء العامة
أمنية على ضلالة ورجاء
الخاصة يقين على ثقة
القليل من الملك كالكثيرة
من غيره عطاء الملوك زينة
وسؤلهم شرف وفي الامثال
جاور بجرا أوملا كما اذا
كذب السفير بطل التدبير
أخبث الازمنة زمن
لا يميز فيه الصواب لا تعطوا
في الفضول ما حقت العجز
عن الحق وق الاذان أقصاع
تؤدى والقلوب قوابل
تعي من أحب أن يسمى
داهيا لم يظهر دعاه لادليل
أهدى من التوفيق الحلاء
البلاء من عرض نفسه
للتهم فلا يلومن من أساء به
الظن المحقق في العلم
المدارسه اذ كاه للهمم
المقايسة احياء الفطن
استدم النعمة بالشكر
والقدرة بالعفو والطاعة
بالتأليف والنصر بالتواصل
لله والرحمة للخلق استقلال
الكثير تعرض للتغيير
ثلاثة أشياء تدل على
صقول أربابها الكتاب يدل

على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديها المحكم على العقول حاكم
كالمبر ولم يحكمها المحكم كالنجر به من عاب سقالة فقد رفعه ومن عاب سيدا فقد وضع نفسه احق الناس أن يؤمن على الدنيا أهل الاخرة
وزعوا

صح من صحته سريره وسقم من سقمته ظواهره بالكلية يعرف فضل العلم قبل كماله رسول يعرف قدر المرسل ملك أموركم الدين
وعصمةكم التقوى وزينتكم الأدب وحصن أعراضكم الحلم إذا أعطيت ما لترضى قارض (٣٨٥) بما أعطيت كلما ازداد الخير

كثرة كان الخارج منه أشد
حسرة وبقدر السموي
الرفعة تكون وجبة الوقعة
الابقاء على العمل أشد من
العمل من التوقي ترك
الافراط في التوقي وتورث
الحزنة والذمام سنة في
المروءة كما ان ورائه التركة
فريضة في الديانة لا تمدح
أمرأبا أكثر من قدره
فتكون مهينا لنفسك
كذبا على غيرك لا تفرح
بسقطه عدوك فانك
لا تدري متى يحدثها الزمان
بك من الجفاء الكلام في
الأمر الجسيم من غير مشاورة
أكثر الناس مخادعة لنفسه
في أمر جسده عند الحاجة
وفي أمر ماله عند الشهوة
وفي أمر دينه عند الشهوة
المصائب بغتات العاقل
المدبر أرجح من الاحق
المقبل أشرف الصنائع ما لم
يكن مكافأة لماض ولا
رجاء لباقي أرض النظر ثم
كافئة وآانس الملهى ثم
استمع منه لم تكن غواية
ولا هداية الا واليهما سائق
وعنهما أنا كص احسانك
الى الحر يجرضه على المكافأة
واحسانك الى الخسيس
يعتبه على معاودة المسئلة
ليس يتحن الاديب بان
يكون فاعلا للخير انما يتحن
بان يكون تاركا للخير من

وزعموا انه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمن الطوائف وجاء مصليا خلفه منهم ابن
ارفع راس شاعر المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة قال لو قد أحسن في ابتدائه في موثقتي التي طارت له
حيث يقول العود قدرتم * بابتدع تلحين * وسقت المذائب * رياض البساتين
وفي انتهائه حيث يقول

تخطروا ولا تسلم * عسالك المأمون * مروع الكئاب * يحيى بن ذى النون
ثم جاءت الحلبه التي كانت في دولة الملتين فظهرت لهم البدائع وسابق فرسان حلبتهم الاعمى الطليطلى ثم
يحيى بن بتي ولطليطلى من الموشحات المهدية قوله

كيف السبيل الى * صبرى وفي المعالم اشجان
والركب في وسط الفلا * بالحد والنواعم قدبان
وذكر غير واحد من المشايخ ان أهل هذا الشأن بالاندلس يذكرون ان جماعة من الوشاحين اختلفوا في
مجلس باشبيلية وكان كل واحد منهم اصطنع موشحة وتأنق فيها فتقدم الاعمى الطليطلى للانقاد فلما
افتتح موشحته المشهورة بقوله

صاحك عن بجان * سافر عن در * ضاق عنه الزمان * وحواه صدري
صرف ابن بتي موشحته وتبعه الباقيون وذكر الاعمى البطليوسى انه سمع ابن زهير يقول ما حسدت قط وشاحا
على قول الابن بتي حين وقع له

أما ترى أجد * في مجده العالى لا يلحق * أطاعه الغرب * فازانامه يامشرق
وكان في عصرهما على الموشحين المطبوعين أبو بكر الابيض وكان في عصره ما أيضا الحكيم أبو بكر بن
باجة صاحب التلاحين المعروفة ومن الحكمايات المشهورة انه حضر مجلس مخدومه ابن تيقوليت
صاحب سرقسطه فالتقى على بعض قينانه موشحته

جر الذيل أيماجر * وصل الشكر منك بالشكر
فطرب الممدوح لذلك فلما ختمها بقوله

عقد الله راية النصر * لامير العلاءى بكر
فلما طرق ذلك التلحين سمع ابن تيقوليت صاح واطرب باه وشق ثيابه وقال ما أحسن ما بدأت وما ختمت
وخالف بالايمن المغظة لا يمشى ابن باجة الى داره الاعلى الذهب خفاف الحكيم سوء العاقبة فاحتمل بان
جعل ذهبا في نعله ومشى عليه * وذكروا الخطاب بن زهير انه جرى في مجلس أبي بكر بن زهير ذكرا لابي بكر
الابيض الوشاح المتقدم الذي كرفعص منه بعض الحاضر بن فقال كيف تغص عن يقول
مالذي شرب راح * على رياض الاقح * لولا هضم الوشاح * اذا أسى في الصباح
أوفى الاصيل * أضحى يقول * مالمشمول * اطمت خردى
وللشمال * هبت فالى * غصن اعتدال * ضمه بردى
ما اباد القلوبا * يمشى لنا مسترنا * بالحظه رديوبا * وبالماء الشنبيا
برد غليل * صب غليل * لا يستحيل * فيه عن عهدى
ولا يزال * فى كمال حال * يرجع والوصال * وهـ وفى الصد
واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين محمد بن أبي الفضل بن شرف قال الحسن بن دويد رأيت حاتم

(٤٩ - ابن خلدون) صنع معك خيرا فاضعه له والافلا تجزان تكون مثله الاشرار يتبعون مساوى الناس وبقولون
من محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع الثقلة من الجسد ويدع صحبته الظرف فطنة ما زجتها عبادة مع حذر وتوق فاذا خلت القطنه من

التوفى فصاحبها لا يستمتع به أهل المروعة وادخلت القطنة من العبادة وقارنتها فصاحة فصاحبها غير طيب الظرف الالفاظ التي يرتفع عنها أهل الجلالة من المخاضين (٣٨٦) في باطن الدنيا والمترفين في ظاهرها الحال (وسمعت القاضي) أبا العباس البحراني رحمه الله

بالبصرة يقول أول من
نطق بهذه الكلمة عمر بن
المخاطب رضي الله عنه
وذلك أنه أتى بسارق فقال
له أسرفت قل لا فقال الرجل
لا فقال عمر أنك لظريف
جهد البلاء الاقلال والعمال
ينبغي للعالم ان يتطامن
للجاهل بقدر ما رفعه الله
عده العقل أفقر الى
الحكمة والادب من الجسد
الى الطعام والشراب أعظم
الناس غمًا من زالت نعمته
و بعثت شهوته وضائق
مقدرته قلة العيال أحد
الناس من معالجة الموجود
خير من انتظار المفقود من
عدم الحياء عند الفضيحة
والصبر عند النصيحة سهلت
عليه المعاصي كما العالم مثل
السراج من مر به اقتبس
منه من تقدم بحسن
النية نصره التوفيق
ان تكون لله ناصح حتى
تحب أن يكون عدوك
مطيعا من آذى الناس
بلاسلطان كان مصيره
الى الهوان مادحت عما
ليس فيك مخاطب لغيرك
فجوابه وثوابه ساقدان
عندك المكر والخديعة
في النار الاحداث تأتي من
على مامنه يؤتى الحذر
المأكول للبدن والموهوب
للماد والمخفوظ للعدومن

ابن سعيد على هذا الافتنا
وابن مهران وس الذي له
وابن مهران وس الذي له
شمس قاربت بدرا * راح وسديم
بالدلة الوصل والسعود * بالله عودي
مال العبد في حلة وطاق * وشم طيب
وانما العبد في التلاقي * مع الحبيب

وأبو اسحق الرويني قال ابن سعيد سمعت ابا الحسن بن سهل بن مالك يقول انه دخل على ابن زهير وقد أسن
وعليه زى البادية اذ كان يسكن بحصن استيه فلم يعرفه فجلس حيث انتهى به المجلس وجرحت المحاضرة
فانشد لنفسه موشحاً وقع فيها كحل الدجى يجرى * من مقلة الفجر * على الصباح
ومع صم النهر * في حلال خضر * من البطاح
فتحرك ابن زهير وقال أنت تقول هذا قال اخترت قال ومن تكون فعرفه فقال ارتفع فوالله ما عرفتك قال
ابن سعيد وسابق الحبة التي أدركت هؤلاء أبو بكر بن زهير وقد شرفت موشحاته وغربت قال وسمعت
ابا الحسن سهل بن مالك يقول قيل لابن زهير لوكيل لك ما أبدع وأرفع ما وقع لك في التوشيح قال كنت
اقول

مالا له وله * من سكره لا يقى * باله سكرانا
من غير حجر * مال الكئيب المشوق * يندب الاوطانا
هل تستعاد * أيا منى بالخليج * وليا لينا
أونس تغاد * من النسيم الاريح * مسك دارينا
وادي كاد * حسن المكان البهيج * أن يحيينا
ونهر ظله * دوح عليه أنه يقى * مـ ورق فينان
والماء يجرى * وعاييم وغري يقى * من جنى الريحان
واشتهر بعد ابن حيون الذي له من الزجل المشهور وقوله

تفوق بينهم كل حيين * بما سبب من بدوعين
علقت ملج علمت رامى * فليس يخل ساع من قتال
ويعمل بذى العينين منامى * ما يعمل فينا بذى النبال

واشتهر معهما يومئذ بغرناطة المهر بن القرس قال ابن سعيد ولما سمع ابن زهير قوله
لله ما كان من يوم بهيج * بنهر حص على تلك المروج * ثم انعطفتا على فم الخليج
نقض في حانه مسك الختام * عن مسجد زانه ضافي المدام * ورد الاصيل ضمه كف الظلام
قال ابن زهير كان نحن عند هذا الرداء وكان معه في بلده مطرف * أخبر ابن سعيد عن والده ان مطرفا هذا
دخل على ابن القرس فقام له وأكرمه فقال لا تفعل فقال ابن القرس كيف لا أقوم لمن يقول
قلوب مصائب * بالحفاظ تصيب * فقل كيف يبقى بلا وجد
وبعد هذا ابن جرهمون بمرسية * ذكر ابن الراسين ان يحيى الخزرجي دخل عليه في مجلسه فأنشده موشحاً
لنفسه فقال له ابن جرهمون لا يكون الموشح موشحاً حتى يكون عارياً عن التكاف قال على مثل ماذا قال على
سئل قولى
ياهاجرى هل الى الوصال * منك سبيل
أوهل ترى عن هو الكسالى * قلب العليل
وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة قال ابن سعيد كان والدى يحب بقوله

فضب على من لا يقدر على غمه عذب نفسه واشتد غيظه اطلب ما يعينك واترك ما يعينك فان في ترك ما يعينك ان
درك ما يعينك من اذكى الاشياء لعدوك انك ترى به انك لا تعاديه كل آت قريب الاستغناء عن الشيء خير من الاستغناء به ومن خير خبر ان

شع بالمطر لا يخرق زولا ولا يثني فيما لا يثني شر العيوب وما كان معينا على العيوب شر الذنوب ما كان عليه للذنوب أبلغ الرسل الكتب
حاول الامور بالنصحة وانا زعيم الملك بالظفر من اراد جلالا لتهدمه الايام فليحجب (٣٨٧) المروعة والصبابة فها ذروة الشرف

رب أمره ما بعده من سبق
الملك كان له صقوه من
شر وط المروعة التغابن
للضعيف المروعة ترك
الريبة يكاد استقضاء القوى
على الضعيف أن يكون
ظلمها يكاد استيقاض الغنى
من الضعيف أن يكون
جورا القرآن ظاهره أنيق
وباطنه عميق أوله حكم
وآخره علم المخادثة على
الطعام تزيد في الشهوة
وتذهب الخشمة وتزيل
الانقباض لن تنال ما تحب
حتى تصبر على كثير مما
تكره ولن تنجو مما تكره
حتى تصبر عن كثير مما تحب
ذهاب البصر خير من كثير
من النظر لا تعد العزم
عزما إذا ساق غمام الرأى
الاول الوهم النظرة بعد
النظرة تعقب لما قبلها
وتزيد لما بعدها ليس
مدح الرجل بما فيه تركية
أنعم الناس من كفى أمر دنياه
ولم يهجمه دينه الغريب من
فقد اخوانه ونظرائه وان
كان في وطنه الغريب من
لا صدق له الغريب
الفقير الغريب الاحق
الغريب من لا ناصر له
شيان لا يستحي العاقل
منهما المرض وذو القرابة
الفقير من كانت الدنيا

ان سبل الصباح في الشرق * عاد بحرق في اجمع الافق * فتداعت نوابد الورق
أتراها خافت من الغرق * فبكت سحرة على الورق
واشتهر بأشيلة لذلك العهد أبو الحسن بن الفضل قال ابن سعيد عن والده سمعت سهيل بن مالك يقول
يا ابن الفضل الملك على الوساخين الفضل بقولك
واحسرنا الزمان مضي * عشية بان المهوى وانقضى * وأفردت بالرغم لا بالرضى
وبت على جرات الغضى * أعانق بالفكر تلك الطلول * وأثم بالوهم تلك الرسوم
قال وسمعت ابا بكر بن الصابوني يشد الاستاذ ابا الحسن الزجاج وشحاته غير مامرة فما سمعته يقول له لله
درك الا في قوله
قمة ما المهوى لذى حجر * مائليل مشوق من فجر
نجد الصبح ليس بطرد * مائليل فيما أنظن غد * صحح بالليل انك الابد
أو قطعت قدام النسر * فنجوم السماء لا تسرى

ومن موثقات ابن الصابوني قوله
ما حال صبذي ضني واكتئاب * مرضه يا ويلتاه الطبيب
عام له محبة وبه باجتناب * ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب
جفاجفة وفي النوم لكنتي * لم أبكك الالفقه والخيال
وذا الوصال اليوم قد غرني * منه كما شاء وساء الوصال
فلسنت باللائم من صدني * بصرة المحق ولا بالمثل
واشتهر بين أهل العدة ابن خلف الجزائري صاحب الموشحة المشهورة
يد الا صباح قد قدحت * زناد الانوار * في مجامر الزهر
وابن هزر الجباني وله من موشحة نغرا زمان موافق * حياك منه بائسام
ومن محاسن الموشحات للتأخر بن موشحة ابن سهل شاعر اشيلية وسبقة من بعدها فنما قوله
هل درى ظبي الحمى أن قد حى * قلب صب حله عن مكس
فهو في نار وضيق مثل ما * لعبت ربح الصبا بالقبس
وقد نسج على منواله فيا صاحبا الوزير ابو عبد الله بن الخطيب شاعر الاندلس والمغرب لعصره وقد مر
ذكرة فقال

جادك الغيث اذا الغيث هما * با زمان الوصل بالاندلس * لم يكن وصلك الاحلما
في الكرى أو خلسة المختلس * اذ يقول الدهر أسباب المني * تنقل الخطو على ما ترسم
زما بين فرادى وثي * مثل ما يدع ولوفود الموسم * والحيا قد جلال الروض سنا
فسنا الازهار فيه تبسم * وروى النعمان عن ماء السماء * كيف يروى مالك عن أنس
فكساه الحسن ثوبا معلما * يزدهى منه باهسي ملبس * في ليال كنت سمر المهوى
بالدجى لولا شموس القدر * مال نجم الكاس فيها وهوى * مستقيم السير سعد الاثر
وطرما فيه من عيب سوى * انه مر كلعج البصر * حين لذ النوم منا أو كما
هجم الصبح نجوم الحرس * غارت الشهب بنا أو ربما * أثرت فينا عيون البرجس
أى شيء لا مرى قد خلاصا * فيكون الروض قد كثر فيه * تهب الازهار فيه القرصا

سبب صلته فانها سبب قطيعته فاحذر ان تجعلها أو سيطا بينك وبين احد علامه الاشرار ان من خالطهم لا يسلم منهم ومن تركهم لا يصرفوا
شرفهم عنه وأما الاخبار فن خالطهم ربح عليهم ومن خالطهم ترك رشده البر ثلاثة الصدق في الغضب والجود في العسر والعفو عند القدرة

من عتب على الزمان طالعت معتبه سنساق الى كل ما أنت لاق اذا صاحب الارتداد الرشاد وجد المراد ما أعتق من الذم من ملكه الجهل ولا ظفر بالعزم من احتمال ما في المعصية (٣٨٨) من الذل ولا خرج من الدناقة من صرف جميع عقله الى الدنيا أخو الظلماء مريب

المسئلة آخر المسئلة ما عد
من أهل الحجى من كان
من أهل الهوى ولا كان
من أهل التقى من حاد عن
سبيل الهدى من ذم أدنى
الاحسان لا امتناع أقصاه
لم يحمده شأ منه من دواعى
الملكه اضاعة المعرفة
وأعجب لمن بنى داره وجده
يهدم وإن يبرم أمور الدنيا
وأموره في نفسه تخذل قال
على رضى الله عنه من لم
يكن معنا كان علينا
والساكت أخو الراضى
الساكت للعالم كمن لا علم له
أهو غرير واثق فيه
بالصواب المرء مخبوء تحت
لسانه قيمة كل امرئ
ما يحسن العلم بما في المصيبة
من الثواب ينسى المصيبة
شرم المصيبة سوء الخلق
منها الحكمة ربيع القلوب
المخوضمة تكشف العورة
وتورث المعرفة بلا المؤمن
من عاقبة كالنار حرقها
من نورها قد يكون اليأس
إدرا كما إذا كان الطمع
هلا كما من لم يرفع نفسه عن
قدرا الجاهل رفع الجاهل
قدره عليه الذلة مع القلة
تجموع الحيرة ولا تأكل
بتديها موت عاجل خبر
من ضنى أجل الغضب
عند المناظرة منساة للحجة

أمنت من مكره ما تنقيه * فإذا الماء تناجى والحصا * وخلا كل خليل باخيه
تبصر الورد غيورا بدما * يكتسى من غبطة ما يكتسى * وترى الآس لبيبا فهما
يسرق الدمع بادنى فرس * يا أهيل الحى من وادى الغضى * وبقلبي مسكن أنتم به
ضاق عن وحدى بكر حب الفضا * لا أبالى شرقه من غربه * فاعيدوا عهد أنس قدمضى
تقذوا عائدكم من كربه * واتقوا الله واحبوا مغرما * يتلاشى نفسا فى نفس
حبس القلب عليه كم كرها * افترضون خراب الحبس * وبقلبي فيكم ومقرب
باحاديث المنى وهو بعيد * قرأطلع منه المغرب * شقوة المغررى به وهو سعيد
قد تساوى محسن أو مذنب * فى هواه بين وعد ووعيد * ساحر المقله معسول الامى
جال فى النفس مجال النفس * سد السهم وسعى ورمى * بقوادى نهبة المفترس
ان يكن جار وخاب الامل * وفؤاد الصب بالشوق يذوب * فهو للنفس حبيب أول
ليس فى الحب محبوب ذنوب * أمره معتمل عمتل * فى ضلوع قد راها وقلوب
حكم المحظ بها فاحتكما * لم يراقب فى ضعاف الانفس * ينصف المظلوم عن ظلما
ويجازى البر منها والمسى * مالمعنى كلما هبت صبا * عاده عيده من الشوق جديد
كان فى اللوح له مكنة * قوله ان عذابى لشديد * جلب الهم له والوصيا
فهو للاشجان فى جهده يد * لا عجم فى أضلعي قد أضرما * فهى نار فى هشم البس
لم تدع من مهجتي الا الذما * كبقاء الصبح بعد الغلس * سلمى يا نفس فى حكم القضاء
واعمرى الوقت برجعى ومتاب * واتركى ذكرى زمان قد مضى * بين عني قد تقضت وعتاب
واصر فى القول الى المولى الرضى * ملهم التوفيق فى أم الكتاب * الكريم المنتهى والمنتهى
اسد السرح و بدر المجلس * ينزل النصر عليه مثل ما * ينزل الوحي بروح القدس
وأما المشاركة فالتكاف ظاهر على ما عانوه من الموشحات ومن احسن ما وقع لهم فى ذلك موشحة ابن سنا
الملك المصرى اشهرت شرقا وغربا وأولها

يا حبيبي ارفع حجاب النور * عن العذار
تنظر المسك على الكافور * فى جلتار

كللى يا سحبت تيجان الربى بالحملى * واجعلى سوارها من عطف الجدول

ولما شاع فن التوشيح فى أهل الأندلس واخذ به الجمهور وسلاسته وتميق كلامه وترصيع اجزائه نسجت
العامه من أهل الامصار على منواله ونظمه وافى طريقته بغتهم المحضرية من غير ان يلتزموا فيها العربا
واستحدثوه فناسموه بالزجل والتزموا النظم فيه على مناحيهم الى هذا العهد فخاؤا فيه بالغرائب واتسع فيه
للبلاعة مجال بحسب لغتهم المستحمة * وأول من ابدع فى هذه الطريقة الرحلية ابو بكر بن قرمان وان
كانت قبيلت قبله بالاندلس لكن لم يظهر حلاها ولا انسبكت معانيها واشتهرت وشاقتها الا فى زمانه وكان
له هذا المثلثين وهو امام الزجالين على الاطلاق قال ابن سعيد ورايت أرحاله مروية بيغدادا كثيرا رايها
بحواضر المغرب قال وسعدت ابا الحسن بن جندرا الاشبلى امام الزجالين فى عصرنا يقول ما وقع لاحد من أئمة
هذا الشأن مثل ما وقع لابن قرمان شيخ الصناعة وقد خرج الى منتره مع بعض اصحابه فجلسوا تحت عريش
وامامهم تمثال اسد من رخام يصب الماء من فيه على صفايح من الحجر مدرجة فقال

الاختصار أثبت لانتسكهم وأفهم للسامع الكتاب فى المحاضرة ينبج الضيف ويدفع الزائر ويرد السائل
والكتاب فى البادية يعين صاحب وينذر بالضيف ويدفع السارق لا تغتر بقول الجاهل المان فى يدك لؤلؤة وانت تعلم انها بكرة
وعريش

مثل الصلابة مع سائر العادات مثل السفينة مع جميع من فيها ان سلمت سلم الكل وان اصبحت اصبحت الكل الحب والبغض فتنة
طالب المطمع حزم وطلب الماؤ بس عجز قد ينظر المنطق من يعني به اذا فسد الزمان (٣٨٩) كسدت الفضائل وضرت

ونفقت الرذائل ونفقت
وصار خوف المومرا أكثر
من خوف المعسر لقاء اهل
الحجر عمارة القلوب لا يصيد
الكثير من لا يصيد لنفسه
الواحدة بالعمى بل يحسن
المنطق وبالقوة يتم العمل
الفكرة مرآة من أعظم الناس
من قل ماله وكثر محبته
الادب مع العقل كالشجرة
المثمرة والعقل بلا ادب
كالرجل العقيم المساءلين
من القول والقلب أقسى من
الحجر وقد ينلم المساءل الحجر اذا
كثر اخذاره عليه أشد الاشياء
اخفاء العاقبة أولى الناس
بالرحمة عالم يجرى عليه حكم
جاهل لم يرغب من شهد رايه
ولم يقن من بقى أثره ولم يميت
من خلد علمه وقد سبق
المثل ليس بهال من ترك
مثل مالك كما انه قبيح اذا
ركبنا الخيل أن تجرى بنا
حيث أرادت دون أن
نديرها كذلك قبيح أن
يجرى البدن والنفس
بالعقل حيث أرادت من
الشهوات اشق الامور
معرفة المرء بنفسه عائب
الاجتمع عليه محجوج ليس
شي من البر الا ودونه عقبة
من الصبر ضرب الانسان
عاري باق وتورم مظلوب

وعر يش قد قام على دكان * بحال رواق
واسد قد ابتلع ثعبان * في غناط ساق
وفتح فيه بحال انسان * فيه الفواق
وانطلق يجرى على الصفاح * واتى الصباح
وكان ابن قرمان مع أنه قرطبي الدار كثر ما يتردد الى اشبيلية ويبيت بنهرها فاتفق أن اجتمع ذات يوم
جماعة من اعلام هذا الشأن وقد ركبوها في النهر للتمزح ومعهم غلام جميل الصورة من سروات اهل البلاد
وبيوتهم وكانوا مجتمعين في زورق للصيد فظهروا في وصف الحال وبدأ منهم عيسى البلدي فقال
يطمع بالخلاص قلبى وقد فاتو * وقد ضوع عشقو بسهم ماتو
تراه قد حصل مسكن جلاتو * فقلنى ولذلك أمره عظيم صاباتو
فوحش الجفون الكحل اذا عاتو * وذيك الجفون الكحل ابلا تو
ثم قال ابو عمرو بن الزاهر الاشبيلي
نشب والهوى من لح فيه ينشب * ترى اش كان دعاه يشقى ويتعذب
مع العشق قام في مالو يلعب * وخلق كثر من ذا اللعب ماتو
ثم قال ابو الحسن المقرئ الداني

نهار ملج تعجبنى اوصافو * شراب وملاح من حولى طافو
والمعلمين يقولوا بصفافو * والنورى أخرى بملة لاتو
ثم قال ابو بكر بن مرتين
الحق يريد حديث تعالى عاد * في الواد الحجر والمنزه والصاد
تنزه حيان ذلك الذى يصاد * قلوب الورى هي في شبيك كاتو
ثم قال ابو بكر بن قرمان اذا شعرا كما ويرميها * ترى النور يرشق لذيك الجيها
وليس مراد وان يقع فيها * الا ان يقبل يديداتو
وكان في عصرهم بشرق الاندلس محلف الاسود وله محاسن من الرجل منها قوله
قد كنت مشوب واخمشيت الشيب * وردنى ذا العشق لامر صعب
يقول فيه حين تنظر الخد الشريف الهيب * تنتهى في الحجر الى ماتتى
يا طالب الكيمياء عني هي * تنظر بها الفضة ترجع ذهب
وجاءت بدم حلبة كان سابقها مدغيس وقعت له العجائب في هذه الطريقة فن قوله في زجله المشهور
ورذاذ دق ينزل * وشعاع الشمس يضرب فترى الواحد يقضض * وترى الاخر يذهب
والنبات يشرب ويسكر * والغصون ترقص وتطرب وترى تجي ينسا * ثم تسبحي وتهرب
ومن محاسن أزجاله قوله

لاح الضياء والنجوم جيارى * فقم بنا نزع الكسل * شربت ممزوجا من قراعا
أحلى هي عندي من الامل * يامن يلنى كما تقلد * قل ذلك الله بما تقول
يقول بان الذنوب بولد * وأنه يفسد العقول * لارض الحجاز يكون لك أرشد
اش ما ساقك لذا الفضول * مرأنت للحج والزيارا * ودعنى في الشرب منهمل

(قبل الحكيم) هل للغضب مادة تحسسه قال نعم ان يعلم الانسان انه ليس يجب أن يكون مطاعا ابدا ولا يجب أن يخدم ابدا ولا يجب أن
يحتمل خطوه ابدا ولا يجب ان يصبر عليه ابدا بل قديطبع ويخدم ويتحمل الخطا ويصبر على النوايب فاذا عقل ذلك لم يغضب وان

تضيق فقام السعيد من وعظ بعيره والثقي من وعظ بنفسه لا تنفع كثرة العلم لمن لا يعمل كما لا ينفع ضوء الشمس لمن لا يضر رضى
بالذل من كسفت ضربه بترك التورع (٣٩٠) وأزرى بنفسه من استشعر الطمع البدع فخوخ يسترها زخرفة الكلام وخذع المال

من ليس لوقدره ولا استطاعا * النية أبلغ من العمل
وظهر بعده مؤلا بأشبهه ابن جدر الذي فضل على الزجالين في فتح مبورقة بالزجل الذي أوله هذا
من عاندا التوحيد بالسيف يحق * أنا يرى ممن يعاندا الحق
قال ابن سعيد انتم ولقيت تليذه المعجم صاحب الزجل المشهور الذي أوله
يا ليتني ان رأيت حبيبي * أقبل اذ نوب الرسيلا ليس اخذ عنق الغزيريل * وأسرق فم الحبيلا
ثم جاء من بعدهم أبو الحسن سهل بن مالك امام الادب ثم من بعدهم لهذه العصور صاحبنا الوزير أبو عبد
الله بن الخطيب امام النظم والنثر في الملة الاسلامية من غير مدافع فن محاسنه في هذه الطريقة
امزج الاكواس واملا لي تجدد * ما خلق المال الا أن يمدد
ومن قوله على طريقة الصوفية وينحومنحي الشترى منهم
بين طلوع ونزول * اختلطت بالغزول * ومضى من لم يكن * وبقى من لم يزول
ومن محاسنه أيضا قوله في ذلك المعنى

البعدينك يا بني اعظم مصابي * وحين حصل لي قربك نسيت قرابي
وكان لعصر الوزير ابن الخطيب بالاندلس محمد بن عبد العظيم من أهل وادي آش وكان اماما في هذه
الطريقة وله من زجل يعارض به مدغيس في قوله * لاح الضياء والنجوم حيارى * بقوله
حل المحجون يا أهل الشطارا * مذ حلت الشمس بالحل * جددوا كل يوم خلاعا
لا تجعـلوا اسمها ميل * اليها يتخلعوا في سبيل * على خضـورة ذلك النبات
وصل بغداد واجتياز النيل * احسن عندي في ذيك الجهات * وطاقتها اصلح من اربعين ميل
ان مرت الريح عليه وجات * لم يلبث في الغبار امارا * ولا عـدا ما يكـتـحل
وكيف ولا فيه موضع رفعا * الا ويسرح فيه النحل

وهذه الطريقة الزجلية لهذا العهد من العامة بالاندلس من الشعر وفيها نظمهم حتى انهم لينظمون بها
في سائر البحور الخمسة عشر لكن بلغتهم العامة ويسمونه الشعر الزجلي مثل قول شاعرهم
لي دهر بعشق جفونك وسنين * وأنت لاشفقة ولا قلب يلين
حتى ترى قلبي من اجلك كيف رجح * صنعة السكة ما بين الحدادين
الدموع ترشش والنار تلتهب * والمطارق من شمال ومن يمين
خلق الله النصراري للجزو * وأنت تغزوني قلوب العاشقين
وكان من المجدين لهذه الطريقة لأول هذه المائة الاديب ابو عبد الله اللوسى وله من قصيدة يمدح فيها
السلطان ابن الاجر

طل الصباح قم يا نديمي شربوا * ونضحكو من بعد مناظر بو * سديكة العجبر أحلت شفقنا
في ملبق الليل وقوم قلبو * ترى غبارا خالص أبيض نقي * فضة هو لكن الشفق ذهبو
وسكرو سكتوا عند البشر * نور الجقون من نورها تكسبو * فهو النهار يا صاحبي لأعاش
عيش الفتى فيه بالله ما أطيبو * والليل نصلا للقبيل والعناق * على سرير الوصل يتقبلو
جاد الزمان من بعدما كان بحيل * واش ككلمته من ير به عقربو * كما جرع مر وفيما قدمضى
يشرب بسواه ويا كل طيبو * قال الرقيب يا ادبالاش ذا * في الشرب والعشق ترى تحببو

وتعجبوا
استعان في امره بغير الله لم يزل مخذولا من خاف من فوقه خافه من تحته ومن لم يخف من فوقه لم يخفه من
ذونه ما تحسنه وما عمل به تغيرك نوره وعليك بوره واغجاب المن بخنار المذلة في طلب ما يقنى على العز في طلب ما يقنى من حذر ككن بشرك

الناس في الدنيا بالاخوان
وفي الاخرة بالاعمال صديق
الرجل عقله وعدوه حقه
من اجتمعت اليه النعمة
أديمت له الرغبة تحفظ
الاحق من كل شيء الامن
نفسه لاجود الامسال ولا
صداقة الا بوفاة ولا فقه الا
بورع العليل الذي يشتهى
أرجى من الصحب الذي لا
يشتهى قلوب الرجال
وحشية فن تألفها أقبلت
عليه اجعلوا بينكم وبين
الحرام ستره من الحلال لقاء
الرجل اخلاعه مسلاة لهم
من لم يصلح على تدبير الله لم
يصلح على تدبير نفسه
والاحلام فرح وهم كاذب
والعامل بها كالمعمد على
الظل الزائل الدنيا دول فسا
كان منها لك أتاك وما كان
عليك لم تقو على دفعه
العافية خير من الواقعة
الكريم لا يستحي من اعطاء
القليل العفاف زينة الفقير
الكرم حسن القناعة واللؤم
سوء التفاؤل اختلاف كلام
المزهد ليل على ميل الهوى به
من حق النعمة أن يرى
أثرها من كان شبعه في
الطعام لم يزل جائعا ومن
كان غناه في المال لم يزل فقيرا
ومن كان قصده بخواجه
الحاق لم يزل محروما ومن

الشقيح جناح الطالب اذا اقبلت الدنيا عليك فانفق منها فانها الاتقي واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها الاتقي قال الشاعر
 فانفق اذا اسرت غير مقتر وانفق على ما خلت حين تعسر فلا الجود يعني المال والمحظ مقبل * (٢٩١) ولا الجخل يبق المال والمحظ مدبر

وانغيره

لا يتجلن بدنيا وهي مقبلة
 فلن يضربها التبذير
 والسرف
 وان توات فاحرى ان تجود
 بها
 فالشكر منها اذا ما ادبرت
 خلف

الغريب في كل مكان
 مظلوم من سلك الخذار من
 العثار لم يجرا كب القصد
 عجايب الليم يستجمل الفقر الذي
 منه هرب ويغوته الكرم
 الذي اتاه يطلبه فعميش في
 الدنيا عيش الفقراء
 ويحاسب في الاتحة حساب
 الاغنيا من يطل ذيله يكثر
 ويله (وقال على رضي الله
 عنه) ما يظل فعل الله
 ينتطق به غمك خير من
 سمين فترك ان احببت ان
 لا يقولك ما تشتهي فاشته
 ما يمكنك من قصد اسهل
 ومن اسرف او عر القصد
 اخو الحمام شر السير المحققة
 بوى لنفسك في الخالص
 مجلس الا يقصر بك ولا تقام
 عنه اقطع الشرم من صدر
 غيرك يقطع من صدرك
 وازجر المسمى بما تابة المحسن
 لكي يرغب في الاحسان لن
 يهلك من مالك ما وعظك
 الخلاف يهدم الرأي خير
 الناس لغيره خيرهم لنفسه

وتعجبوا عذالي من ذا الخبر * قلت يا قوم مما تتعجبوا * يعيش ملج الارقيق الطباع
 علاش تكفروا بالله اوت كتبوا * لبس يريح المحس الاشاعر اديب * يقض بصر وويدع ثبوا
 اما الكاس فخرام نعم هو حرام * على الذي ما يدري كيف يشربوا * ويد الذي يحسن حسابه ولم
 يقدر يحسن الفاظ ان يجلبوا * واهل العقل والفكر والمجون * يغفر ذنوبهم لذان اذنبوا
 ظلي بهي فيها يطفى الحجر * وقلبي في حجر الغضى يلبسوا * غزال بهي ينظر قلوب الاسود
 وما لهم قبل النظر يذهبوا * ثم يحيمهم اذا ابتم ضحكوا * ويفرحوا من بعد ما يندبوا
 فويم كالخاتم وتعر نقي * خطيب الاممة للقبل يخطبوا * جوهر ومرجان اي عقدا يافلان
 قد صدقه الناظم ولم يتقبوا * وشارب اخضر ير يد لاش يريد * من شبهه بالمسك قد عيبوا
 يسيل دلال مثل جناح الغراب * ليلالي هجرى منه يستغربوا * على بدن ابيض بلون الحليب
 ما قد طارعى للغنم يجلبوا * وزوج هندات ما علمت قبلها * ديك الصلياريت ما اصلبوا
 تحت العكا كن منها خصر ارقب * من رقت ويخفي اذا تطلبوا * ارق هو من ديني فيما تقول
 جدي بدعتك حق ما كذبوا * اى دين بقالى معاك واى عقل * من يتبعك من ذا وذا تلبوا
 تحمل ارداف ثقال كالرقيب * حين ينظر العاشق وحين يرقبوا * ان لم ينفس غدر او ينقشع
 في طرف ديسا والبشر تطلبوا * يصير اليك المسكان حين تجبوا * وحين تعيب ترجع في عيني تبوا
 محاسنك مثل خصال الامير * او الرمل من هو الذي يحسبوا * عماد الامصار وفضيح العرب
 من فصاحة لفظه يتقربوا * بحمل العلم ان فردو العمل * ومع بديع الشعر ما كتبوا
 في الصدور بالريح ما طعمته * وفي الرقاب بالسيف ما ضربوا * من السماء يحسد في اربع صفات
 فن يعد قلبي او يحسبوا * الشمس نور والقرم همتموا * والغيث جود والنجوم منصوبوا
 يركب جواد الجود ويطاق عنان * الاغنيا والجنه حين يركبوا * من خلعتو يلبس كل يوم بطيب
 منه بنات المعالي تطيبوا * نعمتمو تظهر على كل من يحبه * قاصد ووارد قط ما خيبوا
 قد اظهروا الحق وكان في حجاب * لاش بقدر الباطل بعد ما يحسبوا * وقد بنى بالسرر كن اتقى
 من بعد ما كان الزمان خربوا * تخاف حين تلقاه كتر تحببه * فمع سماحة وجهه وما اسبوا
 يلقي الحروب ضاحكا وهي عابسه * غلاب هو لاشي في الدنيا يغلبوا * اذا جمد سيقه ما بين الردود
 فليس شئ يغني من يضربوا * وهو سمي المصطفى والاله * للسلطنة اختاروا واستخبوا
 تراه خليفة امير المؤمنين * يقود جيوشه ووزين موكبوا * لذي الامارة تخضع الرؤس
 نعم وفي تقبيل يديه يرغبوا * بيته بقي بدور الزمان * يطالعوا في الجود ولا يغربوا
 وفي المعالي والشرف يبعدوا * وفي التواضع والحيا يقربوا * والله يقيمهم ما دار الفلك
 واشرفت شمسها ولاح كوكبوا * وما يغني ذالق الصدى في عروض * يا شمس خدر ما للمسامع بو
 ثم اسعدت اهل الامصار بالغرب فنا آخر من الشـ عرفي اعار بض خردوجة كالموشع نظموا فيه بلغتهم
 الحضرة ايضا وسعوه عروض البلاد وكان اول من استحدثه فيهم رجل من اهل الاندلس نزل بقاس يعرف
 بابن عمير فنظم قطعة على طريقة الموشع ولم يخرج فيها عن مذاهب الاعراب مطلعها
 ابيكاني بشاطى النهـ ر نوح الحمام * على الغصن في البستان قريب الصباح
 وكف البحر يحوم مداد الظلام * وماه الذي يجري بثغر الافاح

احسان الله مكة ورعند من اصبح مصر اعلى ذنب مستور بصير التخلق خلقا بالاجتهاد والاعتقاد الحجر الغصب في البنيان رهن على الخراب
 وبما شرف شارب المساء قبل ربه راي انفع من مال وخرم اوق من رجال من استوعب الحلال تاقت نفسه الى الحرام من ذم الزمان لم

يحمد الاخوان بنقلب الاحوال تعلم جواهر الرجال من عرف الزمان لم يحتج الى ترجمان من عرف الايام لم يغفل عن الاستعداد رسولك
ترجمان عقلك الطاعة غنيمه الاكياس (٣٩٢) عند تقريظ العاخر كلما اشتد الظلام حسن ضوء السراج الثناء بما كثر من الاستحقاق

ملقى والتقصير عن
الاستحقاق عني او حسد
أولى الناس بالرجة من
احتاج اليها فخرهما من لم
يدرك قدر البلدية لم يرحم أهلها
كفالك أدباً لنفسك ما كرهته
لغيرها محالسة الاحق غرر
والقيام عنه ظفر لا تسأل علم
يكن فان في الذي كان
شغل البنجل جامع مساوى
العيوب وهو فزام يقاد به الى
كل سوء اذا صح القاب وضح
العمل كان التوفيق احراز
العواقب بالاجتهاد
والاجتهاد اربح بضاعة
التوفيق خير قائد لكل
العمل التوفيق من ترفق في
استتمام الحظ من البغية
أدرك وبلغ مقاربه الناس
في اخلاقهم أمن من
غوائلهم لا تنظر الى احد
بالموضع الذي رتبته فيه
زمانه ولكن انظر اليه بجمته
في الحقيقة فانها مكانه
الطبيعي ابعده الناس سقرا
من سافر في طلب أخ صالح
ليست البركة من الكثرة
ليكن الكثرة من البركة
(وقال دواد عليه السلام)
ان كان ماترى من الجهل
يعظ اذن يكثر الجهل
ويطول غمك (قول
لبرزج هجر) ما لكم لا تعاتبون
الجهلة قال لانما ترى من

باكرت الرياض والطل فيها فقراف * سر الجواهر في نحر وور الجوار
ودمع النواعر ينهرق انهرق * يحساكي تعابين حلقمت بالثمار
لو وبالغصون خلفال على كل ساق * ودار الجميع بالروض دور السوار
وايدي الندى تحرق جيوب الكلام * ويحمل نسيم المسك عنهارياح
وعاج الصببا يطلى بمسك الغمام * وجر النسيم ذبلوا على ما وفاق
رايت الحمام بين الورق في الغصيب * قد ابليت ارياشو بقطر الندى
تنوح مثل ذلك المسهام الغريب * قد اتف من توبوا الجديدي في ردا
وامكن بما أجرو ساق وخصيب * ينظم سلكه جوهرو وينقل دا
جلس بين الأغصان جلسة المسهام * جناح تو سد والتوى في جناح
وصار يشكي ماني القواد من غرام * منهاضم مقاره لصدده وصاح
قلت يا حمام احرمت عيني المهجوع * اراك ما تزال تبكي بدمع صفوح
على فرخ طار لي لم يكن لو رجوع * بلادمع نبي طول حياتي تنوح
كذاهو الوفاء وكذا هو الزمام * انظر حنون صارت بحال الجراح
وانتم من بيكي منكم اذا تم عام * يقول عناني ذال بكاء والنواح
قلت يا حمام لو خضت ببحر الضنى * كنت تبكي وترثي لي بدمع هتون
ولو كان بقلبك ما بقلبي انا * ما كان يصير تحنك فروع الغصون
اليوم تقاسي المهجر كم من سنا * حتى لا سبيل جعله تراني العيون
ومما كسا جسمي التحول والسقام * اخفاني تحولى عن عبون اللواح
لو جنتي المنايا كان يموت في المقام * ومن مات بعد يا قوم لقد اسعراح
قال لي لو رقدت لا وراق الرياض * من خوفى عليه ودال نفوس للفقواد
وتخضت من دمعي وذاك البياض * طوق العهد في عنق ليوم التناد
اماطرف منقاري حديثواستفاض * باطراف البلاد والجسم صار في الرماد

فاستحسنه اهل قاس وولعوا به ونظموا على طار بقتة وتر كوا الاعراب الذي ليس من شأنهم وكثر سماعه
بينهم واستفعل فيه كثير منهم ونوعوه اصنافا الى المزدوج والكارى والمعبدة والغزل واختلقت اسمها واما
باختلاف ازدواجها واولا حظاتهم فيها فن المزدوج ما قاله ابن شجاع من فحولهم وهو من أهل نازا
المال زينة الدنيا وعز النفوس * يهني وجوها ليس هي باهيا
فها كل من هو كثير الفلوس * ولوه الكلام والتربة العاليا
يكبر من كثر مالو ولو كان صغير * ويصغر عزير القوم اذ يفتقر
من ذابنطبق صدرى ومن ذابصير * يكاد ينقع لولا الرجوع لاله قدر
حتى يلتجى من هو في قوهو كبير * لمن لا اصل عندو ولا لخطر
لذا ينبغي يحزن على ذى العكوس * ويصيح عليه توب فراش صافيا
الى صارت الاذنب امام الرؤس * وصار يستفيد الواد من الساقيا

العميان أن يبصروا العشق مرض نفس فارغة لاهمة لها اجالة القكرة واستغراج الفطنة تتبع الاساءة
بالذم وتبوع الندم بالاقلاع الامن البراءة وكثرة الصديق بالتواضع وأعم الاشياء نفعا فقد الاشرار من يذر عداوة حصدا مة السهنة
ضعف

للساء غفلة ولا رجال غفلة (قال المسيح) دليه السلام ما حل من لم يضرب عند الجهل وما قوة من لم يزد الغضب وما عبادة من لم يتواضع للرب
 سبحانه عبادة النوكى الجبى في غير وقت والجلوس فوق القدر اذا وقعت الضرورة ارتفعت المشورة (قيل للحكيم) اخرج لهم من قلبك قال
 ليس باذنى دخل من اغتر بحاله قصر في احتياله اياكم وطلب الامر من غير وجهه افيعنيكم (٣٩٣) طلبوا ولا تدر كوا حظامها هبته

الزال تورث الحصر (قيل
 للحكيم) لاي شئ تزوجت
 امرأة دمية وانت وسيم قال
 اخترت من الشر اقله (وقيل
 للحكيم) ما تقول في الزواج
 قال لذته شهر وهم دهر فتنه
 عالم الى ابليس خير من
 غواية الف جاهل تخي
 المعاتب ولا تخي المعاذير
 الموالة في الاسلام بمنزلة
 الخاف في الجاهلية سيف
 الجاهل للحكمة شريف
 لهم عند أهل الفضل لان
 الجاهل منسوب الى
 فعله وكما ان الحكيم يتألم
 بحديث الجاهل كذلك
 الجاهل يتألم بسمع
 الحكمة اغنى الناس عن
 الخدم من عظم قدره عن
 الخاذاة الكبرى المهمة من
 الرجال من كان عنف
 الناصح عنده اطف موقعا
 من ملق الكاشح ان كانت
 الجود هي الخطوظفا
 بال الحرص وان كانت
 الامور ليست بدائمة فبال
 السرور وان كانت الدار
 غدارة فبال الطمأنينة
 (وقال الشعبي) ما رأيت الله
 سبحانه وتعالى اعطى عباده
 أجل من الحلم (وقال عمر
 ابن الخطاب) رضى الله

ضعف الناس على ذل وفسد ذل الزمان * ما يدروا على من يكثر واذا العتاب
 اللى صار فلان يصبح با بوفلان * ولو رأيت كيف برد الجواب
 عشنا والسلام حتى رأينا عيان * أنفاس السلاطين في جلود الكلاب
 كبار النفوس جدا ضعف الأسوس * هم ناحيا والنجس في ناحيا
 بروا أنهم والناس بروهم تيوس * وجوه البلد والعمدة الراسيا
 ومن مذاهم قول ابن شجاع منهم في بعض مردوجاته
 تعيب من تبع قلبه واملح ذا الزمان * اهمل يافلان لا يلبس الحسن فيك
 مامنهم مملح عاهد الاوخان * قليل من عليه تجسس ويحبس عليك
 يهبوا على العشاق ويمتعهوا * ويستعمدون تقطيع قلوب الرجال
 وان واصلوا من حينهم يقطعوا * وان عاهدوا خنوعا على كل حال
 مملح كان هو يتوشت قلبى معو * وصبرت من خدى لقد موعنا
 ومهدت لومن وسط قلبى مكان * وقلت لقلبي اكرم لمن حبل فيك
 وهون عليك ما يعتربك من هوان * فلا بد من هول الهوى يعتربك
 حكمة توا على وارضت بوامير * فلو كان يرى حالى اذا بصرو
 يرجع مثل درحولى بوجه الغدير * مردية ويتعطس بحال الخروا
 وتعلمت من ساعاب ببق الضمير * ويفهم مرادوقبل ان يذكرو
 ويحتل في مطلو ولو ان كان * عصر فى الربيع اوفى اللبالي يربك
 ويمشى بسوق كان ولو باصهان * وايش ما يقل يحتاج يقل لو يحبك
 حتى أتى على آخرها وكان منهم على بن الماؤذن سلمان * وكان لهذه العصور القريفة من فحولهم بز رهون
 من ضواحي مكناسة رجل يعرف بالكيف ابدع في مذاهب هذا الفن ومن أحسن ما ملق له بمحموظلى
 قوله في رحلة السلطان ابى الحسن و بنى مرين الى افريقية يصف مزيمتهم بالقيروان ويعزبهم عنهما
 ويونسهم بما وقع لغيرهم بعد ان عيهم على فزاتهم الى افريقية في ملعبه من فنون هذه الطريقة يقول
 في مقتهها وهو من ابدع مذاهب البلاغة في الاشعار بالمقصود في مطلع الكلام وافتتاحه ويسمى براعة
 الاستهلال
 سبحان مالك خوار الامرا * ونواصيها في كل حين وزمان
 ان طعناه عطقه هم لنا قسرا * وان عصينا عاقب بكل هوان
 الى ان يقول في السؤال عن جيوش المغرب بعد التخاص

كن مرعى قل ولا تكن راعى * فالراعى عن رعيته مسؤل
 واستفتح بالصلة على الداعى * للاسلام والرضا السنى المكمول
 على الخلفاء الراشدين والاتباع * واذا كرههم اذا تحب وقول
 أجباجا تحللوا الصحرا * ودواسرح البلاد مع كان
 عسكرفاس المنيرة الغرا * وين سارت بو عزائم السلطان

(٥٠ - ابن خلدون) عنه خمس من لم تكن فيه فلا ترجه اثنى من أمر الدنيا والاخرة من لم تعرف الوثيقة في أرومته والدمانة
 في خلقه والكرم في طبعه والنبل في نفسه والتحاقر عند ربه (قال عبد الله بن حمدون) كنت مع المتوكل لما خرج الى دمشق فركب يوما
 الى رصافة هشام بن عبد الملك فنظر الى قصورها ثم خرج فرأى ديارا قد يسهانك حسن البناء بين مزارع وأنهار وان شجرة قد دخله فبينما

هو يطوف اذ بصبر برقعة قد الصقت في صدره فامر بقلعها فاذا فيها هذه الايات ايامنزل بالدير اصبح خاليا * تلاعب فيه شمال ودبور
كانك لم يسكنك بيض او انس * ولم يتجتر في فنائك حور
اذ البسوا ادراعهم فعوا بس * (٣٩٤) وان لبسوا يجانهم فبدور على انهم يوم اللقاء ضراغهم * وانهم يوم التوال بجور

ليالى هشام بالزصافة قاطن
وفيك ابنه يادير وهو امير
اذ العيش غض والحلافة
لذة

وانت طرب والزمان غريب
ورضك مرتادونورك مزهر
وعش بني مروان فيك نصير
بلى فسقك الغيث صوب

سجائب

عليك لما بهد الروح بكور
تذكرت قومي فيكم فبكيتم
بشجوة ومثلي بالبكاء جدير
فعزيزت نفسي وهي نفس
اذ اجري

لما ذكر قومي انه لغير
لعل زمانا جار يوما عليهم
لهم بالذي تهوى النفوس
يدور

فيقرح محزون وينعم بانس
ويطلق من ضيق الوفاق
اسير

رويدك ان الدهر يتبعه غد
وان صروف للدائر تدور
فلما قرأها المتوكل ارتاع
وتظير وقال اعوذ بالله من
شرا قدره ثم دعا صاحب
الدير فسأله عن كتبها فقال
لا علم لي به واما الكتب
وصفاتم افتجل عن الوصف
ولقد احسن ابن الجهم
في قوله

سهر اذا جالسته كان مسلما

اجاجا بالنسي الذي زرتهم * وقطعت لو كلاكل البيدا
عن جيش الغرب حين يسالك * المتلوف في افريقيا السودا
ومن كان بالعطايا يزودكم * ويدع برية الحجاز زغدا
قام قل للسد صادف الجزرا * ويججز شوط بعد ما يختمان
ويزف كردوم وتهب في العبرا * اى ما زاد عز الهمة سبحان
لو كان ما بين تونس الغربا * وبلاد الغرب سد السد كندر
مبنى من شرقها الى غربا * طبقا بحديد او ثانيا بصقر
لا بد الطيران تجيب نيا * اويأتى الريح عنهم بفر دخير
ما عوصها من امور وماشرا * لوتقرا كل يوم على الديوان
لمحرت بالدم وانصدع حجرا * وهوت الخراب وخافت الغزلان
ادرنى بعقلك الفعاص * وتفكر لي بخاطرك جمعها
ان كان تعلم حمام ولا رقاص * عن السلطان شهر وقبله سبعا
تظهر عند المهين القصاص * وعلامات تنشر على الصعاب
الاقوم عاريين فلا سترنا * مجهولين لا مكان ولا مكان
ما يدروا كيف يصوروا كمرنا * وكيف دخلوا مدينة القيروان
امولاي ابو الحسن خطيبنا الباب * قضية سيرنا الى تونس
فقتنا كناء على الجريد والزاب * واشلك في اعراب افريقيا القوبس
ما بلغك من عمر قتي الخطاب * الفاروق فاتح القرى المولس
ملك الشام والحجاز وتاج كسرى * وفتح من افريقيا وكان
ردولت لو كره ذكرى * ونقل فيها تفرق الاخوان
هذا الفاروق مردى الاعوان * صرح في افريقيا بهذا التصريح
وبقت حتى الى زمن عثمان * وفتحها ابن الزبير عن تميم
لمن دخلت غنائمها الديوان * مات عثمان وانقلب علينا الريح
وافترق الناس على ثلاثة امرا * وبقي ما هو للسكوت عنوان
اذا كان ذاتي مدة السبروا * اش نعمل في او اخر الازمان
واصحاب المحضر في مكنا سانا * وفي تاريخ كائنا وكينا وانا
تذكر في صحتها ابيانا * شق وسطج وابن مرانا
ان مرين اذ انكف برايانا * لجدا وتونس قد سقط بينانا
قد ذكرنا مقال سيد الوزرا * عيسى بن الحسن الرقيق الشان
قال لي رايت وانا بهذا ادري * لكن اذا جاء القدر عجت الاعيان
ويقول لك مادمي المرينا * من حضرة قاس الى عرب دياب

فؤادك مما فيه من الم الوجد يقيدك علما او يزيدك حكمة * وغير حود او مصر على المحقد
ويحفظ ما تودعته غير غافل * ولا خائن عهدا على قدم العهد زمان ربيع في الزمان باسره * يبيحك روضا غير ذاول واجعد
ينورا حيا نابور بدائم * اخص واولى بالنفوس من الورد وانشد بعض العجم اذا ما خلا الناس في دورهم * بخمر سلاف وخود كعاب
اراد

وانسهم في ظلام الليال * لغير الندامي وروها والسحاب
 ودرس العلوم شراب العقول * فدوروا على بذلك الشراب
 وخلوت وصحبي كتب العلوم * وبيت العروس بييت الكباب
 وما يجتمع المرء في ذره * سوى العلم يجمعه للشراب
 ومن ملج ما ينشد في الكتب اذا ما خلوت من المؤنسين * جعلت المؤانس لي دفترى (٣٩٥) فلم اخل من شاعر محسن * ومن علم صالح منذر
 ومن حكم بين اثنائها

فواند للناظر المفكر
 وان ضاق صدرى باساره
 وأودعته السر لم يظهر
 وان صرح الشعر باسم الحبيب
 لم احشهم ولم احصر
 وان عدت من ضجيره بالهجا
 وسب الخليفة لم احذر
 ونادمت فيه كريم المغيب
 لندمائه طيب المخبر
 فقلت ادى مؤنسا ما حبيت
 عليه نديما الى المحشر
 وانشد ابن خزم لبعض
 الادباء
 ان صحبنا الملوك تا هو اعلىنا
 واستبدوا بالرأى دون
 المجلس
 او صحبنا التجار عدنا الى الفقه
 روضرنا الى حساب القلوس
 فلزنا البيوت نتخذ الحج
 رونغلا به وجوه الطروس
 لوتر كنا وذاك كنا نظرنا
 من امانتنا بعلق نغميس
 غير ان الزمان اعنى بنيه
 حسدونا على حيات النقوس
 وانشد غيره
 انست الى النفر طول عمرى
 فسالى في البرية من انيس
 جعلت محادى ونديم نفسى
 وانسى دفترى بدل العروس
 قداس تغنيت عن فرسى
 برجلى

اراد المولى بموت ابن يحيى * سلطان تونس وصاحب الابواب
 ثم اخذ في ترحيل السلطان وجيوشه الى آخر رحلته ومتهنى امره مع اعراب افر يقية واتي فيها بكل غريبة
 من الابداع واما اهل تونس فاستخدموا في المعبة ايضا على لغتهم الحضرية الا ان اكثر ردى ولم يعلق
 بحقوقى منه شئ لردائه وكان لعامة بغداد ايضا فن من الشعر يسمونه المواليا وتحتة فنون كثيرة يسمون
 منها القوما وكان ومنه مفرد ومنه في بيتين ويسمونه دوبيت على الاختلافات المعبرة عندهم في كل
 واحد منها وغالها مزدوجة من اربعة اغصان وتبعهم في ذلك اهل مصر القاهرة وأتوا فيها بالغرائب
 وتكرروا فيها في اساليب البلاغة فتمتضى لغتهم الحضرية بخاؤا بالعجائب ومن أعجب ما علق بحفظى منه
 قول شاعرهم
 هذا جراحى طريا * والدمان تضح
 وقاتلى يا احبا * فى القلايم رح
 قالوا واناخذ بنارك * قلت ذا أبق

ولغيره
 طرقت باب الحباقات من الطارق * فقلت مفتون لاناهب ولاسارق
 تبسمت لاحلى من نغرها بارق * رجعت حيران فى بحر ادمى غارق
 ولغيره
 عهدى بها وهى لانا من على البين * وان شكوت الهوى قالت فدتك العين
 لمن تعنى لها غيى غليم زين * ذكرتها الهوى وقالت لك على دين
 ولغيره فى وصف الحشيش
 دى نجر صرف التى عهدى بها باقى * تغنى عن الخمر والخمار والساقى
 فعبا ومن قبحها تعمل على احراقى * خبيتها فى الحشى طات من احداق

ولغيره
 يا من وصالو لاطفال المحبة يح * كم توجده القلب بالمعجـران أوأح
 أودعت قلبى حوحو والنصريح * كل الورى كخ فى عبنى وشخصك دح
 ولغيره
 ناديتها ومشيبى قد طواني طى * جودى على بقية له فى الهوى يامى
 قالت وقد لى كوت داخل فؤادى كى * ما هكذا القطن يحشى فم من هو حى

ولغيره
 رانى ابسم سبقت سحب ادمى برقه * ما ط اللثام تبـدى بدر فى شرقه
 اسبل دجى الشـهـر تاه القلب فى طرفه * رجـع هـدا نا بـحـيط الصـبـع من فرقه
 ولغيره
 يا حادى العيس ازجر بالمطاي ازجر * وقف على منزل احبابى قبيل الفجر
 وصبح فى حيهـم يامن يريد الاجر * ينهض يصلى على ميت قبيل المجر

اذا سافرت او نعل كبوس ولى عرس جديد كل يوم * بطرح المهم فى امر العروس فبطنى سفرنى والخروج جسمى * وهما يانى فى ابد او كيسى
 وبيتى حيث يدركنى مسائى * واهلى كل ذى عقل نغميس * ولئن كان الناطقون قد وصفوا وجودا وقالوا فاباغوا فلقد قصر واواجل مدوح
 من استقصرتى مدحه المنتهى واستنزلت فى نغريطه المختزل وكيف لا والى كتاب نغم الانيس فى ساعة الوحدة ونغم المعرفة ببلاد الغربية

وتنعم القرين والذخيل ونعم الوزير والنزيل وعالم مائى علمها وظرف حشى ظرفا وانا مائى فزاجا وحبذا بسـتان يحمل في ردن وزرودة
 تنقلب في حجرهـل سمعت بشجرة ترقى أكلها كل ساعة بالوان مختلفة وطعم متميانية هل سمعت بشجرة لا تدوى وزهر لا يتوى وتغر
 لا يقنى ومن المكجلبس يقيدك الشئ وخلافه والجنس وضده ينطق عن الموتى وترجم عن الاحياء ان غضبت عليه لم يغضب وان
 سخطت عليه لم يجب أكرم من الارض (٣٩٦) وأنتم من الريح والهوى وأخذع من المتى وامتع من الضحى وانطق من سبحان

واثل وأعي من باقل هل
 سمعت بعلم واحد تحلى بحلال
 كثيرة وجمع اوصاف اغزيرة
 عربي فارسي هندي سندي
 رومي يوناني ان وعظ أسمع
 وان الهى امتم وان أبكى ادمع
 وان ضرب او جمع يقيدك
 ولا يستفيد منك ويزيدك
 ويستزيدك ان جديسر
 وان فرح فتره قهر الاسرار
 وحز لو دافع قيد العلوم
 وينبوع الحكيم ومعادن
 المحكم ومؤنس لا ينام
 يقيدك علم الاولين ويخبرك
 عن كثير من انباء الآخريين
 هل سمعت في الاولين
 أو بلغك عن أحد من
 السائقين جمع هذه الاوصاف
 مع قلة مؤنثه وخفة جملة
 لا يبرزك شيأ من ذنبك نعم
 الذخر والعدة والمستعمل
 والحرفة جليس لا يضربك
 ورفيق لا يملك يطبعك
 بالليل طاعته بالنهار
 ويطبعك في السفر طاعته
 في الحضرة أدمت النظر
 اليه أطال امتاعك وشجذ
 طباعك وبسط لسانك
 وجود دنائك ونعم القاطك
 ان ألقته خلد على الايام

ولغيره
 عيني التي كنت اربعا كم هباتك * ترعى النجوم وبالتهديد اقتات
 وأسهم البين صابتي ولاقاتك * وسـلوني عظام الله أبحر كم ماتت
 ولغيره
 هو يت في قنطرة تكيم املاح الحكر * غزال يبدى الاسود الضار يا بالفكر
 غصن اذا ما انتفى بسبي البنات البكر * وان تهال فبالبدرة عندو ذكر

ومن الذي يسمونه دوبيت
 قد اقسـم من أحبه بالبارى * أن يبعث طيفه مع الاسحار
 يانار شوي بقي به فاقـدى * ليلا فعاها مهتدى بالنار

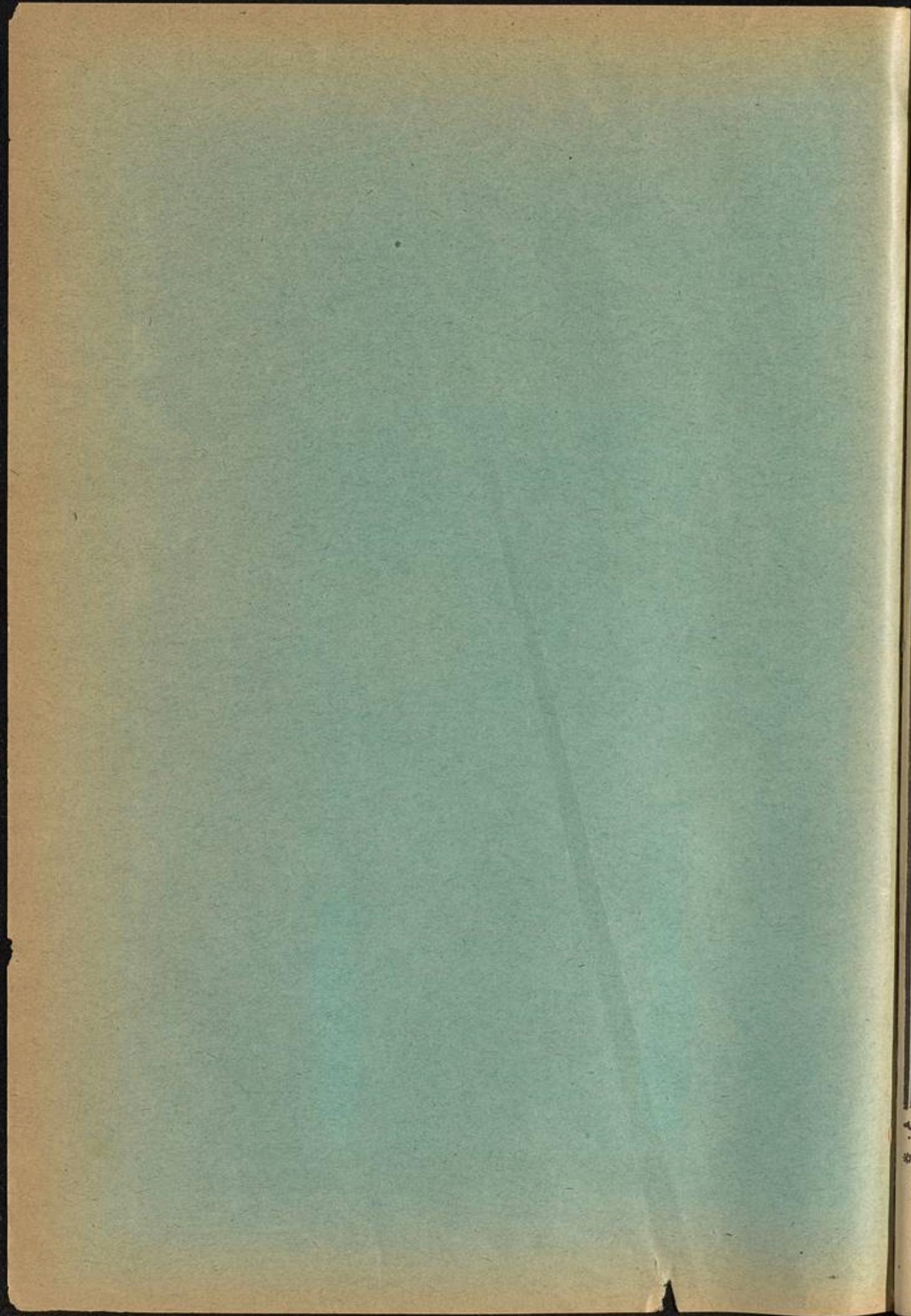
واعلم أن الاذواق في معرفة البلاغة كلها انما تحصل لمن خاط تلك اللغة وكثرت استعمالها ومخاطبته بين
 أجيالها حتى يحصل ملكتها كما قلناه في اللغة العربية فلا الانداسي بالبلاغة التي في شعر أهل المغرب ولا
 المغربي بالبلاغة التي في شعر أهل الاندلس والمشرق ولا المشرقي بالبلاغة التي في شعر أهل الاندلس
 والمغرب لان اللسان الحضري وترا كيبه مختلفة فيهم وكل واحد منهم مدرك لبلاغة لغته وذائق محاسن
 الشعر من أهل جلدته وفي خلق السموات والارض واختلاف السننكم وآيات وقد كدنا أن
 نخرج عن الغرض وعزنا أن نقبض العنان عن القول في هذا الكتاب الاول الذي هو طليعة العمرة
 وما يعرض فيه وقد استوفينا من مسائله ما حسبناه كفاية واعلم من يأتي بعدنا نحن يؤيده الله بقدر صحيح
 وعلم مبين يعوض من مسائله على أكثر مما كتبنا فليس على مستنبط الفن احصاء مسائله وانما عليه
 تعيين موضع العلم وتنويع فصوله وما يتكلم فيه والمتأخرون يلحقون المسائل من بعده شيأ فشيأ إلى ان
 يكمل والله يعلم وانتم لا تعلمون

قال مؤلف الكتاب عفا الله عنه أتممت هذا الجزء الاول بالوضع والتأليف قبل التنقيح والتهديب في مدة
 خمسة أشهر آخرها منتصف تمام تسعة وسبعين وسبعمائة ثم نقضته بعد ذلك وهذبتة والحقت به تواريح
 الامم كما ذكرت في أوله وشرطته وما العلم الامن عند الله العزيز الحكيم

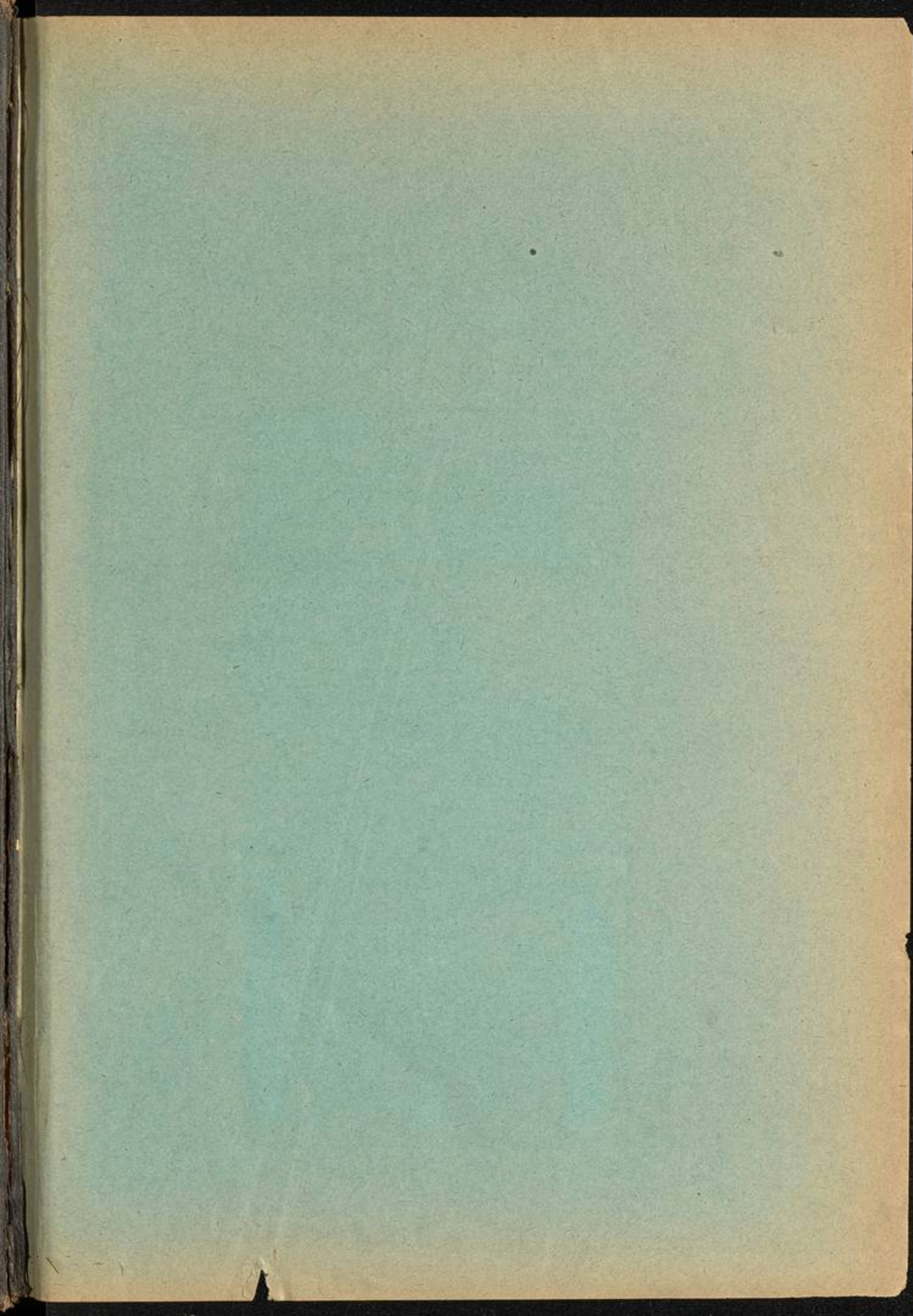
(يقول محققه عفا الله عنه)

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله قد تم طبع مقدمة العالم الشهير والفاضل الفخير
 صاحب التأليف العديدة والاقوال المقيدة من أقرت بفصاحته المتقدمة والمتأخرون الأستاذ
 الفاضل الشيخ عبد الرحمن بن خلدون محلاة الوامش بكتاب سراج الملوك للعلامة أبي بكر محمد بن
 محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى نقضنا الله بعلومهم آمين وذلك بالمطبعة الفاتحة ذات الادوات
 الباهرة الرائقة الموسومة بالازهرية المصرية ادارة الراجى من الله الغفران حضرة السيد محمد رمضان
 في غرة ربيع الثاني سنة ١٣١١ هجرية على صاحبها افضل الصلاة والسلام والتحية

ذكرك وان درسته رفعم في الخلق قدرك وان جلته نوه عندهم باسمك يقعد العبيد في مقاعد السادة ويجلس السوق في مجلس الملوك فآكرم به
 من صاحب وأعز زبه من مرافق وقد قال فيه الاول لنا جلساء ما نمل حديثهم الباء أمونون غيبا ومشهدا يقيدوننا من علمهم علم ماضى *
 ورأيا وتأديا وعقلا مسددا بالافنة نخشى ولاسوء عشرة * ولا تقي منهم اسانا ولايدا فان قلت اموات فإنت كاذب *
 وان قلت احياء فإنت مقندا فهذا ما أردنا ان نغليه في هذا الكتاب فاكتبوا ان شئتم انفسا ان كانت الانفس مما يكتب



م
*
*



COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58870016

893.71b56 T13

Muqaddimah : al-juz

RECAP



71b56